..ذت تنزلق من شاهقه الى سفحه . فبرتراند رسل الفيلسوف الانكليزي يبدي قلقه من وجود ..هوة التي نشأت بين الصور المجردة التي يرسمها العلم الحديث والصور التي يرسمها ويدركها الذهن ..لبشري .وكأن العلم الحديث أصبح برج بابل جديد تبلبلت فيه الالسنة ، فلا يفهم الجمهور الثاوي ..ند قاعدته ، ما تقوله الخاصة المقيمة على قمته

والاثر النفسي للانقلاب الذي احدثه اينشتين واتباعه فزعزع الصورة التي رسمها نيوتن الكون ، ..و ان النظريات العلمية لاتخرج عن كونها شيئاً ذهنيًّا لايطابق الحقيقة . يقول الاستاذ بردجمن احد ..لماء جامعة هارفرد «كنا نتوقع ان يكون هدف النظريات الطبيعية الكشف عن الحقائق الاساسية ..ما اليوم فاننا لانصرُّ كثيراً على الحقائق الاساسية ، وذلك لاننا اضعف ثقة مما كنا في ان الحقيقة ..لاساسية ، التي كانت هدفنا ، لها اي معنى على الاطلاق »

بل ان حيرة ادنجتن وشكّهُ اوضح من حيرة رسل وريبة ردجمن ، وهو يعبر عنهما بصورة ..معرية اذ يقول بأنهُ واثق من اننا لا نستطيع ان نكشف بالعلم ، الاّ آثار خطانا على الرمل ، واننا ..لا نستطيع الخروج من التعميم الصادر عن ذواتنا ، الاّ في « علم المقدار» وهناك نكتشف ان ليس ..لطبيعة نظام معقول . فكل النواميس التي نصوغها ليست الاّ نواميس مصطنعة وان الناموس ..لوحيد ، هو ان ليس في الطبيعة ناموس

وقد نستطيع ان نمضي في سرد اقوال العلماء والمشتغلين بالعلم ، التي من هذا القبيل ، فنرسم ..لحالة العلم في العقد الرابع من القرن العشرين ، صورة قاتمة تبعث القنوط في النفس ، ولكن هل ..هذه الصورة تمثل الحقيقة والواقع

***

لا يحتاج الكاتب الى ان يكون فيلسوفاً عمليًّا ، لكي يؤمن بالقول المأثور « من تمارهم ..عرفونهم » . فاذا نظرنا الى العلم هذه النظرة ثبت لنا- في الحال ان القول بانهياره سابق لاوانه على ..لاقل ، لاننا لا نعرف عصراً ، يفوق هذا العصر ، في كثرة ما انتجهُ العلم من الثمار . ولا نحن ..ستطيع ان نحسب نظرية النسبية ، صورة ذهنية غير مطابقة للحقيقة ، بعد ما ايدتها المباحث في ..ختلف فروع البحث الطبيعي والفلكي، حتى في ميدان نظرية المقدار حيث ثبت ان النواميس العالمية ..يست الاّ احتمالات كبيرة ، وان المبدأ الاساسي في الطبيعة هو مبدأ الصدفة لا مبدأ الحتم . ..نا يتبين لنا عند انجلاء الغبار من ميدان المعمعة ، ان القول بأن النواميس الطبيعية ليست ..لاّ احتمالات كبيرة، لا يضير العلم، وانما يضير كرامة العالم فقط او ما يحسبهُ العالم كرامتهُ ، لانهُ كان ..ول بأن النواميس العلمية التي اكتشفها نواميس مطلقة . ولعلّنا نجد في هذا القول ما يطمئننا

فؤاد صروف

حديقة المقتطف

الانذار المثلث

لارثر شنتزلر الكاتب النمسوي

الايمان

قصيدة لالفونس دي لامرتين

عواصف — المرآة والبركة

لوليم هنري دايفز

النار والجمد

لروبرت فرست

الدين

لجسي وتنهوس

باب المراسلة والمناظرة

الحروف الشمسية والحروف القمرية

سيدي محرر المقتطف الاغر هدانا الله بعلمهِ

تحية وبعد قسَّم اللغويون حروف الهجاء الى قرية وشمسية وقالوا ان القمرية هي التي تظهر معها لام ال التعريف والشمسية هي التي تختفي معها هذه اللام ثم عددوا الحروف القمرية والحروف الشمسية وفرضوا على الدارسين استظهارها . . . ولم اجد في كل ما وقع تحت يدي من كتب الصرف القديمة والحديثة تعليلاً لهذا التقسيم او لماذا يجب اظهار اللام مع حروف وإخفاؤها مع اخرى حتى كشف لي ذلك « على زعمي » منذ نحو عشر سنوات وانا ادرس بعض المبتدئين في هذا المهجر السحيق فلقّنتهُ تلاميذي بكل اختصار هكذا

ان الحروف بدلا من تسميتها شمسية وقرية كان ينبغي ان تسمّى لسانية وغير لسانية وانهُ لما كانت اللام حرفاً لسانيًّا اسقطوها قبل الكلمات التي تبدأ بحرف لساني تلافياً لمشقة التلفظ بحرفين لسانيين متتابعين

وبناء على هذه القاعدة البسيطة يكون حرف الجيم اقرب الى الشمسي منهُ الى القمري اي هو حرف لساني لصعوبة التلفظ بهِ مع اللام وقد ادرك العامة في الشام هذا بالسليقة فقالوا « اجّبل » لا الجبل كما تعلمنا في كتب الصرف خطأً . اما المصريون فجيمهم اقرب الى الكاف والغين منها الى الشين ولذلك تدخل عندهم في عداد الحروف غير اللسانية . لقد عرضت هذا التعليل على بعض لغويينا هنا وفي مقدمتهم الاستاذ قربان فاستصوبوهُ . فهل لسائر علمائنا الافاضل في الاقطار العربية ان يتلطفوا بنفيهِ او اثباتهِ كما عودونا العناية بكل جليل ودقيق في لساننا الشريف ولاسيما في بدء نهضتنا هذه المبشرة بالخير العظيم ان شاء الله ؟ ! ولكم جميعاً الفضل والشكر سيدي

سان باولو برازيل — رشيد سليم خوري [الشاعر القروي]

ذكريات وتصويبات

حضرة الاديب فؤاد افندي صروف المحترم

ورد في المثل المأثور الفرنسي « صديق اليّ صديق صديقي » يضارعه في اللغة العربية « حبيب الى قلبي حبيب حبيبي »

ربما لا تعلم مكانة الصداقة بين عمك المغفور له الخالد بذكره يعقوب صرُّوف وبين تلميذه كاتب هذه الأسطر — أحببته منذ كنت يافعاً أتلقى العلم عليه في مدرسة الاميركان العليا بطرابلس (لبنان) High School of Tripoli وكانت زاهرةً تحت ادارته في سني ١٨٧٢ — ١٨٧٤

ولما انتقل المرحوم عمك الى التدريس في كلية بيروت (جامعة الاميركان) ثم انشأ مع رفيقه وصديقه الحميم الدكتور فارس نمر (ورفيقهما النشيط الاديب المرحوم شاهين مكاريوس) مجلة المقتطف سنة ١٨٧٦ كنت بالغاً ١٧ عاماً فامتلأ قلبي حبوراً ونظمت مع حداثة عمري قصيدة تعبر عن شعوري وسروري وارسلتها الى استاذي وقد وجدت نسختها مبعثرة بين اوراقي القديمة التي انا مهتم بجمعها لاطبع منها كتاباً على حدة وعن قريب أنجز هذا المجموع من القصائد والمقالات

وحبذا لو مررتَ باسكندرية وآنستني بزيارة فترى بينها كتاباً من المرحوم عمك ارسله اليَّ بعد شفائي من العملية الجراحية الكبرى التي اجريت لي في باريس سنة ١٩٢٦ وكانت كما وصفتَها انت في المقتطف « سلسلة عجائب جراحية » وكان عمك متغيباً في عزبته — ما أرق شعوره وأصدق احساسه وقد ذكر لي بكتابه انهُ شاخ والتي عليك حمل المقتطف . وربما تروم ان تقرأ القصيدة الآنف ذكرها فأذيل كتابي هذا بأبيات تستنتج منها ان المقتطف كان رفيقي منذ ظهوره حتى سنة ١٩٣٠ لما أسدل على نظري غشاء « الكاتاركت » ومنعت عن القراءة ولبثت فاقداً هذه اللذة مدة عامين الى ان أنعم المولى علي برد جزء من بصري عقيب عملية جراحية في سويسرا سنة ١٩٣٢

والآن صار بامكاني العود الى قراءة المقتطف والعود احمد فأرجو ارساله لي ابتداء من الجزء الاول من المجلد الخامس والثمانين وهكذا احفظ مقالة الصحافي الاديب نقولا افندي شكري المطبوعة في الجزء الثاني من هذا المجلد — وحبذا لو اطلعني حضرة الكاتب على مقالته قبل نشرها حتى كنت ارجوه ان يحذف منها ما نظره من اوصافي بتلسكوب عين الرضى فبالغ في الثناء فوق ما انا اهل له ثم كنت اصحح بعض اغلوطات في تاريخ حياتي . اولاً لم اكن متزوجاً لما سافرت سفرتي الاولى سائحاً سنة ١٨٨٩ ثانياً المعرض اقيم بالسنة المذكورة وليس في سنة ١٨٩٠ ثالثاً اني سميت كتاب سياحتي « سفر السفر الى معرض الحضر » وليس السمير الى السفر » وقد نفدت طبعتهُ الاولى رابعاً انني بالغ من العمر ٧٥ عاماً وليس سبعين

واليك بعض ابيات القصيدة التي ارسلتها الى عمك لما لاح بدر « المقتطف » في شهر يونيو سنة ١٨٧٦

من كل فن مقتطف مجموع علم قد صدر
من روضه فاح الشذى من عرفه الطيب انتشر
آراؤه ورواءهـا أشهى فكاهات السمر
لما تبدى نورها أيقنت ان الليل مر
من جال في ارجائه نظر الكواكب والقمر (١)
يعقوب ذاك الفذ من عشق العلوم من الصغر
انبأنا كيف بحارنا بتبخر تلك المطر (٢)

ومنها : ورفيقه من مرصد يروي لنا احلى خبر
اسماه اهله فارساً صدقوا غدا بطل الخفر

اجتزىء بما ذكر — كتابي هذا مرسل اليك خاصٌّ بك ، لكن اذا رغبت في نشره بالمقتطف فأنت حرٌّ بذلك واهديك تحياتي الصادقة

ديمتري خلاط

(١) اشارة الى مقالة بالعدد الاول بقلم الدكتور فارس نمر (٢) اشارة الى مقالة بذات العدد بقلم الدكتور يعقوب صروف

مكتبة المقتطف

في علم النفس والتربية

١ — الطرق العملية لدراسة الحياة العقلية

تأليف نظله الحكيم ومحمد مظهر سعيد

يجمع هذا الكتاب بين دفتيه طائفة من التجارب النفسية التي ترمي الى قياس بعض النواحي العقلية كالذاكرة وسرعة الحفظ والنسيان الى آخره . يجمع هذه التجارب كما يجمع الانسان بعض الثمار من غير ان يبين شيئاً عنها ، لا بل من دون ان يسأل نفسه ما هذه وما تلك . او ما نفع هذه وما فائدة تلك . واليك مثلاً مما ورد في صفحة ٣٥ من الكتاب تحت عنوان «الصور الذهنية»

يطالب الى الموضوع Subject ان يضع امامه كتاباً مقفلاً ، وينظر اليهِ بضع ثوان ، ثم يغمض عينيه ويحاول ان يستحضر كل التفاصيل التي يذكرها عن هذا الكتاب ، ويدون هذه التفاصيل ويجيب عن بعض الاسئلة التي وجهها اليهِ المؤلفان في كتابهما ، وانتهينا من الموضوع . ثم نجدنا وقد اخذنا بسبيل موضوع آخر . من دون ان يدري القارىء العادي ماذا يراد منهُ وماذا يريد هو من هذه التجارب ولماذا يتعب نفسه فيها اصلاً

والواقع او على ما يظهر لنا ان القصد من الكتاب ان يستعمله المعلمون لجمع الحقائق الخاصة بهِ، اي ان الغرض منهُ استقرائي لا احصائي

نحن نعرف المؤلفين معرفة جيدة ، ونعرف مكانهما العالي بين اساتذة علم النفس في هذا البلد ، وكنا نتوقع منهما ان يقدما لنا دراسة تفصيلية لهذه الاختبارات مع بعض الامثلة التي تسهل لنا فهم هذا الموضوع، فالاستاذ مظهر سعيد كفء لهذه الدراسة وله الاستعداد والمقدرة على الاضطلاع بهذا الامر — لا بل نظن انهُ من القلائل في هذا البلد الذين يستطيعون ان يكتبوا في هذا الموضوع عن دراية ومعرفة تامتين

وللاستاذين عذرهما فان هذا هو الكتاب الاول ، وهو بطبيعة الحال انما وضع تمهيداً لما سيتلوه فأرجو منهما ان يلاحظا هذا الامر في كتابهما التالي ، وهو ان الجمهور مقبل على علم النفس، لم تُتَح له الفرصة الكافية ولا الكتب الكافية لهذا النوع من الثقافة فهو يريد ان يلم بالمبادىء الاولية التي تنبني عليها امثال هذه الاختبارات ، وبعبارة اخرى نريد دراسة تمهيدية لاختبارات الذكاء وجميع الاختبارات العقلية، لماذا نستعمل هذا الاختبار اوذاك ، وماذا ينتج من اجرائهِ وكيف نستطيع ان نحكم

على قيمة نتائجهِ وما هي دلالة هذه النتائج. بعد هذا كلهِ يصح ان نحاول اجراء هذه الاختبارات على انفس
اظن هذا الكتاب قد وضع لطلبة الاستاذين او لهم ولطائفة من المدرسين ، فاذا كان هذا هو
الواقع فمن الواجب على الطلبة ان يدرسوه وعلى المعلمين الذين يهمهم الموضوع ان يجربوا التجارب
ويجروا الاختبارات ويدونوا نتائجها ويبعثوا بها الى المؤلفين لتكون نواة لكتابهما المقبل يلخصان
فيهِ النتائج الاحصائية

٢ — الجزء الثالث من علم النفس

تأليف محمد عطية الابراشي وحامد عبد القادر

هذا كتاب من خيرة الكتب في علم النفس في اللغة العربية يجمع ما يمكن جمعه بين دفتي
كتاب واحد ، لا بل اظن انهُ يجمع اكثر مما ينبغي ان يجمع ، فعلم النفس علم واسع جداً ، وم
كتب فيه لا يمكن تلخيصه مع حفظ قيمته ، فلا بدَّ من ان يضر التلخيص فيه بمن يريد ان يطلع
على شيء من هذا العلم الحديث

فاذا كان الغرض من وضع هذا الكتاب هو الالمام السريع بأبواب السيكلوجيا وموضوعاتها
الماماً لا يسمن ولا يغني من جوع ، المامَ حصر لا المام تفصيل فقد حقق هذا الكتاب الغرض
من تأليفهِ على خير وجهٍ وعرج على كل شيء ينسب للسيكلوجيا ، واقتطف من كل شجرة ثمرة ومن
هذه الوجهة اظن ان هذا الكتاب من خير ما وضع في لغتنا في علم النفس ، ويصحُّ ان يعد من
الكتب القلائل التي وضعت في اللغة العربية

ولكني كنت افضل شخصيًّا ان لا يحاول المؤلفان الاحاطة بالموضوع من جميع جهاته ، ذلك
لان هذه المحاولة في رأيي كثيرة على استاذين اثنين ، وكثيرة ايضاً على كتابين او ثلاثة ، الاَّ اذا
كان الغرض التعريج على المواضع والالماع اليها الماعة سريعة . كنا نفضل ان لا يحاول الاستاذان
هذا ، وانما كنا نريد منهما ان يقصرا جهودهما على بعض موضوعات السيكلوجية ، ويدرساها دراسة
تفصيلية مستطيلة تلم بها من جميع النواحي ، مع الافاضة والشرح وضرب الامثال مما يقع تحت حس
القارىء العادي في منزله وديوانه وفي الطرقات العامة . وليس يخفى بالطبع ان السيكلوجية هي محاولة
الكشف عن الدوافع النفسية للتصرفات المادية ، وهذه بالطبع دراسة يقوم بها كل انسان من يوم
الى يوم بغض النظر عن مقدار حظه من الثقافة ، اما وان الاستاذين قد حاولا جمع شوارد هذا
العلم بين دفتي كتاب فقد اضطرا بحكم ذلك ان يقتصرا في كثير من الاحيان عن الشرح المستطيل
بوضع تعريف لبعض النواحي النفسية ، والتعريف في جملة او جملتين بموضوع من موضوعات هذا
العلم خطر كبير يجب ان نتجنبه بعد ان وصلنا الى هذه الدرجة من الثقافة

الحق اني معجب بهذا الكتاب واظن انهُ من واجب [illegible] ان نقرأوه

ـموساً لاولئك الذين لا تتاح لهم دراسة هـذا العلم في احدى اللغات الاجنبية . ولكنني ارجو ـلفين ان يزيدا التفصيل حتى وان تناولا موضوعاً محدوداً من السيكلوجية فقط

٣ — في التربية

تأليف الدكتور علي عبد الواحد وافي

هذه رسالة قيمة للدكتور علي عبد الواحد وافي وضعها للدكتوراه ، وهي كجميع ما يكتب ـوز بالدرجات العلمية ، دراسة اكاديمية لا موضع فيها للامور العملية ، او بالحري تأتي المسائل ـملية فيها في المحل الثاني ، ولا يعاب المؤلف في هذا لأن الغرض الاصلي من الرسائل العلمية هو ـهار مراجع الجامعات بأن الفرد قد حصل على قسط لا بأس به من العلم يتناسب مع الدرجة التي ـمى اليها ، بغض النظر عن اثر هذا في الحياة العادية للافراد والجماعات

والرسالة نفيسة حقًّا فذة في بابها لا اذكر ان احداً تناول موضوعها قبل الآن في اللغة العربية ، ـسل الاول فيها بحث قيم بديع في اللعب يجب ان لا يفوت المشتغلين بالتربية بحال من الاحوال ، ـ كنت اتمنى ان المؤلف قصر كتابه على هـذا الباب مع الاطالة في الشرح والتفصيل بحيث يرينا اللعب في حياة الفرد الخلقية والاجتماعية، وكيف ان اللعب يكوِّن الافراد ويكوِّن الامم ، كنت ـد ان هذا البحث يدور حول الاخلاق والاجتماع

وانا لا الوم الدكتور في شيءٍ وقعت فيهِ انا ، وكنت اود لو لم اقع فيه ولكن ظروفنا التي نحن ـا تتطلب من امثال الدكتور ان يتقدم للجمهور برسالتهِ العلمية اولاً ، ويجب على كل حال ان ـوها برسالة عملية نستنير بها في حياتنا الاجتماعية الراهنة

وبحثهُ في ماهية اللعب ، والدوافع النفسية والبدنية لهُ، جمع كثيراً من الآراء والمذاهب المنوعة ـاعطى لكل رأي قيمته وقدره ، وعقب على هذا برأيهِ الخاص ، وعقب على هذا كلهِ باظهار الفرق ـ اللعب والعمل ، ورأيهُ في هذا الفرق يتقارب من رأي قنديل في احد كتبهِ ، ويستند الى كثير ـ علماء التربية ،وان كنت شخصيًّا لا ارى هذا الرأي من الوجهة النظرية وان كنا متفقين عمليًّا، ـعب والعمل من الوجهة النظرية لا يمكن التفريق بينهما بحال من الاحوال ، فهو في الواقع تفريق ـ الغايات والوسائل ، وهذه في رأينا لا يمكن التفريق بينها من الوجهة النظرية

والكتاب ينتهي بقائمة كبيرة من المراجع التي لا يمكن ان تستغني عنها رسالة علمية ،ولكن هذه ـائمة ينقصها ما كتب في اللغة العربية،وكان من المستحسن ان يذكرها المؤلف او يشير الى انهُ اطلع عليها

والحق انهُ كتاب يجب على كل المشتغلين بالتربية وعلم النفس ان يدرسوه بامعان وتدقيق

يعقوب فام

الثورة العربية الكبرى

تأليف امين سعيد — نشرته مطبعة عيسى البابي الحلبي — ثلاثة مجلدات صفحاتها ١٤٠٠

ان من اجل الكتب التي ازدانت بها خزانة التاريخ السياسي في اللغة العربية في الفترة الاخير كتاب « الثورة العربية الكبرى » للاستاذ امين سعيد . ولو قدر للمستر (روبرت جرايفز) ا يقرأه ويرى الاخبار الواردة فيه والوثائق المسجلة بين طياته لاسترجع ما فرط منهُ من القول ء ان تاريخ (الكولونل لورنس) للثورة العربية لا يشق العرب غباره ولا يأتون بمثله[1]

والواقع ان هذا السفر النفيس الذي اتحفنا به كاتبنا العربي هو مرجع خصب للمتتبعين من اه الاجيال القادمة وموسوعة في الموضوعات التي تناولها لا يمكن الاستغناء عنه بوجه من الوجوه وقد ضم بين دفتيه من اخبار النهضة القومية العربية منذ فجرها عقب الانقلاب العثماني في س ١٩٠٨ الى اليوم ما لا يترك زيادة لمستزيد فاستعرض فيه الوقائع والحوادث ما ظهر منها بالصو المكشوفة وما بطن وراء ستار الدسائس على طريقة حرية بالتدبر والاعجاب . فهنالك وصف مستفيه للجمعيات العربية التي تألفت من بعد ما كشر الاتحاديون الترك عن نابهم وباشروا خططهم المحفو بالمهالك من تتريك العرب والقضاء على قوميتهم وثقافتهم تحت برقع من الاخاء الديني ثم جاء الحرب العامة فاتخذ السفاحون الطورانيون اعلانها فرصة للقضاء على النابهين من رجالنا فنصب المشانق لافذاذ منا لو بقوا في قيد الحياة لتعذر على المستعمر الاوربي ان يدنس ارض الوطن المقد بقدميه وساروا بمظالمهم ومغارمهم يجللونها بدعاية من الدين كاذبة حتى ارغموا العرب على امتش الحسام . ومن اقذر الهنات التي يزل بها زعيم هؤلاء الطغاة احمد جمال باشا ما ابرزه كتاب « الثو العربية الكبرى » من الوثائق السرية التي نشرها البولشفيك في اواخر الحرب العامة وفيها ادا بالخيانة الوطنية العظمى ضد الترك والخلافة العثمانية وذلك بمحاولته الانحياز الى جانب الرو والانكليز والفرنسيين لتأليف سلطنة يجلس على عرشها وتكون لخلفه من بعده ولكن من س حظه ان الحلفاء انفسهم ردوه ردًّا منكراً

اعلن الشيخ الوقور حفيد من اسس مجد العرب الثورة العربية في سنة ١٩١٦ وما زال النه حليفها في حلها وترحالها حتى دخل فيصل بن الحسين دمشق في اواخر سنة ١٩١٨ من بعد ما لا العرب الاهوال في سبيل حريتهم فتأسست حكومة وطنية في عاصمة الامويين ترعاها الآمال وتح بها الاماني ولكن الجنرال غورو ممثل الفتح العسكري الاوربي والبسطة الاستعمارية الغر اكتسحها في شهر يوليو سنة ١٩٢٠ فداس تلك الوعود والعهود الشفهية والخطية التي قده الحلفاء للعرب وآخرها تصريح نوفمبر سنة ١٩١٨

وصف الاستاذ امين سعيد الحكومة الوطنية السورية واعمالها وصفاً دقيقاً ثم ذكر العر

---

(١) ظهر هذا الكتاب بالانكليزية لاول مرة سنة ١٩٢٧ واسمه « لورانس والطائفة العربية » طبع ...

وانتقاضه على البريطانيين والادارة العسكرية الاجنبية في بلاد الرافدين ومبايعتهُ للملك فيصل ثم أشار الى امارة شرق الاردن والامير عبد الله وعرج على فلسطين وغليانها والانتخابات ومقاطعتها والجهود التي صرفت للخلاص من كابوس الاستعمار المزدوج حتى انتهى الى الثورة السورية الكبرى وخوارق الاعمال التي ظهرت فيها مما يعيد الى الخاطر ذكريات عصر الفروسية في الجاهلية فكانت هذه الاخبار عن الثورات التي نشبت في البلدان العربية المسلوخة عن الدولة العثمانية حجراً في فم المتخرصين الذين حاولوا ان يقدحوا في وطنية العرب ويقللوا من شغفهم بالحرية والاستقلال

والكتاب كله نفع ولكن في عقيدتي ان انفع ما فيهِ وصف نهضتنا القومية في مهدها وكيف صادمنا فتيان الاتحاديين عقيب الانقلاب العثماني ولم نستكنْ لهم والمظالم والمغارم التي حلت بالبلاد على ايديهم وذكر قوافل الشهداء التي ذهبت الى سدد المشانق في سنتي ١٩١٥ و١٩١٦ والاقوال التي قالوها قبل ان تعلق الحبال في رقابهم مما كان له كلهُ ابلغ الاثر في انتباه وعينا القومي

وفي الحق انني لا اعد شيئاً مستغرباً في جميع ما ذكره كتاب « الثورة العربية الكبرى » من اعمال البطولة الخالدة التي قام بها العرب لمحاربة الاستعمار وذلك لان نيات المستعمرين الغربيين واغراضهم المادية واضحة وبدهية الى درجة ان الذين كانوا يعدونهم قبل الحرب العامة منقذين اصبحوا بعد حين يعدون وجودهم نكبة على البلاد

ولكن ان تعجب أيها القارىء لشيء فعجب ان يرى رجالات العرب بفكرهم الثاقب ونظرهم البعيد دسائس الاتحاديين الترك وما كانوا يضمرونه للعرب من شر ويحاولونه من تتريك فيهبوا في وجوههم على قلتهم غير هيابين تلك الدعايات الدينية الباطلة التي أثاروها ولا مكترثين لتلك الخلافة المزوقة المموهة التي أحاطوها بأنواع الدبدبة والطنطنة ليحاربوا بها رجالنا ويسحقوهم من غير ان يعتقدوا بها ، وحسبنا ان يكون ابناء جلدتهم والذين انقذوا تركيا من الدمار هم الذين قوضوا اركانها وقضوا على معالمها

وهذا السفر النفيس وان وصف الثورة العربية خير وصف وبرر رجالها والقائمين بها خير تبرير الاّ انه لم يحجم عن ان يشير الى الخونة والمأجورين الذين اندسوا بينهم شأن سائر النهضات القومية الوطنية المقدسة التي لا تخلو من عباد المنافع وارباب المصالح الذاتية الحقيرة

وعلى كل حال فهذا الخبر الطويل الحافل بأدق الملاحظات عن الثورات التي هبت في العالم العربي لانقاذه من براثن الاستعمار على انواعهِ هو التراث الثمين الذي سيفتخر به الابناء والاحفاد كما يفتخر الاميركيون اليوم بأعمال واشنطن وزملائه الامجاد وويل ثم ويل للامة التي تطمع ان تكون في مصاف الامم الحية وهي تبخل على حريتها بالمهجة والدينار لأن الذي يطلب عظيماً يجب ان يخاطر بالعظائم

وان الفراغ الذي ملأه الاستاذ امين سعيد في تاريخ تدرجنا السياسي الحديث فراغ عظيم

طالما شعرنا بوجوده لسببين اثنين (الاول) لان النشء الحديث من ابنائنا على ما فيه من وطنية تغلي كالمراجل لا يعرف الا النزر اليسير من اعمال الذين اسسوا له الوطنية العربية الملتهبة فهو في حاجة الى مصادر يستوثق منها كمصادر (الثورة العربية الكبرى) و (الثاني) لان بعض الاقطار الشرقية بقيت في حيرة وارتباك بين ما سمعت بأذنها من الدعايات المأجورة التي انتشرت على العرب من جهة وما رأت بعينيها من اعمال البطولة الخالدة التي قاموا بها لمصارعة الاستعمار الغربي من جهة اخرى فهي والحالة هذه في حاجة الى من يدلها على اخبار النهضة العربية في مهدها والغايات النبيلة التي ذهب الى المشانق من اجلها شهداؤنا الغر الميامين ليكون ثمة تطابق بين السمع والبصر وهذا ما فعله كتاب (الثورة العربية الكبرى) وأقام الدليل عليه بالحجج الدامغة والاخبار الممتعة

الدكتور عبد الرحمن شهبندر

تاريخ الوزارات العراقية

صدر الجزء الثاني من تاريخ الوزارات العراقية بقلم الباحث المحقق السيد عبد الرزاق الحسني الكاتب العراقي المشهور . وهو في ٢٤٠ صفحة بالقطع المتوسط وقد طبع طبعاً متقناً على ورق جيد صقيل في مطبعة العرفان بصيدا

وهذا الجزء متمم للجزء الاول وقد صدر في السنة الماضية ووصفهُ المقتطف ويتضمن تاريخ العراق السياسي في الفترة الممتدة من قيام الوزارة العسكرية الثانية في اول نوفمبر سنة ١٩٢٦ حتى استقالة وزارة ناجي باشا السويدي في شهر مارس سنة ١٩٣٠ مع ملحق يحتوي على صك الانتداب البريطاني للعراق والدستور العراقي الصادر يوم ٢٩ يوليو سنة ١٩٢٥ . والكتاب دائرة معارف في السياسة العراقية لا يستغني عنهُ كاتب ولا باحث فقد ضمَّ في جزئيه الكبيرين تاريخ العراق السياسي من قيام دولته في سنة ١٩٢١ حتى سنة ١٩٣٠ . وانا لنرجو ان يوفق حضرة مؤلفه الى اخراج الجزء الثالث جامعاً لتاريخ العراق السياسي في الفترة الجديدة من سنة ١٩٣٠ حتى الآن فهو خير من يضطلع بهذه المهمة وافضل من يتصدى لها

ولقد اتبع المؤلف طريقة طريفة في تبويب مؤلفه الثمين فهو بعد ان يثبت نص المرسوم الصادر بتأليف الوزارة يذكر العوامل التي ادت الى تبوُّها الحكم ثم ينشر برنامجها ويتبعه برسوم اعضائها الشمسية كل واحد على حدة ثم يورد تاريخها ويسرد الاعمال التي عملتها والعقود التي عقدتها ان كان هنالك عقود ، والمشروعات التي شرعت بها ، والقوانين التي سنتها والانظمة التي نظمتها وبالاجمال فهو لا يدع شاردة ولا واردة من تاريخها السياسي والاداري الا اثبتها ودونها

فنثني على حضرة مؤلفه الذي اختط خطة جديدة في كتابة التاريخ السياسي باللغة العربية راجين له التوفيق في اصدار الجزء الثالث وآملين لكتابه من الرواج والاقبال ما يستحقه

الألحان الضائعة

نظم حسن كامل الصيرفي — طبع بمطبعة التعاون بمصر — صفحاته ١٠٤

شعر هذا الديوان اكثره مما سبق نشره على صفحات المقتطف من اوائل عام ١٩٢٩ تقريباً وقد كانت مجلة العصور قبل ذلك بعام ، أول ميدان ظهر فيه نشاط هذا الشاعر في نشأته الاولى . لذلك لا نظن أحداً من قرّاء المقتطف يجهل لون هذا الشعر أو فنّ هذا الشاعر

فحسن كامل الصيرفي في ديوانه الألحان الضائعة شاعر وادع النفس : رقيق القلب ، متزن العقل ثم هو بعد ذلك رشيق الاسلوب ، واضح البيان احياناً ، قويّ الخيال يصدر في شاعريته عن فكرات تلابس معظمها الروعة الفنية فتجد المعاني المبتكرة كفاءها من اللفظ المختار ويظهر ان الموسيقى التي تتجاوب بها قصائد الديوان مستمدة من نفس شاعرها فهي هادئة وادعة ، قد تستدعي الانتباه أحياناً وقد تمر على اذن القارىء كما يمرّ الحلم بالعيون الواسنة

ظهر هذا الديوان في عام حفل بظهور الدواوين الشعرية وأخصها (الملاّح التائه) لعلي محمود طه و (وراء الغمام) لابراهيم ناجي فأثارا من الضجة في مصر والعالم العربي مما لم يكن ليدور في خلدنا فدل ذلك على يقظة الروح الفني وتحفز النزعات الادبية في الشرق العربي وان المادة عادت لا تشغل الناس كلّ الشغل عن متعة الروح . هذا حمدنا لحسن كامل الصيرفي اظهار ديوانه في العام نفسه بجانب الدواوين الاخرى ليتاح لنا ان نسمي هذا العام بعام الشعر

أظهر السمات في شاعرية الصيرفي هي التصوير — والتصوف — والطبيعة — والعاطفة أحياناً . فأما شعره التصويري فتتجلى لك براعته في قصيدتي « حياتي » و « موت عزرائيل » وغيرها . أما سمة التصوف فتتجلى لك في بعض قصائد « الشاعر » ومقطعات « اغاني الربيع » وغيرها . اما الطبيعة فله فيها قصائد « جفاء الطبيعة » و« موت البلبل» و « الشجرة العارية » . واما العاطفة فتبدو في قصائد « دعيني » و « تحت ضوء القمر».وغيرها . والصيرفي في اكثر قصائده ذو نزعة تجديدية فهو يميل دائماً الى التحرر من القـافية والى بعض الاخيلة الغامضة التي يسمونها بالفرنسية mance والتي يمكن ان تعتبرها في بعض الاحايين رمزية وهو في حبه لانطلاقه من وثاق القافية يقارب الروح الغالبة بين شعراء المهجر . كما انهُ يتلاقى في بعض قصائده الاخيرة مع بعض الشعراء المصريين

وقد جرت مناقشة على صفحات المقتطف من عهد قريب ، بين الشاعر وأحد النقّـاد ، أخذ بها على الشاعر خروجه في بعض أبياتهِ عن أحكام العروض . واننا لنرجو من صاحب الالحان الضائعة ان يستتمّ عدتهُ من هـذه الناحية ، وان يعنى بالاستزادة من ثروتهِ اللفظية ، مبالغةً منهُ في إفراغ ظلال المعاني في قوالبها الأصيلة . وليس هذا عليهِ بعسير (...)

تربية الطفل — اسرار المراهقة

تأليف الدكتور شخاشيري

مضى على الدكتور شخاشيري نحو عقدين من السنين وهو لا يألو جهداً ولا يدّخر وسعاً في كتابة المقالات والقاء الخطب وتأليف الكتب، في موضوع صحة الاطفال والاحداث، وما يجب على الوالدات والوالدين حيالهم من العناية والارشاد، لانهُ يدرك ككل طبيب يهتم بالناحية الاجتماعية من عمله ان صحة الامة الجسدية فالعقلية رأسمالها في معترك الحياة . فاذا فرّطت فيهِ لم تغنها عنهُ ثروة مطمورة في الارض او هابطة من السماء

وقد اصدر في خلال الصيف الماضي كتابين نفيسين احدهما تربية الطفل (طبعتهُ مطبعة عيسى البابي الحلبي) والثاني الطبعة الثانية لكتاب اسرار المراهقة في الفتى ، (اخرجتها المطبعة العصرية لصاحبها الياس انطون الياس) . وكلا الكتابين مما لا تستغني عنهُ اسرة شرقية ، تطمح الى تنشئة ابنائها على احدث الاساليب الصحية واحكم القواعد

فالكتاب الاول (تربية الطفل) يشتمل على فصول ، اجراها المؤلف حديثاً بين طبيب وام او بين طبيب وأبٍ ، وعالج فيها باسهل اسلوب استحمام الطفل وتنظيف اعضائهِ وملابسهِ وحجرتهِ ونزهتهُ ووزنهُ واسنانهُ ، وغذاءهُ في ادوار طفولتهِ المختلفة . وفي القسم الرابع من هذا الكتاب مباحث او احاديث تتعلق بصحة الطفل والامراض التي يتعرّض لها . والقسم الخامس يشتمل على المحاضرة النفيسة التي القاها في المجمع المصري للثقافة العلمية وعنوانها التأمين على صحة الطفل ، وهي مما يصحُّ ان يكون دستوراً للعناية بالطفل الشرقي . والدكتور شخاشيري يكتب بقلم الطبيب والوالد الخبير الذي انشأ اسرة يفتخَر بصحة ابنائها وخلقهم . فكتابهُ هذا يصحُّ ان يكون مرشداً للاسرة الشرقية في العناية باطفالها

اما الكتاب الثاني (اسرار المراهقة في الفتى) فيتناول ناحية اخرى من صحة العائلة ، نعني حياة الاحداث اذا تتفتح غرائزهم عن تلك الاسرار التي لها صلة باخلاف النسل وبقاء الجنس . فالاحداث في هذه الفترة من حياتهم يتعرضون لاضطرابات نفسية وعصبية ، او لامراض وبيلة ، يمكن اجتنابها اذا ادرك الوالدان اسرار هذا الدور من حياة ابنائهما ، والسبل الصالحة لارشادهما الى مواطن الصحة الجسدية والسلامة النفسية والعقلية . والكتاب كما يقول المؤلف: «صحي علمي اجتماعي، يشمل سلسلة من المحاورات بين اب طبيب وابنهِ ، تبحث في شؤون دور البلوغ ، ومكانة اعضاء التناسل، وكيفية الاحتفاظ بها سليمة ونصائح قيمة عليها تتوقف صحة الابدان ونضارة العمران »

وقد ضمّ المؤلف الى الكتاب الفصلين اللذين نشرناهما هذه السنة في المقتطف بعنوان « العلم والحياة الجنسية» والمحاضرة التي القاها في جامعة القاهرة الاميركية بعنوان «دور المراهقة وتبعة الوالدين» (وقد نشرناها في المقتطف عددي يونيو ويوليو ١٩٣٣) . ومما تحسن الاشارة اليهِ ان الدكتور

بينما

اللهم

نحن

الركن وأ

فقال

الحق وأ

قال

واقتص

أنا

من النم

قال

استفتي بعض قادة الفكر والتربية في مصر ، عقب محاضرته ، في موضوع التربية الجنسية ، فجاءتهُ ردود حكيمة من الدكتور شاهين باشا والدكتور طه حسين والسيدة انصاف منصور فهمي وسلامه موسى وعبد القادر حمزه والدكتور زكي مبارك فننشر فيما يلي جواب الدكتور طه حسين قال :

أوافق كل الموافقة ان تكون التربية الجنسية شيئاً تعترف بهِ الاسرة في البيت والدولة في المدرسة في غير حرج ولا نفاق ، فهي كغيرها من انواع التربية الجسدية والعقلية ضرورة من ضرورات الحياة . وربما كان الشر الناشيء عن اهمالها اعظم جدًّا من الشر الذي ينشأ عن اهمال غيرها من اساليب التربية فهو يمس صحة الجسم وصحة العقل وصحة الخلق جميعاً ويجعل النفاق والفساد اصلين من أصول الحياة الاجتماعية

الحموضة والقلوية

في نظرية الشوارد Ions

دفع اليَّ رئيس تحرير المقتطف نسخة من هذا الكتاب النفيس — تأليف العالم محمد صلاح الدين الكواكبي الدكتور في الصيدلة والكيمياء ، والاستاذ المساعد في مخبر الكيمياء في المعهد الطبي العربي في دمشق — لكي اطالعهُ واكتب عنهُ للمقتطف . ولكن الكتاب لا يطالع مطالعة بل يجب ان يُدرَس درساً بانعام نظر لان مباحثه علمية بحتة في موضوع من اهم موضوعات العلم الحديث يرتكز عليهِ علم كيمياء الحياة Biochemistry وعلم الكيمياء المرضية Patho-Chemistry ايضاً . فصدور هذا الكتاب بلغتنا العربية يضيف قدراً كبيراً من الثروة العلمية اليها كسائر مؤلفات هذا العالم المنتج في حين ان العربية فقيرة جدًّا جدًّا بالعلوم الحديثة

وقد قرأت جانباً من هذا الكتاب القيم وادركت ما فيهِ من دقة البحث وعمقهِ وما للمؤلف من سعة المعرفة العلمية والاضطلاع بفروع العلم الحديث وشعرت بما عاناه في خلال تصنيفهِ في اختيار الالفاظ العربية الممكنة للاصطلاحات العلمية

الكتاب مدرسي محض والبحث فيهِ عويص جدًّا فيتعذر على الطالب ان يحصّل ما فيهِ من معرفة بلا استاذ يشرح له البحث أثر البحث ، اللهمَّ الاَّ اذا كان الطالب ملمًّا بشيءٍ من اطراف الموضوع من قبل . واظن ان غرض الدكتور الكواكبي ان يكون هذا الكتاب متناً بين ايدي تلامذتهِ يرجعون اليهِ للذكرى بعد ان يشبع اذهانهم بشروحهِ في محاضراته لهم . وكنت اتمنى ان يكون الغرض منهُ اعم بحيث يستفيد منهُ الطالب الهاوي غير المتلمذ ايضاً . ولذلك تمنيت ان يكون قسم « المعلومات النظرية » الذي استهلَّ بهِ الكتاب مطولاً نحو ضعفيه ولا سيما في اوائله اي ان تشرح فيهِ النظريات الاساسية التي تمهد البحث للدارس الهاوي ، كشرح معنى الحموضة والقلوية ومعنى اختبارهما وشرح التأين Ionisation الكهربائي شرحاً وافياً ، وشرح المراد بالتعادل

والتكاثف ، والتبسط في شرح التحلل او التفكك الكهربائي Electrolysis الى غير ذلك من الامور التي تظهر خارجة عن موضوع الكتاب ولكنها بالحقيقة اساسية له وبدونها لا يفهم . ولزيادة تسهيل التناول على القارىء كان حسناً ان يضاف الى الكتاب معجم صغير في بضع صفحات تفسر فيه الاصطلاحات العلمية تفسيراً فنيًّا ملحقاً بالمرادفات لها في احدى اللغات الافرنجية لكي يعود القارىء الى هذا المعجم كلما تكررت لفظة امامه اذا كان قد نسي المراد منها

ولعل الدكتور الكواكبي شرح تلك المعلومات النظرية في مؤلفاته الاخرى شرحاً كافياً فاجتزأ بما شرحه هناك عن التطويل في هذا الكتاب . ولكنهُ لو اعاد في المقدمة الشروح التمهيدية اللازمة لكان الكتاب اتم فائدة للقارىء الذي لا تسمح له احوالهُ بالرجوع الى المطولات والمتون . وقد استدرك المؤلفون الافرنج هذا الامر اذ ترى مؤلفاتهم العلمية تتقدم للقراء بمقدمات تمهيدية خارجة عن الموضوع تسهيلاً لتفهم الموضوع نفسهِ . فمؤلف الكيمياء مثلاً يمهد بفصل طويل عن بعض المواضيع الفيزيائية اللازمة لابحاثه . ومؤلف الفلك يمهد بفصل او فصول عن الكهرباء والنور والحرارة لكي يسهل للقارىء فهم ما يراد منها في معرض مباحثه الفلكية

على ان الدكتور الكواكبي يقدم لطلاب العلم العرب لؤلؤة نفيسة جدًّا ، ولكنه نسي ان يقدم معها العلبة التي تودع فيها . او لعلَّ العلبة في احد مؤلفاته الاخرى . فلا ادري . ليتهُ اشار اليها . بيد ان اللؤلؤة لامعة في كل حال . اعتقد ان القارىء يقدر مما تقدم القيمة الغالية لهذا الكتاب فيشكر معي للمؤلف عظيم الشكر نقولا الحداد

الدليل العام للقطر المصري والخارج

سنة ١٩٣٥ — يصدره اميل مكاربوس — صفحاته ١٩٨٢ من حجم اربعات — طبع بمطبعة المقطم بمصر

لقد اصبح اصدار دليل جامع كهذا الدليل عملاً شاقًّا بقدر ما هو عمل مفيد ، لجمع الحقائق والاسماء والعناوين وارقام التليفونات من قطر كالقطر المصري سكانه خمسة عشر مليوناً ثم تبويبها وترتيبها ووضع فهارس لها واخراجها في مجلد يضم الفي صفحة كبيرة عمل دونه خرط القتاد ولكنه عمل مفيد لان موظفي الحكومة على اختلاف اعمالهم والتجار والاطباء والصحافيين يحتاجون اشد الحاجة اليه . ماذا تطلب ؟ عنوان فلان في مكتبه او بيته ورقم تلفونه في كليهما ؟ لك ما تريد . افتح باب الصحف ان كنت تطلب صحافيًّا او باب التجار ان كنت تطلب تاجراً او باب الاطباء والصيادلة ان كنت تطلب طبيباً او صيدليًّا تر الاسم والعنوان ورقم التليفون . فوزارات الحكومة كلها مبوبة تبويباً متقناً وفيها اسماء الموظفين جميعهم واعمالهم وأماكن سكنهم والمديريات كذلك

وقد صدر دليل هذا العام حافلاً بكل ما تقدم من المعلومات مبوبة احسن تبويب حتى يسهل تناولها والبحث عنها . وهو يحتوي على طائفة كبيرة من الصور ومقدمة طويلة في تاريخ مصر القديم والحديث . فنهنىء منشئه ومخرجه بهذا العمل الجليل ونتمنى لدليله ذيوعاً هو جدير به

مجلة الدهور

اذا صحَّ القول بأن « الصحافة مرآة للامة » ففي سورية اليوم ظاهرة صحافية جديدة لابدَّ من الاشارة اليها لانها تدل على تطور اجتماعي خليق بالدراسة والمتابعة . كانت الصحافة في سورية وما برح اكثرها الى اليوم يعالج السياسة المحلية بالمسكنات والمخدرات فما فكر رجالها قط ولا عنوا بمعرفة العلة التي اوجبت المرض السياسي الذي كاد يتأصل ويزمن في جسم المجتمع السوري

ليس لي الآن ان المح تلميحاً الى الناحية السياسية لارتباطها بما أهميته في الصحافة السورية تطوراً في الاجتماع ، ولولا الاضطرار الى الاكتفاء بالتلميح والاستغناء عن التوضيح لكنت وازنت بين اعمال الصحافة واعمال رجال السياسة ، واظهرت مدى الارتباط الواقع بينهما ، ومعيار التطور الذي يحدثه هذا الارتباط الذي بهِ تعرف الامة من مرآة صحافتها ، ولكن ليس الآن مجال هذا البحث

انما غرضنا ان نشير الى التطور الاجتماعي في سورية لانهُ آتٍ عن طريق شقتهُ الصحافة جديداً وعبدتهُ بحيث اصبح جادة سلطانية توصل الى المحجة التي ينشدها الشباب المتطلعون الى غيرهم ، الحريصون على سعادتهم بأن تكون مكفولة فيهِ

أما الظاهرة الصحفية الجديدة التي أحدثت التطور الاجتماعي الملموس في سورية فهي اولاً في انشاء مجلة الدهور بثوبها الحالي وثانياً في جعل هذه المجلة ميداناً يتبارى فيه جماعة من أدباء الشباب سموا « بجماعة التحرير الفكري » وثالثاً في نهج هؤلاء الشباب نهجاً يختلف عن تفكير الشيوخ الذين ألفوا معالجة الادواء السياسية والاجتماعية بالمسكنات والمخدرات وحسبان هذه المعالجة فاسدة حكمة واصالة رأي

من يتصفح مجلة الدهور التي يصدرها في بيروت « جماعة التحرير الفكري » وعلى رأسهم الاستاذ سليم خياطة يجد ان هؤلاء الشباب يرمون حقيقة الى تحرير الفكر قبل تطلعهم الى التحرر من ربقة المحتلين ، ويدعون الى الاخذ بالنظم الاجتماعية الحديثة واعتناق تعاليمها لانها — في نظرهم — اقطع وأمضى من اسلحة النار والحديد الذي ألف الاقوياء المولون قتال الضعفاء والمستضعفين بها . ينادون بالمدنية الانسانية التي تجعل العالم بأسره وطناً للانسان المتمدين المتحضر ، ويهيبون بالناس الى الاقلاع بله التمرد على النظم الاجتماعية التي وضعت في الاصل على أسس من الفساد والفوضى ، يجأرون في وجوه الرجعيين والمحافظين لانهم دعاة الخضوع للأمر الواقع

هذه لمحة من طرائف رسالة « جماعة التحرير الفكري » تقرأها صريحة في هذه المجلة الراقية التي لا يقتصر كتابها الافاضل على التأليف وحده بل يعتمدون على الترجمة عن جهابذة الكتّاب العالميين والاقتباس من ناضج افكارهم وروائع انتاجهم العقلي ، وبذلك يجلون مرآة امتهم ويجعلون من مجلة الدهور رجع صدى نفسها الطامحة الى التحرير الفكري والاجتماعي والسياسي

حبيب الزحلاوي

الفجر

مجلة نصف شهرية غرضها خدمة الآداب والفنون والثقافة العامة تصدر بالخرطوم — السودان — في ٥٠ صفحة تقريباً من القطع المتوسط ١٦ × ½ ٢١ سم لمنشئها ومحررها عرفات محمد عبد الله ثمن العدد قرشان صاغ واشتراكها السنوي عن مصر والسودان ٥٠ قرشاً صاغاً

هذه المجلة المفيدة يصدرها ويتولى تحريرها في القطر الشقيق فريق من ادباء الشباب الحر الطامـ الى مجد الوطن واسعاده عن طريق نشر الثقافة العامة بين المواطنين والسير في الطريق الذي سلكتـ الامم الشرقية الحاضرة من حيث يقظة الروح الادبيّ والاخذ باسباب الادب الجديد والحدث مـ الفنون الرفيعة

ولقد تصفحنا الى الآن عشرة اعداد من هذه المجلة فراقنا كثيراً حفولها — على ٥ صفحاتها — بالشائق الطريف من الموضوعات العصرية فآخر اعدادها مثلاً فيهِ مقال ممتع ٤ الفردوسي على ذكر عيده الالفي لمحرر المجلة . ثم مقال نفيس عن الحياة السودانية المقبلة ومثلها العا للاديب الشاعر محمد احمد محجوب ثم خواطر متداعية للكاتب البارع محمد عشري الصديق ومقالا غيرها في علم الكلام وحفيد الملك من شؤون الادب وبحث طبي للدكتور محمد زكي مصطفى ٤ حمى التيفود وبعض القصص الوطني وباب المكتبة كما انها لم تخل من باب للشعر العصري الذ ينشره الشاعر المهندس يوسف مصطفى التني

ويسرنا عناية هذه المجلة بالحركة الادبية في مصر ولها في بعض المؤلفات الاخيرة آراء حكيـ سديدة فنرحب بها ونتمنى لها الذيوع والانتشار

طريقة منسي

جريدة فرنسية نصف شهرية تعليمية أدبية فكاهية جامعة عامة يصدرها الأستاذ احمد ابو الخـ منسي دخلت في عامها الثالث وهي فكرة مبتكرة لتعليم اللغة الفرنسية من غير معلم سواء للمبتد او المتقدمين فيها . مفيدة للتعليم والمطالعة لجميع الناطقين بالضاد وخاصة طلبة المدارس الثانوية اختلاف درجة معرفتهم باللغة الفرنسية بما حوت من ضروب المختارات من الجرائد والمجلات وكـ الادب الفرنسية مترجمة ترجمة حرفية

رحلات الصيف

رحلتان قام بهما الاستاذ عمر الركباني الاولى الى باريس والثانية الى فاس وقد وصف فيهما المؤ ما شاهده من الجبال والانجاد والمروج والغابات وما عملته يد الانسان من القصور والمـ والمتاحف ووصف مدينة فاس ومتاحفها وحماماتها المعدنية وجمعياتها الخيرية — طبعت في مـ الاتحاد بتونس

باب الاخبار العلمية

الطيران العجيب

من لندن الى ملبورن

لما اجتاز بلريو الطيار الفرنسي بحر المانش
ضيق بطائرته من شاطىء فرنسا الى شاطىء انكلترا
سنة ١٩٠٩ عمّ الاعجاب الدنيا كلها واشتهر اسم
طيار وقبض جائزة مالية قدرها عشرة آلاف جنيه

واليوم وبعد انقضاء ربع قرن يطير طياران
ن انكلترا الى استراليا فيقطعان عشرة آلاف
يل في يومين وخمس يوم (مدة الطيران بين
لدنهول وبورت داروين باستراليا) هي مسافة
ستغرق قطعها بالبواخر شهراً او اكثر

وقد قسم طريق الطيران في هذه المباراة
عظيمة الى مراحل اولاها بين ملدنهول بانكلترا
بغداد عاصمة العراق وطول هذه المرحلة
٢٥٣ ميلاً . والثانية من بغداد الى اله آباد في
ال الهند وطولها ٢٣٠٠ ميل . والثالثة من
آباد الى سنغافورة وطولها ٢٢١٠ اميال .
الرابعة من سنغافورة الى بورت داروين في شمال
ة استراليا وطولها ٢٠٨٤ ميلاً منها نحو ٥٠٠
ل فوق بحر تيمور الفاصل بين جزر آسيا
ارة استراليا وهو بحر تكثر فيه القرشان .
لخامسة وهي في استراليا بين بورت داروين
لبورن وطولها ٢١٧٦ ميلاً

وبين هذه المحطات الرئيسية محطات ثانوية
ز للطيارين النزول فيها اما لاخذ الوقود او
لاصلاح خلل او نحو ذلك وهناك معدات
لتسجيل هذه الوقائع وحسابها

وقد علم القراء مما طالعوا في التلغرافات ان
الفوز في هذه المباراة كتب للطيارين سكوت
وبلاك بطيارة انكليزية من طراز « كوميت » .
وتبعتهما الطائرة الهولندية متأخرة عنهما في
الوصول عشر ساعات . ومن الطف ما حدث
ان ادارة الطيران الهولندية كتبت الى وكيلها
في ملبورن بأن يهدي الى الطيارين الانكليزيين
عند وصولهما اكليلاً من الغار كتب عليه
« علامة الاعجاب العظيم والاقدام والمثابرة »
وهو روح الرياضة الحقيقي ممثلاً هنا خير تمثيل

واضطرت إيمي موليسون (جونسون)
وزوجها الى الكف عن الطيران بعد ما بلغا الهند
وكان انصارهما يرجون لهما الفوز بعد ما تقدما
جميع المتبارين في الوصول الى بغداد وكراتشي

وغني عن البيان ان ما صنعهُ سكوت وبلاك
لا يمكن ان يصنعهُ سائر الطيارين وان هذه
السرعة تذكر المرء ببساط الريح كما قالت والدة
سكوت ولكن الفوز بها يشير الى الاحتمالات
العظيمة في المستقبل القريب فقد يصير في الامكان
انشاء خط جوي بين بريطانيا واستراليا مثلاً تكون
محطاته هذه التي ذكرنا فتطير طائرة من انكلترا

الى بغداد وتكون في انتظارها هناك طائرة اخرى مستعدة لنقل ركابها وبريدها في الحال والطيران بهم وكذلك في اله آباد وسنغافورة فيقطع الراكب والبريد ما بين شمال اوربا وقارة استراليا في ثلاثة ايام وهو ما يشبه تحقيق الاحلام

المنصر الحادي والتسعون

يطلق الالمان على العنصر الحادي والتسعين اسم بروتكتينيوم Protactinium . واما علماء الانكليز فيطلقون عليهِ اسم بروتو اكتينيوم Proto-actinium . وهو من العناصر المشعة كالراديوم . وذرتهُ تنفجر تفجراً عنيفاً كتفجر ذرة الراديوم ولكنها اطول من ذرة الراديوم عمراً . فذرة الراديوم تستمر متصلة الاشعاع نحو ٢٥٠٠ سنة ثم تخمد بتحولها الى احد نظائر isotopes الرصاص . وأما ذرة البروتكتينيوم فتعمر خمسين الفاً من السنين. ومقامه في الجدول الدوري بين عنصر الثوريوم وعنصر الاورانيوم وقد تنبأ مندليف بوجوده من ستين سنة ، وظلَّ وجودهُ موضع ريب الى ان اثبتت طائفة من علماء الالمان والانكليز ، ان نوعاً خاصًّا من أشعة او دقائق الفا ، صادرة من عنصر جديد لا بدَّ ان يكون العنصر الحادي والتسعين. وقد جاء في « رسالة العلم » الاسبوعية ان الدكتور ارستيد فون غروس أحد علماء قسم الكيمياء في جامعة شيكاغو خطب امام الجمعيه الكيمائية الاميركية باسطاً طريقته في استفراد هذا العنصر النادر . ويظهر ان طائفة من علماء الالمان في معهد القيصر ولهلم ببرلين استفردوا كذلك عنصر البروتكتينيوم من مقادير كبيرة من نفاية ركاز الراديوم المستخرج من مناجم جواكستال بتشكوسلوفاكيا ، يقدر وزنها بنحو خمسة اطنان ونصف طن. وتقول جريدة نايتشر ان المركب الكيمائي الذي استحضره العلماء الالمان هو (بروتكتينيوم — بوتاسيوم — كلوريد) وان هذا المركب يحتوي على نصف غرام من العنصر الصرف (راجع مقتطف فبراير ١٩٣٠ صفحة ١٥٢ — ١٣٥)

أمٌّ في السابعة من عمرها

في انباء ولاية تنيسي الاميركية ان فتاة في الحادية عشرة من عمرها حملت وولدت طفلاً . ولكنها مع ذلك ليست اصغر أم عرفت في تقارير الاطباء. والراجح ان أصغر أمّ عرفت هي فتاة مسلمة من سكان دهلي عاصمة الهند، التي ولدت طفلاً كامل النموّ وهي في السابعة في عمرها . قالت الدكتورة كين Keane في مقالة عنها نشرتها في «الجورنال الطبي الهندي » انهُ أُتي بهذه الفتاة الى مستشفى فكتوريا زانانا بدهلي ، وهي تشكو شيئاً في معدتها ، وقال أبوها ان عمرها سبع سنوات . فلما روجع عمرها في كشف المواليد تحقق قول أبيها . وبعد الفحص ثبت ان كل ما تشكوهُ هو الحمل وانها على وشك ان تلد . فعملت لها عملية (قيصرية : اي لاستخراج الطفل من الرحم بشق البطن) فأخرج الطفل حيًّا تام النمو وكان وزنه اربعة ارطال وثلاث اوقيات . وبعد ما خف الذعر الذي استولى عليها في الايام الاولى التي عقبت العملية ، استطاعت ان ترضع طفلها تسعة اشهر ، فزاد وزن الطفل في خلالها نحو سبعة ارطال فأصبح وزنهُ نحو ١١ رطلاً . ا

الفتيات التي يحملن ويلدن وهن في العاشرة من اعمارهن ، فلسن نوادر في الهند

قياس حرارة النجوم

استنبط الدكتور جول ستبنز احد علماء جامعة وسنكنسن خلية كهرنورية شديدة الاحساس ، تمكن الباحث من ان يقيس بها مختلف انواع الاشعاع او الضوء التي تشع من احد النجوم . فبدأ بها الدكتور أبت مستشر المعهد السمثصوني الاميركي بحثهُ في قياس نور النجوم . ذلك أنهُ اخذ ضوء احد النجوم وقسمه اقساماً هي الالوان المؤلف منها اي حلّهُ الى طيفهِ فاستطاع كذلك ان يقيس بهذه الخلية قوة الاشعة فوق البنفسجية فيه ، وقوة الاشعة البنفسجية ، فالاشعة الزرق الى الاشعة الحمر الى التي تحت الاحمر . فلما انتهى من قياسهِ على هذا النمط ،كان في امكانهِ ان يعرف اي جانب من نور النجم مما تمكن رؤيته ، واي جانب منهُ مما لا تمكن رؤيته

فضوء احد النجوم الزرق الكبيرة ، اثبت حلهُ ان حرارته تفوق حرارة شمسنا ثلاثة اضعاف بيد ان معظم قوتهِ من الاشعة فوق البنفسجية وهذه الاشعة مما يسهل امتصاصهُ في خلال اختراقهِ لطبقات الهواء العليا حيث يكثر الاوزون

اما النور المنطلق من النجوم البيض فيخترق جوّ الارض ويمتدّ جانب من طاقتها الى منطقة الاشعة التي تحت الأحمر . ولكن الطاقة التي تطلقها شمس صفراء من قبيل شمسنا ، خاصة بالمنطقة الممتدة من الاصفر الى الاخضر في الطيف ثم هي تمتدّ الى ما وراء اللون الأحمر . واما النجوم الحمر ، فأكثر اشعاعها تحت الاحمر ، اي في منطقة اشعة الحرارة . فاذا شبهنا النجم الازرق المبيضّ بأتون شديد الحماوة كان النجم الأحمر اقرب ما يكون الى موقد يوشك ان يخمد

ارخبيل من العوالم الجزرية

اطلق علماء الفلك لفظ « العوالم الجزرية » Island Universes على السدم اللولبية المنثورة في رحاب الكون خارج مجرتنا لان كلاًّ منها اشبه شيء بجزيرة كبيرة في محيط مترامي الاطراف . وقد صرح الدكتور كاربنتر مدير مرصد ستيوارت بجامعة اريزونا الاميركية في رسالة تلاها على الجمعية الفلكية الاميركية من عهد قريب ، انهُ كشف عن ارخبيل من هذه الجزائر ، اي انه كشف مجموعة من السدم اللولبية ، تشبه عنقوداً من النجوم Cluster او ارخبيلاً من الجزائر في البحر

وارخبيل الدكتور كاربنتر ، مؤلف فيما يرجح من ٢٥٠ سديماً ، كل منها يماثل المجرة وقطر بعضها يبلغ عشرة آلاف سنة من سني الضوء . ومع ان هذه السدم قريبة بعضها من بعض ، بالقياس الى المسافات الشاسعة التي تفصل بين السدم اللولبية ، الاّ ان متوسط المسافة بينها لا يقل عن ١٦٠ الف سنة ضوئية . وعند الدكتور كاربنتر انهُ متى اعيد تصوير هذا الارخبيل الكوني بتلسكوب اكبر من تلسكوبهِ ، تبيّن ان عدد الجزائر التي فيهِ قد يرتقي الى ٥٠٠ جزيرة

جائزة نوبل الطبية

جاء في الانباء البرقية في اواخر اكتوبر ان جائزة نوبل الطبية عن سنة ١٩٣٤ منحت لجماعة الاطباء الاميركيين الذين اكتشفوا طريقة علاج الانيميا الخبيثة بالكبد وما تبع الكبد من استعمال خلاصته ثم مسحوق معدة الخنزير المجففة ، وهم الدكاترة مينو Minot ومرفي Murphy وهوبل Whipple

القزَم والمقرقم

يخلط بعض الكتّاب بين طرازين من الناس لانهما يتشابهان في صغر الجثة ، وبوجه خاص عند الترجمة من اللغة الانكليزية . ففي هذه اللغة لفظان هما Pigmy و Dwarf ويترجمان عادة بالقزم مع ان في اللغة الانكليزية فرقاً كبيراً بين معنى اللفظين . فاللفظ الاول Pigmy — وترجمته الصحيحة قزَم — يدل على قبيلة من الناس صغار الجثث ولكن في جثثهم تناسباً بين الاعضاء . واما اللفظ الثاني Dwarf فيدلُّ على فردٍ صغير الجثة في قبيلة او طائفة من الناس ، جثث رجالها ونسائها سويّة في طولها وعرضها ووزنها . واللفظ العربيُّ الذي يدلُّ على هذا هو لفظ المقرقم وتعريفهُ في محيط المحيط «الصبي الذي لم يشب» . واغرب من الخلط اللفظي بين الكلمتين الخلط العلمي . ذلك انك لا تجد قبيلة من قبائل الاقزام تدنو في صغر جثثها من جثث المقرقين المشهورين في التاريخ . فليس بين المقرقين المشهورين من زاد ارتفاع قامتهِ على ٣٦ بوصة (ثلاث اقدام ... يبلغ ثلاثين بوصة . فالمقرقم قد يكون ابن اي سلالة من السلالات . حالة ان قبائل الاقزام نادرة الآن والراجح في رأي العلماء انها بقايا القبائل التي نفرت الى الجنوب من آسيا الوسطى لما اشتدّ جفافها

وقد عرف الاقزام من قديم الزمان فالمؤرخ هيرودوتوس وغيره من الكتّاب الاقدمين يشيرون الى قبائل الاقزام في افريقية . وقد رسمهم المصريون الاقدمون على جدران المقابر المصرية من نحو اربعة آلاف سنة . وعلماء الانسان يفرقون بين ضربين من قبائل الاقزام ، فثمة القبائل الافريقية وثمة القبائل الاسيوية . وينطوي تحت الفريق الثاني اقزام جزيرة اندمان وشبه جزيرة ملايا . والراجح ان الفريقين نتجا من أصل عام يقيم في جنوب آسيا فلما افترقا مكاناً وزماناً اختلفت صفاتهما فقبائل الفريق الثاني ، تتشابه في بعض الصفات سواء اكان مسكنهم في الفيلبين ام في غيرها

احصاءات التلفونات في العالم

نشرت مجلة « المخاطبات الكهربائية » في عدد يوليو الماضي احصاءات لآلات التلفون المستعملة في مختلف البلدان فاذا ٥٣ في المائة منها مستعمل في الولايات المتحدة الاميركية في يناير ١٩٣٣ ، و ٤ في المائة في كندا ، و ٩ في المائة في المانيا و٦٫٥ في المائة في بريطانيا العظمى و ... في المائة في فرنسا و١٤ في المائة في سائر بلدان اوربا و ٩ في المائة في سائر بلدان العالم . اما من حيث احصاء التلفونات المستعملة في المدن ، فمدينة سان فرنسسكو تتقدم جميع مدن العالم ، ح...

السكان وتليها وشنطن العاصمة حيث المتوسط ٣و٢٣ لكل مائة من السكان، ثم استوكهلم عاصمة السويد (٨و٣١)

اما لندن فتوسط عدد تلفوناتها لكل مائة من السكان ٨٫٨ وباريس ١٥ وبرلين ١١٫١. ولا يعني هذا ان عدد التلفونات المستعملة في هذه العواصم يقل عن العدد المستعمل في سان فرنسسكو او وشنطن وانما يقتصر على النسبة بين التلفونات وعدد السكان. ومن غريب ما اشتملت عليه هذه الاحصاءات ان سكان تشكوسلوفاكيا والولايات المتحدة الاميركية وزيلندا الجديدة يفوقون سائر سكان العالم في استعمال التلفونات. فتوسط المحادثات التلفونية في تشكوسلوفاكيا سنة ١٩٣٢ لكل فرد من السكان كان ٢٢٤٫٥ محادثة اما في زيلندا الجديدة فبلغ ٢٠٥٫٩ واما في الولايات المتحدة الاميركية فبلغ ٢٠٤٫٦

الفردوسي وشاهنامته

تابع المنشور على الصفحة ٢٨٠

﴿الفردوسي﴾ ولد في قرية بار اوشاداب او رزان من توابع طوس في سنة ١٣٢٣ او سنة ١٣٢٤ وكنيته ابو القاسم ولقبه الفردوسي وهو مشهور بهما واختلف في اسمه واسم ابيه فقيل اسمهُ حسن او احمد او منصور واسم ابيهِ علي او اسحق او احمد. وكذلك اختلف في تاريخ حياتهِ واحواله اختلافاً كبيراً

اشتغل بالعلم والأدب ولاسيما باللغة العربية والبهلوية فأراد تتميم الشاهنامة التي بدأها الدقيقي ونظم منها الف بيت والظاهر انه شرع في ذلك في عهد السامانيين ونظراً لان السلطان محمود كان محبًّا للعلم والادب توجه اليهِ لتتميم مقصده واتصل بالعنصري والفرخي والعسجدي الذين كانوا من اوائل الشعراء في عصره وخواص شعراء السلطان فبعد ما رآه وعلم بمقصده وهو تتميم الشاهنامة هيَّأ له محلاً خاصًّا وتكفل بمؤنته وعين لهُ خدماً وزين بيتهُ بصور الأبطال والملوك الايرانيين والاسلحة المتنوعة للحرب حسب طلبه حتى أتم الشاهنامه وعلى ما يظهر كان نظره من صلة السلطان محمود بالشاهنامة تجهيز بنته وسد خزان طوس وان تكون مدداً له في شيخوخته ووعده ان يكافئه بستين الف دينار ولكنهُ عملاً بمشورة بعض المغرضين بدل الدينار بالدرهم والذهب بالفضة فغضب من ذلك الفردوسي وقسم الاموال بين حمامي وبائع شراب وحامل الدراهم ثم هجا السلطان محمود هجاءً شديداً متضمناً التحذير من الايذاء والاغترار بالدنيا ثم ترك الغزنة وهرب الى الهرات وقيل رجع الى طوس ويقال ان الشاه محمود ندم على ما فعل بنصيحة ناصر لك احد الحكام في ذلك الوقت حيث بعث اليه خطاباً محتوياً على الوعظ والنصيحة وعدم وفاء الدنيا وبقاء الذكر الحسن ويذكره بتعب ثلاثين سنة للفردوسي وآماله في ذلك واسباب اخرى وندم السلطان محمود وامر بستين الف دينار للفردوسي ولكن حينما كانت الدنانير تدخل باب بيتهُ كانوا يخرجون جنازة الفردوسي من باب آخر وكم في هذه الحياة من عجائب ومدهشات وكأنما اراد الله بذلك ان يكون كل اجره معنويًّا لا ماديًّا واخرويًّا لا دنيويًّا

مرتضى الحسيني الفاضلي الايراني

الجزء الثالث من المجلد الخامس والثمانين

صفحة

الانذار المثلث

لارنر شنتزلر الكاتب النمسوي

« وعندَهُ مفاتحُ الغيبِ لا يعلمُها الاَّ هو ويعلمُ ما في البرِّ والبحرِ وما تسقطُ مِنْ ورقةٍ إلاَّ يعلمُها ولا حبَّةٍ في ظلماتِ الارضِ ولا رطْبٍ ولا يابسٍ إلاَّ في كتابٍ مبين »

سورة الانعام : ٥٩

خرج الفتى والضباب يحجب وجه النهار الاَّ فتوقاً تنفذ منها اللمحات الى عَنان السماء الزرقاء، وسار يطوي الارض الى الجبال وقد خُيِّل اليهِ أنها تناديه ، وكان قلبه كأنما يرقص بين جنبيه على نغم الطبيعة المنسجم، فسار في السهول خليًّا لا يكبو به همٌّ فيما مضى او فكر فيما يستقبل ، فلما اشرف على طرف الغابة ابتدر سمعه دويٌّ صوت فيهِ خفاء البعيد ومسُّ القريب فسمع نبأة خافتة توحي اليه

— لا تخترق الغابة ، يا فتى ، الاَّ اذا سرّك ان تكون قاتلاً

فوقف الفتى ذاهلاً يتلفت ، فلما لم يجد حيًّا ولا ناطقاً ذهب به الظنُّ الى ان الجن كانت تحدِّثهُ وتهتف بهِ ، ولكنهُ لم يعبأ بذلك لما جُبِل عليه من الجرأة والثبات فمضى لا يلوي على شيءٍ الاَّ انهُ وضع من سرعة سيره — اذ استيقظت فيهِ غريزة الاحتراس فكان يستعدُّ للقاء ذلك العدوّ المجهول الذي انذره .... لم يلق الفتى احداً في سيره ،ولا سمع صوتاً يقذف في روعه بالريبة حتى نفذ من ظلال الاشجار الى الفضاء الرحب وهناك في برد الظلال ألقى العصا وجلس يستجمُّ ويستروح واستقرَّ ببصره على المروج الفيحاء الممتدة الى سفوح الجبال ، وقد نهدت بين هذه السفوح قمة شامخة جرداء ناتئة الاضراس وكانت هي الهدف الذي يرمي باشواقه اليهِ

لبث هنالك ما شاء ، وما كاد ينهض حتى سمع نأمة صوت كأنهُ قريب بعيد معاً يوحى اليهِ في جدٍّ وحرارة

— لا تخترق المروج ، يا فتى ، الا اذا سرّك ان تجلب الدمار على وطنك

وكأنَّ ما بين جنبه من الكبرياء والتقحُّم أبى عليه ان يعبأ بهذا النذير، فابتسم لهذه الشرهات الباطلة التي يوحي اليهِ بها الهواء ، وكأنها تنطوي على أمرٍ ذي بال ، واسرع

قائمة سلسلة المطبوعات المصرية

التي عنيت بنشرها « ادارة المطبعة المصرية » بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

ص

٣٥ القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠ « « « (طبعة ثالثة)
٧٠ « « عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥ « المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٠ قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠ « « عربي انكليزي فقط
١٥ « « انكليزي عربي فقط
٧٠ « سقراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ)
٥٠ « « « انكليزي عربي (باللفظ)
١٠٠ « « « « « « وبالعكس
١٠ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢ الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)
١٠ الف كلمة الماني (لتعليم الالمانية بسهولة)
١٥ في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠ عشرة ايام في السودان « « «
١٢ مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد
١٥ روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد عادل زعيتر)
١٥ روح السياسة « « «
١٠ الآراء والمعتقدات « « «
١٠ اصول الحقوق الدستورية « «
٢٠ الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)
١٥ حضارة مصر الحديثة (تأليف كبار رجال مصر)
١٠ الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد)
١٥ ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
٨ اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠ مختارات « « «
٨ نظرية التطور وأصل الانسان « «
٢٠ اناتول فرانس في مباذله، للامير شكيب ارسلان
١٥ الدنيا في امريكا (للاستاذ امير بقطر)
١٠ المرأة الحديثة وكيف نسوسها (عبدالله حسين)
١٠ جريمة سلفستر بونار (اناتول فرانس)
٥ المرأة بين الماضي والحاضر
٥ مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي
١٥ حصاد الهشيم (للاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني)
١٠ قبض الريح (« « « « «)
٨ نسمات وزوابع شعر منثور مصور
١٠ رسائل غرام جديدة (سليم عبد الواحد)
١٠ الغربال في الادب المصري (ميخائيل نعيمة)
٥ حكايات الاطفال، اول (مصور بالالوان)
٥ « « ثان « «
٥ « « ثالث « «
٥ تذكرة الكاتب طبعة منقحة لاسعد خليل داغر
٢٥ جمهورية الافلاطون (للاستاذ حنا خباز)
٦ مراقي النجاح (الارشمندريت بشير)

ص

١٠ التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري)
٥ خواطر حمار (للاستاذ الجمل)
٥ التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد الحميد
١٥ الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥ ذكراً وانثى خلقهم « « «
٥٠ علم الاجتماع (جزآن كبيران) «
١٥ اسرار الحياة الزوجية « «
٣٠ الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور فخري
٢٠ المرأة وفلسفة التناسليات «
٢٠ الضعف التناسلي في الذكور والاناث «
١٥ الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي محمد
١٠ تاييس « « « «)
٥ مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠ القصص المصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠ مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢ رواية اهوال الاستبداد، مصورة
١٠ « فاتنة المهدي، او استعادة السودان
٨ « الانتقام المذب (اسعد خليل داغر)
٥ « فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢ « باريزيت، مصورة (توفيق عبد الله)
١٢ « غرام الراهب او الساحرة المجدورة
٧٥ « روكامبول، ١٧ جزء (طانيوس عبده)
٢٥ « ام روكامبول، ٥ اجزاء «
٢٠ « باردليان، ٣ اجزاء «
٢٠ « الملكة ايزابو، ٤ اجزاء «
٢٠ « الاميرة فوستا، جزآن «
٢٠ « عشاق فنيسيا، جزآن «
١٦ « الساحر العظيم ٤ اجزاء «
١٦ « كابيتان، جزآن «
١٦ « الوصية الحمراء، جزآن «
١٦ « بائعة الخبز «
١٢ « فلمبرج، جزآن «
١٠ « فارس الملك «
١٠ « ضحايا الانتقام «
٨ « المرأة المفترسة «
٥ « المتنكرة الحسناء «
٥ « مروضة الاسود «
٥ « شهداء الاخلاص «
١٦ « دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠ « فرنسوا الاول « «
١٠ « الجنون فنون « «
٨ « حورية « «
٨ « الغلامان الطريدان « «
١٢ يسوع ابن الانسان (جبران خليل جبران
٨ النبي « « «

الموناليزا صورة ليوناردو ده ڤنشي المشهورة

[راجع وصفها في صفحتي ٤٣٧و٤٣٨ من هذا الجزء]

مقتطف دسمبر ١٩٣٤ — امام صفحة ٣٩٧

المقتطف
مجلة علمية صناعية زراعية
الجزء الرابع من المجلد الخامس والثمانين
١ ديسمبر سنة ١٩٣٤ — ٢٣ شعبان سنة ١٣٥٣

اثر العلم الحديث

في خلق الفرد وخلق الجماعة (١)

— ١ —

موضوع حديثنا الليلة ، « أثر العلم الحديث في خلق الفرد وخلق الجماعة » . وهو موضوع امي الاطراف وبعيد الغور في آنٍ واحد . لا نستطيع ان نَلُمَّ اطرافهُ ولا ان نحيط بجوانبه في لیلةٍ واحدة ولا في كتاب واحد . وقد لايكون ذلك في مستطاع رجل واحد . فالعلم الحديث ـ في الناحية النظرية من الذرّة واقسامها الى الشموس الكبار والسدم العظيمة المنثورة في رحاب الكون المتباعدة بعضها عن بعض ، ومن دراسة الاحياء على اختلاف قُبُلها واقسامها وانواعها واسرار كفاحها واساليب توارثها الصفات على كرّ الدهور ، الى دراسة الانسان سيّد المخلوقات ، هو يسمو او يحاول ان يسمو الى دراسة العقل الانساني وخفايا التفكير واطوار النفس على ـاتها المتباينة . اما من الناحية العملية فالعلم الحديث متغلغل في بناء الحضارة الحديثة ، لان الآلة اس هذه الحضارة ، تسيطر على نواحي العمل فيها ، واحوال الاجتماع البشري ، فلا نكاد نعيش ساعة واحدة من دون ان نحتاج في خلالها الى الآلة او الى بعض منتجاتها

وخلق الانسان هو مجموعة الطبائع والتقاليد والمقاييس الادبية والاجتماعية التي يقيس بها اعماله كفردٍ ، او كعضوٍ في جماعة من حيث الضرر والنفع والخير والشر . فهو متصل باطوار اجتماعه

(١) المحاضرة التي القاها رئيس تحرير المقتطف في نادي جمعية الشبان المسيحية في القدس بدعوة منها

على سطح الارض ، متأثر باحوال معاشهِ واقتصاده ، وقواعد تفكيرهِ واصول علمهِ ، متلوّن بوجهٍ عام بنظرتهِ العامة الى الكون والحياة

ولكنَّ هذا التشعُّب في الموضوع ، وهذه العواصة المنبثّة في ارجائهِ ، المستمدَّة من اتصاله باصول الحياة الانسانية وادوار الاجتماع البشري ، يجب ان لا تحول دون المامةٍ تجلي بعض نواحيهِ . بل ان هذه الالمامة السريعة لا بدَّ لنا منها ، لان الامر ، غير مقتصرٍ على فكاهة عقلية ، نتمتع بها ساعة وننساها ، بل هو متغلغل في حياتنا اليومية ، وتفكيرنا في كل ساعة من ساعات النهار والليل ، وسلوكنا الاجتماعي بوجهٍ عام افراداً وجماعات

***

فنحن ايها السيدات والسادة ، نعيش في عصر تسير امجاد العلم في ركابهِ ، وتبارى مواكب الامم في ظلّ لوائهِ الخفّاق ، وتنبثُ حقائقهُ واصوله في كل ما جلّ وهان من شؤون حياتنا اليومية سواء أكانت عملية ام غير عملية

سرحوا الطرف في جنبات هذه الردهة الزاهية بحضوركم ، فماذا ترون ؟ انواراً متلألئة استنبط العلم طاقتها من قوى كامنة في ذرات المادة المتناهية في الصغر ، وجدراناً أقامها العلم وسوّاها على اصول محكمة من الهندسة والكيمياء ، وحريراً صنعهُ العلم من مادة الخشب فغلب دودة الحرير في ميدانها ، وملابس اتقن العلم فتل اليافها وصبغها وغزلها ونسجها بآلات كأنها الاحياء ذكاء ، ولكنها تفوق الاحياء قوة ودقة ومضاء

او زوروا حقلاً من حقولكم الزراعية ، تروا فيها الاسمدة الكيمائية ، وقد حبس فيها نتروجين الهواء الطلق ، بقوة الكهرباء وحيلة التأليف الكيمائي ، واصنافاً من النبات والحيوان ، ثبتت فيها العلم الصفات والمميزات التي يرغب فيها الانسان ، وأمراضاً قد دانت لصبر العلماء وذكائهم وشوقهم الى استطلاع المجهول

او تأملوا أجسادكم ، كيف مكن العلم الاطباء من اسرار حياتها وقواعد صحتها واسباب مرضها ووسائل علاجها . فمن سبعين سنة كان الانسان لا يعرف شيئاً عن الجراثيم التي تسبب الامراض فاذا الهواء في نظرنا الآن يعجُّ بهذه الأحياء الدقيقة ، المفيدة احياناً في التخمير والتحليل والدباغة والتجبين المضرّة احياناً اخرى بما تنفثه في اجسام الاحياء من بواعث السقم . وقد أصبحت معرفتنا هذه سبيلنا الى استعمال المطهرات ومضادات الفساد واساليب التلقيح والحقن ، فنتقي بها عوادي الاوبئة قبل وقوعها ، او ندفع كوارث الامراض عن طوائف كبيرة من المصابين بها

أتيت مدينتكم التاريخية المجيدة أمس ، على جناح طيارة ، قطعت المسافة بين القاهرة والله[illegible] بضع ساعات ، مع ان بني اسرائيل قضوا في اجتياز صحراء سيناء اربعين سنةً . او لم يأتكم نبأ الطيار[illegible]

نطع هذه المسافة في أقلّ من شهر أو اربعين يوماً ؟ ولو شاء مستسرٌ جماعتكم
؛ وانا الى مكتبي في القاهرة ، لتمّ لهُ ذلك . فالامواج غير السلكية اطوع لنا
. ، انها تحيط بالأرض حاملة على أجنحتها السحرية ، الصور والأنباء : أنباء
، انباء السرور وانباء الحزن ، انباء الحرب وانباء السلم ، انباء المكتشفات
، التاريخ الانساني حدوداً للزمان ، وانباء الصغائر والمكائد التي تدلنا على ان هذا
ك القمة من الابداع العقلي ، لا يزال طفلاً في مهد الروح
قة العظيمة التي هي رهن تصرفنا الآن . زرت من بضع سنوات معمل هَيْلند
يث تصنع طائفة من سيارات فورد ، فدخلت الغرفة التي تولّد فيها الطاقة
لداتها الكهربائية تطلق اطلاقاً مستمرّاً طاقة قدرها ستون الف حصان او
ارة مهندس فرد ، او نفر قليل من المهندسين ، يسيطرون عليها ويتصرفون
خذوا سيارة من سيارات السباق التى استعملها السر ملكم كمبل على شاطىء
الطاقة التي تنطلق بها السيارة كالسهم المارق تبلغ قوة الف حصان مجتمعين .
كسب بها الملازم الايطالي «اجلي» قصب السباق في السرعة اذ بلغت سرعتهُ نحو
تجدوا طاقتها تحصى بأكثر من الف حصان . ولقد قدر احد علماء الاحصاء
الميكانيكية المستعملة في الولايات المتحدة الاميركية المستمدة من الفحم ومساقط
وزعت على سكان تلك البلاد البالغين مائة وعشرين مليوناً او يزيدون ، بلغ
احد منهم طاقة ثلاثين حصاناً !
ليلة صافية الاديم ، وارفعوا بصركم الى السماء ، واتخذوا من الفكر والتصور
بمز جينز دليلاً ومرشداً ، تروا الكواكب تعد بالملايين او عشراتها ، والمسافات
لايين من سني الضوء ، ومع ذلك فأنتم لا ترون الأكتلة واحدة او مجموعة
مرف بالمجرّة ، ووراءها مجرات لاتحصى ، كأنها الجزائر الكبيرة منثورة في رحاب
سكاني الذي ندعوه الكون
وزاغ العقل لعظمة ما تشهدون ، تحولوا مع رذرفورد او احد اعوانه ، الى الجهة
ي منها مبدأ الكون المادي واليها المصير ، تروا فيها عالماً معقد البناء ، مؤلفاً
تونات ونوترونات وبوزيترونات ، وكلها اصغر من ان يدركها اقوى ميكرسكوب
يصنعهُ ، بل ان رؤيتها معجزة وستبقى معجزة ، ما زال السبيل الى رؤيتها
بهِ نرى الاشياء . من هذه الدقائق التي لا تُرَى ، وانما تعرف بأثرها ، تتألف
ائلة وجامدة ، لينة وقاسية ، بيضاً وصفراً وحمراً ، الى آخر ما هنالك من صفاتها
لكم ان هذه الدقائق المادية ليست الأكتلاً او مجموعات من الامواج ، وان

الخشب الذي تجلسون عليهِ والاحمر الذي تلوّن بهِ الشفاه ايها السيدات وهذه الاجسام الحية التي نعيش بها ونتطلع الى المثل العليا ، ليست الاّ امواجاً ، قلتم حديث خرافة ، ولكنهُ الحقيقة على قدر ما يستطيع العلم ان يعرف ما هي الحقيقة في وقت ما

فاذا تأملنا انواع الاحياء من حيوان ونبات، على ضوء مذهب التطور، اضطررنا ان نرتدّ مئات الملايين من السنين الى الوراء ، الى العصر الذي كانت فيهِ صنوف الاحياء تقتصر على اصول قليلة العدد ،بسيطة التركيب ، فما زال بها التحول الفجائي ، والتنازع على البقاء ،واحداث الصخر والجو والماء، حتى تطورت هذا التطور الرائع ، في تحوله وتعدد نواحيه

— ٢ —

ايها السيدات والسادة : ان جسم الانسان يغتذي بعناصر البيئة التي يعيش فيها. غيّروا عناصر غذائهِ تصيبوا تغييراً في بنائه ، وصفاته الجسمانية وما يقوم عليها من احوال العقل والروح، بل لقد ذهب بعض العلماء الى ان قصر القامة في شعوب الصين واليابان عائد الى غذائهم الخاص . وان مرض الغواتر وما يتبعهُ احياناً من بلادة العقل في بعض المقاطعات السويسرية سببهُ قلة اليود في غذاء سكانها

كذلك العقل الانساني، يغتذي بعناصر البيئة العقلية التي تحيط بهِ ولا يستطيع ان يفلت منها . بدّلوا هذه البيئة، ولابدّ من ان تحدثوا تبديلاً ، في صورهِ الذهنية ، واساليب نظره الى الاشياء، والاغراض العليا التي يسمو اليها . وهذه الصورة المصغّرة التي رسمناها ، للعلم الحديث ، امرٌ جديد في حياة البشر، يعود تاريخهُ الى النصف الاخير من القرن الماضي . فقد لا استغرب ان يكون بيننا الليلة ، من يذكر المعارك العقلية التي حمي وطيسها في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر بين اشياع التطور وخصومهِ، بين القس ولبرفورس والعلامة هكسلي . او من لا يزال يذكر الانباء الاولى عن التخاطب التلفوني وكيف قوبلت بالاعراض والريب . حتى السر وليم طمسن (لورد كلفن) امير علماء عصره ، دهش واعجب حين رأى تلفون « بل » الاول فصاح : إنها تتكلم

فليس بالامر العجيب ، اننا ونحن نعيش في عصر ، يحصي النجوم والمجرات بالوف الملايين ، ويقيس المسافات بيراسك[1] الضوء ، وتاريخ الحياة على الارض بالوف القرون ، ويرجع الى الآلة في كل صغيرة وكبيرة من شؤون الحياة — في الزراعة والصناعة ، في المأكل والملبس ، في التعليم والفن ، — اقول ليس من العجيب ان تتأثر بهذا الجو الفكري ، حياتنا العقلية وصورنا الروحية ، والمثل الخلقية التي نرمي اليها . بل العجيب كلُّ العجيب ان تظلّ بمعزلٍ عنهُ غير متأثرةٍ بهِ

***

ان أثر العلم في حياة الانسان ينبع من ثلاثة مصادر. الاول هو الانتفاع بفوائده التطبيقية وهي الفوائد التي نجمت عنها وسائل حفظ المدوّنات وتسهيل نشرها بطبع الوف من النسخ وتوزيعها في

الفتى يتدفق في سيره ، وما يدري أيستحثه القلق أم يستفزه الجزع ، فلما بلغ مرتقى ذلك المزلاق الصخري الذي رمى اليه بنفسه كان الليل قد ارخى ستوره على المرج . وما كاد الفتى يطأ الصخر حتى راعه ذلك الصوت القريب البعيد ، يقول في تهديد غامض

— على رسلك ايها الفتى والا لقيت الحتف

فقهقه الفتى ثم مضى مسرعاً لا يتردد ، وكان كلما استوعرت مسالكه ومطالعه امتلأ صدره بهواء الجبل اللطيف ، فلما بلغ القمة كان نور الشفق يتلألأ على هامته ....

« ها أنذا » يرسلها بصوت الظافر «ان يكن هذا امتحاناً منك ايتها الروح الصالحة — او ايتها الروح الشريرة — فها أنا قد فزت وبلغت لم ارتكب جريمة قتل تلوث قلبي اوضميري، وها هو وطني ينام في ظلال الامن والعزة ، واما انا ايتها الروح — فما زلت حياً ينبض قلبي بالحياة ... فكن لمن تشاء ايها الصوت فأنا اقوى ممن ارسلك اذ لم أومن بك ولقد احسنت » . واذا بصوت كقاصف الرعد يجلجل من جوانب السماء ، وكأن قصفه في اذنيه

— اخطأت يا فتى اخطأت

وقعت هذه الكلمات ثقيلة عليه فلم يطق حملها ، واستلقى على حافة الجبل ليجد مس الراحة واخذ يجمجم بهذه الكلمات ، وقد لوى شفته ساخراً

— أتراني قد اقترفت جريمة قتل ولا علم لي بما جنيت ! ! فدوى الصوت

— ان قدمك الغافلة قد ازهقت روح دودة من دود الارض

فأجاب الفتى مستخفاً ساخراً — الآن فهمت، فليس النذير من الارواح الصالحة او الشريرة وانما هي روح متهكمة ساخرة تستروح الهزل، وما كنت اعلم ان مثلها ممن يطوف بنا نحن ابناء الموت فدوى الصوت اخرى على رِزق الشفق المتهدلة على الافق

— ألست انت ذلك الفتى الذي كان يطوي الارض هذا الصباح ؟ ألم يكن قلبك يرقص بين جنبيك على نغم الطبيعة المنسجم ؟ ، فالآن أرى قلبك استحجر فلم يعد يهزه حزن شيء او فرحه . . ، وان كان دودة من دود الارض

— « أههنا غررت ؟ » يقولها وقد تغضن جبينه . «ان يكن ذلك فأنا مجرم بل مجرم يحمل اوزار الف جرم ، ومثلي في ذلك مثل سائر البشر أبناء الموت الذين يطؤون باقدامهم الغافلة احياء لا تعد فيزهقون بذلك ارواحها

— وأنت قد حذرت عاقبة ما اجترحت من الخطيئة ، فهل تدري ماذا تقع هذه الدودة التي قتلت من نظام الكون . فحنى الفتى رأسه وقال

— لما كنت لا اعلم موقعها من نظام الكون ، ولا استطيع ان اعلم ذلك ، كانت

مختلف الاقطار . وطرق المخاطبات والمواصلات السريعة ، التي قربت الامم والافراد ، بعضهم الى بعض وازالت الحواجز الجغرافية وتخطت الحدود السياسية . ونتائج العلوم الحيوية في اتقان طرق الزراعة وتحسين أنواع النباتات والحيوان وما انبثق منها من علوم الطب والصحة العامة التي مكنتنا من مكافحة الاوبئة واطالة متوسط العمر . واساليب الصناعة الواسعة النطاق ، التي تمكن رجلاً كفورد من اخراج ثلاثة آلاف سيارة في اليوم ، او مصنعاً كأحد مصانع لنكشير واليابان الكبرى التي تنسج الوف اليردات من القطن او الصوف او الحرير في الساعة ، والتي مكنت أحد المهندسين من بناء آلة تصنع ثلاثة آلاف زجاجة في الساعة من دون ان تمسّها يد او ينفخ فيها نافخ

اما المصدر الآخر ، فهو الاسلوب العلمي في البحث ، الذي بنيت عليه جميع هذه المكتشفات والمخترعات. هذا الاسلوب الذي يتوخى الحقيقة في ميدان التجربة والمشاهدة، ولا يكتفي باستنباطها من التأمل في النفس او باستنتاجها من اقوال الائمة الاقدمين . قد يستعمل الاسلوب العلمي الاستنتاجَ في بعض مراتبهِ المتوسطة ، ولا هو يستغني عن انشاء النظريات لتفسير ما يجهله وتخطي ما يصدُّ سبيله . ولكن صفتهُ المميزة هي التجربة ، ومرجعهُ الاخير هو المشاهدة . فهو في قول العلاَّمة ويدم « محكمة الحقائق » . وقد أصبحنا بعد ان تغلغل هذا الاسلوب في طرق تفكيرنا لا نحاول ان نمتحن الاقوال التي تقال ، والآراء التي ترتأى ، بقياسها الى ما قالهُ ارسطوطاليس او افلاطون اوغيرهما. بل نبحث عنها بالرفش والمعول والنظارة المقربة والمجهر المكبّر والمطياف وانابيب الاغلاء والاحماء . فالحقائق التي كشف عنها هذا الاسلوب والآلات على اختلاف انواعها التي أفضى اليها تطبيقهُ ، بل والصفات التي يقتضيها من ممارسيهِ ، قلبت نظر الانسان ، الى الكون والحياة

أما المصدر الثالث فهو التحوُّل الدائم في مذاهب العلم والتنقيح المستمرُّ في اصولهِ ومبادئهِ، والتعديل الذي لاينفكُّ يدخلهُ العلماء على حقائقهِ متفرقة ومجموعة . فالحقيقة العلمية ابداً بنت البحث المستمرّ وقلّما يسري الظنُّ الى عالم بأن ما يكشفهُ هو الحقيقة المطلقة . والاّ فهو ليس بالعالم العامل. فنحن اذ نرى المذاهب العلمية المختلفة ، التي مكنتنا من حساب الخسوف والكسوف وبناء الآلات المختلفة بدقة متناهية ، تتبدَّل وتتغير وفقاً لما يكشفهُ البحث ، وتنهار ثم يقوم مكانها ما يقتضيه التنسيق العلمي، يصعب علينا ان نؤمن بأن قواعد السلوك الانساني مطلقة ، وانها افرغت في قوالب ووضعت لها حدود لا يمكن ان تتعدَّاها

— ٣ —

كان الانسان في عصور الحضارات البدائية ، يعتقد ان الطبيعة متقلبة الاطوار ، وكان يسند الحوادث المختلفة، التي تخيفهُ او تبهرهُ الى آلهة مختلفة ، فللغاب اله وللجبل اله وللنهر اله وللبحر اله. فكان الناس يعالجون خوف الجوع بالذبائح والقرابين البشرية ارضاء لروح الحنطة ، وكانوا يتقربون بالضراعة الى روح النهر عند فيضان الانهر وطغيانها . وكانت صورة هذه الآلهة منتزعة في الغالب

من صور الناس انفسهم . فأنت تستطيع ان تداهنها وتتملقها بالعطايا والقرابين ، وتستثيرها بالآثام وتسترضيها بالدعاء . اما ان تجري هذه الآلهة ، في صلاتها بالناس وفقاً لنظام له سنن ونواميس، يمكن الكشف عنها واستطلاع خفاياها بالبحث والدرس ،فظلّ فكراً بعيداً عن عقل الانسان بوجه عام، رغم الالماع اليهِ في اقوال بعض العلماء المتقدمين . فلما استخرج غليليو نواميس القوة والحركة واستنبط مبادىء الاتساق في بعض الافعال الطبيعية، وتمكن هو وغيره من التنبؤ بوقوع الحوادث الفلكية فوقعت في المواعيد التي ضربوها ، اقتضى نجاحهم احداث تغيير اساسي في تفكير الناس ونظرهم الى تلك القوة العجيبة القائمة من وراء ظاهرات الكون العجيب

وكان « يهوه » في نظر الآباء العبرانيين ، اله القبيلة او الامة ، يدافع عنها في الحروب ، ويقيها شرّ اعدائها، ويوطد لها سلطانها على الارض . وصوّر غيرهم الربّ قاضياً جالساً في محكمته العليا وامامهُ القسطاس يقضي في الناس بالعدل او اباً رحيماً يرحم بقدر ما يعدل

ولكن لما اثبت غليليو وكوبرنيكس وكبلر ، ان الارض ليست مركزَ الكون ، وانها ليست الاّ سياراً صغيراً يدور حول شمس متوسطة بين الوف الالوف من الشموس ، في مجرّة هي احدى ملايين المجرّات ، اصبحت صورة الله الجالس للدينونة على عرشهِ العلوي صعبة الاستحضار في ذهن رجل ، يرى في علم الفلك الحديث ، هذه الصورة الرهيبة ،في امتدادها الكونيّ والزمنيّ . فالصور الشخصية للاله الديّان الذي يرقبنا بعيني رحمتهِ وعدله ، ويحصي علينا هفواتنا ، ويعاقبنا عليها او يصفح عنا اذا ابتهلنا اليهِ واستغفرنا ، لا تتسق وصورة الكون الجديدة ، التي تشمل ملايين المجرات والوف الملايين من النجوم ، دع عنك السيارات وتوابعها كارضنا وقمرها

فلما طلع علينا علماء التطوّر ، بادلتهم المستخرجة من الصخور والطبقات المنضدة في قشرة الارض ، والعظام وما فيها من آثار ، والدماء وما تخضع له من تجارب ، وثبت ان الانسان ، انما هو رأس مملكة الحيوان ، ولكنهُ مع ذلك ليس الاّ حيواناً، سقطت تلك « القدسية »التي كنا نتسم بها ، اذ جعلنا ارضنا مركز الكون وجنسنا ابناء الله المختارين

فالمكتشفات الفلكية الحديثة من عهد غليليو الى الآن ثلّت عرش الانسان في الفضاء والمكتشفات البيولوجية الحديثة من عهد داروِن الى يومنا هذا قوّضت اركان عرشهِ على الارض

وجاء في اثر هؤلاءِ وهؤلاء علماء النفس المحدثون، فذهبوا الى ان نوازع الانسان ،ليست الا افعالاً عكسية ، تحولت بفعل البيئة التي نشأ فيها ، وان دوافعهُ النفسية الاساسية ، التي تلون سلوكهُ ، ليست الاّ دوافع جنسية ، غرضها اخلاف النسل وضمان بقائهِ او نوازع تبغي السيطرة والتفوق على الاقران ، فزال آخر حاجز يفصل بيننا وبين الحيوانات ، واصبح الفرق بيننا وبينها فرق كمٍ لا فرق كيف

كان اسلافنا يرون في الاحداث الطبيعية والامراض والاوبئة ، قصاصاً يستحقهُ الآثمون

كالصرع والجنون والعمى ، والزوابع والزلازل والاعاصير والفيضانات وانفجار البراكين ، الوان من العقاب يوقعها العلي على من خرج من ابناء عليهِ . اما اليوم فاننا نبحث عن بواعث الامراض في عوالم الميكروبات ، لا في خفايا الذنوب . فاذا طلع على الناس واعظ — كما يفعل بعض الوعاظ الاميركيين — وقال لهم ان اعصاراً في فلوريدا او زلزلة في اليابان ، ليسا الا اعراباً من قبل الله جل جلالهُ، عن غضبهِ وحنقهِ، أشاح الجمهور عنهم ، في رأي القس الدكتور سوكمن الاميركي، ووضع اصابعهُ في آذانهِ دونهم، وارتاب في صحة تجلي الحقيقة الالهية لهم ، وخاصة اذ يرى نواطح السحاب النيويوركية ، حيث توارى آثام لا تحصى ، واقفة كالمردة ، لا ينالها زلزال ولا أعصار . كان عصر وكان تفشي وباءٍ بين الناس يبعث بهم الى كهنتهم لينوبوا عنهم في الاستغفار وطلب الخلاص ، فاذا تفشى بينهم وباء من الحمى التيفودية ، اليوم ، او الطاعون ، هرعوا الى الكيماويين ، ليبحثوا في نقاء الماء الذي يشربونه والى البكتيريولوجيين في فحص الفئران التي تغادي البيوت وتراوحها والى الاطباء ورجال مصلحة الصحة بوجه عام ، ليعينوا وسائل الكفاح ويصفوا العلاج الناجع او العلاج الواقي في هذه الحالة او في تلك

— ٤ —

ان شريعة آداب النفس التي لا تتحول الا تحولاً بطيئاً كل البطء، تتبدد اليوم بين سمعنا وبصرنا فكأنها ضباب الضحى او غيم الصيف، والعادات المتصلة اصولها بنشأة الانسان على الارض، الممتدة الى اغوار في التاريخ لا تبلغها الذاكرة الانسانية ، تتهاوى بين ايدينا كأنها بيوت من الورق هزّها اعصار ، او اساليب من السلوك تطفو على سطح الحياة ولا تتصل بجذورها

ففروسية القرون الوسطى، التي بدت في عصرنا مفرغة في قالب الادب الخاص في معاملة النساء بلطف وكياسة واحترام ، لم تثبت على تحرر المرأة الاقتصادي . لقد قبل الرجل — مرغماً — تحدي المرأة اذ طلبت المساواة بهِ ، فصار يعسر عليهِ ان يعبد جنساً قسرتهُ الاحوال الجديدة على النزول من العرش الذي جلس عليهِ الى الميدان والشارع . ونحن ما نزال في الشرق متأثرين بذلك الادب القديم، الرائع الجمال ، فننهض في المركبات العامة لنخلي مكاننا لسيدة واقفة ، ولكن من يعش في مدينة مثل نيويورك او لندن او باريس حيث بلغت المرأة كامل حريتها الاقتصادية ، لا يحفل بسيدة واقفة ، بل يعاملها على قدم المساواة بالرجل ، على انها احد طلاب الرزق ، احد المنافسين له في ميدان العمل . اما الزواج الذي كان سبيل الاجتماع ، الى حفظ النوع على اسلوب منظم ، ووسيلة الى افراغ الحياة الانسانية والسلوك الانساني في قالب مستقر، فقد اخذ يفقد استهواءهُ واغراءهُ، لأن الانسان بعد اطلاعهِ على اساليب بعض العلوم الحديثة ، ادرك انهُ يستطيع ان يجني بعض مسرات الزواج من دون ان يتعرض لجميع تكاليفهِ ، ولان الاعباء التي يحملها الزوجان في عصر الصناعة هذا

تقضي بمد سن العزوبة وتأخير سن الزواج . والاسرة التي كانت مربى الاخلاق ، قد لانت للنزعة الفردية في حياة المدنية الصناعية فتفرقت بدداً ، والبيوت التي كانت تبنى بمكابدة الوالدين لتؤوي الابناء والبنات ، اصبحت مهجورة ، وافرادها متفرقين في مختلف المدن ، يأوون الى حجر في فنادق صغيرة ، او يشترك بعضهم مع بعض في استئجار شقق ضيقة الجوانب ، كفايتهم منها سرير يضطجعون عليهِ ، بعض ساعات الليل او بعض ساعات النهار

واننا لندهش ، عند قراءة التاريخ ، اذ نتبيّن مدى ما يصيب ، قواعد الاخلاق وآداب السلوك من التغيّر والتحوُّل مع انها قد تبدو لنا ثابتة راسخة لا يأتيها التحوُّل اذا حصرنا النظر في فترة قصيرة من الزمن . فقد استنكر القديس اغسطينوس ، ان ابرهيم كان متعدّد الزوجات ولكنهُ اصاب حين بيّن ان ذلك لم يكن عملاً « غير ادبي » لانهُ كان من تقاليد ذلك العهد ، ولم يكن فيهِ اي ضرر على الجماعة . بل ان تعدُّد الزوجات في عصر تلهبهُ الحروب وغزوهُ ، عملٌ اجتماعي مفيد لان متوسط الوفيات بين الرجال في حروب القبائل ، كان اكبر جداً من متوسط وفيات النساء . فتعدّد الزوجات كان النتيجة المنطقية لزيادة عدد النساء على عدد الرجال . فكانت المرأة تفضل ان تشاطر غيرها رجلاً من الرجال ، على ان لا يكون لها رجل على الاطلاق . وليس الاكتفاء بزوجة واحدة ، الا نتيجة من نتائج نشر السلام بين القبائل في مطلع الحضارة الزراعية

***

اننا لا نعلم ، في اي عصر من عصور التاريخ ، انتقل الانسان من طور الصيد والقنص الى طور الزراعة اي من دور الهيام الى دور الاستقرار . ولكننا نعلم ان هذا الانتقال ، اقتضى تحوُّلاً عظيماً في نظر الانسان الى الفضيلة والرذيلة . فبعض ما كان يحسب رذائل أصبح بفضل هذا الانتقال من قبيل الفضائل ، وامسى بعض الفضائل في عداد الرذائل . فالاجتهاد في عصر الزراعة كان مفضلاً على الشجاعة مع ان الشجاعة كانت على رأس الفضائل في عصر القنص . وفيهِ كان يؤثر الادّخار على السلب ، ويُرى السلام اجدى من الحرب . ثم ان الانتقال الى عهد الزراعة ، بدّل من مقام المرأة فالمرأة اجدى على الجماعة في دور الزراعة منها في دور القنص ، لكثرة ما تستطيع عمله في الحقل وفي الدار . فكان خيراً للانسان في بدء عهد الزراعة ان يتزوج ، بدلاً من ان يستأجر امرأة للقيام بهذه الاعمال . ثم ان المرأة تلد اولاداً ، فلا يلبث ابناؤها ان يصبحوا عوناً لآبائهم في الحراثة والزراعة والحصاد . فالاجتماع الزراعي كان لا يقتضي من الآباء النفقات التي يتعرّض لها آباء اليوم قبل ان يصبح ابناؤهم اهلاً لخوض معترك الحياة . لذلك كانت الامومة مقدسة ، وكان ضبط النسل لو ادركت وسائله عملاً غير أدبي لأنه يقلل الولد حيث تجب زيادتهم وكانت الأسر الكبيرة حسنة في نظر الشيوخ والكهان

في ذلك العهد ، نبتت اصول شريعة الآداب التي نأخذ اليوم بجانب كبير منها على الاقل ،

في المزرعة في ذلك العهد البعيد ، كان الفتى يبلغ باكراً في العقل وفي قدرته على الارتزاق . فكان اذا ادرك سن العشرين . قادراً ان يفهم اعمال الحياة ، كما يفهمها ابن الاربعين ، وكان كلُّ ما يحتاج اليهِ حينئذٍ ، محراثاً وذراعاً قوية ، وعيناً تتبيَّن احوال الجوّ من تقلبات الهواءِ . فكان يبكر الى الزواج ، حالما تعدُّهُ الطبيعة لهُ ، فلا يضطرُّ ان يعاني ما يعانيهِ ، الوف وعشرات الالوف من شبان اليوم ، في الفترة التي تنقضي عليهم بين المراهقة والزواج المتأخر . فاهل ذلك العصر لم يعانوا بطبيعة البيئة التي نشأوا فيها المشكلة الجنسية كالتي نتعرض لها اليوم ، لانهم كانوا يحلونها بحسب مقتضيات الطبيعة . اما فيما يتعلق بالنساء فقد كانت العفـة لا مندحة عنها لانها قد تجلب في اثر الاعتداء عليها ، امومة لا حامي يحميها

فلما افرغت المسيحية هذه الشريعة في قانونها الادبي الخاص ، وحتّمت على ان يكون الزواج عقداً بين رجل واحد وامرأة واحدة ، وان لا ينسخ العقد مدى الحياة ، كان ذلك مما يوافق البيئة التي تمَّ فيها هذا الافراغ . فزوجة الفلاح تلد لهُ عدة اولاد ، ومن الحق والانصاف ان يحافظ الوالدان على عهد الامانة احدهما للآخر ، لكي يتاح لهما ان يوجّها عنايتهما الى اولادهما حتى يشبّ اصغرهم فاذا بلغ هذا دور الشباب ، والتفتّ الى الوالدين ، رأيت الرغبة في التنقل قد تبدّدت في اجهاد الجسد واندماج الروحين

فهذا النظام الصارم من الآداب ، كان على صرامتهِ ، مما تمكن ممارستهُ في الحقل ، فانشأ في اميركا مثلاً عند ما هاجرت اليها طوائف «البيورتان» قبيلاً من الناس ، يستطيع ان يتغلب على قارة بفضائل يرتدُّ اساسها الى كبح جماح النفس واخذها بالشدة

مضى على هذا النظام بعد انشائهِ نحو الفين من السنين ، وهو قائم ، على العفـة والزواج الباكر والاكتفاء بزوج واحدة وولادة اولاد كثيرين ، وكان هذا ما تتطلبهُ حالة العصر ، لان الاسرة كانت وحدة الانتاج على الحقل . حتى لمـا اهلّت طلائع الصناعة على الحضارة ، كانت صناعة بيتية ، يقوم بها الناس في بيوتهم لا في المصنع ، فكان كلّ شيء مما يوثق العلاقة بين الاب والام من ناحية ، وبينهما وبين اولادهما من ناحية اخرى

— ٥ —

ثم اخذت المصانع في الظهور ، وشرع الرجال والنساء والاولاد ، يهجرون البيوت ، لينتظموا في المصانع . فانحلّت بذلك وحدة الاسرة وضعفت سلطة الوالدين ، وصار كلٌّ من افراد الاسرة فرداً في جماعة غير جماعتها ، اذ اصبح المصنع وحدة الانتاج لا الاسرة . ونشأت المدن وازدحمت بهجرة سكان الريف اليها ، وفيها بدلاً من ان ينصرف الناس الى الحرث والبذر والحصاد ، كما كانوا يفعلون في الحقول ، خاضوا كفاحاً ، هو كفاح الحياة والموت ، في مخازن ضيقة قذرة قاتمة ، اومصانع تدوّي فيها اصوات الآلات ولا يرى فيها الا العجلات تدور والسيور تتحرك واذرع واسنان من الحديد

الفولاذ . وتوالت المستنبطات الميكانيكية آخذاً بعضها برقاب بعض ، فصار الاولاد يتأخرون في دراك سن البلوغ العقلي ،حتى اذا نظرت الى الفتى في العشرين من العمر في احدى المدن الصناعية ، أيتهُ اشبه بالطفل القاصر ، ازاء تعقيد مشكلات الحياة وتواليها . فطال زمن المراهقة العقلية امتدّت فترة التعليم اذ اصبح التعليم لا ندحة عنهُ لتوجيه العقل وملاءمتهِ لمشكلات الحياة المنوّعة

وما ان اتى هذا الانقلاب على حال البشر ، هذا الانتقال من الزراعة الى الصناعة ، حتى اخذ ن تلقاء نفسهِ يؤثر في شريعة الآداب الموروثة من عصر سابق . فتأخر عهد البلوغ العقلي، رافقهُ أخر السن التي يبلغ فيها الانسان استقلاله الاقتصادي . بل ان هذا الاستقلال لم يكن ليتاح الاّ قلائل من الناس ، لان تعقّد الحياة الاقتصادية والتواء سُبُلها ، كانا ابداً كالسيف المصلت فوق أس العامل ، يهدّدهُ بانتزاع عمله منهُ

في هذا المعترك العنيف ، رأى الرجل المرأةَ وقد جرّدت من نفعها الاول في حياة الحقل. فاذا زوج وجب عليهِ وفقاً لشريعة الآداب التي ورثها من ذلك العصر ان يحفظ زوجهُ في بيتٍ جرّد الآن من معناهُ الاصليّ المتصل بالعمل في الحقل . ذلك ان جلّ العمل الذي كانت تعملهُ الاسرة في الحقل غدا يتمُّ في الغالب في مصانع المدن ، وكل ما تحتاج اليهِ الاسرة يجب ان يُوفّى بعمل الرجل في المصنع . فاذا اصبحت الزوج امّاً ، زادت المصاعب التي يواجهها الرجل . فالامومة في المدن الآن ، سلسلة محبوكة الحلقات من الاطباء والمستشفيات والممرضات والادوات والادوية ترهق الموسر دَعْ عنك العامل او متوسط الحال . وكلما زاد عدد الاولاد التي تلد ، زادت المصاعب التي يواجهها الرجل المتوسط.لان زمن التلمذ والتعلم امتدّ الى ما بعد العشرين . يضاف الى ذلك ان نفقات التعليم بعد مراتبهِ الاولى كبيرة لا يقوى عليها . ثم ان كثرة الاولاد تقتضي توسيع المسكن وهذا يقتضي زيادة الاجرة وتحول دون السفر للنزهة ، او دون التفسيح عن الصدر في الملاهي والمراسح . والاولاد يقتضون خلع احدث الملابس عليهم ، كلٌّ وفقاً للبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ، فاذا بلغوا السن التي تمكنهم من كسب رزقهم نفروا من البيت الى المصنع والمتجر ، في المدينة التي ولدوا فيها ، او في مدينة اخرى ، وفقاً للرياح التي تدفع تيارات الانتاج والتوزيع وتوجهها

لذلك بدا للناس ان الامومة في البيئات الصناعية ، أشبه ما يكون بضرب من الاستعباد ، او ضرب من التضحية السخيفة في سبيل النوع ، وان المرأة البارعة لا تقبل عليها الاّ متأخرةً، بعد ان تقضي الشطر الاكبر من شبابها في ظلّ لواء الحرية

فلما وضعت فلسفة ضبط النسل وكشفت وسائله العملية ، شاعت هذه الفلسفة الجديدة في الأوساط الصناعية ، وانتشرت وسائلها ، ثم تعدّتها رويداً رويداً الى غيرها

***

ولهذه الناحية من حياة الانسانية وجه آخر . ان الانسانية ، بفعل التقدم في علوم الطب والصحة

العلمة ، اخذت تكشف عمّا في سلامة الجسد وصحته ، من الروعة والجمال ، فالعناية التي توجهها الانسانية الى الرياضة البدنية وتأليه ابطالها ، والثروات التي تنفق في البحث الطبي ووسائل الصحة العامة ، شاهد بليغ على ذلك . ولا تنحصر عناية الانسان الحديث ، بالصحة من وجهة روعتها وجمالها فقط ، بل تتعداها الى الشعور بأن الصحة واجب عليهِ ، لشخصهِ اولاً ، وللانسانية المقبلة متمثلةً في ذرياتهِ ثانياً . فزعماء الحركة اليوجنية — اي حركة اصلاح النسل — لا ينون عن تذكيره ، بأن عليهِ تبعة عظيمة نحو اولاده تقضي عليهِ بأن يورثهم جسداً سليماً من الاوصاب ، وعقلاً سليماً من الآفات . ونزعة التضامن الاجتماعي ، تذكره كذلك ، بأن عليهِ نحو المجتمع تبعةً ، تقضي عليهِ بأن يورثهُ جماعة من الذريات تتألق عافيةً جسدية ، وصحة عقلية . فهو الآن لا يبحث عن سر مرض من الامراض في غضب الله على سلف من اسلافهِ ، بل يبحث عنهُ بالمكرسكوب في عناقيد الكروموسومات، وبكواشف الكيمياء في كريات الدم . ويحسب كل مرض يناوله الوالدان الى ابنائهما ، امتهاناً للمجتمع . ومن هنا الحركة التي ترمي الى تعقيم الرجال والنساء الذين لا يصلحون لاخلاف النسل ، بعمليات جراحية بسيطةٍ في الغالب . ومع ان هذا الموضوع ، ما زال من ناحيتهِ العلمية في مهده ، الاّ ان بعض البلدان قد سنت قوانين خاصة بتنفيذ التعقيم . فقد سُنّ في ٢٧ ولاية من الولايات المتحدة الاميركية مثل هذا القانون وكذلك في بعض ولايات كندا وفي المانيا والدنمارك وبعض مقاطعات سويسرا

فموضوع اخلاف النسل ، الذي كان حتى العهد الاخير ، من الاسرار المقدسة في حياة البشرية وعليهِ بني في الماضي أعظم جانب من شريعة الآداب ، قد مزقت عنهُ الحجب التي كانت تحيط بهِ واخذ يخضع لتعاليم العلم الحديث . بل قد أصبح زعماء التعليم يقولون بوجوب التعليم الجنسي ذاهبين الى ان « الاسرة يجب ان تعترف بهِ في البيت ، والدولة في المدرسة، لانهُ كغيره من انواع التربية العقلية والجسمية ضرورة من ضرورات الحياة وربما كان الشر الناشىء عن اهماله أعظم جداً من الشر الناشىء عن اهمالها فهو يمسّ صحة الجسم وصحة العقل وصحة الخلق جميعاً ويجعل النفاق والفساد أصلين من اصول الحياة الاجتماعية »(١)

— ٦ —

قلت في مطلع الحديث اننا نحاول عبثاً اذا حاولنا ان نحيط بالموضوع . وقد ذكرت لكم حتى الآن طرفاً من تأثير العلم الحديث في الصورة الذهنية التي يتمثلها الانسان الحديث للرب عز وجل ، وبينت لكم أثر العلم الحديث متمثلاً في قيام الصناعة ونشوء المدن وتحرر المرأة الاقتصادي وعلوم الطب والصحة ، في شريعة الآداب من ناحية النسل واخلافهِ والجنس والمحافظة عليهِ . ولكنني لا اريد ان اختم هذه الناحية من الموضوع قبل ان اشير الى ناحية ادبية اخرى يتجلى فيها او في ما يلابسها اعظم خطر تتعرض لهُ الحضارة الحديثة

(١) الدكتور طه حسين في كتاب اسرار المراهقة بالفتى تأليف الدكتور شخاشيري

من الاركان التي قامت عليها شريعة الآداب ، التي ورثناها من العصور القديمة ، فكرة الزهد، كأساس للخلق النبيل . فالزهد في حقيقته ، هو القول بأن حياة الانسان لا تعتمد على المأكل والمشرب والملبس ، وان الحياة الصالحة ، يمكننا ادراكها من دون المتع المنوعة التي نطلق عليها اسماء الرخاء والترف . وهذه العقيدة طبيعية ومعقولة ، في كل جماعة تعيش على شفا الجوع ، ولا تكاد تنتزع من الأرض الاّ كفايتها لصدّ الموت . ففي بدء الحضارة الزراعية ، لما كانت وسائل الزراعة ضعيفة وقاصرة ، ادمج الزعماء الروحيون هذه النزعة في تعاليمهم فقالوا ان فقر الانسان لا يضيره ، وانهُ رغماً عن الفقر والقلة يستطيع ان يحيي الحياة النبيلة ، ويبلغ اسمى الاغراض. فبوذا ترك اسرتهُ ومملكتهُ وثروتهُ ليبحث عن الخلاص في مسالك الانسان العادي . اي ان تلك الجماعات ، جعلت من الزهد فضيلة حيث قلّت الاشياء التي يستطيع ان يزهد فيها الانسان

وقد اتفق ان النهضات التاريخية التي كان لها اكبر أثر في شريعة الآداب التي توارثناها كانت في حالة مادية من هذا القبيل . ففي ايام السيد المسيح ، كان النزاع محصوراً بين فريق يسير ضعيف من الناس وسلطان روما الامبراطورية . فكانت رسالتهُ الى اتباعهِ ان لا يبحثوا عن ملكهم المرموق على الارض بل في السماءِ ، فقال «في بيت أبي منازل كثيرة» وحثهم على ممارسة الزهد والطهر والمحبة للمستبدّ

ثم تقلبت هذه النزعة في اشكال مختلفة في عهد الامبراطورية الرومانية ثم في القرون الوسطى لما أصبحت الصومعة والدير ملجأً لاصحاب النفوس التي تطلب الخلاص من محن العالم

ولكن في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، دبّ دبيب الحياة في عروق التجارة العالمية ، واخذ فريق من الناس في البلدان التي أمدّتها الجغرافية باسباب النجاح التجاري، يجمع ثروة ، فجعل هذا الفريق يرى امكان الفوز بالخلاص على الارض . ولكن التاجر الاميركي من المتمسكين بشريعة الآداب المسيحية، ظلّ الى اواخر القرن الماضي لا يرى امامهُ الاّ نضالاً عنيفاً اذ واجه قارة بكراً. والنضال العنيف يقتضي الحكمة والحرص والتوفير والعمل المستمر والامتناع عن تبديد النشاط في ساح الملاهي . فالعفة وتوجيه القصد الى العمل كان مناط الامل الوحيد ، في فلسفته العالمية . هذه الجماعة من الناس التي بدأت تخرج من قتام الماضي المهدد بالقلة والجوع ،وضعت امام عيونها ، مثل العمل والاكباب على العمل والتفاني في العمل ، هدفاً روحيًّا لها ، فالنتيجة في نظرها كانت لا تعنيها كثيراً ، وانما الجهاد قبل الوصول الى النتيجة هو كل شيء ، وهذا هو الخلاص على الارض

وما لبثت ان توالت المخترعات العلمية والصناعية على الحضارة ، فانقذت الناس من شبح الجوع الجاثم فوق الصدور .وما تمكن الانسان من السيطرة على مصادر الطاقة في اشكالها المختلفة ، حتى نمت الثروة العامة نموًّا ، لم يدُرْ في احلام الاقدمين ، فأصبح في ميسور الناس —وخاصة طوائف كبيرة منهم— ان يتمتعوا بأسباب من الرخاء والرفاهة والترف ، لم يرنُ اليها القياصرة . ففي عصر توافرت فيهِ هذه الوسائل لتسهيل اسباب الحياة وتوفير العناء ، ترى ماذا بقي من نزعة الزهد الصحيحة ،

والتسليم والدعة والاحتمال ؟ واي انسان يرى نفسهُ غير محتوم عليهِ ان يلقي ببالهِ الى الغد ، يستطيع بسهولة ، ان يوجه سعيهُ فقط الى صفاء الروح ونقاء القلب . قال الاستاذ جون هول في كتابهِ « حضارتنا المتحولة » — « فما كاد الاميركيون يغزون براري بلادهم المترامية الاطراف ، وينشئون فيها المدن والمصانع حتى رأيناهم في مجموعهم ، يهزأون من الحرص والحريص ، والعفة والعفيف ، ويحسبون التسليم كخفريات المتحفات من بقايا العصور القديمة ، واصبح مثاهم اللهو والمتعة لا الطهر والصلاح . انهم يبحثون في حياتهم عن تلك المسرات ، التي عجز عنها ابناء الحضارات السابقة فأسندوها الى الآلهة » . فالمشكلة التي تواجه العصر هي ابتداع مثل روحية تفضي الى الحياة الصالحة النبيلة لا بالتخلي عن الثروة وما تيسره لنا من المتع بل بالرغم من ذلك

***

ونحن اليوم في الشرق ، على رغم اختلاف كبير في الاحوال بين معيشتنا ومعيشتهم ، وعلى الرغم من ان الاحوال الناشئة من انتشار الصناعة ، لم تتوافر بعد بين ظهرانينا ، حتى تفضي الى نفس النتائج التي افضت اليها في البلدان الاخرى فاننا مع ذلك نعاني المشكلة التي يعانونها بالتقليد والاقتباس. فالتحول في شريعة الآداب عندهم ، له صدى في حياتنا ، خافت اليومَ ولكنهُ لا بدَّ ان يقوى غداً . لاننا نقرأ كتبهم ونرى افلامهم ونزور مدنهم ونخالط طوائفهم ونلوّن افكارنا وطباعنا بتعاليمهم ونعيش — اي المتعلمون منا — في جو كالجو الذي يعيشون فيهِ ، وانما الفرق بيننا اننا نخلقه في الغالب تصوراً واما هم فيتنفسونهُ في غدواتهم وروحاتهم كل صباح وكل مساء

فالمشكلة التي نعانيها ، هي هي المشكلة التي يعانونها هم . واساسها الحيرة ، التي جهر بها طائفة من كبار كتابهم ، وحاولوا ان يجدوا لها حلاً في ابتداع « المذهب البشري » Humanism . هي مشكلة ناشئة عن اننا واقفون بين عالمين — احدهما ذهب في سبيله الى جوف الماضي ، والآخر لم يولد بعد ، او هو لا يزال في المهد . فلا بدّ من ان تكون الحيرة نصيبنا كما هي نصيبهم مدى جيل من الزمان على الاقل . اننا نبحث عن شريعة للآداب ، تكون اكثر ملاءمة للاحوال الجديدة ، من شريعة الآداب التي ورثناها من العصر الزراعي ، شريعة تقوم على الذكاء بدلاً من الخوف ، وعلى القوة وحسن استعمالها بدلاً من الزهد وتلمس العزاء عن فقدان العالم ، فتقنع المتعلمين منا لشدة ما نراهُ فيها من الملاءمة بين نواحيها والاحوال التي تطبق فيها

هذه هي المشكلة الادبية التي يعانيها العالم . اين الحكمة واين الذكاء في استعمال قوة العلم والآلة ، استعمالاً صحيحاً ؟ ليس في تراثنا الادبي جواب على هذا . فكيف نستطيع ان نصدق ما نعلّم ، اذ يقال لنا اصدفوا عن العالم ، وانصرفوا عن المسرات

وفي هذه الهوّة بين القوة العظيمة التي ابدعها العلم ، وتقصير الحكمة البشرية عن تثقيف الرغبات والنوازع الانسانية اعظم مصدر لما يحيق بالحضارة من الخطر . وقد اشار الى ذلك الفيلسوف

برغسن في الخطبة التي القاها عند تسلمهِ جائزة نوبل الادبية من بضع سنوات . فاذا افلست الحكمة البشرية وعجزت عن النهوض بهذا العبء اتجهت هذه القوى العظيمة الى التدمير والتخريب والتقتيل بدلاً من ان تتجه الى الانتاج المجدي وتوفير الفراغ للانسان فينفقهُ في طلاب المثل العليا

— ٧ —

ومن الغريب ايها السيدات والسادة : ان نظريات العلم التي قلبت نظرنا الى الله والكون، وتطبيقات العلم التي احاطتنا بأحوال من المعيشة افضت الى انشاء هوة بين الحياة التي نعيش والقواعد الادبية التي تنظم هذه الحياة ، قد ينطوي في تطوراتهِ الحديثة ، على بذور الحل لهذه المشكلة

فالعلم الطبيعي ، الذي احرز انتصارات عظيمة في اواخر القرن الماضي ، افضى بالعلماء الى الاعتقاد ، بأن الكون آلة خاضعة خضوعاً اعمى للنواميس التي كشفت . فكان ذلك سنداً قويًّا لفلسفة الماديين . لانهُ اذا كان في الامكان تفسير كل دقيقة وصغيرة ، بنواميس الحركة والطاقة والجذب من اجرام السماء الى خلايا الجسم الحي ، فما الحاجة بنا الى فرض قوة من وراء العقل، ومن وراء الطبيعة لتفسير ذلك . ولكن العلم الطبيعيَّ نفسه ، كان وهو يصرح هذه التصريحات على عتبة انقلاب ، يتصل بصميمه ، وهو لا يدري . فما اثبت السر جوزف طمسن وجود الالكترون في آخر القرن الماضي، وما تمادى العلماء في درس اللبنات الدقيقة التي تتركب منها الذرة — ومن الذرة تتركب جميع الاجسام — حتى بدأ الشك يتسرب الى عقول العلماء في كفاية النواميس الطبيعية لتعليل كل ما هنالك . لذلك نرى علماء الطبيعة الذين يعالجون نظرية «المقدار» (الكونتم) يقولون ان الاوليات العلمية ، ونواميس العلة والمعلول تتهاوى بين ايديهم اذ يحاولون تطبيقها على الدقائق الاولية كالكهرب والاويل . ولما كانت جميع الاشياء المادية مبنية من الالكترونات والبروتونات ، فمعنى قولهم هذا انهم لا يؤمنون الآن بالسببية او بالجبرية . والاثر النفسي الذي احدثه هذا الانقلاب ، هو ان النظريات العلمية لا تخرج عن كونها صوراً ذهنية لا تطابق الحقيقة. لذلك اصبح علماء هذا العصر فلاسفة تغلب عليهِ سمة جديدة من سمات التصوُّف والايمان امثال جينز وادنغتن وبرتران رسل وملكن واينشتين، والامل معلَّق الآن باتحاد العلم والفلسفة في الوصول الى نظرة جديدة ، لا يرتاب العارفون ، في انها سوف تكون وافية الى حدّ بعيد باشباع ذلك الشوق الى المجهول ، الذي يتردَّد في صدر الانسان

اما الاسلوب العلمي الذي مكَّن الناس من كل ما تمتاز بهِ حضارتنا الحديثة، من الآراء والنظريات والاساليب ، فهو في صميمهِ ، مدرسة للخلق العلمي . فقواعدهُ التجرُّد عن الهوى ، والانصاف بين الآراء وبين اصحاب الآراء ، والصبر والمثابرة في التجربة والامتحان ونكران النفس في سبيل الحقيقة . وكل صفة من هذه الصفات اذا لم يتصف بها الباحث العلمي ، سقطت قيمة بحثهِ . وهي في الوقت نفسهِ ، الصفات التي نرى وجوب توافرها في الخلق العلمي

بل ان العلم التطبيقي في ناحيتهِ الاجتماعية، مدرسة جديدة لخلق الجماعة . فالمواصلات والمخاطبات

[illegible] ولاعنك ، فأنا في مجوالي قد اقترفت هـذه الجريمة وهي واحدة من عدة جرائم اجترحتها .. كنتَ تستطيع ان تحذرني عاقبتها ، ولكن كيف يكون اجتيازي ذلك المرج ، كما تقول ، سبباً في جلب الدمار على وطني . هذا ما أريد ان تخبرني بأمره

فقال الهاتف — هل تذكر تلك الفراشة الزاهية الالوان التي رفرفت بأجنحتها من عن يمينك . فقال الفتى — رأيت فراشاً كثيراً غير التي ذكرت

— أجل ! فراشاً كثيراً ، ان أنفاسك حادت بهذا الفراش عن طريقه ، غير ان الفراشة التي أعني ، ذهبت ناحية الشرق ، وحملتها الريح حتى بلغت سياجاً ذهبيًّا يحيط بالحديقة الملكية في وطنك، فستلد تلك الفراشة ويخرج من ولـدها أسْرُوع[1] ، ففي يوم من ايام الصيف المقبل ، يزحف هذا الاسروع حتى يقع على عنق الملكة البض فيوقظها من نومها مذعورة تنتفض حتى يسكت قلبها عن النبض ، وتموت وفي احشائها ثمرة الحياة من الولد . وكذلك يا فتى: يرث اخو الملك العرش وقد فقد الوارث من الولد الذي ازهقت انت روحهُ قبل ان يولد ، وأخو الملك هذا ظالمٌ مستبدٌ جائرٌ . . . فسيحكم بجوره حتى يحلَّ بشعبهِ البؤس والشقاء ، ثم يحاول بعد ذلك ان يخلّـص نفسهُ فيخوض بالبلاد غمرة حرب آكلة تجلب على الوطن الدمار....وما من ملوم غيرك ، أنت وحدك : يا من ذهبت انفاسهُ بالفراشة الى المشرق فطارت فوق المرج حتى اجتازت ذلك السياج الذهبيّ الى حديقة الملك

فهزّ الفتى كتفيه استخفافاً وسخرية ثم قال :

— ايها الهاتف الخفيّ ، كيف لي ان أنكر كل ما تتنبأ بهِ . لا ، ما زالت الاحداث يستتبع بعضها بعضاً في هذه الدنيا ، .. ومن ادنأ الاسباب تخرج أجلّ الاحداث ، ومن اجلّ الاسباب تخرج اهون الاحداث !! كيف أصدق هذه النبوءة وما زالت ثالثة نبوءاتك لم تتحقق ، وهي التي توعدني بالموت إذا أنا ركبت هذا الجبل

فدوّى الهاتف النذير « ان من ركب الجبل وجب عليهِ ان يهبط منهُ من حيث صعّد فيهِ اذا ابتغى ان يعود الى الحياة الانسانية مرّة اخرى ، فهل فكرت في ذلك يا فتى ؟

فوقف الفتى ساعة وكاد يستقرُّ رأيهُ على ان يسلك السبيل الذي ينجيهِ الى سفح الجبل ولكنهُ خشي الليل المكفهرّ الذي يكتنفهُ وادرك ان الاخطار التي تحفُّ بهِ في التصويب من الجبل لا يكشفها عنهُ الا ضوء النهار وذلك لكي يحشد قوة فكره في تصويبه ولا يعثرها في ظلام الليل... لم يجد الفتى بدًّا من ان يستلقي على الحافة الضيقة فاستلقى لا يريم حراكاً ، يستجلب بذلك النوم الذي ينشيء في بدنهِ القوة، الاّ ان الفكر فيما هو فيهِ كان

(1) واحد الاساريع وهي دود حمر الرؤوس بيض الاجساد تنسلخ فتصير فراشة

الحديثة قد قرّبت بين الامم ومهّدت سبيل التعارف بين الشعوب . وكلما مضينا في تطبيق نتائج العلم الحديث تبيّن لنا انهـا تصلحف عن الفوارق التي تفصل بيننا ، سواء اجغرافية كانت ام جنسية ام سياسية ام اجتماعية . فالانسولين الذي استنبطهُ الدكتور بانتنغ الكندي وصحبهُ في جامعة تورنتو لا يفرق في شفاء البول السكري . بين الكندي والمصري ولا بين المسيحي والمسلم ولا بين الشيوعي والفاشستي ولا بين العامل وصاحب المال . ثم ان تاريخ العلم تاريخ مشترك . ولكل امة من الامم ابطال ادّوا نصيبهم في اعلاء مناره او سقطوا في ميادين الجهاد . فامجاد العلم المشتركة تؤلف بين الامم كما تجمع المصائب بين بلدان الشرق . ولعلكم لم تنسوا قول شوقي رحمة الله عليه : قد قضى الله ان يؤلـفنا الجرحُ وان نلتقي على اشجانهِ

***

نعم ايها السادة ان العلم قد قلب اوضاعنا الفكرية ، ومثلنا الادبية ، ووضع في ايدينا قوة ، اذا اسأنا استعمالها افضى بنا ذلك الى التدهور . ولكن اتجاه العلم الحديث ، واسلوب العلم الحديث، ينطويان على بذور فلسفة علمية ادبية جديدة ، قد نجد فيها خلاصاً من الحيرة التي تكاد تمزقنا .

كنت اقلب اوراقاً من أيام ، فوقعتُ على صورتين تمثلان غرق الباخرة تيتانيك . أما الصورة الاولى فتمثل الباخرة العظيمة وقد اصطدمت بجبل الجليد فشقّ جنبها ، واخذت تميـل الى الغرق وقد كتب تحت الصورة : « ضعف الانسان — قوة الطبيعة » . اما الصورة الاخرى فتمثل قارباً مدلّى من جانب الباخرة التي تكاد تبتلعها الأمواج ، وامام القارب الحافل بالركاب ، رجل يهم بالنزول ليجلس او يقف في آخر محل فيهِ لينجو مع الناجين ، ثم تراهُ وقد ارتدّ ليخلي المكان الاخير في القارب لسيدة وراءه وهو يعلم انهُ شارب كأس الموت لا محالة . وقد كتب تحت هذه الصورة : «ضعف الطبيعة ـ قوة الانسان ».

ان عصر الآلة لم يسحق حتى الآن ، ولا هو فسر لنا النوازع الروحية في القلب البشري . انها لا تزال هناك ، مادة تصلح ان تبنى بها او تبنى عليها شريعة الآداب الجديدة

أما انا فلا يخامرني شكٌ في حكمة البشر . فالذكاء الانسانيُّ يرهفهُ التعليم وتصقلهُ المرانة ، والارث الثقافيُّ يوسعهُ البحث ويمحصهُ الاختبار . ولا بدَّ ان يجيء يوم — لن ندركه نحن وقد لا يدركه اولادنا — تلحق فيهِ عقولنا بالآلات التي استنبطتها . وترتفع حكمتنا الى مستوى المعارف التي انتزعناها من صدر الطبيعة . وتسمو اغراضنا سموّاً يمكننا من السيطرة على القوى الصناعية العظيمة رهينة اشارتنا وتوجيهها

عند ذلك ندرك ان اعظم رجال الدولة كأعظم المعلمين ، من يرشد بالمعرفة والعطف ، لا من يستفزُّ بالتحكمُ والعنف ، وان اعظم الجماعات ، جماعة لا تخضع للقوة بل تعنو للحكمة . عند ذلك يكون العلم قد اندمج في اغراض الروح العليا فخرج لنا من البوتقة إكسير الحكمة المصفّاة

سر الحياة في الكربون

لنقولا الحداد

الحياة نشوء آخر يختلف في ظاهراته كل الاختلاف عن نشوء الاجسام المادية غير الحية . هو درجة ثانية من درجات الوجود اعلى من درجة المادة « الميتة » ، كأنهُ كون آخر مستقل في ذاتيته وطبيعتهِ كل الاستقلال عن الكون المادي . ولكنهُ بالحقيقة ماديٌّ الجوهر والحركة ، بمعنى ان الجسم الحي مؤلف من ذرات المادة ، ولكن بنظام آخر يختلف عن نظام المادة . فهل هو متمشٍ على نفس سنن الطبيعة الاساسية كالجاذبية والالفة الكيماوية ؟ ام ان له سنناً اخرى خاصة بهِ ؟

الظاهر لنا ان الحياة لانها قائمة بالمادة هي خاضعة لنواميس حركة المادة . واذن حركتها مستمدة من نفس القوى الفاعلة في المادة — جاذبية وألفة كيماوية — وحركتها ذاتية بمعنى انها تختزن القوة المادية ثم تتصرف بها تصرفاً خاصًّا يلائم كيانها . وحركتها نتيجة هذا التصرف . وهذه الحركة نوعان . حركة في داخل الجسم الحي بين اجزائهِ ، شائعة في النبات والحيوان . وحركة تنقل الجسم الحي كله من حيز الى حيز . وهي خاصة بالحيوان على الغالب . فما هو سر الحياة الذي هو مستودع القوة الحيوية ؟ وما هو مصدر هذه القوة ؟

لا نعرف وجوداً للحياة كما نعرفها الاّ على ارضنا . فلا شأن لنا بها اذا كانت موجودة في جرم آخر سواء اكانت هناك بنفس الخواص التي نعرفها هنا او كانت تختلف عما نعرفه

نعرف ان الجسم الحي مهما كان نوعه مؤلف من جزيئات Molecules عديدة الذرات جدًّا ليس لها مثيل بكثرة ذراتها في سائر جزيئات الغازات والسوائل والجوامد ، لا على الارض ولا فيما استُدِل عليهِ في الاجرام الحارة وفي الاجرام الباردة ، من انواع الذرات والجزيئات . فكأن سر الحياة مودع في الجزيء العديد الذرات . فلنبحث عنهُ في هذا الجزيء

الجسم الحي من ابسط انواعهِ : الاميبا ، الى اكثرها تركباً وتعقداً ، الانسان ، مؤلف من ثلاثة اصناف من المركبات الكيماوية وكل صنف منها عديد الانواع بتعدد انواع الخليات . وهي :

اولاً — الكربوهيدرات (النشائيات ونحوها وسلاسل البارافينات وسلاسل الكحل الخ) وجزيئاتها تحتوي على بضع ذرات الى بضع عشرة ذرة . وهي الوقيد الذي تصدر منهُ القوة لاصدار الحركة

ثانياً — الدهنيات ونحوها . وجزيئاتها مؤلفة من عشرات الذرات . وهي وقيد آخر مدّخر ولا سيما في الاحياء المنوعة الاعضاء الوظيفية

ثالثاً — البروتاينيات (الزلاليات) . وجزيئاتها مؤلفة من مئات الذرات او الوفها في بعض الاحيان . وهي هيكل بنية البروتوبلاسم الذي هو جوهر الحياة الاول

يلحق بهذه الثلاثة الماء . وهو الوسط الذي تتنقل فيه جزيئات المركبات الحيوية ، فضلاً عن انها تتحد احياناً بجزيئات منهُ

ولا نعرف في الطبيعة جزيئات مؤلفة من ذلك العدد العظيم من الذرات الاّ في الجسم الحي . وفي غيره لا يتجاوز عدد ذرات الجزيء البضع او البضع عشرة ذرة . اذن سرُّ الحياة في الجزيئات العديدة الذرات . فلنبحث عنهُ في ذرات هذه الجزيئات لكي نعلم في ايٍّ منها مقامه

***

التحليل الكيماوي يرينا ان اصناف هذه المركبات الثلاثة العديدة الانواع مؤلفة من اربعة عناصر رئيسية فقط ، اي من اربعة اصناف من الذرات وهي الهيدروجين والاوكسجين والنيتروجين والكربون . واما ما يرى فيها من العناصر الاخرى — الكلسيوم والصوديوم والبوتاسيوم والمغنيزيوم والحديد واملاحها الكلورات (كلوريد) والفصفات والسلفات والنترات والكربونات الخ فوظيفتها ثانوية وسيطة Catalysis : فلنر اي هـذه العناصر الاربعة ذو الشأن الاهم في تأليف الجزيئات العديدة الذرات

اما الهيدروجين والاوكسجين وحدهما فلا يتألف منهما الاّ بضعة انواع من الجزيئات لا يزيد الواحد منها على اربع ذرات . واذا دخل النتروجين معهما او مع احدهما فلا يتألف منها جزيئات تزيد على بضع ذرات ايضاً ، حتى لو دخلت عناصر اخرى ثانوية غير هذه الثلاثة فلا يناهز عدد الذرات في الجزيء الواحد البضع عشرة ذرة.ولكن اذا نزل الكربون الى الميدان رأيناه يؤلف مع العناصر الثلاثة التي نحن بصددها جزيئات تعدُّ ذراتها بالمئات واحياناً تتجاوز الالف.فاذاً في الكربون سر الحياة (هذه ملاحظة وردت عرضاً في كتاب « الكون المحجّب بالاسرار » تأليف السير جيمز جينز . ولكنهُ لم يشرح هذه النظرية)

فماذا في هذا العنصر — الكربون — من الخواص او المزايا التي تخوله القدرة على تكوين البروتاينيات والكربوهيدرات والدهنيات التي تتألف منها الخلية الحية Cell ؟ . فلنبحث في كلٍ من هذه العناصر الاربعة

هـ = الهيدروجين ذو بروتون وكهرب واحد حر

و = الاكسجين ذو ١٦ بروتوناً و٨ كهارب حرة ما عدا المتحدة ببروتوناتها

ن = النيتروجين « ١٤ « و٧ « « « « « «

ك = الكربون « ١٢ « و٦ « « « « « «

فلنضرب صفحاً عن البروتونات لان الالفة الكيماوية التي تؤلف الجزيئات لا تتوقف على عدد البروتونات في الذرة الواحدة بل على عدد الكهارب الحرة فيها فقط

ولقد علمت من مقال كاتب هذه السطور عن «فناء المادة» في العدد السابق من المقتطف ان الكهارب الحرة تدور حول النواة (مجموعة البروتونات) في مناطق : الاولى معدة لكهربين فقط . والمنطقة الثانية التي بعدها معدة لثمانية كهارب . ولا شأن لنا بالمنطقة الاولى ولا بالمناطق التي بعد الثانية . لانه ليس في ايٍّ من هذه العناصر الاربعة ما يشغل اكثر من المنطقة الثانية . ولان المناطق الاخرى التي بعدها خاصة بعناصر غير عناصر الحياة

اذن الكهارب التي تدور في المنطقة الثانية هي : —

في الاكسجين ٦ يبقى محل لكهربين (٢) في المنطقة الثانية (شفع اي زوج)
« النتروجين ٥ « « لثلاثة كهارب (٣) « « « (وِتر)
« الكربون ٤ « « لاربعة « (٤) « « « (شفع)

فلعلَّ كون الكربون شفعي الكهارب الموجودة وشفعي الكهارب الناقصة لتتمة المنطقة، هو الامر المسهل له الاتحاد بالعناصر الاخرى مهما اختلف عدد الذرات في الجزيء . يساعده على ذلك الاكسجين الشفعي الكهارب ايضاً ويساعدهما الهيدروجين لاتمام ما ينقص المنطقة من الكهارب في تأليف الجزيء ولا سيما متى دخل النتروجين فيه وهو وِتريُّ الكهارب . وبهذا التسهيل يتضح تآلف الذرات الثلاث باستقرار ومن دون تقلقل . مثال ذلك في الحامض الكربوني (كربون داي اوكسيد = ك و ٢) الذي يدخل جزيئهُ كثيراً في المركبات الحيوية ، يأتلف الكربون مع الاكسجين فيشرك كلاًّ منهما بكهربين من كهاربه الاربعة وتصبح المنطقة الثانية لكلٍ منهما تامة . والجزيء يستقرُّ بهذا الاختلاف متعادل الشحنة الكهربائية ، ولا يتفكك الاَّ اذا طرأ عليهِ جزيء آخر فيندمج الاثنان معاً في جزيء جديد

واذا انعمت النظر في مركبات الكربوهيدرات والدهنيات وجدت ان ائتلاف الكربون والاكسجين يحدث على هذا النحو . وفي حالة ان الجزيء ينقصه كهرب يدخل الهيدروجين بكهربهِ . والهيدروجين مطواع يدخل بكهربهِ من معظم الجزيئات لاتمام النقص . (هذا بحث دقيق جدًّا لا يكفي التوسع فيه وشرحه مقال او اكثر)

واما النتروجين فلأنه وِتري الكهارب (٣ في المنطقة الثانية) فغالب الظن ان ائتلافه مع الجماعة لا يسهل الاَّ بتعدد الذرات الكثيرة في الجزيء الواحد بحيث يستطاع تأليف جزيئات متعادلة الشحنة الكهربائية . ولذلك لا يدخل الاَّ في تألف البروتاينيات التي تعد ذرات الجزيء الواحد فيها بالمئات . او ان اندماجه فيها هو سبب تعدد ذراتها . ولكنهُ لا يدخل في الكربوهيدرات والدهنيات لانهُ بدخوله يجعل الجزيء عديم الاستقرار كما يستدل من معظم مركباته اذ يظهر فيها قلقاً دائماً

يطرد عنهُ النوم. ففتح الفتى جفونه المتعبة ، وأحس بقشعريرة تمشي في عروقهِ ورعدة تدبُّ في ظهره . وكانت الهوَّة ماثلةً بين عينيه ، وطريقها هو الطريق الفرد الى الحياة .
كان هذا الفتى قبل هذه الساعة ، فتىً رابط الجأش راسخ القدم جريئاً ، اما الآن فقد انقلبت رباطة الجأش الى ريبة تنسلُّ الى قلبه فتفتتُ من جرأته وتزلزل من قدميه فكان ذلك سبباً في آلام لم يستطع تحملها ، فعزم لساعته ان يحاول ما لا بدَّ له منهُ ، فلا يبقى في عذاب من القلق والحيرة والاضطراب منتظراً اضواء النهار . نهض الفتى وهو يعدُّ نفسه للمغامرة غير منتظر نجدة ضوء النهار، نهض متحفزاً ليغلب خطر السبيل ويظهر عليه،..
نهض ولكن كانت خطواته متزلزلة تتعثر ! ! فما كاد ينقل قدمه في ظلمة الليل حتى توثَّق من ان حتفه حتم لا يرد ، وان منيته قضاء مبرم . فصاح مغيظاً محنقاً
— ايها الهاتف الخفي ، يا من انذرني ثلاثاً ولكنني كذبته وأبيت ان اسمع له ، ايها الهاتف الذي اخشع له كما يخشع الضَرَع لمن هو اقوى منه ، حدثني قبل ان انكبَّ على موارد الهلاك ... وخبرني من انت ؟
فدوَّى الصوت وما يدري الفتى اهو يدوي في اذنيه ام في جنبات الفضاء المترامية
— لم يعرفني الى يومي هذا أحد من ابناء الموت ، والاسماء متعددة فمن آمن بالغيب سماني « القدر »، ومن آمن بجهالاته سماني « الحظ » ، والمؤمنون يقولون « هو الله » ، اما الحكماء فيقولون «هو القوة التي كانت في البَدْء وسوف تكون سرمداً بلا نهاية الى الابد»
فصاحَ الفتى وقد قذف الموت في قلبه جنون الحياة
اذاً فأنا ابرأ منك في ساعة النفس الاخير من الحياة ... اذا كنت كما يقولون — القوة التي كانت في البدء وسوف تكون سرمداً بلا نهاية الى الابد، فقد كان من قَدَري ان يقع ما وقع .... أنْ اخترق الغابة فاجترم خطيئة القتل ، وان اجتاز المرج فأجلب الدمار على وطني ، وان أُصَعِّد في هذا الجبل الشامخ لاستقبل الموت ، وكل هذا بعد تحذيرك اياي وانذارك .... فإمَّا كنت تعلم ان انذارك لن يردني عما كنت فيهِ ، فلماذا اسمعتني كلامك وكلمتني ثلاثاً.. لماذا لماذا..!! يا للسخرية. ألا فأخبرني في هذه الساعة المُتَصَرِّمة الاخيرة وانا مضطر ان لا القي سؤالي الاَّ اليك ! لماذا .. لماذا .. ! !
فكان الجواب الساخر القاسي، قهقهة قاصفة تُطيف بجانبها الاسرار، ودَوَّت اصداؤها في جنبات السموات التي لا ترى . وحاول الفتى ان يتلقَّف الكلمات في قصف الضحك الاَّ ان الارض غالت بهِ وكأنْ قد انخسفت من تحت قدميه ، فهوى كما يهوي في اعماق لا غور لها الى ليل الزمان الذي كان وسوف يظل ابداً في مبدإ الاحداث ونهايتها
[افرغها في القالب العربي محمود محمد شاكر]

الايمان

قصيدة لالفونس دي لامرتين

ايها العَدَم ! ايتها الهاوية الصامتة التي خرجت منها ، وسأعود اليها ! لماذا تركت المرء يفلت منك ؟ فقد كنتُ انام في احضانك نوماً عميقاً ، لا تُزعجه أحلام ، ولا تخيفه يقظة ، نوماً هنيئاً وانا ملتحفٌ بالنسيان الابدي في ازلية اللانهاية ، دون ان ترى عيناي هذا النهار الزائف الذي امقُتُه ، وهذه الحياة التي لا أجد فيها غير شقاء يتكدَّس فوق شقاء ، والتعاسة تزحم التعاسة

لقد شاءت الاقدار ان آتي الى هذا الوجود ، ولو خُيِّرتُ لآثرتُ البقاء في غياهب العَدَم ، ولكن أنَّى للانسان أن يُؤبه لرأيه ، فقد حُكم عليه ان يرى الحياةُ ، ولا مردَّ لحكم القضاء

فما ذلك الشَفَق البادي لاول مرة ؟ وتلك اليقظة المضطَرِبة ، يقظة المخلوق الذي يجهل نفسه ، وهذا الفضاء الممتدُّ امامه ، وهذه النظرات العميقة ، التي يُلقيها الانسان مسائلاً السماوات ، وهذا الافتتان المُبْهَم ، والأمَل الذي يملأ الجوانح ؟ . . . . كل هذا يَبهرُ بصرهُ ، وهو لم يزلْ بعد على عَتَبة الوجود ، وفي فجر الحياة.

سلاماً ايها المقرُّ الجديد حيث ألقاني الزمنُ ، سلاماً ايتها الكُرَة الشاهدة ما يخبئه لي المقدورُ بين طيَّات الغيْب ، سلاماً ايها المصباح المقدس المغذِّي الطبيعة ، وايتها الشمس الحبيبة الاولى لكل كائن حيٍّ ، سلاماً ايتها السماء الحاجبة وجه الخالق العظيم ، وانتِ ايتها الارض مهْد الانسان، لانتِ قصر مُنيف يقضي فيه الانسان حياته الفانية ثم ينحلُّ غلافه الى ذرَّات تندمج في ذراتك

سلاماً ايها الانسان الآتي الى هذا العالم الفاني على كُرهٍ منك، انك خَدينِي واخي وانتِ ايتها الكائنات ، يا اداة سعادتي وهنائي ، اذا كان ثمَّ هناءٌ وسعادة في هذا الوجود سيْري في الطريق الذي خُطَّ لك ، غير عابئة بقلب يتألم ، وآمال تتحطم ، فقد اضفتُ بمجيئي اليك ، فؤاداً الى تلك الافئدة الكسيرة ، وقلباً الى تلك القلوب المنسحقة

انه حُلم لذيذ ، يستأثر اللب ، ويستهوي المشاعر . ولكنه وا اسفاه ! لم يخرج عن كونه حُلماً ، فقد بدأ قريباً وانتهى وشيكاً ، لان الآلام المُبرِّحة فتحت لي قبل الاوان ابوابَ القبر الذي يتطلع اليَّ ويدعوني ، فسلاماً يا يومي الاخير ، كُنْ لي أجملَ يوم اكتحلتْ به عيناي في رحلتي الارضية

لقد عشت ، لقد قطعت مفازة هذه الحياة، حيث تذبل دائماً تحت قدمي ، كل زهرة من أزاهير الهناءة ، حيث دائماً الامل يخدع الاماني ، مظهراً لي السعادة في أفق خافق مضطرب ، حيث انفاس الموت الحارّة تجفف تحت شفتي ، كل الينابيع العذبة الباردة

أرى غيري يذوب حسرة على ما ولّى من حياته، فيلتمس من الماضي عوداً ، باكياً على فجر ربيعه الآفل ، نادباً الأويقات التي اقتطعها الزمن من حياته ، كأن العيش بهجة وصفاء ، لا تعساً وشقاء . اما انا ، فلو ان القدَر بلغني مُنى النفس وامانيها ، وحباني بالثراء والسؤدد والجدو اعطاني كل مفاخر العالم، ومنحني الحكمة والجمال والصيت الخالد ، لاعرضت عن هذه المِنَح غير آسفٍ ، لاني لا أصبو الى العيش في دنيا زائلة فانية ، تذبل ذبول وردة عندلفح السموم ، دنيا كل ما فيها مشوّش مُبْهم ، فالذكرى الخالدة تبلى فيها ويعفو اثرها ويوم الهناء لا تبزغ فيه شمس ، ولا يعقبه غد

ايها اللهيب الذي يفترسني ، ايها الروح ، اي شيء انت ؟ هل ستحيا بعدي ، هل ستتألم اذا تركتك ؟ ايها الضعيف الخفي ، ماذا سيحل بكَ بعد هجري ؟ هل ستنضم الى مَشْعَل النهار وتندغم فيه ؟ اذ قد تكون شرارة ضئيلة من ناره ، او شعاعاً تائهاً يرتد اليه ويعود الى مصدره ، او عصارة نقية كوّنتها الارض ؟ او طيناً نُفِخَت فيه نسمة الحياة، او صلصالاً حيًّا مفكّراً . .ولكن ماذا أرى ؟ لِمَ ترتعد فرقاً ؟ أتخشى العدَم وأنت تَعِب من الآلام ؟ أتخاف الحياة ثم ترتعد من الموت ؟

ايها اللغز الخفيّ ، من يحلّك ويفسّر أحاجيك ؟ عبثاً أصغي الى اصوات حكماء العالم فالشكّ قد تطرّق ايضاً الى هذه العقول الجبّارة ، اذ لم تخرج عن كونها مجبولة من صلصال كغيرها، فمنذ الفيْ سنة ونيّف أفنى سقراط عمره باحثاً منقباً، واحتذى افلاطون حذوَه ، ولكن دون جدْوَى ، وها أنذا اليوم ، أسعى وابحث ، ومع ذلك لن افوز بضالّتي ، وستمضي الوف السنين، وبنو آدم يتخبطون في الظلام الذي نحن فيه، والحقيقة الشاردة بمنجاة من قبضة ايدينا، والله وحده يجمع كل اشعتها المتفرّقة

والآن وقد اوشكتُ ان أغمضَ عيني عن نور هذه الحياة، فلا اجد اقل أمَل يؤاسيني في ساعتي الاخيرة ، فستسير رُوحي دون دليل ولا ضياء ، من ليل هذه الحياة الداجي ، الى ليل القبر الحالك ، حاملة الى العالم المجهول ، فضائلي دون امل . وآلامي دون ثواب

أجِبْني ايها القضاء الظالم المشؤوم ، اذا كان ثمّ شيء يسمى قضاء ، اذ لي الحق المشؤوم ان ألعنَ شرائعك ، فبعد كدّ النهار وتعبه ، يحق للاجير ان يأوي الى ظلال الراحة والهدوء ويتناول كراءه لكني بعد ما أنوء تحت حِمْل القدَر ، لا يكون

[illegible] مستغنية للحياة والاحياء، سوى الموت

ولكن بيا في يتنفس نتن الفك والتجديف ، وعيناي تنظران الى قبري وتبكيان على نفسي ، استيقظ في الايمان كأنه ذكرى لطيفة ، وألقى شعاعاً من الامل على مستقبلي الكالح ، فانعشني تحت ظل الموت ، وألهب قواي ، واعاد الى ايامي العتيقة ، شباب النفس وريعانها ، فصعدت تحت ضوء هذا الشعل المقدس ، من مغرب حياتي الى صباحها الضاحك ، وتجلى امامي حظ الانسانية جمعاء ، وتبدى لناظري نظام الكون البديع ، وتسلسل اشيائه المنسجم ، وقرأت في صفحة المستقبل صواب الحاضر ، فأغلق الامل ورائي ابواب العدم ، فاتحاً الافق لروحي النشوى ، ومفسراً بالموت لغز الحياة

وهذا الايمان الذكي ينتظرني على حافة القبر ، .. وافرحتاه ! لقد تذكرته : فقد حام فوق مهدي ، وهو الإرث الخالد لارض المعاد ، يتركه الآباء للابناء من جيل الى جيل ، ويتقبله عقلنا منذ يقظته الاولى ، عطية إلهية ، كما يتقبل الحياة ونور الشمس ، فهو اللبن المغذي للروح ، ينسكب من فم الأم فيملأ جوانحنا ثقة ، وقلوبنا املاً ، يتغلغل الى الانسان في فصله الغض ، فيشع نبراسه في الفؤاد قبل ان يتفتق الذهن ويعي العقل ، والطفل في مهده لا يكاد يتلفظ بمخارج الكلام حتى يتمم قانونه السامي ، فينمو في قلبه تحت رعاية الام الحنون ، جنباً الى جنب مع الفضيلة ، ولا يشعر به حتى تتأصل جذوره فيورق ويثمر

حبذا لو جعلت الحقيقة لهذه الارض ، فقد عرضت على انظارنا منذ طفولتنا ، وتسلسلت الى نفوسنا من كل جهة عن طريق الحواس ، كما يتسلل الشعاع الطاهر من اللهيب السماوي ، فقد احاطت بنفوسنا منذ إنبثاق فجرها ، وانحدرت الى قلوبنا من مداركنا ، فانضمت الى تذكاراتنا ، وذابت في اخلاقنا ، كحبة مخصبة يدثرها الشتاء ، فتنبت في افئدتنا طويلاً قبل ان تظهر ، حتى اذا جاوز الانسان صيفه المملوء اعصاراً ، برزت اغصانها وتفتحت اكمامها ، وأينعت ثمارها الإلهية للخلود

ايتها الشمس السرية ، مصباح العالم الآخر أعيري عيني المطفأتين نورك الرمزي ، إنبعث من احضان العلي ايها الشعاع المعزي ، أشرق في قلبي ايها الكوكب المحيي .. لهف نفسي ! ليس لي غيرك في ساعاتي العصيبة ، فهذا العقل الانساني سراج ضئيل يخبو كالحياة على اعتاب القبر ، فتعال لتحل محله ايها النور السماوي ، تعال لتفيض على جفوني يوماً لا سحاب فيه ، أعضني من الشمس التي لن اراها فيما بعد ، وأنر الأفق كما ينير كوكب المساء ، لأحظى بحياة سرمدية خالدة ، رهنها آجال وهنيهتها اجيال

[نقلها جورج نيقولاوس]

عواصف

وليم هنري دايفز

في عقلي عواصف ، تثور ساعات متواصلة
فتظل افكاري، حتى تمطرني العواصف بالكلمات
ازهاراً ذابلة او طيوراً واجمة حردة
فاعصفي يا عواصف وانشري ظلالك القاتمة
لانك اذا امطرتني بالكلمات ، تصبح افكاري
ازهاراً رواقص وطيوراً غردة مرحة

المرآة والبركة

وله ايضا

اذا نظرت في المرآة ، انحصر همي في نفسي
اما اذا نظرت الى البركة فلأجل ما فيها من العجائب
اذا نظرت الى المرآة رأيت رجلاً احمق
ولكنني ارى حكيماً اذ أنظر الى البركة

النار والجمد

روبرت فرست

يقول بعضهم ان العالم سوف ينتهي بالنار
ويقول البعض الآخر ، بالجمد
اما فيما عرفته من الشهوة
فأنا من مذهب القائلين بالنار
ولكن اذا فني العالم مرتين
فانني اعرف في البغضاء ما يكفي
للقول بان الجمد كافٍ لتدمير الارض

الدين

جيني رتنهوس

دَيْني لك ايتها الحبيبة دين لا استطيع
ان اوفيَه بنقد اية مملكة في يوم الحساب
فمن ذا الذي يستطيع ان يقدر دَيْنك
لمن يجعلك تحلم حين الاحلام كلها ذاوية
او يدفعك الى الانشاد اذ الاناشيد جميعها صامتة ؟

المصطلحات العلمية

والفاظها العربية

للامير مصطفى الشهابي

كلما تناول احدنا معجماً علميًّا باحدى اللغات الاوربية الكبيرة وأخذ يقلب صفحاته التي لا تحصى يهوله ما تحويه تلك الصفحات في طياتها من آلاف الالفاظ في العلوم والمخترعات الحديثة ويروعه ان تكون لغتنا العربية خلواً منها او من معظمها ويشوقه ان يظل الناطقون بالضاد صادفين عن الاخذ بيد هذه اللغة المباركة لاهين عن جعلها تتسع لعلوم هذه الايام كما اتسعت لعلوم الاقدمين في السنين الخوالي . واذا ما تحدثت في هذا الامر مع الذين درسوا العلوم الحديثة بلغة اجنبية اجابك جمهورهم بانهم يأسون من صلاح لغتنا للاغراض العلمية في عصر الناس هذا فهي اذن على ما يرون مقضيٌّ عليها إن عاجلاً وان آجلاً . لكنك اذا استقصيت بواعث هذا الاعتقاد القائم فيهم رأيتها تنحصر في شيئين الاول جهلهم اسرار اللغة العربية ومكامن الحياة فيها والثاني قلة ثقتهم بكفاءة من جعلوا انفسهم او جعلتهم السياسة قوّامين على هذه اللغة افراداً كانوا او جماعات او حكومات

فالجهل بوسائل النمو في اللغة العربية لا يستلزم فقد هذه الوسائل لانها موجودة يعرفها كل من جدَّ في طلبها وهي كامنة في اللغة لكنها تحتاج الى من يثيرها من مرقدها ويبعث فيها الروح فتعود الى الحركة وتعود العربية معها الى الحياة . ويتضح من ذلك ان السر في جمود لساننا ليس منبعثاً عن قصور هذا اللسان بل عن تقصير ابنائه وعن اهمال الحكومات التي تتكلم به . وقبل اثبات هذا الاهمال وذاك التقصير لا بد لنا من ذكر اهم حاجات لغة الضاد وذكر الذين يمكنهم ان يضمنوا لها تلك الحاجات . فما تحتاج اليه العربية قبل غيره اصبح شيئاً معروفاً لكثرة لوك الالسنة لهُ ووفرة سيلان الاقلام بهِ على القراطيس . وخلاصته ايجاد الفاظ عربية او معربة لابحاث العلوم العصرية والمخترعات والمصنوعات والادوات الحديثة وهي آلاف مؤلفة من الالفاظ . ولا بدَّ لمن يتصدَّون لوضع هذه الالفاظ من ان يجمعوا بين امور ثلاثة وهي اولاً الاختصاص بعلم او بفن وممارسته نظريًّا وعمليًّا ثانياً التغلغل في اسرار اللغة العربية ولا سيما فيما يتعلق بذلك العلم او ذلك الفن ، ثالثاً اتقان لغة واحدة على الاقل من لغات اوربا الغنية بالعلوم والفنون . ولقد قلت في الجزء الثامن من مجلة المجمع العلمي العربي انه اذا فقد شرط واحد من هذه الشروط الثلاثة فقدت منه معظم الفوائد التي [illegible] ويتوقف اصلاح لغة الضاد والعمل في احيائها باعادة الالفاظ الاوربية [illegible]

مملكة المرأة

الشقاء في الزواج

بسائط الفسيولوجيا : بناء الجسم وتغذيته

المرأة بين الغيرة والحب

عقل الطفل في تطوره

لاحمد عطية الله

ضغط الدم والصحة

بحث صحي مفيد

الشقاء في الزواج

اسبابهُ وتلافيها

انشئت في مدينة نيويورك جمعية ، جعلت غرضها البحث في شؤون الزواج في الولايات المتحدة ميركية ، وتقصي خفاياها وتبويب ما تجمعهُ من الحقائق المتصلة بها ، واسداء النصيحة والمشورة زواج الذين لا قبل لهم باستخدام محام يدافع عنهم او يهديهم سواء السبيل في المسائل القانونية. قد كتب احد مديري هذه الجمعية مقالاً لخّص فيهِ ، ما عرفه عن بواعث الشقاء بين المتزوجين استخلصها من حوادث الطلاق التي أخذ رأيهُ فيها

وعنده ان اهم اسباب الشقاء في الزواج تسعة وهي كما يلي : — تنافر الذوقين . تدخل الاقارب شؤون الزوجين . الغيرة ويتلوها الاخلال بالشرف الزوجي . الاسراف والتقتير . وقلة ترتيب زوجة . وفقد الشعور بالتبعة من احد الجانبين . والاختلاف في المعتقد الديني ... قال الكاتب

جاء مكتب شركتنا في احد الايام فتاة بهية الطلعة ، رشيقة حسنة الهندام ، وبعد تردد وتلعثم ردت لي حكايتها وطلبت مني ان اخبرها هل في امكانها الحصول على تصريح قانوني بالطلاق فسألتها لكن لماذا تريدين ان تطلقي زوجك ؟ ألا يقوم بنفقاتك ؟

فقالت بل يقوم بنفقاتي ، ولكننا لا نستطيع ان نتفق في امر من الامور . فهو لا يفهمني يحسبني من المتظاهرين بالعلم لاني احب المطالعة والقراءة، وانا أراه كثير التردد على الملاهي ولذلك قلَّما نجتمع معاً . واذا اجتمعنا فلا نستطيع ان نتحدث لان ما يلذُّ لي لا يلذُّ لهُ وما يلذُّ لهُ لا يلذُّ لي . وعلمت بعد ذلك ان زوجها دخلاً سنويًّا كبيراً فكان يعطيها منهُ ما يكفي نفقاتها ولا يعاملها معاملة فظة في حال من الاحوال وكان لهما ابن كان واسطة الاتصال بينهما الى زمن لكن حتى محبته تقوَ على ما بينهما من نفور فجاءت امه تطلب الطلاق

ان خير الوسائل لاجتناب الشقاء في الزواج ان يتأكد الزوجان انهما متلائمان في ذوقيهما وان هناك جامعة تجمع بينهما ويجب ان يعرفا ان الفرق كبير بين مقابلة الناس بعضهم لبعض في المجتمعات الاندية والحفلات وبين المعيشة البيتية الدائمة حيث يكشف عن حقيقة الاخلاق التي قد تسترها تقاليد الاجتماع وآداب السلوك

***

واذا كانت للمرأة عقيدة دينية تختلف عن عقيدة الرجل فالراجح انهما يختلفان يوماً ما وتتسع شقة الخلف بينهما اذا لم يتسع صدر احدهما ويحلّ التساهل فيهِ محل التعصب . فالغاية من الدين اسعاد

الناس ولكني عرفت اناساً بلغ منهم التعصب لعقائدهم مبلغاً استطلعوا معه هدم العائلة واشقاء اعضائها . وقد اتصلت بي قصة جرت حديثاً تبين العاقبة الوبيلة التي تنجم عن التعصب وتدخل الاقارب في شؤون الزوجين وذلك ان فتاة اسكتلندية تزوجت رجلا من مذهب ديني غير مذهبها فضت عليهما بضع سنوات وملاك السعادة يرفرف فوقهما وولد لهما ابنتان . لكن والدي الزوج كا شديدي التعصب لمذهبهما وساءهما جداً ان يتزوج ابنهما فتاة من غير مذهبهما وما زالا ينقران عل هذا الوتر امامه حتى استمالاه قليلاً عنها ثم جعلا يهزآن بها لانها لا تصلي كما يصليان وجريا على المقا امامها ، بينها وبين كنائهما الاخريات وبالطبع كانا يفضلان اولئك عليها وكان زوجها ضعيف الارادة فلم يحام عنها كما كان يجب عليه واخيراً تخاصمت عائلتها مع عائلة زوجها فاتسعت شقة الخلف بين الزوجين وتلا ذلك انفصالهما فاخذت الزوجة ابنتيها وجعلت تشتغل لكي تعولهما

***

اما الغيرة فمن اصعب ما يلاقيه الزوجان وهي لا تدخل بيتاً الاَّ هدمتهُ لانهُ من اعسر الامو ان تتكلم كلاماً معقولاً مع من اوغرت صدره الغيرة وزد على ذلك فقد تدفع الغيرة الرجل او المر الى اعمال لا يتصورها العقل السليم

من ذلك اني كنت اعرف فتاتين من بيتين مشهورين كلفتا بحب شاب فخطب احداهما .وفي اليو السابق ليوم العرس جاءت صديقات العروس الى بيتها يزرنها ويرين جهازها وكانت بينهن الفتاة مزاحم على خطيبها فجلسن يتحدثن ، ثم انصرفنا وبقيت هذه الفتاة مع الخطيبة واذا بالخادم يدعو الخطي من الغرفة فغابت عنها نحو ثلث ساعة ولما عادت اليها وجدت صديقتها قد مزقت كثيراً من اجم اثوابها واغلاها وفي جملتها ثوب حفلة الاكليل غيرة منها . وقد بلغتني حادثة اخرى تدل تأثير الغيرة وذلك ان امرأة كان لها زوج مصور كانت تقلقهُ بما يبدو عليها من مظاهر الغيرة لا يصور فتيات ونساء بارعات الجمال وبلغت الغيرة منها انها ذهبت الى مكتبه فرأت فيهِ صورة بدي لفتاة جميلة فأخذت دبوس قبعتها وجعلت تثقبها انتقاماً منها

وليس النساء وحدهنَّ اللواتي يقعن فريسة الغيرة بل الرجال مثلهن معرضون لذلك . ومن اسبا الشقاء في الزواج اختلاف العمر لان ذلك ينشأ عنه اختلاف في الاذواق والاميال . فمتى تزوج ر طاعن في السن بفتاة لا تزال في ميعة الصبا فقل ان الشقاء على الغالب سائر في اثرها ولكن قلما ج شاب تزوج من امرأة كبيرة السن يشكو منها وذلك لانه في الغالب يكون قد تزوجها لانها غنية فية كلُّ ما يقسم لهُ في سبيل ذلك

***

ولا شك في ان الاسراف من جانب الزوج او من جانب الزوجة اكبر اسباب الشقاء في العائل بيلاني شاب في احد الايام وقال « امرأتي تنفق اكثر مما اكسب وفي كل يوم يزداد الدين علي

بذل والمساعدة وبحثنا عن نفقات امرأته فوجدنا ان لها معارف على جانب وافر من الثروة وانها
ت تحمل ان تقتصد في أثوابها ما زالت في دائرتهم الاجتماعية . فجمعنا بين الرجل وامرأته في مكتبنا
تعمل في امثال هذه الحوادث وبحثنا في الموضوع بصراحة تامة فقال الشاب لامرأته « انت تعلمين
ك تنفقين فوق طاقتي وان عندك من الاثواب ما يزيد على حاجتك ولكنك تمضين في شراء اثواب
جديدة» فأنبها ضميرها وشعرت انها اذا استمرت على تلك الحال خسرت زوجاً فاضلاً فقبلت كلامه
سعة صدر وعادا الى بيتهما بعد ان عزمت ان تقتصد طاقتها

كذلك البخل والتقتير كالاسراف من اكبر اسباب الشقاء في العائلات . حدثتنا امرأة مسكينة
ها سبعة اولاد ان لها زوجاً يتناول راتباً اسبوعياً قدره ٣٠ ريالاً ويلزمها الاّ تنفق اكثر من ريال
واحد في اليوم على اعالة العائلة . وكان يعيرها اذناً صمّاء حينما كانت تجتهد ان تقنعه بان ريالاً لا يكفي
ن الخبز لثمانية أنفار . فجمعنا بين الرجل وامرأته في مكتبنا واجتهدنا ان نقنعه بانهُ مخطىء في عمله فقال
«ان النساء يطلبن نقوداً اكثر مما يلزم لهن . وقد عزمت عزماً قاطعاً ان لا أزيد قرشاً واحداً
على ما اعطيها اياه فلا تراجعوني في ذلك» . لكننا رفعنا عليه قضية وحكمت عليه المحكمة بدفع معظم
راتبه الاسبوعي الى امرأته لكي تعول تلك العائلة الكبيرة

***

لا شك ان الزواج من اعظم الامور شأناً في الحياة والذي يقدم عليه يجب ان يعرف ما يلقى
عليه من تبعة في القيام بواجباته . مع هذا لا يندر ان ترى من ينظر اليه نظره الى وسيلة لهو
و تسلية . عرفت امرأة قبل زواجها من أبهى الفتيات طلعة كثيرة الطلاب . ولكن ما لبثت
بعد زواجها ان اخذ زوجها في طريق الكسل والخمول فعجز دخله عن القيام بنفقاتها وكانت ولدت
بناً فاضطرت امها ان تساعدها اولاً . لكن زوجها لم يهتم بها وبابنه على الاطلاق وفسدت اخلاقه
من معاشرة الفاسدين . وفي احد الايام ترك بلده وسافر الى بلد آخر . ثم جاءت منه رسائل بانهُ بدأ
عملاً هناك ولكنه لم يرسل نقوداً لامرأته ثم انقطعت اخباره فجعلت المرأة تشتغل لتعول ابنها
وتكسوه وتعلمه ولا تزال تشتغل الى الآن. كل شاب كهذا يقدم على الزواج قبل ان يدرك ما فيه من
التبعة والشأن الخطير يشقي امرأته وأولاده شقاءً مرّاً

ويجب على كل امرأة ان تكون لبقة مرتبة في لبسها وفي بيتها لأن الرجل الذي يعمل طوال
النهار يتوق ان يعود الى بيته في المساء فيراه نظيفاً مرتباً فيهِ وسائل الراحة فيلذ له البقاء فيه . واذا
كانت المرأة عكس ذلك كره البقاء في البيت فيتولد النفور بينهما

قال الكاتب ولا اريد القارىء ان يفهم مما رويته ان الزواج كله شقاء بشقاء انما الغاية منهُ تقديم
عبرة من إختبار الناس بأمثال واضحة . واذا كانت امثال هذه الحوادث تعد بالالوف فالعائلات
السعيدة تعد بالملايين

بناء الجسم وتغذيته

يحسُّ كل انسان انهُ يعرف الفرق بين الحيّ وغير الحيّ او الجماد . ولا ريب في اننا لا نلق صعوبة ما في التفريق بين الكلاب والحجارة . او بين الطيور والورق الذي نكتب عليهِ من هذه الناحية . ولكن كيف نستطيع ان نعلم ان حبة الفول الجافة : حية او غير حية ؟ قد نعرف ذلك اذ زرعناها فاذا انتشت عرفنا انها كانت حية ، ولكننا لانستطيع ان نفصل في ذلك من مجرد النظر فيه

وفي الغالب نعتمد على تحليل الكيماوي لان الكيماويين ما برحوا يحاولون من اقدم الازمة ، ان يحلّوا المواد الى عناصرها الاولى . وقد وجدوا انها اثنان وتسعون عنصراً وان بعضها نادر جدًّا . اما العناصر التي تدخل في تركيب الاشياء المألوفة ، فقد لا تزيد على عشرين عنصراً

فالسكر الذي نذيبهُ في الشاي ، والكحول الذي نشربهُ في الوسكي ، والغليسيرين الذي نطرّي بهِ اليدين والنشا الذي نطبخهُ في النشوية (البالوظة) والدهن الذي نقلو بهِ البيض ، كل هذه مركب من ثلاثة عناصر ، هي الكربون والايدروجين والاكسجين . اما البنزين وما اليهِ فمركب من الكربون والايدروجين . وهذه المواد، مركبة من اجزاء مختلفة من عناصر واحدة . أما من حيث العناصر التي تدخل في تركيب الاجسام فلست تجد فرقاً بين الحيّ والجماد او غير الحيّ . فجانب من العصارة المعدية الهاضمة حامض ايدروكلوريك . وهذا الحامض فيها هو مثل الحامض الذي يصنع في المعامل من حيث تركيبهُ . وفي الدم حديد يحمرُّ او يصبح قرمزيًّا اذ يتحد بالاكسجين . وكذلك الحديد في الطبيعة يحمرُّ اذ يتحد بالاكسجين ، وهو الصدأ . والملح الذي يفرز في الدموع والعرق المتصبب من الجسم ، هو مثل الملح الذي نذرُّه على الطعام .

***

والمادة الحيّة ، مركبة من طائفة يسيرة من العناصر التي كشفها العلم وأهمها ، الكربون والايدروجين والاكسجين والنتروجين والكلسيوم والفصفور والكبريت والصوديوم والكلور والفلور والبوتاسيوم والحديد . وفي الجدول التالي نسبة ما في الجسم من كل عنصر منها

	النسبة
الاكسجين	٧٢ في المائة
الكربون	١٣ر٢ »

من كل عنصر منها		النسبة
الايدروجين	١ر٩	في المائة
النتروجين	٥ر٢	«
الكلسيوم	٢٥ر٠	«
الفصفور	١٥ر٠	«
الكبريت	٠٢ر٠	«
الصوديوم	٣٠ر٠	«
الكلور	٠٨ر٠	«
الفلور	٠٨ر٠	«
البوتاسيوم	٠٢٦ر٠	«
الحديد	٠١ر٠	«

أما المغنسيوم والسليكون والنحاس والرصاص والالومنيوم فمقاديرها اقل من ذلك كثيراً

***

وهذه هي نفس العناصر التي نجدها عند حل الهواء والماء والصخور وما شاكل . فالجسم الحي يبني من نفس العناصر التي تركب منها الجوامد . ولكن لا بدّ من فرق بين الفريقين ، فما هو ؟

المركبات الرئيسية فى الجسم

اذا حلّت المواد ، التي تبنى منها عمارة فخمة ، وجدنا عناصرها نفس العناصر التي في الجسم الحي. ولكننا اذا تكلمنا عن بناء عمارة ، لا نذكر العناصر ، بل المواد التي تركب من تلك العناصر كالحجارة والاخشاب ، وغيرها . كذلك اذا تكلمنا عن بناء الجسم ، فقلما نشير الى العناصر نفسها بل الى المواد او المركبات المبنية من تلك العناصر . وهذه المركبات الرئيسية اربعة هي الزلاليات (بروتينات) والنشويات (كربوهيدرات) والادهان والحيويات (ڤيتامينات) وعلاوة على ذلك لا بدّ من الماء والملح

الزلاليات مركّبة من الكربون والاكسجين والايدروجين والنتروجين ، ويدخلها في الغالب مقادير يسيرة من الكبريت والفصفور ولا تخلو منها اجسام النباتات والحيوانات . ف... عدسة عين الانسان منها ٣٨٫٣ في المائة وزناً ، و١٦ في المائة من العضلات و١٢ في المائة من الكبد و٩ في المائة من الدم . وليست هذه المقادير باليسيرة كما يبدو لاول وهلة ، لان الجانب الاكبر من جسم الانسان ماء . فاذا اخذت جسم الانسان جملة واحدة ، كان الماء فيه ٦٧ في المائة

الزلاليات وبناء النسيج

لا بدّ للجسم من المواد الزلالية . فاما ان يبنيها بنفسهِ او ان يستمدّها من الاطعمة التي يتغذّى بها . والمعروف ان الاول ، اي بناءها بنفسهِ متعذّر عليهِ ، واذن فلا بدّ منها في غذائنا . وعليهِ لا بدّ ان نتناول في طعامنا مقداراً كافياً من الزلاليات والاَّ متنا جوعاً بلغ ما بلغ مقدار ما نتناولهُ من الاصناف الاخرى . والجسم يحتاج الى الزلاليات في القيام بعملهِ ، وبوجهٍ خاص العضلات والدم . فالعضلات والدم تفقد في قيامهما بافعال الحياة ، جانباً كبيراً من المواد التي تتركب منها . فاذا لم نعوّضها ما تفقدهُ ضعفت وخارت . فالطعام المحتوي على المواد الزلالية ، لامندوحة عنهُ للجسم الحيّ

وقد نحصل على هذه المواد في اشكال مختلفة ، من الاغذية النباتية والحيوانية . فهي في اللحم تدعى (ميوسين) وفي البيض (البومين : زلال البيض) وفي اللبن الحليب (كاسيين) وفي الحنطة (غلوتين) وفي الفول والعدس وما اشبه (لغيومين) ومع ان هذه المواد مختلفة الاسماء باختلاف مصادرها ، الاَّ انها متشابهة في تجهيزها الجسم بما يحتاج اليهِ من الزلاليات لبناء النسج وتعويضها ما تفقدهُ منها . وقد يُظَنُّ ان « الزلاليات » المستمدة من مصادر حيوانية اشبه بزلاليات الجسم التي تحلُّ محلها ، من زلاليات المصادر النباتية . وهذا صحيح الى حدّ بعيد

المرأة بين الغيرة والحب

وقف الرجل والمرأة في تاريخ الماضي وحوادث الحاضر والحكايات والروايات مواقف لا يتمنى احد لعدوٍ فضلاً عن صديق -- وقفا بين عاملين قويين تنازعاهما وتجاذباهما كقطعة حديد بين مغنطيسين متساويين في القوة لا يقوى احدهما على جذبها اليهِ الاَّ اذا قلَّت قوة الآخر او صارت اقرب اليهِ منها الى الآخر

ففي تاريخ الماضي وقف بطرس الاكبر بين عاطفتين شديدتين حبّ بلادهِ وحبّ ولي عهده فقدم الاول على الثاني لما رأى ان حبّ ولي عهده على ما كان بهِ من السفه والطيش والعناد يجرُّ على البلاد الخراب والدمار فامر بقتله برّاً بوطنهِ

وفي تاريخ الحاضر ذكروا ان امرأة يابانية كانت متزوجة بروسيّ فلما نشبت الحرب بين الروس واليابانيين باتت كمن بين نارين فاما حب الوطن واما حب الزوج فقدمت الاول قاتلة الزوج والاولاد فداء البلاد وهجرت بيتها برّاً بشعبها

وفي الحكايات ان ملكاً حُكم على ولي عهدهِ بقلع عينيه فاما ان يعفو عن ابنهِ فيسخط الشعب

بين الرحمة او ان ينفذ الحكم فيه فيرضي العدل ويسخط الرحمة ويحرم ابنهُ لذة بصره فاختار
ان ولكنهُ فقأ عيناً من عيني ابنهِ وعيناً من عينيهِ فوقف بين العدل والرحمة بما يرضيها كليهما
وفي الرواية المعروفة باسم « غرام وانتقام » وقف بطل الرواية بين حب معشوقتهِ والانتقام
من ابيها قاتل ابيهِ فاختار الثاني دون الاول ولم يمنعهُ هوى حبيبتهِ عن الاخذ بالثار ازالة للعار

***

ومن اجمل ما ذكر من امثال هذه النوادر ما ورد في بعض المجلات من ان فتاة اوقفت موقفاً
حرجاً بين حب حبيبها وبين الغيرة عليهِ من بنات جنسها . ومتى عرفت ان الغيرة اظهر صفات المرأة
واقوى العواطف المتسلطة عليها ادركت حرج موقفها وشدة حيرتها . وتحرير الخبر ان اميرة حبشية
احبت فتىً من رعايا ابيها فلما درى الملك بذلك استشاط غيظاً وحكم على محبوب ابنتهِ بان يقاد الى
مشهد لهُ بابان مقفلان داخل احدهما وحش كاسر وداخل الآخر فتاة جميلة . ثم امره بان يفتح الباب
الذي يختاره فاذا كان وراءه الوحش مزقهُ ارباً اوكان وراءه الفتاة زوجهُ اياها حالاً واطلق سبيله
وعفا عنهُ

فحار الفتى في امره وادار نظره في جمهور المشاهدين حوله فوقعت عينهُ على عين الاميرة حبيبته
وكانت هي وحدها تعلم ما في كلٍّ من الغرفتين فأشارت اليهِ ذات اليمين ففتح الباب الذي هناك وماذا لقي-

***

هذه هي الحكاية وقد طلبت المجلة من قرائها ان يكتبوا اليها آراءهم في المسألة — هل دلت الحبيبة
على الباب الذي كان الوحش وراءه فلقي حتفهُ او دلتهُ على الباب الذي كانت الفتاة الجميلة وراءه
فتزوج بها . وبعبارة اخرى هل تغلب حب الاميرة لحبيبها على غيرتها من الفتاة الجميلة التي اختاره
ابوها ليزوجهُ اياها فدلتهُ على الغرفة التي كانت الفتاة فيها فتزوجها . او تغلبت غيرتها على حبها فدلته
على الغرفة الاخرى حيث افترسهُ الوحش الضاري مفضلة موتهُ على تزوجهِ بفتاة اخرى غيرها

***

فلبى الكتّاب دعوتها رجالاً ونساء وتباروا في هذا الميدان فانقسموا فريقين فمن ذاهب الى ان
الاميرة دلت حبيبها على باب نجاتهِ ومن ذاهب الى انها دلتهُ على باب حتفهِ . واكثر الكاتبات من
الاول وحجتهن في ذلك انهُ وان تكن الاميرة حبشية وليست على درجة سامية من التمدن والحضارة
فانهُ لا يهون عليها ان ترى حبيبها يمزق ارباً امام عينيها . وهاك بعض ما قيل دفاعاً عن المذهب
الاول . قالت احدى السيدات : —

في رأيي ان الاميرة دلّت حبيبها على الباب الذي خرجت الفتاة منهُ لانها اذا كانت مخلصة في
حبها لهُ ضحت بكل شيء لتفتديهُ وتنقذه

وقالت اخرى انهُ وان كان اقتران حبيب الاميرة بغيرها مما يهيج كوامن غيرتها الى حد الجنون

الأ أنها لا بدّ ان تكون قد قالت في نفسها ما دمت على قيد الحياة ففسحة الامل واسعة امامي . ولا يبعد ان تفعل كلّ ما في وسعها بعد ذلك للفصل بين حبيبها ومناظرتها اما بإبعادها الى خارج البلاد او بواسطة اخرى

***

وقال كاتب ارى ان الاميرة عقدت نيتها على انقاذ حبيبها فلا تفقده بوقوعهِ بين براثن الوحش المفترس وان كان انقاذها لهُ يعد خسارة لها من جهة اخرى باقترانهِ بفتاة غيرها . والسبب في عقدها النية على انقاذهِ علمها انهُ وان تزوج غيرها لم يفتإِ العمر عن ان يحلها المحل الاول من قلبهِ وهــذا مما يعزيها لانهُ ما من شيء تطمح المرأة اليهِ في هذا العالم الفاني اعظم من ان يكون لهــا المقام الاول في قلب رجل قوي الارادة كريم الاخلاق . وهي لا تخشى ان تفقد مكانتها عنده علماً منها بميل الرجل ميلاً فطريًّـا الى الارتقاء في المناصب . ثم انها تؤمل ان تموت زوجتهُ فتتزوج بعد موت ابيها وهذا الامل يوسع مجال العيش في عينها ويمكنها من احتمال المحنة بالصبر والسكينة

وقال آخر ان الغيرة قد تكون اشدّ من الحب ثورة ولكن الحب يتغلب عليها اخيراً فلو كانت الفتاة قد اجتذبت حبيب الاميرة اليها بمحاسنها وفتنتهُ عنها بدهائها وحيلها لتغلبت الغيرة على الحب وهو لم يسيء اليها وانما اساءَ اليها ابوها بالحكم الذي حكم بهِ على الشاب

***

وهاك بعض ما قيل دفاعاً عن المذهب الثاني . قالت احدى السيدات

لا ريب عندي ان الاميرة دلّت الشاب على باب الهلاك لانها حبشية نزقة الطبع ثائرة الا لا تطيق ان ترى ضرة لها شأن الاميرات غير المتمدنات ولو كانت متمدنة لكان الامر على خلاف ذا

وقال كاتب لقد علمت باختبار احوال الناس وسبر قلوبهم وخصوصاً قلوب النساء ان الحب والغيرة اسمان لمسمًّى واحد . وكثيرات من النساء يفضلن ان يرين احباءهن امواتاً على ان يتزوج غيرهنّ اذ لا بغض اشدّ من بغض المرأة للمرأة فلا غرابة اذا سلّمت الاميرة حبيبها الى الهلا عفواً واعتباطاً . وقال آخر ان غيرة المرأة اشدّ وطأة من حبّها

***

ومن الكتّاب من مزج المزح بالجد فقال ان الاميرة دعت مدير معرض الحيوانات ا وطلبت منهُ ان يضع في احدى الغرفتين نمراً كان حبيبها قد رباهُ وعلمهُ الصراع وصارعهُ مر في الميدان امام ابيها وغيرهِ من المشاهدين . فلما أُطلق عليهِ لم يمسّهُ بسوءٍ بل جعل يدور حـ متودداً اليهِ ثم انقلب على جنبهِ كأنهُ ميت . فلما رأى ابو الاميرة ذلك دهش فزوج الشاب ا باحتفال حافل .

واذا انعمنا النظر في مواهب علمائنا واستعرضناهم واحداً واحداً نجد هذا فقيهاً باللغة العربية
مليماً بصرفها ونحوها وبيانها وبديعها وعروضها لكنهُ يجهل حتى مبادىء العلوم الحديثة التي يتعلمها
صبيان في المدارس . وذاك قد درس العلوم واتقنها بلغات اجنبية لكنهُ لم يحفل بلغته ولم يصمد
لدارستها فظلت صلته بها متراخية . وثالث حصل على الشروط الثلاثة التي ذكرتها لكنهُ اغترَّ بنفسه
وحمَّلها فوق طاقتها فراح يؤلف الموسوعات او المعاجم العلمية ويضع الالفاظ جزافاً وفاتهُ ان عمر
الانسان اقصر من ان يحيط بعلم واحد من العلوم الحديثة وان العالم المحقق ربما افنى زهرة عمره في
الفاظ هذا العلم دون ان يستوفيها كلها . ولهذا لا بد لمن يجشّم نفسهُ وضع الالفاظ بالعربية من
ان يقتصر في عمله على الالفاظ المتعلقة بعلم اختص به واطلع على دقائقه . وقبل ان ابحث عن السبل
التي يجب ان نسلكها في وضع الالفاظ للمصطلحات العلمية يفيد ان اذكر كيف اهتدى الاوربيون
الى آلاف الكلمات التي اضافوها الى لغاتهم وما هي الطرق التي ساروا عليها للوصول الى هذا الهدف .
ولنتمثل باسماء النباتات لان في حديثها لذة ولانه جرت مراسلات فيها لا تخلو من فكاهة بيني وبين
مسيو غانيوبان احد علماء النبات الاختصاصيين في متحف المواليد الفرنسي في باريس وهو صاحب
معجم مخطوط في اشتقاق اسماء الاجناس النباتية وله رأي قويم في صدد هذه الاسماء

تسمية النبات

لنفرض ان عالماً نباتيًّا رحل الى مجاهل افريقيا او فيافي الجزيرة او سهول الصين الفسيحة يلتقط
الاعشاب ويتعرف اليها حتى اذا عثر على نبتة لا يعرفها راح يدرس تحليتها اي صفاتها النباتية فاذا
رآها مما لم يدرسه احد قبله فالنبتة اذاً جديدة لدى النباتيين وعليه اذن ان يضع لها اسماً جديداً .
واول اسم يتبادر الى ذهنه اسم نفسه تنويهاً بهِ وتخليداً له جزاء ما يلقاه ذلك العالم من النصب في
عمله الشاق . وهذا شيء مستملح لا غبار عليه البتة وليس بامكان احد ان يستقبح إيثار النفس على
الغير في مواضيع كهذه . لكن صاحبنا النباتي له اسم واحد فاذا اطلقه على العشبة الاولى التي كان
اول موجد لها فباذا يسمي النباتات الاخرى التي يعثر عليها وقد تكون كثيرة تعد بالعشرات. وهنا
يجول في خلده تسمية النبات باسم الاقليم او الكورة التي وجده فيها . ولكن اسماء الكُوَر في
الشرق الاقصى او لدى زنوج افريقيا كثيراً ما تكون ثقيلة على السمع لتنافر مخارج حروفها او
لغير ذلك من الاسباب فيعنّ على باله اطلاق اسم احد العلماء على ذلك النبات فيستعرض اسماءهم
فيرى ان كلاً منهم قد نسب اليه نبات من النباتات من قبل احد النباتيين الذين تقدموه ، ولهذا
[illegible] صاحبنا يائساً من ايجاد اسم لنبتته في هذه الناحية ايضاً فيتجه الى نواحٍ اخرى أهمها درس
[illegible] المذكورة في اوراقها او ازهارها او غير ذلك من اعضائها حتى اذا وجد في احدها
[illegible] او الاتينية [illegible] على تلك الصفة ، وهكذا [illegible]
[illegible]

عقل الطفل في تطوره

بقلم احمد عطية الله

— ٢ —

﴿ معنى الطفولة ﴾ يطلق لفظ الطفولة على الدور الذي يتراوح بين العام الثالث والثاني عشر من حياة الانسان. ولكن ليس هذا التحديد قاطعاً . لانهُ مبني على وجهة نظر خاصة ، واذا نظرنا اليهِ من ناحية اخرى اختلف مدى هذا التحديد . لهذا نرى البعض يجعل الولادة هي بدء عهد الطفولة . فالطفولة تبدأ من العام الاول وليس من العام الثالث في رأي بعضهم

والاختلاف اكثر وضوحاً في الحد الاخير . فالبعض يمد عهد الطفولة الى دور المراهقة او البلوغ وهذا يكون عادة في الرابعة عشرة . كما ان من الباحثين من يمد هذا الدور الى ما بعد السنوات الاربع التي تلي ذلك بما لها من علاقة نفسية وجسمية بعهد المراهقة

وتحديد دور الطفولة او مراحل حياة الانسان ، عملية اصطناعية مبنية على غير اساس طبيعي . لان حياة الانسان وحدة لا تنقسم الى اجزاء او ادوار مستقلة مفككة ، لكل منها مميزاتها وطبائعها ولكن هذه المميزات مختلطة متداخلة لا يمكن تحديد ابتداء ظهورها او انتهائها

فتحديد دور الطفولة قد يبنيه البعض على المميزات الجسمية التي تميز بها هذه الفترة من حياة الانسان ، كنمو بعض اجزاء الجسم (الاسنان مثلاً) او عدم ظهور البعض الآخر (شعر العارضين) وقد نبني هذا التحديد على اساس المميزات النفسية التي تشكل سلوك الانسان في هذه الفترة ، وهذا الاساس له شأن خاص في دراسة سيكولوجية الاطفال

ومن ناحية اخرى قد نجعل نهاية دور الطفولة ، استقلال الانسان بنفسه في الحياة ، استقلالاً اقتصاديًّا . ولكن هذا بطبيعته يختلف باختلاف بيئة كل طفل ونوع الحياة الاجتماعية التي يعيشها هذا من ناحية اقتصادية . اما من الناحية الاجتماعية ، فرجال الاجتماع والقانون يجعلون اساس هذا التحديد قدرة الطفل على حمل المسئولية الاجتماعية ، كالمحافظة على القوانين او الانخراط في سلك الجندية

﴿ مميزات الطفولة النفسية ﴾ ومع وجود مثل هذه الاختلافات في تحديد نهاية دور الطفولة ، الا ان هنالك من المميزات الجسمية والنفسية ما يجعل الرجل العادي يفرق بين سلوك الطفل وسلوك البالغ . ومعرفة هذه المميزات العامة ، والمميزات التي تنفرد بها كل سنة من سني الطفولة لازمة لمن يعامل الاطفال ، ابًا كان ام معلماً

سلوك الاطفال يتأثر تأثراً كبيراً باستعداداتهم الفطرية وأهمها الغرائز . فالطفل لا يستقر هنيهة في مكان لأنه منساق الى ذلك بطبيعته للحركة ، والطفل اميل الناس الى الاستطلاع للاشياء المجهولة لتأثره بغريزة حب الاستطلاع . فالفرق بين سلوك الطفل والرجل ان هذا الاخير متأثر بتجاربه وبتفكيره ، وبالتقاليد الاجتماعية التي نشأ في وسطها ، فبذلك تهذبت لديه هذه الاستعدادات الفطرية التي نراها واضحة في الطفل

واستعدادات الطفل العقلية بوجه عام قاصرة محدودة . فانتباه الاطفال غير مستقرّ وملاحظتهُ للمؤثرات الخارجية غير دقيقة ، لذلك كان من الصعب على المعلم في الفصل ان يجذب انتباهه للدرس مدة طويلة . كما ان الادراك الحسي عند الاطفال قاصر ، وذلك لان الادراك يعتمد على تربية الحواس وهذه بطبيعتها تنمو بالمرانة

ومن مميزات الطفولة شدة الخيال ومرونته . حتى ان الخيال كثيراً ما يكون سبباً لكثير من الاستنتاجات الخاطئة التي يصل اليها بنفسه . او قد يجره الخيال الى ما نعتقد انهُ ذنوب واخطا كالكذب والاختلاق . لان تحت تأثير خياله المرن لا يفرق بين ما تسترجعهُ ذاكرته وبين ما يتخيل

﴿ تفكير الطفل ﴾ والتفكير عند الطفل غير منعدم ولكنه قاصر . لان الاستنتاج او الحكم على الاشياء يحتاج الى مادة متسعة من تجارب الشخص وهذه بطبيعتها ضيقة عند الطفل . والطفل ليست له القدرة على تحليل الاشياء المركبة . او تصور الاشياء المعنوية التي يعتمد عليها البالغون كثيراً في حياتهم . كما ان شعور الطفل بانه غير مسئول اجتماعيًّا يقلل من اهتمامه بالتفكير المنظم

﴿ النزعة الدينية ﴾ ليس لنا ان نحكم عليه بانه دين تقي او انه شرير اباحي . لان جل هذه المعتقدات الدينية تثبت في نفس الطفل بالتلقين . ولكن من المشاهد ان الطفل يندفع بطبيعته الى كثير من الاعمال التي نقول عليها بانها (انسانية) كميله الى مساعدة الاطفال الآخرين الاشتراك معهم في اعمال او كميله لاحترام ابويه ومن كان اكبر منه سنًّا ، او كميله للعطف على الحزين والفقير

وهذه النزعة الدينية تظهر واضحة جلية في حياة الطفل فيما بعد لا سيما وانها متصلة بالانفعالات التي تصاحب كل غريزة من غرائزه ، لذلك كان سلوك الطفل ليس فيه عملٌ للمصانعة او المداهنة . فهو يبكي حين يشعر بالالم ، ويغضب اذا اعتدي عليه ، ويظهر الدهشة اذا رأى غريباً ويظهر الاشمئزاز اذا رأى قبيحاً

المقال الثالث

طرق دراسة الطفل

المقال الرابع

النمو الحسي عند الاطفال

المقال الخامس

تطور عقل الطفل في السنة الاولى

ضغط الدم والصحة

بحث صحي مفيد

يقاس ضغط الدم كما يقاس ضغط الهواء بأنبوب دقيق مفرغ من الهواء قائم في حوض من الزئبق فيرتفع مستوى الزئبق في الانبوب او ينخفض بزيادة الضغط او قلته . هذا هو المبدأ الذي بني عليه قياس ضغط الدم وقد استنبط المستنبطون آلة اقرب تناولاً واسهل استعمالاً من الانبوب الدقيق والزئبق يستعملها الاطباء في فحص مرضاهم

فارتفاع الزئبق في انبوب كهذا حينما يكون ضغط الدم طبيعيًا ١٢٠ مليمتراً للرجال في العشرين من العمر و١١٠ ملمترات للنساء من العمر ذاته . وضغط الدم في النساء عشر ملمترات اقل منهُ في الرجال اذا تساوى العمر ، وكلما تقدم الانسان في العمر زاد ضغط دمهِ بمتوسط ملمتر واحد في السنتين . فاذا كان الضغط الطبيعي ١٢٠ ملمتراً في سن العشرين للرجال بلغ ١٣٠ ملمتراً في سن الاربعين و١٤٠ ملمتراً في سن الستين . وقد يختلف ضغط الدم عن المتوسط الطبيعي في احد الناس من غير ان يكون خارقاً للعادة فقد يزيد ١٥ ملمتراً عن المتوسط الطبيعي او ينقص عنهُ كذلك .

وقد لاحظ كثيرون من الاطباء ان الذين يعيشون عيشة معتدلة غير معرضين للنوبات العصبية لا يزيد ضغط دمهم الزيادة الطبيعية بتقدم السن اي ملمتراً كل سنتين بل قد يبقى ضغط الدم في بعضهم مدة عشر سنين او اكثر في مستوى واحد لا يزيد الزيادة الطبيعية . وهناك عوامل اخرى غير السن والجنس تؤثر في ضغط الدم اهمها السمن والمزاج وحالة الهضم وقوة العضلات ومقدار التمرين الرياضي والتعب والنوم والخوف والتهيج العصبي والتغيرات الجوية . فكل هذه العوامل قد يكون لها اثر عابر في ضغط الدم ولكن هذا الاثر يزول في الغالب بزوال الباعث عليهِ

على ان الامر الذي يجب الانتباه لهُ هو ان ضغط الدم المزمن حالة غير مُرْضية من الوجه الصحي بل قد يكون منها خطر كبير على الحياة لانها مصدر لكثير من العلل فارتفاع ضغط الدم المزمن مرتبط كل الارتباط بالصداع المزمن وداء النقطة وضعف القلب ومرض بريط « التهاب نسيج الكليتين » والارق وسوء الهضم والاحتقان المزمن وبعض انواع الخلل العقلي

وعليهِ يجب ان ننظر في الاسباب التي تؤول الى ارتفاع ضغط الدم فنزيلها ومتى زالت كل نتائجها السيئة او جلّها

اسباب ارتفاع ضغط الدم

اختلف الاطباء في الاسباب التي يعزى اليها ارتفاع ضغط الدم ولذلك سنذكر فيما يلي كل العوامل التي يحسبها الثقات من الاطباء اسباباً في ارتفاع ضغط الدم وهي :

١ — الادوية والمخدرات ٢ — الاكثار من الطعام ٤ — التعرض للبرد والمرض
٥ — الاجهاد ٣ — السموم ٦ — الحالة العقلية والنفسية

١ — اذا اعتاد احد استعمال دواءٍ من الادوية او مخدّر من المخدرات فعادتهُ هذه تؤدي بهِ مباشرة او غير مباشرة الى ارتفاع ضغط دمهِ .وبعض الثقات يرى ان عادة تناول المخدرات لا تقتصر على تناول مخدر واحد بل لا تلبث ان تحمل صاحبها على تناول مخدر ثانٍ فعلهُ عكس فعل الاول . فتناول الكوكايين مثلاً يرفع ضغط الدم ويحدث توتراً في الاعصاب فيلزم حينئذٍ تناول مخدر آخر كالمورفين الذي يخفف ضغط الدم ويزيل التوتر

ولهذه العقاقير آثار سيئة في الجهاز العصبي والجهاز الهضمي والكبد والكليتين وهذا وحدهُ كافٍ لصرف الناس عن تناولها . فاذا مرض احدهم وشعر بلزوم تناول دواءٍ من الادوية فخير لهُ ان يدعو طبيباً وحينئذٍ يتناول ذلك الدواء باشارة الطبيب اذا لزم الامر

والمشروبات الروحية في الغالب تحدث شعوراً مخالفاً للحقيقة فاذا شربت مشروباً الكحوليًّا شعرت بحرارة اذا كنت بارداً وبقوة اذا كنت ضعيفاً وبغنى اذا كنت معدماً ومن نتائجها المباشرة خفض ضغط الدم ولكن لا يلبث هذا الاثر ان يزول فتشعر بالبرد والضعف والفقر اكثر مما كنت تشعر بها قبلاً . على ان أهم النتائج التي تبقى آثارها في الجسم من ادمان المشروبات الروحية تصلب الشرايين وخصوصاً الشرايين الدقيقة في الدماغ والكليتين

٢ — الغذاء : للغذاء شأن كبير في زيادة ضغط الدم . قال احد الاطباء : كلما جاء اليَّ مريض يشكو من ارتفاع ضغط دمهِ احسب السبب « كثرة الاكل » الى ان يثبت لي ان السبب أمر آخر فلقد وجدت في كثير من الحوادث ان مجرد الاكثار من أكل اللحم يزيد ضغط الدم

ولم اقتنع حتى الآن ان الاكتفاء بالخضراوات دون غيرها من مواد الغذاء خير من غذاء يحتوي على قليل من اللحم وكثير من الخضراوات والفواكه . ولكن يحسن في بعض الاحيان ان يتوقف الانسان عن اكل اللحم شهراً او شهرين . وان يقلل من اكل البيض والخبز . والقاعدة التي لا مناص من اتباعها هي ان المصاب بارتفاع ضغط الدم يجب ان لا يكون نهماً اي لا يأكل فوق حاجتهِ

شاعت منذ سنوات بين الناس « مُوضة » الاهتمام بمضغ الطعام مضغاً جيداً وهذا امر يجدر بمن ضغط دمهِ فوق المتوسط الطبيعي ان يجري عليهِ قبل كل احد لان مضغ الطعام يكفي القابلية بقليل من الطعام فلا يتعرض الآكل لتناول ما هو فوق حاجتهِ . ويعتقد بعض الاطباء إن التوابل والبهارات تزيد ضغط الدم وتسبب تصلب الشرايين وغير ذلك من الادواء . قد يكون ذلك صحيحاً وقد لا يكون انما الامر الذي لا ريب فيهِ هو ان اكل التوابل والبهارات يهيج القابلية فيأكل الانسان فوق الحد والاكل فوق الشبع من أهمّ الاسباب الباعثة على زيادة ضغط الدم

٣ — التسمم : بعض الباحثين في اسباب زيادة ضغط الدم يقول ان من اسبابه التسمم الذا[illegible]

ناجم عن خلل في نظام الهضم فتتجمع السموم في الجسم من جراء ذلك والاطباء فريقان في النظر الى هذا الامر . قال الدكتور سدلر الاميركي لو كنت مصاباً بزيادة ضغط الدم لكنت اهتم بجمل حركة الامعاء منتظمة مرتين في اليوم ولا اترك مجالاً لاختلال الهضم وتجمع السموم في الاعضاء

٤ و ٥ — التعرض والاجهاد : لا شك ان نظام الحياة العصرية بما فيها من السعي المتواصل ، والمزاحمة الشديدة والسرعة التي نتوخاها في كل عمل من الاعمال تؤثر في الجسم وتنهك قواه ، ومن نتائجها الظاهرة ازدياد ضغط الدم في كثير من الناس . اضف الى ذلك التعرض للبرد وعدم الاهتمام بالعلل البسيطة وهما يسيران عادة جنباً الى جنب مع الاجهاد

يذكر الاطباء كثيراً في كتاباتهم واقوالهم «العدوى المركزية» التي تكون في اللوزتين وجذور الاسنان . ولا شك ان المكروبات المضرة التي تقيم في مثل هذه المراكز تفرز سموماً تدور في الجسم مع الدم ، وهذه السموم هي في اكثر الاحيان سبب ارتفاع ضغط الدم في كثير من الحوادث وهذا ينطبق على العلل المزمنة كما ينطبق على الحادة كالزكام والانفلونزا وغيرها

***

خذ مثلاً احد التجار . يشعر في المساء بتكسر عام في اعضائهِ ويشكو من ارتفاع قليل في حرارته فهو رجل مريض وقد تكون هذه الاعراض اعراض الانفلونزا الاولى وعليهِ ان يبقى في بيته للمعالجة . على ان عمله يقتضي وجوده في مكتبه في اليوم التالي . فيغالب المرض وينهض الى المكتب فيبقى كذلك اسبوعين او ثلاثة لانهُ لم يرض ان ينام بضعة ايام يعالج في اثنائها معالجة قانونية ثم لا تلبث ان تظهر في بوله آثار الزلال ويشعر ان كليتيه لا تقومان بعملهما قياماً منتظماً . وقد عرفت كثيرين يقضون سنين غير عارفين آثار التعرض والاجهاد في صحتهم بعد اصابة بسيطة بالانفلونزا كالاصابة المتقدمة حتى يذهب احدهم الى شركة من شركات التأمين على الحياة فيرفض طلبه لان الفحص الطبي اثبت وجود ارتفاع كبير في ضغط الدم وضعف في الكليتين وغير ذلك مما يدهش له الرجل والسبب بسيط بينّاه فيما تقدم

فعلى كل احد ان يهتم اهتماماً جديّاً بكل الم يرافقه ارتفاع في حرارة جسمه . فاذا أُصبت بزكام من غير حرارة فقد لا يضرك ان تسير في عملك كالعادة ولكن اذا رافق الزكام ارتفاع في حرارتك ولو قليلاً فاترك كل شيء والزم سريرك واستدع طبيباً وابقَ تحت المعالجة حتى تشفى كل الشفاء . واذكر ان تفحص بولك بعد كل زكام تصاب بهِ او كل اصابة انفلونزا مهما كانت بسيطة فان هذا الفحص يبين لك هل الكليتان تقومان بعملهما او لا

من المعروف ان الروماتزم وعرق النسا « شياتكا » والنيورالجيا تنشأ عن عدوى مكروبية تستقر في الاسنان واللوزتين وهي ما يعرف بالعدوى المركزية كما تقدم فاذا استمرت هذه العدوى

تجم عنها زيادة ضغط الدم وتصلب الشرايين بعد بضع سنوات . وعليه يجب فحص هذه الاعضاء عند الاطباء المختصين وابقاؤها نظيفة خالية من كل مكروب

٥ — الحالة العقلية والنفسية . قال سدلر: مضى عليَّ سنون كثيرة وأنا ابحث في العلاقة بين زيادة الدم والحالة العقلية والنفسية فوجدت ان الخوف والهم وما اليهما من الحالات النفسية تزيد ضغط الدم كثيراً حتى لقد يبلغ الضغط درجة يصير فيها خطراً على الصحة . وزد على ذلك انهُ متى ارتفع ضغط الدم كثيراً حمل صاحبهُ على تعاطي المخدرات . وعلى الضد من ذلك فقد يكون من اثر الحالة النفسية انها تخفض ضغط الدم تحت المتوسط الطبيعي ويرافق ذلك انحطاط وضعف عام في القوى

عرفت شابّاً ارتفع ضغط دمهِ الى ١٦٠ ملمتراً او فوق ذلك . وبعد البحث وجدت انهُ تخاصم مع خطيبتهِ فلما زالت اسباب الخصام وعادت المياه الى مجاريها هبط ضغط دمهِ الى ١٣٥ ملمتراً ولولا اكثاره التدخين لكان هبط الى دون ذلك ، الى المعدل الطبيعي . ويمنعنا ضيق المقام من تعديد الحوادث التي كانت فيها الحالات النفسية سبباً مباشراً في زيادة ضغط الدم

العلاج

العلاج الذي اصفهُ هو الراحة التامة والعناية الطبية بضعة اسابيع او اشهر بحسب ما تقتضي الحالة . فاذا كان احد مصاباً بزيادة ضغط الدم وبلغ هذا الضغط ٢٠٠ ملمتر فيجب ان يبقى في السرير بضعة اسابيع لا يتناول في اثنائها من الغذاء سوى اللبن (الحليب) واذا كان في امعائهِ ميل الى الامساك سمحت له باكل الفاكهة . ويشار على المصابين بزيادة ضغط الدم ان لا يتناولوا الطعام اكثر من مرتين في اليوم وان يقللوا من اكل اللحم والبيض والخبز وان لا يأكلوا فوق الشبع او فوق حاجتهم وهذه هي القاعدة الذهبية التي أشير باتباعها . ولا بدَّ لهؤلاء المصابين من اجتناب كل عمل متعب كالجري وراء سيارة اجرة للركوب فيها او ما الى ذلك مما يؤول الى اجهاد الجسم

وفيما يلي ابسط الوسائل وافعلها في تخفيف ضغط الدم اذا زاد عن المتوسط الطبيعي

١ — الرياضة اللطيفة الى ان يبدأ العرق بالتصبب من الجسم ويفضل ان تكون الرياضة في الهواء الطلق وبثياب متسعة لا تضغط على الاعضاء . ٢ — الدلك اذا كان المريض لايستطيع ان يروّض جسمهُ في الخارج او كان قلبهُ ضعيفاً لا يتحمل آثار الرياضة فالدلك اللطيف خير ما يحل محل الرياضة . ٣ — الحمامات تمدد جدران الشرايين فيخف ضغط الدم . ويجب ان تكون حرارة الماء بين ٩٦ درجة بميزان فارنهيت و٩٨ اي مثل حرارة الجسم . ويجب ان يبقى المستحم في الماء من ١٥ دقيقة الى ثلاثة ارباع الساعة . ٤ — الاستحمام بالشمس — يخفف ضغط الدم لانهُ يحول جانباً من الدم الى الجلد ، فالتلويح الناتج عن التعرض للشمس نوع من الالتهاب الذي يحوّل الدم من الشرايين في الاعضاء الداخلية الى الجلد . هذا وقد سبق الكلام على النوم والراحة وبساطة المأكل وازاحة الثقل من الهم والغم والقلق والخوف وما اليها

صورة قلمية

سعيد طليمات بك

(جاءتنا هذه الرسالة في تقدير رجل من)
(رجالنا العاملين فننشرناها مع الشكر)

المصوّر الاستاذ يؤلف من الوان عدة لوناً واحداً يجعله عمدته في اخراج لوحة باهرة . والطبيعة مع مواهب الانسان في فضيلة واحدة تجعلها عماده ومر نجاحه في الحياة . ولقد كان ديموستينوس » خطيباً فحسب ولكنهُ كان مرهوب الجانب من جميع الابطال الذين لا يدينون الا لقوة . وكذلك تجتمع مواهب الانسان وقواه الطبيعية في فضيلة واحدة يرتفع بها حتى يبلغ القمة ولعلّ الكمال الحقيقي في التكوين لا يبدو في مظهر ابلغ ولا اجلّ من استخلاص فضيلة واحدة ن مواهب مجتمعة . وغالباً ما تتمثل القدوة العليا في هذه الفضيلة ويظل العصر يرى فيها الصورة كاملة للنبوغ ، كأن اجتماع المزايا والمواهب بهذه الطريقة قوة اخرى تضيفها الطبيعة الى سائر قوى المجتمعة لاظهار عبقرية الانسان وتخليد عمله . ونرى ان المواهب قد تنصرف بكلياتها الى وجه من وجوه العمل كالدفاع عن الحق مثلاً ، وامامنا مثل صادق لهذه الحالة يمكن اي نتبينهُ في خصية سعيد بك طليمات

هو رجل مثقف هادىء ، قوي الارادة ، واسع افق التخيل شديد الملاحظة ، متسعر الذكاء تي من رجاحة العقل وقوة النفس ما لم يرزق كثير . تقابلهُ فتلقى رجلاً من الطراز الاول ، وتصيب يهِ نديماً ظريف المحاضرة له مشاركة في كثير من العلوم والآداب ، على وجهه الباسم الهدوء والرقة الحزم معاً ، تنظر اليهِ فلا تستطيع ان تقاوم ما فيهِ من قوة ، قوة الرجل الذكي الصلب النافذ البصر ، هو دائم الابتسام يحدّثك في صوت هادىء وعبارات مفصلة متزنة دون ان يستفيض ، فاذا اعتلى بر الخطابة انفجر وتعاظم ، وسيطر بقوة بيانه وعلمه الغزير المتدفق على اذهان سامعيه

وقد عرفتهُ محامياً فعرفت فيه كفاءة المحامي وقدرته ، ونبوغه ، وطهارة خلقه ونزاهته ، سهولة طبعه ، ولين جانبه ، مع عذوبة في القول ، ووضوح في البيان ، وعرفت فيه لساناً حلواً ، ساً ، متدفقاً يعفّ عن الهجر ، ولا يعرف الحشو . وعرفته وكيلاً للقومسيون البلدي فعرفت فيه احة العقل وحصافة الرأي وقوة العارضة ، يتكلم بلسان عربي فصيح في غير تعقيد ولا تكلف ، يسترسل استرسالاً كأنهُ يتحدث اليك ، فتتفتح له مغاليق القلوب والاذهان

وسعيد بك تغمره طبيعة الخير من جميع نواحيه ، فما رأيته بخيل المعروف من جاهه أو ماله الا بذله لمن يعرف ومن لا يعرف ،ولمن يحب ومن يكره ، ما دام قادراً على بذله وهو من ائمة القانون ، ومن المصريين القلائل الذين احترمهم رجال القضاء والقانون الاجانب لكفايتهم وسعة اطلاعهم وقوة حجتهم . والذين عرفوه لا يجدون اي فارق بين هدوئه وظرف حديثه وقوته وحماسته في مواقف الخطابة . فكلما ازدادت الصفات قوة ازدادت اتساقاً ولعل الظرف والهدوء اللذين امتاز بهما من مظاهر تلك النفس القوية في مواطن تحتاج فيها النفس الى الاستجمام وليس في ذلك ما يستغرب فان الشخصيات العظيمة لا تني تتطلب من الطبيعة الاستزادة في قواها دون ان تتخلى مع ذلك عن شيء من ظرفها وخلقها الاجتماعي

كلما حادثتهُ ازددت يقيناً بان شخصيتهُ القوية مرآة صادقة لما اوتي من مواهب ومزايا ، وانهُ الرجل الوطني النبيل الحائز لثقة الجميع واعجابهم.ونعتقد ان اجلّ مظاهر الاحتفال التي تقام لشخصية كبيرة لا توازي قيمة الدقائق التي تشعر فيها هذه الشخصية برضاء ضميرها وانها ادت المهمة التي اخذتها على عاتقها نحو الوطن والناس خير اداء . من اجل ذلك يعجب جميع الذين يقتربون من الاستاذ طلعت بتواضعه ولطفه وقوة نفسه . ومن اجل ذلك استطاع ان يحوز ثقة الوطنيين والاجانب على السوا

افتتح حياته العملية بالاشتغال بالمحاماة ثم كان مجاهداً سياسيًّا في صفوف المشتغلين بالدفاع عن القضية المصرية . وكان اول وكيل وطني لقومسيون بلدية الاسكندرية تولى الدفاع عن مصالح الوطنيين . وهو اليوم مستشار قضائي معترف بسعة علمه وقوة رأيه وكفايته. وقد تقدم الى الحياة في البدء بموهبة فذة مستخلصة من قوى مجتمعة فيه وهي موهبة البلاغة والذكاء والمقدرة على الدفاع عن الحق ، واعانته شخصيته الممتازة وصفاته الموروثة والمكتسبة على تولي الزعامة في تقرير حقوق البلاد ومصالحها السياسية والاجتماعية ، ولم يوله جهاده في ميدان السياسة ثقة أعظم ولا اعجاباً اكثر مما حازه في سبيل الدفاع عن مصالح الاهلين في حجرة القومسيون البلدي . وكان سر نجاح هذا المحامي الجليل بل سر استحواذه في وقت قصير على ثقة الجماعة انهُ يعمل دون اعلان عن نفسه ودون يطلب جزاء على عمله من اي نوع . فلم يكن في اي وقت ميّالاً الى ان يستعمل نفوذه او الثقة التي احرزها لمصلحة احد او لحيازة مصلحة ما لنفسه وبقي قانعاً بمقدرته ونجاحه على انهما خير جزاء لارضاء ضميره

وقد ارتفع مقامه في نظر الجماهير عند ما تولى مهمته الدقيقة في القومسيون البلدي ووقف يدافع عن مصالح المدينة ويدل بسعة اطلاعه في المسائل الفنية ويطالب بتحقيق المقترحات التي تعيد مدينة عريقة في المدنية سالف مجدها وكان في هذه المهمة التي اخذها على عاتقه خطيباً ومشترعاً وانسانيًّا يحض على معونة معاهد العلم والبر بالبلاغة وقوة الاقناع التي دعا بها الى مساعدة المصريين ولم يكن في هذه المسائل الجدية الدقيقة مما يخلو من حب للفن والجمال يحض عليه [illegible]

سعيد بك طليات

العقل من الهم والغم والقلق والخوف وما اليها

حائزة على الصفات نفسها وان احد علماء النبات كان اطلق اللفظة اليونانية المذكورة على جنس نباتي آخر فيرجع صاحبنا بالخيبة ويعود الى التفتيش عن صفات بارزة اخرى في عشبته او يطرق ابواباً لم يطرقها بعد كتسميتها باسم احد الآلهة الاقدمين او بالاسم الذي يعرفها بهِ اهالي تلك البلاد او بالصفة الدالة على أهم ما فيها من الخواص الطبية او الصناعية الخ

يتضح مما مرَّ ذكره ان علماء النبات منذ القرن السابع عشر الى اليوم قد لقوا عرق القربة من وضع اسماء علمية لاجناس النباتات العديدة فلا غرابة اذن ان يجيء بعض هذه الاسماء ثقيلاً على الاسماع فليس كل نبات يدعى حنطة او شعيراً او تفاحاً او رماناً بل هناك الوف من الاجناس ومئات الالوف من الانواع والاصناف النباتية ليس لها اسماء حتى في ارقى اللغات الاوربية . ومن المستحيل ان تجيء كل الالفاظ التي توضع للدلالة عليها خالية من كل شائبة . والحال واحد في كثير من العلوم الاخرى كعلم الحيوان والجيولوجية والمعدنيات والطب والحشرات والآلات الزراعية والصناعية وغيرها فهي كلها تحتاج الى وضع آلاف مؤلفة من الاسماء العلمية التي تسمو عن متناول العامة ولا يحفظها سوى الخاصة من الناس . ويلخص ما قلناه عن اسماء اجناس النباتات العلمية وعن الطرائق التي اتبعها العلماء العشَّابون في وضعها ان تلك الطرائق هي اولاً تسمية النبات باسم الذي كشف عنه كقولنا لينيا وفورسكاليا فهما نباتان منسوبان الى النباتيين المشهورين لينيوس وفورسكال. ثانياً نسبة النبات الى المدينة او الكورة او الاقليم حيث تكون منابته الطبيعية كلفظة ادينيا فهي من عدن العربية وقد وضعها فورسكال للدلالة على نبات وجده في عدن . ثالثاً الاحتفاظ بالاسم الذي عرفه الاقدمون كاليونان والعرب مثل كوفيا فهي من القهوة وبستاسيا من الفستق وموزا من الموز وكلها مأخوذة من العربية . رابعاً نسبة النبات الى احد العلماء او الملوك او الحكام المشهورين ممن احبّوا المشابين وعطفوا عليهم وأعانوهم في اعمالهم الشاقة مثل دَرْوينيا فهي منسوبة الى العلامة داروين الشهير وكوبرنيكيا فهي نخلة نسبوها الى الفلكي كوبرنيكوس وهكذا . خامساً نسبة النبات الى احد آلهة الاقدمين من يونان ورومان وغيرهم مثل مركورياليس فهي منسوبة الى مركور (عطارد) إلـه الفصاحة والتجارة عند اليونان ، وأبولونيكا فهي باسم أبولون إلـه الشعر والصنائع النفيسة وغيرها عند اليونان والرومان ، وباسيفلورا اي زهرة الآلام (يسمونها الساعة في دمشق) فهي تدل على آلام المسيح لان زهرة هذا النبات تشبه خشبة الصليب ومسامير العذاب . ويسمّاها الدمشقيون « ساعة » تشبيهاً لها بميناء الساعة وعقربيها . سادساً تسمية النبات بالنعوت الدالة على بعض خواصه الطبية او الصناعية او غيرها مثل بلْموناريا ومعناها عشبة الرئة لانها تستعمل في بعض امراض الرئة . ومثل متريكاريا ومعناها عشبة الرحم لانهم كانوا يستعملونها في امراض الرحم. سابعاً الاحتفاظ بالاسم الذي يطلقه سكان البلاد الاصليون على النبات المبحوث عنه . مثال ذلك [illegible] وهي لفظة يابانية تدل على شجرة مشهورة من [illegible] الفصيلة [illegible] . ومثل [illegible]

ضته وعظيم الدراية بفنون الحياة الاجتماعية . وكان استاذاً في المسائل الاجتماعية الكبيرة التي تلائم
اعه وطبيعة تفكيره وجهاده . وكان في هذه المسائل ايضاً محامياً ومشرعاً
ونذكر انه عند ما وضع قانون نقابة عمال الترام في سبتمبر سنة ١٩١٩ وتولى الدفاع عن حقوق
تلك العمال كان كمن أتم رسالة انسانية كبيرة وحقق غاية تضمن له وللآخرين خلود الذكر . بل
لعل تحقيق ذلك المستقبل الباهر الذي تأمله الانسانية من جهاد النخبة المثقفة . وقد كان اول
مستشار لنقابات العمال وهو الذي تولى وضع قانون نقابة عمال الترام المعمول به الى الآن واليه يرجع
الفضل في تأليف لجنة التوفيق بين العمال واصحاب الاعمال التي عمل فيها مع جرانفل باشا
ونحن اذا شرحنا نشأة الاستاذ طلبات واتينا بتفاصيل حياته المفعمة بالمواقف الوطنية الجليلة
نستطيع ان نميزها عن حياة سائر الاقطاب من حيث انها بسيطة وكاملة معاً . وقد انحدر من صلب
، فاضل كان من المقاولين ذوي اليسار وكان جده لابيه من التجار الذين اتسعت معاملاتهم بين مصر
والسودان والشام ويتصل نسب اسرته الى الحسن بن علي بن ابي طالب . وكان طبيعياً ان تتهادى
طفولته في افانين من التربية العالية حتى أضفى عليه الذكاء او الخلق الكريم حلة من نباهة الصيت
مطلع شبابه
وقد كانت المعارف الاولى التي اضاءت ذهن طلبات الفتى هي تلك المعارف نفسها التي تعنى جماعة
ريو بينها على اعتبار انها عنصر حضارة ومدنية . وكان في حفظ هذه المعارف وهضمها متفوقاً اذ
لبث الا بضع سنوات حتى نال شهادة البكالوريا وانتظم في مدرسة الحقوق وتخرج منها سنة ١٩٠٥
كان طبيعياً ان يمتحن هذا الحقوقي الشاب معلوماته ومقدرته في تجارب للمحاماة قضاها بنجاح في
مصر واسيوط الى سنة ١٩٠٧ حيث عاد الى الاسكندرية موطن اقامته الاصلي واتخذها ميداناً
لمواهبه . وفي الحقيقة انهُ ما لبث ان اشتهر بهذه المواهب وكان اول اشتهاره في العمل مع جماعة
الوطنيين المشتغلين بالسياسة وكان صاحب الزعامة وقتئذٍ هو المغفور له مصطفى كامل باشا . ولما شهد
جمهور آيات وطنيته وحماسته عين رئيساً للجنة الحزب الوطني بالاسكندرية وفي سنة ١٩٠٨ زار
اوربا للقيام بدعاية واسعة للقضية المصرية والدفاع عن حقوق المصريين وما لبثت ان تقررت في القلوب
الثقة العظيمة التي يحرزها عادة المجاهد الذي يدافع عن القضايا العادلة . وفي سنة ١٩٢٢ صار
عضواً في الوفد المنتدب عن الحزب الوطني في مؤتمر لوزان وكان الوفد مؤلفاً من رجال دفعتهم وقتئذٍ
غيرتهم العظيمة على القضية المصرية الى السعي لتوحيد الجهود اتقاء لكل ما يمكن ان يمس هذه
القضية . وهنالك في روما تقابل هذا الوفد واتفق مع سائر الذين تولوا وقتئذٍ العمل لحل القضية
المصرية على ميثاق وطني كان موضوع ايمان جميع الذين يحبون مصر وحريتها واستقلالها . واشترى
[illegible] بك بعد ذلك جريدة الامة من الصوفاني بك واخذ يكتب فيها مقالات سياسية بحماسة
[illegible] عطلت في عهد وزارة ثروت باشا

وفي سنة ١٩٢٢ اذ كانت شهرة ذلك المحامي الوطني قد اضحت موضوع اعجاب الذين يعرفونه والذين لا يعرفونه انتخب عضواً في القومسيون البلدي وكان انتخابه لهذه العضوية ايضاً متفقاً مع مزاجه وطبيعة المهمة التي خلق من اجلها وهي الدفاع عن المصالح والحقوق

ولما زار المغفور لهُ سعد باشا في «رويا ليبان» اثناء الحقبة القصيرة التي كان يستريح فيها سعد باشا بعد عودته من مالطه اقترنت وقتئذ تحيته للزعيم الخالد بتقدير الزعيم لعمله المجرد الذي يحقق من أجل تحرير الجماعات وخلاصها . وفي اثناء ذلك لم ينقطع طلبيات عن تأليف المقالات الضافية في سبيل شرح المسائل الوطنية . وكان يعنى من جهة اخرى بمسائل المدينة التي يتناولها القومسيون البلدي . ولما كانت حركة الموظفين الاجانب بالبلدية وقاموا يطالبون بمنحهم فوق العلاوات التي يستحقونها مكافآت استثنائية كبيرة عارض في ذلك حتى حمل الاجانب على قبول فكرته ، وقررت الهيئة باجماع الآراء رفض مقترحات الحكومة وترتب على ذلك حل القومسيون . ولما كانت حركة مايو سنة ١٩٢٦ وصدر ذلك القرار الذي قضت فيه وزارة زيور باشا بتوسيع اختصاصات المأمورية البلدية على حساب القومسيون لم يتمالك العضو الخبير بقوانين البلدية واختصاصات دوائرها الا المعارضة الشديدة وترتب على معارضته ان حلّ القومسيون مرة ثانية

ولما تولى وكالة القومسيون وكان اول وكيل وطني تولى هذه المهمة الدقيقة منذ اربعين سنة ودل على احرازه لثقة الوطنيين والاجانب معاً تمكن من بحث مسائل كبيرة لمصلحة المدينة والاهلين وبخاصة مسألة ترام الرمل التي دلّ فيها على خبرة واسعة اذ لبث يسعى لانتزاع الخط من الشركة في عهد وزارة عدلي باشا فكللت مساعيه بالنجاح . واصدر عدلي باشا قراراً بتأليف لجنة خاصة تتولى درس المسألة قوامها احمد عبد الوهاب باشا والمسيو اوزوالد غره وطلبيات بك بصفته وكيل القومسيون والاستاذ الفريد ليان وقد اتصلت هذه اللجنة بالمسيو سلفاجو رئيس مجلس ادارة الشركة بغية الوصول الى حل ملائم فلم يأت ذلك بفائدة . ثم جاءت وزارة ثروت باشا فعهدت اليه بوضع تقرير مستفيض يتضمن تفصيلات وافية عن تاريخ انشاء الخط في سنة ١٨٩١ والاطوار التي مرّ بها فاضطر طلبيات بك ان يقيم في القاهرة مدة اربعة أشهر يتصل في خلالها بقلم القضايا ويراجع شتى الملفّات المتعلقة بالخط في مختلف الوزارات كالاشغال والداخلية وسكرتيرية مجلس الوزراء واستعان بطائفة من المهندسين الفنيين وقد وضع تقريراً مستفيضاً يقع في مائتي صفحة وكانت النتيجة التي يرجع الفضل فيها الى الاستاذ طلبيات ان الحكومة تولت تدبير الخط وادارته وكان فوزاً للمصلحة الوطنية يعترف فيه لجهاد الاستاذ طلبيات وخبرته وكفايته . كذلك يرجع اليه الفضل في بحث مسألة سعر النور الكهربائي في الاسكندرية فقد تولى رياسة مختلف اللجان التي الفت لدراستها وله مواقف جليلة انار فيها السبيل امام هيئة القومسيون

وصفوة القول ان طلبيات بك كان قوة فعالة في القومسيون وكانت كلمته في المقام الاعلى في

بأل وكان يحكم عبارته احكاماً بديعاً عند ما تحتد مناقشات القومسيون غير انهُ كان يستعين بفطرته الدفاع على مباراة اولئك الاعضاء وكان كمحام متفوق تكاد تكون الخطابة في سليقته وطبيعته .
بعد كرجل اجتماعي واسع الشهرة لا يترك سبيلا لنصرة قضية دون ان يجعل لمزاياه وصفاته كبيرة اثراً ظاهراً في ذلك حتى تعبيراته ومحاوراته باللغة الفرنسية فكانت هذه المزايا والصفات ابقة للمهمة الجليلة التي اسندت اليه في القومسيون والفضل لهذه المزايا والصفات نفسها في ارتفاع ان التقدير الذي كان غير مألوفٍ في البلدية ازاء العنصر الوطني

وقد كان طول المدة التي أدى فيها مهمتهُ في وكالة القومسيون المثل العالي لكل ما يتمناه اولئك ين وقفوا حياتهم لخدمة الحضارة عن طريق الاصلاح والعمران   نقولا شكري

في بحور الشعر

كتب صديقي الدكتور بشر فارس في مقتطف الشهر الماضي كلمة حول نقدي لصنّاجة الرياشي بها عليَّ مُدافعاً عن الأبيات التي أحسستُ نشازاً في موسيقاها ، وقال إني واهمٌ في حسبانها قطة الوزن وان التحقيق يثبت غير ما ذهبتُ اليهِ حيث قد استعمل الشاعر إباحات عروضية استشهد ديقي على شيوعها وتواترها بأبيات للشريف الرضي ومهيار وأبي تمام وأبي العلاء والبحتري يرهم ، وأنا لا أتعرض لرأيهِ إلاَّ من ناحيتين ، الاولى انهُ كان يجدر بهِ أن يقطّع أبيات الرياشي ، ثانية اني لاحظت ويلاحظ كل من يقرأ الابيات التي استشهد بها صديقي أن موسيقاها لم تفقد قاً من تسلسلها حتى يشعر بها الذوق مثلما يشعر عند تلاوة أبيات الرياشي التي أشرتُ اليها . وسواء ان الحق في جانب صديقي أم كان في جانبي فان ما أراه أن الذوق هو الذي يحكم في كل شيء كمه الكلمة المسموعة ، فكم من اشياء لا تختلف في ذاتها عن الحدود التي يجب أن تكون عليها لاصول التي يجب أن تنحصر في دائرتها ، حكم عليها الذوق بالمخالفة

والشعر اول ما يُطلب منهُ موسيقاه ليستهوي قارئهُ فيما يجوب من أودية ويهبط الى أغوار رتفع الى سماوات ، والموسيقى إن لم تراعِ حكم الذوق فلا يمكن لها ان تؤثر في السامع

انني أستسيغ من الشاعر استعماله بحوراً مختلفة في قصيدة واحدة على شريطة أن يراعي تقاربها في روح الموسيقية فلا تكون متنافرة أما أن تكون القصيدة من بحر واحد ثم تحتلها الزحافات احتلالاً يقف امامها الذوق وقفة المتمرد الساخط فهذا ما لا أستسيغه . ويرى بعض العروضيين ان من ر ان يجتهد الشاعر في المحافظة على الوحدة الموسيقية فاذا استعمل شيئاً من الزحافات يجب ان ستعمله بعينهِ في كل الابيات او يلزم الاصل

واني لأنتهز هذه الفرصة فأشكر لصديقي رغبته في البحث عن الحقيقة من وراء المناقشات دبية والله يهدينا جميعاً الى ما فيهِ الصواب ؟   حسن كامل الصيرفي

مكتبة المقتطف

ايفان بونين

الفائز بجائزة نوبل الادبية عن سنة ١٩٣٣

فرح الذين يرون في منح جائزة نوبل الادبية اكليلاً من الغار يكلل حياة مؤلف مجيد، اذ اعلن انها مُستحقة لايفان بونين المؤلف الروسي المقيم في باريس، لانهُ في رأي كبار النقدة، فنّان من الطبقة الاولى لا ريب فيهِ. واثر بونين الادبي واسع النطاق. فهو شاعر ومترجم (ترجم الى الروسية قصيدة هياواثا للشاعر الاميركي لونفلو وروايات بيرون التمثيلية) ومؤلف اقاصيص وروايات وكتب ورحلات تنطوي على شعر وفلسفة. والبلدان التي شملها بريشته الساحرة تختلف من روسيا الى غرب اوربا الى الجزائر وفلسطين والشرق الادنى. فهو من هذه الناحية يفوق كل كاتب روسي آخر. وقد خلّف آثاراً خالدة في مختلف ابواب الكتابة الادبية. ولكن النقدة مجمعون على انهُ تفوق في الاقصوصة والرواية او بالحري الرواية المتوسطة الطول

هو الآن في الثالثة والستين من عمرهِ. وقد مضى عليهِ زمن طويل منذ ذاعت شهرتهُ في روسيا ورسخت قدمهُ بين كبار ادبائها. فكان يحسب قبيل الحرب امام كتّاب النثر عند الروس، والوريث الشرعي لعظماء مؤلفي الروايات عندهم في القرن التاسع عشر. وقد ايّدت الاكادمية في بتروغراد هذا الرأي اذ انتخبتهُ عضو شرف فيها سنة ١٩٠٩ وهو فخر لم ينلهُ من قبل الا تشيكوف وغوركي. ومع ذلك فبونين لم يرتفع الى ذروة عظمتهِ الفنية، الا بعد الانقلاب الروسي ومعيشتهِ منفيّاً في باريس. وانت تجدهُ في روايتهِ المتوسطة الطول التي عنوانها «حب ميتيا» واقصوصتهِ «ضربة الشمس» وروايتهِ حياة ارسينيف (وفيها طرف من سيرتهِ ولم يظهر منها الا اجزاؤها الاولى في الفرنسية والروسية) اعلى مقاماً منهُ في جميع مؤلفاتهِ السابقة. ويقول الناقد الروسي الكسندر نازاروف انهُ بعد الاطلاع على هذه الكتب، يبدو لك ان ما يدعيهِ المعجبون بهِ من أنه يفوق تشيكوف، كلام ليس فيهِ مغالاة. وهو برهان حي يردُّ قول القائلين، بان الكتّاب الروس اذا اقتلعت جذورهم من تربة بلادهم، ذووا وجفوا. ما اكثر الآيات الادبية التي كتبت في النثر من مهزلة دانتي الى اشعار هيني. اما مؤلفات بونين، فمثل آخر في هذه السلسلة المتصلة الحلقات

ذاعت شهرة بونين في بلاده وهو ما يزال في مطلع حياتهِ الادبية، ولكن الاعتراف العالمي بمكانتهِ، تأخر حتى اكتهل. نعم ان مؤلفاته المشهورة ترجمت بعيد الحرب الى الانكليزية والفرنسية

المانية والسويدية ، والنقاد في اوربا واميركا ، حكموا له بالاجادة والتفوق . ولكن الجماهير لية لم تقبل على مطالعة كتبه ، ولعلّ ذلك لانهُ لم يحاول قط ان يعالج فيها الموضوعات التي تسترعي ر بل هو يعمد في الغالب الى معالجة الموضوعات الدهرية فيسبغ عليها فنّا ونوراً من فنهِ وذكائهِ وهو الآن اشمط الناصية ، حليق العارضين والشاربين متوسط القامة منتصبها ، لا تدل هيئته انهُ تخطى الستين . في عينيهِ النافذتين معاني الصرامة التي يأخذ بها نفسهُ وفنّهُ ، وقوة رادة والجماح المكبوح . فاذا عرفهُ الرجل عرف فيهِ الدماثة واللطف والحديث الاخّاذ . في ديثهِ المعية متوقدة ، ونكتة بارعة . بل هو مثل تشاليابين الممثل والمغني في مقدرتهِ على تقليد شخاص والاصوات ، حتى لتحسّ انهم منك بملمس ومسمع . أما ان تسمعهُ يقرأ عليك قصصه سهِ ، فلذة نادرة

ولد في طبقة من الروس ، اخرجت لروسيا ، انبغ نوابغها في الادب الموسيقي والثقافة بوجهٍ عام ي الطبقة التي تنصبُّ عليها جامات الغضب من الحكومة المستأثرة بالحكم في البلاد ، والجماهير من باعها . بل هو متحدّر من اسرة نبيلة ، تسلسل فيها النبوغ اجيالاً متوالية . فمن الافراد الذين جبتهم اسرة بونين ، أنّا بونين الشاعر الروسية الاولى (القرن الثامن عشر) وزخوفسكي الشاعر ، صديق بوشكين ومعلم الامبراطور اسكندر الثاني . فنشأ ايفان في املاك ابيهِ ، وهي في ناحية من وسيا ، اطلعت من قبل كوكبي تولستوي وترجنيف . هناك ينطق بالروسية على اصفاها واسلمها . جذور بونين العقلية والروحية متصلة اقوى اتصال ، بالارض الروسية وثقافتها . ومن هنا فهمهُ ي لا يسامَت لنفس الفلاح الروسي ، على ما صوَّره في قصتهِ «القرية» . وقد قال غوركي في هذه رواية ما يأتي : — « كان بونين الكاتب الوحيد ، الذي تجرأ على ان يصف الفلاح الروسي كما هو. ن دون ان يضفي عليهِ ثوباً لا يلبسهُ عادة ... » ومن هنا ايضاً عنايتهُ بموضوع آخر هو انحلال لأسر الروسية النبيلة ، وتداعي قصورها وانثلال مجدها القديم

وهو لا يخفي احتقاره لكتاب « التجربة السوفيتية العظيمة » ومع ان نقّاد موسكو ينحنون مام فنهِ ، الاّ انهم يتحدثون عنهُ وفي حديثهم مرارة الحقد ، ويصفونهُ بكونهِ « رجعيًّا في يده وط » . بيد انك لا تستطيع ان تحسب نزعة بونين الفلسفية ، ناجمة عن شعوره بما اصاب الطبقة ي هو منها . الاّ اذا كنت ممن لا يرى في عمل انسان ما غير الاثرة . ومن يعرف بونين يعرف يحب روسيا ، نبيلها وفلاّحها على السواء . ولذلك لا يستطيع ان يعطف على تحويلها الى معمل ب فيها التجارب ، التي تقترح بعض اصحاب المذاهب الفلسفية والاقتصادية ، ولكنها تبسط على لاد ظلال التعس والشقاء . فتحويل روسيا الى امة سوفيتية يعني في نظره موت ثقافة قديمة ، ولادة ثقافة جديدة . ويندر ان يتناول روسيا في كتابتهِ ، الاّ اذا كتب مقالة لصحيفة ، كنه يصف نظره الى التجربة السوفيتية وصفاً فنيًّا بليغاً في قصتهِ «الربيع الابدي»

هدية الكروان

هــذا عنوان الجزء السادس من دواوين الكاتب الشهير والشاعر الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد وهو يقع في مائة وخمسين صحيفة ونيف من القطع الصغير ويحتوي على طائفة رائعة من جيد الشعر الحديث وعنوانه مقتبس من الجزء الاول منه خص الشاعر به هذا الطائر المعروف الذي يسمع في الاجواء المصرية من شمال وجنوب . وقد نعى على الشعراء المصريين قلة ما ينظمونه فيه وكثرة مايعنون بالبلبل الذي لانسمعه وعد ذلك بحق «محاكاة منقولة تصدر من الورق البالي وتؤذي النفس كما يؤذيها كل تصنع لا حقيقة فيه » لان العقاد شاعر صادق الشعور صحيح العاطفة مستقيم الفكر لا يتقيد بغيره ولا يهمه من تقدَّمه سواءٌ أمن شعراء الشرق كان ام من شعراء الغرب . واظهر ما تتضح فكرته تلك في حشرهِ ذلك الصنف من الشعراء في صنف الببغاء من الطير فيقول :

ما اشتغال بمورد لست منه بناهل
وانصراف عن الذي انت منه بساحل
أنت عندي بذا وذا جاهل اي جاهل

وليس العقاد حديث العهد بمناجاة الكروان فقد نظم فيه قصيدة نشرها في الجزء الاول من دواوينه ثم اعاد في هذا الجزء نشر بعض ابياتها واندفع بعد ذلك في قصائده الاخرى يخاطب الطائر ويصفه ويناجيه ويساهره ويسامره ويسائله لعوباً بمعانيه عميق التفكير في استخلاص عبر الحياة وشؤونها واسع الخيال في تحليقهِ وحوارهِ

ولا شك ان كروانيات العقاد فتح جديد للشعر الحديث تتدفق نغماً وتسيل روعة وعذوبة

وفي الديوان موضوعات شتى من رائق الشعر ورائعه لم يخرج فيها العقاد عن اسلوبه السابق ومنحاه الذي انتحاه في دواوينه السالفة . ولقد آخذه النقاد لما نشر ديوانه وحي الاربعين ، بان ذلك الشعر كان اكثره افكاراً مقتضبة في نظيم له وعليه اذا صحَّ ذلك النقد في بعض تلك المقطوعات فانهُ اسراف وجور في اخذ ديوانه وحي الاربعين بهِ جملة . غير ان ما من ناقد يمكنه اليوم ان ينسب ذلك الى هدية الكروان . والظاهرة العجيبة في نفسية العقاد انه على كثرة اشتغاله بالسياسة وانصرافه الى عمله الصحافي الذي يستغرق تفكيره وجهوده في حزبيته المعروفة نرى ناحيته الشعرية تزيد نضوجاً يوماً فيوماً وتسلك تطورها الطبيعي في هدوء وسكينة . كأن هذا الشاعر غير ذلك الصحافي المجاهد بينما غيره قد نضبت شاعريتهم واقلعوا عن القوافي والاوزان الى مشاغلهم ومرتزقهم . لان العقاد يجد صحيفة الطبيعة منشورة امامه يقرأ فيها مستريحاً ويستبطن اسرارها ويتغلغل في اعماق تضاعيفها

أما اذا ألممنا بمناحيه الشعرية جملة ودخلنا في تفاصيل خياله وعاطفته فاننا نجد شخصيته تتجلى في قوافيه بقوتها العهيدة ولطفها العهيد وخشونتها العهيدة وتلك مزية الرجولة الحقة فليست العاطفة

سيطرة على نفسيته لان فكره يتغلب عليها في معظم الاحايين وليست الفكرة مسيطرة على نفسيته العاطفة تتخللها فتلطف من حدتها وتكبح من جماحها . ولعل فكره يثير عاطفته اكثر مما عاطفته فكره . فهو كأنما ينقل قلبه الى رأسه أسرع مما يتنزل رأسه الى قلبهُ *

وما أحسن قوله يناجي ساعي البريد

يا طائفـــاً بالدور كالقـدر المقـدور
بالخـــير والثبور في ساعة البريد
في لمحـــة تنتشر منك المنى والعبر
وانت ماض تعـبر كالكوكب البعيد
كن ابداً مريدي بالخبر السعيد
وبابتسام العيـد يا ساعي البريد

ثم يقول له في قصيدة اخرى

الطريق الآن لا ارقبه لارى وجهك لكن لارى ...

ولسنا ندل على تلك الظاهرة النفسية حتى نقرر تبايناً فيها او مغايرة بينها . كلاً فالعقاد « شعر طني » كما يتظرف المحدثون في هذه التسمية تعدهُ من الطراز الاول في هذا النوع . والمقطوعات هبوط نفس » صفحة ٩١ و« فوق الحب » صفحة ١٠٠ و« مولد » صفحة ١٠٧ وغيرها كثير بلا ريب في الطليعة منهُ . ومن الشعر الذي تغلب الفكرة العاطفة فيه قصيدة « تسلم » صفحة و « صنوف الحب » صفحة ١١٢ على روعتها وغيرها فانها مسرح للخيال والعاطفة ولكن الفكر سيطر على جملتها

واذا كانت شخصية الشاعر على ما هي عليهِ من القوة والجبروت فانها تقل عن نفسها اذا تناولت ضوعات لا تلائمها واظهر ظاهرة على ذلك قصيدة « كاس وضوء » صفحة ٧٢ فانها غير موفقة على غم من ندرة تفكيرها واستقامة اسلوبها ومثيلاتها في الديوان قليلة جداً بحمد الله

ولا شك ان الكلام عن اسلوب العقاد مفروغ منهُ لان جزالتهُ وفخامته واقراره الفاظه المنتقاة امكنتها من البلاغة مشهورة معروفة فلا يتحذلقن احد بنقده مثلاً في قولهِ

هنا—ويا حسن ماضمت هنا—قدح تغوي قلوب المطاشى اي اغواء

فيقال له ان القدح هي التي لا شراب فيها والاَّ فهي كاس وان مهيار الديلمي لا يصح الاستشهاد بقوله

واذكروا حيًّا اذا غنى بكم شرب الدمع وعاف القدحا

نقول ان مثل هذا التضييق على اللغة ومثل هذه الحذلقة في النقد مما لا نفهمهُ ولا نريد ان نفهمهُ بقي ان نشير الى اروع قصيدة في الديوان وهي قصيدة « كلماتي » صفحة ٨٥ فان فيها من مبتكر التفكير ريف الحسن وبالغ الشعر ما نود ان يتذوقه كل مطالع لها واليك بعض ابيات تؤيد ما نقول :

هل معيني وحيك الصادق ام وحي الثبات
ما ضياء ثم في الافق وفي كل الجهات
لا من الارض ولا من دلوة الافلاك آت
لا تراهُ غير عيني وهو ملء الكائنات
رب عمر طال بالرفعة لا بالسنوات
رب آبادٍ تجلت من سكوى مختلفات
وقطيرات زمانٍ ملأت كأس حياةٍ
زوة اتفق منها لحياتي ومماتي
ولبعثي يوم ان تبعث في الطرس وصاتي
لا يبوح الصمت الا درجاتٍ درجات

هذا شعر نظن ان الكثيرين لا ممن يقرءون بل ممن يعالجون الشعر الحديث لا يحسون بما فيه من روعة وجمال وعما يفتح على الحياة من آفاق جديدة وقد يقرأونهُ ويمرون بهِ ذلك ان الشعر كالجمال لا يمكن تحديده وتعريفه وتقسيمه لانهُ شعور يختلف قوة وضعفاً باختلاف القوة والضعف من النفوس . و الامر لله من قبل ومن بعد خ . ش

صوت الجيل

بقلم ابراهيم المصري — صفحاته ١٤٩ طبعت بمطبعة سابا بمصر

هذا كتاب بين الملتهب والمتئد . ولولا قوة في المؤلف ومقدرة على التعبير ما استطاع ان يرد البحث الرزين بالنظرات العنيفة

يلتهب ابراهيم المصري حين ينصرف الى وصف الاحوال المصرية ويندد بمناقصها ويصرخ وجوه الشيب ان تنحوا وافسحوا المكان للشبان فقد افسدتم هذا البلد وقعدتم بهِ عند الجمود رجعتم بهِ القهقرى ، وحين يصف العناء الذي يصيب المثقفين اولئك الذين يعيشون في بيئة ليست لهم وليسوا لها من حيث انها جامدة راكدة يتغلب السأم عليها وتضطرب المادة بين جنباتها و يعلن انهُ يؤمن بالثقافة ولا يرضى سواها ، وحين يشدد النكير على ما في الحياة المصرية من استسلام وضعف ومسكنة. ثم يتئد ابراهيم المصري اذ ينصرف الى النقد الادبي . فله في ميدانهِ جولات المقتدر الثبت . فان هو اخذ يتبصر في الادب المصري اجاد في التحليل والفحص . وله مقالان على جانب عظيم من النفاسة اولها يبحث في النقد في مصر والثاني في القصة المصرية . ولا شك عندنا ان هذين المقالين بمنزلة الدراسات الغربية من حيث التأليف والبعد في النظر والصدق في القول . وبو

... علينا هذا البلد لعلهم يرعوون وقصاصه لعلهم يقصون شيئاً من اجنحتهم المستطيلة — هذا وان اخذ ابراهيم المصري يتحدث عن الادب الغربي ذهب في النقد الى الحد الذي يكاد يترك مطلباً وراءه . ومن امثلة بحثه ما قال في (اناتول فرانس) و(تاغور)

ثم انهُ يشتد فوق هذا حين يعمد الى البحث الفلسفي . ومما تنشرح له الصدور انهُ لا يبذل ... الا طالما رددناها او قرأناها ولا يخبط في تعبيره ولا يخلط . ومما ينوه بآرائه انها تثير النقاش والجدل . ومن ذلك اننا لا نذهب مذهبهُ في ان المصريين يسرفون في تغليب العقل على العاطفة والواقع عندنا على خلاف هذا . ثم اننا لا نرى رأيه حين يقول ان ما من حب متبادل كامل عظيم يمكن من تغذية عبقري بعناصر انسانية جديدة وهيأه لفهم جوانب من الحياة كان يجهلها لأن الحب الكامل انما هو صفاء وسكون اقرب الى الجمود والاكتفاء بالواقع منهُ الى النشاط والتجدد وما اليهما — فهل غاب عن المؤلف ان (اوجست كونت) و (بودلير) و (موسيه) لولا النساء اللواتي احبوهن الحب المنيع المطرد ما صنعوا شيئاً او ما كادوا يصنعون

وبعد فما يلاحظ من مقالات « صوت الجيل » ان صاحبها ترجع ثقافته الى الفرنسية . ففيما كتب بعض مميزاتها الرائعة الخلابة مثل الوضوح والترتيب والتسلسل والاستشهاد

وأما اسلوبهُ فجبار عنيف حين يلتهب صاحبه ورصين متراص حين يتئد . الا انهُ على قوته ودلالته على المعنى احسن دلالة لينقصه الوشي والحبك

ذلك « صوت الجيل » الا انهُ بقي ان نقول ان هذا الكتاب لما يعوِّل عليهِ الباحثون فيما يأتي من الزمان في سبيل تدبر الحياة المصرية وذهنيتها للعهد الذي نحن فيه. وعليهِ فان «صوت الجيل» من المتوقع ان يبقى ولو من هذا الجانب

حميات في الغرب

تأليف سليم خياطة — طبع في بيروت — صفحاته ٣٦٨ قطع صغير

مؤلف هذا الكتاب ، على ما يلوح لنا ، شاب متوقد الذهن دقيق الملاحظة واسع الاطلاع زار الغرب حديثاً وتجوّل في انحائهِ عشرة اشهر او تزيد ، مستطلعاً انباءهُ معنياً بصراع الجماعات فيه ، مهتماً بتتبع التطوُّر في مُثُلهِ السياسية العليا من فاشستية على صورها المتباينة ، ودمقراطية تحتضر في المانيا (قبل قيام النازي) وتتأهب لتتحوّل في اميركا بزعامة روزفلت ، وشيوعيةٍ اخذها لنين عن ماركس ، وحوّل فيها هو واتباعهُ وفقاً لمقتضيات الحالة في روسيا ، وصهيونية تستعملها يد الاستعمار لمحاربة نهضة العرب — على مايقول المؤلف ـ فحة به — ولمكافحة اتحاد الجمهوريات السوفيتية . وهذا الجزء الذي بين يدينا يشمل مباحثهُ في الصهيونية والفاشستية ، وهو طافح بالملاحظات الطريفة والآراء التي قرأها لكتاب الغرب ، ثم رأي ما يؤيدها او ينفيها فيما شاهده من الاوضاع والنظم.

ولولا عجمة في اسلوبه ، لكان الكتاب جامعاً لالوان النفاسة في التأليف . ولكنك تتعثر بين جمله ، وانت في ريب من نفسك ، هل هذه آراؤه ، كما يدلُّ سياق الكلام وحرارة الشعور ، او هو كلام مترجم ، كما يؤخذ من تركيب العبارة ؟ ونحن نرجّح الرأي الاول ، ونريد ان نتوقع استقراراً في الاسلوب في كتابهِ التالي ، يجعله خالياً من عجمة التركيب في العبارة ونشوز في بعض الالفاظ والمصطلحات . فنحن مثلاً لا نستطيع ان نسيغ بحال من الاحوال قولاً كقولهِ (الدوتشه سلاطة تناقضات) او عبارة (نية حميمة تعانق ميول تفكيري ، تناغش فضولي وتهيجهُ) او عبارة (جميع هذه الطلاسم تحفر في الدماغ رهطاً من الافكار ...) . ونحن واثقون ان المؤلف سوف يكون لهُ شأن في عالم الكتابة اذا هو عني باسلوبهِ ، لانهُ يجمع في نفسه عناصر الكاتب المجيد من شدة في الاحساس وسعة في الاطلاع ودقة في الملاحظة واستقلال في الفكرِ ...

الحكيم وسلمى

تأليف توفيق حسن نادر الشرتوني في ١٣٤ صفحة طبع بيروت سنة ١٩٣٣

قصة موضوعها بديع وهي كما يقول المؤلف في المقدمة (قصة كل فتى وفتاة وكل رجل وامرأة لان الطبيعة البشرية واحدة لا تتبدل ولا تتغير يشعر بها كل الناس على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم واجناسهم) . والقصة تعرض فتى وفتاة قد تحابا ولكنهما غير متكافئين اخلاقاً وطباعاً وميولاً الشاب يحبها حبًّا شهوانيًّا ويرى ان تكون الشرائع جميعها والتقاليد معبدة لطريقهِ الشهواني وان وقفت في طريقهِ ثار عليها وعدها من مخلفات العصور القديمة التي لا يصح ان تطبق على هذا العصر . والفتاة عفة شريفة تحافظ على شرفها كما تحافظ بجانب هذا على اخلاصها لحبيبها ومن هنا اصطدمت الرغبات الفتاة تحبه ليكون زوجاً شرعيًّا لها وهو يحبها لتكون خليلة له فالقصة تعرض حبًّا غير متكافىء ثم هي فوق ذلك تبين أثر الحكماء في كل عصر وانهم مصابيح هدى ، فلولا الحكيم الذي تولى الفتاة سلمى بنصحهِ وارشادهِ لسقطت بين احضان هذا الفتى الخليع . ثم تعرض القصة فوق كل ذلك لنقطة لها شأنها هي الثورة على الشرائع والميول الاباحية فترى حبيب سلمى يقول لها ليدفعها عن طريق الزواج الشرعي وليغريها برأيه الاباحي (ما هي أهمية عقد الزواج الذي تريد ان نتقيد به ان عقد الزواج الصحيح هو ما تعقده الطبيعة على جميع احيائها لا ما يعقده الكاهن والقضاء فاذا كان يعوقنا الآن ان نتمم شرائع الزواج دينيًّا او مدنيًّا فلماذا لا نتمم شرائع الطبيعة تلك الشرائع الغريزية التي يوحي بها الوجدان وحفظ الكيان لماذا لا يتزاوج البشر كما تتزاوج الاشجار لماذا لا يتخالطون كما تتخالط الاسماك في البحار والعجموات في القفار لماذا نحافظ على هذه الشرائع العقيمة التي وضعها الاقدمون لعصورهم وهي لا تصلح لعصرنا . . . . الخ) ولقد تناول المؤلف هذه النقطة والرد عليها بشيء من التوسع

ي تطلق في كليفورنيا على « الشجرة الجبارة » المنسوبة الى الفصيلة الصنوبرية ايضاً
ثامناً الرجوع الى صفة بارزة من صفات النبات وتسميته باللفظة اليونانية التي تدل على تلك الصفة.
ـذا الشكل في وضع الاسماء هو الاعم مثال ذلك النبات المسمى أسبيديسترا من الفصيلة الزنبقية
ـ مبذول في بيوت دمشق وأراه امامي وانا اكتب هذه المقالة . فهذه اللفظة معناها الدُرَيقة
، الترس الصغير لان زهرته مبيسماً لحمياً غليظاً على شكل قبعة مستديرة محدبة تغطي الزهرة
ـطاء القدر. ولنتمثل ايضاً بنبات ثان تمثل به صاحبنا العالم النباتي الفرنسي الذي ألمعت اليه وهو
ـات المسمى اكريدوكربوس فان هذه اللفظة مركبة من لفظتين يونانيتين معنى الاولى جرادة
ـعنى الثانية ثمرة . فترجمة الاسم العلمي اذن عشبة الثمرة الجرادية او الجرادية الثمرة . وفي الحقيقة
التي الانسان نظرة على ثمرة هذا النبات رآها تشبه جرادة طائرة مبسوطة الجناحين . وأسماء
ـاتات التي وضعت على هذه الطريقة تعد بالالوف ولهذا يقولون ان اليونانية واللاتينية هي لغات
وربية معين لا ينضب . ولهذا ايضاً ترى علماء النبات يشعرون بماهية النبات من تلاوة اسمه .
ـكس بالعكس اي اذا كان النباتي قديراً في صنعته يدرك من نظرة يلقيها على نبتة من النباتات
صفات تلك النبتة كما يدرك الاسم الذي يجب ان يكون وضع لها . تاسعاً اتباع طرق شاذة في
ـع اسماء النباتات كأن يكون النبات منسوباً الى أحد العلماء لكن اسم هذا العالم طويل يصعب
ـفظ به فيحرفونه ويختصرونه حتى يسلس على اللسان ويرنّ جيداً في الاذن . وكأن يبدلوا مكان
ـروف في اسم احد النباتات اي يستعملوا القلب المعروف في اللغة العربية ويخلقوا على هذا الشكل
ـا جديداً لنبات جديد . ومما يتفق لهم ايضاً ان يضيق العالم بالامر ذرعاً فيضع للنبات اسماً لامعنى له
ـظة لوازا الدالة على زهرة معروفة فانها لامعنى لها وقد ركبها ادنسون من حروف وردت على خاطره عفواً

النقل الى العربية

اما وقد عرفنا كيف وضع العلماء الاوربيون اسماء لتلك العدد العظيم من النباتات اصبح من
ـهل علينا استنتاج السبل التي يجب ان نسلكها في وضع الفاظ عربية او معربة لها . واذا أنعمنا
ـظر في قائمة اجناس النباتات نجد منها عدداً عرفه اجدادنا ووضعوا له اسماء عربية او عربوا
ـاءه اليونانية كما نجد عدداً لم يعرفوه . فالقسم الاول ندع الفاظه العربية او المعربة على حالها
ـستعملها كما وردت في كتب العشّابين والاطباء كابن البيطار وغيره بعد التثبت من صحة اللفظة لان
ـساخ وعمال المطابع كثيراً ما يعبثون بها
اما القسم الثاني فهو الاهم بل هو بيت القصيد لان ما جهله اجدادنا من النباتات يبلغ اضعاف
ـعرفوه منها . ففي هذا القسم أرى ان نسير في وضع الاسماء المسميات على الطريقة الآتية . وهي :
اولاً اعطاء الاجناس النباتية المنسوبة الى افراد من الناس (علماء وملوك وحكام وغيرهم) او الى

ـة في الواقع موضوعها جميل غير انه تنقصهُ الصورة الفنية التي يبرز بها فتشتمل عليهِ النفس
. لقد حرمنا المؤلف من الوصف الدقيق والتحليل النفسي العميق فالقصصي في الواقع
اماً يجب ان يعطي القارىء صورة دقيقة ترتسم في ذهنهِ تامة الوضوح والتعبير والتناسق .
ـة التي أنا بصددها من هذا قليل جداً فليس فيها وصف للاماكن ولا لاشخاص القصة
ـها تحليل لنفسيات اشخاصها ولا للحالات التي تلازم نفوسهم في حوادثها . فنرى مثلاً
أوقع الفتاة سلمى في حيرة فهي لا تدري أتسلم برأي حبيبها وتثور على الشرف
أم تترك هذا الحبيب وتتنكر لهُ ولحبهِ ولكنهُ لم يعرض علينا النضال الذي تام في نفسها
ـة والشرف أو بين الحب العف والحب الدنس واكتفى بان عرض نتيجة هذه الحيرة وهي اما
أو تنتحر . ثم هو فوق ذلك يجعل هذه الفتاة التي ترى الانتحار أو التسليم تسلم برأي الحكيم
ـي عليها بترك حبيبها وانتظار شخص آخر يكون جديراً بحبها دون مناقشة أو استياء كأنها
ـتزم الانتحار وتفضله على ترك حبيبها . وامثال هذه المواقف التي يعرضها دون مقدمات كافية
القصة فنراهُ مثلاً في اولها قد جعل الفتاة يستعر في قلبها نار الحب وتقضي الليل ساهرة
وتتألم كل ذلك لانها رأت في الطريق شاباً يلحظها ويبتسم لها وأظننا لم نسمع بهذا الحب
الذي تسببهُ ابتسامة من شاب مجهول في الطريق العام . ثم نراه في نقطة اخرى قد جعل الفتاة
الحكيم بحديث حبها وفي صراحة تامة حتى تقول عن حبيبها انهُ (لمس كل موضع من جسمي
ـع عنقي) مع ان الحكيم رجل مجهول عندها بل لم تعرف اسمه الاَّ بعد مقابلات كثيرة
ـجرد ان سألها بفضول عن سبب حزنها . وقد فات المؤلف ان طبيعة الفتاة الشرقية تأبى ذلك
ـديث الحب من العسير جداً ان تتحدث بهِ فتاة ومع شخص مجهول عندها
تجاوزنا عن امثال هذا القصور الفني كانت القصة بعد ذلك بديعة يرى فيها كل شاب وفتاة
وعظة

عطيه فهمي شاهين

مختار البيان والتبيين للجاحظ

تصنيف خليل بيدس وشريف النشاشيبي في ٢٤٨ صفحة من القطع المتوسط
وطبع بمطبعة بيت المقدس

ـاحظ امام من ائمة الادب والعلم نشأ عبقرياً شأنهُ شأن اكثر الادباء في عصره فكان في مستهل
ـبيع الخبز والسمك ولكنهُ لم يلبث حتى عاف هذه الحرفة وعكف على الادب وساعده
ده ورغبته وذكاؤه لان يكون علماً من اعلام العلم والادب . وكتابهُ البيان والتبيين نال مكانة
في عالم الادب وشهرة واسعة وكان يعوق الشباب المثقف عن قراءته هو وغيره من كتب
العربي القديم رداءة طبعه وعدم تهذيبه وكثرة استطراداته الامر الذي يسبب الملل والسأم والذي
لاستفادة منهُ قليلة والسير فيهِ عسيراً وهذا على ما اعتقد السبب في عزوف الشباب عن

الادب العربي واندفاعهم الى الادب الغربي الذي يبهرهم حسنه وسهولته . . . . . . ولقد احسن المصنفان خليل بيدس وشريف الشاشيبي باخراج كتاب البيان والتبيين في طبعة مبوبة تتفق وذوق المطالع الحديث ولقد قاما حقاً بمجهود عظيم فقد جاء في المقدمة (وقد اختصرناه على ما يوافق غرضنا من هذا العمل ونحن حرصون على ان نختار افضله واجوده وننتقي اعذبه واطيبه ليكون كتاباً مدرسيًّا قريب المنال صافي المورد وقد جاهدنا جهاداً غير قليل في ترتيبه وتنسيقه فجمعنا كل بحث من ابحاثه في باب على حدة ثم ضبطناه وشرحناه وطبعناه طبعاً متقناً انيقاً على اجود ورق واحسن هيئة ولم نتصرف في ابحاثه بين زيادة ونقصان الا حيث كانت تدعو الحاجة او يقطرنا السياق ولكنا تصرفنا تصرفاً تامًّا مطلقاً في ايراد الاخبار والاقوال على ما يوافق الابواب) . . . .

والكتاب مصدَّر بترجمة وافية للجاحظ ثم يتلو ذلك ابوابه واولها حسن البيان وعي اللسان فالبلاغة فالايجاز فالشعر فالخطابة وهكذا الى نهاية الكتاب وهو يطالعنا في كل باب من هذه الابواب باقوال الادباء وآثارهم لا يتقيد في ذلك بعصر من العصور . فالكتاب من هذه الناحية له قيمته الادبية لانه يطلعنا على آراء كبار رجال الادب قديماً في بعض موضوعاته ثم هو فوق ذلك يعرض علينا كثيراً من الخطب والوصايا والحكم والنوادر والشعر . واظهاره على تلك الصورة التي تلائم الطالب تجعله في الحقيقة كتاباً مدرسيًّا مفيداً . اما انه ككتاب ادبي يصح ان يعتبر وسيلة ادبية فهذا لا يتلاءم مع التغير الذي طرأ عليه ع . ف . ش .

محاولات في درس جبران

تأليف امين خالد يقع في ١٠٠ صفحة من الحجم الصغير

بين يدي كتاب صغير في درس جبران خليل جبران وهو في الحقيقة بحث جريء في موضوع جريء فجبران كاتب حر التفكير جريء ولا بدَّ لمن يدرسه من ان يكون جريئاً . والمؤلف في هذه الرسالة عميق التفكير دقيق البحث قوي الملاحظة شديد الانتباه وهي صفات يجب توافرها فيمن يتصدى لدرس امثال جبران فلا يجب ان نأخذ اقواله بمدلولها السطحي بل يلزم ان نغوص معه ونتعمق في معانيهِ حتى نصل الى الفكرة التي قصدها والغرض الذي اراده . ولقد وفق امين خالد في الغالب واطلعنا على نواح من جبران لما خطرها ولكن كنا في بعض الاحيان لا نتفق معاً على النتيجة التي كان يستخلصها من مقدماته ولا على التعليل الذي يعلل به بعض آرائه . . .

يبتدىء الكتاب بتوطئة قصيرة ثم دراسة العناصر المؤثرة في شخصية جبران ثم يعقبها نظرة جبران في الحب فنظرته في الاخلاق واللذة والواجب والتوبة ثم انشاء جبران وغير ذلك من الدراسات العميقة لفلسفة جبران وادبه فالكتاب مفيد لمن يريد ان يدرس هذا الفيلسوف الجريء — الذي اتخذ الفلسفة من مدرسة الحياة — ويطلع على آرائه الحرة المتطرفة ع . ف . ش .

باب الاخبار العلمية

الاجنحة الفرنسية

بين النكبة والظفر

من عجائب الطبيعة ان يتحاذى فيها الجبل الوادي ومن آيات الحياة ان يتقابل فيها الظفر الخذلان والفرح والالم. كذلك فكرنا في ١٦ يناير قرأنا في عمود واحد من احدى صحفنا نبأ ودة السرب الفرنسي من رحلته الجوية الافريقية وم ١٥ يناير فاستقبل استقبالاً حافلاً في مطار ورجه ونبأ النكبة التي حلّت بالطيران الفرنسي سقوط الطيارة «اميرود» واحتراق جميع ركابها مساء ١٥ يناير نفسه

ففي يوم واحد بسمت الحياة لفرنسا وعبست. اذ كانت الطبيعة تحبو فرنسا بغبطة الظفر في حية كانت تهيء لها كذلك مرارة الخذلان والم كبة في ناحية اخرى. غير ان فرنسا المجيدة ستطيع ان تتناسى بغبطتها وألمها معاً الى امجاد اخرى

وقد اطلعنا في جريدة البوبولو ديطاليا على ال نفيس للمرشال بالبو الايطالي — قائد السرب ي طار من ايطاليا الى شيكاغو وعاد الى ايطاليا السنة الماضية — عن رحلة السرب الفرنسي يادة الجنرال فويلمان فرأينا ان نثبت هنا طرفاً ما جاء فيها لمكانة رأيه في هذ الموضوع قال: ان الطيران الايطالي قد تتبع بعناية كبيرة رحلة السرب الفرنسي بقيادة الجنرال فويلمان لأنها ولا ريب رحلة خطيرة حافلة بالفوائد

لم يهتم الرأي العام الدولي بهذه الرحلة الاهتمام الجديرة به لان الصحف لم تردد انباءها كما فعلت في حوادث اخرى من هذا القبيل. وخطر هذه الرحلة من وجهة تقدم الطيران انها الرحلة الاولى التي عنيت الحكومة الفرنسية بتنظيمها بعد محاولات الطيارين الافراد من ابطالها في مختلف نواحي الطيران واحرازهم اكاليل الفوز في غير واحدة منها. فقد كنا نحن في ايطاليا اول من رأى ان عهد الجهد الفردي في الطيران قد انقضت فائدته وانه لا بد من تجربة التجارب برحلات الاسراب الجوية المنظمة لان ما يجنى من امثال هذه الرحلات اجدى نفعاً على ارتقاء الطيران. ورحلة سرب الجنرال فويلمان تدل على ان فرنسا اخذت بهذه الخطة ولا ريب انها سوف تصيب فيها من الامجاد مثل ما اصابته في عهد الرحلات الفردية

انها لن تقف عند هذه المحاولة. لان الطيارات هي الحضارة. وليس في هذا القول مبالغة رغم الحوائل النفسية وغيرها مما أخر تقدم

الطيران المنظم حتى الآن تأخيراً معيباً . وقد احسنت فرنسا في انها جعلت رحلتها الاولى مصبوغة بالصبغة الافريقية حيث تمتد امبراطوريتها العظيمة فترتبط بين شعوبها والشعب الفرنسي ولا ريب في ان هذه الرحلة ستفتح طرقاً جديدة للمواصلات الجوية في الصحراء الكبرى اذ لابد من دك هذا الحائل الكبير — اعني الصحراء الكبرى — التي يهواها طلاب المغامرة ولكنها تقف سدًّا في سبيل ترقية افريقية واستثمار مواردها الغنية لفائدة البشر

وقد افتتحت فرنسا خطتها الجديدة برحلة احسن تدبيرها من كل الوجوه التجارية والفنية . فهي لم تصنع لهذه الرحلة طائرات جديدة ولا محركات جديدة بل قد استعملت الطائرات الشائع استعمالها في السلاح الجوي الفرنسي . ثم ان رحلة يجتاز فيها سرب من الطائرات مسافة عشرين الف كيلو متر في ٣٢ مرحلة في اربعين يوماً تحتاج الى تنظيم دقيق في كل مايتصل بطعام رجالها وبنزين الطائرات وأماكن اصلاحها اذا احتاجت الى اصلاح ومواقع النزول والقيام بوجه خاص لان اكبر جانب من الرحلة كان فوق صحارٍ قاحلة

وقد اثبت الجنرال فويلمان انه رجل ممتاز وانهُ ادرك مقتضيات الطيران الحديث المنظم فسار في رحلته بعد شهر واحد من التمرين وهي رحلة تحتاج الى صفات نادرة في الرجال من قوة الارادة ورباطة الجأش وضبط النفس . ان اجتياز سرب كبير من الطيارات للصحراء الكبرى مفخرة عظيمة للطيران العالمي وقد اثبت السرب الفرنسي دقة متناهية في القيام في المواعيد والوصول في المواعيد المعينة للمراحل المختلفة ولم يحدث لهم حادث يستحق التدوين لان السرب سار بحسب النظام الذي وضع له

كانت الرحلة صعبة المراس وكانت الاقطار التي اجتازها السرب يختلف احدها عن الآخر فقد طار فوق جبال شاهقة وجبال متوسطة العلو وصحارٍ قاحلة شاسعة . فالنجاح تاج جدير بهذا الجهد العظيم

سم الاسنان وسم التعب

العناية بالاسنان من مستلزمات الصحة فاذا تركت الاسنان تفسد وتبلى ادى ذلك الى اضطراب الهضم . بل انهُ اذا كان في ميناء السن اصغر منفذ الى الداخل بات ذلك المنفذ الصغير بؤرة تتجمع فيها البكتيريا . وقد أبان الدكتور هيات من اساتذة مدرسة طب الاسنان في كلية جامعة نيويورك ان اصغر ثقب او شدخ في السن يسع ٩ آلاف مليون من البكتيريا . وفحص مليوني سن فوجد انهُ اذا اهملت السن فانها تفسد وتبلى على نسبة ٢٠٠٠ الى ١ . والعلاج الوحيد هو حشو الثقوب التي في الاسنان والانتباه للطعام

ولما كان عدد الذين يهملون اسنانهم ويفضلون احتمال الالم على استشارة طبيب الاسنان كثيراً جدًّا لا عجب اذا كثرت الاصابات بالامراض الخاصة بالجهاز الهضمي وحوادث «التسمم» العام

وهناك سم آخر لاينتبه له كثيراً وهو سم التعب . وقد عرف ان التعب يولد سمًّا في الدم او « توكسيناً » سماه الدكتور فيخرت الالماني

« كينوتوكسين » . ودرس هو والبروفسور انزلر هذا الموضوع درساً وافياً . واليك خلاصة بحثهما : —

ان معظم الامراض الخطرة يسبقها شعور بالفتور والتراخي الشديدين وكل من اصيب بالانفلونزا او ذات الرئة (النومونيا) اوالقرمزية او التهاب اللوزتين وغيرهـا يعلم ذلك الشعور بالتعب الشديد عند هجوم المرض وبان الرجلان لا تكادان تحملان الجسم

فوجد الباحثان المذكوران ان سبب هذا الشعور هو امتصاص الجسم للجرثومة الخاصة بالمرض فاستدلاً من ذلك على ان التعب ناشيء كذلك عن «تسمم» الجسم بنوع من التوكسين . وحقن الدكتور انزلر عضلات ضفدع تعبة بمحلول الملح في الاوردة غاسلاً به التوكسين الذي سبب تعب العضلات فعاد الى العضلات نشاطها المعتاد

وتبين له ان حالة التعب ناشئة عن زيادة الحمض في الجسم . ولمقاومة هذه الحالة نذخر في اجسامنا مقادير من المادة القلوية . وهذه المادة تفرزها اجسامنا وتمتصها مدة اشتغالها بعمل شاق متعب . وكذلك تفرز اجسامنا العرق الغزير في الرياضة العنيفة . والعرق حمض مالح مشبع بتوكسين التعب . فاذا تعب الجسم تعباً عادياً فان النوم يزيل هذا التوكسين منه فاذا لم يسترح الاستراحة اللازمة في النوم شعر بالتعب والاعياء واذا دام الحال على هذا المنوال اي اذا تعبنا كثيراً ولم تنل اجسامنا القسط اللازم لها من الراحة والتعويض اما من قلة الغذاء او من قلة النوم فانها لا تلبث ان يدركها الضنى

تهشيم الذرة

اطلق الاستاذ لورنس من جامعة كاليفورنيا دوتونات سريعة جداً على بعض المواد فهشمت بعض ذراتها واطلقت قدراً كبيراً من الطاقة . ووجّه كروكروفت وولطن من جامعة كمبردج الدوتونات الى عنصر البورون فهشمت بعض ذراته واطلقت قدراً كبيراً من الطاقة . وكذلك وجّه عالمان من علماء جامعة شيكاغو الدوتونات الى عنصر النيون فوصلا الى النتيجة نفسها . وحولت ذرات الليثيوم في كيل بالمانيا باطلاق بروتونات بطيئة بطئاً نسبيًّا عليها

* ثبت امكان تحول الطاقة الى كتلة باطلاق نوى ذرات الهليوم على عنصر الليثيوم

الايدروجين الثقيل

ذكرنا في انباء الكيمياء صفحة ٢٥٠ ان احد العلماء اقترح اطلاق اسم بروتيوم على الايدروجين العادي (وزن ١) واسم دوتيريوم على نظيره الايدروجين الثقيل (وزن ٢) وقد قرأنا الآن ان اللورد رذرفورد اقترح اطلاق « دبلوجين » على الايدروجين الثقيل و « دبلون » على نواته

استدراك

جاء في مقال « الطبيعة رائد المخترعين — المنشور في هذا الجزء من المقتطف » البقباق المائي والصواب البق المائي

ونبّهنا الاديب روح شُخاشيري نجل الدكتور شخاشيري الى خطإٍ وقع في الصفحة ٤٤ من العدد الماضي سطري ٢٩ و ٣٠ والصواب بابدال لفظ «ماء» بلفظ «هواء» مرتين في السطر ٢٩

العلم في العام الماضي

الطبيعة

* كانت أدنى درجات الحرارة التي بلغها علماء جامعة ليدن بهولندا ٨٥/١٠٠٠ من الدرجة فوق الصفر المطلق، وهي درجة البرد التي تقف عندها حركة الذرات

* اثبت الدكتور بلاكت والباحث اوكياليني في جامعة كمبردج وجود البوزيترون (الكهرب الموجب) الذي اكتشفه الدكتور كارل اندرسن احد اساتذة جامعة كاليفورنيا

* اطلق اسم دوتون Deuton على نواة الايدروجين الثقيل الذي كشف سنة ١٩٣١ ودعي دوتيريوم Deuterium

* يرى الدكتور بلاكت مثبت وجود البوزيترون ان الفضاء بين المجرات حافل ببوزيترونات عظيمة الطاقة. وان مجموع كتلتها جزء لا بأس به من كتلة الكون

* دلت المباحث التي قام بها كومطن وملكن في الاشعة الكونية على انها خليط من الدقائق والفوتونات (دقائق الضوء) وقد يكون في بعضها بوزيترونات (كهارب موجبة)

* اثبتت تجارب مركوني ان الامواج اللاسلكية القصيرة تخترق الجبال وتتحدب بتحدب الارض فتبلغ المحطات اللاقطة التي وراء الافق

* تبين من مباحث العلماء في سويسرا وانكلترا ان الاوزون يكثر في الجو على ارتفاع ثمانية اميال فوق سطح البحر

* يذهب الدكتور فرانز كوري Kurie احد اساتذة جامعة ييل الى ان النيوترون دقيقة اساسية من دقائق الكون وليس مركباً من كهرب وبروتون محشوكين معاً اي ان احدهما قريب من الآخر حتى يكادان يكونان متلاصقين

الكيمياء

* صنع الاستاذ لوس (جامعة كاليفورنيا) اثقل ماء عرف حتى الآن لان الماء الذي صنعه كان مركباً (٩ر٩٩ في المائة) من نظير الايدروجين الذي وزنهُ ٢ وهو المعروف بالدوتيريوم. وقد ثبت في جامعة برنستن ان الماء الثقيل (اذا كان ٩٢ في المائة من ايدروجينه ايدروجيناً ثقيلاً «دوتيريوم») يميت دعاميص الضفادع وبعض الاسماك والديدان

* اقترح ان يدعى الايدروجين (وزن ١) بروتيوم وان يدعى نظيرهُ (وزن ٢) وهو الايدروجين الثقيل دوتيريوم

* كشف الاستاذ استن (جامعة كمبردج) وهو المعروف بابي النظائر نظيرين جديدين لعنصر الزئبق وزن احدهما ١٩٧ ووزن الآخر ٢٠٣

* تمكن الكيماوي المجري زنت جورجي من تحويل السكر والنشاء الى مواد ابسط تركيباً، بتعريضها لفعل امواج الصوت التي لا تسمع لقصرها. واثبت عالمان من جامعة بنسلفانيا ان امواجاً صوتية مما يمكن سماعه، تجمد المواد الزلالية وتحل الادهان النباتية وتحول السكر الى [illegible]

الطيران

كان اعلى ما حلّق اليهِ الانسان ارتفاع ... قدماً بلغه الطيارون الروس في بلون ولم ... بهِ اعترافاً رسمياً . اما الرقم القياسي فهو ... ٦ قدماً فوق سطح البحر بلغهُ الكومندر الماجور فوردني من البحرية الاميركية في معرض شيكاغو في اواخر الصيف المضي

طار الطيار الاميركي وِيلي بوست حول ... في سبعة ايام وبضع ساعات . بدأ رحلته ... يورك فعبر المحيط الاطلنطي ثم طار فوق ... روسيا فاجتاز سيبيريا الى الاسكا ومنها الى الولايات المتحدة فقطعها من الغرب الى ... وكان وحده في هذه الرحلة وهو أعور

ضرب الملازم فرنشسكو آجلو الايطالي القياسي العالمي للسرعة بطيارة مائية اذ سرعتهُ في ١٠ ابريل ٨٢٢ر٤٢٣ الميل في (١٦٨ر٦٨٢ كيلو متر في الساعة) او اكثر من سبعة اميال في الدقيقة

* اعلى ما بلغهُ الطيارون بطيارة ٤٤٨١٩ (١٣ر٦٦١ متراً) وهذا الرقم القياسي الفرنسي لوموان

ضرب الطياران الفرنسيان رومي وكودوس القياسي العالمي في طول مدى الطيران اذ من نيويورك الى الرياق في سهل البقاع في ... واحدة والمسافة ٣٨٧ر٥٦٧٥ الميل أو ...٩٠٤ر... الكيلو متر — وطار الطيّاران ... ... وفيكولتس من انكلترا الى جنوب افريقية الغربية مسافة ٥٣٤١ ميلاً في ٥٧ ساعة و ٢٥ دقيقة — وطار الطيار تشارلس اولم من انكلترا الى استراليا في ستة ايام و ١٧ ساعة و ٥٧ دقيقة

* ظل الطيّار الالماني كورت شمت معلقاً ٣٦ ساعة و ٣٥ دقيقة في الهواء بطيارة من الطيارات المعروفة بالسابحات في الهواء (اي بلا محرك)

* واجتاز الطيّار الاميركي الكولونيل روسكو ترنر الولايات المتحدة الاميركيـة من لوس انجلوس الى نيويورك في ١٠ ساعات وخمس دقائق و ٣٠ ثانية . فكان متوسط سرعته نحو ٣٠٠ ميل في الساعة

الفلك

* في ٩ اكتوبر تساقط في اوربا شؤبوب من الشهب لم يحسب الفلكيون لهُ حساباً

* في اغسطس ظهرت كلفة كبيرة على سطح السيار زحل

* حسب الاستاذ جوي Joy (استاذ علم الفلك سابقاً في جامعة بيروت الاميركية) ان المجرّة تدور كعجلة العربة في مدة قدّرها بـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٤٠ سنة

* حسب الدكتور مكملن احد أساتذة جامعة كاليفورنيا ان حرارة قلب الشمس تبلغ ٠٠٠ ٠٠٠ ١٠٠ درجة مئوية على الاكثر

* المرجّح بحسب مباحث علماء الفلك في مرصد مشيمن بمدينة بلومنفلد (جنوب افريقية) ان نجماً مو... كل اربعة نجوم في الفضاء هو نجم مزدوج

* اكتشف فرع مرصد هارفرد بمدينة جوهانسبرج (جنوب افريقية) نجماً متغيراً تغير قدره (لمعانهُ) ١٦ مرة في اليوم

* يرى الاستاذ رسل فلكي جامعة برنستن ان بناء العناصر الثقيلة من الايدروجين هو مصدر الحرارة العالية داخل النجوم

* اثبت الدكتور وورفيلد الفلكي الانكليزي ان لمعان القمر المخسوف يبلغ $\frac{١}{٢٠٠٠}$ من لمعان البدر

* تبيّن ان العنصر الذي ظنّ انهُ كشف في الشمس ودعي كورونيوم (اي الاكليلي) هو وعنصر الاكسجين واحد. وذلك بحسب مباحث طائفة من العلماء في مرصد هارفرد ومعهد ماسشوستس الصناعي

* اكتشفت ثلاثة مذنبات، الاول في فبراير كشفهُ احد هواة الفلك والثاني في يوليو كشفه الاستاذ غاورينا احد علماء مرصد مدريد والثالث في اكتوبر كشفهُ الدكتور هوبيل احد علماء مرصد هارفرد

الهندسة

* فازت الباخرة الايطالية «ركس» بقصب السبق في سرعة عبور المحيط الاطلنطي اذ قطعت مسافة ٣١٨١ ميلاً من جبل طارق الى منارة امبروز امام نيويورك في ٤ ايام و١٣ ساعة و٥٨ دقيقة

* بلغت سرعة السر ملكم كمبل بسيارته على ...

* صنع حوض جاف في سوثمتن يتسع لاصلاح او ترميم باخرة حمولتها ١٠٠ الف طن

* اشرف النفق الذي يبنى تحت مرفأ بوسطن (وطولهُ ٥٧٠٠ قدم) على التمام وينتظر ان يفتتح في خلال سنة ١٩٣٤ لسير المركبات فيه فيصل مدينة بوسطن بما يعرف عندهم باسم بوسطن الشرقية

* صنع مصعد لاحدى بنايات مدينة روكفلر التي شيّدت في قلب نيويورك يقال ان سرعتهُ ١٤٠٠ قدم في الدقيقة

* تمّ نقل التيار الكهربائي مباشرة بين نيويورك ومدينة دالاس بولاية تكساس، والمسافة ١٨٥٠ ميلاً

* بني في مدينة اشفيل تنيسي برج لاسلكي علوه ٨٧٨ قدماً هو اعلى الابراج اللاسلكية التي بنيت حتى الآن على ما يُعلم

الطب

* كان البحث في الغدة النخامية، في طليعة المباحث التي عالجها العلماء في السنة الماضية فأثبتوا انها تفرز هرمونات لها اثر في النموّ والحيوية التناسلية، واستعمال الجسم للسكر، وافراز اللبن في الاناث. وبيّن الدكتور هكتور مورتيمر احد اطباء بوسطن، ان تاريخ فعل الغدّة النخامية في صحة الانسان ونموه العقلي الجسماني يمكن ان يستخلص مما يصيب الجمجمة من وجوه التغير، على ما يُشاهد في صور الاشعة السينية

* بين الاستاذ ارثر كوكا، احد علماء كلية الطب ... ان التلقيح ...

... قد يصبح مستطاعاً ، لانهُ ثبت ... الاصابة بها يمكن منعها بحقن تحت الجلد ... على سم جراثيم النزلة . وبذلك يصبح ... هذا المرض ومنع الجدري من قبيل واحد

* اثبت الدكتور سيمون فلكسنر ، احد ... معهد روكفلر الطبي ان الفيروس المسبب ... شلل الاطفال ينتقل من الانف الى الدماغ عن ... خلايا عصب الشم لان فروع هذا العصب ... على سطح الغشاء المخاطي داخل الانف

* من اعجب العمليات الجراحية التي تمت ... خلال السنة الماضية ، نزع رئة كاملة من صدر ... مصاب بسرطان الرئة والطفل الآن حي ... . وقد اجرى هذه العملية الدكتور ... في مستشفى جونز هبكنز . وكان قد ... الى عملية نزع الرئة الدكتوران جراهام ... في كلية الطب بجامعة جورج وشنطن ... مدينة سانت لويس)

* يستعمل نزع الغدة الدرقة السوية الآن ... احتقان القلب وتخفيض وطأة الذبحة ... Engina Pectoris

* استخلص الطبيبان غرولمان وفيردر — بجامعة جونز هبكنز — مادة من قشرة ... الكلوية ، يظن أنها لنقاوتها ، هي هرمون ... الصافي . ويقال ان البحث جار الآن ، ... كبير في صنع هرمون الغدد الكلوية ... التركيب الكيمائي . وقد بيّن الدكتور زوبر ... جامعة كولومبيا — ان هرمون قشرة الغدة ... له أثر في تعديل مقدار الماء والملح

والجسم ، شبيه بفعل هرمون الغدة الحلوة — الانسولين — في السكر

* عولجت سبع حوادث من تأخر النمو — حتى لكاد يكون اصحابها اقزاماً — بخلاصة هرمون الغدة النخامية الذي يزيد النمو . وعولجت نساء اصبن بالشيخوخة قبل زمانها على أثر ازالة الاعضاء التناسلية بمادة تعرف باسم ثيلين Theelin وهي هرمون الانثى الجنسي (الشقي)

* هُيّجت غريزة بناء الاوكار في اناث الارانب بحقنها بعقار محتوٍ على المادة الفعّالة من غدد امرأة حامل تدعى استر بوجن تينتز من مدينة سنسناتي الاميركية

* صنعت آلة كهربائية لمستشفى الرحمة في شيكاغو ضغطها الكهربائي ٨٠٠ الف فولط ، لتستعمل في معالجة السرطان

* صنع الفيتامين C المانع للاسكربوط بالتركيب الكيمائي في معهد زوريخ البوليتكنيك وقرر الدكتور ملر من اساتذة جامعة بال انهُ وجد علاقة بين الغذاء الذي فقد منهُ فيتامين C وكتاركتة العين وايّده في ذلك جماعة من اطباء اميركا

* ظهر من المباحث التي اجريت في معهد ركفلر الطبي ان الاستعداد للمرض صفة وراثية كلون العينين والشعر والجلد

* ادعى الدكتور مكنلي والدكتور اليزابث فردر من كلية الطب بجامعة جورج وشنطن (سانت لويس) انهما فازا بزرع مستعمرات ... باشلس الجذام في مزدرعات صناعية خارج الجسم

الجزء الثاني من المجلد الرابع والثمانين

صفحة

مكلورا فهي منسوبة الى المواليدي الاميركي المسمى مكلور. ولذلك نسميها مكلورا كما هي اللفظة العلمية او مكلورية بصيغة النسبة . ولا يجوز لنا ان نعبث بتلك اللفظة واشباهها لانها انما وضعت للتنويه باسماء العلماء واصحاب السلطان من محبي العلوم ومن حق هؤلاء على الناس أن لا تضيع اسماؤهم عملاً بإرادة النباتيين الكاشفين الذين سموا النباتات بتلك الاسماء . لكنهُ من البديهي انهُ اذا كان يوجد بلساننا لفظة عربية فصيحة تدل على نباتٍ لفظتهُ العلمية منسوبةٌ الى احد العلماء فمن واجبنا في هذه الحال ترجيح اللفظة العربية . ومن الامثلة على ذلك البقلة التي تطلق عليها لفظة العكوب فان اللفظة العلمية التي تدلُّ على جنس هذا النبات هي غونداليا وهي محرَّفة عن اسم الطبيب الالماني غوندلشيمر فنحن لسنا بحاجة الى تعريب اللفظة العلمية المذكورة ما دام يوجد لدينا لفظة عربية ترادفها . ثانياً اسماء الاجناس النباتية المنسوبة الى مدينة او كورة او اقليم فهذه ايضاً لا بد من استبقائها على حالها او جعلها بصيغة النسبة شريطة ان يرسم الاسم كما يرسمه العرب فيقال عدني لا أدني للنبات الذي يسمونه ادينيا وهكذا . ثالثاً اسماء الاجناس النباتية الموضوعة بلسان سكان البلاد التي عثروا فيها على تلك النباتات فهذه ايضاً يجب ان نعربها ولنا اسوة في ذلك باللسان العلمي وبجميع الالسنة الاوربية الشهيرة

رابعاً اسماء الاجناس النباتية الدالة على صفة بارزة من صفات النباتات . فهذه الاسماء (وعددها هو الاكبر) تترجم الى العربية بمدلولات معانيها فيقال اذن الدب للنبات المسمى اركتوتيس وزهرة الرمال للنبتة المسماة اريناريا وشجرة البهاء للشجرة التي تدعى كالودندرون الخ . وليس من المناسب على ما ارى تعريب هذه الالفاظ العلمية كما شاهدت في بعض الكتب والمعاجم العلمية العربية لان تعريب هذه الاسماء اي نقلها الى العربية على حالها يدلّ على ان الناقل يجهل معناها الاشتقاقي او على انه لم يجشم نفسه تحري هذا المعنى اثناء النقل . وهو ملوم في الحالين

وهنا اصل الى مسئلة لم اتعرض لها بعد في هذا المقال وهي ان اسم النبات العلمي يكون في العادة مركباً من لفظتين الاولى تدل على الجنس والثانية تدل على النوع . فكل ما اوردته الى الآن يتعلق باللفظة الدالة على الجنس وهي المهمة . اما اللفظة الدالة على النوع فانهُ يكون لها معنى في معظم النباتات ولهذا يجب علينا ان نترجم هذا المعنى الى العربية لا ان نفعل كما فعل بعض اصحاب المعاجم العلمية الذين اكتفوا بتعريب لفظة النوع جهلاً منهم بمعناها اللاتيني . مثال ذلك « كپانولا ربانا » ومعناها الجُرَيس الملتحي فلفظة كپانولا تدل على الجنس وقد ترجمناها بمدلولها وفاقاً لما مرَّ ذكره ولفظة ربانا تدل على النوع وهي صفة معناها الملتحي فلا يجوز ان نعربها بل ينبغي ان نترجمها بلفظة الملتحي وهكذا في كل الالفاظ الدالة على النوع اذ نقول الجريس النبيل والجريس المجتمع الزهر والجريس الكبير الورق والجريس الجذروفي الخ . واللغة العربية تتسع لكل الاسماء التي لها معانٍ من هذا القبيل والدليل على ذلك اني اوجدت في « معجم الالفاظ الزراعية » نحو الفي لفظة عربية تدل على نباتات زراعية ما كان يعرفها اجدادنا وليس لها اسماء بلغتنا . وقد عربت قسماً من هذه الالفاظ [illegible]

[illegible] شارع الخليج الناصري رقم ٩ بالفجالة بمصر

[illegible] (طبعة ثانية)
[illegible] « « « (طبعة ثالثة)
[illegible] « « عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٢٠ « القاموس عربي انكليزي وبالعكس
٢٠ قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠ « « عربي انكليزي فقط
٢٠ « « انكليزي عربي فقط
٢٠ « سقراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ)
٥٠ « « « انكليزي عربي (باللفظ)
١٠٠ « « « « « وبالعكس
١٠ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢ الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)
١٠ الف كلمة الماني (لتعليم الالمانية بسهولة)
١٥ في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠ عشرة ايام في السودان « « «
١٢ مراجعات في الاداب والفنون للاستاذ عباس العقاد
١٥ روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد عادل زعيتر)
١٥ روح السياسة « « «
١٠ الاراء والمعتقدات « « «
١٠ اصول الحقوق الدستورية « « «
٢٠ الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)
١٥ حضارة مصر الحديثة (تأليف كبار رجال مصر)
١٠ الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد)
١٥ ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
٨ اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠ مختارات « « «
٨ نظرية التطور واصل الانسان « «
٢٠ اناتول فرانس في مباذله للامير شكيب ارسلان
١٥ الدنيا في اميركا (للاستاذ امير بقطر)
١٠ المرأة الحديثة وكيف نسوسها (عبد الله حسين)
١٠ جريمة سلفستر بونار (اناتول فرانس)
٥ المرأة بين الماضي والحاضر
٥ مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي
١٥ حصاد الهشيم (للاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني)
١٠ قبض الريح (« « « « «)
٨ نسمات وزوابع شعر منثور مصور
١٠ رسائل غرام جديدة (سليم عبد الواحد)
١٠ الغربال في الادب المصري (ميخائيل نعيمة)
٥ حكايات الاطفال ج اول (مصور بالالوان)
٥ « « ثان « «
٥ « « ثالث « «
٥ تذكرة الكاتب طبعة منقحة لاسعد خليل داغر
[illegible] (للاستاذ حنا خباز)
[illegible] (الارشمندريت بشير)

١٠ التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري)
٥ خواطر حمار (للاستاذ [illegible])
٥ التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد الحميد
١٥ الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥ ذكرا وانثى خلقهم « « «
٥٠ علم الاجتماع (جزآن كبيران « «
١٥ اسرار الحياة الزوجية « «
٣٠ الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور فخري
٢٠ المرأة وفلسفة التناسليات « «
٢٠ الضعف التناسلي في الذكور والاناث «
١٥ الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي محمد)
١٠ تاييس « « « «
٥ مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠ القصص المصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠ مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢ رواية اهوال الاستبداد ، مصورة
١٠ « فاتنة المهدي ، او استعادة السودان
٨ « الانتقام المذب (اسعد خليل داغر)
٥ « فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢ « باريزيت ، مصورة (توفيق عبد الله)
١٢ « غرام الراهب او الساحرة المجدورة
٧٥ « روكامبول ، ١٧ جزء (طانيوس عبده)
٢٥ « ام روكامبول ، ٥ اجزاء «
٢٠ « باردليان ، ٣ اجزاء «
٢٠ « الملكة ايزابو ، ٤ اجزاء «
٢٠ « الاميرة فوستا ، جزآن «
٢٠ « عشاق فنيسيا ، جزآن «
١٦ « الساحر العظيم ٤ اجزاء «
١٦ « كابيتان ، جزآن «
١٦ « الوصية الحمراء ، جزآن «
١٦ « بائعة الخبز «
١٢ « فلمبرج ، جزآن «
١٠ « فارس الملك «
١٠ « ضحايا الانتقام «
٨ « المرأة المفترسة «
٥ « المتنكرة الحسناء «
٥ « مروحة الاسود «
٥ « شهداء الاخلاص «
١٦ « دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠ « فرنسوا الاول « «
١٠ « الجنون فنون « «
٨ « حورية « «
٨ « الغلامان الطريدان « «
١٢ يسوع ابن الانسان (جبران خليل جبران)
٨ النبي (« « «)

الالفاظ العلمية في رسالة اسميتها الرسالة النباتية طبعها مجمعنا العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٣٢
اما الاسماء الدالة على الصنف او الضرب النباتي فعددها كبير جداً ويندر وجودها في المعاجم
وجد في كتب الازهار والاشجار والكتب الزراعية والنباتية المهمة . واذا كان اللفظة التي تعبر
لصنف معنى من المعاني التي لها لفظ بالعربية ترجمنا معناها والا تركناه على حاله وعربناه اضطراراً
عل الاجانب عند ما ينقلون الى لغاتهم اصناف بلادنا فهم يقولون مثلاً قمح حوراني وبلدي
رسي وعنب داراني وزيني وقاصوفي تاركين ألفاظ الصنف على حالها . وقد ازداد عدد الاصناف
نية ولاسيما الزراعية منها حتى عجز ارباب الزراعة المشتغلون بإيجاد الاصناف الجديدة عن ابتكار
لها لذلك تراهم احياناً يرقونها بأرقام تدل عليها او ينسبونها الى اشخاص من اقاربهم او اصدقائهم
صديقاتهم او حبيباتهم . وربما سموها باسماء خيلهم او كلابهم او حقل من حقولهم او مكان يمثل
ى من ذكرياتهم وهكذا . واذا اردتم امثلة على ما ذكرت راجعوا مئات الاصناف من الورد او
نيا او الاقحوان او غيرها من الازهار والرياحين واشجار التزيين والكروم ولاسيما المجن
بريكية من الكروم المستعملة مطعمة لاتقاء اضرار حشرة الفيلوكسرا المشهورة

وجوه الاعتراض وردّها

هذا مجمل في اجناس النباتات وانواعها واصنافها وفي كيفية نقل كل منها الى العربية . ورب
ض يقول كيف ندخل على لساننا هذا الجيش الجرار من الاسماء المعربة لنباتات منسوبة الى
اص او الى كور وقد تكون تلك الاسماء ثقيلة على السمع او خارجة عن الاوزان العربية فنجيبه
بعض الالفاظ المعربة قديماً ومنها ما ورد في القرآن نفسه لا اوزان عربية لها كلفظة ابراهيم
يسم وخراسان وإطريفل الخ . فلم يمنع ذلك اجدادنا من أخذها وادخالها في لسانهم . وقد ذكر
اللغة ان المعربات لا يشترط فيها ان تكون على الاوزان العربية لكنه لا بأس بتشذيبها حتى تصير
نهج كلام العرب واسلوبهم . اما ان يكون بعض الالفاظ المعربة ثقيلا في الاذن فهذه مسئلة
عتد بها كثيراً لان الاذن تألف بالممارسة اغرب الاسماء . والدليل على ذلك اننا لا نستثقل اليوم
ظ كرويا وباذنجان وأنيسون ونرجس ونيلوفر وعشرات من امثالها وكلها معربة قديماً . بل نكاد
ستثقل لفظة بطاطس وبنادورى وطماطم وهي اشد وقعاً على الاذن من لفظة الكَنَهْور التي لم ترق
يقنا الاستاذ احمد امين كما صرّح في «الرسالة» على حين ان لفظة الكنهور لازمة لنا في علم الجويّات
وأخف على السمع من مئات من الالفاظ العلمية الاخرى . بل يمكن استعمالها في الادب والشعر
يثما حيث يجب ان توضع كما في البيتين الآتيين وهما من قصيدة لي عنوانها «حنين الى القاهرة»

ان الكنهور في جو الشآم اذا كانون هاج اعاصيراً تفاديناً
من راكن الطل في مصر وقد نسمت ربّنا تداعب في الروض الرياحينا

[illegible] بعض الالفاظ العلمية وحسرة التلفظ بها [illegible]

وفى نزاهته وفى [illegible] ، [illegible] « الحكمة » اذا اصطدمت مع سلطة « الحكم » و[illegible] لارادته وطبيعته .

ثيوتة السكسونية

ذهب « محمد محمود » الى انكلترا بهذه الصفات الاقليمية ، والمنزلية ، والطبيعية . وعاش هناك طالباً – فى جو الحرية والكبرياء الانكليزى والاعتداد بالنفس الانكليزى والتربية الأستقلالية الانكليزية . فلم يفعل الجو والوسط والبيئة هناك اكثر من أنها زادت صفاته الموروثة واستعداده التقليدى امعاناً وعمقاً وتأصلا . . .

وعاد الى وطنه وقد جمع بين الثقافة الانكليزية والصقل الانكليزى ، فمزجهما « بجبروت » الصعيد الذى شرحناه ، فكان المزيج ذلك « الرجل الحديدى » الذى استطاع ان يحتفظ طول حياته بميزات اليد الناشفة ، والرأس الفولاذى ، واحتفظ بجانب ذلك بالمثل الاعلى فى نزاهة اليد وفى العفة – فكان « شخصية » من الشخصيات المصرية المحترمة « المحسوب حسابها » الى اليوم ، وغد والى ما بعد عمر طويل ان شاء الله . .

معتزل . . .

وبالرغم من « دائرة المعارف » المحمودية الواسعة ، وبالرغم من كثرة الانصار والأصدقاء والصلات مع كل أسرة وكل جنسية وكل حيلية ، فنحن ندعى أن « محمد محمود » من المعتزلين .

وقد يكون « لصحته » أثر كبير فى هـذا الاعتزال . والرجل ليس بمدمن سهرات صاخبة وداره الكبيرة قلما تحفل بالحفـلات والولائم . وشخصيته طالمـا تفقدها الصحفيون فى الفناء والقصور فلم يظفروا بها إلا قليلا . . .

قد يظن بعض الناس أن مسألة هذا الاعتزال أثر من آثار « الكبرياء » الطبيعية . ونظنها مسألة صحية . وان أردت الصلح بين الطرفين فقل إنها خليط بين الاثنين والسلام ...

سياسى صلب !

فاذا حللته « كسياسى » لم تتعب كثيراً ولم تنقب كثيراً . هو رجل صريح وجرىء وواضح وهو لا يكلف ذهنه عناء التدبير والتاكتيك والابتكار واللف والدوران . وهو ليس من الحيلة البارعة فى الظلام . ولذلك نجح نجاحا رائعا فى المعارك السياسية المكشوفة العلنية ، ولم ينجح معارك المناورات . والحالة هذه هى الحالة بعينها فى الادارة العادية وفى الحكم العادى . ولئن لم يـ هذا السياسى فى جانبه « التاكتيكى » فالمسئولية عن ذلك ترجع الى أعصابه ، وتربيته ، وطبيعته

، سواسية لأن لغاتهم كلغتنا لا تهضم في بادىء الامر تلك الالفاظ لكن كثرة استعمالها

، يجعلها قابلة للهضم . فلنا اذن اسوة بهم

هذا بيان موجز في الوسائل التي اتخذها العلماء الاوربيون لوضع ذلك العدد العظيم من الاسماء

سميات النباتية . وهذه هي الطريقة التي ارى وجوب اتباعها لنقل تلك الاسماء الى العربية . ولا

انه سبقني احد من كتّاب العرب الى ايضاح هذه الطريقة على الوجه الذي جلوتها بهِ ، وهي

يجب اتباعها في ايجاد المصطلحات العلمية في العلوم السائرة كالحيوانات ومنها الحشرات والزراعة

ب وغيرها. وخلاصتها اولاً تحري الالفاظ العربية الاصيلة والمولدة في كتب اللغة واستعمالها للدلالة

ما يرادفها من الالفاظ العلمية . وقد اوجدت بهذه الطريقة بضع مئات من الاسماء والافعال في

معجم الالفاظ الزراعية» مما لم يرد في المعاجم الاعجمية العربية ونشرت قسماً منها في مجلة مجمعنا الدمشقي

وان « الفاظ عربية لمعانٍ زراعية » و «الوان الخيل وشياتها» و «اصطلاحات النباتات الدنيا» الخ.

ياً ترجمة كل ما له معنى سهل الترجمة من الصفات والموصوفات. ثالثاً تعريب ماينسب الى شخص او مدينة

كورة اوغير ذلك من الاعلام وكذا كل ما يرجح ادخاله على حاله في متن اللغة كالراديو والفلم واشباههما

وهنالك طرائق غير ما ذكرت يمكن الرجوع اليها في بعض العلوم كعلم الحشرات مثلاً . فمن

علوم ان الحشرات آلاف مؤلفة وانه ربما افنى المرء عمره في درس انواع رتبة من رتبها . وقد قلت

احدى مقالاتي اني اعرف عالماً اوربيًّا اختصاصيًّا برتبة مُغْمَدة الاجنحة سلخ عشرين سنة من

مره وهو مكب على انواع هذه الرتبة درساً وتنقيباً ولما ينته بعد . وآخر لم يتناول من هذه الرتبة

سوى فصيلة واحدة لا يتجاوزها الى غيرها من الفصائل . ومن المعروف ان لهذا الجيش الجرار من

الحشرات اسماء علمية لكنهُ ليس لعدد كبير منها اسماء باللغات الاوربية حتى اللغات الكبيرة منها .

ونحن لا نحتاج الآن الى وضع اسماء لغير ما يهمنا من الحشرات اي لغير التي لها تأثير في صحة الانسان

وفي مرافقهِ الاقتصادية . فالحشرات التي تؤثر بنا وبزرعنا لا تتجاوز اليوم بضع مئات . وأمامنا

طريقتان في ايجاد اسماء لها الأولى الرجوع الى اصل اللفظة العلمية والى اشتقاقها وترجمة معناها اذا

كان لها معنى سهل الترجمة او تعريبها اذا كانت منسوبة الى احد الاعلام وهي الطريقة التي تكلمت

عليها باسهاب في النبات . والطريقة الثانية اضافة الحشرة الى النبات الذي تستولي عليه كأن يقال

سوسة الفول وذبابة البرتقال وخنفساء الحنطة وفراشة الدقيق الشهباء وقلة الزيتون وبقة الخطمي

وقمّع سلق التفاح وأرقة القطن الخ . وهذه الطريقة اسهل من الاولى وأدلّ على نوع الحشرة

واضرارها . وهي متبعة في اللغات الاوربية لكثير من الحشرات وان كانوا يعدونها غير علمية. ومن

البديهي ان اتباعها يتعذر كلما كان للنبات الواحد حشرات عدة تفتك بهِ . ومع هذا فقد سهل علي

العمل بها في «معجم الالفاظ الزراعية» فجلّ جميع الحشرات التي يهمنا وضع اسماء لها

[illegible] اذ نقل المصطلحات الكيماوية ضعي وان كان لها مساوئ يمكن رعيها لكن [illegible]

تقليدى

وهو من النوع « التقليدى » أى من « المحافظين » . وهو شديد الحرص على شرقيته . [illegible]لاميته . وهو « عنيف » فى هاتين الناحيتين ، وقد يوجه سياسة حكمه ـ عندما يحكم ـ مرتكزة [illegible] هذا الأساس ...

خطيب لا يتورط ...

ومن صفاته الممتازة أنه خطيب ممتلىء الصوت ، عريض الجرس ، يلقى نظرياته كأنها « أوامر [illegible]ليات » ويمس القوة وهو ينثر الألفاظ ...

وقد راقبت بيقظة وانتباه أساليبه الخطابى فى ظروف عدة . وراجعت خطبه واحدة واحدة . [illegible]ست الى نتيجة لا شك فيها : وهى انه خطيب لا يتورط . بل يعد نفسه اعداداً تاماً قبل أن [illegible]لم ، ويزن الألفاظ الحادة واللينة وزناً تاماً ، فهو يتعمدها ويقصدها ولا ينساق اليها بحكم الموقف [illegible]كم الاثارة والتيار ...

وقد عانى من بعض الجمل وبعض الأقوال التى فاه بها . وأؤكد أنه أرادها وأراد آثارها . [illegible] لا أبرر كل « وقفاته » ولكنى أحلل ...

***

والخلاصة أن محمد محمود باشا «فذ» فى منطقة شخصيته . وقد يشترك الزعماء فى الصفات ، وقد [illegible] كثيراً منهم تحت نمرة واحدة أو ضمن (Class) واحد . ولكن « محمد محمود » باشا شخصية [illegible] بذاتها ، تختلف فى تركيبها الجسمى والذهنى عن غيرها من الشخصيات ...

والى هذا الحد أكتفى ...

فكرى أباظه

المحامى

لماذا نقرأ ؟ .. وكيف نقرأ ؟

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

« . . يقرأ الانسان لأنه لا يستطيع أن يعيش أعمار النا
جيعا ، ولكنه يستطيع في عمر واحد أن يشعر بما شعر
به ويختبر ما اختبروه من طريق القراءة . . »

يقرأ الطبيب كتب الطب ، والمهندس كتب الهندسة ، والمحامى كتب القانون ، والمعلم كـ
التدريس . وهذه وما شابهها هي القراءة التي يقضي بها حكم الصناعة ومطالب المعيشة . فلا محل ا
لاختلاف الآراء والأذواق ، وليست هي القراءة المقصودة في هذا المقال

انما القراءة المقصودة هنا هي التي يقرؤها جميع هؤلاء لأنهم أصحاب عقول ومشارب نفـ
لا لأنهم أصحاب صناعات وطلاب معيشة

فلماذا يقرأون اذن ان لم تكن قراءتهم لذلك الغرض الذي أسلفناه ؟ يقرأون لأسباب شتى
القول في سردها وطريقة التعبير عنها . ولكننا نستطيع أن نلخصها ونجمع بين اطرافها في ـ
واحد وهو : «أنهم يقرأون لكسب الوقت لا لتضييعه» ، وهذا أنفس وأقصى ما يستفيده المـ
من الكتاب كائناً ما كان المؤلف والموضوع

ومن الواضح أن سرور القارىء بما يقرأ لا ينفي تضييع الوقت وقلة الفائدة من ذلك السر
لأن كل قارىء انما يقرأ في الواقع ما يسره ما دام لا يجبر على مطالعته بحكم الصناعة ولا ـ
الدراسة ، ولا نعرف أحداً يختار كتابا لأنه لا يريد منه الفائدة ولا يريد منه السرور . وانما مـ
الخلاف هو : هل كل سرور قيم جدير بالطلب ؟ وهل كل ما نقرؤه طلبا للسرور يستحق القر
والجواب يعود بنا الى وصف القراءة الواجبة كما تقدم وهو « كسب الوقت » أو زيادة
الانسان من عمره وحياته

يقرأ الانسان لأنه لا يستطيع أن يعيش أعمار الناس جميعاً ، ولكنه يستطيع في عمر واـ
يشعر بما شعروا به ويختبر ما اختبروه من طريق القراءة . فالرواية الواحدة التي يحسن صا
وصف أبطالها هي حياة عشرات من الناس مجموعة في بضع ساعات أو بضعة أيام . والرحا
يشرح فيها السائح ما شهده ومرس به شهوراً وأعواما هي شهور وأعوام لا تكلف القارئ
ريثما يعبر صفحاتها ويستوعب معانيها وأحاسيسها ، وسيرة الرجل العظيم تستغرق من الدهر

ثمانين سنة ، ويمحض لنا الكتاب زبدتها وعبرتها فى أسابيع معدودات ، وتاريخ الأمة يحيط بالعصور الطوال وهو عصور وعصور فيما بين جلدتين من كتاب ، وهذه كلها نماذج من القراءات التى نكسب بها الوقت ونستزيد بها العمر ونتكثر بها من أزواد الحياة ، ولا نحتاج فى ذلك الى أكثر من ساعات الفراغ التى نضن بها على الضياع

أما القراءة التى تستفز الشهوات وتشغلنا بالفضول فهى لا تزيدنا شيئاً ولا تعطينا شيئاً . بل لعلها تحرمنا وتشعرنا بحرماننا ان لم تتركنا على حالنا الذى نحن فيه . فمن الجائز أن تكون لنا معلومات مائة انسان متفرقين من طريق القراءة ، ولكن ليس من الجائز أن يكون لنا من طريق القراءة مائة جسم بدلا من جسم واحد ومائة شهوة بدلا من شهوة واحدة

***

فى هذا العصر غلبت قراءة الوقت الضائع على قراءة الوقت المكسوب ، لأن القراءة قد أصبحت اليوم عملا من أعمال الشركات التجارية التى تهمها كثرة البيع أضعاف ما تهمها جودة الأصناف

واذا شئنا أن نرجع الى سبب آخر وراء هذا السبب الظاهر فالسبب الآخر هو انتشار الحرية الفردية بين عامة الرجال والنساء ، فأصبحت الموضوعات الشائقة هى موضوعات الرعب والشهوة وموضوعات الجرائم والغرام المبتذل المرذول ، لأن النفس الجاهلة لا تتأثر إلا بأقوى المؤثرات من صنف الحوافز ، وهما الخوف والغريزة ، وليست لها قدرة على التأثر بدقائق الاحساس ولطائف الأفكار . لأنها لا تدرك هذا الاحساس ولا تفقه هذه الافكار

فحرية الرجل العامي ألقت فى روعه أنه قادر على أن يفعل مايشاء ويقرأ ما يشاء ، ويجهر بميوله وعاداته لأنه لن يخشى انسانا ولن يخجل من انسان فهو وأعظم الناس على حد سواء ... ومن ثم أعفى نفسه من عناء التهذيب والتحسين وطلب الرفعة والامتياز ، واكتفى بما هو فيه لانه يجهل الحقيقة من جهة ، ولأنه من جهة أخرى يتحدى ويعتز بالحرية الجديدة التى آلت اليه

وحرية المرأة العامية أباحتها أن تظهر بنزواتها بعد أن كانت تواريها وتصطنع فيها الرياء والحياء . ومن أمثلة ذلك أننا كنا نرى الصور المتحركة قبل عشرين أو ثلاثين سنة تعنى بانتقاء النساء الجميلات لاجتذاب النظارة فاذا هى اليوم تعنى بانتقاء الرجال العمالقة الذين لاقدرة لهم على صناعة التمثيل ولا فضل لهم غير فضل العضلات القوية والسواعد المفتولة والقامات المديدة ، وأدل من ذلك على هبوط الأذواق النساء المقصودات بعرض هؤلاء الممثلين انهن لا يعجبن بمظاهر الرجولة إلا اذا كانت تذكرهن بصفاتها العضلية والجسدية ، فاذا كان الرجل كالممثل المعروف «فردريك مارش» فلا حظوة له عندهن كالحظوة التى يلقاها ذلك الصنف من الرجال ، لأنه قوى البنية متين التركيب بهى الطلعة ، ولكن محياه لا يذكر الناظر بمظاهر الرجولة العضلية كما يذكره بمظاهر الرجولة العقلية

***

هذه القراءات والمشاهد التي لا معول لها على غير الشهوة الحيوانية والرعب الحيواني ، هي القراءات التي تضيع الوقت ولا مكسب فيها للقارىء من فهم ولا استطلاع ولا عطف ولا شعور . بل لعلها تنتكس بالانسان الى حضيض الحيوانية لانها لا تخيفه إلا كما يخاف الحيوان ولا تثير شهواته إلا كما تثار شهوات الحيوان

أما القراءات والمشاهد التي تكسب الانسان وقتاً وعمراً فهي التي تفسح أمامه آفاق الاختبار وتوسع بين يديه نطاق الشعور ، وتزيده علما بنفسه وعلما بدنياه ، وتعوده أن يفهم خيراً مما كان يفهم ،وأن يحس خيراً مما كان يحس ، وان يجمع في عمر واحد ما ليس يجتمع بالمراس والمعاينة إلا في الأعمار الطوال

ولست أحاول أن أحصى هذه القراءات فانها أوسع وأوفر من أن يجمعها احصاء ، ولكن أذكر ما يروقني منها وأدع للقراء أن يختاروها أو يختاروا غيرها حسبما تتباين المشارب والمطالب والأذواق. فأفضل الكتب عندى هي الكتب التي أقرأ فيها الشعر ونقد الفن وتراجم النا وفلسفة العقائد والأديان ووصف طبائع الاحياء وتواريخ الشعوب مقرونة بتواريخ العظ والمذاهب الاجتماعية في وقت واحد . وقد سألت نفسي كثيراً : ما الذي ألف عندى بين هـ الموضوعات وهي في ظاهر الأمر شتيت موزع من هنا وهناك ؟ فاستطعت بعد طول المراقبة أ أعلم انها تصدر جميعاً من معين واحد وهو استكناه سر الحياة وسر الشعور . ورأيت انني ح أقرأ الشعر فانما أسبر مدى الحياة من الحس والعاطفة ، وحين أقرأ التراجم والسير فانما أساج أصحابها ما خبروه وأحسوه ، وحين أقرأ فلسفة العقائد فانما أسبر مدى الحياة من العمق والخلود وحين أقرأ المذاهب الاجتماعية فانما أستعرض البواعث التي تزجي الحياة في الجماعات والأفراد وكذلك حين أقرأ طبائع الأحياء من آدمية وغير آدمية

فالمعين واحد وان اختلفت العناوين ، وأحسب أن القارىء يعرف نفسه جيداً ويعر موضوعاته جيداً إذا حاول أن يؤلف بين دواعيها وأن يرجع بها جميعا الى معينها ، لأنه يتغا حينئذ في معانيها ومدلولاتها ويصل الى قرارها ويجعل كل موضوع منها معاونا للموضوعات الأخ بالمدد والاضافة

* * *

أما كيف نقرأ فليس الأمر في هذا الصدد بالعويص ولا بالعسير : نتوخى في القراءة ما نتو في الطعام من مضغ جيد واعتدال في الزاد ورياضة على الهضم وتحويل الغذاء الى عناصره ال فالطريقة « الامريكية » طريقة العجلة والقفز بين السطور والحروف هي أولى الطر بالاجتناب والمحاذرة . لاننا لا ننتفع بالغذاء على هذا الأسلوب ـ فمن باب أولى أن لا ننتفع بالق ولو كانت للتسلية والاستطلاع . وقد رأينا في شريط شارلي شابلن عن الزمن الحديث أن

... في اختراع الآلة التي تنوب عن الانسان في تناول طعامه وازدراده ! ! فلا تظلم
... في اختراع الآلة التي تنوب عنه في رؤية الكلمات والالمام بالسطور واستخراج المعاني
... الخفايا واستجلاء الجمال والابداع !

انما نقرأ لنتذوق ونتفهم ونتأمل . وكل أولئك يحوجنا الى الأناة والاستقصاء والمقابلة بين
... والاحق بما قرأناه ووعيناه

قال لي بعض المتخرجين في احدى الجامعات الامريكية إنه أتى على رواية « كرمازوف »
... الروسي العظيم دستيفسكي في ثلاثة أيام . فقلت له ضاعت الرواية وضاعت الثلاثة الأيام
... انني لأذكر انني قرأت هذه الراوية بعينها في أربعين يوما وأنا اتهم نفسي بالعجلة وأعود اليها
... بعد حين ولا أرى انني قد استنفدت ما فيها من متاع ودراسة . وكان في وسعي أن آتي عليها
... ثلاثة أيام كما في وسعي أن أزور أحياء القاهرة من أطرافها الى أطرافها في تلك الأيام الثلاثة .
... لكنني لن أفهم من كرمازوف ولا من القاهرة في هذه الحالة الا ما انا في غنى كل الغنى عن فهمه
... توجيه النظر اليه . وكل ما هنالك انني أستطيع اذا لغط اللاغطون أمامي بذكرى كرمازوف
... وذكرى القاهرة أن أخوض مع الخائضين فيقال انني رجل مطلع على الكتب مطلع على البلاد .
... هذا هو المقصود بالقراءة والسياحة ؟

كلا ! ليس هذا هو المقصود . ولكنما المقصود هو ما تعرفه انت لا ما يعرفه الناس عنك
... ، فكيف بما يعرفونه عنك مخطئين واهمين ؟.. أوجز ما يجاب به عن سؤال السائل : ماذا
... وكيف نقرأ اننا نقرأ ما يكسبنا ويزيدنا حياة ، واننا نغذي النفوس كما نغذي الجسوم

عباس محمود العقاد

للدكتور أمير بقطر

إذا بكت المرأة :

* تبينت فى دموعها الحب والبغض ، والرحمة والقسو
* عرفت فى بكائها الامانة والخيانة ، والاخلاص والخدي
* قرأت فى عينيها سلسلة طويلة من تاريخ البشر

كتبت بالأمس فى موضوع « اذا ابتسمت المرأة ... » ، واليوم أكتب فى موضوع « بكت المرأة . . . » ، وليس بين الابتسام والبكاء ، من الناحية النفسية فرق يذكر . فكل م منفذ للانفعالات ، ومخرج للعواطف ، وكل منهما صمام للأمن ، اذا سدت فوهته انفجر الانا وكل منهما مزيج غريب من ألوان الوجدان ، فاذا قلنا ان الابتسام عنوان السرور ، والبكاء عن الحزن ، فالواقع يخالف ذلك فى كثير من الأحايين . فقد يكون الابتسام دليل الحزن ، والأ والصد ، والهجر ، والحرمان ، والغيرة ، والحسد ، والختل ، والخديعة . وقد يكون البكاء د الفرح ، والارتياح ، والشفاء ، والوصل ، والحب ، واللقاء ، وتحقيق الأمل

جمال البكاء

ويخيل إلىّ أن الكاتب أطوع بنانا وأسيل قلما ، عند التحدث عن البكاء منه عند الت عن الابتسام ، خصوصا اذا كان الكلام عن المرأة . أليست المرأة باكية أجمل منها ضاحكة ؟ أ دمعة تترقرق فى عين الحسناء ، ثم تنحدر كالدرة على ورد خديها ، أجمل من ابتسامة تحا شفتيها ، وترتسم على وجنتيها ؟ ألم ينبئنا الانجيل الشريف أن الحزن خير من الفرح ، وأن يوم خير من يوم الميلاد ؟ أليست الفتاة العذراء ، فى ثوبها الناصع البياض ، وهى تودع عالم الد وترقد فى أحضان الأبدية ، أجمل منها فى ثياب العرس ، وهى تختال طربا ، وتميس تيها ، ف الرقص ؟ أليس الندب أبلغ من المديح ، والرثاء أشد وقعا فى النفوس من الثناء ؟ أليس نوا فى الروض أعذب لحنا من صدح البلابل فى الربى ؟

أين بسمات الربيع ونضارة أزهاره ورياحينه ، من ذبول الخريف وتساقط أوراقه

ه ؟ أين بسمات الشمس وهى صحوة تشرق على الارض بأشعتها الذهبية ، من بكاء السماء
ى عيالة بالسحب مكسوة بالغيام، يتساقط منها رذاذ من المزن ، فيكسب الطبيعة جمالا على جمالها ؟
سل المحبين الواقفين على أسرار المرأة ، سل المتيمين الألى سبروا غورها ، وجففوا بأفواههم
وعها ... ثم سل الألى فرق الزمان بينهم وبينها ، وكوى الدهر جوارحهم بفرقتها .. سل هؤلاء
مهم يجيبوك أن أعذب ساعات الغرام ، هى التى تتخللها دموع الحزن، هى التى تبكى فيها المرأة،
ى تذبل شفتاها كما تذبل شقائق النعمان الحمراء

ان أجمل الغناء ما كانت تتخلله رنات الحزن ، فاذا كان صاحبه امرأة جميلة ، ناحت كما ينوح
مام على الأفنان ، وهدرت كما يهدر الحمام على الأغصان . أعد الى ذاكرتك تلك الاغانى الخالدة،
لا تطرب لها وحسب ، وانما تخشع وتتعبد ، وقل لى هل هى الى الفرح أقرب أم الى الحزن ؟
كر تلك الألحان الملائكية العذبة التى تنشدها جانيت مكدونلد ، وجريس مور ، ولوسين
بيه ، وجاليكرشى ، وكل « بريما دونا » فى الأوبرا؟ أليس أبعدها شهرة هى تنهدات وزفرات تنفثها
صدور ، ودموع تسيل من الجفون ؟ أليست الاغانى العربية الخالدة التى يكاد يجن الجمهور
سماعها ، هي تلك التى تصدح بها مغنياتنا ، وفى أصواتهن العذبة أنات البكاء وآهات الحزن
لأسى ، وشكوى العيون والليالى ؟

أتدرى ما الذى يميز زنوج أميركا عن البيض فى ألحانهم وأناشيدهم ؟ هى تلك النغمة الخنفاء
زينة ، اللينة الهادئة ، التى تسود كل ألحانهم ، سواء فى النوع الدينى الروحى (Spiritual) ،
الاسيف المحزن (Crooning) . ومع كراهية البيض للسود ، فان أشد الغناء تأثيراً فى أميركا ما كان
حبه امرأة سوداء الخدين . ولعل سر هذه العذوبة ، ذلك القلب الكسير الحزين ، الذى ذاق
رة الأسر والاستعباد والمهانة ، منذ أن حمل الانجليز تلك السلالة السوداء البائسة من غرب
يقا الى أميركا فى القرن السابع عشر

ان صوفوكليس الروائى الاغريقى لا يموت ، لأن المأساة (التراجيدى) لا تموت . ومن لا يذكر
ايته « أوديب الملك » ، والروايات الرائعة التى وضعها الروائى الاميركى أونيل ، ونسج فيها على
ال صوفوكليس ؟ ولكن كم منا يذكر ارستوفانيس ، ويعرف شيئاً عن رواياته الهزلية
وميديا) ؟ من الذى ينسى مآسى كورنيل ، وراسين ، وما صورته من دموع وبكاء وصدام
ـ بين العاطفة والواجب ؟ وهل لروايات موليير الهزلية من الأثر ما كان لتلك ؟ أين مهازل
ت وستيل من مآسى شكسبير ودوماس وغوته ؟ ومن الذى ينسى دموع أوفيليا فى «هملت» ،
مونة فى«عطيل» ، وجوليت فى «روميو وجوليت» ، ومرغريت جوتيه فى «غادة الكاميليا»
لوت فى « آلام فرتر» ؟

ان بكاء المرأة جميل لأنه ثمرة القلوب الرقيقة والاحساس الدقيق والأفئدة المكلومة . كما ان

الشعر المنثور ، والنثر المنظوم ، ثمرة الاقلام السيالة . والدموع فى عين الحسناء نجوم من الماس أكواب من النرجس لا يدرك جمالها الا الفنان ، كما لا يدرك جمال الماس سوى الخبير الماهر صناعة الجواهر

البكاء المستهجن

وكما أن الابتسام يكون قبيحا اذا انقلب ضحكا وقهقهة ، فالبكاء كذلك يكون قبيحا اذا استحـ عويلا وصياحا . وليس ثمة ما يشوب الجمال كالمجون والاستهتار ، وتدفق العواطف ، والقهقهـ والعويل والصياح والولولة ضرب من ضروب المجون ، ولون من ألوان الاستهتار . يتجلى الجـ فى الابتسامة ، كما يتجلى فى البكاء ، لأن فى كل منهما تهز العاطفة أوتار القلوب هزاً خفيفاً ، تداعب نسمات الربيع أوراق الأزاهر . فى حين أن فى كل من الضحك والاجهاش نوبة عصـ حادة ، وهزة قوية شبيهة بالعاصفة الهوجاء

يتمثل جمال البكاء فى الزفرات الهادئة ، لا فى الصرخات العنيفة الصاخبة ، كما أن جمال الـ يتمثل فى السحاب الخفيف المنعقد ، الذى ينحل ويتساقط رذاذاً من الماء المتناثر ، لا فى المطر المنـ والسيل المتدفق

والبكاء لا يستملح فى الرجل لأن فيه معانى الأنوثة ، والاستضعاف ، ورقة العاطفة ، و الحساسية ، وغريزة الامومة ، وعمق الوجدان ، وهى من صفات المرأة . ولا يستثنى من ذلك بكاء الشيخ الهرم لان الشيخوخة رجعة الى الوراء ، وعودة للطفولة ، ولانها كثيراً ما تتصل بأ معانى الوجدان ، وأجمل ذكريات الماضى ، وأحلى أحلام المستقبل — الابدية

روحانية البكاء

يتجلى فى بكاء المرأة أسمى العواطف الروحانية وأكثرها نبلا وجلالا . فيه تتجلى العـ والخلود ، والتسليم للقوة الخارقة للعادة . وفيه يتمثل ضعف البشرية بأسرها أمام الطبيعة . البكاء معنى التصوف والعبادة والزهد فى الدنيا والحنين الى الآخرة . والمرأة الصافية القلـ الصادقه الخلق ، تبكى فى جميع أطوار حياتها ولاتعيش بغير البكاء . تبكى فتية وعروساً وزوجا وا وتبكى ممرضة وطبيبة وعاملة وخادمة وشاعرة وممثلة وكاتبة . المرأة التى تعيش حقاً بعد مو هى التى تبكى كلما عطفت على بائس ، أو رثت لحال مريض ، أو غنت لحناً حزناً . والممثلة تسحر القلوب وتفتن الألباب ، هى التى اعتادت البكاء حقاً كلما مثلت البكاء . وأبلغ الكاتبات النساء هن اللاتى بكين الذكريات والعهود والأحباب ، فكتبن ما كتبن بمداد القلوب

البكاء الصادق فى المرأة خير مرآة للخلق المصفى والنفس التائبة النادمة . البكاء الصادق فى ا مرآة صافية لقلب شديد الحساسية يتعذب . وهل هناك ما يستدر العطف كعين باكية ، يـ منها شعاع أزلى ، وإن تك صاحبتها من رعاة الابقار ؟

بكاء التوبة

... تبكي ندما على خطيئتها ، وتغسل بعبراتها ما علق بها من خزي و...

، وجوب تعريبها وهو الاصلح فنقول كبريتات وحامض كبريتور وحامض كبريتيك وهلمّ جرّا لانه
ن الصعب ترجمة الادوات العديدة التي تضاف على اول اسم او على آخره فتقلب مدلوله الى مادة
ديدة . ومن الشواذ ايضاً اشتقاق افعال ونحت كلمات جديدة لا غنى لنا عنها وان كان الاشتقاق
لنحت سماعيين . ولا يجوز ان تجمد اللغة لان قدماء النحويين او اللغويين افتوا بأنهُ لا يجوز
حد ان يشتق او ينحت . ولو عاش هؤلاء في ايامنا هذه واطلعوا على العلوم الحديثة وما تستلزمه
، الافعال والاسماء لكانوا اكثر تساهلاً في هذا الصدد . ومن الامثلة على الافعال المشتقة حديثاً
فر اي عالج بالسلفور وبرعم اي طعم بالبرعم . ومما نحتوهُ اخيراً تحتُربة من تحت التربة وهي طبقة
، التراب تكون تحت الطبقة السطحية التي يتناولها المحراث الخ . واذا رجعنا الى التاريخ نجد ان
ين نقلوا كتب العلوم القديمة الى العربية واضافوا الى لساننا مصطلحات عديدة لتلك العلوم ليسوا
ويين ولا نحويين بل هم اناس هضموا تلك العلوم واخضعوا اللغة لاغراضهم فنمت وازدهرت .
ن هؤلاء ثابت بن قرة الحراني وسنان بن جابر الحراني والطوسي وابن الحمصي والنسطوري وحنين بن
حق وابن ماسويه وابن وحشية وابن البطريق وقسطا بن لوقا البعلبكي والحجاج بن مطر وغيرهم

وعند ما بدت حاجتنا الملحة الى وضع الالفاظ العلمية الجديدة منذ اوائل القرن الماضي الى
وم لم ينبرِ لها او لم يبرز فيها سوى من جمعوا بين العلم واللغة كاحمد ندى وعلي رياض واحمد حمدي
راح وفنديك ويوحنا ورتبات وجورج بوست وبطرس البستاني وبشاره زلزل ويعقوب صرّوف
ر من المستشرقين مثل فريتاغ ولين ودوزي وغير هؤلاء . اما اذا استعرضنا الاحياء الذين يعملون
نماء ثروة اللغة العربية نجد ان جلهم رجال اختصوا بفن من الفنون علميًّا وعمليًّا فجعلوا يبحثون
، الالفاظ المتعلقة به فتيسر لهم الوصول الى ما يبتغونه او الى بعض ما يبتغون . والخلاصة ان
جة اللغة العربية الى المصطلحات العلمية لا يسدها سوى الذين اشرت اليهم في بدء هذا المقال وهم
ين جمعوا بين الاختصاص بأحد العلوم واتقان قواعد اللغة العربية ومفرداتها والاطلاع على لغة
حدة على الاقل من لغات اوربة الغنية بالعلوم والفنون . اما ان نعهد الى النحويين واللغويين بوضع
اظ في الطب والزراعة والرياضة والفلك والحيوان والنبات والحشرات واشباهها فمعناه كما قال
كتور يعقوب صرّوف رحمه الله « تحويلك قاضياً تطبيب الابدان وطبيباً تصوير الالوان » فعلماء
نة يستعان بهم في مراجعة بعض الالفاظ وفي ضبط بعضها ونفعهم في هذا الباب لا ينكر . لكنه
ن من الصواب تحميلهم فوق طاقتهم وندبهم لغير ما اختصوا بهِ . واتساع الفنون في هذه
يام لا يدع مجالاً في ميدان الاعمال المفيدة لغير الاختصاصيين من العلماء . وقد انقضى الزمن
ي كان الانسان فيه لا يعد عالماً ما لم يدرس العلوم بامرها وما لم يصنف فيها جميعاً . ولا شك أنه
تكاتف فقهاء لغتنا وعلماؤنا الاختصاصيون بالفنون الحديثة على العمل معاً في سبيل هذه اللغة

م أتأثر يوما فى حياتى تأثرى من منظر فى مقبرة لاول مرة فى جبال التيرول النمسوية . فى
. ذلك السكون الرهيب ، تحت أشجار الزيزفون ، إبان الاصيل ، شاهدت سيدة فى ثياب
اد ، تحمل حزمة من زهر السوسن ، وتهمس فى أذن الجنان بضع كلمات ، وهى تدس فى
ه بعض النقود . فأدركت بعد ذلك ـ وقد رأيت هذا المشهد مرات ـ أنها توصيه أن يسقى
رد ويرعاها . وظلت واقفة وهى صامتة حتى أرخى الليل سدوله ، ثم جثت أمام زهرات القبر
نت تصلى فى سكون ، وترسل عيناها العبرة بعد العبرة ، حتى قلت لنفسى إن وقفة فى عالم
رات هذا ، لاشد فعلا فى النفوس من أبلغ العظات فى معابد الاحياء . وليس هناك من مخلوق
ى للاجلال من امرأة تبكى فى هدوء وصمت واتزان

معانى البكاء

لو دقت حواس الانسان استطاع التمييز بين بكاء وبكاء ، والتفريق بين دموع ودموع ، كما
طيع العالم النباتى التفريق بين مئات الانواع من الأزهار وتسميتها بأسمائها المتعددة
تبكى الفتاة العذراء ليلة زفافها ، ولسان حالها يقول : سلام على عهد الطفولة ، سلام على بيت
ت فيه وربيت وشبيت . سلام على أم حنت على ، وأب كلأنى برعايته
تبكى المرأة بعد سن الاربعين ريعان الصبا ، وزهرة الشباب ، وقد كانت أقصر من أيام
سج . وهيهات لجمال مضى أن يعود ! !
تبكى الحسناء حبيبها النائى وقد باتت فى انتظاره على أحر من الجمر ، يقتلها الهجر والفرقة
ض النوى
تبكى المرأة المنكودة الحظ سوء طالعها فى الحب وقد خانها رفيقها ، وأصاب من فؤادها جرحا
بل الاندمال
وتبكى الحكيمة المتزنة لتبلو بدموعها حب صديقها وصدقه وولاءه ، وتزنه بموازين دموعها
اذا ما وجدته ناقصاً نبذته نبذ النواة ، وإلا حرصت عليه حرصها على أناسى العيون
تبكى الغريبة عن أوطانها وتذرف دموع العهود والذكرى كلما جال بخاطرها طيف هذه العهود
ث الذكرى ، كما كانت تبكى بولا نيجرى فى هوليوود كلما سمعت لحنا معلوما يذكرها ببولندا
ان حالها يقول :

بلادى التى أهلى بها وأحبتى ... وقلبى وروحى والمنى والخواطر
تذكرنى أمجادهـا ووهادها ... عهوداً تقضت وهى خضر نواضر

تبكى العانس ، وقد حكم عليها المجتمع حكماً قاسيا لا مرد له ، وسلبها حقا من أقدس حقوقها ،
م عليها أن تستمتع ، ظلما وعدوانا ، بما فرضته عليها غريزة من أشد غرائز الانسان بأسا

تبكى الثكلى ولدها الوحيد ، وكبة آمالها ، ونور عينيها ، وزهرة أمانيها – تبكى كراحيل لا تريد أن تتعزى

وتبكى الفتاة القاصر ، وقد أوقعتها الذئاب الخاطفة فى أيدى امرأة فاجرة ، تتاجر بجمالها ، وتسطو على عرضها ، وتلقى بها فى أعمق أغوار المواخير ، وأشدها ظلاما ، وأكثرها سكراً وعربدة واستهتاراً – تبكى ولسان حالها يقول : العفة ثوب تمزقه الفاقة

وتبكى هذه وتبكى تلك بكاء اللقاء ، وبكاء الفرح ، وبكاء العتاب، وبكاء التوبة، وبكاء الندامة ، وبكاء الغفران ، ولكل بكاء معناه ، ولكل دمعة حرقتها ونعيمها

الدموع الخالدة

بكت حواء ، أم الانسان ، فى جنة عدن ، لانها أدركت لأول مرة انها عريانة ، ولانها سمعت لأول مرة الصوت الالهى الرهيب يناديها فى عنف وغضب : «بالوجع تلدين، والى رجلك تشتاقين، وهو يسود عليك» . بكت المسكينة لانها أكلت من الشجرة التى نهاها الاله عنها ، وقد رأت الثمرة جيدة للأكل ، بهيجة للعيون ، شهية للنظر . بكت لان الحية أغوتها ، فبكت جميع بنات حواء ، وبنات بناتها من بعدها . ولا تزال المرأة تبكى ، ولا تزال بالوجع تلد ، والى رجلها تشتاق ، وهو يسود عليها ، ولا تزال تعلم أنها عارية ، وستظل كذلك ما بقيت ثمار شهية محرمة تؤكل ، وما بقيت حيات تغوى

بكت هاجر أم اسمعيل ، حينما طردها زوجها ابراهيم ، نزولا على رغبة سارة أم اسحق زوجته الأخرى ، فهامت على وجهها شريدة فى البادية . وعاش الغلام اسمعيل ، وكان نواة لأ[مة] عظيمة . وعاش الغلام اسحق ، وكان نواة لأمة عظيمة . ولا تزال دموع هاجر مدعاة لنقمة اسمعيل على بنى اسحق

بكت راعوث الاممية فى أرض الغربة فوجدت نعمة فى عينى بوعز من بنى اسرائيل ف[عطف] عليها وتركها تلتقط الحنطة فى موسم الحصاد . ثم أحبها وتزوج منها . وشاء ربك أن أحفادها أجداداً لرسل وأنبياء . وأصبحت راعوث على مدى الدهور نموذجا للدعة و[...] يتسابق الفنانون فى رسمها ، ويتسابق عشاق الفن فى تزيين بيوتهم بصورتها . ولا تزا[ل] الغريبة تحظى بعطف رجل من غير أهلها ، لان الحب ديمقراطية لا دين له ولا وطن

بكت حنة وهى مرة النفس كما تقول التوراة ، لانها لم ترزق ولداً ضيرتها ضر[تها] ولا تزال المرأة العاقر تبكى ، ولا تزال الضرة تعير الضرة

بكت مريم المجدلية [illegible] وكانت [illegible] . فبللت بدمـ[ـعها] صدرها الطاهر ، ومسحت [illegible] ، وبقى ر[...]

ـ الفنية رمز الخلود والجمال والتوبة ، وبقيت دموعها رمزاً لكبوة المرأة ، ورسالة الغفران
ـة الخالق . والرحمة فوق العدل

بكت « اجريا » أم نيرون الظالم امبراطور روما ، وقد أرسل ابنها الجند لقتلها . فتوسلت
أن يطعنوها بالخناجر معجلين ، ونادتهم ودموع الخيبة تنهمر من عينيها ، قائلة : « إطعنوا
أسفين ، هذا البطن الخبيث الذى حمل ذلك الوحش الضارى » وسيبقى الولد العقوق ما بقيت
ا ، وستطعن الأمهات بالخناجر ما طبعت بعض النفوس الدنيئة على الجحود ونكران الجميل
بكت بسوس ناقة لها قتلها كليب ، فأثارت دموعها حرباً عواناً ، كادت تفنى القبائل
ـية زهاء أربعين عاماً ، ولا تزال دمعة امرأة واحدة تهرق لها دماء ، ولا يزال رجل العدالة
ـن عن المرأة . .

بكت الخنساء أخويها صخراً ومعاوية ، فبكى لبكائها الشعر والأدب ، وأصبحت مضرب الأمثال
ـن بكت بكاء الخنساء على أخيها صخر

بكت فاورنس نايتنجيل فى حرب القرم ، فاهتزت لبكائها بريطانيا العظمى ، وفضح الطب
ـريض ، وجند أول جيش نسائي مدرب كأن جنوده ملائكة الرحمة . ولا تزال المرضة الماهرة
ـ العطف والحنان ، وعنوان التضحية والتفانى ، تؤاسى وتعزى ، وتضمد وتخفف ، وتذرف
ـع سخينا . .

بكت مارى تريزا امبراطورة النمسا ، عندما هزم آل هوهنزلورن آل هبسبرج ، كما بكت
ـاطورة الحبشة أخيراً على سلم الباخرة التى أقلتها مع الامبراطور والأمراء من جيبوتى ، وهى
ـع وطنها وشعبها وداعاً يغلب على الظن أنه الأخير

ـكت مارى انتوانيت في العربة التى أقلتها من فينا الى باريس . يوم زفت الى ذلك الغر لويس
ـ عشر . وقد كانت فى الرابعة عشرة من عمرها وكان هو فى السادسة عشرة من عمره .
ـمرة ثانية عندما هربت مع الملك من باريس تحت جنح الظلام ثم أسرت على الحدود .
ـثة حينما وضع الجلاد رأس زوجها (يناير سنة ١٧٩٣) فى المقصلة . وبكت أخيراً حينما نالها
ـقلائل على يد الجلاد ما نال زوجها

ـوزفين ـ الزوجة الأمينة المخلصة الأبية ـ يوم طلقها الامبراطور (نابليون) . لأنها
ـ تكون أماً . ولا تزال المرأة تنبذ كالسلعة القديمة لأهون الأسباب . ولا يزال
ـالوحش الضارى بونابرت

ـ كفيل (Cavell) ، عند ما اتهمها الألمان بالتجسس . وقبل أن يطلق عليها الجنود
ـ أحدهم فامتنع عن تنفيذ أوامر رؤسائه وأعدم على الأثر . وقد صورت لنا
ـيل على اللوحة الفضية . كما صورت لنا فرنسيس كاى نايتنجيل ، فبكت وأبكت

وقد كتب على التمثال الذى نصب على مقربة من ميدان الطرف الاغر فى لندن تخليداً لهذه الشهيدة عبارتها المشهورة : «الوطنية وحدها لاتكفى، انما يخلق بنا فوق ذلك ألا نحمل في صدورنا حقداً أو كراهية لأحد»

بكت اميلين بنكهرست الزعيمة النسائية في انجلترا فحررت دموعها المرأة وقررت حقوقها السياسية . ولا تزال المرأة تبكى من جور الرجل وطغيانه على حقوقها . وليس هناك ما يحمل على الاعتقاد انها تنال قسطها كاملا طالما كان خضوعها للرجل جزءاً من طبيعتها

* * *

اذا بكت المرأة تبينت فى قطرات دموعها معانى الحب والكراهية والرحمة والقسوة واللين والشدة والفرح والحزن والأمانة والخيانة والاخلاص والخديعة . وليس ثمة من سبيل الى تفهم هذه المعانى إلا بتحليل هذه القطرات ، كل على حدتها ، تحليلا نفسياً ، كما يحلل الكيمياوى المادة الى عناصرها الأولية

اذا بكت المرأة قرأت فى عينيها سلسلة طويلة من تاريخ البشرية ، من آلام وأفراح ، وبؤس ونعيم ، وحرب وسلام ، واتزان واستهتار ، واسترسال وتوبة ، وفجور وطهر . وتوجست في حرقتها أنات الأفئدة الكسيرة ، وآهات القلوب الجريحة ، وتلمست فى نظراتها الحادة أعمق الشاعر ، ورأيت فى دمعها الشفاف المصفى ، شعاع الأبدية ، ومعانى الخلود

اميرِ بقطر

كلمات خالدة

ليت للنساء جميعا ثغراً واحداً . . . اذاً لقبلته واسترحت

لورد بيرون

لا تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به .. فلكل أهواء وطباع خاصة به

برنارد شو

الاسلامى مهد الجماعات السرية الثورية ـ الاسماعيلية وغاياتها
وجرائمها المروعة ـ مؤامراتها فى الحروب الصليبية ومحاولتها اغتيال
لدين ـ أوجه الشبه بين هذه الجماعة وبين الجماعات السرية الحديثة

الاسماعيلية أو الحشيشية

صفحة رهيبة من صحف القتل السياسى

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

كان القرن التاسع عشر حافلا بحوادث الاغتيال الملوكية ولا سيما فى روسيا القيصرية حيث كانت
ـكة النهيلستية أو « النهيليزم » تؤدى رسالتها الرهيبة فى تحطيم أغلال القيصرية الطاغية .
ـزالت صحف هذه المآسى الدموية تثير من الاعجاب قدر ماتثير من الروعة ، ذلك أنها بالرغم من
ـها المثيرة ، وطابعها الاجرامى ، كانت متنفسا للمثل العليا ، وكانت ترتكب فى سبيل فكرة
ـنية سامية ، وكانت فوق ذلك معرضاً للتفانى فى سبيل المبدأ ، وبذل الأنفس رخيصة فى سبيل
ـفه ، وكانت أمثلة نادرة للتضحية تحنى الرؤوس اجلالا كما تضطرم القلوب رهبة وروعا

وقد عرف الغرب هذه النزعة الفدائية العميقة متأخراً عن الشرق بمراحل ، وكان الشرق منذ
ـور الوسطى مهد هـذه الجماعات والحركات الفدائية ، وكان متنفسها الجريمة كما كانت الجريمة
ـس النهيلستية واللاحكومية (الفوضوية) وغيرهما من الحركات الثورية والتحريرية الحديثة .
ـن جنودها الفدائيون يمتازون بصفات نادرة من الاقدام والتضحية واحتقار الحياة البشرية .
ـث لتجد فى صحف الحركات الثورية الاسـلامية ، وفى أخبار دعاتها الفدائيين من الباطنية
ـسماعيلية ومن اليهم ، كثيراً من هذه المواقف المروعة التى اشتهرت بها « النهيليزم » فى القرن
ـى . بل لقد كانت هـذه الحركات ذاتها مستقى الحركات الأوربية المماثلة ، ففى مهاد الحروب
ـليبية استطاع أحرار المفكرين وأصحاب المبادىء والنظريات الثورية من الافرنج ان يقفوا على
ـير من أسرار الحركات الثورية والسرية الاسلامية ، وعلى نظمها ووسائلها العملية . وكانت نظم
ـاعيلية أو الباطنية ومراتبها السرية ووسائلها فى النضال مستقى لبعض الحركات والجماعات الثورية
ـانية التى قامت يومئذ مثل جماعة « فرسان الهيكل » الذين تعرفهم الرواية العربية باسم
ـية » وجمعية «فرسان مالطة» وغيرهما . ونقل الصليبيون الى أوربا هـذه الأسرار والنظم

فكانت فيما بعد مستقى لمعظم الحركات والجمعيات السرية التي قامت في مختلف الأمم الأوربية تسعى الى غايات ثورية أو تحريرية أو انسانية

* * *

وربما كان الاسماعيلية أو الباطنية هم أشهر هذه الجماعات الاسلامية السرية التي قامت لتحقق غاياتها ومثلها بالعنف والجريمة . ولسنا نقصد هنا الدعوة الاسماعيلية الأولى التي أسفرت عن قيام الدولة الفاطمية ، وانما نقصد تلك الجمعية السرية الهائلة التي أنشأها الداعية الاسماعيلي الكبير الحسن الصباح في أواخر القرن الخامس الهجري (أواخر القرن الحادي عشر الميلادي) ونظمها في مراتب سرية مدهشة ، واستطاع أن يجعل منها قوة يخشى بأسها ، تسيطر على عدة قلاع في الشام والجزيرة وفارس . وكانت تلك الجمعية الهائلة التي انتظمت تحت ستار الدعوة الامامية ، والتي كانت ترمي في الواقع الى غايات اباحية دينية واجتماعية ، من أعظم وأخطر الهيئات الثورية السرية التي عرفها الاسلام ، وكانت تستمد قوتها المروعة من جيش مدرب من الدعاة والمغامرين الفدائيين الذين لا يحجمون عن شيء ولا يردهم شيء ، وكان القتل المنظم أروع وأنجع وسائلهم ، وكانوا يخصون بعدوانهم واغتيالهم جميع الأمراء والكبراء الذين لا ينزلون عند وعيدهم أو رغباتهم ، فكان الأمراء والكبراء في معظم أنحاء العالم الاسلامي يرتجفون روعا لدسائسهم ومؤامراتهم ، وكان القتلة الفدائيون يرتكبون جرائمهم بتصميم وعزم وثبات لامثيل لها في تاريخ الجريمة ، فكان أحدهم يتربص للأمير المحكوم عليه وقد استبطن خنجراً ثم يطعنه طعنة قاتلة في الغالب ، وقلما يفكر في الفرار بعد ذلك بل يهلك لوقته بيد أعوان القتيل وحشمه ، ويستقبل الموت والعذاب باسما

ولهؤلاء الاسماعيلية أو الباطنية ثبت حافل من الاغتيالات والجرائم السياسية تفوق في خطورتها وروعتها كل ما عرفه العصر الحديث من الحوادث والجرائم المائلة ، وقد بدأ نشاطهم بارتكاب سلسلة من الاغتيالات المنظمة في فارس حيث كانوا يسيطرون في الشمال على سلسلة من القلاع الجبلية المنيعة ، وكان من ضحاياهم نظام الملك وزير السلطان ملكشاه في سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢م) وعدة من الامراء السلاجقة ، ولما اشتد فتكهم وعيثهم جد الأمراء السلاجقة في مطاردتهم ومحاربتهم ، ففر بعض زعمائهم الى الشام ، ورأى اتابك دمشق أن يستعين بهم في تنفيذ مشاريعه فأقطعهم قلعة بانياس ، فامتنعوا بها وغلبوا على عدة حصون منيعة أخرى واتخذوها قاعدة للعدو والفتك المنظم في تلك الانحاء

وفي أواسط القرن السادس الهجري بلغ الاسماعيلية ذروة القوة والنفوذ ، وظهر خطرهم في الشام كما ظهر من قبل في فارس ، وأضحى الفداثية وأضحت جرائمهم مثار الروع والرعب ، وألفى الباطنية في الحوادث والمعارك الصليبية ميداناً خصباً لدسائسهم وجرائمهم ، واستطاعوا أن يستغلوا هذا النشاط الدموي لتقوية نفوذهم وملء خزائنهم ، فتارة يعملون لحساب الأمراء

الصليبيين ، وتارة لحساب الأمراء المسلمين ، وكانت فترة مليئة بحوادث الاغتيال الرنانة ، وتطلق الرواية العربية على الباطنية فى هذه الفترة اسم « الحشيشية » ويستعملها بالأخص العماد الاصفهانى وأبو شامة المقدسى مؤرخا الحروب الصليبية ، وترجع هذه التسمية فيما يرجح الى أن الدعاة الباطنيين كانوا يأكلون أوراق شجرة « الحشيش » وأن هذا المخدر اقترن باسمهم فى فارس وفى الشام ، والظاهر أيضا أن التسمية الغربية للباطنية وهى Assassins ربما كانت تحريفا لكلمة « الحشيشية » أو ربما أطلقت عليهم لكثرة جرائمهم

وارتكب الباطنية أو الحشيشية فى تلك الفترة عدة من الجرائم الرنانة ، وفتكوا بعدة من أمراء المسلمين والفرنج ، وكان من ضحاياهم الكونت ريمون امير طرابلس قتلوه غيلة فى سنة ١١٢٥ م . ونشب النضال حينا بينهم وبين فرسان الهيكل (الداوية) ثم تفاهما ولعبا أدواراً مختلفة فى المعارك الصليبية وتقلبا فى محالفة المسلمين والفرنج ، وكانت المعارك الصليبية يومئذ فى أوج اضطرامها ، وكان صلاح الدين يتأهب يومئذ لخوض معارك عظيمة مع الصليبيين ، ففى أوائل سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ م) ، كان صلاح الدين غازيا على رأس جيشه فى شمال الشام . ففى أثناء حصاره لحصن عزاز من اعمال حلب ، اندس الى معسكره جماعة من الباطنية فى ثياب الجند . وكان زعيم الباطنية «سنان» الملقب بشيخ الجبل قد حالف عز الدين مسعود امير حلب ، واتفق معه على اغتيال صلاح الدين . ففى ذات مساء وثب أحد الباطنية بصلاح الدين وهو فى خيمة بعض الامراء يفحص خطط الدفاع وطعنه بخنجره فى رأسه . وكان السلطان يعرف غدر الباطنية ويحترز منهم بارتداء الدروع المصفحة . فحالت قلنسوته الصلبة دون اصابته . فحول القاتل عندئذ خنجره الى خد السلطان فجرحه جرحا بليغا ، ثم دفعه فألقاه الى الأرض وحاول أن ينحره بخنجره ، وكانت بطانة السلطان قد روعت لهذه المفاجأة وأصابتهم الدهشة مدى برهة ، ولكن أحدهم وهو الأمير سيف الدين بازكوج ، بادر بمهاجمة القاتل وطعنه بسيفه فأرداه ، ووثب فى الوقت نفسه عدة أخر من الباطنية من جوانب الخيمة ، وقصد أحدهم صوب السلطان فتلقاه الامير منكلان الكردى فطعنه الباطنى فى جبهته ، ولكن الأمير تغلب عليه وقتله ، بيد أنه توفى بعد أيام متأثراً بجراحه ، ووثب باطنى آخر فتلقاه الأمير على بن أبى الفوارس وقتله ، ووثب رابع فأصابه ما أصاب أصحابه ، واشتد الاضطراب والهرج ، وسار السلطان الى خيمته والدماء تقطر منه . واضطرب العسكر وكثر الارجاف ، ولكن النظام عاد فاستتب حينما خرج السلطان الى العسكر فوثقوا بنجاته وسلامته

وكان الاعتداء على صلاح الدين محاولة خطيرة ، وكان نذيراً بما بلغه أولئك الدعاة القتلة من القوة والنفوذ ، فعول صلاح الدين على سحقهم وإبادتهم قبل أن يستفحل شرهم فحاصر قلاعهم فى سنة ٥٧٢ هـ وضيق عليهم الحصار فاستغاث مقدمهم سنان (شيخ الجبل) بشهاب الدين صاحب حماة وهو خال السلطان ، ورجاه أن يشفع فيهم لدى السلطان ، وتوعده بالويل اذا أبى ، فخشى

شهاب الدين سطوتهم وغدرهم ، وتوسط فى الصلح بينهم وصلاح الدين ، فأمنهم وأخذ عليهم المواثيق وغادر قلاعهم

واستمر الاسماعيلية زهاء نصف قرن آخر يعيثون فساداً فى ربوع فارس والشام ، ثم كان مصرع دولهم وانفراط عقدهم فى منتصف القرن السابع حيث غزا السلطان هولاكو التترى قلاعهم وسحق دولتهم فى فارس ، وغزا الظاهر ملك مصر قلاعهم فى الشام وقضى على سلطانهم ونفوذهم ، ولم تبق منهم بعد ذلك سوى عصابات صغيرة يستعملها الأمراء المتنافسون فى تدبير حوادث السفك والاغتيال

وقد عرف الاسماعيلية ، قبيل مصرع دولتهم رحالة أوربى شهير هو ماركو بولو الذى شهد قلاعهم ووقف على نظمهم وأخبارهم حين اجتيازه فارس سنة ١٢٦٥ م . وترك لنا عنهم وعن قصورهم وحياتهم العجيبة نبذة بديعة شائقة

***

كانت الحروب الصليبية التى ظهر الاسماعيلية فى ميدانها ، وظهرت روعة خططهم ووسائلهم ، مجاز النقل والاشتقاق بين الشرق والغرب ، وكان مما نقلت الى الغرب تلك الخطط السرية والوسائل الدموية التى لجأ اليها الاسماعيلية لتحقيق غاياتهم ، وكانت هذه الخطط والوسائل مصدر الوحى والارشاد لكثير من الحركات والجمعيات السرية الارهابية التى قامت فى أوربا فى العصور الوسطى والحديثة ، ومن السهل أن نتبين وجوه الشبه بين خطط النهيليستية والكربونارى واللاحكومية وغيرها من حركات الارهاب الحديثة وبين خطط الاسماعيلية والفدائية ، ولقد كان الاسماعيلية فى الواقع أبرع المتآمرين فى الشرق ، وكانوا نهيليستيين فى نظمهم ووسائلهم قبل أن يعرف الغرب النهيليستية بقرون عديدة ، بيد أن هنالك فارقا جوهريا فى الغايات يرجع الى اختلاف العصور والمبادىء والظروف

محمد عبد الله عنان

هو أشقى الكتاب ؟

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقى

ـ فه أو أجرى قلمه جر عليه مدحه أو قدحه على السواء
ت ، من الكاتب ومن أنصاره وخصومه معاً ، وفى آن واحد .
دون ما يريده فريق وفوق ما يريده الفريق الآخر . . »

جمهور قرائه وحلقة المعجبين به
له الشباب المثقف ، المطلع على الآداب العالمية ، المستقرىء لحركات
بثة فى التحليل النفسى والفلسفة والاجتماع والنقد وفن الجمال .
ثير يجدون أنفسهم فى الأجواء العالية ذاتها والآفاق البعيدة نفسها ،
محدثهم فيها كاتب مواطن لهم يلمسون فى أدبه الانسانى العام نفسيته
انه العربى المبين

ماغة الكلام وأجود سباكه ، قد وعى أسرار اللغة وأحصى فرائدها ،
طرائف المنقولة ، فكل بضاعته أو جلها لفظ متخير ، وعبارة محبرة ،
نا كثرة لا يعرفون الادب الا أنه هذا ، فهم على قراءته مقبلون كأنه
لازهر متحلقون . ولقد يغشى مجالسه من حين الى حين بعض أصحاب
ا منه تراصف النظم وتناسب الفقر وجزالة التعبير

بق وذوى البسطة في التحصيل ، له عدة العلماء من جلد وجدل ، وله
واية وأزياء الادب . فهو أبداً متجدد متطرف . وقد آنس من أبناء
يد من خولة وتركيز ـ فتولى جلوته على الناس فى ثوب جديد مترسل
من فضله الجديد والقديم . وحبب الاكثرين فيه أنه لا يشق عليهم
لفهم والتقليد لما هو مرسله فى بعض الاحيان إرسالا

بر حظوته عند الشباب والفتيات المتعلمات ، لأنه يجعل من المرأة اللغز
و وضع لا شك يوافق هوى الشبان ويتفق ومصلحة النساء . ولو
ـ اليه شوبنهور مثلا من أنها الحريصة على النسل الامينة على الحياة ،
لك ، أو قال فى المرأة مقالة نيتشة انها تبدو بعيدة القاع لانه لا قاع

لما ــ لما جرى اسمه جريانه على الشفاه المصبوغة بالحمرة المصولة ، ولا سرت أخيلته فى مسرى الدم الحار من القلوب الفتية المشوقة

ومنهم من يتملقون العرف ويلبسون مسوح الأولياء ويتخذون لهجة الدعاة المصلحين . ومنهم اصحاب الشطحات يلفتون النظر بجرأتهم وأحيانا بوقاحتهم . ومنهم من يعتمدون فى شهرتهم على الموضوعات التى يفهمها نساء البيوت ورجل الشارع

فكل من هؤلاء كما أسلفنا فى مستهل كلامنا له جمهور قرائه وحلقة المعجبين به . ولقد يكون مقضيا على بعض الكتاب ألا يدخلوا فى تاريخ الادب وألا يكتب لهم سطر من سطوره ، غير أنهم مع هذا مقروءون على الاقل فى حياتهم وقد ينيف ما يطبع من مؤلفاتهم على مايطبع لغيرهم أضعافا مضاعفة ، فليس منهم واحد الا له بين النفوس ــ قلت أو كثرت ــ من يبادله الشعور وينطوى له على حب

أجل ، كل بما لديهم فرحون ــ إلا واحداً ، وهو الناقد المسكين

يتناول الناقد هــذا الكاتب أو ذاك ، وينظر فيما أخرجه من المصنفات ، ويقلب فيه وجوه الفكر ، ويخلو به يوما أو أياما يكون فيها نجيه وسميره . فيسبر غوره ويستبطن سره ويحك معدنه. ثم يجلو للناس حقيقته ويدلهم على موارد كلامه ومصادره ، ويوفى الكاتب حقه من التقدير على مقتضى القصد والانصاف ، ويضع القلم قرير العين مرتاح الضمير . ولكن ، شد ما يدهشه أن الكاتب غير راض وان أنصار الكاتب ناقمون . لانه وقد أبرز محاسنه لم ينس الاشارة الى مساوئه ، وانه فى استشهاده بالصحيح وتنويهه بالجيد عرض للسفساف بالنقد ووضع إصبعه على الفاسد المغموز.
بيد ان صاحبنا كما قلنا قرير العين مرتاح الضمير . فلا يزال يغضب هذا وذاك وتتألب عليه كراهية هؤلاء وهؤلاء . وفى ذات يوم يثوب إلى نفسه ــ وقد تطامنت حميته مع علو سنه ــ متسائلا : أما من سبيل إلى ارضائهم وارضاء الحق ؟ ولا تلبث أن تتفتق سعة الحيلة عنده عن وسيلة ، وقد اطمأن اليها كل الطمأنينة ... ماذا عليه لو قصر همه على الجانب المحمود فى الكاتب فامتدحه بما هو فيه ، دون أن يعدوه الى ما ليس فيه . وحسب الناقد محاسبة نفسه على ما قال ، أما المحاسبة على ما لم يقل فهى الرهق والاعنات فى مثل هذه الحال . وخير الأمور أواسطها

ويأخذ الناقد نفسه بهذه الطريقة مؤثرا مع الحق السلامة . فهل تراه سلم ؟ هيهات ، فلم تكتب قط لناقد سلامة . فما من منشىء تقول عنه انه أبلغ البلغاء إلا عتب عليك انك لم تشفع بها أحكم الحكماء . وما من روائى فكه تصفه بخفة الروح وحضور البديهة وسرعة البادرة وحلاوة الدعابة وبراعة النكتة إلا زعم لك أن له فى طى هذا فلسفة كالفلسفة الألمانية بل أشد غموضاً وأكثر تعقيداً . وما من مؤرخ ذى بصر بالأسانيد والمراجع وحسن الترتيب والتنسيق والتبويب يقنع بأقل من القدرة الفعلية على تصريف الأمور وقيادة الشعوب . والشاعر لا يكفيه ... الأمس

وقفة في سلع

وهي المعروفة بوادي موسى او البتراء

للشيخ فؤاد باشا الخطيب

تلك القبورُ ، وماثُل الاطلالِ   صُحُفٌ منشَّرةٌ وذكرٌ عالِ
للنفسِ بينهما وحولَ حماها   عظةٌ ومسرحُ عبرة وجلالِ
ان ناح مرتجزُ السحابِ عليهما   فاستسقِ صيّب دمعك المطّالِ
هي (سلع) والبتراء ترجمة اسمها   نسجت عليهِ عناكب الاهمالِ
وادلٌّ منهُ ومن معاهدِ انسها   زمن يروّع كلّ ناعم بالِ
فاذا العروبة هجنة ممسوخة   واذا المنازل والديار خوالِ
وادٍ تحفّ به الشوامخُ ممعنٌ   في السّفح اربدُ قالص السربالِ
يندسّ آونة ويسنح تارة   بين الوهاد — ومن وراء جبالِ
متعرجٌ يلتف غير معرّج   ويجول حين يهيم كلّ مجالِ
فلو انّ مرتاعاً يروع مشرّداً   ماكان اعجبَ منهُ في الايغالِ
متجاوب الاصداء تسمع كلما   اصغيت فيه هماهمَ الاغوالِ
إن صرّحتْ باليأسِ منهُ امدّها   املٌ على الايام ليس بسالِ

* * *

شقّ الاديم الى الصميم مهرولاً   في الارض بين حزونة ورمالِ
ذكر القطين لجدّ يهبط خلفهم   يتقحم الاعماق غير مبالِ
قد كان منتجع العفاة ولم يزل   بعد العفاء محطّ كلّ رحالِ
لمشمّرٍ بين البلاد ، مخبّر   نبأ العباد ، وسائح جوّالِ
قلق المجاز كأنّ كلّ طمرّة   سرُح اليدين عليهِ ذات شكالِ
غبَرتْ تعضّ على الشكيم تغيظاً   وتدبّ بين تعسف وخبالِ
تترقب القدر المتاح تلفتاً   فتغصّ حين تهمّ بالتصهالِ
ويهولها الامد السحيق كأنها   تجتاز فوقَ مزالق الاجبالِ

* * *

اشرفتُ منهُ على العصور تمثلت   ومشيت بين هدى وبين ضلالِ

ية حتى يسر ويهش لمن يدعوه بشاعر الثقلين الانس والجن جميعا . فاذا شئت الترضية للواحد هؤلاء فقل عنه انه الفحل الرقيق ، العويص الأنيس ، وانه الوثنى والصوفى ، وانه الشرقى القح، نه الغربى مائة فى المائة ، وبالجملة انه الذى قيل فيه :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

وهو يريد أن يفرض عليك رأيه فى نفسه أولا ، ولما كان بين قرائه من عبدوه لأنهم محدودون بسمعوا بغيره ولا بخير منه ، فهو لا يفهم كيف لا يكون موقفك منه موقف العبادة مثلهم مع البون ناسع فى الثقافة ما بينك وبينهم . ثم هو مستغرق فى نفسه يحب أن يقرأه كل الناس وألا يقرأ اس سواه من الكاتبين . ومن يكونون حضرات الأفاضل ؟ إنه نسيج وحده ، انه بيضة الديك !

ومن أظرف ما يروى أنك قد تتلطف مع كاتب وسط بين الكتاب وتطلعه على ما كتبت نه قبل نشره فاذا به يطلب منك رفع كلمة « الاستاذ » التى صدرت بها اسمه محتجاً بأنه لا ضرورة ا . ولكن من يلحظ امتعاضه وتشدد ليشعر مثلك أن الأستاذ المؤلف فى دخيلة نفسه انما يحتج ى كونك لم تكتب حين كتبت عنه « الأستاذ الكبير »

ولقد تزهد فى النقد وتنصرف عنه نفسك بعد أن لقيت الأمرين منه ، فيلقاك الصديق مهدياً يك كتابه ، يناشدك الصداقة أن تتدبره وتفليه ، وأن تصرح عن رأيك فيه ، لا لتقرظه وتطريه ، ل لتدل على مواضع النقص والقصور ، للاستفادة بالنصح وتحرى مواقع الرشد . واذا كان الأخ ينتظر النصح من أخيه ، فمن ينتظره ؟ فيقنعك من صديقك صدق لهجته ، وصراحة نظرته ، لا تزال بالانسان أبداً بقية من غفلة . وتقبل مخلصاً على الكتاب تدرسه وتمحصه لتؤدى الى خيك من الخدمة ما يطلبه . فاذا قصدت بعدها اليه استأداك حق الأمانة مستخبراً عما وجدت ، ستقصياً لما وقعت عليه . ولكنك الكيس الأريب ، فلا يذهلك هذا عن مقتضيات الذوق راسم التأدب ، فتقدم للقول على عادة شعراء العرب بالنسيب . فتلهج بمحاسن الكتاب وتصفه ل الوصف وتطيل فى الثناء عليه ، ثم تعقب على ذلك على نحو ما يسمونه حسن التخلص فتشير الى من الحسن بحيث لا تعيبه بعض هنات متفرقة هنا وهناك ، والكمال لله وحده ، وتسوق اليه طلة ثم أخرى وأنت تهونها وتقلل من شأنها وتتوخى أن تعرضها فى غير ما تشديد ولا نكير على أنها مجال نظر وموضع كلام . فاذا بك تحس من صديقك انقباضاً يغالبه ويداريه ، ويغالط ه مغالطتك فيه ، ويتخذ له حللا من مراسم الخطاب وأدبه وهيهات تغنى في الحديث عما غاض بشاشته وثقل من حركته وبان من كلفة الجهد بعد الفيض ، فاذا افترقتما بالغ فى تكريمك يتك ، ولكن كالآلة المسخرة المحركة غير صادرة عن نفس فتخاطب نفسك وتؤنسها وثمة تتقطع الأرحام بينك وبين روح شفيقة ، ثم أخرى وأخرى فاذا بك غريب بين أصدقائك وإذا وبين من تحبهم أحمين حجاز

وهكذا كلما فتح الناقد فمه أو أجرى قلمه جر عليه مدحه أو قدحه على السواء عداوات في اثر عداوات من الكاتب ومن أنصاره ومن خصومه معاً في آن واحد . لأن مقال الناقد أبداً دون ما يريده فريق وفوق ما يريده الفريق الآخر . وقلما يختم ناقد حياته حتى يكون الناس كلهم أعداءه . فلا غرابة فيما رواه المترجمون لحياة علم من أعلام النقاد ، أنه حين مات لم يشيعه الى مثواه الأخير غير ثلاثة منهم امرأته وكلبه

ولا ينفي هذا بضع حالات تخرج على القياس ولكنها استثناء لا حكم له . وقد كان لاحداها في نفسي أبلغ الأثر في استبقاء بعض الثقة بالانسانية وامكان ايثارها في وقت من الأوقات للحق ، وان كان يؤسفني أن هـذا المثل لا يأتي من مصر ، بل من قوم يجرى في عروقهم الدم السكسوني البارد . فقد قرأت منذ سنوات في صحيفة التيمس الأدبية نقداً لأحد المؤلفات ، أحصى فيه الناقد على المؤلف أغلاطه ، ولم يزل يتعقبها واحدة واحدة مبيناً ما فيها من اعتساف وخلط وبعد عن الصواب ومجانبة للحقيقة . فكان رد مؤلف الكتاب احتجاجاً صريحاً على الناقد اشتد عليه فيه لأنه دل بنقده على رسوخ القدم وسعة الاحاطة بالموضوع مما كان يوجب عليه التقدم بالتأليف فيه فينفع به ويؤدي في هذه الناحية من البحث ما لا يؤديه غيره ، فضلا عن انه كان يكفي المؤلف مؤونة العناء وحرج التورط فيما تورط فيه ملئاً للفراغ وسداً للحاجة

غير أن هذا كما قدمنا استثناء يندر وقوعه حتى في البلاد التي وقع فيها . وانني كثيراً ما أكفر بالنقد وأجحد أثره ، أو بعبارة أصح أجد الناقد في دنيا الناس كالفضولي الدخيل . فهب المؤلف مسيئا والجمهور أجهل من أن ينتبه الى قلة احسانه ، فما شأننا ، ومالنا لانذكر المثل السائر «وافق شن طبقا» فنريح ونستريح

ولو عمل « لسنغ » الناقد الألماني الأكبر على مقتضى المثل العربي لكان موقفه في هامبورج غير الموقف . فان القائمين على إدارة مسرح التمثيل في تلك المدينة أوكلوا اليه القيام على تحرير الصحيفة المسرحية بها . فعكف على تطبيق ماكان ينادى به من قواعد وأصول . وجعل همه هنا أيضاً تنبيه الألمان الى المنحدر الوبيل الذى ينساق فيه مسرحهم التمثيلي . وكانت معظم الروايات التى تمثل عليه مستعارة دخيلة ، فأراد تطهيره من العناصر الأجنبية التى كانت سداه ولحمته . ولما كان شديد الايمان بما يقول فانه لم يحجم عن مهاجمة أشهر المسرحيات وأضخمها اسماً . فهو يستعرض ما يعرض منها على مسرح هامبورج الواحدة بعد الأخرى كاشفاً عن مواطن ضعفها بمنطق جبار وذوق دقيق وعلم واسع . فاذا قيل دفاعاً عنها أن مؤلفيها يحتذون فيها حذو سوفكليس الأغريقي ، صاح ساخراً : « هذا شبيه سوفكليس ! وايم الحق ، بل هو القرد في محاكاته » . وكان ثمة المتحمسون لحملاته والمصفقون . والمرء يصفق اذا كان المضروب جاره . ولكن جاء دور المؤلفين من معاصريه الألمان أنفسهم . ولم يكن « لسنغ » ممن يصانع في خطابه الأجانب أو المواطنين .

تاءوا وهاجوا وماجوا . فأرسل لأخيه يقول : « تصور أنى وجدت الحمير أشق على الترويض القردة »

وانضم الممثلون الى المؤلفين الموتورين بدعوى اقلاله من ذكرهم وتقتيره فى التقريظ حين ذكرهم . ثم انضم الى هذا الجمع زمرة النقاد المحترفين ، فكانت المدينة كلها إلباً واحداً عليه . ك أن الناس كانوا الى مقدم هذا الفظ الفظيع فى دعة يقضون أطيب الأوقات ، وكان الحكمون المتكمون يعيشون فى أكمل صفاء وعلى أتم وئام . فكان النقاد يتكلمون عن الروايات متلطفين كانوا يرجعون الى المؤلفين والممثلين قبل أن ينشروا شيئاً على القراء فيستجيبون الى طلب هذا يضيفون كلمة فى الثناء على ذاك ، وبالجملة كان الكل راضين . فجاء لسنغ بصدقه وأمانته فكدر هذه السكينة والدعة فلن يغتفر له ذلك أحد . وكذا فشل المشروع الذى قام عليه ، واجترأ عليه صاغر الكتاب ولم يناصره الجمهور الذى تجشم هذا كله فى خدمته . واضطر لسنغ الى النزوح من هامبورج بعد أن أفرغ على أعدائه جام نقمته

وما كنا لنستعرض هنا مصير لسنغ الناقد الألمانى ، الا لأنه مصير كل ناقد يحمل بحق اسم الناقد . ولو كان امرؤ مخيراً فى ملكاته لما اختار لنفسه من بينها ملكة النقد فيكتب حظه فى طبقات الكاتبين أجمعين أشقاهم طيلة حياته وساعة مماته

عبد الرحمن صدقى

وما قيمة الناقد

كان الأديب الروسى أنطون تشيكوف يرى أن النقد عالة ثقيلة على الخلق ، وأن الناقد لا يجدى الاديب . وقد روى مكسيم جوركى فى ذكرياته عن تشيكوف أنه قال له ذات مرة : « إن النقاد أشبه شيء باب الذي يحوم حول الحصان وهو يجر المحراث . فبينما هو ناهض بعمله سائر فى سبيله ، إذا بذبابة تقع على ه وتطن ، ثم تنتقل إلى خاصرته وتدغدغها . فترتجف أجلاده القوية وتقشعر عضلاته المشدودة ، ويهتز سه وذيله يميناً وشمالا ... لماذا تطن الذبابة فى أذنه وتدغدغ جسمه ؟ لانها تريد أن تقول للحصان : أنظر أيها الحيوان الضخم ، فانى أنا البعوضة التافهة أعيش كما تعيش ، بل إنى أستطيع أن أعوقك عن عملك لك بوخزى الموجع . . نعم ! فلقد مضى خمسة وعشرين عاما وأنا أقرأ ما يوجه لقصصى من النقد ، كنى لا أذكر إشارة واحدة ذات قيمة ، أو كلمة قيمة أرشدتنى وأفادتنى »

الدراسات الاسلامية فى المانيا

المستشرقون ينقبون عن المصاحف القديمة

ليسهلوا دراسة علوم القرآن وفن القراءات

[يقوم المجمع العلمى الباڤارى فى ميونيخ بالبحث عن الكتب والمخطوطات التى تتعلق بالدراسات الاسلامية عامة وبعلوم القرآن وفن القراءات خاصة . وقد أوفد المجمع الى مصر الدكتور اوتو برتزل ليتولى هذه المهمة . فرأينا أن نتحدث اليه فى هذا الموضوع الذى يستحق اهتمام العالم الاسلامى ورعايته]

الدكتور أوتو برتزل هو أستاذ اللغات السامية فى جامعة ميونيخ ، وعضو المجمع العلمى الباڤارى ، وعضو جمعية المستشرقين الألمانيين . وقد طاف بكثير من البلاد العربية ، وأقام حيناً فى بلاد المغرب والجزائر ومراكش وجزيرة العرب ، حيث تعلم لهجات البدو ودرس طباعهم ، وعثر فى أمصارها على مخطوطات عربية نادرة . كما زار أخيراً تركيا وتفقد دور الكتب فيها ، فعثر فى مكتبة استنبول على تفسير للقرآن الكريم وضعه فى القرن الثانى الهجرى أبو زكريا يحيى بن زياد ، وهو يعد أقدم التفاسير الموجودة كلها

وللاستاذ برتزل فوق هذا كتب قيمة شتى ، منها كتاب جليل عن مراجع القرآن وعلومه وقد اشترك مع الاستاذ برجستراسر — الاستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية سابقاً — فى نشر كتاب التيسير لأبى عمرو الدانى ، وكتاب المقنع فى رسم المصاحف ، وكتاب غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى

●●●

حدثنا الاستاذ عن مهمة المجمع العلمى الباڤارى فى ميونيخ التى أوفده الى مصر قال فكر الاستاذ برجستراسر فى أن يجمع كل ما يمكن الحصول عليه من المصادر الخاصة بالقرآن الكريم وعلومه . وقد سار فى تنفيذ هذا العمل عدة خطوات الى أن وافته منيته ، فرأى المجمع العلمى الباڤارى أن يتولى من بعده إكمال هذا العمل الجليل الذى يستحق [illegible] الاسلامى قاطبة

رأينا المصاحف القديمة الخاصة بالقرآن الكريم يتسرب اليها بعض التلف على مر [illegible] وتمتد اليها يد العبث ، فضلا عن عدم حفظها فى حرز أمين ، وتعرضها لالتهام الحريق [illegible] ولذا بادرنا الى الحصول على صور شمسية عدة لها . وقصدنا بهذا العمل أن نوفر الجهود على المشتغلين بفنون القرآن ، إذ نوينا أن نجمع كل ذلك فى مركز واحد بمدينة ميونيخ

غير
الصب
أيضاً
التى
كان
ما يعرض
وذوق د
صاح سا
التحمسور
من معاصر

لاع عليها ، وإمكان الحصول على صور منها لمن أراد ، موفرين عليه نصب البحث والتنقيب
اق التجوال فى أقطار عدة

وتسهيلا لمحبى الاطلاع نوينا أن ندون كل آية من آيات الكتاب الكريم فى لوحة خاصة تحوى
وم التى عثر عليها فى المتون المنوعة وهى متبوعة بالتفاسير التى ظهرت على مدى العصور
الى القرون

ويقوم المجمع بالبحث عن المخطوطات الثمينة النادرة وتصويرها ثم القيام بنشرها على نفقته أو
ب أى جهة من الجهات العلمية ، وقد بدأنا فعلا بأن نخرج من الكتب القيمة والبحوث المفيدة :

ـ كتاب التفسير فى القراءات السبع للامام عمرو بن عثمان بن سعيد الدانى وهذا الكتاب
أصح الكتب الموضوعة فى فن القراءات

كتاب المقنع فى رسم مصاحف الأمصار

كتاب مختصر الشواذ لابن خالويه

كتاب المحتسب لابن جنى

اية النهاية فى طبقات القراء لشمس الدين الجزرى

سالة فى تاريخ علم القراءات (باللغة الالمانية) وبها أسماء جميع المؤلفات التى تبحث فى

معانى القرآن للفراء النحوى . وهذا الكتاب يعد أقدم التفاسير الموجودة وأكثرها
ماً ويطبع الآن بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

إيضاح الوقف والابتداء لأبى بكر بن الانبارى

* * *

ركة الاستشراق فى المانيا ، وما يقال عن ركودها بعد الحرب فقال :

راق ظهرت فى المانيا منذ ثلاثة قرون . وكان الغرض الأساسى منها هو تفهم
العقلية الاسلامية والوقوف على مدى الرسالة التى يدعو اليها الاسلام . ومنذ
شرقين الألمانيين عام ١٨٣٠ أرصدت الحكومة الأموال والهبات لتشجيع
لفاتهم وإيجاد مراكز للدراسات الاسلامية فى الجامعات كيونيغ وهاليه
ون وليبزج وجامعة برلين

الاسلامية فى ألمانيا باقية على شهرتها القديمة التى وصلت اليها قبل الحرب .
أتولى التدريس فيها خمسة عشر طالبا يدرسون فى شعبة الدراسات الاسلامية.
ى الذى أمثله هو احدى المؤسسات الشرقية وعمله قائم على العناية بعلوم تفسير
لوم القراءات . وقد استطاع أعضاؤه أن يقدموا الى العالم الاسلامى أجل

الخدمات فنشروا المؤلفات القديمة ونفضوا عنها غبار الأجيال وقاموا بتنسيقها وتبويبها وطبعها على طريقتهم العلمية

ولهذا المجمع علاقة بالبيئات العلمية المصرية منذ خمس سنوات، قامت بفضل الاستاذ برجستراسر والدكتور طه حسين بك والاستاذ ابراهيم مصطفى المدرس بكلية الآداب. ويقوم المجمع الآن بتصوير ما يلزم لدار الكتب المصرية ودار الكتب الأزهرية من مجاميع المخطوطات التي يعثر عليها. وبين هذه المخطوطات مجاميع كاملة في علم القراءات ورسم المصاحف والتفاسير المختلفة والمصاحف الكوفية

ونحن نشترك الآن مع جماعة من كبار العلماء الألمانيين في وضع موسوعة شاملة عن تاريخ القرآن ، صدر منها الى الآن المجلد الثالث . كما نهتم أشد الاهتمام باعداد تفسير للقرآن تفسيراً يعين القارىء على تفهم آياته بحيث يجد فيه لذة معنوية ونعيما روحياً

ولايفوتني أخيراً ان أحدث اليكم قليلا عن الجهود الفذة التي بذلها أستاذنا المرحوم برجستراسر . فقد كان من نوابغ علماء المشرقيات . كان يحفظ القرآن وعلوم التفسير والفقه والاحاديث النبوية عن ظهر قلب ، وصنف عشرات الكتب في شتى العلوم الاسلامية والفقهية ، منها رسالة عن حروف النفي في القرآن واستعمالها ، وكانت له رغبة أكيدة في أن يتولى بنفسه طبع القرآن طبعة علمية حديثة ، وفعلا كاشف بذلك مؤتمر المستشرقين المنعقد في خلال صيف عام ١٩٣٠ فأيده وشجعه على المضي فيها . ولعل أكبر عمل قام به برجستراسر هو تسجيل أصوات مشاهير مقرئي القرآن في العالم الاسلامي بواسطة آلة خاصة ليرجع اليها وقت الحاجة ، كما انه سجل بهذه الآلة بعض صوت الدكتور طه حسين بك وهو يلقي الشعر ألقاه على الطريقة التي كانت دارجة أيام [illegible] الشعر في أسواق عكاظ ومربد البصرة . وأفاده هذه الآلة في تسجيل لهجات بعض القبائل التي اختلط بها والأعراب في صحاريها ، بالغة التكلم ، ومن قرية [illegible] المشهورة في [illegible] [illegible] أن أهلها لا يزالون يتكلمون بلهجة اعرابية [illegible]

وقد لبث المرحوم برجستراسر زهاء عشرة أعوام في وضع كتاب عن [illegible] [illegible] العالم الاسلامي ، وفي مصاحف القرآن المطبوعة والموجودة في [illegible] [illegible] ، وأعد في [illegible] [illegible] [illegible]

للكاتب الفرنسى مكس رينال

Le Monde de l'amour (par Max Raynal)

عرض وتحليل بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

يعتبر مكس رينال من أقدر كتاب فرنسا الذين تحدثوا عن الحب وأطواره فى عبارة واضحة وأسلوب جذاب يجمع الى الروح الادبية صدق النظرة العلمية ودقتها . ومكس رينال أديب وطبيب يعرف جسم الانسان كما يعرف قلبه وعواطفه . لذلك أبدع في تصوير عوامل الحب فى هذا الكتاب الذى أعجبت به الشاعرة الكبيرة مدام دى نوياى وصدرته قبل وفاتها بمقدمة شائقة

ب جاذبية حسية يغذيها التصور ويضخمها الفكر . ولولا الفكر وقوته والتصور وفنونه
الحب الى مجرد عمل بهيمى وضيع

تلتقى بامرأة حسناء ، يتملكك الاعجاب بها عن طريق حواسك فى مبدأ الأمر . أى
ها ، وتقاطيع بدنها تستهوى عينيك ، وان شيئا معيناً فيها يروقك بوجه خاص
نحوها بالجاذبية الحسية التى هى أول درجات الحب

ها مرة ثانية . ويتفق أن يكون ذلك فى حديقة جميلة ، أو فى دار مسرح
انية مؤثرة ، أو فى مكان تتردد بالقرب منه نغمات الموسيقى ، فيحدث
الجميلة ، أو يهز أعصابك موضوع القصة الغرامية المؤثرة ، أو
ى ، فتتأجج احساساتك وتشعر بحنين الى العاطفة ورغبة جامحة
الرغم منك الى المخلوق الذى عرف كيف يجتذب حواسك ،
خلال الجمال الشعرى الذي بالغ وهمك وخيالك فى تزيينه
المرأة التى اجتذبتك أو صوتها وهى تتكلم ، كي تحدث
التأثير الشعرى الذى لا بد أن تخلعه على المرأة لتطمئن
فى نفسك نحوها

ولا [illegible] وجود الحب بدون دافع شعري يوقظ العاطفة ، ودافع جنسي يوقظ الحواس وقد [illegible] فيها المرأة سلطان العاطفة ثم الحواس أو بالعكس. غير ان اقتران الدافع العاطفي بالدافع الجنسي لابد منه لتحقيق الحب الكامل

وحيث ان العاطفة لاتعيش بدون تفكير ، فعقلنا هو الذى يخلق الحب ، وخيالنا هو الذى يتعهده ، وتصورنا هو الذى يغذيه ، مستمدا قوته من الظروف الشعرية التى أحاطت بالمرأة ومن شتى ألوان الجمال الخيالى التى أحاطت بتلك الظروف . واذن فلا حب بدون شعر ولاشعر بدون فكر وخيال ، وأرحب الناس خيالا أكثرهم حبا وأقدرهم على الحب

وهذا ما يفسر لنا خيبة المحبين وشقاءهم وما يدلنا أبلغ الدلالة على أن الحب وهم من الأوهام . وكيف لا يكون وهما والمحب لا يمكن أن يرى حبيبته إلا فى اطار من الشعر ، ولا يمكن أن يحبها إلا اذا أضفى عليها أبدع حلل الشعر ، ولا يمكن أن يسمو بحبه عن الغريزة البهيمية إلا اذا جمله وزينه بالشعر ! . .

ولكن الشعر غير الواقع ، والمرأة ليست الاهة ، فمتى اتصل بها الرجل وخالطها وكشفت له الحياة عن جوهر طبيعتها العادى ، أحس الفارق الهائل بين خيالها في ذهنه وبين حقيقتها اليومية ، فانجابت السحب عن بصره وتداعى حبه وتقوض الهيكل الذى كان قد شيده بعقله وأعصابه ودمه !

وإذن فالمحب يطلب ما يجب أن يكون لا ما هو كائن ! وهذا سر شقائه وهذا سر عظمته ، وعظمة الحب التى يتهالك عليها جميع الناس !

وفى هذا يقول مكس رينال : « ان المحب شخص « مثالى » يريد ان ينهض بالحياة ، ويسمو بالانسان ، ويرفع حبيبته من حضيض الأرض الى عنان السماء ، انه يشعر بالدافع الجنسى يدفعه اليها فيستنكر خشونته ويستنكر غلظته ويأبى إلا أن يهذبه بدافع من القلب والروح »

ان حبه يقوده الى الطبيعة فيرى جمالها من خلال شخص محبوبته ، فيتناول هذا الجمال ويصوغه ويكللها به وهكذا يعلمنا معنى الفن ومعنى الحياة !

فماذا تهم خيبة الواقع أمام هذه اللذة العلوية التى يظفر بها المحبون ؟. وماذا يهم ان يكون الحب فى أصله وهما ما دامت الغاية هى السمو بالغريزة وتجميل الكون من طريق تجميل المرأة ؟ . .

لقد كان دستويفسكى يكره المرأة التى لا تستطيع اثارة الدافع الشعرى فى نفسه . وكان يخافها ويفر منها ويسميها « شيطان الظلام » أى شيطان الشهوة

وكان روسو لا يفهم كيف يمكن أن يشتهي امرأة لا تخاطب محاسنها قلبه أولا ولا توحي اليه عاطفة رقيقة أو فكرة غريبة أو خيالا شائقا

وكان فلوبير يقول : « ليست وظيفة المرأة ان تكون حارسة النوع فقط بل حارسة الجمال أيضا . والمرأة التى لا أشعر بالقرب منها بجمال الطبيعة وجمال العواطف النبيلة الخالدة كالرقة والصفاء

والوفاء والتضحية لا يمكن أن أستريح اليها لأن لو أحببتها لتصت لى على كل نبل وكل جمال»
وعليه فالقوة التى تميز الحب عن الرغبة الجنسية المجردة هى هذا الاتجاه المثالى نحو عالم أكمل
من الواقع وأسمى وأجدر بقيمة الانسان
وهنا يشترك الحب الكبير مع الشعور الدينى إذ كلاهما يبحث عن الصفاء، وكلاهما ينشد الجمال الأعلى!

الحب والمرأة

المرأة تحب أن تكون محبوبة ولكنها فى صميم نفسها لا تؤمن بالرجل كثيراً
الرجل هو القوة، ومن حق القوة أن تكون حرة وان تستمتع ما شاءت بنزواتها، وأن
تعبث فى كل حين بالضعف والضعفاء
هذا ما تعتقده المرأة ولذلك هى لا تؤمن بالرجل اذا ما ادعى الاخلاص والوفاء، ولا يخطر على
بالها لحظة ان حبه إياها يمكن أن يكون وطيداً أبديا كما تشتهى
ومع ذلك فهى تنصت له، ويروقها منـه أن يطارحها الهوى، وتجد لذة عظيمة فى مخادعة
نفسها ومحاولة تصديق الرجل الذى تعلم حق العلم انه كاذب ...
فهى لا تصدق ادعاء الحب العظيم الدائم ولـكنها تريد أن تصدق ... تريد أن تصدق مدفوعة
بعوامل الكبر والزهو والخيلاء، سعيدة باعتقادها أنها أدت وظيفتها وأخضعت الرجل لسحر
الجمال وأرغمت ذلك المخلوق القوى العابث المتقلب على طاعتها والاذعان لسلطانها
والحقيقة أن دفاع المرأة عن نفسها، ونضالها الطويل قبل أن تستسلم، ومراوغتها، ودلالها،
واعراضها تارة واقبالها أخرى، كل هذه الظواهر تدلنا أبلغ الدلالة على انها تخاف غدر الرجل،
ولا تؤمن بدوام حبه، وتريد أن تعذبه وتمتحنه ما استطاعت لتفوز منه بعـد الاستسلام بأوفر
قسط من الثبات والولاء والاخلاص
والواقع ان المرأة ــ على الرغم من نظرتها الحذرة الى الرجل ــ خيالية العاطفة شعرية التصور
تنشد الحب الصادق الملتهب الدائم وتظل تبحث عنه مهما خيب الرجال ظنها ومهما خدعوها وعبثوا بها
فهى تحب أول مرة وتستسلم لتجرب، فان فشلت لم تيأس وأعادت الـكرة حتى تستقر على
حب متبادل وطيد أو تنحدر شيئا فشيئا الى مهواة الخلاعة والتبذل
والغريب فى أخلاقها أنها لا تؤمن بالرجل ومع ذلك تؤمن بالحب. ولـكن الأغرب من ذلك
والأشد فى الدلالة على ما تحمله نفسها من متناقضات، أنها تحتقر الرجل الذى يحبها حقاً، وتزدريه
وتنكل به وتعد حبه ضعفا، هذا الحب الذى تتطلع اليه وتناديه وتطلبه بكل جوارحها! . .
وتلك هى المأساة!
المرأة إنسان خلق ليسعى وراء الحب، ولـكنها لفرط شعورها الوراثى بضعفها، وشـدة

احساسها بما لقوة الرجل من حقوق ، وعظم خوفها من تقلبه وتلونه ، وعبثه واستخفافه ، أصبحت تشك وترتاب فى هذا الرجل نفسه متى قدم لها الحب الخالص الذى تنشده . بل أصبحت ترى أن هذا الحب لا يتفق مع أخلاقه وقوته وانه دليل ضعف يثير الازدراء ويبعث على التهكم والسخرية !

وإذن فهى تريد الرجل قويا . تريد أن تحبه هى لا أن يحبها هو ... أو تريد أن يحبها ولكن فى أنفة وعزة وكبرياء وعدم اكتراث . أى بأسلوب لا يتفق وشروط العاطفة الصادقة المجتاحة التى تزعزع الكبرياء وتهدم فى أحيان كثيرة صرح الاباء والعزة

وهنا نلمس شقاء المرأة وشقاء الرجل معا . هى لا تصدقه لانها اعتادت منه الكذب . وهو لفرط ما كذب أصبح لا يجد من يقدر فيه الصدق !

لذلك يسعد مع المرأة كل رجل قوى ، كل رجل يعرف عند الاقتضاء كيف يكون شريراً ، ويعرف فوق هذا كيف يكبح عواطفه ويضبط حبه ويكذب ويتظاهر بأن فى وسعه الاستغناء عن هذا الحب وعن المرأة التى يتمثل حبه فيها . ولكن أى رجل صادق العاطفة نبيل الاحساس مستقيم الخلق يستطيع هذا ؟

إن كبح العاطفة وضبط الحب وتمويه الاستخفاف والتظاهر بالاستغناء ، كل هذه مناورات يمليها العقل ، والعاطفة الصادقة الملتهبة لا تعرف العقل أى الارادة والقوة

ولهذا لا ينجح مع النساء — على حد قول فولتير — إلا الرجال الذين لم يجد الحب الى قلوبهم المتحجرة سبيلا !

الحب والغيرة

هل هناك حب بدون غيرة ؟ وهل من الضرورى أن تلازم الغيرة الحب ؟ أم أن الحب عاطفة مستقلة والغيرة عاطفة دخيلة عليها ؟ !

يرى مكس رينال أن حق الرجل الوراثى فى امتلاك المرأة وحيازتها والانفاق عليها وعلى أبنائه المستولدين منها ، هذا الحق الكامن فى أعماق نفس الرجل والمتغلغل فى عقله الباطن والمنحدر اليه من سلسلة الأجيال المتعاقبة ، هو الذى يجعل الحب مقترنا بالغيرة

فالرجل اذا أحب لا ينسى أنه رجل ولا ينسى أنه السيد . لا ينسى أن المرأة كانت فى الغابة ملك الرجل القوى ، لذلك يطلب اليها الأمانة والوفاء ويفرضهما عليها فرضاً ، وان استحل لنفسه خيانتها والعبث بها والتطلع الى امرأة أجمل منها

فهو يحب ، ولكنه فى الوقت نفسه يرغب فى الاحتفاظ بكرامة رجولته . وهذه الكرامة هى التى تثور اذا ما ظهر المزاحم ، وهى التى تولد الغيرة ، وهى التى تدفع فى معظم الاحيان الى الاجرام أو إلى الجنون
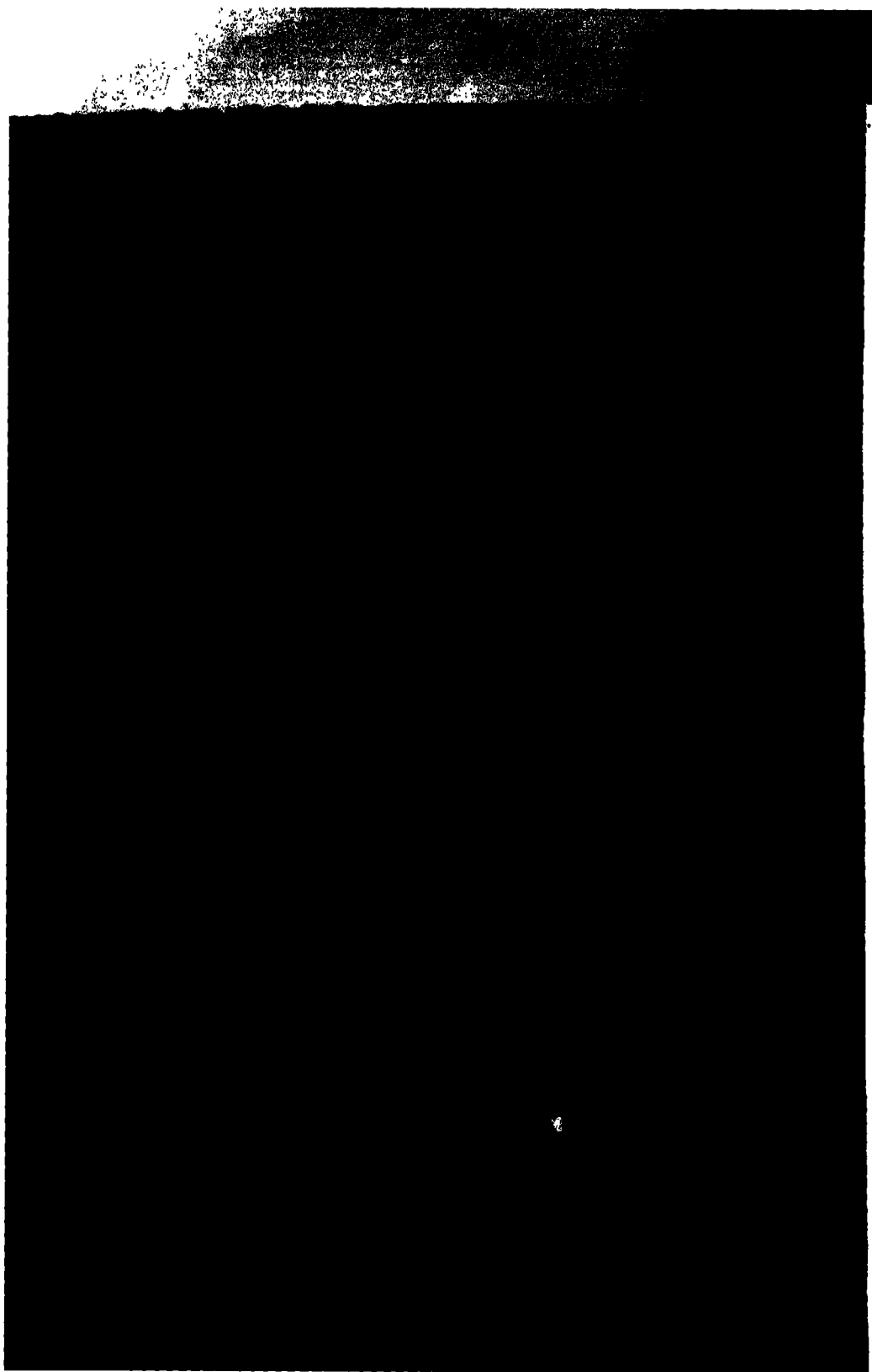
وشققت جيب الارض من اطرافها   حتى انتهيت اليهِ نضوَ كلالِ
وشهدت فيهِ مدينة منحوتةً   في الصخر تحتَ مشيّد التمثالِ
موصولة حجراتها بفنائها   نقراً على عُمُد لهنّ طوالِ
لبست اياة الشمس في الوانها   وزهت بابرع زخرفٍ وصقالِ
والقصر نحو القصر ينظر شاخصاً   نظر المدلّه مؤذناً بزيالِ
ان ورّع العبرات جاش اتيّها   وَهمتْ سجالٌ منهُ بعد سجالِ

* * *

ومغارةٍ وقفت حيالَ مغارةٍ   ومدرَّج في إثر آخرَ تالِ
يتشعّث الدرج الشتيت خلالها   كخطوط أعسر او دبيب غالِ

* * *

بلد كأنَّ يداً دَحتْهُ نخرٌ من   قُلَل الجبال ممزّقَ الاوصالِ
فهنا الصخور على الصخور تحطمتْ   وهناك منهُ حقيقة كخيالِ
او كالطلاسم فوق مُهرق ساحرٍ   في كلّ زاوية خبيئة حالِ
موتٌ تطوف بهِ الحياة وموقفٌ   خشعت لديهِ طوارق الاهوالِ
تمضي القرون على القرون كأنها   وقد انحدرن اليهِ بضعُ ليالِ

* * *

فانظر الى الامصار كيف تنكّرتْ   والى القضاء يصولُ كل مصالِ
والى الانام تلفّهم اكفانهم   بعدَ الجهادِ ونضرةِ الآمالِ
وانزع الى الملك المهيمن فوقهم   فالعلمُ ملّ تنطّس الجهّالِ
وجدالَ دجّال وسخف موسوسٍ   يتشدقان بطائش الاقوالِ

* * *

تلك الربوع فسَلْ بها آثارها   واسمع فثمّ جواب كلّ سؤالِ
فلعلّ عن (موسى الكليم) محدثاً   بين التلاع يصيحُ والادحالِ
ولعلّ (طور سنين) بين هضابها   باقٍ كمهدِ الوحي غير مذالِ
واذا اقتبستَ من الخرائب حكمةً   فلقد افدتَ غنىً وحسْن مآلِ

* * *

سبحان من جهب الحياةَ تبرعاً   من قبل ايّ رضى وايّ سؤالِ
متصرف في الكون غير مفرّط   يبني الجديد من القديم البالي
كتب الخلود على الوجود فلم يكن   في الموتِ غير تحوّل الاشكالِ

فالحب بعد إذ يكون قد أخضع المرأة التي يهواها وأرغمها على الاذعان لسلطانه ، يعز عليه أن يطعن في صميم رجولته وأن يولى الأدبار أمام منافس أجمل منه في نظر المرأة وأقوى وأقدر

فالشعور بكرامة الرجولة ، وحقها الوراثي في الحيازة والامتلاك ، وقدرتها على حماية الانثى الجميلة الضعيفة ـ هذا الشعور اذا توتر واهتاج تحت تأثير المنافسة ـ اضطرمت الغيرة وعصفت بالعقل والقلب والاعصاب

ومع ذلك فهناك باعث آخر على الغيرة قد يكون أهم وأخطر من البواعث التي ذكرنا . وهذا الباعث هو ما يسميه مكس رينال « خيال اللذة »

فالعاشق الذي فتن حبا بامرأة ، والذي أمتعته معشوقته بمختلف اللذائذ ، لا يستطيع أن ينسى هذه اللذائذ أبداً . انها من فرط قوتها تنطبع في مشاعره وتستقر في خياله وتستولى على وجدانه كله ، فيعتقد أنه ملك العالم وأنه أصبح نصف إله

فعندما يتقدم المزاحم وعندما تعرض المعشوقة عن عشيقها وتتجنى وتتدلل يدب الشك في نفس العاشق ثم يشتعل في ذهنه « خيال اللذة » فيتمثلها تماماً ويتمثل غريمه مستمتعاً بها فيجن جنوناً . وتلك أروع ضروب الغيرة !

وهذا الذي يقوله مكس رينال نجده واضحاً في شخصية (عطيل) في رواية شكسبير المشهورة . فعطيل يغار من منافسه وتكاد الغيرة تفقده صوابه لأنه يتصور اللذائذ التي ينعم بها مع امرأته ويتصور في اللحظة نفسها امرأته وهي تجود بمثل تلك اللذائذ على منافسه ! . . وعليه فعطيل أو أي رجل عادي ، ينشد في الحب الحيازة التامة ، ويطلب الاخلاص المطلق ليأمن شر الغيرة ، أي شر الامتهان والاذلال وفقدان الرجولة

فالرجل والحالة هذه أناني ، وحبه مظهر من مظاهر الأنانية . والمرأة تعرف هذا حق المعرفة ، وتعرف عند الاقتضاء كيف تلهب أنانيته وتلهب كبرياءه وتلهب غيرته للاحتفاظ به أو لتعذيبه والانتقام منه

ولكن مكس رينال ـ على الرغم مما تقدم ، وعلى الرغم من تسليمه بأن الحب ضرب من الأنانية ، وأن الأنانية هي التي تولد الغيرة ، وأن الغيرة قرينة الحب ـ يؤمن بوجود حب آخر لا يعرف الانانية ولا تنفذ الغيرة الى قلب صاحبه

وفي هذا يقول : « كلما ارتقى الانسان في سلم الحضارة ، وكلما اتسع ذهنه وصفت روحه وتحررت غرائزه من سلطان الشهوة ، مال به الحب نحو الغيرية لا نحو الانانية ، ونحو التضحية لا نحو الكبرياء وحب الذات »

هذا الانسان المتحضر ، اذا أحب لا يطغى ولا يستبد ولا يفكر في الحيازة المطلقة ولا يعتقد أن

فى وسع المرأة أن تحب الى الأبد شخصاً واحداً وأن الحب عاطفة يجب أن تكون خالدة كى تكون عظيمة

فهو يسعد بلذة الحب كرجل عادى . ولكنه يسعد فوق هذا بلذة تضحية نفسه فى سبيل المرأة التى يحب ، وتذهب به السعادة الى حدها الأقصى عندما يتأكد أن محبوبته نفسها سعيدة وان كان ذلك مع رجل سواه ! . .

هكذا كان يحب تورجنيف مدام فياردو ، وجان جاك روسو مدام وارانس ، وشاتوبريان مدام ريكاميه . ولقد كان تورجنيف يقول : « انى أعبدها . وماذا يهمنى أن تكون لى أو لسواى . المهم أن تكون سعيدة وأن يعرف الرجل الذى تحبه كيف يسعدها ! . . »

وهذا فى رأى مكس رينال أسمى مراتب الحب !

الكهولة عهد الغرام

يعتقد الكثيرون أن عهد الشباب الاول هو عهد الغرام

والحقيقة أن الشباب يلهو بالغرام لهواً ويتخذ من عاطفة الحب أداة للتسلية ، ويعتبر الحب ضربا من المرح النفساني العنيف ، وينظر اليه آخر الامر من ناحية اشباع الغريزة الجنسية اكثر مما ينظر اليه من زاوية القلب والروح

أجل . الشباب جم العواطف وافر الاحساسات ، ولكن عواطف الشباب وإحساساته لاتلتمس المتعة والنعيم فى دائرة العاطفة والاحساس ،بل فى دائرة المادة أى فى دائرة الشهوة الجنسية

فالحب عند الشباب عاطفة يثيرها الدم الحار والعضل المفتول والمعدة القوية ، عاطفة تخلقها عوامل المادة ولا يمكن أن ترتوى الا فى محيط المادة

فاذا ما بلغت مرادها وارتوت ، فترت حدتها ، وتقلص ظلها ، واستحالت الى تبرم وضجر ونفور ، ثم تحولت نحو شخص آخر تنشد الغاية نفسها أى اللذة الجثمانية تحت ستار العاطفة

والملاحظ أن المرأة تفهم بفطرتها طبيعة الشاب . وتعرف أن عاطفته سريعة الثوران ، سريعة التقلب ، سريعة الانطفاء ، لقيامها على الرغبة الجنسية وحدها ، ولفرط تأثرها بقوة النداء الجنسى وحده

لذلك تعجب المرأة بالشاب وتحن اليه وتطلبه لانه مظهر من مظاهر الطبيعة البكر ، ولكن لاتطمئن لحبه ولا يخطر على بالها لحظة واحدة أن فى وسعها الاحتفاظ بهذا الحب بدون كفاح وجهد

والواقع — فى رأى مكس رينال — أن الشاب لا يمكن أن يحب امرأة بالذات لأنه يحب النساء جميعاً ، أو بمعنى آخر يحب الحياة

فباهج الحياة ، ومناعمها ، وأفراحها ، ومسراتها التى لا تحصى ، تخلب لب الشاب وتستغرق

حياته وتحول بينه وبين تركيز قواه فى عاطفة واحدة وشخص واحد
لب مطالع الدنيا بعين متشوفة ظمأى ، ويرى الجديد أمامه فى كل خطوة . فهو يود اكتناه
ياة الغريبة عليه ، يود احتضان الحياة بأسرها لا احتضان جسم واحد وجمال فرد
ه هى طبيعة الشباب ، وهى تتعارض كل التعارض مع مستلزمات الحب
لحب – عند مكس رينال – عاطفة جبارة هائلة تتطلب منا توديع مناعم الحياة الظاهرة ،
ن آفاق متاعها الباطل ، وحصر هذا المتاع فى امتلاك ورفقة مخلوق معين ، يجمله خيالنا
. به تصورنا ، ونرى من خلال عينيه الفاتنتين أو جبينه الوضاح أو خلقه الكريم ، خلاصة
متاع هذه الدنيا !
لذا يؤكد مكس رينال أن الكهولة هى التى تعرف كيف تحب لا الشباب . .
لكهولة التى ذاقت مناعم الحياة المادية وسئمتها وعافت ألوانها وتاقت فى النهاية الى النعيم الأعظم
عاطفة الحب الصادقة التى ينبع منها وينتهى اليها – بواسطة المرأة – ذلك الاستمتاع المادى
ى المطلق بالحياة الكبرى . فالكهولة التى تنشد الاستقرار بعد طول المطاف ، هى التى ينمو
فيها الحب ، وهى التى تذهب فيه الى أبعد حدود الولاء والتضحية
لكن سخرية الحياة تهدد الكهول أيضاً وأسفاه ! . . تهددهم وتوحى الزراية والاستخفاف
العظيم ، وتجعل هذا الحب ضربا من العاطفة الشاذة المستغربة المشوبة بالهوس والجنون
الواقع أن الكهولة – سواء أكانت ممثلة فى رجل أم فى امرأة – كثيراً ما لا تشعر بعاطفة
لا نحو الشباب . . فالكهل الذى يعرف كيف يحب ، تدفعه المقادير فى العادة الى حب امرأة
و فتاة فى مقتبل العمر
ر أن هذه المرأة أو تلك الفتاة – نظراً لشبابها المتقد وطموحها المستمد من حيويتها – لا يمكن
م حق الفهم عاطفة الكهل ، وتحس ما فيها من كنوز الفضائل النادرة ، وتقدر تمام التقدير
مل عليه من رزانة وثبات ووفاء
بل . قد تعطف الفتاة أو المرأة على الكهل العاشق ، ولكن مهما تبين لها من عظمة حبه
ة اخلاصه ، فهى تؤثر عليه الشاب وان كانت تعلم كل العلم أن هذا الشاب سيحظى بها ،
بها ، ويتجنى عليها ، ثم ينصرف عنها الى غير عودة
عليه فالطبيعة تولد فينا الحب الكبير فى السن التى لا نصلح فيها للحب ، فننظر عندئذ الى
، ونتحسر ونذرف الدموع فى الوحدة مرددين المثل السائر :

أواه لو عرف الشباب ! وآه لو قدر المشيب !

ابراهيم المصرى

جزيرة عامرة يبتلعها البحر

ثورة بركان كراكاتو سنة ١٨٨٣

[فى أسطورة جميلة يميل الى تصديقها بعض العلماء ان الجزء من المحيط الأطلنطى الواقع بين افريقيا وأمريكا الجنوبية كان فى عهد مجهول من عهود التاريخ أرضاً يابسة بل قارة عامرة تعرف باسم « الأطلانطيد » ، وان هذه القارة زالت من الوجود إذ ابتلعها البحر فى أثناء ثورة بركان قوى وبفعل زلزال شديد . ومهما يكن نصيب هذه الأسطورة من الصواب أو الخطأ ، فان الفاجعة التى نرويها هنا تؤيد القول بأن البحار تطغى أحيانا على أجزاء من اليابسة فتبتلعها وتزيل معالمها من الوجود]

هنالك فى بحر الصند ، فى جنوب آسيا ، وبين تلك المجموعة من الجزر الهولندية المتناثرة حول جزيرة جاوة ، وعلى مسافة ١٥٠ كيلو متراً من باتافيا ، يشاهد السائح كتلة من الصخر عارية جرداء ، وقفت فى البحر كالقبة الهائلة لا يتبين فيها الرائى مرتقى ولا منحدراً ، وقد تجردت أرضها من كل علامات الحياة فلا زرع فيها ولا ماء ولا حيوان ولا إنسان

تلك هى جزيرة « كراكاتو » التى لا يذكرها التاريخ الا ليذكر أنها كانت فى يوم من الأيام مسرحاً لأشد ثورة ثارتها الطبيعة ، وميداناً لأكبر كارثة بركانية وعتها ذاكرة العصور

لم تكن صخرة « كراكاتو » منذ نيف ونصف قرن على ما هى عليه اليوم ، وانما كانت سفحين لجبلين متقابلين ، نهض أحدهما فى شكل مخروطى على ارتفاع الف متر فوق الطرف الشمالى من الجزيرة ، وقام الثانى على مثل هذا الارتفاع فى الطرف الجنوبى منها ، وقد انبسط بين السفحين ، فى رقعة من الارض تبلغ مساحتها ٢٥ كيلومتراً مربعاً ، سهل فسيح خصب التربة مزهر الأديم يغل ثلاثة محاصيل فى السنة ، ويزخر بعدد من السكان يناهز الأربعين ألفاً يفلحون الأرض ويصيدون الأصداف ويحيون حياتهم الفطرية بمعزل عن ضوضاء الحضارة وما تثيره المدنية من قلق واضطراب

أما أحد الجبلين فبركان كراكاتو الذى سميت الجزيرة باسمه . وهو بركان قديم ثار مرة سنة

١٦٨٠ ثم خمد وطمت فوهته ، فحسبه أهل الجزيرة قد انطفأ ولن يعود الى الثوران فأمنوا شره وعاشوا الى جانبه وادعين مطمئنين

بيد أن البراكين تخمد وقد يطول خمودها ولكنها لا تنطفىء أبداً . وما دام جوف الأرض يجيش بالحمم والنار فلا بد من أن يلفظ ما فيه يوماً ، ويا ويل الانسان اذا لفظت الأرض ما في جوفها فان قيء الأرض لشيء رهيب !

أمن الناس شر هياج الجبل ولبثوا آمنين مئتى عام . وفى أحد أيام شهر مايو سنة ١٨٨٣ ذعر سكان باتافيا اذ سمعوا فرقعة متتالية تأتيهم من بعيد وهم لا يعرفون مصدرها ولا ماهيتها ، فلبثوا فى حيرتهم يومين يتساءلون ولا من مجيب . فلما رست على ساحلهم احدى السفن الآتية من سوماطرا علموا من ركبها أن بركان كراكاتو عاد الى الثوران ، وأن ثورانه هذه المرة خفيف متقطع لا ينبىء بشر مستطير . أى نعم لقد استيقظ البركان الخامد من سباته وانكشفت فوهته وأخذ يقذف منها سحباً من بخار قاتم كان يسود الجو ويحجب ضوء النهار . ولقد كان ثورانه نذيراً لسكان الجزيرة بأن الطبيعة تهيىء لهم كارثة تصبها عليهم ، ولكنهم لم يفهموا هذا النذير . واذا كان اهتزاز البركان قد أزعجهم أول الأمر ، فقد ألفوه فيما بعد حتى اذا انقضت أيام وأسابيع لم يعودوا يرون فيه الا شيئاً عجيباً لا يخشى له شر ولا يتوقع منه خطر

لبث البركان طوال شهرى يونيو ويوليو يوالي تصعيد بخاره ويضفي على الأرض طبقات رقيقة من الغبار ، والاهالى فى شغل عنه بزرعهم وصيدهم يسألون الله أن يكشف عنهم هذه الغمة ، ولكن لا يأخذون حذرهم منها ولا يتخذون أهبتهم للرحيل عن الجزيرة فيما لو نزل البلاء

وفى الحادى عشر من شهر أغسطس تحدث القبطان ترزينار ـ أحد قباطنة السفن الهولندية وهو آخر أوروبى جاب أنحاء الجزيرة ـ فأفضى الى السلطات فى باتافيا بأنه شاهدفي أثناء تجواله حول الجزيرة ، أن ثلاث فتحات قد استجدت حول الفوهة الكبرى للبركان ، وان ظهور هذه الفتحات خلال اضطراب البركان دليل لا يبشر بخير ، ونصح لأولى الأمر أن يجلوا السكان عن الجزيرة المهددة الى مكان أمين حتي يهدأ البركان أو ينتهى ذلك الاضطراب

وكأنما أدركت الطبيعة أن الانسان سيتخذ الحيطة لغدرها لينجو من شرها فأرادت أن تخدعه ، فى الخامس عشر من هـذا الشهر هدأ البركان فجأة وسكتت أحشاء الأرض عن الغليان وكف الجبل عن تصعيد البخار والغبار . فاطمأن روع السلطات وعادت السكينة الى النفوس وظن الناس أن الله قد استجاب دعاءهم وفرج كربهم وأبدلهم من خوفهم أمنا وسلاما . ولكنها كانت هدأة التحفز أو السكون الذى يسبق الوثوب والانقضاض ، فلم يأت يوم ٢٦ أغسطس حتى اضطرب الجبل اضطرابا شديداً ولم يحل اليوم التالى حتى حلت بالجزيرة وساكنيها أفدح كارثة سجلها تاريخ البراكين على طول الدهور

ليس لدينا عن هذه الكارثة تقارير رسمية نستند عليها ولا شهادات أدلى بها شهود عيان نرجع اليها فى وصف الفاجعة وسرد وقائعها وتفاصيلها ، فلا مندوحة لنا والحالة هذه من أن نأخذ بأقوال أقرب الشهود الى مكان الحادث وهو المهندس الهولندى فيربيك الذى كان يقيم يومئذ فى قرية بويتنزورج على ساحل باتافيا الجنوبى ، قال :

« كان ذلك فى السادس والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٨٨٣ . فلما بلغت الساعة الواحدة بعد الظهر بدأنا نسمع فى بويتنزورج دوياً متواصلا وفرقعات متوالية كأنها قصف الرعد يصلنا من بعيد ، فأيقنا أن بركان كراكاتو الذى يبعد عنا بمائة كيلو متر قد عاد الى الثورة والاضطراب ، وليثنا نرقب الأفق من ناحية الجزيرة البعيدة لنرى ما سوف يكون . مضت ساعة أو بعض الساعة على تلك الحال وإذا بنا نفاجأ بانفجارات قوية تتصعد الى الأجواء العليا فتحدث فيها غيما مربدا تتخلله ومضات كومضات البرق فى وسط السحاب القاتم السواد ، ثم اذا بهذه الانفجارات تتزايد ودويها يتعاظم ونيرانها تلمع فى الجو لمعانا يضىء الآفاق

« وكانت الريح تحمل الى آذاننا قرعا متواصلا كقرع الطبول يشتد حينا ويخفت حينا ، ويتخلله من لحظة لأخرى دوى انفجارات هائلة كنا نسمعها ويسمعها معنا جميع سكان جاوه على بعد ما بيننا وبين الجبل الهائج من مسافات . فلما أقبل الغسق وأضفى الليل رداءه الأسود على الوجود ، نظرنا فرأينا فى سماء الجزيرة البعيدة شيئا كالجحيم أو هو الجحيم بعينه ، حتى لقد ظننا أن الفضاء يحترق أو أن السماء استحالت أتونا من نار : قرع مستمر وفرقعة تتلوها فرقعة وانفجار ، وقذائف حمراء وأخرى سوداء وغيرها بيضاء تنبعث من الأرض كالسهام متتالية متلاحقة تشق سواد الليل وتعقد فى الجو طبقات كثيفة من شىء لا يوصف إذ هو خليط من الألوان القاتمة والألوان الزاهية تمتزج بعضها ثم تنتشر وتسبح كالبسط فى الفضاء أو تتناثر شهباً تهوى الى الغبراء

« استمرت الحال على هذا المنوال طول الليل فلم تنم ولم يغمض لأحد من سكان جاوة جفن . ومحال على من لم يشهد أهوال تلك الليلة بعينيه أن يتصورها ولا أن يكون لنفسه فكرة عنها ، ومحال على الذين شاهدوها أن يصوروها لغيرهم ولا أن يقولوا لهذا الغير كيف رأوا الأرض والسماء تمتزجان فى سعير واسع الأرجاء مترامى الأطراف . لقد شهدت المواقع الحربية ورأيت المدافع والبنادق تمطر الأرض وابلا من القنابل والرصاص فتخطف بنيرانها الأبصار وتصم بدويها الأسماع ، ولكنى آمنت الآن بأن الحرب إلى جانب ما شهدته الليلة لعبة لاعب لا تزعج ولا تخيف

« نحن هنا على بعد مائة كيلو متر من مكان الهول ، وها نحن أولاء أسناننا تصطك وفرائصنا ترتعد ، وقد عقد الفزع ألسنتنا وكاد الرعب يطير عقولنا من جماجمنا ، فما حال أولئك التعساء الذين يصلونها هنالك وقد جردت عليهم الطبيعة أقوى ما تملك من وسائل الابادة والافناء ؟

« ولكن ما بقى كان أدهى وأعظم ، إذ لم تبلغ الساعة السابعة من الصباح حتى حدث انفجار لا أعرف

لنا كما لو كانت هناك ، ولكنه زلزل جميع السا كن هنا ـ على بعد مائة كيلومتر ـ حتى لقد تكفأت المصابيح من فوق المناضد ، وسقطت الصور المعلقة على الجدران ، وتزحزحت الأثاثات فى البيوت عن مواضعها ، وعم السكان ذعر شديد جعلهم يهرعون من منازلهم الى الطرقات العامة والميادين الفسيحة . وأعقب ذلك بعض انفجارات أخرى أخف دوياً وأضعف أثراً ثم هدأت الحالة وانتشر السكون

« ولكن السماء فوقنا بدأت تغبر وتسود ، وأخذت سحب البخار تتدافع من الجزيرة المنكوبة الى ناحيتنا كثيفة قاتمة، فلما صارت الساعة السادسة عمنا ظلام اضطررنا حياله الى اضاءة المصابيح فى الشوارع وفى فوانيس المركبات . ثم بدأت السماء ترسل علينا مطراً من الرماد والسناج « الهباب » جعل التنفس عسيراً حتى لقد كدنا نختنق ونموت »

تلك رواية المهندس فيربريك. وما من شك فى أنه لم يصور لنا الا ما رأى. وهو ـ كما أسلفنا ـ على بعد مائة كيلو متر من مكان الكارثة . فاذا كان ذلك هو أثر ثورة البركان على جهة بعيدة عنه كل هـذا البعد ، فياليت شعرى ماذا كان أثرها على الجزيرة نفسها ؟ ذلك ما لم يعرفه أحد الا بعد انقضاء عدة أسابيع عندما استطاع بعض المغامرين دخول جزيرة كراكاتو والتجول فى بقاياها

ونقول « بقاياها » لأن الجزيرة نفسها كانت قد زالت من رقعة الأرض ولم يبق منهـا الا الصخرة العارية الجرداء التى يشاهدها اليوم رواد تلك الأصقاع . فهل ابتلعها البحر أم انفجر تحتها بركان بحرى فنسفها وبدد أجزاءها وصيرها هباء ؟ ذلك ما اجتهد العلماء زمناً فى معرفته ثم أعياهم البحث فهجروه غير موقنين

نعم زالت الجزيرة من موضعها وصارت أمواج البحر تلتطم فى هذا المكان الذى كان منذ أيام بقعة من أجمل بقاع الدنيا عامرة بالسكان حافلة بالخيرات . ولقد سبر العلماء غور المحيط فى النقطة التى كانت الجزيرة قائمة عليها فاذا بهذا الغور يبلغ ثلثمائة متر ويزيد . ولتلك والله عجيبة من عجائب الطبيعة لم يعرفها بنو الانسان من قبل ، وظاهرة غريبة تؤيد أسطورة الاطلانطيد

على أن آثار النكبة لم تقتصر على جزيرة كراكاتو وحدها ، بل تناولت الجزر القريبة منهـا والبعيدة عنها.فلقد هاج البحر فى أثناء ثورة البركان هياجاً عظيما جعله يقذف بقوة على الجهة الشرقية من جزيرة جاوة موجة عالية ارتفعت ثلاثين متراً فغطت جزءاً كبيراً من الساحل ، وارتدت الى البحر حاملة اليه كل ما صادفها من انسان وحيوان،واكتسحت كثيراً من القرى والدساكر فهدمت المساكن وخربت البيوت وأودت بحياة آلاف من الناس

ولكى يتصور القارىء هول ثورة البحر والبركان فى ذلك اليوم العصيب ـ نقول إن هياج المحيط الهندى فى تلك المنطقة قد امتد الى المحيطات الأخرى حتى لقد أحس به قباطين السفن المسافرة فى المحيطين الهادىء والاطلنطى ، وإن شدة الانفجار قد أحدثت اضطرابا فى الجو نشأت منه

تيارات هوائية عنيفة دارت حول الكرة الأرضية ثلاث دورات سجلتها المراصد فى جميع أنحاء الدنيا ، وان دوى ذلك الانفجار قد انتشر فى دائرة قطرها ٦٦٠٠ كيلو متر أى فى مساحة تبلغ سبع المعمورة ، وان البركان قذف من جوفه مواد ملتهبة تكدس رمادها على أبعاد شاسعة من الجزيرة ، وبلغ ارتفاع ذلك الرماد فى بعض الجهات ثلاثين وأربعين متراً فوق سطح الأرض ، وان كثيراً من القرى دفنت تحت الرماد والغبار فلم يكن يظهر منها الا أعالى أشجار مغبرة تحدث الناظر بأن تحت هذه التلال كانت قرى ومساكن آهلة بالسكان ، وان دائرة حول البركان يبلغ قطرها خمسة عشر كيلو متراً قد غطيت كلها بقطع من الأحجار كل منها فى حجم رأس الانسان، وان مساحة المنطقة التي غطتها قذائف البركان تقرب من مساحة المانيا أو تزيد ، وان أعمدة البخار التى كانت تتصعد من البركان كانت ترتفع الى ثلاثين الف متر في الجو ثم تنتشر فى الآفاق الى أبعاد لا يصدقها العقل ، وأن الطبقات الكثيفة التى تكونت من ذلك البخار قد تمددت وانبسطت وسبحت فى الأجواء حتى لقد شوهدت آثارها طوال ستة أشهر فى جميع أنحاء الدنيا . وقرر العلماء أن شتى الظواهر الضوئية العجيبة التى لوحظت خلال تلك الاشهر فى سائر القارات كتلون الاضواء الشمسية وانتشار سحب البخار وتغير رائحة الهواء وغرابة مناظر قرص الشمس وقت الغروب ، انما كانت كلها من آثار ثورة ذلك البركان

نتبين مما تقدم أن تلك الكارثة البركانية كانت أشد كارثة من نوعها حلت ببنى الانسان . وأن التاريخ فى عصوره القديمة والحديثة لا يذكر ثورة بركان بلغت من الهول وسببت من الخسائر وانتقصت من الارض ، مابلغته وسببته وانتقصته ثورة بركان كراكاتو. ومما لا شك فيه انه من حسن حظ الانسانية والعالم أن تلك النكبة قد حلت بجزيرة نائية فى وسط المحيط فلم يزد عدد ضحاياها من البشر على ثلاثين الف نسمة، إذ لو حلت بمنطقة من مناطق الدنيا المعمورة لأودت بحياة ملايين وملايين من الناس ولارتفعت قيمة الخسائر المترتبة عليها الى رقم كبير لا تتصوره العقول

اختلاط الجنسين في التعليم

يقوي الخلق ويصلح المجتمع

بقلم الاستاذ نظمي خليل

« .. لقد انقضى ذلك العصر الذى كان الرجل ينظر فيه الى المرأة نظرته الى لغز معقد وسر عميق ، يقف أمامه ذاهلا حائراً ، وجاء العصر الذى ينظر فيه الفتى الى الفتاة كأنها صـديق . . »

لو أن مصر جمعت بين الأولاد والبنات فى مدارس واحدة ، لسهل عليها أن تعمم التعليم الأولى [illegible]ضى على الأمية والجهالة ، دون أن تتكبد نفقات أكثر مما تبذل الآن . ولكنها سارت على [illegible] الفصل بين الجنسين ، فأنشأت لكل منهما مدارس خاصة ، فلم تستطع أن تخفض نسبة الأمية [illegible]ضاً يتناسب مع ما أنفق فى مكافحتها من الأموال والجهود خلال السنوات العشر الماضية

وإن بلادنا لأولى من غيرها باتباع نظام الاختلاط بين الجنسين ، لان الطبقة الغالبة عندنا ، طبقة الفلاحين ، ترسل أبناءها وبناتها معا الى الحقول حيث يعملون جنبا الى جنب ، فلا داعى [illegible]ل بين الفريقين فى المدرسة ، ما داموا يجتمعون معا فى أرحب نواحى الحياة

وإذا جاوزنا الطبقة الدنيا الى الطبقتين المتوسطة والعليا ، وجدنا أبناءهما وبناتهما اذا بلغوا مرحلة [illegible]م العالى اختلطوا فيها معا ، فوجب اذاً أن يتعرف كل منهما الى الآخر فى دور الصبا حتى [illegible]جأ بهذا الاختلاط ولما يتأهب له بما يلزم من مقاومة وحصانة

***

[illegible]ذه هى الاسباب التى تخص الحياة المصرية ونظامها ، وإلى جانبها عوامل أخرى عامة يذكرها [illegible] التربية تحبيذاً لنظام الاختلاط بين الجنسين

[illegible]ن هذه العوامل ما يتصل بالناحية المدرسية . فليس أدل على نجاح نظام الاختلاط من تلك [illegible]ة القوية التى تبدو من جانبي الفتى والفتاة ، فكلاهما يعمل على إعلاء شأن جنسه ويحاول أن [illegible]كفاءته . يقول العالم دافيد جوردان : « اننا نحصل على أحسن النتائج عندما يجتمع الجنسان فى [illegible]واحد ، فنرى الشاب أكثر إقبالا على العمل وأحسن خلقا ، ونرى الفتيات يؤدين أعمالهن فى [illegible]يعى وبدوافع أرقى وأفضل »

[illegible]ـذا ما يشعر به الطلبة فى الجامعة المصرية ، ولا سيما فى الكليات التى تكثر فيها الفتيات .

فقد شعرت وأنا فى كلية الآداب أن هناك شيئاً جديداً يدفعنى الى العمل غير هذا الذى كان يدفعنى فى المدرسة الثانوية ، وهو بلا شك وجود الفتاة التى أراها تنافسنى فأحاول أن أتفوق عليها

أما من الناحية الخلقية فاننا اذا فصلنا بين الولد والبنت ، جعلناهما مرغمين على أن يتساءلا عن سبب هذا الفصل ، وأن يفسراه تفسيراً يفسد الغاية التى زعمنا أننا نعمل لها

يقول الاستاذ كورى : « ان الاولاد لم يولدوا كلهم فى بلد والبنات فى بلد آخر ، وإنما تعمل الطبيعة على أن تجمعهما معاً فى أثناء الطفولة يلعبان ويتسامران فى غير كلفة أو تصنع ، فليس من الحكمة أن نفرق بينهما لأن هذه التفرقة تهيء عقل الولد أو البنت اذا ما تقدمت بهما السن الى التساؤل عن سبب هذه التفرقة وبذلك تتفتح عيونهما الى أشياء ما كانا ليعرفاها لو بقيا معاً »

وفوق هذا فان الاختلاط فى التعليم يساعد على اعلاء الغريزة الجنسية والتسامى بها . وهذه الغريزة هى التى توجه حياة الفرد وتتحكم فيها لانها أصل الغرائز كلها ومصدر أعمال الانسان جميعها .. أنظر إلى شبابنا الذين حرموا نعمة التعليم المختلط تجدهم يسلكون فى هذه الناحية طريقاً ملتوياً ، تارة يضعف الجسم والتفكير معاً ، وتارة يحدث تلك الاضطرابات والأمراض التى تنتاب كثيرين منهم وتكاد تفترسهم

أضف الى هذا أن وجود الولد مع البنت يعوده على ألا يأتى من الأعمال ما يجعله عرضة لنقد صاحبته أو يحط من شأنه أمامها ، فهو يحاول أن يظهر أمامها رجلا كاملا Gentleman . وهنا نجد من يعترض فيقول إن وجود الجنسين معا يجعل كل فريق يفقد بعض صفاته متأثراً بصفات الفريق الآخر . فالبنات ينسين بعض طبائعهن كالحياء والرقة ، كذلك الشبان يحاولون كثيراً أن يظهروا شيئاً من الظرف والأناقة فينزلوا عن بعض رجولتهم

والحقيقة أنه ليس فى الأمر فقدان أو ضياع ، بل فيه نوع من التقارب فى الطباع ، أى جرأة فى الفتيات وبعض الرقة فى الشبان . فالولد يكسب من البنت رقة فى الاحساس وسلامة فى الذوق اذا ما أتيح له عادتها فى حجرة الدراسة ، أو مشاركتها فى اللعب فى فترات الراحة ، كذلك البنت تكسب بعض الشجاعة الأدبية لكثرة اختلاطها به ، والتحدث معه . واذا قارنا بين حالة الفتاة التى تدخل الجامعة وهى تهاب ذلك الوسط الجديد الذى وجدت فيه ، فلا تجد من نفسها الشجاعة على التحدث الى زميلها أو الوقوف معه ، وبين الحالة التى تصل اليها فى منتصف العام أو فى نهايته ، لهالنا هذا الفارق العظيم بين ذلك الحياء وهذا الاقدام

أما المجتمع فلا يمكن أن ينهض إلا على أساس الأسرة . والأسرة لن تقوم إلا على فتى وفتاة قد فهم كل منهما الآخر فهما دقيقاً ووقف على طبائعه وميوله . لقد انقضى ذلك العصر الذى كان الرجل ينظر فيه الى المرأة نظرته الى لغز معقد وسر عميق يقف أمامه ذاهلا حائرا ، وجاء العصر الذى ينظر فيه الفتى الى الفتاة كأنها صديق . فاذا وفق الى الفتاة التى ترضى شعوره وتكمل نقصه

غلاّب الموت

كيف قهر بانتنغ البول السكري بالانسولين

—١—

اي شأن لبانتنغ ، بل اي صلة له بالبول السكري ؟ انها لجرأة على العلم من هذا الجرّاح ! ن العلماء قد جمعوا قدراً كبيراً من الحقائق المتصلة بهذا المرض . ولكن بانتنغ كان براءً من هذه باحث جميعاً، لانهُ لم ينوِ في حياتهِ ان يكون طبيباً متوفراً على معالجة المصابين بهِ . انتظم في لجيش الكندي في خلال الحرب الكبرى ، وذهب الى فرنسا ، فلم تبدُ عليهِ آيات الذكاء الخارق لا في لمعاهد العلمية ولا في الجيش . ولكنه كان عنيداً ، لايقرُّ بهزيمة . قيل انهُ جرح في ذراعهِ في خلال لحرب ، فأشار عليهِ الاطباء بقطعها والاّ تعرض للموت فصاح بهم ، « اني اريد ان احتفظ ذراعي » . وها هوذا قد عاد من ميادين الحرب ، وذراعهُ لم تقطع

اشتغل فترةً في مستشفى الاطفال في تورنتو ، ثم استقال وذهب الى بلدة صغيرة في اونتاريو ليمارس الجراحة فيها . فانتظر ثمانية وعشرين يوماً قبل ما جاءه المريض الاول . وكذلك ختم الشهر الاول من ممارسته الجراحية المستقلة ، بمريض واحد ودخلٍ قدره ثمانون قرشاً . وفي نهاية الشهر تمكن من الفوز بعمل معيد في مدرسة طبية هناك ، وقد فعل ذلك لا لطموح علمي فيه بل لاجل العيش . فكان يقضي الليالي الطوال مكبًّا على كتب العلم بين يديه ، يعدّ الدروس لليوم التالي . ومضى على ذلك الى ان كانت ليلة ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٢٠

كان في تلك الليلة يطالع في وظيفة الغدة الحلوة (البنكرياس) فتغلغلت في نفسهِ حقيقة قديمة ولكنها خطيرة : اذا ازيلت منا جميعاً الغدد الحلوة متنا بالبول السكري . كان في عهد الطب قد تعلم ان هذه الغدة تفرز في قناتها الى المعى الدقيق مفرزات خفية الفعل ، تساعد على هضم المواد السكرية والدهنية والنشوية في الطعام . جلس في تلك الليلة التاريخية يقرأ كيف استأصل منكوفسكي Minkowski الالماني الغدة الحلوة من كلب سليم ، ثم خاط جانبي الجرح في البطن حيث استخرجت الغدة ، وأحاطهُ بكل ضروب العناية ، وجعل يراقبه يهزل امام عينيه رويداً رويداً ، ويشتدُّ ظمأه وجوعه ، ويضعف نشاطه ، ويزداد السكر في بوله ، وفي اقل من عشرة ايام نفق ذلك الكلب بداء البول السكري . ثم اقبل على مباحث العلماء الآخرين فقرأ كيف اكتشف ذلك الالماني الآخر — لانغرهانز Langerhans — اجساماً صغيرة في تلك الغدة ، كانت اشبه شيء بالجزائر في البحر منعزلة عن الخلايا التي تولّد المفرزات الهاضمة وعلم ليلتها ان هذه الجزائر لا قناة لها ! فسأل نفسه وما [illegible]

لمكنه أن يكون منها أسرة هانئة موقتة . وقلما يتاح هذا الشاب إلا في م[illegible]

« المجتمع » فيستطيع في هذه الحالة أن يختار من يحب وبهذه الطريقة [illegible]

مشاكلنا الاجتماعية اليوم وهى مشكلة الزواج . لقد قامت إحدى المجلات في أم[illegible]

الزواج في نيويورك ، فوجدت ان نسبة المتزوجات من خريجات مدارس البنات [illegible]

المتزوجات من خريجات المدارس المختلطة ٣٦ ٪

وقد كتبت ادارة جامعة « تكساس » بالولايات المتحدة تقريراً قالت فيه انها تفاخر بخريجيها وخريجاتها ، فان بين مئات المتزوجين والمتزوجات منهم لم تحدث سوى قضية طلاق واحدة . وقد عزت الجامعة هذه النتيجة الحسنة الى نظام التعليم المختلط الذى بدأ فى جامعتهم منذ ان أنشئت عام ١٨٨٦

* * *

قلت إن الاختلاط جائز فى المدارس الابتدائية والجامعة ، ولم أذكر مرحلة التعليم الثانوى لأن هذه المرحلة هى منطقة الخطر فى حياة الشاب والفتاة على السواء . ففيها يظهر الاختلاف واضحا بين الاثنين فى النمو الجسمى والعقلى . فان البنت تصل الى دور البلوغ فى الثانية عشرة بينما الولد يبلغ هذا الدور فى الخامسة عشرة فى المتوسط . فاذا وجد الاثنان فى مدرسة واحدة في الثانية عشرة وقعت البنت تحت نوبات البلوغ العصبية التي تعوقها عن السير مع الولد فى طريق التعليم . زيادة على ذلك فان هذين الحدثين اللذين عاشا معا فى مرحلتى الروضة والتعليم الابتدائى حياة كلها طفولة وطهر ، سرعان ما يحسان بذلك النداء الداخلى الذى لا يعرفانه ، ولكنهما يجدان نفسيهما مضطرين الى الافصاح عنه تارة بالكلام وتارة بالحركات ، وسرعان ما ينظر كل واحد للآخر نظرة الحيرة والدهشة ، فيجد الشاب أو الفتاة نفسه فى حالة قلق واضطراب . فى هذه المرحلة يجدر بنا أن نفصل بين الجنسين حتى تهدأ فورة الشباب ، ثم نعود فنجمع بينهما فى الجامعة بعد ان يكونا قد تخطيا « منطقة الخطر »

هذه هى الاسباب التى يسوقها رجال التربية تحبيذاً لنظام الاختلاط . وهى أسباب لها أثرها البارز فى تقوية الخلق وبناء المجتمع . فلم لا نأخذ بهذا النظام ، ولا سيما بعد أن فتحت الجامعة أبوابها للفتى والفتاة يتلقيان العلم فيها جنبا الى جنب ، فصار من الضرورى أن يتعرف كل منهما الى الآخر فى دور الطفولة حيث يسود الطهر والسذاجة ، لكى يتجنبا ما قد ينتج من تقابلهما فجأة فيما بعد فى مرحلة التعليم

نظمى خليل

نهلة على صدى

[illegible]بت رحيق الحب من فيه يا قلب
تجدد به دنياك ، طاب لك الشرب !

وروّ أزاهير الهوى من عصيره
فيا طالما أمست ومربعها جدب .

تفتح من صفو الذى بت تستقى
ويورق فيها الحسن ، والأمل العذب

وتشرق أحلام الصبا وبروقه
عليها : فتزهيها النضارة والعجب

كذلك دنيا الحسن ، ما أعذب الجنى
يطيب لجانيه ، ويسعده القرب ! !

لذيذ المنى من فيك صح لشارب
وما دونه عيش لذاذته كذب ! !

* * *

ويبسم مأخوذاً بحدبى ولهفتى
تبسم غر القلب : ينهله الحدب ! !

كأنى وفى كفىّ بره حشاشتى
من الوجد ، أغنى عن مناى ولا أصبو

حنانيك : هذا الحسن من أين جئته
طي العين منه بارق فيك لا يخبو

هوى النفس موسوم به وخيالها
وشق معانيها ، ومرتعها الخصب

تجمع فى ثغرى وسال خلاصة
لقلبى : فلم يكتم صبابته القلب

لنا فيه نعمى نجتليها ونشوة
تطيب بها دنيا الهوى ، ولك الحب

— محمد طاهر الجبلاوى

الملكة فكتوريا والأمير اسكندر

بقلم الاستاذ حسن الشريف

هذه مأساة من مآسى غرام الملوك ، تحدثنا مرة أخرى أن السعادة ليست فوق العروش ولا وليدة الغنى والجاه العريض ، وأن تلك التيجان التى تنحنى أمامها الرءوس كثيراً ما تغطى جماجم تكاد تنفجر من فرط الهموم ، وأن تلك الكسى الموشية بالذهب والنياشين كثيراً ما تستر قلوبا ممزقة وصدوراً مترعة بالآلام والاحزان

هذه مأساة من مآسى غرام الملوك لم تحدث فى العالم ضجة كالتى أحدثها غرام الملك كارول ... بيسكو ، أو غرام الملك ادوارد الثامن بمسز سمبسن . فهى لم تسبب طلاقا ولا أزمة ... ولم تسفر عن سقوط عرش أو ضياع تاج ، لا بل ولم تثر اهتمام المؤرخين ولا طلعة ... ، ولم تكن فى يوم من الأيام حديث العلية ولا سمر السهرات . ولولا مذكرات خاصة ... ثيا وجاءت مكملة لمذكرات الملكة فيكتوريا ملكة انجلترا لظلت تلك المأساة سراً مجهولا ... الزمن فيما يطويه من الأسرار

... الملكة فيكتوريا تدون ذكرياتها اليومية فى مذكرة تثبت فيها أهم الحوادث التى تقع لها ... سواء أكانت هذه الحوادث عامة تتعلق بشؤون الدولة ، أم شخصية تتعلق بحياتها ... نشرت تلك المذكرات بعد وفاتها بسنين [1] فقرأ الناس فيما قرأوه فيها نتفاً مبعثرة ... الى زيارة القويصر [2] اسكندر ولى عهد الروسيا للوندرة سنة ١٨٣٩ ، وتلمح ... كانت قد نبتت فى قلب الملكة نحو هذا الأمير الشاب . ولكن تلك النتف ... لا تشبع طلبة الباحث ولا تروى ظمأ المؤرخ إذ لابد لها من تكملة توضح ... المستور وراءها ليتم معناها فيستطيع المؤرخ ان يستنتج منها النتيجة التى ... فى صفحات التاريخ

... Journal

... لفظة Tsarévitch ومعناها بالروسية « القيصر الصغير » أو « ابن القيصر » ... العهد فى روسيا القيصرية . والقويصر اسكندر الذى نتحدث عنه هنا هو ... الامبراطور اسكندر الثانى

ولقد أتاحت الفرصة السانحة لهذه المشكلة من يبثها من مرقدها وينفض عنها غبار السنين، إذ عثرت النبيلة الروسية السيدة هيلين يورفتش بين الأوراق التي خلفها أبوها الجنرال سرج يوريفتش على مذكرات كان يدون فيها ذكرياته عن العهد الذي كان يشغل فيه وظيفة الرائد للقيصر اسكندر ويرافقه في السياحات التي يقوم بها للتعرف بملوك أوربا تنفيذاً لرغبة أبيه الامبراطور. ولقد نشرت السيدة هيلين يوريفتش هذه المذكرات (١) حديثاً فاذا هي تتضمن تفاصيل شائقة عن زيارة القيصر لبلاط انجلترا سنة ١٨٣٩ وعن عاطفة الميل التي نبتت إذ ذاك في قلب الملكة فيكتوريا نحو ضيفها العظيم

ولشد ما يغتبط المؤرخ عند ما يوفق بين المذكرتين ويطبق تواريخ الواحدة على تواريخ الأخرى ويكمل النقص الشائع في الأولى بالتفاصيل المستفيضة في الثانية، فيجد نفسه أمام مأساة غرامية رائعة تذيب القلب رحمة وتستدر الدمع عطفا وحنانا

***

كان ذلك في سنة ١٨٣٩، يوم لم تكن الاخلاق، حتى أخلاق الملوك، قد تطورت الى ما تطورت اليه في العصر الحديث، وحين كان العروش قدسها والتقاليد حكمها، وحين كان الملوك ملوكا، لا يخطر لأحدهم ببال أن يوازن بين تاجه وقلبه، أو أن يضحى برسالته على مذبح هواه وحبه

ففي ربيع تلك السنة هبط القيصر اسكندر ولي عهد الروسيا بلاط انجلترا ضيفاً على الملكة فيكتوريا في رهط من حاشيته تتمثل في أشخاصهم عظمة روسيا القيصرية وتتجلى في مظاهرهم فخامة بلاط آل رومانوف

وكانت الملكة فيكتوريا إذ ذاك فتاة في العشرين من عمرها، أقرب الى القصر منها الى الطول، سوداء الشعر ناعمته، ناصعة بياض البشرة، مشرقة الجبين، دقيقة الانف والفم، رقيقة الشفتين، حنبة

الملكة فكتوريا في العشرين من عمرها

(١) Mémoires et Souvenirs par le Général S. Yourievitch
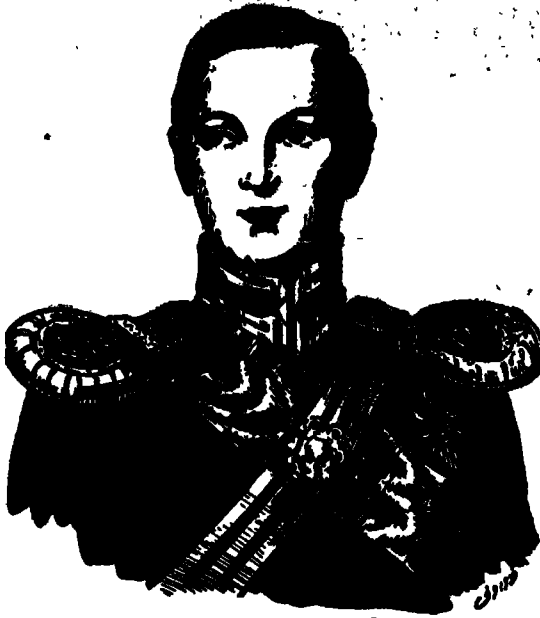
القيصر اسكندر الثانى فى اثناء ولايته للعهد

...ت بها لسحر النفوس وخطف
... واسعتين مشرعتين طويلتى
... تحت حاجبين كأنهما القوسان
... ريشة الرسام ، وقد برز عنقها
... فوق كتفين ممتلئتين وصدر مكتمل
... ينم على أنوثة مبكرة ، وتدلى
... الدملجتان الملفوفتان الى جانبى
... ضامر نحيل يكاد لا ينهض بعبئيه
... بينهما تلتقى الأملود . واذا كانت
... قد أضفت على الملكة الشابة كثيراً
... حسن المرأة وجمالها ، فهى لم تضن
... شىء من تلك القوى الجذابة التى
... من خفة روح الحسناء ومن حديثها
...ها ومشيتها ودلالها ، والتى اذا أضيفت الى الجمال ابرزته وعززته وجعلت منه فتنة للأعين
... للقلوب

... القيصر اسكندر فكان فتى فى الحادية والعشرين من عمره أمرد سمهرى العود أشقر الشعر
... العينين تصالحت على طلعته الوضيئة ميعة الشباب ورزانة الرجولة ، وكان لطيف المعشر رقيق
... سهل الحديث ، يتنقل فى سمره من حوار إلى حوار ، ومن دعابة الى دعابة فى خفة ورشاقة
... الاستماع اليه متعة للعقل والأذن ، وكان يجيد الرقص والرماحة والرماية والصيد ، ويحسن
... بالفرنسية والانجليزية والالمانية كأنه من أهلها . ولقد استمال اليه قلوب الناس ببساطته إذ
... وهو يدرك كل الادراك عظمة اسمه وسمو مركزه وخطر الآمال المعقودة عليه ـ يتناسى هذه
...ات فى غير ما اهمال ولا تبذل ، فيبدو سمحاً أليفاً لا يتكلف تواضع الرفيع ولا يتصنع تنازل
... واستمال قلوب النساء بشبابه ومرحه ، وبالبشر الذى كان يفيض من محياه ، وعلى الأخص
...وع من الحياء المتهيب اللطيف الذى يلازم كل شاب لم يألف عشرة النساء

...د التقى هذا الفتى الغض الاهاب بتلك الفتاة التى توجتها الاقدار بتاج الملك بعد أن توجتها
... بتاج الجمال ، توافق ذوقاهما وائتلفت روحاهما ونبض قلباهما باحساس واحد لم يتبينا كنهه
...ر ، ولكنهما شعرا أن كلا منهما منجذب الى الآخر بعامل غريب قوى لا يقاوم . وانا
...س هذه العاطفة الناشئة فى تقدير الملكة لضيفها الشاب اذ تدون فى مذكراتها أثر المقابلة
...ول :

« السبت ٤ مايو سنة ١٨٣٩ ـ عند منتصف الساعة الثانية بعد ظهر اليوم ذهبت الى مكتبي لاستقبل به الامير ولى عهد الروسيا الذى قدمه الى لورد بالمرستن ، وكان فى صحبته الكونت أورلوف والكونت بوزو دى بورجو

« اجلست الامير الى جانبي وقد بدا لى طويل القامة ممشوق القد مليح قسمات الوجه وسيم الطلعة وان لم يكن كامل الجمال . عيناه زرقاوان واسعتان وأنفه دقيق وله فم حلو تنبعث منه ابتسامات ذات وميض ساحر جذاب

« انتقلت به الى البهو الكبير حيث قدم الىّ كبراء رجال حاشيته ، ثم تأبط ذراعي واقتادني الى مكانى ، فجلست بينه وبين البرنس هنرى ، وجلس لورد ملبورن بين ليدى نورماندى ومس أنسن

« أنى أجد الأمير لطيفاً حييا . وما اشك فى أن عشرته ستحلو لى طوال اقامته عندى ، وأغلب الظن أن الطيبة والبساطة والمرح سجايا فطرية فيه . وهو يكبرنى بسنة واحدة

« انى استلطف الأمير كثيراً وأحس أن ميلى اليه شديد ، فهو دمث الطبع وديع الخلق . والحقيقة أنه رفيق جذاب »

وتريد المصادفة أو تريد الترتيبات السرية أن تخرج الملكة للنزهة على جوادها بعد هذه المقابلة بيومين فيلتقى بها القويصر فى الطريق فيسير إلى جانبها ثم يتسابقان بالجياد ويقطعان شوطا طويلا ثم يعود كل منهما الى مقره جذلان فرحان . فنقرأ فى مذكرات الجنرال يوريفتش :

« الثلاثاء ٧ مايو ـ حدثني القويصر اليوم عن نزهة خلوية تنزهها مع الملكة فيكتوريا ، وهو يبدو فى حديثه شديد الميل اليها ظاهر الكلف بها . وكأنى به يتحين المناسبات التى يجتمع بها فيها

« انتهزت فرصة سفر البريد اليوم وكتبت تقريرى الى جلالة القيصر ، وذكرت فيه أن صحة ولى العهد على أحسن حال ، وأفضيت اليه بأن الناس هنا يتحدثون عن قرب استقالة لورد ملبورن رئيس الوزارة »

ويمضى على ذلك يومان آخران فيشعر الجنرال بشىء من القلق مصدره تزايد انجذاب سيده وتلميذه الى الملكة، ولكن تفكيره السياسى يطغى على كل تفكير في ناحية أخرى، فلا يرى فى العاطفة المطردة النمو بقلب الشابين الا الفوائد السياسية التى يمكن اجتناؤها منها ، فيكتب :

« ٩ مايو ـ نحن مدعوون مساء الغد الى سهرة راقصة فى القصر ، وولى العهد لا ينفك يحدثنى عن الملكة وجمالها، ولا يمل هذا الحديث مهما طال ، ويخيل لى أن حسنها وكياستها قد أثرا فى نفسه أعمق الأثر. ولكن أى عجب فى ذلك وهى شابة مليحة تسر طلعتها الناظرين ؟ يجب استغلال هذا التودد المتبادل بين الشابين فى توطيد دعائم العلائق الحسنة بين روسيا وانجلترا ، وما أحسب أن فرصة خيراً من هذه تسنح لنا فى المستقبل . ومن يدرى ؟ فلعل كياسة هذا الفتى اليافع تظفر بما لم تظفر به حكمة أبيه وتدابير السياسيين ! »

ور القارىء معي حفلة ساهرة راقصة تتزحزح فيها حدود التقاليد عن مواضعها، فيستباح
لحرية لا عهد للبلاط الانجليزى بمثله اذ يعلن أن الملكة ستراقص القويصر وبعض كبار
. وليتصور تلك الأنوار الساطعة من الثريات تنعكس على لألاء الجواهر ولمعان الذهب
رير ، وروائح الأزهار تنتشر من كل مكان فتمتزج بعبيق العطور والساحيق ، وتلك
فيعة وحميا الكؤوس تدب فى الجسوم فتشرح الافئدة وتحل عقدة اللسان ، وحرارة
المخاصرة وتلاصق الصدور وتدانى القلوب ، والمرح الشامل والأنس المقيم وخلط الجد
أنغام موسيقى مشجية منعشة تنتشى بها الأرواح فتطير معها شعاعا الى أجواء الشهوات العليا
سات ودعابات وبسمات . ليتصور القارىء كل ذلك وأثره فى نفس شابين متحابين يدفع
منهما نحو صاحبه فلا يصده سوى حائل دقيق من التهيب والاستحياء ، وليقل بعد ذلك
نسب من هذا لتناجى القلوب وتصارح العواطف والكشف عما فى النفوس ! ؟

لأمير الملكة حبه واستمعت اليه الملكة فى حياء مشجع على الاسترسال . وهبت عاصفة
لى الشابين قوية غلابة لا تحتمل الحوائل والحدود ولا تأبه لما قد يقال ولا لما قد يكون.
حياء المرأة يملى على الملكة التحفظ والحزم والتريث ، كان وجدها يغلبها ويفضح أشياء
قلبها فتتجلى هذه الاشياء فى أحاديثها وطربها ومزحها ، وفى خروجها بعض الاحيان على
زمتة المفروضة عليها . أما القويصر فقد أقبل عليها بجمعة قلبه يحيطها بنفسه وبعواطفه ،
حصاراً لا يدع لها وقتاً تراجع نفسها فيه أو تحزم أمرها أو تتدبر عواقب ذلك الحب
وى المكين

***

ذ كرات الجنرال يوريفتش

مايو سنة ١٨٣٩ ـ كانت سهرة أمس نخمة حافلة بالمسرات . وقد رقص القويصر معظم
ع الملكة ، وهو يبدو شديد السعادة والهناء كلما اجتمع بها ، ويغلب على ظنى أنها تبادله
ر ، فهى تسر كثيراً بصحبته بل ان الرضا والارتياح ليتفجران من أسارير وجهها كلما
، أو جلست الى جانبه . الحق أنهما يكونان زوجاً من الشباب لا مثيل له

نا من السهرة بعد الساعة الرابعة من الصباح وقد أجفلت خيول مركبتنا واصطدمت
كبة ليدى باجت ، ولكن القويصر كان شارد الفكر حتى انه لم ينتبه الى الحادث »

ذ كرات الملكة فيكتوريا بتاريخ ١٠ مايو سنة ١٨٣٩

ـد الساعة العاشرة من المساء دخلت البهو الكبير حيث كان رجال البلاط مصطفين

لاستقبال لأفتتح الرقص . وقد لحق بنا الأمير والكونت أورلوف والبرنس هنري هوالم وخالق دوقة جلوستر ودوقة كمبردج والبرنسيس أوجستا

« بدأت الرقص مع الأمير ثم انتقلت الى البهو الثانى ورقصت مع البرنس فوجلوزوك ولورد دوجلاس . ولما بلغت الساعة الواحدة من الصباح جلسنا الى الموائد لتناول طعام السهرة واستأنفنا الرقص بعد ذلك

« ذهبت مع الأمير الى أحد الابهاء لنشاهد راقصتين اسكوتلنديتين ، وقد سر منهما الامير سروراً عظيما وصفق لهما طويلا ، ثم ختمت السهرة بأن راقصته رقصة « الكادريل » وانصرفت عند منتصف الساعة الرابعة الى غرفة نومي هنيئة البال مرتاحة الخاطر »

غمرت الملكة لجة عواطفها وساقها تيار الشباب الى أبعد حدود الامانى والاحلام . ولعمرى أنى لتلك الفتاة التى ولدت فى مهد السعادة والجاه وتعودت من زمانها أن يواتيها بما تشاء ، والتى لم تكد عيناها تتفتحان على الحياة حتى وقعتا على ذلك الشاب الجميل الذى تخيلته المثل الاعلى من الرجال، أنى لها أن تقاوم ذلك التيار القوى الذى بات تتخبط فيه أو أن تدرك الموقف العسير الذى يوقعها إياه ؟ . أما القويصر - برغم شبابه وقلة تجاريبه وبرغم عواطفه الفياضة وطبيعته المرحة المتدفقة - فقد أدرك خطر المغامرة التى انساق فيها ، ولبث ثلاثة أيام يفكر فى أمره تفكيراً عميقاً يكاد لا يكلم أحداً ولا يصغى الى أحد . ثم قهرته عاطفة الحب واشتدت به تباريح الوجد فلم يقو على ضبط نفسه ولا على كتم سره ، وأفضى الى رائده بالحقيقة الرهيبة

من مذكرات الجنرال يوريفتش

« الاحد ١٢ مايو - انصرفت الآن من حضرة القويصر ، وأحس أن صوابي يكاد يطير من رأسى . لقد كان الشاب ممتقع اللون مضعضع الحواس متلعثم اللسان عندما أسر إلىّ أنه يحب الملكة فيكتوريا وأنها تحبه

« يا الهول ! أنى حيال أزمة عاطفية تقلق بالى وتزعج خاطرى ! ولشد ما يبدو لي الامر عجيبا كلما فكرت أنه لم يمض بعد على تعارفهما ثمانية أيام

« لم أرد أن أصدم القويصر بهواجسى ومخاوفى وطلبت اليه أن يمهلنى الوقت الكافى للتفكير وأظننى أحسنت ، فلو أنى فاجأته بحقيقة رأيى فى المسألة لما ضمنت سلامته من قوة الصدمة »

وتشتد الازمة فى اليوم التالى وتتجلى فى شكلها الصحيح ، فنقرأ فى مذكرات الجنرال :

« الاثنين ١٣ مايو - طلب منى القويصر أن أمضي الامسية الى جانبه . وقد لبث وقتاً طويلا وهو مقطب الجبين مشرد النظر لا ينطق بكلمة ولا يأتى بحركة . ثم نهض وجعل يسير فى الحجرة بخطوات غير متزنة تنم على الاضطراب النفسى . وعاد فأخذ مكانه الى جانبي وصوب نحوى

وخطر على بالهِ في تلك الليلة ان يصرّح لتلاميذه في اليوم التالي، ان هذه الخلايا — خلايا الجزائر
كشفها لانغرهانز — هي ما يقينا من البول السكّري بل لتستطيع ان تربط القناة الحلوة في
، وتمنع مفرزاتها من الوصول الى المعى الدقيق ومع ذلك لا يصاب الكلب بالبول السكري . . .
كن اذا استأصلت الغدة كاملة . . . . ! ثم ان الباحث الاميركيّ اوغي Ogpie كان قد بحث في
د الحلوة في الناس ماتوا بالبول السكّري فوجد كتل الخلايا المعروفة بجزائر لانغرهانز مريضة
ة.هل تفرز هذه الخلايا هرموناً ؟ هل تصبُّ هذه الخلايا في الدم اذ تكون سليمة ، افرازاً داخليًّا
وي على مادة مجهولة ، تمكّن خلايا الجسم ، من حرق السكّر الذي في الدم، لتتناول من حرقهِ
ة الحرارة التي تحتاج اليها ؟ لم يسمع بعدُ ان احداً كشف هذه المادة المجهولة في افراز هذه الخلايا
ها هوذا بانتنغ قد قضى الليلة يبحث في ما تقولهُ طوائف البحّاث في انحاء العالم ، كيف قضت
ات تبحث عن هذه المادة المجهولة ، وتخفق في بحثها . وها هي ذي الاحصاءات الطبية يؤخذ منها
الوفاً من الرجال والنساء والشبان والشابات يموتون ، بالبول السكري هزالاً ظماءً جياعاً . فكيف
طيع احد ان ينتظر من بانتنغ اكسير الحياة لهؤلاء الناس المقضيّ عليهم . بل انك لو قلت لهُ انهُ
، ساعة واحدة فقط، سيكشف اول الطريق الذي يفضي بهِ الى ذلك الاكسير، لضحك من قولك!
وانقضى الهزيع الثاني من تلك الليلة التاريخية ، وقام بانتنغ الى سريرهِ ، بعد بحثهِ المتقدّم ،
خذ قسطاً من الراحة ، فوجد على المائدة قرب سريرهِ : آخر عدد من مجلة « الجراحة والولادة
راض النساء » وكان قد وصلهُ في النهار ففتحهُ ، ليتصفح مباحثهُ ... مهلاً ... اتفاق غريب ...
ذا اسم يطالعهُ من احدى الصفحات مقترناً بالغدة الحلوة ! يكبُّ على الصفحة التي فيها مقالة هذا
بل . امرٌ عجيب كيف تحوّل موضوع الدرس ، المملّ ، الى بحث أخّاذ . ان هذا الكاتب
ت ، انهُ اذا سدّت الحصى القناة الحلوة ، ومات المريض ، وشرّحت غدتهُ هذه تبيّن ان الخلايا
دية التي تولّد الافراز الهضمي تكون قد ضمرت وضؤلت وحالت وماتت . واما الخلايا في جزائر
نرهانز فسليمةٌ سويّة . . . . طار النوم من عينيهِ . . . ان هؤلاء الذين تسدُّ الحصوات قنوات
دهم الحلوة لا يصابون بالبول السكّري . اذاً ثمة علاقة بين الاصابة بهذا الداء ، وبين جزائر
نرهانز . وعمد الكاتب الى الكلاب يشق بطونها ، ويربط قنوات الغدد ، ثم يخيط الجرح ويترك
كلاب تعيش عيشة سوية ، ثم بعد ايام يشقُّ بطونها ثانية ، فيرى الغدد الحلوة حائلة ، ولكن جزائر

...ين وقال لى بصوت هادىء رصين لم أتعوده منه قبل ذلك : « انى أحب الملكة فيكتوريا ...قين أنها تحبنى . إنى لم أكتم عنك شيئاً مذ عرفتك وهأنذا أعترف لك بأني ، لاول ... حياتى ، قد صادفت المرأة التى تصبو اليها نفسى، وبأنى أحب هذه الفتاة حباً يخيل لى أن ...بيره تصير عبئاً لا يطاق . نعم انى أحبها ومحال أن يخفق قلبى بعد اليوم بحب امرأة سواها » ...ل القويصر يحدثنى على هــذا النحو حديثاً طويلا أهم نفسى وأحزن قلبى ، ولـكنى حزمت ...وصارحته بأن هذه العلاقة الناشئة بينه وبين الملكة لا يمكن الا أن تكون مقدمة لمشروع ...ج . وأفهمته أن هذا الزواج مستحيل الا اذا خان واجبه الوطنى ونزل عن حقوقه فى عرش ...اطورية ، وهذا ما لا يرضاه له ضميره ولا يقره عليه عاقل. ولقد اقتنع القويصر بهذا الـكلام ...نه لبث محزوناً مكتئباً الى درجة يتعذر علىّ وصفها ، ثم تركنى وهو فى حالة جلت الدموع ...ق بين أجفاني

« ان حيرتى لشديدة حتى لا أدرى ما ينبغى أن أفعل . أأكتب الى جلالة القيصر لأقفه على ...ة الواقع أم أصبر وأنتظر ؟ انى محجم متردد ، وان الاحجام والتردد ليتزايدان كلما فكرت فى ... الذى سيستولى عليه متى علم المغامرة التى يجتازها ولى عهده العزيز. حقاً ان الامر جد خطير! »

وبعد يومين تتحرج الحال ويستشرى الخطر وتدخل المسألة فى طور لا يحتمل ولا يحسن ...ت عليه فيكتب الجنرال :

... الاربعاء ١٥ مايو ـ حالة القويصر تسبب لى قلقاً كبيراً فان غرامه يتأجج فى قلبه ووجده ... نفسه ، حتى لقد اعترف لى بأنه أصبح فى موقف لا يستطيع أن يتحمله طويلا

... إنى أحب هذا الشاب كما أحب ابنى ، ولقد أنزلته من قلبى منزلة الولد ، ولذلك أتألم لألمه ولا ...يع أن أراه على هــذه الحال فالهم يكاد يقتله . لا سبيل الى علاج المسألة الا بتقصير أجل ... هنا وبالارتحال عن انجلترا ، وسأعمل على تحقيق ذلك »

... الخميس ١٦ مايو ـ حددنا للسفر يوم ٣٠ من الشهر الحالى ولكن القويصر يظهر رغبته ... الفترة الباقية وسأقاوم هذه الرغبة جهد الاستطاعة

... انه لا يفتأ يؤكد لى أنه اذا خطب الملكة قابلت خطبته بالقبول والارتياح ، وأنه يحس ...غبتها فى أن تكون زوجا له . ولـكن ، يا للمصيبة ، كيف يكون ذلك ؟ أتنزل هى عن ... لتصحبه الى سان بطرسبورج أم ينزل هو عن العرش المهيأ له ليمكث معها فى لوندرة ، أم ...ن ويبقى الزوج فى شرق أوروبا وتبقى الزوجة فى غربها . كل هذه الفروض مستحيلة ولن ...ىء من ذلك لأن طبيعة الأشياء تأباه . ولـكن ماذا أعمل ؟ أسأل الله أن يعيننى فى مهمتى ...عسيرة لان سعادة هذا الشاب هى سعادتى وكل ما أبتغى فى الحياة . يارب خـذ بيدى فانى ...شد أزمة قد تعترض حياتى . واجبى بين واضح لا يحتمل رأيين ، ومسئوليتى أعظم من أن

تتسع لكل هذا التلكؤ والتسويف . لقد قال لى القويصر إلى صديقه الوحيد وانه لا يعتمد على غيرى فى هذه المأساة ، وانى لأشعر ان ليس فى استطاعتى تحقيق سعادته المستحيلة ولا التوفيق بين رغبته الطائشة وشتى الواجبات . إذاً لا مناص لى من تأدية واجبى وسأؤديه الى النهاية مهما يكن مراً وعسيراً . فلأسكت قلبى ولأخرس عواطفى فاليوم للواجب وليكن بعد ذلك ما يكون »

ويحس الجنرال ان أنجع الوسائل حيال مثل هذا الحب العميق انما هي ضربة المشرط الحاسمة لا المسكنات المؤقتة ، ويرى أنه قد آن الأوان للضغط على القويصر وعلى الملكة فى وقت واحد . أما القويصر فقد صار على بينة من أمره . وأما الملكة فيجب صد تيار عواطفها المندفع ، وذلك لا يكون إلا بالاستعانة برجالها والمقربين اليها . إذاً لابد من الافضاء بالأمر الى لورد ملبورن رئيس الحكومة والى أصدقاء الملكة ليتخيروا الوسيلة التى يضعون بها حداً لتلك المأساة الصامتة

من مذكرات الجنرال يوريفتش

« ٢٢ مايو ــ دار بينى اليوم وبين البارونة ا... صديقة الملكة وأمينة سرها حديث طويل . وقد أفضت الى بأن الملكة لم تكتم عنها غرامها الشديد بالغراندوق ، وبأنه أول شاب أعجبها وهام به قلبها ، حتى انها صارت لا تشعر بالسعادة إلا فى الساعات التى تخلوها به . وأكدت البارونة أن الملكة تغتبط كل الاغتباط اذا خطبها الغراندوق ، بل انها تنتظر الساعة التى يكاشفها فيها بذلك فى صبر قلق وشوق مستحر

« ... ان البارونة ا... تدرك حرج الموقف كما أدركه ، وتكاد لا تتصور مضاعفات الحالة اذا خطر للشاب أن يقدم على اظهار رغبته للملكة فى التزوج بها . ولقد قالت لى ان القويصر اذا فعل فانما يزج بنفسه وبأبيه وبالعلائق القائمة بين الدولتين فى موقف دقيق، بل انه يخلق بذلك حالة شاذة لا قبل لأحد بحلها . وقد وعدتنى البارونة أن تعمل من ناحيتها كل ما فى وسعها لتدارك المسألة قبل أن يصبح الجميع أمام الأمر الواقع ، ولتحاشى الكارثة قبل وقوعها »

عندئذ لا يرى رجال الدولة سوى التفريق بين الشابين بأسرع الوسائل ، فيقرر الروسيون أمر أجل الزيارة والارتحال عن انجلترا يوم ٣٠ مايو ، ويتبادلون فى ذلك المكاتبات الرسمية مع الحكومة الانجليزية حتى لا يبقى مجال للتردد أو التسويف

***

ويدخل هذا الغرام الناشىء فى دور النزع . وتأبى الأقدار الا أن يكفن فى مهده . ويشعر القويصر أن واجبه ينتظره هناك فى روسيا فيتأهب للسفر اليها ، ويعد الأيام والساعات الباقية بالقرب من الملكة كما يعد المحتضر الأيام والساعات الباقية له من الحياة . وتقع الملكة فيكتوريا حالة نفسية ينم عليها وجهها الشاحب وانقباض روحها وانصرافها عن الناس وقلة اكتراثها ل

يعرض عليها . ثم تدرك بعد طول التفكير أنها حلمت حلماً لذيذاً أعقبته اليقظة المرة المؤلمة ، أن الوقت قد حان لتواجه الواقع الموجع الذى يقضى عليها أن تكون ملكة ممزقة القلب ، تضحى على هيكل العرش بكل ما خلق ليسعد به الناس فى الحياة . ويتبدى يأسها وحزنها فى أثناء مذكراتها اليومية فهى لا تودعها شيئاً من همومها المضنية ولا تنضح نفسها على الورق بشىء من اللوعة التى تعانيها ، ولكنها تكتفى بتدوين ذكريات تافهة نستطيع أن نستشف منها روحا مضطربة قلقة تريد أن تنفجر .

من مذكرات الملكة فيكتوريا

« ٢٧ مايو – اليوم صحو والجو جميل ، والشمس مشرقة ترسل أشعتها الذهبية على خضرة الشجر التى ما تزال مبللة بأمطار أمس فتحيي البشر والحبور فى النفوس ، ولكنى مع ذلك أشعر بحزن يملك علي مشاعري ، وانقباض يصرفنى عن كل شىء حتى عن اجتلاء محاسن الطبيعة فى هذا اليوم البهيج . رأيت الغراندوق قادما الى القصر وقد حيانى وأنا أطل من نافذة غرفتى ، وكانت الساعة السابعة . ولبثنا نتجاذب أطراف الحديث الى أن حان وقت العشاء فنهضنا الى حجرة المائدة مع جمع من حاشية الأمير ورجال البلاط

« ظلت الاحاديث خافتة والمحاورات فاترة الى أن انتقلنا الى البهو الاحمر حيث كانت فرقة موسيقية تنتظرنا لافتتاح المرقص . ولقد افتتحناه برقصة « الكادريل » وكان الغراندوق زميلى . أما الرقصات الأخرى فلم أشترك فيها بحكم التقاليد المرعية بل جلست فى أثنائهـا أتحدث الى ... واستمع اليه

« بعد أن تناولنا طعام السهرة وبعض المرطبات رغب الامير فى أن ارقص معه رقصة المازوركا ، ... أن اخيب رغبته وتخطيت بذلك كل التقاليد لأول مرة فى حياتى

« ان الرقص مع الغراندوق شىء لذيذ ، فهو رشيق الحركات سريع الخطا يكاد يحمل ... ته بذراعه حتى لتشعر أنه يطير بها . وهو فوق ذلك شاب خفيف الروح حلو المجون صريح ... ير حتى ليقرأ الانسان على وجهه كل ما يدور بنفسه

« لعبنا كثيراً وضحكنا كثيراً ولا أذكر أنى طربت قبل اليوم طربى من مصاحبته . ولقـد ... الى غرفة نومى عند الساعة الثالثة من الصباح ، ولكني لم أنم الا بعد الخامسة »

ولا يجد لورد ملبورن رئيس الحكومة بدا من التدخل فى الامر ، فيقابل الملكة ويطرق ... ع بتلك الرشاقة فى الحديث التى برع فيها ساسة الانجليز واشتهروا بها والتى تجعلهم يعملون ... فى الجسم فيجرحون ولا يسيلون نقطة من الدم . وتنقل الينا الملكة طرفا من هذا الحديث ... كراتها ، فتقول :

« ٢٩ مايو ـ كنت أتحدث الى صديقي لورد ملبورن وقد قلت له ان كل هذا الجو يجهدني ويبعث ضيقي ، فأجابني وهو يلسم ابتسامة شرا من العبوس : « ولكنك ستتألمين كثيراً بعد ذلك . يجب أن ترتقى بصحتك اكثر مما تفعلين والا أضنتك هذه الجهود . انك لتشكين من شيء تسمينه ضيقا قد استولى على نفسك وتعللين به ذلك الاضطراب الذى تتخبطين فيه منذ أسابيع ، وهذا النفور من الناس الذى تحسه منك والذى لم يبق أحد حولك الا وقد لاحظه . فهل لا تخشين أن يحملك ضيق صدرك على النفور من العمل الرسمى أيضا ، فتمسى بذلك سنة غير محمودة ؟ »

« أردت أن أؤكد له أن ذلك لن يكون ، وأنه مهما يكن من شواغل نفسى فلن تؤثر هذه الشواغل في أعمالى الرسمية ، ولكنه لم يشأ أن يسمع الى ، بل قال : « انك تحيين فى هذه الاسابيع الأخيرة حياة غير طبيعية وغير معقولة من شابة فى سنك ، وانى وأنا أحدثك الآن حديث الصديق ، أتوسل اليك أن تكونى اكثر رفقا بصحتك وشبابك . ان الحياة أمامك ممتدة طويلة ، وفيها متسع لتحقق كل معقول من الامانى وكل ممكن من الآمال . ولكن من السعادات ما هو مستحيل ان لم يكن بطبيعته فبطبيعة الظروف والاحوال ، فلماذا تدعين الآمال المستحيلة تساور نفسك فتنغصها وتفسد عليها نعيم الحياة ؟ »

قلت : « ولكن أليست الملكة انسانا له حقه فى السعادة كسائر الناس ؟ » فأطرق الرجل مليا ثم رفع رأسه المتثاقل وحدق الى عينى وقال : « أنتم الملوك ناس ولكن لا كسائر الناس ، لأن لكم رسالة سامية يجب أن تندمج بها شخصياتكم حتى تفنى فيها فلا يبقى من الانسان الا الملك ، ولن يتم هذا الاندماج وهذا التفانى الا إذا سما الملك بنفسه الى المستوى اللائق برسالته وضحى فى سبيل سموه اليه بكثير من آرائه الشخصية وميوله النفسية . وان الملك إذ يرتقي العرش إنما يوقع بهذا الارتقاء صك تلك التضحية ، ولن يحله من توقيعه شيء حتى لو أراد أن يتحرر منه بالنزول عن سرير الملك ، لأنه اذا فعل فانما يضيف الى حقارة الحنث بالعهد حقارة الفرار من الواجب » .

أمام هذا الشيخ الجليل الذى أبهظت كتفيه أعباء الحكم وأعباء السنين ، وأمام هذه العبارات التى تنم على عقيدة لا تحتمل الجدل والنقاش ، لم يسعنى أن احبس دمعة كانت تترقرق فى عينى ، فما ان أرسلتها تجرى على خدى حتى نظر إلىّ الرجل نظرة تفيض رحمة وحنانا ، وأخذ يدى وقبلها ثم نهض واقفا وقال : « الآن قد اتفقنا يا مولاتى ، وسأبيت الليلة هادىء البال »

***

وحل اليوم الرهيب يوم الفراق المرير ، وما أشق الفراق على قلبين أرادا أن يرتشفا كأ السعادة فاذا الكأس صبر وعلقم . وما أقسى الوداع على نفسين تفتحت لهما أبواب الهناء يو أوصدت ، فلم يبق أمامهما من الهناء الا الذكرى واللوعة والحنين

من مذكرات الملكة فيكتوريا

« ٢٩ مايو — ذهبت الى الحجرة المجاورة لغرفة نومى ، وقد وفد على الغراندوق يصحبه لورد ستن ليستأذنى في السفر . أخذ الامير يدى وضغطها ضغطا تمثلت فيه حرارة روحه ، وكان ...ب الوجه متهدج الصوت عند ما قال لى : « إن الكلام يخوننى ولا يسعفنى لأعبر لك عن كل ...شعر به الآن » . ثم استطرد ، فقال إنه يشكر لى من أعماق القلب كل العناية التى أحطته بها وكل ...وف المجاملات التى لقيها فى بلادى وفى بلاطى سواء منى أو من رجال حكومتى أو من أفراد ... ، وانه كبير الأمل فى أن يعود لزيارتى متى سمحت له الظروف ، وأكد لى أن ذلك الاستقبال ...م الذى استقبل به فى انجلترا ، وتلك الحفاوة التى احتفاها به الشعب لا يمكن الا أن يكون ... كبر الاثر فى توثيق عرى روابط الصداقة التى تربط دولتينا . ثم عاد فتناول يدى وضغطهما ...أخرى بكلتا يديه ، فمددت ذراعى وأدنيت رأسه مني وقبلته على خديه فعانقنى هو أيضاً عناقا ... فيه كثيراً من المودة والأخوة

« ان الذى أحسسته فى تلك اللحظة كان احساسا غريبا ، فلقد شعرت أن روحا صديقة ... منى لا أن مجرد ضيف لطيف يودعنى . نعم لقد شعرت بحزن بالغ وأنا أودع هـذا الشاب ...ى حتى لقد خيل الى أنى أحبه حقيقة أو أنى على الأقل ميالة اليه كل الميل »

...ن مذكرات الجنرال يوريفتش

... ٣٠ مايو سنة ١٨٣٩ — أمس استأذنا الملكة فى السفر وودعنا رجال الحكومة والبلاط. واذ ...ه بالقويصر بعد ذلك لم يملك الشاب المسكين نفسه فارتمى بين ذراعى وبكى طويلا . وقال لى ...يشهق شهيقاً كان يقطع منى نياط القلب : « لن أنسى هذا الفراق ما حييت ، لقد عانقت ...وريا وعانقتنى ، وان القبلة التى طبعتها بشفتيها على خدى لخير تذكار أتزود به منها وسأحتفظ به ...ى إلى القبر بعد الممات » ولقد أردت أن أهدىء من روعه ولكن اجهاشه بالبكاء لم يجعله ... الى عبارات المواساة التى كنت ارتجلها عفو الخاطر المضطرب والقريحة المنزعجة المشتتة . ... بسطت كفى على كتفيه وحدقت الى وجهه وأهبت به : « أنت ملك يا مولاى ولا يجمل ... يبكى أمام رعيته » قال : « عذراً يا صديق فان ما بى لشديد لا أقوى عليه » . فأعدت ...ى شىء من العنف وصحت به : « كن ملكا يا مولاى » فارتمى بين ذراعى مرة ثانية وهو ...ى شفتيه : « أليس أيسر عليك أن تكون انساناً أيها الصديق » ثم غادرني وانكفأ على ... هو يقول : « اذا كانت هذه تباشير الملك ، فيالشقاء الملوك ! »

حسن الشريف

الامتحان

مشكلة التعليم منذ القدم

بقلم الاستاذ حامد عبد القادر

مدير قسم بمراقبة الامتحانات بوزارة المعارف

أدرك الناس منذ القدم ما للامتحانات من فوائد فأولوها ما تستحق من عناية . وما زالت أهميتها تظهر وشأنها يعلو حتى أصبحت من النظم الاجتماعية المقررة التي لا مناص منها ، فهي – على تعدد أنواعها واختلاف آراء المربين فيها وبرغم ما قد ينجم عنها من شرور وأضرار – من ضروريات المجتمع التي لا يمكن الاستغناء عنها ، وهي أداة مدرسية فعالة تحمل التلاميذ على الجد والنشاط ، وتدل على منزلتهم العلمية ومبلغ استعدادهم لتولي مهام الحياة . وهي أيضاً مقياس لجهود المدرسين تعرف بها نتائج أعمالهم ومبلغ اهتمامهم بمهنتهم . ولم يصل المربون بعد الى ابتكار وسيلة أخرى غير الامتحانات التي بها تقيم المدارس الدليل على أنها تستحق النفقات التي تنفق عليها ، وتمد أولياء أمور التلاميذ بمعلومات عن قوى أبنائهم وبناتهم ، وترشدهم إلى ما يجب أن يعملوا ليوجهوا كلا منهم إلى الطريق التي هو مستعد بطبيعته إلى السير فيها بمقدرة ونجاح

تطور الامتحانات

إن سنة التطور التي شملت حياة الفرد وعملت عملها في جميع مظاهر الحياة الاجتماعية قد شملت الامتحانات أيضاً . وكما اختلفت نظم الحكم وتنوعت القوانين الاجتماعية ، باختلاف ظروف الأمم وتجاربها ومبلغ رقيها الاجتماعي ، كذلك اختلفت الامتحانات من حيث أنواعها وأساليبها بتوالي العصور وتنوع البيئات والظروف واختلاف التجارب

والامتحانات كما تعلم إما شفوية وإما تحريرية وإما عملية . والتاريخ يقص علينا ان الامتحان الشفوي أسبق في الوجود من التحريري، ذلك لان الاقدمين لم يعرفوا القراءة والكتابة كما نعرف ، ولم يستعملوا الورق كما نستعمل ، فكان من الطبيعي أن يلجئوا إلى الامتحان الشفوي في أول الأمر

ويروي المؤرخون فيما يروون أن أول امتحان ظهر في الوجود كان في بلاد الصين حوالي سنة ٢٢٠٠ قبل الميلاد ، إذ كان الصينيون يختبرون – من حين إلى آخر – الموظفين الذين يتولون مهام الدولة . وفي سنة ١١١٥ ق . م جعلوا الانتظام في سلك الوظائف الحكومية متوقفاً على النجاح في امتحانات تعقد لهذا الغرض في أوقات مختلفة عند الحاجة

ـقد ظهرت الامتحانات فى أوربا فى القرون الوسطى فى الجامعات أولا ، ثم عمل بها فى ـس الثانوية والابتدائية

ـلما كانت تلك الجامعات الأولى تخضع لسلطات دينية واحدة ولمبادىء علمية واحدة كان طبيعى أن تتبع نظاماً واحداً ، وان يكون المتخرج فى إحداها كالمتخرج فى غيرها . وكان ـلى التدريس إلا من تتلمذ ثم تمرن على التدريس وبرهن على كفايته بالنجاح فى امتحان خاص ـ موافقة البابا ـ أو فى بعض الاحيان موافقة الامبراطور ـ على تولى هذه الصناعة أى مهنة ـس . وأول امتحان عقد من هذا النوع هو امتحان جامعة بولونيا سنة ١٢١٩

ـكانت مادة الدراسة الهامة هى القانون المدنى والفقه المسيحى المستمد من الكتاب المقدس . هناك امتحان عام يقوم به أولا الاساتذة ، وخاص يتولاه بعض رؤساء الجامعة من رجال ـوت بعد أن يقرر أستاذ الطالب أو أساتذته أنه أهل للتقدم للامتحان . وكانت الطريقة المتبعة ـمتحان العام أن يعين للطالب أول النهار فقرة من فقرات الكتاب المقدس أو غيره فيقتلها بحثاً ـ أو بمعونة أحد الاساتذة ، وبعد مضى الوقت المعين يحضر فى اليوم نفسه أمام لجنة الامتحان ـحاضرة فى الموضوع المعين ويناقشه فيه أستاذان تعينهما الجامعة ، وقد يسأله غيرهما بعض الأسئلة ـية بالموضوع ويوردون على اجابات الطالب بعض اعتراضات . وقد أخذت جامعة باريس هذا ـم عن جامعة بولونيا ، وفى أواخر القرن الثالث عشر كان لها ثلاثة امتحانات : امتحان البكالوريا ـان الليسانس وامتحان الدكتوراه . وقد اقتفت الجامعات الأوربية الكبرى آثار هاتين ـين . وقد ظل الامتحان الشفوى النظام الوحيد المتبع حتى مستهل القرن الثامن عشر فعم ـ الورق وقلت نفقاته وصارت الكتابة من أهم وسائل التعليم والتعلم، وحينئذ ظهر فى الوجود ـانات التحريرية بجانب الامتحانات الشفوية

ـيقول بعض المؤرخين انه لم يعثر على أية وثيقة رسمية تدل على عقد امتحان تحريرى فى أية ـمن الممالك الأوربية قبل سنة١٧٠٢ بعد الميلاد ، تلك السنة التى أدخل فيها الامتحان التحريرى ـى كليات جامعة كيمبردج . ويقول مؤرخ آخر ان أول ظهور الامتحانات التحريرية بحالتها ـ الشائعة الآن كان بجامعة اكسفورد ، وذلك حينما وضع قانون الامتحانات العامة سنة ١٨٠٠ ـى النصف الثانى من القرن التاسع عشر أنشىء بانجلترا عدد كبير من المدارس الثانوية وأراد ـأن يقوموا بدعاية لها واسعة النطاق فطالبوا وزارة المعارف الانجليزية بعقد امتحانات خارجية، ـ تقر ما فيها من أنظمة وتتبين صحة ما يدرس فيها من مواد ، وكان غرض أصحاب هذه ـ الثانوية أن يظهروا أهمية مدارسهم ويشعروا الناس بفوائدها الجمة فيشتد الاقبال عليها . ـتدت العاصفة الامتحانية بانجلترا ، وظلت الامتحانات الشغل الشاغل لا للمدرسين ونظار ـ والتلاميذ فحسب ، ولكن للمؤلفين الذين أخذوا يؤلفون الكتب المشحونة بأسئلة من

بمواد مختلفة والاجابة عنها كما هو متبع الآن فى بلادنا المصرية . ولقد كثرت الامتحانات الداخلية والخارجية بانجلترا حتى سئمها رجال التعليم وضجوا بالشكوى منها وقالوا ان الاستعداد لها يرهق التلاميذ والمدرسين ، ويوجه الدراسة توجيهاً خاصاً لا غرض له إلا انجاح التلاميذ

لم يسع وزارة المعارف الانجليزية أمام تلك الشكوى الصارخة إلا أن تشرع فى إلغاء نظام الاعانة بحسب النتائج ، وكان هذا إلغاء نهائياً سنة ١٨٩٧ ، ومنحت المدارس نوعا من الاستقلال ، وتركت الحرية للمدرسين والنظار كي يوجهوا الدراسة وفق ما يتراءى لهم مسترشدين فى ذلك بمقتضيات البيئة وحالة التلاميذ . ومن سنة ١٨٩٥ صرح للمفتشين ألا يزوروا المدارس تلك الزيارة السنوية الامتحانية ، على أن يزوروها مرتين خلال العام الدراسى للاشراف فقط من دون علم نظار المدارس

كان من آثار هذا التغيير أن تحسنت طرق التدريس وزاد اقبال التلاميذ على المدارس فارتفعت نسبة التعليم من ٧٠ ٪ الى ٩٠ ٪ ، وكان من الممكن لتلاميذ المدارس الابتدائية أن يقرءوا فى العام الدراسى ثلاثة كتب ، وأن يكتبوا عدة موضوعات انشائية دون أن يعذبوا أو يحبسوا بحجرات الدراسة بعد انتهاء اليوم المدرسى . حينئذ علم الناس أن تلك الامتحانات مع ما استتبعت من ضجة وأهوال أقامت البلاد وأقعدتها لم تكن لتشجع التلاميذ على العمل ولا تحفزهم إلى الجد كما كان يظن ، ولكنها كانت عنتاً قاسية هدمت أعصابهم وعاقتهم عن العمل المنتج

الامتحانات التحريرية ومقاييس الذكاء

من الامتحانات التحريرية المتبعة الآن فى الممالك المختلفة ذلك النوع الذى تكون فيه الاسئلة بمثابة رءوس موضوعات انشائية يجيب عنها التلاميذ بكتابة موضوعات انشائية تستغرق كتابة كل منها وقتاً لا يستهان به . ولاريب أن التلميذ فى اجابته عن مثل هذه الاسئلة يعانى مشقتين : إذ عليه أن يعنى بالاسلوب اللغوى حتى يكون صحيحاً مطابقاً لقواعد اللغة ، وبالمعلومات التى يسردها كى تكون صحيحة مطابقة لما درس وتعلم . ولا شك أن التلاميذ على فرض تساويهم فى مقدار ما درسو من المادة ومقدار ما يعرفون منها يختلفون كثيراً فى طرق تعبيرهم عن أفكارهم

وقد دلت المباحث الدقيقة على أن مصححى الاجابات التى من هذا النوع يختلفون اختلافا بي فى تقدير الدرجات ، وقد كان الدكتور بلارد Ballard من أول من قاموا بتجارب متنوعة فى ها الموضوع ، وقد ذكر فى كتابه الممتحن الحديث The New Examiner التجربة الآتية :

أعطى اجابات سبعة من التلاميذ عن موضوع واحد لأحد الممتحنين الخارجيين ليقدر الدرجا التى تستحقها كل اجابة على أساس أن النهاية الكبرى مائة درجة ، فأعطاها هذا الممتحن درج تتفاوت بين ٩٠ و ٤٠ درجة ، ثم أعطى هذه الأوراق نفسها إلى ثلاثة عشر من المدرسين المجر ليقدروا درجاتها ، فرتبها كل منهم بحسب ما ارتأى فكانت النتيجة ما يأتى :

اختلفت ورقة من الاوراق على سبع درجات، فكانت الأولى فى نظر أحد المصححين، والثانية نظر ثان والثالثة فى نظر مصحح ثالث وهكذا ، واختلفت ورقتان فى الترتيب على ست درجات الدرجة الأولى إلى السادسة ، واختلفت كل من الأربع الاوراق الباقية فى الترتيب على خمس درجات . ولقد عملت تجربة أخرى دلت على أن الاختلاف فى التقدير كما يكون فى تصحيح الاجابات الخاصة بالمواد الأدبية كذلك يكون فى تقرير الدرجات بالنسبة للعلوم الرياضية ، فقد طلب الى ١١٥ من المصححين أن يضعوا درجة لاجابة أحد التلاميذ فى الهندسة فوجد أن الدرجات التى أعطيت تفاوتت من ٢٨ ٪ الى ٩٢ ٪

وقد وجد أن اتفاق المصححين فى وضع درجات التاريخ والجغرافيا وغيرهما من المواد الأدبية قد يكون مستحيلا ، ذلك لان الاجابة فى هذه المواد تتطلب كتابة موضوعات انشائية

لهذه الاسباب يرى بلارد وأتباعه أن الامتحانات التحريرية بنظامها الحالى لا يمكن الاعتماد عليها فى قياس قوى التلاميذ ومعرفة مدى تقدمهم فى دراسة المواد المختلفة

مثالب الامتحانات العامة

وخلاصة القول أن المعارضين للامتحانات التحريرية العامة بنظمها الحالية يرون فيها معايب كثيرة، ويذكرون من مثالبها :

(١) انها تدعو الى اضعاف ميول التلاميذ الطبيعية وقصر عنايتهم على دائرة ضيقة خاصة هى دائرة المعلومات التى يتوقعون الامتحان فيها

(٢) ان تقدير الدرجات فى الامتحانات العامة معناه حكم المصححين على استعداد المتعلمين العلمى دون أن تكون لهم بهم صلة مباشرة يبنون عليها أحكامهم

(٣) ان الامتحان فى مواد متنوعة يتطلب توزيع قوى التلاميذ على تلك المواد وتشتيت أذهانهم وعدم منحهم فرصة كافية للنبوغ فى بعض نواحى المعرفة

(٤) ان بعض الممتحنين يتعصبون لموادهم ، ويضعون فيها أسئلة صعبة تشمل بعض تفصيلات لا قيمة لها فى نمو مدارك التلاميذ العقلية وتكوين شخصياتهم وإعدادهم لحياتهم المستقبلة

(٥) ان الامتحانات تضعف قدرة التلاميذ على التنويع فى التعبير بتنوع مقتضيات الأحوال ، فهم دائما يصوغون معلوماتهم فى عبارات محفوظة يقبلها الممتحن

(٦) ان التلاميذ لا يتقدمون الى الامتحانات العامة وهم بحالات عقلية أو جسمية واحدة ، فقد يكون من بين الأسئلة سؤال اتفق أن درسه بعض التلاميذ دراسة جيدة ولم يدرسوا غيره ، وقد يكون من بينها سؤال فى موضوع صعب على التلاميذ فهمه لعذر قهرى ، وقد يكون من بين التلاميذ من يشعر فى وقت الامتحان بضعف جسمى أو اضطرابات عصبية

(٧) ان نتائج الامتحانات لا يمكن الاعتماد عليها فى قياس قوى التلاميذ قياساً مضبوطاً وترتيبهم ترتيباً دقيقاً ، ذلك لأنهم لا يسلكون طرقا متحدة فى الاجابة عن الاسئلة . واذا كان هنالك مجال للاختيار فى الاجابة عن بعض الأسئلة دون بعض فقد يجيبون عن أسئلة مختلفة . والمصححون كما بينا آنفاً يختلفون فى مشاربهم وأمزجتهم ، فليس من الممكن أن تكون الدرجة التى يمنحها أحدهم ممثلة لمقدرة التلميذ تمثيلا دقيقا فى نظر غيره من المصححين

(٨) ان أداء الامتحانات بصورتها الحالية وما تستتبع من إجهاد الذاكرة وحصر الذهن مدة طويلة يجعل التلاميذ عرضة للامراض الجسمية والعقلية

(٩) ان الامتحانات العامة تدعو الى صوغ عقليات التلاميذ والتلميذات فى قالب واحد ، فتكون النتيجة أن جميع الحاصلين على شهادة الدراسة الثانوية مثلا إن صلحوا لشىء فانما يصلحون لعمل واحد ، وبذلك لا يكون هناك مجال لأن يسير كل تلميذ فى الطريق التى هو مستعد بطبيعته للسير فيها ، ولا لأن تتفرغ التلميذة لحياتها المستقبلة حينما تصير زوجة

(١٠) ان الاستعداد للامتحانات العامة وإجراءها يحدث ضجة عنيفة تشمل البلاد طولا وعرضا ويسبب كثيراً من القلق لرجال التعليم والمدرسين والنظار والتلاميذ وأولياء أمورهم ، ويكلف الدولة والاهالى نفقات باهظة . ولقد يكون من الممكن التغاضى عن كل ذلك لو كانت الامتحانات تؤدى الى نتائج يرتضيها الناس ويطمئن اليها الباحثون ، ولكن التجارب قد دلت على أن من بين الراسبين من كانوا يستحقون النجاح ، كما أن من بين الناجحين من كانوا يستحقون الرسوب لو عدلت طرق الامتحانات . ولا يستطيع أحد أن يعتقد تمام الاعتقاد أن ترتيب الناجحين فى الامتحان هو الترتيب الصحيح المصور لقواهم تمام التصوير

على أن لقائل أن يقول : ماذا نصنع لقياس قوى التلاميذ ، وما النظام الذى يتبع بدلا من نظام الامتحان الحالى حتى نرفع مستوى التعليم وننزل التلاميذ منازلهم ؟

إن المعارضين للامتحانات الناقدين لها لا يقفون عند حد المعارضة والنقد بل انهم ابتكروا نظما جديدة للامتحانات ، وابتدعوا طرقا حديثة لوضع الاسئلة . فمنهم من يرى العمل بمقاييس الذكاء المشهورة ، ولكن مقاييس الذكاء هذه رغم مايصفها به واضعوها من صفات المدح والثناء لا تزال معيبة ، ومع ذلك فليس من البعيد أن يأتى يوم يعم فيه استعمال أقيسة للذكاء تختلف باختلاف البيئات وتكون قابلة للتعديل والتغيير والتبديل تبعا لمقتضيات الأحوال

ولعدم صلاحية أقيسة الذكاء لأن تحل محل الامتحانات يرى بعض المربين ألا مفر من اتباع نظام الأسئلة المعروف على شريطة أن يتولى وضع الاسئلة رجال فنيون ملمون بمناهج الدراسة خبيرون بطرق التدريس ، عالمون بالطرق الفنية لصوغ الأسئلة وترتيبها

حامد عبد القادر

الهاماً هبط عليهِ ودوَّن في دفترهِ : — « اربط قناة الحلوة في الكلب . ثم انتظر ستة اسابيع
انية حتى تحول . ثم استأصل بقيتها واصنع منها خلاصة »
عندئذٍ استطاع ان ينام ، ولما استيقظ في الصبح ادرك انهُ لم يولد ليكون جرّاحاً

—٢—

ذهب بانتنغ الى الاستاذ مكلود Macleod رئيس قسم الفسيولوجيا في كلية الطب بجامعة تورنتو
ا هوذا في مكتبهِ يحاول ان يستنجد بالالفاظ العلمية الضخمة ، ليقع من الاستاذ الكبير ، موقع
حترام والقبول . ولكنه لا يصيب الاَّ تلك العبارات الثلاث البسيطة ، التي دوَّنها في الساعة
انية بعد نصف الليل ، .... قال .... اننا اذا ربطنا قناة غدة البنكرياس الخ . . . . وكان الاستاذ
كلود عالماً ، فأراد ان يعرف هل ما يقولهُ بانتنغ قد ثبت بالامتحان ، وتأيد بمباحث الاطباء
العلماء . ولعله اشار على بانتنغ في شيءٍ من التعالي بوجوب انصرافهِ بضع سنوات الى القراءة في
شريح الحلوة ووظيفتها . او لعله انقضَّ عليهِ كالصقر واثبت لهُ في جملة او جملتين ، وهو العالم
بكيمياء السكر في الدم ، ان بانتنغ يجهل هذا الموضوع الخطير كلَّ الجهل . على ان بانتنغ كان رجلا
عنيداً ، راسخاً كالجبال لا تميد مع الريح ، فاعترف للعالم الكبير امامهُ انهُ لا يعلم الاَّ اليسير من
تشريح الحلوة ووظائفها وكيمياء السكر في الدم ، وانهُ لم يثبت بالتجربة ان ما يقولهُ صحيح ، ولكنهُ
يحسُّ في قرارة نفسهِ انه صحيح . وكلما اعاد مكلود في مسألة البرهان العلمي وضرورتهِ ، بدأ بانتنغ
يبيّن ، بان ما يحسُّ بهِ في قرارة نفسهِ لا بدَّ ان يكون صحيحاً

ولا ريب ان الاستاذ مكلود يستحق الثناء من التاريخ ، لانهُ صبر على سماع هذيان الرجل واخيراً
سألهُ ما يريد ، فقال عشرة كلاب ومساعداً وثمانية اسابيع ليثبت ... ما عجز عنهُ فطاحل العلماء !

فلما اخبر بانتنغ استاذهُ في الجراحة وغيرهُ من اصدقائهِ الخلّص ، بانهُ ينوي ان يبيع عيادتهُ ،
ويستقيل من عمل التدريس قالوا لهُ جميعاً ان ذلك حمق وتهوُّر ، وان حماستهُ لهذه الفكرة
العارضة ، لا بدَّ ان تخفَّ سورتها ، واشاروا عليهِ بالعودة الى بلدتهِ والمضيِّ في عمله هناك . فعاد .
ولكن هذه الفكرة ظلَّت مستحوذة عليهِ ، لا تفارقهُ . ما العمل وليس امامه معمل يجرّب فيهِ ،
ولا كلبٌ يستلُّ منهُ حلوتهُ . فأكبَّ على ما كتب في الموضوع يطالعهُ ، واهمل عيادتهُ ، لانهُ
كان اذا كلَّت عيناه من المطالعة عمد الى التصوير وهو لا يدري من اصولهِ شيئاً

١٦ مايو سنة ١٩٢١ وها هوذا ، بانتنغ في جامعة تورنتو ، في غرفة حقيرة ، عالمٌ لم يعيّن من قبل
احد للبحث في موضوع اخفق فيهِ من سبقهُ من الباحثين ولا يتوقع ان ينال من احد اجراً ما
ها هوذا في غرفة حقيرة ، وليس له فيها الاَّ دكة من الخشب ، ومساعدٌ لا يزال طالب طب
في الحادية والعشرين من عمره وعشرة كلاب . كان هذا المساعد ، تشارلز بست Best بارعاً في
[illegible] الكلاب المصابة بالبول السكري وبولها . وكان اوسع علماً من بانتنغ
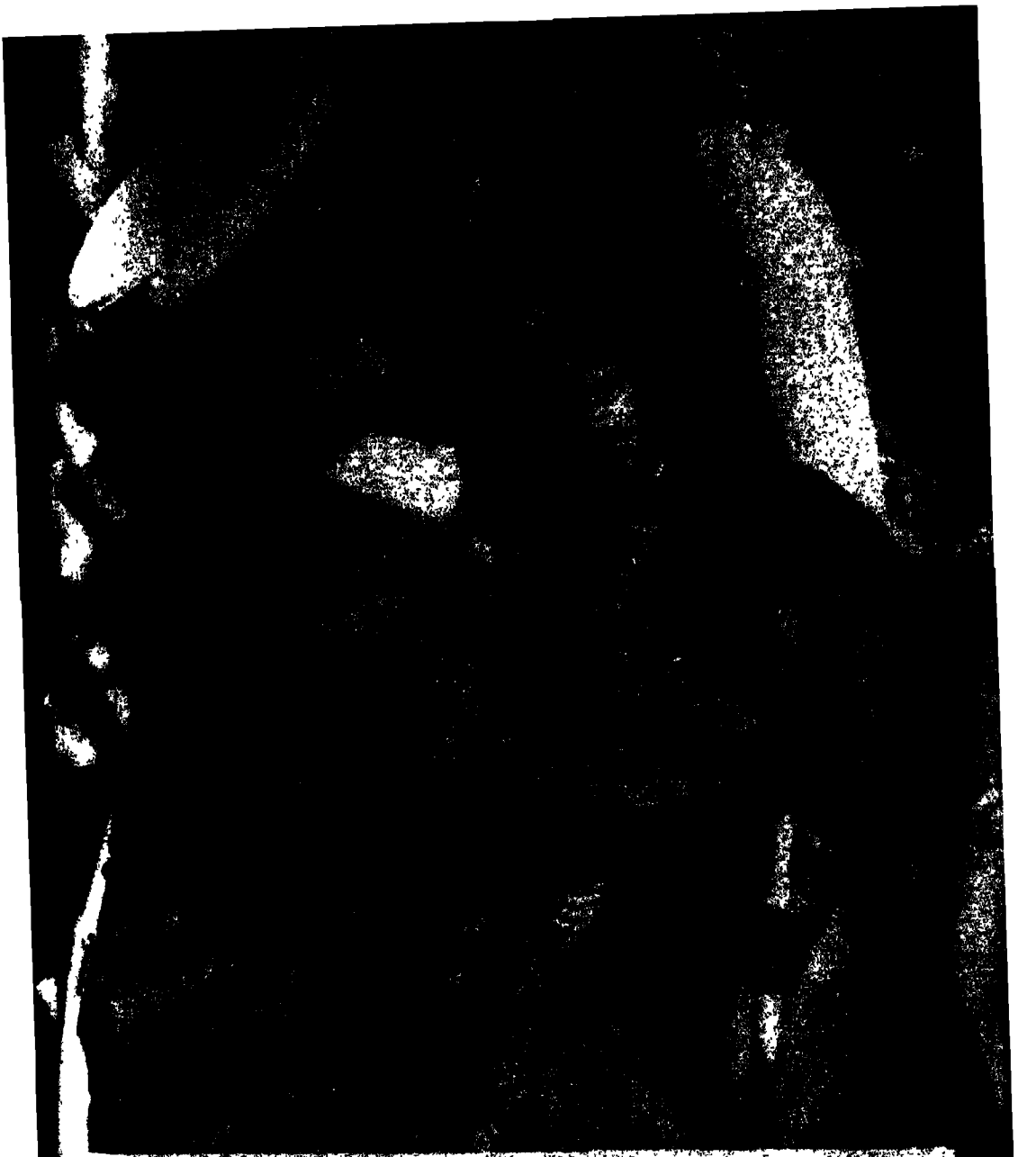
د وتحليل

مشكلة السكان في مصر

كتاب للاستاذ وندل كليلاند

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

صاحب هـذا الـكتاب مقيم فى مصر منذ عشرين سـنة ، متصل بكثير من أبنائها فى طبقاتهم
ـلفة ، مطلع على شئونها العامة ولا سيما فى المسائل التعليمية والصحية والاجتماعية . وقد وضع
ا الـكتاب عن حالة مصر ومستقبلها من حيث السكن وتدبير الغـذاء الصالح والمعيشة الـكافية
ساع الأرض ومواردها للزيادة المنتظرة في عدد ساكنيها ، واستند الى الاحصاءات والمراجع
ـمية والمصادر التاريخية ، فـكان بحثه هذا من الأدلة الجديدة على أن « الاحصاء » سند لا غنى
لـكل باحث فى شئون العمران والاجتماع ، وان التشريع والأخلاق والتربية وتمحيص طبائع
ـعوب موضوعات لا سبيل الى فصلها بعد اليوم عن الحساب والأرقام

* * *

مصر كانت معنية باحصاء السكان من قديم الزمان . فـكان « مينا » يحصى السكان كل سنة ،
ـردت الاشارات الى الاحصاء فى عهد « أمينمحت » الأول قبل المسيح بألفى سنة ، كما وردت
ـشارات اليه قبل المسيح بستة قرون . ويقول هيرودوت : « ان احمس هو الذى سن القانون
ـى يفرض على كل مصرى أن يعرض نفسه على حاكم اقليمه ويبين له مورداً مشروعا يكسب منه
ـه . وقد اقتبس صولون هذا التشريع من مصر وفرضه على الاثينيين ولم يزل قائماً بينهم لانه
ـيع لا عيب فيه ، وسعدت مصر وعمها من الرغد فى عهد احمس ما لم تعرف له مثيلا في العهود
ـة . . . وبلغت القرى الآهلة فيها عشرين ألف قرية » . قال مؤلف الـكتاب : « فاذا لاحظنا
ـسط فى عدد سكان القرية المصرية الحديثة ، فقد كان سكان مصر يبلغون يوم ذاك أربعة وعشرين
ـنا » . وهو عدد ينقصه الاستاذ مصطفى عامر الى ثمانية عشر مليونا في الألف السنة السابقة لميلاد
ـيح . معززاً ذلك بالاسباب التى تلاها على المؤتمر الجغرافى الدولى سنة ١٩٢٨

The Population Problem in Egypt, A Study of Population Trends and Conditions in M-
ern Egypt, by Wendell Cleland

أما عند فتح العرب لمصر فقد بلغت الجزية التي جمعها عمرو بن العاص « ثمانية ملايين دينار » عن الذكور الباقين من غير المسلمين ، مما يدل على انهم كانوا يبلغون أربعة ملايين . فاذا قدرنا أن الذكور الذين يتجاوزون خمس عشرة سنة يبلغون ثلاثين في المائة من جملة السكان ، فقد كان أبناء مصر ثلاثة عشر مليونا حوالى القرن السابع ، وهو ما يقارب عدتهم فى العصر الحديث

والمشكلة القائمة الآن هي : كيف تتسع مصر لسكانها مع ارتقاء نظام المعيشة اذا اطردت الزيادة على النسبة الملحوظة فى الاحصاءات الأخيرة ؟

في السنة الحاضرة ينتظر ان يكون السكان خمسة عشر مليونا وأربعمائة وثلاثين ألفا ، وينتظر أن يبلغوا سبعة عشر مليونا بعد عشرين سنة ، وليس من المنتظر أن تزداد الأرض الصالحة للزراعة على هذه الوتيرة ولو تمت أعمال الري جميعها فى مواعيدها المقدورة . فكيف تحل هذه المشكلة التي سنواجهها بوقائعها الملموسة بعد جيل واحد ؟ يرجو المؤلف أن يصبح الفحم الأبيض أو استخراج الكهرباء من مساقط الماء مرتزقا لألوف من السكان ، ويقول إن السودان يتسع لنحو مليون مصرى اذا استصلح من أرضه الغامرة ستون ألف كيلو متر مربع ميسورة الاصلاح ، وانتظمت فيه وسائل المواصلات بما يكفل نجاح الزراعة وسرعة النقل من تلك الأرض المستصلحة واليها

لكن المؤلف يقدر ان انتقال هذا العدد من الأيدى العاملة سيكون له أثره فى أجور العمال وقيمة الأرض وأرباح الملاك وسائر ما يتصل بذلك من العلائق الاقتصادية والشئون الاجتماعية

هذه هى المشكلة التي تصدى الاستاذ كليلاند لبحثها فى هذا الكتاب ، وهى ولا ريب مشكلة قائمة تستحق التدبر والتدبير منذ الساعة الحاضرة ، ولكننا مع توكيد الحاجة الى حلها نلاحظ أمرين لابد أن يلاحظا فى هذا الموضوع وهما :

أولا — ان الاحصاء على دقته قابل للخطأ الكثير ، والدليل على ذلك الخطأ ماثل فى الكتاب نفسه حيث لاحظ المؤلف ان عدد المواليد فى بعض هذه الاحصاءات بلغ ٥٧١ ٦٨٣ ١٠ وعدد الوفيات ١٣٩ ٩٤٣ ٦ وان عدد السكان بناء على ذلك ينبغي ان يكون ٧٩١ ٠٢٧ ١٥ ولكنه فى الحقيقة لا يتجاوز ٦٨٤ ٢١٧ ١٤ فأين ذهب الفرق وهو يتجاوز ثمانمائة ألف من النفوس ؟

لابد إذن من خلل فى الاحصاء على الرغم من التدقيق والمراجعة

ثانياً — ان البحث فى هذه الموضوعات لا يتم إلا بالمقابلة بين الاحصاءات المتشابهة والاحوال المتماثلة . فاذا عرفنا مشكلة من هذه المشكلات وعرفنا ما نجم عن حلها أو عن اهمال حلها ، فى وسعنا أن نعرف حينئذ كيف نلتمس وجوه الحل قبل استفحاله ، وان نعرف من الجهة الأخرى مقدار ما يتوقف على جهود الحكومة ومقدار ما يتوقف على الموازنات الطبيعية التي لا تقع فى الحسبان ولا تخضع لأوامر الحكومات ، فان للشعوب بنية اجتماعية تقاوم الطوارئ ، وتستعد بما يوازنها كما يستعد الجسم الحى بضروب المقاومة عند مهاجمة المرض أو عند الانتقال من

الى بيئة ، فلا يكفى التعويل على علاج الطبيب دون التعويل على علاج الموازنات الطبيعية فى تكوين الأجسام

وقد أنذر « مالتوس » سكان الأرض بالمجاعة معتمداً على ما لديه من الاحصاءات والأرقام ، أو على ما سماه زيادة الغلات بالنسبة الحسابية وزيادة السكان بالنسبة الهندسية، فجاءت الحوادث بما ينقض حسابه وثبت ان الموازنات الطبيعية لها شأن فى التقريب بين الزيادتين لم يدخل لمالتوس فى تقدير

* * *

لكننا نعتقد ان الكتاب ـ كجميع الكتب النافعة ـ سيفيد فى الغاية التى توخاها المؤلف ، كما يفيد فى غايات شتى لم يشغل باله بها كما شغله بمسألة السكان ومصير العمران

لا ندرى ما هو رأى الاستاذ كليلاند فى المؤرخين الماديين الذين يربطون تاريخ الأمة بطبيعة أرضها وغلات زراعتها وصناعتها وأساليب ريها ومواقعها الجغرافية وما الى ذلك من الظواهر المادية ، ولكننا نرى أنه قد جاء بدليل غير ضعيف على العلاقة بين نظام الرى وأخلاق السكان ومبلغ ما عندهم من الحيوية الجسدية والحيوية الفكرية

فمن رأيه أن هناك علاقة وثيقة بين نظام الصرف والرى وبين جلد السكان على العمل وقدرتهم على المقاومة . فأبناء الوجه البحرى أقل جلداً وأقل مقاومة وكفاحا من أبناء الصعيد ،لأن استفاضة الرى وقلة الصرف فى الوجه البحرى تهيئان الأرض لنمو الديدان وجراثيم الأمراض التى تفتك بجسم الفلاح وأشيعها البلهارسيا والانكلستوما ، وان هذه العوارض ظهرت فى بنى سويف والمنيا بعد أن شملهما نظام الرى السنوى فكثرت الوفيات بين الرجال وساءت الصحة العامة ، وقد كانت الشمس تجفف الارض فى الصعيد كله فى الفترات التى تعرض بين الزراعات فتقضى على الجراثيم وتنقذ أبناء الصعيد من فتك تلك الديدان

وربما كان لذلك علاقة بالاقدام على الهجرة وما اشتهر به أهل الصعيد من البأس والشدة والجلد على الاعمال الشاقة التى لا يصبر عليها أبناء الاقاليم المصرية الأخرى . وعلى هذا يملك زمام الأخلاق والنهضة القومية من يملك زمام الصرف والرى والرقابة الصحية ، ويخلق الاقدام والطموح فى الأمة من يستطيع أن ينشىء فيها نظاما للرى والصرف خيراً وأحكم من نظامها القائم الآن

وعلة أخرى لضعف الطموح والاقدام أن الجمهرة الكبرى من الفلاحين المصريين لا يتناولون من الغذاء ما يسد حاجة الجسم ، وان اكثروا من بعض المواد الغذائية التى لا تمون البنية الحية بجميع العناصر الضرورية . فالغالب فى طعام الفلاحين انه ناقص فى مولدات الحرارة وفى المعدلات لحاجات الجسد من اللحم والشحم والعضل والوظائف المختلفة ، فكأنه منصرف الى وظائف الضرورة دون سائر الوظائف التى تقوم عليها البنية القومية

وهنا أيضا تتوقف عوامل اليقين والارادة والهمة على عوامل القوت والسكنى ، ويبدو لنا

ان تغذية الفلاح بالغذاء الصالح هى حاجة من حاجات مصر النفسية والفكرية ، كما هى حاجة من حاجاتها الجسدية والمادية ، لأنها تلقيح لبنية الامة بلقاح البأس والأنفة وشحذ لما فيها من الطموح والعزة والقدرة على المثابرة فى اعمال الرءوس وأعمال الجسوم

وخلاصة القول ان الكتاب الصغير الذى وضعه الاستاذ كليلاند كتاب نافع بما فيه من الاغراض المقصودة ، ونافع بما يوحى اليه من الاغراض المنطوية فى ثنايا السطور ومضامين الوقائع التى لا يخلو منها فصل من فصوله ولا جزء من أجزائه . وقد ظهر فى أوانه لأنه ظهر فى الآونة التى يشتغل فيها القطر بتحضير الاحصاء الجديد ، وسيكون هذا الاحصاء من دواعى الاهتمام بالموضوعات المشار اليها سواء طابق التقدير المنظور أو خالفه بعض المخالفة فى مقابلات الأرقام

عباس محمود العقاد

أرض مصر وسكانها
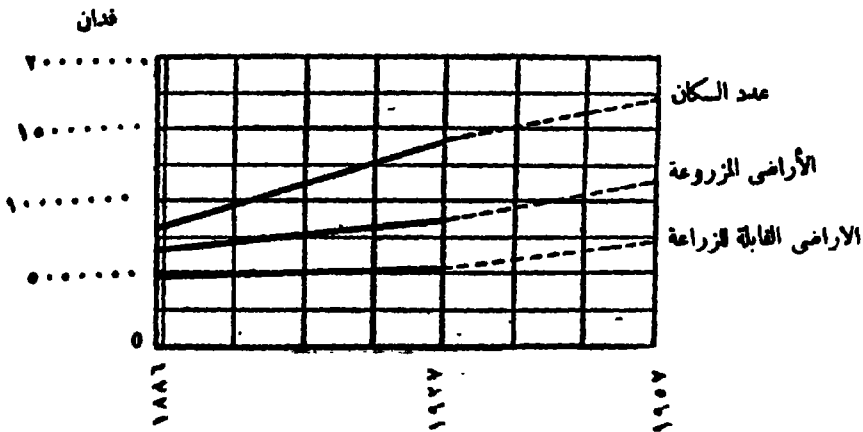
يبين هذا الرسم الذى وضعه الاستاذ وندل كليلند أن أرض مصر تتسع مساحتها بنسبة أقل من نسبة ازدياد سكانها . فترى ثلاثة خطوط : يبين أولها عدد السكان ، وثانيها مساحة الأرض المزروعة ، وثالثها مساحة الأرض الصالحة للزراعة . فنجد أن خط السكان الذى كان قريبا من الخطين الآخرين فى سنة ١٨٨٦ ، أخذ يتباعد عنهما شيئاً فشيئاً دلالة على أن مساحة الأرض لم تتسع بنسبة نمو السكان . فاذا استمر الامر على هذا المنوال فسيأتى اليوم الذى تضيق فيه مصر بأبنائها . إذ كان ما يخص كل مائة فدان من أرض مصر المزروعة ١٢٠ نسمة فى سنة ١٨٨٦ ، فصار ١٤٠ فى سنة ١٨٩٧ ، ١٤٦ فى سنة ١٩٠٧ ، ١٦٦ فى سنة ١٩١٧ ، ١٦٤ فى سنة ١٩٢٧ . وعلى فرض أن جميع أرض مصر القابلة للزراعة أصلحت واستثمرت بعد عشرين سنة ، فسيظل سكان مصر فى حاجة الى أرض جديدة ، أو الى موارد أخرى للرزق ، إذ سيخص كل مائة فدان من الارض المزروعة زهاء ١٥٠ فرداً وهو عدد قلما نجده فى أكثر بقاع الارض ازدحاما

بدأ الانسان دور الانحطاط

وآذنت حضارته بالزوال

هل الانسان الحاضر أقل ذكاء وقوة من الانسان الأول ؟ وهل بدأ النوع البشرى بالانحطاط الذى ينـذر بانقراضه وزوال حضارته ؟. فريق من العلماء يرون هذا الرأى كما نرى فى هذا المقال

يزعم بعض العلماء والفلاسفة ــ وفى مقدمتهم العالم جريجورى أستاذ البيولوجيا بجامعة أمريكا ، والاستاذان فيشر وجالتون من علماء جامعة لندن ــ أن دور انحطاط النوع البشرى قد بدأ ، وأنه بعد بضعة آلاف من السنين ستزول الحضارة ولا يبقى إلا أثر ضئيل . ويزعم الكثيرون ان كلا جسم الانسان وعقله آخذان فى الانحطاط ، فأما انحطاط الجسم وقواه فأمر مسلم به ، إذ المعروف ان المدنية قد أفقدت الانسان قواه البدنية وأضعفت حواسه الخمس وأوهنت الكثير من أعضاء جسمه كيديه ورجليه وأسنانه ، وأذهبت قدرته على تحريك بعض الأعضاء . نعم ان الانسان قد كسب بعض الشىء بازاء ذلك الانحطاط . إذ ارتقى ذكاؤه واتسعت دائرة تفكيره ، ولكن مقدار الكسب لايعادل مقدار الخسارة . بل ان الكثيرين من العلماء ينكرون ذلك الكسب ويقولون ان العقل أيضاً آخذ فى الانحطاط ، وان انحطاطه أسرع من انحطاط الجسم . فاذا لم يوفق العلم الى وسيلة لوقفه ، كان مصير النوع الانسانى وحضارته الى الزوال

كثر علمنا وقل ذكاؤنا

والذى يوهم بعض الناس ان عقل الانسان لا يزال فى تقدم كونهم لا يميزون بين الذكاء والعلم ، وهما أمران مختلفان كل الاختلاف . فالذكاء هو قدرة الانسان الغريزية على التفكير ، والعلم هو ما يجمعه العقل من التجارب والاختبارات . فالانسان الذى كان يسكن الكهوف والمغاور كان له قسط وافر من الذكاء ، مع أن نصيبه من العلم كان ضئيلا تافهاً ، فلم يكن يومئذ يعرف الكتابة والقراءة التى هى وسيلة العلم والمعرفة

وقد كان الذكاء الصفة المميزة للانسان الأول . وهي الصفة التى حرسته وحالت دون انقراضه. كان يعلم ما ينفعه فيقبل عليه ، ويدرك ما يضره فيبعد عنه . أما الآن فمع أنه يعرف أن أموراً [illegible]ة تضره فانه يظل يندفع وراءها ولا يتجنبها

[illegible]جل ، ليس فى استطاعة أحد فى العالم أن يحمل أى حيوان على أكل ما يضره أو شرب

ما يؤذيه ، بل ما من قوة تستطيع ارغامه على أكل أى شىء لا يستطيب طعمه . ومهما يكن من جهل الحيوان فانه لا يعرض نفسه لعوامل الحر والبرد إلا وهو آمن كل ضرر . فلا يخلع فروه ويعرض نفسه للبرد . ولا ينفض عنه وبره لئلا يتعرض للفحة الشمس . ولا يأتى أى عمل يدل على غباوة كتلك التى تدل عليها مئات الألوف من قتلى الحروب بين شعوب البشر ! وهل يتصور العقل أن الحيوانات تفنى بعضها بعضاً بالحرب فتعجل بذلك انقراض نوعها ؟

ورب معترض يقول إن ألوف الاختراعات الحديثة دليل قاطع على ذكاء الانسان . على أن هذه الاختراعات مع ما هى عليه من القيمة وعظم الشأن ليست أدل على الذكاء من اختراع النار والحراثة والزراعة وترويض الحيوانات وصنع أدوات الطبخ وما الى ذلك من الاختراعات التى وفق اليها الانسان الأول ، والتى لولاها ما وجدت الاختراعات الحديثة

اختراع الكلام أفسد أخلاق الانسان

وليس ثمة أى دليل على أن الانسان فى عصوره الأولى ارتكب من الاعمال الجنونية ما يرتكبه فى هذا العصر . أما زعم بعض علماء الاجتماع أن الناس فى تلك العصور البعيدة كانوا فى حروب ومنازعات مستمرة ، فليس لدينا ما يؤيده ، بل بالعكس هنالك قرائن كثيرة تدل على أن الانسان الأول كان مخلوقا وديعاً متواضعاً لا تمتد يده الى أحد بأذية إلا دفاعاً عن نفسه ـ الأمر الذى يثبت أن الحرب ليست غريزية بل هى من مستنبطات الانسان فى أطوار حضارته وهى من علامات انحطاطه

ويذهب العالم «هوبتنول» من أساتذة جامعة كولجيت الى أن أجدادنا الأولين كانوا خالين من صفات الشراهة والأنانية التى يمتاز بها الانسان فى هذا العصر ، وكانوا على جانب عظيم من الدعة والتواضع وطيب الخلق . وكانت علاقة الرجل بزوجته وثيقة جداً وروابط الأسرة متينة بحيث لم يكن يقع أى شىء من الخلاف بين الرجل وأعضاء أسرته

ويزعم الاستاذ جريجورى الذى أشرنا اليه أن انحطاط الانسان العقلى بدأ على الأرجح باختراع الكلام : فان الخلاف بين أفراد الجماعة ظهر بظهور ذلك الاختراع . إذ صار كل فرد يستطيع أن يعبر عما يجول بفكره مما يخالف رأى أخيه الانسان ورغباته . وبعبارة أخرى ان الانسان قبل اختراع الكلام كان يعجز عن اظهار ما يكنه من السخط والغضب ، ولكن ذلك الاختراع مكنه من مخاصمة أخيه الانسان ومن سبه واهانته ، مما أدى الى نشوء الخصومات والعداوات . وكان أكبر عون على ظهور الغرور والأنانية والأحقاد والشرور بجميع أنواعها . ومن دواعى الأسف أن هذه الشرور أصبحت صفة ملازمة للانسان ومنها تفرعت سائر الشرور التى تئن منها الانسانية

ويقول الاستاذ جريجورى إن الانسان الحاضر هو وليد تلك الشرور التى ظل آباؤه يرتكبونها

…وف القرون أى منذ بدء اختراع الكلام . ولا يزال التدهور الخلق مستمراً الى الآن ، … مستمراً مقترنا بالانحطاط الجسمى

قد تعجز المرأة عن التناسل

ويقول النشوئيون إن من علامات انحطاط الجسم التي قد لا يعيرها الكثيرون انتباهاً كون … ان قد بدأ يفقد بعض أسنانه ولا سيما سن الحكمة . ويظهر ان مصير هذه السن الى الزوال … الفك يضعف ويصغر شيئا فشيئا بحيث لن يبقى فى المستقبل مكان لنمو تلك السن . أضف الى … أن عظام الوجه آخذة فى الضعف لان الانسان لا يستعمل اليوم فكيه كما كان يفعل أجداده … عصور الأولى ، بل ان حجم الرأس نفسه آخذ فى الكبر بخلاف بقية أعضاء الجسم . وقد يكون … هذا انقراض النوع البشرى . فانه اذا استمر الرأس يكبر حالة كون تجويف حوض المرأة … ص ، فقد يجيء يوم يتعذر فيه على المرأة أن تحمل وتلد ، إلا اذا وفق العلم الى استنباط وسيلة … ب على تلك الصعوبة . وفى الواقع أن تجويف الحوض يثبت لنا أن جمجمة الجنين وهو فى … أمه آخذة فى الكبر حالة أن تجويف الحوض آخذ فى التقلص

وهذا يحملنا على أن ننظر الى وجهة أخرى من هذا الموضوع ، ونعنى بها انحطاط النوع … انى واشرافه على الانقراض بسبب قلة النسل . فالاحصاءات الدولية كلها تدل على أن النوع … انى آخذ فى الانتحار عن طريق تناقص النسل . ومن دواعى الاسف أن هذا التناقص هو … شده فى الشعوب المفروض أنها زعيمة الاجتماع والمشرفة على الحضارة الحاضرة . بل فى الاسر … وقع منها الناس أن تنجب كبار الزعماء وقادة الفكر

… اذا ظل غول هذا التناقص مطلق السراح افضى ذلك الى انحطاط المستوى العقلى . وهذا ما … ال علماء الاجتماع فى هذا العصر ويقض مضجعهم . ويزيدهم قلقاً على قلق أن الشعوب التى … ف بأنها أرقى فى قواها العقلية من غيرها هى أكثر تناقصاً فى النسل من غيرها ، فكأن الرقى … وتناقص النسل يسيران معاً جنباً الى جنب

… قول الاستاذ رونالد فيشر ، وهو فى طليعة فلاسفة هذا العصر ، ان النسل آخذ فى النقصان … أوربا وأميركا بحيث نخشى أن لا تنجب الاجيال القادمة عدداً من النوابغ يكفى لانقاذ … من الانحطاط . نعم قد يكون هذا التناقص أبطأ فى الولايات المتحدة منه فى غيرها ، ولكن … قرائن تدل على أنه لن تنقضى عشرون سنة أخرى حتى تصبح تلك البلاد كغيرها من … وربا ، إذ يصبح تناقص النسل فيها واضحاً سريعاً . وغنى عن البيان أن التناقص فى الوقت … يتناول نسبة المواليد فقط لا عدد المواليد الحقيقى . ولكن اذا سارت الأمور على هذا … سيتناول النقص عدد المواليد أيضاً . وبعبارة أخرى ان الزيادة فى عدد السكان فى الوقت

الحاضر بطيئة جداً فى انجلترا وأميركا وفرنسا وألمانيا والبلجيك وفى جميع بلاد السكندناف ، التى تعتبر مهد النوابغ والعظماء . فتناقص النسل فيها حادث على أعظم ما يكون من الشأن إذ لا يمكن أن يفضى الا الى نتيجة واحدة وهى انهيار صرح الحضارة واندثار آثار المدنية الحاضرة

هل يقفر المستقبل من النوابغ ؟

وإذا درسنا احصاءات المواليد في مختلف الطبقات وقابلنا بعضها ببعض ثبت لنا أن تناقص المواليد بين الذين يزاولون المهن الراقية هو أعظم منه بين أصحاب المهن الوضيعة والاعمال المنحطة ، وكلما كانت الاسرة ممتازة بالذكاء والنبوغ كان نسلها أقل . فكأن الخاصة تمتنع عن كثرة التناسل حالة كون العامة تطلق لنسلها العنان . والاحصاءات كلها تؤيد هذه الحقيقة وتثبت أنه كلما صعد الانسان درجة فى سلم الحضارة هبطت نسبة مواليده ونقص نسله . وهى ظاهرة عامة تدعو إلى كثير من القلق . ومغزاها أن الفلاسفة والعلماء والاطباء والمهندسين والمحامين والمؤلفين والكتاب ـ جميع هؤلاء آخذون فى التناقص،وسيظل نسلهم يقل الى أن يندثر أثرهم اندثاراً تاماً. والشعور العام عند جميع المتعلمين فى هذا العصر هو أن مقتضيات المعيشة اليوم كثيرة باهظة فليس من الحكمة أن يزيد الانسان فى اعبائها باكثاره من النسل

ولو أن التناقص كان فى نسل الطبقات المنحطة لكان الأمر يدعو الى الارتياح . أما وهو على أشده فى الطبقات الراقية فالمصيبة كبيرة جداً . لأن الذكاء والنشاط والاخلاق ومقتضيات الزعامة ومكملات العظمة ـ جميع هذه الأمور تنتقل من جيل إلى جيل بالوراثة ، فاذا نقص النسل ، حال ذلك النقص دون ظهور الابطال والنوابغ . نعم ان العالم سيظل ينجب النوابغ والعظماء مدة بضع مئات أخرى من السنين ، إذ لا ينتظر وقوع الكارثة إلا بعد انقضاء بضعة آلاف من السنين ولكن المسألة هى مسألة زمن فقط ، ولا بد لصرح الحضارة من الانهيار عاجلا أو آجلا إلا اذا وفق العلم الى استنباط وسيلة تحول دون تلك الكارثة . على أن المشكلة العظمى ليست فى الاحتفاظ بنسبة المواليد من النوابغ والمتعلمين ، بل فى السعى لزيادة تلك النسبة ، وفي الوقت عينه ، السعى لتقليل نسل الذين ليس للاجتماع مصلحة فى وجودهم ، والاحتفاظ بنسبة مواليد المتعلمين انما يمكن اذا ذللنا الصعاب المالية والاقتصادية بحيث لا تكون كثرة النسل عبئاً ثقيلا

وقد سعت بعض الحكومات الى معالجة تناقص النسل على وجوه شتى تبشر بكثير من النجاح. واكثرها يقوم على الترغيب فى الزواج ومنح الاعانات المالية لمن يجاوز نسلهم عدداً معينا ، مع اعفائهم من الضرائب ومنحهم امتيازات خاصة فى أماكن عملهم . ومن حسن الحظ أن القرائن تدل على أن الحكومات سائرة سيراً حثيثاً فى طريق حل هذه المشكلة فاذا انتهت الى حل نهائى لها أمكن اجتناب الكارثة التى تهدد الحضارة اليوم وتنذر بانهيار صرحها

...ياه السكر في الدم والبول ، لان بانتنغ كان يكاد لا يعرف شيئاً . ولعلَّ جهل هذين الباحثين ، ...اول باعث من بواعث نجاحهما ، حيث اخفق الآخرون لشدة تقيدهم بما عُرف

أخذ بانتنغ الكلاب العشرة وبقر بطونها ، وربط قنوات الغدد الحلوة فيها ، فنجحت ...يات لانهُ كان جرّاحاً بارعاً . وانقضت سبعة اسابيع او ثمانية عليها وهو ينتظر . وفي اليوم ...س من شهر يوليو سنة ١٩٢١ ، أخذ كلبين من الكلاب العشرة وكانت كلتاهما مرحة لم يؤثر ...بقر البطون ولا ربط القنوات، وخدَّرها بالكلوروفورم وبقر بطنيهما ثانية ، منتظراً ان يرى ...ة في كلٍّ منهما ، وقد ضمرت وحالت ، بحسب نظريتهِ فوجدها على حالتهما الطبيعية . سبعة ...يع قد ذهبت عبثاً ، وليس في التجربة ما يدل ايسر دلالة على صحة ما احسَّ بصحتهِ . ثم ما لبث ...تبيَّن لهُ انهُ قد شَدَّ رباط القنوات، فحدثت فيها غنغرينا ، ثم نمت الطبيعة قناة اخرى ، صرفت فيها ...زات الغدَّة . فأقبل على الكلاب الاخرى وبقر بطونها ، فوجد ان رباط القنوات لم يكن شديداً كما كان في الكلبين السابقين، وبحث فيها فوجدها قد ضمرت حتى لكاد يتعذَّر عليهِ ان يجدها ...كان مكلود قد سافر الى اوربا ، ليزور معاهد العلم او ليتنزَّه ، ومن مفاخره انهُ لم يأمر بطرد ...ن من الجامعة اذا انقضت الاسابيع الثمانية ولم يفز بضالتهِ . وما كان بست يملك مالاً فاقترض ...بانتنغ . أما كيف كان بانتنغ يعيش فأمر قد يظل من مطويات تاريخ العلم الحديث

وأخيراً اقبل اليوم المشهود ، يوم ٢٧ يوليو ١٩٢١ . كان بانتنغ قبل تسعة ايام قد تناول كلباً ...تل منهُ الحلوة وترك الكلب يتغذَّى غذاء عاديًّا كسائر الكلاب . ولكنهُ اخذ يهزل ويضعف ، ...ار شديد الظماء ، شديد الجوع ، فلما قيس مقدار السكر في دمه ، تبيَّن انهُ كبير ، حتى ليصح ان ...ل ان دمهُ كان في اليوم الثامن واليوم التاسع اشبه شيء بشراب سكَّري كثيف قاتم . وعجز الكلب ...لنهوض ، وعن تحريك ذنبه ، لشدة ما ضعف وهزل . ذلك ان جسمهُ ، وقد استلت منه الغدَّة ...ة عجز عن حرق السكر فتجمَّع في دمه . وكان السكر الذي يسقاه شراباً لتغذيتهِ ينصرف مع ... ، لا يستطيع ان يستفيد منه شيئاً . وكان في صباح يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٢١ على وشك الموت

اقبل بانتنغ ومعهُ كلب من الكلاب التي ربطت قنوات غددها الحلوة فوضعهُ على المشرحة ...ق بطنهُ واستلَّ الغدَّة الحلوة الحائلة وناولها الى بست ، فهرسها في قليل من ماءٍ ملحٍ بارد ثم ...ساها ، ووضعها في الحقنة وحقنها في وريد الكلب الذي يوشك ان يموت . وجلس الاثنان ...ظران ساعة مرَّت كأنها دقيقة. كان بانتنغ يرقب الكلب ، فاذا هو يرى دلائل النشاط تدبُّ فيهِ . ...ذ قليلاً من دمهِ ، واعطاهُ لصديقهِ بست ، في غرفة اخرى، ليفحص ما فيهِ من السكَّر ، وقد كان ...س كالشراب السكري ، فاذا المساعد بست يصيح بان مقدار السكَّر قد هبط الى الصفر . واذا ...ب يرفع رأسهُ اولاً ، ثم ينهض وهو يهزُّ ذنبهُ ويمشي مترنحاً . ولكنهُ واقف ، ويمشي على كل ...كان الله السكر ، قبل ساعة ... في جسمه ... ولا يستطيع الكلب ...

هل أنقذت مسز سمبسون بريطانيا ؟

يقول الدكتور آرثر فرانك باين : نعم !

أستاذ علم النفس بجامعة نيويورك

[لعل الناس جميعاً يرون أن مسز سمبسون قد أساءت الى بريطانيا حين حرمتها ملكا له جرأة الشباب وطموحه ، وله عقل الرجولة ورزانتها . ولكنا نثبت هنا خلاصة الرأى الذى انتهى اليه الدكتور آرثر فرانك باين بعد أن تقصى نفسية دوق وندسور دراسة وتحليلا ، فاستنتج أن مسز سمبسون قد أسدت الى بريطانيا جيلا جزيلا]

لولا هذا الحب الذى نشأ بين دوق وندسور ومسز سمبسون فأخلصا له وصدقا فيه معا ، لكان على انجلترا أن تواجه اليوم عهداً عصيباً ينضاف الى تلك العهود التى ألقى فيها زمامها بين يدى ملك مجنون . . !

وما من شك فى ان ملك انجلترا السابق قد ظل طوال حياته متزناً رزيناً فى تصرفه وتفكيره . ولكن جاءت عليه فترة توفرت فيها الدلائل التى تؤذن بأنه قد أشرف على اضطراب عنيف يتهدد عقله وأعصابه . وإنى على ثقة من أن الفضل فى انقاذه من الهوة التى كاد يتردى فيها انما يرجع الى التى فتحت قلبه فوهبها إياه . . فقد أثبتت مسز سمبسون أنها « الدواء النفسى » الناجع الذى كان يلزم الملك ادوارد لينقذه من هذه « العقدة النفسية » التى وجهت تفكيره وشعوره وجهة مرتبكة مضطربة ...

***

كيف استطاعت سيدة تزوجت وطلقت مرتين ، وجاوزت نضارة الصبا وغضارة الشباب ، أن تنفرد دون نساء العالم جميعا بقلب هذا الرجل الذى كان فى وسعه أن يختار من يشاء من أشهر الأميرات وأجمل النساء ؟ يجيب علم النفس عن هـذا السؤال بأن مسز سمبسون قد استطاعت أن تعطى ادوارد العنصر الذى كان فى مسيس الحاجة اليه ، وهو « حب امرأة ناضجة عقلا ناضجاً » . واستطاعت بهذا أن تظفر بقلبه أولا ، وان تنقذه وتنجيه ثانيا ، وأن تحمله على ايثارها على العرش والتاج ثالثا ...

يبلغ دوق وندسور زهاء ٤٣ عاماً ، ولا تقل عنه مسز سمبسون بأكثر من سنتين . وإذاً فهما فى نظر علم النفس لا يحققان النسبة التى تشترط بين عمر الرجل وعمر المرأة ، كى يكون التوافق بينهما تاماً وثيقاً . وهذه النسبة تقتضي أن يكون عمر المرأة نصف عمر الرجل مضافا اليه سبع

سنوات . فالمرأة التي يرشحها علم النفس لدوق وندسور يجب أن تكون في الثامنة والعشرين من عمرها ، ولكننا لو تقصينا شتى النواحي التي تحيط بهما ، ولو رجعنا إلى مجرى حياة كل منهما ، لوجدنا أن بينهما من التوافق ما لا يدع لهذه النسبة في الأعمار شأناً ما

فقد ظل دوق وندسور أربعين سنة قبل ولايته العرش وهو يتوق الى الحرية ويتمناها، دون أن تتاح له الوسائل اليها . فبقي هذه السنوات الطويلة مثقلا بأعباء التقاليد ، مكبلا بأغلال الملكية. فقد ولد ليتولى عرش الأمبراطورية البريطانيـة ، فوجب أن يكيف حياته ويشق مجراها وفق ما يقتضيه هذا المستقبل ، لا حسب ما يريده ويختاره . ولهذا كان عليه أن يخضع للقواعد المرسومة والتقاليد المرعية ، في كل كلمة ينطقها وكل عمل يؤديه ، وسواء كان في ساعة الجد أو في ساعة الهزل ، وسواء كان منفردا في قصره أو وسط جمهرة من الناس ، حتى أصدقاءه وأوصياءه لم يكن له أن يختارهم وفق ما يريد ، بل كانوا يفرضون عليه فرضاً دون النظر الى آرائه الشخصية . وقد كان أبوه شديد التمسك بالتقاليد المألوفة ، شديد المحافظة على القواعد الرسمية ، واشتهرت أمه بإيثارها كل قديم من العادات والأوضاع ، بل ومن الأزياء ، حتى انها أبت أن تغير زي قبعتها القديم حتى اليوم !

وإذاً فكل من حوله ، من أب وأم وأصدقاء ، مسير وفق تقاليد ما أشد كرهه لها ، وما أشد رغبته في القضاء عليها . فلا عجب ان كان عقله موضع صراع عنيف بين ما يريد وما يراد له ، بين الحياة التي يصبو اليها والحياة المفروضة عليه كرها . ولا جرم بعد هذا ان تولدت في قرارة نفسه « عقدة » وجهت أفكاره ومشاعره منذ السنوات الأولى . ولو حللت تصرفات دوق وندسور تحليلا نفسيا لظهرت آثار هذه العقدة النفسية الدقيقة بادية واضحة

فقد أصيب منذ صغره بعيّ في لسانه يجعله يتمتم ويدمدم قبل أن يستطيع النطق باللفظة . وعند ما شب وبلغ سن الرجولة كان يوصف دائما بأنه « شرس نافر » ، إذ كان يأبى أن يستقر ويستكن ، ويهم بأن يتمرد ويثور ويحطم . وكان كثير التردد على منتديات الليل مخالفا بذلك القواعد التي أراد أبواه أن يقيما عليها حياته ومستقبله . وان سعيه وراء الهزل والمزاح ، وبهذه الروح العابثة الغريرة ، ليس إلا دليلا على تلك « العقدة » التي يحسها في قرارة نفسه ، والتي كان يجهد في مقاومتها والتخلص منها

وأعتقد اعتقاداً راسخا أنه عندما بلغ سن الخامسة والثلاثين ، أشرف على الغاية التي كان يخشى عندها أن تضطرب أعصابه وتختل قوى تفكيره ، فكنت أتوقع حينذاك أن تؤدي به هذه العوامل النفسية التي تستقر في خبايا نفسه الى تلك الوهدة التي وقف يتأرجح على حافتها

***

ثم ... ثم التقى بمسز سمبسون سنة ١٩٣١ هذا اللقاء الذي غير وجه التاريخ تغييراً لا يدركه

[illegible]ن يدرس هذه السيدة دراسة نفسية دقيقة يتبين منها قدر تأثيرها فى الرجل الذى بادلته الحب [illegible]خلفه هذا التأثير من نتائج تاريخية خطيرة

لقد أولته حبا ناضجا يستطيع أن يكيف عواطفه ويوجهها ، ويستطيع أن يدرك عقباته [illegible]لها . حبا صقلته التجارب وأنضجته الأيام ، ثم أوقدته روح تريد أن تلتهم الحياة وتنعم بلذائذها [illegible]لء من مباهجها

ان الفتيات اللاتي لم يجاوزن الخامسة والعشرين ، لا يستطعن أن يحببن الرجل هذا الحب الناضج [illegible]اف ، ولهذا فقلما يرضى بهن من يضيق بالعبث والهزل والخفة ، كما ان هؤلاء الفتيات الناشئات [illegible]يصبرن على جد الرجال ورزانتهم ، فلا يلبث حبهن أن يذوى ويزول . أما المرأة التى تتقدم بها [illegible]ن فتنضجها الأيام ، فهى التى تستطيع أن تزن الأمور بميزانها الصحيح ، وتستطيع بهذا أن [illegible]م للرجل ما يفتقده ويفتقر اليه . والواقع أن المرأة فى الاربعين من عمرها ، اذا كانت ذات [illegible]اء وفطنة ، كانت أقدر من الفتاة على فتنة الرجال

ثم ان المرأة فى هذه السن تمتاز بفضيلة الايثار التى تدفعهــا الى ألا تقصر تفكيرها على نفسها [illegible] الفتاة الغريرة ، بل توجه أكثره الى الرجل الذى تحبه . ولا تجد المرأة القدرة من نفسها على [illegible]ل الرجل والتملق اليه الا بعد أن تجاوز الخامسة والثلاثين ، أما وهى دون هذا فانها تقف فى [illegible]يها على زعم أن الرجل لابد أن يسعى اليها مدللا متملقاً . وإنى أرى أن فضيلة الايثار التى يعمر [illegible]قلب مسز سمبسون هى التى مكنتها من امتلاك قلب ادوارد ومكنتها من أن تذلل له صعابه وتهون [illegible] آلامه . بل إنى واثق من أنها قد استطاعت بها أن تنسيه تلك العقدة التى كانت تهدد عقله [illegible]صابه بالضر والأذى

ولقد بدا على ادوارد عقب أن اتصل بمسز سمبسون روح جديد من الامل والعزم والنشاط [illegible] فيما غيره من عاداته فى الاكل والشرب والتدخين تغيراً يدل على اطمئنانه الى حياته ومستقبله ، [illegible]وء ثائرته واستقرار تفكيره . وهكذا تخلص من هذه العوامل التى كانت تجهد قواه العقلية [illegible] فيها ، وتولدت فيه قوة جديدة جعلته يقبل على العرش فى ثبات وطموح . ويخيل إلىّ أن [illegible]لاقبال على العمل وعلى الحياة انما جاء من رغبته فى أن يوفق وينجح ليظهر بذلك أمام المرأة [illegible]حبها كفئا وأهلا لها

[illegible]فى كل سيدة روح أمومة تجعلها تنظر الى حبيبها نظرة الام الى ابنهــا . والرجل يحب فى [illegible] نفسه أن ترعاه حبيبته وتدلله ، فان المرأة التى تفهم الحب حقا هى التى تشعر الرجل بأنها [illegible]زلة الأم ، فلا تبخل عليه بالرعاية والتدليل . ولـكن هذه الروح لا تظهر فى المرأة واضحة [illegible] يتراوح عمرها بين الخامسة والثلاثين والخامسة والاربعين . ولا شك فى أن مسز سمبسون [illegible]حبيبها روح الامومة هذه ، فانهما فى حديثهما معاً تناديه باسم « ديفى » فتذكره بأيام طفولته

التى عرف فيها ما عرف من السعادة حين كانت تدلله أمه وتداعبه باسم « إد » أو « إيدى » . .

أضف الى هذه الدلائل التى تنبىء عما بلغته مسز سمبسون من « نضج » لا يتيسر لفتاة ناشئة ، دلالة أخرى هى تطليقها زوجها من أجل حبيبها . فقد دلت الاحصاءات على أن أكثر حوادث الطلاق تقع بعد أن تجاوز المرأة سن الخامسة والثلاثين ، أى حين « تنضج » روحها وعقلها ، فتتراءى لها حياتها الراهنة أضيق من أن تتسع لها وأقل من أن تتكافأ معها . وهكذا نجد مسز سمبسون تمل زوجها الذى قبلته وأحبته وهى فى غرارة الصبا والشباب ، لتسعى وراء حياة جديدة تلائم هذا النضج الذى بلغته

والرجل ، بعد هذا ، اذا رق شعوره وصدق احساسه ، آثر المرأة الناضجة على الفتاة الغريرة . ولهذا نجد كثيراً من نوابغ الفنانين لا يستوحون فى رسومهم الا هذه المرأة الناضجة ، إذ يرونها المثل الأعلى للحب والجمال ، ويلمسون فيها صدق الأنوثة وقوتها . ولهذا كان كثير من الصور الفنية الخالدة نماذج حية للنساء الناضجات ، كما ترى فى « مدالينا دونى » لرفائيل ، « ولوكريزيا » لبرونزينو ، « وفلورا » لتيتيان

واذاً فبفضل هذا النضج استطاعت مسز سمبسون حين جاء ادوارد الى ذلك المركز الحرج الذى استحال عليه أن يجمع بين العرش والمرأة التى يحب ، أن تنقذه من هذا العرش الذى لو بقى عليه محروما من الحب لتعرض لاخطار تصيب عقله وأعصابه ، وأن تجعله فى الوقت نفسه يعتقد أنه سلك الطريق القويم واختار النصيب الأوفى حين رجح كفة القلب على كفة العرش

والخلاصة أن دوق وندسور قد وجد فى مسز سمبسون العنصر الذى كان ينقصه ، وهو هذا الحب الناضج الذى تقدمه امرأة تعرف ما هو الحب بفضل ذكائها وفطنتها وتجاربها ، فأنقذته من هذا الاضطراب الذى كاد يلم بتفكيره وشعوره ، وأنقذت بذلك بريطانيا من أن تواجه دوراً خطيراً كذلك الذى واجهته فيما مضى حين تولى عرشها ملوك كانت الاطياف تلم بعقولهم

الدرس الأخير

قصة وطنية على لسان
تلميذ من أبناء الالزاس فى
أثناء الاحتلال البروسى

لألفونس دوديه

فى صبيحة ذلك اليوم تأخرت كثيراً فى الذهاب الى المدرسة ، وكنت شديد الخوف من
بيخ ، فضلا عن أن المعلم المسيو هاميل كان قد أخبرنا بأنه سيسألنا فى أسماء الأفعال ولست
ف منها حرفاً . وقد خطر لى فى لحظة من اللحظات أن أتغيب عن الدرس وأن أمضى سبيلى
الحقول

وكان الجو عظيم الدفء والاشراق

وكان صفير الشحارير مسموعا فى طرف الغاب . ومن وراء منشر الأخشاب فى روضة ريبرت
الجنود البروسيون بتمارينهم العسكرية . كل هذا كان أشد استهواء لى من قواعد أسماء
ال . ولكننى قويت على المقاومة وسعيت جاداً الى المدرسة

وفى مرورى أمام دار العمدة أبصرت خلقاً وقوفا الى اللوحة المشبكة الصغيرة التى تلصق عليها
ات . وما زالت من سنتين تجيئنا من هناك أخبار السوء جميعاً ، من هزائم واستدعاءات
وأوامر للقيادة . فقلت فى نفسى دون توقف عندها :

— ترى ماذا جد أيضاً ؟

مضيت أجتاز الميدان مهرولا . وكان ثمة وشتر الحداد مع صبيه يقرأأن الاعلان فصاح بى :

— لا تكلف نفسك هذه العجلة كلها يا بنى ! فانك بعد واصل فى فسحة من الوقت
رستك

تقدت أنه ساخر بى ، وبلغت الى فناء المدرسة مبهور الأنفاس

عتاد فى أوائل الدرس أن ترتفع ضجة يسمعها من فى الشارع من قرقعة الأدراج فتحاً واغلاقا ،
التلاميذ باستذكار الدرس ، وقد وضعوا أصابعهم فى آذانهم عونا لهم على الاستظهار ،
المعلم بالمسطرة الكبيرة على الناضد :

خفضوا الصوت قليلا !

كنت معتمداً على هذا الزياط لبلوغ مقعدى غير ملحوظ . إلا أنه فى ذلك اليوم بعينه كان
شاملا كل شىء كأنه يوم البطالة . ومن خلال النافذة المفتوحة أبصرت أترابى التلاميذ

وقد انتظموا فى عالمهم ، والمعلم السيو هاميل يروح ويجيء ومسطرته الحديدية الفظيعة تحت ابطه . وكان على أن أفتح الباب وأدخل فى وسط هذه السكينة الشاملة . ولك أن تتصور خجلى وإشفاقى

ولكن ، لا . فقد رمقنى السيو هاميل غير ساخط . وقال لى بمنتهى اللطف :

— فرانز : أسرع يا بنى الى مكانك . لقد كنا على وشك البدء من دونك

وامتطيت المقعد وجلست فى الحال الى درجى . وعندئذ ، وبعد أن سكن روعى وقر بالى ، لحظت أن معلمنا يرتدى كسوته الرسمية الخضراء وقميصه ذا الأثناء الرقيقة وسرواله الحريرى الأسود المطرف الذى يدخر لبسه لأيام التفتيش أو توزيع الجوائز . وفضلا عن ذلك فانه كان على الدرس كله شيء من الغرابة والمهابة . على أن الذى أدهشنى أشد الدهش أنى أبصرت فى آخر القاعة فى المقاعد المعتاد خلوها أناسا من البلدة جلوساً مثلنا صامتين بينهم الشيخ هوسر بقبعته المثلثة الأركان ، والعمدة السابق ، وساعى البريد السابق ، وآخرون . وكانت عليهم سيماء الحزن أجمعين وقد حمل هوسر معه كتابا فى الهجاء ومبادىء القراءة عتيقاً متآكل الأطراف جعله مفتوحاً على ركبتيه وعويناته الكبيرة موضوعة بين صفحاته

وفيما أنا من هذا كله حائر مذهول ، ارتقى السيو هاميل الى منصته ، ثم قال باللهجة الحلوة الرصينة التى استقبلنى بها مخاطباً لنا :

— يا أبنائى ، هذه هى المرة الأخيرة التى تحضرون لى فيها درساً . فقد صدر الأمر من برلين ألا تعليم لغير اللغة الألمانية فى مدارس الالزاس واللورين ... وسيحضر المعلم الجديد غداً . ودرس اليوم هو درسكم الأخير فى الفرنسية . فأرجو أن تحسنوا الالتفات

بلبلت هذه الكلمات خاطرى . آه للأشقياء ، هو ذاك منشورهم فى دار العمدة

وبعد ، فهذا درسى الأخير للفرنسية !...

وكيف ، وأنا الذى لا أكاد أقيم كتابتها ! ليس لى إذن الى التعلم سبيل ! لقد قضى على إذن بالبقاء حيث أنا . . . لشد ما أندم الساعة على ما فاتنى ، على وقت ضيعته ودروس غبت عنها للعبث بأوكار الطير أو الانزلاق على جليد السار ! ثم كتبى التى كنت منذ لحظة أجدها مملة ثقيلة الحمل ، من أجرومية وتاريخ مقدس ، هى الآن منى بمنزلة الأصدقاء القدماء يشق على فراقها . وكذلك السيو هاميل . فان تفكيرى فى ذهابه ، وانى لن أراه بعد اليوم ، لينسينى قصاصه وضربات مسطرته

مسكين هذا الرجل !

لقد ارتدى ملابس يوم الأحد القشيبة اكراما لهذا الدرس الأخير . والآن أدركت السبب فى حضور شيوخ البلدة وجلوسهم فى آخر القاعة . وكأن فى هذا معنى ندمهم على عدم التردد كثيراً هنا ، كما انه بمثابة الشكر لمعلمنا على خدماته الطيبة مدى أربعين سنة ، وتشييعاً منهم للوطن الفقيد ...

وبينا بلغت فى تفكيرى الى هذا ، اذا بى أسمع مناداة باسمى . هذا دورى فى التسميع . لعمرى لقد كان كل شىء يهون علىّ فى تلك اللحظة لو أعطيت لى القدرة على تسميع هذه القاعدة المتنوعة لأسماء الأفعال كراً بصوت جهورى وافصاح مبين ومن غير هفوة . ولكننى عييت وتلعثمت علىّ الأمر من أول حرف . وبقيت واقفاً أتملل فى موضعى وقلبى مفعم غماً ، وأنا لا أجرؤ على رفع رأسى . ورن فى مسمعى صوت المسيو هاميل يقول :

— لا تخش منى تبكيتاً يا فرانز ، يا بنى ! حسبك ما أنت فيه عقابا . . وهذه واقعة الحال . يقول الواحد منكم كل يوم : « دعك ! لايزال عندى متسع من الوقت . سأحفظ درسى غداً . ومن ثم فأنت ترى ما قد جرى . . أواه ، انما البلاء الاعظم فى بلدنا الالزاس إرجاء أمر التعليم فيها الى الغد . والآن يحق لهؤلاء القوم أن يقولوا لنا : ما بالكم تدعون انكم فرنسيون ، وأنتم لا تعرفون الكلام والكتابة بلغتكم ! .. ولست يا فرانز المسكين بأكبرنا ذنباً فى هذا كله ، فلكل منا نصيبه الأوفى من اللائمة والتعذير

« فان آباءكم لم يحرصوا الحرص كله على تعليمكم.وكانوا يؤثرون أن يبعثوا بكم لفلاحة الأرض أو الى مصانع الغزل ليحصلوا على بضعة دريهمات . وأنا نفسى ، أفيعدوننى اللوم ؟ أو لم أكلفكم غير مرة برش حديقتى بدلا من العمل المدرسى ؟ ولما كنت أرغب فى صيد السمك ، اكنت أتحرج فى اباحتكم فى الانصراف ؟ . . »

واستطرد مسيو هاميل بعد هذا وذاك الى الحديث عن اللغة الفرنسية ، فقال إنها أجمل لغات الدنيا وأنصعها بيانا وأجزلها ديباجة . وإن الواجب حفظها فيما بيننا وعدم نسيانها ، لأن الشعب الواقع فى الأسر اذا ما استمسك بلغته فانه قابض على مفتاح سجنه . ثم تناول كتاب الأجرومية وتلا علينا درساً . وقد أدهشنى حسن فهمى له . وظهر لى ما قاله كله سهلا ، جد سهل ، وأحسبنى أيضاً لم أك فى يوم من الأيام إصغائى له وقتئذ ، وانه لكذلك لم يتسع صدره ويطل باله ويتأن فى شرحه مثل اناته اليوم . حتى ليخيل اليك أن المسكين يريد قبل ذهابه أن يودعنا كل علمه وأن يفرغه فى رءوسنا دفعة واحدة

ولما انتهى درس الأجرومية انتقلنا الى الخط . وقد أعد لنا المسيو هاميل فى هذا اليوم نماذج من الكل الجدة مكتوبا عليها بالخط الثلث الجميل : فرنسا ، الالزاس ، فرنسا ، الالزاس . فكانت معلقة فى أركان تخوتنا أشبه بالأعلام الصغيرة ترفرف حول قاعة الدرس . وناهيك بانكباب التلاميذ على الكتابة فى سكون وأى سكون ، لا تسمع فيه الا صرير الأقلام على الورق . واذا بهوام الحديقة تتطرق الى قاعة الدرس ، ولكن أحداً لم يلتفت اليها ، حتى الاولاد الصغار المنكبين يرسمون خطوطهم المستقيمة بحب وذمة كأن هذه أيضاً لغة فرنسية . وكانت على سقفها الحمائم تسجع بهديل خافت . فقلت فى نفسى وأنا منصت اليها :

— أترى سيضطرونها هى أيضاً على التغريد بالالمانية ؟

وكنت كلما رفعت ناظرى من حين الى حين من القرطاس أبصرت المسيو هاميل جامداً فى منصته شاخصاً الى الاشياء التى حوله كأنما يريد أن يحمل فى مقلتيه دار مدرسته الصغيرة . . . تصوروا ! انه هنا منذ أربعين عاما فى نفس المكان وهذا الفناء تجاهه وقاعة الدرس على حالها . وقصارى الامر أن المقاعد والتخوت اليوم مقشورة معروكة لطول الاستعمال . وأشجار البندق فى الفناء قد زكت وطال فرعها ، وحشيشة الدينار التى غرسها بنفسه تطوق الآن النوافذ وتكللها حتى السقف . وانه لما ينفطر له قلب هذا الرجل المسكين وتتصدع كبده أن يفارق هذه الاشياء وأن يطرق سمعه فى هذه الساعة وقع اقدام أخته جيئة وذهابا فى الغرفة التى فوقه تعد الحقائب وتغلقها . فهو مقهور على الرحيل فى الغد والخروج من البلاد الى حيث لا يعود

ومع ذلك كله قضت شجاعته بالتدريس لنا حتى النهاية . فبعد الخط كان درس التاريخ ، وبعده ردد الصغار معاً نطق الحروف : با ، بو ، بى . وهنالك فى آخر القاعة وضع الشيخ هوسر عويناته وأمسك كتاب الهجاء بكلتا يديه وجعل يتهجى معهم . وظهر لنا أنه هو أيضاً عاكف على الدرس . وكان يتهجى بصوت متهدج من التأثر ، وكان من غرابة الوقع فى سمعنا بحيث كدنا نضحك ونجهش بالبكاء

آه ! ما أنس لا أنس هذا الدرس الاخير

وعلى حين فجأة دقت ساعة الكنيسة مؤذنة بحلول الظهر . وفى نفس اللحظة جلجلت أبواق البروسيين وهم عائدون من تمارينهم العسكرية يمرون تحت نوافذنا . فهب المسيو هاميل فى منصته شاحباً شديد الشحوب . وما رأيته قط أفرع قامة . وقال :

— اخوانى ، اخوانى ، انى . . ، انى . .

ولكنه غص واختنق صوته ، ولم يستطع اتمام كلمته

فالتفت الى السبورة وتناول قطعة من الطباشير فاعتمد عليها بكل قواه وكتب اكبر ما استطاع:

« لتحى فرنسا »

ثم بقى حيث هو ، مسنداً رأسه الى الحائط وأشار بيده من غير أن يتكلم : انتهى .. انصرفوا

ترجمة (ع . ص)

وذا الآن يسقى الماء المسكّر ، فيتناول الجسم سكّره ويحرقهُ ، ويستمدّ منهُ النشاط ...
لن الكلب مات في اليوم التالي !

— ٣ —

من كان ينتظر دوام هذه العجيبة ؟ كلّ ما فعلهُ بانتنغ وصاحبهُ ، انما هو حقن قليل من
ـوة كلب آخر كانت قد ربطت قناتها في دم كلب سُلّت منهُ حُلْوتهُ . حدّق بانتنغ بيست
ـه ان يقول انهُ وقد التوى غصن النصر في يديهما ، لا يرى انهما قد فازا بشيءٍ عمليّ ، اذ من
عذّر ان تضحي بعشرات الكلاب لكي تحفظ كلباً واحداً حيًّا فترة يسيرة من الزمن

ولكن الحقنة كان لها اثر عجيب . ألا يمكن ان يكون ذلك الاثر قد جاء اتفاقاً ؟ اذن لا بدّ من
دة التجربة . فاعاداها ، والجوّ حارٌّ رطب يثقل الصدور ، وحقنا الكلب الثاني ، بحقنةٍ كالاولى
نقذاهُ بعد ما كان مائتاً لا ريب فيهِ ، واضطرّا ان يقتلا كلبين سليمين من الكلاب التي ربطت
وات غددها ، لكي يبقوا هذا الكلب الثاني حيًّا ثلاثة ايام

ولكن الكلب مات لما توقّفا عن حقنهِ . وهذا مما لا يطاق !

جرّب بانتنغ في خلال هذه الايام الثلاثة ان يحقن الكلب المائت ، بخلاصة الكبد او بخلاصة
لطحال ولكن ذلك لم يجدهِ شيئاً . وكانت الكلاب العشرة التي طلبها من مكلود قد نفدت . وكان
مكلود لا يزال في اوربا لا يدري المصاعب التي اصطدم بها بانتنغ ، ولا كان يرتاب ، ان في معملهِ
كان هذان الشابان ، يمهّدان سبيلاً لمكافحة الموت ، المكشر للانسان في البول السكري

وجرّبا التجربة الثالثة في كلبة كان لها مكانة خاصة عندهما ، فحفظاها حيّة ثمانية ايام متوالية ،
بعد ما اشرفت على الموت وهما يحقنانها بخلاصة الغدد الحلوة الضامرة المستخرجة من خمسة كلاب .
ولكن ما الفائدة ؟ لا ريب في ان المادة المجهولة ، التي تمكن الجسم الحيّ من حرق السكّر الذي
يتناولهُ ، موجودة في خلايا جزائر لانغرهانز — فدعاها أيلتين نسبةً الى أيلند او أيْلت اي جزيرة —
ولكن الأيْلتين كالجواهر النادرة يكاد يتعذر الحصول عليهِ ، وعلى سطح الارض الوف وعشرات
الالوف من المرضى بالبول السكري ، المصابين بعجزهم عن حرق السكر الذي يتناولونه . فاين السبيل
الى ايجاد كلّ « الأيلتين » الذي يحتاجون اليهِ جميعاً

وانقضت الايام سراعاً ، وتتالت الايام شهوراً ، وبانتنغ يبحث عن مصدر يستطيع ان يستمدّ
منه هذا « الاكسير » . وجاء شهر نوفبر وتعرّت الاشجار من اوراقها وعاد مكلود من رحلتهِ
الى اوربا وأكبّ على البحث في موضوع لا صلة لهُ بالبول السكري . وتقد مال بانتنغ وكثرت
ديونه واصبح لا يستطيع المضي في عمله الاّ اذا اسعفهُ احد بيسير من المال ليحصل به على القوت
الضروري . ذهب الى محدثهِ الاستاذ هندرسن ، رئيس قسم الصيدلة في جامعة تورنتو ومثبّتة
[illegible] لا تقتل الكلاب سروسا

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربيــة

خطك لا شبيه له

وليس فى العالم اثنان تتشابه خطوطهما

ان البحث العلمى يتيح اليوم لرجال الأمن الكشف عن الجرائم ومعرفة المجرمين ومواجهتهم بحقائق لا يستطيعون انكارها . وهذه الحقائق لا يتطرق اليها الشك ولا تترك فى نفس المحقق أية ريبة بشأن هوية المجرم

ومما يجدر بالذكر أن فى ادارة الأمن العام بالولايات المتحدة مصلحة خاصة لتعليم طلبة المباحث الجنائية كيفية البحث عن الجرائم . ومما يتعلمه هؤلاء الطلبة فن التصوير الفوتوغرافى الدقيق . مثال ذلك أنهم يصورون رصاصات البنادق والمسدسات تصويراً ميكروسكوبياً تتجلى معه دقائق الرصاصة وما قد يلصق بها من أنبوب (ماسورة) المسدس أو البندقية وما يتركه ذلك الأنبوب من آثار لا ترى الا بالميكروسكوب . لذلك ترى صورة الرصاصة أو صورة جزء منها تبلغ عدة أمتار مربعة ، وجميع دقائقها الميكرسكوبية ظاهرة للعيان

ولا يخفى أن أنابيب المدافع والبندقيات كثيراً ما تكون مخددة من الداخل أخاديد لولبية لكى تدفع منها الرصاصة وهى تدور دورانا لولبياً . ولا شك أن تلك الأخاديد تترك فى الرصاصة وهى مندفعة من الأنبوب آثاراً تسهل رؤيتها بالميكرسكوب بحيث يمكن تعيين البندقية التى أطلقت منها . على أن تعيين البندقية لا يعنى تعيين المجرم ، ولذلك يجب على الفاحص عن الجرائم أن يولى وجهه شطر جهة أخرى لالتماس أدلة جديدة على هوية المجرم

ومما يدخل فى المباحث الجنائية درس التزوير وفن مقابلة الخطوط لاكتشاف ما قد يرتكبه بعض المزورين من الجرائم . ولا بد لنا من القول هنا بأن خطوط الناس تختلف بعضها عن بعض باختلاف عوامل كثيرة . فللسن ولنوع القلم والحبر وموضوع الكتابة والحالة النفسية والجنسية وغير هذه من الاعتبارات آثار واضحة فى كل ما يكتبه الانسان بخطه . ولا يخفى ان لكل كاتب لازمة ، خاصة فهو يرسم بعض الخطوط بطريقة خاصة ربما لا يقلده فى حرف واحد منها سوى

واحد من كل مائة كاتب . وبما أن لكل حرف من الحروف التي يخطها « لازمة » خاصة فانك لا تجد في العالم كله شخصين تتشابه « لوازم » جميع حروفهما تشابهاً تاماً . واذا رجعنا الى قاعدة التبادل الحسابية ونواميس الاحصاءات نجد أن تشابه « لوازم » جميع حروف الهجاء الأوربية ــ وهي ستة وعشرون حرفا ــ لا يقع الا مرة في كل ثلاثين الف الف الف الف مليون مرة . وبما أن مجموع سكان الكرة الأرضية لا يزيد على الفي مليون نفس ، فليس من المعقول أن يوجد بينهم شخصان تتشابه جميع « لوازم » خطوطهما كل التشابه. نعم هنالك الوف تتشابه « لوازم » حرف أو حرفين من خطوطهم بطريق الاتفاق . أما أن تتشابه « لوازم » جميع الحروف بين اثنين من سكان الكرة الارضية فيكاد يكون من المستحيلات

ولنضرب على ذلك مثلا بسيطا حادث خطف طفل لندبرج في سنة ١٩٣٢ فان خاطفه بعث الى والده برسالة طلب فيها منه فدية لاعادة طفله اليه . وقد درس رجال المباحث الجنائية يومئذ خطوط نحو عشرة آلاف مجرم (من الخطوط المحفوظة نماذجها في ادارة الأمن العام) فلم يجدوا بينها خطاً لحروفه « لوازم » تشبه « لوازم » خط الرسالة التي كتبها الخاطف . ولما قام رجال المباحث بعمل تقدير حسابي لتلك « اللوازم » وجدوا أنه لا يمكن أن تتوافر في أي خط الا مرة من مليون مليون مليون مرة

ومع ذلك فان رجال المباحث الجنائية لا يفطنون من معرفة كاتب أي رسالة بل يستخدمون في سبيل ذلك طرقا وأساليب لا يعرفها الجمهور ، وليس من المصلحة العامة اعلانها للجميع ، فان ترك المجرم في ظلام يجهل تلك الطرق والاساليب يؤدي إلى أفضل النتائج

[خلاصة مقالة للدكتور ويلمر سودر نشرت في رسالة الاخبار العلمية]

الالوان تسيطر علينا

وتوجه عواطفنا واذواقنا وأخلاقنا

لا شك في أن للالوان تأثيراً كبيراً في نفس الانسان . فاللون القرمزي الداكن مثلا (ويعرف بلون ماجنطا) يريح عضلات الجسم ويساعدها على الاسترخاء . واللون البنفسجي ينشيء في النفس الشجن . واللون الاصفر يهيج الجهاز العصبي . واللون الاحمر ينبه الدماغ ويزيد في قوة النبض

في القرن الثامن عشر كان اللون الشائع في زجاج المنازل هو الازرق والقرمزي . وكان الاعتقاد العام بين الناس أن هذين اللونين يساعدان في شفاء أمراض كثيرة. وليس في هذا الاعتقا ما يناقض العلم ، فقد ثبت أن اللون القرمزي يجلب النعاس ويريح الاعصاب ، حالة أن اللون الازرق

ب الحيوية والنشاط ، ومن الحقائق المعروفة عند علماء النبات أن النبات الذى يغطيه زجاج أزرق
ين هو أسرع نمواً من النبات الذى ينمو فى أشعة الشمس

وقد جمع الانسان بين الالوان ومختلف العواطف منذ اقدم الازمنة ، فاللون الاحمر مثلا هو
وان الشجاعة والاقدام ، واللون الاصفر رمز الى المجد والسعادة والرخاء ، باستثناء بعض درجات
ا اللون. واللون القرمزى يشف عن البطولة والشهوات ومعاناة الاحزان ، وقس على ذلك سائر
وان . ومن أنصع الادلة على تأثير الالوان التجربة التى قاموا بها فى لندن لتقليل حوادث الانتحار
، فوق جسر (كوبرى) بلاك فرايار ، فقد دهنوا ذلك الجسر القائم باللون الأخضر الزاهى
نصت حوادث الانتحار هناك بمقدار الثلث

وللون أثره في الذوق ، ولهذا اختلفت الشعوب فى ميلها الى الألوان . فمن العبث أن يحاول
انسان فى اليابان مثلا أن يبيع أوتوموبيلات مدهونة باللون الاحمر لأن ذلك مناف للذوق اليابانى.
فى انجلترا قلما تقع العين على أوتوموبيل أخضر اذ أن من أوهام العامة هنالك أن الاوتوموبيل
أخضر شؤم على من يركبه . وفى الصين وغيرها من بلاد الشرق يعتبر اللون الابيض لون الحداد .
قد اتفق أن احدى شركات البنزين فى الصين دهنت احدى محطاتها المعدة لبيع البنزين باللون
لابيض فكانت النتيجة ان الشركة أفلست لأن اللون الأبيض فى نظر الصينيين هو لون الحداد الشائع

وقد أثبتت التجارب التى قام بها رجال بوليس «المرور» فى لندن أن تلوين الشوارع باللونين
لأبيض والأصفر يقلل الاصابات التى تقع فيها ، وجربت بعض المدارس الاميركية استعمال طباشير
سود اللون على الواح ذات لون أصفر ، فثبتت فائدة ذلك فى تقليل تعب العينين

ومما يجدر بالذكر أن بعض البواخر تدهن اليوم جدرانها الخارجية ولا سيا الجزء الغاطس
منها في الماء باللون الابيض ، منعا لتجمع الدويبات البحرية عليها والالتصاق بقعرها مما يعوق سيرها

ولمسألة الألوان شأن عظيم فى بناء الطائرات وتزيينها من الداخل لكي تكون مريحة للنظر
مانعة للبرد . وقد اثبت الاختبار أن بعض الالوان تمنع الدوار فى أثناء الطيران وتحول دون القيء

ومما روته احدى الصحف الاميركية ، أن النساء العاملات فى أحد مصانع مدينة نيويورك كن
يتناولن غداءهن فى مطعم خاص تابع لذلك المصنع ، وكن يشكين من شدة البرد فى المطعم
يضطررن الى لبس فرائهن . فدهش صاحب المطعم لأن درجة الحرارة فيه كانت معادلة تماماً
درجة الحرارة فى سائر غرف المصنع . وأخيراً فكر فى تغيير لون جدران المطعم فدهنها باللون
برتقالى فلم تشعر النساء بعد ذلك بالبرد واتضح أن بين اللون والشعور بالبرد علاقة وثيقة

والخلاصة أن الألوان تؤثر فى كل حركاتنا وأعمالنا فى الحياة ــ فى صحتنا وتجارتنا ومجتمعاتنا
عواطفنا ودروسنا ــ وفى حالتنا النفسية بوجه الاجمال

[خلاصة مقالة للاستاذ هوارد كيتشام نشرت فى مجلة هاربرز]

أمريكا مهد الحضارة

لأنها سبقت مصر وبابل فى الزراعة

هل الحضارة أقدم عهداً فى العالم الجديد منها فى العالم القديم ؟ وهل كان فى أميركا فى العصور الخالية معابد وهياكل قبل أن بنى أمثالها فى مصر وبابل ؟ وهل زرع هنود أمريكا الذرة والتبغ قبل أن جاءهم الرجل الأبيض بزراعة القمح والرز والعنب ؟

لقد تعلمنا فى المدارس أن مصر ومابين النهرين كانتا مهد الحضارة البشرية ، وأن حضارة أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية هى أحدث عهداً من حضارتهما . ولكن علم التاريخ يكشف لنا كل يوم عن حقائق جديدة ، والمؤرخون يميطون اللثام عن أمور تبدو لنا فى أول الأمر غير مقبولة ثم سرعان ما تتوافر الأدلة على صحتها

من ذلك ما قد ذهب بعضهم اليه حديثاً من أن الزراعة التى هى أساس الحضارة عرفت فى أمريكا قبل أن عرفت فى العالم القديم . نعم ان هذا الزعم لا يزيد على كونه نظرية ولكن اثنين من كبار علماء النبات الامريكيين يؤيدونه . فهو إذن يستحق شيئاً من الاعتبار . وهذان العالمان هما الدكتور جنكنز من كبار رجال وزارة الزراعة بالولايات المتحدة . والدكتور مريل استاذ علم النبات بجامعة هارفارد . وقد كتب أولهما يقول ما خلاصته :

« هنالك أدلة نباتية بحتة تجعل الذرة على الأرجح أقدم الحبوب التى زرعها الانسان ، ان لم نقل أقدم النباتات بوجه الاجمال . وهى اليوم لا توجد على حالتها البرية . ولا شك انها قطعت ألوف السنين قبل أن وصلت الى مرحلتها الحاضرة ، أى أن الانسان زرعها منذ أحقاب كثيرة حتى تطورت الى ما هى عليه الآن » . وبعبارة أخري ان الناس فى أمريكا زاولوا زراعتها منذ آلاف من السنين ، وقد كانت غذاءهم الأساسى قبل تشييدهم أهرام المكسيك ، كما أن القمح والشعير كانا غذاء بناة الاهرام فى مصر . ولاشك فى أن بناة الصروح والمعابد الهندية فى شمال المكسيك تعلموا زراعة الذرة من سكان المكسيك ، وان انتشار فن الزراعة فى تلك الأرجاء استغرق عدة قرون ، لأن هذا الفن لم ينشر يومئذ بالكتب والمدارس

ولم تكن الذرة النبات الوحيد الذى زرعه القوم فى تلك الأحقاب النائية، بل زرعوا أيضاً التبغ والبطاطس والبطاطا والطماطم والفلفل والخرشوف والقرع والكوسى والأراروت والفول السودانى وعشرات من أصناف الفواكه التى لا يعرفها أكثرنا إلا بالاسم . وبين هذه المزروعات أنواع كثيرة لاتعرف إلا كما هى فى الوقت الحاضر ، لان « أسلافها » التى نشأت منها قد بادت وانقرضت

يبق لها أي أثر . ومعنى ذلك أنه قد مرت على زراعتها الأحقاب الطويلة . بخلاف الواقع فى العالم
ديم ـ فى آسيا وأوربا وأفريقيا ـ فان أسلاف المزروعات المذكورة لا تزال توجد فى بعض
بهات بحالتها البرية ، بل ان معظم النباتات والحبوب والبقول والفواكه المعروفة هنالك لا يزال
الامكان الحصول عليها فى حالتها الأصلية البرية ـ كالقمح والأرز والشوفان والشعير والجودار
لتفاح والكمثرى والكرز الخ . وهذا دليل على أن زراعة هذه الأشياء أحدث عهداً من زراعة
رة فى القارة الامريكية

أضف الى ذلك أن زراعة الأشياء المذكورة فى القارة الامريكية كانت محصورة فى المناطق
ى ازدهرت فيها الحضارة الهندية

ومما يجدر بالذكر أن الحيوانات التى جاء بها هنود أمريكا من آسيا كانت قليلة جداً وأهمها
كلب . وجميع القرائن تدل على أن الهنود لم يجلبوا معهم فن الزراعة عندما قدموا من العالم
ديم ، أى أن الزراعة كانت موجودة فى أمريكا ولم تنتقل اليها من آسيا أوأفريقيا أو أوربا . الا
م زاولوا الزراعة بعد ما استقروا فى العالم الجديد ثم تقدموا وارتقوا فى ذلك الفن بمرور الزمن

ولايزال أصل الذرة من الألغاز المستعصية على علماء النبات ، إذ لا يعلمون كيف نشأت ولا
صل الذى تطورت منه . وهنالك نظريات فى هذا الشأن لا يتسع المجال لشرحها . وانما نقول ان
نود الأقدمين استنبتوا أصنافا من المزروعات واستولدوها بمرور الزمن وعرفوا جميع مستلزمات
راعة من حرث وفلاحة وعزق وخلافه . وجميعها أمور تدل على قدم عهد القوم بالزراعة

وقد حاول بعض علماء النبات أن يثبتوا أن الزراعة انتقلت من العالم القديم الى القارة الامريكية
ن طريق قارة أطلنطة . على أن حكاية اطلنطة هذه لا تزال خرافة فى نظر معظم المؤرخين . ولو
كانت صحيحة لوصل الى القارة الامريكية عن طريق أطلنطة حيوانات من أصل شرقي . ولكن
ا الذى نراه الآن ؟ نرى أن الحيوان الوحيد الذى وصل الى القارة الامريكية من العالم القديم هو
كلب . والقرائن كلها تدل على أن الهنود الذين نزحوا الى أمريكا من العالم القديم فى الحقب
لخالية لم يكونوا زراعاً بل كانوا على الأرجح يعيشون على الصيد والقنص . فالزراعة فى القارة
لامريكية أصلية لا مقتبسة . وكانت منذ بضعة آلاف من السنين قد وصلت فى تلك القارة الى
رجة عالية من الرقى . وهذا دليل قاطع على قدم عهد الحضارة الاميريكية

[خلاصة مقالة للاستاذ فرانك نشرت فى مجلة سايانس سرفيس]

بين هنغاريا وسورية

صفحة من تاريخ الحروب الصليبية

يعتبر المؤرخون هنغاريا وبولونيا حارسي أوربا من غزوات الشعوب الأسيوية . وفي الحقيقة ن هاتين الدولتين صدتا في جبال الكاربات وعلى ضفاف نهر الطونة (الدانوب) جميع الغزاة الذين حاولوا اجتياح أوربا من جهة الشرق . بل هما اللتان ردتا غزوة المغول في المائة الثالثة عشرة ، ووقفتا زحف الجيوش العثمانية على ضفاف الطونة ، وأرجعتا الاتراك الى البلقان . ولم تقف هنغاريا في الحروب الماضية موقف الدفاع فقط ، بل كانت في الكثير من تلك الحروب هي المهاجمة والبادئة بالقتال . والمعروف عن ملكها اندراوس الثاني أنه قاد أكبر حملة من الحملات الصليبية التي أوفدتها أوربا لانقاذ بلاد المقدس . وكان الهدف الأكبر لتلك الحملة تقوية الدولة اللاتينية التي أنشئت في سوريا ، وتحصين مدينة عكاء ، واسترداد مدينة القدس

وقعت هذه الحملة في سنة ١٢١٧ ، وتعرف بالحملة الصليبية النمسوية . ولشرح حوادثها يجب أن نذكر بالايجاز أن السلطان صلاح الدين كان قد انتصر على الصليبيين ودوخ مملكة القدس التي أنشأوها في أوائل حروبهم . ومع أن الحملة الثالثة انتقمت للصليبيين بعض الشيء إلا أنها عجزت عن استرجاع القدس ، فلم يبق بيد الصليبيين سوى سواحل سوريا الجنوبية وبعض مدنها وأهمها عكا (وكانت العاصمة الجديدة) ويافا وقيصرية وصور وصيداء وبيروت ، عدا « كونتية » طرابلس في الشمال والجزء الشمالي من سوريا المعروف بامارة انطاكية . أما ما بقي من سوريا وفلسطين فكان خاضعاً للملك العادل أخي السلطان صلاح الدين وخليفته (وكان ملكا على مصر). وكان « جان دي برين » الملقب بملك أورشليم يعلل نفسه بأنه لابد لملك فرنسا وأمبراطور ألمانيا من السعي لاسترجاع مقاطعتي الخليل واليهودية . إلا أن تنافس الأسر المالكة في أوربا وانجلترا حال دون بذل أي مجهود صادق لتأييد الصليبيين في بلاد المقدس . فلم يبق سوى هنغاريا لبذل ذلك المجهود . وقد قامت بتلك المهمة بكل همة ونشاط ، وكانت ترجو أن تضم اليها جميع دول أوربا لتكون حملتها ذات صبغة دولية . وكان الدوق ليوبولد السادس عشر أمير النمسا قد تقدم بحملة في سبتمبر سنة ١٢١٧ . واستغرق وصوله الى ميناء عكا ستة عشر يوماً . وبعد ذلك ببضعة أيام وصل اندراوس الثاني فوجد الخلاف والتحاسد مستفحلين بين قواد الصليبيين المختلفي الجنسيات . فسعى لازالة الحزازات من الصدور وعقد مجلساً حربياً في عكاء حضره القواد العسكريون والرؤساء الدينيون والوجهاء والأعيان. ومن سوء حظ الصليبيين قرر المجتمعون - على الكره من اندراوس

ـ محاصرة حصن طابور الذى كان السلطان العادل قد أنشأه للتحكم فى الطرق الموصلة الى
ـ والسامرة . نعم ان الاستيلاء على ذلك الحصن كان ينقذ مدينة عكاء من خطر عاجل .
ن الخطة كانت عقيمة بسبب مناعة الحصن . أضف الى ذلك أن ملك النمسا كان قد قدم
ـ وفرسانه لاستخلاص مدينة القدس لا لمحاصرة حصن طابور . وكان العرب يخشون مواجهة
ش المنغارية فى معارك فاصلة فى أراض سهلة ويفضلون أن يواجهوها فى الجبال والوعور .
كانت مشورة المجلس الحربى تشف عن قصر نظر

وشرع الصليبيون فى زحفهم فى ٣ نوفمبر سنة ١٢١٧ فاجتازوا السهل الواقع شرق الكرمل فى
ة واحدة . وما كاد السلطان العادل يسمع بزحفهم حتى أسرع من مدينة القدس الى نابلس
ل دون تقدمهم. إلا أن زحف الجيوش المنغارية أرغمه على التقهقر . فارتد الى نيسان. وأراد
(وكان أميراً على دمشق وقائداً لجيوشه) أن يهاجم المنغاريين فى موقعة فاصلة على مقربة من
حرمون . ولكن السلطان أبى أن يوافقه على ذلك وألح عليه بالارتداد . ذلك لانه أدرك
ـ بصيرته أن جيوش المسلمين موزعة على مدن فلسطين حالة أن جيوش الصليبيين أقوى
كثر ، وفى امكانها التغلب على جيوش المسلمين بسهولة ، ولا سيا أن صدورها تلتهب بنار الحماسة
ية . وعليه فما كاد السلطان يسمع بزحف الصليبيين كما تقدم حتى أمر جيوشه بالارتداد .
طر بعد ذلك الى الارتداد الى ما وراء بيسان . فلما حاول ابنه أن يحمله على تغيير خطته عنفه
ة باللغة الفارسية حتى لا يفهم الجنود حديثه ، وأمره بمواصلة التقهقر

واضطر السلطان العادل أن يتقهقر عن مدينة بيسان سراً فلم يدر بذلك أحد ، ولا أقرب
ين اليه ، لانه أراد كتمان خططه . وضحى فى ذلك بمؤن وذخائر كثيرة . فدخل الصليبيون
ة بلا قتال واستولوا على كل ما وصلت اليه أيديهم . قيل انهم غنموا من القمح والمواشى
كفاهم بقية مدة تلك الحملة

وواصلت الحملة الزحف فاستولت على عدة مواقع أخرى وأراض خصبة على ضفاف نهر الأردن
بية وصارت تهدد دمشق وأرشليم وغيرهما من المدن التى كانت بيد السلطان . وأسرع هذا
سين دمشق وأمر ابنه بأن يذهب ويحصن مدينة القدس

وزحف اندراوس فى أثر جيوش السلطان وعبر الأردن فى ١٠ نوفمبر سنة ١٢١٧ وأشرف
خصفين . وذكر ابن الأثير أن الفرسان المنغاريين وصلوا الى نقطة تبعد ستة كيلو مترات الى
ـ الشيخ سعد فأصبحوا يهددون دمشق . وزحف بعضهم صعداً على ضفاف الأردن حتى بلغوا
ة الحولة وأشرفوا على حصن بانياس ـ عند سفح جبل حرمون ـ وهو الحصن الذى كان
ـ الطريق من الجليل الى دمشق . ثم دخلوا عكاء ليتركوا فيها الأسرى والغنائم التى كانت
هم عن السير

وأصبح مركز السلطان حرجاً . فأمر بتحصين غوطة الشام وبإيداع الذخائر والأطعمة فى القلعة بالاستعداد لاطلاق المياه على السهل المجاور لدمشق لاغراقه عند دنو الصليبيين . وإذ ذاك بدأ هل دمشق يشعرون بالضيق والجوع واشتد فيهم المرج والاضطراب

إلا أن عاملا غير منتظر غير الموقف وقلبه رأساً على عقب . ذلك أن خلافا خطيراً وقع بين اندراوس الثاني (ملك هنغاريا) وجان دى برين (ملك أورشليم) ولا يعرف سبب هذا الخلاف تماما . ولكن بعض المؤرخين يرجحون أن الملك اندراوس كان يريد الزحف رأساً على دمشق أو على القدس حالة أن جان دى برين كان يريد محاصرة القلاع التى كانت على مقربة من عكاء . وفى الواقع أن جان دى برين ترك اندراوس فى عكاء وزحف بجيشه للاستيلاء على قلعة طابور

واستمر حصار هذه القلعة من ٢٩ نوفمبر الى ٧ ديسمبر من ذلك العام . وضرب الصليبيون خيامهم فى السهل المجاور للقلعة . وكانوا كل يوم يتسلقون الجبل الذى تقوم عليه القلعة بقصد الوصول الى أسوارها الخارجية ويستعملون لأجل ذلك سلالم يصعدون عليها فى جنح الظلام وتحت ستار الضباب . ولكن ما كادت الحامية تشعر بدنوهم حتى أحرقت السلالم بالنار اليونانية وقذفت بالمهاجمين الى الوراء ، فقتل من هؤلاء كثيرون . ومع ذلك لبثوا يحاصرون القلعة مدة طويلة ويرجون أن يجيعوا حاميتها ليرغموها على التسليم . ولما طال أمد الحصار ثبطت عزائمهم فغادروا القلعة فى ٧ ديسمبر وعادوا الى عكاء . وأدرك السلطان بعد انصرافهم أن فى وجود القلعة خطراً كبيراً فأمر بهدمها حتى لا تغرى الصليبيين بمهاجمتها

ولا شك أن الخلاف بين اندراوس وجان دى برين هو سبب اخفاق هذه الحملة الصليبية . على أن اندراوس عزم بعدئذ على ايفاد حملة الى جبل لبنان شرق صيدا . ونزل جيشه أربعة أيام فى مرجعيون على مقربة من قلعة شقيف عرنون وكان المسلمون قد اشتروها من الصليبيين فى سنة ١١٩٠ وفى الوقت عينه زحفت حملة أخرى من الجنود المنغارية على جزين . وهنا أيضا وقع خلاف بين الفرنسيين والمنغاريين، فان الأولين كانوا يرفضون الزحف على جزين الا أن المنغاريين واصلوا الزحف . وساءت بعد ذلك صحة اندراوس فاضطر أن يعود الى بلاده . فسار من عكاء الى طرابلس ومعه ملك قبرس وأمير انطاكية ، وحضر فى تلك المدينة عرس أمير انطاكية (وقد اقترن بأخت ملك قبرس) ثم سافر من هناك الى طرسوس (عاصمة مملكة كيلكية الأرمنية) حيث عقدت خطبة أحد أولاده على ابنة ليون الثاني ملك ارمينيا

وعلى كل فان حملة اندراوس الصليبية أثبتت تفوق الجيوش الأوربية على جيوش السلطان وشجعت جان دى برين على غزوة مصر فى السنة التالية

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة « نوفيل ريفي دى هونجرى » بقلم الاستاذ رينيه جروسيه]

الزوج أسعد من الزوجة

ومزايا الرجل اكثر من مزايا المرأة

يقول بعض الكتاب الباحثين إن النبوغ غير معروف فى النساء، وإن العبقرية وقف على الرجال فقط . وفى الواقع أن التاريخ لا يذكر أن امرأة استنبطت فناً من الفنون أو نبغت فى التصوير أو الشعر أو الموسيقى أو التأليف أو غير ذلك من الأمور . بل غاية ما فى الأمر أنها تحسن التقليد وتطبيق ما تتلقنه عن أساتذة الفن . فهى اذن مقلدة لا مبتدعة

ويقول العلماء أيضاً إن أحسن تعليل للفرق بينها وبين الرجل هو تغير طبيعتها بسبب تغير المراحل التى تتألف منها حياتها . فهى فى بعض تلك المراحل دقيقة الاحساس تحسن انتهاز الفرص ، وفى بعضها لا قيمة للفرصة فى نظرها . ومع انها قد تقوم بأعمال عديدة فى ميادين العلوم والفنون ، الا أن تلك الأعمال ليست فى شىء من العبقرية

وغني عن البيان ان الرجل أقوى جسما وأمتن عضلا من المرأة . ولذلك لا تستطيع المرأة مباراته فى الالعاب الرياضية من ركض وقفز وغيرهما . أما هى أقدر منه على المشى فى تيه ودلال وهى أيضا لا تحسن استعمال مختلف الآلات اليدوية الا ما كان له علاقة بالزي وما ليس فيه شىء من الخشونة . انظر اليها وهى تبرى قلم الرصاص أو تحاول قطع شىء بالسكين فانها تقوم بذلك العمل على وجه يدعو الى الضحك . وإذا اضطرت أن تدق مسماراً فقلما تستطيع ذلك فتطلب من الرجل أن يقوم بتلك المهمة

ومن الجهة الأخرى ــ انظر اليها وهى تسلك الخيط فى الابرة فانهـا تفعل ذلك بكل اناقة ورشاقة وذكاء

والمرأة بوجه الاجمال أقوى فى شعورها الديني من الرجل وأكثر تمسكا بالاعتقادات والمبادىء الدينية . وهى أيضاً أقوى فى عواطفها ومشاعرها النفسانية . والأرجح أيضا أنها أكثر غروراً من الرجل ، وان تكن آراء علماء النفس تختلف بهذا الاعتبار

أما الوقت فلا قيمة له فى نظر المرأة على الاطلاق . وازدراؤها بقيمة الوقت كثيراً ما يسبب المتاعب . وأكثرنا يعلم كيف ينفد صبر الرجل إذ يقف منتظراً زوجته للخروج معه ، وبدلا من أن تسرع فى هندامها تقف طويلا أمام المرآة وهو يتنفس من وقت الى آخر مغتاظاً صامتاً ينظر الى ساعته بين الدقيقة والاخرى . وكذلك تفعل المرأة أيضاً إذ تقف أمام التليفون وقتاً طويلا وتطيل الحديث غير عابئة بمرور الوقت ، وزوجها ينتظر بصبر نافد أن تفرغ من حديثها وكثيراً ما تتركه ينتظر ويخل بمواعيده ريثما تفرغ من انجاز هندامها

ثم ان الوقت لا [illegible] في نظرها أو أنها تقدر [illegible] . [illegible] أن المرأة اذا عرض لها التعليم بجهة فانها لا تقدر لانجاز تلك المهمة سوى [illegible] ، ولذلك يقول علماء النفس ان الوقت ـ مهما طال ـ يبدو أقصر في نظر المرأة منه في نظر الرجل . وعليه تكون حياة الرجل ـ ولا سيما المتزوج ـ أطول من حياة المرأة

ولا شك في ان الرجال المتزوجين هم ـ بوجه الاجمال ـ أسعد من زوجاتهم . على أن لكل انسان رأيه الخاص في هذا الشأن ، لأن العلائق الزوجية تختلف باختلاف كل زوجين . والذى لا يستطيع أن يفهمه كل زوج هو : لماذا تتعرض له زوجته في كل شيء ؟ ولماذا تشكو من أنها ليس عندها ثياب مع أن خزانتها قد تكون ملأى بها ؟ ولماذا تصخب وتتكلم كثيراً ؟ ولماذا تنسى أو تتناسى كل شيء ؟ ولماذا تستفز زوجها الى الغضب كلما سنحت الفرصة ؟ ولماذا تلومه على كل شيء ـ حتى على ما ترتكبه هي نفسها من الأغلاط ؟ ولماذا تكثر من الكلام في كل ظرف من ظروف الحياة ؟ ولماذا . . ولماذا . . . ؟

[خلاصة مقالة بقلم السيدة هيلين برايس نشرت في جريدة بلتيمور صن]

الحيوان طبيب نفسه

غريزة تمكنه من علاج أمراضه وجراحه

من درس غرائز الحيوانات ظهرت له حكمة الطبيعة على أجلاها . ولا أدل على هذه الحكمة من أن العجماوات على جميع أنواعها ـ من طيور وحيوانات وأسماك ـ اذا أصيبت بمرض عالجت نفسها علاجا يعجل شفاءها . والمعروف عنها بوجه خاص أنها تعرف بالغريزة خواص بعض الأعشاب وفائدتها في شفاء الأمراض. وكان الهنود الاميركيون الأقدمون ملمين بخواص الأعشاب لأنهم كانوا يراقبون الطيور والحيوانات تستعملها اذا أصيبت بتخمة أو جرح أو كسر أو ما الى ذلك . فالدببة اذا أصيبت باسهال عمدت الى جذور بعض النباتات . والذئب اذا لسعته الأفعى عمد الى مضغ النبات المعروف باوف الثعبان [illegible]

ولا يخفى أن بعض أنواع النسور تسقط على الجيف وتنهشها . ويتساءل الكثيرون كيف لا تصاب تلك الطيور بالعدوى مع ما في الجيف من جراثيم ومكروبات . والحقيقة أن الطبيعة قد جردت رءوس تلك الطيور من الزغب والريش وليس في مناقيرها مباءة تصلح للجراثيم . وفوق ذلك فانها بعد أن تنهش الجيفة تحلق صعداً في الجو وتجثم فوق قنن الجبال الشاهقة في نور الشمس الساطع حيث لا تعيش الجراثيم . فاذا علق بها شيء من الجراثيم لم تحتمل حرارة الشمس ولا

وكان في ذات ليلةٍ من ليالي نوفمبر يطالع في كتاب قديم العالم لاجس Laguesse فعثر على قولٍ مؤداه ان خلايا جزائر لانغرهانز اكثر في حلوة الطفل الوليد من الخلايا التي تفرز الافراز الهضمي. فقال بانتنغ اذا صحَّ ذلك على الطفل الانساني ، فلا بدَّ ان يصحّ على جرو الكلب . واذا صحّ على الجرو فلا بدّ ان يصح على الجنين ، ورجّح ان حلوة الجنين معظمها من خلايا جزائر لانغرهانز . فذهب الى صديقهِ الاستاذ هندرسن في الصباح وأطلعه على اكتشافه فقال له هندرسن « وكيف تستطيع ان تحصل على اجنّة الكلاب . عليك ان تربيها وتنتظر حملها »

ولكن بانتنغ كان قد قضى جانباً من صباه في المزارع وعرف كيف تسمَّن البقر للذبح. فذهب مع صديقه بست الى السلخانة وعادا بحلوات تسعة عجول — او بالحري اجنة عجول تختلف اعمارها من ثلاثة اشهر الى اربعة . ثم تبيَّن لهما انهما اذا استعملا الكحول المحمَّض بدلاً من ربط قناة الحلوة ثم هرس بقيتها في الماء الملح استطاعا ان يعتمدا على حلوات البقر الكبيرة ، بدلاً من حصر الاستخلاص في حلوات الاجنة . فعجبا كيف لم يخطر ذلك على بالهما من قبل . ولكن احد حكماء الكتّاب يقول : « كل المشكلات سهلة . . . بعد ما تُحَلّ »

— ٤ —

كان « غلكريست » صديقاً لبانتنغ ، تلازما حديثين وتصاحبا طالبين في مدرسة الطب ، ثم افترقا ، فذهب كلٌّ في سبيلهِ . وأصيب «غلكريست» بداء البول السكري فهزل جسمه وشحب وجههُ ، وتراكم السكر في بولهِ ودمهِ ، وتصاعدت من فهِ رائحة الاستون الناجم عن انحلال الادهان في جسمهِ . وكان يدرك ادراك الطبيب ان هذا لا ريب سائر بهِ الى القبر ، فبدّلت بشاشتهُ الطبيعية ، كآبة وقتاماً . وكان يجرُّ رجليه جرًّا اذ يذهب كل يوم لعيادة مرضاه ، ويكاد يمتنع عن الطعام ، لان اقلّ طعام كان يزيد السكر في دمهِ . وفي ذات يوم من ايام الخريف سنة ١٩٢١ لقي بالفهِ القديم بانتنغ فقال لههذا «قد أبشرك قريباً ببشرى عجيبة» . ثم اصيب «غلكريست» بنزلة الوافدة وهي من الاصابات التي يخشاها المصابون بالسكر ، فزاد هزالهُ واصبح لا يستطيع ان يتناول اكثر من ثلاث اوقيات من المواد النشوية من دون ان يظهر السكر في بولهِ . وعجز عن العمل لضعفهِ وهو يودّ لو استطاع ان يأكل ما يشتهي ، ليكفي ذلك الجوع الذي يعضهُ بنابٍ ، ولكنه كان يدرك ان ذلك قد يزيد السكر في بولهِ ودمهِ حتى يصاب بغيبوبة تكون القاضية عليهِ فعلّق كل امله ببانتنغ وهو متعلّق من الامل بحبل اوهى من خيط العنكبوت

كان بانتنغ جرّب تلك المادة العجيبة — أيلتين — في الناس بعد الكلاب . جرّبها في نفسهِ من قبل ان جرّبها في احدٍ لكي يثبت ان هذه المادة التي تفيد الكلاب المصابة بالبول السكري [illegible] وكان في مستشفى تورنتو العمومي ، مصابون قد اشفوا ، فجرّب حقنهم بالايلتين

في الهواء . ثم ان هذا الطير إذ يجثم على قمة الجبل يبسط جناحيه ويعرضها للشمس لتعقيمها
ومن عادة الطيور والحيوانات انها تستحم لا طلباً للنظافة فقط ، بل للقضاء على أسباب العدوى
أيضا . وبعضها تستحم بالماء وبعضها « تستحم استحماما شمسياً » أو في الوحل أو التراب . وقد
شوهدت الدببة في حديقة « يلوستون » بامیرکا تستحم في الينابيع المعدنية الكائنة في تلك الحديقة
استشفاء من آلام تشعر بها أو استجماما من عناء الشيخوخة

ثم ان الطيور والحيوانات التي تصاب بجرح أو كسر أو ما الى ذلك تعالج نفسها في الحال وبلا
ابطاء . بل لقد يعمد بعضها الى بتر العضو الفاسد أو المكسور . وقد شوهدت مرة فأرة بجانب
مصيدة قد وقع فيها أحد صغارها . وهي تحاول بتر ساقه لتنقذه من المصيدة . والمعروف عن فأر
المسك أنه اذا أصيب بجرح غطى المكان المجروح بصمغ الشويكران منعا لوصول الجراثيم اليه عند
ما يسبح في الماء . وكذلك تفعل الدببة أيضا وقد تستعيض عن صمغ الشويكران بصمغ نبات آخر
أو بالفخار . أما القردة — ولا سيما الأورانج أوتانج والشمبانزي والغوريلا — فانها اذا أصيبت بجرح
ضغطت بأيديها المكان المجروح منعا للنزف ثم وضعت على الجرح بعض النباتات العطرية الكاوية

وكسر مرة سنجاب طائر احدى ساقيه . فجثم يريح العضو المكسور وقضى بضعة أيام لا يتحرك
الى أن شفيت الساق شفاء تاما . ومما يجدر بالذكر أن معظم الحيوانات البرية اذا أصيبت بجرح
طلبت العزلة والراحة التامتين . وبعضها يعمد الى تناول أعشاب مقيئة أو مسهلة تنظيفا للمعدة .
والمعروف عن القطط والكلاب أنها اذا شعرت بتوعك عمدت الى أكل بعض الأعشاب المسهلة
تنظيفا لأمعائها . وكذلك تفعل الدببة البرية أيضا . أما ذوات الأظلاف فقلما تحتاج الى مسهل ، بل
قد تحتاج بالعكس الى قابض ، وهي تجده في النباتات ولحاء الأشجار التي يكثر فيها حامض التنيك

واذا أصيب الحيوان بالحمى قصد الى مكان ظليل قريب من الماء ولبث فيه لا يأكل ، وقلما
يهرب الى أن ينال الشفاء التام . واذا أصيب بالروماتزم قصد الى مكان تتوافر فيه الحرارة
وكثيرا ما تغير الطيور غذاءها بتغير الفصول . وقد يرحل بعضها من أقليم الى أقليم بقصد
تغيير الغذاء . وقد يقطع الغزال المسافات الشاسعة طلبا للمياه التي تتوافر فيها مادة الفوسفات لان
هذه المادة لازمة لنمو قرنيه . كذلك تحتاج أناث الطيور الى المواد الكلسية لأجل قشرة بيوضها .
وهي تعرف أين تجد تلك المواد

وعلى كل فان الطبيعة قد جعلت للعجماوات غريزة لا تخطىء . وبفضل هذه الغريزة تحسن
علاج ما يلم بها من أمراض أو اصابات

[خلاصة مقالة للاستاذ ارتمبالد رطلج نشرت في مجلة فيرجينيا كوارترلي ريفو]

طريقة سهلة لتعقيم الجروح

الصابون يقتل الميكروبات

مرت على الحضارة أحقاب كثيرة والناس لا يعرفون من خواص الصابون إلا أنه مادة لتنظيف البشرة . على أن الاختبار قد أثبت للصابون مزايا أخرى كثيرة لم يتنبه اليها الناس إلا منذ عهد قريب . وفى الحقيقة أن للصابون مزيتين كبيرتين ـ أولاهما ثانوية وهى أنه وسيلة للتنظيف ، والأخرى ـ وهى الأهم ـ كونه وسيلة للتعقيم أى لقتل الميكروبات ، أو على الأقل لشل نموها وتكاثرها

منذ نحو خمس وعشرين سنة نشر الدكتور « كامسكاس » طائفة من المقالات حاول أن يبسط بها النتائج الباهرة التى توصل اليها فى مهنته الطبية باستعماله الصابون . وكان هذا الطبيب يقيم بالأرياف ويعول على الصابون فى حالات كثيرة ، ولا سيما حيث لم يكن يتوافر لديه أى ضرب آخر من المواد المعقمة . وكان ينصح لمرضاه باستعمال الصابون دائما ويشير عليهم بغسل أسنانهم به . وقد ثبت له أن غسل الجروح وتضميدها بالصابون يعجل شفاءها ، وان استنشاق رغوة الصابون يشفى التهاب تجويف الأنف ، وان استعمال الصابون بسخاء يمنع حمى النفاس ويساعد على شفاء الخراجات والدمامل وغير ذلك

ولم يفتخر الدكتور كامسكاس بأنه هو مكتشف مزايا الصابون المذكورة ، بل قال انه استفاد ما استفاده فى هذا الشأن مما كان أساتذته يقومون به فى عهد دراسته ، يوم لم يكن العلم قد اكتشف شيئاً من المواد المعقمة ، ولا عرف صبغة اليود . بل كان الجراحون يعتمدون على الصابون وحده لتطهير أيديهم ولتعقيم غرفة العمليات الجراحية ، وكان تأثير الصابون فى جميع ذلك واضحاً

ولم يكن ثمة شك فى وجود مادة معقمة تدخل فى تركيب الصابون ، وفى أن مادة الصودا التى فيه مادة كاوية

ومرت السنون وبعض الأطباء يتساءلون : هل الصابون مادة معقمة حقيقة أم لا ؟ وكان بعضهم يجيب عنه بالايجاب . وكان الطبيب كوخ الألمانى من منكرى مزايا الصابون ، بينما كان الاستاذ روديه الطبيب الشهير ينسب الى الصابون مزايا كبيرة . ومما ثبت له بعد تجارب كثيرة أن ميكروب الحمى التيفوئيدية لا ينمو فى بيئة مائية اذا كان ٣ فى الألف منها صابونا ، وأن ذلك الميكروب يموت فى الحال اذا كان الصابون واحداً فى المائة من البيئة . وكذلك تموت الميكروبات

لسماة « ستافيلوكوك » وغيرها فى الصابون . وزعم الدكتور « بيلو » أن الصابون يقتل أكثر ليكروبات ويعجز عن بعضها

وقام الدكتوران آشار ولبلان بمباحث أيدت النتائج التى توصل اليها الدكتور كامسكاس أثبتت أن الصابون من أفضل المواد المعقمة . ولا سيما اذا أضيف اليه الكحول ، وانه يطهر لجروح ولكن يجب عدم الاسراف فى غسل الجروح به لئلا يؤدى ذلك الى تهييج الأنسجة

وألقى الدكتور فنسان خطبة مسهبة فى أكاديمية العلوم بباريس ألقى بها ضوءاً على مسألة لصابون وقيمته من الوجهة الطبية . ومما قاله إنه درس الصفراء (المرارة) فوجد أن لها خاصة لتعقيم بسبب المادة الصابونية التى فيها ، وأنها تزيل فعل بعض السموم ـ كالسموم التى تفرزها يكروبات التيتانوس والدسنطاريا والحمى التيفوئيدية . وطريقة ازالتها أنها تنشىء حولها غشاء قيقاً تمنع به ضررها . نعم ان تلك السموم تظل مكفنة أو مغشاة ، ولكن وجودها وعدمها فى هذه الحالة سيان . وفى الواقع أن بعض الأطباء يعتقدون أن خاصة التعقيم المنسوبة الى الصابون نشأ عن كون الصابون ينشىء حول الميكروبات غشاء يحول دون نفثها للسموم

وقد قام أطباء كثيرون بمباحث واسعة النطاق تؤيد الحقائق التى تقدم ذكرها ، ومنها مباحث دكتورين فيول ولارسون تثبت أن تأثير الصابون يختلف باختلاف الزيوت وغيرها من المواد دهنية التى يتألف منها ، وان ذلك التأثير يقوى كثيراً جداً اذا أضيف الى تركيب الصابون شىء ن المواد المعقمة المعروفة

وعلى كل فان استعمال الصابون يجب ألا ينحصر فى غسل بشرة الجسم فقط . فهو خير تنظف به الاسنان يوميا . ونظراً الى ما له من خواص صار يدخل فى تركيب السنون (المادة ى تنظف بها الأسنان) ويقول أحد الأطباء الاخصائيين إن غسل الفم بالصابون يحول دون راض كثيرة ويقتل الميكروبات التى تدخل الى المعدة عن طريق الفم

ومما يجدر بالذكر أن تأثير الصابون يظهر على أجلاه اذا استعمل مع الماء الذى تبلغ درجة رارته الثامنة والثلاثين بمقياس سنتجراد فصاعداً . وعلى كل فان الصابون هو من أفضل المواد مة ومن أرخصها . ويزيد فى مزيته أنه سهل الاستعمال وفى متناول كل امرىء . فلنحرص على ماله ولنعود أولادنا ذلك ، فاننا نتقى بذلك شروراً كثيرة ونتجنب أمراضاً لا عدد لها

[خلاصة مقالة نشرت فى جريدة الطان للدكتور هنرى بوكيه]

الإله الزنجي

مئات من الامريكيين يدينون لزنجي بالألوهية

فى أميركا اليوم كاهن زنجي اسمه الأب « ديفاين » ـ أي الأب الأقدس ـ يدعى الألوهية ، وقد فشا أمره وذاع صيته وصار له أتباع كثيرون . وهو اليوم فى نحو الستين من عمره ، أصلع قصير القامة يشف مرآه عن كثير من الوقار والاحترام ، ولا يعلم أحد شيئاً عن ماضيه ، ولكن الذين كانوا يعرفونه فى صباه يقولون إنه كان شابا نشيطاً لا يعرف الا الجد ولا يميل الى الهزل

كان هـذا الرجل فى حداثته يسمى جورج بيكر . بدأ حياته بسيطاً ميالا الى الروحانيات . وكان كثير التفكير فى الله وفى اليوم الآخر ، يتردد الى احدى كنائس المعمدانيين ويشترك في الخطب والمواعظ التى تلقى فيها

واتفق ذات يوم أنه سمع قسيساً يسمى صموئيل موريس يشرح قول الانجيل : « ألا تعلمون أنكم هيكل الله وان روح الله مستقرة فيكم ؟ » وقد قال فى تفسير هـذه الآية ، إنه الله لأن روح الله مستقرة فى جسده . فلما سمع الجمهور تفسيره هاجوا وماجوا وقاموا عليه فقذفوا به الى الشارع واتهموه بالـكفر

الا أن جورج بيكر عطف عليه وساعده على النهوض . فتوثقت عرى الصداقة بين الاثنين عدة سنوات . وكان القسيس يتردد الى منزل جورج بيكر ويصر على ادعاء الألوهية . وتمكن من اقناع بضعة أصدقاء بصدق دعواه فصاروا يترددون معه الى منزل جورج بيكر . وكانوا يقولون فيما بينهم : « لو لم يكن القس موريس إلهاً كما يدعى لضربه الله وأماته فى الحال ! »

وفى سنة ١٩٠٧ ادعى القس موريس بأنه قد ولد ولادة ثانية وسمى نفسه « الأب يهوه » (ويهوه من أسماء الله تعالى) فما كان من جورج بيكر الا أن أعلن هو أيضاً انه قد ولد ولادة ثانية واتخذ لنفسه لقب « الرسول » وفسر هذا اللقب بقوله انه « الله فى حالة البنوة » . وظل الاثنان يتعاونان ويبثان دعوتهما ، ولـكن لم يتبعهما سوى بضعة أنفار . فعزم بيكر فى سنة ١٩١٢ على الانفصال عن رفيقه والقيام بسياحة فى البلاد لنشر دعوته . وفى سنة ١٩١٥ وصـل الى مدينة نيويورك واستأجر « شقة » فى حى بروكلين ذات أربع غرف . وما هى الا بضعة أسابيع حتى تتلمذ له سبعة أو ثمانية وصاروا يترددون الى منزله . وأنشأ إذ ذاك مكتباً للاستخدام ، وساعده الحظ فوجد أعمالا لجميع أتباعه . فزادوا تعلقاً به ، والتفافا حوله ، وآمنوا بألوهيته وصاروا يسلمون اليه أجورهم وجميع ما تصل اليه أيديهم من نقود ، وهم يشعرون بسعادة لا توصف

وزاد عددهم بمرور الزمن ، وكان يكر يوفق الى إيجاد عمل لكل طالب جديد ينضم الى شيعته.
ان مجموع ما يكسبونه من الاجور نحو مائة جنيه على الاقل في كل شهر يدفعونها له كلها وهو
م لهم حاجتهم من الغذاء والملبس ، وينام كل ثلاثة أو أربعة منهم فى غرفة من غرف منزله
وفى خريف سنة ١٩١٩ زاد عدد اتباعه فصاروا سبعة عشر . فاضطر الى التوسيع عليهم
تترى منزلا بخمسمائة جنيه يشتمل على اثنتى عشرة غرفة فى جزيرة لونج آيلند التابعة لولاية نيويورك .
قع عقد الشراء بأسم « ماجور ديفاين » ثم ادعى بأنه وله ولادة روحية ثالثة فولادة رابعة .
مد ذلك اصبح يدعي الالوهية واتخذ لنفسه اسم « الاب ديفاين » أو الاب الاقدس
واذ كان على جانب عظيم من الوداعة وكرامة الخلق ، كان محبوبا لدى الكثيرين من معارفه
رانه . وكان يسعى دائما للحصول على اعمال ووظائف لكل من يقصده ، وفي أغلب الاحيان
، ينجح فى مساعيه . قيل إنه بفضل مساعيه لم يبق شاب فى جزيرة لونج آيلند بلا عمل . وكان
ر اصدقائه واتباعه من الزنوج ، وكانوا جميعاً يعطونه ما يكسبونه من أجور وهو ينفق عليهم
حتاجون اليه من كساء وغذاء ومأوى . وغنى عن البيان أنه كان يجنى من ذلك المكاسب الطائلة
لك لم يكن يفرض على اتباعه أية ضريبة ولا يكلفهم تقديم الاعطية المعتادة فى أيام الآحاد . وكثيرا
ان يقيم لهم الولائم فى منزله ويعظهم بعد تناول الطعام
وكان بين اتباعه رجل زنجى يدعى توماس براون وله زوجة تدعى فيرندا . وكان الاثنان
بان أجراً شهريا لا يقل مجموعه عن ثلاثين جنيها ويقدمانه حسب العادة الى الأب ديفاين .
نا يملكان أيضاً قليلا من العقار والامتعة . فوهبا جميع ذلك الى أبيهما الروحى فكسبا بذلك
يادة على عطفه ـ لقب ملك (بفتح اللام) ومنذ ذلك اليوم صار جميع الذين يقدمون الى الاب
ين ما يملكون من مال وعقار يلقبون « بالملائكة » . الا أنه لم يمر زمن طويل على صيرورة
اس براون وزوجته « ملكين » حتى ندما ثم انفصلا عن الاب ديفاين واستعادا حريتهما
أن خسرا نحو الف ومائتى جنيه
ومن خزعبلات الاب ديفاين أنه لا يؤمن بالطب والاطباء ، ويقول إن من كان إيمانه قويا
رض ولا يموت . وقد جمعت هذه النظرية حوله أتباعا كثيرين لا من الزنوج فقط بل من
س أيضاً ، ومنهم كثيرون من رتبة « الملائكة » ولذلك أصبح على جانب كبير من الثروة ومكنته
ته من اقامة حفلات شاى مجانية لفقراء المدينة فى كل يوم أحد . وبعد تناول الشاى كان دائما
الضيوف ، ويدعوهم الى الدين الجديد
وزاد صيته ذيوعا حتى اجتذب أنظار رجال الحكومة وحامت حوله الشبهات . وكانت الحكومة
أن يكون دجالا يستعمل طرق « النصب » والاحتيال لابتزاز الاموال من الاغرار البسطاء .
ضربت عليه المراقبة ولكنها لم تجد ما يؤاخذ به أو ما يسوغ مواصلة مراقبته . الا أن ازدياد

أتباعه الى حد تخشى معه الفتنة حمل الحكومة على اعادة النظر فى أمره . فأصدرت أمراً بالقبض عليه فى خريف سنة ١٩٣١ وحاكمته فحكم عليه بالسجن مدة سنة واحدة وبغرامة مائة جنيه . واتفق أنه بعد أن أصدر عليه القاضى هذا الحكم بأربعة أيام توفى بغتةً بالسكتة القلبية . وكان رجلا قوى البنية فى الخامسة والخمسين من عمره . فصار الناس يعتقدون أن وفاته كانت عقابا له على حكمه القاسى على الاب ديفاين، ولما استؤنف الحكم برىء الاب ديفاين بعد أن قضى فى السجن خمسة أسابيع كان أتباعه فى خلالها قد زادوا زيادة كبيرة حتى بلغ عدد « الملائكة » فقط نحو ثلثمائة . فلما خرج من السجن عزم على الرحيل الى جهة أخرى ، فذهب الى نيويورك تاركاً وراءه بعض « الملائكة » الشيوخ ليعنوا بأمر الطائفة ، واتخذ لنفسه مقراً فى رقم ٢٠ شارع ١١٥ ولا يزال هنالك الى هذا اليوم

وكثر أتباعه فى هذه المدينة فاضطر الى انشاء رتبة جديدة غير رتبة الملائكة سماها رتبة «الاولاد» وصار يقدم لهم السكن ولا يتقاضى منهم الا شيئاً يسيراً . واستأجر لهذا الغرض تسعة منازل خاصة ونحو عشرين (شقة) وثلاث قاعات لعقد الاجتماعات . وصار يسمى كل منزل وكل (شقة) سماء ويقيم على كل سماء (ملكا) يشرف على شؤونها

ومن ثم اتسع مجال العمل أمامه ، حتى انه يملك الآن خمسة وعشرين مطعماً وست « بقالات » وعشرة دكاكين حلاقة ، وعشرة دكاكين لغسل الثياب وكيها ، وعنده جيش من الباعة المتنقلين يبيعون مختلف السلع والمواد الغذائية لحسابه .أضف إلى ذلك أنه ينشر جريدتين أسبوعيتين تدر عليه الأرباح الطائلة

ويقدر عدد « الملائكة » الخاضعين له فى الوقت الحاضر بنحو ألف يتقاضى من كل م[...] ما متوسطه جنيهان كل أسبوع . ويقدر مجموع دخله كل أسبوع بما يزيد على ألفى جنيه ! والغر[يب] أنه لا أحد يدرى أين يضع أمواله ، وقد حاولت الحكومة نفسها أن تعلم أين يضعها لتفرض [عليه] ضريبة الدخل فلم توفق الى ذلك . ومع ذلك فانه ينفق عن سعة ، يدلك على ذلك أنه حكم مرة [على] أحد « ملائكته » بدفع غرامة مائة جنيه ، فما كان منه إلا ان أخرج ورقة بنكنوت من محفظته دافعاً الغرامة المطلوبة ، وخرج هو و « الملك » يبتسمان

ولا يزال الناس يلتفون حوله ، إلا أن الكثيرين منهم قد أصيبوا بأعراض تشبه أع[راض] الجنون . وفى السنين الماضية دخل ثمانية عشر من « ملائكته » مستشفى المجاذيب فى « بيلف[و] » إلا أن معظم أتباع الرجل لا يزالون يتمتعون بقواهم العقلية ويؤمنون بألوهيته

[خلاصة مقالة نشرت فى جريدة النيويوركر بقلم الاستاذ ماكاواى و

تقدم العلم والعالم

حب الشباب

ليس بين الأمراض الجلدية الشائعة ما يشوه
جه الشباب أو الفتاة كمرض «الأكنه» أوحبوب
لشباب . والرأى الشائع بين الأطباء هو أن
هذه الحبوب ناشئة عن سوء التغذية . على أن
باحث العلماء الأخيرة تدل على ما يخالف هذا
لرأى ، وتكاد تثبت أن هذه الحبوب تنشأ عن
جراثيم ميكرسكوبية تنمو فى مسام غدد الجلد
تسدها وتمنع سريان المادة الدهنية من الغدد
لتى تفرز الدهن . فاذا تآكلت جدران الغدد
نطلقت تلك الجراثيم الميكرسكوبية الى أنسجة
لجلد ونشأت عنها حبوب الشباب . وليس لدى
لعلماء براهين قوية على أن هذه الحبوب تنشأ
ين نوع معين من الأغذية،ولكن التجارب قد
ثبتت أن فى الامكان معالجة هذه الحبوب بحقن
شاب بمحاول السكر وباعطائه غذاء غنيا بالمواد
سكرية والنشوية

الغدة التيموسية

هى غدة تقع فى أعلى التجويف الصدرى
ى أسفل الحلق وتوجد تقريبا فى جميع
لوقات ذوات السلسلة الفقرية . ولا تزال
يفتها مجهولة ، فبعض العلماء يقول إنها تتحكم
مو الجسم وبعضهم يعتقد أن لها علاقة بتولد
. وقد جاءتنا الآن احدى المجلات العلمية
كية بنبأ اذا صح كان له أعظم شأن فى
اط العلمية . وخلاصته أن الدكتور آرثر
ج من علماء معهد فيلادلفيا للمباحث
الطبية قد أثبت بتجارب واسعة النطاق أن غدة
التيموس التى نحن فى صددها تتحكم فى نمو الجسم
وفى نمو النتوءات السرطانية ، لأنها تحتوى
الخلاصة الكيمياوية المعروفة باسم «جلوتايتون»
وهى المادة التى تسبب نمو الجسم. ومن التجارب
التى قام بها العالم المذكور أنه أطعم طائفة من
الجرذان خلاصة «الجلوتايتون» فلم تمر عليها بضعة
أيام حتى نمت نمواً مدهشاً وصارت نحو خمسة
أضعاف حجمها الطبيعى . ولما توالدت كانت
صغارها ذات حجم هائل . وقد قام الدكتور
ستاينبرج بتجارب أخرى من هذا القبيل ثبت له
من جميعها تأثير مادة « الجلوتايتون » ـ أو خلاصة
الغدة التيموسية ـ فى نمو الجسم أو النتوءات
السرطانية . ولكن لم يتضح حتى الآن هل الغدة
المذكورة تفرز مادة « الجلوتايتون » أم هى
محض مستودع لها

النطق بين الانسان والقردة

لا شك أن أعظم فارق بين الانسان
والحيوان هو اتصاف أولهما بقوة النطق.ومنشأ
هذه القوة هو فى جزء من الدماغ يسمى «منطقة
بروكا » وقد أثبتت المباحث العلمية الدقيقة أن
أدمغة جميع الحيوانات خالية من هذه «المنطقة»
ما عدا أدمغة الثلاثة القرود التى هى أعلى الأنواع
المعروفة ، ونعنى بها الأورانج أوتان والغوريلا
والشمبانزى . أما سائر أنواع القرود فأدمغتها
خالية من المنطقة المذكورة . وقد يكون هذا
دليلا على الصلة بين الانسان وأنواع القردة العليا

الوفيات بالسرطان

لا يزال السرطان ثانى الأمراض بالنسبة الى كثرة عدد ضحاياه (وأول تلك الأمراض أمراض القلب) . وتدل الاحصاءات في الظاهر على أن عدد الوفيات بالسرطان فى ازدياد مستمر، ولكننا اذا فحصنا تلك الاحصاءات فحصا علميا ثبت لنا أن زيادة عدد الوفيات ليست حقيقية بل هى زيادة فى الظاهر فقط . وسببها تقدم علم الطب وطرق تشخيص الداء . فقد كان الكثيرون يموتون قديما بالسرطان ولا يدرى الأطباء حقيقة مرضهم . أما الآن فقد تقدم علم الطب فصار فى وسع الطبيب فحص أعضاء الجسم الباطنية ومعرفة ما تصاب به من الأمراض . ومن الأمور التى لها دلالة خاصة أن سرطان الأعضاء الظاهرة فى تناقص محسوس وأن ألوفا من المصابين بهذا السرطان يشفون شفاء تاما بشرط تدارك المرض فى أوائل ظهوره

مرض الكساح

هو مرض يصيب الأطفال . وسببه نقص الفيتامين (د) من غذائهم ولذلك يعالجونهم باعطائهم زيت كبد الحوت ومواد أخرى يكثر فيها الفيتامين المذكور . ومما يجدر بالذكر أن هذا المرض انما يصيب الاطفال فى السنتين الأولى والثانية من حياتهم وقلما يصيبهم بعد تلك السن

ملوك افريقا وزوجاتهم

يقول الأب وارد « الكاثوليكى » الذى عاش مدة طويلة بين متوحشى افريقا إن ملوك بعض القبائل الافريقية يتزوجون زوجات كثيرات بنسبة ما لهم من ثروة وجاه . فملك قبيلة (يوربا) مثلا بساحل العبيد فى غرب افريقا او خمس وعشرة زوجات . ويظهر أن رؤساء غير مرتاحين الى قلة عدد أزواجهم لأن أحد رؤساء القبائل الحاليين له أكثر من زوجاته . إذ يبلغ عدد نسائه مائتى زوج وخمس أزواج . ويقول الأب (وارد) ان فى مملكة هذا الرجل عرافة لم يرها أحد سوى الملك وبعض المقربين منه ، وهى التى تحدد عدد الأزواج اللواتى يجب على الملك أن يقترن بهن ، وهى التى تسمى أولاد الملك بأسمائهم عند ولادتهم ، ولها فوق ذلك سلطان عظيم فى ادارة شؤون الملك الخاصة

متى ظهرت الحياة

فى المؤتمر السنوى الذى عقدته الجمعية الجيولوجية الاميركية فى سنسناتى ألقى بعض العلماء خطبا حاولوا أن يثبتوا بها أن الحياة ظهرت على وجه الكرة الارضية بشكل نباتات بسيطة جداً (سموها نباتات فجر الحياة) منذ نحو الف ومئتى مليون سنة . وبعد ظهور النباتات بنحو سبعمائة مليون سنة ظهرت الحياة الحيوانية بشكل كتل هلامية . وقد حاول العلماء المذكورون اثبات نظريتهم هذه بالاستشهاد بآثار الراديوم وغيره من العناصر الكيمياوية فى طبقات الارض وصخورها بطريقة يصعب شرحها فى أسطر قليلة

مرض الدفتيريا والمناعة

المعروف أن حقن الطفل بلقاح الدفتيريا يولد فى الجسم مناعة مدى الحياة ، ولكن يؤخذ من بعض الاحصاءات الطبية أن هذه المناعة لا تستمر مدى الحياة . فقد شوهدت اصابات بالدفتيريا كان المصابون بها قد لقحوا باللقاح الواقى ولكن المناعة لم تدم فيهم طويلا . نعم ان عددهم قليل جداً ولكن قد جعل الاطباء ينقحون آراءهم بشأن مبدأ المناعة

نوع جديد من المورفين

استنبط الدكتور صمول من أساتذة جامعة رجينيا بأميركا ثلاثة أنواع جديدة من المورفين ظهر أن أحدها (وقد سجله المستنبط برقم ٥٢ ٥٠٨ ٢٠) هو أقوى من المورفين لاعتيادي وأفضل منه من جميع الوجوه ولا سيما من حيث ان استعماله لا ينشىء فى متعاطيه عادة لادمان . وبما أن هذا المورفين أقوى من النوع لمعروف فان جرعة صغيرة منه تعوض عن جرعة كبيرة من ذلك النوع ، وتأثيرها يظل مدة أطول من مدة تأثير المورفين الاعتيادى. وتقول المجلة التى نقلنا عنها هذا الخبر إنهم قد شرعوا فى تجربة هذا النوع من المورفين على نطاق واسع والاستعاضة به عن النوع المعروف

الغذاء وطول العمر

تدل أحدث المباحث العلمية على أن بين الغذاء الذى يكثر منه الانسان وطول العمر علاقة متينة , وأن الغذاء الذى تكثر فيه الألبان والمواد المستخرجة من اللبن يطيل العمر لأنه يكثر فيه الفيتامين (ا) والفيتامين (ز) والمواد الكلسية والبروتاتينية . ولا يخفى أن إطالة العمر وسيلتين ــ احداها ابعاد الأمراض عن الجسم ، والأخرى اعطاء الجسم المواد التى تغذيه وتقوى انسجته . والتجارب الواسعة التى تدل على أن الغذاء اللبنى أو الذى يدخل اللبن فى تركيبه هو أقدر على اطالة العمر من غيره

تجارة بابل القديمة

كانت بعثة متحف اكسفورد تبحث فى ما بين النهرين عن آثار مدينة (قيش) عثرت على آنية مصنوعة من الفخار الاسود الناعم كانت تصنع فى تلك المدينة وترسل الى مختلف أنحاء العالم . وترجع بعض تلك الآنية الى نحو خمسة آلاف سنة مضت أى الى حوالى سنة ٣٠٠٠ قبل المسيح . ويظهر أنه كان لمدينة قيش تجارة واسعة مع الهند وبلاد فارس والاناضول وشمال سوريا وغير هذه الاصقاع ، فقد عثر علماء الآثار فى جميعها على آنية وقوارير من النوع الذى نحن فى صدده ، والذى كان يصنع فى مدينة قيش المذكورة مما يدل على قدم حضارة ما بين النهرين واتساع نطاق تجارتها فى تلك الازمنة الخالية

الرومان والكرنب

يعتقد الأوربيون ، ولا سيما الانجليز والفرنسيون ، أن الاكثار من أكل التفاح مفيد للصحة ، ولهم فى ذلك أمثلة معروفة منها قولهم : « من تناول تفاحة فى اليوم استغنى عن الطبيب الى الأبد » . وقد كان للرومان القدماء مثل هذا الاعتقاد فى الكرنب ، ومن أقوالهم المأثورة فيه: « ان الاكثار من أكل الكرنب يطرد المرض »

الحصى الصفراوية

يظهر أن الحصى الصفراوية أو حصى المرارة انما تتكون وتتجمد اذا كانت البيئة قلوية . فاذا كانت البيئة حامضة ذابت الحصى وزالت . وقد قام بعض الاطباء بتجارب لاثبات هذه النظرية ، فنقلوا حصى صفراوية الى مثانة كلب فذابت كلها وانحلت ، لأن صفراء الكلب اكثر حموضة من صفراء الانسان . وقاموا بهذه التجربة عينها فى خنازير غينيا فلم تذب الحصى لأن صفراء تلك الخنازير قلوية

نظرية تمدد الكون

منذ عهد بعيد ادعى الأب (لميتر) العالم الفلكي البلجيكي بأن الكون آخذ في التمدد، وبأن السدم السحيقة التي في أطراف الكون مندفعة في الفضاء مبتعدة عن مركز الكون بسرعة هائلة كما يستدل على ذلك بحمرة لون النور الذي يصل الينا من تلك السدم، وهي كلما ابتعدت عنا ازداد لونها احمراراً. وقد سلم اكثر علماء الفلك الحاليين بنظرية الأب (لميتر) هذه ما عدا القليلين منهم. ومنذ نحو ثلاثة أشهر ألقى الدكتور (هبل) مدير مرصد مونت ويلسون، وهو اكبر المراصد الفلكية في العالم خطبة في مؤتمر علمي جاء فيها أن هذه النظرية قد تكون صحيحة وقد تكون خطأ وربما كان الفرض الثاني أرجح. وقد انبرى الآن الاستاذ (هاز) العالم النمسوي لتفنيد هذه النظرية بطريقة علمية، فاثبت بالمعادلات الحسابية أن قوة الجاذبية التي في مركز الكون هي أقوى بكثير من قوة الاندفاع التي تتولد عن انفجار السدم، والتي بموجبها تتطاير تلك السدم في الفضاء. وبعبارة أخرى أن قوة الجذب التي في مركز الكون تحول دون استمرار السدم في الاندفاع في فضاء الكون الى ما لا نهاية له. ولا بد لتلك القوة من أن تقف السدم المتطايرة وتمنعها من مواصلة الانطلاق على غير هدى

اكتشافات أثرية مهمة

بينما كانت بعثة متحف متروبوليتان الاميركية تقوم بأعمال الحفر منذ عهد قريب في منطقة طيبة (لوكسر) في واد عميق عثرت على قبر فيه صندوق كبير وعلى مقربة منه تابوت صغير.

فلما فتحت الصندوق والتابوت وجدت في أولهما بقايا حصان وفي ثانيهما بقايا قرد صغير. واتضح أن كلا القرد والحصان كانا ملكاً لرجل يدعى «صنموت» عاش في مصر في القرن الخامس عشر قبل المسيح، وكان رجلا عصاميا أصبح من أعظم رجال الدولة في زمانه لذكائه وسعة حيلة أمه. ولا يخفى أن الهكسوس أو الملوك الرعاة هم الذين أدخلوا الحصان الى مصر حوالى سنة ١٧٠٠ ق. م. والحصان الذي نحن في صدده هو بقايا الحصان الوحيد الذي انتهى الينا من أهل ذلك الزمن

والاكتشاف الذي وقفت اليه البعثة الاميركية يلقي نوراً ساطعاً على جزء من تاريخ ذلك العصر. وهو العصر الذي حكمت فيه الملكة «حتشبسوت» على مصر. وخلاصة حكايتها أنها اغتصبت العرش من ابن زوجها (وكان في الوقت عينه ابن أخيها لانها كانت زوجة لأخيها حسب عادات الملوك في ذلك الزمن) ولم تكتف بأن جلست على العرش كملكة، بل لبست بعد قليل لحية مستعارة وتسمت باسم ملك واتخذت لها بطانة كسائر ملوك ذلك العصر. وكان «صنموت» من أقرب المقربين اليها لأن أمه (واسمها هات ـ نوفر وكانت من العامة) كانت خادما ثم أصبحت قهرمانة (أي وكيلة الدخل والخرج في قصر الملكة) ومع إنها كانت أمية لا تعرف القراءة والكتابة، وكان زوجها فقيراً وقد مات فقيراً إلا إنها كانت على شيء كثير من الذكاء الفطري وكانت تنصح ابنها بما يجب عليه أن يفعله وبفضل نصائحها وصل الى المركز الذي و[illegible] اليه في قصر الملكة وأصبح صاحب الأ[مر] والنهي في طول البلاد وعرضها

امعة بايل ، فلم يمنح الا بضع دقائق لتلاوة رسالته ، لكثرة الرسائل العلمية الخطيرة !

واقبل يوم ١١ فبراير سنة ١٩٢٢ وجيء « بغلكريست » الى معمل بانتنغ وبست . هو الآن الحيوان الذي يجرّبان فيه تجاربهما . وهو لا يكاد يفرق عن الكلاب التي سلّت حلوتاها ، لان حلوته كانت عاجزة عن القيام بعملها . فهل يمكّنه « الايلتين » من حرق السكر في دمه ؟ فسقي اوقية من الغلوكوس ، ثم اخذت قطرات من دمه فاذا السكر فيها كثير كثير. ثم حقن حقنة من الايلتين وجلس بانتنغ وبست يراقبانه، ومضت ساعة وساعتان ، ولم يبد على غلكريست ان جسمه بدأ يحرق الغلوكوس بفعل الايلتين العجيب. فاستولت السوداء على بانتنغ . هل تفيد هذه المادة العجيبة الكلاب ولا تفيد الناس ؟ جلس كئيباً وهو يكاد لا يجرؤ ان ينظر الى إلفه القديم ظنّا منه انهُ مائت لا محالة وكان مضطرّاً ان يسرع للحاق بقطار مسافر الى الشمال لزيارة اهله فترك العليل في المعمل ومضى . وما كاد يخرج، حتى همّ غلكريست بالخروج وهو لا يدري ان في خفايا جسمه انتصرت آية الحياة والعلم، على آية الموت . فاقنعهُ بست بالبقاء ريثما يحقنهُ حقنة ثانية . وما لبث بعيدها حتى تنفس في الآلة الخاصة بذلك ، فأحسّ ان لهُ رئتين يتنفس بهما ، وكان لثقل تنفسهِ لا يحسّ بهما من قبل . ثم شعر بصفاء في ذهنه وان فخذيه قد فكتا من عقال حديدي كان يثقلهما فاسرع الى داره، وخاطب بانتنغ عند وصوله وقال ان العجيبة قد تمّت . وجلس عندئذٍ يتناول العشاء الذي يشتهي وبعد العشاء خرج للنزهة مشياً على الاقدام فجعل الناس يحدقون فيه ماشياً باسماً وكأنهُ عاد من عالم آخر

عندئذٍ ادرك مكلود ان بانتنغ المتعثر ، قد حقق ما عجز عنهُ اكبر الفسيولوجيين . ولا ريب في انهُ باهى في ما بينهُ وبين ذات نفسهِ ، بانهُ لم يمنع عن بانتنغ المساعدة والكلاب والاسابيع الثمانية . فصدف الآن عن تجاربهِ العلمية الخاصة واقبل هو ومساعدوهُ على الايلتين — بعد ما غيَّر اسمهُ الى انسولين — يدرسون طرق تحضيره ، وانضمّ اليهم كولب من جامعة البرتا . اما بانتنغ فترك لهم هذه التفصيلات ووجّه عنايتهُ الى المصابين يودُّ ان ينقذهم من براثن الموت وذهب مكلود الى مؤتمر الجمعية الطبية الاميركية فالقى رسالة علمية في هذا الاكتشاف الخطير، فاصغى اليه اساطين الطب وقرّروا ان يوجّهوا الشكر الى « الاستاذ مكلود ومساعديهِ لما نفحوا بهِ الانسانية من نعمة الانسولين » !

من عجائب الطبيعة البشرية ضنّ الزميل على زميله احياناً بالثناء الذي يستحقهُ . فقد روى الدكتور بول ده كروف (١) ان جماعة من الاطباء والبحّاث ، جلسوا في ليلة يتحدثون ، فلما ذكر بانتنغ هزّت الرؤوس وقلبت الشفاه . وكان ده كروف جديد العناية بسيرة بانتنغ والانسولين، فأفاض في الحديث . فقيل ولم يعزّ الفضل كلهُ لبانتنغ ، فلما اطلعهم على الحقيقة قالوا واذا كان الفضل له فلا ريب في انهُ كان موفقاً ولن يستطيع ان يكتشف اكتشافاً آخر مثله

جمجمة انسان جديد

بينما كانت بعثة علمية ألمانية برآسة الدكتور كوهل لارسن تبحث فى السنة الماضية عن البقايا البشرية فى منطقة بحيرة تانجانيقا بافريقا ، عثرت على جمجمة بشرية قديمة العهد يظهر أنها من الحلقات المفقودة بين الانسان وأسلافه القردة . وقد أتيح للدكتور ليكى العالم الأنثربولوجى الشهير درس هـذه الجمجمة فى متحف برلين للتاريخ الطبيعى فحكم بأنها جمجمة انسان افريقى من أهل العصر الحجرى، وأنه عاش على الأرض منذ نحو ثلاثين ألف سنة على الأقل

اكبر رقم فى الوجود

هل تعلم ما هو اكبر رقم لاشياء لها وجود حقيقى فى العالم ؟ هو الرقم الدال على الايلكترونات أو الومضات الكهربائية ـ التى تتألف منها مادة الكون على الأرض وفى الاجرام العلوية . هذا العدد يعبر عنـه بالرقم « ١ » والى يمينه ئة وعشرة أصفار . واذا كان عنـد القارىء ك فى ذلك فما عليـه الا أن يشرع فى عد يلكترونات ! . .

الكحول فى الجسم

لم يوفق العلماء حتى الآن الى معرفة ما يحل ة الكحول بعد دخولها الجسم . فمن قائل تحترق وتزول ، ومن قائل انها تتحول الى ة أخرى تدخل فى تركيب أنسجة الجسم . ى الفرض الأخير أقرب الى الحقيقة . لذلك ى بعض العلماء في أميركا اليوم الى استقصاء الحقيقة

الزنوج والسرطان

يظهر أن الزنوج غير معرضين للسرطان كالبيض ولا سيما سرطان الجلد . ولا يعلم الاطباء سبب هذه الظاهرة ، ولكن بعض الأطباء يزعمون أن للمادة الملونة التى فى جلد الزنجى أثرا فى منع السرطان أو تقليل الاصابة به

طرائف علمية

* سيكون الزى القادم فى الاسنان الصناعية من نوع متين من الزجاج ذى لون أقرب الى اللون الطبيعى رخيص الثمن سهل الصنع . وقد بدأ بعض أطبـاء الاسنان بكندا باستعمال هـذه الاسنان فلقيت رواجا عظيما

* من أغرب الأمور التى ذكرها بعض المؤرخين أن اليونان فى زمن « هوميروس » الشاعر كانوا ينظرون الى اللبن الحليب نظرة احتقار ، ويعتبرونه من المواد الغذائيـة التى لا تليق الا بالمتوحشين . ولم تتغير نظرتهم هذه الى اللبن الا فى عهد الاسكندر

* ثبت بالاختبار أن الطماطم الخضراء التى تطبخ كما تطبخ البقول أو التى « تخلل » تحتفظ بكل ما فيها من فيتامينات وتصلح للتغذية

* حاول بعضهم زرع أرز لبنان فى ولاية انجلند الجديدة باميركا فأخفقت التجربة . ثم أعيدت وجىء بشجيرات (فسائل) من جهات باردة فى لبنان وزرعت فى مشجرجامعة هارفرد فنجحت التجربة ونمت الشجيرات ويبلغ ارتفاع بعضها الآن نحو أربعين قدما

كتب جديدة

القصر المسحور

للدكتور طه حسين بك والاستاذ توفيق الحكيم

دار النشر الحديث . صفحاته ٢١١

«في قرية نائية من قرى فرنسا ، وفي صحبة شهرزاد الأسرة الفاتنة ، قضى أديبانا شهراً من أشهر الصيف الماضي « يعبثان بأنفسهما وبالحياة » هذا العبث الذي تذيعه قصتهما في الناس ! . .

ستقول : ويح عقلك ! أتزعم أن شهرزاد التي كانت تحيا في بغداد منذ مئات السنين ، تقيم اليوم في فرنسا تتحدث وتستمع الى الناس ؟ ! ولكن رويدك ، فما كانت شهرزاد الا علماً على المرأة أنى عاشت أو أقامت ، ورمزاً لهذه التي « هي كل ما كان ، وكل ما يكون ، وكل ما سيكون . . . » . .

وإذاً فموضوع القصة هو طرف من هذه الأحاديث التي تجد حتى تجهد وتضنى ، وتهزل حتى تطرب وتستخف ، لأنها تدور بين المرأة التي تمثلت فيها حواء وبناتها جميعاً ، وبين خيال الأديب الذي يختزل أجيال الماضي وأنحاء الدنيا في الساعة التي يحياها والمدى الذي تبصره عيناه

تقرأ هذه القصة فاذا بك تنتقل من مشهد طريف فيه لهو وعبث إلى فكرة عميقة تمس الزمن والخلود ، أو من كلمة هازلة فيها نقد وسخر، إلى بحث شائك يمس الدين والخالق ، فبينما أنت في سرحة هذا الخيال الذي يخلقه الأدب الحي الرفيع، إذا بك تصطدم برأي خطير يلق به عقل مفكر ناضج ، ثم اذا بالأسلوب الشائق أو الحوار الشائق يتخطى بك هذه الفكرة التي اعترضتك دون أن ينسيك أن تردد فيها فكرك بعد هذا مرة ومرات

خطف رجال شهرزاد توفيق الحكيم وسجنوه ، فتنكر شهرزاد أنها هي التي أمرت أن يفعل به هذا ، فيسألها كيف يخالفها رجالها عما تريد ، فتقول :

شهرزاد : ثق ان الملوك بل الآلهة لايستطيعون دائماً أن يصنعوا كل ما يشاءون !

توفيق : وماقيمة هذا الإله الذي لايستطيع أن يصنع كل ما يشاء !

شهرزاد : وهل يتصور كون منظم يدبره إله يستطيع أن يعبث بكل ما يشاء وقتما يشاء ؟!

هذه فكرة دقيقة شائكة ، ولكن الكتاب ساقها في سهولة لا تشعر القارىء بأنه مقدم على موضوع يعجز التفكير . .

وهل من عجب أن يجتمع في هذا الكتاب الاسلوب السلس والخيال الطريف، وقد اجتمع فيه هذان الأديبان

الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي

للاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك

مطبعة النهضة . صفحاته ٥٨١

الثورة العرابية ــ كغيرها من الثورات ــ أنصار يمجدون رجالها ويشيدون بمبادئها ، وخصوم يتجنون على زعمائها ، ويشوهون صورتها

هذا كنا في حاجة الى المؤرخ الذي يقف

من الثورة موقف القاضي العادل، يرصد الفكر في أقوال الأنصار والخصوم على السواء، ويستقرىء الحوادث ويدرس الرجال بدقة ونزاهة ليستخلص الحقيقة مجردة من المحاباة خالية من التحامل .

وهذا ما قام به الأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك بتأريخ هذا الدور الخطير المجيد من أدوار حركتنا القومية ، لأنه آثر ألا يحكم للثورة أو عليها قبل أن يدرس عواملها ويمحص وقائعها ، وآثر كذلك ألا يخلط بين الوقائع التي يسوق رواياتها ، والآراء التي عنت له فأبداها

بدأ الكتاب بإجمال الحالة السياسية في أثناء الفترة التي تقدمت الثورة ، وما اقترحه شريف باشا من نظام دستوري يرضى الشعب ويؤلفه حول العرش . ثم تحدث عن أسباب الثورة العامة التي ترجع إلى تذمر الشعب من النظام السياسي القائم على استبداد الحكام واضطهاد الرعية ، ومن النظام الاقتصادي الذي أثقل الحكومة بالديون الفادحة كما أرهق الفلاح إشقاء ، وذكر الأسباب المباشرة التي تنحصر في تذمر الضباط الوطنيين من رؤسائهم الشراكس والأتراك

وانتقل من هذا الى بيان الوقائع التي حدثت بقصر النيل وسراى عابدين فأدت إلى إعلان الدستور وإنشاء مجلس النواب الذي اضطلع في حياته الوجيزة بكثير من الأعمال القيمة ، ودل على كفاءة مصر للحياة الدستورية منذ ستين سنة ونيف . وتدرج من هذا الى الحديث عن الفتن والأحداث التي قامت فأدت إلى انفضاض المجلس واحتدام الخلاف بين الخديو والوزارة والجيش ، ثم ما تلا هذا من ظهور الأسطولين الانجليزي والفرنسي منذرين بالعدوان ، وما وقع في الاسكندرية من مذبحة خطيرة لا شك في انها دبرت لتبرر للأسطول الانجليزي ضرب الاسكندرية واحتلال مصر . وبعد أن سرد بإفاضة وقائع الثورة وتفاصيل الحرب التي انتهت بهزيمة العرابيين ، عقد فصلين قيمين درس في أحدهما زعماء الثورة فأبان عناصر القوة ومواضع الضعف في كل منهم ، وبحث في ثانيهما أسباب اخفاق الثورة وانكسارها

ولا شك في أن هذا الكتاب الذي استقيت معلوماته من أصدق الوثائق وأصح المصادر ، ومحصت وقائعه ما دق منها وما جل تمحيصاً وافياً ، ثم فسرت أحداثه تفسيراً دقيقا نزيها ، هو خير تاريخ لهذه الفترة الخطيرة المجيدة ، التي وجهت حياتنا دهراً طويلا ، والتي ما زالت نتائجها متصلة بنا أوثق اتصال

عالم السدود والقيود

للاستاذ عباس محمود العقاد

مطبعة حجازي . صفحاته ٢١٩

من أقدر من الشاعر الذي فطر على الحرية ، والمفكر الذي نذر عقله للحرية ، على أن يتحدث عن غيابة السجن وأصفاده ، فيبث الألم والأسى ، ويثير العطف والرحمة ، ويستفز النفس غضباً وغيظاً ؟ . . أجل من أقدر من العقاد على وصف تلك الغيابة الرهيبة التي ظل تسعة أشهر يقاسي آلامها المرة بقلبه الشاعر ، ويطيل الفكر ويردده في ظلامها الموحش بعقله الناضج ، فاذا ما تحدث عنها نفذ الى صميم النفس فأثارها ؟!

يقدم الاستاذ العقاد في هذه الصفحات خلاصة احساسه وتفكيره تسعة أشهر طويلة قضاها رهين السدود والقيود ، فصور كل ما يقاسيه السجناء من غير وخطوب وأحداث ، وكل ما

يحيط بهم من مساوىء ورذائل وآلام ، فى حديث تتخلله فكاهة رقيقة ساخرة ترفه على القارىء وتهون عليه هذا الألم الذى يراوحه وهو يطالع فصول الكتاب

فبينما هو يتحدث عن تلك الليلة القاسية التى قضاها فى مستشفى السجن أرقاً يسمع أنين المرضى والجرحى ، ويرى مناظر كريهة ، إذا به ينتقل الى هذه الحوادث الفكهة التى يرويها عن خادمه الساذج البسيط . وبينما يشمئز القارىء من تلك المساوىء التى يقارفها السجناء ، إذا به لا يقنط حين يفكر فى هذه الآراء السديدة التى يبديها الكاتب فى اصلاح السجون

وبعد ، فان هذا الشعور القوى الصادق الذى يسرى فى الكتاب، يذكر المرء بهذه الأغنية الشجية الرقيقة التى أنشدها أوسكار وايلد فى سجنه، إذ أن الشعر هو الشعر سواء جاء منثوراً أم كان منظوما . .

احياء النحو

للاستاذ ابراهيم مصطفى

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

صفحاته ٢٠٠

هذا بحث خطير فى النحو وقواعده ، بغير النهج القديم المألوف الذى ضاق به التلاميذ والطلاب قديماً وحديثاً ، ويضع أصولا جديدة مبتكرة يراد بها تقريب المتعلمين الى العربية ليتفقهوا ــ عن طريق النحو ــ بأساليبها ومبانيها

وقد استخلص الاستاذ المؤلف هذه الفكرة بعد دراسة طويلة دقيقة شاقة ، تتبع فيها أبواب النحو وأقوال النحاة من قدماء ومحدثين ، ودرس شعر العرب ونثرهم ليتبين أوجه الاختلاف والاتفاق بين البيان العربى الصحيح وقواعد النحو المرسومة ، حتى انتهى الى أن النحو نوعين من القواعد أحدهما لا يختلف فيه النحاة كثيراً ، ولهذا يسهل درسه والتزامه ، والآخر يشتد فيه جدل النحاة وخلافهم فيضني دارسه ولا يسعفه بعد هذا بالقول الفصل فى مواضع الاختلاف. أما الأول منهما ــ فانه على يسره وبساطته ــ هو الذى لابد منه للمتكلم والمستمع لانه يوضح المعنى ويبرزه ، وأما الثانى ــ فرغم ما يستدعيه من جهد وعناء ــ إلا انه لا فضل له فى تصوير المعنى ، فسواء رفعت الكلمة أم نصبت فان المعنى الذى أراده القائل والذى أدركه السامع لا يتغير ولا يختلف . ولو كان فى تبديل حركات الاعراب تبديل فى المعنى لكان ذلك هو الحكم بين النحاة فيما اختلفوا فيه . فاذا لم يكن لعلامات الاعراب فائدة فى تصوير المعنى فلم نبق ولم نجهد فى دراستنا ؟ !

وقد وصل المؤلف بعد تتبع الشعر والنثر القديم الى هذه النتائج :

(١) ان الرفع علم الاسناد . ودليل أن الكلمة يتحدث عنها

(٢) أن الجر علم الاضافة ، سواء أ كانت بحروف أم بغير حروف

(٣) أن الفتحة ، ليست بعلم على الاعراب ، ولكنها الحركة الخفيفة المستحبة، التى يحب العرب أن يختموا بها كلاتهم مالم يلفتهم عنها لافت فهى بمنزلة السكون فى لغتنا الدارجة

(٤) ان علامات الاعراب فى الاسم لا تخرج عن هذا الا فى بناء ، أو نوع من الاتباع

هذه جملة أحكام الاعراب التى يط[رد] حكمها فى جميع أبواب الاعراب . فلو أقمنا النحو على هذه القواعد المبسطة الميسرة لسها[ت] دراسته والتزامه ، ولأمكن تذوق البيان الع[ربى]

على وجهه الصحيح

وقد اقتصر الاستاذ فى هذه الرسالة على اعراب الاسم ، لأنه أسهل على الفهم وأدنى الى الوضوح من إعراب الفعل الذى أرجأه الى رسالة أخرى ، نرجو أن يتحفنا بها المؤلف قريبا فقد استطاع فى هذا الكتاب ـ كما قال الدكتور طه حسين فى مقدمته الطريفة الممتعة :

« أن يفتح للنحويين طريقا إن سلكوها فلن يحيوا النحو وحده ، ولكنهم سيحيون معه الأدب العربى أيضا »

وحى الصحراء

للاستاذين محمد سعيد عبد المقصود

وعبد الله عمر بالخير

مطبعة عيسى البابى الحلبى . صفحاته ٤١٦

هذه طائفة من القصائد والفصول اختيرت من الأدب الحديث فى بلاد الحجاز ، التى يجهل أبناء العروبة كثيراً من شئونها برغم مابينهم وبينها من صلة الدم والأصل ، وبرغم ما يدينون لها به من أدب ودين ، ولهذا نرحب بهذا الكتاب أجمل ترحيب لأنه يعطينا صورة صادقة عن الحياة الأدبية الناشئة فى تلك البلاد

والكتاب يتحدث عن نخبة من الشعراء والناثرين الحجازيين ، فيبدأ باجمال سيرة حياتهم واتجاههم الأدبى ، ثم بمجموعة مختارة مما جادت به قرائحهم من شعر ونثر . وقد افتتحه المؤلفان بمقدمة مسهبة تتبعا فيها أطوار الأدب العربى فى الحجاز منذ نشأته الأولى الى اليوم ، مبينا ما اختلف عليه من أدوار القوة والضعف ، موضحا متجهه ومنزعه فى العهد الأخير الذى ينهض فيه ويستعيد شيئاً من مجده التليد

وقد صدر الدكتور محمد حسين هيكل بك الكتاب بمقدمة قيمة تحدث فيها عن أبناء النهضة الفكرية الناشئة فى الحجاز ، فقال انهم أبناء النهضة الحديثة التى شملت البلاد العربية جميعاً ، وليسوا أبناء العروبة القديمة فى تفكيرهم وتعبيرهم، قال : « وقل أن تقف عند شىء يشبه القديم من الأدب العربى ، فالأسلوب والصور وطرائق التفكير والتعبير تجرى كلها مجرى ما تقرؤه فى أدب مصر وسورية والعراق وغيرها من البلاد العربية فى هذا العصر الأخير »

وانه لجدير بأبناء العروبة أن يطالعوا هذا الكتاب الذى يربطهم بتلك البلاد التى كانت مهد الأدب العربي ، ومنزل الوحى على النبى العربى ، ولا سيما وأنه قد كتب بأسلوب سهل رصين ، وزين بصور جميع من تناولهم من الأدباء والكتاب

تاريخ التربية

للاستاذ عبد الله مشنوق

مطبة الكشاف ببيروت . صفحاته ٢٢٥

ما زال ينقص نهضتنا التعليمية كثير من الكتب التى تبحث فى مسائل التربية وتطور طرقها وأساليبها ، والتى تزود المعلمين بما يلزمهم من أقوال المربين قديما وحديثاً

فالكتاب الذى بين يدينا يسد فراغاً يحسه كل من زاول التربية والتعليم ، لأنه يقدم صورة واضحة مبسطة لتاريخ التربية من أقدم العصور حتى وقتنا الحاضر . فبدأ بأربعة فصول بحث فيها التربية فى العصور التى سبقت التاريخ ، ثم فى بلاد الشرق ، ثم عند اليونان والرومان . وتلا هذا عرض مسهب للتربية المسيحية والتربية العربية الاسلامية . وانتقل من هذا الى العصر

الحديث وما استحدث فيه من نظريات علمية، فهو يهدم كثيراً من القواعد القديمة المقررة، ويشرح النزعات التي ألمّ بها علماء التربية والنفس على أسس من المباحث الدقيقة والتجارب الواقعية. وقد استطاع في هذه الناحية بكثير من البراعة أن يبسط هذه الآراء ويوضح غوامضها ويذلل عقباتها أمام الدارسين

واعتمد المؤلف على طائفة من الكتب العلمية الدقيقة التي وضعها أساتذة التربية في أوربا وأمريكا، فجاء الكتاب وافياً بموضوعه دقيقاً في بحوثه، واضحاً في شروحه

تاريخ العراق

حكومة الجلايرية

للاستاذ عباس العزاوي

مطبعة بغداد الحديثة . صفحاته ٤٢٠

يتناول هذا الكتاب الضخم فترة من تاريخ العراق وقع فيها تحت الحكومة الجلايرية التي قامت سنة ١٣٣٨ م وسقطت سنة ١٤١١ . وقل بين أبناء العربية من يعرفون شيئاً عن هذه الحكومة التي سيطرت على العراق زمناً طويلا، ولهذا فان الكتاب يسد نقصاً ملموساً في مؤلفاتنا التاريخية

وقد كانت الفترة التي قامت فيها الحكومة الجلايرية فترة عصيبة في تاريخ العراق، ذاق فيها كثيراً من الظلم والاضطهاد الذي بثه العنصر التتري في كل مكان بسط عليه سلطانه . وقد صور الكتاب حياة العراق في أثناء هذا الحكم الظالم تصويراً شاملا وافياً، لأنه اعتمد على مجموعة كبيرة من الكتب التي تشتتت في ثناياها أخبار الحكومة الجلايرية وحالة العراق في أيامها. وقد فسحت هذه الفترة التي يتناولها الكتاب في شئون وعند المؤلف ما وقع في العراق من أحداث جليلة، وما قام في أثنائها من رجال معروفين بأسمائهم في التاريخ حتى جاء كتابه جامعاً لكثير من الأمور الجليلة والدقيقة

وقد أصدر المؤلف كتاباً آخر عن العراق تناول الفترة التي سبقت حكم التتار، فبذلك يتم تاريخ حياة العراق على هذا النمط من الدقة والاستيعاب

رئيس مجلس الوزراء

وتطور النظام البرلماني في فرنسا

Le Président du Conseil et l'évolution du parlementarisme en France.

للدكتور يوسف هيكل

مطبعة رودشتين باريس . صفحاته ٥٣٦

الدكتور يوسف هيكل من كبار علماء القانون والاجتماع وله عناية خاصة بجميع المباحث القانونية والقضائية والسياسية والفلسفية . وقد أتحفنا بنسخة من مؤلفه الفرنسي الجديد «رئيس مجلس الوزراء وتطور النظام البرلماني في فرنسا»، وقد حاول المؤلف في كتابه هذا أن يبسط بإسهاب نشوء النظام البرلماني في فرنسا وشوائب هذا النظام ومركز رئيس وزراء فرنسا من الوجهة القانونية ومن وجهة التقاليد . وألحق بذلك بحثاً ممتعاً في سير بعض مشهوري رؤساء الوزارة الفرنسية بعد الحرب وفي مقدمتهم بوانكاريه وبريان ولافال وبلوم . ثم بسط المغزى السياسي الذي أسفرت عنه الانتخابات النيابية في فرنسا في سنة ١٩١٩ و ١٩٢٤ و ١٩٢٨ و ١٩٣٢ و ١٩٣٦ وشرح نظام الأحزاب واللجان البرلمانية وحقوق النواب واقتراح القوانين المالية ومن الرقابة على النفقات، وتناول بعد

نيرت بعد الحرب بتخويل
ث فى مركز رئيس الوزارة
سلطتين فأكثر وفى مسألة
رة تقرير حق حل البرلمان
، وهلم جرا من المباحث
ؤلف ببراعة فائقة وأسلوب
ى هـذه المباحث العويصة
مة للاستاذ هارولد لاسكي
: بجامعة لندن

الملكية فى مصر

: المصرية على سوريا

The Royal Archives c
Origins of the Egypt
to Syri

ر أسد رستم

بيروت . صفحاته ١١٦

و الحلقة الثامنة من سلسلة
تقوم بنشرها جامعة بيروت
ع العلماء الأثبات . ومؤلف
يضا مؤلف الحلقات الثلاث
، تاريخ سوريا تحت حكم محمد
سرة العلوية ، وهو أستاذ
معة بيروت الامريكية . وقد
سنة التى نحن فى صددها أن
مية ثم الأسباب الحقيقية التى
جيه حملة على سوريا (سنة
سباب الرسمية فتتعلق بمسألة
ا الذى استنجد بمحمد على باشا
التى أريد ادخالها على السلطنة
باب الحقيقية فكانت سوء

ثية الباب العالى واستقلال مصر والاعتبارات الجغرافية التى تجعل مصر وسوريا وحدة طبيعية وغير ذلك من الأسباب التى بسطها المؤلف بأسلوب قوى دقيق

والكتاب موضوع باللغة الانجليزية وقد طبع طبعاً متقناً وفيه صور زنكوغرافية لكثير من المستندات الرسمية وهى باللغة التركية

المتنبي

Al Mutanabi

بحوث للمعهد الفرنسى بدمشق

المطبعة الكاثوليكية ببيروت . صفحاته ١١٤

هو بحث ممتع نشره المعهد الفرنسى بدمشق باللغة الفرنسية بمناسبة احتفال جميع الأقطار العربية بمرور ألف سنة على أبى الطيب المتنى . والبحث مقسم الى ستة موضوعات وهى (١) المتنى قبل عصر الاسماعيلية ، وقد وضع هذا البحث ماسينيون الاستاذ بكلية فرنسا (٢) حلب فى عصر سيف الدولة ، وقد وضع هذا البحث الاستاذ سوفاجيه السكرتير العام للمعهد الفرنسى بدمشق (٣) عصبية المتنى ومغزاها من الوجهة التاريخية ، وقد وضع هذا البحث الاستاذ ليسير العضو بالمعهد الفرنسى بدمشق (٤) حياة أبى الطيب المتنى وشعره للمسيو بلاشير الاستاذ بالمدرسة الأهلية لتعليم اللغات الشرقية الحية (٥) المتنى وأسباب شهرته للمسيو دوممبين عضو المعهد والاستاذ بجامعة باريس (٦) المتنى وحروب الروم للمسيو كانار الاستاذ بجامعة الجزائر

فنشكر للمعهد الفرنسى بدمشق عنايته بدراسة هذه النواحى من سيرة المتنى والسعى فى نشرها بين المتكلمين باللغة الفرنسية

بين الهلال وقرائه

المتر والبرد

(بيروت — لبنان) مترى خليل

على أى شيء بنى الفرنسيون قياس المتر ، والانجليز قياس البرد ؟

(الهلال) البرد هو قياس انجليزى مقداره ثلاث أقدام . وقياس القدم مأخوذ عن قياس القدم البشرية . أما المتر فهو قياس توصل اليه بعض المهندسين الفرنسيين فى القرن الثامن عشر وهو يعادل جزءاً من عشرة ملايين جزء من المسافة التى بين القطب الشمالى وخط الاستواء . واليارد نحو ٩١٤ جزءاً من الف جزء من المتر أو هو ٩١٤ مليمتراً

ومما يجدر بالذكر أن الرومان القدماء كانوا يستعملون القدم فى مقاييسهم وكانت القدم الرومانية تنقص عن القدم الانجليزية الحديثة نحو ثلث بوصة

مستوى البحار

(بيروت — لبنان) ومنه

يقيسون ارتفاع الجبال دائماً باعتبار ارتفاعها فوق مستوى البحار . فهل هذا المستوى ثابت أم هو متغير؟

(الهلال) مستوى ارتفاع الماء فى جميع البحار واحد ، وهو ثابت لا يتغير إلا فى حالتى المد والجزر بتأثير جاذبية القمر

جرم الشمس

(القدس — فلسطين) مشترك

هل جرم الشمس جامد أم غازى . واذا كان مجموعة غازات فلماذا لا تتشتت هذه الغازات فى الفضاء ؟

(الهلال) الشمس جرم غازى وغازاتها منضغطة كثيفة . وهذه الغازات هى العناصر الموجودة على الكرة الارضية بعينها وقد استحالت غازات بسبب شدة حرارة الشمس التى قد صهرتها . أما سبب عدم تشتتها فى الفضاء فهو قوة الجاذبية فى مركز الشمس . فهذا المركز يجذب تلك الغازات جذباً شديداً ويضغطها ضغطاً يجعل ثقلها النوعى أكثر من ثقل الماء بنسبة مائة (للماء) الى ١٤١ لمادة الشمس

فلك الارض

(القدس — فلسطين) ومنه

ما هو حجم الفلك الذى تدور فيه الارض كل سنة حول الشمس ؟

(الهلال) هو دائرة متوسط قطرها نحو مائة وستة وثمانين مليون ميل

الورق النشاف

(القدس فلسطين) ومنه

كيف ينشف الورق النشاف الحبر ؟

(الهلال) يختلف الورق النشاف عن الورق العادى بتركيبه . فالياقه رخوة غير محكمة بحيث أنها تجعل للورق مسام كثيرة . وهذه المسام تمتص الحبر بقوة الجاذبية الشعرية التى فى الورق . والورق الاعتيادى أشد كثافة منه فسامه لا تمتص الحبر

حاجة الانسان الى النوم

(عمارة — شرق الاردن) خ . ع .

لماذا يحتاج الانسان الى النوم ؟

(الهلال) يحتاج الانسان الى النوم لتجديد نشاط ألياف العضلات . ذلك لأنه فى أثناء النوم يجرى الدم فى جميع أجزاء الجسم فيغذى ألياف العضلات ويعيض ما فقدته فى أثناء الجهد الذى قامت به فى ساعات اليقظ

هل يستطاع الاستغناء عن النوم

(عمارة — شرق الاردن) ومنه

هل يستطاع الاستغناء عن النوم بقوة العادة ؟

(الهلال) لا يمكن الاستغناء عنه أبداً . نعم بعض الاشخاص لا ينامون سوى بضع ساعات من

أربع وعشرين ساعة . ولكن الاستغناء عن النوم جانباً مناقض لناموس الطبيعة لأن الراحة لازمة لكل جسم حي ، بل هي لازمة للجماد نفسه . وما دامت كل حركة من حركات جسم الانسان تستنفد جانباً من النشاط فلا بد من تعويض الجسم ما استنفده والا رفني وتلاشى . ولا يخفى أن هنالك حيوانات كثيرة تنام نوماً طويلا في فصل الشتاء أكثر مما تنام في فصل الصيف . ويكفي الانسان أن ينام خمس ساعات في كل ٢٤ ساعة بشرط أن يكون نوماً هادئاً مريحاً لا يشوبه أي قلق أو اضطراب

معالجة الصم البكم

(هيكات ــ جمايكا) حليم حداد

سمعنا أن في مصر طبيباً لمعالجة البكم الصم . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) في مصر أطباء كثيرون مشهود لهم بالكفاية والدراية . ولكننا لا نعرف طبيباً اخصائياً في معالجة الصم والبكم. وفي معظم مدن أوربا وأميركا معاهد في معالجة الصم والبكم الى معاهد خاصة تقوم ـ الى جانب معالجتهم ــ بتعليمهم بعض المهن والصناعات ليرتزقوا منها

اللحم النيء

(داكار ــ سنغال) عبد المجيد هلباوى

ما رأيكم في أكل اللحم النيء ــ هل هو مفيد للصحة أم مضر بها ؟

(الهلال) لا نعلم أي اللحوم النيئة تقصدون . لحوم الاغنام والعجول والبقر مفيدة جداً لو استطاع الانسان أن يأكلها نيئة ، لأن طبخها يذهب بجانب كبير من الفيتامين الذى فيها . ولا شك أن ما تتمتع به الحيوانات الضارية من قوة هائلة يرجع بالاكثر الى ما تزدرده من اللحوم النيئة . ثم ان الكثيرين من الأطباء يشيرون اليوم على المصابين بمرض السل والأمراض الصدرية بأكل اللحوم النيئة ، وبعضهم يشير بلحوم الخيل نيئة، على أن الافراط في اكل اللحوم قد يؤدي إلى نشوء الدودة الوحيدة في الجسم المصابين بالجذام

تعريب الألفاظ

(طهران ــ إيران) احمد ايزد برست

لماذا عربوا بعض الالفاظ كلفظة (اندازه) بهندسة ولفظ (اندام) بهندام الخ مع أن حروف الكلمات الأصلية موجودة في اللغة العربية فلا حاجة إلى الاستعاضة عنها بحروف تقاربها في النطق ؟

(الهلال) لم يضع العرب قواعد صريحة للتعريب . وانما وضعوا مبادىء عامة أساسها نقل الالفاظ من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية بأقل ما يكون من الكلفة مع الابتعاد عما يصعب نطقه ويمجه الذوق العربي . ومع أن الحروف التي تتركب منهـا كلتا (اندازه) (واندام) وغـيرهما موجودة في اللغة العربية ، فقد استسهل العرب استبدال الهمزة بالهاء والزاى بالسين والفاء المثلثة بالباء والذال بالدال والتاء بالطاء وهلم جرا . أما تعريب الاعلام فلا يكاد يكون له ضابط ، وقلما تجد ثلاثة كتاب يتفقون على تعريب اسم ارسطو بصورة واحدة .فبعضهم يقول: آريسطو وبعضهم يقول ارسطوطاليس وهلم جرا . وفي الواقع أن التعريب لايجرى على قاعدة منطقية صريحة بل على مبادىء اصطلاحية استبدادية

أما سؤالكم عن أهم الكتب العلمية والاجتماعية والادبية التي ظهرت في مصر في ابان النهضة الحديثة ، فلا نستطيع أن نجيب عنه في بضعة أسطر لأن اسماء تلك الكتب تستغرق صفحات كثيرة . والافضل أن تتصلوا باحدى المكاتب الكبرى في القاهرة وتطلبوا منها قائمة الكتب التي تطلبونها

بيضة الديك

(طهران ــ ايران) ميشيل سليم حداد

أصحيح أن الديك يبيض ؟ ومتى ؟ وكيف نفسر قول الشاعر :

قد زرتنا مرة في العمر واحدة
ثنى ولا تجعليها بيضة الديك

(الهلال) قولهم (بيضة الديك) مثل فيما يقع مرة ثم لا يقع بعد ذلك أبداً وذلك أنهم يزعمون أن الديك يبيض في حياته مرة واحدة، وهو زعم لا يستند إلى

...سلس نسيج . [illegible] اما يمنة الطير
([illegible]) قيل [illegible] منها مرة كرامة
(لا مرة واحدة فطار الطير) ومن ذلك قولهم
(كانت يمنة الطير) [illegible] اذا كانت مرة واحدة .
ويقال بعضهم (يمنة الطير) أما هو كقولهم (بيض
الانوق والابلق العقوق) مثل لما لا يكون ولا
وجود له

[illegible] الطير [illegible]
لا [illegible]
انا [illegible] الاف
فهذا البعض [illegible] القرارات عند [illegible] والنساء
يماثل هذا البعض [illegible] ولكنها عالية
وقيمة على استمرار [illegible] بعد البعض الى الاف

الشعوذة

(القاهرة ــ فلسطين) جورج جراسيموس خوري

ما هي حقيقة الألعاب السرية التي يقوم بها رجال السيميا ، وهي تدعو الى الدهشة وتشبه اعمال السحر التي نقرأ عنها في بعض الكتب ؟

(الهلال) هي من ضروب الشعوذة وليست في شيء من السحر كما قد تتوهمون ، الا ما كان منها من قبيل التنويم المغناطيسي فانها تبدو للذين لا يعرفون شيئاً من أسرار هذا التنويم من قبيل الاسرار الغامضة

العيون الصناعية

(القاهرة ــ مصر) ع . ج

هل يمكن عمل عين صناعية في مصر لا تفرق عن العين الطبيعية في اللون والشكل ؟

(الهلال) نعم وفي امكانكم الاستعلام عن ذلك من كبار أطباء العيون في مصر

تجميل الانف

(القاهرة ــ مصر) ومنه

هل يمكن تجميل الانف بواسطة الاجهزة التي يعلن عنها أم لا بد لذلك من عملية جراحية . وهل يمكن عمل هذه العملية في مصر ؟

(الهلال) أما الأجهزة التي تشيرون اليها والتي يكثر الاعلان عنها في بعض الصحف فا كثرها لا يحقق الغرض المطلوب منه . وأفضل طريقة لتجميل الانف هي العملية الجراحية . وفي وسع الأطباء الجراحين القيام بها . وفي برلين معهد خاص لتجميل الأنف وسائر أعضاء الرأس والوجه يديره جراحون اخصائيون ، يقومون بعمليات جراحية مختلفة [illegible] اكثرها من [illegible]

المرآة قديماً

(دمشق ــ سوريا) سليمان جابر

المعروف أن الزجاج لم يكن معروفاً عند الأمم القديمة فم كانت المرائي تصنع في القرون الغابرة ؟

(الهلال) قولكم ان الزجاج لم يكن معروفاً عند الأمم القديمة لا ينطبق على الحقيقة ، فقد كان الفينيقيون يصنعون الزجاج منذ اكثر من ألفي سنة . على أن المرائي الزجاجية لم تصنع الا في القرن الحادي عشر بعد المسيح ، أي منذ اكثر من تسعمائة سنة . وكان الاقدمون يصنعون المرائي من المعادن المصقولة صقلا تاماً

لازالة السمن

(دمشق ــ سوريا) ومنه

أشرتم في أحد الأعداد الماضية الى الدواء المسمى دينيترو فينول لازالة السمن فأين يوجد هذا الدواء وهل استعماله يخلو من الضرر ؟

(الهلال) لا يزال هذا الدواء غير موجود في مصر ولكنه موجود في صيدليات أميركا بكثرة ، ولكننا نحذركم من استعماله فقد اثبت الاختبار أنه وان كان يزيل البدانة الا أنه يؤدي الى اظلام عدسة العين بالتدريج ، وقد يؤول في الآخر الى العمى كما قرأنا في تقارير بعض الأطباء الاميركيين ومنهم أساتذة في بعض مدارس الطب

ميزان الحرارة

(حماة ــ سوريا) أحد القراء

هل ترتفع درجة الحرارة في ميزان الحرارة إذا أدرنا دفة الميزان بأنفاسنا ؟

(الهلال) نعم لأن درجة الحرارة ترتفع كما ترتفع أيضاً اذا [illegible] الميزان [illegible] ... في

كيف تولدت الطيور

علمٌ في أدب

اع الحيوان مذهبين الاول انها خُلقت وكل نوع منها قائم برأسه
ابه انما كان لان خالقها اراد ان يكون بينها هذا التشابه من بعض الوجوه
ف من وجوه اخرى لاغراض لا نعلمها . والثاني ان انواع الحيوان
و بضعة اصول وان ما بينها من التشابه دليل على وحدة اصلها وما بينها
لاختلاف المؤثرات الخارجية كما تتولد المميزات في افراد النوع الواحد
. وعلى هذا المذهب الثاني اكثر علماء الطبيعة وهم يقولون ان الطيور
ة بالمظايات . وقد وضع بعضهم رواية فكاهية عبّر بها عن كيفية هذا

نا من السنين ان ذكراً وانثى من المظايات الكبيرة تزاوجا واستقرّا في
بي اوربا وكان لكلٍ منهما رأس كبير طويل مستدقّ كمنقار الطائر
برتان والذكر منهما اكبر من الانثى جسماً واشد عضلاً فعاشا كلاهما
في ذلك العصر وهو العصر الثاني من العصور الجيولوجية . وكان طوبها
وبته لم تضرّهما بل نفعتهما ولا سيما بعد ان علا النبات حولهُ وصار

ولدت الانثى ولداً ذكراً فاحتضنتهُ كالام الرؤوم ورآهُ ابوهُ فأحبهُ
ثم انتبه هو وهي انّ في ولدهما شيئاً لم يرياهُ في اولاد غيرهما من المظايات
يمتدّ ان من يديهِ الى حقويهِ . فجعلا يفكران في امر هذين الغشائين
تولدا الاّ انّ ذلك لم يصرفهما عن حب ولدهما لان الولد فلذة من الكبد .
[illegible]

[illegible] وبوسائل أخرى صناعية لا تخفى على [illegible] يستعمل موازين الحرارة

حية البحر

([illegible] — سوريا) ومنه

هل ثبت وجود حية البحر ثبوتاً قاطعاً ؟

(الهلال) لم يثبت وجودها مع أن الكثير من ربابنة البواخر وغيرهم يؤكدون أن هذه الحية موجودة وادعى بعضهم بأنه شاهدها ولكن لم يقم على ذلك أدنى دليل حتى الآن

غاز الخردل

(بيروت — لبنان) خليل اسعد

قرأت في احدى المجلات أن غاز الخردل هو أهول الغازات التي استعملت في الحرب العظمى الماضية والتي ينتظر أن تستعمل في الحروب المقبلة . فهل هذا صحيح؟

(الهلال) غاز الخردل من الغازات الهائلة ولكن ليس أشدها فتكا ، وهو ليس في الحقيقة غازا ولا خردلا وانما هو سائل طيار ذو تأثير شديد

منع الحمل

(كفر شكي — لبنان) ت . ف

ما هو أفضل علاج لمنع الحمل ؟

(الهلال) هنالك عدة طرق لمنع الحمل لا نستطيع نشرحها لكم على صفحات مجلة يقرأها الكثيرون من الفتيان والفتيات . وأكثر تلك الطرق لا تخلو من ضرر ، ولعل أحدثها التعقيم بواسطة الأشعة . وعلى كل فليس من الحكمة الاقدام على استعمال أي علاج دون استشارة طبيب اخصائي

خطب مصطفى كامل

(يافا — فلسطين) الياس فرح المنير

هل جمعت خطب مصطفى كامل في كتاب ؟ وأين يمكن الحصول عليها ؟

(الهلال) نعم ويمكنكم الحصول عليها من أية مكتبة عربية في القاهرة

أثر السفينة في الماء

(يافا — فلسطين) ومنه

تترك السفن البحرية خطا واضحاً وراءها على الماء يدل على اتجاهها ، فكيف يتكون هذا الخط ويبقى مدة قبل أن يتلاشى ؟

(الهلال) ينشأ هذا الخط لأن ماء البحر اكثف من الماء العذب الذي نشربه ، وقاعدة السفينة تخده خداً كما يخد السكين العجين ، ويترك فيه أثراً ظاهراً ، ولو كان ماء البحر خفيفاً كالماء الذي نشربه ما استطاعت السفينة أن تترك فيه أي أثر تقريبا ، وكلما كان الماء كثيفاً كان أثر السفينة فيه (أي الخط الذي تشيرون اليه) أطول بقاء

بين عالمنا والعالم العلوي

(ناشير — الولايات المتحدة) خليل رقول

هل ثبت وجود أية صلة بين عالمنا الارضي والعالم العلوي ، واذا وجد في العالم العلوي أحياء فهل يمكننا أن نتصل بهم ؟ وهل يحتمل أن يكون ذلك العالم مقراً لأرواحنا بعد أن نخلع ثوب المادة في العالم الأرضي ؟

(الهلال) بيننا وبين العالم العلوي — أي الاجرام — صلة الجاذبية والاشتراك في الخضوع لنواميس المادة . ولم يثبت حتى الآن وجود أي نوع من أنواع الحياة في تلك الاجرام ، وان كان ذلك متعذراً في بعضها محتملا في البعض الآخر . وليس لدينا أي برهان علمي على أن أرواحنا متى خلعت ثوب المادة على هذه الأرض حلقت الى تلك العوالم لتستقر فيها . واذا صدقنا هذه النظرية كان معنى ذلك أن الاجرام الفلكية التي تسبح حول عالمنا الارضي في الفضاء هي مقر الخلود وهو ما لم يقل به أحد من العلماء حتى الآن ، ولاسيما أن العلم قد أثبت ان الاجرام العلوية تتألف من عناصر المادة التي تتألف منها كرتنا الأرضية أو من بعضها . أضف الى ذلك أن العلم قد أثبت أن جميع الاجرام الفلكية — ومن جملتها كرتنا الأرضية — كانت في الاصل كتلة سديمية واحدة تفرقت وتجزأت بمرور الزمن وبحكم بعض النواميس الطبيعية ، وفي مقدمتها ناموس الجاذبية

مراحل الهلال

عن الجزأين التاسع والعاشر من السنة السابعة

صدرا في فبراير سنة ١٨٩٩

بوغوص بك

جعل محمد على فوق يد بوغوص بك — محتكر جمرك الاسكندرية — كاتبا يراقب حساباته . فوشي به سنة ١٨١٣ بأنه قبض مبلغاً لم يدونه في دفاتره فاستدعاه محمد على اليه وكان يومئذ في دمياط وحاكمه فثبت الواشي دعواه بالحساب ، فأمر محمد على باعدام بوغوص فساقوه الى السجن على أن يقتلوه في صباح الغد ، وتولى الاحتفاظ به تلك الليلة رئيس حرس الباشا وهو كردي الاصل وكان لبوغوص فضل عظيم عليه لأنه أنقذه مرة من القتل فعول هذا على مكافأته بالمثل فلما أمره محمد على باعدامه ساقه الى منزله في ذهبية على النيل وجاء في الصباح التالي الى السراي فلما رآه محمد على سأله عن بوغوص فأجابه : « أطال الله بقاء مولاي » ففهم محمد على أنه قتله فلم يعد يذكره قط

واتفق بعد بضعة أيام أن محمد على قدم القاهرة لتمهيد شؤون حكومته فسمع باختلال أحوال الولاية وكانت التقارير ترد عليه من الكشاف (المديرين) تناقض بعضها بعضاً فشق ذلك عليه وتذكر بوغوص لأنه كان عمدته في حل هذه المشاكل فصاح بأعلى صوته قائلا : « من لنا ببوغوص الآن ... كيف اني قتلته » وكان رئيس حرسه حاضرا فامتقع لونه واضطرب ، فأدرك محمد على ذلك فقال له والغضب ظاهر على وجهه : « أدعه الى حالا » فخاف الكردي خوفا شديدا واصطكت ركبتاه فترامى على قدمي الباشا فرفسه محمد على ولم يزد على قوله : « أدعه الي » فجاءه به بعد خوفا ورهبة . أما الباشا فلم يبد استشاره في حل المشكلة التي وقع فيها فتناول بوغوص الاوراق فتلاها وحل رموزها واستطلع ما بطن منها وما ظهر . فاصدر محمد على حكمه فيها طبقاً لمشورة بوغوص ولما انفضت الجلسة وانصرف الكتبة دعاه للطعام معه فتناولاه ولما هم بوغوص بالانصراف قال له محمد على : « قد تناولت الخبز والملح معك ونسيت كل ما مضى فاذهب الى الاسكندرية بسلام » فالتمس بوغوص منه أن يعفو عن رئيس الحرس فعفا عنه على شرط أن لا يرى وجهه بعد ذلك

حذام أو زرقاء اليمامة

ان حديث حذام أو زرقاء اليمامة من خرافات العرب الجاهلية القديمة لأنها ذكرت في سياق حرب بين حسان بن تبع ملك اليمن وجديس من القبائل البائدة . وما أدراك ما طرأ عليها من التغيير والتبديل قبل وصولها الينا . أما انها كانت ترى على مسافة ثلاثة أيام فما لا يسلم العلم بامكانه ، اذ لو فرضنا انساناً تألفت طبقات مقلته على كيفية يمكن بها رؤية الاشباح على تلك المسافة فان كروية الأرض تحول بينه وبين رؤيتها

أما قصتها فقد يكون لها أصل كالجرثومة من الشجرة ثم نمت على السنة الناس بتوالي الاجيال بما فطر عليه الانسان من المبالغة في نقل الاحاديث الغريبة . فالظاهر أن زرقاء اليمامة هذه كانت حادة البصر ترى الاشباح على بضعة أميال ، ولم يكن في قبيلة جديس أحد بصراً منها واتفقت لها حادثة شهيرة استخدمت بصرها فيها فأثرت تأثيراً عظيما فتحدث الناس بها وجعلوا يبالغون في حدة بصرها وما زالت تلك المسافة تستطيل حتى صارت ثلاثة أيام والعرب يومئذ لا يعرفون كروية الارض فلم يستغربوا هذا البعد على البصر الحاد

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الرابع من المجلد الرابع والثمانين

١ ابريل سنة ١٩٣٤ ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٥٢

العلم والفلسفة

كان عهدٌ وكانت المعارف الانسانية قليلة التنوُّع . ففي عصر الاغريق الاقدمين ، كان حكماؤهم يفرقون بين الرياضة والمواليد والسيكولوجيا وأدب النفس فكانت طائفة كبيرة منهم فلاسفةً ومصاحين ياضيين وطبيعيين في آنٍ واحدٍ . بل وكانوا ساسة وجنوداً ومهندسين وتجاراً كذلك ، وهذا يدلك وحدة المعرفة في عصرهم ، بل على وحدة المعرفة والعمل . حتى التعليم في « الاكاديمية » و « الليسيوم » كان ـا للتقاليد الموروثة عن فيثاغورس تعليماً عامًّا يتناول المبادىء والاصول في الغالب دون التفصيلات. ـذا لا ينفي ان بعض المفكرين في تينك المدرستين حاولوا الانقطاع لفرع واحد من فروع المعرفة والتوفر . ولم تنفصل العلوم بعضها عن بعض وتتحيَّز مباحثها الاَّ في عهد مدرسة الاسكندرية وبعدها وكان من الطبيعي ان تكون المعرفة وحدةً غير مجزَّأة ، لما كانت العلوم في مهدها . بيد ان ـ الاغريق نحو وحدة المعرفة ، يعدو هذه الظاهرة السطحية . ذلك انهُ يقوم مثلاً واضحاً على الوثيقة بين ارتقاءِ الرياضة والعلم من جهة والفلسفة من جهة اخرى . وفي مكنتك ان تتبيَّن الصلة خلال العصور التي تلت عصر الاغريق الى عهد قوبرنيقوس وكيلر ونيوتن . ثم اننا ـتشفات ديكارت الرياضية والعلمية أساساً لاسلوبهِ الفلسفي ، بل ان نظرتهُ الكونية Cosm والبيولوجية اوحت الى الفيلسوف سبينوزا برهاناً هندسيًّا لنواهي الضمير . ثم انت ـلسفة ليبنتز على فكرة « المتناهي في الصغر » فتجدها كسمط العقد تنظم رياضتهُ العالية التمام والتفاضل) ونظريتهُ في المادة وفلسفتهُ النفسية والادبية وفقههُ الديني

وكانت فلسفة كانت باعثاً على فتح الهوَّة بين العلم والفلسفة في القرن التاسع عشر . فاصبح العلم متصلاً

، اتصال بالعقل المجرّد قائماً عليه . اما شؤون الحياة اليومية وما يلازمها من اقامة الاوزان الادبية
ت لاحكام العقل العملي والخبرة ، وهذا أسبغ ظلاً من الريبة على مكانة المسائل الفلسفية من العلم .
مّ للعلم، القائم على العقل المجرّد، سلسلة من الانتصارات الباهرة قامت مدرسة الوضعيين وهبطت
، الفلسفة . فتمهّد السبيل حينئذٍ ، لتفسير الكون والحياة تفسيراً ميكانيكيّاً ماديّاً . وساد
ي بأن الحقيقة متصلة بالمادة من حيث ان الشيء لا يكون حقيقيّاً الاّ اذا كان كالمادة ، مما تدركه
اسُ ولو ادراكاً نظريّاً كادراك الذرّات واما ما عدا ذلك ، فتخبطٌ في عالم من الاشباح . وغدا
على كل باحث عن الحقيقة ان يحللها الى اجزائها ويصفها بما تتركب به من الجزيئات والذرّات
ومن العجيب ان التمادي في هذا التحليل قضى على « الحقيقة » كما نشدها هؤلاء المفكرون
أما وقد اصبحت المادة خليطاً من المكان والزمان والامواج ، فالاساس الذي قام عليه علم
ن التاسع عشر قد انهار . أما وقد زالت الضرورة القاضية بأن حقيقة الشيء يجب ان تنطبق على
ات الاشياء التي تدركها الحواس ، فليس ثمة حائلٌ الآن ، دون حسبان ، ما يوحي به الاختبار
ني او حس الجمال، في عداد الحقائق. وكذلك تمهدت الطريق لاعادة النظر في تفسير الكون تفسيراً
فيّاً جديداً . وكانت النتيجة الاولى ، لهذا الاتجاه الجديد ، تقريب الشقة بين العلم والفلسفة .
ماء الطبيعة اخذوا يبحثون عن حلول لمشكلاتهم الخاصة ، في المناطق التي وراء علم الطبيعة كما كما
دم . والفلاسفة في اهتمامهم بمباحث العلماء هذه استرعتهم اساليب العلوم ونتائجها، وهبطوا ببحث
ا وراء الطبيعة » الى دور الامتحان . ثم ان فلكيين وطبيعيين من مقام ادنفتن وجينز وبلانك
نشتين ، اصبحوا لا يحسبون عالم المادة ذا كيان مستقلٍ عن العقل. وموقفهم هذا نقيض موقف
لافهم في اواخر القرن الماضي ، اذ كان اولئك يحسبون المادة وحدها حقيقة ، وكل ما عداهُ
حاً من الاشباح . بل ان هذا الانقلاب يبدو لك ابعث على العجب ، اذ تعلم ان المادة كانت في
، الاسلاف خاضعة خضوعاً اعمى للنواميس الميكانيكية . ولكنها في نظر المعاصرين متصفة بنوع
، حرية الارادة ، وفقاً للمقتضيات التي ينطوي عليها مبدأ هيزنبرج في عدم التثبت . ويما في
يلسوفان الكماليان هويتهد ورسل ، بهذه الناحية من صفات المادة شأناً خطيراً

ومن نتائج هذا التعاون في علوم الحياة ، ان الحياة لا يمكن ان تكون نتيجة لافعال المادة الجامدة
رة سيراً اعمى وفقاً للنواميس الميكانيكية . بل هي شيء اساسي مبدعٌ ولها قصدها الخاص .
ن هنا نشأت فلسفة تعرف بفلسفة التطور المبدع ، تخلق الحياة بمقتضاها ، اشياء جديدة خلقاً
صل الحلقات . حتى الذين لا يسلمون بالتفريق الاساسي بين المادة والحياة ، يعمدون الى فلسفة
زوغ (Emergence) كهويتهد والكسندر ومورغن او الفلسفة الكلية Holism كسمطس وانداده
فالتعاون بين العلم والفلسفة آية الحياة الفكرية في هذا العصر . ولا يسعنا الآن ان نحسب احدهما
حدة قائمة بذاتها منفصلة عن الاخرى . بل هما عضوان حيّان في جسم حي هو جسم المعرفة الانسانية

اصلح اشكال الحكم

في العالم العربي

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

حاجتنا الى التجانس

ليس من مصلحة بلادنا في شيء ان نطلب لها الحكم الديموقراطي قبل ان نحصل على رحى اجتماعية نطحن بها الجماهير العربية فنجعلها متجانسة ونزيل من بينها هذه الفروق التي تجعل وحدة الرأي فيها بعيدة التحقيق ، ومن العبث ان نسوس البلاد بالتعاون والاشتراك والسواد منا يعتقد مثلاً ان الادارة الكاملة هي ادارة القرون الوسطى . والمخرج الوحيد من البلاء الذي نعانيه هو اتحاد كلمة النخبة المنتخبة منا ولم شعثها لتتمكن من جر الدهماء الى الامام بالقوة ، وحسبنا مثالاً نحتذي به الاقليات الفاشستية والنازية والكمالية في بادىء أمرها فهي هي التي انقذت ايطاليا والمانيا وتركيا من الانحلال ومن سلطة المجالس النيابية الجوفاء واضاعتها أثمن الاوقات في القال والقيل على غير جدوى

ولعل حكومة الاقليات او حكومة القاهرين ستمثل دور الانتقال من حكومة الغوغاء الى الحكومة الشعبية التي يتغنى بها منذ اجيال رواد الحكم النيابي الصحيح ، لان الديموقراطية الحقة المشروحة في كتب السياسة والتي قلما احسنت استخدامها الامم هي في التحليل النهائي الحكم الذي ترتضيه العقول الراجحة وتقبله التربية العالية . فتكون حكومة القاهرين والحالة هذه هي الرحى الاجتماعية المنشودة التي تجعل اجتماع كلمة الشعب على الشؤون الطارئة اقرب منالاً ووحدة الرأي اقرب الى التحقيق — حتى بين المذاهب الدينية المتشاكسة — وتصرف جهود الناس على انواعها في سبيل السعادة العامة والهناءة المشتركة . ثم ان الحرية الفردية التي تلازم الادارة الديموقراطية عادةً لا تقتضي في الشعوب الراقية الخبط والخلط والجموح والاشتغال بالسفاسف كما ذكرنا سابقاً بل تعني التعاون يقدمه الفرد بحسب ملكاته ومزاياه . وقد تمثل لنا ذلك على أتمه في الادوار العصيبة التي مرت بها انكلترا في الازمة العالمية الحاضرة ، فان حزب العمال لم يظهر كفاءة ولا انسجاماً ولا كان من الزعماء من قبض على الشؤون بيدٍ من حديد فخسر الثقة التي تمتع بها ونزل عن دست الحكم بغير جلبة ولا ضوضاء ولا قعقعة . ذلك لان الامة الانكليزية اولت المحافظين تأييداً لم يسبق له مثيل حتى كاد يكون اجماعاً فتولوا الحكم والفوا الوزارة القومية الحاضرة على اهون سبيل

ولا مراء ان الوضع النيابي في البلدان التي استمدت له هو اداة تمكن اصحابها من تكوين الزعامة الفردية وهي عامة لا تسير الشعوب عادة الا وراءها، وعلى قوتها تتوقف صلابة البناء السياسي جميعاً ، بيد ان هذه الاداة نفسها تجعل الزعماء — على ما يجب ان يتحلوا به من حرية واستقلال في الرأي — خاضعين للرأي العام

ثم ان الفرد من الدهماء عند ما تحجز حريته او يتخيل المظلمة نازلة به يشعر بانحراف الحكومة ضرورة اصلاحها ، ولكنه يعرف في نفسه انه عاجز عن وصف العلاج الشافي ، فاذا لم يكن عائشاً في كنف حكومة نيابية ثار في وجه الاوضاع السياسية للخلاص منها او سقط في شرك الدجالين الاخصائيين في استجلاب العوام او اصبح العوبة بيد أرباب المذاهب السياسية المستحدثة التي تدعي ان لديها الطلسم الشافي من جميع الاوصاب. وبخلاف ذلك لو كانت الحكومة نيابية ديموقراطية ان لمثل هذا الفرد من حق الانتخاب ما يمكنه من استنابة الرجل الاقوى على ايجاد المخرج الذي ينقذه من الضيق . لا جرم ان الحكومة الديموقراطية الصحيحة بالشروط التي اشترطناها هي اقرب الحكومات الى الحيلولة دون الثورة ذلك لانها تجعل الاهلين اجمالاً على اتصال بالسياسة التي تسير عليها الدولة وتجعل لهم علاوة على ذلك شيئاً من السيطرة على هذه السياسة . فلا يجد الشعب نفسه في حالة من الغبن تحمله على الالتجاء الى العنف واستخدام الشدة ، ويكفي لاسقاط حكومة المستر مكدونالد مثلاً أن يقترع مجلس النواب عليها ، ولكن اسقاط موسوليني او هتلر او مصطفى كمال يحتاج الى ثورة ، ذلك ان ايطاليا والمانيا وتركيا ليس فيها مجلس نواب بالمعنى الديموقراطي الاصلي بل اعضاء يرقصون على النغمة التي يدندن بها الدكتاتور. وللديموقراطية شأن آخر خطير وهو ما تفسحه من المجال لارباب المذاهب السياسية والكفاآت الادارية فقد دلّ الاحصاء على ان الاكفاء يجدون الفرص السانحة لاظهار مواهبهم في الحكومات النيابية اكثر مما يجدونها في الحكومات الاستبدادية، ذلك لان طموح الدكتاتور مثل جمال الحسناء يأبى ان يرى له منافساً

على ان الباب اذا فتح للاكفاء في الديموقراطيات فهو ويا للأسف لا يوصد في وجه الدجالين ايضاً لما في مقدورهم من استجلاب طبقة من النواب لا تختلف عن العامة كثيراً الاّ في جلوسها على مقاعد النيابة . يستجلبونهم بعزف الانغام المبتذلة التي يطربون لها عادة ، ولا نعرف وصماً اجتماعيًّا اسيء استعماله في الشرق العربي لغايات سياسية حزبية مثل الدين وحجاب المرأة، وتكاد تكون كل رجعى قائمة على التظاهر بما يدّعيه خصوم الانتقال من وجوب الدفاع عن العقائد والاعراض ومحاربة البدع التي يزعمون وجودها في الاوضاع المستحدثة . والعامة واشباه العامة من الناس اذا لم ترسخ في اذهانها القواعد الاولى التي يجب ان تتمشى عليها سياسة الدولة ، ولم تتعلم ان تفرق بين الدعايات الباطلة والصيحات الصادقة سارت على غير هدى وانقادت لكل ناعق ، وقد تفعل فيها الترهات فعل السحر في الاقوام الابتدائية

هذا بعض ما للديموقراطية وما عليها ذكرناه بشيء من التفصيل للشأن الكبير الذي له في التطور السياسي العالمي الحاضر ، وقد حاول الفاتحون بعد الحرب العظمى ان يحصروا قضية البلدان العربيه المسلوخة عن الدولة العثمانية في تزويد الاهلين بالمجالس النيابية ظناً منهم ان « الديموقراطية » التي خاض الرئيس (ويلسن) غمار الحرب لانقاذها من ايدي (الهنس) العسكريين الاتوقراطيين كلمة تسحرنا وتبهر عقولنا ، ولكن لو كان لنا اختيار ولم نرغم على وضعنا السياسي الحاضر بقوة الحديد والنار و « هيام » المنتدبين بنا — لفضلنا الف مرة مجلساً نيابياً مؤلفاً من رقاصين يدندن لهم الزعيم الوطني القاهر على هذه المجالس النيابية الكريمة . ومع كل اعتراضنا على مثل هذه المجالس النيابية في البلدان العربية فنحن نعترف ان نتائج الانتخاب لم تكن لترضي المندوب السامي في كثير من الاحيان ، ولو زادت حرية هذا الانتخاب قليلاً لكان اول قرار يصدره المجلس النيابي الخلاص من المحتلين بقضهم وقضيضهم ، ولا يكون مثل هذا القرار مستغرباً لان دفع الموت الاكيد مقدم في البحث على سائر الاعتبارات ، ومهما بلغت الدهماء في شعوبنا من الغفلة عن الواجب والاسترسال في سخافات القرون الوسطى فهي شاعرة على التحقيق بالهلاك الذي يحيق بها من الاحتلال والاستعمار

وكيف كان الأمر فيجوز للبلدان العربية التي لم تتجهز بعد بوسائل الانقاذ التي توسلت بها الامم الحيـة منذ ثورة اميركا في القرن الثامن عشر الى ثورة بولونيا في القرن العشرين ان تشتغل موقتاً بالوضع النيابي و « بالمناورات » البرلمانية الى ان تحين ساعة العمل ، وما من شيء يقرب هذه الساعة الخطيرة في تاريخ كل قطر من هذه الاقطار مثل تضافر النخبة المنتخبة من ابنائه لخدمة المصلحة العامة ، ثم على هذه النخبة المنتخبة ان تفهم الافراد ان قيمة الواحد منهم تقاس بنشاطه واشتراكه في تحمل التبعة وان من وقف موقفاً سلبيـاً من الامة وعاش كلاً على جهودها هو طفيلي اجتماعي بالمعنى الحيوي ، وقد انقضى الزمان الذي كان يجوز للفرد فيه ان يمدح على عزلته بل دلنا الاستقصاء العلمي على ان العزلة هذه عرض جوهري من الاعراض الدالة على بعض الامراض العصبية الوبيلة . وقد اجاد الاشتراكيون بقولهم « صوت واحد للعامل الواحد » ليستثنوا من هذا الحظ تلك الخشب المسندة التي لاقيمة لها في القسطاس البشري لانها ليس لها عمل ايجابي في المجتمع

ثم ان المصالح الاجنبية التي طرأت على البلدان العربية مزقتها وقسمتها على نفسها لتسهيل ابتلاعها ولم تحرم هذه المصالح من نفر من اهل البلاد ايدوها اما لما يضمنون لانفسهم من المنافع الخاصة بهذا التمزيق واما لما في ذهنيتهم من ترهات قروسطية بالية ورثوها ممن استغلوا العقيدة الدينية البريئة ، فعلى العاملين ان يسترشدوا بما زرعه (هيجل) في الامة الالمانية من الطموح الذي [illegible]ل بناء الامبراطورية الجرمانية وذلك بما بثه من تلك الروح السامية التي ذهبت بالفوارق العرضية [illegible] اجزائها . وليس بالمتعذر على الباحث ان يبين المنافع التي تجنيها الاقطار العربية من تعاونها وتوحيد اتجاهها لبلوغ غاياتها المنشودة

ولا يفوتنا هنا ان نعتذر عن تأييدنا سياسية اليد القاهرة الحكيمة لادارة البلدان العربية المستقلة ، فهذا الاستبداد الذي نوافق عليه انما هو لاجل الحرية التي ننشدها ، ونحن نفادي بحرية بعض الافراد المتازين الغالية مؤقتاً في سلامة مجموع الامة من التناحر والفوضى ، ولو كان مجتمعنا في المنزلة السامية التي يتمناها كل مخلص امين ما فضلنا على الديمقراطية شكلاً آخر من اشكال الحكم لادارته ، وقد جاهدنا في سبيل الدستور على العهد العثماني جهاداً يذكره ابناء وطننا ولكن الخيبة التي اصابت البلاد العثمانية من نقص تربيتها السياسية وعدم استعدادها ابدت هذه النتيجة التي وصلنا اليها . ونحن نعترف هنا والاسى آخذ منا مأخذه ان الحكم القاهر يقتضي الشدة ووضع الحواجز والقيود على الافراد ؛ وغني عن البيان ان الادارة المملوءة بالنواهي والمحرمات وسائر انواع « التابو » او « اللامساس » هي ادارة وضعت في الاصل لعصر غير عصرنا ، وتعني في التحليل النهائي ان المجتمع الذي تطبق عليه مؤلف من افراد لا يعرفون ما لهم وما عليهم ، وان الطبيعة الحيوانية فيهم متغلبة على سائر الطبائع فيجب ان يساقوا بالقوة ويقرعوا بالعصا ، وهذا لعمري اثر من اثر العقائد التي تحسب الانسان متمرداً قد افسدته وهدمت اخلاقه الخطيئة الاولى التي ارتكبها في الجنة فهو والحالة هذه شرير بالطبع . ولو جاز للوالد ان يحسب اهل بيته اشراراً بالفطرة وان تربيتهم يجب ان تبتدىء على هذا الاساس النظري لرجعنا القهقرى الى حالة الامة في الاعصر الغابرة

اننا نعترف بكل ذلك ولكن ما العمل وحكم القاهرين هذا هو السبيل الوحيد للنجاة من التفتت والتفسخ والانشقاق ؟ لقد ايدنا الحكم الاستبدادي العادل للقطر العربي المستقل لاننا اهتممنا بانقاذ مجموع الشعب اكثر مما اهتممنا بانقاذ الفرد ؛ وقد يتبادر الى الذهن ان هنالك تناقضاً لازماً بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع ، حتى ان بعض ارباب المذاهب الفردية افرطوا في اظهار هذا التناقض ، ولكن التتبعات الاجتماعية دلت اهل البحث على ان الفرد في الحياة المجتمعة المؤلفة تأليفاً صحيحاً يحقق فرديته تحقيقاً اتم وذلك بما يكتشف فيها من الفرص الملائمة التي تظهر مزاياه ، يعني ان الفرد الذي يعيش في عزلة لا يجد من المجال لبيان ما امتاز به ومن المشجعات على ملكاته الخاصة شيئاً يعادل الفرد الذي يعيش في المجتمع ، وكلما كانت الفرص سانحة ومتنوعة في الحياة المشتركة وكان الطلب حثيثاً على بعض المزايا ظهرت هذه المزايا في شخص من يسمى « النابغة » او في شخص « رجل الساعة » ظهور البضائع المرغوب فيها في الاسواق التجارية . فلا عجب ان تأتينا الازمات والانقلابات وسائر انواع الشدائد بالنبغاء الجدد بل باشباه النبغاء ومن هم دونهم وذلك للاسواق الجديدة التي فتحت في طلبهم . وقدماً عرف علماء التاريخ ان الثورات تخلق « رجال الساعة » وفي جميع ذلك ما يدلنا على وجوب فتح المجال للافراد في الدولة كي يظهر النبوغ المستتر فيهم . وهذا ما جعل التعليم الزامياً في البلدان الراقية وفتح الابواب على مصاريعها للطلاب ليكون للفرد الواحد من الحظ ما يتيح له الفرص التي تظهر مزاياه الكامنة . قال (كونكلين) ان

ورأى ابو جناح من والديهِ عضداً لهُ فاغترَّ بنفسهِ ولم يعد يحسب لغير الايام حسا
هذه الحال والخيلاء ملء دماغهِ الى ان رأى عظاية من نوعهِ في ريعان صباها فشغفت
في فؤادهِ فنظرت الى جناحيهِ وتبسمت ثم قالت لهُ لا تنتظر مني وصلاً ما لم ارَ من
بهِ على اقرانك . فقال لها اذا كان الامر كذلك فسترين مني ما تفتخر كل زوجة ان ت
واخذ من ذلك الحين يفكّر في طريقة يظهر بها بسالتهُ حتى ترغب حبيبتهُ فيهِ

واتفق ذات يوم انهُ كان واقفاً على قمة اكمة فرأى وحشاً كبيراً يدنو منهُ و
هائل الجثة جسمهُ مغطى بحراشف كبيرة صفيقة كالدروع وذنبهُ غليظ يستدق د
يصير كالقصبة وهذا الوحش من نوع العظايات ولكنهُ من اكبرها جسماً واشد
جناح انهُ اذا قبض ذلك الوحش عليه لم يكن الاَّ لقمة في فيهِ . وكان ابواه قد عا
وجههِ حيثما رآه والاَّ قضي عليهِ اما الآن فلم يرَ الى الهرب سبيلاً لان الوحش با
اعصابهُ . ولكن المصائب تنتج الغرايب والحاجة تفتق الحيلة فحدث حينئذٍ
الرحافات من قبل فانهُ لم يكد ذلك الوحش يمد عنقهُ ليلتهم ابا جناح حتى بسط
ووثب طالباً الفرار وجعل يرفرف مسرعاً خوفاً من عدوه فحمله الهواء كما يحمل
لهُ حينئذٍ ان ذينك الغشائين اللذين لم يعلم لهما نفعاً قد انقذاه من الهلكة . ورأت
طائراً في الجوّ فوقفت مدهوشة لانهُ اول حيوان طار في الهواء . ولم يكد يصل
علم انهُ اتى من الفعال لم يأتهِ غيرهُ من الاقران واجتمعت العظايات حولهُ تسه
وتنظر الى جناحيهِ مدهوشة وطلبت منهُ ان يجرّب الطيران امامها ففعل وطار فو
المكان الذي طار منهُ والعيون شاخصة اليهِ . وكانت حبيبتهُ بين الجماعة وقا
وسروراً فلم يكن الاَّ ايام حتى اقترنا ثم ولد لهما ثلاثة اولاد ولكلٍ منها المزية
غشاءان صفيقان من ذراعيهِ الى حقويهِ . وتوالد نسلهما دهوراً طوالاً وهـ
ولد لهُ اولاد على اجنحتها ريش وهي الطيور المعروفة . وقد حدث هذا كلهُ
السنين والآثار المتحجرة في الارض تدل على ذلك كما تدل آثار الهياكل المصر
الاقدمين وعمرانهم . ويقول علماء الطبيعة ان التغير يحدث في الافراد من
لحفظ الفرد وظهر في نسله بالوراثة استمرَّ فيهِ
ويقوى رويداً رويداً بالاستعمال حتى يصير من

.مش الواحد منا ان يفكر كيف نجا (اسحق نيوتن) بشق النفس من ان يكون فلاحاً بسيطاً فاراداي) من ان يكون مجلداً للكتب مجهولا او (باستور) من ان يكون دباغاً قروياً .
.ب ان يكون في التاريخ الكثيرون من امثالهم في النبوغ ممن فاتتهم الفرص السريعة التي سنحت .لاء . ومن عادتنا ان نظن ان العلماء لم يظهروا الا في فترات متباعدة ولكننا مع ذلك نعلم ان .مات الكبرى تكشف عن العظماء دائماً . افلا يعني هذا الكلام ان الرجال جاهزون وانما يحتاجون .ظهور على المسرح الى هذا المنبه الجديد ؟ والميزات التي نرثها من الآباء والجدود كافية لمعظمنا هي اكثر مما نتصور ، وكذلك القابليات الكامنة في صدورنا هي عظيمة ولكنها قلما نجد لها اناً تتجلى فيه[1] » . والعمل المهم الذي تقوم بهِ الحياة الاجتماعية المشتركة لاجل تقوية الفردية .انها تبحث عن الميزات الشخصية المطلوبة في الاحوال الطارئة على المجتمع كما تبحث الاسواق .ارية عن البضائع التي يكثر عليها طلب التجار ، فالرواج يكون معنوياً كما يكون مادياً ، وقد .ع تلك الميزات المرغوب فيها تنوع هذه البضائع ، لذلك يجد النبوغ مهما كان نادراً وغريباً هواة .شترونهُ » ، والرواج يخلق البضاعة المطلوبة خلقاً ويأتي بها ولو من الصين

لا جرم ان اتساع المجتمع اليوم وتفرعه بالقياس الى ما كان عليهِ في الماضي والارتقاء الذي تمَّ له لبناء الذي يقوم عليهِ والعلائق الدقيقة التي يتماسك بها كل ذلك لا يزيد فقط في طلب النبغاء يلحف كثيراً في تنويع النبوغ الذي يتجلى فيهم

وحسبنا من هذه التوطئة التي قدمناها ان نلفت الانظار الى خطأ الذين يحاربون الفكرة العربية .مة ويتطرفون في « اقليميتهم » ، ومن ادعى دواعي الاسف ان يكون اكبر عدد منهم — على ، — في القطر المصري وهو القطر الذي يجني اطيب الثمرات من الفكرة العربية مادياً وادبياً ، .يعني اننا كلما وسعنا مجتمعنا العربي ونوعنا اقاليمه فتحنا اسواقاً جديدة للنبغاء منا او لمن كانت .م قابلية النبوغ كامنة ، وشتان بين من يخدم قطراً فيهِ ثلاثة ملايين او اربعة ملايين من البشر .ورية او العراق وبين من يخدم عالماً عربياً يمتد من المحيط الى المحيط ، وكما ان القرية الصغيرة لا .ي الخبراء من اهل الاختصاص لانهم لا يجدون فيها الزبائن الكافين « لشراء » فنونهم كذلك القطر .غير يميت النبوغ لانهُ عاجز عن تحمل نبوغهم وتغذيته بالمال والاقبال . ولأهون على الاقاليم القطبية .بيدية ان تربي الطاووس من ان تنمي (بريدة) او (عنيزة) او (ينبع) المهندس او الكيموي

حكومة الزجر

لقد ايدنا حكومة القاهرين بالمعنى السياسي الاجتماعي الحديث لتسير بالناس الى الامام بالقوة .ول دون تفتتهم وتطبع في نفوسهم احترام الدولة لكننا لا نرى شراً من اقتصار اعمال .كومة على زجر الرعية فقط ، ولا يسعنا في الختام ان ننهي هذا المقال من غير ان نستنكر الخطط

(١) Major Social Problems, P. 145

مة البالية التي تسير عليها بعض الحكومات في العالم العربي سواء كانت حكومات مستقلة
ائمة ، فهي من اساسها قائمة على نظرية الزجر فقط بحيث لا يتورع بعضها من ان يتدخل في
ن الافراد الخاصة ، حتى ان زبانيتها ليكسرون صفائح المقول على رؤوس مستعميه في زاوية الدار
يسكنونها ، وفي نظرنا ان اعظم تحول طرأ على الحكومات الحديثة هو خروجها من هذا الموقف
بي — موقف الزجر والحظر و « التابو » و « اللامساس » — الى الموقف الايجابي ، موقف
يع الافراد والاخذ بناصرهم ، ويتجلى ذلك حتى في اشد الحكومات الحديثة استعباداً
اشستية والنازية . والاكثار من الزجر والتثبيط بدلاً من الاكثار من الارشاد والتشجيع عمل
د الى فكرة سخيفة فحواها ان تغيير طبائع الافراد محل فواجب الحكومة والحالة هذه ان تحول
شر الرعية فقط واما السعي لتحسينها فهو عقيم ولا محل له في منهاجها ! ونحن وان اعترفنا
المدنية لم تغير بعد تغييراً جوهرياً في طبيعة السواد من الناس في العالم المتمدن ولاسيما في ساعة
ب والانفعال الا انا من اشد انصار التربية الايجابية ، ولا شيء نسخر منه مثل الاعتراف بالعجز
الاصلاح . ولئن اعجبنا (ابو العلاء المعري) كثيراً برقة شعوره في التبرم من الخلق وتشاؤمه من
د فطرتهم فقد اعجبنا الاستاذ (توماس هكسلي) اكثر بتفاؤله بالاصلاح واملهِ بالتغيير حين قال
كن عمل الشيء الكثير لتغيير طبيعة الانسان ، فالادراك الذي حوّل الكلب وهو اخو الذئب الى
س القطعان الامين يجب ان يكون قادراً على عمل شيء لاخضاع الغرائز الوحشية في الانسان المتمدن »[1]
ومن المؤسف الممض ان نكون في شؤوننا الشرعية والاخلاقية والاجتماعية لا نزال متمسكين
تيق في حين ترانا في صناعتنا وعلومنا العملية كما قال الاستاذ (بايندر) على احدث طراز فاذا ما
لت مصنعاً من المصانع الراقية او مخبراً من المخابر الفنية راعك ما فيه من المستحدثات لكنك
تجد اصحابه يختلفون في عقائدهم اختلافاً جلياً عن زملائهم في القرون الوسطى ، وكم رأينا عاملاً
ناً او خبيراً من اهل الاخصاء لا تختلف نظريته في الخليقة وتاريخها عما خلفهُ البابليون في سفر
كوين ، وسخافات « العظماء » اشهر من ان تذكر . ومن المهم جداً ان يكون للعالم العربي حكومات
طنية تعمل بوحي من عندها لان الارتقاء الذي يحصل عليه الشعب بتطوره الداخلي هو الارتقاء
بت الذي لا يكون عرضة للتقلب السريع . وليت المنتدبين في الشرق وغيرهم من المستعمرين الذين
ظاهرون بالافراط في خدمة المصلحة الشرقية فيتداخلون في كل شيء ينصتون الى قول الاستاذ
ندر حين قال « لقد دلّ التاريخ على ان الانسان لا يمكن ان يدار من الخارج كائنة ما كانت القوة
ي تحاول ذلك . بل هو يدبر نفسه بيده وذلك حين يقوم امام عينه مثل اعلى للاحتذاء فيجده
اسباً له ومتصلاً به اتصالاً صحيحاً . وتجذبه الى اخوانه من بني الانسان حاجته الى التكامل ...
تحمله هذه الحاجة على العمل بطريقة تربي فيه ذاتية يحتفظ بها سليمة غير منقوصة »[2]

(١) Evolution & Ethis, p. 82 (٢) Major Social Problems, p. 156.

العلم والحياة الجنسية

مناظرة علمية اجتماعية

[هذه المقالة ملخص مقالتين نشرتا في مجلة السينتفك اميركان المعروفة عند قراء المقتطف بمقامها ورزانتها . وقد كتب محررها في تقديمهما ما مؤداه : هذه مجلة علمية وموضوع الجنس موضوع علمي نتناوله في الحين بعد الحين من دون تردد . فالمقال الاول للدكتور بارشلي الاستاذ في علم الحيوان ومؤلف كتاب : (علم التناسل الانساني — نواحي الجنس البيولوجية) وهو يحسب بين العلماء ثقة في موضوع تناسل الاحياء . ويتناول في مقاله موضوعاً خصاً تدور حوله الاحاديث وقلما تكتب عنه كتابة علمية . اما المقال الثاني فللدكتور اغناطيوس كوكس وهو قسّ واستاذ لادب النفس في جامعة فوردهام الاميركية . وفي تقديم السينتفك اميركان غنى عن ايّ تقديم آخر من قبلنا

— ١ —

لست أعرف موضوعاً أوثق صلة بحياة الانسان الخاصة من موضوع العلاقة الجنسية، ولا اجابة اصعب من الاجابة عن السؤال الذي وجههُ اليَّ محرر هذه المجلة وهو : هل الاتصال الجنسي ضرورة فسيولوجية ؟ فهو سؤال ، لا بدَّ ان يجيب عنهُ ، كلٌّ على منواله الخاص . لانهُ لا يحق لانسان ، كائناً ما كان — طبيباً او قسيساً او عالماً بالحياة او شرطيًّا يحافظ على الأمن العام والآداب العامة — ان يملي رأيه على غيره في هذا الموضوع . لذلك كان الشعور الاول الذي احسستُ بهِ عند توجيه السؤال اليَّ ، ان اعتذر ، أو أن اعالج الموضوع ، من ناحية الحيوانات الدنيا دون غيرها . قلت لنفسي كيف يستطيع انسان ان يجيب عن هذا السؤال ، الخاص بحياة كل انسان الخاصة ، وهو في موضوع تضاربت فيهِ الآراء ، ولم نظفر بعد ، بالحقائق الوافيه التي تمكننا من الحكم فيهِ حكماً فاصلاً . ولكن هذه الاعتراضات ، زالت قوتها لما تبيَّن لي ، اننا نستطيع اليوم أن نعالج هذا الموضوع معالجة مجردة من ناحية ما يقضي بهِ العقل ، لا من ناحية ما يلابسهُ من الخرافات والاوهام . ثم أننا لاول مرة في تاريخ الحضارة ، نملك الآن من الحقائق البيولوجية ما يمكننا من وزن الموضوع في ميزان علمي ، لا نقول انهُ الميزان النهائي ، وانما هو على الاقل السبيل الى حكم مستنير

فلننظر اولاً في الحقائق البيولوجية التي يقوم عليها البحث في هذا الموضوع الخطير

***

ان جسم الانسان ، بحكم مكانهِ في عالم الحيوان ، مجهز بوسائل التناسل واخلاف النسل . أي النوع الانساني مؤلف من جنسين او شقين يتمم احدهما الآخر ، هما الذكر والانثى . والبناء بيولوجي والنفسي ، في هذين الشقين ، [illegible]

ظ كيان النوع . ففي الانسان بشقيه ، كما في جسم الحيوانات الثديية ،أجهزة عصبية وعضلية
دية ، دقيقة التركيب مرهفة الحس ، تشترك جميعاً في هذا العمل الخطير . ومن السهل على من
س التشريح والفسيولوجيا من ناحية المقابلة أن يبين ، كيف يقابل كل جزء من هذه الاجهزة
جسم الانسان ، جزءاً مثله في اجسام الثدييات العليا ، ولكننا لسنا بحاجة الى هذه المقابلة . لان
من له المام بالموضوع لا ينكر هذه الحقيقة

غير أن ما يهمنا بوجه خاص هو مسألة السلوك والتصرف . لانهُ اذا سلمنا بأن اجهزتنا التناسلية
بيهة بأجهزة الثدييات . فهل تصرفنا او سلوكنا التناسلي ، شبيه بتصرفهم او سلوكهم ؟ الانسان
تلف عن سائر الثدييات ، في انهُ لا يعتمد طوال حياته على فعل الغرائز . بل هو يثقف عقله
تعليم ويحيط حياته بألوان المؤثرات الثقافية . ولكن مع ذلك لا ينكر عالم فسيولوجي . ان
صرفنا التناسلي لا يختلف في قليل ولا كثير عن تصرفها هي ، وهذا مما لا يعرف بوجه عام . وان
و عرف فقد تتنكر لهُ التقاليد الاجتماعية

العوامل القوية التي تؤثر في تصرف الحيوان — ومنهُ الانسان — هي عوامل الجو
الجنس والخوف ، أو هي بكلمات اخرى ، الحاجة الى الطعام ، والمزاوجة ، والحماية . فالحيوان م
ون الطعام ، يموت . ومن دون المزاوجة ينقرض . ومن دون الحماية لا يجد سبيلاً الى است
لباعثين الاولين . فهذه البواعث هي قوى تدفع بالحيوان الى تحقيقها ، لانها اساس الحياة . و
حياة له من دونها . وكذلك نرى ان الدافع الجنسي ، في النوع البشري ،كما هو في غيره دافع قوي
ويستحيل قمعهُ او كبته في انسان سوي . واذكر ايها القارىء ، ان هذه القوة المكتسحة . ليـ
غريزة غرضها التناسل ، او رغبة في الاولاد والنسل ، بل هي الرغبة في المزاوجة . ليس الا ، لا
الحيوان اذا احس بهذه الرغبة لا يفكر في حفظ النوع ولا في النسل . وهذه الناحية من الموضو
نسلم بها حالاً ، اذا نظرنا الى الحقائق المشاهدة ، وصرفنا النظر عن التقاليد ؛ ولا بد من ان نحـ
لها حساباً في كل نظر معقول الى الموضوع

ان البحث الحديث في الحيوانات الثديية يبين بوجه عام ، ان الباعث الجنسي او المحرض التنا
يتخذ شكلين ، هما بحسب ما دعاهما بريفو Briffault الباعث التناسلي ، والباعث التزاوجي . ففي ا
الحيوانات لا نرى أثراً للباعث الثاني ويقصد به ادمان ذكر واحد لانثى واحدة مدة طويلة
الباعث التناسلي الذي يظهر في المزاوجة بين ذكر وانثى ، ينفصلان بعدها ، فهو القوة الط
العامة التي اشرنا اليها . فبعد ان يكتفي هذا الباعث ينفصل الذكر عن الانثى ، حتى يحين فصل المز
التالي ويشتدّ هذا الباعث من جديد . واذاً فالاسرة بين الحيوانات تتألف من الام واولا
ومدى أسرة من هذا القبيل ليس طويلاً لان الاولاد ، لا يلبثون حتى يشتدّ ساعدهم ويرو
... الانثى كذلك

أما في رتبة الرئيسات (البريمات) — أي القردة والانسان — فتختلف الصلات بين الذكر والانثى عنها في الحيوانات التي دون ذلك في سلم التطور . ذلك ان الصلة بين الذكر والانثى في حيوانات هذه الرتبة ، تتسم بسمة من الاستقرار الى حد ما . وتعليل ذلك بسيط ، ذلك ان الحيوان في ارتقائهِ اضاف الى الباعث التناسلي الباعث التزاوجي ، من دون ان يضعف الثاني ، الاول

وصحيح ان الانثى في حيوانات هذه الرتبة ، تحتاج الى حماية الذكر مدة اطول من مدة الحماية التي تحتاج اليها الانثى في الحيوانات التي دون ذلك ، لان مدة الحمل اطول ، وكذلك مدة الطفولة . ولكن من الخطإ ان نحسب ، ان استقرار صلة الذكر بالانثى ، الناشيء عن هذه الحقائق البيولوجية سببه نوع من الغيرية او المحبة الوالدية . والذي يربط الذكر بأنثاه في هذه الرتبة انما هو استعداد الانثى للمزاوجة في جميع الاوقات بوجه عام . ففي الحيوانات الدنيا ، لا تكون الانثى مستعدة للمزاوجة إلاَّ في فصول معينة وأما في حيوانات هذه الرتبة فاستعدادها لذلك يكاد يكون دائماً

وكذلك ترى ان الباعث الثاني ، من باعثي « بريفو » أي الباعث التزاوجي انما هو وسيلة اخترعتها الطبيعة لاكفاء الباعث الاول ، بطريقة مستقرة . وهو قائم كما تقدم على خاصة فسيولوجية في الانثى ، يظهر في مظهر تعدد الاناث التي يتخذها الذكر لنفسه ، ويدفع عنها رغائب ذكر غيره ، ما استطاع الى ذلك سبيلاً . والاقتناع بزوجة واحدة او اتخاذ اكثر من زوجة ، لا علاقة له بالبيولوجيا ، لانه يقوم على عوامل اجتماعية واقتصادية كالحرب والطعام والتوزيع الجغرافي وغير ذلك . والاسرة التي من هذا القبيل كائنة بين طوائف من القردة ، كما درسها زوكرمان ، وفي النوع الانساني . بل ان هذه الاسرة ، هي الخطوة التي تقدمت نشوء الاسرة الانسانية بمعناها المعروف ، التي تبدو فيها الظاهرات الانسانية ، كالحب الابوي ، والحب العائلي ، والمحبة الخيالية ، واشكال الزواج على اختلافها

وقبل ان نترك موضع الصلات الجنسية في الحيوانات التي دون الانسان ، يجب ان نذكر ، ان مظاهر الباعث التناسلي في الانسان ، هي هي في القردة ، الاَّ قليلاً منها ، لا محل للتبسط فيه هنا . ان العالم ملر ، قد أثبت وجود الشواذ التي تتصف بها العلاقة الجنسية الانسانية في القردة

واذن يتضح ، ان جهاز الانسان التناسلي ، وتصرفه او سلوكه التناسلي كذلك لهما أساس بيولوجي قديم يمكن الارتداد بهِ الى الحيوانات التي دونه ، فالحيوانات التي دونها في سلم التطور . وعليهِ لا يمكن ان تنظر في هذا الموضوع ، على انهُ موضوع خاص بالانسان دون غيره من الحيوانات اذا شئت ان تنظر الى الموضوع نظراً علميًّا

فاذا التفتنا الآن الى موضوع مظاهر الباعث او الحرض الجنسي في الحضارة الغربية يجب ان نذكر ، ان الانسان ليس مخلوقاً قائماً بذاته ، منفصلاً عن سائر الاحياء ، ومحرراً من القوى العنيفة التي تسوق تلك الاحياء الى عمل ما تعمل . وليس للانسان مصدر وحي لا يخطيء ، يقول له ما يجب ان يفعل وكيف يفعله ، بل على الضد من ذلك أن تصرف الانسان في هذه الناحية ، سببه قوى بيولوجية

يشترك فيها مع الحيوانات الاخرى حتى في التفصيلات ، واغضاء النظر عن ه
اقامة الحواجز والقيود ،دون هذا الفعل الطبيعي ، وقد بلغت هذه الحواجز وا
في أوائل القرن الماضي ثم بدأت تنهار وتنحل بتقدم العلم وانتشاره

بعد كل ما تقدم نستطيع الآن ان نعود الى السؤال الاول فنحاول الاجا
الحقائق العلمية . كل الرجال والنساء ، الا القلائل الذين ليسوا أسوياء ا
التنفيس او الاعراب عن الباعث التناسلي بكضرورة فسيولوجية . وليس ثمة أ
ان نجيب به ، اذا اعتبرنا حقائق التشريح والفسيولوجيا ، وطبيعة الانسان ال
ان هذا التنفيس او الاعراب ، ليس بضرورة — لايستغنى عنها ماجلا -
الانساني ، كضرورة الطعام وحماية الجسم من أعدائه الخفية والظاهرة . ا
الجنسي ، ذا شأن عظيم في فعل التطور . ومتصلاً اتصالاً عميقاً بفسيولوجية
فقمعه او كبته ، قمعاً او كبتاً مطلقاً متعذر ، ومحاولة قمعه او كبته مدة طو
فسيولوجي او اضطراب سيكولوجي

أنا اعلم ان هذا القول قد يجد من يعترض عليه ويتحداه ، لانه ليس ال
من الذين اتخذوا « ادب النفس » نبراساً لهم في الحياة ، ولكنني اعتقد انه
الحقيقة كما أثبتها البحث العلمي الحديث ، وكما تؤيدها الخبرة الانسانية على م

ان التقاليد الاجتماعية والادبية الباسطة ظلها على اجتماعنا ، وتقضي ع
بالحرمان الطويل تناقض الاعتبارات العلمية التي بسطناها في هذا المقال ، و
اجتماعية خطيرة . ولا أريد ان اتناول هنا بعض الجماعات التي يختار أفر
بكبتها الباعث الجنسي فيهم بارادتهم . ولكننا اذا نظرنا الى الذين تعدوا س
الجماعات الخاصة ، وجدنا طائفة كبيرة من الذكور والاناث لاصحاء الذي
لسبب من اسباب كثيرة متعددة ، ولسنا نرى في غير التسليم بالرأي الذي
من مأزقهم . اذ ذاك تصبح العلاقة الجنسية — في ما خلا الاولاد — علا

— ٢ —

حكم الاستاذ بارشلي في مقاله المذكور بأن « كل الرجال والنساء ،
اسوياء الاجسام ، يحتاجون الى التنفيس او الاعراب عن الباعث التناسلي
وليس ثمة اي جواب آخر يمكن ان نجيب به اذا اعتبرنا حقائق التشر
الانسان البيولوجية ، ولا ريب ان هذا التنفيس او الاعراب ، ليس ض
الكيان الانساني كضرورة الطعام وحماية الجسم من اعدائه الخفية والظاه

فقمعه او كبته ، قمعاً او كبتاً مطلقاً متعذر ، ومحاولة قمعه او كبته مدة طويلة قد يفضي الى ضرر فسيولوجي او اضطراب سيكولوجي »

وقد بعث الدكتور كوكس بالاسئلة الى الاطباء البيولوجيين وعلماء النفس وأطباء العقل يستطلع آراءهم في الموضوع . ثم عمد هو ومعاونوه الى الكتب التي تعالجه يستنطقها ، والنتيجة التي وصل اليها ، مع ان الردود جميعها لم تصله حين كتابة مقاله ، هي ان معتقدات الاستاذ بارشلي ليست قائمة على العلم وان محاولته التوحيد بين هذه المعتقدات والعلم ، عمل صبياني او على الاقل غير علمي

***

حاول الاستاذ بارشلي ان يبين الشبه بين الحياة التناسلية في الحيوانات الثديية العليا وفي الانسان وعلى هذا الشبه بنى كثيراً من ادلته . ولكن القس كوكس عمد الى كتاب حديث اشترك في تأليفه جماعة من الثقات بعد ما بحثوا عشر سنين بحثاً دقيقاً في موضوع « الجنس والغدد الصم » وفيه يقول احد المؤلفين ان البحث في مقابلة حياة الانسان التناسلية بحياة الحيوان الثديي ، تحتاج الى دقة عظيمة في تحديد التجارب والسيطرة عليها حتى لا يتسرب اليها الخطأ لكثرة الفروق في بناء الاجسام والبيئة المحيطة بالفريقين ولقلة الحقائق المعروفة عن فعل التناسل نفسه في الانسان »

ثم يقول الدكتور كوكس : ومما يدل على ان الدكتور بارشلي لم يعن بجميع نواحي الموضوع قبل اخراج حكمه المشار اليه انهُ ناقض نفسه بنفسه ، ومهما تتعدد وجوه الشبه بين حياة الثدييات التناسلية ، وحياة الانسان التناسلية ، فلا ريب ان هناك فرقاً طبيعيًّا يقتضي التفكير ، وهو ان حياة الثدييات التناسلية ، ليست خاضعة لسيطرة الارادة الحرة . اما حياة الانسان التناسلية فخاضعة لهذه السيطرة وحتى الاستاذ بارشلي نفسه لا ينكر ان الاعراب عن الباعث الجنسي خاضع بعض الخضوع للارادة . وانما هو يذهب الى ان اخضاع هذا الباحث اخضاعاً كاملاً (اي قمعه) للارادة الحرة يفضي الى اضرار فسيولوجية وسيكولوجية . بيد ان الطبيعة لا تخلق شيئاً سدى أو على غير هدى او لغير غرض . فهي لم تخضع دورة الدم وفعل القلب لارادة الانسان الحرة . فاذا هي اخضعت الفعل التناسلي لسيطرة الارادة الحرة ، فانما هي تقصد ان يتم الاعراب الجنسي بارشاد الارادة مستنيرة بالعقل . وهنا موضع التناقض في حجة الاستاذ بارشلي . فهو آناً يقول ان الانسان تحيط به عوامل ثقافية منوعة فيتأثر بها ويتحول طبقاً لفعلها، وهذه العوامل تتوقف على الذكاء والعقل . وفي جملة ثانية يقول بوجوب الغاء العقل في الحياة التناسلية، وتنسيق تلك الحياة على مثال الحياة التناسلية في الحيوانات التي لم يبلغ فيها العقل ما بلغه في الانسان من درجات الارتقاء

والغرض الاولي الذي رمت اليه الطبيعة ، من اخضاع الفعل التناسلي للارادة الحرة ، هو ان تعمل ارادته ، في تدريب الباعث التناسلي وتنظيم فعله ، فيوفق بذلك بين التيارات النفسية المتعارضة . فتقصير الاستاذ بارشلي ، في اقامة وزن ما ، لمآرب الطبيعة في اخضاع الفعل الجنسي

ة ، حالة انها لم تفعل ذلك في الحيوان ، يزيل كل اساس لوجه الشبه ، الذي بينه وبين حياة
ن التناسلية وحياة الانسان

***

ذا شيء من الناحية البيولوجية . فالعلم في رأي الدكتور كوكس لا يؤيد وجهة النظر التي
ا الدكتور بارشلي . فلننظر الى الموضوع من الناحيتين الفسيولوجية والسيكولوجية . يقول
ر بارشلي « ان العمل الجنسي متصل اتصالاً عميقاً بفسيولوجية الجسم وسيكولوجيته . فقمعه
ته قمعاً او كبتاً مطلقاً متعذر ، ومحاولة قمعه اوكبته مدة طويلة قد يفضي الى ضرر فسيولوجي
طراب سيكولوجي »
ما الدكتور ارثر حاكوبسن وهو عالم ومحرر لمجلة التيمس الطبية — « مديكال تيمس » —
دَّ على سؤال وجهه اليه الدكتور كوكس في هذا العدد بما يأتي : « أنا واثق بأن كبار الثقات
ذا الميدان يترددون في الحكم او التحكم في موضوع هل الحرمان الجنسي مضر ? اننا اذا
نا كتاب كلبن في موضوع التقدم الحديث في الامراض العصبية السيكولوجية وجدنا اشارة
روبيه فيقول اننا قبل ان نستطيع ان نسند حالة عصبية ما الى الباعث الجنسي . يجب ان نتأكد
لحالة العصبية نفسها ليست معقدة ، لأنها اذا كانت معقدة ، فأسبابها تكون متعددة ولا يمكن
م بأن الباعث الجنسي هو وحده سببها ، فاذا أضفت الى ذلك قول ستيكل وهو ثقة في هذا
ضوع — ان الحالات العصبية النفسية لا تكون الا معقدة ، فهمنا ان الحكم في اسناد احدى
ه الحالات الى بواعث جنسية فيه شيء كثير من التحكم
اما الاستاذ توماس بريانت . وهو من جراحي بريطانيا الكبار ، ومؤلف كتاب « الجراحة »
ول : ان الطالب يجب ان يتذكر ان وظيفة الخصية ، كوظيفة الثدي والرحم قد تتوقف عن
مل مدة طويلة ، او مدى الحياة . ولكن بناءها الحيوي يبقى سليماً ، فتقوم بوظيفتها قياماً
بيعيًّا اذا اثيرت اثارة صحية . وهي تختلف عن سائر الغدد في انها لا تضعف ولا تحول بقلة الاستعمال
ثم ان الدكتور هنتر مؤلف كتاب « الاضطرابات في الوظيفة التناسلية » يقول صفحة ٢٦٢ ان
العفة لا تضعف الصحة ، لا من الناحية الفسيولوجية ولا من الناحية السيكولوجية » ذلك « ان
ضاء التناسل مبنية بناء يختلف عن بناء الاعضاء الاخرى في الجسم ، فهي مبنية لكي تقوم
ظائفها في فترات متقطعة ، وقد تتوقف عن عملها توقفاً لا حدَّ له ، من دون ان ينالها ضرر ، في
ريحها (اي بنائها) او فسيولوجيتها (اي قيامها بوظائفها)
ويقول الدكتور جيمس فشر سكوت في كتابه « الغريزة الجنسية » : — « وثمة فكرة خاطئة بأن
يام بالفعل الجنسي ضروري للاحتفاظ بالصحة » ثم يقول « ان الفسيولوجيا التي تعلم ان استعمال
اعضاء التناسلية ضروري للاحتفاظ بالنشاط العقلي والفسيولوجي لها ، فسيولوجيا خبيثة ونصف

علمية » . ويقول الدكتور ليونل بيل الاستاذ بكلية الملك في لندن ، في كتاب له موضوعه « ادبنا والمسألة الادبية من الناحية الطبية خاصة » ما يأتي :

ان القول بأنهُ اذا لم يكن الزواج ، فلا بد،لاسباب فسيولوجية،من شيء يحل محله،قولٌ خاطئ ولا اساس له . ولا استطيع ان ابالغ في القول بأن اتم درجات الاعتدال والعفة ، تتفق والنواميس الفسيولوجية والشرائع الادبية في آن واحد ، وان الاستسلام للشهوة لا يمكن تسويغه بالنواميس الفسيولوجية كما لا يمكن تسويغهُ بالشرائع الادبية » . ويقول السر جيمس باجت ، وهو جراح بريطاني كبير« ان العفة لا تضر بالجسم ولا بالعقل ... والزواج يمكن ان يتأخر من دون اي ضرر»

ثم يقول الدكتور كوكس ، ان احد المؤلفين الذين اعتمد عليهم الدكتور بارشلي نفسه يقول القول الآتي : « ورغماً من هذا يؤكد بعضهم ان العفة قبل الزواج ، نوع من التقليد او الفرض الادبي ، وانها مخالفة لحقائق العلم ومقتضياتهِ ، وانهُ يجب ان تلغى من المجتمع . وهولاء الذين يقولون هذا القول ، يبنون موقفهم على قراءة ما قيل عن مذهب فرويد . انهم قد تغاضوا عن الحقائق الاساسية .... فاذا اردنا ان نقول في الموضوع كلمة بسيطة ، قلنا ان الاضطرابات العقلية والعصبية ، الناشئة عن الحرمان الجنسي ، لا يمكن أن تشفى بالوصال .... »

وفي سنة ١٩٠٢ اجتمع مؤتمر دولي في بروكسل من الاطباء والعلماء للبحث في هذا الموضوع فأصدر بياناً وقعهُ ١٥٩ طبيباً ومما قالوه فيهِ :« ان الشبان يجب ان يتعلموا ان العفة لا تضر ، بل ان ممارستها اقوى حصن للصحة » ويؤيد ذلك اثنان من اساتذة باريس يدعى احدهما فيريه Féré والآخر هنسار Hensard في كتب لهما مطبوعة ومنشورة . وقد اورد الدكتور كوكس من هذا القبيل أقوال علماء وأطباء كثيرين ثم قال : «وانني لاعجب كيف يستطيع الاستاذ بارشلي بعد كل هذا ان يدعي ان كل العلماء الذين يحق لهم الحكم في هذا الموضوع سواء أ كانت آراؤهم هي الآراء التي يبدونها في اجتماعاتهم الخاصة امفي كتبهم ورسائلهم المطبوعة يؤيدون النتائج التيوصل اليها هو ثم ختم مقاله بقوله ، انه حاول ان يردَّ على الاستاذ بارشلي ، في الميدان الذياختاره لبحثه أي الميدان العلمي ، فأثبت ان رأي العلم في الموضوع ليس كما يقول ، وانه اجتنب البحث في الموضوع من ناحية الفلسفة الادبية ، ومن ناحية تعاليم المسيح ، معتمداً على أقوال علماء ثقات ، ليس بينهم كاثوليكي واحد ،حتى يمكن ان يتهم بأن عقيدته الكاثوليكية لوّنت تفكيره في هذا الموضوع ، وان الانسانية في خلال سيرها الطويل من أيام الهمجية الاولى ، الى القرن العشرين ، قد أثبتت بالتجربة والامتحان ، ان التقاليد الخاصة بالعفة والزواج وما اليهما ، هي خير الوسائل للاعراب عن الباعث الجنسي،وقد قبلتها ، لا لانها كانت وحياً هبط عليها من السماء،بل لان فائدتها ثبتت لها بالتجربة ، ولولا ذلك لما ثبتت على كرّ القرون . والنتائج التي وصل اليها الاستاذ بارشلي ، اذا سار بها الشبان والشابات الى نهايتها المنطقية ، اي اذا نفذوها أضرت بهم ضرراً حسيًّا ونفسيًّا ، وبالمجتمع كذلك

السيكلوجية الحديثة

التحليل النفساني - مسمر وبرور

يعقوب فام

نبت التحليل النفساني في عالم الطب . وانتقل منه الى دائرة السيكلوجية الحديثة على يد فرويد أبي التحليل النفساني بلا منازع

في النصف الاخير من القرن التاسع عشر كانت مدرسة نانسي ومدرسة باريس تعالجان الامراض العصبية وفي حوالي ذلك الوقت (سنة ١٨٧٠) اكتشف مسمر Mesmer التنويم المغناطيسي ، فأخذته المدرستان واستعملتاه في معالجة بعض الامراض العصبية مثل الهستريا والملانخوليا ، وقد تم لهما بعض النجاح في هذا المضمار وذهب فرويد الى تينك المدرستين ليدرس وسائلهما في معالجة هذه الامراض

وفي ذلك الوقت أيضاً كان برور Breuer الطبيب النمسوي يطبق طرق نانسي وباريس على الحالات التي كان يعالجها ، وبالطبع لجأ الى التنويم المغناطيسي فيما لجأ اليهِ من الوسائل . وذهب اليه فرويد ايضاً وأخذ يتلقى عليه ويعينه في معالجة تلك الحالات. ولكن برور اكتشف شيئين غاية في الاهمية أحدهما اصبح حجر الزاوية في التحليل النفساني والثاني غير وسائله وطرقه كل التغيير وكان من شأنه ان برور نفسه أعفى نفسه من الموضوع كله وأقام حاجزاً متيناً بينه وبين هذا الضرب من العلاج

***

اكتشف برور اولاً ان المريض بمرض عصبي يشفى من تلقاء نفسه اذا ما تُرك ليقص ما يضايقه على الطبيب ، وبعبارة اخرى اترك المريض في حالة راحة وطمأنينة ، واطلق له العنان ليتحدث فيقول كل ما يخطر بباله من الامور الخطيرة والتافهة ، العظيمة والسخيفة ، واغلب الظن انه يشفى مما هو مصاب بهِ من الامراض العصبية . قد يسرد المريض ما يحب ويكره من الاطعمة والملابس وما أشبه ، وقد يروي لك احلامه التي تلازمه بعض الليالي ، وقد يحدثك عن بعض اختباراته في الطفولة ، وقد يشكو لك أخاه او امه او أباه ، وقد يمدحهم ويفرط في مدحهم او مدح بعضهم ، او قد يسرد عليك ما
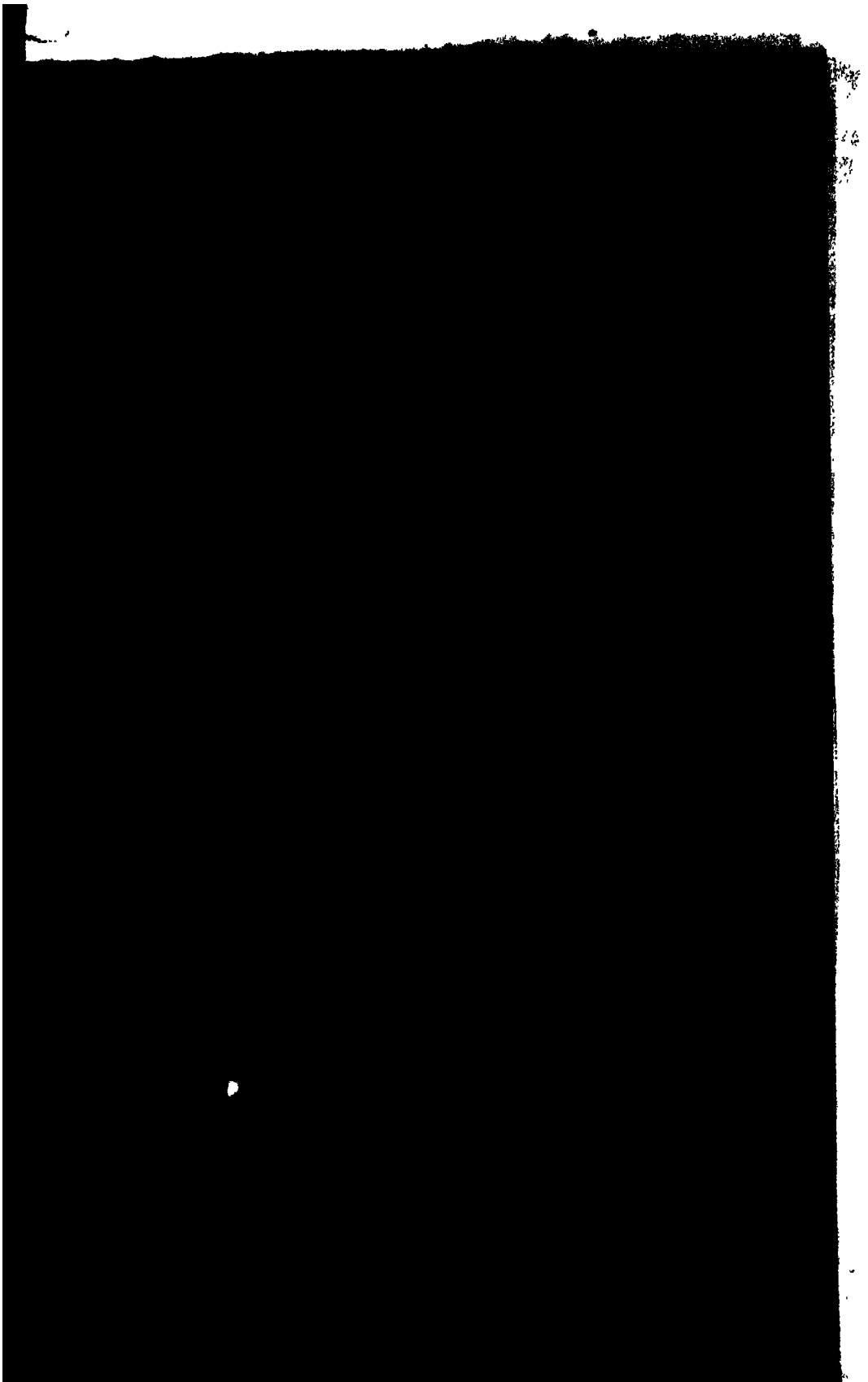
عناية الحيوان بنسله

او « الشمرجة »

للدكتور كامل منصور المدرس بكلية العلوم (١)

الكائن الحي هو الجسم الذي يتغذى بمواد مخالفة لتركيبه وتؤدي هذه التغذية الى النمو فكأن التكاثر نتيجة واجبة لازمة على كل كائن حي وكأنَّ الكائن الحي بعد تكاثره قد أدَّى الوحيد نحو نوعه وجنسه فتنقضي حياته ويموت

، أبسط طرق التكاثر الجنسي (الشقّي) ما نعرفه عن بعض نجوم البحر (كف مريم). تضع عدداً كبيراً من البيض وليس للبيضة غلاف ما وليس فيها مواد غذائية مختزنة . وينتج الذكر ت منوية كثيرة ويطرح هذان النوعان من المنتجات في البحر وبذلك تترك عملية الاخصاب بيضة المخصبة للمقادير . فاذا لم تسعف البيضة بالحيوان المنوي هلكت واذا أخصبت ابتدأت وّها متعرضة فيها جميعها لكافة الاخطار وكثيراً ما ينتهي بها الامر الى القضاء العاجل عليها تعبث بها الامواج واما ان يبتلعها غيرها واما ان تموت جوعاً او غير ذلك . الاّ ان من هذه من البيضات ما يصل الى دور التمام وهذا وان يكن قليلاً قلّةً نسبيةً الاّ انه كافٍ لتواصل . والاسراف في هذه الطريقة جليٌّ

هناك طريقة ثانية قد تقلل الاخطار التي يتعرض لها النسل اذ نجد للبيضة غلافاً قويًّا وبداخله وافر من الغذاء اللازم للجنين في اثناء ادواره الاولى. يفقس الجنين من البيضة هنا اما على حالة نمو وتتطور فتصل الى شكل أبويها واما على شكل الحيوان الكامل مباشرة . ففي هذه يقضي الصغير ادواره الاولى في مأمن من كثير من الاخطار . وعلى ذلك نجد عدد البيض ذا قوبل بمثله في نجوم البحر والسبب في قلته غالباً ان نسبة ما ينجو منه اكثر مما ينجو في الحالة . وكلما ارتفعت هذه النسبة قلّ عدد البيض او بوضع آخر كلما زادت الاخطار ازداد عدد البيض

في كثير من الحيوانات يبقى البيض داخل الجهاز التناسلي وهناك ينمو بعيداً عن معظم الخارجية فاذا ما تم نموه ترك امه وابتدأ حياته حرًّا مستقلاً في امثال هذه الحالة يقل بيض كثيراً . وقد يصل في حالات كثيرة الى واحدة فقط

نلاحظ لكل ذلك موضوع العناية بالنسل بل هذه كلها وسائل وأساليب تتنوع بها الطبيعة

يخالجه وهو يجلس أمامك ، او ما تثير زيارته لعيادتك من الخوالج والمشاعر النفسية . قد يفعل هذا او شيئاً يقرب او يبعد منه ، ولكنه سينطلق في الحديث على كل حال وسوف يقص عليك شيئاً ما وفي جميع هذه الحالات سوف يفيد المريض من هذا الكلام ، وقد يشفى مما هو فيه وقد لا يعود اليه المرض مطلقاً

اكتشف برور هـذا ، وهو كما نفهم أساس التحليل النفساني ، او هو التحليل بذاته ، وهو بذاته ما يطلبه كل طبيب نفسي من مريضه الى الآن ، لا بل لا يطلب الطبيب من المريض شيئاً غير هذا في جميع الحالات ، وبالطبع فصّل فرويد هذه الطريقة تفصيلاً ووضع لها قواعد وحدوداً وغايات وأغراضاً ، ثم وضع لها نظريات ترتكز عليها وتحتمي فيها عند ما يناقشها العالم العلمي ، ومع كل ما عمله فرويد وأضافهُ اليها ما تزال في أساسها عين الطريقة التي اكتشفها برور

ولكن برور وجد شيئاً آخر كان من آثاره ان قطع الصلة بين هذا الطبيب وتلك الطريقة ، وبعبارة اخرى اكتشف شيئاً مزعجاً له مربكا قضى على كل صلة بينهُ وبين مواصلة البحث في طريقة التحليل النفساني كأساس لمعالجة الامراض العصبية

***

كانت الطريقة التي اتبعها هو وفرويد انهما اذا ما عرضت لهما حالة تستدعي العلاج بالتحليل النفساني ، ان ينوّما المريض ، ويطلبا اليهِ وهو في حالة الذهول هذه ان يروي لهما ما يعن لهُ من الخواطر والاحساسات والمشاعر قبيحها وجميلها . يروي كل هذه من غير حرج او تفكير في الآداب الاجتماعية او في قواعد السلوك والعرف ، ولكنهما اكتشفا انهما لم يكونا يستطيعان تنويم جميع المرضى ، فان بعض الافراد لم يكن ليمكن تنويمه بأي حال من الاحوال . وبالطبع اذا استعصى التنويم على احد المرضى فقد استعصى العلاج على الطبيب ، لان من مستلزمات هذه الطريقة ان ينعدم كل نزوع او ارادة عند المريض في اثناء العلاج

كانت هذه صدمة كبيرة لبرور ولفرويد ، لانها لم تكن تعني الاّ الاخفاق المحقق الذريع يواجه الطبيبين ويسد عليهما المنافذ ويفسد عليهما عملهما ويضيع عليهما جهودهما ، ومع كل هذا لم تكن تلك هي الصدمة الوحيدة في هذه السبيل ، وانما تلتها اخرى واخرى بحيث قضت على برور ان ينسحب من هذا الميدان انسحاباً تامًّا

***

كان المريض عند ما يستعصى عليه النوم يظل مالكاً لجميع حواسه متقيداً بالعرف والاوضاع الاجتماعية بعيداً عن ان يستسلم للخواطر يتلوها كما تتوارد في نفسه من غير بحث او غربلة . فكان ينتقي منها ما يصح ان يذكرهُ من غير حرج ومن غير ان تتقزز نفسه لذكره ، واما ما كان يخجل منهُ او ما اصطلح الناس بينهم وبين أنفسهم على ان لا يذكروهُ للغير ، فهذا بالطبع كان المريض

فيها على الطبيبين ويحاول ان يتملص او يهرب من ذكرها، وبالطبع كان من شأن هذا التصرف ان يعطل عمل الطبيبين ويشل منهما الحركة ويفوت عليهما العلاج الذي كان يمكن ان يتقدما به . هذه هي الصعوبة الثانية التي اعترضت برور وفرويد في عملهما

واما الصعوبة الثالثة - ثالثة الاثافي — تلك التي قضت على برور ان يخرج من هذا الميدان نزوحاً لا رجعة فيه فهي هذه – عند ما ينام المريض ويتحلل من قيود الشعور ويطلق لنفسه العنان فيذكر بعض الحوادث التي كانت السبب الاصلي في ظهور العقدة او المرض، نقول بعد ان يسرد هذه الاسباب سرداً مستطيلاً ذاكراً بعض التفاصيل التي كان يتردد من غير شك في ذكرها فيما لو كان مالكاً لوعيه ، بعد ان يفعل كل هذا ويكشف عن العلة في مرضه وبعد ان يشفى او يكاد ، بعد هذا كله اكتشف برور انهُ في معظم الحالات تتركز عاطفة المريض في الطبيب نفسه ، ويصبح عاشقاً له معتمداً عليهِ ، ميالاً اليهِ ، او كارهاً لهُ مغيظاً منهُ — وبعبارة اخرى تتوجه عواطف المريض نحو الطبيب توجهاً غزيراً فياضاً متدفقاً يكاد يغرقهُ ويسد عليهِ منافذ العمل والحركة ؛ فكأن المريض قد شفي من مرض نفسي ليتردى في مرض آخر ، وكأنهُ تخلص من عقدة ليقع في غيرها ، فبعد ان كان موزَّع النفس، مشتتها ، او في حرب مع نفسه او مع الجماعة . اصبحت كل قوى نفسه متجهة الى الطبيب ، واصبح الطبيب ذاته هو المرض

هذه الظاهرة الغريبة . هي ظاهرة نفسية بالطبع ، هي فرع من المرض النفسي يستدعي ان يستقصيه الباحث ، وينقب فيهِ علتهُ يتوصل الى فهمه وادراك كنههِ ، فهذه ليست ظاهرة طبيعية يصح ان توجد في الانسان السليم العادي ، وانما هي في الواقع مظهر المرض او هي نوع آخر من المرض اذا لم يتحلل منهُ المريض فكأنهُ لم يعالج ولم يشف — هذا من ناحية

***

واما من الناحية الاخرى فهي مربكة للطبيب محرجة له كل الاحراج ، متعبة لا يستطيع معها ان يلتفت لعمله كل الالتفات . اذ ما هو شأن الطبيب في هذه المسألة حتى يصبح فيجد نفسه موضع حب ملتهب حار يتبعهُ كظله يسعى وراءهُ مصرًّا على تحقيق غايته ؟ امرأة متزوجة تذهب الى الطبيب لتعالج فتصبح محبة لهذا الطبيب مفتونة بهِ ، هذا كثير على الطبيب لا يستطيع ان يحتمله ، وهذا بالفعل ما حدث لبرور فاضطرَّ ان يفرَّ من هذا الميدان لانهُ ميدان خطر حافلٌ بالمفاجآت التي لا يستطيع ان يحسب لها حسابها ، والتي تزمع ان تتصل باعماله فتفسدها ، فليس من مصلحة الطبيب ان يكون موضع افتتان النساء اللاتي يعالجهنَّ

الى هنا وانتهت قصة برور ، فعند هذه النقطة انقطع برور عن ممارسة علاج الامراض العصبية بطريقة التحليل النفساني ، ومن هذه النقطة استأنف فرويد العمل بمفرده فاستقامت له الزعامة في

هذا الميدان وتتلمذ عليهِ كثيرون وأسس مدرسة التحليل النفساني كما هي معروفة في وقتنا الحاضر وهي مدرسة حديثة قوية لها اتباع اقوياء نشروا مبادئها في كل صقع، ودخلوا بها الى معظم الجامعات الكبيرة في الدنيا، فالفرويدية مذهب في التحليل النفساني يتمسك بهِ كثير من علماء النفس ويدرسهُ ويبحث فيهِ جميع علماء النفس منهم من يؤمن بها كل الايمان، ومنهم من يقاومها كل المقاومة، ومنهم ايضاً من يبحث فيها بهدوء وعقل من غير ان يقيم وزناً للعاطفة او للميول

وليس هذا فقط ولكن تفرّع عن هذه المدرسة مدرستان اخريان، اسسهما تلميذان لفرويد، احداهما مدرسة ادلر والاخرى مدرسة يونج، ولكل منهما قصة لذيذة يصح ان نسردها عند ما يأتي اوانها، ولكل منهما نظرية اساسية، يصح ان نشرحها في حينها، ولكن من المستحسن هنا ان نقول ان التحليل النفساني Psychoanalysis عند بعض علماء النفس، معناهُ فقط فرويد ومدرسته وعند البعض الآخر معناهُ فرويد وادلر ويونج، هؤلاء الثلاثة مع ما بينهم من الفروقات الاساسية والاختلافات الجوهرية فالسيكولوجية الاكاديمية تضع هؤلاء الثلاثة في موضع واحد وتحت باب واحد وهو التحليل النفساني. واما الثلاثة انفسهم فلا يقبلون هذا الوضع لا بل يحاربونهُ ويثورون عليهِ، ويريدون على الضد من ذلك ان يؤكدوا التباين في وجهات النظر بينهم

ويحسن بي هنا ان انبه الى اني شخصيّاً اتبع السيكولوجية الاكاديمية لاسباب مهمة سأذكرها في سياق الكلام، ومن هذه الاسباب بالطبع ميلي الى وضع هذه المدارس الثلاث بعضها مع بعض لانها جميعاً تستعمل طريقة واحدة لا تتغير وان كانت لكلٍّ منها وجهات نظر خاصة بها في تفسير الظواهر النفسية التي تعرض لها

***

نستطيع ان ندعو التحليل النفساني سيكولوجية التصرف او السلوك، وان كانت تختلف كل الاختلاف عن النظرية المسلكية التي شرحناها في عدة مقالات على صفحات هذه المجلة. ولا ندعوها بهذا الاسم اعتباطاً او تعنتاً ولكننا نراه ينطبق عليها من وجوه كثيرة — ذلك لان التحليل النفساني يعنى العناية كلها بدراسة سلوك المريض وتصرفاته. ويحاول في نفس الوقت ان يرد هذه التصرفات الى دوافعها الاصلية

ويدعونها هم سيكولوجية الشعور Feeling Psychology، ذلك لانها — في رأيهم على اقل تقدير — تبحث في المشاعر التي كانت السبب في ظهور الامراض العصبية، تتعقد هذه المشاعر وتختلط في بعضها، فتعود لا تضع صاحبها في الوضع الصحيح فيما يختص بنفسه، او تطغى بعضها على البعض وتتحكم بعضها في البعض فيفقد الانسان توازنه النفسي وتتسلط عليه بعض الامراض العصبية، او قد تختلط نفسه وتتعقد مشاعره فلا يعود قادراً على وضع نفسه في وضعها الصحيح من هذا

النظام الاجتماعي الذي نعيش فيه فيصبح عاجزاً عن ان ينظر الى الناس كما ينبغي للانسان العادي ان ينظر ، او يضع نفسه بينهم بحيث لا يشعرون بخلاف جوهري بينهم وبينه ، ومن غير ان يكون هنالك شذود ظاهر وفرق في وجهات النظر الى الاشياء محسوس يجعلهم يتجنبونه لانه مغاير لجمهور الناس العاديين

او يدعونها سيكلوجية الاعماق Depth Psychology لانها في رأيهم أيضاً تغوص في اعماق النفس البشرية ، وتندس في اغوارها الداخلية فتقلبها ظهراً لبطن ، وتنشر خباياها وتمزّق الحجب التي تحجبها عن اعين الناس وعن عيني المريض نفسه ، وهي تزعم بذلك ان تصرفات الانسان المريض او العادي منبعثة عن دوافع ونوازع تخفى في جميع الحالات عن الانسان نفسه ، فقد يظن الانسان انه يعرف الدوافع لتصرفاته ، والحال انه لا يمكنه ان يعرف ذلك ، لان واعيته اذا تولت الكشف عن تلك الدوافع لا تعمل شيئاً سوى انها تبرر التصرفات بأسباب واهية مفتعلة لا اصل لها ولا وجود ، وكل ما تفعله الواعية انها تتطوّع بالتستر على اللاشعور او العقل الباطن ذلك لذي يملك دون سواه الاسباب الحقيقية للتصرفات ، ان شاء كشفها للدنيا وان شاء حجبها واستخدم الواعية في انتحال الاعذار واختراع الاسباب ، من هذا اطلق اصحاب هذا المذهب النفسي هذه التسمية على مذهبهم ، وهم يحبون ان يعرفوا به

وما قصدنا ان نطيل الوقوف عند الاسماء الاّ لانها من ناحية تساعدنا على فهم نظرية هذه المدرسة عند ما نتناولها بالشرح والتفصيل ومن ناحية اخرى اردنا ان نمهد لشرح النزاع القائم بين هذه المدرسة من علم النفس وبين المدارس الاخرى التي لا تتفق معها في وجهات النظر

***

ويحسن بنا في ختام هذا المقال ان نوجه نظر القارىء الى ان مدرسة التحليل النفساني لا ترى فائدة ولا نفعاً في السيكلوجية الاكاديمية التي تدرس في معظم جامعات الدنيا ، كما انها لا ترى نفعاً في دراسة سيكلوجية الحيوانات كما تعمل الجستالت Gestalt والنظرية السلوكية ، والسيكلوجية التجريبية على العموم ، ثم هي تحتقر المعامل السيكلوجية وترى انها عبث لاطائل تحته ولهو اطفال وانما هي تعني بأعماق النفس وخباياها كما تزعم ، وترى ان معظم السيكلوجيات الاخرى لا تستطيع ان تلقي ضوءاً على هذه المسألة

***

هذه مقدمات نظرية التحليل النفساني ، اجملناها اجمالاً لضيق المجال ، وأما نظرية التحليل النفساني ذاتها ، وأما فرويد حجر الزاوية من هذه النظرية فسوف نعالجه مرة اخرى اذا سمح الحال لنا بذلك

الحرير وتركيبهُ الذرّي

الاشعة السينية تنفذ الى أسراره

التحليل الجزيئيُّ لتجعيد الشعر الدائم

الفلك الحديث كما تناولتهُ اقلام ادنغتن وجينز وغيرها من كبار الكتّاب صورة
هية في النفوس . قوامها كون رحيب مترامي الاطراف ، تقع فيهِ حوادث عظيمة من
تفرقها الى انبعاث الشموس وانحلالها الى انطلاق الطاقة في أرجاءِ الكون وتحوّلها .
ى رذرفورد وانداده قد اخترقوا الذرة الى صميمها واستنبطوا النواميس التي تجري
والذرّات كما تعلم متناهية في الصغر حتى اذا أخذتَ قطرة ماءٍ وضخّمتها حتى تصير
نية ، لم يفق حجم الذرّات التي تتكون منها على هذا القياس حجم كرات البليباردو .
ما فينا هذه المباحث الذرية ليس منشؤها ، صغر الوحدات التي تتناولها فحسب ، بل
ا بأن كل الاشياء المادية من الماءِ الذي نشربه الى الكواكب المنيرة والمجرّات
ن ذرّات . على ان الافتتان بدرس الطبيعة لا ينحصر ، في الاجسام المتناهية في
السدم والمجرّات ، ولا في الاجسام المتناهية في الصغر كالذرّات والكهارب وما
طقة وحداتها اكبر من الذرّات واوثق صلة بحياتنا اليومية منها . الى هذه المنطقة
ن ركائبهُ ووجّه مصابيحه فكشف فيها العجب العجاب

***

الذرّات atoms والجزيئات molecules ؟ الذرّات هي الوحدات او اللبنات الاساسية
المادية وثمة اثنان وتسعون نوعاً من الذرّات ، او قل اثنين وتسعين عنصراً .
ر متشابهة في خواصها . اما الجزيئات فطوائف مجتمعة من الذرّات ، كل طائفة
ف وحدة كاملة التركيب . وقد تقطّع اوصال الجزيئات ، فتفرقها الى الذرّات التي
يد تركيبها . والواقع ان تفريق الجزيئات الى ذراتها ثم اعادة جمعها في طوائف
نح الطبيعة تلك القدرة العجيبة على تغيير الاشكال . فالذرات تشبه حروف الهجاء
لكلمات التي تؤلف منها . فأنواع الجزيئات لا تحصى مع ان انواع الذرات لا تعدو اثنين
لك كلمات اللغة لا تحصر مع انها تتألف من حروف لا تزيد على ثلاثين على الاكثر
ام الكلمات من الحروف اننا نستعمل بضعة حروف اكثر من غيرها . كذلك الطبيعة

تستعمل ذرات بعض العناصر اكثر مما تستعمل ذرات غيرها . ان نصف الذرات الداخلة في تر
الارض وما عليها ذرّات عنصر الاكسجين ، والربع ذرّات عنصر السلكون . فالبحار
لا تحتوي الاّ على ذرات الاكسجين والايدروجين لان اتحادها يولّد الماء . اما الصخور فهي
الغالب مركّبة من ذرات الاكسجين والسلكون لان معظمها سليكات او اكاسيد

هذا في الجوامد . اما الاجسام الحية فمركّبة في الغالب ، من ذرّات الاكسجين والايدرو
والكربون والنتروجين ، يضاف اليها مقادير يسيرة جداً من ذرات بعض العناصر الاخرى. ومن عج
التركيب في الاجسام الحيّة ، كثرة استعمال الكربون ، لانهُ قلّما يدخل في تركيب الاجسام الجماد
فالارض والهواء والماء لا تحتوي الاّ على قدر ضئيل من الكربون . اما اجسام الاحياء من
وحيوان لحافلة بهِ . وكذلك ترى ان جزيئات الاجسام الحية مؤلفة من ذرات هذه العـ
الاربعة ، يضاف اليها في احوال خاصة ، مقادير يسيرة من الحديد والكلسيوم والفصفور و
وغيرها ، لتأدية اغراض معيّنة . وافعال الحياة من ناحية كيميائها حلٌّ متواصل للجزيئات
طوائف من الجزيئات ، ثم اعادة بنائها في اشكال جديدة

من اهم الجزيئات في جسم الحيوان ، جُزَيْءُ البروتين . وهو جزيءٌ معقّد التركيب مخ
الاشكال . فالعضل والعصب والشعر والصوف والقرن، جميع هذه انسجة حيوانية مركّبة من ا
متباينة من جزيئات البروتين . اما ان تكون جزيئات البروتين كثيرة الاشكال فليس بالامر الـ
لانها تدخل في تركيب نسج مختلفة كالعصب والقرن ، بل ان الفرق بين شعر سبط وشعر جعد
الى فرق طفيف في جزيئات البروتين التي يتركب منها كلٌّ صنف . حالة ان علماء الكيمياء يقيمو نـ
جزيئات البروتين متشابهة في بعض خواصها الاساسية ، رغم ما تجدهُ بينها من التباين حتى لـ
ان تجعل كلها في طائفة واحدة من الجزيئات ، يطلق عليها اسم واحد . هو « جزيء البروتين

***

ظلَّ الكيماوي عاجزاً عن معرفة ترتيب الذرّات في جزيء البروتين حتى جاءَ الطبيعي الى نجـ
عرف الكيماوي ان الكربون والنتروجين من العناصر الاساسية في هذا الجزيء . وانهُ يحتو
الاكسجين والنتروجين كذلك ، وبعض العناصر الاخرى احياناً . واثبت انهُ جزيءٌ معقد التركيب
على عشرات من الذرّات . غير ان الكشف عن ترتيب هذه الذرّات في بناءِ الجزيء كان متـ
عليهِ او كان صعباً على الاقل . ويجب ان نذكر ان الكيماوي كان يحاول معرفة تركيب الجزيء ،
الى اجزائهِ او باضافة اجزاءٍ جديدة اليهِ وهو لا يستطيع ان يرى الجزيء لصغرهِ ، فيضع الجـ
جنباً الى جنب ، او يحلّها في الماءِ او اي سائل آخر ثم يراقب تجمعها ، فيحكم بذلك على الـ
في خواصّها . وكذلك توصل الى وصفها ، بل بالغ في وصف بعضها مبلغاً من الدقة حتى كأنهُ يـ
وقد كان من الطبيعي ان ينال جزيء البروتين جانباً عظيماً من عناية الباحثين لما له من الشأن الكبير

الاجسام الحية، والافعال الفسيولوجية، كهضم الطعام وتمثيله ، ونمو الاجسام وفعلها في الصحة والمرض

على ان العلم لا يقرُّ بالعجز ، بالغة ما بلغت العقبات التي تقوم في وجهه ، وقد استنبطت في العهد الاخير ، وسيلة جديدة فعالة للبحث في بناء جزيء البروتين وما اليهِ . قلنا ان الكيماوي لا يستطيع رؤية الجزيء . وسبب ذلك ان الميكروسكوب لا يستطيع ان يجلو الجزيء للعين البشرية ، لان امواج النور التي نرى بها الاجسام ، بانعكاسها عنها ، اكبر من الجزيء ، فهي لذلك لا تبينها . ولكن الاشعة السينية اقصر امواجاً من اشعة الضوء التي نبصر بها . فقد نستطيع ان نرى بها ما لا نراه بامواج الضوءِ اذا كانت عيوننا تستطيع ان تتأثر بها . ولكننا لا نستطيع ان نرى الجزيء حتى ولو وجّهنا اليهِ الاشعة السينية ، لان عيوننا لا تتأثر بها . بيد ان الاشعة السينية تؤثر في الالواح الفوتوغرافية

وليس بالامر اليسير وصف الطريقة التي تجلو بها الاشعة السينية ، شكل الجزيء ، في مثل هذا المقال الموجز . وانما نكتفي بالاشارة اليها . فنحن نريد مثلاً ان نتناول درس جزيء البروتين ، وهو عنصر اساسي في بناء الحرير الطبيعي — وعلى ذكر الحرير الطبيعي يجب ان ننبه القارىء الى ان الحرير الصناعي ، ليست مادة بروتينية ، بل هو مصنوع من السلولوس (المادة الخشبية) ويجب ان يوضع في صف المواد القطنية — فنأخذ قدراً معيناً من الحرير ، ونوجه اليه شعاعة من الاشعة السينية ونضع وراء الحرير ، لوحاً فوتوغرافيًّا يتلقى الاشعة السينية بعد اختراقها للحرير . فاذا حمضنا اللوح الفوتوغرافي وثبّتناه ، وجدنا عليه رسوماً من شكلٍ معين ، كل رسم منها مؤلفٌ من نقط . فعلينا حينئذٍ ان نقرأ هذه الرسوم ، كما يقرأ العالم بالآثار المصرية ، حجراً نقشت عليهِ كتابة هيروغليفية . وليس هذا بالامر السهل ، وانما المرانة تأتي بالعجائب

لسنا هنا في مجال التفصيل وانما يجب ان نشير الى ناحيتين خطيرتين من نواحي العمل . (اولاً) ذلك اننا ما كنا لنجد رسوماً معينة على اللوحة الفوتغرافيـة ، لولا ميل الطبيعة الى تنظيم الجزيئات في اشكال هندسية نظيمة . حتى الاشعة السينية نفسها لا تستطيع ان «ترينا» جزيئاً واحداً . ولكنها تستطيع ان تجلو مجموعة نظيمة من الجزيئات . ومن حسنات الطبيعة انها تميل الى النظام التام . وقد يكون من آثار ميلها هذا نشوء تلك الكتل النظيمة التي تعرف بالبلورات وأشهرها بلورات الحجارة الكريمة . غير انها في ميلها هذا لا تبلغ دائماً مرتبة البلورات الكبيرة التي يمكن رؤيتها بالوسائل البصرية المختلفة . وهي كذلك في الحرير . فبلورات الحرير اصغر من ان ترى بالعين ولو اسعفت بالمكرسكوب ، ولكن الاشعة السينيه تبصرها وترسمها على اللوح الفوتوغرافي

(ثانياً) ان الرسم الذي طبع على اللوح الفوتغرافي مؤلف من نقط او بقع ، فقوة كل نقطة حيال النقط الاخرى ، بصرف النظر عن موقعها ، يمكن العالِم من فهم طريقة ترتيب الذرات داخل الجزيئات والوصول الى هذه المعرفة أعسر من الوصول الى فهم ترتيب الجزيئات في بناء البلورة

أمامي على المائدة مثال مجسّم لما عرفناه عن بناء جزيء البروتين في الحرير الطبيعي . وصفته الاساسية تركيب متعرّج من ذرّات الكربون والنتروجين قد يمتد مسافة طويلة كما ترى في الرسم التالي: وكذلك ترى اذ هذه السلسلة مؤلفة من ذرات نتروجين (ن) وكربون (ك) بنسبة ذرتين من الكربون الى ذرة من النتروجين . والذرّات في المثال الذي أمامي ممثلة بكريّات صغيرة ملوّنة باللون الأسود لذرات الكربون وباللون الاخضر لذرّات النتروجين . والقصد من التلوين سهولة التمثيل لان الذرات في الواقع أصغر من ان تكون ملوّنة (اللون ينتج عن تكسر امواج الضوء على الجسم وامتصاصه لبعضها دون غيرها وتأثير ذلك في العين والذرّات لصغرها لا تكسر أمواج الضوء لأنها أصغر منها كثيراً) ولكن ليس هذا كل ما في الجزيء . فكل ذرّة نتروجين تتصل بها ذرّة ايدروجين (يد) . وفي كل زوج من ذرّات الكربون تتصل احدى ذرّتي الكربون بذرة ايدروجين والاخرى بذرة اكسجين (ا ك). فتصبح الصورة كما ترى

هذا هو البناء العام لجزيء البروتين . ولكن كيف يختلف جزيء بروتين الحرير ، عن جزيئات البروتين في الاجسام الاخرى ؟ قلنا انَّ احدى ذرّتي الكربون تتصل بذرّة ايدروجين والاخرى بذرّة اكسجين . بيد ان ذرة الكربون المتصلة بذرّة الايدروجين ، لها صلة أخرى ، في جزيء الحرير ، وبهذه « الصلة الاخرى » يختلف جزيء بروتين الحرير ، عن جزيء البروتينات الاخرى . هذه الصلة الاخرى في بروتين الحرير هي كتلة من الذرّات او جزيء صورتهُ الكيماوية (— CH_3 ك يد٣) فاذا اختلفت اختلف نوع جزيء البروتين

هذا اذن هو بناء الحرير الاساسي . صفوف من الذرّات وجماعات منها ، تربط بينها قوى ذرّية اضعف من القوى التي تربط بين الذرّات في جزيء صغير واحد . فاذا انقطع خيط حريري لم يتهشم جزيء بروتين الحرير بل انفصل جزيء عن آخر ، لان الجزيئات سلسلة متصلة . وكل جزيء بمثابة حلقة . بيد ان الصوف والشعر يمكن مدّهما ، حتى ليتضاعف طول الشعرة احياناً . وهما مبنيّان كذلك من جزيئات البروتين . فما الفرق بين الحرير والصوف . الفرق قائم في تلك « الصلة الاخرى » . فقد قلنا ان أحد ذرّتي الكربون متصلة بذرة ايدروجين ، في الحرير . لها « صلة اخرى » مؤلفة من كربون وايدروجين (CH_3) هذه « الصلة الاخرى » في الصوف هي غير ما هي في الحرير ، واكثر تنويعاً وتعقيداً ، وهي في الغالب ، تجذب احداها الاخرى ، جذباً قويّاً ، فتقترب احداها من الاخرى ؛ ومن هنا جُعُد الشعر والصوف وامكان مدّهما قبل انقطاعهما . والرطوبة ، تفعل في هذه « الصلات الاخرى » فتسهل مدّ الثوب الصوفي اذا بُلّ واذا بلّ النسيج الصوفي او الخيط ، ثم عولج بالحرارة ، امكن الاحتفاظ بالخيط الصوفي مبسطاً اي يمنع حينئذٍ الجذب بين حلقات السلسلة . فاذا أخذتَ خصلة من الشعر وبلّلتها وكويتها

الاستعمار والحضارة

بقلم الكاتب الانكليزي ليونارد ولف

تلخيص وتعليق : لمعاوية نور

ينتمي ليونارد ولف الى رهط كريم من كبار مفكري الانكليز الاحرار في العصر الحاضر ، ذلك الرهط الذي ينتظم فيه ولز وشو وبرتران رسل وهارولد لاسلكي وسدني ويب وانداده من « الانتلجنسيا » ذات التفكير الحر . وانهُ لمن الدلائل الطيبة التي تذكر لهذا العصر ان بعض علمائه وفلاسفته ورجال الفنون فيهِ قد اهتموا بمسائله الاجتماعية وجعلوا لها نصيباً كبيراً من تفكيرهم وعنايتهم . فنرى ولز القصصي الاديب في عهدهِ الاخير لا يكتب حرفاً واحداً الا وهدفه الاصلاح الاجتماعي ؛ ونرى برتران رسل يهمه امر الثورة في الصين ويكتب في الشؤون الهندية مثل اهتمامه بالفلسفة الرياضية وسمات التفكير المجرد ، وننظر الى صديقنا العالم البيولوجي الفذ جوليان هكسلي يشتغل بالشؤون الافريقية ويجد لها مكاناً رحيباً الى جانب الحديث عن التطور وخصائص الاحياء والوراثة وما اليها من الشؤون العلمية . فهذا عصر علماؤه ادباء ، وأدباؤه علماء وفلاسفته يشتغلون بالصحافة ، وصحافته لا يفوتها الاشتغال بالعلم والرياضة ودراسة الفلك .ولعلَّ هذه النزعة الانسانية الجديدة « New Humanism » هي من ارقى ما تمخضت عنه الحضارة الغربية في طورها الاخير . هذه النزعة التي ترى العلم والفلسفة والسياسة والادب والصحافة وحدة انسانية من اسمى اغراضها خدمة النوع الانساني « Homo sapiens » والعناية بروح الانسان وجسمه . واذا كان للانسانية أن تعلو ولالحالة الراهنة ان تبقى فهي بلا شك مدينة لهذا الروح الجميل ، الذي يذكيه في اميركا « بابت » و« ممفورد » وفي انكلترا « هكسلي » و« ولز » وفي فرنسا « رومان رولان » وفي الشرق امثال « طاغور » . فهؤلاء الكتَّاب يعنيهم شأن الانسان اكثر مما تعنيهم شؤون اوطانهم الضيقة ، ويعنيهم مستقبل الحضارات الانسانية اكثر مما تعنيهم سيادة اوربا او اميركا ، ويهمهم ان تكون علاقات الشعوب بعضها مع بعض طيبة الاواصر ، خيرة الانتاج في احترام متبادل وعطف سام . فهم يخافون ويتوجسون شراً من بواعث المنافسة الرخيصة ، والعداء الجنسي والبغض ، وعوامل الظلم والجشع ، والاستغلال المادي القصير النظر ، وطغيان السياسات العمياء التي دفعت بالعالم

الى الحرب الكبرى وهي على وشك أن ترديه في حرب مثلها أو أهول وأخطر نتائج . فهؤلاء الكتّاب يكتبون الكتب، ويلقون المحاضرات، وينشرون المقالات في الصحف في هذا المعنى. وليس الآن مجال الحديث عن النزعة الانسانية الجديدة بالشرح والافاضة ، وانما نحن هنا بسبيل الحديث عن كتاب واحد كتبه مؤلفه حديثاً عن الاستعمار والحضارة ، عرض فيه لمشكلة الاستعمار الاوربي الحديث في قارتي افريقيا وأسيا ، وعلاقة ذلك الاستعمار بالحضارة الاوربية الراهنة وعلاقة تلك الحضارة في زيها الصناعي المادي بسكان افريقيا وأسيا ، وتناول أسباب ذلك الاستعمار الحديث ومصاحباته . وأخيراً بحث فيما نتج عنهُ وما أتى به من مساوىء ومشكلات، وما سوف يخلفه من متاعب ومصاعب وما سيقود اليه العالم من خراب محقق ان هو استمرَّ على خططه وأساليبه المعهودة . وقد اخترت هذا الكتاب بعينه للتحدث عنه لقراء العربية لعلاقته الوثيقة بأهم ما يشغل بالهم من المشكلات والحركات القومية ولكي يرواكيف يعالج هذه المسائل ذهن عالم صافي التفكير ، ناصع الاسلوب، مستقل الرأي غير متحيز لأمة أو ثقافة أو حضارة ، وانما همه الاكبر جلاء الحقيقة وعبادة الحق كما يبدو له

يقول الكاتب ان الحضارة الاوربية الحديثة هي شيء مختلف كلَّ الاختلاف عن كل الحضارات التي سبقت القرن التاسع عشر ،بعد أن تحطمت الحضارات التي كانت ترتكز اشد ما ترتكز على الملوكية والارستقراطية من جراء الغباء الذي صحبها ومن جراء الثورة الفرنسية ثم الثورة الصناعية التي قامت عليها الحضارة الراهنة حضارة الديمقراطية الحديثة والنظم البرلمانية ، والمعمل والآلة والقاطرة والطيارة والنور الكهربائي. فتضخمت الصناعة في اوربا ، واشتدَّ التنافس بين دولها لما ضاقت بها سبل التوزيع والنجاح المادي . فاضطرت تلك الحضارة ان تبحث عن اسواق جديدة لصناعاتها وجلب المواد اللازمة للانتاج والعمل . ومن هنا شعرت اوربا بحاجتها الى سائر العالم اذا كان لها أن تنجح في نظمها الجديدة،فتنافست الدول الاوربية في الاستئثار بالاقطار الاسيوية والافريقية لتجعلها ملاحق لتجارتها وصناعاتها . وساعدها على ذلك سرعة المواصلات التي سهلت امر اختراق البلدان النائية وربط العالم كله بعضه ببعض . وهذا من اهم الاسباب التي اسبغت على الحضارة الراهنة اهم خصائصها . فقد كانت صعوبة المواصلات في الماضي تحول دون اي حضارة مهما كانت قوية ممتازة ان تجتاح بقية الحضارات او تجبرها على الاخذ بها فكانت العزلة تامة بين اسيا وأفريقيا من حيث اساليب العيش وسبل الحياة والتطور الذي وقع في اوربا بين عامي ١٧٥٠ و١٨٥٠ وهذا تطور عظيم هائل لم تشهد مثله البشرية في كل تاريخها المعروف . ولعله اعظم قفزة قفزها الانسان

ولما كانت الحضارة الراهنة حضارة صناعية في صميمها ، كذلك كان الاستعمار الحديث اقتصاديًّا صناعيًّا في دوافعه وموجباته ، ولم تستطع اسيا او افريقيا ردَّهُ لانهُ اتاها فجأة بقوة ووسائل ليست في طاقتهما ولا هي تدخل في دائرة معرفتهما واختيارهما . فهي في الواقع حضارة استعمارية غازية

دون مجهود ملموس من جانب الابوين . والآن سأنتقل الى وصف ما يمكن ان يسمى الاعتناء الابوي
او الشمرية ولسهولة الشرح نقسم الموضوع الى (١) وضع البيض (٢) وقاية او حراسة البيض
او الصغار (٣) التغذية (٤) نظافة المكن (٥) الارشاد

﴿ وضع البيض ﴾ تضع معظم الحيوانات بيضها في اماكن أمينة بعيدة عن الاعداء الطبيعية
فالبعض يترك بيضه تحت غطاء كصخر او ما أشبه او يضعهُ داخل شق والبعض يبني لذلك عشوشاً
محكمة الصنع وغالبًا ما تكون مواضع وضع البيض في نفس البيئة التي تعيش فيها الحيوانات التامة
النمو الاَّ انهُ في حالات كثيرة تعيش الحيوانات التامة النمو في بيئة تختلف عن البيئة التي تربَّت فيها
ففي هـذه الحالات التي تتغرب فيها الحيوانات التامة النمو عن بيئتها الاصلية فهي تحج عائدة الى تلك
البيئة لتضع بيضها او تلد صغارها

فالضفادع مثلاً تتربى في الماء واكثرها يعيش على مقربة من الماء الا ان هناك ضفادع جبلية
تبعد بحال معيشتها عن الماء فاذا قرب وضع البيض راحت باحثة عن بقعة ماء لتترك فيها بيضها .
يأتيه العاجوم المولد في هذه الناحية غريب في بابه . هذا نوع جبلي وعند وضع البيض لا تذهب
الانثى الى الماء بل تشتبك مع ذكرها فيلتف حبل البيض على رجليهِ وعند انتهاء الاشتباك يبقى الذكر
حاملاً هذه الامانة فيعيش بها على شاطىء اقرب بركة مبللاً اياها عديداً واذا ما اقترب ميعاد الفقس
نزل بها الى الماء حتى تخرج الصغار فيحرَّر من عبوديته

وبعض السلاحف يعيش في الاعماق البحرية وعند البيض يرتحل الى الشاطىء ليضع بيضه في الرمل
ومن ابدع الامثال التي تظهر لنا ما لاختيار الاماكن لوضع البيض من الشأن ما هو معروف
عن كثير من اسماك الانهر كالبوري وسمك سليمان وثعبان الماء او حنش السمك

فالبوري معروف لنا جميعاً يعيش في مياه النيل حتى دور التناسل فيتجه نحو البحر ومنه
مشوة وهناك يضع بيضه في بقاع ثابتة وكثيراً ما تكون هذه السفرة حافلة بالاخطار ولكن
كله لا يمنع عن تأدية الوظيفة التناسلية على الوجه الاكمل . وبعد فقس البيض ترجع الصغار
نحو مداخل البحيرات او المصارف او الانهر وتصعد ضد تيارها الى حيث تجد مرعاها و[illegible]
ما يصعب دخول هذه السميكات في بعض المصارف لوجود سدود او طلمبات كما هو الحال في
مريوط وقد تنبهت لذلك مصلحة مصايد الاسماك وعملت على نقل السميكات بانتشالها من اما
ونقلها الى داخل البحيرة

اما سمك سليمان فيرحل رحلتهُ التناسلية على عكس البوري . يعيش هذا السمك في البحر
البيض يغزو الانهر رغم تيارها الشديد ورغم سدودها وشلالاتها العديدة (ولا يتغذى) [illegible]
الى المنابع وهناك يضع البيض ويقفل راجعاً . اما الصغار فتمضي ما يقرب من عامين [illegible]
المياه العذبة ثم تتجه نحو البحر وهنا [illegible]

بمعداتها الحربية الجديدة وطرق مواصلاتها السريعة . وقد كانت الوسائل الاولى في ذلك الاستعمار عن طريق التجار واصحاب رؤوس المال والشركات المختلفة يعززه من مركز مقامها دولٌ حربية قوية . ويقول المؤلف ان حادث الاستعمار هذا لعله اعظم حادث عرف في التاريخ من حيث السرعة والشمول . ففي خلال مائة عام اي من ١٨١٤ - ١٩١٤ استطاعت اوربا ان تخضع القارة الاسيوية والافريقية وجنوب امريكا لسلطانها الذي لا ينازع

***

وقد كان الاعتقاد السائد في اوربا ان هذا الاستعمار هو الشيء الطبيعي وانهُ في صالح الشعوب الاحرى ما اكثر منهُ في صالح اوربا الى ان وقفت الحبشة امام الطليان في عام ١٨٩٦ فدافعت عن ارضها دفاع الابطال وهزمت الطليان شر هزيمة ثم تلا ذلك حادث تغلب اليابان على روسيا عام ١٩٠٥ ومن هنا ابتدأ التشكك في قيمة الحضارة الاوربية عند بعض الاوربيين . فان انتصار اليابان على روسيا يعد نقطة تطور كبير في تاريخ الاستعمار الحديث ، اذ فهمت اوربا لاول مرة ان فتحها وغزوها للعالم باجمعه قد تلاهُ رد فعل قوي من العالم باجمعه ، ثم جاءَ نجاح اليابان وارتفاعها الى مستوى الدول الاوربية الكبرى حافزاً ألهب حماسة العالم الاسيوي والافريقي ودفع بهِ الى التنقص من امر هذه الحضارة الجاحدة حقوقه التي فرضت عليه فرضاً واستعرت عوامل البغض والكراهية ضد الحضارة الاوربية وسبلها المختلفة . ويمكن ان يقال انهُ الى مستهل القرن العشرين لم تقُم حركة قوية تناهض الاستعمار الاوربي . غير اننا نرى الآن ان معظم البلدان الاسيوية قد تحررت او كادت تتحرر من السلطان الاجنبي ، فتركيا والصين والعجم هي الآن في ثورة ناجحة ضد الاستغلال الاجنبي ، وفي الهند اضطراب قوي رغم كل الاصلاحات الدستورية والحركة الهندية الآن لا ترضى بأقل من الاستقلال التام

وقد رفض الوفد في مصر بأباء منحة استقلال زائف وما زال يطالب باستقلال البلاد استقلالاً تامًّا ، وفي فلسطين حركة عربية واسعة النطاق . وفرنسا تجد المصاعب الدائمة في تونس . وسوريا تلتهب حماسة وثورة ضدها . وقصة عبد الكريم وقيامه ضد فرنسا واسبانيا في الريف ما زالت ماثلة للاذهان . وفي افريقيا نشأ شعور قوي ضد الاستقلال الاجنبي والسلطات الاوربية . والمؤلف يعتقد ان سبب كل ذلك هو تصادم الثقافات ، وعندهُ ان مشكلة الاستعمار الحديث انما هي مشكلة نزاع عنيف بين حضارة صناعية آلية لا بدَّ لها من الاستعمار في نجاحها وبين حضارات لا تريد الفناء فيها والشيء الجديد في هذا النزاع ان العالم لم يشهد نزاعاً في الحضارة بلغ من الشدة والطغيان مثل ما هو عليهِ الآن . وذلك لان من خصائص الحضارة الاوربية الراهنة انها تطغى على كل النظم والمؤسسات الاجتماعية في الحضارات الاخرى ولا تعرف التساهل او الهوادة في فرض امرها واتباع سبلها . وهي تقوم على القوة الحربية في اساليبها والتنافس الاقتصادي العنيف في نسيجها

ويعتقد ليونارد ولف ان الذين يقولون بأن النزاع الحالي بين اوربا وبقية العالم انما هو نزاع
ي او ديني او وطني انما هم على خطأ واضح ، ذلك لان العوامل الجنسية والدينية والوطنية غالباً
هر على انها عوامل هامة في هذا النزاع لظهورها ، والحقيقة ان ليس الجنس ولا الدين او الوطنية
ل الاول ولا العامل المهم في هذه الظاهرة . انما يقول طغيان الحضارة الاوربية واساليبها في
تعمار والاستقلال هو الذي اذكى نار الثورة في الصين والقلاقل في الهند ومصر والتجديد في
ة التركية وبغض العالم الاسلامي لدول اوربا جميعاً . والذين يخيل اليهم انهم يستطيعون تفسير
ع الشعوب والحروب والحركات الانقلابية وتفوّق بعض الشعوب على البعض الآخر بلون الجلد
شرة يستحقون الاستخفاف والريبة ، فاليابان بعد ان اصبحت دولة مستقلة لا نراها تستقر
هذا العداء للرجل الابيض الذي يشعر بمثله الرجل الصيني . اليابانيون يكرهون الامريكيين
بينهم خصومة استعمارية دائرة على توازن القوى الحربية في المحيط الباسفيكي . والنزاع الجنسي
و الأ ظاهرة سطحية يوجدها الشعور بالغنى والسيطرة الاقتصادية وليست هي في نفسها بذات
. وكل من يدقق النظر في الحوادث التي تقع الآن في الشرق الاقصى يرى ان السبب الجوهري
نزاع بين الحضارات

فالحضارة الاوربية الراهنة في مظهرها الاستعماري الحربي الاقتصادي قد هددت حياة تلك
وب ورخاءها وسبل عيشها وعلاقاتها الاجتماعية بالزوال . وليس عجيباً ان تدافع تلك الحضارات
ئة التي لا تعتبر المادة ولا ترى رأينا في المنافسة الصناعية وقوة المال ضد المعتدين عليها .
ما اتخذت تلك الثورة من ألوان الوطنية او زي الجنس والدين فان مصدرها بلا جدال هو اختلاف
في اسلوب الحياة ارادت الحضارة الراهنة القضاء عليه

***

يجب ان لا يعزب عن البال ان كيان الحضارة الاوربية الراهنة يقوم على التنافس الاقتصادي
ماعي : والتنافس الاقتصادي لا يعرف سوى مبدإ الربح المادي للفرد سواء في اوربا او في آسيا
ريقيا . غير ان مثل ذلك الاستغلال غير ممكن في اوربا لقرب مستوى شعوبها في الوسائل والطرق
ها من بعض . وأوروبا لا تحس بوطأة مساوىء حضارتها لانها متجانسة قريبة بعضها من بعض .
كن آسيا او افريقيا تحسان بها احساساً يهدد حياتهما ويكاد يفنيها . والحضارة الراهنة التي
ت الاستعمار في آسيا وافريقيا وخلقت مصاحباته ومشكلاته هي بعينها التي خلقت مشكلات
روب البشرية والاقتصادية بين الدول الاوربية نفسها

فساوىء الحضارة الاوربية قد ابتدأت اوروبا نفسها تحسها في هذا من ان سكان اوروبا لم
يدوا جوانبها المبتذلة مثل ما شهد سكان آسيا وافريقيا . وهذا الفرق في الحضارة الصناعية الآلية
يقود في اوروبا الى نزاع عنيف بين انجلترا وفرنسا مثلاً اذا كانت الاولى قوية جداً في وسائل

الصناعة ومعدات الحرب وكانت الاخرى لا حول لها ولا سلطان من كل ذلك . فالمشكلة اذاً ليست مشكلة جنسية ولا دينية ولا قومية . وانما هي مشكلة من صميم الحضارة الراهنة وسبلها ووسائلها. وفكرة الوطنية نفسها هي من نتاج الحضارة الاوربية الحديثة فهي غير معروفة في أسيا وافريقيا عمادها الحديث . فاذا كانت الشعوب الاسيوية والافريقية تستعملها فانما كان ذلك كذلك لانها تستعمل وسائل هذه الحضارة وسبلها للتحرر منها . كما وقع في اليابان وتركيا مثلاً

***

وقد عقد الكاتب فصلاً عن تصادم الثقافات فيما قبل القرن التاسع عشر وتكلم عن الحضارة الرومانية والاستعمار الروماني فابان الفرق الشاسع بين الاستعمار الروماني والاستعمار الحديث . ففي ذلك الاستعمار لم ترغم روما بقية العالم على أخذ حضارتها والعمل بمقتضاها.وانما كانت تترك لهم كامل الحرية في معظم طرق معيشتهم وحياتهم ذلك لان حاجة الرومان الى الفتح لم تكن اقتصادية صناعية وانما كان دافعها الاول هو حب الفتح ومطامع الملوك في السلطان والتوسع الحربي وليس معنى ذلك ان الحضارة الرومانية لم تمتزج بالحضارات الاخرى او تؤثر فيها . وانما كان يأتي ذلك تدريجيًا وفي رفق وهوادة ، حتى ان الرومان أخذوا من الحضارة الاغريقية الشيء الكثير ، مع انهم كانوا الغزاة الفاتحين

والحضارة الاغريقية ايضاً مثل آخر نسوقه ، فقد بلغت تلك الحضارة في اوج مجدها مستوًى رفيعاً في الاجتماع والنظم السياسية والاقتصادية والفنون ، وفتحت معظم شعوب العالم ، فكان لها فارس في الشرق ، ومصر في الجنوب والشعوب اللاتينية وفنيقيا في الغرب ، واتصلت بحضارات تلك البلدان وأثرت فيها غير أنه لم يقع نزاع عنيف بينها وبينهم ، ولم تتلاش أية حضارة في تلك الحضارات من جراء ذلك الاختلاط . ذلك لان الاغريق لم يحاولوا توحيد امبراطوريتهم الواسعة المختلفة الاشكال والثقافات ، في شؤون السياسة الاقتصادية أو النظم الاجتماعية الاخرى . فقد كانت الحضارة الاغريقية متساهلة كثيرة التساهل مع الشعوب الاجنبية التي دانت لها.وكذلك كان استعمار عصر الاحياء او النهضة « الرينسانس » كل غايته التبادل التجاري في المحصولات وفتح الاسواق الاجنبية ، وأخذ المواد الخام . وقد كانت تلك العلاقة الاقتصادية سلمية لم يعقبها أي فتح حربي ، فلم يقع نزاع بين الحضارات ، لان وربما لم تكن في مبداها الحربية بأعظم شأناً من الهند أو الصين كثيراً

***

اما قصة الاستعمار الحديث في اسيا فهي معروفة مشهورة ، ابتدأت في اول الامر بالمعاهدات التجارية بين الدول الاوربية والامراء الآسيويين كما حصل في الهند

ويتضح تصادم الثقافات جليًّا ناصعاً في الحركة الهندية الاخيرة التي ابتدأت تشتدُّ بعد اوائل

ن العشرين ، فهي في الواقع ثورة واسعة ضد الحضارة الاوربية ونظمها الاستعمارية فغاندي يدفع امته تعاليمه الهندية لاكتشاف الروح الهندي الصميم والرجوع الى الحضارة الهندية واصلاحها سمو بها الى اوج الحضارات الرفيعة . وقد استعمل الشباب الهندي المتعلم في نزاعه هذا كل اليب الحضارة الاوربية في محاربتها والتخلص منها . ومن الغريب حقاً ان تحمل الحضارة الاوربية مها بذور حتفها وهلاكها

وقد ابتدأت الحركة التركية بالدعوة الدينية ، الاسلامية ، ثم قامت بحركة التجديد الغربية لكي حرر من العبء الاقتصادي والسياسي الذي لحقها من الحضارة الغربية . يقول المؤلف «ومن نتائج ا النزاع ان أسيا اصبحت الآن تعبد فكرة الوطنية السياسية ، وهي فكرة غربية بلا حدال وقد ت هذه الفكرة باوروبا الى الحرب الماضية ، فاذا لم تعمل اوربا كل ما في وسعها لمساعدة هذه معوب الاسيوية للتخلص من طور الاستعمار الى الاستقلال التام من غير عنف ولا نزاع فان العالم يشهد موجة وطنية كبرى تتلوها كارثة عظمى ، تصبح بجانبها كارثة الحرب الكبرى شيئاً تافهاً يل الأثر »

***

اما استعمار افريقيا فقد ابتدأ عام ١٨٨٠ وكانت الدوافع اقتصادية من غير شك ، وكان الرحالة لاوربي او الوكيل التجاري لشركة من الشركات يذهب الى اواسط افريقيا ومعهُ الوان من الهدايا المبح يقدمها للامير الافريقي ثم يطلب منهُ امضاء معاهدة لا يفهم لغتها ، مع الشركات التجارية ، يفهمهُ ان هذه المعاهدة ستدرُّ على شخصه وبلاده الرخاء والثروة ، وقد تمَّ استعمار معظم بلدان فريقيا الوسطى على هذه الطريقة الخادعة . فستانلي حينما قام بالنيابة عن ملك البلجيك بامضاء مثل لك المعاهدة فاصبحت الكونغو مستعمرة بلجيكية وبهذه الطريقة استولت انكلترا وفرنسا على ستعمراتها في أواسط افريقيا وحينما نشب النزاع بين الدول الاوربية على تحديد اراضي مستعمراتها تفقوا فيما بينهم على ان كل من امضى معاهدة مع امير من امراء افريقيا على جزء من الشاطيء الافريقي، ن حقه الارض الموازية لذلك الشاطيء في داخل القارة الافريقية ، وهنا يقول المؤلف :

« ان الطريقة التي اتبعت في الاستيلاء على تلك الاراضي الافريقية كانت في معظم الحالات وحشية موغلة في الوحشية ، وان تلك الطرق المبتذلة ، قد تركت من غير شك أثرها السيء في العلاقة الراهنة بين سكان أفريقيا وأوروبا ، فان تلك السبل الدنيئة ان دلت على شيء ، فهي تدل على ان الحضارة الاوربية تعامل الرجل الافريقي مثل معاملتها لاي حيوان ابكم ، ذلك لان الرجل الاوربي يعتقد انهُ لهُ الحق في الاستيلاء على ارض الافريقي بالقوة او بالخداع »

معجزات السفانة

او صناعة السفن

الباخرة نورمندي ومعداتها الكهربائية العجيبة

تقلع الباخرة نورمندي الفرنسية البالغ تفريغها ٧٥٠٠٠ طن في الربيع القادم ، راحلة من بر فرنسا الى بر امريكا ، مستخدمة القوة الكهربائية لتحريك رفاساتها الضخمة تعادل مجموع القوى البخارية التي تستخدمها البواخر الكبرى الثلاث وهي: لفياتان، وايل ده فرانس. ومتى ازمعت نورمندي الاقلاع . قامت آلاتها الكهربائية بجر حبالها ، من ثغر الهافر الذي ينتظر ان تبحر منهُ . ثم توجيه سكانها الى الجهة المقصودة ، راكب وملاح . يخدمهم الف خادم كهربائي تسهر على جميع وسائل راحتهم وطمأنينتهم في نورمندي المعدات الكهربائية ، مما لا نظير لهُ في اية باخرة حتى اليوم فتسيّر بالقوة خمة ، معتزّة بها على زميلاتها المسيرات مباشرة بقوة البخار ، قاطعة المحيط الاطلنطي تفوز بالسبق وقد كان معقوداً لواؤهُ حتى سنة ١٩٠٧ لزمرة من المراكب التي تسير ت الكبّاس الطردي المكنيّ الحركه Reciprocating engine لسفانون — صانعو السفن — يزيدون قوة القاطرات شيئاً فشيئاً كلما مسّت حاجة بواخر اكبر واسرع من النوع المسيّر بذلك الضرب من القاطرات . فابدلوا القاطرة ذات الاسطوانة الواحدة التي لا تزيد قوتها على بضع مئات من الاحصنة البخارية ، بة من ذوات الاسطوانتين والثلاث الاسطوانات حتى بلغوا ذروة السرعة البخارية اذ قوتها ٤٠٠٠٠ حصان بخاري. وكان ذلك لتسيير الباخرة المسماة — ويلهلم الثاني مهندسو البواخر في تحسينها ، وزيادة قوتها وسرعتها ، فاستخدموا لنيل غاياتهم ارية

التربينات البخارية فبدأوا بالتربينات التي تبلغ قوتها ٧٠٠٠٠ حصان بخاري لتسيير ة « موريتانيا » المشهورة وجعلوا تلك التربينات متصلة باعمدة الرفاسات اتصالاً مباشراً ريتانيا من قطع المحيط الاطلنطي بين اوربا وامريكا بسرعة تفوق ٢٧ ميلاً بحريًّا في

الساعة . فاسفر ذلك الاختراع عن احداث انقلاب في السفانة — صناعة السفن — كان حافزاً للسفانين من ذلك الحين على اتخاذ التربينات البخارية اساساً لصنع البواخر الكبرى

﴿ برمن واوربا ﴾ تُسيَّرُ كلٌّ من تينك الباخرتين المشهورتين بتربينات قوتها ١١٠٠٠٠ حصان وقد امتلكتا ناصية السرعة في المحيط الاطلنطي حتى فاقتهما الباخرة ريكس التي تسير بتربينات بخارية قوتها ١٢٠٠٠٠ حصان بخاري

وتربينات تلك البواخر الثلاث العظمى متصلة برفاساتها بتروس تتحكم فيها Reduction gears وتمثل هاتيك التربينات ارق واعظم الآلات المسيّرة للبواخر التي اخترعت حتى اليوم

﴿ نورمندي ﴾ بلغت نفقات صنع نورمندي ٣٠ مليوناً من الريالات — وستكون وسائل الراحة فيها ، والحذق في قيادتها ، وتفوق سرعتها ، وسهولة تسييرها ، منقطعة النظير في البواخر قاطبة — وستصير باخرة فريدة في مياه شمال المحيط الاطلنطي تبزُّ كل ما سبقها . وتمتاز نورمندي بتربيناتها الاربع الضخمة التي تدير مولدات كهربائية بدلاً من ادارتها الرفاسات مباشرة او بواسطة التروس . ومتى دارت تلك المولدات ولَّدت كهربائية وهذه تدير اربعة محركات ضخمة متصلة باعمدة الرفاسات . وتتراوح قوة نورمندي بين ١٦٠٠٠٠ و ٢٠٠٠٠٠ حصان بخاري ، تنطلق من عقالها متى ضغط المهندسون البحريون الازرار الكهربائية المهيمنة عليها - وبهذه الوسيلة تستطيع نورمندي زعيمة السرعة في البحار قطع المسافة من ثغر الهافر الى ثغر نيويورك في زمن اقل مما تستغرقهُ اسرع البواخر التي تمخر عباب المحيط حتى الآن

ولا غرو فقد قضى مهندسو شركة ألستوم Alsthom الكهربائية بمدينة بلفور بفرنسا وشركة الكهرباء العامة في امريكا عدة سنين في وضع الرسوم الخاصة بنورمندي وفي صنعها فأضحت سيدة البواخر العصرية بلا جدال . وتستخدم فيها اخر وانفس الاجهزة الكهربائية التي اخترعت حتى اليوم لاستخدامها في البرّ والبحر

وتؤلف القوة المحركة لنورمندي من اربعة محركات صنعت لها خاصة — وقوة كل منها تفوق ضعفي قوة اي محرك صنع لاية آلة برية — وتزيد على سبعة اضعاف قوة اعظم قاطرة بخارية تمَّ تركيبها في اي زمن من الازمان . ولما كان تزويد تلك المحركات الضخمة بالتيار الكهربائي يقتضي عملاً هندسيًّا اعجب مما تقدم وصفه ، لان ادارة المحركات باقصى سرعتها ، يتطلب مولداً يولد قوة كهربائية عظيمة جدًّا ، أُنشئت لتلك الغاية اربعة مولدات كهربائية ذات تربينات ، بلغت قوة كلٍّ منها ٤٢٧٥ كيلو واط لسد حاجات تلك المحركات

وتقوم الكهربائية في نورمندي بالاضاءة والتدفئة والتبريد وتجديد الهواء والطهي وادارة المصعدات والآلات الرافعة للبضائع والمراسي وبتقديم التيار اللازم لمئات من شتّى الاجهزة الكهربائية التي تمهد سبل الطمأنينة وتوفر وسائل الراحة في سيدة بواخر العالم العتيدة

فلا فندق من الفنادق العصرية ، ولا شركة من الشركات تستطيع مفاخرة سيدة البواخر فيما
تهُ من المعدات الكهربائية الشاملة - التي تقوم بادارتها ستة مولدات كهربائية اضافية ذات تربينات
اما اشرنا اليها قبلاً — تولد قوة ١٨٠٠٠ حصان بخاري

ومتى تأهبت الباخرة نورمندي لرحلتها الاولى ، غدت أعجوبة البواخر الكهربائية ، بل نموذجاً
لاً لجميع ما اخترع حتى اليوم من وسائل الانتفاع بالكهربائية في الخدمة البشرية

﴿ الباخرة ملكة برمودة ﴾ ويجدر بنا وقد وصفنا نورمندي ان نذكر بعض عجائب أختها التي
بقتها الى السيادة ونعني بها (ملكة برمودة)

وملكة برمودة احدث باخرة تجارية تمَّ صنعها في السنين الاخيرة . وهي تسير بالقوة الكهربائية
ضاً وتحتوي على أفخر معدات الراحة واعظم المخترعات الكهربائية التي ابتدعها العلم حتى اليوم ومع
لك فان نورمندي ستسبق ملكة برمودة بمراحل

قال الكاتب الاميركي منشىء هذا المقال : — قصدت مشاهدة الباخرة (ملكة برمودة) فآثرت
ن استرشد عند زيارتها بمعلومات المهندسين والكهربائيين العليمين بصناعة البواخر الحديثة .
فاستصحبت فئة منهم . وما وصلنا الى ملكة برمودة عند مرساها ، حتى قادني مرشدي الى مكان
تيسر لي فيه رؤية رفاساتها متحركة ، وبيوت ابرها الجيروسكوبية مدوّمة ، وابوابها المسيكة [١]
تغلق بإشارات لاسلكية تسيطر عليها من بعيد . حيث رأيت اوساقها ترفع والاطعمة تطبخ في
افران ضخمة ، وسكانها العظيم يذعن لنبضات كهربائية تصدر اليه من مرقب أو مرقبة [٢] السفينة

وملكة برمودة خالية من مجموعات انابيب البخار التي يضلُّ المرء طريقه اذا شاء تقصيها وهي التي
لا تخلو منها باخرة عصرية اذ حلَّت محلها اجهزة دقيقة للانارة والحرارة وغيرها من الاعمال التي
تقتضيها سلامة الباخرة . وكلها تدار بالقوة الكهربائية الموصلة اليها باسلاك نحاسية

واتفق ان كانت زيارتي اياها في صباح اقلاعها من الفرضة الواقفة فيها اذ كان ضباط ظهرها
والمهندسون المشرفون على تسيير آلاتها على وشك ادارة محركاتها استعداداً للرحلة المقصودة يومئذ
فرأيتهم يجربون الآلات المسيرة لتلك الباخرة ليستوثقوا من تمام صلاحها لعملها قبيل المسير . ثم
نزلت الى قاعة القاطرة وهي في جوف الباخرة حيث شاهدت لوحة كبرى نظيفة جداً مرصعة بالمفاتيح
الكهربائية . وكان اذ ذاك كبير مهندسي الكهربائية ومساعد كبير المهندسين البحريين وفوج من
مساعديهم مرتدين ميدعاتهم [٣] واقفين كلهم استعداداً لتلقي اوامر المسير

(١) المسيك — يقال سقاء مسيك ومسيك بتشديد السين اي يمسك الماء ولا ينضح (٢) اخطأ بعض
مراسلي الصحف اليومية بقولهم كبري السفينة وهي ترجمة حرفية للفظ bridge الانكليزي لا معنى لها في هذا المقام
(٣) الميدع او الميدعة او الميداعة . ما يصان به الثوب وغيره — (المنجد) — والميدع — ثوب يجعل وقاية
لغيره (فقه اللغة) . وهو عندي افضل ترجمة للفظ overalls الانكليزي

وما عتمنا ان جاءتنا برقية من مرقبة الباخرة احدثت لغطاً فاق حسيس التربينات الساكنة ، اها (وجوب اتجاه رفاس الباخرة الايسر الى الامام متئداً) فنفذ احد المساعدين الفنيين ذلك مر . وكان احد العمال الكهربائيين يدير احدى العجلتين (الضخمتين المطليتين بالنيكل) رويداً بدأ ، وهما المسيطرتان (بواسطة جهاز مجدد للتيار الكهربائي) على حركة التربينات بأجمعها وعلى ركات التي تسيرها ايضاً وبعد هنيهة عجلت ادارة التربينات فأدير المحرك الايسر ببطء ثم ارسلت ية الى مرقبة الباخرة بأن عملية اعداد الباخرة للابحار قد تمت . فوردت الارشادات التلغرافية ى على كل رفاس من رفاسات الباخرة الاربعة فنفذت عاجلاً بسكينة

وحينئذ رأيت الرفاسات قد انعكست حركاتها بادارة عجلة صغيرة دورة ضئيلة . ولا عجب فان رة الآلات كلها في تلك الباخرة الكهربائية هينة لينة بحيث ان قوتها البالغة ١٩٠٠٠ حصان بخاري ح لعامل واحد فني ان يهيمن عليها برمتها اذا طرأ طارىء

وتقوم القوة الكهربائية في تلك الباخرة المدهشة بكل لوازمها ، فترى في غرفة القاطرة الالات تي بيانها تدار بالكهرباء وهي : — مضخات الزيت — مضخات الصابورة — مضخات المياه — لها مستعدة للعمل في اية لحظة — وتقوم الكهرباء ايضاً بفتح واغلاق الابواب المسيكة التي في واجز الفاصلة لكل قسم عن الآخر من اقسام الباخرة

وفي كل غرفة من غرف الباخرة مراوح كهربائية ضخمة تجعل جوَّها مريحاً على الدوام . ويدير كان الباخرة بمهارة جهاز « تتولد فيه الكهرباء بقوة الماء » وفي جوف الباخرة ايضاً جهاز كهربائي ـويب جميع الفضلات والمواد البرازية وقذفها في قعر اليم ، محافظة على صحة ركابها

***

ويستدل على الزمن في جميع ارجاء الباخرة بالكهربائية — وبها تطبخ الاطعمة وتدفأ وترطب ف الركاب ، وتثلج المأكولات والمشروبات القابلة للتلف وتغسل الملابس والبياضات ثم تكوى وفي الباخرة آلة رافعة — ونشات كهربائية — ورافعات للمراسي والبضائع والحبال وقوارب جاة حيث تلقيها في البحر وترفعها منهُ برافعات كهربائية . وتحتوي الباخرة على جهاز اوتوماتيكي به للحريق تبرز منهُ اشارات موقوتة تدل على اشتداد الحرارة في اية جهة من جهات المركب . يها ايضاً جهاز كهربائي لمكافحة الحريق توًّا متى شب في اي جانب من جوانبها

وملكة برمودة مجهزة بتلغراف وتليفون لاسلكيين وببيت ابرة لاسلكي وآخر جيروسكوبي بجهاز تلغراف كهربائي في مرقبتها — وتشمل مقياساً كهربائيًّا لقياس الاعماق . وفيها ايضاً مقياس هربائي آخر لقياس سرعة سير الباخرة . وبصاصة كهربائية من اختراع مكنيل — وهي العين كهربائية التي تكشف الاشياء الخفية على بعد اميال في الضباب . (وقد وصفتها في باب الاخبار لمية بمقتطف مارس الماضي)

... وتولد حتى يظهر في [illegible]

امثال نورمندي في بحرية اميركا ومن المستغربات ان الباخرة الكهربائية نورمندي
ة الظهور في المحيط الاطلنطي كاملة المعدات وهي من صنع السفانين الاوربيين ؛ قد سبق
ون الاميركيون ان صنعوا امثلة لها في الاسطول الاميركي وفي مصلحة خفر السواحل
ت المتحدة حيث ثبت نجاحها وظهرت فوائدها
كان المستر (نيقولا تسلا) المخترع الكهربائي المشهور في طليعة المحبذين لها ومن اشد انصارها .
مهندسي الشركة الكهربائية العامة في اميركا شأن يذكر في اتمام اختراع البواخر الكهربائية
وقد ادركوا ان تسيير البواخر بالقوة الكهربائية ذو مزايا لا شبيه لها في الوسائل الاخرى
خدمة لتسيير البواخر ولا سيما سرعة عكس دوران الرفاسات بمجرد ادارة المفتاح الكهربائي
وكانت بحرية الولايات المتحدة قبل سنة ۱۹۲۷ أسبق بحريات العالم جمعاء في صنع البواخر
ربائية لانها انشأت قبل ذلك التاريخ باخرتين ضخمتين وهما Saratoga وليكسنتون Lexington
تخدمتهما لنقل الطيارات فكانتا اقوى واسرع جميع بواخر العالم في ذلك العهد
وكانت مصلحة خفر السواحل الاميركية المجلية في ابتداع تسيير البواخر بالقوة الكهربائية
دثت بعملها هذا انقلاباً عجيباً في صناعة السفن اكسب البحرية الاميركية خبرة عظيمة جعلتها
بجليل نفع البواخر الكهربائية وسهولة تسييرها وزيادة قوتها الى حد عظيم عند الحاجة
واستصوب كبير المهندسين في مصلحة خفر السواحل الاميركية كهربة زوارق تلك المصلحة لكي
طيع الاضطلاع بوظائفها فرسم الخطة التي تتبع في ادارة الرفاسات بالمحركات ؛ فنفذت الحكومة
يركية مقترحاته وذلك في ثلاث سفن ألحقت بالخدمة في خفر السواحل الاميركية سنة ۱۹۲۱
ث كانت بمثابة نموذج احتذاه صانعو البواخر الكهربائية التجارية الحديثة
وكانت كليفورنيا الباخرة الكهربائية الاولى من حيث الفخامة اذ بلغ وسقها ۲۰۰۰۰ طن
ستخدمت في خط پنما الباسفيكي في يناير سنة ۱۹۲۸ ثم حذت حذوها قبيل اوائل السنة التالية
رتان تسيران في ذلك الخط البحري نفسه بالقوة الكهربائية فكان نجاح هاتيك البواخر الكهربائية
جعاً لبريطانيا العظمى على صنع الباخرة حاكم الهند Viceroy of India وغيرها من البواخر
كهربائية لقطع المسافات الشاسعة بين انكلترا والهند وبينها وبين اوستراليا

***

وقد صنعت في السنوات الخمس التالية سفن اخرى من هذا الطراز في اميركا وانكلترا ولكن
رمندي تفوقها جميعاً تفريغاً وقوة وابداعاً في طرقها ومعداتها الكهربائية م؟

(عن مجلة العلم العام بتصرف قليل)

عوض جندي

صور التجديد

في الاسكندرية

أمثلة عليا لبعث حضارة مدينة قديمة على الطراز الاول

لنقولا شكري

من الطبيعي ان يكون امام الهيئة البلدية برنامج مفعم بمواد التجديد والتعمير والتجميل ينة عريقة في الحضارة التاريخية مثل الاسكندرية التي شهدت عظمة الرومان وجلال القياصرة ، شباب الدنيا وصبا العالم ، والصفحات الاولى من مجد الانسانية . وان يكون ذلك الثوب غريقي الملقى على ساحل البحر الابيض كما وصفها « إسطرابون » موضوع اهتمام جميع اولئك ين يعلمون ان المدن لا تعيش في الشرق الآن مع العناية الكبيرة بتهذيب الاشياء والناس

وقد كانت الاسكندرية لعهد قريب لا تكاد تملك المركز اللائق بها بين حواضر الشرق ، نت المدينة التاريخية التي تحترم اطلالها للذكريات الخالدة التي ترجع الى عهد تلك النهضة العلمية ي قام بها فلاسفة الاغريق ولا تزال آثار ذلك العهد باقية الى اليوم . اما حضارة الاسكندرية التي غي ان تبعث لخير الاجيال القادمة فقد كانت في ذلك العهد القديم مزيجاً من التهذيب والعمران انت حضارة تمتاز بكثرة وسائل اللهو والسرور ، ونعتقد ان القائمين بتحقيق برنامج التجديد ستحدث في الاسكندرية لم تغب عنهم هذه الظاهرة في تاريخ الاسكندرية . ولعلهم قد ادخروا ذلك البرنامج امثلة جليلة يمكن ان يتحقق بها بعث تلك الحضارة القديمة

***

في ذلك العصر الذي ساوت فيه الاسكندرية مقام عاصمة العواصم في التاريخ القديم وصف عد الفلاسفة المثل الاعلى لمستقبل مدينة عظيمة جمعت كل عناصر المدنية بالمنارة التي ترسل ضواءها الى مسافات بعيدة وترشد اللاجئين الى الثغور . وتحت ذلك الجو الصافي الذي يحنو امواج البحر الابيض وأصائل الشرق الحارة قدّر لهذه المدينة التاريخية ان تبعث بعثاً جديداً طراز مستحدث لعله اجمل وأروع طراز عرف في تعمير المدن

أما امثلة ذلك العمران الذي تحقق بجهود البلدية في اوقات كان لا بدّ فيها من الجهاد وبذل

(١) تبيغ الدم تهيج وتوقد حتى يظهر في العروق

هذا السمك وقد اصدر هنري الثامن سنة ١٥٣٣ امراً يحرم صيدها خوفاً من قلة محصولها المقبل

اما حكاية ثعبان السمك (الانكليس) وهو يعيش في أنهر اوربا وافريقيا الشمالية فهي اعجب ما كشف عنهُ البحث العلمي في القرن الحالي ويرجع معظم الفضل في هذا المضمار لعالم دنيماركي وهو الدكتور يوهانس شمدت وقد نعاه البريد بالغاً من العمر ٥٦ سنة فقط

اثبت لنا هذا البحاثة ان هذا النوع من السمك لا يتوالد على مقربة من اماكن وجوده بل يرحل بسرعة ١٠ أميال في اليوم لمدة ثلاثة سنوات حتى يصل الى بقعة ثابتة وهناك يضع بيضه . وقد ثبت لنا الآن قطعيّاً ان احناش النيل تتجه ايضاً ناحية هذه البقعة وفيها تتوالد . تقع هذه البقعة على مقربة من جزائر برمودا ويبلغ عمقها نحو ٣٠٠٠ قامة وبعد التلقيح ووضع البيض تموت الحيوانات الكبيرة اما البيض فيخرج منهُ يرقات صغيرة الرأس مفلطحة الجسم شفافة تتغذى وتنمو هذه اليرقات قريباً من سطح الماء وتتحرك رويداً رويداً ناحية الشرق حتى اذا ما اقتربت من سواحل اوربا كان طولها نحو ثلاث بوصات وكان عمرها نحو الثلاثين شهراً . عند هذا الحجم وهذا السن تقف اليرقات عن التغذي وتتطور الى جسم خيطي يقل طولاً ٥ر٢ بوصة عن سابقه المفلطح تلك هي الحنيشات او الثعابين الزجاجية وهذه الحنيشات هي التي تقتحم مصبات الأنهر . رغم الشقة الواسعة بين موضع البيض والبيئة المستقبلة ورغم هذا السفر الشاق والزمن الطويل فان ما يصل من الحنيشات الى مصبّات الأنهر لا يعد ولا يحصى فقد قدر ان ما صيد منها في يوم واحد في ناحية جلوستر بانكلترا كانت زنته ثلاثة اطنان وفي كل طن ٢٢٤٠ رطلاً وفي كل رطل ١٤٠٠٠ يرقة . تجتاز الحنيشات عقبات كثيرة مختلفة حتى تصل الى محل مناسب وهناك تتغذى وتنمو ولا تبلغ الاّ بعد ٥ او ٧ سنوات للذكور وثمانية الى اثنى عشر عاماً للاناث

﴿ تغذية الصغير ﴾ قلَّ من الحيوانات من يضع بيضه او يلد صغيره في مكان بعيد عن الغذاء الطبيعي . ومعرفتكم باعداء الزرع واعداء الانسان تكفي فلا نشرح هذه النقطة

وبعض الحيوانات يجمع الغذاء اللازم لصغاره ويجهزه في عش محكم الصنع واذا ما تمّ النمو داخل غلاف البيضة خرجت اليرقة وهي في مأمن داخل العش او الخلية وتغذت بما خزن لها وبلغت دور [illegible] يختلف نوع الغذاء المختزن باختلاف الانواع . ففي كثير من نحل العسل تخزن الشغالة الرحيق وحبوب اللقاح ويجهل منها غذاء الصغار بعد دور البيضة وكثير من النحل الاحاوي يشابه مخزونه مخزون العسل . اما الزنابير فالبعض منها يجمع اليرقات ويخدرها بحقنها ببعض مفرزاته ويضع في كل منها [illegible] حتى اذا ما فقس البيض وجد النسل غذاء كافياً في جسم الفريسة التي اقتناها له ابواه

والبعض الآخر من الزنابير متطفل يضع بيضه مباشرة بواسطة آلة وضع البيض في جسم [illegible] بعد [illegible] النسل [illegible] تغذية الصغار

[illegible] بشكل كرة ويضع بيضة واحدة في كل منها [illegible] عند الباه

منظر من شارع أبي قير
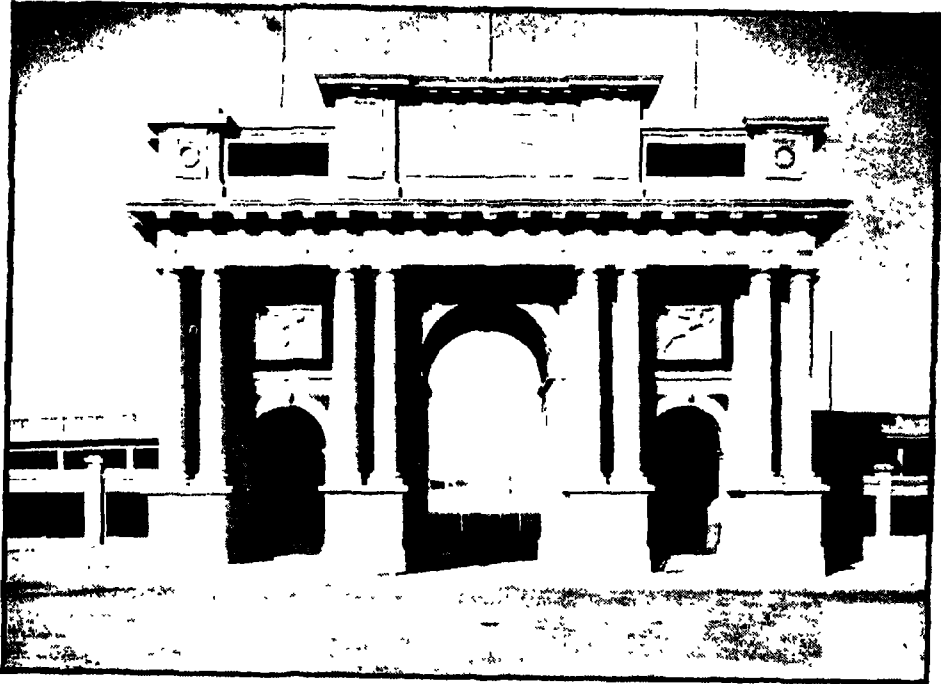
الباب الكبير لميدان الالعاب الرياضية التابع للبلدية

(١) تبيغ الدم تبيغ وتوقد حتى يظهر في العروق

سبيل القضاء على القديم وانشاء صور جديدة للعمران • خطط مستحدثة بعضها على طراز
القديمة ، ونظم من التجديد ، وأفانين من التجميل ، وأساليب من بعث حضارة جليلة
خالد في التاريخ ، فانها تتمثل في صور شتى بعضها تحقق لخير الذريات الحاضرة وللمستقبلة
ك الامثلة التي سنعددها واحدة فواحدة ، ونحن اذا ذكرنا هذه الجهود التي بذلتها البلدية
، تلك الامثلة العليا فلا نستطيع ان ننسى مع ذلك مساعي الهيآت التي تشارك البلدية في
العظيم لبعث هذه المدينة التاريخية . وسيظل ازدهار هذه المدينة آية في تاريخ العصر
ث يدين بها الاخلاف زمناً طويلاً تخليداً لذكرى الرجال الذين اشتركوا في تحقيق ذلك التجديد
اعلى انشاء ذلك البعث الكبير لحضارة لا نظير لها في التاريخ

***

وأول ما نذكر من امثلة ذلك التجديد الذي عني المجلس البلدي بانشائه على احدث طراز تلك
بق التي شقها على الساحل فوهبها تلك الصورة القديمة التي كانت اجل مظاهر الابهة والعظمة
لك العصر التاريخي ، وكان الاهالي من الاعيان والطبقة الوسطى يتروّضون على الساحل كما
ّضون اليوم ولا يكاد ينقص المعاصرين غير بائعات الزهر اللواتي كنّ في ذلك العهد القديم من
ر التظرف والتأنق وغير تلكم الزامرات والراقصات اللواتي كنّ ينتشرنَ بين المتروّضين والمتروّضات
الساحل . اذن في تنظيم هذا الشارع الذي اطلق عليه اسم طريق الكورنيش صورة جليلة من
ر البعث لحضارة الاسكندرية واستحداث حياة اولئك البطارقة العظماء الذين عاصروا الفلاسفة
بار العلماء في مدرسة الاسكندرية وكانت ميزة عصرهم انهُ كان مزيجاً من التهذيب واللهو بل
نغماس في اللهو . وقتئذٍ كان الذهب يجري على جانبي المدينة القديمة كما تجري الامواه
ومثل آخر من أجلّ صور ذلك النهوض العظيم باحياء مدينة مندثرة شارع ابي قير وقد اشبه
مع شارع الكورنيش جناحي الطائر يحنو على المدينة بخوافيه وقوادمه : او الوادي الذي يضم
صورة فذة من صور العمران . وكذلك اريد ان يكون للاسكندرية الطريقان القديمان ، طريق
العربات الذي يدعى اليوم شارع ابي قير ولا تكاد تنقطع منهُ السيارات والعربات كأنما قدّر له منذ
تخطيطه ان يكون طريق حركة وضوضاء ، وقد احتضنته الاشجار الباسقة المخضلة حتى لا تفارقه
الافياء والظلال مع تلك النسائم المنعشة العطرة التي يستنشقها المارة بلا انقطاع . وطريق التروّض
القديم وهو شارع الكورنيش الذي لا تكاد تفارقه ايضاً جماعات المتروّضين ولا تكاد تغيب عنه
تلك الشموس الحارة التي يلطفها هواء البحر ويهبها صوت الامواج وتكسرها على الشاطىء نغمة
رقيقة لعلها أعذب لحن يتطلب ان يستمعهُ عابر سبيل
ولعلّ اجمل ظاهرات تلك الطريق الاخيرة التي تعانق البحر بقوة كأنها تخشى ان يتدفق وهي
-- بجهده وابا بقدميه

بالفعل تحول دون تدفقه ، ان الناظر الى آخرها اثناء الليل يحسب ان البحر طريق معبدة تجتازها العربات اذ ان اختفاء الحاجز الحجري يبيح ذلك التصور الكاذب ، وكذلك شارع ابي قير الذي تشبه حركة السيارات فيه عند الهزيع الاخير من الليل غواصاً يقلد بيديه ماسات وأحجاراً كريمة متألقة اذ لا يكاد الانسان يلمح فيه غير مصابيح تلك العربات

***

ومن أجلّ الامثلة ايضاً التي يراد بها حماية عمران مدينة كأن الطبيعة نفسها تغار من ازدهارها ورواتها حاجز الامواج الذي يظهر الفارق البعيد بين العصرين في طمأنينة حضارة المدينة ورقيها سلامة الاهلين من اندفاق للبحر قد يسلب بعض ذلك الرواء والرونق وينال منهُ ، وقديماً لم يكن نشى على عمران المدينة من امواج البحر رغم ان امثلة ذلك العمران القديم كانت مجاورة للساحل. لعلنا نذكر ما رواه المقريزي حين ذكر الاسكندرية عن تلك الآثار الرخامية التي طواها صدر بحر حيناً من الزمن ولعل تلك الآثار هي نفسها التي اشير اخيراً الى استكشافها في شاطىء ابي . وقيل انها تشمل مقبرة الاسكندر

أما حاجز الامواج الذي تهتم البلدية بامتداده حتى يتحقق به الغرض فيما يختص بالحيلولة بين بحر وعمران المدينة فانهُ مثل مصغّر يتعلق بالسلامة وحدها الآن ولما يتم بالنظر الى تكاليفه والى اسباب الدقيقة التي تحول عادة دون تحقيق المشروعات الواسعة فان ذلك التريث في مد الحاجز يتم الى تفكير البلدية على ما نعلم في اقامة منشآت مستحدثة على صدر البحر تجاور ذلك الحاجز يكون الحاجز جزءاً منها . ولقد كانت الاسكندرية القديمة مثلاً قريباً لذلك الحاجز . كانوا .قون به صدر البحر زرافات . اذن فهو ايضاً صورة جليلة من صور البعث لتلك الحضارة الخالدة تاريخ القديم

ولو كانت الاسكندرية مثل تلك الثغور اليونانية التي ينبت فيها الرخام والمرمر كما تنبت الاشجار زهار لكان من السهل تحقيق أثر لا بدَّ منه لاستكمال مدنية عاصمة من أجمل ثغور البحر الابيض سط! وهو الملعب او كما يسمونه «ستاديوم». وكان القدماء يعنون بهذه الكلمة المسرح ايضاً او اجتماع الشعب والخطابة . وقد كانت عناية البلدية ببناء ذلك الملعب لا تقل عن عنايتها بتحقيق وجوه التجديد والتجميل في المدينة وان لم يضاه ذلك الملعب الذي أقامه «افيروف» في أثينا م الملعب الاغريقي القديم من المرمر تخليداً لاجلّ أثر في تاريخ بلاده . على ان انشاء الملعب ذ حاجة كبيرة من حاجات العصر ومستلزماته ، فالملعب البلدي ولو تصورناه بصورته الحاضرة ج عن كونه اسلوباً ظريفاً من اساليب بعث الحضارة القديمة في الاسكندرية

ا المنشآت الصحية المتعددة التي اهتمت البلدية اهتماماً جديًّا بتحقيقها للعناية بصحة الاهلين

سلامة الذريات في المدينة التاريخية فانها من أجلّ ما استحدثه البلديات في مدينة ذات موارد محدودة مثل الاسكندرية فان المنشآت الصحية تحتاج عادة عدا الجهود التي تبذل في سبيل تحقيقها الى نفقات مستمرة تناسب دوائر الاحتياج اليها . من هذه المنشآت الواسعة مساكن العمال . واذا قلنا مساكن العمال لايكون هذا القول بالطبع مقصوراً على حجرات خاصة بالعمال بل نعتقد ان معنى العناية بصحة العمال وذرياتهم وحياتهم المنزلية واقتصادهم وبالاحتضار بمستقبلهم . ولقد كان تحقيق هذا المشروع من أمثلة العمل بالمبادىء العصرية التي لم تغب فوائدها عن رجال البلدية . وقد اصبحت هذه المساكن اليوم تضم المئات من العمال في الاسكندرية . ونقول ان النظر الى هذا المشروع من بعض وجوهه الحمائية البحتة يبدي لنا الظاهرة نفسها التي يتمثل فيها بعث حضارة المدينة القديمة فقد كان للعمال في الاسكندرية التاريخية حي خاص لا يتجاوزونه يدعى باسمهم كما كان للاعيان حي آخر منسوب اليهم

ثم تلك الحلقات المنتظمة الصحية كمستشفى الحميات ومغاسل الفقراء والعيادات الطبية المتعدد ومستشفى الولادة ومطعم الفقراء وما الى ذلك مما يشمل الاختصاصات الواسعة المتعلقة بالبلدية في شأن العناية بصحة الاهلين واطفالهم . اما مغاسل الفقراء فقد كانت الى الآن مرآة صادقة لارادة البلدية النبيلة في تحسين حالة الفقراء نوعاً ما وهو مجهود يستحق دائماً الاعتراف بالجميل للبلدية من تلك الطبقات الفقيرة التي تحتاج الى عناية مستمرة بصحتها ونظافتها . ثم مستشفى الولادة الذي يعد نظاماً مستحدثاً في دائرة الاهتمام بالصحة العامة وهو يعطي صورة صادقة من اهتمام البلديات في العالم المتمدين بالمواليد والامومة ومستقبل الاطفال . وفي اعتقادنا ان هذا المشروع الجليل يكفل الحاجة القصوى الى مثل هذه العناية بصحة الطفل . اما العيادات الطبية المنتشرة في المدينة فكلها منسوب الى البلدية وعنايتها القصوى بصحة السكان فانها مثل صادق لجزء من المهام الواسعة الملقاة على عاتق البلدية فيما يختص بصحة المدينة والعناية بالاهلين وتخفيف اعباء الحياة وتيسير وسائل المعالجة والوقاية ، وهي من اجلّ ما ينبغي ان يسهل على السكان في مدينة متحضرة ذات حركة عملية مستمرة

***

وما يقال عن مغاسل الفقراء وفوائدها وأثرها في الصحة العامة يقال ايضاً عن مطعم الفقراء الذي لا نستطيع ان نعده مجرد صورة من صور الاحسان ومؤاساة الفقراء بل نعده وسيلة عملية تعين تلك الطبقة على العمل والاعتماد على النفس . ولعلّ عناية البلدية الموجهة الى هـذا الغرض من نوع العناية بالصحة والوقاية اكثر منها مساعدة الفقراء . وكذلك يمكن ان يتألف من مجموع هذه التنظيمات المستحدثة طراز بديع من بعث حضارة تاريخية ذات أثر خالد وان هـذه المنشآت اذا عرضناها جملة كوّنت اجمل صورة من صور العمران

والظاهر ان البلدية بمقدار ما عنيت بالمشروعات الجدية المتعلقة بالصحة والامومة والاطفال
اعدة الفقراء ارادت ان يكون للمدينة المصرية مظهرها الخاص البارز الذي يذكر بالعظمة
ية ويكون اشبه بمرآة صادقة تبدي ما احتوت عليهِ من ضروب العمران وصور التجديد
جميل وافانين التظرف التي تظهرها بعض الاماكن العامة فعنيت عناية ذات شأن كبير في دائرة
ل المدينة واستحداثها وجملت هذه العناية وقفاً على ميدان المحطة الجديدة الذي تعمل في
ق الحدائق المنشأة امامه والتي تستقبل زوار المدينة وتودّع الراحلين عنها

ولا يمكن ان يستجلي المرء صورة تلك الحدائق والواجهة الضخمة للمحطة الجديدة سوى ان
كرة عليا للبعث والتجديد. والعمران تحركهم رجال البلدية . اولئك الذين يعوّل على جهودهم في
حضارة هذه المدينة ، والى هذا الميدان العظيم يمكن ان نضيف في نسق التوسع والتجميل ما
به او يضاهيه من الميادين المستحدثة وبخاصة ذلك الميدان الذي يحيط بحي العمال بالقباري وتلك
ائق المتعددة التي تتخلل الاحياء الوطنية لتغذيتها بالهواء والضوء . هذا الى الوسائل المتعلقة
حة اكثر من تعلقها بمجرد التجميل وتلك المشروعات القيمة في دائرة تحسين صورة المدينة مثل
يع حديقة النزهة ومضاعفة المساعي المبذولة في تنسيق حديقة انطونيادس . كذلك نلحظ ان
ية قد شملت اهتمامها كل وجوه التنظيم والتجديد في المدينة وان موجة هذا التجديد قد فاضت
غمرت المدينة من اقصاها الى اقصاها وانها تشمل التأنق والتظرف في وجوه ذلك التجديد
ستحداث قدر ما تشمل التوسيع والانشاء وشق الطرقات الطويلة . وان البلدية قد آلت على نفسها
تخرج من مجموعة هذه المشروعات امثلة عليا تؤلف في جملتها صورة للمدينة تحيي صورتها التي
اها التاريخ

على ان البرنامج الذي يشمل مجموعة تلك المنشآت الجديدة للبلدية لا يزال يشتمل على اشياء اخرى
ثل مكانة المنشآت التي تحققت . من ذلك انشاء متحف جديد ومكتبة جديدة على طراز مستحدث
ل يمكن ان يعيد ذكرى تلك المكتبة الكبيرة التي تعد من مفاخر تاريخ الاسكندرية القديم وقد
ن لنا ان تكلمنا عن هذا المشروع واشرنا الى تقاليد الاسكندرية القديمة فيما يتعلق
ناء الكتب وكيف كان البطالسة يبذلون الاموال الطائلة في هذا السبيل

وتنوي البلدية أيضاً ان تستكمل في برنامج تلك المنشآت مواضع احياء الحضارة القديمة في
خ الاسكندرية وقد تقرر انشاء مسرح بلدي واسع على احدث طراز ولعل البلدية تنشيء الى
ب ذلك المسرح ايضاً معهداً للموسيقى مثلاً ما دام الاهتمام بتشجيع الفنون الجميلة من مهامها
ن نلحظ ذلك في تبرعاتها لاصحاب المسارح ودور التهذيب العلمي والفني

ونذكر الى جانب ذلك الغرض الاسمى الذي تنظر اليه البلدية في توسيع بعض دوائر العمران
المدينة وتخطيط شوارع جديدة تزيد في رونق المدينة وازدهارها وبهائها . نذكر على سبيل

ريس)
ليقاه
شؤون

خمها
س
هذه
المائة

المياه
الحياة

كبار

٢٠)

و
كل

ها

مستشفى الرمد
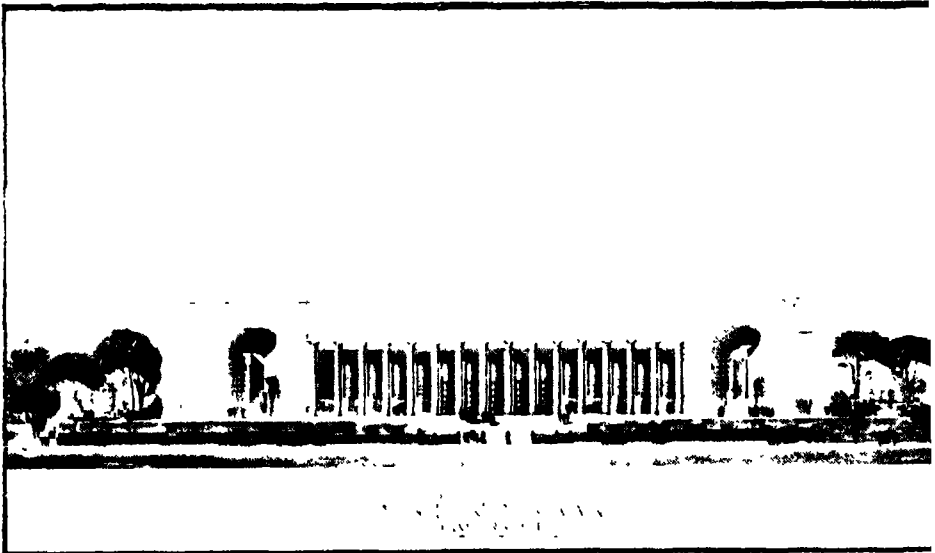
المتحف اليوناني الروماني كما تريد البلدية انشاءه

مقتطف ابريل ١٩٣٤

ـارع اسمعيل الذي يراد اختطاطهُ والعناية بنظامه واشكال بناياته وتجميلها لانهُ سيكون طريق
ـ الى قلب المدينة وحتى لا يقع نظر الاجانب الذين يفدون على المدينة الاً على منظر يضاهي
ـقل ما الفوهُ في المدن التي عاشوا فيها . ولهذا المشروع شأن كبير من هذه الناحية فقد
عصر طويل على تلك الطرقات التي يخترقها السياح دون ان يطرأ عليها أي تجديد او
ـداث وأغلبها ينبو عنهُ النظر لقدمه وقبح طرازه . اذن قد عملت البلدية حقا على سلوك
ـل الى العناية الصادقة بمنظر المدينة وأثرها في نفوس زوارها وحتى لا يكون في دائرة ذلك
ـاء والتجديد نقص يلاحظ عليه . ولقد كان القدماء لا يتخلون عن منشآتهم في سبيل العمران
ورهم الكبيرة دون ان يحيطوها بقرى واسعة من الحدائق والرياض كأن تلك القرى جزء
ـم للقصور الواسعة كما تلازم الامواج البحر أو كما يلازم بعض الخطوط الملونة اللوحات الجليلة
يعنى بها أئمة التصوير فان في تلك الخطوط اثر الإمامة والعبقرية . كذلك قررت البلدية
تحيط تلك الدوائر الكبيرة للتجديد والعمران في الاسكندرية بشبه حدائق منسقة اختارت ان
ـق فيها تلك المنشآت كما تغرق القصور في الخضرة المنبسطة او كما تطفو السفن الكبيرة في زرقة
ـحر . فأرادت ان يحتضن ذلك التعمير الجليل وتلك الصور الباهرة للتجديد سياج كبير من
ـضرة المونقة والزهر وأفانين التنسيق للاشجار . وكان يقال في تاريخ الاندلس ان الوافد على
ـطبه كان يجتاز اكثر من خمسين قرية كلها قصور بيض في حدائق خضر وهو ما تنوي
ـلدية انشاءهُ عن قريب على مثال «جاردن سيتي» في القاهرة حتى يكمل برنامج التجديد والتأنق في
ـميل المدينة . وحسب هـذا دليلاً على الذوق المهذب الذي يعنى كل هـذه العناية بجمال
ـاسكندرية العصرية

ولعلنا اذا نسبنا فضل هذا التجديد الى الاستاذ احمد بك صديق المدير العام للبلدية فانما يعد
ـلك اعترافاً بالمواهب الكبيرة والصفات التي اجتمعت في هذا المدير والظروف التي كانت موفقة كل
ـتوفيق في تحقيق هذا التجديد لتخليد اسمه الذي سيظل مقروناً بها

***

ولا شك اننا نستطيع منذ الآن ان نتلمس المستقبل الباهر المدخر لهذه المدينة التاريخية من
مجموعة تلك الاصلاحات والتجديدات وما لا يزال يشتمل عليهِ برنامج البلدية من مواد الانشاء
والتجميل . ولاشك اننا على قدر ما نلحظ مظاهر هذا المستقبل ندرك قيمة التعجيل بتحقيق مواد
هذا التجديد وأثره في استحداث عمران مدينة لا تخلو من سحر الشرق القديم الغامض وارجـه
المسكر الغريب.فقد كانت مهداً لاحلام رقيقة ينميها ذلك التصافح البديع المؤثر بين الشرق والغرب
وتمدها الذكريات الخالدة بفيض من المشاعر اللطيفة . وكانت ثانية عواصم الدنيا بعد روما

الدكتاتورية والرجل العظيم

لاندره موروى

المؤلف الفرنسي المجيد

لما سئل صولون ، هل منح الاثينيين أفضل الشرائع ، أجاب :— «منحتهم اصلح الش
وللعهد الحاضر» . وليس ثمة دستور كامل في ذاته ، مفصولاً عن عصره والاحوال التي نا
بل ليس ثمة رجل مفكر يستطيع ان يدعي بأن الدكتاتورية عدو للامة في كل الاحوال على
ففي زمن الخطر المحدق والفوضى الشاملة اذ تقتضي المصلحة الوطنية اجتناب التفرقة والتشتت
الوطنية ، وتوجيهها الى غرض واحد معين ، قد يكون من الصالح قيام زعيم فرد . فهو
منصب القنصل الاول اصلح فرنسا التي كانت الجمعيات التأسيسية قد أنضبت دماءها . ا
لرئيس الدولة ان يكون في أيام الرخاء والسلام أقوى مما يجب ان يكون ، فقد يفضي
والتهور . فهو كالآلة القوية التي تحتاج الى منفذ لطاقتها ، تراه مدفوعاً الى خلق الحاجات
شعبه لكي يحس بغبطة تلبيتها وتحقيقها . في هذه الحالة تصبح الدمقراطية رغماً عما تنط
من التحاسد والتجادل ، مرغوباً فيها ، ويصبح الوطني الصحيح ، الذي أيد الدكتاتورية
سنوات ، محمولاً على مقاومتها

ومع ذلك ، تجيء على كل امة ازمات في تاريخها ، تحس فيها مدفوعةً بأسباب معة
اقامة رجل عظيم على رأسها . ولما كان وجود هذه الازمات في تاريخ الامم ، لا يحتاج ا
فعلينا ان نوجه الى أنفسنا الاسئلة التالية:—هل تستطيع الشعوب في احوال من هذا القبيل
الرجل العظيم ؟ هل ثمة عقول ونفوس ، متصفة بصفات تجعلها متفوقة على سواد الشع
لتسلّم الجماهير بالخضوع لسلطتها المطلقة ؟ واذا كان وجود رجال من هذا القبيل مستطا
المزايا التي تعدّهم للدكتاتورية . ولنا على ذلك ثلاث ملاحظات اولية :

اولاً — ان عظمة الرجال كائنة ما كانت ، لتعجز عن الظهور اذا لم تسعفها الاحوال
علينا الاّ ان نفحص قائمة الرجال الذين حكموا بلدانهم حكماً مطلقاً ثم نسأل كيف ظفرو
على أعنّة السلطان

.بة (انودونتا) ففي غاية الغرابة . تفقس اليرقات داخل خياشيم الام وتبقى حتى مرور سمكة وديوس) فتخرج من مخابئها وتلتصق بجسم هذه السمكة متطفلة عليها حتى تمام تطورها الى محارة بيرة فتنفصل وتقع الى القاع لتعيش عيشة مستقلة . ولكن ادهى من ذلك ان لسمكة روديوس ـه قصة اغرب من قصة المحار اذ انها في اثناء انتفاخ المحارة ترسل آلة وضع البيض الى ما بين المصراعين لصق بيضها بجسم المحارة ليبقى هناك في مأمن حتى الفقس . والبعض من الحيوانات يحمل الغذاء صغير بعد فقسه كما هو معروف عن بعض انواع النحل . اما الطيور فجهودها في هذا السبيل غاية في مظم فثمة طائر مثلاً يجمع يرقات الحشرات ويحضرها لفراخه في عشها

ومما نعرفهُ الآن ان رحلات الابوين الى العش في هذه الحالة لا تقل عن ٤٧٥ مرة يوميًّا

وتغذية الصغار بمفرزات من جسم الابوين كثيرة الامثلة واشهر هذه الامثلة حالة الحيوانات الثديية او اللبونة ، ومن الحيوانات الاخرى نجدها في الطيور من امثال الحمام

ففي الحيوانات اللبونة تقوم الام بعملية التغذية اما في حالة الحمام فيتناوب الابوان اطعام صغارهم بافرازات لبنية تحضر في آخر المريء وتمر الى الخارج عن طريق الفم الى فم الفرخ الصغير . يغذى فرخ الحمام بهذا مدة وجيزة ثم يعطى البذور تدريجيًّا من صغيرة الى اكبر منها فيتدرج بذلك الجهاز الهضمي ويقوى الفرخ على ابتلاع الحبوب التي يتغذى بها أبواه ثم على تكسيرها

﴿ الاعتناء بنظافة المسكن ﴾ النظافة غريزة عند الحيوانات ولو تأملنا في حياة احدها وجدنا هذه الغريزة ظاهرة دون جدال وانما تختلف سبل النظافة باختلاف نوع الحيوان وبيئته . ليس لنا ان نتكلم الآن عن النظافة عموماً بل عن كيف تحفظ الحيوانات صغارها نظيفة وكيف تعتني بحفظ مسكنها خالياً من البقايا التي لا لزوم لها . الامثلة على ذلك كثيرة . خذ لذلك مثل البقرة اولاً فانها تلعق ولدها لتنظفه مما علق بجسمه واللعق للنظافة غريزة طبيعية عندها تأتيها دون تعقل او تفكير ولكن ادهى من ذلك ما تأتيه بالمشيمة اذا لم تبعد عنها فانها تلتهمها « نعم ان البقرة لا تأكل مشيمة غيرها اذا قدمت لها لانها ليست من اللواحم (آكلات اللحوم) ولكن حرصها على مصلحة ولدها يدفعها الى تنظيف ما حوله حتى لا يتعفن ذلك المكان ويكون مأوى الجراثيم التي قد تضرهما معاً »

وما تعمله الطيور من هذا القبيل ينبئنا ايضاً بمقدار اهتمام الطبيعة بنظافة محال السكنى . اذ ان بالرغم عن انهُ في حالات كثيرة يغطى البراز بافراز يجف على شكل جلد يحفظ ما تحته فانك لتجد ان الابوين حريصين اشد الحرص على ازالة هذه القمامات وابعادها عن العش ويحكى عن ثقة ان بعض الطيور اذا وجد ان ميعاد التبرز قد فات يتحايل على صغيره حتى يؤدي هذه العملية ومتى اتمها الصغير ازيلت البقايا من العش باسرع ما يمكن . وفي حالة النسور تتبرز الصغار ذرباً فتتلبد بطانة العش مع [illegible] كلما تراكمت الاوساخ في هذه البطانة سلخها الابوان واستبدلاها بفراش نظيف جديد

.ينا في المقام الاول اولئك الذين ولدوا امراء او ملوكاً فتمكنوا تدريجاً من تحويل سلطتهم الى روئة
لة مطلقة . ولعلّ أفضل مثل على ذلك الملك لويس الرابع عشر . كان ابن ملكٍ ضعيف ذلك
ك لويس الثالث عشر كان اضعف شأناً من رئيس الولايات المتحدة ورئيس الوزارة البريطانية !
يس الرابع عشر فلم يلبث ، وهو أذكى عقلاً وامضى ارادة من ابيه ، حتى أصبح دكتاتوراً
جاً . ولكنهُ ما كان يستطيع تحقيق ذلك ، لو لم يكن ابن ملكٍ
ثم هناك رجال احرزوا ظفراً حربيًّا باهراً ، في فترة عصيبة من تاريخ بلادهم ، ثم أثبتوا مقدرة
ية فتمكنوا من الاحتفاظ بسلطانهم الذي احرزوه في ميدان الحرب . والقائد المظفَّر الذي تحوَّل
اتوراً ليس بالنادر في التاريخ . فنبوليون وقيصر أشهر الامثلة على ذلك وفي العصر الحديث نجد
دسكي في بولونيا ، ومصطفى كمال في تركيا . فمصطفى كمال في نظر الاتراك رئيس الدولة ، لانه القائد
فّر — الغازي — وفي عهد الدمقراطية الاثينية ، كان الظفر الحربي عاملاً من أقوى العوامل
قيام دكتاتور وسقوط آخر . ذلك انهُ اذا تطرّق الخوف والجزع الى نفس الشعب ، استطاع
جل الذي ينقذهم ويعيد الى نفوسهم طمأنينتها ، ان يحتفظ بهيبتهِ ومقامهِ زمناً طويلاً . ومنذ
نشأت الامبراطوريات الاستعمارية رأينا قيام حكّام كبار في المستعمرات ، يعود قيامهم
بهرتهم الحربية . فالمرشال ليوتي ، الذي كان اسماً ممثل الجمهورية الفرنسية وخادمها ، كان في الواقع
ي سنوات ، الحاكم المطلق في مرّاكش ، وكان لهُ من الاثر في تنظيم البلاد ، اكثر من اي دكتاتور
طني . وما يقال عن ليوتي ، يقال كذلك عن بعض الحكام البريطانيين الاستعماريين
واخيراً يبلغ بعض الرجال الى مقام السلطان المطلق ، لانهم استطاعوا في ازمة نفسية من ازمات
عوبهم ، ان يتصرفوا ، كممثلين لرغبات الشعب وعقائده ، واقصد بذلك ان نجاحهم لا يعود في
غالب ، الى قيمة آرائهم الذاتية بقدر ما يعود الى ظهورهم في الوقت الذي يحتاج فيه الشعب الى من
رشده وينطق بلسانهِ . هؤلاء الحكام ، يكونون في الغالب ثوّاراً . اذا كانت آلام الامة التي
يعربون عن شعورها ، ناشئة عن فساد الطبقات الحاكمة وانحطاطها . كذلك نودي بالرفيق لنين منقذاً
لأمتهِ من حكومة القيصر ، وكذلك كان كرمويل الدكتاتور الديني الذي كنى ما يجول في صدور الشعب
الانكليزي حينئذٍ من نزعة بورتانية . ولكن اذا خدعت الامة واصيبت بثوّار قوّالين فقد
يكون الدكتاتور من الطراز الارستقراطي . فموسوليني افلح في زحفهِ على روما لان الشيوعيين
حاولوا ان يحكموا ايطاليا بعيد الحرب بالارهاب . واستقبل نبوليون استقبالاً عظيماً ، لان الديركتوار
كانت قد اثبتت عجزها خلال السنوات العشر السابقة ، فتاق الشعب الى حكومة مستقرة . لا ريب ان
نبوليون من العباقرة ، ولكنهُ لو انه حاول القبض على أعنة السلطة سنة ١٧٩٠ لما كان الشعب لا يزال
عاجزاً عن ادراك نتائج الثورة ، لباءَ بالخيبة . ذلك ان الدكتاتورية تقوم على ركنين هما الاحوال
المواتية وصفات الدكتاتور نفسهِ
صاحا جهده واتبا بقدميه

ثانياً — لا بدَّ للدكتاتور من قوة يستعملها للبطش . فهو لا يستطيع الاحتفاظ بالسلطان اذا
هُ الجيش . ففي الثورتين الفرنسية (اواخر القرن الثامن عشر) والروسية (سنة ١٩١٧) انتقلت
ة الجيش الى صفوف الشعب . وموسوليني فاز بتأييد المليشيا الفاشستية التي نظمها ، والجيش
طالي الذي احفظهُ ما كان قد وُجّه اليهِ من عبارات التنديد والتقريع . ومصطفى كمال استطاع ان يحقق
ـ الاصلاحات الاجتماعية لان جنوده كانوا منبثّين في كل مكان . اذا صحَّ هذا فهل يتعذّر
دكتاتورية تستند الى قوة معنوية متفوقة ? من الصعب الردُّ على هذا السؤال . اذ لا بدَّ للرجل
خصوم بلغ ما بلغ من مراتب الكمال . فزعماء الاحزاب القديمة يتصدَّون لهُ والمتطلعون الى
سب الحكم يناوئونهُ . فقد يعتمد على قوة العامة بعد تحوّلها الى قوة مسلّحة . ولكن
دَّ لهُ على اي حال ، من ان يكون قادراً على قيادة الفرق المسلّحة . وتذكُّر هذه الحقيقة
شأن خطير ، لانهُ يدلّنا على ان مسألة الرجل العظيم تحتجب وراء اعتبارات متنوّعة في بحث
ات الدكتاتور . فالدكتاتور يجب ان يتصف قبل كل شيءٍ ، بمقدرتهِ على خلق القوة المسلّحة
ادتها . وهذا الشرط يزيل من قائمة الدكتاتورين معظم الرجال العظام ، فافلاطون ودانتي ونيوتن
رته كانوا بلا شك اعظم عبقريةً من نبوليون بيد ان نبوليون كان يستطيع ان يقود الجيوش ،
لك كان سلاّ وقيصر من قبلهِ .

ثالثاً — الاخصائي العظيم ليس بالرجل العظيم ، وكثيراً ما نخلط بين الاثنين في حديثنا اليومي .
ول مثلاً ان لامارتين وشاتوبريان ، كانا رجلين عظيمين . ولكن الاصح ان نقول انهما كانا
بين عظيمين . وبين القولين فرق شاسع . وقد ثبت ذلك لما حاول الجمهور ان يجعلهما رجلين من
ل السياسة . فقد كانا متصفين بأرفع الصفات العقلية ، ولكنهما اخفقا لانهما لم يخلقا للقيادة .
ن المتعذر ان نتصور اناتول فرانس او اينشتين او السر جوزف طمسن ، رئيساً لدولة . حتى الذين
بوا في السياسة من الجهة النظرية ، اخفقوا في ميدان السياسة العملية ، مثل مكياڤلّي ورتز . فلما
ه الفكر في خلال الحرب ، الى اقامة رجال المال العظام على منصة الدكتاتورية باؤوا بالاخفاق .
لجندي في الغالب رجل تعوَّد ، النظام ، لذلك يحسُّ قلقاً ان لم يكن فوقهُ ضابط اعلى منهُ او
ومة ، تصدر اليهِ الاوامر . فاذا وجّه الى غرض معين فالراجح انهُ يبلغهُ ، ولكن لا يهمّهُ ان
ار الغرض نفسهُ . خذ مثلاً على ذلك المارشال فوش . فقد كان يجزع من السياسة وقد احسن
ـنبرج في رآسة الريخ ، لان نفسهُ ليست نفس دكتاتور . بيد ان الرجل العظيم من طراز نبوليون
ي يجمع بين قيادة الجيش ورآسة الحكومة يختلف عن الاخصائي . فلنحاول ان نجلو الصفات التي
زتهُ عن سائر الرجال

الصفة الاولى التي يجب ان يتصف بها الدكتاتور هي صفة الارادة القوية . وهي من اندر الصفات .
جال الذين يتصفون بقوة العقل كثرٌ ، ولكن المتصفين بقوة الخلق نوادر . اذ ما الفائدة من ان

ما يجب ان تفعل اذا كانت لا تملك الجرأة على تنفيذه. فاذا حاول رجل ضعيف الخلق القيام بابسط
ات واكثرها توقعاً ، مني بالخيبة . ذلك ان الانسانية كتلة جامدة في مجموعها . فاذا شئت ان
ها لحملها على الحركة ، وجب تسليط الارادة الدائمة عليها ، والتذرّع بالعزم لتذليل جميع العقبات
بها . فالرجل المتصف بالخلق القوي ، يفوز في النهاية بكل ما يريد . ولو ان مؤرخاً تنبأ من ١٥
ان رجلاً في تركيا يحدث فيها من الانقلاب الاجتماعي والاداري ما احدثهُ مصطفى كمال لوصف
، ولكن مصطفى كمال حقّق كلّ هذا لان ارادتهُ كانت لا تعرف الرحمة ، ولان الاتراك ادركوا
لا يحجم عن هدم كل حائل في سبيل تحقيق اغراضه . والناس في الغالب ، يفتتنون بمظاهر
ادة القوية ، وقلّما يحجمون عن شيءٍ اذا احسّوا ان زعيمهم يحسن قيادتهم

والعقل يلي الارادة . وعقل الدكتاتور يجب ان يكون بسيطاً قادراً على ادراك المشكلات الكبيرة
تعرّض لهُ . فاذا كان عقله دقيقاً يميل الى حلّ المسائل الى اولياتها ، فقد يرى العقبات التي تعترض
بله جلية وهذا يشلّ ارادتهُ . وتفصيلات كل خطّةٍ يرسمها الرجل العظيم معرّضة للنقد . بيد
العقل الذي تشغلهُ الدقّة ، تقهرهُ التفصيلات . فالزعيم العظيم لا يرى التفصيلات . ولا هو
صائيّ في موضوع ما . يهتم بكل مسألة ولكن اهتمامهُ متجهٌ الى ارشاد الجهد الذي ينفق في تلك
سألة . يحيط به الاخصائيون وهم الذين يعنون بالتفصيلات . قيل انهُ لما سأل احد الوزراء المارشال
وتي عن المدافع قال عندي رجالي الفنيّون . فسئل وماذا تفعل . فاجاب: انا ؟ انا الرجل الفنيّ
يختص بالآراء العامة

غير ان الدكتاتور لا يستطيع ان يحرّر نفسهُ من الاستعباد للتفصيلات الاّ على شرط واحد .
يب ان يثق ثقة عظيمة بمساعديه واعوانه . واذاً يجب ان يكون قادراً ان يحيط نفسه بجماعة
ن المؤيدين تتصف بالامانة والجدارة . فليس في التاريخ رجل عظيم من الرجال العاملين ، الاّ عرف
كيف يختار معاونيه، رجالاً يخلصون لهُ ولآرائه ولا يخونون . فالارادة والمقدرة على اختيار الزملاء
هما الصفتان الاساسيتان في خلق الدكتاتور . والثانية تنطوي على صفات عجيبة ، مثل فهم الرجال
وسبر غورهم بلحظة شاردة ، والعطف الذي يجذب الناس اليه ويحببهُ اليهم ، وسعة الصدر التي لا
تسفّ الى الحسد ، وتسرع الى جزاء المحسن على احسانه . وكما افلح نبوليون في بث روح الاخلاص
في فؤاده ، كذلك اخضع ليوتي مراكش بمساعدة ضبّاطه . وموسوليني مدين ، باستقرار نظامه
الى نشاطه في ضمّ من يتوسم فيه الكفاءة الى بطانته

اذا اجتمعت هذه الصفات في رجل فقد يجعلهُ اجتماعها فيه رجلاً عظيماً . ولكنهُ قد لا يكون
رجلاً فعّالاً . اذ يلزم ان يكون الرجل الموهوب هذه الهبات العالية ، قادراً على تطبيقها تطبيقاً
فعّالاً . يجب ان تحرّكهُ شهوة السلطان . فالعمل في حياة الدكتاتور كالآية في حياة الفنّان أبداً
يتجه الى خلقها

شمشون

لالياس ابو شبكة

ليس شمشون ، بطل هذه القصيدة ، ببطل التوراة ، نذير الله من بطن امه ، قاتل الف فلسطيني بلحى حمار والمدفون في ضريح ، منوح أبيهِ بين صرعة واشتأول ، فشمشون ، بطل هذه القصيدة ، هو الشاعر الجبار والقاضي الانساني الثائر الذي ينغمس في حمأة الحياة كما ينغمس فيها سائر المائتين الاّ انهُ يخرج من الرذيلة فضيلة كما اخرج شمشون التوراة عسلاً من رمّة السبع . إن شمشون ، بطل هذه القصيدة هو الشاعر الجبار الذي تتغلب عليه حيل العالم الشرير فتقص جناحيه وتفقأ عينيه الاّ ان جناحيه في روحه وعينيه في قلبه وليست قوة شمشون هذا في شعره بل في شعوره ، وبهذا الشعور القوي يقوّض دعائم الزور والضغينة والبهتان ويهدم هيكل الرياء المقنع بالارجوان »

ملّقيهِ بحسنك المأجور   وادفعيه للانتقام الكبيرِ
إن في الحسن ، يا دليلة ، أفعى   كم سمعنا فحيحها في سريرِ
أسكرت خدعة الجمال هرقلا   قبل شمشون بالهوى الشريرِ
والبصيرُ البصيرُ يخدع بالحسن   وينقاد كالضرير الضريرِ
ملّقيه فالليل سكران واهٍ   يتلوّى في خدره المسحورِ
ونسور الكهوف اوهنها الحبُّ   فهانت عليهِ كالشحرورِ
وعنا الليث للبوءة كالظبي   فما فيه شهوة للزئيرِ

***

شَبِقَ الليث ليلة فتنزّى   ثائراً في عرينه المهجور
تقطر الحمأة المسعَّرة الشهباء   منهُ كأنه في هجير
يضرب الارض بالبراثن غضبانَ   فيُصدي القنوط في الديجور
ووميض اللظى يغلّف عينيه   فعيناه فوهتا تنّور
ونزا من عرينه تتشظّى   حُمَمٌ من لظاه في الزمهرير

(١) تبيغ الدم تهيج وتولد حتى يظهر في العروق

واللهاث المحموم من رئتيه يشعل الغاب في الدجى المقرور
فسرى الذعر في الذئاب ففرّت وترامى الى عشاش النسور
وإذا لبوة مخدرة الحسن تردّت من كهفها المخدور
تنضح اللذة الشهية منها: خمرة من جمالها المأثور
فتميت العبير في مخدع الليل فتشهى حتى عروق الصخور
فتلاشى اللهيب في سيد الغاب امير المغاور المنصور
والعظيم العظيم تضعفه أنثى فينقاد كالحقير الحقير
ملتقيه ففي أشعة عينيك صباحُ الهوى وليلُ القبور
وعلى ثغرك الجميل ثمارٌ حجبت شهوة الردى في العصير
ملتقيه فبين نهديك غامت هوّة الموت في الفراش الوثير
هوّةٌ أطلعت جهنم منها شهوات تفجرت في الصدور
ملتقيه ففي ملاغمك الحمر مساحيق معدن مصهور
يسربُ السمّ من شفافتها الحرّى الى ملمس الردى في الثغور

***

خيّم الليل، يا دليلة، في الغاب واغنى حتى الشذى في الزهور
فانشقي فورة الحرارة من جسمي وغذّي قواك من اكسيري
أنت حسناء مثل حية عدن كورود الشارون ذات العطور
وكغفر الوعل الوديع وأن كنت تناجين عقرباً في الضمير
لست زوجي بل أنت أنثى عقاب شرس في فؤادي المسعور
فاشتهي كل ليلة مخلبي الدامي على خزّ جسمك المخمور

***

وأتى الصبح ضاحك الوجه يرغي زبدُ النور في ضحاه الغرير
أين شمشون يا صحاري يهوذا؟ أين حامي ضعيفك المستجير؟
أين قاضيك، دافع الضيم، طاغي المستبدين، صائن الدستور؟
أعورت شهوةٌ من الحب عينيه وكم اعور الهوى من بصير
إن قاضي المستعبدين لعبدٌ وقضاةٌ عورٌ قضاةُ العور

***

حفلت قاعة العقاب بجمع من سراة المسوّدين غفير

صاعا جهده واتبا بقدميه

هم رموز الشقاق والفتن الحمراء والغدر والزنى والغرور
أقبلوا يشهدون مصرع شمشون على لذة الطلا والزمور
بؤرة تعبق القذارة منها سُتّرت بالشفوف والبرفير
أيدين الخاطي جناة صعاليك ويقضي الفجورُ ذنبَ الفجور ؟
وسرت خمرة الوليمة في الحفل لتقديس ساعة التكفير
وكأنّ النسيم شُوّق للخمرة فانسلّ من شقوق الخدور
ولنقر الدفوف صوت غريب يتحدّى صوتَ العقاب الاخير
واذا قينةٌ تخالجها السكرُ على مشهدٍ من الجمهور
فتثنّت تضاجع الجوّ نشوى من تلوّي قوامها المحرور
رقصةُ الموت يا دليلة ، هذي أم تراها اختلاجة في الخور ؟
وصفا الجمعُ للاسير يناديه بشتى مطاعن التحقير
«هيه شمشون،أيها الفاجر الزنديق يا عبد يهوه المقهور»
« أحكيم من العتاق تذرّى شعرهُ قينة ، من الماخور ؟ »
فتلوّى شمشون في القيد حتى حلّ فيه روح الاله القدير
فنزا ، نزوة الوميض ، من الغلّ ودوّى كنافخ في صور
بدّدي ، يا زوابع النار اعداءَ الهي ، ويا جهنم ثوري
وتنفس يا موقد النار،في صدري وأغرق نسل الريا في سعيري
وامصصي يا دليلة الخبث، من قلبي فكم مرةٍ مصصتِ قشوري
وارقصي ، انما البرا كينُ تغلي تحت رجليك كالجحيم النذير
وتغني بمصرعي فكثيراً ما سمعتُ الفحيح في المزمور !
اصبح الليث في يديك اسيراً فاطرحيه سخرية للحمير
واجعلي الغلّ رمز كل صريح واليواقيت رمز كلّ غدور
إن أكن سقتُ في غرامك شرّا فالبرايا مطيةٌ للشرور
غير أني أجني من الجيف الجرداء — مهما قذرتُ — شهد قفير
هيكل الاثم لم أبح لك ذلّي شبحَ الرقّ لم أسلّمك نيري
فاسقطي يا دعائم الكذب الجاني وكوني اسطورةً للدهور
محقَ الله فيَّ شرّ ظلامي فلتضئ في الحياة حكمةُ نوري
ان تكن جزّت الخيانة شعري في ضلالي فقوتي في شعوري

الحضارة الفرعونية

وتأثرها بالزراعة

للدكتور حسن كمال

ـ النيل تأثير كبير في تاريخ الحضارة الفرعونية . فضرورة المحافظة على مجراه واستعمال مياهه صريين هندسة الأنهر وما يتبعها من مساحة الاراضي . ولما تفقدوا السماء وجدوا في حركات واسطة للاستدلال بها على ميعاد فيضان ذلك النهر العظيم . ومن ثمّ بدأ اهتمامهم بالفلك ، دراستهم له . ولما كان الفيضان اذا طغى على الاراضي محا معالم الحقول تفنن القوم في ابداع ، ومعرفة المساحة . ولما زاد اهتمامهم بالفلاحة اقنع الفراعنة رعاياهم بأن المحافظة على الحدود لك الشخصية امر مقدس تجب مراعاته ويتحتم احترامه . وهذه العوامل بالذات احدثت نفس ي بلاد بابل . وبديهي ان كل زوال للفيضان كانت تعقبه مشاحنات ومضاربات ، ومن هنا رورة سن القوانين وتوقيع العقوبات . وهكذا أجبر النيل سكان واديه أن يضعوا لانفسهم لحضارة الاجتماعية والقوانين والنظم السياسية

بدأ القوم يشيدون العمارات الضخمة لدور الحكومة او التعبد فعمدوا الى النيل لينقلوا ، تلك الكتل الضخمة التي شادوا بها آثارهم الباذخة . وبهذه الطريقة وحدها تمكنوا من لاهرام ونقل الجرانيت من اصوان الى أنحاء القطر مثل منف وتنيس الواقعة بالقرب من لابيض المتوسط . وهكذا أصبح النيل الشريان الرئيسي للتجارة الداخلية . ومن ثمّ برع لمصريين منذ أقدم العصور في صناعة السفن فابتكروا المجاذيف والقلاع و « القمرات » وغير ، وسائل الراحة في السفر

ساحة الاراضي وكيل الحاصيل وتوزيعها اضطرتهم لمعرفة اصول الحساب من جمع وطرح وضرب . كذلك فن المعمار أجبرهم على معرفة الهندسة الفراغية . والى النيل أيضاً وتطوراته الطبيعية فضل في معرفة المصريين لطريقة قياس الزمن . فقد تنبهوا في القرن الثالث والاربعين قبل ى ان السنة الشمسية تتكوّن من ٣٦٥ يوماً . ويعتبر هذا الاكتشاف الميقاتي واستعماله في الدنيوية (وأهمها الزراعة وقتئذٍ) خطوة كبيرة نحو الرقي وشرفاً عظيماً للوطن الذى اكتشف

فيه . وقسّم المصريون سنتهم الى اثني عشر شهراً وجزّأوا كل شهر ثلاثين يوماً حفظاً للنظام وتسهيلاً للمداولات . وهكذا أثبت سكان وادي النيل ان التوقيت شيء عرفي يصطلح عليه القوم

وللزراعة فضل كبير في ابتكار الكتابة لان هذا الخط مكوّن من عدة رسوم لنباتات وحيوانات وأشخاص وادوات زراعية ومنزلية وحربية وخلافها . فهو والحالة هذه دليل مادي على احوال القوم وقت استعماله من حيث الزراعة والصناعة وهو الموضوع الذي نحن بصدده الآن . لذا وجب التنويه عن تاريخ هذا الخط باختصار . ولا يخفى ان قدماء المصريين استعملوا الكتابة منذ نحو خمسة آلاف سنة . وان كتّاب الاسرة الخامسة الذين أتوا بعد ذلك بألف سنة دوّنوا طائفة كبيرة من أسماء ملوك الوجه البحري وبعض ملوك الوجه القبلي من الذين يرجع تاريخهم الى ما قبل حكم الاسر كما نسخوا أيضاً عدة نصوص دينية من كتاب الموتى يرجح انها نقلت سابقاً مراراً ومن هذه النصوص استنتجنا معلومات كثيرة عن حياتهم الزراعية وقتئذٍ . والخط الهيروغليفي الذي استعمل في الوجه البحري لاجراءات الملك والحكومة والخزانة لم يكتشف فجأة وقت اعتلاء الملك (مينا) العرش المصري بل كان مستعملاً قبل ذلك بمدة طويلة . ودليلنا على هذا ان الخط الهيراطيقي كان مستعملاً في مبدأ الاسرة الاولى وهو كما لا يخفى اختزال للخط الهيروغليفي . فلا بدَّ اذن ان يكون هذا الاخير قد استعمل قبل عهد الاسر بزمن طويل . لكن لم تصل الينا معلومات تاريخية عن مآثر ملوك الوجه البحري والقبلي الذين يرجع تاريخهم الى ما قبل القرن الرابع والثلاثين قبل الميلاد

﴿ تأصل الزراعة في الديانة المصرية القديمة ﴾ وقد استدلَّ من بساطة هيئة الآلهة المصرية ورموزها ان المعيشة في عهد الاسر الاولى كانت بسيطة أيضاً . فمن هذه الآلهة من يمثَّل قابضاً على عصا كالتي يستعملها بدو الصحارى أو على نوع من الغاب (القصب). وتزين رسومها احياناً بالغاب أو ريش النعام أو قرون الاغنام . ولما اعتبر المصريون حيواناتهم المحيطة بهم رموزاً للآلهة احترموها وثابروا على ذلك حتى في أرقى العصور مدنية وحضارة . وليلاحظ ان هذه الحيوانات لم تعبد كالآلهة الاّ في آخر التاريخ المصري لمّا دخل القطر في دور انحطاطه . فلم تكن عبادة الحيوانات معروفة في العصر الاول (الاسر الاولى) وغاية ما في الامر ان المصريين اعتبروا وقتئذٍ بعض الحيوانات كالنسر رمزاً لمعبوداتهم كالشمس مثلاً . ومن ثمَّ اعتبر القوم هذا الحيوان كثيراً واكرموا مثواهُ في المعابد لكنهم لم يعبدوه ولم يقدموا له قرابين كما حدث في الازمنة التالية

ثم ازداد المصري تخيلاً لصورة الحياة الاخروية فتوهم في الجهة الشمالية الشرقية في السماء حقولاً يانعة خُضْراً سماها « حقول يارو » او حقول الخيرات كثيرة العدس قمحها اطول من قمح النيل عميمة الرخاء والطمأنينة والسلام والسكون ينال فيها كل فرد نصيبه مما يقدم لمعبوده في الدنيا من خبز وجعة وملبس علاوة على ما ذكر. ثم استصعبوا الطريق الى حقول الخيرات هذه فتخيلوها يحيط بها الماء . لذلك ابتكروا طرقاً مختلفة للوصول اليها . فكان بعضهم يناجي النسر او الطائر ابي منجل

(٤) تعبد القم نبيج وتوقد حتى يظهر لها [illegible]

(إبيس) ليحمله فوق طرف جناحه الى تلك الحقول . وربما البعض الآخر اولاد لمعبود (حوريس) الاربعة ليحضروا له قارباً يستعين بهِ على عبور المياه . وتوسل فريق ثالث بالمعبود (رع) لينقله في سفينته الى تلك الجهة . هكذا تشعبت عقائد المصريين في فهم الآخرة لكنها لم تتجاوز شؤون معيشتهم الزراعية

ومما يدلك على شدة تأثر القوم في عبادتهم بأحوالهم الزراعية انشودة « الشمس » التي وضعها الملك اخناطون والتي كانت تتلى في المعابد للتوسل بها في خلوة المعبود(آتون)— اي قرص الشمس— وسنذكرها هنا للقارىء لاشتمالها على كثير من الاحوال الزراعية . وقد جعل الأربون لاجزاء هذه الانشودة كما ترى عناوين تتمشى مع معانيها وقابلوها في الوقت نفسهِ بما جاء في المزمور الرابع والمائة موضحين بذلك الشبه بين الاثنين من حيث الآراء وتسلسل المعاني

النهار والحيوان والنبات

البهائم كلها مستريحة في مراعيها . والاشجار والنباتات جميعها يانعة . والعصافير ترفرف فوق المياه ناشرة أجنحتها ابتهالاً اليك . والاغنام ترقص على ارجلها . والطيور تحلق في الجو تتنسم الحياة اذا ما اشرقت عليها

النهار والمياه

تسير السفن مع التيار وعلى عكسه
وكل طريق عمومي يصبح مسلوكاً
لانك ظهرت في الافق . اما السمك فيقفز
امامك في النهر هكذا تخترق اشعتك البحر الخضم

هذا البحر الكبير الواسع الاطراف
هناك دبابات بلا عدد . صغار حيوان مع كبار
هناك تجري السفن . لوياثا من هذا
خلقته ليلعب فيه (مزمور ١٠٤ آية ٢٥-٢٦)

خلق الانسان

انت خالق الجنين في امهِ . أنت خالق نطفة الانسان . انت واهب الحياة للجنين في رحم امهِ . وملطفه حتى لا يتكدر ويبكي . كيف لا وأنت المربي في الرحم . انت معطي نفس الحياة لكل مخلوقاتك . . . انت فاتح فم الجنين بالكلام ومعطيه حاجاته يوم تلده امه

خلق الحيوان

انت الذي تهب الحياة للفرخ في البيضة فيصيح . فاذا اتممت خلقه ثقب بيضته وخرج منها صائحاً جهده واثباً بقدميه

الخلق عموماً

ما اكثر مخلوقاتك التي نجهلها . انت الآله الاحد . ربك لك في الملك . خلقت الارض بارادتك . ولما كنت داً في هذا الكون خلقت الانسان والحيوان الكبير والصغير لوقات التي تدب على الارض او تطير بأجنحتها انت الذي احللت انسان في سورية والنوبة ومصر في موضعه وأنعمت عليهِ بانه فصار كل منهم يأخذ نصيبه ويعيش ايامه المعدودة . لقد تلفت ألسنتهم وأجسامهم فسبحانك من مميز لخلقك

ما اعظم اعمالك يا رب . كلها بحكمة صنعت . ملآنة الارض من غناك (مزمور ١٠٤ آية ٢٤)

ري الاراضي

انت خالق النيل في الدار الآخرة . انت اوجدته برغبتك فيه لتحافظ على حياة الاهالي . انت سيد الجميع لانهم ضعاف . انت سيد كل اسرة لانك تشرق لاجلها . انت شمس النهار المهيب في لاراضي السحيقة كلها والواهب لها الحياة . خلقت لهم نيلاً في السماء ليسقط عليهم ماؤه فيسيل لى الجبال كالبحر الزاخر يروي غيطانهم بين مدنهم . ما ابدع اعمالك ايها السيد الازلي ! نيل السماء مخصص للغرباء وللدواب من كل البلاد . والنيل الذي يأتي مصر خاصة يأتيها من الدار لآخرة . اشعتك تغذي الجنان . فاذا ما اشرقت اينعت وأنبتت بتأثيرك

الفصول

جعلت الفصول لتخلق فيها جميع مخلوقاتك . فالشتاء يعطيهم البرودة . والصيف يهبهم الحرارة انت الذي رفعت السماء عالياً لتنظر ما خلقت في وحدتك شارقاً حيناً كآتون ساطعاً متلألئاً ثم راجعاً ثانية الى حيث ابتدأت

* * *

وتغلغلت الزراعة في الديانة المصرية القديمة حتى اكتسحتها تقريباً فأضحى القوم يمثلون النعيم الاخروي او الجنة بالنعيم الزراعي او الفلاحة وكثر هذا التمثيل في المقابر والادراج البردية بشتى الصور ومختلف العبارات . وسنضرب للقارىء مثلاً درج الكاهن (آنى) فقد ورد في اللوحة الخامسة والثلاثين رسم الآخرة ويتكوّن من اربعة اسطر السطر الاول وفيه الكاهن (آنى) يقدم القرابين لمعبود له رأس الارنب وآخر رأس الثعبان وثالث له رأس الثور وخلفه يلاحظ المعبود (تحوت) قابضاً على اللوح والقلم . بعد ذلك يرى (آنى) راكباً سفينة صغيرة يدفعها الى الامام بواسطة مجذاف . ثم السطر الثاني فيه (آنى) وهو يخاطب الطير المعروف بالباشق والموضوع امامه مائدة القرابين ويشاهد بالقرب من ذلك رسمٌ لشخص مقدس وثلاث بحيرات ونقوش هذه ترجمتها : « المعيشة فى سلام فى حقل السلام واستنشاق الهواء في الانوف » . بعد ذلك يشاهد الكاهن (آنى)

بيضها فيها أنها تفتح الخلية اثناء نمو الصغير وتنظفها من بقايا اليرقة السابقة وتضع لصغيرها غذاء طازجاً

﴿ الارشاد ﴾ أما ما نعلمه عن ارشاد النسل بين الحيوانات فمعظمه مستمد من حياة الطيور والقواحم كيف يتعلم الفرخ الصغير الطيران وكيف يتعلم البعض الآخر السباحة والعوم بل كيف يتعلم فرخ الدجاجة التنقير . كل هذه غرائز أسسها موروثة ولكن لاسبيل الى اظهارها الا بارشاد الابوين

فالنسر يعود فرخه وهو في العش تمرين عضلات اجنحته واذا ما اجبر هذا الفرخ على التمرين الجدي خارج العش كان ذلك تحت اشراف ابويه فطوراً يشجعانه كأن يطيرا طيراناً بطيئاً على مقربة منهُ حتى لا يتسرب اليه اليأس وطوراً يحركان أجنحتهما لينقل الصغير تلك الحركات عنهما ويتأصل فن الطيران . واذا وجد ان الصغير على وشك الخيبة ازلق احد الابوين برشاقة تحت مستوى ... هذا الفشيم ودعمه واقياً اياه شر السقوط . والعوم غريزة يرثها صغار الطير المائي ففراخ البط ... الماء مباشرة دون تحريض (وابن الوز عوام) اما الاوز العراقي (البجع) والنورس فهي تزج ...اخها قهراً في الماء لاول مرة . اما التنقير فلا تأتيه فراخ الدجاج او فراخ النعام مثلاً دون ارشاد ...م ويمكن الاستعاضة عن الام في هذه العملية بتحريك الاصبع او القلم على شكل رقبة ورأس الطير ...ر ومن اول مشاهدة تقلد الفراخ الصغيرة هذه الحركات ولن تنساها مطلقاً

اما العصفور (Swallow) فيتدرَّج به أبواه حتى يتم تمرينه ففي اول يومين بعد الخروج من ...ن يتدرب الصغير على خفة الحركة واتزان الجسم في الهواء ويتكفل الابوان باطعامه في العش عند ...اء التمرين وفي اليومين التاليين تعطى الفراخ غذاءها في الهواء من منقاري الابوين وهذا معناه ...ياد الحنكة والاتزان والخطوة الاخيرة هي ان يسقط المدرب اثناء طيرانه طعام الصغار على مقربة ...ا وعليها هي الآن ان تلتقطهُ في اثناء سقوطه فاذا نجحت في ذلك اصبحت اهلاً لاستقلالها المعركة الحيوية . وفي اللواحم نجد ان الهررة تعوّد اولادها مداعبة الفيران وقنصها وكذلك حال ...عرس . ويستغرق تدريب الشبل سنة ونصف حتى يتضلع من الصيد ويمكنهُ ان يحافظ على سمعة ابيه ...ا هو جدير بالذكر هنا ان رعاة الاغنام في الجهات القريبة من مرابض الاسود لا يهدأ لهم بال ...ام هنالك اشبال تحت التمرين على مقربة منهم اذ ان اول دروس الشبل العملية هي اقتناص الحلان ...ذا الدرس يكون تحت المدربين الكواسر

...سمعتم الآن اليسير عن بعض ضروب عناية الحيوانات بنسلها فهي تختار المحال المناسبة لوضع ...ن بعدت تلك عنها ام قربت وهي تبني العشوش لايواء الصغير وهي تراقب صغارها بيضاً ...ا ام احياء في عشهم وهي تخزن الغذاء المناسب وتستعد لتغذية الصغار اذا فقسوا وهي تحضر ...لادها قوتهم يوماً فيوماً مهما تكلفت في ذلك من المشاق وهي تعتني باعداد واعدادها لحياته المستقبلة ...اياه كيف يتمرن وكيف يدافع عن نفسه وهي تعرض ذلك كله لمحتي بنشاطة منكبا حرصاً على [illegible]

.ـد القمح ثم يدرسه بواسطة ثيران ثم ري بيجـل الطائر المقدس (بنّـو) . وبالقرب من ذلك
هـذ كومة من القمح الاحمر واخرى من القمح الابيض وثلاث بحيرات وغير ذلك

بعد ذلك يأتي السطر الثالث من الرسم ويتلخص في طريقة الحرث بالقرب من غدير ماء لايحوي
كا ولا ثعابين . ثم السطر الرابع وتتلخص رسومه في مولد المعبود وفي جزيرة صغيرة عليها امض
جات سلم ثم محل يقال (خوس) ينبت فيه القمح الى ان يبلغ طوله ثلاثة اذرع ثم مناظر لسفن
نهار وغير ذلك . (راجع ترجمة كتاب الموتى للاستاذ بدج ص ٣٢٢)

وتأثرت الفنون الجميلة عند قدماء المصريين بالزراعة بشكل واضح جليّ . ويشاهد ذلك على
لاخص في النقوش الملوّنة التي استعملت كثيراً منذ عهد المملكة القديمة . من ذلك رسم سرب الاوز
مقبرة ميدوم تتجسم فيه براعة المصور الفني وطول باعه . فقد اتقن الرسّام انعطاف رأس
هذا الطائر وبطء حركته وانثناء عنقه وقت التقاطه دود الارض بشكل يقرب جدًّا من الطبيعة .
ولاشك في ان مثل هذا الرسم يشهد لصانعه بالقدرة وعظم الاعتماد على النفس وكثرة التمرن في هذا
الفن الجميل

اما الاعمدة فصنعت على اشكال كثيرة منها ما يشابه النخيل وآخر يمثل طاقة البردي وثالث على
شكل طاقة اللوطس . وساحة امنحوتب الثالث بمعبد الاقصر تحوي عمداً على شكل باقات براعم البردي
وعمد صحن المعبد المذكور مصنوعة على شكل سيقان البردي المنتهية زهرته اليانعة . وساحة الكرنك
العظمى تحوي عمداً على هيئة زهرة البردي المفتوحة ايضاً

وهناك امثلة كثيرة اخرى للفنون الجميلة وعلاقتها بالزراعـة . فمنذ الامر الاول يجد الباحث
ارجلاً لكراسي مصنوعة من العاج المنحوت على شكل ارجل الحيوان . ثم صاغ القوم اكاليلهم
على شكل الازهار الزاهية اليانعة كما هو مشاهد في اكاليل دهشور الذهبية التي بدار تحف القاهرة

وفوق هذا وذلك فقد كانت حكومة القطر مصبوغة دائماً بالصبغة الزراعية من حيث النبات او
الحيوان . فلوك مصر كانوا يلقبون منذ اقدم الامر بلقب «حوريس» نسبة الى ما ورثوه عن هذا
المعبود في عرش مصر . وقد رسم الباز (رمز حوريس) فوق الآثار الملكية فوق شكل مستطيل
يمثل باب القبر الوهمي (الذي تخرج وتدخل منهُ الروح) وبداخله اسم الملك الرسمي . اما اسم الملك
الشخصي فيكتب مسبوقاً برسم الزنبور (رمز الوجه البحري) وفرع البردي (رمز الوجه القبلي)
اشارة الى ان هذين القطرين قد خضعا له . ويصحب هذه الرموز غالباً رمزان آخران هما العقاب
(وهو رمز نخبت معبودة الكاب عاصمة الوجه القبلي) والصلّ (رمز بوتو معبودة مدينة بوتو
عاصمة الوجه البحري). ويشاهد الباز على رؤوس التماثيل لملوك تلك الازمنة مرفرفاً بجناحيه ليحميهم
من الاذى . ثم اخذت الملوك بمرور الزمن تضع فوق جباههم صلاً (معبود المملكة البحرية)
مشيرين بذلك الى بسط نفوذهم على الدلتا

البصريات عند العرب*

عبقرية ابن الهيثم

لقدري حافظ طوقان

البصريات من البحوث التي تشغل فراغاً كبيراً في علم الطبيعة (Physics) والتي لها اتصال وثيق
ثير من المكتشفات والمخترعات ، ولا اكون مبالغاً اذا قلت انه لولا تقدم البصريات (الضوء)
تقدم علما الفلك والطبيعة تقدمهما العجيب ولما كان في الامكان ان يحلق الانسان في سماء الاختراع
لاكتشاف تحليقه الحاضر ، وقد يكون هذا من جملة العوامل التي حملتني على البدء بعلم الضوء
ن غيره من فروع علم الطبيعة المتعددة ، والذي ارجوه ان يتمكن القارىء الكريم بعد مطالعة
ا المقال ان يقف على تطوّر هذا العلم الجليل وسيره عند العرب

يقول الدكتور ماكس مايرهوف «ان العرب قدموا خدمات حقيقية جليلة جداً لعلم البصريات
ي فيه تتجلى لنا عظمة الابتكار الاسلامي» . ولقد بقيت الكتب العربية في هذا العلم المنهل العام
ي نهل منه اكثر علماء القرون الوسطى كروجر باكن ، وبووتيلو ، وليوناردو ده فنشي ، وكبار
يرهم. وتعترف دائرة المعارف البريطانية بأن كتابات العرب في الضوء اوحت اختراع النظارات . ويقول
ديو « لما اشتغل العرب بالفلك التفتوا الى العلوم الرياضية فأتوا بالعجب العجاب في الهندسة
لحساب والجبر وعلم الضوء والنظر والميكانيكا [١] » وقد ظهر في أوائل القرن الخامس للهجرة رجل
فضل كبير في تقدم بحث الضوء ولا يخلو كتاب يبحث في تاريخ علم الطبيعة من اسمه فهو في
دمة الذين اضافوا اليه ويدعى الحسن بن الحسن ابن الهيثم ابو علي المهندس نزيل مصر « وكان
لاً بهذا الشأن (اي بعلم الهندسة) متقناً له متفنناً فيه قيماً بغوامضه ومعانيه مشاركاً في علوم
وائل أخذ الناس عنه واستفادوا منه [٢] » ويقول عنه ابن أبي أصيبعة « وكان فاضل النفس
ي الذكاء متقناً في العلوم لم يماثله احد من أهل زمانه في العلم الرياضي ولا يقرب منه وكان دائم
شتغال كثير التصنيف وافر التزهد» [٣] . وقد ازدهر هذا البحث في عصر التمدن الاسلامي ازدهاراً
مل الاستاذ محمداً نظيفاً في مقدمة كتابه النفيس «البصريات» [٤] يقول : « والذي جعلني ابدأ بعلم

---

* فصل من كتاب « الطبيعة عند العرب » يعنى بوضعه الآن كاتب هذا المقال النفيس

(١) سيديو خلاصة تاريخ العرب ص ٢٢١ (٢) ابن القفطي اخبار العلماء ص ١١٤ (٣) ابن أبي أصيبعة طبقات الاطباء ج ٢
، ٩٠ (٤) « البصريات » هو عنوان لكتاب قيم يبحث في علم الضوء وضعه محمد نظيف الاستاذ بمدرسة المعلمين
ليا العلمية ويقع في اكثر من ٧٠٠ صفحة ، لا يقل مادة وترتيباً وتبويباً عن أحسن الكتب الاوربية التي تتناول
ا الموضوع وهو الكتاب الوحيد في اللغة العربية الذي يجد فيه الباحث كتاباً يرتفع فوق مستوى المبادىء
ولية التي يدرسها طلبة مدارسنا الثانوية في الوقت الحاضر في علم كانت اللغة العربية لغته حتى عصر النهضة في اوربا

(١) تبيغ الدم تهيج وتوقد حتى يظهر ...

الضوء دون فروع علم الطبيعة الاخرى ان علماً ازدهر في عصر التمدن الاسلامي وكان من اعظم مؤسسيه شأناً ورفعة وآراء، الحسن بن الهيثم، الذي كانت مؤلفاته ومباحثه المرجع المعتمد عند اهل اوربا حتى القرن السادس عشر . . . . » وفوق ذلك تقول دائرة المعارف البريطانية « ان ابن الهيثم كان اول مكتشف ظهر بعد بطلميوس في علم البصريات » ويقول كتاب تراث الاسلام « ان علم المناظر وصل الى أعلى درجة من التقدم بفضل ابن الهيثم » واعترف العالم الافرنسي لويتر فياردو «بأن العلامة كبلر أخذ معلوماته في الضوء ولا سيما فيما يتعلق بانكسار الضوء في الجو بعد اطلاعه على ما ألفه ابن الهيثم وهو شهير بما الفه من الكتب في علم الضوء وما كتبه في الشفق» وكذلك اعترف سارطون بنبوغ ابن الهيثم وفضله فقال « ابن الهيثم اعظم عالم مسلم في علم الطبيعة واعظم علماء الطبيعة في القرون الوسطى ومن علماء البصريات القليلين المشهورين في العالم كله [١] » ، له كتاب في الضوء اسمه (المناظر) وهو من اهم الكتب التي ظهرت في القرون الوسطى ومن اكثر الكتب استيفاء لبحوث الضوء . وقبل ان نذكر بعض محتوياته يجدر بنا ان نعرف معنى (المناظر) عند علماء العرب الاقدمين . قال الانصاري : « علم المناظر علم يعرف منهُ احوال المبصرات في كميتها وكيفيتها باعتبار قربها وبعدها عن المناظر واختلاف اشكالها وأوضاعها وما يتوسط بين الناظر والمبصرات وعلل ذلك ، ومنفعتهُ معرفة ما يغلط فيه البصر من احوال المبصرات ويستعان به على مساحة الاجرام البعيدة والمرايا المحرقة ايضاً . . . » [٢] وقال الصفدي وعلم المناظر « علم ظريف للغاية ولابن الهيثم فيه كتاب جليل رأيته في سبع مجلدات ولشهاب الدين القرافي كراريس اودعها خمسين مسألة من المناظر سماها الاستبصار فيما تدركه الابصار . . » . ومن كتاب علم المناظر تبين ان ابن الهيثم هو الذي اضاف القسم الثاني من قانون الانعكاس القائل بأن زاويتي السقوط والانعكاس واقعتان في مستوى واحد . أما القسم الاول من هذا القانون (وقد وضعه اليونان فهو زاويتا السقوط والانعكاس متساويتان — وقد ادخل في كتابه هذا بعض المسائل المهمة عرف بعضها باسم « مسائل ابن الهيثم » فمثلاً اذا علم موضع نقطة مضيئة ووضع العين ، فكيف تجد على المرايا الكرية والاسطوانية والمخروطية النقطة التي تتجمع فيها الاشعة بعد انعكاسها . واشتهرت هذه المسألة كثيراً في اوربا نظراً الى الصعوبات الهندسية التي تنشأ عنها اذ ينشأ عن حلها معادلة من الدرجة الرابعة استطاع ان يحلها (ابن الهيثم) باستعمال القطع الزائد . وصنع مرآة مكونة من بعض حلقات كرية ولكل منها نصف قطر معلوم ومركز معلوم اختارها بحيث ان جميع الحلقات تعكس الاشعة الساقطة عليها في نقطة واحدة . وقاس كلاً من زاويتي السقوط والانكسار وبين ان بطلميوس كان مخطئاً في نظريته القائلة بأن النسبة بين زاوية السقوط وزاوية الانكسار ثابتة وقال بأن هذه النسبة لا تكون

(١) سارطون مقدمة لتاريخ العلم ج ١ ص ٦٩٨ — ٧٢١ (٢) شمس الدين الانصاري ارشاد القاصد ١٠٧ و ١٠٩

نة بل تتغير [١] ولكنه مع ذلك لم يتوفق الى ايجاد القانون الحقيقي للانكسار [٢] واستعمل
ياس زاويتي الانكسار آلة تشبه الآلة المستعملة الآن في اصول تركيبها . وله جداول ادق
، جداول بطلميوس في معاملات الانكسار لبعض المواد [٣] . وقد شرح ابن الهيثم في كتبه
ض الظواهر الجوية التي تنشأ عن الانكسار فكان اسبق العلماء الى ذلك ، ومن هذه الظواهر
ي ذكرها وشرحها الانكسار الفلكي اي ان الضوء الذي يصل الينا من الاجرام السماوية يعاني
كساراً باختراقه الطبقة الهوائية المحيطة بالارض ومن ذلك ينتج انحراف في الاشعة ولا يخفى
لهذا من شأن في الرصد . فمثلاً يظهر النجم على الافق قبل ان يكون قد بلغه فعلاً وكذلك
ى الشمس او القمر على الافق عند الشروق والغروب وهما في الحقيقة يكونان تحته . ومن نتائج
نكسار ان قرص الشمس او قرص القمر لا يظهر بالقرب من الافق مستديراً بل بيضويًّا . هذه
ظواهر وغيرها استطاع ابن الهيثم تعليلها تعليلاً صحيحاً واستطاع ايضاً الوقوف على اسبابها الحقيقية.
ن الحوادث الجوية التي عللها الهالة التي ترى حول الشمس (او القمر) وقال بأن ذلك ينتج عن
انكسار حينما يكون في الهواء بلورات صغيرة من الثلج او الجليد فالنور الذي يمرُّ فيها ينكسر
ينحرف مع زاوية معلومة وحينئذ يصل النور الى عين الرائي كأنه صادر من نقط حول القمر او
شمس فتظهر الاشعة في دائرة حول الجرمين المذكورين او حول احدهما [٤] . وهو من الذين لم يأخذوا
أي اقليدس واتباع بطلميوس القائل بأن شعاع النور يخرج من العين الى الجسم المرئي بل أخذ
أي ديموقريطس وارسطوطاليس القائل بأن شعاع النور يأتي من الجسم المرئي الى العين [٥] وقد
، أيضاً بالرأي الاخير بعض علماء العرب المشهورين كابن سينا والبيروني [٦] . وبحث في كتابه ايضاً
، قوى تكبير العدسات . وقد تكون كتاباته هذه هي التي اوحت اختراع النظارات . وكتب في
يغ الكرى وفي تعليل الشفق وقال انهُ يظهر ويختفي عند ما تهبط الشمس ١٩ درجة تحت الافق
ان بعض اشعة النور الصادرة من الشمس تنعكس عما في الهواء من ذرات عائمة وترتد الينا فنرى
ا ما انعكست عنهُ ، وبيّن ان الزيادة الظاهرة في قطري الشمس والقمر حينما يكونان قريبين من
افق وهمية [٨] وقد علل هذا الوهم تعليلاً علميًّا صحيحاً لم يسبق اليه [٧] فبناءً على ان الانسان
كم على كبر الجسم او صغره بشيئين الاول الزاوية التي يبصر منها Angle of vision او زاوية
ؤية والثاني قرب الجسم او بعده من العين . والغريب ان البعض ينسب هذا التعليل الى
ليوس ولم يدر ان بطلميوس قال ان الزيادة حقيقية اي انها غير وهمية وهو مناقض لقول ابن الهيثم

(١) سارطون — مقدمة لتاريخ العلم — ج ١ ص ٧٢١ (٢) كاجوري — تاريخ علم الفيزياء — ص ٢٢
(٣) دائرة المعارف البريطانية مادة Light (٤) قد يطول بنا المطال اذا اردنا ان نبحث في تعليل العرب
ث حوية اخرى كقوس قزح . وقد ارجأت ذلك لكتاب أعنى الآن بتأليفه يبحث في مآثر العرب في علم الطبيعة
(٥) كاجوري تاريخ علم الفيزياء ص ٢٢ (٦) كتاب تراث الاسلام Legacy of Islam ص ٣٣٥
(٧) كاجوري تاريخ علم الفيزياء — ص ٢٣ (٨) سارطون — مقدمة لتاريخ العلم — ج ١ ص ٧٢١

وابن الهيثم اول من كتب عن اقسام العين واول من رسمها بوضوح تام وقد اعتمد في بحوثه هذه على كتب التشريح التي كانت في زمانه ووضع اسماء لبعض اقسام العين واخذها عنهُ الافرنج وترجموها الى لغاتهم[١] فمن الاسماء التي وضعها « الشبكية Retina » و« القرنية Cornea » و« السائل الزجاجي Vitreous Humour » و« السائل المائي Aqueous Humour » وتقول دائرة المعارف البريطانية ان ابن الهيثم كتب في تشريح العين وفي وظيفة كل قسم منها وانهُ بيّن كيف ننظر الى الاشياء بالعينين في آنٍ واحد وان الاشعة من النور تسير من الجسم المرئي الى العينين ومن ذلك تقع صورتان على الشبكية في محلين متماثلين بينما اليونان قالوا بان الاشعة تخرج من العينين الى الجسم المرئي . وفوق ذلك هو اول من بيّن بان الصور التي تنشأ من وقوع صورة المرئي على شبكية العين تتكوّن بنفس الطريقة التي تتكوّن بها صورة جسم مرئي تمر اشعته الضوئية من ثقب في محل مظلم ثم تقع على سطح يقابل الثقب الذي دخل منهُ النور والسطح يقابله في العين الشبكية الشديدة الاحساس بالضوء فاذا ما وقع الضوء حدث تأثير انتقل الى المخ ومن ذلك تتكوّن صورة الجسم المرئي في الدماغ . وله ايضاً معرفة بخاصيات العدسات اللاّمة والمفرّقة والمرايا في تكوين الصور[٢]

وبحث العرب في ظاهرة قوس قزح . نجد ذلك في تآليف قطب الدين الشيرازي الفلكية[٣] وقد شرحها في كتابه نهاية الادراك شرحاً وافياً هو الاول من نوعه . وكتب ابن الهيثم في المرايا المحرقة ولهُ في ذلك كتاب كما لغيره من علماء المسلمين في القرون الوسطى . وعرّف العرب هذا العلم بما يأتي : « هو علم يتعرف منهُ احوال الخطوط الشعاعية المنعطفة والمنعكسة والمنكسرة ومواقعها وزواياها ومراجعها وكيفية عمل المرايا المحرقة بانعكاس اشعة الشمس عنها ونصبها ومحاذاتها ، ومنفعته بليغة في محاصرات المدن والقلاع .. » وكانت ابحاث ابن الهيثم في هذا العلم جليلة دقيقة دلّت على احاطته الكلية بمبدأ تجمع الاشعة التي تسقط على السطح موازية للمحور بعد انعكاسها عنهُ وكذلك بمبدإ تكبير الصور وانقلابها وتكوين الحلقات والالوان[٤] وقد فاقت كتاباته في هذه البحوث كتابات اليونان[٥] . ولم يقف العرب في البحث عند هذا الحد بل تعدوهُ الى البحث في سرعة النور فقال البيروني ان سرعة النور اذا قيست بسرعة الصوت كانت عظيمة جداً وقال ابن سينا ان سرعة النور يجب ان تكون محدودة وبيّن الاسباب لذلك — وجاء في كتاب عجائب المخلوقات للقزويني في سبب رؤية البرق قبل سماع الرعد ما نصهُ : « واعلم ان الرعد والبرق يحدثان معاً لكن يُرى البرق قبل ان يسمع الرعد لان الرؤية تحصل بمراعاة البصر واما السمع فيتوقف على وصول الصوت الى الصماخ وذلك يتوقف على تموّج الهواء ، وذهاب النظر (اي سير النور) اسرع من وصول الصوت .. »

نابلس — فلسطين

---

(١) و (٢) كاجوري — تاريخ علم الفيزياء — ص ٢٣ (٣) سارطون — مقدمة تاريخ العلم ج ٢ ص ٢٣
(٤) و (٥) كتاب تراث الاسلام ص ٣٣٥

مصطلحات علم النفس

ومشكلة ترجمتها الى العربية

لمحمد مظهر سعيد

ذكرنا في مقال سابق اهم المصطلحات الانجليزية المتداولة في موضوع الشعور وا
والادراك بمراتبه المختلفة واستعرضنا نماذج مختلفة للترجمات العربية اقتبسناها من اهم
التي تعتبر الى الآن حجة في علم النفس عند طوائف مختلفة من الناس ليعلم القارىء مبلغ ا
التي يعانيها المؤلفون والمترجمون في تحديد معاني هذه المصطلحات ومقدار تضاربهم
اللفظ الواحد ووعدنا ان نستكمل البحث بذكر مصطلحات اهم موضوعات علم النفس التي
المؤلفات العربية وسنتناول في هذا المقال موضوعات الذاكرة والتصور والخيال

﴿ الذاكرة Memory ﴾ تطلق اللفظة الانكليزية الآن في عرف العلماء المحدثين
التحصيل (او ادخال ما يراد حفظه الى الذهن) وقوة الحفظ او الوعي الطبيعية وعملية
ارجاع المعلومات السابقة المحفوظة في الواعية الى مستوى الشعور مرة اخرى بعد ان كانت تـ
على قوة الحفظ او عملية التذكر. وقد ترجمها كل المؤلفين باللغة الصحيحة الذاكرة (او ملكـ
ما عدا امين بك واصف فقد ترجمها حافظة (راجع مادة Memory في القاموس المـ
الاول من كتابه اصول الفلسفة) اما الدكتور شرف فقد وضع لها في قاموسه المعروف كل ما
من المترادفات بدون تمييز او تفضيل (الذاكرة المفكرة. ذهن. أذكار القوة الحافظة. الحفظ

اما العملية الاولى Memorizing و Committing to Memory — تحصيل . فقد ترجـ
شريف هكذا (صفحة ٧٠) وعبد الرازق استذكار (ص ٢٨) والابراشي استظهار او
٢٢٠ ج ٢) والعملية الثانية – Remembering, Recall, Recollection, Reproduction
ترجمها شريف (ص ٣) استحضاراً بعد الانعدام (مع انها لم تكن معدومة) وفي مو
(ص ٢٤) المدارسة — تأخذ قوتك الذاكرة في ان تحضر لك ما القاه عليك استاذك
به مما اودعته في ذهنك يوماً من الايام وفي موضع ثالث (ص ١١٦) تذكر وذاكرة -
هي قوة الاستحضار — والجارم (ص ٥٦) ترجمها بالذكر (ولكنه قصره على اعادة
بالحواس الى دائرة الشعور في حين انهُ يشمل الافكار القديمة التي خطرت الانسان في و
يكن قد ادركها بحواسه) . وعبد الرازق (ص ٢٨) وكذلك الابراشي (ص ٢٣٣ - ٢)

representation) اما قوة الحفظ او الوعي الطبيعية Retentivity الواعية فقد ترجمها شريف (ص١١٦) بالحافظة (وهي قوة ابقاء المعلومات في الذهن). أما عمل الواعية Retention فقد ترجمه قنديل (ص ٣ ج ٢) الوعي او حفظ الآثار في النفس والاراشي عن قنديل (ص ٢٢٦ ج ٢) الوعي او الحفظ وغيرها الحفظ. وفي رأينا ان ترجمة قنديل الواعية والوعي ادق من الحافظة والحفظ لولا انها تختلط بما جرى عليه بعض المترجمين من ترجمة الشعور Consciousness بالوعي

اما الفوارق العلمية الدقيقة بين Recall, Recollection Repooduction فلم يتعرض لها احد

وهنالك ظاهرة اخرى تعتبر نوعاً او مرتبة اولية منحطة من مراتب التذكر. وهي المعروفة بكلمة Recognition — التعرف اي مجرد شعور الانسان بأن شيئاً يمر عليه الآن قد مرَّ عليه من قبل من غير ان يذكر ظروفه الزمانية والمكانية على التحقيق — وقد ترجمها شرف وحده — بالمعرفة والعرفان والاقرار

﴿ التصور Imagery ﴾ التصور هو عملية عقلية وظيفتها مجرد استحضار صورة في الذهن لشيء او موقف او تجربة مرت على الانسان من قبل. وليس التصور تذكراً بحتاً لان العقل يستحضر الصورة وحدها منعزلة عن سائر ظروفها الزمانية والمكانية كأنهُ لم يكن هناك شيء غيرها في مجال الشعور عند ما ادركها الانسان بحواسه والتذكر البحت يكون لشيء مرتبط بغيره من الاشياء في ظروف زمانية ومكانية خاصة وليس التصور كذلك خيالاً او تخيلاً لان التخيل يكون لشيءٍ جديد على العقل لم يدركه او يجربهُ من قبل

وقد خلط كثيرون من علماء النفس الافرنج بين هذه العمليات العقلية الثلاث ومنهم اعلام كبار مثل James, Baldwin, Sully. وانت تجد هذا الخلط بعينه في ترجمة الذين اخذوا عنهم. ومما يزيد المسألة تعقيداً في العربية ان كلمة تصور تفيد في المنطق منذ ان وضع فهم الحقائق وبخاصة المدركات الكلية او المعنوية ولذلك وضعها واصف بك ترجمة لكلمتي apprehension و concept

اما الخيال فهو كما قدمنا عملية احداث تراكيب جديدة من عناصر التجارب الماضية المألوفة بعد التغيير في نظامها وترتيبها وعلاقاتها وتعديلها تعديلاً قليلاً يجعلها قريبة الشبه بالقديمة وكبيراً يجعلها كأنها مبتكرة. واللفظة الانكليزية imagination تطلق على القدرة العقلية او الوظيفة وعلى العملية ذاتها وقد ترجموا المعنى الاول خيالاً او مخيلة (جرياً وراء مذهب الملكات العقلية) واعطى لها شرف كل هذه المترادفات (التظنن . الخيال . الواهمة . المتخيلة . المخالة . الخيلولة) وترجموا المعنى الثاني تخيلاً وقال شرف (تخييل . خيال . ظن) ولكنهم على الرغم من ترجمة اللفظة الانكليزية ترجمة عربية صحيحة فقد خلطوا في شرح معنى الوظيفة والعملية بين الخيال والتذكر من جهة والخيال والتصور من جهة اخرى . فيقول قنديل (ص ٧٤) التخيل بمعناه الواسع هو شعور المرء بأشياء غير حاضرة. فهو استعادة المرء في ذهنه ما حصل عليه بالحس من قبل (وهذا تذكر لا تخيل). وقال الشيخ شريف (ص ٨٠) اذا كان الحفظ متعلقاً بأشياء لها صور تُحَسُّ سمي تخيُّلاً (وهذا ايضاً التذكر بعينه) وفي (ص ١٣٣) الخيال هو مستودع المحفوظات التي وصلت الى الادراك عن طريق الحس او الوجدان

وهذه هي الواعيـة) فهو حافظة مصورة (كذا) والتخيل هو استحضارها . واقربهم الى المعنى لمي الصحيح هو الجارم عند ما يقول (ص١٧٣) التخيل ان يرسم العقل صوراً مستعيناً في رسمها حساس او وجدان سابق من غير ان تساعده الحواس أثناء التصور وعلى الرغم من ان الاستاذ قنديل ر ّف التصور تعريفاً واضحاً بقوله(ص٧٤) هو استعادة ما تركتهُ الاحساسات والمدركات الحسية السابقة ، الجهاز العصبي فهو يقول في(ص٧٥) التخيل هو مجرد تكوين الصورة العقلية (أي انه تصور صرف)

وللتخيل أنواع أربعة رئيسية . أولهـا الاستحضاري Reproductive ويطلق على استرجاع لحوادث او المواقف الماضية وانما بصورة تخالف الصورة الاصلية التي حدث بها وان اتفق معها في لجوهر (والا ّ كان تذكراً صرفاً) كمن يروي بالقول منظراً رآه بالنظر او يكتب حديثاً سمعه . قد فات الكثيرين هـذا المعنى الدقيق فاعتبروه تذكراً صرفاً او تصوراً صرفاً فقنديل يقول ص ٧٩) التخيل بأوسع معانيه نوعان تصور او تمثيل استحضاري . تكون فيه الصورة العقلية طابقة للمدرك الحسي فتتصور بالعقل ما ادركته فعلاً بالحواس من قبل وتستحضره في نفسك من ير قصد التغيير فيه والتبديل وفي (ص ٨٠) فكأن المرء في هذا النوع من التخيل يذكر أموراً حدثت له من قبل بالحواس ولذلك يطلق عليه التصور او التخيل الاستحضاري

ويقول الشيخ شريف(ص ٨١) التذكر المتوجه لصورة يسمى تخيلاً حضورياً ويمثل لهذا بالجنة والنار (ولا نفهم كيف ينطبق هـذا المثال على أي معنى يذهب اليه) ويقول الجارم (ص ١٤٤) ما دامت المحسات في الذهن على الوجه الذي ادركتهُ عليه كان التخيل حضورياً . ويقول حامد عبد القادر (ص ٢٥٠ ج ٢) التذكر هو التخيل الاستحضاري او التكراري

والنوع الثاني وهو الخيال المترجم Interpretive يستحضر الانسان فيه صورة لشيء او موقف لم يره هو من قبل ولكنهُ يسترشد بوصف يقرؤه عنه او حديث يسمعه ويتقيد بما يلقي اليه ويكون الصورة قياساً على ما يماثل من تجاربه الماضية عناصر الموقف الجديد

والثالث وهو الابتكاري Creative أو originative وقد ترجمه قنديل (ص ٧٩) بالابتكاري والشيخ شريف الاختراعي او الحصولي وترجمهُ غيرهما الانشائي والتأليفي والخلقي وهو خاص بابتكار تراكيب جديدة صرفة . ويطلق على النوعين السابقين الخيالي التركيبي Constroucti‌ve لان الخيال فيه يكون مطابقاً للواقع او ما يمكن ان يطابق الواقع او نتائج مباشرة للواقع او يمكن ان يوصل اليها الواقع فالتفكير فيه منطقي معقول وهناك نوع رابع يكون الخيال فيه غير منتظم ولا منسجم ولا متسلسل . لا ترتبط عناصره ولا تتآلف ولذلك يكون مخالفاً للمنطق والمعقول من مثل ما يحدث للانسان أثناء التهيؤات او السرحان او أحلام العبث ويسمى Fancy Imagination ولم نجد له ترجمة ولذلك نرتاح الى ترجمته بالخيال المفكك

وبعض المترجمين ادخلوا التهيؤات العصبية Hallucination من ضمن أنواع الخيال فسموها تخيلات

كيف تطوّر الانسان

للسر آرثر طمسن

ترجمة : بشير الياس اللوسي

ترمي جميع ابحاث داروِن الى نتيجة واحدة هي ان الانسان وبقية الكائنات الحية ترجع الى اصل واحد هي - الخلية الحية — واستطاع ان يبرهن بقدر ما سمحت له الاستنتاجات العلمية على انتساب الكائن البشري الى اصل شبيه بالقرود او «الانثروبود» Anthropoid . فالانسان ينتمي الى رتبة الرئيسيات Order Primates من قبيل الحيوانات الثديية او اللبونة لانه يشترك معها في تركيب جسمه العام والاعضاء الأثرية في بدنه وكيفية نشوئه الجنيني ومقاسمته اياها بعض الامراض والطفيليات واخيراً لما بينه وبين القرود العليا من تماثل في تركيب الدم

﴿ استنتاجات داروِن ﴾ يقول داروِن في نهاية كتابه : أصل الانسان Descent of Man » يخيّل اليّ اننا بحاجة الى العلم بأن الانسان الذي يسمو على بقية الاحياء بمزاياه الرفيعة وعواطفه السامية واحسانه لابناء جنسه ولكل نفس حي ، ذلك الذي وهبته الطبيعة عقلاً راجحاً اخترق الحجب الكونية وأماط اللثام عن حركات النظام الشمسي ونشوئه ، لا يزال يحتفظ في بدنه بطابع أصله الوضيع الذي لا يمحى أثره»

بيد ان هذه الاستنتاجات تدعو الى السؤال والاستغراب . فكيف يصح ان يكون الانسان ابن عم بعيد لاحد القرود ؟ وما الذي يدلُّ على قرابته الشديدة برجل الغابة Bushman ؟[1] وكيف تنشأ الكائنات الحية وتتطوَّر من خلية مجهرية واحدة هي بداية الجنين ؟ ليس مما يضير سمعة شكسبير ان يكون في نعومة اظفاره بليداً ولا مما يحطُّ منزلة نيوتن ان يكون في شبابه بائساً .وهكذا ليس مما يشين الانسان ان يكون منتسباً الى أصل وضيع !

واذا كان من نقد يوجه الى مذهب داروِن فذلك النقد صادر عن اساءة فهم للنظرية الداروينية وعدم تريث النقّاد لفهم الحقيقة . فما من عالم تطوري يقول بنشوء الانسان من القرود الوحشية

(١) تدل بقايا رجل الغابة على انه كان من القرود العليا الكثيرة الشبه بالانسان

... تشترك فيها الطائفة البشرية Human family مع الغوريلّى

Simians المعروفة في الوقت الحاضر والرأي العلمي السائد الآن هو ان الانسان سليل جد مشترك بينه وبين القرود العليا Higher Apes وقد تفرعت العائلة البشرية Humanoid من الاصل الانثروبودي منذ اكثر من مليون سنة

﴿ ثورة فلسفية ﴾ عند ما نتكلم عن أصل الانسان يجيبنا محدثنا بابتسامة تنم على شيء من السخرية ذلك لانه اذ يرى الانسان في منزلته الرفيعة بين سائر الكائنات لا يروقهُ ان يجابه بفكرة تقلل من تلك الرفعة او تحط من تلك الكرامة في نظره . وكأننا بهِ يقول : أليس من السخافة بمكان ان اعتقد بنشوء الانسان من نسل القرود ، ذلك الذي تغلغل بعقله الثاقب الى عوالم النجوم وبحث في تاريخه ووضع النظريات الفلسفية عن علاقته بالحياة وذلّل الطبيعة وجعلها طوع بنانه ؟ فالانسان كما يعتقد مثل هذا الشخص ، بعيد عن الحيوانات اللبونة بعداً يصعب معه التسليم باشتراكه معها في النشوء والارتقاء . على اننا اذا لم نسلم بنشوء الانسان من ارومة الرئيسيات فالخيار الوحيد ان نفتكر بأنه نشأ — باعتبار نفسه العليا على الاقل — بطريقة تعجز الاساليب العلمية عن تعليلها . ولكن التخلي عن الاساليب العلمية والاستعانة على تفسير الحادثات الطبيعية بالطرق اللاهوتية يعد هرباً من البحث وتنصلاً من واجب الانسان في البحث والتحليل العلميين . واذا كانت ثمة مشكلات قد استعصى حلها لحد الوقت الحاضر فذلك لان الوسائل العلمية ما زالت قاصرة ومحدودة ومن الواجب علينا ان نحرص على البحث العلمي ونتجنب خلط المسائل العلمية بالاعتبارات اللاهوتية

﴿ القرود العليا والانسان الشبيه بالقرود ﴾ تفرّعت القرود الانثروبودية العليا Anthropoid Apes من ارومة قرود العالم القديم في العصر القليل الحداثة Oligocene وربما في مصر وذهبت القرود الانثروبودية الاولى تجوب اقاصي افريقيا واوربا وآسيا كما فعلت اسلافها القرود القديمة . ومنذ نيف ومليون سنة وفي اواسط العصر المتوسط الحداثة Miocene Period — وربما في شمالي الهند — انتقلت العائلة البشرية من القرود الانثروبودية الجبارة التي ارتقت تدريجيًّا الى الانسان الوحشي (الاورانغ) Orang والبعام والغورلّى المعروفة في الوقت الحاضر . ولكن العائلة البشرية تقدمت في الحياة زمناً طويلاً قبل ان نشأ الانسان ولدينا من الادلة ما يؤكد تعاقب « الانسان الوحشي المجرّب » Tentative Man الذي وجدت له آثار مؤلفة من قطع صغيرة هي كل ما عرفناه عن شكله الغامض . وأوطأ أنواع ذلك الانسان الشبيه بالقرود هو الذي سمي بـ Hesherepitheeus — وقد سكن العالم الغربي — لم يخلف لنا الاّ سنًّا واحداً من اوائل العصر الكثير الحداثة Pliocene في نبراسكا . فليس من الدقة العلمية في شيء ان نتخلص الى استنتاج عام من سن واحد . ولكن اذا كان انسان نبراسكا حقيقيًّا وجب ان نبحث عن كيفية وصوله الى هناك فهذا ما نجهله كل الجهل

﴿ الانسان المجرب Tentative Man ﴾ نقرأ في كتاب « قِدَم الانسان Antiquity of Man » لمؤلفه السر آرثر كيث حكايات طريفة عن بعض انواع الانسان المجرب الشبيه بالقرود وأهمها

أثر الحضارة العربية

في الاندلس وصقلية وما اليهما

بقلم محمد كرد علي

رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ووزير معارف سوريا سابقاً

— ٢ —

كان اختلاط العرب بالاسبانيين والبرتقاليين والكتلانيين والفرنسيس والبشكنس Les Basqnes اختلاط محارب مع محارب يعرفونهم لاول الامر بغاراتهم بأخذ بعضهم من بعض اسرى فلما طال الزمن رأت تلك الامم المضعوفة انهُ لا مناص لها من ان تتعلم في مدارس الامة المرهوبة . وهكذا كان فإن كثير من نبهاء الافرنج رحلوا الى الاندلس يأخذون عن علمائها العلم ويقتبسون من انوارهم ومنهم او من مشهوريهم البابا سلفستر الثاني (جربرت) وقد درس الرياضيات والفلك عند علماء العرب في اشبيلية وقرطبة فكان اعظم علماء عصره في قومه ولما صعد الكرسي البابوي سنة (٩٩٩ م) كان اول البابوات الذين وجهوا وجهتهم الى توحيد قوى الغرب لمقاومة المسلمين في استعمارهم في الشرق والغرب ومثله كثيرون ممن اخذوا عن العرب وكتبت لهم مكانة بما تلقوه عنهم بين قومهم

***

وذكروا ان شانجه امير ليون كان يستشير اطباء العرب. واطباء العرب من الاندلسيين هم الذين نقلوا الطب الى فرنسا . في زمن انشأ فيه الاندلسيون في كل ناحية من بلادهم المدارس وخزائن الكتب والجامعات العلمية في العواصم وغيرها كانت مواطن العلم في الغرب زمناً طويلاً ومنها اليوم صلمنكة عاصمة العلم في اسبانيا وقلمرية عاصمة العلم في البرتقال على نحو ما نشهد بعهدنا مدينة ليبسيك في المانيا واكسفورد في انكلترا . وزالت الامية في الاندلس بما انشأ الملوك من المدارس وكان في قرطبة عشرات من الكتاتيب للفقراء واصبح الرجال والنساء على السواء يكتبون ويقرأون بل يرى كل ابناء الفلاحين من يقرؤون ويكتبون

واخذ الاسبان من العرب في الاندلس وصقلية معنى الشعر وبعض اوزانه [illegible]

البيثيكانثروبس المعتدل Pithicanthropus the Erect المكتشفة آثاره في جاوة Java والايوانثروبس Eoanthropus صاحب جمجمة « بلتدون Piltodwn »

ويجب ان نضيف اليهما الكنز الذي عثر عليه « البروفسور رايموند دارت » في « تونغز Taungs » — التي تبعد نحو ٨٠ ميلاً شمالي كمبرلي في بيجوانالاند — وكانت الآثار التي عثر عليها محفوظة بين متحجرات اخرى في صخرة كلسية على نحو ٥٠ قدماً تحت سطح الارض . وتتألف هذه الآثار من عظام الوجه وبقايا جمجمة اكتشفت فيها الاوصاف التالية بعد الدرس الدقيق : جبهة مرتفعة ، عدم وجود أخاديد نائتة في حجاجي العين ؛ القسم الاسفل من الوجه يحاكي الشكل البشري ، الاسنان التي يظن انها من النوع الحليبي تشبه الاسنان البشرية شبهاً واضحاً . ويرجح ان هذا المخلوق الذي سمي فيما بعد Australopithecus Africanus كان مرتفع الرأس لا يرخيه كثيراً كما تفعل القرود الحالية . وهناك ما يدل على وجود دماغ كبير نسبيًّا وقد ظهر نقص في هذه الناحية عند ما قوبل بدماغ غورلّي . وربما يعزى هذا النقص الى ان هذا الكائن البشري الذي حفظته لنا الصخور صدفة لم يكن انساناً بالغاً

***

يستنتج من ذلك ان جمجمة « تونغز » تتوسط بين جمجمتي « الانثروبويد » و « الهومينيد Hominid » ولا يستبعد انها تنتسب الى سلف واحد يرجع هؤلاء الاثنان اليه . ولهذه الجمجمة ميزات بشرية اكثر مما لجمجمة اي انثروبودٍ آخر

ويظن ان «الهومينيد» تفرّع الى خطوط جانبية نشأ من احدها نوع الانسان الحديث . ويجب ان لا يعزب عن بالنا ان الانسانين المجريين (البيثكانثروبس والايونثروبس) هما على جانب عظيم من الشأن في تعيين خطوات التطور ولو انهما يقعان بعيداً عن خط التقدم الرئيسي . ان اكتشاف آثار بشرية عديدة في مدة قصيرة نسبة يقوي الامل باكتشاف آثار اخرى في المستقبل

﴿ الانسان اخيراً ﴾ ان اقدم نوع species عرف عن جنس الانسان genus Homo هو انسان هيدلبرغ Heidleberg man ثم عقب « انسان روديسيا Rhodesian man » وبعده بزمن طويل « انسان نياندرتال Neanderthal man » . على ان الانسان الحالي لا ينتسب مباشرةً الى اي واحد من هؤلاءِ وما هم في الواقع سوى فروع جانبية نشأت من اصل واحد ويطلق على مجموع هذه الانواع « جنس الانسان Homo » الذي ينتسب اليهِ « نوع الانسان العاقل species Homo Sapiens »

وبالرغم عن اشتراك جميع هذه الانواع البشرية في معركة الحياة فانها لم تنل الظفر الذي حازه نوع الانسان العاقل فجعل منهُ سيداً على بقية الكائنات . وتشعبت من نوع الانسان العاقل جميع السلالات التي نعرفها الآن وهي السلالات الاسترالية والزنجية والمغولية والالبية وسلالة البحر الابيض المتوسط والشمالي

وقد استمر اختزال السحنة السوداء التي تشترك فيها الطائفة البشرية Human family مع الغورلّي

والبعام من السلالات الشمالية اكثر من غيره وبذلك اصبحت هذه السلالة تتميز عن بقية السلالات ببياض سحنتها مع العلم بانها لا تخلو من سمات حياتها الابتدائية

قد لا يدرك الفلاسفة اللاهوتيون الذين ينظرون الى جهود الانتروبولوجيين نظرة هزء وسخرية سموّ عملية التطور العظيمة التي انشطر فيها جذع الرئيسيات Primates الى جملة فروع بالتتابع وهي :

(١) فرع قرود العالم الجديد
(٢) فرع قرود العالم القديم
(٣) فرع القرود العليا الصغيرة (الغبون Gibbons)
(٤) فرع القرود الانتروبودية العليا
(٥) فرع الهومينيد

ان القرود الدنيا المعروفة في الوقت الحاضر لم ترتق الى درجة القرود العليا apes ولكن جميعها ترجع الى اصل واحد كان قد انشطر في القديم الى خطين كبيرين (ا) خط القرود الدنيا و(ب) خط القرود العليا . وكذلك لم تصل القرود العليا المعروفة في الوقت الحاضر الى درجة الانسان بل كان هناك جذع انتروبودي عام انشطر الى (ا) القرود العليا الحديثة غير المتقدمة نسبة و(ب) الهومينيد المتقدمة نسبة . وقد رأينا ان اجناساً عديدة من الهومينيد نشأت قبل الانسان القديم «Homo» ولكنها لسوء الحظ لم تترك بقايا كافية لتنويرنا عن اشكالها واوصافها الحقيقية الاّ ما دلّ منها على الانسان المجرّب

* * *

ولكن الم تستمر عملية الانتقاء بعد نشوء جنس الانسان omoH ؟ اذ يظن ان انسان نياندرتال Neanderthal الذي كان انساناً حقيقيًّا يحسن استعمال النار ويدفن موتاه هو مجاز وليس بجدٍّ لنا . ان البحث لا يزال في طفولته والادلة ما زالت ناقصة ولعلّ الاستنتاج الوحيد الذي نستطيع ان نخلص اليهِ هو ان اجناساً بشرية متوحشة عاشت قبل نشوء الانسان الحالي بزمن طويل وكانت تلك الاجناس تفني حياتها في التجربة والاختبار وتعمل فيها الطبيعة انتقاءً وعلى اثر ذلك تفرعت الشجرة النسبية الى اغصان كبيرة وهذه الى اغصان اصغر فاصغر وهلمّ . ان جميع الذين يدركون حقيقة التطور يستنكرون التعبير الخاطىء بان الانسان وليد القرود

﴿ الحلقة المفقودة ﴾ لا نستطيع التصور ان الانسان الحالي نشأ فجأة في طائفة غير بشرية ولكن الذي يتفق ومعرفتنا الحاضرة هو ان نفترض ان نشوء الصفات الانسانية العليا كالعقل واللغة كان فجائيًّا ويبدو لنا في كثير من الحالات ان التطور كان بشكل وثبات كبيرة يحصل منها تقدم عظيم في خطوة واحدة

وطالما نعترف الآن بان النبوغ ذو مظهر فجائي كذلك يجوز علميًّا ان نفرض ان التحوُّلات الفجائية Mutations حصلت خلال ارتقاء الانسان في سلم التطور. على اننا في الواقع لا نفهم العوامل المؤدية الى حدوث مثل هذه التحوُّلات الفجائية بل نعلم بحدوثها وبما تنطوي عليهِ من قوة تخلدها للاجيال المقبلة

ولا بدَّ لنا من الاعتراف بان الحلقة المفقودة لا تزال مفقودة وبكلام آخر اننا لم نتوصل حتى الآن الى معرفة نوع منقرض يصح اعتباره جدًّا مشتركاً للطائفة البشرية Hominid والقرود الانثروبودية العليا. هذا من جهة، ومن جهة اخرى توجد كما رأينا كائنات منقرضة كالبيثكانثروبس التي يجب اعتبارها « هومينيدية » بالرغم من انها ليست من نوع الانسان الحديث. اذن فمن الخطإ ان يذهب البعض مع الذين لم يدركوا معنى التطور العضوي الى « ان القرد تحوَّل الى انسان »

***

نشأ من الاساس العام لفرع القرود الانثروبودية العليا فرع آخر هو «الهيومانويد» Humanoid وهي طائفه بشرية قديمة وتشعب من هذا الفرع الاخير غصنان صغيران كان الانسان « Homo » احدهما والانسان العاقل Homo sapiens ثانيهما. اذن لم يكن هناك انسان اول - كما يعتقد الكثيرون — كما لم يكن هناك حنطة اولى او حصان اول. ويظن ان نشوء الانسان من الهيومانويد كان بفعل التطور والارتقاء الطبيعي والى هذه العوامل نفسها يعزى تحوُّل بعض انواع الانسان القديم الى الانسان العاقل

﴿ عوامل ارتقاء الانسان ﴾ لعلَّ اوجه الاعتراضات على نظرية ارتقاء الانسان الداروينية هو انها اذ تدلنا على اصل الانسان البعيد تجعلنا في موقف مشوَّش لا ندري فيه كيف حصلت تلك التطورات العظيمة. وبكلام آخر لا نعلم لحد الآن شيئاً كافياً عن العوامل التي كان لها النصيب الاكبر في نشوء الانسان وتطوره المستمر حتى بلغ حالته الراهنة. وكل آرائنا في هذا الباب لا تتعدى القول بأن الانسان الحالي ينتسب الى رتبة كانت تسير الى الامام من حيث تقدم الدماغ وتعدد الكلمات وازدياد العلاقات الاجتماعية. وعند ما تفرع الهيومانويد من الانثروبويد في العصر المتوسط الحداثة حدثت وجوه ارتقاء في الدماغ عظيمة ولكننا لا نعلم لماذا لم يحصل تقدم كهذا في رتب اخرى من اللبونات كرتبة ذوات الاظلاف Ungulates وغيرها. ومهما يكن الحافز لذلك التقدم فالحقيقة واحدة وهي ان تقدم الدماغ ميز الرئيسيات Primates عن سائر الحيوانات ومما لا ريب فيه ان الانسان غالب انسباءَهُ في التقدم فغنم المعركة وغنم السيادة

***

قد يكون من الخطر بمكان ان نفترض أن اسلاف الانسان هجرت الاشجار بينما ظلَّت القرود الدنيا والقرود العليا ملازمة لها وقد نعلّق شأناً خطيراً على انتصاب الانسان وما عقبه من نمو قابلية

التكلم ، ولعلنا نجد مغزى جديراً بالاهتمام في طول المدة التي يقضيها الجنين البشري في رحم امه كما في طول مدة الطفولة التي من شأنها ان تقوي الحياة الاجتماعية وما يلازمها من عطف وحنو بين افراد البشر . ان جميع هذه العوامل تعمل في حقول صالحة فالعطف العائلي يوثق علاقات المجتمع ويسمو بها الى الحب والتعاون ، وارتقاء الدماغ يقوّي لغة الكلام ويزيد كفاءة الفرد والعناية الوالدية هي مبعث العطف والرقة والنبل والعامل في تخليدها في النسل . ان جميع المباحث الحائمة حول هذا الموضوع تؤول بنا الى الابتعاد عن تصور الانسان الابتدائي بحالة تنطوي على شيء كثير من القسوة والغباوة والدعارة وحب القتال وهناك من الادلة ما يسوّغ اعتبار ذلك الانسان القديم على جانب من المهارة والعطف والمجازفة والاقدام والابتكار

﴿ نظرية البروفسور إليوت سمث ﴾ للبروفسور إليوت سمث Prof. Elliot Smith احد علماء التشريح وزعماء فكرة التطور نظرية في نشوء الانسان يقول فيها « يمكننا ان نعتبر الانسان كنتيجة لارتقاء الدماغ في اتجاه خاص ترجع بدايته الى زمن السعادين المسماة Tree-shrews او Tarsioids فربما حدثت تحوّلات فجائية Mutations آلت الى نشوء الانسان Homo في العائلة البشرية القديمة الهيومانويد Humanoid او «الانسان العاقل» في الـ Hominids . ولكن حصل وراء هذا النشوء ارتقاء عظيم في الناحية العقلية ظهرت دلائلهُ في مقدرة الدماغ على التخيل من جهة وعلى تنظيم الاعمال البشرية المعقدة من جهة اخرى »

﴿ البصر يتغلب على الشم ﴾ نجد في تاريخ تطور الانسال الحيوانية امثلة عديدة يتجلى فيها التقدم المستمر في ناحية معينة وربما كان هو الواقع في نشوء الانسان . فقد تطور في خط من النمو يتميز بارتقائه في قوى التخيل والمهارة اليدوية واتساع حجم الدماغ في مقدمة الجبهة الذي يرجع اليه الفضل في قوة الانتباه وتنظيم الاعمال الفكرية يضاف الى ذلك نمو الحب العائلي وما يلازمه من تقدم في الكلام وما يتضمنه من استعمال الكلمات كمعدات في تجارب التفكير وسواعد في الحياة الاجتماعية

***

وقد وضع البروفسور إليوت سمث رسماً تخطيطيًّا حريًّا بالذكر في هذا المقام يتضمن هذا الرسم مقابلة ادمغة بعض السعادين مثل Tree-shrews و Tarsiers و Marmosets اظهر فيها التناقص التدريجي لمنطقة الشم والنمو التدريجي لمناطق البصر والسمع واللمس والذكاء والانتباه وما يصدق على « المرموست » وهو أقدم القرود الحية ، يصدق اكثر من ذلك على القرود العليا والانسان بوجه خاص . فالمقابلة بين اوطأ دماغ بشري معروف وأرقى دماغ لغورلّى معروف يظهر البون شاسعاً بين الاثنين

الآثار الاسلامية القديمة

بيغداد

لمصطفى جواد

١ — ماذا بقي من مدينة أبي جعفر المنصور ؟

أصبحت بغداد مثالاً لتغير المدن وتحولها وتطورها . فلقد تداولتها أيدي الطبيعة وأيدي البشر ، فعفت على آثارها وطمست حضارتها وزخرفها ، وشوهت محاسنها ، فهي ثكلى المدن وسجل المصائب ومدفن العسف والعبث ، ولذلك قلنا في رثاء الملك فيصل الاول :

ثبت العرش في مهاوي عروش قد رماها الزمان رمياً وبيلا

كانت تحرق أو تهدم قصورها ودورها وتغير عليها دجلة حيناً بعد حين فتجعل عامرها كغامرها وآهلها كموحشها ، وتتكاثف عليها الاحداث فتضع من مكانتها وتبعد الناس عنها ، وكانت يد العسف والانتقام تسطو على العمارة والحضارة ، حتى ان ابن بسام الشاعر قال نعى على أحد الوزراء ما نعى قال له :

بجنبك داران مهدومتا ن ودارك ثالثة تهدمُ

فليت السلامة للمنصفين تدومُ فكيف لمن يظلمُ ؟

فعلمنا ان داري وزيرين قد هدمتا بجانب دار هذا الوزير ويخطر ببالي انه «ابن الجراح» واليوم لا ترى عمارة من مدينة المنصور المدورة ولا أثراً ، وآخر الحوادث الخاصة بالقبة الخضراء العظيمة التي بناها المنصور بجوار جامعه انجدرانها وقعت في سنة «٦٥٣» ﻫ أي قبل سقوط الدولة العباسية بثلاث سنوات ، وكانت عالية ينظر الجالس منها من يخرج من الأنبار [١] ، وكان المنصور يجلس فيها متنزهاً ، وما زال الخلفاء يجلسون فيها للفرجة الى أيام الرشيد ثم هجرت وصارت مأوى للبوم والغربان ، وكان بعض الفقراء مجاوراً في جامع المنصور ، فقال في القبة لما رأى ما آلت اليه حالها :

يا بومة القبة الخضراء قد أنست روحي بروحك اذ يستبشع البومُ

زهدت في زخرف الدنيا فاسكنك الربع الخراب فمن يذممك مذموم [٢]

---

(١) الأنبار ذات حوادث عظيمة في تاريخ الاسلام، ولم يهتد أحد الى موضعها بعد . وجاء «في فوات الوفيات بترجمة السفاح « بنيت له الهاشمية الى جانب الأنبار وبها قبره وهي المعروفة الآن بالأنبار لان الاولى درست ١ : ٢٣٢» (٢) الحوادث الجامعة لعبد الرزاق بن الفوطي (ص ٩٤ من نسختنا الخطية)

وجهل الناس موضع مدينة المنصور فلم نجد الاَّ دليلاً واحداً يعين لنا موضعها وهو المسجد
روف بمسجد « المنطقة » وترى صورته الحاليَّة ذات الرقم « ١ » . قال صفي الدين عبد المؤمن
عبد الحق الحنبلي المتوفي سنة «٧٣٩» هـ « سونايا » : بضم أوله وبعد الواو الساكنة نون وبعد
لف ياء مثناة من تحت وألف مقصورة ، قرية قديمة كانت ببغداد ينسب اليها العنب الاسود الذي
دم ويبكر على سائر العنب . . . ولما عمرت بغداد دخلت في العمارة وصارت محلة من محالها وهي
لعتيقة » وبها مسجد لعلي بن أبي طالب يعرف بمشهد المنطقة »[1]

فهذا هو الموضع الوحيد المحافظ على اسمه من مدينة المنصور المدوّرة . وحوادثه مفصلة في
يخ الخطيب ومناقب بغداد لابن الجوزي الصغير قتيل هولاكو ، وكتب رجال الشيعة مثل «رجال
جاشي» ومسجد المنطقة اليوم في غرب بغداد وقد اتخذه الشيعة مقبرة وفيه حجرة بها اسطوانة
ماقية اللون من الرخام يزعم العوام ان الماء نبع منها لما احتاج الامام علي — عليه السلام الى الماء

٢ — منارة مسجد قريَّة

ومن الآثار الاسلامية العباسية « منارة مسجد قرية » ببغداد الغربية اليوم ، وهي التي ترى
ورتها مرقومة بـ « ٢ » فهذه المنارة متقنة البناء جميلة التنسيق ، حافظت لنا على طرز من البناء في
هد بني العباس ، قال عبد الرزاق ابن الفوطي في حوادث سنة «٦٢٦» من خلافة المستنصر بالله
: في شعبان تكامل بناء المسجد المستجد[2] بالجانب الغربي على شاطىء دجلة المقابل للرباط البسطامي
قل اليه الفرش والآلات وقناديل الذهب والفضة والشموع وغير ذلك ، وفتح في شهر رمضان
رتب فيه مصليًّا الشيخ «عبد الصمد بن أبي الجيش» وأثبت فيه ثلاثون صبيًّا يتلقنون القرآن عليه
رتب فيه معيد يحفظهم التلاقين ورتب أيضاً فيه الشيخ حسن بن الزبيدي محدثاً يقرأ عليه الحديث
نبوي في كل يوم اثنين وخميس ورتب ايضاً قارىء للحديث وجعل في المسجد خزانة للكتب حمل اليها
كتب كثيرة[3]» وبقية أخبار هذا المسجد في الحوادث الجامعة وغيرها وانما نحن نذكر الضروري

٣ — المدرسة المرجانية

يسميها الناس اليوم «جامع مرجان» ويرى في الصورة الثالثة بابها ومنارتها والقبة التي دفن تحتها
مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن » والي بغداد في أواسط القرن الثامن للهجرة ، وهذه الصورة
تمت بعد ما هدم الأزج الذي كان أمام المدرسة ، أمر بهدمه «خليل باشا» القائد العام في العراق
ارس زمن الحرب العامة لاشتقاق الشارع المعروف اليوم بشارع الرشيد وسمي اذ ذاك « خليل

(١) مراصد الاطلاع على الامكنة والبقاع (ص ٢٢٩ من طبعة ايران)
(٢) وفي الحاشية زيادة « المعروف بقمرية » وهي بخط المؤلف كما في النسخة التيمورية
(٣) الحوادث الجامعة (ص ١ من نسختنا الخطية)

١ — مسجد العتيقة المعروف بالمطفئة قديماً وحديثاً

٢ — منارة مسجد قرية

٣ — باب المدرسة المرجانية

٤ — باب خان مرجان المعروف بأورتمه
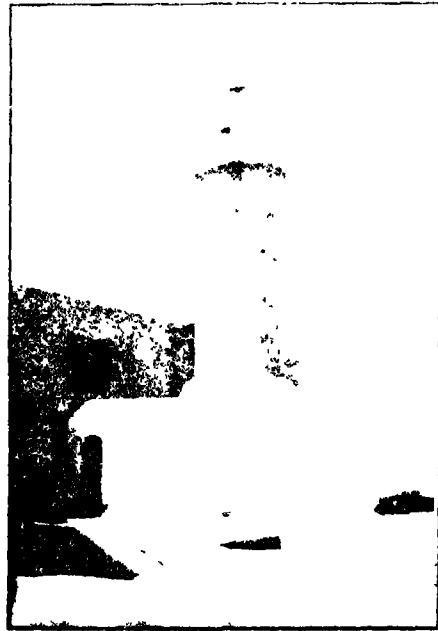
٥ — باب كلواذى احد أبواب بغداد الشرقية
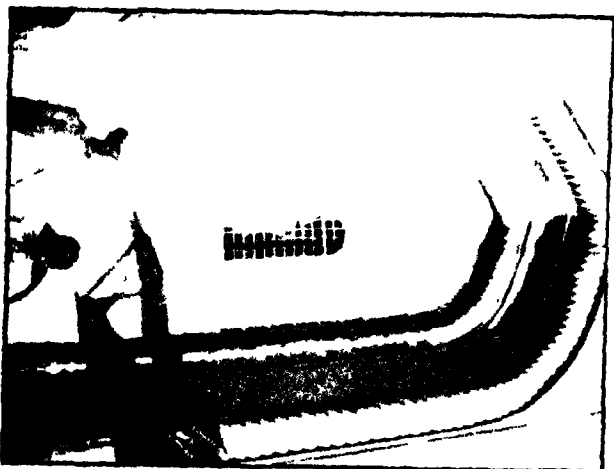
٦ — صورة ثانية لباب المدرسة المرجانية

باشا جاده سي» وقد رمم باب المدرسة المرجانية في عهد الحكومة العربية فأصبح هو والطاق — على ما ترى — في الصورة الرابعة

وفوق باب المدرسة كتابة بديعة تمثل أحسن ما وصل اليه الخط العربي من التحسين في اواسط القرن الثامن للهجرة ويظهر من هذه الكتابة ان أم السلطان الشيخ الجلايري (من المغول) أمرت ببنائها ودونكها وان عفا الزمان بعض كلماتها :

« بسم الله الرحمن الرحيم انما يخشى الله من عباده العلماء ، أنشأ هذه المدرسة المباركة والمصلّى من صدقات . . . . السعيد . . . . أنار الله برهانها في دولة ولدها النويان [١] الأعظم ال. . . السعيد شيخ حسن . . . الله وكملت في ايالة ولده النويان الاعظم ناشر العدل في العالم سلطان السلاطين غياث الدنيا والدين ومغيث الاسلام والمسلمين شيخ أويس نويان . . . الله دولتهُ بمولانا الصاحب الاعظم ملجأ وملاذ الامم مربي الملوك وعضد السلاطين وكهف الضعفاءِ المخصوص بعناية الرحمن امين الدين مرجان أسبغ الله عليــهِ نعمه الجز [يلة] إنهُ هو الكريم المنان ، ابتدأ عمارة هذا المكان في تاسع جمادى . . . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبي الرحمة وشفيع الامة ومجلّي الغمّة وعلى آله وصحبهِ الطيبين الطاهرين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين ، كتبهُ العبد الضعيف المحتاج الى رحمة الله تعالى احمد شاه النقاش المعروف بزرين قلم التبريزي غفر الله ذنوبه وستر عيوبه »

وفي وجه هذه المدرسة من الريازة العجيبة والزخرف البنائي البديع والنقش الجميل ما يبهر الناظر ويدهش الالباب ويذكر بفنون دارسة يعجز عن تقليدها بناة القرن العشرين أبداً ، وفي داخل المدرسة كتابات متعددة ولاسيما المُصلّى ، فقد رقمت على جدرانه « وقفية المدرسة المرجانية » قال عبد الله بن فتح الله البغدادي الملقب بالغياث في تاريخ السلطان اويس بن الشيخ حسن ثاني سلاطين الدولة الجلايرية بالعراق « بويع بالسلطنة ببغداد سنة ستين وسبعمائة وكان محبًّا للخير والعدل شهماً شجاعاً عادلاً خيراً وكان له من العمر عشرون سنة حين بويع وخطب له بمكة وارسل الى مكة مالاً جليلاً وقناديل ذهب وفضة للكعبة فخطب باسمه في الحرم الشريف وكان والي مكة حينئذٍ « عجلان ابن رميثة » . . . واتفق في زمان السلطان اويس عمارة عظيمة لم يتفق في دور احد السلاطين مثلها منها المدرسة المرجانية ودار الشفاء [٢] واسواق وخانات عمّرها « مرجان » آغا وكان طواشيًّا [٣] رومي الاصل يلقّب امين الدين مرجان ،وكان اذا توجه السلطان الى تبريز تولّى مرجان على بغداد... وكان مرجان رجلاً خيّراً استأنف عمارات وجدّد عمارات دائرة من قديم ثم اوقف عليها العقار

(١) النوين بفتح النون واشمامها الضم وتسكين الواو وفتح الياء و «النويان» هو السلطان والامير عند المغول
(٢) دار الشفاء كانت على ضفة دجلة الشرقية وتعرف اليوم بقهوة الشط بل كانت اوسع كثيراً
(٣) الطواشي المملوك

والضياع — كما نطقت بهِ وقفيته — ونقر ذلك على جدران العمارات وكان لهُ خيرات على الفقراء والمساكين حتى اطعم السنانير والزرازيق وحيتان الشط والطيور من اللحم والخبز والشيلم في صحن دار الشفاء وصحنها على جانب دجله »[1]

٤ — خان مرجان

وهو الذي ترى بعض بابهِ وما فوقه من الكتابة في الصورة ذات الرقم « ٥ » والخط يمثل أحسن ما وصلت اليهِ قواعد الخط في اواسط القرن الثامن للهجرة في العالم الاسلامي كافة ، وسمى الترك هذا الخان « اوروتمة » لظلامه ، وهو من العمارات المدهشة حقاً ، ودونك ما فوق بابهِ الغربي الشمالي من الكتابة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، امر بانشاء هذا النيم [2] والمنازل والدكاكين المولى المخدوم الامير الصاحب الاعظم الاعدل ملك ملوك الامراء في العالم صاحب العدل الموفور عضد السلطنة والامارة حاوي مرتبة الامارة والوزارة افتخار شُهَّد الاوان المخصوص بعناية الرحمن أمين الدين مرجان الاولاقايتي ، وقفها على المدرسة المرجانية ودار الشفاء بباب الغربة ، كذلك عقرقوف والنصف من القائمية وتل رحيم ومزرعة بالصراة وبساتين بالمخرَّمية وبساتين بقرية الفرك والزادمان وخرماباد ورباط جلولا المعروف بقزلرباط وزرين جوي ونصف دوري وبساتين بيعقوبا وبوهرز والبندنيجين وخان ودكاكين بالحلبة واربع خانات ودكاكين بالجوهريين وخان بالجانب الغربي ودكان كاغد بالحريم — كما هو محدود مشروح في الوقفية — وقفاً صحيحاً شرعيًّا تقبل الله منهُ الطاعات في الدارين وبلغهُ نهاية المراد ، وكان الفراغ منهُ سنة ستين وسبعمائة ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي العربي الصادق وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه وسلم ، كتبهُ الفقير الى رحمة ربهِ احمد شاه النقاش المعروف بزرين قلم غفر الله ذنوبه »

٥ — باب كلواذى (البصلية)

والرسم السادس لباب كلواذى من ابواب بغداد الشرقية المسوَّرة ويعرف ايضاً بباب البصلية وتظهر فيهِ مرامي السهام وصفتها انها كالكوَّة الصغيرة من داخل سور الباب وكالشباك من خارجه ليجد الرماة متسعاً لتوجيه السهام وتصويبها إلى نواحٍ كثيرة ، ولهذا الباب ذكر كثير في التاريخ ، وقد رمم واتخذتهُ الناقلة الانكليزية البروتستانية كنيسةً لها حتى هذه الايام

القاهرة مصطفى جواد

(١) التاريخ الغياثي عن نسختنا الخطية (٢) النيم هو النصف بالفارسية ، والظاهر انهم كانوا يريدون به « نصف سرداب » لقلة دركاته

، الجوزي شاعر افرنجي يرفع الرأس ما خلا اغاني هي اشبه بشعر العامة منها
ذي الاسبانيون حذو العرب في القصائد التاريخية والمواليا وعمّت رياض الادب
ى الاشتغال بالادب العربي بين اساقفة النصارى المستعربين وراحوا يقرضون
ة . وكثير من قصائد الذين كانوا يجوبون في الولايات (ترويادور وتروفير)[1]
تبس دانتي شاعر الطليان كثيراً من افكار العرب في روايته المهزلة الالهية
لاء المعري. وتأثر الادب الروائي والشعر الاسباني بالاسلوب العربي واخذوا عن
ل الثماني والاغاني الاسبانية القديمة منتحلة من دواوين شعراء العرب الى غير
ا تأثرت ايضاً بالموسيقى العربية .وما زالت الموسيقى الاسبانية في اسبانيا وجميع
ليها في سالف الدهر ولا سيما الارجنتين والبرازيل هي الموسيقى العربية بل
ة الى البيع الاسبانية وما كانت ألحانها الا عربية في القرن الثالث عشر للميلاد
س فان الرقص الاسباني الى اليوم هو بالرقص العربي اشبه وبايقاعه وتلاحينه
في كثير من ادوات الموسيقى الاسبانية فانها او اكثرها مما اقتبسوه عن العرب
الحجاز وهذه نقلتها عن فارس وعن الروم

اليوم انك اذا أنصت للغناء في شوارع قرطبة وإشبيلية وغرناطة لعهدنا توقن
طعمت في دار أندلسية تجد الطعام طعاماً مغربياً واذا شهدت من يجلسون الى
مي لهم عادات أهلية خاصة . وان جميع حياة الاندلس تذكر بالامة العربية
، والحقول تسقى من ترع وقني عربية وان الموسيقى عربية ، وهناك صناعات
قوافل من الحمير والآن تجتاز الازقة على ما نحو ما هي في البلاد العربية واذا
تلفظ اهل تلك المدن الاندلسية يتكلمون بالاسبانية تحسبهم يتكلمون بالعربية
سنتهم وشوارعهم واحياؤهم وأقنية بيوتهم فهي عربية صرفة على مثال ما هو
تونس

***

، تأثير العرب في الغرب كان عظيماً واليهم يرجع الفضل في حضارة اوربا ولم يكن
ما كان في الشرق ولكنه كان يختلف عنه . أثروا في بلاد المشرق بالدين واللغة
م يؤثروا في الدين وكان تأثيرهم في الفنون واللغة ضعيفاً وعظم تأثيرهم بتعاليمهم
اخلاق . ولا يتأتى للمرء معرفة التأثير الذي أثره العرب في الغرب الا اذا مثّل

القضاء في السودان

لخليل الخوري
القاضي بمحاكم السودان سابقاً

القضاء المدني

القضاء السوداني يختلف في شقيه المدني والجنائي اختلافاً جوهرياً عن القضاء المصري او غيره في الاقطار العربية المجاورة ولقد رأيت ان اورد لمعة عن القضاء المدني السوداني في هذه المقالة اذكر فيها ما كان مختلفاً عما هو مألوف في مصر وغيرها

يمتاز القضاء المدني السوداني عن القضاء المدني في غير السودان في مسائل شتى منها : —

اولاً — وحدة المحاكم — المحاكم المدنية مختصة بالنظر والحكم في جميع المسائل المدنية فيتناول اختصاصها الاحوال الشخصية على الاطلاق عند غير المسلمين والمسائل المدنية والتجارية وغيرها وسبب هذه الوحدة هو عدم وجود الامتيازات الملية والقنصلية او المختلطة او غيرها من الامتيازات التي احدثت في مصر وغيرها بلبلة في القضاء وادّت الى تنازع الاختصاص الذي ضجَّ منهُ الناس . . والمسلمون وحدهم لهم محاكمهم الشرعية للنظر والحكم في احوالهم الشخصية . فالمحاكم السودانية الاعتيادية لها سلطة على جميع الاشخاص وعلى جميع المسائل الاّ ما تعلق منها باحوال المسلمين الشخصية

ثانياً — القانون المدني الذي يطبق في المحاكم — ليس في السودان قانون موضوع في المسائل المدنية كالبيع والاجارة والاعارة والوديعة وامثالها من الموضوعات المدنية المعروفة ولكن الحكومة وضعت بعض قوانين للشركات والافلاس والكمبيالات والرهن العقاري وموضوعات اخرى وهذه يجب على المحاكم تطبيقها اما المسائل التي ليس لها قانون خاص فالمحاكم تعمل فيها بحسب مقتضى العدل والانصاف والضمير

ثالثاً — تشكيل المحاكم واختصاصها — في السودان قسمان من المحاكم : الاول المحكمة العليا والثاني محاكم المديريات

اما المحكمة العليا فمؤلفة من رئيس القضـاء ومن قضاة آخرين . ومركز المحكمة العليا في الخرطوم لها اختصاص ابتدائي واستئنافي — فتشكل المحكمة الابتدائية العليا من قاضٍ واحد من قضاة محكمة العليا يجلس منفرداً للنظر والحكم في جميع المسائل التي ترفع اليه كائنة قيمتها ما كانت — اذا قلنا المحكمة العليا فلا يتبادر الى الذهن ان هنالك محكمة مؤلفة من عدد من هؤلاءِ القضاة للنظر في القضايا مشتركين بل المحكمة العليا كناية عن قاضٍ واحد يرأس المحكمة وينظر في جميع المسائل وحده اذا وجد اكثر من واحد من هؤلاءِ القضاة فيناط بكل منهم قضايا خاصة او اعمال تشريعية . فقد حدث في وقت من الاوقات ان كان في الخرطوم خمسة قضاة في المحكمة العليا — رئيس القضاء وعمله الاساسي الاشراف على المحاكم في السودان والنظر في استئنافات خاصة وحده والقيام باعمال محكمة نقض وابرام في المسائل الجنائية وحده ورآسة محكمة الاستئناف العليا المدنية — وقاضي محكمة الخرطوم العليا المنوط به النظر في القضايا الابتدائية المختلفة في مديرية الخرطوم كلها والنظر في تظلمات خاصة من احكام القضاة الجزئيين والانضمام في بعض الاحوال كعضو في محكمة الاستئناف العليا للنظر في الاستئنافات التي ترفع في احكام قضاة المحكمة العليا واحكام قضاة المديريات . وقاضي الافلاسات والتنفيذات المنوط بهِ اعمال الافلاس وتنفيذ الاحكام . وقاضي التشريع المنوط بهِ وضع القوانين واللوائح والمنشورات بالاتفاق مع السكرتير القضائي وسائر رجال القضاء لعرضها على مجلس الحاكم العام . ومسجل الاراضي العام الذي هو في الواقع مدير اعمال التسجيل في السودان وليس لهُ عمل قضائي وانما هو قاضٍ من قضاة المحاكم العليا . وجميع هؤلاءِ القضاة كلهم منهم مَن لهُ عمله الاساسي الذي يستغرق اوقاته وعلاوة على ذلك قد ينتدب لعمل قضائي آخر . وفوق هؤلاءِ السكرتير القضائي الذي يشغل منصب وزير الحقانية وهو قاضٍ ايضاً وفي بعض الاحايين يرأس محكمة الاستئناف العليا. وليس هنالك اذن محكمة استئناف دائمة او ثابتة كما هي الحال في مصر او غيرها ولكن رئيس القضاء هو الذي يشكل عند الاقتضاء محكمة الاستئناف من ثلاثة قضاة فيرأس المحكمة هو او يرأسها اقدم قاضٍ بعده على رأي رئيس القضاء وفي بعض الاحوال اذا لم يكن ثمة عدد كافٍ من قضاة المحكمة العليا لتشكيل محكمة الاستئناف العليا فقد ينضم السكرتير القضائي الى المحكمة ويرأسها في هذه الحالة

***

اما محاكم المديريات فتكون في المديريات التي لم تنشأ فيها محكمة عليا اي لم يعين فيها قاضٍ من قضاة المحكمة العليا وتتنوَّع محكمة المديرية الى محكمة قاضي المديرية ومحكمة قاضٍ جزئي من الدرجة الاولى ومحكمة قاضٍ جزئي من الدرجة الثانية ومحكمة قاضٍ جزئي من الدرجة الثالثة— وهؤلاءِ القضاة يحكم كل منهم منفرداً في القضايا المدنية واختصاص محاكمهم يختلف باختلاف درجاتهم فيحكم قاضي المديرية والقاضي الجزئي من الدرجة الاولى في جميع المسائل بلا قيد ولا شرط من جهة القيمة ويحكم القاضي الجزئي من الدرجة الثانية في القضايا التي لا تزيد قيمة الواحدة منها عن الخمسين جنيهاً

مصريًّا ويحكم القاضي الجزئي من الدرجة الثالثة في القضايا التي لا تزيد الواحدة منها عن الخمسة جنيهات مصرية — ولا يصح استئناف الاحكام الاّ ما زاد قيمتها عن الخمسين جنيهاً مصريًّا . اما سائر القضايا التي تنقص قيمتها عن الخمسين جنيهاً فيجوز التظلم من احكامها لا على سبيل الاستئناف بل على سبيل طلب مراجعة الاحكام . وهذه التظلمات ان كانت من احكام القضاة الجزئيين ترفع الى قاضي المديرية وان كانت من احكام قاضي المديرية او من احكام قاضي المحكمة العليا ترفع الى محكمة الاستئناف العليا وفي الواقع ان قُبِل الطلب فلقاضي الاستئناف ان ينظر فيه كأنهُ استئناف وله ان يسمع شهوداً وغير ذلك والفرق بين المراجعة والاستئناف انه في حالة طلب المراجعة يجوز لقاضي الاستئناف ان يرفض الطلب بعد استحضار الاوراق وقراءتها رفضاً ايجازيًّا

***

مما تقدَّم يظهر ان القضاء المدني في السودان مبني على نظام الحاكم المنفرد فلا يجلس اكثر من قاضٍ واحد الاّ في محكمة الاستئناف العليا ونظام القاضي المنفرد برغم ما عزوا اليه من المساوىء فاني اعتقد انه افضل من نظام القضاء المتعدّد فهو يوجد في نفس القاضي روح المسؤولية والاجتهاد وهو اضمن لتحقيق العدل والانصاف وانجاز الاعمال ولم نرَ فيه في الواقع شيئاً من العيوب التي يجسمها خصومه وقد جرب في عهد الحكم الفيصلي في سوريا ثم نبذ بعد ذلك لا لسبب سوى الرغبة في اكثار الوظائف والتمكن من تعيين الانصار والمحاسيب

رابعاً — في رفع الدعوى — توخّى الشارع السوداني في رفع الدعوى واستماعها والحكم فيها البساطة المتناهية والسرعة في الاجراءات -- تبدأ الدعوى بتقديم المدعي عريضة الى المحكمة المختصة وفي السودان لا يصعب على الخصم ان يعرف المحكمة المختصة لان تنازع الاختصاص بالشكل المعروف في مصر وغيرها غير مألوف في السودان واهم ما يجب معرفته من أجل ذلك اختصاص المحاكم بالنسبة الى قيمة القضية وبالنسبة الى المقر. اما الاختصاص بالنسبة الى نوع القضايا فليس له شأن في السودان واذا قدمت العريضة الى المحكمة نظر القاضي فيها في نفس اليوم الذي تقدم فيه فان رأى فيها نقصاً صححهُ في نفس الوقت واذا وجد وجهاً لرفع الدعوى قبلها وان رأى أن ليس هناك سبب يجيز رفعها او انه غير مختص بنظرها رفضها وافهم صاحبها في الحالة الثانية بوجوب تقديمها في محكمة اخرى وكل ذلك قبل ان يدفع صاحب العريضة الرسم ومتى قبل القاضي الدعوى عين لها جلسة واعلن الخصم المدَّعى عليه للحضور في اليوم المعين وفي اليوم المعين تنظر الدعوى بحسب الاصول

والاختلاف العظيم بين القضاء السوداني وغيره في رفع الدعوى واعلان الخصوم والشهود وغير ذلك هو ان القاضي في السودان هو الذي يحرّك الدعوى وهو الذي يعلن الخصوم والشهود وفي الغالب تنتهي مهمة المدعي بتقديم عريضتهِ الى المحكمة ودفع الرسوم المقرَّرة وهي التي تباشر بعد

الخصوم في أيدي الخصوم
سير في جميع الاجراءات بناءً على طلب المدعي . اما في غير السودان فالدعوى في أيدي الخصوم
حركوها بقيت نائمة الى ما شاء الله
امساً — تنفيذ الاحكام — الطرق التي ينفذ بها حكم بدفع مبلغ من النقود خمس : — الاولى
منقولات المحكوم عليه ومبيعها . الثانية حجز ما للمدين لدى الغير . الثالثة بيع عقارات المدين .
: القبض على المدين وحبسه . الخامسة الجمع بين طريقين او اكثر مما ذكر . فاذا طلب المحكوم له
حكمة تنفيذ الحكم أمرت بحجز منقولات المحكوم عليه ثم بيعها فاذا ادعى احد ملكية
ولات المحجوزة نظر القاضي الذي أجرى الحجز في تلك الدعوى بوجه السرعة اما في اثناء التنفيذ
ومعه واما في دعوى منفردة يرفعها المستردّ وفي كلتا الحالتين ينظر في دعوى الاسترداد بصورة
ية مستعجلة — اما التنفيذ بحجز ما للمدين لدى الغير فيكون باعلان مدين المدين وتكليفه
ما عليه بما يفي المبلغ المحكوم بهِ . اما التنفيذ ببيع العقارات فيلتجأ اليه اذا اخفقت الطريقتان
كورتان واجراءاتهُ سهلة في السودان وها هي : (١) يأمر القاضي المحكومَ له بأن يستحصل
ادة من مكتب تسجيل الاراضي تثبت ملكية المدين للعقار المراد بيعه وهذه الشهادة لايستغرق
صول عليها في السودان اكثر من بضع دقائق لانه أُنشيءَ في السودان مكتب تسجيل واحد
لمسجل يسجل العقارات لا الاشخاص والنظام المعمول بهِ في السودان هو نظام طورنز فاذا اردت
رفة من يملك العقار الفلاني فما عليك الاَّ ان تتوجه الى مكتب التسجيل وتدفع رسماً بسيطاً قدره
ستة قروش لاستصدار شهادة عن العقار المطلوب ومتى اقنعت المسجل ان لك شأناً بتلك الشهادة
كأنك تريد شراء العقار او ان لك حكماً على صاحبه او لاي سبب آخر معقول ودفعت ذلك الرسم
ليسير أعطاك مكتبه الشهادة ولا يستغرق استصدارها اكثر من بضع دقائق ولا تتكلف اكثر
من زيارة واحدة لمكتب التسجيل . والشهادة التي تأخذها تشمل تاريخ العقار وما جرى له منذ
المسح والتسوية حتى ساعة اعطاء الشهادة — فمن تقرير ملكيته في اول الامر لزيد ثم رهنه لعمرو
ثم فكّ الرهن ثم بيعه لبكر ثم رهنه لخالد ثم فك الرهن ثم رهنه لآخر ثم فك الرهن الاخير وصفاء
الملك في آخر الامر لخالد—وهكذا فان الشهادة التي تعطى شهادة صحيحة ووافية وكافية وعلى ضوئها
يمكنك ان تسير . واتقان اعمال التسجيل في السودان يسهل على المحاكم اعمالها ومتى حصل
المحكوم له على تلك الشهادة توجه بها الى القاضي وأول ما يعمله القاضي ان يصدر انذاراً الى
المدين صاحب العقار ينهاه به عن التصرف في العقار المراد بيعه ويعلق نسخاً من الانذار في الاماكن
اللازمة تدلّ الناس على ان العقار محجوز وكذلك يخبرَ مسجل الاراضي بأن لايسجل ايّ عقود خاصة
بذلك العقار . ثم يصدر اعلاناً آخر يذكر فيه اوصاف العقار ويحدد يوماً لبيعه فاذا جاء يوم البيع
وبيع العقار تمَّت اجراءات البيع والنقل بحسب الاصول المعروفة . اما الطريقة الرابعة للتنفيذ فهي
...وهذه تقع فيما لو اخفقت جميع الطرق الاخرى بأن لم يوجد عند

لدين مال منقول او عقار او دين في ذمة الغير واذا كان المدين صاحب عمل يأخذ عليه مرتباً شهرياً
صاحب حرفة ففي مثل هذه الاحوال تأمره المحكمة بأن يدفع المبلغ المحكوم به بأقساط شهرية على
سب استطاعته فاذا ماطل في الدفع وظهرت للمحكمة سوء نيته جاز لها ان تأمر بحبسه لتحصيل
ديون في الاحوال التي لا يمكن تحصيلها بها بأية طريقة اخرى غير الحبس . وكثير من الاحكام
تي تصدر على اشخاص ليس لهم اموال ظاهرة يمكن حجزها وبيعها تنفذ في السودان بطريقة الزام
لمحكوم عليه بدفع دينه بالاقساط — ومع ان القانون السوداني يجيز حجز رواتب الموظفين
ير الحكوميين كموظفي الشركات والبنوك وغيرها من الدوائر والاعمال فيندر ان تلجأ المحاكم
ى حجز المرتبات لما يحدثه ذلك من الارتباك والازعاج لرؤساء المحكوم عليهم بل تسير في الاكثر
لى تكليف المحكوم عليه دفع مبلغ كل شهر . ولكن خوف المحكوم عليه الحبس فيما لو ماطل
ي دفع الاقساط المحكوم بها يحمله على المسارعة الى الدفع من تلقاء نفسه فكأنه هو الذي يحجز
ن مرتبه جانباً معيناً ويدفعه — اما امر الحبس فيصدر عند ثبوت المماحكة وسوء النية بناء على
لب المحكوم له ولا ينفذ اذا دفع المحكوم عليه المبلغ واذا حبس ودفع بعد الحبس أفرج عنه .
ثمة حالة واحدة يجوز فيها حجز رواتب مستخدمي الحكومة وموظفيها وهي لا تعرف في مصر
وذلك اذا حكم على المستخدم بالافلاس — وفي السودان يجوز اشهار افلاس اي انسان — جاز
لمحكمة ان تحجز لدى المصلحة التابع لها المستخدم المذكور جزءاً من راتبه وتوزعه على الدائنين

***

ومما تقدم تختلف اجراءات التنفيذ في السودان عنها في مصر وغيرها بأن الحبس من طرق
التنفيذ المقررة في القانون المدني السوداني وهنالك اختلاف آخر في نظام التسجيل يجعل طريق
التنفيذ بواسطة حجز العقار وبيعه سهلاً جداً وفي مصر وغيرها لا يلتجيء المحكوم له الى التنفيذ
على العقار الا في النادر لصعوبة التنفيذ وتعقيد معاملات العقارات والتسجيلات العقارية . ولا اعلم
متى تستطيع الحكومة المصرية ان تنفذ في بلادها نظام طورنز القيم بحذافيره وتوحد مكاتب
التسجيل بانشاء مصلحة خاصة لتسجيل الاراضي بعد مراجعة اعمال المسح والتسوية وتوليها اعمال
التسجيل كلها واستيداع السجلات واخراج ذلك من المحاكم المختلطة ومن المحاكم الشرعية ومن
غيرها . فاذا اغتفرت فوضى التسجيل في غير مصر فلا تغتفر في مصر وهي ممتعة بحكومة مستقرة
منذ اكثر من مائة سنة . ولقد يظن البعض ان حكومة السودان لم تتكبد مشقة كبيرة في سبيل
تطبيق نظام طورنز لانها دخلت دخولاً جديداً في بلاد جديدة والحقيقة هي غير هذه وسل عنها
الضباط المصريين الذين شاركوا الانكليز في اعمال المسح والتسوية والتحديد والتسجيل الشاقة
ينبئوك ان النظام السهل القائم الآن في السودان لا يمكن اجراؤه الا بعد عمل شاق متواصل

يستغرق لا اقل من خمس عشرة سنة ولا اظن ان شيئاً من هذه المشاق قد حاولت الحكومة المصرية تكبده في سبيل تعديل نظام التسجيل في مصر ولو عمدت الى العمل لما وجدت ذلك متعذراً عليها — فقد عمدت حكومة السودان منذ بدء الفتح الثاني الى مباشرة ذلك العمل العظيم عمل تثبت ملكية العقار وكان الضباط المصريون على طول الخط يجاهدون ايما جهاد ويعود اليهم الفضل الكبير في ذلك العمل العظيم والذين تحضرني اسماؤهم من هؤلاء الضباط هم اللواء ابراهيم خيري باشا والامير الاي محمد بك عزت والامير الاي مصطفى فهمي بك هلوده والقائم مقام صابر بك طنطاوي والقائم مقام ابراهيم بك زكي وهبي والبكباشي احمد افندي حمدي واليوزباشي احمد افندي حموده والبكباشي ابراهيم افندي صادق واليوزباشي محمد افندي النقيطي واليوزباشي محمد افندي مرسي وكثيرون غير من تقدم ممن لا اذكرهم الآن

***

ومن المسائل التي يختلف فيها القضاء المدني السوداني عن القضاء في مصر وغيرها — مسألة توكيل المحامين ففي السودان يعفى المحامي من ابراز توكيل من موكله بل يقبل قوله انه وكيل عن فلان ولا يطالب بتقديم توكيل منه وهذا النظام يسهل عمل المحامي — ومن ذلك انه يجوز للمحكمة لاي سبب تراه كافياً وقت اصدار الحكم ان تأمر في نفس الحكم بتأجيل دفع المبلغ المحكوم بهِ او بدفعه بأقساط بفائدة او بدون فائدة على حسب ما ترى ولها ان تفعل ذلك بعد صدور الحكم ولكن برضاء المحكوم له وفي كلتا الحالتين اذا حصل تأخير من قبل المحكوم عليهِ في دفع الاقساط كان للمحكوم له ان يطلب تنفيذ الحكم بالمبلغ الباقي كله

ومن المسائل المهمة التي يختلف فيها القضاء السوداني مسألة غلق الرهن وغلق الرهن معناه نقل ملكية العين المرهونة من المدين المالك الى المدين بدينه وهذا الغلق يحصل اذا عرض العقار المرهون للبيع ولم يمكن بيعه بما يوازي المبلغ المحكوم بهِ ومصاريفهِ بل عرض ما دون ذلك ففي هذه الحالة تقرر المحكمة غلق الرهن اي تقرر تملك الدائن للعقار بالدين الذي له فلو كان له الف جنيه والعقار لم يمكن بيعه بغير اربعمائة اخذه الدائن — بالالف جنيه وليس له ان يطالب المدين بشيء آخر فيما بعد — وفي اللغة غلِقَ الرهن غلقاً في يد صاحبه على وزن سمع بفتح الغين وكسر اللام بقي ملكاً للدائن المرتهن عند عدم مقدرة المدين الراهن على الوفاء عند حلول الاجل وهذا نظام موفق في القضاء السوداني ويا حبذا لو امكن الاخذ بهِ في غير السودان

ومنها امتزاج السلطة القضائية بالسلطة التنفيذية — خذ مثلاً السكرتير القضائي فهو قاضٍ من قضاة المحكمة العليا وله ان يباشر سلطات القاضي المذكور وله ان يرأس محكمة الاستئناف العا[مة و]كذا ... المديريات ووكلاء المديريات ومفتشو المديريات ومساعدو مفتشي المديريات ومأمو

المراكز فهؤلاء جميعهم لهم سلطات قضائية فالمدير او نائب المدير قاضي مديرية ووكيل المديرية والمفتش قاض من الدرجة الاولى ومساعد المفتش قاضٍ من الدرجة الثانية والمأمور قاضٍ من الدرجة الثالثة وهؤلاء لا يباشرون سلطاتهم القضائية الا في الجهات التي لم يعين فيها قضاة من قبل المصلحة القضائية — وهذا الامتزاج او الاختلاط ليس فيهِ ضرر من الاضرار التي يقولون عنها في جمع السلطات الثلاث . وفي السودان هذا الامتزاج نافع في الواقع فتدخل السكرتير القضائي وتدخل الجهات الادارية في الاعمال القضائية لا غبار عليه وهو تدخل موفق في حكومة مثل حكومة السودان مبنية على التضامن والتعاون . ومنها نظام محاكم المشايخ والمحاكم القروية ومحاكم المدن وهذه كلها أشبه بمحاكم الاخطاط التي انشئت في مصر في سنة ١٩١٢ ثم الغيت بعد ان جربت في مصر تجربة دامت بضع سنين . اما في السودان فالمحاكم المذكورة هي محاكم انشئت منذ سنة ١٩٢٨ على سبيل التجربة ومنتقدوها اكثر من محبذيها وسيظهر الاختبار بعد بضع سنين صواب هذا النظام او خطأه . ومنها انهُ يجوز للمحكمة في اية درجة من درجات القضية التي قيمتها عشرة جنيهات مصرية او اكثر ان تأمر بالقبض على المدعى عليه واحضاره امامها لتقديم ضمان لحضوره في الجلسة او لاثبات عدم ضرورة ذلك في اي الاحوال الآتية : اذا كان قد اختبأ او كان قد غادر دائرة اختصاص المحكمة او اذا ظهر انه يحاول ما تقدم او اذا كان تصرف بماله او ببعض ماله او اخرجه من دائرة اختصاص المحكمة او اذا ظهر انهُ ينوي مغادرة السودان في ظروف تحول بالمدعي دون تنفيذ الحكم الذي قد يصدر ضد المدعى عليه — هذا نص احتياطي يراد بهِ حفظ حقوق المدعي وصيانتها من احتيال المدعى عليه وتهربه من تنفيذ الحكم . ومنها ما هو متعلق بالاثبات والادلة — يجوز في السودان اثبات الدين او الحق بالبينة اي بشهادة الشهود مهما كان المبلغ كبيراً بخلاف الحال في مصر وسوريا وسائر الاقطار المجاورة حيث يقصرون قبول شهادة الشهود على اثبات الدين او الحق الذي لا يتجاوز مبلغاً معيناً او عشرة جنيهات مصرية على وجه التقريب . ونظام السودان هذا اقرب الى العدل والعقل لانهُ توجد احوال كثيرة تحول دون الاحتياط بالادلة الكتابية ولا اعلم لماذا وضع بعض المتشرعين مثل هذا النص وهم يعلمون ما فيهِ من العيب وفوق ذلك فالقاضي غير مرتبط بشهادة الشهود الا اذا اقتنع بصدقها ومطابقتها للواقع ولعل سبب هذا النص مسبب عن ضعف الايمان في القضاة اكثر مما هو مسبب عن ضعف الايمان في اقوال الشهود

***

وعلى العموم يمتاز القضاء المدني السوداني عن غيره ببساطة اجراءاتهِ وجلائها والاعتماد هناك على القضاة اكثر منهُ على القوانين وكلما تعقدت القوانين وتشعبت كان تطبيقها اصعب ودلَّ ذلك على نية تكبيل القضاة وقلة الثقة فيهم والعكس بالعكس

وسأذكر بعض الشيء في المقال الآتي عن القضاء الجنائي في السودان

نهضة التعليم في العراق

لامين سعيد

لعلّ اعظم ما في العراق هذه النهضة التعليمية العظيمة وهذا الاقبال الزائد على طلب العلم الارتشاف من مناهله العذبة

ولقد كان مؤسس دولة العراق عليهِ الرحمة والرضوان يعمل على تعميم التعليم ونشره بمختلف لوسائل والاساليب ويعنى بوجه خاص بتعليم البنت وكان تعليمها غير معروف تقريباً في العراق ابان العهد القديم لاعتقاده بانهُ لا يمكن انشاء اسرة عربية بالمعنى الاجتماعي المفهوم من هذه الكلمة الاّ على يد المرأة المتعلمة . فالمرأة الجاهلة الخاملة نكبة على نفسها وعلى اهلها وعلى اسرتها وعلى امتها . وكذلك كان يعنى بتحضير العشائر — ويؤلف ابناؤها ٥٥ في المئة من مجموع سكان العراق — ويعمل على نشر التعليم بينهم وتعويدهم الحياة المدنية واذاقتهم طعمها العذب لاعتقاده ايضاً انهُ لا يمكن اصلاح وطن يعيش نصف سكانه عيشة البداوة ويسيرون على سننها وتقاليدها

ولقد سمعت كثيراً عن الاساليب التي كان يلجأ اليها في نشر تعليم البنات بوجه خاص . ومما رووه لي ان سكان الكاظمية (وهي قرب بغداد وتعد من ضواحيها وبينهما ترامواي يسير على الخيل والمسافة ٧ كيلو مترات) ابوا ان يرسلوا بناتهم الى مدرسة البنات التي انشأتها الحكومة في اوائل هذا العهد بامر الملك فلم يدخلها في سنتها الاولى سوى تلميذتين او ثلاث ، وظلّ الامر على ذلك تقريباً في السنة التالية فاقترحت وزارة المعارف اغلاقها لعدم الاقبال عليها فقال انهُ لا يغلقها ولو ظلت المدرسة وحيدة في المدرسة ثم لجأ الى اساليبه الخاصة في حض الناس على التعليم فكان يخاطب الشيوخ والرؤساء والوجهاء الذين يزورونهُ داعياً اياهم الى ارسال بناتهم الى المدرسة ومظهراً فوائد التعليم ولا يدعهم الاّ بعد ما ينال منهم وعداً باجابة طلبهِ ، على ان مهمتهُ ما كانت تنتهي عند هذا الحد بل كان يرقب تأثير سعيهِ عند الذين خاطبهم ومتى اتصل بهِ ان احدهم ارسل بناته الى المدرسة استدعاهُ اليهِ في الغداء وقرّبهُ منهُ وقضى لهُ مصالحهُ ويسّر لهُ اموره ، فيسمع ذلك جيرانهُ فيقتدون بصاحبهم . وقد كانت هذه الطريقة من جملة الاساليب التي ادّت الى رواج تعليم البنات

ره في انحاء العراق وحسبي ان اقول بان في مدرسة الكاظمية وحدها اليوم نحو ٢٥٠ تلميذة
، القراءة والكتابة وقد انشأت الحكومة داراً نخمة لها بعد ما اعتزمت الغاءها في السابق كما علمت
خطا تعليم البنات في هذه السنوات خطوات واسعة وانتشر انتشاراً يذكر فاقيمت المدارس
مد فاقبل عليها الناس اقبالاً يذكر فارتفعت ارقام التلميذات وزاد عدد المدارس كما ينطق بذلك
ماء الآتي :
ان عدد مدارس البنات في العراق سنة ١٩٢١ المدرسية اي حين انشاء الدولة الجديدة ٢٧ مدرسة
ية تضم ٣٠٤٩ تلميذة فارتفع في سنة ١٩٣٢ — ١٩٣٣ المدرسية الى ٧٤ مدرسة ابتدائية
١٠٦٨٧ تلميذة وتدرّس فيها ٣٧٨ مدرّسة
هنالك ايضاً ٥ مدارس متوسطة ذات ثلاث صفوف لتعليم البنات : ٢ في بغداد وواحدة في
ل ومثلها في كل من العمارة والحلة وبعقوبة والبصرة . وقد انشئت مدرسة ثانوية للبنات في بغداد
السنة الجديدة وبلغ عدد الطالبات في هذه المدارس خلال السنة الماضية ٤٤٠ طالبة وفي بغداد
دار معلمات لتخريج مدرسات عدد طالباتها ٣٠
وانشأت حديثاً دار معلمات ريفية في الديوانية لتخريج مدرّسات لمدارس البنات في الارياف
ت في هذه السنة ايضاً مدرسة « الفنون البيتية » لتعليم البنات الشؤون المنزلية من تربية
ال والعناية بهم والتمريض والخياطة والطبخ والكي ، ويشترط في اللواتي يقبلنَ فيها ان يكنَّ
لنَ الشهادة الابتدائية . ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات ويبلغ عدد تلامذتها ١٥٠ تلميذة في
، الحاضر . ولا بدَّ لنا من الاشارة الى بعثات البنات فقد سارت وزارة المعارف على خطة ارسال
ات اللواتي يتخرجنَ من المدارس المتوسطة الى مدارس بيروت العالية للبنات لاكمال تحصيلهنَّ .
جاء في احصاء رسمي انعددهنَّ بلغ في سنة ١٩٣٣ الماضية ١٨ طالبة يتعلمنَ على نفقة الحكومة

***

ولقد سارت الحكومة في ترقية التعليم وتنظيمه على الأسس التي سارت عليها في العناية بالصحة
انشأت وزارة الداخلية لجنة من الاطباء الاخصائيين لوضع تقرير مفصل في الخطط التي يجب
. عليها لمكافحة الامراض ورفع المستوى الصحي فقد جاءت من الولايات المتحدة بعثة من كبار
، التعليم لدرس حالة المعارف ونظم التعليم والاشارة بما يجب عمله للاسترشاد بآرائها واختباراتها
زار هؤلاء العراق شتاء سنة ١٩٣٢ ووضعوا تقريراً مفصلاً مطولاً طبعتهُ الحكومة العراقية
عدة مترجماً وعدد صفحاته ١٧٦ بالقطع المتوسط . وتتألف هذه البعثة من الدكتور بول منرو
المعهد الأممي في كلية المعلمين (جامعة كولومبيا) في نيويورك والدكتور وليام تشاندلر
كتور ادكار واليس نايت والاخيران من أعضاء المعهد الاممي بدار المعلمين ايضاً وانضم اليهم في
اد الدكتور محمد فاضل الجمالي (المرشد العام لوزارة المعارف العراقية اليوم خبيراً) فقضت شهرين

أيام باحثة دارسة . واليك ما قالته في صدد تعليم البنات : « لم تعجب اللجنة بشيء من امور
، العراق اعجابها بالاهتمام الحقيقي الظاهر في كل مكان بتعليم البنات والنساء ، ومع قلة عدد
س فاستحسان الجمهور لها واضح بدليل كثرة اقبال الطالبات عليها وحسن دراستهن في الصفوف
رة وتبرع الجمهور لها . وهنالك ظاهرة اخرى تبعث على الارتياح الكبير وهي اهتمام الطالبات
ن بما تهيؤه لهن المدرسة من فرص للقيام بأعمال مفيدة اجتماعية وقد ظهر للجنة من محادثتها
من طالبات الصفوف المتقدمة في المدارس التي زارتها ان التلميذات مولعات بأن يتدربن في
قبل ويخدمن كمعلمات او طبيبات او ممرضات واختصاصيات حتى ان بعضهن طلبن ان يكن
يات وموظفات في المصالح العامة الخ »

وهنالك المدارس الطائفية الخاصة بالنصارى واليهود وتساعدها الحكومة وعددها ٤٧ مدرسة
: تلاميذها ١٢٣١٢ الفاً منهم ١٢٢ تلميذة في المدرسة الاميركية للبنات في بغداد و ٩٦٦ في
ارس البنات للكرمليين و ١٥٧٦ في مدرسة يورا خضوري بنات . ومدرسة البنات الاسرائيليات
البصرة وفيها ٢٩٨ ومدرسة القديس عبد الاحد في الموصل وفيها ١٧٦ تلميذاً

***

وتقدم التعليم الابتدائي تقدماً عظيماً في خلال هذه المدة فبعد ما كان عدد المدارس في العراق
خلال سنة ١٩٢٠ — ١٩٢١ المدرسية ٧٤ مدرسة تضم ٦٧٤٣ تلميذاً و ٣٦٣ مدرساً ارتفع تدريجاً
حتى وصل عدد المدارس في سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٣ الى ٣٩٠ مدرسة ابتدائية تضم ٤٣٦٤٣ تلميذاً
و ١٦٠١ مدرساً وتسير وزارة المعارف على خطة جديدة ترمي الى مساواة الالوية في التعليم وفي عدد
المدارس فلا تكثر في مكان ولا تقل في مكان آخر ولا يزاد لهذا ولا ينقص لذاك وهي ترجو ان يتم
لها ذلك في سنة ١٩٤٠ فتعم المساواة وينتشر التعليم بنسبة واحدة في كل مكان . وقد انشئت حديثاً
في البدعة (شطرة المنتفك) دار معلمين ريفية لتخريج مدرسين للعشائر والقرى

***

ويعنون ايضاً بالتعليم الثانوي ويبلغ عدد المدارس المتوسطة للبنين ١٩ مدرسة وذلك عدا
المدارس المتوسطة للبنات وعددها سبع — وعدد طلاب المتوسطات ٢٧٣٤ طالباً . وعندهم
أربع مدارس ثانوية في بغداد والموصل والبصرة والنجف تضم ٢٥٣ طالباً . وتسير الحكومة
على سياسة تعميم المدارس الثانوية ليكون في عاصمة كل لواء واحدة منها ومدرسة للمعلمين في
بغداد عدد طلابها ١٦٥

ويعنى ولاة امور وزارة المعارف بالبعثات العلمية ويرون الاكتفاء بها في الوقت الحاضر ومعنى
ذلك انه لا توجد هنا فكرة ترمي الى انشاء جامعة للتعليم العالي لان الحالة لا تساعد على التوسع

ينبه حالة اوربا في الزمن الذي دخلت فيه الحضارة . واذا رجعنا الى القرنين التاسع والعاشر من الميلاد يوم كانت المدنية الاسلامية في اسبانيا زاهرة باهرة نرى المراكز العلمية الوحيدة في عامة بلاد الغرب كانت عبارة عن مجموعة ابراج يسكنها سادة نصف متوحشين يفاخرون بانهم أميون لا يقرأون ولا يكتبون وكانت الطبقة العالية المستنيرة في النصرانية عبارة عن رهبان فقراء جهلة يقضون الوقت لتكسب في اديارهم بنسخ كتب القدماء ليبتاعوا ورق البردي لنسخ كتب العبادة

قال وطال عهد الجهالة في اوربا وعمّ تأثيره بحيث لم تعد تشعر بتوحشها ولم يبد فيها بعض ميل للعلم الا في القرن الحادي عشر وبعبارة اصح في القرن الثاني عشر ولما شعرت بعض العقول المستنيرة قليلاً بالحاجة الى نفض كفن الجهل الثقيل الذي كان الناس ينوءون تحته طرقوا ابواب العرب يستهدونهم ما يحتاجون اليه لانهم وحدهم كانوا سادة العلم في ذلك العهد . ولم يدخل العلم اوربا في الحروب الصليبية كما هو الرأي الشائع بل دخل بواسطة الاندلس وصقلية وايطاليا وفي سنة ١١٣٠ أنشئت مدرسة للترجمة في طليطلة بعناية رئيس الاساقفة واخذت تنقل الى اللاتينية اشهر مؤلفات العرب وعظم نجاح هذه الترجمات وعرف الغرب عالماً جديداً ولم تفتر الحركة في هذه السبيل خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر . ولم تنقل الى اللاتينية كتب الرازي وابي القاسم وابن سينا وابن رشد وغيرهم بل نقلت اليها كتب اليونان امثال جالينوس وأبقراط وأفلاطون وأرسطو وأقليدس وأرخميدس وبطليموس وهي الكتب التي كان المسلمون نقلوها الى لسانهم

اصبحت اللغة العربية منذ النصف الثاني من القرن الثامن للميلاد لغة العلم عند الخواص في العالم المتمدن وحافظت على مرتبتها الاولى بين سائر اللغات الى آخر القرن الحادي عشر وكان يقضي على كل من يحب الاطلاع من اهل القرن الحادي عشر على آراء عصره ان يتعلم اللغة العربية ولذلك قالوا ان كثيراً من زعماء النهضة كروجر باكون وغيره كانوا يعرفون لغتنا . وكان ملوك الاندلس يفاوضون جيرانهم باللغة العربية وهؤلاء يجيبونهم بها على لسان تراجم لهم يجيدون العربية ، واكثر سفراء الافرنج عند ملوك الاندلس يقضي عليهم ان يلموا ولو الماماً خفيفاً بلغة العرب

***

وبعد ان اخذ الغرب العلم عن كتب العرب وقلدهم في مخابرهم ومعاملهم وجامعاتهم ومدارسهم وقرئت كتبهم وعلومهم في جامعات الغرب مدة ستمائة سنة ودام ذلك الى القرن الثامن عشر لا نستغرب ان تدخل في جميع اللغات الغربية الالفاظ العلمية العربية ولا سيما في الايطالية والفرنسية والاسبانية والبرتقالية وفي كل لغة من هذه اللغات اللاتينية بضعة الوف من الالفاظ العربية اخذوها مضطرين من العرب لا لان هؤلاء احتلوا بلادهم او اماكن منها بل لان العلم العربي كان وحده هو المتفوق في العالم وكان العرب دعاته ورعاته خلال بضعة قرون

ﻬم يرون وجوب التريث في انشائها ريثما تتكامل النهضة العلمية الحديثة في بلاد العرب فتقوم
. جامعة عربية كبيرة لنشر الثقافة القومية طبقاً للاساليب الحديثة ويرون ان المسألة مسألة
اكثر ولا اقل . وقد بلغ عدد اعضاء البعثات ١١٠ في الوقت الحاضر (عدا البنات) فمنهم
بامعة بيروت الاميركية و٢٣ في انكلترا و ٢٦ في مصر و ٤ في فرنسا و ٣ في تركيا و ٦ في
احد في النمسا

ب ان لايؤخذ من هذا ان الحكومة العراقية تهمل التعليم العالي ففي بغداد مدرسة للحقوق
بلاد ما تحتاج اليه من قضاة وموظفين اداريين ومحامين وأخرى للطب ومدرسة للحربية
هنالك مدرسة زراعية اغلقت سنة ١٩٣٠ لان خريجيها انصرفوا الى طلب المناصب والتهافت
لاً من الاشتغال بالاعمال الزراعية الحرة ، والمدرسة الزراعية الوحيدة في العراق اليوم هي
الحلة الريفية وهي تعلم الزراعة تعليماً عملياً لشبان الفلاحين ويشترط في طلابها ان لا يقل
، ١٨ ولا يزيد عن ٢٥ وقد انشئت في السنة الماضية وعدد طلابها ٨٠

***

ق الحكومة العراقية بسخاء على التعليم فبعد ما كانت ميزانية المعارف ضئيلة جداً لا تزيد
، الف جنيه في العهد السابق بلغت ٣٦١ الف دينار في السنة الماضية زيد عليها ٨٤ الف دينار
جديدة فبلغت ٤٤٤ الف دينار ولا يدخل في هذا الحساب ما تدفعه وزارة المالية لبناء دور
من ميزانية المشروعات الرئيسية وميزانية الاعمال العمرانية لخمس سنوات ، فقد دفعت في
ضية ٢٥ الف دينار وينتظر ان تدفع مثله لهذا العام . وزيادة في البيان نقول ان الحكومة
تنفق على التعليم بمعدل ٣٧ : ٨ في المائة من معدل دخلها والتعليم في جميع مدارس
ة مجاني

***

، العراق مدرستان صناعيتان الاولى في بغداد وعدد طلابها ١٩٢ والثانية في الموصل
فيها متوسط ومجاني وتنشيء الحكومة في العاصمة مدرستان ، للذكور والاناث على الطراز
الاولى لتخريج طبقة راقية من الموظفين والثانية لتعليم بنات الطبقة الراقية تعليماً راقياً
ن اجور التعليم فيها باهظة وربما افتتحتا في اوائل السنة الدراسية

ني الحكومة بتعليم الاميين وقد فتحت صفوفاً خاصة لهم في المتوسطات والمدارس
ية ويقدر عدد الذين يترددون على هذه الصفوف بعشرة آلاف في انحاء العراق وقد ادرك
نجاحاً وتسود وزارة المعارف العراقية روح نشاط مشهودة ويدأب رجالها ليل نهار على نشر
وتوسيع نطاقه متخذين لذلك شتى الوسائل وعاملين على رفع المستوى العلمي والاخلاقي
. وقد اثمرت جهودهم ثمرات طيبة تبشر بمستقبل زاهر وكل من سار على الدرب وصل

عودة الروح

تأليف توفيق الحكيم

٢ — نقد وتحليل بقلم محمد علي حماد

جانب الفكاهة في هذه القصة يغلب جانب الجدّ فيها ، وان كانت الرواية جدًّا خالصاً في جوهرها
ها ، فالفكاهة هنا ليست اكثر من اطار ضمنهُ المؤلف لوحاته الثمينة ، وعليك ان تنفذ من
اء هذا الرواء الخارجي الى ما هنالك من حقائق الوجود والحياة ، و «عودة الروح» ككل اعمال
فيق الحكيم لها ظاهرها الملموس الذي لا تخطئه النظرة العجلى ، والقراءة العابرة ، ولها هذا
لجانب الخفي الذي عليك ان تغوص وراءه لتصل الى حقيقته ، ولتفهمه حق الفهم ، والاَّ فقد
رفت شيئاً وغابت عنك أشياء ، او انت في الحقيقة لم تفهم شيئاً ، ولم تدرك من عمل المؤلف ما
كان عليك ان تدركه بالامعان الطويل ، والدرس الطويل . ومن هنا وقع بعض الكتّاب في نقدهم
لاعمال هذا المؤلف النابه في اخطاء مضحكة تثير كثيراً من الاشفاق والسخرية ، لانهم اكتفوا
بهذا الظاهر البرّاق الذي لا يخطئه رجل الشارع ، ولم ينفذوا الى ما ورائه ، ضنًّا بالجهد وايثاراً
للراحة والعافية ، او قصراً في الفهم وعيًّا في الادراك لحقائق الاشياء

وقد تمثل « عودة الروح » قوى الخلق والابداع في توفيق الحكيم ، وتعدد هذه القوى
واختلافها اكثر مما تمثلها أية قصة اخرى من قصصه المتعددة ، والمجال الذي يتسع للمؤلف في حوالي
خمسمائة صفحة لا يتسع له في ثلث هذا او نحو ذلك . و «عودة الروح» هي القصة الوحيدة Novel
التي كتبها توفيق الحكيم ، بينا له مسرحيات كثيرة ، وفي الفن القصصي تتسع دائرة العمل الى
اوسع الرحاب ، فمن طبيعة هذا الفن الاستطراد والتفصيل والشرح الوافي والاحاطة الكاملة ، بيد ان
المؤلف مقيد في مسرحياته بحدود ضيقة ثقيلة متعددة ، ومن طبيعة الفن المسرحي الايجاز والتركيز .
وبعد ، فان الفوارق بين الفنين من الوضوح والبداهة بحيث لا تخفى على احد ، ومن هنا كانت «عودة
الروح» من ناحية تمثيلها لتوفيق الحكيم أتم واكمل من كل مسرحياته الاخرى ، فاذا كانت في كل
مسرحية ناحية من قوى الخلق والتفكير لهذا المؤلف ، فانك تجد في هذه القصة كل هذه النواحي
والجوانب مجتمعة محشودة في صعيد واحد ، او هنا — اذا استعرنا تعبير المؤلف — الكل في واحد ! !

رأيت جانباً من هذه الصور الفكهة التي برع المؤلف في خلقها وعرضها كل البراعة في شخصياته
التي عرضنا لتحليلها ، كما لمست جانباً آخر منها في بعض الحوادث التي جاء ذكرها عرضاً في
سياق التحليل ، واليك هذه الصورة الطريفة لوالدة «محسن» التركية الاصل التي لا تنسى في اشد

الاوقات حرجاً وضيقاً ان تتحدث عن حسبها ونسبها اذ تشتبك مع والد « محسن » الفلاح في عراك مضحك . ثم هذا الوصف الصادق الساخر للدكتور حلمي والد سنية في مجلسه اليومي على باب صيدلية مجاورة لمنزله مع لفيف من امثاله أرباب المعاشات يحدثهم عن السودان . ولا ينسى هو الآخر اذ يغضب لشرفه وكرامته ان يذكر وقائع القتال التي حضرها وخاصة واقعة أم درمان . وعندك الى جانب هذا الحادثتان الطريفتان اللتان وقعتا العالمة « شخلع » في حفلتي زفاف دعيت لاحيائهما . ثم اليك المشهد الخلاَّب الذي يتتبع فيه «مصطفى» خطى «سنية» لاول مرة . فاذا به في عيادة طبيب لا يدري اي الامراض يعالج حتى يستطيع ان يستعد لمقابلته بمرض يناسب المقام . . . ويرتبك ويقع في حيرة شديدة ويتصرَّف تصرُّفاً يثير في نفسك الضحك والاشفاق معاً

والى جانب قوة الفكاهة والسخرية في المؤلف تجد ملكة التصوير والوصف قوية بارزة ، فالمؤلف يصف لك كثيراً من الشخصيات وكثيراً من الاماكن ، ويصور لك كثيراً من الحوادث والمشاهد فتلمس في كل هذا قوة الفنان المبدع ، ومن أبلغ المشاهد التي تتمثل فيها هذه القوة في اكمل صورها المشهد الذي يصف لك فيه منزل الساحر « الشيخ سمحان » الذي قصدته زنوبة ، وحال النساء الجالسات وما يخالجهنَّ من شعور ومن فكر

ونجد هذه الصورة الدقيقة لكثير من المشاهد والعادات المصرية ، في وصف المؤلف لقهوة (المعلم شحاته) يعطيك للقهوة « البلدي » وصفاً بارعاً كاملاً ؛ كما ينقل اليك في اسطر قلائل وصفاً شاملاً محيطاً (للموسكي) . وفي حديثه عن « شخلع » العالمة تتمثل لك هذه الشخصية التي كانت في وقت من الاوقات اساساً في صميم حياة المجتمع المصري ، في افراحه ولياليه الساهرات

الى جانب هذا تلمس بين سطور القصة قوة المؤلف في التحليل والغوص وراء خبايا النفس وخلجات القلب ، وابرازها ابرازاً قويًّا واضحاً على تعقدها واضطرابها ؛ وقد ذكرت لك عند ما حدثتك عن « سنية » هذا المشهد الذي تلتقي فيه نظرتها « بمصطفى » لاول مرة وقد حلَّله المؤلف تحليلاً رائعاً . ومن الآيات في هذا الباب مشهد الوداع بين « سنية » و « محسن » عندما زارها قبيل سفره الى العزبة ، وهو يكاد يبوح لها بحبه فيمنعه الحياء وقلة التجربة ، وهي تكاد تلمح هذا الحب الذي يضج به قلب الشاب فتمر به عجلى ، وان كانت قد ارتاحت اليه . كذلك نقرأ في ثنايا القصة هذا التحليل الدقيق لما انتاب « محسن » من شتى العواطف عند ما وصله خطاب « سنية » او على الاصح الخطاب الذي توهم انه منها ، وتعرض لنا هنا قضية العقل والقلب كما عرضت لنا في « اهل الكهف » . و « محسن » مهيض الجناح بين هاتين القوتين الهائلتين ، فحيناً الغلبة للعقل فمحسن يائس كل اليأس ، وحيناً الغلبة للقلب فمحسن راج كل الرجاء . ويبلغ سلطان القلب عليه حيناً مبلغاً قويًّا حتى ليغالط نفسه في الحقيقة المروعة التي صرحت له بها « زنوبة » اذ اطلعته على

الخطاب وان الذي كتبه « عرضحالجي » فعلاً ... يغالط « محسن » نفسه في هذه الحقيقة التي
يها ويحتفظ بالخطاب كأثر مقدس من « سنية » !! بل ها هو يفزع ويتقعلونه اذ يقرأ « سليم »
ولا يجد فيه هذه المعاني التي يفرضها « محسن » فرضاً على هذه الكلمات التافهة التي تضمنها
. و « سليم » لم يفعل اكثر مما فعله « محسن » نفسه في فترات كان العقل يسود فيها تفكيره . ويصل
الوهم الى ان يعتقد ان الامر جاد . وان « سنية » ارسلت له هذا الخطاب حقاً ، وانه هو الملوم
يزورها بعد عودته من السفر . وتحت تأثير هذا الوهم يذهب « محسن » فعلاً لزيارة « سنية »
وكأنما الخيال واستمراره اعاره في نظره قوة الحقيقة . . . او ان الوهم انقلب عقيدة . وأنى
ة ان يهزم العقيدة ! الا ان يهزم العقل القلب ! ؟ » وهذه هي العقيدة في اسمى مظاهرها ،
ان هذا هو الايمان المطلق لا يحده شيء ، ولا يعوقه شيء عن ان يسمو فوق مدارك العقل
التفكير . فاذا رجعنا الى ما كنا فيه من الحديث عن براعة المؤلف في تحليل نفوس ابطاله كان لزاماً
ن اشير الى هذا التحليل الدقيق الذي نرى منه كيف ان « مصطفى » الذي ظل الاسابيع الطوال
على القهوة ، عاطلاً لا هم له الا تزجية الفراغ وقتل الوقت ، « مصطفى » هذا يكاد يقتله الملل
يق لانه جلس ذات صباح زهاء ساعة ولم تفتح نافذة منزل « سنية » ويراها !! ويئس من
ها فسأل نفسه فيما اذن جلوسه في القهوة ؟ ! « ونسي انه كان يجلس بالقهوة دائماً ... وانه كان
الساعات الطوال فما تململ كما فعل اليوم ولم يمض على جلوسه ساعة »
« فان لم يكن قد فكر من قبل في القيام بهذه السرعة فلانه لم يكن ينتظر شيئاً ، ومن لا ينتظر
شيئاً يستطيع ان يقعد العمر حتى العفن وحتى يأكله الدود وهو في مكانه »
وتجد هنا وهناك في ثنايا القصة ومضات صغيرة ، من كلمة عارضة ، او اشارة خاطفة ، او جملة
رة ، ينطوي تحتها الكثير الجم من المعاني والصور ، وانها لتتم لك الصورة التي يريدها المؤلف
ى كأنما نفثت فيها الروح والحياة . فصورة العسكرية الهازلة المضحكة في « سليم » لم تكن لتتم لها
ذا الابداع في التصوير لولا « بدلة التشريفة » التي ارتداها عند زيارته بيت « سنية » ليصلح
بيانو . وكان « محسن » يقرأ في ديوان « مهيار » فاذا تمثل في بعض حالاته ببيت من الشعر ، تمثل
ببيت لمهيار ، وهذا طبيعي ، ولكن هذا هو الاعجاز في مقدرة المؤلف اذ يأتي لك بالصورة التي
تحس فيها الطبيعة المألوفة في غير تكلف ولا تصنع ، حتى لتمر بها دون توقف او تمعن . وهذه هي الدقة
في الفن ، ان تخفي الفن فلا يبدو الا اثره ، وكأنه من صنع الحياة نفسها لا من عمل الفنان المبدع .
فاذا وقف « محسن » على ضريح السيدة وقد امتلأ قلبه باليأس من حب « سنية » امسك باهداب الضريح
وتشبث بحديده ولم يقل اكثر من « ياسيدة زينب » وفي هاتين الكلمتين آلام وآمال ، بل حياة كاملة .
وكلمة المحزون المتهدم اذ يهمس وقت ضيقه ويأسه « يا رب ... » فيها من الفجيعة والمرارة ، ومن الحزن
والامل والتطلع ، ومن عشرات بل مئات المعاني ما لا تشرحه المجلدات

الضخام. ومما يجيء على قياس هذا ويعتبر من آيات الدقة في تحليل عواطف ابطال القصة ، ان كل فرد من افراد الشعب لا يكاد يداخله حب « سنية » حتى يحس وكأنهُ خلق خلقاً جديداً . ويعود الى المنزل ليرى ان الحياة التي يحياها وسط « الشعب » حياة لا تليق بهِ ، او انهم ليعجبون ، كل بدوره ، كيف استطاعوا عليها الى اليوم صبراً ! ! على اختلاف كبير بينهم في سبب هذا الضيق الذي احسوه وشعور المرء بعد ان يداخله احساس قوي قاهر كالحب ، غير شعوره قبل ذلك . كذلك لم تنتبه « سنية » لما حباها الله من جمال وفتنة الاَّ بعد ان تيقظت فيها الانثى .... بعد ان لحت « مصطفى ». ثم ما أصدق هذا التحليل للصلة بين محسن وسليم وعبده تجاه حبهم لسنية ، فأيما منهم احسَّ الاثنان الآخران انهُ يحبها تحالفا عليه ، فاذا عرضت لهما الفرصة المناسبة سخرا منهُ وهزئا به

وكما يكتشف ابطالنا الثلاثة فجأة غرابة هذه الحياة التي عاشوها الى تلك الساعة ، الى ان احبوا سنية ، كذلك تنبه « مصطفى » فجأة ، بعد ان احب سنية ، الى قذارة قهوة المعلم شحاته . . . . وهو الذي قضى فيها شهرين قبل ذلك ولم ينتبه لهذا . وتنبهت « سنية » ، بعد ان احبت « مصطفى » الى ان شرفتهُ تحاذي نافذة حجرتها ، فكل بطل في القصة يكتشف بدوره شيئاً له علاقة بالعاطفة الجديدة التي طرأت عليه ، وبالمخلوق الجديد الذي طلع في سماء حياته

ثم هذا « محسن » يلقي نظرة على منزل اسرته في دمنهور عند وصوله بالاجازة ، ونظرة اخرى على منزل اعمامه في القاهرة ، منزل « الشعب » ، عند عودتهِ ، ولكن شتان ما بين النظرتين ، فالاولى تحس فيها نظرة الغريب عن البيئة والوسط ، والثانية نظرة العائد الى ارض الوطن ، الآيب الى الاهل والاخوان ، وقد يبدو لك هذا غريباً ، ولكن المؤلف يحلل لك هذا تحليلاً دقيقاً يرد بهِ الامور الى حقائقها ، وخلجة النفس الى مبعثها وعلتها ، ويريك ان ام محسن نفسها تحس بهذا الفارق بينها وبين ابنها ، ولو استرسلنا لعرضنا لمشاهد القصة كلها واحداً واحداً ، ففيها كلها دون استثناء تبدو ملكة التحليل النفساني في المؤلف قوية بارزة ، كل القوة والبروز . قلنا انهُ من طبيعة الفن القصصي الاستطراد والاحاطة والسرد الطويل . والمؤلف ينتهز لهذا كله أنسب الفرص وأبرعها ، وانه لينحرف بك احياناً عن مجرى القصة فلا تحس بذلك لانه يخلق له الفرصة العارضة التي تلائمه كل الملاءمة ، وهذه قصة « شخلع » وحوادثها جاءت عرضاً على لسان « محسن » اذ يقصها بمناسبة ما أبدته « سنية » من الاعجاب بمهارته في الغناء ، فيذكر لها انهُ درسه على « شخلع » ثم يمضي محدثاً عن استاذته

ولننتهي من الحديث عن توفيق الحكيم القصصي بعد ان عرضنا لبعض قوى الخلق والابداع فيه ، لنفرغ قليلاً لتوفيق الحكيم الباحث المفكر ، ولما يعرض من قضايا في ثنايا القصة ، على اني اريد ان احذرك من هذا المؤلف فهو ماكر شديد المكر ، داهية كبير الدهاء ، يحلو له ان يسخر من القارىء والناقد ، فيسخر منهما ولكن في حذق كثير ومهارة يحسد عليها ، خلق الفرصة

لعبده » عذراً في زيارة منزل الجيران ، وبقي لديه « سليم » من افراد الشعب وكان حتماً
لحادثة ان يقتحم هو الآخر منزل «سنية»،وكان من الغريب حقاً ان يفسد البيانو هذه المرة
الفرصة المناسبة «لسليم» وأحس المؤلف ان الناقد يستطيع هنا ان يدخل أنه كما يقولون :
عجيبه من هذه الفرص التي تتاح لافراد «الشعب» الواحد بعد الآخر ، فبدأ هذا المشهد قائلاً
حد يدري ان كانت هي مداعبات القدر ام مداعبات شخص من البشر . . . . » وأحال على
خلق هذه الفرصة الجديدة لسليم ؛ وكأنه — اي المؤلف — لا عذر له في ذلك ولا حيلة !!
ف معي بأن المؤلف يمكر بنا غاية المكر ، بل قل انه ماهر لبق ، وقل معي بأن نواحي القدرة
-اع في ملكاته فاقت كل حد ، ووسعت كل شيء

* * *

من أبرز الصور الوضاحة النيرة في هذه القصة روح التضامن والاجتماع التي يبثها المؤلف في كل سطر ،
-لاق كل شخصية، وفي تضاعيف كل حادثة ، وفي علاقة الابطال والحادثات بعضها ببعض، وانها
ل لك في حياة «الشعب» أبدع تمثيل، في هذا الارتباط الذي يجمعهم في الحس والشعور والعاطفة،
-ا التعلق الغريب كل فرد منهم بالآخرين ، حتى لنجد ان «محسن» اقرب روحاً وألفة الى اعمامه
الى اهله ، ثم هذه الوحدة الرائعة في اجتماعهم حول «محسن » اذ يحسون بألمه، وغرقت شجونهم
-ية في عاطفة المجموع ، وكأنما أصبح «الكل في واحد» وهذا «عبده» اذ يعلم باتصال «سنية»
طفي يحس «انه كان احب اليه الف مرة ان تختار سنية سليماً او محسناً من ان تختار هذا الغريب ...»
«ولاحظ وهو يتكلم ويثور انما يتكلم باسمهم جميعاً لا باسمه وحده فقط» ثم هاهم جميعاً تأخذ
ة جنونية من الفرح والسرور اذ يظنون ان خطاباً وصل لمحسن من سنية، وكأنما هو لهم جميعاً!
رتاح محسن « الى ان ما له أصبح ملكاً للجميع .... » « ورضي ان يذهب لمقابلة سنية عله يأ
نتيجة يفرح بها الشعب » وليس ابعد من هذا انكاراً للذاتية في سبيل المجموع ؛ وليس اروع ،
هذا تمثيلاً لروح الاجتماع التي تسود القصة. وتتمثل في بعض صورها الفاتنة في حياة « الشعب »
تتمثل في حياة القرية. وفي هذا التضامن القوي العجيب بين الفلاحين ... . في تقاسم البلوى ومشا
المصائب، كما فعلوا مع الرجل الذي ماتت ماشيته. وتتمثل لك هذه الروح ايضاً في هذا الجمع بين المسا
الذين سرعان ما يجاذبون الحديث والسمر ، ولم تمض دقائق على اجتماعهم ، ومن هذه الصور .
عشرات مثلها منثورة هنا وهناك في تضاعيف القصة ، يريد المؤلف ان يقول ان « اهل مصر
أصيل عريق . . . . » وان « الاجتماع في دمنا والحياة الاجتماعية طبيعة نشأت فينا من أج
ويقابل المؤلف بين الفلاح — او المصري اذا شئت — وبين التركي والعربي ، فيرفعه
درجات ، ويجعلك تسخر من الاول في شخصية ام « محسن » بل انه ليملأك غضباً منه بما تأ
التركية المتعجرفة من الغلظة والفظاظة . وانظرها ترد عنها فلاحة قدمت ترحب بها
— بعيد ... بعيد ... حاسي توسخي ... . فمسا الفلاحة في حلم وبشر ضاحـ

— بوه ! مش ستنا نبوس ايدها ! امال نبوس ايد مين ؟

وقابل بين الاثنتين ! او بين الاثنين، الفلاح بوداعته وحلمه وسعة صدره . والتركي بما ترى منه في هذا المشهد ! . أما ما بين الفلاح والعربي فهذا شيخ العزبة ولا اقول المؤلف — ينعت العرب بأنهم « جماعة خطافة جرابيع . . . » وقد احيلك اذا شئت ان تعرف رأي المؤلف صراحة في هذا على كلمة له نشرها في مجلة « الرسالة » الغراء كخطاب مفتوح للدكتور طه حسين . على ان المؤلف في القصة يمتدح الفلاح ويرجع هدوءه ووداعته الى كرم الاصل « فهو اصل الاصول » لا الى ذل العبودية، كما يرجعهما الى حياته الزراعية العريقة التي تتطلب السلام والاستقرار ؛ فهدوءه ليس خنوعاً ولا ذلة ، وجموح العربي وحبه الحرب والثأر والدم ليس بالشرف الذي لا يطاول ؛ ولكنه بقايا الحياة الهمجية الاولى التي اساسها الغزو والسلب ونهب القبيلة القبيلة ! . وكما سمح المؤلف للتركي على لسان ام محسن ان تسب الفلاح، سمح للفلاح على لسان شيخ العزبة ان يسب العربي ،وكأنه بذلك يرد الى الفلاح اعتباره؛ويوسع له في المجال لينتقم لنفسه من هذه العناصر التي دخلت وطنه فاعتبرت نفسها ، وهي الدخيلة؛ربة الدار ، واعتبرت الفلاح— او قل المصري — وهو الاصيل وأصل الاصول ؛ الدخيل المتطفل . وان المؤلف لجدير با كابل نضر من نبت ارض الوطن جراءاً لهذا الكريم المعتز بالوطن

وان المؤلف يضفي على الريف المصري لوناً من القداسة حتى لكأنه محراب كاهن؛ويجعله مناراً لقوة العقيدة الخالصة والايمان الخالص ، ويدفعنا في قوة وعنف الى الوراء ، الى مصر الفرعونية . ويبرز لنا من هذا الريف ومن ابنائه صورة صوفية في تآلفهم وكدهم وتحمسهم في سبيل المعبود ! المعبود المتعدد — على التاريخ — الاسماء والاشكال والرموز ، صورة فيها هذا الجوهر الباقي الخالد الذي يربط بين مصر اليوم ومصر الامس ، روح الجماعة ، او روح المعبد كما عبر عنها المؤلف على لسان الفرنسي في هذا الحوار — الذي هو مفتاح القصة — بينه وبين زميله الانكليزي . وكما وجدت هذه الروح في مصر الفرعونية « فتحول الشعب كله الى كتلة آدمية واحدة تستعذب الالم في سبيل واحد : خوفو ممثل المعبود ورمز الغاية . . . » وجدت مرة اخرى في مصر الحاضرة؛ولم يكن ينقصها الا المعبود « ذلك الرجل الذي تتمثل فيه كل عواطف الشعب وأمانيه ويكون له رمز الغاية . . . » وكما اتت هذه الروح في المرة الاولى بمعجزة الاهرام ؛ أتت « عودة الروح » في المرة الثانية بمعجزة الثورة ! عادت الروح ، روح المعبد ، روح الجماعة ؛ عادت وكنت تحت الرماد ، وكنت في البئر . . . في البئر التي خرجت منها الاهرامات ، في القلب ؛ القلب الذي لا قاع له وهو قوة مصر ، وهي بذلك تغاير قوة اوربا الكائنة في العقل تلك الآلة المحدودة التي يجب ان نملأها نحن بارادتنا »

وقد لمست عودة الروح ، روح المعبد ، روح الجماعة ، في ثنايا القصة ، في كل مشهد منها ، وكل حادثة فيها ، في صورتها الصغرى في حياة « الشعب » الذي يتألف من محسن وسليم وعبده ومبروك وحنفي وزنوبة ، وفي صورتها الكبرى في ثورة « الشعب » الذي يتألف من هذه الملايين ،

هذه الروح التي تجمل « الكل في واحد » ، كان المصري القديم يعبر عنها في ندبه موتاه قائلاً « عند ما يصير الوقت خلوداً سنراك من جديد ، لانك صائر الى هناك ... حيث الكل في واحد » ولعلك تدرك معي الآن لماذا سجل المؤلف هذه الجملة على صدر الجزء الاول من قصته . والمصري الحديث يحس هذه الروح في اعماق قلبه . وليست الثورة الا نتاجاً لها ، لهذه الروح ، روح الجماعة ، روح المعبد ، الثورة التي اندمجت فيها الملايين فأصبحت قلباً واحداً ، وعاطفة واحدة ، وفكرة واحدة : عادت روح المعبود ، واجتمع الشعب حول رمز المعبود الذي تمثل في رجل خرج من صلب الفلاح . والثورة لا تقوم الا على روح الجماعة ، فلما عادت الروح ، هبت الثورة ، الثورة التي جملت «الكل في واحد » وعاد المصري يغترف من قلبه الذي لا ينضب ، قلبه الذي تجمعت فيه رواسب الف قرن !

ولعلك تعود الى هذا الحوار بين الفرنسي والانكليزي تسمع تفاصيل هذه القضية التي يعرضها المؤلف عرضاً قويًّا أخاذاً ، ولترى هذه المقارنة التي يعقدها بين مصر التي تؤمن بالقلب الذي لا قاع له ولا حد له ، وبين اوربا التي يسوقها العقل المحدود ، والآلة التي نملأها نحن بما نريد !!

وفي هذا المشهد الذي يرى فيه محسن الطفل والعجل يرضعان معاً من ثدي بقرة ، يتحدث فيه المؤلف عن قلب مصر ، وعن شعور مصر ، وعن سر تأليه قدماء المصريين للحيوان بل الطير والحشرات . « و جعلوا الاله على صورة رجل ، جعلوه ايضاً على صورة الحيوان والطير والحشرات . أليست كل تلك المخلوقات من عمل الله ؟ فلم لا تمثل صورها الاله كما تمثله صورة الرجل !! » ويستدل المؤلف من هذا على ان قدماء المصريين كانوا « يعلمون تلك الوحدة الكونية وذلك الاتحاد العام بين حلقات المخلوقات المختلفة

« والشعور بالاندماج في الكون ، اي بالاندماج في الله هو شعور ذلك الطفل وذلك العجل الرضيعين ، هو شعور الملائكة ، وهو ايضاً شعور ذلك الشعب العريق المصري القديم ... »

فروح مصر ، هي روح « الكل في واحد » وقلب مصر ، هو هذا القلب الذي يحس بالوحدة الكونية ، ويشعر شعور الملائكة ، ثم ها هو حوريس يصيح « انهض ، انهض يا اوزريس ! انا وا حوريس ... جئت اعيد اليك الحياة ... لم يزل لك قلبك الحقيقي ... قلبك الماضي » وليس اوزوريس وحوريس الا رمزاً لمصر القديمة ومصر الحديثة . وقد جاءت مصر اليوم توقظ مصر الامس ، وتب من جديد ، وتعيد اليها الحياة ، بقلبها الحقيقي ، قلبها الماضي ، قلبها الذي يشع طهراً ونبلاً وملائ

ولعلك ادركت لماذا سجل المؤلف هذه الجملة على صدر الجزء الثاني من قصته

وفي هاتين الجملتين اللتين صدر بهما المؤلف جزئي قصته مفتاح القصة كلها ، والسر الذي لمسته فقد استطعت ان تمسك المصباح الذي ينير امامك الطريق لتفهم « عودة الروح » صحيحاً ، فتنفذ من وراء ظواهرها البراقة الى لبها وجوهرها ، ولست ادعي اني خضت ال واقتحمت اللجة ، ولكن لعلي وقفت بك على الشاطىء ، ووضعت في يدك المقذاف ، واذا كنـ [illegible] قبساً تخلق منهُ شعاعاً ، ومن الشعاع نوراً يهديك وسط هذا ال
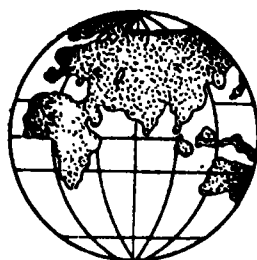
سير الزمان
مشكلة النمسا
نزاعها الداخلي
والنزاع حول الاحتفاظ باستقلالها
هنري : بولي
على عرش التنين
الدمقراطية في فرنسا
هل تتحوّل فاشستية
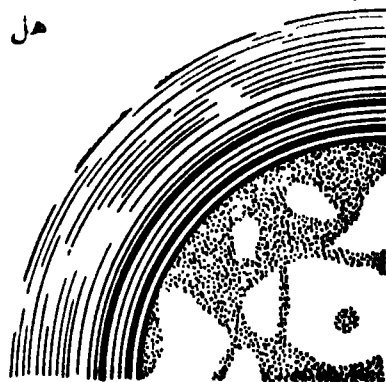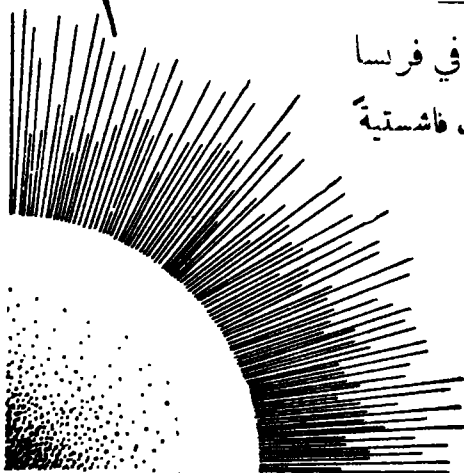
نعم لم يجد العلم ملجأ أميناً له غير العرب في تلك القرون وهذه فرنسا لم تنهض من كبوتها بعد
رات البرابرة الا بعد ثمانية قرون وذلك بفضل العرب ومن علماء فرنسا من يعز عليهم الاعتراف
ذه الحقيقة وبينما كانت المدنية الاسلامية زاهرة كانت فرنسا في احط دركات التأخر ولم ينتشر
طب والصيدلة في ربوعها الا بمساعي اطباء اليهود الذين اعتصموا باسبانيا ثم باقليم لانكدوك بعد
رن الحادي عشر وفي لانكدوك انشأوا عدة مدارس ومنها مدرسة مونبليه ، واضطرت بعض
م الغربية ان تحمل بعض ابنائها على تعليم اللغة العربية وأسست جنوة مدرستها لتعلم العربية سنة
١٢٠٧م) ورأى ملوك قشتالة بعد وقعة العقاب التي كتب فيها النصر للاسبان على العرب ان لا يقاطعوا
اضي القديم وانهم في حاجة الى ان يتعلموا من معلميهم القدماء من العرب فحاول الفونس العاشر
، يعمل لاسبانيا النصرانية ما عمله العرب لاعلاء شأن الاسلام وذلك بالاخذ من احسن ما في
لحضارتين الاسلامية والنصرانية ومزجهما بالحضارة الاسبانية فأسست سنة (١٢٥٤م) في اشبيلية
درسة عامة لاتينية وعربية واستدعى الملك الى عاصمته العلماء من جميع الملل والنحل ليؤسس مدرسة
يطلة الثانية يجمع فيها بين الأوضاع العربية وغيرها . وقضى مجمع فينا الديني سنة (١٣١٢م) ان
سس في باريس واكسفورد وبولون وصلمنقة دروس عربية لتنصير المسلمين ودروس عبرانية لتنصير
يهود . وعنيت ايطاليا منذ ذلك العهد عناية خاصة بالعربية ترى تعلمها من الضرورات لكل تجار
دن البحرية وكان من ذلك ان احتكرت البندقية تجارة اوربا مع الشرق واستأثرت بتجارة آسيا
صغرى وتمت للبندقية وبيزا وجنوة وطليطلة معرفة الشعوب الاسلامية اكثر من عامة اهل اوربا وكان من
عادة الجارية في طبقة التجار من ابناء البندقية ان يتكلموا بالتركية والعربية ويأخذوا انفسهم ببعض
لغات والالسنة بالمصطلحات الشرقية

وملك البيزيون والجنويون والبنادقة املاكاً مهمة في الشواطىء الشرقية من البحر المتوسط
في غيرها فامتزجوا بأهل البلاد وتأخرت الممالك الاخرى في تلقف العربية الى القرن السابع عشر
الثامن عشر ومنها هولندا والمانيا وفرنسا وانكلترا والنمسا والبرتغال وروسيا وبولونيا الخ

***

اصبح البحر الرومي بما فتحه العرب من شواطئه بحراً عربيًّا اوائل القرن الثالث وذلك لان
واطىء افريقية واسبانيا وكثير من الجزر كجزائر منورقة وميورقة ويابسة المعروفة بجزائر الباليار
الشرقية وغيرها دخلت في حكمهم ولما فتحوا في سنة (٢١٢هـ) جزيرة صقلية وكانوا غزوها غير
مرة منذ اخذوا يسافرون على سفنهم على عهد الخليفة الثالث واتبعوها بجزيرة سردانية وغيرها تراءت
الروم الى الشواطىء الغربية من بلادهم وامتدت غزوات العرب الى بلاد انكبردة او لمباردية وقلورية
كلابرا من جنوبي ايطاليا واستولوا على اكثر سواحلها الجنوبية نحو تسع وعشرين سنة . ومن
[illegible]

مشكلة النمسا

نزاعها الداخلي والنزاع حول الاحتفاظ باستقلالها

..

لم تكن الحرب الاهلية التي شبّت نيرانها في النمسا في الاسبوع الثاني من شهر فبراير الماضي ، حرباً بين حكومة وطائفة من رعيتها فحسب ولا كانت دفاعاً من حزب كبير في امة جمهورية عن كيانه فحسب بل كانت معتركاً لقوى عالمية عظيمة : الفاشستية والدكتاتورية من ناحية والاشتراكية والدمقراطية من ناحية ، والرأسمالية في جانب والتعاون الاقتصادي او الاندماج الاقتصادي في الجانب الآخر . والنزاع الداخلي في جمهورية النمسا ، الذي ما زالت بواعثهُ تتهيأ من زمن في الخفاء : كان مظهراً للنضال بين هذه القوى . فالاشتراكيون المسيطرون على عاصمة النمسا واكبر مدنها ، كانوا عازمين على الدفاع دون سيطرة الفاشستية على الامة ، ايًّا كان طابعها . والفاشستيون الذين قاوموهم كانوا منفصلين الى معسكرين ففي المعسكر الواحد اتباع هتلر ، وفي المعسكر الآخر انصار موسوليني . فوقفت اوربا ترقب نتيجة المعترك ، لانهُ ينطوي على الاجابة عن مسائل خطيرة — هل تتوسع المانيا في حوض نهر الطونة ؟ ما يكون مقام ايطاليا في قلب اوربا ؟ وما مصير الاتفاق الصغير ، اذ توسعت المانيا في اوربا الوسطى او بسطت ايطاليا عليها ظلّ نفوذها ؟ وما موقف فرنسا من هذا كلهِ ؟ وكذلك استوقفت هذه الجمهورية الصغيرة انظار العالم ، كما استوقفتها امبراطورية آل هبسبرج في ٢٨ يونيو سنة ١٩١٤ يوم مصرع الارشيدوق فرانز فرديناند في سراييفو

النزاع المثلث

النزاع الداخلي في النمسا ، الذي افضى الى الحرب الاهلية الدامية في فبراير ، نزاع ثلاثي ، بين الاشتراكيين وقوى الحكومة التي يؤيدها الهيمفهر والنازي النمسوي يؤيدهم النازي في المانيا

الاشتراكيون اقوياءُ في المدن مثل فينا ولنز ويمثلون نحو ٣٥ في المائة من الناخبين ومع انهم كانوا مسيطرين على بلديات المدن ، كانوا عاجزين عن التأثير في شؤون الجمهورية العامة . ولما كان برنامجهم السياسي والاجتماعي تقع وقعاً حسناً في نفوس عمال المصانع على الغالب كان نفوذهم ضعيفاً في الولايات الريفية والزراعية . ولكنَّ سكان العاصمة فينا نحو مليوني نفس — وهم ثلث سكان الجمهورية — وفيها معظم ثروة البلاد ، لذلك كانت حكومتها الاشتراكية ومشروعاتها هدفاً لتبرم الناس في الارياف

ويواجه الاشتراكيين الحزبَ الاشتراكي المسيحي (وهو ليس اشتراكيًّا) يؤيدهُ الفلاحون الكاثوليك والطبقة المتوسطة في الولايات ، وعدد الناخبين المنضوين تحت لوائهِ يعادل عدد الناخبين المؤيدين للاشتراكيين . ومن اعضاءِ هذا الحزب رجال منتظمون في الهيمفهر وهو فرقة عسكرية

لنزعة ، تميل الى اعادة الملكية وتجريد الاشتراكيين من اي كلمة نفوذ في تصريف شؤون البلاد
الفريق الثالث فهو فريق النــازي النمسوي يؤيدهم اخوانهم في المبدإ والعقيدة في الريخ
المانيا) . ولما كانت النمسا لم تحدث فيها انتخابات في السنتين الاخيرتين فمن المتعذر تقدير
ار النازي في الشعب النمسوي وانما يقول بعض المعروفين بصحة الحكم ان نحو نصف الامة
يرغب في قيام حكم نازي . ومع ان النازي والهيمفهر متفقان في كثير من أصول خطتيهما
نازي يرغب في انضمام النمسا الى المانيا حالة ان الهيمفهر يعلن ضرورة الاحتفاظ باستقلال النمسا

...شتراكيون واعداؤهم

...وت أسرة هبسبرج عن عرش النمسا والمجر في سنة ١٩١٨ تعاون الاشتراكيون في النمسا
...تراكيين المسيحيين على انقاذ ما تبقّى لهم من امبراطوريتهم التاريخية فتصدّوا لانتشار
...ة وصدّوها . فوقفوا في وجهِ دعاة المذهب الماركسي ، ومنعوا حدوث نضالٍ دموي بين
والطبقات المتوسطة . ومن غرائب الاقدار ان طائفة من هؤلاء الذين انقذوا النمسا من
...ة بعيد الحرب قتلوا في الاسبوع الثاني من فبراير الماضي بحجة انهم من اتباع ماركس
...واقع انهُ منذ ما أُنشئت جمهورية النمسا ، نشأت عداوة فيها بين الفلاحين والطبقات المتوسطة
...ية الواحدة ، وبين الفلاحين والاشتراكيين في الناحية الاخرى . ولما كان الاشتراكيون
...ون يخشون سيطرة الاشتراكيين على ڤينا طلبوا انشاء حكومة اتحادية ، بدلاً من تركيز اعمال
...ة التنفيذية والتشريعية في ڤينا على نحو ما طلب الاشتراكيون . بيد ان الفريقين تعاونا على
...دستور اتحادي بعد مساومة طويلة فاحتفظ الاشتراكيون بمقتضاه بالسلطة في العاصمة وقبض
...كيون المسيحيون على اعنتها في الولايات . الآن الهوّة بين الحزبين لم تردَمْ . ذلك ان التعاون
...تضيه الصناعة يتنافر مع النزعة الفردية السائدة في الولايات الزراعية ، والشعور الديني الذي
...فلاح في الارياف مناقض للنزعة الدنيوية في العاصمة . وكثيراً ما هدّد الفلاحون بالانقضاض
...مة من اوجارهم في الجبال ، لابادة أبناء سدوم وعمورة ! فالحاجز بين سكان ڤينا وسكان
...يرول وكارنثيا وستيريا ليس الجبال فقط بل النظر الى الحياة ، وهو اهمّ
...وجد الفلاحون انصاراً لهم في المدن في جماعات الملاّك ، لان هؤلاءِ معادون للاشتراكيين ، لثقل
...ب التي كانت تفرضها عليهم حكومة ڤينا الاشتراكية ، لكي تبني بها مساكن حديثة النظام
. لذلك لمـا شبّت نيران الحرب الاهلية في فبراير ، صوّبت مدافع اعداءِ الاشتراكيين الى
مارکس هوف » وغيرهِ من المباني الحديثة التي أقامتها البلدية لسكنى العمال
...يد ان الاشتراكيين لم يعمدوا الى فرض الضرائب على الملاك بعامل الحسد من ثروتهم . ولكن
الاشتراكية واجهت مشكلة خطيرة في ڤينا عند تقلدها أزمة الحكم هي مشكلة نقص المساكن

عما يحتاج اليه سكان المدينة . ففي عهد الامبراطورية كان عمال ڤينا يقطنون مساكن كحظائر الغنم ، بل ليقال ان ألوفاً من الاسر كانت لا تجد الاسرة منها الا غرفة قذرة صغيرة لسكناها وكانت مع ذلك غالية الاجر لان أصحابها من الملاك كانوا من أصحاب المكانة السياسية في البلاد . وهتلر يؤيد هذا في كتابهِ الموسوم « كفاحي » مع انهُ من أعداءِ الاشتراكية

سنّ الاشتراكيون في ڤينا قوانين حددوا بها اجور المساكن في العاصمة وفرضوا ضرائب ثقيلة على العقارات ، وبما حصلوا عليه من مال الضرائب شرعوا يبنون مباني ضخمة حديثة . قطنها نحو ستين الف اسرة من اسر العمال . وبلغ من نجاح الاشتراكيين في عملهم هذا ، ان اصبحت مبانيهم هذه مثالاً يحتذى في تشييد مساكن للعمال في اكبر مدن العالم . ولما كانت اجور السكن في هذه المباني رخيصة كل الرخص ، فقد كان من المعقول المتوقع ان تصبح هذه الصروح معاقل للاشتراكيين . وكذلك اصبح الملاك في عنف حنقهم على الاشتراكيين يحسبون هذه المباني نمواً غير طبيعي في العاصمة . ثم ان حكومة ڤينا الاشتراكية عمدت كذلك الى الاستيلاء على المرافق العامة وجعلت تنفق ما تحصل عليهِ من الربح والضرائب في تحسين الحال الاجتماعية من صحة وسكن وأجور ورفد في حال التعطل عن العمل — كل هذا دبّرت لهُ حكومة ڤينا الاشتراكية ادق تدبير . اما اصحاب المصانع والمتاجر والمباني فكان عليهم ان يسددوا نفقة هذا الاصلاح

قيام الفاشستية

فلما امتدّ ظل الكساد الناشيء عن الازمة العالمية ، فوق اوربا الوسطى ، اتسعت الهوّة بين الملاك والاشتراكيين . وكان لتطور الحال في المانيا وايطاليا اثر كبير في النمسا . وجعل الفلاحون الجبليون يميلون الى القوى المعارضة لدعاة الماركسية . يضاف الى ذلك ان ما يصحب النزعة الفاشستية من جلال ومجد ملأ في صدور النمسويين ذلك الخواء النفسي الذي احدثه سقوط اسرة هبسبرج الامبراطورية . وما كان الفلاح ليهتم بالمباحث النظرية في اسباب الكساد العالمي وبواعثهِ بل كان لا يفهم الاّ ان الازمة آخذة بالخناق ولا يطلب من الحكومة الاّ مدداً للعيش . هنا توسط دعاة الفاشستية في النمسا فقالوا للفلاح ان السبيل الوحيد الى الخلاص انما هو إبادة الاشتراكيين

في هذا الجوّ نشأت فرقتان عسكريتان : الاولى « الشوتزبند » الاشتراكي وعدد افرادها مائة الف و « الهيمفهر » المقاوم للدمقراطية وعدد رجاله ستون الفاً . ومع ان الهيمفهر جمع معظم رجاله من الفلاحين وابناء الطبقات المتوسطة في الارياف ، الاّ ان مدده المالي كان مستمداً من اصحاب المصالح الصناعية والتجارية الذين كانوا يرغبون في القضاء على الاشتراكيين . ويقال ان الهيمفهر أصاب كذلك مدداً ماليًّا في المانيا وايطاليا . اما البرنس فون ستارمبرج فخلع على هذا الفريق ثروتهُ واسم أسرته التاريخي المجيد

فلما ارتفع كوكب الهر هتلر في سماء السياسة ، اخذت حركة النازي في النمسا تتسع وتقوى .

يندها اولاً رجال «حزب الجامعة الجرمانية» وانضمّت اليهم طائفة من رجال الهيمفهر لانها معادية
يهود والاشتراكيين على السواء . واخذ الفلاّح النمسوي يميل من هبسبرج الى هتلر . فلما اهلّت سنة
١٩٣٣ كانت تلك الجمهورية الصغيرة معتركاً لجيوش خاصة مدرّبة ومنظمة ينادي بعضها بسقوط الجمهورية

فلما تمَّ النصر للنازي الالماني في ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ بتعيين الهر هتلر مستشاراً للريخ ، اخذ عماء النازي في النمسا يتصوّرون زحف اصحاب القمصان السمر من المانيا الى ڤينّا . ولكنهم حينئذٍ يحسبوا حساباً للدكتور دولفوس . ذلك انَّ دولفوس اصدر امراً في يونيو سنة ١٩٣٣ بحل الحزب نازي فكان في نظر بعض مواطنيه كالفتى داود يقاوم جليات الجبّار (طول دولفوس ٤ اقدام و١١ وصة مع ان متوسط طول الرجل قريب من ٥ اقدام و٦ بوصات) . وفي خلال ذلك كان النزاع بين لاشتراكيين والمسيحيين الاشتراكيين في البرلمان النمسوي ، عنيفاً كل العنف ، فحال نزاعهما دون لعناية بالتشريع . ومع ان الهر دولفوس كان في حاجة شديدة الى مددٍ لمقاومة النازي خشي ان يتفق مع الاشتراكيين لان الهيمفهر وحزب المسيحيين الاشتراكيين يعارضان في ذلك . فجارى رغبتهما ي تشديد الخناق على الاشتراكيين وسنَّ قوانين تضعفهم وحل جيشهم الخاص المعروف «بالشوتزبند»

فلما اقبل الخريف تبيَّن لمراقبي الحالة في النمسا ان الدكتور دولفوس يعتمد على الجيش النظامي والهيمفهر، ونزعة وطنية جديدة عمد الى خلقها في نفوس اتباعهِ ، في مقاومة النازي والاشتراكيين. وفي سبتمبر وعد باحداث تعديل دستوري على نمط الدولة المندمجة الايطالية فتحلّ النقابات والمتحدات الصناعية والزراعية محلَّ الاحزاب ، ويتصافى العمال والفلاّحون . ولكن هذا الوعد لم يكن قد أُنجز لما وقعت الحرب الاهلية في الاسبوع الثاني من فبراير

وفي خلال ذلك اشتدَّت حملة النازي في النمسا ، وبدت في الهيمفهر دلائل الاستعداد على الاتفاق مع النازي النمسوي مع ان زعماءهُ اعلنوا انهم مقاومون لهتلر . وكذلك واجه الهر دولفوس مشكلة معقّدة، وهو منها على مفترق الطرق. وزادت المسألة تعقيداً وارتباكاً لما ظهرت لجان من الهيمفهر امام حكام الولايات مطالبة بانشاء نظام فاشستيٍّ وحلِّ جميع الاحزاب بما فيها حزب المسيحيين الاشتراكيين مع ان هذا هو حزب الهيمفهر . فلما ذهب دولفوس في رحلة الى بودابست في اوائل فبراير ، امر نائب المستشار الماجور فاي -- وهو زعيم الهيمفهر -- رجال البوليس بمهاجمة اشتراكيي ڤينّا . فقام زعيم من حزب المسيحيين الاشتراكيين في مجلس ڤينّا البلدي واقترح التعاون بين الاشتراكيين والمسيحيين الاشتراكيين . ولو ان اقتراحاً من هذا القبيل جاء قبل سنة ونصف سنة لامكن تعاون هذين الحزبين في مقاومة النزعة الفاشستية ، من قِبَل النازي كانت او الهيمفهر . فرأى زعيم الهيمفهر في هذا الاقتراح خيانة وسلّم دولفوس برأيهِ فضرب الاشتراكيون الضربة القاضية . ولكن الشوتزبند وهو جيش الاشتراكيين ظلَّ محتفظاً بنظامهِ واسلحتهِ ، رغم صدور الامر بحلّهِ في منتصف السنة السابقة فقاوم الحكومة وأتباعها مقاومة عنيفة اراقت الدماء في ڤينّا وغيرها من المدن

وكان دولفوس يظن ان سير الامور في النمسا ، يتبع سيرها في المانيا . حيث خضع الاشتراكيون الدمقراطيون لاوامر هتلر من دون كفاح ولكنهُ أخطأ التقدير

فأيدي الفاشستية في النمسا ملطخة بالدم ، ولا ريب في ان ملايين من النمسويين المؤمنين بمبادئ الاشتراكية ، يكنّون في قلوبهم كرهاً شديداً لدولفوس وفاي والبرنس ستارمبرج . وعند ذلك فقد يجد رجال الحزب النازي النمسوي ، مرتعاً خصباً لدعايتهم بين هؤلاء الاشتراكيين لان زعماء النازي النمسوي وقفوا بمعزل عن النزاع الدموي ينتظرون سنوح الفرصة

وقد كان الهيمفهر شديد الصخب عالي الضجة في شؤون النمسا في العهد الاخير ، الاَّ انهُ لا يمثل كثرية من الشعب . ولكنهُ مع ذلك الحرس الشاكي الذي تعتمد عليهِ الحكومة القائمة . وقد يكون في نية الهيمفهر ، ان يتبع خطة التعاون مع موسوليني ، سواءٌ رضي ان يجاريهُ دولفوس في ذلك او لم يرضَ ، وفي تلك الحالة قد يحاول زعماؤه القضاء على الاشتراكيين والنازي ، اذا حرّب احد الحزبين ان يرفع رأسهُ . او قد يحاول زعماء الهيمفهر ان يتفقوا مع هتلر ، فيتمّ بذلك الاتحاد المعنوي بين النمسا والمانيا ، وهم يطالبون في هذه الحالة ان تبقى مقاليد الامور في النمسا في أيديهم

النزاع الخارجي

لما هوت امبراطورية النمسا والمجر في آخر الحرب الكبرى ، ظلَّت جمهورية النمسا وحدة اقتصادية بتراء . لذلك سعت المانيا والنمسا الى توحيد البلادين من الناحية الاقتصادية على الاقل . وكان الاشتراكيون الدمقراطيون في كلا البلادين مؤيدين لهذا التوحيد ، رغم ما فرضتهُ الدول الظافرة دونهُ من الحوائل . لذلك حاول الدكتور برويننغ المستشار الالماني في مارس سنة ١٩٣١ ان يتفق مع الدكتور شوبر النمسوي على انشاءِ اتحاد جمركي بين المانيا والنمسا . فأحدثت هذه المحاولة ازمة اوربية حينئذٍ ، وحكم على المانيا والنمسا بالتخلي عن هذا المشروع

فلما اتسع نطاق الدعوة التي نشرها هتلر ، تجدّدت العناية بمسألة الاتحاد . ذلك انهُ اذا اشتدَّ ساعد النازي النمسوي وقامت حكومة نازية في فينَّا ، أصبح ضمُّ النمسا الى المانيا مستطاعاً من دون خرق مواد معاهدات الصلح او قرارات مجلس السفراء التي تمنع ذلك ، على ان يكون هذا الضمُّ معنويًّا لان كل حكومة نازية تستمدُّ مبادئها وارشادها من هتلر . وكذلك تصبح اذا وقع انقلاب نازي في النمسا ، مدن فينَّا وانسبروك وسلزبرغ وكأنها سهام نازية مسدّدة الى قلب اوربا . وهذا يقيم في وجهِ فرنسا وايطاليا وتشكوسلوفاكيا وبلاد شرق اوربا الجنوبي مشكلات دولية خطيرة تتصل بحياتها القومية اوثق اتصال

فلما زار السنيور سوفتش وكيل وزارة الخارجية الايطالية فينَّا من عهد قريب ، علق في تصريحاتهِ شأناً خطيراً بضرورة الاحتفاظ باستقلال النمسا . وقد ترامت الشائعات بأن موسوليني قد أيّد الهيمفهر تأييداً ماليًّا وسياسيًّا اعتقاداً منهُ انهُ القوة الوحيدة التي تستطيع ان تصدّ هتلر ، وتحول النمسا

ى اداة مطواعة تستعملها سياسة ايطاليا الخارجية في اوربا الوسطى وما يليها من جنوب اوربا الشرقي

ومن المتعذر الآن التكهّن بالمستقبل ، وهل تنتهي الحالة في النمسا بفوز موسوليني او هتلر . لكن في شمالي ايطاليا ، شعب الماني غير راضٍ عن حالتهِ ، فليس من المرجح ان يقنع موسوليني لتفرُّج اذا حاولت المانيا تأييد النازي النمسوي حتى يفوز بتقلد ازمّة الحكم في البلاد

أما فرنسا وتشكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا فقد كانت مصالحها ولا تزال مرتبطة بالمحافظة على ستقلال النمسا وبقاءِ نظام الحكم دمقراطيًّا فيها . فالقضاء على الاشتراكيين في النمسا ، يزيل سندها لاخير في قلب القارة الاوربية . ثمَّ ان يوغوسلافيا تتبع الشؤون النمسوية بعناية وقلق . فقد ضى عليها ردح من الزمن وهي تواجه ايطاليا حردة على الضفة الاخرى من البحر الادرياتيك . فاذا استقلَّ الهيمفهر بالحكم في النمسا ، وكان مؤيداً من موسوليني ، اصبح صلة بين ايطاليا والمجر ومكّن ايطاليا من اتمام الاحداق بيوغوسلافيا

وتشكوسلوفاكيا يهمها طبعاً مصير النمسا وقد اعلنت بلسان وزير خارجيتها انها تعارض في عودة آل هبسبرج الى عرش فينّا وانها متفقة مع دول الاتفاق الصغير (تشكوسلوفاكيا ورومانيا ويوجوسلافيا) على سحب وزرائها المفوّضين من فينّا يوم دخول البرنس اوتو وانها قد لا تحجم عن استعمال القوة لمنع هذا . ويقال ان بنش والرئيس ماسارك ايّدا اشتراكيي فينّا تأييد مصلحة ومبدإ . أما المصلحة فخشيتهما من استفحال امر الفاشستية في النمسا ـ هتلرية كانت او موسولينية ـ وأما المبدأ فايمانهما بالنظم الدمقراطية . وشد ما يخشيانهِ على تشكوسلوفاكيا قيام حكومة نازية في النمسا لان ضمن حدود تشكوسلوفاكيا اقلية المانية كبيرة عددها ثلاثة ملايين ، لا بدَّ ان تضلع مع النازي بعد ما ترى سلسلة الانتصارات الباهرة التي فازت بها السلالة الالمانية في ظلّ النظام الهتلري

أما فرنسا ، المعنية الآن بشؤونها الداخلية ، فتدرك ما لمصير النمسا من الشأن الخطير ، في بناء السياسة الاوربية . ذلك ان القنابل التي وجهت الى مباني العمال في فينا ، كانت قنابل معنوية موجهة كذلك الى معاهدتي فرساي وسان جرمان . وفوز النازي في النمسا تحدٍّ خطر لفرنسا وحلفائها . بيد ان تفوُّق النفوذ الايطالي في فينّا من الجهة الاخرى ، يعني تحديًّا آخر لنظام المحالفات الذي انشأته فرنسا — محالفتها مع دول الاتفاق الصغير — واليهِ تستند في تفوقها العسكري وضمان سلامتها . فاذا اصبحت النمسا اداة في يد السياسة الخارجية تعذّر اتصال فرنسا بحلفائها في قلب اوربا وجنوبها الشرقي . وكذلك يمتد ميدان النزاع بين ايطاليا وفرنسا من افريقيا الى البلقان

يقابل ذلك انّ مساعي النازي الالماني لتأييد اخوانهم في النمسا ، مهّد السبيل الى شيءٍ من التفاهم والتقرّب بين فرنسا وايطاليا . اما بريطانيا فقد ضمنت استقلال النمسا ولكنها لا ترغب في ان تزجّ في معترك المشكلات الاوربية المعقدة ، وأملها ان تستطيع النمسا الاحتفاظ باستقلالها بطريقة ما وتكفيها مؤونة التدخل . واما خطة المجر فهي التأهب والانتظار لتميل الى الجانب الذي ترجّح لهُ الفوز

هنري : بويي

على عرش التنين في منشوكو

..

في الطرف الشرقي من قارة آسيا العظيمة يعيش شعب عدد نسماته اربعمائة مليون او يزيدون ، تناوبت عليه حالات اشبه بالحالات التي انتابت الدولة الرومانية قبيل سقوطها

كان امبراطرة الصين يعتقدون قديماً انهم ابناء السماء ، وكفى بذلك دليلاً على الارستوقراطية العريقة والمجد التالد. وكان الشعب الصيني يعتقد ان ابناء السماء اذا حكموا فانما هم بامر السماء يحكمون وان ما يصدر عن ابناء السماء وهم متربعون على عرش التنين ، تنزيل لا ينقض وامر لا يُردُّ ، فكنت ترى الشعب الصيني في يد ابناء السماء كأنهُ العجينة تكيفها الاهواء. ولكن ما زالوا يتداولون من الارض شيئاً فشيئاً وحالاً بعد حال حتى انقلب الحكم في بلادهم بين عشية وضحاها ، وتبخر عرش التنين واذا به محل لحكم جمهوري فج لمعت في سمائهِ اسنة الحراب . وقضي الامر . واسر أحد ابناء السماء في قصر من قصور اجداده القدامى ونزل عن سماويته العليا الى ارضيتنا المتواضعة

ولكن . . . نعم. ولكن ليخرج من قصر الاسر الى عرش التنين مرة اخرى . غير انهُ عرش لم يبقَ من قديمهِ الاَّ الاسم ، لان دُسْرَهُ اخذت هذه المرة من الاسنة اليابانية ، لا من الجبروت السماوي . واذا الامبراطور « بويي » ابن السماء في الامبراطورية الصينية العظيمة قد اصبح «هنري» ابن الارض في دولة « منشوكو » وهي منشوريا احدى مقاطعات الصين قبلاً ، في مصورات الجغرافية. واي عجب في هذا ! . ان اجداد « هنري بويي » خرجوا من منشوريا منذ قرون غزاة فاتحين ، فتبوؤا عرش التنين في عاصمة الصين ، وورثوا بنوة السماء . ولكن الظاهر ان السماء زهدت فيهم الآن فردَّت وريثهم من غربته الطويلة الى حيث خرج آباؤه اول مرة غزاة تخفق على رؤوسهم درافس الحرب ، يزجون تحتها الصفوف الى المواقع المحجلة بالنصر والظفر

من سهول منشوريا الفسيحة خرج اجداد « هنري بويي » . وهو الآن يعود الى منبته الاصلي . ففي القرن السابع عشر هبطت اسرة « المنشو » من سهول الشمال الفسيحة بجيوشهم الجرارة ميممين نحو الجنوب ، بعد ان اخضع جدهم الاول « نو — أوراشو » جميع القبائل القوية التي كانت تتصل بتخوم بلاده واذلَّها . وما زالوا يجتاحون في بلاد الصين السهول والحزون حتى واجههم سور الصين الاعظم فدكوا منه جزءًا لينفذوا الى «بكين» عاصمة الصين المحرّمة على غير ابناء السماء . ولكن من ذا الذي اعطى لاسرة « منج » وثيقة بأنها وحدها من ابناء السماء ؟ ولماذا لا تختار السماء من ابنائها من هو اصلح لحكم الصين من اسرة قديمة أكل عليها الدهر وشرب القدم ؟ وكذلك انتزع القدر عرش التنين من أسرة « منج » ليجلس عليها اسرة « شنج » اول امبراطرة «المنشو» ولكن لتقيم عليه ٢٦٦ سنة لاغير

لقد كانت تلك الاسرة من اعظم الاسر التي عرفها عرش الصين القديم . وعلى أيدي امبراطرتها العظام تسنمت الصين آخر عهدها بالمجد العالمي كأمة متحدة ووحدة سياسية عظيمة . فمن اجداد «پوبي» ملكان من اعظم الملوك الذين يذكرهم التاريخ على مدى العصور وفي كل بقاع الارض . حكم كل منهما ستين سنة ، مع فاصل ضئيل من الزمان بين حكميهما ، فلم تفق الصينَ امةٌ اخرى من أمم الارض قوة ونفوذاً ومدنية في عهدهما

ولقد اخطأ المؤرخون اذ نعتوا لويس الرابع عشر بأنه اعظم ملوك الارض في القرن السابع عشر . اما الحقيقة فان الامبراطور «كانج هسي» في بكين كان اعظم ملوك الارض في ذلك الزمان . فقد حكم امبراطورية لا تعد فرنسا برمتها الا احدى مقاطعاتها ، وسعى الى توسيع ملكه كما سعى لويس الرابع عشر ، ولكنه امتاز على الملك الفرنسي بأنه لم يرضَ بأن يقوم ملكه على القوة وحدها فعززها بترقية الفنون والمعارف وكل ما يتعلق بمدنية الروح الى جانب كل ما يتعلق بمدنية المادة

وبعد ان مات هذا الامبراطور العظيم (سنة ١٧٢٢) بأربعة عشر سنة تسنم عرش التنين حفيده الامبراطور «شيان منج» فحكم الى سنة ١٧٩٦ ، فبرهن انهُ خليق بأن يكون من سلالة جده العظيم . فوسع في اطراف امبراطوريته ، وأمّتهُ ملوك آسيا الشرقية اجمعين يحملون اليهِ الجزية او يتقرّبون اليه زلفى. وكان في الصين كآل مديشى في ايطاليا . فكان شاعراً وكاتباً ومؤلفاً وحامياً للعلم ووليًّا للفنون وناصراً للثقافة ومحبًّا للعمران . ولا غرو ان يحتم «شيان منج» ان يسجد له سفراء الملك «جورج الثالث» عند ما ارسل بهم الى الصين في مهمة سياسية . ولقد عدَّ عليه كثير من مؤرخي اوربا هذا الامر ، ونسوا انه كان على عرش التنين يستمد القوة من السماء ليحكم امبراطورية عالمية هي اكبر امبراطورية في الارض لعهده ، ومن حوله بطانة من العلماء يملأون طباق الارض علماً ، وحاشية من المثقفين على اخص قواعد التثقيف في بلاد لم يعرف اهلها من ارستوقراطية ، الا ارستوقراطية العلم والثقافة . فلما مات «شيان منج» آذنت شمس الصين بالمغيب ، ودقت ساعة الانحلال ، فتعاقب على عرش التنين خمسة امبراطرة خلال القرن التاسع عشر : كان اللاحق منهم اضعف من السابق ، والخلف اميع من السلف . على أنه من عجب ما يروي التاريخ ان هذه الأسرة لم يحمها على عرشها المزعزع خلال خمسة العقود الاخيرة في القرن التاسع عشر ، الا بسالة امرأة هي الامبراطورة «تسوهسي» التي عاصرت الملكة فكتوريا ، حتى قيل ان طرفي الارض اصبحا أشبه بكفتي ميزان في احداهما «تسوهسي» تسوس الشرق وفي الاخرى «فكتوريا» تسوس الغرب

وكانت امرأة من الجبابرة جمعت بين رجاحة العقل وكبر القلب ، وعرفت قيمة القتل والاغتيال وسفك الدماء في سبيل الاحتفاظ بعرش آذنت ساعته ودبَّ فيه الفساد . فحكمت الصين حكماً فعليًّا برغم انها كانت زوج امبراطور سابق سقطت بموته عن اريكة الملك. ولكن من ذا الذي يقف في وجه الذئبة الغبراء ؟ وهكذا حكمت هذه الامبراطورة الصين باسم من جلس على عرش التنين من الامبراطرة [illegible]

وفي وضح النهار. ولكن الانحلال كان اقوى من ان تحول بينه وبين الصين مدية تتذرع بها «تسوهسي» الى قتل ثائر او اقصاء رجل ظهرت عليه بوادر التطلع الى الاصلاح . فان تحرش اوربا بالصين كان قد بدأ يهز عرش التنين من اساسه ، واجترأت سفن اوربا الحربية ان تدك بكراتها المتفجرة حصون الصين وتنزل الى الأرض الحرام اول فوج من جيوش اوربا . وكانت المبادىء والآراء الاوربية اخذت تتغلغل في الوحدة الصينية فتمزق منها ما رأبت السنون، وبدت بوادر القلق الاجتماعي تظهر في صور مختلفة ، وكانت اول بادرة منهُ ظهور «صن يات سن» مزوداً بالمبادىء والتعاليم الاميركية ليرأس اول عصبة ثورية في ارض خضعت لابناء السماء حتى اصبح اندلاع ألسنة الثورة قاب قوسين او ادنى

وفي سنة واحدة مات الامبراطور « كوانج هسو » والامبراطورة « تسوهسي » . وعلى اثر موتهما سنة ١٩٠٨ تبوأ «بويي» وعمره ثلاث سنوات عرش التنين وهو احد ابناء عمومة الامبراطور المتوفي .فكان حكمه قصير المدى اذ شبت الثورة سنة ١٩١١ فتنازل عن العرش سنة ١٩١٢ وجاءَ في اعلان تنازله انهُ يترك العرش بعد ان ظهر له ان الشطر الاعظم من شعبهِ يفضل حكومة جمهورية على حكومة ملكية . ولكن شاءَ القدر ان ينزل «بويي» عن عرش لم يكن قد ذاق بعد حلوه ولم يعرف مرَّه لصغر سنه ، فأذن لهُ رجال الجمهورية ان « يعيش » وان يعطى ٤٬٠٠٠٬٠٠٠ رطل من الفضة راتباً سنويـًا وان يبقى في احد قصور « بكين » اسيراً تؤدَّى له كل المراسم الامبراطورية

على ان طالع زحل قد ادرك الجمهورية ايضاً ، فانها نبتت في ارض الصين كأنها نبات طفيلي من الفطريات ، فكانت سريعة النمو سريعة الزوال . ذلك لان الجمهورية لم تلبث غير قليل حتى تفجرت من حولها الثورات والحروب الاهلية . وبدأت بوادر هذه الحرب تظهر في سنة ١٩١٧ عند هبوط شخص يدعى (شانج سون) كان قاطع طريق ورئيس عصـابة خارجـة على القوانين جاهلاً مسفـًّا ولكنهُ كان من انصار الملكية ، وعلى الرغم من إن الجهر بالنزعة الملكية كان عقابه الموت ، فانهُ رفض ان ينزع عن بزته الشارة الملكية ، ومضى يسير مختالاً بها في شوارع بكين

على ان هبوط هذا الرجل عاصمة الصين لم يكن « نذيراً » بالحرب الاهلية وحدها ، بل كان نذيراً كذلك بان الراحة التي استمتع بها «بويي» سوف تعصف بها اهواء ذلك اللص السفاح . غير ان ما حدث بالفعل ليس من المستطاع معرفته على وجه التدقيق ، بل الظاهر ان في احدى الليالي كان « شانج سون » يقصف مع رجاله عند باب من ابواب المدينة الجنوبية فأكل وشرب وذهب الى مسرح فشهد رواية تاريخية تقص طرفاً من عظمة الصين وجبروت امبراطرتها فلما لعبت الخمر برأسهِ يمم نحو المدينة « الحرام» واقتحم القصر الملكي ودخل الى الجناح الذي يشغله الامبراطور المعزول ، وايقظ الامبراطور الفتى الذي لا يتجاوز من العمر اثنتي عشرة سنة وجرَّه الى ردهة التتويج والبسه الاردية الامبراطورية الصفر وحياهُ التحية التقليدية التي كان يحيِّي بها الشعب ابناء السماء عند تبوئهم عرش التنين . ولكن ابن السماء كان مذعوراً . وكان يبكي بكاءً مرًّا

أما حاشية الامير فلم تكن اقلّ ذعراً منهُ ، لان رجالها كانوا يعرفون ما سوف يسفر عنه القريب . ولم يطل انتظارهم ، ففي بكرة الصباح تحركت جيوش الحكومة وبعد معركة قصيرة « شانج سون » وتبددت قواته ، فلجأ هو الى السفارة الدنمركية ليحتمي بها . ولكن بقي ذلك ما ينتظر من سخط الحكومة على الامبراطور الطفل . فلم يحدث شيء سوى ان ارجع براطور الى الاجنحة المخصصة له في القصر واُغلقت عليه الابواب، وعكف على عيشته الهادئة ، الاهم بعض ذكريات مؤلمة خلفتها تلك الليلة الرهيبة مرسومة على صفحات نفسه

وظلّ الامبراطور يطوي العمر في هدوئه وبين جنبات قصره الفسيح ، والمدافع من ، تدوي والثورات تتوالى والحروب تأ كل الاخضر واليابس ، فلا يسمع لها دويًّا ولا يأبه منها . وكانت موجة التجديد قد اجتاحت كل نواحي الصين ، حتى لقد استطاعت ان تقتحم ان القصر الملكي الضخمة ، فدخل لأول مرة الى ذلك القصر معلم انكليزي يثقفه في المعرفة يثة . ولكنه اراد ان يجرع التجديد جملة بدل ان يأخذه اجزاء ، فتعلم اللغة الانكليزية ومرن ركوب الدراجة وخلع ملابس اجداده ولبس الاردية الاوربية ، وتنصر باسم « هنري »

يا للاقدار : أيصبح آخر سلالة ملوك الصين وامبراطرتها ، ابناء السماء وظلّ الله فوق الارض ، نري النصراني » ؟ اهذا الشاب هو سليل اولئك الجبابرة الذين كانوا لا يستقبلون سفراء الدول ربيةمنذ مائةعام، الاّ والسفراء راكعون، ولا يتقدمون اليهم الاّ جثواً على الركب ووجوههم نحو ض ؟ غير ان الحوادث لم تترك هذا الشاب المجدد عاكفاً على عيش الهدوء والتأمل والتطلع العلياء من غير ان تعصف بهدوئه.ففي سنة ١٩٢٤ هبت على الصين عواصف حرب اهلية انتصر فيها نج يوسيانج » . وكان هذا الثائر الجديد مزيجاً من نزعات مختلفة فكان نصرانيًّا شيوعيًّا عالماً داً مدرباً ودسّاساً من اقدر من انبتت ارض الصين . فلما قبض على ناصية الصين واحتلت جنوده ممتها فكر في ان يقضي على ذلك الوهم الذي يدعي الملكية الصينية . وعلى حين غفلة ومن غير يعرف احد ذلك السر نُقل « بويي » من المدينة الحرام ومعه حاشيته الى « تنتسن » ولجأوا السفارة اليابانية ، وساءت حاله ونقص معاشه الى ٥٠٠ر٠٠٠ دولار كانت تعطى اليه كلما سمحت وف الخزانة ، واصبح يعيش سجيناً في بضعة امتار من ارض الصين وتحت ظل الراية اليابانية ، ـ ان كانت كلمة جدوده شريعة لاربعمائة مليون من النسمات البشرية

ومضى « بويي » يعيش عيش الفقر والذل في ظل الحماية اليابانية حتى هيّأ القدر له ان تغزو ابان منشوريا سنة ١٩٣١ وتجعل منها دولة مستقلة وتأخذ وديعتها في سفارتها الى عرش التنين في رض التي خرج منها آباؤه غزاة فاتحين قبل ثلاثة قرون . فهل يصدق عليه قول الشاعر

والقت عصاها واستقرّ بها النوى   كما قرّ عيناً بالاياب المسافر

ام ان القدر يخبأ له من مفاجآته ما لا يدور بخلد انسان ؟

[illegible]ـبل ورومية وجنوة والغالب ان العرب في الولايات التي نزلوها من جنوبي ايطاليا لم يؤثروا بصناعاتهم [illegible]ـلهم ولم يخلفوا أثراً من آثارهم كالنقود والرنوك والمصانع والجوامع على ما حقق ذلك العلامة نالينو

اما في جزيرة صقلية فان العرب طالت فيها ايامهم الى سنة ٤٨٤م وأثروا فيها انواع التأثير فتركوا [illegible]ـهلها اولاً عاداتهم وقوانينهم وحريتهم الدينية المطلقة واكتفوا منها بجباية قليلة كان مقدارها اقل [illegible]ـا كان يستوفيه اليوناني منهم واعفوا منها النساء والاولاد والرهبان وحافظوا على جميع الكنائس [illegible]ـلموجودة ولم يسمحوا بأنشاء غيرها على خلاف ماجروا عليه في الاندلس وعمدوا الى الزراعة والصنائع [illegible]ـاحيوها وادخلوا اصنافاً من الزرع لم تعرفها الجزيرة ومنها القطن وقصب السكر والزيتون والبردي والكتان والمران واقاموا المجاري التي لم تبرح ماثلة للعيان وعلموا الناس عمل القني ذات الانابيب المعقفة (السيفونات) وكانت قبلهم غير معروفة

وانشأ العرب في صقلية مصانع لصنع الورق ومنها انتشرت الوراقة في ايطاليا . وعدنوا مناجم الجزيرة وعلموا اهلها صنع الحرير. والغالب ان صناعة صبغ الثياب انتشرت في اوربا من صقلية ومن مصانع الصقليين كانت تصدر الاكسية المحلاة بالجواهر والطنافس المصورة والمنقوشة والجلد المدبوغ والحلى البديع وبالاجمال حمل العرب الى صقلية مظاهر غريبة من فنهم وقناطرهم العالية الجميلة ونقوشهم من المقرنصات وجمال قاشانيهم ذي الميناء والفسيفساء المعمولة من الرخام الملوّن وصورهم الجميلة وبهيج صناعاتهم وما كادت اعلامهم تعلو هذه الجزيرة العظيمة حتى نمت التجارة وكانت قبلهم ضئيلة وانشأوا [illegible] يقلعون على سفنهم الى الجهات الاربع وكانت لهم حكومة ذات مجد ورقي وكثر المسلمون فيها خلال قرنين حتى اصبحوا نصف سكان الجزيرة

وسار النورمان على سياسة رشيدة لما استولوا على صقلية وقضوا على سلطان العرب فيها [illegible]ـقوا المسلمين على عاداتهم ودينهم ولسانهم واستعملوا منهم كثيرين في قصورهم وحروبهم فكان منهم القواد والعظماء والعلماء في خدمة الدولة الجديدة وبقيت لغتهم رسمية في الجزيرة مدة حكم النورمان وتعلم ملوكها العربية ومنهم من برزوا فيها ونظموا فيها الاشعار وطربوا لادبها وهكذا تخلق النورمان باخلاق رعاياهم وعاملوهم معاملة نادرة في باب التسامح السياسي وعدم التحزب الديني في القرون الوسطى حتى اتهم البابوات امراء النورمان بانهم دانوا بالاسلام وما زالوا بهم حتى قضوا عليهم بهذه التهمة وغيرها

كان روجر اول ملك نورماني استخلص صقلية من العرب هو واضع اساس هذا التسامح مع المسلمين وهو الذي استقدم اليه من بر العدوة — وبر العدوة ما سامت الاندلس وصقلية من شمال افريقية ويعنون بالعدوة المغرب الاقصى والاوسط والادنى — الشريف الادريسي وبالغ في اكرامه وطلب اليه ان يبقى في صقلية وان يحقق له اخبار البلاد بالمعاينة لا بما ينقل من الكتب [illegible] [illegible] البناء وجهزهم روجر الى اقاليم الشرق والغرب والجنوب والشمال [illegible] [illegible] ليصوروا ما شاهدوه عياناً [illegible] [illegible]

الدمقراطية في فرنسا

هل تتجه الى الفاشستية

في السياسة أزياء ، كما في الادب والملابس . فروما القياصرة أخرجت للعالم زي «الامبراطورية» تتبعهُ العالم ثمانية عشر قرناً . ثم انشأت انكلترا « الحكومة المسؤولة » فكانت مطلب الامم في القرن التاسع عشر . وكان الحكم بواسطة مجلسين يوافق مزاج أهلها . فلقيت في عهده إقبالاً ورخاء فظنت الامم الاخرى ، ان هذا النوع من الحكم ، يوافقها كذلك

وتلا ذلك النجاح الذي اصابتهُ الفاشستية ، في ايطاليا ، والقضاء على الحكم البرلماني في روسيا، فأصبح من زي العصر التنبؤ بزوال الديمقراطية . ففي المانيا نظام فاشستي وزعيم يملك سلطة دكتاتورية . وها هو ذا الدكتور دولفوس حاكم بامره في النمسا . ولا ينكر ان ما يغذي الواحد قد يسمّ الآخر . ولما سئل صولون الحكيم ، هل منح اثينا الدستور الكامل قال : انهُ منح تلك المدينة أحسن دستور يلائمها في ذلك الزمن . اي ان «الكمال» في الاشكال السياسية نسبي . ولا ريب في ان هناك تحولاً مشهوداً في نظام الحكم في هذا العصر ، فهل هو يهدد الدمقراطية في فرنسا

اذا قلنا إن تيار الفكر ، الذي قلب انظمة الحكم في البلدان المجاورة لفرنسا ، لم يلق تربة صالحة في بعض الاذهان الفرنسية ،كان الامر باعثاً على الدهشة والاستغراب . وقد مضت اشهر والفرنسيون يقرأون الدعوة الى تأليف حكومة فاشستية وكانت الدعوة صادرة من ناحيتين من اليمين — تحس فيها احياناً بنزعة بونابرتية واحياناً بنزعة ملكية ، ولكنها لا تعدو كونها خطباً تبين ما للسلطة الحازمة من الشأن في تسيير سفينة الدولة — ومن اليسار تدعو الى فاشستية اشتراكية راديكالية على مثال من دكتاتورية الشيوعيين في روسيا والفاشستيين في ايطاليا في آن واحد

فما هو امل هاتين الدولتين في النجاح ؟ لا ريب في ان التنبؤ كثير المزالق . لانهُ قد تقع حوادث لا يستطيع العقل أن يتصورها ، فتقلب التيار ، وتجعل النتائج المبنية على مقدمات معينة ناقصة ، مشوّهة . فلننظر في اهم العوامل التي يمكن ان يبنى عليها حكم في هذه الناحية من الحياة الفرنسية الآن

اولاً — ان قلب النظام الدمقراطي في فرنسا يحتاج الى زعيم والى حزب يستند الى جيش فاشستي. فقد كان لموسوليني او لهتلر ، الوف من الاتباع . وكانوا يطوفون بفرق اتباعهم المنظمة يعرضونها في كل مدينة. وكانت قوتهم معروفة . وكانت الحكومات الضعيفة في بلاديهما لا تستطيع ان تقف في وجوههم ، لصد تيارهم الجارف . ولسنا نجد في فرنسا شيئاً من هذا فليس في فرنسا حزب له جيش منظم على ما نعلم . فاذا حاول بعضهم تأليف ذلك الحزب ، وتنظيم ذلك الجيش ، فالراجح ان الحكومة مؤيدة بالرأي العام وقوة البوليس السياسي لا تعجز عن كبحه وقمعه

ثانياً — ان انشاء هذا النوع من الجيش يجب ان ينبع من وجود تبرم شديد او شكوى صادقة

شكو منها الشعب . ففي البولشفية ، كان ذلك التبرم تبرم العمال والفلاحين . ولكن الحركة الفاشستية نشأ في الغالب من الطبقات الوسطى الفقيرة والباعث عليها في نفوسهم ، اما فقرهم المدقع الذي لا يحتمل ، او خوفهم من ثورة العمال . وفي المانيا تحقق الامران بل تحقق امر ثالث كذلك هو الحنق على معاهدة فرساي . اما في ايطاليا فان عنف الشيوعيين ومحاولتهم قلب الحكم واحداث الثورة ، كان الباعث الاول على انشاء الفاشزم ومحاربتهم كانت سبيلها الى النصر . أما في فرنسا ، فلسنا نجد أحد هذين الشرطين ، اللذين نكاد نجزم بأنهُ لا بدَّ منهما لتلقى الدعوة الفاشستية آذاناً صاغية

ومع ذلك لن ينكر ان الديمقراطية في فرنسا معرضة لاخطار كبيرة . ففي العاصمة وفي الارياف تألفت جماعات من دافعي الضرائب للاحتجاج على فداحة نفقات الدولة ، وعلى عبء الضرائب الذي يكاد يحني ظهورهم . وأصل هذه الحركة ، متغلغل في طبيعة الفرنسي وخلقهِ لانهُ يميل الى الاقتصاد . ولا بدَّ لحكومات فرنسا من اعارتهم كل انتباهها وعنايتها . فهل يمكن ان تصبح هذه الحركة نواة لتنظيم فاشستي ؟ ليس من السهل ذلك . لانها تلقى مقاومة شديدة من جميع موظفي الحكومة . وهذا يعني ان تبعة كبيرة تقع على عاتق هؤلاء . فخير لهم ان يتخذوا الحذر رائداً . فهم أول من ينتفع بالنظام القائم ، والحكمة واجب عليهم تقتضيهِ مصلحة الوطن من ناحية والمصلحة الخاصة من ناحية اخرى

ثم هناك تبرم الشبان . فحالة الشبان ، الذين اجتازوا امتحانات الطب ، او القانون ، او الهندسة تبعث على الاسى ، وباب الامل موصد في وجوههم . ففي عهد الوزير شيرون امتنعت الحكومة عن اتخاذ موظفين جدد . فالى م يتطلع الشباب المسلح بالشهادات العالية ، الخالي الوفاض ؟ ان في صفوف الشباب تبرماً وبعضهم يقترح نقص السن التي عندها يحال الموظف الى المعاش ، لكي تفتح امام طائفة كبيرة من الشباب أبواب العمل . ولخيرٌ للموظف الذي قضى عمره في خدمة الدولة ، ان تزيد مدة معاشه بضع سنوات على ان يترك الشبان يقودهم القنوط الى الثورة

يضاف الى ذلك الخوف من التضخم . فالفرنسيون الذين جمعوا بجدهم واقتصادهم ، ثروة مايعتمدون عليها ، في الشيخوخة او أيام الضيق ، خسروا اربعة اخماسها لما وقع التضخم الاول ، وهوى الفرنك حتى جاء بوانكاره وثبته سنة ١٩٢٦ ومجرد التفكير في احتمال وقوع تضخيم آخر يدفعهم الى الجنون . صحيح ان افراد هذه الطبقة مسالمون ، وليسوا في سن الشباب ، ولكن ما يمنع الدعاة البارعين من ان يستمدوا من صفوفهم قوة كبيرة ؟ فاذا عجزت الحكومات المتتالية عن حلّ هذه المشكلات التي تواجهها فرنسا ، فلا يبعد ان يشتد التبرم بالحال شدة تجعل انتشار الفكرة الفاشستية أمراً طبيعيًّا . والحال في باريس أوفق لنشوء الفاشستية منها في سائر المدن والمقاطعات الريفية حيث الدمقراطية فيها راسخة الاصول وفرنسا كبريطانيا تعوّدت الحرية وهي عادة يصعب الاقلاع عنها

على ان هذا لا يمنع اقامة زعيم ومنحه السلطة اللازمة لمدة معينة حتى يعالج مشكلات خاصة لان كل الاعمال الصعبة تقتضي سرعة لا يستطيعها رئيس الوزارة في بلاد دمقراطية كثيرة الاحزاب كفرنسا واقامة دومرج على رأس وزارة قومية تضم ستة من رؤساء الوزراء السابقين من هذا القبيل

حديقة المقتطف

ينبوع دم

لبُدلير الشاعر الفرنسي

صاحب المسحاة

لأدون ماركنهام

ذئب البحتري

ينبوع دم

للشاعر الفرنسي بُدلير

كأني بدمي يسيل الحين بعد الحين مدرارا
مثل ينبوع له زفرات موزونة .
اني لاسمعه يسيل في جَرْسٍ مديد
ولكني ان تحسّست الجرح لا أظفر به

ينطلق الدم في نواحي المدينة او حقلٍ مسوَّر
فيحوّل الحجار التي تفرش الارض الى جُزُر صغيرة
وينقع غلّة الخلق واحداً واحداً
ويردُّ الطبيعة حمراء ، حيث يمرّ

طالما رغبت الى خمورٍ خدّاعة
ان تكشف عني — مدى يومٍ واحدٍ — الهولَ الذي يُضنيني
الاّ ان الخمر تزيد في صفاء العين ولطف الاذن !

تلمست في الحب نوماً غير ذَكور
ولكنْ ليس الحب عندي الاّ فراشاً من إبَر
صُنِعَ ليَستقي اولياء البغايا القاسيات !

[اختارها ونقلها الدكتور بشر فارس]

صاحب المسحاة

كتبها الشاعر الاميركي ادون ماركهام

على اثر رؤيته صورة لميليه المصور الفرنسي تمثل عاملاً اضناه العمل

« خلقَ الله آدمَ على صُورَتِه » حديث نبويّ

أرأيتموهُ !! متوكئاً على نِصاب مِسحاته ، قد قوَّست — ما سوّى الله من عوده — اثقالُ السنين ، فهو يُصوّب الى الارض من نظراته

أرأيتموه !! وفي محيّاه يتراءى خواء الاجيال المتصرمة ، وعلى ظهره اعباء الحياة الدنيا

ألا فمن ذا الذي ردّه ميتاً لا تنبعثُ منه طاطئة في طرب ، ولا تقشعرُّ فيه جارحة من يأس ؟ من ذا الذي صيره شيئاً لا تحزنهُ نائبة ، ولا يحركه امل . كأنما هو ثور أعجم في بلادته وحيرته ؟

من ذا الذي وطّأ فكّه الوحشيّ حتى استرخى ؟ ولمن كفٌّ دكت هذا الجبين حتى انهزم ؟ ولمن نَفَسٌ عصف بشعلة هذا العقل حتى انطفأت

أهذا هو المخلوق الذي برأه الله وسوّاه وأخرجه ليكون له السلطان على البرّ والبحر ؟ وليتوسّمَ النجوم في افلاكها ؟ وليستنبط القدرة من بناء السماوات ، ولينتفض احساسه بنشوة الخلود ؟ سبحانك الله .... فما نظنّ ان في جهنّم — ما بين خافيها وباديها — صورة هي ابعث للرعب والفزع من هذه الصورة . لا ولا صورة هي افصح لساناً بخزي هذه الارض في حرصها الاعمى . او صورة هي اجمع للآيات والنذر المرسلة لهذه النفس الانسانية . او صورة هي احفل بأشراط الدمار الذي يأتي على هذا العالم

شتّان ما هذا الحيوان الذي يحمل اثقال الحياة ، وما حَمَلَةُ العرش من الملائكة المطهرين . ما لهذا العبد الذي يدير طاحونة الحياة ، ولافلاطون وفلسفته السامية ؟

ماله والثريا وعنقودها الخافق في ارجاء السماء ؟ ماله ولسُبُحات الاغاني المترامية ؟ ما لهذا المبد وتَنَفُّس الفجر النديّ وانبلاجه ؟ ما له وللون الفاتن في الوردة الجميلة

من خلال هذا الشبح المفزع تطل علينا الاجيال المعذَّبة ، وفي هذه القامة المقوّسة تتمثل مأساة الحياة . بل من خلال هذه الصورة شكت الانسانية بثها الى القدرة العالية التي خلقت السموات والارض ، حين خدعت بالخيانة ، وسُلِبت بالمكر ، وأُذيلت باللؤم ، واستُصفِيَت مواريثها بالمظالم . فكان بثها وشكواها شُعْبَةً من الوحي والنبوّة

وأنتم ، أيها الارباب والامراء والحكام في جنبات الارض . . . أهذا ما تُقَدِّمهُ أيديكم من عمل الى ربكم سبحانه ؟ . . . هذا المسخ المشوّه ، . . وقد ذهبتم بنور النفس التي كانت تضيء في قلبهِ . . . ! ! تبًّا لكم . . . كيف تقومون مرة اخرى ما تقوّس من هذا العود المعوجّ ؟ انفثوا فيهِ — ان استطعتم — روح الخلود . . بل ردّوا عليهِ النظرة السامية التي كانت لهُ ، بل النور المبصر الذي كان في عينيهِ ، . . . ردّوا عليهِ نَشوتهُ للطرب ، ولذته في الاحلام . ارفعوا عنهُ ما نزل بهِ من القُضُوح الباقية ، وأصلحوا ما كان من الخطايا الشائنة وامسحوا عن قلبه هموماً لا طِبَّ لها

أيها الارباب والامراء والحكام في جنبات الارض

ألا خبرونا أين يضع الغيب المحجوب هذا الانسان ؟ وكيف يجيبهُ عن سؤاله المُتَوثِّب الضاري يوم تزول الارض ، وتخرّ الجبال ويتدافع الكون بعضهُ في بعض . . ! ألا وظنّوا ما يفعل بهؤلاء الارباب الظالمين والملوك المتجبرين الذين نَكَّروا الصورة التي سوّاها الله ثم صوّروه في تجاليد هذا المسخ الهائل

ظنّوا . . . يوم تُبدَّل الارض غير الارض والسموات

يوم يأتي القاهر الجبّار ليحاسب خلقه الجبارين

يوم ينطق الحقُّ الابديُّ ، ويسكت الزمن الفاني

« يومَ يَقُومُ الروح والملائكةُ صفًّا لا يتكلمون الاَّ من أَذِنَ لهُ الرحمن وقال صوابًا »

« يومَ ينظُرُ المرء ما قدَّمت يداهُ ويقولُ الكافِرُ يا ليتني كنتُ ترابًا »

[نقلها بتصرف يسير محمود محمد شاكر]

ذئب البحتري

وليلٍ كأنَّ الصبحَ في أُخرياته … حُشاشةُ نصلٍ ضمَّ إفرنده غمدُ

تسربلتُه والذئبُ وسنانُ هاجعٌ … بعين ابن ليلٍ ما لهُ بالكرى عهدُ

أُثيرُ القطا الكدريَّ عن جثماتِه … وتألفني فيه الثعالبُ والربدُ [2]

وأطلس[3] ملءِ العين يحمل زورَهُ … وأضلاعه من جانبيه[4] شوىً نهدُ[5]

له ذَنَبٌ مثلُ الرشاءِ يجرُّه … ومتنٌ كمتن القوس اعوجُ منأدُ[6]

طواه الطوى[7] حتى استمر مريرُه … فما فيه الاَّ الروح والعظم والجلدُ

يقضقض عُصلاً[8] في أسرّتها الردى … كقضقضة المقرور أرعده البردُ

سما لي وبي من شدة الجوع ما به … ببيداءَ لم تُعرَفْ بها عيشةٌ رغدُ

كلانا بها ذئبٌ يحدِّث نفسه … بصاحبه والجدُّ يتعسه الجِدُّ

عوى ، ثم اقعى فارتجزت فهجته … فأقبلَ مثل البرق يتبعه الرعدُ

فأوجرته[9] خرقاءَ تحسب ريشَها … على كوكبٍ ينقضُّ والليلُ مسودُّ

فما ازداد الاَّ جرأةً وصرامة … وأيقنت أنَّ الأمر منه هو الجدُّ

فاتبعتها أُخرى فأضللتُ نصلها … بحيث يكون اللبُّ والرعبُ والحقدُ

فخرَّ وقد أوردته منهل الردى … على ظمإٍ لو أنَّهُ عَذُبَ الوِردُ

وقمتُ فجمَّعتُ الحصى فاشتويته … عليه وللرمضاء من تحته وقْدُ

ونلتُ خسيساً منهُ ثم تركته … وأقلعتُ عنه وهو منعفرٌ فرد

---

(١) الكدريّ ضرب من القطا غبر الالوان (٢) السباع : (سميت هنا بلونها) (٣) الاطلس الذئب الامعط في لونه غبرة الى السواد (٤) الشوى اليدان والرجلان والاطراف (٥) نهد مرتفع (٦) المنأد المعوج والمحني (٧) الطوى الجوع (٨) العصل الانياب السود (٩) أوجر الرمح طعنه به

مملكة المرأة

فضل المرأة على المدنية الحديثة

للآنسة « مي »

أريد المرأة بعيدة عن التصنع

التدخين والصحة

العادة والتربية
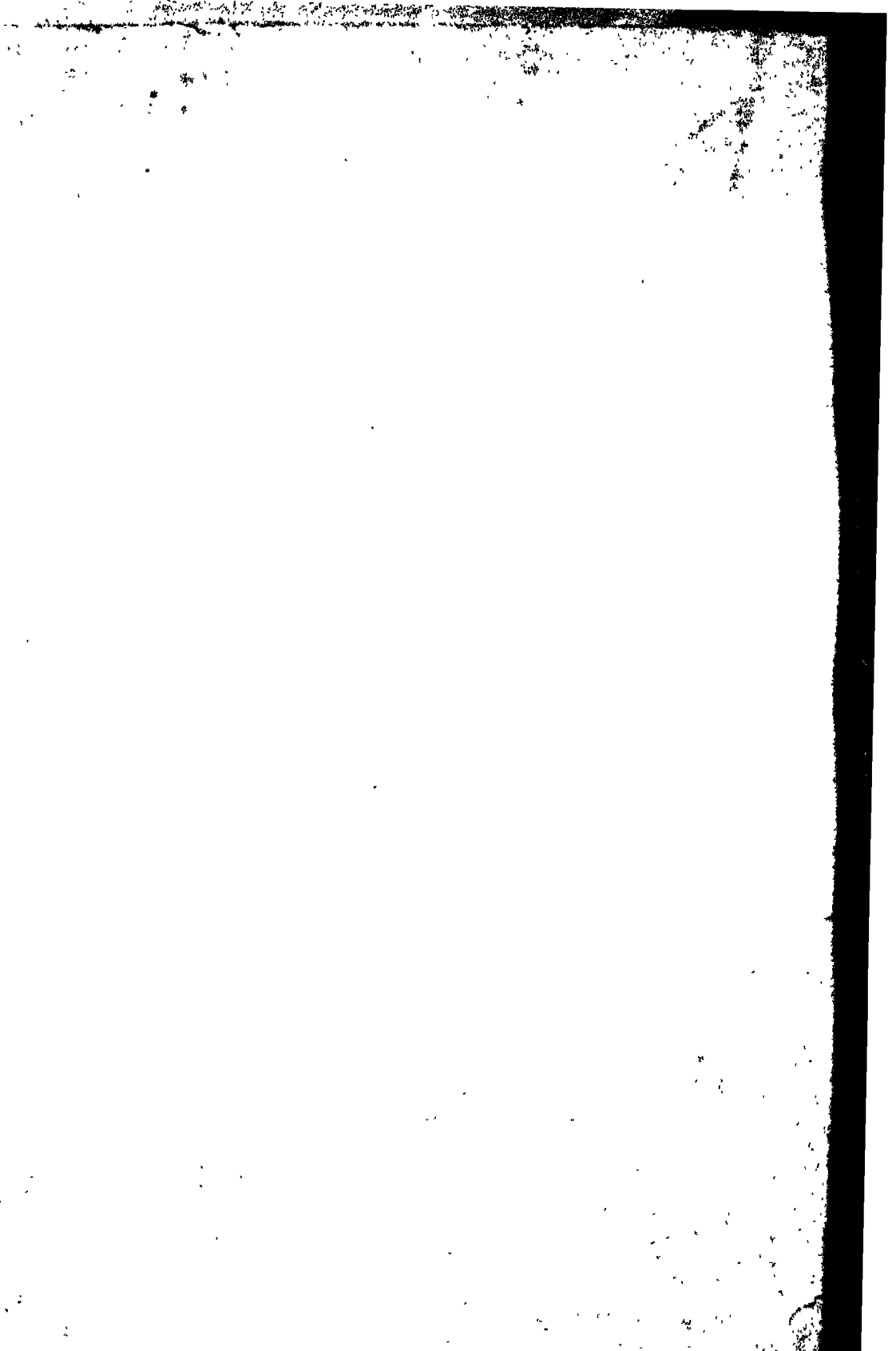
ـجعله مصنفاً سماه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق وهو من أجل كتب الجغرافيا التي بقيت
ليف العرب . وعمل الادريسي لروجر كرة أرضية من الفضة كانت من اجل ما ابتدعته قريحة
رسم فيها العالم ببحره وبره وجباله وسهوله وانهاره وبحيراته ومدنه وممالكه
كان تأثير العرب في صقلية بعلمهم اكثر من تأثيرهم بعبانيهم ومصانعهم وكان الروح فيها عباسيًّا
لميًّا لان بني الاغلب امراء افريقية اي تونس للعباسيين تولوا ذلك منها اولاً ثم جاء الفاطميون
ـت لسلطانهم اما في الاندلس فكان الروح امويًّا بحتاً لاسلطان فيها لغير العرب. يقول العلامة
ى المستشرق الصقلي ان صقلية مدينة للعرب وايطاليا مدينة لصقلية بابتكار الشعر الوطني بمعنى
ـنذ قلد البلاط الصقلي البلاط الملكي الاسلامي بدأت العناية بقرض الشعر تلك العناية التي كانت
ب في نهوض الشعر الايطالي. وقال رينالدي لم يساعد العرب فقط على انهاض الشعر الصقلي والايطالي
ـهم امدوا القصص الايطالية بشكلها ومادتها . وفي بلرم التي اتخذها العرب عاصمة صقلية وعمرت
ـناً غريباً، انشأ العرب اول مدرسة للطب وما عهد مثلها في جميع اوربا فقد انشئت مدارس الطب
ـغرب بعد مدرسة صقلية العربية باعوام ومنها انتشر الطب في بلاد ايطاليا وساعد ان البابوات
ا رحلوا الى افنيون من ارض فرنسا فخلا الجو للعلم العربي ثم تفرغ العرب بعد ذهاب سلطانهم
الجزيرة الى العلم والتجارة . فكانوا نحو قرنين آخرين بعد خروج صقلية من ايديهم رجال المال
ـعمال فيها بل كانوا سادتها بالفعل . ومن كان له العلم والمال لا ينقصه شيء من القوى والاعمال
اخرجت هذه الجزيرة في العهد العربي عظماء من الرجال في العلم والادب وكان عددهم بالقياس
ـن اخرجت الاندلس قليلاً وقلّ فيهم النوابغ في علوم العقل على نحو ما كان في الاندلس ولكن
، صقلية في التمدين لم ينقص كثيراً عن مهمة الاندلس فاذا كانت هذه الجزيرة غذت غرب اوربا
ـة قرون بمدنيتها فان صقلية كانت مدة رسالتها ثلاثة قرون ترسل اشعة المدنية العربية الى
ـسط اوربا . ولعلّ ما دعا صقلية الى ان تكون دون الاندلس في هذا المضمار كون العرب فيها
ـلّ وا كثر من نزلوها من البربر بخلاف الاندلس التي كان فيها العرب كثرة فامرة هاجروا اليها
ـت لهم مستقراً ومقاماً
وقصارى القول ان العرب في الاندلس وصقلية بما كان لعنصرهم من المرونة تتقبل كل نافع
ول حسن كتب لهم الابداع في صنائعهم ومصانعهم وشعرهم وأدبهم وعلمهم وعملهم كأنّ هواء
ـب عليهم ان يجوّدوا ما حملوا معهم من مدنية الشرق بما يلائم تلك البيئة الجديدة وحببوا امر
[illegible] اكثر ما نقلوه الى اهل البلاد فطبعوهم بطابعهم وصاغوهم الصياغة التي لا تنافي تعاليمهم وتقاليدهم
[illegible] ودلوهم على سر حضارتهم وتفوقهم . وسرى النور من ارض احتلوها
[illegible]

فضل المرأة

على المدنية الحديثة

محاضرة الآنسة النابغة « مي »

في جامعة القاهرة الاميركية

..

جناب الرئيس المحترم ، أيها السادة والسيدات

للمرأة سمعة غير حسنة منذ زمن بعيد ، منذ عهد الفردوس الارضي حيث جرت المفاوضات
برة في شأن التفاحة بين الشيطان المتنكر في زي حية . وبين حواء الام الاولى . فالى تفاحة
، تُعزى جميع الشرور المنتشرة في العالم ، وبسببها طرد الانسان الاول من جنة الفردوس فخرج
هذه الحياة الراهنة بما فيها من نكد وعناء وبغض وعذاب ومرض وموت وحرمان . فلو لم تكن
ة حوّاء ، او الثمرة المحرّمة ، ما حكم علينا نحن بني آدم ، بكل ما نكابده من ألم وشقاء . وما كان
ن نتدرج في مراتب المدنية التي هي جهاد مستمر ضد الهمجية . فقضية مسلمة اذن ان المدنية
نجمت عن تفاحة حوّاء !

قلت المدنية كلّها . لانكم تعلمون انما عند ما نتكلم عن مدنية الماضي ومدنية الحاضر ، او
ة الشرق ومدنية الغرب ، انمـا نفعل بداعي المعاني الموقوتة ولتقسيم الازمان . اما في الواقع
ية واحدة منذ بدء التاريخ تطورت واتسعت وانتشرت دهراً بعد دهر . اذ اخذ منها كل شعب
ق وحاجته وطبيعته ، فزاد عليها أبان نهضته وازدهاره بما ابتكرته عبقريته وحققته حاجته .
ست بعدئذٍ عنه وعن غيره شعوب اخرى ناسخة ومكتفية بالنسخ ، او ناسخة فمبدعة في
كار ونتاج الجهود . وهـكذا يسير موكب المدنية رحيباً مترامياً ، تشترك فيه جميع الشعوب
كاً سلبيًّا او ايجابيًّا ، وفقاً لذكائها واستعدادها ومواهبها قرناً بعد قرن . ليس هنا مجال
ث في هذا الموضوع الشائق الطريف ، ولكن الالماع السريع اليه كان ضروريًّا لحديثنا

يقول السادة الرجال — عفى الله عنهم وعن ذنوبهم العديدة — : هذه المدنية انما هي صروح
ة وتشريع وزراعة وصناعة وأدوات وآلات وثقافة وعلوم وفنون وآداب . فأين يد المرأة في
لك ؟ الرجل هو الذي ابتكر وانتج ، وما فتىء يبتكر وينتج . والمرأة تستغل ذلك الانتاج
لكه . فأي فضل للمستغل المستهلك ؟

فضل المستغل المستهلك أيها السادة والسيدات يقوم في كونه يمكّن العامل المنتج من المضي في
ل والانتاج ، ويوحي اليه جديد ما يبتكر ، ويغذي حركة الصناعة والتجارة والعمران . فلو لم
، للمرأة غير هذا الفضل على المدنية لكفى بهِ فضلاً ! ولكني اظن ان للمرأة بعض الافضال
خرى غير الاستهلاك !

ويقول الرجل الراقي حقًا : — المدنية في أسمى معانيها هي شهامة وخلق ودين . فأين فضل
أة في عالم الشهامة والخلق والدين ؟

مثلٌ واحد لا غير ، في كل من الاديان الثلاثة الكبرى التي خرجت من شرقنا هـذا الصغير
سبغت النور على العالم . وكل من هذه الامثلة الثلاثة كافٍ ليشرّف اسم المرأة على الدوام . فلولا
نة فرعون ما خلص موسى من الغرق ، ولولا عناية ابنة فرعون ما شبّ موسى فصار الكليم الذي
بصر وجه الله فيعود الى قومه بلوحيْ الوصايا . والسيد المسيح في ساعة الاهانة والغم والتفطر ؛
ند ما توارى من حوله الرجال الصناديد تلاميذه واصدقاؤه — لم يرَ عند قدميه الاَّ رجلاً واحداً
هو تلميذه يوحنا ، وامرأتين اثنتين هما امه الوجيهة مريم ومريم اخرى هي المجدلية تلميذته . والنبي
العربي ، فتى الصحراء الملهَم ، اول من آمن برسالته امرأة . وقد كافأ المرأة كريماً يوم قال كلمة
تتجاوبها الاجيال : خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء !

وهذا هو الشرق ، شرق المرأة ، الذي انال العالم بأسره ديناً وشرفاً اخلاقيًا والهاً

***

تذكرون ، أيها السادة والسيدات ، ان الكاتبة الفرنسية العظيمة مدام دي ستايل ، سألت
نابليون يوماً اي النساء أحب اليه . فأجاب لفوره : أحبهنَّ اليَّ المرأة التي هي أم ابناء عديدين ،
المرأة الولود . وتعلمون ان هذه الكلمة لم يقلها من نابليون الاَّ القائد والامبراطور الذي لم يكن له
من وسيلة لتوطيد عرشه الاَّ التوسع في فتح البلدان وبسط نفوذه عليها . بالحرب اعتلى العرش
وبالحرب وطد ذلك العرش . ولتغذية الحرب وضمان النصر لا بدَّ من عديد الجنود . فلا غرو اذا
هو كان شديد الحاجة الى المرأة التي تعطيه رجالاً كثيرين يهلك منهم الهالك فريسة للسيف والنار ،
ويحتلّ الباقون البلاد مثبتين فيها نظام الفتح جاعلينها رقعة من الدولة النابوليونية . نابليون القائد
والامبراطور هو الذي قال هذه الكلمة . اما نابليون الرجل فقد نقض هذه الكلمة لانه طول حياته
أحب امرأة واحدة تغلب حبها عنده على كل حب ، وكان اسمها آخر كلمة تلفظ بها عند موته . وتلك
المرأة هي جوزفين التي لم تعطه ولداً !

وهذا القائد والامبراطور العبقري حقًا ، الذي يودُّ ان يحصر عمل المرأة في اخراج الابناء ؛
هو الذي كان يحسب للمرأة حساباً في كل شأن فيقول . فتش عن المرأة !

الامومة هي اسمى قداسة في المرأة . فلولا امومة الام ما وجدت في العالم مدنية ولا همجيه . ولا
ن للنوع الانساني اثر . بيد ان فضل المرأة لم يقف عند هذا الحد على جلاله . نحن نلبي دعوة
يون نبحث عن المرأة في كل عمل وكل مسعى وكل زمن فنجدها ولا نخطئها . نبحث عنها في
ن العالم كان فتيًّا والنوع البشري كالنوع الحيواني يدب على اربع ، فنجد ما يفضي اليهِ بحث
ماء ، من ان ضعف المرأة عند الوضع ، وآلامها الجسدية ، والاوضاع التي تفرضها عليها حالتها
اصة فتعمد اليها — كل ذلك كان الثمن الاليم الذي ادتهُ المرأة الى الطبيعة لينتقل النوع البشري
، الدب على اربع قوائم الى حالة الانتصاب على قدميه . ذلك الانتصاب النبيل الذي ينيل الحرية
دين وهو اول ما يميز بين الانسان والحيوان فيجعل الانسانية على الحالة التي نود ان نراها فيها .
اد في تركيز الانسان على قدميه مع اطلاق الحرية ليديه ، ان المرأة اضطرَّت الى حمل طفلها بين يديها
سير على قدميها تجاب الغذاء له ولها ، كما اضطرت الى الفرار بهِ من العدو المهاجم او من الحيوان
مترس او من اي خطر آخر مداهم

وعند ما انبرى الرجل القديم يهاجم وحوش الغاب بغية الصيد والقنص ، ويقاتل الاعداء دفاعاً
هجوماً ، كانت المرأة تهيء له اسباب الراحة والرفاهية الميسورة في ذلك الزمن . فاذا عاد من الصيد
غنيمة ، يد المرأة هي التي كانت تعد تلك الغنيمة طعاماً

وعند ما انقضى طور التشرد في الجبال والغابات واستقرَّ الانسان في مكان ثابت على الارض ،
طلق الرجل اشد شكيمة وامضى عزيمة الى الصيد والحرب ، كانت المرأة تفلح الارض وتزرع
بوب وتجني الحصاد ، وتضرب اوتاد الخيمة او تشيد جدران المسكن ، وتمهد السبل ،
قطع الغصون والاخشاب لتضرم النار ، وتنظم الحجارة موقداً تطهي عليهِ الطعام ، وتكيف
دوات المنزلية من الفخار والخزف . افلا ترون في كل ذلك المحاولات الاولى لوضع مبادىء الزراعة
لصناعة والتجارة والبناء وتخطيط المدن وغيرها من الصناعات والعلوم والفنون ؟ وعند ما بكى
لطفل فحاولت المرأة ان تنغم نبرات صوتها ملاطفة مواسية ، ألم تكن في ذلك ممهدة للموسيقى
لرقص والشعر ؟ وعند ما رجع البطل المغوار من مغامراتهِ ويداه ملوثتان بدم العدو وبدم الحيوان،
ليست هي التي قالت له « تعال يا اخي ، اغسل يديك ! » فكانت ممهدة لقوانين النظافة والصحة ؟
عند ما مرض الطفل او عاد البطل المغوار جريحاً ، أليس انها اضطرت الى ان تدرس ، لا في الكتب
لكن بالتجربة والاختبار ، مفعول الحشائش والنباتات وطريقة استعمالها ، فكانت العجائز القهرمانات
بيعة الاطباء دون ان تحملنَ لقب الدكتوراه ؟ افلا ترون في كل هذا مبادىء علوم الكيمياء
لطب والصيدلة ؟

وبعدئذ عند ما اصبحت مهمة الصيد او الحرب لا تتطلب اكثر من واحد في الخمسة او في
عشرين او في المائة ، فكثرت اوقات الفراغ عند الرجل وتولى بحكم ذلك الفراغ الاعمال التي كانت

لرأة تقوم بها من قبل ، الم يتحوَّل ذكاء المرأة داخل البيت الى ابتكار صناعات وفنون اخرى كالغزل الحياكة والنسج والتفصيل والخياطة وغيرها من الصناعات الضرورية والفنون الكمالية ؟ افلا ترون ي كل هذا خدمة للصناعة والفن وفضلاً بيناً على تطور الحضارة ؟

المرأة التي غذَّت النوع البشري جنيناً قرب قلبها ، وحملتهُ طفلاً على منكبيها ، واوقفتهُ على دميه انساناً ، وقدَّمت له الطعام يافعاً وكهلاً وشيخاً ، وداوتهُ مريضاً جريحاً ، وواستهُ حزيناً . زانت بيته بالادوات والمعدات ، هي التي وضعت وهي لا تدري ، اسس العلوم والفنون والصنائع . ل خطوة خطاها الرجل في سبيل التقدم والحضارة ، قابلتها المرأة بخطوتين وكان عملها اشق من عمل لرجل واطول . افتظنون مع ذلك انها صاحت او شكت ، او تذمرت من فداحة العمل ومن شدة وطأته على ضعفها ؟ كلاَّ ! هي تعتقد انها اذا هي القت عنها العبء الذي تحمله كانت جبانة خائنة نوعها — شأنها شأن الرجل الذي يلقي السلاح من يده وهو في ساحة القتال . ان المرأة تحتمل عناءها كما يحتمل الجندي الباسل جراحه — في سكوت وتجلد !

فلا عجب ، والحالة هذه ، ان قيصر في غزواته وفتوحاته عند ما كان يفرض الرهينة على قبيلة او قوم ، كان يصر على ان تكون الرهينة نساء دون الرجال . لاعتقاده ان المرأة اوفر قيمة واغلى ثمناً . ومجرد وجودها في حدث اجتماعي يرجح الكفة الايجابية على الكفة السلبية . لقد كانت المرأة وسيلة فعَّالة في نجاح الفتوحات الاسلامية وتوطيد دعائمها من الناحية الاجتماعية . لان المسلمين زاوجوا الاهلين في كل بلد فتحوه فاصبحوا من ابنائه في اسرع ما يكون . بينما اليونان والرومان الذين كانوا قد سبقوا المسلمين الى فتح غربي آسيا وشمال افريقيا، ظلوا بعد مئات الاعوام « الغاصبين » وظلت انظمتهم وعاداتهم بعيدة عن حياة الشعب ، لم يقتبس بعضها الاَّ نفر من سكان المدن الكبرى . كذلك ظفر المسلمون بواسطة المرأة بما لم يظفر ببعضه اليونان والرومان بوسيلة من الوسائل

***

ايها السادة والسيدات

عند ما يتكلم كاتب او خطيب عن أثر المرأة في العالم يسارع الى الكلام عنها امًّا وزوجة وسيدة بيت ومثقفة وممرضة ومدبرة وناشرة في جوّ المنزل وفي جو الوطن وسائل السعادة والهناء . وكل ذلك حق . فاذا تكلم عن ذكائها وحميتها ومواهبها ذكر ابلاء النساء جماعات وافراداً في ميادين الآداب والفنون والعلوم والتضحية والاستبسال والبطولة : ذكر مثلاً جان دارك في الفروسية الحربية ، والآنسة بوستافوتيوف البولونية في الحماسة القومية ، واسبازيا اليونانية في النفوذ الاجتماعي ، وهيباثيا المصرية في العلوم الرياضية والفلسفية ، وفلورنس نايتنجيل في بسالة الرحمة ، ومرغريتا كيرش وكارولينا هرشل

لابطال الهواء . وغيرهن ممن لا عداد لهن في مختلف ميادين العلم والبسالة . والفن والاجتماع الوطنية . حتى في الاعمال المتواضعة التي تتولاها اليوم المرأة في جميع نواحي الحياة . وهذا حق يضاً . ولو كان حديثي قاصراً على قطر واحد لاستطعت ان اشيد بذكر المرأة المصرية وبراعتها رغم حداثة عهدها بالحركة الثقافية والاجتماعية والقومية . بيد ان حديث هذا المساء هو عن المرأة عموماً ، يشمل الجنس النسائي كله في ملايينه الغفيرة التي تخرج الى الوجود مجهولة وتمضي عن الوجود مجهولة . ولكنها لا تمضي الا وقد ادت في دائرتها جميع الخدم المنوعة المطلوبة منها ، والتي لا استطراد للمدنية او لحياة المجتمع من دونها . وهذا التعميم يجعل الموضوع عسيراً ويرغمني على الاختزال مكتفية بذكر تلك الخدم التي قل من يذكرها او يأبه لها . واذا ذكرها ذاكر فعل عرضاً وبغير كثير انتباه

ملايين القرون انقضت والمرأة تكد وتنتج رغم انحطاطها في جهلها وانخذالها . انقضت لقرون وجماهير النساء كرطب الرمال على الشاطىء يسير فوقها الرجل فيطبع فيها أثر قدمه ! والمرأة ي خدمتها وفي عملها الشاق وموقفها العسير ، تنسى اهميتها وتجهل نفسها فلا تجد ما تباهي به سوى المكانة الاجتماعية والثروة والجمال ! اما ما يمتز به الفرد الانساني من الشخصية المستقلة المكونة من الارادة والضمير والمجهود ، فذلك ما لم تكن تعبأ بهِ المرأة ، ولا هي استطاعت ان تتخيل وجوده الا في حقبات خاصة من التاريخ وفي احوال معينة

ورغم الانحطاط والانزواء ، ظلت المرأة مسلحة بسلاح لا يفل ، ظلت مسلحة بالحب الذي هو حياة الاجيال ومغزى الحياة ! بالحب اخرجت النوع البشري كله ، بالحب انجبت اشبال الوطنية والعمران ، بالحب غذت الرجل وعطفت عليه ، بالحب عالجته وأوحت اليه ، وبالحب صانته من غوائل الايام . سواء أكانت المرأة سعيدة في حبها ام شقية ، سواء انصرها الحب ام خذلها ، هي دائماً مستودع الحب وكاهنة الحب والاهة الحب . وأيا كانت آلامها وغمومها في قومها فهي ، بالحب ، تحتمل في اباء وامتثال ما دامت تلك الغموم وتلك الآلام ضرورية لحياة القوم ولراحتهم . فاذا ما ثبتت من ناحية المرأة محاولة جادة في تعديل شؤونها فذلك الدليل القاطع على ان شؤون القوم آخذة في التبدل تبدلاً يفرض التغيير والتعديل في شؤون المرأة ، وان امتثالها القديم لم يعد ذا نتيجة حسنة في حياة القوم او الجماعة

رعدة جديدة سرت في العالم بأسره في هذه الاعوام الاخيرة . رعدة جديدة تناولت النساء والرجال والشيوخ والشبان كما تناولت عناصر الطبيعة على نوع ما ، وشؤون العمران جميعاً . رعدة جديدة قلبت ظروف المرأة بمقتضيات اقتصادية واجتماعية وروحية لم تعهدها من قبل . ولأن المرأة عالية رفيعة الشأن ، ترى الرجل وجلاً خائفاً من النتيجة يندد بشرور المرأة وبما قد ينجم عن ضعضعها من الويلات . ولكن هذا التضعضع هو من مستلزمات الانقلاب العنيف الذي نحن

فيه ، وهذا الانقلاب هو الخروج من الجمود . ستنتظم الشؤون شيئاً فشيئاً لتأخذ مجراها الطبيعي الذي يطمئن اليه الرجل، ولكننا لا ندري هل فيه سعادة المرأة وهناؤها . بيد أنَّ للانسانية الماً يرعاها ، وعند ما يشتد الضيق يقرب الفرج . هذا ليس مثلاً سائراً فحسب ، بل هو حقيقة ثبتت دائماً . وستظل المرأة دائماً — كما قال اناتول فرانس الذي ينعتونه بالجاف — « مهذبة الرجل ، تعلمه الفضائل الجميلة من التأدب ، الى التحفظ ، الى الاباء الذي لا يتعرض متطفلاً . تعلم البعض فن الارضاء وتعلم الجميع فن عدم الاساءة . منها يتعلم الرجل ان المجتمع ادق وأعوص مما يظنه وهو في الحانات السياسية . وأخيراً يقتنع قربها ان اشباح العاطفة ورؤى الايمان لا تُقهر، وان علم المنطق ليس هو الذي يقود العالم . . . »

ستظل المرأة دائماً الوحي الاكبر والمنهل الذي تستقي من مياهه الآداب والفنون ومنهُ تتغذى . ولسنا هنا في حاجة الى ذكر تأثير المرأة في حياة عظماء الرجال . كل رجل عظيم في دائرته ، كل عامل في عمله عظيم ، والمرأة تحيط به من كل جانب أمًّا وزوجاً وأختاً وابنة وغريبة . لذلك لو لم يوجد في قوم سوى مدرسة واحدة لارتأيت ان تخصص تلك المدرسة للبنات دون الشبان . لان ما تعرفه المرأة يتعلمه الرجل بطبيعة الحال منذ الصغر . وأهم من كل شيء آخر هي العقلية التي يولد بها الطفل والنفسية التي يشب عليها ، وهي بالطبع عقلية امه ونفسية المرأة التي تحيط به . وانماء عقلية المرأة وتوسيع نفسيتها انما هو بيد الرجل دون سواه لان المرأة تهذب الرجل وهي التي تضمن استمرار المدنية ونموها وازدهارها بالرجال الذين تنجبهم مهذّبين بواسل رشيدين . اما الرجل فهو الذي يخلق المرأة خلقاً

***

وفي الختام ، لا يسعني الاَّ ان اذكر تلك الاسطورة التي تجعل مصر تحت حماية المرأة وتحت نفوذ حبها وألمها . اذ تزعم الاساطير المصرية ان النيل الذي خلق الحضارة القديمة ومكنها من الارتفاع الى اعلى مراتب التقدم والمجد ، انما هو بعض نعم المرأة . ضاع الالٓه اوزيريس يوماً فجلست ايزيس تبكيه ، وتساقطت دموعها على الارض . فاهتزت احشاء الارض وارتعشت لدموع الالٓهة الحزينة ، فتفجرت منابع النهر وجرى النيل المقدَّس مهرولاً الى البحر يرضع بمروره فسيح المروج ، ويثير على جانبيه رائع الهياكل والشخوص والآثار !

***

هذه المدنية التي غذتها دموع الوفاء ، هذه الارض التي احياها الحزن الخصيب ، هذا النيل الذي خلقه حب الالاهة المصرية — كل هذا سيكون خالداً في غده خلوده في امسه ، كل هذا سيمتز ابداً مجيداً بابنائه وبناته جميعاً !

أريد المرأة ....

بعيدة عن التصنع

اريد ان يكون جمالها طبيعياً لا مستعاراً . ففي كل فتاة وسيدة ما يستحسن وما يحترم لذاته اذا عرفت ماهو ، فتجري عند ذلك على مقتضى طبعها من دون كلفة او تصنع في حركاتها وسكناتها . ولست احسب من التصنع الثقيل على طبعي، مسح الوجه «ببودرة» ملائمة للون البشرة لتزيل تلمع الجلد الناتج عن مفرزات الغدد الدهنية، وبقليل من «الاحمر» على الخدين والشفتين يزيد الوجه نضرة واشراقاً ، لأنها اذا احسنت السيدة استعمالها ساعدت الطبيعة على اظهار ما تمتاز به . ولكنني امقت المغالاة في ذلك . بل امقت اكثر من المغالاة ، محاولة المرأة اخفاء بشرة سمراء جذابة ببودرة ناصعة البياض ، في حين ان لون بشرة العنق واليدين تنم عليها . ثم اني ارغب في ان توجه كل سيدة عنايتها الى ارتداء ثوب يناسبها لونه وتفصيله ويتفق مع قامتها ومقامها لانه من التصنع الممقوت ان ترتدي سيدة ثوباً لان سيدة جميلة او مشهورة سبقت الى ارتدائه . والمرآة ، بعد تثقيف الذوق بالاصول العامة ، اصدق صديق للمرأة العاقلة . وتعتقد بعض السيدات ان السمنة قبيحة فيلبسن ما يحسبنه يخفي السمنة بالتضييق على الاعضاء . ولكنني اعرف سيدة سمينة تعرف ان ترتدي الثوب الملائم فلا تعيبها السمنة . اما علاقة السمنة بالصحة فلها بحث آخر في العدد المقبل

ان تظهر بمظهر يتفق وسنها

ذلك اني احب الصدق في الجمال . ولا جمال حيث الغش والخداع وبوجه خاص بعد انفضاح السر وزوال الغشاء . كل امرأة تستطيع ان تكون جميلة في الستين على ان تظهر بمظهر يتفق وسنها فاذا حاولت ان تقلد ابنة العشرين او الثلاثين خرجت مسخاً يثير السخرية . فالتقدم في السن له رونق كرونق الشباب . والمرأة لا تتصف بنضارة الوجه فحسب ، او بسواد الشعر فحسب ، حتى تحسب الشيب او تغضن الوجه ، قاضياً عليها كامرأة . بل للمرأة صفات اخرى تهم الرجال وتسترعي احترامهم واعجابهم . تلك هي الصفات التي تنبع من العقل المثقف والرأي الحصيف والقلب الفياض بالحب والرحمة والحكمة التي ترسلها بداهتها وتصقلها تجاريب الحياة

مثالاً للنظافة التامة

لااريد ان احكم حكماً جائراً على المساحيق والمطريات واللواتي يستعملنها ، لانني اعلم كما قدمت انه اذا استعملتها المرأة بحكمة وذوق واعتدال زادتها بهاء . ولكن اذا خرجت في استعمالها عن حد الاعتدال كان ذلك منها خداعاً ظاهراً . ولكن بعض النساء يحاولن ان يمتضن بالمساحيق والاصباغ عن النظافة اذ قد تستسيغ المرأة اذن ... على وجهها البودرة وعلى ثيابها قليلاً من الكولونيا بدلاً من الذهاب الى

لحمّام واغلاء الماء وتنظيف الجسم . ولا بدَّ من القول هنا، بأن عناية المرأة بنظافتها، ونظافة جسمها،
حسن ترتيبه وزينتها التي تلائمها يجب ان تكون وهي باقية في البيت بقدر ما تكون وهي مدعوة الى سهرة حافلة

ان تلائم المقام

الالماس امير الجواهر وغريزة المرأة تدفعها الى التزيُّن والتحلي به وبغيره كالياقوت والزمرّد واللؤلؤ
ولكنني امقت ان ارى سيدة تتناول طعام الغداء وعقد الماس في عنقها وأصابعها مختّمة بأغلى الجواهر
البرّاقة . ذلك ان جمال بعض الجواهر يزداد اذ يكون النور صناعيًّا، فيعكس عنها ويزيدها سناءً . ولذلك
فالماس يجب ان يتقلد في الحفلات الساهرة . ويكتفى في حفلات النهار بعقد بسيط، وخاتم من فصٍّ واحد،
ويفضّل ان يكون من حجر ثمين ملوَّن كالياقوت الازرق او الزمرُّد او العقيق . وكثيرات من الفتيات
الخادمات يستطعنَ ان يضاهين سيداتهنَّ جمالاً ورشاقة ولكنهنَّ يخطئن القصد اذا ارتدين ثياب
السيدات وتزينَّ بزينتهنَّ حين قيامهنَّ بأعمال البيت . ثم ان بعض النساء يلبسنَ ثياب الرجال او ما هو
شبيه بها في الصيد والقنص فيبدو منظر هذه الثياب جميلاً حينئذٍ لانها تناسب المقام . ولكن من
يستحسنهنَّ اذا ذهبنَ بها الى حفلة ساهرة او الى كنيسة ؟ فجمال المرأة يزداد اذا لبست لكل حالة لبوسها

ان تبدو كأنها تبغي ان تسر الرجال

المرأة بغريزتها تميل الى استمالة الرجل واسترعاء انظاره ، والرجل يسرُّهُ هذا ، وانا اودُّ ان ارى
كل امرأة اقابلها تهتمُّ باستمالتي اليها ، ولكن يجب ان تحذر كل فتاة وكل امرأة من التطرف في هذ
الامر ، وعليهنَّ ان يقيّدنَ هذه الغريزة بما يقتضيه شرف النفس وآداب السلوك

ان تكون بشوشا

ترى كثيرات من النساء على اوفى استعدادٍ لبذل كل شيء في سبيل ازواجهنَّ الاَّ بسمة لطيفة اوك
عذبة او بشاشة في قسمات الوجه تخفف عنهُ اعباءَ الحياة . اتخافين ياسيدتي من مناظرة تناظرك في زوجك
من هي ؟ . ليست مناظرتك المرأة الجميلة ولا المتعلمة ولا السريعة الخاطر ولا الحسنة الهندام فقط،
مناظرتك فوق اولاء جميعاً، هي المرأة البشوش التي يحسُّ الرجل انهُ يستطيع ان يلقي باعبائهِ عند اقدا
قد تتعجبين لماذا يهتم زوجك بهذه الفتاة او بتلك اكثر من اهتمامه بك والتفاتهِ اليكِ .
تذكرين انك لا تحدثينه الاَّ فيما يقلقك ويكربك ويثقل صدرك فاذا زاركم زائر هششت وبشش
انا لاأنكر ان على الزوجين ان يتشاطرا همومهما . وان الزوج هو سند المرأة تعتمد عليهِ في المل
ولكنَّ لكل أمرٍ وقتاً . وهنا يجب ان تحكمي عقلك ، في اختيار الوقت الملائم لبث الكر
وانما يجب ان تتخذي البشاشة دستوراً لك . فاذا لم تفعلي شرع يبحث عن اخرى تبشُّ لهُ وتبت
هذه هي المناظرة التي يجب ان تخشيها . قد يوافقني بعض السيدات على ما أقول . وقد لا يوافق
ولكنني أمثّل في قولي هذا طائفة كبيرة من الرجال يرون هذا الرأي وينظرون هذا النظر

التدخين والصحة

ضعف القابلية وقوتها — جفاف الفم — تقرح المعدة — عناصر الدخان وفعلها

يتعذّر في الغالب على الباحث في مسألة التدخين ان يتجرّد عن هواه ويتناول البحث من وجهٍ
ي بحت. لانهُ اما ان يكون مدخّناً او غير مدخّن. فاذا كان مدخّناً حرّكه عامل خفيّ الى القول
، ما يلذّ له مفيد ، او انهُ على الاقل غير ضارٍ . واذا كان لا يدخن صعب عليهِ ان يمنع نفسهُ
، القضاء على عمل يكرههُ هو ويمارسهُ غيره . اما كاتب هذه المقالة ، وهو طبيب مشهور ومن
ضاء الجمعية الطبية البريطانية ، فمعتدل في التدخين ، ومن الطبيعي انهُ لا يجد سبباً يحمله على
شهير بالاعتدال في التدخين ، ولكنه مع ذلك يحاول ان يتناول الموضوع من وجهٍ علميّ مجرّد

﴿ عناصر دخان التبغ ﴾ ما العناصر التي في دخان التبغ ولها اثرٌ في الجسم ؟ يسهل قسمة هذه
عناصر او المواد الى ثلاثة اقسام : الاول — غاز الامونيا ومعهُ مادة عضوية طيارة تدعى بيريدين
ومواد اخرى تماثلها . هذه المواد تهيج الاغشية المخاطية وهي سبب الالتهاب المزمن في الحلق والفم
واللسان الذي يصاب بهِ مدمنو التدخين وما يتبع ذلك من سعال شديد في الصباح ، وبلغم ينفثونه
من السعال . على ان الامونيا والبيريدين لا تزيدان التدخين لذة ما ولا نعرف سبباً يمنع استنباط
وسيلة علمية صناعية لاستخراج هذه المواد من التبغ من غير ان تغيّر طعمه ورائحة دخانهُ وفعلهُ

﴿ استنشاق الدخان وفعله ﴾ والعنصر الثاني في الدخان هو اكسيد الكربون الاول وهو غاز
سام تجده في غاز الفحم كما تجده في الدخان الذي يخرج من انابيب السيارات الخلفية . وفعل
هذا الغاز سببهُ انهُ يتحد بمادة الهيموغلوبين التي في كريات الدم الحمر ، والتي وظيفتها الاتحاد
بالاكسجين خلايا الرئتين ونقله الى كل اعضاء الجسم . ولما كان اتحاد غاز الكربون الاول بمادة
الهيموغلوبين أسرع واقوى من اتحاده بالاكسجين فالنتيجة الاولى التي تنجم عن استنشاق غاز
الكربون الاول مع دخان التبغ هي منع الهيموغلوبين من نقل الاكسجين الى اعضاءِ الجسم . فاذا
حدث ما منع ١٥ في المائة من هيموغلوبين الدم عن الاتحاد بالاكسجين ونقلهِ الى الاعضاء ظهرت على
الجسم الطبيعي آثار التسمّم . على ان هناك اناساً شديدو الانفعال بقلة الاكسجين حتى اذا امتنع ١٠
في المائة من هيموغلوبين دمهم او اكثر من ذلك عن الاتحاد بالاكسجين ظهرت عليهم آثار التسمم

أما مقدار هذا الغاز في دخان « السيجار » فيبلغ نحو ٨ في المائة ، وفي دخان البيبة نحو ١ في المائة
وفي دخان السجاير من نصف الى واحد في المائة . فاذا دخل دخان لفائف التبغ على اختلافها الفم
واختلط بالهواء فقلّ مقدار اكسيد الكربون الاول كثيراً ، واذا كان المدخن لا يستنشق الدخان
ممتزج بالهواء لم يستطع هذا الغاز السام ان يتصل بكريات الدم الحمر ولا ان يتحد بمادة الهيموغلوبين .

لا يضر من هذا القبيل
من غير استنشاق الدخان ودخوله الرئتين
ن اذا كان المدخن ممن يستنشق الدخان الى رئتيه فلا مندوحة حينئذٍ من ان يتصل هذا
كريات الحمر ، ويفعل فعله فيها ، وبعض مدمني التدخين يمنعون نحو عشرة في المائة من
بين دمهم عن القيام بعمله الطبيعي (الاتحاد بالاكسجين ونقله الى الاعضاء والنسج) لكثرة
نشقونه من دخان التبغ ، ولا يقوم دمهم حينئذ بعمله الطبيعي قياماً وافياً الا في فترة النوم
النيكوتين ﴾ والعنصر الثالث الذي يتكوّن منهُ دخان التبغ هو مادة النيكوتين التي سمي
نسبة الى جان نيكو Nicot سفير فرنسا في اسبانيا (١٥٣٠ — ١٦٠٠) لانهُ كان يزرع التبغ
يقة داره وكان شديد الاعتقاد بفائدة اوراقه في العلاج . ومادة النيكوتين هذه هي مصدر
الذي يطلب التدخين من اجله . ولا ريب في ان مادة النيكوتين سم مميت سريع الفعل ففي
ر واحدٍ من النيكوتين ما يكفي لقتل رجلين . على ان جانباً من نيكوتين التبغ يتبخَّر بفعل
حين اشعال السيجارة او السيجار او البيبة . وعليه فمقدار النيكوتين الذي يستنشقه المدخن
من المقدار الذي يوجد في التبغ حقيقة ثم ان هذا المقدار لا يتصل بالرئتين الاَّ اذا استنشق
دن الدخان . وقد حسب احد الباحثين انهُ اذا دخن احد مدمني التدخين عشر سجاير الواحدة
ر الاخرى ، استنشق مع دخانها مقداراً من النيكوتين يساوي عشر جرعة مميتة . ومتى اتصل
كوتين بالرئتين وسرى فعله في الجسم ظهر له اثر مخدر في بعض الاجسام ومهيج في البعض الآخر .
ضع النيكوتين ، في نظر بعضهم ، مع المخدرات كالمورفين والكوكايين ، في صف واحدٍ ويقولون
ادمان التدخين وادمان المورفين او الكوكايين من قبيل واحد ، يضرَّان بالجسم ضرراً بالغاً
على ان مسألة الادمان مسألة نسبية ، وقلَّ بين الناس على كثرة من يدخن المصاب منهم بضرر كبير
ن جرَّاء التدخين . وعلى الضدّ من ذلك نجد ان مدمني المخدرات عبيد لها قلما يستطيعون التحرر من
بوديتها ، وهم في الغالب ضعاف الاجسام والاخلاق
﴿ النيكوتين والمعدة ﴾ وللنيكوتين اثر كبير في الجهاز الهضمي والغدد المتعلقة بها . ومن
آثاره الظاهرة اثره في غدد افراز اللعاب فاذا توقف المدخن عن التدخين ، توقفت هذه الغدد عن
افراز مفرزاتها ، وبذلك يعلل جفاف فم المدخن في الصباح
ومن افعاله ايضاً التأثير في غدد المعدة فتفرز العصارة المعدية ، ولذلك يصاب الذين يتأثرون
كثيراً بفعل التدخين بحموضة المعدة لان تدخينهم يزيد افرازها للعصارة التي تحتوي على الحامض
الايدروكلوريك . ويقول بعض الثقات انهُ اذا اتصلت بعض محتويات المعدة الحامضة بالامعاء
الدقيقة ، كان ذلك مدعاة لتقرّح الامعاء ، ولذلك يحذر المصابون باي تقرّح في المعدة من التدخين .
ويفعل النيكوتين ايضاً بالمعدة فيمنع عضلاتها من التقلص فيقل الشعور بالجوع لان تقلص هذه
العضلات يحدث الشعور بالجوع . لذلك تضعف قابلية مدمني التدخين ، ثم تعود لنا [illegible] منه

جهاد الملك فيصل

مراحل العراق نحو جمعية الامم

لامين الريحاني

من كتابه « فيصل الاول » (قريب الظهور)

— ٢ —

كانت السنة التي عقبت ابرام المعاهدة الاخيرة اظلم ما كان من عهد السر هنري دوبس المظلم .
توترت العلاقات فيها بين البلاد والمفوضية ، وتكاثفت صفوف المعارضة للسياسة البريطانية ،
شر في البلاد روح عداء للبريطانيين باصرة حافلة ، فكانت لذلك ابلغ واسرع في تقويض اركان
سنهم الادبية على الاقل . ولا عجب وهم هم المخلفون بالوعود ، الناقضون للعهود

وما حلت المعاهدة من العقد جميعها غير عقدة واحدة هي الحدود التركية العراقية ، وظلت الاتفاقات
مافية ، المالية فيها على الاخص والعسكرية مفتوحة للبحث ، للمحادثة ، للنزاع . بيد ان وزارة
حدون كانت تنتظر تسوية المشاكل المالية على الاقل وتقديمها في اتفاق جديد . فخاب املها واستعفى
سها عبد المحسن حرداً ناقماً

فانتدب الملك جعفر العسكري ليؤلف وزارة جديدة . فجاء يباشر العمل باسم الله وباسم التفاهم
اقي البريطاني — هم بليتنا ، يا اخي ، ونحن بليتهم . فيجب علينا ان نتفاهم لنحدد على الاقل البليتين
وكان المندوب السامي السر هنري دوبس قد بدأ يشعر هذا الشعور ، ويدرك هذه الحكمة .
يما ان بليته الشخصية اوجبت عليه الاسراع في العمل ، اذ كانت اسبابها تتصل بوزارة
نعمرات التي طالما اصمّت اذنها لاقتراحاته وآرائه ولكنه توفق في النهاية الى شيء من الاقناع
، رئيسه الوزير ان يعاد النظر في المعاهدات لتعديل بعض بنودها . وبدأت المفاوضات فوراً في
اد ، ثم فرّ المتفاوضون هاربين من حر العراق ، واستأنفوا العمل بلندن في الخريف . وكان الملك
ل قد تقدمهم الى اوربا ينشد العافية ، ويستوحي من كثب مقامات السياسة الدولية وأربابها .
، حطّ رحاله على مياه « إكس » المعدنية فكان اتصاله بوفد العراق بلندن متوفر الاسباب قريبها .
ان المفاوضات كانت مريبة التبلور . فرأى الوفد ان يكون الملك اقرب اليهم ، فأرغوا بذلك اليه
[illegible] الملك فيصل « اكس » له بان [illegible] فعرج على باريس في طريقه الى لندن . ويوم كان في عاصمة
[illegible] قرأ في صحف الاخبار في الصفحة الاولى [illegible] باسم السر [illegible]

العادة والتربية

ليس يقصد بالعادة ، كما تذكر في الخطب والمواعظ ، العادات الادبية فحسب بل ان ناموس العادة شامل لكل قوى الجسد والعقل يتناول أبسط الاعمال المعروفة بالفعل العصبي المعكوس واكثرها تعقيداً وتركيباً كالمشي والكتابة والعزف على الآلات الموسيقية وامثالها . وانما نذكر العادات الادبية على الغالب لان لها اكبر علاقة بشخصية الانسان ومقامهِ الاجتماعي

فاليد التي بها احمل قلمي لا كتب لا تستطيع ان تقوم بهذا العمل الاَّ باتباع ناموس العادة ، والعقل الذي يملي عليَّ المعاني والعبارات ما كان قادراً ان يفعل ذلك لو لم يدرس موضوع العادة قبلاً فاعتادت خلاياه العصبية فهم عباراته وادراك معاني مصطلحاتهِ والنفس التي تهتز لذكر المحامد والفضائل الآن لا تفعل ذلك الاَّ لانها اعتادتهُ منذ طفولة صاحبها — وكم في الناس من نفس لا تسرّ الاَّ بالشرّ ولا تفرح الاَّ بالرذيلة ! !

﴿ اساس العادة الفيزيولوجي ﴾ لا يلبث الماء المنحدر من اعالي الجبال ان يحتفر له مجرى يسير فيهِ المرة بعد الاخرى فيعمق ذلك المجرى ويتسع ويسهل على الماء الجري فيهِ

هذه هي الحال مع الرسالة العصبية التي نستطيع ان نشبهها بمجرى الماء . فحينما تسير الرسالة العصبية من اليد الى الدماغ تتخذ لها مجرى من الاعصاب تسير عليهِ . وحينما تنتقل هذه الرسالة ثانية من اليد الى الدماغ لا تبحث عن مجرى جديد تجري فيهِ بل — بالطبع — تسير في المجرى القديم ، ولما كانت حياتنا العقلية قائمة على نظامنا العصبي فناموس العادة اذاً هو : ميل كل اتصال عصبي الى التكرر ، وارجحية تكررهِ تتوقف على درجة تكرره قبلاً وعلى حداثة الوقت الذي كرر فيهِ اخيراً وعلى الاثر الاول الذي تركه حين حصوله للمرة الاولى . ولنضرب لذلك مثلاً للايضاح

نتلفظ امام ولدٍ صغير بكلمة « كلب » فتسير تموجات الصوت في الهواء فتلتقطها الأذن الخارجية فتحرك الطبلة وما يليها من العظام فتسير على عصب السمع الى الدماغ . فالرسالة العصبية التي نتجت عن هزّ طبلة الاذن تسير من خلية عصبية الى اخرى حتى تصل الى الدماغ . والاتصال الذي يحصل بين هـذه الخلايا من سير الرسالة العصبية هو المراد بالاتصال العصبي المذكور في التحديد آنفاً

نفسر للولد معنى « كلب » دون ان نريه اياه بل نريه صوره ونكرر اللفظة على مسامعهِ مرات فلماذا يفعل الولد حينما يرى كلباً ? انهُ لا شك يعرف الكلب اذا كان يشبه ما رآهُ في الصور وينطق باسمهِ والسبب في ذلك عائد الى تكرّر لفظة « كلب » على مسمعهِ

ولكن اذا علمناهُ عن حيوانات عدة وكان الكلب آخر حيوان ذكر امامهُ فالراجحانهُ يذكر

، سواءٌ اذا عرضت امامهُ جميع الحيوانات التي تعلم عنها بشرط ان تتساوى بقية الشروط.
ا عائد الى حداثة وقوع الامر (اي قرب الوقت الذي حصل فيهِ الاتصال العصبي)
ن اذا اتفق وجود الولد وحده في حديقة وهجم عليهِ كلب هائج ففرَّ الولد من الخوف
دخل البيت . ثم سأل عن اسم ذلك الوحش الهائج فقيل له انهُ « كلب » فمن الراجح ايضاً
الكلب بوضوح وجلاء ولو لم يذكر اسمه امامه سوى مرة واحدة والسبب في ذلك شدة الأثر
هُ منظر الكلب الهائج في جهازه العصبي

فائدة العادة ﴿ للعادة فائدتان خطيرتان : ذلك انها تمكننا من ان نعمل اعمالنا العادية دون ان
، تفاصيلها وهذا يساعد على اتمامها بسرعة ودقة فائقة

رب لذلك بعض الامثال . اخذت القلم في يدي لاكتب ما يمليهِ عليَّ فكري عن العادة .
ني تعودت الكتابة ، اي تصوير الحروف العربية الملقة لكان عليَّ ان انتبه الى كل حركة من
، يدي واصابعي وكيفية تصوير الحروف حتى تأتي مشابهة للحروف المتعارفة بين الذين يقرأون
، ويكتبونها — حتى يتمكن مصحح المسودات المسكين من حل رموزها ! ولو لم افعل
ا تمكنت من كتابة صفحة واحدة في اقل من ساعتين او اكثر، والبرهان بسيط . لنأت بولد
لم يتعلم الكتابة العربية ونضع امامهُ صفحة من كتاب عربي ونطلب اليهِ ان ينسخها . فعليهِ
، يصوّر الحروف والكلمات تصويراً لان يدهُ لم تعتد كتابتها فيقضي وقتاً طويلاً قبل ان يبلغ
هُ المنشودة . وما يقال عن السرعة يصدق على الدقة فاذا قابلنا بين خط ذلك الولد وخط احد
، اعتادوا الكتابة وجدنا الفرق بين الاثنين عظيماً

وهكذا يقال عن المشي والتكلم والاعجاب بمناظر الطبيعة في آن واحد . فلو اراد الانسان ان
ه الى عمل كل من العضلات التي تحرك الرجلين والعينين والرأس والظهر والايدي وسائر الأعضاء
، يستعملها الانسان خلال المشي لما تمكن من ان يتكلم مع صديق يرافقه ولا ان يعجب بمناظر
بيعة بل لما تمكن من السير الاَّ مسافة قصيرة جداً . والبرهان يتم بالمقابلة بين ولد صغير ورجل
ع السن . فالولد الصغير الذي لا يزال في اول مشيهِ لا يقدر ان يوازن نفسهُ ولا ان ينقل رجليهِ
سرعة الرياضي الذي اعتاد العدو وسائر الالعاب

وما يقال عن الكتابة والمشي يقال عن الموسيقيين الذين برعوا في النقر على البيانو او الايقاع
ى سائر آلات الطرب . نرى الواحد منهم ينقل أصابعه بسرعة مدهشة ودقة فائقة ويأتي بعجائب
لالحان والانغام . اما الذين لا يزالون في دور التمرين فلا يقدرون ان ينقلوا اصابعهم الاَّ بتمهل وما
كثرما يخطئون توقيع اللحن الصحيح لان اصابعهم تخطئ النوتة الصحيحة. ولكنهم اذا قضوا الساعات
الطوال في التمرين حتى تصبح عضلات اصابعهم رهن اوامر عقلهم وحواسهم اصبحوا من البارعين
[illegible] اكثر العادات التي لها السلطة التامة على حركاتنا وسكناتنا ابتدأت كأعمال [illegible]

اما، اختارتها الارادة وبذلت الجهد بالتمرن عليها حتى اصبحنا نقوم بها دون انتباه الى تفصيلاتها ،
ذا يبين لنا شأن الارادة في اختيار كل ما هو حسن وجميل وصالح حتى اذا مرّناها على ذلك
بح الحسن والجميل والصالح جزءا من طبعنا

﴿قوة العادة وتأثيرها﴾ يقول المثل العادة خامس طبيعة وما اصدق هذا القول ! قيل ان جنديًا
متقاعداً كان في احد الايام حاملاً طعام الغذاء من الثكنة الى بيته وفيما هو ماشٍ في الطريق سمع صوتاً
يقول — Attention وهو الامر العسكري لكي يكون الجنود على تمام الاستعداد للقيام باحد الاعمال
العسكرية — فللحال وقف منتصباً ويداهُ الى جانبيه بعد ان وقعت قصعة الطعام من يديه على غير
انتباه منهُ . وكان الصوت الذي سمعهُ من بيغاوٍ يقلد صوت صاحبهِ الذي كان ضابطاً في الجيش

ألم تسأل في حياتك مدخناً قد ادمن التدخين « لماذا لا تعافهُ وانت تعرف انهُ يضرُّ بك » .
ماذا كان جوابهُ يا ترى — « اني اعتدتهُ ولا اقدر ان احيا بدونهِ » . وقد يكون في هذا الجواب
شيء من ضعف الارادة ووهن العزم ولكن للعادة سلطان عظيم قلّ من يقدر ان يسقطهُ عن عرشهِ
بعد ان اجلسهُ عليهِ زمناً طويلاً ينقاد لامره انقياد العبد للسيد

***

يعزم السكير ان يعاف المسكرات ويعلن عزمه فيفرح بذلك اصدقاؤه ومحبوه وحينما يراه
احدهم جالساً مع رفاقه الاول يعاقر بنت الحان يذكّره بعزمهِ ، فيجيبه — وانا فاعل ما عزمت عليه
لكني اشرب هذه المرة بملء ارادتي ، ولست مدفوعاً بعادة السكر ، وزد على ذلك هذه مرة ولا
تحسب . قال وليم جيمس — هو لا يحسبها وقد يتناساها اصدقاؤه ومحبوه وقد يغفر لهُ الاله
السماوي الرحيم زلتهُ اذا تاب ولكن خلاياه العصبية وجواهرها الفردة لا تغفر ولا ترحم ، لا تنسى
ولا تتناسى ، بل هي تسجلها في ذلك السجل العظيم ، الجهاز العصبي

﴿القضاء على العادات القديمة﴾ كتب الفيلسوف الاميركي وليم جيمس فصلاً في العادة في
كتابهِ مبادىء علم النفس ، جدير بأن ينقش بماء الذهب على جدران البيوت وفي الاماكن العمومية
حتى يقرأه الرائح والغادي ويستفيد منهُ . وقد ذكر فيهِ اربعة قوانين للذين يريدون ان يتخلصوا
من بعض عاداتهم المستهجنة وهي فيما يلي

١ — اعزم عزماً صادقاً على ترك العادة التي تود التخلّص منها واذا امكنك ان تعلن عزمك
هذا امام عدد من اصدقائك اصبح للعزم عليك سلطان لا تقدر ان تقاومهُ لئلاّ يطالبك اصدقاؤك
بوعدك ان خالفتهُ

٢ — ابدأ بتنفيذ عزمك في الحال ولا تؤجل

٣ — ابدأ بتأسيس عادة طيبة وتمرن عليها لتملأ الفراغ لئلاً تعود الى العادة القديمة

٤ — لا تقوم بعمل ما يخالف عزمك قبل ان تتمكن منك العادة الجديدة الطيبة وتستأصل العادة القديمة

باب المراسلة والمناظرة

العاطفة والعقل في الشعر

حول « ديوان الكروان »

لبشر فارس

قرأت في « مقتطف » فبراير الماضي نقداً لديوان الكروان بقلم (خ . ش
ما اريد التعليق عليه

قال : « ولعلّ فكره (يعني فكر الاستاذ العقاد) يثير عاطفته اكثر مما تثير عا
كأنما ينقل قلبهُ الى رأسه اكثر مما يتنزل رأسه الى قلبه »

فمثل هذا التمييز بين العاطفة والعقل ثم رجع صنوف الشعر الى كل منهما مما
وكأن (خ . ش) ينظر الى الشعر بعيني « الرومانتي » romantique الذي لا يرى ا
يصيب الوان الاحساس مبسوطة مستفيضة . وكأنهُ يرى العقل حيث يصيب هذ
او مكبوحة او مستورة . والتحقيق ان العاطفة تبرز في اشكال شتى : فتارة في غا
عند (هوغو) و(لامرتين) . واخرى في تحفظ ومغالطة ، شأنها عند (دي ليل)
ومداورة ، شأنها عند (فرلين) . والغالب في الظن أن العاطفة التي يعنيها (خ
(هوغو) و (لامرتين) . ولولا انيكون الامر هكذا ما ميز بين القلب والرأ

وسواء أحادّة كانت العاطفة او متئدة فهي ملاك الشعر . فلا شعر حيث
اتفق للعاطفة ان تفور ولربما اتفق لها ان تتزن . فان اتزنت كانت طوع امر ال
المتحفظة أو العاطفة المخففة لا تبلغ مبلغها من التحفظ أو الخفة الا اذا تخللها العق
العاطفة لا مثيرها ، وبالتالي ليس للعقل ان يرسل الشعر . فمن الغريب اذن ان ي
« ولعلّ فكر العقاد يثير عاطفته اكثر مما تثير عاطفتهُ فكره »

بل اذا خُلّي القلب وشأنه زلّ واورط صاحبه . والى هذا نظر أبو الطيب

ولا بدّ للقلب من آلةٍ ورأي يصدع صمّ . ا

على ان إعمال العقل في الشعر ليس بمستقبح . فالعقل يصفي الوان الاحسا
فوران العاطفة ويرد من نزوان القلب . ولكنه يحق له ان يعتاض عن شدة الفو
تارة طلب الفن للفن والدقة في التعبير كما فعل اهل البرناس Parnassiens ، و

مكتبة المقتطف

النثر الفني في القرن الرابع

تأليف الدكتور زكي مبارك : جزآن . مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٥٢ يطلب من المكتبة التجارية

مما ابتُلي بهِ النُقَّاد في هذا العصر كثرةُ الكتب وضيق الوقت فما اظن ان ناقداً ينصف نفسه ,قرّاء كلامهِ يدّعي انهُ حين يضع بين يديه كتاباً كالنثر الفني الذي نتكلم عنه بعدُ ، ويأخذ في ,راءته وتتبّعهُ يستطيع ان يكتب عنهُ كلمة وافية في ساعة او ساعتين او يوم او يومين ، ثم هو ىد ذلك لا يستطيع ان يجعل كل ما يريد ان يقوله في صفحات ثلاث من مجلة كهذه المجلة ، فربما كانت كلمة واحدة مما عرض في الكتاب تستنفد في نقدها او نقضها كلمات تضيق بها عشر صفحات . هذا ا تردد في نفسي حين حملت القلم لاكتب عن كتاب النثر الفني في القرن الرابع

ولا يعنيني في هذه الكلمة ان اقول ان في الكتاب كيت وكيت من الابواب والفصول فان لطابع قد سهلت على كل احد ان يطلع على ما شاء من الكتب مبتذلها وعزيزها ، وانما يعنيني ان ىول كلمة عن أهم ما عرض في هذا الكتاب من الآراء التي ينبغي للقارىء ان يمحصها قبل ان يأخذ ها او يعتقد في نفسه امرها او صحتها

فمن اوّل ذلك قول المؤلف في ص ٣٣ من الجزء الاول « هل كان للعرب نثر فني في عصور لجاهلية ، وهل كانوا يفصحون عن اغراضهم بغير الشعر والخطب والامثال ؟

« لقد اتفق مؤرخو اللغة العربية وآدابها كما اتفق مؤرخو الاسلام على ان العرب لم يكن لهم .جود ادبي ولا سياسي قبل عصر النبوة ، وان الاسلام هو الذي احياهم بعد موت ونبههم بعد ىول . وهذا الاتفاق يرجع الى اصلين : فهو عند مؤرخي الاسلام والمسلمين تأييد لنزعة دينية .اد بها اثبات ان الاسلام هو الذي خلق العرب خلقاً وأنشأهم انشاء ، فنقلهم من الظلمات الى ىور ، ومن العدم الى الوجود . وهو عند مؤرخي اللغة العربية ، وآدابها يرجع الى الشك في كثير ن النصوص الادبية التي أثرت عن العرب قبل الاسلام من خطب وسجع وأمثال »

ولا اريد في هذه الكلمة ان اعترض على صاحب الكتاب في وصفه النثر بقوله (الفني) ولا ان طالبه بحكمة هذا الوصف وان كنت قد جهدت ان اجد لها معنى يقوم عذراً لهُ في وضعها فأعياني لطلب . والواقع إني قرأت الكتاب فلم اعثر فيهِ على حدّ او تعريف لما سمّاه النثر الفني ، وكلما ردت ان اجمع له حدًّا او تعريفاً من معنى كلامهِ وجدت في غيره من معاني كلامه ما يتفاوط عنده

ت لهُ من الرأي . وكان صواب التأليف غير ذلك ، لانهُ جعل هذه الكلمة (النثر الفني) موضع بينه وبين خصومه في الرأي من المستشرقين ومن تابعهم في هذا الشرق العربي .

نوم الجدل عليه ويقصد القول فيه ، لا يصح ان يكون موضع شك او غموض او ابهام طراب

قول صاحب الكتاب « هل كان للعرب نثر فني ؟ » ونحن نجيب عن هذا السؤال بما تضمنه افقه فيه وما نخالفهُ عليهِ . فقد كان العرب امة امية لا تقرأ ولا تكتب الاَّ قليلاً من اهل كة والمدينة (يثرب قديماً) واطراف اليمن ومشارف الشام ونواحي الحيرة ، وهؤلاء اب لم يكن لهم تأثير بيّن في الامة العربية لان جماعة العرب لم تكن لذلك العهد (قبل لام) تعرف الكتابة والخط ولا كان من همهم ذلك ، ولو افترضنا ان هذا العدد القليل الذي ن بالكتابة كان يكتب وعنينا انهُ كان يؤلف ، بقي الأمر على ما هو عليهِ اذ كانوا — على ، — يؤلفون لمن لا يقرأ ولا يكتب . ومع هذا فقد كان العرب يتخذون الكتابة في بعض غراض كالعهود والرسائل العظيمة الخطر كالذي يروون مما كتبه لقيط بن يعمر الايادي الى قومه بالحيرة يحذرهم كسرى (سابور ذا الاكتاف) وكان قد اجمع على غزو اياد فأرسل لهم لقيط وكان كاتباً بديوان كسرى — قصيدتهُ المشهورة التي يقول فيها

يا قوم لا تأمنوا ان كنتم غُيُراً على نسائكم كسرى وما جمعا

قوموا قياماً على امشاط ارجلكم ثم افزعوا ، قد ينال الامن من فزعا

ويقول في آخرها

هذا كتابي اليكم والنذير لكم لمن رأى رأيهُ منكم ومنْ سمعا

وقد ورد في ذكر العهود المكتوبة شعر جاهلي كثير منه قول الحارث بن حِلزّة اليشكري في الحرب التي كانت بين بكر وتغلب

واذكروا حلفَ ذي المجاز وما قــدم فيه العهود والكفلاء

حَذرَ الجور والتعدي وهل ينـقُضُ ما في المهارق الاهواء

ويعني بالمهارق كتب العهود والمواثيق التي كانت بين بكر وتغلب ايام الهدنة والصلح

فنحن لا نستطيع ان ننكر ان العرب كانوا يكتبون ويتراسلون في بعض الاحايين ، ولكننا نستطيع ان ننكر انهم كانوا يصنفون الكتب ويؤلفون الرسائل في الاغراض الكثيرة . ويجب على المفكر في هذا الامر ان يعلم ان كلام العرب في محاوراتهم ومجالسهم وخطبهم كان هو الكلام المتخذ في الرسائل والعهود وغير ذلك اذ ان هذه اللغة العربية التي بين ايدينا والتي نزل بها القرآن والتي كان يتكلم بها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم كانت الى القرن الثاني والثالث من الهجرة تؤخذ من افواه العرب البداة . فلا يعقل بعد ذلك ان يكون في الجزيرة العربية كتّاب قد

[illegible] تسأل هل كان هناك (نثر فني) او لم يكن فان هذا السؤال يقتضي ان يكون في الجزيرة [illegible] تفردت بالكتابة فعلت على غيرها من عامة الناس في الاسلوب البياني . هذا والرسول [illegible] صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وكان يعد افصح العرب ، وكان من صحابه من يجيد الكتابة كعمر وعلي وزيد وعثمان رضي الله عنهم ومن يتدبر هذا يجد ان النثر على المعنى المعروف عندنا لم يكن مما تتطلبه العرب وتتفرغ له وتتفوق فيه وانما كان كلامهم كله مرسلاً على سجية واحدة الاّ الشعر فان الذي ميزه هو الوزن والقافية

***

أما قول صاحب الكتاب ان مؤرخي الاسلام اتفقوا على ان العرب لم يكن لهم وجود سياسي او ادبي قبل النبوة فهذا قول مرسل لا حد له وهو كلام لم يقل بهِ احد من العلماء وانما كانوا يعنون بما يصفون بهِ العرب من الجهل والضلال ما يتصل بأمر الدين والتوحيد وإلاّ فانهم قد استشهدوا في تفسير القرآن نفسه بنوع من كلام العرب وهو الشعر . أما المسألة السياسية والكتلة الدولية فانهم يعنون بذلك ان لم تكن امة متآزرة ذات حكم واحد وسيادة متصلة من أعلى الجزيرة الى اسفلها بل كانت قبائل متنازعة يأكل بعضها بعضاً حتى جاء أمر الله ونزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ليكون مبشراً ونذيراً وهادياً الى الله بأمره وسراجاً منيراً فألّف بين قلوبهم وأصبحوا بنعمته اخوانًا وقاتلوا في سبيل الله حتى فتحوا الأرض واستولوا على ملك كسرى وقيصر . وليس في هذا موضع الجدال... ولا اتفاق—كما يقول صاحب الكتاب— يرجع الى ان مؤرخي الاسلام يقولون ذلك تأييداً لنزعة دينية يراد بها اثبات ان الاسلام هو الذي خلق العرب خلقاً وأنشأهم انشاءً وأخرجهم من الظلمات الى النور ، ومن العدم الى الوجود . . هذا على ان القرآن قد اخرج العرب حقيقة من الظلمات الى النور

ثم ان المؤلف اراد بعد ذلك ان يجعل القرآن أثراً جاهليًا « فانه — نسأل الله المغفرة — من صور العصر الجاهلي ، اذ جاء بلغته وتصوراته وتقاليده وتعابيره » ص ٣٨ فلو كان ذلك كذلك لما فعل القرآن بالعرب حتى اخرجهم من الظلمات الى النور وكيف يجيء ما هو من عند الله مطابقاً لتصورات العرب وتقاليدهم على ما فيها من الطبيعة البشرية الضعيفة الهالكة الجاهلة وهـذا القرآن الذي يعدُّه صاحب الكتاب أثراً جاهليًا هو الكتاب نفسه الذي أعجز عرب الجاهلية جميعاً وتحداهم وطالبهم وسفّه منهم ووضع من آلهتهم وحقّرها وأثار أحقادهم وأضغانهم . ولو كان هـذا القرآن قريباً من كلامهم او شبيهاً بهِ لما عجز بعض بلغائهم عن الاتيان بمثل سورة من سوره كما طالبهم بذلك وتحداهم . ونحن لا ننكر ان كل ما في القرآن من لفظ انمـا هو من الفاظ العرب كما ان اكثر الفاظ [illegible] الآن في كتاب القرن الرابع الذي يتكلم عنه صاحبهُ انما هي الفاظ عربية ، ونحن لا نعدُّ

نا او اسلوب القرن الرابع في النثر مقارباً او شبيهاً بالنثر الجاهلي فكذلك القرآن من النثر
ي بهذه المنزلة ، فألفاظ القرآن هي الالفاظ العربية ولكن نظمه وسياقه وبلاغته ومواقع كلماته
زة لا صلة بينها وبين اي كلام من كلام البشر في جاهلية او اسلام .
ولماذا يعدُّ صاحب الكتاب هذا القرآن من النثر الجاهلي ، ويتخذه دليلاً على وجود النثر في
لية مع ان الحديث النبويّ وكلام الصحابة المرويّ بالاسانيد الصحيحة الثابتة هو أقرب في الادلة
بغية صاحب الكتاب . فأنت اذا قرأت السيرة وجدت كثيراً من كتب الرسول الى القبائل
م وولاة جيوشهِ ووجدتَ اكثر من ذلك في كلام ابي بكر وعمر وعلي وعثمان وغيرهم من اهل
لية الذي اسلموا واتبعوا الرسول النبيّ الاميّ صلى الله عليهِ وسلّم
القرآن كتاب الله، فاذا أردنا ان نبحث عن الادلة عن النثر الجاهليّ فهو في كلام الصحابة
سول نفسه
هذا ونحن نعتذر الى القراء عن تقصيرنا في الكتابة عن كتاب النثر الفنيّ فانّ لهذا موضعاً
إن شاء الله

محمود محمد شاكر

رحلة صيف

تأليف توفيق حبيب « الصحافي العجوز » — صفحاته ١٦٠ مزين بالصور
يطلب من مكتبة الفجالة المصرية والثمن خمسة قروش

اصحّ طريقة للحكم على كتابٍ من كتب الرحلات والاسفار هو ان ترحل الى بلاد وتشاهد
ت عمرانها واجتماعها ثمّ تطلع على ما كتبه احد الكتّاب فيها . وقد اتيح لكاتب هذه السطور
بة تركيا في الصيف الماضي ، ومشاهدة بعض اعلامها التاريخية ومنشآتها الاجتماعية ، ثم اطّلع
ما كتبه « الصحافي العجوز » في « رحلة صيف » فوجده فيها قد اجاد الوصف ، وبسط
قائق التاريخية والاجتماعية ، في خفة روح لا تجارى ، وبساطة اسلوب يُحسد عليها . وعندي
مقياس الكاتب البارع هو مقدرته على ان يعي التفصيلات المنوعة في ذهنه ، ثم يتناولها في
كتابته تناولاً لطيفاً ، من دون ان يظهر على كتابته أثر الكدّ والاجهاد . والصحافي العجوز في
وله اليومية التي ينشرها في الاهرام ، وفي « رحلة صيف » كاتب بارع حقّاً . وقد اجاد الاستاذ
كري اباظة في مقدمته اذ قال : « لذلك اقرر ان ذخيرة « توفيق حبيب » التاريخية ذخيرة ضاعت
ن ايدي زملائي جميعاً وتجمعت بكليتها في يديه . ولهذا سهل عليه ان يكون فيّاضاً عندما يعرض
عليقات التاريخية »

والكتاب عدا كونه رحلة إضافة يصف لك نواحي النهضة التركية الحديثة وصفاً ليس فيه
راط ولا تفريط يحف بهِ اطار لطيف من مشاهد اليونان ويوجوسلافيا وايطاليا

فيصل الاول

لامين الريحاني — ص ٢٣٤ — طبع بيروت

صدر هذا الكتاب النفيس — وقد اطلع قرّاء « المقتطف » على نموذج من فصوله نشر في عددي يناير وفبراير ١٩٣٤ فرأوا ان الريحاني قد جمع فيه الى البحث التاريخي الدقيق ، الاسلوب الأدبيّ اللألاء — في الشهر الماضي ، فكان درة من هذه الدرر الغوال التي يزين بها الريحاني جيد التاريخ العربي الجديد من وقت الى آخر. وقد اهداهُ الى جلالة الملك غازي « المتمم بعون الله الرسالة العربية العراقية ، رسالة ابيه وجده رحمهما الله». واستعرض بهِ سيرة فيصل في العراق، وقد ابتدأها في كتابهِ « ملوك العرب » فكان حلقة جديدة تضم الى الحلقة الاولى ، وبشرنا بان هنالك كتاباً ثالثاً يعد المعدات لاصداره وهو « الشعب العراقي » فنرجو ان لا يطول الزمن قبل ان يُجلى لقراء العربية فهم معجَبون بكل ما تنتجه براعة الريحاني مرتاحون الى مباحثهِ واساليبهِ

***

كشف الريحاني في كتابه الجديد عن حقائق كانت مجهولة في تاريخ الدولة العراقية الفتاة واماط اللثام عن كثير من الاسرار فجاء آية في دقة البحث والاستقصاء ، كما جلا كثيراً من نواحي فيصل الاجتماعية والعلمية والخلقية مما لم يسبقه اليه سابق وقد لا يلحقه في هذا المضمار لاحق، فقد افرد في بعض فصوله ابواباً خاصة حلل فيها شخصيته من كل النواحي تحليلاً فلسفيًّا وعلميًّا ومنطقيًّا، تحليل الناقد الخبير، الذي يزن الكلمة قبل ارسالها ويقلب الرأي قبل تدوينه فلا افراط ولا تفريط ولا غلو ولا اغراق

قال في الصفحة ١٦٥ بعنوان « مناقب » « كان فيصل مسلماً سنيًّا حنفيًّا صادقاً وكنى ، وكان بصورة ايمانه سطوح متعددة تنعكس فيها انوار المذاهب الاسلامية الاخرى انعكاساً صافياً ، وقد كنت اشعر في محادثته ان لعقيدته الدينية بطانة من التساهل الذي تخلله الاحترام لسائر الاديان في العالم . هو رجل من رجال العالم الكبار ، وهو مسلم يندر مثله بين حكام المسلمين ، فقد كان في تعقله واعتداله مثل الحكمة العالية ، وفي رحابة صدره وتساهله مثال الحب والاخلاص » ثم قال « يصح ان نقول انه ما كان من رجال الحرب الكبار ، بل كان اولاً وآخراً رجلاً مفكراً ، والفكر وليد السلم ووالده الاكبر ، وقد كان الملك فيصل في حبه للسلم وفي جهاده من اجل السلم شجاعاً غير هياب ، وشهماً لا يذكر الحساب ، شهماً كريماً ، ينسى ولا يلوم ، لقد كان فيصل بعيد عن الحماقة ، بعده عن العنجهية وكان حب الذات عنده رمزاً لحب أُمتي ، رمزاً لحب قومي ، رمزاً لحب لامته العربية . في سبيل هذا الحب ، وفي سبيل السلم المؤيد له، كان يتحمل فيصل ما لا يتحمله رجل آخر في منزلته ، كان يكظم الغيظ وينكر النفس ، توصلاً الى اغراضه »

وفي باب المناقب كثير من « مناقب » الملك فيصل الغر مما لا يتسع المجال لذكره هنا . وهناك
، اخرى تناول فيها ايضاً شخصية الملك بالتحليل . منها « فوز الملك فيصل » و « مقتل الملك
» و « نحن وهارون الرشيد » وهي مكتوبة بأسلوب يستهوي النفس فيغري القارىء بالمطالعة
كاد يبدأ فصلاً حتى يتمه وهكذا حتى يأتي على الكتاب برمته . فهو منسجم متسق في ابدع
ة وتكوين

وقد ختمه برسالة وجهها الى فيصل وضمنها آماله وآمانيه . ثم اثبت كلمته في « النسر العربي » وقد
فيصل حين وفاته وتليت في حفلات الاربعين ونشرها المقتطف وسجّل تاريخ الحوادث
بارزة في حياة الملك فيصل مسلسلة وبالاجمال فهو من الكتب النافعة المفيدة التي يجدر بكل
ي دراستها واقتناؤها

امين سعيد

مناجاة

بقلم حسين عفيفي المحامي — ١٥٢ صفحة من القطع الصغير — مصورة بصورة طبيعية فنية بالالوان
بريشة شعبان زكي — طبع مطبعة سابا بمصر — الثمن ٥ قروش

« مناجاة » هي قطعٌ متخيلة تشبه في تسلسلها الرواية وتتضمن تحليلات عامة في قالب غرامي
أسلوب من النثر الشعري . مؤلفها شاعرٌ يستعمل النثر اداة في التعبير عن افكاره ولكنهُ النثر
ذي جاهد في نشره جبران والريحاني واخوانهما في المهجر ، ذلك النثر الشعري الذي يحرص على
موسيقى . والاستاذ عفيفي يشبه في اسلوبه عند تأدية اغراضه شاعر الهند طاغور في كتابيه « هبة
عاشق » و « وجيتنجالي » فهو يمزج الفلسفة بالعاطفة مزجاً موفقاً ، ولكنّ البيئة المصرية أثراً
كبيراً في المؤلف يحسه القارىء في نواحي الكتاب منبثاً ، فهو حائر قلق ، يبحث عن مثل أعلى...
فيه حيرة المجتمع المصري وفيه قلقه ، وهذه الحيرة وهذا القلق هما اللذان يجعلانه ينظر الى الحب
نظرة الحائر فكأن العالم لا يملأ قرارة نفسه حتى نسمعهُ يناجي حبيبة قائلاً « لك قلب يا حبيبتي ولي
قلوب ، فأحبيني إن شئت وحدي ، اما انا فلا بد ان أشركك في قلبي غيرك » . ثم يخاطبها في ناحية
اخرى قائلاً « دعيني اتقلب بين الحسان حتى لا يفوتني شيء من الجمال الذي من اجله احيا ، ولا تكليني
الى عبث الفناء قبل ان احقق منهُ الاماني ، فان حياتي حلم لا يعود »
بهذا الاسلوب العصري الجميل يتغلغل المؤلف الى صميم الحياة فيتناول موضوعات يحسبها
بعيدة عن الشعر ولكنهُ يتركها تلبس رداءها مطرزاً بثوب الخيال ومعطراً بنفحات موسيقى عذبة
ولعل حبهُ للحياة الشعرية هو ما يدعوه الى الرغبة في حياة الطبيعة حتى يكاد يرى ما رأى جان جاك
روسو ، وهو من اجل ذلك يهدي كتابه الى دولة الشعر والاحلام اكثر الناس [illegible]

وعاصمة النفط ، ينبىء بالحدث الخطير . الا ان « بابا كركر » لمن المرسلين . « بابا كركر » بكر الآبار ، ينطق بالخير ويبشر بالبركات . فبينما كانت الشركة التي منحت امتيازها في سنة ١٩٢٥ تسبر غور « كركر » قبل ان بلغت الثمانين بعد المائة قدم الى قلبه ، انفجر انفجاراً هائلاً ، وقذف بخيره عالياً — مائة وستين قدماً فوق الارض « بابا كركر » — « بابا كركر » ! تبارك اسمك وتمجد ! وسيساعدنا نبأك في حل المشاكل والمعضلات . عبر الملك فيصل بحر المانش وهو سابح في سماء من احلام النفط والاستقلال

ولكن لندن عدوة الاحلام . ووزارة المستعمرات فيها تقرأ انباء « بابا كركر » وتمضي في امورها . ومن تلك ما كان مهيئاً لفيصل . فقد صدم في وزارة المستعمرات ، يوم وصوله ، صدمة عنيفة جاءت في مذكرة كانت منتظرة هناك . جاش في صدره الغيظ وهو يقرأ ، ويتأمل خط كاتبها. عرف الخط وتأكده فازداد تغيظاً . نعم هو خط المندوب السامي السر هنرى دوبس نفسه ، وفي طياته التهم والتوبيخ — الملك فيصل يناصب بريطانيا العظمى العداء — الملك فيصل لا يمثل العراق بل يفعل ويقول . الملك فيصل يناصر المعارضة ويشجع سراً المعارضين والمتطرفين . وينبغي ان يعلم انه ملك دستوري لا يجوز له ان يتدخل في شؤون الدولة بل ينبغي ان يتركها لرؤساء الحكومة والبرلمان . ويجب عليه ان يترفع عن المنازعات والسياسات الحزبية ..... وعند ما سأل الملك معنى ذلك وبيانه اجيب انهُ جاءهم في التقارير الرسمية من بغداد

ليس في تلك المذكرة نظراً الى الزمان والمكان ، شيء من حسن الذوق وليس فيها ، نظراً الى الاحوال ، شيء من الاصالة والسداد . وهب ان ما جاء في التقارير المبنيّة عليها صحيح ، فهل تساعد على في انجاح المفاوضات ؟ وهب ان اضطراب الجوكان وقتيًا وان حلم الملك فيصل وصبره تغلبا على شعوره ، فكيف السبيل الى التوفيق بين حقائق السياسة وظواهرها ؟ كيف نستطيع ان نوفق بين معاهدة سنة ١٩٢٢ وبين الاحوال الحاضرة ؟

* * *

ومما لا مراء فيه ان العراق في السنوات الاخيرة تقدم تقدماً يذكر ان في السياسة والاقتصاد ، وان النفقات البريطانية الادارية والعسكرية هبطت هبوطاً جسيماً [1] ومما لا ريب فيه ان كفاءة العراق للعضوية في عصبة الامم هي اظهر مما كانت يوم رفع اللورد پارمور صوته في مجلس العصبة ، وقد ردد تقرير سنة ١٩٢٥ صداه امام لجنة الانتدابات الدائمة ، تنويهاً بالعراق وتأييداً لمطالبه

ولكن — ولكن — « نظراً » الى حكم العصبة بالموصل للعراق وتقييد ذلك الحكم بشرط أن تكون المعاهدة خمساً وعشرين سنة ، ودفعاً للظنون التي قد يثيرها التعديل او محاولته في نفوس الاتراك ونظراً الى المطالبة بالموصل ، فضلاً عن اسهامهم بريطانية والعراق بنقض العهود بعد بلوغ الارب —

أبو علي : عامل ارتست

وقصص اخرى — تأليف محمود تيمور — صفحاته ١٦٢ — طبع بالمطبعة السلفية

بين دفتي هذا الكتاب صور حية لنماذج من الناس يعيشون في ريف القطر المصري وحواضره . ثمة صورة الشيخ رأى شيطاناً في ابنته لانهُ فاجأها مراراً « وهي تنظر الى عزازي نظرة كلها فجور واشتهاء » . وادرك ان هذا الشيطان لن يخرج من جسمها الاَّ بعذاب اليم فحبسها وقلل طعامها وبدأ يعذبها حتى ماتت وهو مقتنع انهُ في عملهِ هذا ليس الاَّ محارباً للشيطان . هذه الصورة نموذج لعقلية ما تزال في القرن العشرين « قطعة متلكئة من الزمن » على حد تعبير المازني . ثم هناك حلمي الاديب او المتأدب الذي يلوك الفاظ الحضارة والاشتراكية ويذكر العلوم ويهوّل بسهره للتبحّر فيها وجني ثمرات العقول من المؤلفات المشهورة ، وهو يموّه بذلك على نفسه ويكشفها لاخوانهِ ، وينغمس في الشهوة على حساب ذوي النجدة من أصحابهِ ، ويحاول ان يداري ما يفعل وراء ستار شفافٍ قوامهُ : « انني ادرس هذه الاوساط . ادرسها جيداً »

اما قصة « ابو علي عامل ارتست » فصورة بديعة لنموذج آخر من الناس . وقد ابدع المؤلف في تحليل نفسية الرجل . وتطوّرها وعمدَ الى السخرية آناً في رسم بعض خطوطها ، فوضع على لسان الرجل وهو يودّع بيت عمهِ عبارات جُوفاً ولكنها رنّانة — كقولهِ يودّع حجرتهُ « وداعاً يا حجرتي المحبوبة . يا مستودع اسراري ومهبط وحيي . يا مرتع احلامي ومنبع عبقريتي» او كقوله متعالياً على مدير فرقة تمثيلية عند طردهِ منها . « اذن انت تخشى منافستي لك . يا الضعف . . . » او « صرّح لي يا سيدي بكل شيءٍ فما زلت مستعدًّا للتفاهم معك »

والقصص تبدو كما قال المستشرق السويسري ويدمار ، بسيطة « ولكن هذه البساطة هي السر في قوتها وتأثيرها . . . فالمؤلف يتغلغل في اعماق نفس الشخص الموصوف لكي يبرز عقليتهُ الحقيقية »

أما اسلوب المؤلف الكتابي ، فيكاد يكون قنطرة بين اللغة الدارجة واللغة الصحافية الفصيحة وهذا لا بدَّ منهُ في بعض نواحي الكتابة القصصية . لانك لا تستطيع ان تنطق العامل العامي بلغة الجاحظ . فتفسد بذلك الجوَّ الذي تحاول ان تخلقه في القصة باستعمال الفاظ العمال وعباراتهم . أما العبارات التي ترد على لسان المؤلف ، كوصف مشهد او تحليل شعور او سوق حكمة ، فيجب في رأينا ، ان يكون بأسلوب لا غبار عليه . ونحن واثقون من ان جوَّ القصص التي في هذا الكتاب لا ينقصه شيء اذا جاء في عباراتها «حماسة» بدلاً من «حماس» و«قابض النفس» بدلاً من « منقبض النفس » و « في تراخٍ » بدلاً من « في تراخي » . فهذه هنات هينات ونفضل ان ... الخطأ المطبعي وما اكثره في مطبوعاتنا

جولة في ربوع الشرق الادنى

بين مصر وافغانستان

تأليف محمد ثابت — طبع بمطبعة سعد مصر — صفحاته ٢٩٤ بالقطع الوسط

مد ثابت مدرّس الآداب بمدرسة الأمير فاروق الثانوية عناية عظيمة بالسياحة وكتابة ما
ه في البلدان التي يزورها في كتب جامعة للذة والفائدة. وكتابه هذا هو الكتاب الرابع في هذا
يصف فيه فلسطين وسورية وتركيا والعراق وافغانستان وايران وخص اليزيدية او عبدة
ن والشيعة والصابئة والمشاهد المقدسة بفصول . فهو يصف كل بلد يمرّ به كما يشاهده فيرسم
ه صورة مجملة لحالة البلاد وشكلها ويصف اهلها وحالة بؤسها أو نعيمها وعزها أو شقائها
يتبع ذلك بفصل يجمل فيه تاريخ البلد والادوار التي مرّت به والاحداث التي انتابته وهو
في هذه الابواب لانه خبرها عمليًا في تدريس مواد التاريخ والجغرافيا ثم هو كثير الاطلاع
الامور على حقائقها ويعنى بنشر صور كثيرة في كتبه تصف للعين حالة البلاد فترسخ
ر الذهنية على الصور الفتوغرافية وتزيد القارىء اقبالاً على القراءة . وجملة القول ان المؤلف
القرّاء بكتبه هذه وسهّل عليهم المباحث التاريخية القديمة بما اضاف اليها من الوصف الحاضر
يجمع بين حالة البلدان قديماً وحديثاً وينتقل بالقارىء من أوصاف السكان ولهجاتهم واحوالهم
وصف ما طرأ على المدن من حوادث واحداث مستخلصاً العبر وبذلك جعل لرحلاته منزلة ممتازة
نفوس القرّاء . وكم كان يود كاتب هذه السطور ان يكتب لنا المؤلف الفاضل رحلة في مصر على
ى رحلاته هذه فنحن في شوق لمعرفة قطرنا عواصمه وقراه واحواله قديماً وحديثاً م . د

جداول تحويل النقود

أهدى الينا حضرة الفاضل سليم أمين حداد استاذ الرياضيات التجارية بمدرسة التجارة العليا
كتابين الاول ويحتوي على جداول تحويل النقود المصرية والانكليزية والفرنسية باللغة الفرنسية
الثاني دليل باللغة العربية يشرح فيه المؤلف كيفية استعمال هذه الجداول والغرض من عمله هذا
و تسهيل عمليات تحويل النقود وضبط الحساب . وقد اطلع على الجداول مديرو الهيئات المالية
، مصر فارسلوا اليه كتباً يثنون فيها على عمله العظيم ومجهوده الشاق وفائدة جداوله العملية
المؤلف في غنى عن الشهرة وهو صاحب المؤلفات الرياضية والتجارية والمالية الراقية المقرّرة رسميًا
ن قبل وزارة المعارف بمدرسة التجارة العليا فنكرر لحضرته الثناء ونوجه الأنظار الى هذه
الجداول المفيدة

مطبوعات جديدة

﴿ تاريخ نابليون بونابرت ١٧٦٩ — ١٨٢١ ﴾
كتاب نفيس بقلم الاديب الياس ابو شبكة
فرغهُ في قالب يحببُ الى القارىء مطالعته وذكر
فيه تاريخ حداثه البطل والاعمال المجيدة التي
عملها والحروب العظيمة التي قام بها وحسبه ان
قال عنه شاتو بريان عقب رسالة حمل بها على
نابليون ما يلي « ليس بونابرت كبيراً بكلماته
وخطبه وكتاباته وشغفه بالحرية التي لم يوطىء
لها السبيل يوماً ، بل هو كبير بخلقه حكومة
منظمة قوية ومجموعة قوانين درجت عليها ممالك
كثيرة ودور عدل ومدارس وادارة حازمة
ما زلنا نعيش في كنفها » والكتاب مطبوع
بمطبعة صادر ببيروت ويطلب من مكتبتها

﴿ الجغرافية العامة الحديثة ﴾ الجزء الاول
تأليف سعيد الصباغ » يحتوي على مباحث اوربا
وآسيا وأفريقيا وفصول مطولة من جميع
الاقطار العربية

وللفائدة ذكر المؤلف مع المباحث الجغرافية
معلومات عن حياة الشعوب النائية الموطن الغريبة
الهيئات والاطوار ونبذاً تاريخية عن هجرة القبائل
العربية الى افريقيا وانتشارهم فيها والكتاب محلى
بكثير من الرسوم والخرائط التي تعين الطالب على
فهم مادته وتقربها الى ذهنه وهو مطبوع بمطبعة
العرفان وثمنه ١٠ قروش مصرية عدا اجرة البريد

﴿ الجغرافية الطبيعية ﴾ تأليف ابرهيم
شوكت مدرس الجغرافيا بدار المعلمين ببغداد
— وهو كتاب مدرسي يهم طلبة المدارس
موافقة نشر فيه المؤلف حالات الجو والارض
وجيولوجية العراق ومعادنه ومنابعه المعدنية
وأردفه بمعجم للاسماء العربية وبترجمتها بالانكليزية.
طبع بمطبعة الاهالي ببغداد

﴿ سلاطين بني عثمان الخمسة ﴾ تأليف
الدكتوره ماري ملز باتريك وترجمة حنا غصن
وكامل مروه وكامل صموئيل مسيحه — وهو
كتاب تلذ مطالعته ويحتوي على خلاصة تاريخ
السلاطين العثمانيين الخمسة الذين حكموا تركيا
اخيراً وشرحت حياتهم شرحاً دقيقاً وتحدثت
عن الذين كانوا يخشون منهم النور ويريدون ان
يظلوا دائماً في الظلام وذكرت حوادث تطور
حركة الاصلاح وكيف تنهض الشعوب وكيف
انتقلت تركيا من حالة التأخر والاتضاع الى مركز
تحسدها الدول عليه . طبع بمطبعة صادر ببيرت

﴿ قاموس لبنان ﴾ جمعهُ الاديب وديع
نقولا حنا صاحب مجلة المعارف وهو يحتوي
على اسماء مدن جمهورية لبنان وقراها مع تفصيل
واف عن عدد سكان كل واحدة منها ولاية
ومديرية ومحافظة مع وصف معاهدها وتجارتها
وحاصلاتها ومن اشهر منها رجالاً ونساء — ثمنهُ
ليرة سورية ويطلب من جامعة ببيروت

﴿ موجز الاغاني العراقيـة ﴾ وضعهُ
محمد القبنجي — كتاب تاريخي فني موسيقي
مصور يبحث عن المقامات التي هي غناء مدينة
بغداد والعتابة والنائل وهي غناء المدن التي في
غرب دجلة والابوذية والتوشيح وهو غناء
مدن شرقي الفرات وفيه لمحة من تاريخ الغناء العربي.
طبع بمطبعة الايتام ببغداد

باب الأخبار العلمية

الاشعة الكونية وانفجار النجوم

لعالمان زوكي Zwicky وباد Baade من
ادينا العلمي بكليفورنيا ان انفجار
حين تولـد « النجوم الجديدة » قد
مدراً للاشعة الكونية التي تفرغ العلماء
ها في العهد الاخير

سد بالنجم الجديد ، نجم يتحول فجأة
صغير الى قدر كبير ، لانفجار يحدث
زداد لمعانهُ حتى قد يفوق اسطع
ب وأبهاها . ولكن ذلك لا يدوم طويلاً
، ان يخف بهاؤهُ ويقل اشراقهُ ويعود
ن عليه او اخفى قليلاً . والنجوم
ة تسترعي الانظار لانها تظهر اما في مكان
ماء لم يكن فيه نجم من قبل او
ـه نجم لم يرَ قبل اشراقه لا بالعين ولا
الفوتغرافية . مثال ذلك ان النجم الجديد
اهُ الدكتور توماس اندرسن اللاهوتي
خر يناير سنة ١٨٩٢ في صورة ممسك
لم يظهر في الصور الفوتغرافية التي صورها
ور مكس ولف في ٨ دسمبر سنة ١٨٩١
بل اشراقه بشهر او شهرين ، وبعد شهرين
كتشافه ظهر في صورة فتوغرافية صورها
تاذ بكرنج فكان من القدر الخامس اي زاد
اقهُ نحو مائتين وخمسين ضعفاً في مدة

وكذلك النجم الجديد الذي اكتشفهُ اندرسن
في صورة فرساوس فانهُ لم يظهر في صورة فوتغرافية
صوّرت في ٢ فبراير سنة ١٩٠١ ، مع انهُ ظهر
فيها نجوم من القدر الحادي عشر ، وبعد يومين
صار نورهُ اسطع من نور النجوم التي من القدر
الاول دلالة على ان اشراقهُ زاد ستين الف ضعف .
والنجم الجديد الذي ظهر في صورة السباحة سنة
١٩٢٠ كان تحت القدر السادس عشر قبل ١٦
اغسطس سنة ١٩٢٠ فأصبح في ٢٤ اغسطس في
نحو القدر الاول او اقل قليلاً فزاد اشراقهُ نحو
اربعمائة الف ضعف في اسبوع . وقد يزيد اشراق
نجم من النجوم الجديدة نحو عشرين الف ضعف
في بضعة أيام فتعرف حينئذٍ بالنجوم الجديدة
الكبيرة Super—novae

والدكتور زوكي يذهب الى ان نجماً جديداً
كبيراً يطلق من الأشعة التي فوق البنفسجي
عشرين مليون ضعف ما يطلقهُ من اشعة الضوء
اي انهُ يطلق من الطاقة في ثانية ما تطلقهُ الشمس
في مائة مليون سنة . ولذلك فهو لا يستبعد ان يكون
جانب كبير من هذا الاشعاع التصير الامواج
اشعة كونية

وهذا الرأي يقتضي ان يكون ... الاشعة الكونية ...

النجوم الجديدة الكبيرة نادر ، ويقول الاستاذ زوكي انهُ لا يزيد على واحد في المجرة الواحدة في الف سنة من الزمان . وهذا يعلل عدم انطلاق اشعة كونية من مجرتنا التي يندر ظهور النجوم الجديدة الكبيرة فيها

والنظرية الجديدة لا تزال قيد البحث بين العلماء

زيت كبد الحوت في الشكولاته

زيت كبد الحوت يحتوي على فيتامين يمنع الكساح في الاطفال . فاذا تعذر على طفل تجرُّع هذا الزيت لانهُ لا يسيغ طعمه فالراجح انهُ لا يمتنع عن تناوله اذا كان مختلطاً بكأس من الشكولاتة او الدندرمة . وقد ابتدع المستر دنتورث احد موظفي مصلحة الاسماك في كندا ، طريقة مزج خلاصة كبد الحوت بكأس من الشكولاتة الساخنة من دون ان يفقد خواصهُ الفيتامينية او يجعل للشكولاتة الساخنة طعماً زيتياً كريهاً

احدث الروايات الذرية

اذا اصطدم نيوترون ببروتون تولدت ذرة من ذرات الايدروجين الثقيل وبعض اشعة غمَّا . الممثلون في هذه الرواية هم (اولاً) البروتون وهو نواة ذرة الايدروجين العادي (ثانياً) الالكترون وهو وحدة الكهربائية السالبة واحد اللبنات الاساسية في بناء الكون . (ثالثاً) النيوترون وهو دقيقة متعادلة الكهربائية يظن انهُ مركب من الكترون وبروتون محشوكين معاً في حيز ضيق وقد كشف عنهُ في بريطانيا سنة ١٩٣٠

(رابعاً) الايدروجين الثقيل وهو صنف من الايدروجين وزن ذرته ضعف وزن ذرة الايدروجين العادي . وقد كشف عنهُ في الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٣٢ ودعي باسماء مختلفة فتارة « نظير الايدروجين من كتلة ٢ » وتارة « دوتيريوم » وتارة « دبلوجين » وهو اسمهُ في بريطانيا

اما تمثيل الرواية فيبتدىء باطلاق النيوترونات من عنصري البولونيوم والبريليوم على البرافين فدهش العلماء الذي راقبوا هذا الاطلاق والاصطدام اذ شهدوا اشعاعاً من قبيل اشعة غمَّا وهي احد انواع الاشعة التي تنبعث من المواد المشعة كالراديوم . وهم يعللون ذلك باصطدام النيوترون ببروتون الايدروجين (الذي في ذرة البرافين) اولاً . ثم ان النيوترون والبروتون يتحدان لتوليد ذرة من ذرات الايدروجين الثقيل . وهذا الاتحاد لا بدَّ ان يسفر عنهُ انطلاق طاقة في شكل اشعة غمَّا تعدل مقدار الكتلة التي تفقدها الدقيقتان في اتحادهما . على ان التحوُّل من الكتلة الى الطاقة يجب ان يطلق اشعة غمَّا من قوة مليون فولط وهذا يقتضي ان تكون طاقة النيوترونات المنطلقة من رتبة ستة ملايين فولط وهو قريب من طاقتها الحقيقية فعلاً

الصودا وجنس المواليد

من غرائب ما ذاع في الولايات المتحدة الاميركية في العهد الاخير ، ان الام الحامل التي ترغب في ان يكون وليدها ذكراً ، عليها ان

تضيف الى غذائها بيكربونات الصودا ، وقد عني الاستاذ دامور D'Amour في جامعة دنفر بولاية كولورادو بامتحان هذا القول في الجرذان فوجد ان بيكربونات الصودا لا اثر له على الاطلاق في جنس المولود على ما جاء في مجلة « العلم » الاميركية . فاخذ خمساً وثلاثين زوجاً من الفئران وغذاها بطعام يحتوي على بيكربونات الصودا. فلما ولدت الاناث احصى مواليدها فاذا الاناث فيها ١١٥ والذكور ١١٠ . وكان في الوقت نفسه قد اخذ ٣٨ زوجاً من الفئران وغذاها بطعام يحتوي على اللبن الحامض فلما ولدت احصى مواليدها فاذا الاناث فيها ١١٣ والذكور مائة . وأخذ كذلك ١٤ زوجاً من الفئران وغذاها بطعام مألوف واحصى مواليدها فاذا الاناث ١٠٣ والذكور مائة . وكانت الصودا التي اضيفت الى غذاء الفريق الاول ٢ ½ في المائة وزناً واللبن الذي اضيف الى غذاء الفريق الثاني ٥ في المائة وزناً

وفاة هابر الكيماوي

فقدت الكيمياء بوفاة الاستاذ فرتز هابر Fritz Haber علماً من اكبر اعلامها في هذا العصر فقد كان من اعلام الكيمياء النظرية والصناعية في آنٍ واحدٍ . وظل حتى آخر ايامه ابعد الناس عن الدعوى ومن ادمثهم خلقاً . ولد في برسلو في ٩ ديسمبر سنة ١٨٦٨ وحضر دروس الكيمياء في برلين وهيدلبرج وشارلو تنبرج وزوريخ وفينا وتلمذ لعلماء كبار مثل هوفمن وهلمهلتز وقضى في شبابه شهوراً في المصانع ولما كان في السادسة والعشرين من عمره عين في منصب مساعد في المعهد الكيماوي الفني بكارلسروهي حيث بدأ عمله الكيماوي العظيم . وقضى هناك سبعة عشر عاماً . وفي سنة ١٩٠٦ عين مديراً لمعهد القيصر غليوم للطبيعة والكيمياء والكيمياء الكهربائية فنظمهُ وبلغ هذا المعهد بارشاده أعلى مرتبة بين معاهد البحث العلمي في العالم قاطبة

ولما نشبت الحرب الكبرى ادرك شدة حاجة المانيا الى التعاون بين منشآتها الصناعية ومعاهد البحث العلمي فيها فعرض خدماته على وزارة الحربية فعين رئيساً لقسم « وسائل الحرب الكيمائية » وكان لآرائه وعلمه اكبر مقام في تلك الناحية من الحرب

فلما وقع الانقلاب السياسي في المانيا سنة ١٩٣٣ واضطهد اليهود فيها ومنهم علماء أعلام، استقال هابر من منصبه وذهب الى جامعة كمبردج حيث ظل مقيماً حتى قبيل وفاته . وكان قد سافر في اجازة الى سويسرا انتجاعاً للصحة فمات في مدينة بال في ٢٩ يناير سنة ١٩٣٤

ومباحث هابر الكيمائية خطيرة ومنوعة في آنٍ واحد، ولعل اشهر ما يقترن باسمه اكتشافهُ طريقة صناعية تجارية مكنته من تثبيت النتروجين فاستطاع ان يجهز المانيا بالمواد اللازمة لصنع الاسمدة الكيمائية والمواد المفرقعة في خلال الحرب . ومن مباحثه في الكيمياء الصناعية بحثه في كيمياء الغاز وطلي الحديد وتحليل الكهربائية التدريجي في النتروبنزول وعلى يتوقف تركيب الانيلين الى حد بعيد [illegible]

الاصطناعي . وقد [illegible]

الهليوم في ايطاليا

الهليوم يلي الايدروجين في خفة الوزن بين العناصر . على ان الايدروجين غاز يلتهب ولكن الهليوم لا يلتهب . ولذلك يفضل الهليوم في ملء اكياس البلونات. وقد كانت الولايات المتحدة الاميركية اكبر منتج لهذا الغاز الثمين فملأت جميع بلوناتها التابعة لجيشها وأسطولها بهِ . ولكن جاءت الانباء في الشهر الماضي بأن الايطاليين عثروا على هذا الغاز في آبار الغاز البركاني في (لارداليرو) وهم يستخرجون منها الآن نحو اربعة آلاف متر مكعب كل سنة . وانما ينتظر ان يزداد ما يستخرج منها حتى يصبح كافياً لاستعماله في ملء اكياس البلونات الايطالية

الايدروجين الثقيل والحياة

لما كشف الايدروجين الثقيل في اميركا ، بدأ العلماء يتكهنون بخواص الماء الذي يصنع منهُ . وقد قال الاستاذ يوري Urey احد مكتشفيهِ ان الماء يهمنا من الناحية الكيمائية لانهُ افضل المواد المذيبة المعروفة . وكثير من التفاعلات الكيمائية تحصل في الماء . ثم ان الايدروجين يلي الكربون في عدد المواد التي يدخل في تركيبها . فالمعروف ان الايدروجين يدخل في تركيب نحو ٣٠٠ الف مركب عضوي او اكثر علاوة على الكربون والنتروجين والاكسجين . فلما كانت المواد التي يدخل الايدروجين الثقيل في تركيبها تختلف في خواصها عن نفس المواد اذا كان ايدروجينها عاديًّا فاكتشاف هذا النظير

الايدروجين يفتح امامنا باباً لتركيبات كيمائية جديدة

وقد ثبت من تجارب جرّبت في احدى كليّات اميركا ان الماء الثقيل (اي المركب من اكسجين وايدروجين ثقيل) يفتك بحياة بعض الحيوانات المائية . ثم ان الخمائر لا تنمو فيهِ بنفس السرعة التي تنمو بها في الماءِ العادي. ووجد الكيماوي الاميركي الكبير الاستاذ غلبرت لوِس ان بزور التبغ لا تنتش بعد نقعها في الماءِ الثقيل . ثم اذا نقعت في ماءٍ عادي ، تنتش انتاشاً ضعيفاً غير سويٍّ . اما الديدان المسطحة فتكاد تموت اذا نقلت ثلاث ساعات في ماءٍ ثقيل ثم تعود الى الحياة اذا نقلت الى ماءٍ عادي . وقد وجدت طائفة من اساتذة جامعة برنستن ان دعاميص الضفدع الخضراء لا تستطيع ان تعيش في الماءِ الثقيل اكثر من ساعة

وقد عاد الاستاذ لوِس حديثاً الى تجربة اثر الماءِ الثقيل في حياة الفئران . فاخذ فأرة وسقاها الماء الثقيل بقطّارة لان ثمن الرطل منهُ يبلغ ١٥٠٠ جنيه لندرة الايدروجين الثقيل ولشدة العناءِ في تحضيره . وسقى فأرين آخرين ماء عاديًّا . وكانت النتيجة ان الفأرين اللذين سقيا الماء العادي ظلاَّ يتصرفان تصرفاً سويًّا في اليقظة والمنام. اما الفأر الاول فتصرّف تصرُّفاً غريباً . اذ جعل يقفز قفزاً عجيباً ويلحس الجدار الزجاجي في قفصهِ . وكان كلما سقي الماء الثقيل يزداد ظما . ولو لم ينفد الماء الثقيل عند الاستاذ لوِس لمضى هذا الفأر يشرب وهو لا يرتوي

الجزء الرابع من المجلد الرابع والثمانين

صفحة

ينبغي أن تؤجل المسألة الى سنة ١٩٣٢[1] وستظل في هذه الاثناء العلاقات البريط
اما الوفد العراقي فقد قاوم هذا التحمّل وحاول التغلب عليه ، مصرّا على ذ
فاخفق في محاولاته ومساعيه ، ووقف المتفاوضون امام العقدة التي لا تحل . ف
كما غضب قبله السعدون ببغداد ، وحمل حقائبهُ وارتحل . وكان الملك فيصل قد
لولا فرصة سنحت لاعادة الحادثة والحكومة . فقد أُقيمت له مأدبة وداع ، ح
خطب فيها خطبة بليغة بصراحتها . ومما قال انهُ يؤْثر العودة صفر اليدين على
لا تفضل التي سبقتها بشيء ، بل هي دونها في بعض موادها . فهز الوزراء
وأكدوا له بعد ذلك ان الامل لم ينقطع ، وان المأزق قد يتسع للخلاص

توقف الملك فيصل عن السفر ، وابرق الى وزيره جعفر الذي كان قد بلغ الاسكـ
امتثل جعفر الامر ، فعاد ادراجه ، ثم استؤنفت المفاوضات ، وقبلت المعاه
يستحق الذكر . فما السبب يا ترى في هذا الانقلاب الفجائي ؟ ما الذي حمل المل
بعد ان صرح الاول ذلك التصريح ، واعرب الثاني عن رفضه بالرحيل ؟ هل
الوزراء اصحابه ومعها ضمانات وزارية سرية ، ام هل كان الملك مكرهاً

اقف ها هنا لاقول كلمة فيها بيان شخصي . الليلة كان الملك فيصل يقص ع
او ما كانت قسمته فيها من المفاجآت المفرحة والمفجعة ، من « بابا كركر » ؛
المذكرة في وزارة المستعمرات بلندن ، جاءَهُ رئيس الوزراء نوري السعيد
القتال ببرزان ، فتحول الحديث من لندن الى بلاد الاكراد . وما سنحت بعد
الفرص ؟ انما هي كلمة باطلة لا يجوز ان اموّه بها ذنبي . فقد ذهلت عن الموضو

---

(١) النصوص المختلفة للتعهد الواحد هي كما يلي

« يتعهد صاحب الجلالة البريطانية بان يتوسط لادخال العراق في عصبة الامم باسرع
المادة ٤ — معاهدة ١٩٢٢

« ينتهي اجل المعاهدة بدخول العراق في عصبة الامم . ولا يتأخر ذلك في اي سا
تاريخ عقد الصلح وتركية »

الملحق للمعاهدة — نيسان سنة ١٩٢٣

« عند انقضاء مدة معاهدة ١٩٢٢ والملحق لها ، تنظر الحكومة البريطانية فيما اذ
الذي يؤهله للعضوية في عصبة الامم »

المادة ٣ — معاهدة ١٩٢٦

« اذا استمر العراق في رقيه الحاضر وظلت الامور جارية بمجراها الحسن ، يؤيد
سنة ١٩٣٢ ترشيحه لعضوية العصبة »

[illegible] سلسلة المطبوعات المصرية

[illegible] (ادارة المطبعة المصرية) بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

ص

٣٠ القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠ « « « « (طبعة ثالثة)
٧٠ « « عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥ « المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٠ قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠ « « عربي انكليزي فقط
١٥ « « انكليزي عربي فقط
٧٠ « سقراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ)
٥٠ « « « انكليزي عربي (باللفظ)
١٠٠ « « « « « وبالعكس
١٠ التحفة المصريه لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢ الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)
١٠ الف كلمة المانى (لتعليم الالمانية بسهولة)
١٥ في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠ عشرة ايام في السودان « « «
١٢ مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد
١٥ روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد عادل زعيتر)
١٥ روح السياسة « « «
١٠ الآراء والمعتقدات « « «
١٠ اصول الحقوق الدستورية « « «
٢٠ الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)
١٥ حضارة مصر الحديثة (تأليف كبار رجال مصر)
١٠ الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد)
١٥ ملتقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
٨ اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠ مختارات « « «
٨ نظرية التطور واصل الانسان « «
٢٠ اناتول فرانس في مباذله، للامير شكيب ارسلان
١٥ الدنيا في امبركا (للاستاذ امين بقطر)
١٠ المرأة الحديثة وكيف نسوسها (عبدالله حسين)
١٠ جريمه سلفستر بونار (اناتول فرانس)
٥ المرأة بين الماضي والحاضر
٥ مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي
١٥ حصاد الهشيم (للاستاذ ابرهيم عبدالقادر المازني)
١٠ قبض الريح (« « « « «)
٨ نسمات وزوابع شعر منثور مصور
١٠ رسائل غرام جديدة (سليم عبدالواحد)
١٠ التمثيل في الادب المصري (تماثيل نسيمة)
٥ حكايات للاطفال، اول (مصور بالالوان)
٥ « « ثاني « «
٥ « « ثالث « «
٥ تذكرة الكاتب طبعة منقحة لاسعد خليل داغر
٢٥ [illegible] (للاستاذ حنا خباز)
٦ [illegible] (الارشمندريت بشير)

١٠ التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري)
٥ خواطر حمار (للاستاذ الجمل)
٥ التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد الحميد
١٥ الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥ ذكرآ وانثى خلقهم « « «
٥٠ علم الاجتماع (جزآن كبيران « «
١٥ اسرار الحياة الزوجية « «
٣٠ الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور فخري
٢٠ المرأة وفلسفة التناسليات « «
٢٠ الضعف التناسلي في الذكور والاناث «
١٥ الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي محمد)
١٠ تاييس « « « «
٥ مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠ القصص المصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠ مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢ رواية اهوال الاستبداد، مصورة
١٠ « فاتنة المهدي، او استعادة السودان
٨ « الانتقام العذب (اسعد خليل داغر)
٥ « فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢ « باربزيت، مصورة (توفيق عبد الله)
١٢ « غرام الراهب او الساحرة المجدورة
٧٥ « روكامبول، ١٧ جزء (طانيوس عبده)
٢٥ « ام روكامبول، ٥ اجزاء «
٢٠ « باردليان، ٣ اجزاء «
٢٠ « الملكة ايزابو ٤ اجزاء «
٢٠ « الاميرة فوستا ٤ جزآن «
٢٠ « عشاق فنيسيا، جزآن «
١٦ « الساحر العظيم ٤ اجزاء «
١٦ « كابيتان، جزآن «
١٦ « الوصية الحمراء، جزآن «
١٦ « بائعة الخبز «
١٢ « فلمبرج، جزآن «
١٠ « فارس الملك «
١٠ « ضحايا الانتقام «
٨ « المرأة المفترسة «
٥ « المتنكرة الحسناء «
٥ « مروضة الاسود «
٥ « شهداء الاخلاص «
١٦ « دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠ « فرنسوا الاول « «
١٠ « الجنون فنون « «
٨ « حورية « «
٨ « الفلامان الطريدان « «
١٢ يسوع ابن الانسان (جبران خليل جبران)
٨ النبي (« « «)

لافوازيه في معمله وزوجتهُ امامهُ تدوّن لهُ مذكراته العلمية

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الخامس من المجلد الرابع والثمانين

[ا]مايو سنة ١٩٣٤ ١٧ محرم سنة ١٣٥٣

لاڤوازييه

LAVOISIER

ماهير في باريس هائجة مائجة ، والحفائظ منطلقة من الصدور كالقنابل ، والارهاب مخيّم فوق دينة ، كالضباب الثقيل ينعقد في الجوّ فيرهق النفوس ، فالناس تهامس وتفضل المنعطفات الليل على الشوارع ووضح النهار . لقد أُخِذ الملك والملكة من القصر الى النِّطع ، وأقام الثوّار في قصر التويلري ، يصدرون الاوامر بالقبض على هذا وتنفيذ الاعدام في ذاك

في هذا الجوّ المرهِق ، كان احد علماء باريس ، مكبّا على انابيبه وأنابيقهِ في معمله الكيمائي . هذا العالِم رجلاً تحدجهُ العيون ، لان الملك كان قد ادناهُ وأعلاهُ . وكان هو قد انفق جانباً اً من ثروتهِ ونشاطهِ في خدمة فرنسا . ولكن الصدور كانت موغرة في تلك الايام . وكان وه كثراً لانهُ من طبقة الاشراف . ومع ان شوارع المدينة كانت تعجّ بالثوار ، والنفوس يمة تخشى همسة الريح لئلاّ تكون اشارة لخطر محدق ، واعداء الرجل يعدّون المعدات رونَ الخطط للقضاء عليهِ ، ظلّ هو ملازماً معمله يراقب في سكون وصفاء ذهن عجيب تجربة ن قد اعدَّها لسيجان معاونه ويملي على زوجته الغانية مذكراته العلمية

كان سيجان هذا جالساً في كرسي ، يحيط بهِ كيس من الحرير المطليّ ، لا يدخله الهواء ولا رج منهُ . وكان في الكيس قبالة فم الرجل شقّ للتنفس ، وكان يتصل بهذا الشق انبوب يفضي

بيق من الزجاج . وكان اتصال الانبوب بالشق محكماً كل الاحكام بواسطة الزفت والتربنتينا .
ن كل ما يفرزه جسم سيجان من عرق او غيره ، يبقى في الكيس ، الاَّ ما يخرج من رئتيهِ عن
ن التنفس ، فكان الهواء الذي يزفرهُ ينتقل في الانبوب الى الانبيق الزجاجي ، لكي يحلل
لا دقيقاً

وكذلك ترى ان لافوازييه كان يبحث حينئذ في افعال التنفس والافراز . فكان يزن بأدق
ازين في فرنسا ، سيجان قبل دخوله الكيس وبعد خروجه منهُ ، والهواء الذي يزفرهُ والكيس
التجربة وبعدها . وكان لافوازييه يثق بموازينهِ ثقة عمياء . ولكن لم يتح لهُ ان يتمّ هذه
بارب . ذلك انهُ وهو يراقب زميله ويملي على زوجتهِ ، فتح الباب فجأة ، فتحاً عنيفاً ودخل
ل يرتدي على رأسهِ قبعة الثوار وتبعه جنود المحكمة الثورية ، ومن ورائهم جمهور صاخب .
الرجل على رأس الداخلين مارا Marat « صديق الشعب » كما لذَّ له ان يدعو نفسهُ . فما وقعت
هُ على لافوازييه حتى صاح بالعالم مشهّراً بهِ ، داعياً اياه صديق الملك عدوّ الشعب ، منادياً بالقوم
الرجل جدير بأن يشنق على عمود مصباح

وكان لافوازييه قد غاظ هذا الرجل من قبل ، اذ حاول هذا ان ينتخب عضواً في اكادمية
لوم ،فأثبت لافوازييه ، ان الرجل ليس كفوءاً من الناحية العلمية لهذا الشرف العظيم

وتقدَّم مارا فقرأ على لافوازييه الوثيقة المشتملة على قرار القاء القبض عليهِ.فأصغى اليها العالم
طمأنينة ، وتقدَّم الى زوجه يودعها الوداع الاخير ، والى صديقهِ سيجان ، فالقى اليهِ بمذكراتهِ
لمية ليحتفظ بها . ثم سار مع الثوَّار

وفي مايو سنة ١٧٩٤ دعي امام اللجنة المالية في محكمة الثورة فحوكم وحكم عليهِ ، وحاول بعض
سدقائهِ التوسط لاخلاء سبيله ، فذكر احدهم رئيس المحكمة ، بان لافوازييه من اعاظم رجال العلم ،
انهُ انفق خير سني حياتهِ في خدمة بلادهِ ، فردَّ عليهِ الرجل بلسانٍ من نارٍ : « ليست الجمهورية
ي حاجة الى العلماء »

وكان الحكم عليهِ بالاعدام وليس لذلك الحكم مَرَدٌّ . فنقل في عربة الى ميدان الثورة ، وحزّت
نقهُ مع ستة وعشرين آخرين فكان هو الثالث وكان حموه الرابع . فقال العالم لاجرانج الرياضي
لشهير،حينئذٍ «لقد استغرق حزُّ عنقهِ دقيقة من الزمان او بعض دقيقة ، ولكننا قد نحتاج الى قرن
كامل قبل ان ننجب عالماً آخر مثلهُ» . وكذلك لقي لافوازييه — اعظم مجدِّدٍ في علم الكيمياء —
حتفهُ . وانت لو بحثت عن مدفنهِ اليوم ، لما عثرت عليهِ ، لان جثتهُ ضاعت ، في تلك الفترة المحمومة

قبل ذلك بشهرٍ واحد كان بريستلي ، الكيماوي البريطاني ، وندّ لافوازييه وصديقهُ قد فرَّ من
وجه الاضطهاد في بريطانيا . ولكن بريستلي ، كان قد اتمَّ عملهُ اوكاد . اما لافوازييه ، فاعدم وهو
لا يزال اكمل ما يكون عقلاً واخصب ما يكون انتاجاً علميًّا . ونحن اذا تطلعنا الى مدى قرن

، حكمنا بان اعظم جريمة ارتكبت في خلال الثورة الفرنسية ، انما كانت
الملك لويس السادس عشر

***

ميداناً لجهاد طائفة من الكيماويين يشتغلون بالبوتقة والانبيق والميزان ،
ت كثيرة تحتاج الى تنظيم وترتيب وادماج في صلب فلسفة كيمائية عامة .
صدّت تقدّم الكيمياء نحو هذا الغرض ، هي ان نظرية «الفلوجستون»
كل حقيقة كيمائية جديدة . فالفلوجستون ، كان في نظرهم « عنصر
مركبة من هذا العنصر ، وعنصر آخر ماء كان او تراباً او حامضاً .
من المواد ، مرهون بمقدار ما فيها من عنصر الفلوجستون . والاحتراق
ن ، من المادة المحترقة . وقيّض لهذه النظرية رجال وسّعوا نطاقها ،
في نظر علماء القرن السابع عشر ، لكل تفاعل كيمائي . ولما قيل لهم
ان شيئاً يخرج منهُ بحسب قولكم ، قالوا الفلوجستون يخفف وزن
ج ثقل ذلك الجسم ! وهو من ابدع الامثلة على مدى ما يذهب اليه
سبيل تأييد فكرة سابقة
الكيمياء في حاجة الى تجديد ، لشدة ما أصابها من الركود بتمسكها
صوتهُ في المعامل والاندية العلمية ، وكان لكلامه وقع كبير ، لبراعته
السياسة . فكان بذلك اكبر داعية للكيمياء الجديدة ، ولم يذهب
فيه ليبغ الكيماوي العظيم : « لم يكتشف لافوازيه جسماً جديداً ،
مرة كانت من قبل مجهولة . ان مجده الخالد قائم على انهُ نفخ في جسم

***

لانهُ نُشّيء تنشئة علمية ، في الرياضة والطبيعة . وكان والداهُ يرغبان
في حكومة بلاده أعلى المناصب ، التي كادت تكون حينئذٍ وقفاً على
نهُ انصرف الى العلم . ذلك ان رجلاً يدعى « غيوم رويل » Rouelle
نباتات — ترك في نفسهِ اثراً عظيماً . وكانت العادة قد جرت ، ان يحاضر
والمبادىء من دون ان يجرّب تجربة ما . وكان استاذ الكيمياء في
وردليه ، فكان يلقي محاضراته ، ويختمها بقولهِ « يا سادة هذه هي
ان يبرهن عليها بتجاربهِ » . فاذا خرج بوردليه ، دخل رويل ، فيستقبله

بالتصفيق . وكان كرام باريس يجيئون لسماعهِ . وعندئذٍ يشمّر عن ساعديهِ ،
، الى تجربة التجارب البارعة ولكن التجارب كانت تنقض مبادىء الاستاذ بدلا من ان
كل هذا ولافوازييه جالس مع الجلاّس ، وهو مأخوذ ، كأنما برقية ساحرٍ . ولم ينس في
ط ، كيف تحمّس رويل ذات يوم ، فنزع شعره العاري وعلّقهُ على اناء قربه ، ثم خلع
وخرج من الغرفة مسرعاً ، يبحث عن احدى الادوات التي نسيها ، ولكنهُ لم ينسَ ان يمضي
رتهِ في خروجهِ من الغرفة وايابهِ اليها
ي احدى الرحلات العلمية التي رحلها لافوازييه لقي ليِنيوس المواليديّ الاسوجيّ العظيم ،
راراً حاسماً ، ان يجعل العلم طلبتهُ في الحياة

***

كذلك اكبّ لافوازييه على البحث . فكان يقضي يوماً كاملاً كل اسبوع في معملهِ لا يخرج
وعلاوة على ذلك كان يعمل في فرنهِ الكيماوي ، كل يوم من الساعة السادسة صباحاً الى التاسعة
الساعة السابعة مساءً الى العاشرة . وما كان يبيح لنفسهِ مسرة الاكل الهنيء . فجعل قوام
اللبن والخبز ، توفيراً للوقت . فكتب اليهِ احد اصدقائهِ حينئذٍ في استعلاء الحكيم المحذر
: «انني اتوسل اليك ان ترتّب دروسك على اساس ان سنة واحدة تزاد الى عمرك خير لك من
سنة في ذاكرة البشر»
ولكن لافوازييه كان يعمل مدفوعاً ، بحبّ الامتحان والكشف ، لا يفكر في الحاضر ولا في
قبل . والتاريخ لا يهمل على الاطلاق ، طال الزمن ما طال ، رجلاً اخلص للحقيقة
ومن يجهل لافوازييه من طلاّب الكيمياء الآن !
ما أشرف لافوازييه على الخامسة والعشرين من عمره ، حتى كانت رسائله العلمية ، قد بلغت اكادمية
م ، وكانت موضوعاتها متباينة من التنويم المغناطيسي الى صنع كراسٍ للمرضى واستنباط اساليب
رة شوارع باريس . وما لبث ان نال ما هو جدير بهِ من المقام اذ انتخب عضواً في ذلك المجمع
يل . وفي خلال ذلك تعرّف برجل يدعى بولز Paulze من الاشراف ، فكان يثوب الى داره
ث يجتمع بأكابر الرجال مثل لابلاس العالم الفلكي العظيم — صاحب النظرية السديمية — وفرنكلن
الم والسياسي الاميركي ، وكوندورسه الرياضي والاديب ، وترجو الاقتصادي الفرنسي المعروف .
ا لبث ان تعرّف الى ابنة بولز فأحبها وأحبتهُ ، وشجع والدها تمكين الصلة بينهما ، لان لافوازييه
ن من اجدر الشبان الفرنسيين بالزواج من ابنته . فلما تزوجا اصابا في الزواج نعمة ، مكّنت لافوازييه
ن متابعة مباحثه العلمية

***

وكان اول بحث كيمائي قام بهِ لافوازييه تحليل الجبس . ثم حوّل براعتهُ في التجربة العلمية ،

بماجة تلك الفكرة القديمة القائلة ، بان المياه تتحول الى تراب وصخر . كان طاليس الفيلسوف
اني قد قال هذا القول ، وارجع جميع الكائنات الى مصدر واحدٍ هو الماء . فجاراهُ الناس الى
خر القرن الثامن عشر ، وقالوا ان التراب والحجارة تتولد من الماء بالتبخر . وكانوا قد أقاموا
بة على ذلك ، باخذ الماء في اوعية ، وغليهِ حتى يتبخر ، فاذا هو يترك في قعر الوعاء مادة ترابية
، فقالوا لا شكَّ انها تولدت من الماء ! وادهى من ذلك تجربة رجل يدعى فون هلمونت . اخذ
دة من الصفصاف تزن خمسة ارطال ، وغرسها في اناءٍ يحتوي على مائتي رطل من التراب . وكان
جفف التراب ووزنهُ قبل غرس الصمدة فيهِ . وترك الصمدة في الاناء خمس عشرة سنة ، لا
يها الاَّ بالماء . فاصبحت الصمدة شجرة ، وزاد وزنها من خمسة ارطال الى ١٦٩ رطلاً . ولكن
ن التراب في الاناء لم ينقص الاَّ اوقيتين . أليس هذا برهان على ان الماءَ قد تحوَّل الى مادة جامدة
الشجرة تزن ١٦٤ رطلاً !

***

لكن لافوازييه ادرك وجه الخطاءِ في هذا الكلام . فقال ما زالت فائدة الكيمياءِ ودقتها
رقفان على الوزن الدقيق لجميع المواد الكيمائية المستعملة في التجارب ، فاننا لا نغلو مهما بالغنا في
دقيق حين وزن هذه المواد

فاستعار من دار ضرب النقود الفرنسية ، ادق موازينها واخذ وعاءً زجاجيًّا ودقق في تنظيفهِ
التدقيق ثم صبَّ فيهِ قدراً معيناً من الماء قطَّرهُ في وعاءٍ آخر كان قد نظف كذلك ووزن . وكذلك
جد كما كان يتوقع ، مادة ترابية قائمة في قعر الوعاء الزجاجي الاول . ثم وزن الوعاءَ الاول بما فيهِ
راب ، وطرح منهُ وزن الوعاءِ نفسه فعرف وزن التراب . ثم وزن الوعاءَ الثاني بما فيهِ الماء وطرح
هُ وزن الوعاءِ نفسه فعرف وزن الماءِ . ثم قابل وزن الماءِ المقطر ووزن المادة الترابية بوزن الماء قبل
نطيرهِ ، فوجد الوزنين متعادلين . واذاً فالمادة الترابية جاءَت من الماءِ — لا ريب في ذلك

ولكن . . . هل كانت هذه المادة الترابية محلولة في الماءِ ، او هي ماءٌ تحوَّل الى مادة ترابية !

أخذ انبيقاً زجاجيًّا معقوف العنق . ووضع فيهِ قدراً معيَّناً من ماءِ المطر المقطَّر وسدَّ
تحتهُ . ووضع الانبيق على النار ، وترك الماءَ المقطَّر يغلي فيهِ مائة يوم متواصلة وبعد مائة يوم ،
أى في الماء بضع دقائق جامدة لم تكن هناك قبلاً . ثم وزن الانبيق وما فيهِ . فلم يجد انهُ نقص
زناً . ثم وزن الماء المقطر ، من دون الدقائق التي رآها فيهِ . فوجد ان وزنهُ لم يتغير . ثم وزن
لانبيق وحده من دون الماء او الدقائق المذكورة ، فوجد ان وزنهُ نقص نقصاً يسيراً . ثم وزن
الدقائق الجامدة ، فوجد وزنها ، يعادل النقص في وزن الانبيق

ليس لهذه الحقائق الاَّ تعليل واحد . الدقائق ترجع الى زجاج الانبيق . اما الماء فلن يتحوَّل
الى تراب . وكذلك قضى لافوازييه بميزانهِ ، على فكرة خاطئة طال عليها القدم

ولكن فكرة الفلوجستون ظلَّت تقلق باله . فحللها وشرَّحها ووجدها لا تستقيم ، ولكنه سرعه اقترح فكرة اخرى تحلُّ محلها ،اذ أخذ بفكرة «الحرَارة» Caloric مجارياً قول من قال ان ة سيَّال خفي . بيد ان القول « بالحرَّة » لم يقنعهُ وانما هو قال بها لينقذ الكيمياء من سخف جستون فوقع في سخفٍ آخر . وظلَّت ظاهرة « الاحتراق » تسترعي عنايتهُ ، وهو لا يرى في الحرَّة لا لها. فصمم ان يصرف جهده الى البحث في الاحتراق وتعليله . فقال : « يجب ان لا نثق بشيء بالحقائق . فالطبيعة ، تقدمها لنا وهي لا تخدع .وعلينا ان نخضع تفكيرنا في كل حال لامتحان ربة . ففي حال الاشياء التي لا ترى ولا تحسُّ يجب ان نحذر من قفزات الخيال الى ما وراء حدود يقة » ولما كان غنيًّا ، لا يرهقه الانفاق لم يضن بمالٍ او بجهد على توفير اسباب البحث

وبعد سنوات من البحث وصل الى نتيجة . فقام الى مكتبه وكتب مذكرة بعث بها الى اكادمية وم ، وطلب ان تظلَّ مطوية الى ان يتم التجارب التي بين يديهِ. في هذه المذكرة قال : —

اكتشفت من اسبوع ان الكبريت يزداد وزناً عند احراقهِ . وكذلك الفصفور . فهذه الزيادة الوزن صادرة من مقدار كبير من الهواء . واني لمقتنعٌ ان الزيادة في وزن الاكاسيد (كان لهذه كبات اسم خاص حينئذٍ لان الاكسجين لم يكن قد كشف) يرجع الى السبب نفسه . ولما كان ا الاكتشاف من اهم ما كشف بعد بخر Becher رأيت من الواجب عليَّ ان اضع هذه الرسالة ، يدي سكرتير الاكادمية على ان تبقى سرًّا حتى انشر نتائج تجاربي »

***

وكذلك استطاع لافوازييه ، ان يثبت لنفسهِ حق التقدُّم في هذا الاكتشاف الخطير

كان ذلك في اول نوفمبر سنة ١٧٧٢ . لم يكن بريستلي ، حينئذٍ . قد وجَّه أشعة الشمس الى زئبق الاحمر (اكسيد الزئبق) وكان الاكسجين ما يزال من مكنونات المستقبل . ومضى لافوازييه لاث سنوات يبحث عن سرّ النار او عن حقيقة الاحتراق

وفي اكتوبر سنة ١٧٧٤ ، جاء بريستلي الى باريس ، وزار لافوازييه في معمله ، وبسط لهُ أنج مباحثهِ ، وكان ماكيه Macquer يقوّم ما اعوجَّ من رطانة بريستلي الفرنسية . فلما اطلع فوازييه على تجارب بريستلي ، واكتشافهِ « للهواء الخالي من الفلوجستون » ، قام في الحال الى معملهِ ، وبدأ تجربتهُ الشهيرة التي دامت اثني عشر يوماً . قال في وصفها : —

«اخذت حوجلة زجاج سعتها ثلاث اقدام مكعَّبة ، وعقفت عنقها ، حتى اتمكن حين وضعها لى النار ،من ان اجعل عنقها في حوضٍ من الزئبق ، ووضعت في الحوجلة اربع اوقيات من الزئبق نقي . ثم اشعلت النار وحفظتها مشتعلة مدة اثني عشر يوماً . فلم يحدث شيء يستدعي النظر في يوم الاول . وفي اليوم الثاني ، ظهرت حبيبات حمر على سطح الزئبق في الحوجلة . وزاد عدد

ات الملك اليه. وقد يكون شريكي في الذنب، رحمة الله، فشغلني مراراً عن السياسة
روبالطائف البشرية ولكني وانا اعود الآن الى تقصّي الحوادث، استعين
الرسمية، علني استطيع ان اجلو للقراء خبر ذلك الحدث او ازيل شيئاً من غموضه
: هل كان الملك فيصل مكرهاً في قبول معاهدة ١٩٢٧؟ يسارع بعض الكتاب
مثل هذه الاحوال، الى اتهام الحكومة البريطانية بالمكر والخداع دون ان
ون ان يثبتوا التهم. وقد قالوا في الحادث الذي نحن بصدده انها اثارت عرب نجد
ننفذ سياستها فيه، لتجبر الملك فيصلاً على قبول المعاهدة. وفي ظاهر الامر
فقد أغار عرب نجد على العراق في خريف سنة ١٩٢٧ ثم في شتاء السنة التالية
ت الحقيقة كلها. فهل كان عرب نجد، او بالحري هل كان الملك عبد العزيز
الحكومة البريطانية في تلك الاغارات لاكراه العراق واذلاله؟ اذا لم يكن
ت يا ترى تلك الاغارات وانقطاع تلك المفاوضات بتاريخها الواحد؟ فهل هي
ار التي أضرمت النار على حدود العراق عند ما كان جعفر يتجهز للرحيل؟
قدار بريئة من هذا الاثم، فهل الانكليز بريئون؟ واذا لم يكونوا بريئين
بت ذلك؟ وهب ان الامر لا يحتاج الى الاثبات، وهب اننا قبلناه على
حدهم ملومون؟ اوَ ليس اللوم الاكبر على العرب الذين يقبلون بان يذلّوا
لاجنبي؟ أبي اجلّ ابن سعود عن هذه المعرّة وامثالها، وان الحقائق الراهنة
ق الظنون. فقد كان لحوادث نجد واغارات اهله اسبابها النجدية العراقية. وكان
الصلة مفقودة بين سياسة الامن وسياسة المعاهدات. وبكلمة اخرى إن السلسلة
المستعمرات حلقة مفقودة، ولا نظنها في ما يتعلق بموضوعنا موجودة(1)

التاريخية في ما يلي: —
ير بالحدود النجدية العراقية المقررة في معاهدة العقير (تشرين الثاني سنة ١٩٢٢) وقد
بوا مراراً بخصوصها
ة العراقية بناء مخفرين عسكريين الواحد في أبي النار والآخر في البصية للمحافظة على
ين البلادين
وهم يرتادون الاماكن المجاورة للمخفرين وما دونهما في الايام الجدبة، وخافوا ان
ا تقليدياً — فرفعوا امرهم الى ابن سعود فاحتجت حكومة نجد (ت ١ سنة ١٩٢٧)
ى الاضطراب فضلاً عن انهما يخالفان المادة الثالثة من معاهدة العقير
من احتجاج حكومة نجد (في ٢٠ ت ٢) اغار عرب مطير على مخفر البصية واكتسحوه
بيوم واحد ارسل ابن سعود وزيره الشيخ حافظ وهبه الى الكويت بالطيارة ليحضر
لبحث المسائل التي تتعلق بالحدود النجدية العراقية. ولكن غزوة البصية حدثت بوكيل
[illegible]

الحبيبات وحجمها في الاربعة الايام التالية ، ووقفت هذه الزيادة بعد ذلك . وفي اليوم الثاني عشر اطفأتْ النار »

ثم فحص الهواء الذي خرج من الحوجلة فاذا حجمهُ خمسة اسداس ما كان عليهِ قبل الاحماء ولا يصلح للتنفس ولا للاحتراق . فاذا وضعت فيهِ الحيوانات بضع ثوانٍ اختنقت . واذا وضع فيهِ عود مشتعل انطفأ . ونحن نعلم الآن ان الخمسة الاسداس الباقية من الهواءِ كانت نتروجيناً . ثم اخذ جميع الحبيبات التي تكوَّنت وأحماها في أتون ، فتحوَّلت الى حبيبات من الزئبق الصافي وثماني بوصات مكعبة من الغاز . وجرَّب هـذا الغاز ، فاذا هو من افعل ما يكون في صلاحهِ للتنفس وللاحتراق . ذلك الغاز كان الاكسجين فدعاهُ كذلك — ومعناهُ مولد الحموضة —لانهُ ظنَّ خطأً انهُ يدخل في تركيب جميع الاحماض

وكذلك تقدَّم لافوازييه بتفسير جديد للاحتراق من دون « الفلوجستون » او « الحرَّة » . نعم كان ليوناردو دَه ڤنشي قد ذهب في القرن الخامس عشر الى ان « النار تدمِّر الهواء الذي يغذيها » وكان پراسلسس قد كتب في القرن السادس عشر « ان الانسان يموت اذا حجب عنهُ الهواء » ثم قال روبرت بويل الانكليزي انهُ يظن ان في الهواء « مادة غريبة تجعل الهواء ضروريًّا للاشتعال »

***

ولكن اي شأن للهواءِ في الاحتراق والتنفُّس ؟ كان رجل يدعى راي Rey قد قال ان الزيادة في وزن جسم يحترق تأتي من الهواءِ وفسر ذلك بحسب مبدإِ الفلوجستون فقال ان الحرارة تجعل الهواء لصوقاً فيختلط بالمواد كما يمتزج الماء بالمواد المحلولة فيهِ

ثم جاء لافوازييه . فبسط التجربة للاكادمية في باريس . ولكنهُ لم يذكر بريستلي في ذلك البسط ، وهو مما يؤخذ عليهِ ، مع انهُ اعترف بدينهِ لبريستلي في مواطن اخرى

قال لافوازييه ، ان الاحتراق هو اتحاد الشيء المحترق بالاكسجين — والاكسجين هو الاسم الذي اطلقهُ لافوازييه على الغاز الذي اكتشفهُ بريستلي كما قدَّمنا . وان وزن الجسم المحترق وما ينتج عن الاحتراق ، يزداد بمقدار مايتحد به من الاكسجين. تعليل بسيط . لا فلوجستون ولا حرَّة ولا شيئاً مما يزعمون . وها هي ذي شهادة ادق الموازين في اوربا تؤيد ما يقول !

***

من النافل ان اقول ان لافوازييه لقي خصومة شديدة من علماء عصره حتى ان بعض زملائه اشترك في التآمر على حياتهِ ، فراح ضحية التسطع ، ولكن رأيه الجديد احرز النصر ، وتأيَّد بالابحاث التي تلت . فاسمه خالد على مرِّ العصور ، تحيط بهِ هالة من المجد ، تستمد لمعانها من انهُ نفخ في « الكيمياء روحاً جديداً » على حد قول ليبغ

البرق والارض

للشيخ فؤاد باشا الخطيب

أيها البرقُ إن بلغتَ الشآما حيِّ عني قصورَها والخياما
أنتَ نعمَ الرسولُ يحملُ شجوي حين لا يأمنُ الانامُ الأناما
نفختْ فيكَ آيةُ العلمِ رُوحاً خوَّلتكَ البيانَ والالهاما
وأفاضت عليكَ سِحراً حلالاً كان في الغابرينَ سحراً حراما
تَركبُ السلكَ تارةً ، وأوانَا تَمتطي الريحَ واثباً والغماما

***

قُل لمنْ يوجفُ الركابَ خفافاً ولمنْ ناءَ بالخطوبِ جِساما
ويحَ أمسي إن كنتُ أهبطُ رمسي نازحَ الدارِ مُوجَعاً مُستهاما
يومَ يَرمي القضاءُ بالنفسِ رمياً مثلما (الارضُ) تجذبُ الاجساما

***

كرةٌ تنهبُ الفضاءَ وتَطوي في مداهُ القرونَ والأعواما
تترامى (والشمسُ) دونَ مُناها دَوَراناً مِنْ حولها وهِياما
كفراشٍ يحومُ حولَ لهيبٍ أجلٌ ساقهُ اليهِ لِحاما
ذاتُ وجهينِ يشهدانِ عليها كلَّ يومٍ نهارَها والظلاما
فهي من جانبٍ تكونُ ضياءً وهيَ من جانبٍ تكونُ قَتاما
كوجوهِ المنافقينَ وأشقى من جِوارِ المنافقين مُقاما

***

نسجتْ من غلائلِ النَّبتِ بُرداً واستعارتْ من السحابِ لِثاما
وتراءت في ظاهرٍ مطمئنٍّ تحتهُ النارُ تستشيطُ ضِراما
كبنيها أو أن حقدَ بنيها فوقَ ما أضمرتْ جوىً وانتقاما

***

تنفثُ الغيظَ مارجاً ودخاناً فتشقُّ الوِهادَ والآكاما
وتبثُّ الذي انطوى من لظاها شُهُباً تارةً وسيلاً رُكاما

ضجّ منها صعيدُها وقديماً خدّدتهُ السيولُ عاماً فعاما
بخدودِ الباكين سحّ عليها مهرقُ الدمعِ صيّباً وسِجاما
ولكم سدّدَ القضاءُ إليها من خلالِ (المذنّبات) سِهاما
نُذُرٌ كلَّ فترةٍ وعظاتٌ أذنَ اللهُ أن تمرّ لِماما

***

إيهِ (يا أرضُ) يومَ كنتِ خلاءً هل أحسّ الحطامُ فيكِ الحطاما
فتململتِ وحشةً وانفراداً وتغلغلتِ في الوجودِ اقتحاما
فتمخّضتِ بالزواحفِ لهواً لكِ تنسابُ في العراءِ سواما
طلعةٌ غثّةٌ وجسمٌ دميمٌ يصفُ القبحَ هامةً وسناما
كخطوطِ الوليدِ اولَ عهدٍ عرف الخطَّ فيهِ والأقلاما

***

نشأتْ ثمّ اعقبت ثمّ بادت وقطعتِ الصلاتِ والأرحاما
وولدتِ الأنامَ بعد ليالٍ ثقلتْ وطأةً وشطّتْ مراما
فشهدتِ الحياةَ يومَ استهلّتْ فيكِ واستقتلت عليكِ زحاما
جئتِ سقطاً بهمْ وطالَ عليهمْ أمدٌ ينشدونَ فيهِ التماما
أقضاءً ولدتِهم واضطراراً بعد لأيٍ أمْ شهوةً ووحاما
لستُ ادري وليتني كنتُ أدري كيفَ ذقتِ المخاضَ والآلاما
فسلِ الحيَّ كيفَ يطمعُ منها بسلامٍ ؟ وأين يبغي السلاما
راضَ هوجَ الرياحِ حتى امتطاها ذُللاً أسلستْ اليهِ الزِّماما
واستباحَ البحارَ فوقَ جوارٍ منشآتٍ تُطاولُ الأعلاما
خضعَ العلمُ في يديهِ ولكنْ مسخَ العلمَ فتنةً وأثاما

***

فانفري ما استطعتِ ايتها الأرْ ضُ فبهاتَ ترغمينَ النظاما
فانقصي منهُ ذرّةً أو فزيدي وانظري كيف ينسفُ الاجراما
ممسكٌ بالوجودِ علواً وسفلاً قدرةُ اللهِ سخرتهُ خطاما
كنتِ بالأمسِ شعلةً أو سديماً فاحذري البدءَ أن يكونَ ختاما

نظرية الكونتم

The Quantum Theory

وما لها من الشأن في تفسير بعض خواص الجاذبية

لنقولا الحداد

تُعَد نظرية « الكونتم »[1] من اهم مكتشفات النظريات العلمية الحديثة . وربما عدَّت قبل
.ية النسبية في الرتبة . وانشطين مكتشف ناموس النسبية يعترف بمقام اكتشاف الكونتم
جل مكس بلانك مكتشف هذه النظرية . على ان نظرية الكونتم ليست بغريبة عن محيط التصور
نلي كنظرية النسبية . فاعتقد ان هذا المقال على بساطته كافٍ لبسطها للقارىء ، حتى متى فهمها
داً سهل عليه ان يفهم علاقتها بناموس الجاذبية — العلاقة التي سافرد لها مقالاً خاصًّا في جزء
. والجاذبية بالرغم من اكتشاف ناموسها الرياضي لا تزال اهم اسرار الوجود ولا تزال فيها قضايا
محلولة . وربما كان بعضها مستحيلاً حلّهُ . وسافرد لهذه القضايا مقالاً آخر ايضاً مستأذناً
ر المقتطف ان يسمح ببرهنة بعض القضايا بالمعادلات الرياضية البسيطة . لانهُ مهما قلَّ عدد الذين
تلذّون المباحث الطبيعية الرياضية بين قراء المقتطف فهم في عهد نهضتنا العلمية الحالية عدد وافر
ب ان تراعى اميالهم وان تعرض لهم النظريات العلمية الحديثة عسى ان يكون لهم فيها آراء

***

اذا راقبت ساعة من الساعات الكبرى المنصوبة في ميادين القاهرة لكي يراها الناس عن بعد
ى ان عقرب الدقائق ثابت لا يتحرك ، كانهُ معطّل . ولكن لا تمر دقيقة حتى تراه قد وثب بمثل
ح البصر من خط الى خط آخر . وتمر الدقيقة وهو ثابت في مكانهِ ، ثم يثب فجاءة الى خطٍ آخر .
مكذا دواليك . وحاصل القول ان هذا العقرب لا يتحرك باستمرار على وتيرة واحدة بل ينتظر
.قيقة ثم يثب وثبة تسجل دقيقة . كذلك اذا لاحظت عقرب الثواني في ساعتك الصغيرة تراهُ
يسير باستمرار بل يقف مدة ثانية ثم يثب وهلمَّ جرًّا

على هذا النحو تتعاقب الصور المتحركة في السينما فهي لا تتحرك حركة استمرارية بل كل صورة
نها تقف هنيهة قصيرة جدًّا تجاه « الشاشة البيضاء » ثم تنتقل بسرعة فائقة وتحل محلها الصورة

(١) تركت المجمع اللغوي العلمي اذ يبحث لنا لفظاً يرادف الكونتم الذي سيتضح ماذا يراد به في فصول هذا المقال

التي تليها وتقف هذه بدورها الهنيهة نفسها ثم تنتقل لتحل اخرى محلها — هكذا على نحو انتقال عقرب الساعة كما شرحناه آنفاً. وانما الصورة المتحركة تنتقل بسرعة في هنيهات قصيرة جداً هي اجزاء صغيرة من الثانية . ولذلك لا نلاحظها كما نلاحظ عقرب الساعة

اية حركة في الكون على الاطلاق كائناً نوعها ماكان لاتكون حركة استمرارية كما تتراءى لنا بل هي حركة متقطعة قطعات متساوية يمكن تحقيقها بالوسائل الامتحانية. وبين كل قطعة واخرى فترة . فهي بعبارة اخرى سلسلة وثبات تتخللها فترات سكون متساوية المدة

وهو معلوم ان الحركة نتيجة فعل القوة في المادة . او بعبارة اصح : القوة تتجلى لنا في مادة متحركة . فاذا كانت الحركة متقطعة الى وحدات معينة كما رأيت فلا بد ان تكون القوة نفسها (التي هي سبب الحركة) صادرة في نبضات متوالية، اي انها ليست كما تتراءى لنا تياراً مستمراً . وكل نبضة من القوة تحدث في الجسم المتحرك بها وثبة . وبين كل نبضة واخرى هدنة — هـذا هو المراد بالكونتم Quantum اي هو وحدة القوة الصغرى كما ان الجوهر الفرد Atom (او الذرة كما اصطلح على تسميته حديثاً في مصر) هو الوحدة الكيماوية الصغرى، وكما ان الكهرب هو الوحدة الكهربائية. والمراد بالوحدة الجزء الاصغر الذي لايتجزأ . والمركبات تتألف من عدد صحيح من الوحدات كاملة بلا كسور

خذ مثلاً دقيقة الماء فهي مؤلفة من ثلاث ذرات احداها ذرة اوكسجين والاخريان ذرتا هيدروجين . ولا يمكن ان تتألف من ذرتين ونصف ولا من ثلاث ذرات ونصف اي ان كسور الذرة لا يمكن ان يدخل في حساب الجزيء Molcule الواحد . كذلك ذرة الهيدروجين تؤلف من بروتون واحد Proton وكهرب واحد Electron كاملين . ولا يمكن ان تتألف من صحيح وكسر

على هذا النمط تصدر القوة في وحدات كاملة . ولا يمكن ان تصدر وحدات وكسور الوحدات. فوحدة القوة او الطاقة (كما اصطلح على تسمية Energy) هي الكونتم — جزء الطاقة الاصغر الذي لايتجزأ . ولكي نعرف كيف تحدث الحركة (اية حركة بلا تخصيص) متقطعة بشكل وثبات متساوية المدة (كوثبات عقرب الساعة) يجب ان نتعرف كيف تنبض القوة نبضات متوالية تباعاً في فترات متساوية

مثال ذلك حركة الترام الكهربائي : — يسير الترام بقوة دوران المحرك Motor الكهربائي الذي فيه . وهذا يدور بقوة التيار الكهربائي السائر في اللفافة السلكية التي حوله . وهـذا التيار سائر بقوة المحرك الاول الذي في معمل توليد الكهرباء . وهذا المحرك الاول يدور بقوة المحرك البخاري Steam engine. وهذا يدور بقوة البخار المتمدد المنحصر في مرجله . والبخار يتمدد بقوة الحرارة الصادرة من اعتناق ذرات اوكسجين الهواء لذرات الكربون والهيدروجين في اثناء احتراق الوقيد تحت المرجل ... وهلم جراً

واذا شئنا ان نتتبع القوة الى مصدرها الاصلي عجزنا عن الاهتداء الى ذلك المصدر اذ نبلغ الى حركة لا نعرف سببها. اي لا نعرف المحرك فيها فنقف عندها حيارى . ولكن مهما ظهرت لنا الحركة

في صور مختلفة فاذا تتبعنا سلسلة القوات المؤدية اليها وجدناها فروعاً تلتقي كلها في سلسلة اصل واحدة — ورأينا في التمثيل الآنف ان بخار الماء يتمدد بقوة الحرارة الصادرة من احتراق الوقيد وهنا يسأل القارىء : اين كانت هذه القوة الحراوية التي صدرت في اثناء الاحتراق ؟ والجواب ان هـ القوة الحراوية كانت كامنة في مركبات الوقيد الكيماوية المسماة اسماً اجمالياً كاربوهيدرات rbohydrates في اثناء الاحتراق انحلت هذه المركبات الى مركبات أبسط وبانحلالها انطلقت هذه القوة الحرا التي مددت بخار الماء .... ومن أين جاءت هذه القوة الى المركبات الكاربوهيدراتية ؟ — جاءت اثناء نمو النبات بقوة التشعع الضوئي Radiation (كأشعة نور الشمس) . هنا اقتربنا الى أقه مصدر القوة وصار في امكاننا ان نبين كيفية ورود كل قوة من سلسلة التشعع وتحرك كل حركة الكون بالقوة الصادرة من هذه السلسلة

القوة العضلية نتيجة احتراق تلك المواد الكاربوهيدراتية في الجسم الحي . قوة المياه المنحد نتيجة فعل الجاذبية الارضية . ولكن الذي رفع تلك المياه الى الاعالي مقاوماً فعل الجاذبية التشعع الحراري الصادر من الشمس فانه بخّر المياه ومدّد بخارها فصار أخفّ من الهواء فارتفع ولما برد هبط فأصدر قوة تساوي قوة التشعع التي مدّدتهُ . فيما تقدم رأينا في استقصاء مصادر القـ الميكانيكية والعضلية وقوة المياه المتحدرة سلاسل هذه القوات تلتقي في سلسلة واحدة هي سـ التشعع Radiation . فلنرَ ، قبل ان نخطو خطوة اخرى في الاستقصاء هل هذا التشعع الذي شكل من اشكال الحركة حاصل صورة من صور القوة — هل هذا التشعع حادث بحسب سنة الكـ

* * *

لكي نفهم الشيء اللازم لموضوعنا من خواص التشعع ندرس شيئاً عن النور ، لانه ضرب ضروب التشعع ، وهو دائماً مقترن بحرارة ، والحرارة ضرب آخر من ضروبهِ . يصدر النو اي جسم حامٍ اضعاف درجة الغليان كنور الشمس ونور اللهيب ونور المعدن الحامي الى الاحمرار (وأحياناً يصدر من الاجسام المفسفرة ونحوها من غير ان تكون درجة الحرارة ء وإنّا ان بحثنا عن مصدر النور وجدناه في الذرّة Atom . والذرّة مؤلفة من نواة يدور ـ كهرب او كهارب معبأة كهرباء سلبية . والنواة اما ان تكون بروتوناً واحداً معبأ كهرباء ايجا مؤلفة من اكثر من بروتون وبعض كهارب . ولكن شحنتها الكهربائية موجبة دائماً

وفيما تكون الذرّة تحت عوامل التفاعل الكيمائي او عوامل التكهرب المختلفة يكون تارة مطلقاً قوة (او طاقة حسب الاصطلاح الحديث في ترجمة Energy) واخرى مستردّاً من الطاقة تبعاً لتلك العوامل . يطلق الكهرب قدراً من الطاقة لكهرب آخر ويسترد مثله مو آخر كما سيتضح فيما يلي . واذا قضت الحال ان يطلق الكهرب طاقة ولم يوجد كهرب آخر عـ لكي يقتبسها منه مضت هذه الطاقة تشععاً في الفضاء . واذا اطلق الكهرب طاقة ولم يلبث يسترد مثلها من غيره لكي يكمل نقصه كان محكوماً عليه بالانتثار فتنطلق الطاقة منهُ دفقات

ى فوتوناً Photon . وكل كهرب يصدر عشرة آلاف فوتون تقريباً قبل ان يفنى
من امواج الطاقة المتشععة تشتمل على عدد عديد من الفوتونات . فطول الموجة
تتوقفان على العوامل التي شظّت الكهرب الى شظاياه (الفوتونات) . وبالتالي تختلف
وّع من حيث عدد موجاتها الصادرة في ثانية ، ومن حيث طول موجاتها باختلاف
ي لا محل لشرحها هنا . وبين طول الامواج وعددها في الثانية من جهة وسرعتها
نسبة ثابتة لا تتغير بحيث ان الامواج مهما اختلف طولها وتوارت موجاتها في
رعة واحدة . وسرعتها في الفراغ المطلق Vacuum ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية .
لماء على حرف (c) رمزاً عن سرعة النور ونحن نرمز عنه بحرف ن (من نور) فاذا
الموجات بالثانية بحرف ع وعن طول الموجة بحرف ط كان لنا ن = ع ط . وبناءً على
النسبة كان اطول الموجات اقلها عدداً في الثانية واقصرها اكثرها عدداً
ن العلماء العمليون نحو ٦٠ جماعة من جماعات التشعع تسمى كل جماعة منها سلماً
ينها وبين السلم الموسيقية من الشبه في بعض الخواص) . وجماعة التشععات النورية التي
سبعة هي احدى الستين جماعة التي نحن بصددها . ولكن الـ ٥٩ جماعة الاخرى لا
ارجة عن دائرة قدرة بصرنا
شععات التي تصدر من الشمس وغيرها من الاجرام والاجسام ترد الينا جماعات وكل جماعة
ماعات مختلفة الموجات بالطول والتواتر Frequency اي بعدد الموجات في الثانية — كل هذه
حاملة قوات (طاقات) صادرة من كهارب منفعلة او مندثرة . ولكن هذه الطاقات ليست
او مجرى جارٍ باستمرار . بل هي صادرة بشكل دفقات متتابعة اي فوتونات Photons
قة الواحدة في طريقها كهرباً محتاجاً الى طاقة ليكمل بها نقصه انضمت اليه — كما يحدث
المواد النباتية الارضية فوتونات نور الشمس في اثناء النمو . وعلى هذا النحو يدّخر
الطاقة لكي يأخذها الحيوان المغتذي بها ويصرفها في استعمال عضله او في آلاته

* * *

بيان صار سهلاً على القارىء ان يفهم كيف ان القوة او الطاقة هي (وحدات Quanta)
ن بعض ، غير متصلة بعضها ببعض . تصدر بشكل دفقات كل دفقة هي وحدة غير
نا — هي اصغر مقدار للطاقة . ولذلك سماها مكتشفها بلانك Quantum ومعناه «الكم
دار الواحد . فاذا اصدرت الذرّة Atom تحت اي فعل من الفواعل طاقة اصدرتها
ملة معدودة . واذا تلقت طاقة من الخارج تحت اي الفواعل تلقتها « وحدات »
ايضاً . فالذرّات من هذا القبيل كالاشخاص المتعاملين تجاريًّا . فهم يدفعون النقود
بحة على حساب اصغر نقد كالمليم المصري او السنتيم الفرنسي . فلا تجد في اكياسهم
او السنتيمات اذ لا وجود لها البتة . كذلك الذرّة تصدر او تقبل « وحدة » من

عدة « وحدات » صحيحة . ولا يمكن ان تصدر او تقبل كسور الوحدة . مثل ذلك لو
ن بائع ورقة دبابيس ، تجدها تحتوي على عدد معين من الدبابيس ولا جزء دبوس فيها اذ
نه . فالجزء وعدمه سيان
دة الايضاح ايضاً نمثل تمثيلاً آخر : الطاقة المتشععة اي الصادرة بشكل امواج متوزعة
الجهات لا تصدر كسيال يصب من ميزاب باستمرار او كنهر جارٍ بل تصدر دفقات مستقلة
، بعض كدفقات دلاء الناعورة « الساقية » . او بعبارة اخرى لا ترد الينا الطاقة من
، من اي جسم آخر بأي قدر غير محدود كما يرد الينا الماء من الحنفية . بل ترد الينا بكيل
تقدم الينا كؤوس البيرا في الحانة كؤوس مترعة ، وكما يُقدم الينا التبغ لفافات (سكاير)
موزن محدودين . فلا نطلب في الحانة نصف كأس ولا نشتري نصف سيكارة او نصف رغيف
ا يجب توجيه نظر القارىء الى حقيقة ذات شأن وهي ان وحدة الطاقة (الكونتم) ليست
. واحد في جميع اصناف التشععات بل يختلف قدرها في صنف واحد عنه في صنف آخر .
، ضرب من ضروب التشعع « وحدة » من الطاقة خاصة بهِ تتوقف على طول موجته
مواجه . يعني ان وحدات التشععات تختلف باختلاف امواجها في الطول او باختلاف عدد
ا في الثانية (كما ان لكل عنصر من العناصر المادية ذرّة خاصة بهِ تختلف عن اي ذرّة
لوزن وبقدر ما لها من خاصية الالفة الكيماوية)
ارة اخرى : ان وحدة الطاقة في اي صنف من اصناف التشعع تتوقف على طول موجة
صنف . وربما كانت هذه القضية تتضح جيداً اذا نظر القارىء الى مسألة تواتر الموجات
Fre اي العدد الصادر منها او المتتابع في كل ثانية . لان بين طول الموجة وتواتر الموجات
بتة لا تتغير كما تقدم القول . ولما كانت كل انواع الموجات التشععية تسير بسرعة واحدة
اغ المطلق (٣٠٠ الف كيلو متر بالثانية) كان ولا بدَّ انهُ كلما كانت الموجات طويلة كان
في الثانية اقل . والعكس بالعكس ، اي كلما كانت قصيرة كان عددها اكثر . فاذا كان طول
نوع من انواع الراديو او اللاسلكي ١٠٠ متر مثلاً كان عدد موجاته في الثانية =
$\frac{٣٠٠٫٠٠٠}{١٠٠}$ = ٣ ملايين موجة في الثانية . واذا كان طول موجة النور البنفسجي جزءاً من
ين من السنتيمتر كان عدد امواجه = $\frac{٣٠٠٠٠٠٠٠٠}{٠٫٠٠٠٠٠٠٠٦}$ = ٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
في الثانية . ان عدد موجات الاشعة السينية اكثر من هذا الرقم بكثير . وهناك ضروب من
ة السينية اكثر من هذا الرقم بكثير وهناك ضروب من الاشعة اكثر امواجاً منها ايضاً .
الآن فاذا كانت وحدة الطاقة المتشععة تتوقف على طول الموجة فبالتالي تتوقف على عدد
ت ايضاً لما بين الطول و « التواتر » من النسبة كما تقدم . اي ان طول الموجة يشتمل على

عدد معين من الوحدات — عدد صحيح بلا كسور — فاذاً بناء على هذه النظرية ، التشعع الذي يتموَّج (ع) عدد كذا في الثانية يصدر في وحدات كاملة من الطاقة بلا كسور . فاذا رمزنا عن هذه الوحدة الثابتة بحرف ط كانت قيمة الطاقة الصادرة من ذلك النوع من التشعع تساوي ط ع . وقد اصطلح العلماء على تسمية الوحدة الثابتة المذكورة باسم « ثابت بلانك » ويعبرون عنه بلغتهم بحرف h وعن عدد الموجات بحرف v فتكون قيمة الطاقة في اي نوع من انواع التشعع في ثانية واحدة = h v

وأما قيمة هذا الثابت ط كما حسبها بلانك فهي ٠،٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٦٥٥٥ ثانية × ارغ . والارغ (Erg لفظ يوناني الاصل معناه عمل) هو عمل القوة المساوي لرفع ما وزنهُ جرام الى علو سنتيمتر في ثانية — فانظر ما اصغر قيمة الكونتم

بناءً على ما تقدم يشتمل النور البنفسجي على وحدات Quanta كبيرة من الطاقة لان عدد موجاته في الثانية اكثر من عدد موجات النور الاحمر الذي يشتمل على وحدات اصغر لهذا السبب. وكلما كانت طاقة الوحدات اعظم كانت اكثر مقدرة على احداث تغير في الذرَّة المصدرتها او الآخذتها . ولهذا السبب يضعف النور الازرق الوانَ الاصباغ ويؤثر في اللوحات الفوتوغرافية ، في حين ان النور الاحمر لا يؤثر فيها

***

ابتدأنا في البحث في نظرية الكونتم بالحركة ثم انتقلنا الى القوة او الطاقة التي هي علة الحركة وبسطنا كيف ان الطاقة مهما كان مقدارها هي مجموعة وحدات متماثلة ، كما ان البحر هو مجموعة جزيئات من الماء متشابهة ، وكل جزيءٍ مؤلف من ذرَّة اوكسجين وذرَّتي هيدروجين ، وكما ان مكيال القمح يشتمل على مجموعة من الحبوب متساوية متماثلة . والآن نعود الى « وحدة » الحركة — والحركة ناشئة من القوة كما تقدم شرحه — فقد رأيناها فيما تقدم تبدو في شكل امواج وكل موجة تمثل وحدة من وحدات القوة او الطاقة . واذا درسنا كل حركات الاجسام صغيرة كانت او كبيرة ظهر لنا انها متمشية على نظرية « الكونتم » ايضاً . اي انها ليست حركة استمرارية ، بل هي وثبات متماثلة ومتساوية في المسافة ، بينها هدنات متساوية في المدة . فالزمن الذي تستغرقهُ وحدة الحركة يحسب للهدنة بين وثبة ووثبة اي فترة السكون بين وحدة ووحدة . واما الوثبة بين نقطة الى اخرى لا يحسب لها زمان ، فكأنها حدثت بسرعة لا يتصورها العقل — سرعة لا تستغرق زمناً البتة — وقد رأيت فيما سبق مقدار هذه الفترة من الثانية

ان اصغر حركة في الوجود هي حركة الكهرب في دورانهِ حول النواة . فهو لا يسير في مداره (اي فلكه) سيراً مستمرَّاً بل يسير متوثباً اي انهُ يثب من نقطة الى اخرى في فلكه الشاسع حول نواته كأنَّ فلكهُ هذا مؤلف من محطات متباعدة مرتبة في شكل دائرة حول النواة وهو يثب من محطة الى اخرى وثباً . وبناء على ذلك لا يكون فلك الكهرب (اي مداره حول نواته) دائرة بكل

معنى الكلمة، ولا تكون كل مسافة بين محطة ومحطة من محطات الوثبات قوساً بل هو شكل متعدد لاضلاع Polygon والمسافات بين المحطات هي اوتار في دائرة موهومة لا اقواس

ثم ان الكهرب يسير في فلك معين حول نواته بحسب سنة الجاذبية . فاذا قضت عليه بعض لعوامل ان يتغير فلكه اي ان يصير اقرب الى النواة او ابعد فلا يقترب او يبتعد تدريجيًّا بل يثب وثباً من فلك الى آخر لان الافلاك مقررة حول النواة على ابعاد محدودة (وفي رأي بعضهم ان الافلاك المترامية اقرب بعضها الى بعض من الافلاك القريبة الى النواة) . فكأن هذه الافلاك اتلام او اخاديد مستديرة حول النواة . والكهرب يسير في قعر التلم ولا يستطيع ان يسير على حرفه الاعلى . فاذا وجب ان ينتقل من فلك الى آخر اضطر ان يثب وثباً من اخدود الى اخدود . فترى مما تقدم ان افلاك الكهارب حول النواة وحدات كمية (نسبة الى كم) ايضاً كدرجات السلم . فاذا رام الكهرب ان ينتقل فعليه ان ينتقل درجة كاملة اذ لا يستطيع ان يثب الى نصف درجة كما انك لا تستطيع ان تصعد على السلم الاَّ درجة فدرجة . ولا تستطيع ان تخطو جزءًا من الدرجة

فاذا كانت نظرية الكونتم في دوران الكهرب حول النواة صحيحة فلا بدَّ ان يكون سببها ان قوة الجاذبية (الجاذبة الكهرب الى النواة) تصدر دفقات متوالية . واعتقد انها لكذلك . فقد ثبت بالفعل Practically كما ثبت بالراديو مثلاً ان الجوّ الجاذبي Gravitational field انما هو امواج من نوع الامواج الكهرطيسية كأمواج النور والراديو واللاسلكي . واذن فلا بدَّ ان يكون تأثيرها في الكهرب متقطعاً متتابعاً كتتابع الامواج . اي ان كل موجة تدفع الكهرب في مسيره دفعة

واذا كان الامر كذلك فلا بدَّ ان يكون حكم الجاذبية في الاجرام كحكمها في الكهارب اي ان السيارات تسير في افلاكها حول الشمس وثباً حسب قانون « الكونتم » . واذا كان الامر في السيارات هكذا فلا يمكن ان يكون فلك السيار دائرة متصلة مستمرة يمكن تقطيعها الى اقواس منحنية ، بل هي شكل متعدد الاضلاع Polygon وكل ضلع يمثل وثبة من وثبات السيار في فلكه

واذا كان الامر كذلك — ولا بدَّ ان يكون هكذا اذا كانت نظرية الكونتم صحيحة — فاذن ليس في الوجود حركة دائرية بكل معنى الدائرة . اي لا وجود للدائرة على الاطلاق الاَّ في تخيلاتنا وفروضنا ورسومنا الهندسية على الورق . بل ان ما نسميه دائرة ليس الاَّ شكلاً متعدد الاضلاع عديدها

واذا صحَّ هذا الاستنتاج ، واني لاخاله صحيحاً للسبب التالي — يتصحح به عيب في برهان « قانون المسارعة » اي قانون ابتعاد فعل القوة عن المركز Force {Centrifugal / Centripetal} مع ان هذا القانو[ن] هو الركن الاساسي لناموس الجاذبية . يتصحح هذا العيب عن يد نظرية الكونتم . وبتصححه تنج[لي] علاقة كبيرة بين الكونتم والجاذبية . وسأفرد لهذا الموضوع مقالاً خاصًّا الفت اليه أنظار أ[هل] العلم ولا سيما الذين تلذ لهم القضايا العلمية المسندة الى البراهين الرياضية . وسيرون ان هذا المو[ضوع] ذو شأن كبير . ولا ادري ان كان أساطين علماء الغرب السابقينا بمراحل [illegible]

اما الملك فيصل فاني اميل الى الاعتقاد انه كان يجاري الوزراء اصحابه ، ويتبع في الوقت نفسه
اسة خاصة به ، فيوصل الخيوط ويقطعها عملاً بتطور الاحوال . اذكر كلمة بليغة لاحد العرب
يها حكمة رائعة : « غلبتمونا وجهلتم اننا شئنا هذه الغلبة لكم » ولا عجب اذا انتهج الملك فيصل
ا المنهج ، بعد تلك الوثبة ، وهو متيقن انهُ سيرطم الانكليز برطمة المعاهدات التي تتابعت السنة
د السنة ، فتزداد العقد تعقيداً ، ويقنطون اذ ذاك من الغلبات غير المفيدة

وقد كان . فقد بلغ فريق من السياسيين هذه المرحلة وقامت صحافتهم تندد بالحكومة — هي ذي
اية التي رحب فيصل بها — فقالت ان الحالة امست لا تطاق ، وانها « من انكر الحالات في
لاقات الدولية الحاضرة » . وعند ما يرفض المجلس النيابي العراقي المعاهدة غداً ، فماذا عساها ان
ول في « الحالة المنكرة ؟ »

اذن سنورد هذه المعاهدة حتفها ، سنشيعها الى القبر . وسيكون في الجنازة النصر الباهر
عارضة — للبلاد ، ولكن الحكومة البريطانية اعدت كذلك العدة للعمل ، وجاء المفوض السامي
سر هنري دوبس ليكلل المعاهدة بالاقرار البرلماني . واحد يريد دفنها ، وآخر يريد تتويجها

انتقل المسرح من لندن الى بغداد ، وجاء المتصارعون — الملك وجعفر والسر هنري — يستأنفون
صراع . من مدينة الضباب جاءوا الى مدينة الغبار — وفي الحالين حال الستار دون الابصار

ما كان المندوب السامي ليطمئن الى وزارة جعفر ، فباشر لابدالها بوزارة اخرى . ولو كان له
ن يرى شيئاً من مناورة جعفر الاولى لكفى نفسه مؤونة المناصبة . جاء جعفر بالمعاهدة للعرض
للتاويج ، واول ما كان من مناورته ، عند وصوله بغداد ، انهُ اذاع مضمونها ، فأثار عليها الرأي
عام . حملت عليها الصحافة حملات شديدة ، وقامت المعارضة تندد بها وبالوزير حاملها . رمى جعفر
لمعاهدة الى الامة تمزقها قبل ان تصل الى المجلس ، وهو يضحك في سره ، ثم استقال . وقد عدت
ستقالته النصر الاول للسر هنري دوبس . ثم دعي عبد المحسن السعدون لتأليف وزارة جديدة
عبد المحسن صديق الانكليز . كيف لا وهو الذي حمل المجلس منذ سنة على اقرار المعاهدة الاخيرة
ي عبد المحسن الدعوة ، فعدّ ذلك نصراً ثانياً للسر هنري . وهذا البرلمان لا يعوّل عليه ، فينبغي
ن يحل . وكان عبد المحسن يرى هذا الرأي ، فحل البرلمان ، وفاز السر هنري فوزه الثالث

ثم جرت الانتخابات ، وكان لحزب التقدم (حزب السعدون) الاكثرية الساحقة في المجلس
ذي اجتمع في ايار سنة ١٩٢٨ ، فتم النصر للسر هنري دوبس

اما الملك فيصل فقد سار في الوقت ذاته سيره ، ودبر تدبيره . افليس السعدون وزيره الاول

ح — اعاد حرب تجدد الكرة مرتين بعد توقيع المعاهدة في شهري ك ٢ وشباط من سنة ١٩٢٨

ط — اضف الى ذلك ان فيصل الدويش شيخ مطير كان ثائراً كما رهنت الحوادث على ابن سعود لطامع
شخصية سياسية وان ابن سعود في قمع ثورة الدويش والقضاء عليه لم يكن مدفوعاً بغير مصالحه ومصالح بلاده

الصحف البريطانية الكبرى

ومواقفها السياسية

في لندن تسع صحف صباحية توزّع كل صباح نحو عشرة ملايين من النسخ . أما صحفها المسائية ثلاث ولا يزيد مجموع ما يوزّع منها على مليون وثلاثة ارباع المليون من النسخ . ولكن صحف صباح تنتشر في طول البلاد وعرضها . وعلى الضد منها ينحصر انتشار صحف المساء في العاصمة في غالب . ويصدر في مدن بريطانيا الاخرى كيورك وبرمنغهام صحف على جانب عظيم من الرقي ، لكن انتشارها محصور في المدينة التي تصدر فيها وما يجاورها تُستثنى من ذلك جريدة المنشستر أرديان . فاذا قلت صحف بريطانيا عنيت صحف لندن . وليس في هذا اي غضاضة على صحف الاقاليم . ثلاثة ارباع سكان انكلترا يعيشون في اماكن لا تبعد اكثر من خمس ساعات بالسكة الحديدية عن اصمتهم العظيمة . حتى غلاسغو وادنبره وهما من مدن اسكتلندا في الشمال لا تبعدان عن لندن كثر من ثمان ساعات بالقطار . وعلاوة على ذلك تطبع الديلي ميل في لندن ومنشستر نسختين متماثلتين وفيراً للوقت في نقل النسخ من لندن الى المقاطعات الشمالية ، وتجاريها الديلي اكسبرس بل وتفوقها انها تطبع ثلاث نسخ متماثلة —على اختلاف محلي بسيط— في لندن ومنشستر وغلاسغو . فاجتماع هذه العوامل المواتية لتفوق الصحافة اللندنية ، يمكن كل انكليزي ان يكون امامهُ على مائدة الفطور كلّ صباح نسخة من الصحيفة اللندنية التي يؤثرها

***

يمكن تقسيم صحف لندن بوجهٍ عام الى طائفتين . فطائفة تلذُّ للسواد من الجمهور ، وطائفة تلذُّ الاقلّين . وتقدير مكانة كلّ من الطائفتين ليس بالامر اليسير ، ودونهُ صعابٌ لا يستهان بها ، ولعلّ الاتفاق على تحديد معنى « مكانة » و« نفوذ » ليس اقلّ هذا الصعاب شأناً . ولكن مما لا ريب فيه ان الطائفتين من الصحف ، قادرتان على التأثير في الرأي العام البريطاني ، في احوال مختلفة بوسائل واساليب متباينة . ومع ذلك قد يكون من اصعب الامور الاتفاق بين كتّاب هذه الصحف وقرّائها ، على مدى تأثيرها في نفوس الجماهير

من صحف لندن الصباحية ، ثلاث يمكن نعتها بقولنا « رزينة » و« ست » يمكن وصفها بقولنا شعبية» Popular . فصحف الطائفة الاولى هي التيمس والديلي تلغراف والمورننج پوست ، وعدد ما يوزع من هذه الصحف الثلاث معاً قد لا يزيد على ٧٠٠ الف نسخة . (يقدر ما يوزع من التيمس نحو ٢٠٠ الف نسخة وما يوزع من التلغراف بنحو ٣٠٠ الف نسخة وما يوزع من الپوست بنحو ١٥٠الى ٢٠٠ الف نسخة) اما صحف الطائفة الثانية فهي الديلي ميل والديلي اكسبرس والديلي هرالد يقدر ما يوزع من كلّ منهما بنحو مليوني نسخة. ثم تليها « النيوز — كرونكل »ويقدر ما يوزع منها نحو مليون ونصف مليون من النسخ ، ثم صحيفتان صغيرتا القطع مصورتان هما السكتش والميرور ولكل منهما انتشار واسع ولكن لم تحاول احداها ان تفوز بمكانة سياسية ما. اما صحف المساء فهي الايفننج نيوز » او « انباء المساء » ويقال ان انتشارها يبلغ نحو ٨٠٠ الف نسخة في اليوم جريدة الستار Star او الكوكب وانتشارها يبلغ نحو ٦٠٠ الف نسخة وجريدة الستاندرد او العلم انتشارها قد لا يقلّ عن نصف مليون من النسخ

اما اللون السياسي الغالب على هذه الصحف فهو اللون المحافظ . فصحف لندن جميعها محافظة لا الهرالد فهي جريدة العمال و« النيوز كرونكل » وهي جريدة الاحرار . اما الصحف التي تصدر خارج لندن فيغلب عليها اللون المحافظ وليس بينها جريدة واحدة للعمال . واما المنشستر جارديان لونها السياسي حرّ وانما تميل الى قضية العمال وهي من صحف الاقاليم الوحيدة التي تباع جنباً الى جنب مع كبريات صحف لندن في جميع انحاء البلاد

***

ونحن نستطيع ان نقول بوجهٍ عام ان الصحف الثلاث التي وسمناها « بالرزينة » تحكماً بقصد لتفريق في النزعة الاساسية بينها وبين الصحف الاخرى ، تؤثر في الرأي العام بواسطة مقالاتها الرئيسية التي تعرب فيها عن آرائها السياسية والاجتماعية . اما الصحف الشعبية فتعتمد في الغالب على ما تختاره من الانباء وتقدمهُ على غيره بواسطة عنوانات ضخمة تمتدّ احياناً على عرض الصفحة فيسترعي البصر ويصبح حديث القوم . ولنا في الصحف نفسها ما يؤيد هذا الفرق . فكل صحيفة من صحف الطائفة الاولى ، تنشر كل يوم ما يملأ نحو ثلاثة اعمدة من المقالات الرئيسية ، مكتوبة بأقلام أبرع الكتّاب واعلمهم بموضوعاتها . حالة ان الصحيفة من الطائفة الثانية تكتفي بما يملأ عموداً واحداً وتعتمد فيهِ على المقالات القصيرة فقد لا تعدو المقالة الافتتاحية في موضوع واحد في الميل او الاكسبرس بضعة أسطر

***

تحاول الصحف الرزينة — ونعني التيمس والتلغراف والپوست والغارديان — ان تعرض لقرّائها خلاصة عامة لحوادث اليوم داخل البلاد البريطانية وخارجها مع تعليق عليها وآراء

فيها . وهي تدعم انباء الشركات العامة ببرقيات مكاتبيها الخصوصيين ورسائلهم . والصحف الشعبية تحذو حذوها ولكن الصورة اليومية التي تعرضها هـذه الصحف ليست كاملة من حيث اتساق عناصرها كصورة الصحف الرزينة. فقد تعنى الميل او الاكسبرس او غيرها بحادث من الحوادث يوماً ما او يومين ، ثم تهمله اذ تنقص ما تنشره عنهُ فلا يزيد عن بضعة أسطر ، لأنها وهي تحاول ان تستثير الرغبة العامة بانباء حوادث جديدة ، ترى ان الحادث الذي مضى عليهِ يومان قد أصبح مبتذلاً لا يستحق عناية كبيرة . والصحف البريطانية بوجهٍ عام اقلّ عناية بالانباء الخارجية من جريدة اميركية كالنيويورك تيمس مثلاً ، ولعلّ سبب ذلك ان اتساع نطاق الامبراطورية البريطانية وترامي اطرافها يحتمان على الصحف البريطانية تعيين مكاتبين خصوصيين لها في كل جزء من أجزائها وهـذا يحول دون تعيين مكاتبين خصوصيين في كل مركز من مراكز السياسة العالمية خارج الامبراطورية البريطانية كما تفعل جريدة النيويورك تيمس فتعتمد على ما يبعث بهِ مكاتبو شركات الانباء العامة

يضاف الى ذلك ان بريطانيا ، لم تجرِ كاميركا على عادة تعرف بـ syndication اي الاشتراك في الانباء الخاصة . وهذا مما يقلل نفقات المكاتبين الخصوصيين . فأميركا بلاد مترامية الاطراف ، والنيويورك تيمس قلما تقرأ خارج مدينة نيويورك وما يجاورها . لذلك تتفق النيويورك تيمس مثلاً مع صحيفة في انديانا بوليس واخرى في دنفر وثالثة في ملووكي ورابعة في نيو اورلينس وخامسة في سان فرنسسكو، على ان تبيعها البرقيات التي يبعث بها مكاتبو التيمس الخصوصيين من روسيا واليابان ومصر وغيرها من البلدان . وكذلك تصيب الصحافة الاميركية عصفورين بحجر واحد . الاول نوعاً من الاشتراك والتعاون على تسديد نفقات المكاتبين وبرقياتهم . وثانياً سنوح الفرصة لصحف اميركا التي ليست من مقام النيويورك تيمس او الشيكاغو نيوز ان تنشر انباء العالم كما يرويها مكاتبون مشهود لهم بدقة الاطلاع وصدق النظر

ومن غرائب الاتفاق ان اصحاب الصحف اللندنية الرزينة التي ذكرناها ، ليسوا من الرجال الذين لهم مطامح واغراض سياسية كلورد روذرمير ولورد بيفر بروك . بل ان الرجال الذين يديرون هذه الصحف يشتغلون وراء ستار في صحفهم وقلما يعلم الجمهور عنهم شيئاً ولذلك لا يوحّد القرّاء بين هذه الصحف واصحابها او رجال معينين يملون عليهم خطة خاصة بعينها بل يحسبونها معاهد عامة لا تخصّ فرداً دون آخر

***

* لقد اجمع اصحاب الرأي ان «التيمس» في طليعة الصحف البريطانية ، فمن المسلم بهِ ان الجمهور في بريطانيا وخارجها يحسبها لسان حال الحكومة البريطانية ، بقدر ما تستطيع جريدة مستقلة ان تكون لسان حكومة . ولكن هذا ليس السرّ الوحيد في مقامها العظيم . بل الانكليز يحسبونها معهداً بريطانيًّا ، وينظرون اليها ، من صفحة انباء السوق المالية الى احد الى الحوادث الى برقيات المكاتبين

ورسائلهم الى المقالات الافتتاحية نظرهم الى التاج او البرلمان . والواقع ان صاحبي التيمس (الميجر آستر والمستر جون ولتر قد ادركا هذه الحقيقة ، فقطعا من تلقاء نفسيهما عهداً بأن لا يبيعا حصتيهما في التيمس . الاّ بعد ان توافق على المشتري لجنةٌ مؤلفة من خمسة من كبار رجال الدولة

والتيمس — كسائر الصحف الرزينة — لا تزال جارية على عادة نشر الاعلانات الصغيرة على صفحاتها الخارجية وجعل الصفحتين الرئيسيتين المحتويتين على أهم الانباء والمقالات الافتتاحية في صفحتين متقابلتين من الطية الوسطى في الجريدة . وهي مقسمة تقسيماً تجري عليهِ سنة بعد سنة . فاذا اردت انباء ناحية من نواحي الحياة عرفتَ اين تجدها فيها لانها قلما تغير مكانها . وهي تنشر في الغالب على صفحتيها الرئيسيتين الانباء التي يبعث بها اليها مكاتبوها الخصوصيون الاكفاء من نواحي الامبراطورية او سائر بلدان العالم . وقلما تنشر عنواناً لنبإٍ يمتدُّ على اكثر من سطر واحد ولمحرريها الحقُّ في مطابقة رسائل مكاتبيها وفقاً لنزعة الجريدة . ونحن لا نقول هـذا بقصد ا رمي محرري التيمس بتعديل الانباء وتشويهها وفقاً لرغائبهم ، ولكنك قلما ترى رسالة لمكاتبها برلين ، اولمكاتبها في وشنطن من دون ان تتبين من خـلال السطور ، رغم سرد دقيق للحوادث شكّـاً في فوائد الحكم الهتلري او نجاح خطط الرئيس روزفلت

***

اما الخطة الاساسية التي تجري عليها « التيمس » فهي تأييد الحكومة البريطانية القائمة . وه الحقيقة وحدها ، علاوة على ما للجريدة من المكانة الصحافية العالية ، كافية لاقناع الجمهور بان « التيمس » انما هو صوت الوزارة البريطانية . وهذا هو الواقع في الغالب في ما يخصُّ السي الخارجية . ولكنهُ لا يصدق كلَّ الصدق على ما يرتبط بالشؤون الداخلية ومواقف الحكومة ا منها . ففي السنة الماضية كان الاتجاهُ في خطة التيمس الى نقد خطط الحكومة القومية المتصلة بالضر والمسائل المالية والنقدية

وانت اذا استقريت الصحف اللندنية ، وجدتها جميعاً تتكلم بصوت واحد في بعض الم الدولية المعيّـنة ، فجميع صحف لندن مثلا تؤيد نزع السلاح ، واعادة التجارة الدولية الى ع القديمة . وتوثيق اواصر الصداقة مع الولايات المتحدة الاميركية ، وازالة الحواجز الجمر ومقاومة النزعات الجديدة في نظم الحكم كالفاشستية والشيوعيـة والنازية . وانما انت تت الاختلاف بين الصحف اللندنية في نظرها الى هذه المسائل ، عندما تفحص عن الوسائل التي تت كل جريدة لتحقيق هذه الاغراض التي تتفق عليها جميعاً . عندئذ يصحُّ عليها المثل الفرنجي الذ معناه : «الرأي المستقيم يا الهي هو رأيي انا» . فالمورننغ بوست ترى مثلاً انهُ اذا غالت بريط في الحواجز الجمركية ، كان ذلك افعل الوسائل واسرعها الى الاتفاق على ال[illegible] . اما ال

غارديان فترى ان احتفاظ بريطانيا بحرية التجارة — ولا تنسَ ان اركان حرية التجارة البريطاني خرجوا من منشستر — كان افضى الى الغاية المطلوبة

وموقف التيمس من هذه المشكلة — اي مشكلة الحواجز الجمركية — هو موقف الوزار اي القول بأن بريطانيا جرت في ميدان التجارة الحرة الى اقصى المدى ، فلم تجارِها دولة م الدول المنافسة لها ، بل اغرقت اسواقها الداخلية ومنعت بضائعها من اسواق الدول التي تنافسها فعمدت الى اقل ما يمكن رفعه من الحواجز ، وهي مستعدة للاتفاق — أيًّا كان — القائم ع التبادل . وكذلك في ما يختص بمشكلة نزع السلاح . فالتيمس وتجاريها الصحف البريطانية تنز الى وجوب خفض السلاح ، ولكنها ترى ان بريطانيا قد ذهبت في خفض السلاح الى مدى ابع مما ذهبت اليه الدول الاخرى . وهذا هو رأي الوزارة البريطانية بالاجمال . ولا يبعد ان تجاري التيمس الحكومة البريطانية غداً اذا رأت الحكومة ان زيادة سلاحها هي افعل الوسائل للوصول الى اتفاق على خفض السلاح

ثم ان التيمس تستمد مكانتها في الحياة البريطانية العامة من كونها منبراً عامًّا لكبار القوم فاذا شاء رئيس الوزراء ، او رئيس اساقفة كنتربوري او اي عين من اعيان الدولة ان يعرب عر رأي خاص في رسالة عامة ، فالغالب انهُ يبعث بهذه الرسالة الى التيمس اولاً

***

الى يمين التيمس — من الناحية السياسية — تجد صحيفه المورننغ بوست . وأصحاب الكثر من اسهمها هم دوق نورذمبرلند والسر پري باينس والكبتن هورُد . وهي جريدة مضت عليه مائة وستون سنة ، وهي تخشى ان تعرب عما تعتقد . لذلك تلمس فيما تكتبهُ احياناً نغمة من التحك وهو ما ينتظر من صحيفة تعد لسان المحافظين المتطرفين . ومع ان مقالاتها الاخبارية تكتب بأقلام كتَّاب بارعين وتعرض عرضاً يسترعي النظر ، الاَّ انها دون « التيمس » في كمال الصورة التي ترسمها للحوادث العالمية . وانما هي تستمد قيمتها في رأي اصحاب الرأي ، من مقالاتها الافتتاحي الصريحة . فكتَّابها في هذه الاعمدة لا يعرفون المواربة . وقد يندر ان ترى في المورننغ بوست نفاقاً في التهليل والتكبير للمبادىء او المنشآت الدمقراطية ، كما ترى احياناً في غيرها . وهذ الصراحة لا تترك مجالاً للشك في موقف المورننغ بوست من أية مشكلة من مشكلات الساعة، فهي لذلك مفضلة في دوائر المحافظين المستميتين Die hards او المغالين في محافظتهم . ولما كان ذلك كذلك فمن المتوقع ان تراها معارضة للحكومة القومية في سياستها الهندية ، داعية الى ان خير دعائم السلامة اسطولٌ بريطاني متفوق في قوته ، مؤيدة لزيادة الحواجز الجمركية ورفعها ، مندِدة بالنزعتي الاشتراكية والدولية على السواء ، موافقة بتحفظ على فاشستية ايطاليا وهتلرية المانيا ، محبذ توثيق الروابط بين فرنسا وبريطانيا في معالجة شؤون البر الاوروبي

اما جريدة الديلي تلغراف فهي ثالثة الصحف اللندنية الرزينة . والرجل المسيطر عليها هو لورد
ز (كان اسمهُ السر وليم بري Barry قبل منحه لقب لورد) . ثم هو يملك مع اخيهِ السر غومر بري
كبيرة في جريدتي الصندي تيمس والفيننشال تيمس وطائفة من جرائد الارياف وفي الشركة المعروفة
شركة الصحافة المندمجة (أملجميتيد پرس) . ولورد كروز يُعنى عناية خاصة بالديلي تلغراف
نهُ لا يطلب الشهرة ، ولذلك قلما يعرف الجمهور شيئاً عما يدور وراء ستار في ادارة «التلغراف»
مبونها جريدة مستقلة لا لسان رجل غني

والديلي تلغراف مشهورة بانها صحيفة الطبقة المتوسطة البريطانية ، تتصف بالدقة وحسن التبويب
عة الاخراج . ابتاعها لورد كروز وشقيقهُ من لورد برنهام (كان والد هذا قد انشأ الجريدة) من
سنوات فبذلا مالاً طائلاً في توسيعها وتقويتها . فلما خفضا ثمنها من بنسين (اقل قليلاً من
صاغ) الى بنس واحد (اقل قليلاً من نصف قرش صاغ) زاد ما يوزع منها من النسخ ثلاثة
اف . وهي جريدة محافظة ، ولكنها اكثر اعتدالاً في محافظتها من الديلي تلغراف ، ولعلها
اعراباً عن آراء الحكومة الرسمية من التيمس . وقد تحولت من عهد قريب الى الدعاية الى انشاء
لول بريطاني كبير . ولكنها في الوقت نفسه تؤيد بوجهٍ عام خطة الحكومة البريطانية في نزع
لاح . ثم هي كالتيمس تحاول ان تنهج نهجاً متوسطاً بين عزلة بريطانيا واشتباكها في شؤون اوربا
ياسية . وتجاري معظم صحف لندن في مقاومتها لطراز الحكم الفاشستي كائنة صبغتهُ ما كانت
مارض في القضاء على النظام البرلماني البريطاني واقامة نظام آخر محلّهُ

***

هذا من حيث ما يتعلق بالصحف « الرزينة »

فاذا انتقلنا الى النظر في الصحف « الشعبية » انتقلنا الى عالم آخر . هنا نجد لكواكب الصور
متحركة مقاماً اعلى من مقام رجال السياسة . هنا « جرائم الغرام » تستأثر بالصفحات الاولى دون
اء مجاعة في الصين . ان جانباً كبيراً عن قراء هذه الصحف يبتاعونها لما تمنحهُ من الجوائز المالية
ضخمة . او لان المشترك فيها يؤمّن باشتراكه فيها على حياتهِ ضدّ المرض او الموت بالحوادث
طارئة او العارضة . ونذكر اننا كنا في انكلترا سنة ١٩٢٨ لما حدث اصطدام في سكة الحديد بين لندن
بريطن على ما نظنّ — فكلّف هذا الحادث الديلي اكسبرس يومها نحو مائة الف جنيه ، دفعتها
لاهل الذين قتلوا في هذا الاصطدام من مشتركيها . والديلي اكسبرس تندّد بكل هذا ، ولكنها
مضطرة الى مجاراة الصحف الاخرى ، لكي تحافظ على سعة انتشارها رغبة في ما تجنيه من الاعلانات
التي تنبني على سعة انتشار الجريدة في المقام الاول . وقد كانت الديلي ميل من نحو ١٢ سنة او
الجرائد اللندنية انتشاراً اذ بلغ ما يوزع منها نحو مليون نسخة وكان لها [illegible] نظام معتدل

..تها الصحف الاخرى . وكذلك اصبحت كل من الدايلي ميل والديلي اكسبرس والدايلي هرالد
..ع كل يوم نحو مليون في نسخة . ثم ان لـكل من الصحف «الميل» و «الهرالد» و«النيوز كرونكل»
..تين واحدة في لندن واخرى في منشستر وأما الاكسبرس فلها ثلاث طبعات واحدة في لندن
..ثانية في منشستر والثالثة في غلاسغو

وأصحاب هذه الجرائد لهم مصالح مشتركة من الناحية المالية ، لأن بعضهم يملك حصصاً في
..ف البعض الآخر . وانما يصح ان نقول ان لورد روذرمير مسيطر على الدايلي ميل وما يتبعها
لايفننج نيوز وهي جريدة مسائية والصنداي سباتش وهي جريدة أحـدية) ولورد بيفربروك
..يطر على مقدّرات الاكسبرس وما يتبعها (الايفننج ستاندرد : جريدة مسائية والصندي
..سبرس : جريدة أحدية)

***

وتحسب جريدة الديلي ميل الاولى من نوعها . انشأها الفرد هارمزورث (لورد نورثكليف
..شقيق لورد روذرمير) في اواخر القرن الماضي . ولكنها مع ذلك — وهذا عجيب — هي الصحيفة
..حـدة من الطراز الجديد التي لا تزال محافظة على وقف صحيفتها الاولى على الاعلانات كالتيمس
..التلغراف وغيرها . اما الاكسبرس والهرالد فتنشران اهم الانباء على الصفحة الاولى . اما ترتيبها
..حدث ما عرف في الصحافة الاوربية والاميركية ، اي انها تعمد الى العنوانات الضخمة التي تمتد
..عرض الصفحة احياناً وتزين مقالاتها بصور تتخلل الكلام . وهي محافظة اسماً ، ورجعية بلا
..ب . ولكنها تنهج احياناً مناهج خاصة بها ، فقد تراها في فترة ما موالية لفرنسا في انبائها
..مقالاتها الرئيسية . ثم تراها في فترة اخرى تنزع الى عزلة بريطانيا عن الاشتباك في شؤون البر
..اوربي . وهي الآن تضرب على وتر خاص بها ، قلما توافقها عليه صحيفة اخرى في بريطانيا
..هو ان اعظم ضمان للسلام الاوربي هو عقد محالفة دفاعية بين بريطانيا وفرنسا . او قد تراها يوماً
..ن الايام تندّد بالحكومة لانها لا تقتصد في نفقاتها ولا تخفض الضرائب . وفي اليوم التالي ، قد
..دّد بخطة اللين التي تجري عليها الحكومة في الهند وتدعو الى الاحتفاظ بالهند كائنة النفقة او فداحة
..ضرائب ما كانت . وهي في الغالب تلخّص نهجها السياسي في مسألة من المسائل ، بعبارة قصيرة
..ستر عي النظر وترسخ في الاذهان

ومع ذلك فلجريدة الديلي ميل نفوذ . فغناها يمكّنها من استكتاب كبار الكتّاب ، والوسيلة
..تي تعتمد عليها في تثبيت فكرة معينة في نفوس الناس ، بتكرارها ، تمنحها نفوذاً سيكولوجيًّا
..عليماً . يضاف الى كل ذلك ان قرّاءها كثرٌ . وقلما يقرأون غيرها ، لانهم من الطبقة المتوسطة
المتعلمة تعلماً وافياً ، فيعرضون عن الصحف الرزينة لانها ثقيلة على طباعهم . ولعلّ اشهر مثل
..مدى نفوذها ما نشرتهُ عن رسالة قيل ان زنوفيف بعث بها الى العمال البريطانيين ليلة الانتخاب

البريطاني العام سنة ١٩٢٤ فتفشى الذعر في الناس وخشوا انتصار الشيوعية في بريطانيا ، فنال المحافظون اكثرية عظيمة في الانتخاب

والديلي اكسبرس محافظة كذلك ، ولكن منهجها المحافظ خاص بصاحبها لورد بيفربروك . وصاحبها رجل المعي الذكاء ، جم النشاط كان كنديًّا (اسمهُ ماكس ايتكن) فأثرى ثم أمَّ بريطانيا فارتقى فيها الى مناصب الاشراف وشغل منصب وزير في وقت ما ، وكان لهُ شأن كبير ، لعلاقته ببونارلو الزعيم المحافظ ، في أزمات السياسة البريطانية في اواسط الحرب الكبرى وبعيدها . ثم ابتاع الاكسبرس فجعلها في مقدمة الصحف «الشعبية» البريطانية . انجيلهُ الذي يكرز بهِ « امبراطورية بريطانية تكفي نفسها بنفسها» ولذلك ترى صحفهُ تندّد بكل ما شأنهِ ان يشبك بريطانيا بشؤون البرّ الاوربي ، وتنتقد العهد الذي قطعتهُ بريطانيا في معاهدة لوكارنو وتسخر من ضعف سياسة الحكومة الجركية

تصـدر جريدة الديلي هرالد شركة « الاولدهام پرس » ولكن الصحيفة لسان حال العمَّال ، وخطتها السياسية خاضعة لمجلس نقابات العمال . وقد كانت هذه الصحيفة على شفا الافلاس لما انفقت الاولدهام پرس على الانفاق عليها ، فأحدثت انقلاباً عظيماً في ترتيبها وسياق نشرها للاخبار وجارت بها الميل والاكسبرس فجعلت توزّع الهبات على المشتركين ، ونظمت لها مشروع تأمين لمشتركيها حتى اصبحت اليوم وهي تفوق جرائد بريطانيا قاطبة في عدد ما يباع منها كل يوم . تحاول الديلي ميل ان تنشر الاخبار كما يراها كتّابها المحافظون . اما الهرالد فتنشرها كما يراها كتّابها الاشتراكيون . وهي في خطتها السياسية تنزع الى التعاون الدولي وحرية التجارة وتؤمن بنزع السلاح وتقاوم مقاومة عنيفة الفاشستية والنازية . ولما كان في بريطانيا نحو سبعة ملايين ناخب من العمال ، فالمجال متسع لجريدة تكون صحيفة عصريةً ولساناً للعمال في آن واحدٍ . والديلي هرالد تحقق هذين الشرطين خير تحقيق

***

بقي علينا من صحف لندن الشعبية جريدة «النيوز كرونكل» وهي لسان الاحرار — وقد قال فيها احد اصحاب النكتة : هي لسان الاحرار الرسميين عندما تدرك مَن هم . وهذه اشارة منهُ الى انقسامهم فرقاً فثمة فريق سيمون وفريق هربرت صموئيل وفريق لويد جورج . تسيطر عليها اسرة كادبوري المشهورة بصنع الشكولاتة المسماة باسمهم . هي دولية النزعة ولكنها ليست اشتراكية وهي تعارض النظم الفاشستية كالهرالد والشيوعية كصحف المحافظين . ولما كانت تؤيد السعي لنزع السلاح ، فقد احدثت هزة في دوائر بريطانيا السياسية ، لما طالبت من عهد قريب بوجوب محافظة بريطانيا على العهود التي قطعتها في لوكارنو . فهي بوجه عام صحيفة اليسار المعتدل

أما المنشستر غارديان فتصدر في منشستر وأصحابها اسرة سكُتْ وهي في رأينا في مقدمة الصحف العالمية التي تدرك ان الصحافة كالتعليم عمل كبير التبعة . ولعلَّ خير شهادة لها ان اتباعها وخصومها تقرأونها على السواء

وحدة الكون

للشاعر السكنديناوي بويزن

قرابة مقدّسة لا اتخلّى عنها

تربطني بكل ما يتنفّس .

انا ابن الارض والبحر والهواء

انشدَتْ العواصف « السلورية »[1] الجشّاء هدهدتي[2]

وفي اشكال دائمة التغيُّر

من شجر وطير ووحش

كوَّنت الاعصر الجاهدة شكلي

ان هذه الاسلاف الضخمة قد تركت

من نفوسها العظيمة في نفسي ، نفحةً

تتحدى الموت . انمو وأزهر كالشجر

شاعراً بجذور ارضية ذاهبة في الاعماق

تربطني بالتراب . ولكن مع فروعها الذاهبة في الفضاء

ترتفع نفسي الى ملك النور والنهار

---

(١) العصر السلوري احد العصور الجولوجية في الحقبة الاولى (القديمة الحياة) يليه العصر الديفوني (الحجر الرملي) فالعصر الكربوني (٢) هدهدت الام الصبي حركته او غنت له لينام

عجائب الحل الطيفي

السبكترسكوب في معرفة بناء النجوم

وحركة الاجرام السموية

كان الفيلسوف الفرنسي اوغست كونت من اعلم اهل زمانهِ ، ولكنهُ مع ذلك قال ان العقل البشري لا بدَّ ان يبقى جاهلاً بعض الاشياء . وضرب على ذلك مثلاً ببناء الاجرام السموية من الناحية الكيمائية . فهذه المسألة كانت في نظر كونت وغيرهِ من علماء ذلك العصر، من وراء مقدرة العقل البشري، لانهم كانوا يجهلون حينئذٍ الوسيلة التي تفتح أمامهم ابواب هذا السرّ المغلق

ونحن اليوم ندرس بناء النجوم ، كما ندرس بناء الاجسام المادية في المعمل الكيمائي . والمفتاح الذي فتّح امامنا الابواب، هو علم الحلّ الطيفي وآلتهُ ، مبيّنة الطيوف (السبكترسكوب)

فما كاد العلماء يكتشفون السبكترسكوب ، حتى اصبح بناء الاجرام السموية امامهم كالكتاب المفتوح فيهِ عرفوا العناصر التي تدخل في بنائها ، وقد كشفوا حتى العهد الأخير ، نحو ستين عنصراً من العناصر الارضية في كتل النجوم ، ثم انهم اثبتوا بالحلّ الطيفي ان جوّ المريخ يحتوي على الاكسجين وان لا اثر لهُ في جوّ الزهرة . وبيّنوا بواسطة الخطوط المختلفة التي تظهر في طيوف النجوم والسدم ، ان الذرّات التي على الارض ، كائنة كذلك في بعد السدم وفي اذناب المذنبات وعلى سطوح النجوم البيض التي بلغت حماوتها درجة البياض وبذلك منحنا السبكترسكوب اقوى الادلة على وحدة الطبيعة

من نحو مائة سنة أمرَّ العلاّمة اسحق نيوتن شعاعةً من الضوء في موشور من الزجاج في غرفة مظلمة ، فرأى على الجدار المقابل الوان قوس قزح . فأفضى بهِ ذلك الى الاعتقاد بأن نور الشمس مركّب من أشعة مختلفة ، ولكن نيوتن ادخل شعاعة النور الى الغرفة المظلمة من ثقبٍ مستدير ، فكان شبح الشعاعة بعد اختراقها للموشور ونفوذها منهُ رقعة مستديرة من الضوء . ولو اتفق لهُ ان يدخل شعاعة النور من شقٍّ مستطيل ، لكان اكتشف علمَ الحل الطيفي حينئذ . وهذا ما فعله كرشوف وبنصن الالمانيان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

الى جوزف فرانهوفر يعود الفضل في اكتشاف اهم حقيقة علمية تتعلّق بحل الطيف بعد اكتشاف نيوتن وهو ان نور الشمس مركّب من طوائف من الاشعة لكلّ لونها الخاص . ذلك ان فرانهوفر اكتشف ما يعرف بظاهرة «الخطوط السود او القاتمة» في الطيف . ومع انهُ توفي سنة ١٨٢٦ وهو

، لا وزير سواه ؟ أو ليس هو فضلاً عن ذلك من اشراف العرب ، ومن كبار الوطنيين في
ق ؟ والزعيم الاول المهيمن على حزبه ، المتمتع بثقة انصاره ؟
كان السر هنري عالماً بذلك ، وعالماً فوق ذلك بأمور كثيرة . ولكنما فاته الشيء الذي فيه
. وهو ان صديقه السعدون قد غير خطته السياسية ، فلا يرى من الآن حاجة الى الضغط
جلس . بل لا يرى ان يعرض المعاهدة عليه قبل ان يتم تعديل الاتفاقين المالي والعسكري .
اذا اصرّ على ذلك يكفي نفسه شر المعاهدة فتظل مدفونة في مكتبه . ذلك لان في الاتفاقين
عصى حلها اسلافه وسلف السر هنري » . وماكانت شروط الحكومة البريطانية هذه المرة
مما سبقتها . فقد قيدت ملكية العراق لميناء البصرة ولسكة الحديد بقيود ثقيلة وتحمّلت
تها في مسألة التجنيد الاجباري
لبد جو المفوضية بالغيوم . فقد تمردت لجنة المجلس المعينة لدرس الاتفاقين ، فضربت
ات المندوب السامي عرض الحائط . وتمردت الوزارة ، فأصرت على تعديل كلي جوهري ،
المجلس الذي اصبح حزب التقدم فيه — حزب السعدون— اشد تطرفاً من المتطرفين انفسهم
سُعقت المفوضية . تبلبل السر هنري دوبس . فالاذعان لارادة العراقيين مستحيل ، والرد
العراقيين خيبة له ، هو الطامح الآمل بابرام المعاهدة . فعمل المكره عليه ، قبل بالخيبة .
نال السعدون ، وكان النصر الاكبر ، في رفض المعاهدة والاتفاقين ، للامة والبلاط ، فهتف
شكر الله وحمده . ولكن الحساب لم ينته بينه وبين المندوب السامي . فلا يزال هناك دين
— تلك المذكرة في وزارة المستعمرات المكتوبة بخط يده . لم ينسها الملك فيصل ، وعندما
وزارة السعدون (كانون الثاني ١٩٢٨) واخفقت المساعي المتكررة لتشكيل وزارة جديدة ،
السر هنري الى البلاط يطلب مقابلة الملك ، حان وقت الحساب
ر هنري : « البلاد بلا وزارة يا صاحب الجلالة ، وهي تنتظر ان تعينوا من يؤلفها »
ك فيصل : « ولكني ملك دستوري ، وعلى الملك الدستوري ان يلزم الحياد »
ند ما جاء المرة الثانية بالمهمة نفسها ابرز تلك المذكرة وقال : « هذا تريده انت يا حضرة
. . يجب على الملك الدستوري ألاّ يتدخل بشؤون الدولة[1] اليس كذلك ، ان شؤونها الآن
لك ان تعين من تشاء » . ومرت ثلاثة اشهر ، والبلاد بلا وزارة ، والملك فيصل في موقفه
ل عنه . انكسفت المفوضية بعد انهزامها مرتين متواليتين ، واسترجعت المعاهدة التي
مل الازمة ، وبانت ان تلتهي مدة السر هنري دوبس كمندوب سام في العراق ، فانتهت
ا ، وكان من الممكن ان تنتهي بأوانها وبسلام

خزّاف بالقاريّ ، فتلقى عليه اصول الخزافة ثم تعلمّ فن صقل الزجاج فأتقنهُ واشتهر فيهِ فاختير لمنصب في معهد بصري optical بمدينة مونيخ ، حيث انتخب عضواً في اكادمية العلوم وعيّن اميناً لمكتبتها في العلوم الطبيعية . هناك استنبط اساليب جديدة لصقل المدسات وقياسها ، وصنع زجاجاً خاصّاً يصلح للعدسات ، وتعلّم كيف يحسب اشكال العدسات المختلفة حساباً رياضيّاً دقيقاً

ولكن همهُ الاعظم كان متجهاً الى صنع عدسات (اكروماتيكية) اي لا يظهر في الاشعة التي تخترقها بقع ملوّنة ، وهذه البقع تنشأ اذا كان سطح العدسة غير محدّب تحديباً تامّاً فتتكسر الامواج وتتفرّق فتنشأ ظاهرة البقع الملوّنة . ولكي يتمكن من تحقيق غرضهِ هذا ، درس طيوف انوار مختلفة .وكان ذات يوم يدرس طيف نور صادر من مصباح ، فاكتشف في الجزءِ الاصفر من الطيف خطّاً مزدوجاً . هذا الخط يعرف الآن بخطّ الصوديوم . وهو من اشهر خطوط الطيف لان رؤيتهُ سهلة . ولعلك ايها القارىء اذا زرت معملاً علميّاً في مدرسة وطلبت ان ترى سبكترسكوباً ، كان خط الصوديوم هذا اول ما ترى من خطوط الطيف . وامتدّ بهِ البحث ، فاكتشف هذا الخط في طيوف انوار اخرى ، ولكن الخط كان دائماً في محل واحد من منطقة اللون الاصفر . ثم حلّ نور الشمس ، فرأى مكان الخطين الاسودين في طيوف انوار المصابيح طائفة من الخطوط المتلازّة وبعضها اكثر قتاماً من البعض الآخر ، بل ان بعضها اسود . ثم فحص فرانهوفر نور النجوم فرأى في طيفهِ خطوطاً تشبه الخطوط التي رآها في طيف الشمس

فدعيت هذه الخطوط خطوط فرانهوفر . ولكن فرنهوفر مات قبل ان يدرك تعليلها ، وما لها من الشأن في ريادة السماء ومعرفة بناء النجوم والسدم وحركات الاجرام السموية

وتلا فرنهوفر في هذا الميدان عالمان المانيان هما روبرت وليم بنصن الكيماوي وغوستاف كرشوف الطبيعي . كانا حينئذٍ استاذين في جامعة هيدلبرج . وكان بنصن قد استنبط المصباح المعروف باسمه وكان هذان العالمان يبخران في لهيب هذا المصباح بعض العناصر الكيمائية ثم ينظران الى الوانها بالسبكترسكوب . وكانت هذه الآلة مركبة حينئذٍ من ثلاثة اجهزة اولها طريقة لجمع اشعة الضوء على موشور زجاجي ، ثم الموشور نفسهُ الذي يفرق النور الى الالوان المؤلف منها ثم تلسكوب صغير يجسّم الطيف حتى تستطاع رؤيته . وما لبثا حتى وفّقا الى اكتشاف اساسيّ في هذا الميدان ، وهو ان لكل عنصر خطوطاً لامعة في الطيف خاصة به

وفي يوم من ايام سنة ١٨٥٩ ، اكتشفا سرّ الفرق بين خطوط فرنهوفر — وهي خطوط قاتمة في الطيف — والخطوط التي كشفاها وهي خطوط لامعة . ذلك ان اشعلا مصباح بنصن ، وبخّرا في لهيبهِ عنصراً من العناصر ، وراقبا الطيف فوجدا الخطوط اللامعة الخاصة بهذا العنصر . ثم جاءا بنور قوي من مصدر آخر وامرّاه في لهيب المصباح الذي بُخّر فيهِ ذلك العنصر ، قبل جمعه وتوجيهه الى الموشور . فلما راقبا الطيف وجدا ان الخطوط فيه قد اصبحت قاتمة . فأدرك

كرشوف في الحال تعليل ذلك وكان تعليله صحيحاً ايدته المباحث التالية : قال : — اللون الخاص الذي يولده العنصر في لهيب المصباح يعدّل في النور الوارد من مصدر آخر ، الامواج التي من طوله تماماً ، وكذلك يلغي الواحد الآخر ، فيزول اللون الذي كان يولّد في الطيف خطوطاً لامعة ، وكذلك تشهد خطوطاً قاتمة وقد حلّت محلّها

هذا الاكتشاف مهّد السبيل لتعليل خطوط فرنهوفر . كان العلماء قد عينوا مواقع مئات من الخطوط القاتمة — خطوط فرنهوفر — في طيف الشمس . ولكنهم لم يدركوا معنى هذه الخطوط الاّ بعد اكتشاف بنصن وكرشوف الاخير ، وتعليل كرشوف له التعليل الصحيح . ذلك ان طبقة الشمس الخارجية Photosphere تطلق امواجاً مختلفة تقابل امواج الطيف المرئي ، ولكن هذه الامواج قبل ان تصل الى تلسكوباتنا وسبكترسكوباتنا يجب ان تمرّ في جوّ الشمس حيث توجد معظم العناصر في حالة غازية متألقة . وكما عدّل النور الصادر من جسم آخر لون اللهيب الخاص بعنصر معيّن في مصباح بنصن ، كذلك تفعل هذه العناصر المتألقة في جوّ الشمس ، بالامواج الصادرة من سطحها . فلذلك نرى خطوط سوداً او قاتمة في طيف الشمس . فاذا اتفق موضع خط من هذه الخطوط او موقع طائفة منها ، مع موقع خطّ (او طائفة) خاص بعنصر من العناصر عرفنا ان هذا العنصر موجود في جوّ الشمس . وكذلك نستطيع ان نعرف تركيب الشمس الكيماوي وهي على ٩٣ مليون ميل منا

***

وماكاد كرشوف وبنصن يكتشفان هذه الحقيقة حتى استعملت اداتهما في الكشف عن عنصري الكيزيوم والروبيديوم في المياه المعدنية التي تنبع في دوركيم . ونروي في هذا الصدد قصة كان كرشوف يحبُّ ان يرويها قال : كانت المسألة المطروحة على بساط البحث ، هل تكشف خطوط فرنهوفر عن وجود الذهب في الشمس ? وكان صرّاف كرشوف يقول له وماذا يهمني ان كان الذهب موجوداً في الشمس ما زلتُ لا استطيع ان آتي به الى هنا . وبعيد ذلك نال كرشوف من احدى الجمعيات العلمية في انكلترا مدالية ذهبية ومبلغاً من المال . فذهب بها كرشوف الى صرّافه وقال له لقد افلحت في ان آتي لك بالذهب من الشمس

وتلا ذلك استنباط وسيلة ادق من الموشور للحلّ الطيفي . فكان لاستنباطها من نصيب رو[لند] العالم الاميركي والاستاذ في جامعة جُنز هبكنز في العقد الاخير من القرن التاسع عشر . ذلك [انه] صنع آلة لتخطيط قطعة من الزجاج خطوطاً عديدة متلازة ويقال ان البوصة المربعة في النادر قد تحتوي على ٣٠ الفاً من هذه الخطوط (الانسكلوبيذيا البريطانية) . ومن يملك قطعة منها انهُ يملك كنزاً علميًّا لانها افضل ما عرف من وسائل العلم لحلّ نور الشمس الى الالوان التي [تتألف] منها . ثم قضى رولند بعد ذلك سنين عديدة في درس [illegible] اله وجد في [illegible] الالوان المختلفة نحو عشرين الف خط ، وان كل [illegible] ممينة في

الشمس .فلما اتمّ رولند مباحثهُ ،كان قد كشف في الشمس عن ٣٦ عنصراً من العناصر الكيمائية المعروفة على الارض . وقد كشفت بعد وفاته عناصر اخرى ، لان العلماء صنعوا الواحاً فتوغرافية شديدة الاحساس ، تتأثر بالنور الذي تحت الاحمر ، وكذلك كشف العلماء عن نحو ستين عنصراً من العناصر الكيمائية في مادة الشمس

أما في النجوم فاننا لا نستطيع ان نشهد في طيف نورها التفصيلات التي نشهدها في طيف الشمس . ولكن السبكترسكوبات الكبيرة التي بنيت في العهد الاخير وأُلحقت بالمراصد الكبيرة كرصد جبل ولسن ، قد كشفت عن عشرات من العناصر الكيميائية في مواد النجوم

ثم ان الخطوط التي تبدو في الطيف لاتكون مستقرة في مكانها ، اذا كان مصدر النور متحركاً بل هي تحيد الى الاحمر اذا كان الجسم مبتعداً عن المراقب ، او تحيد نحو البنفسجي اذا كان الجسم مقترباً منهُ . وعلى هذا الاساس استطاع الباحثون ان يكشفوا عن دور الشمس على محورها وسرعة هذا الدوران وكذلك دوران السيارات وسرعتهُ . وعرفوا ايضاً ان حلقات زحل ليست مادة جامدة بل مؤلفة من كريات صغيرة كل منها بمثابة سيّار صغير . وعليهِ بنيت ادق الحسابات لبعد الشمس عن الارض . ولما طبّق هذا المبدأ على النجوم ، عرفت حركة الشمس بالقياس اليها ، وقيست ابعاد مئات منها ، وكشف عن مئات من النجوم المزدوجة ، وعرفت كتل واقطار بعضها . ثم درست نتائج هذا الحيود ، فيما يرتبط بنور السدم التي خارج المجرّة ، فتبين ان معظمها يبتعد عنا بسرعة عظيمة — قدّرت سرعة ابتعاد احد هذه السدم بـ ١٥ الف ميل في الثانية — وعلى هذا بنيت نظرية الكون الآخذ في التمدُّد او الاتساع Expanding universe ثم ان المباحث السبكترسكوبية بينت ان السدم نوعان او طائفتان . فطائفة مكوّنة من كتلٍ من الغاز المضيء او المتألق واما الطائفة الثانية فتطلق نوراً كنور النجوم فيرجح انها مجموعات من النجوم بعيدة عنا بعداً لا يمكننا من رؤية بعض نجومها الفردة

***

واذا كان هذا شأن السبكترسكوب في علم الفلك الحديث . فما هو أثره في ميادين العلم الاخرى؟ ... ماوي مدين للسبكترسكوب بالكشف عن عشرة من العناصر ، ولعلّ اشهرها عنصر الهليوم ... كشفه لكير في جوّ الشمس قبلما كشفه رمزي على الارض بنحو عشرين سنة . وانت تعلم مقام ... م في المباحث العلمية النظرية ، كتركيب الذرّة وتحويل العناصر ، كما تدرك مقامهُ في الشؤون ... ، فهو الغاز الذي لا يصلح غاز مثله ، لملء اكياس البلونات ، لانهُ خفيف وغير قابل للالتهاب. ... للسبكترسكوب شأناً ايّ شأن في علم الطبيعة النظري الذي يتناول الذرّة وبناءها وتحويلها ... العناصر التي توجد منها مقادير ضئيلة في ركازاتها

... ولأثر السبكترسكوب في علمي الطبيعة والكيمياء حديث طويل نرجئه الى فرصة اخرى

استدراك على معجم الحيوان

– ٣ –

بقلم الدكتور معلوف باشا

قلت في المقتطف ٣٩ : ٣٤١ ما يأتي

الجَلكي . الجَلكا Petromyzum. E. Lamprey. F. Lamproie·

نوع من الاشلاق شبيه بالانكليس ذكره القزويني والدميري وصاحب محيط المحيط . قال الدميري: « الجلكي كرَطى نوع متولد بين الحية والسمك اذا ذبح لا يخرج منه دم وعظمه رخو يؤكل مع لحمه يسمّن النساء اذا أكل» . وزاد القزويني على ذلك في قوله انه نوع من الجرّي يشبه المارماهي . فهذا الوصف ينطبق على هذا النوع من السمك لا سيما قوله ان عظمه رخو اي غضروفي ولا اعرف سمكاً كالانكليس فيه هذه الصفة الا هذا السمك والاسماك الاخرى التي من طائفة المواص (Cyclostomes) انتهى . وقد نقلت ذلك في معجم الحيوان ص ١٤٥ ببعض تصرف اي غيرت الاسم العلمي وما جاء في معجم الحيوان هو الصواب . ثم ذكرت في مقتطف نوفمبر الماضي ص ٤٠٧ ان الاب انستاس سمى هذا النوع من السمك شِلقاً وقد خطر لي الآن ان الاب العلامة وكاتب هذه السطور بحثا في نوع واحد من السمك فسماه الاب المحترم الشلق وسميته الجلكي او الجلكا كما تقدم والاسمان واحد لفظاً ومعنىً اي ان ما ورد في محيط الفيروزابادي وشرحه في مادة شلق ليس الا ما ذكره القزويني والدميري في مادة جلكي او جلكا اي انهما ذكرا في هذه المادة الشلق عينه وانما بصورة اخرى فقد كتب العرب الفاظاً كثيرة بالجيم التي يضع لها العرب والفرس ثلاث نقط تحتها ويلفظونها كالشين او قريبة من الشين كما في شَول (چول وشَرشَف چارشب وشوبق او شَوبك چُوبه وشِيشم چَشم وشاي چاي وشلبي چلبي . على ان هذا غير مطرد . فقد ورد في چنار جنار وصنار وفي چين صين وفي دارچيني وخارچيني دارصيني وخارصيني وهو بحث طويل لا محل له هنا . وانا اجهل الفارسية ولكنها الفاظ التقطها من كتب القوم وما اوردته يكفي لان نقول ان جلكا كما كتبها القزويني او جلكي كما كتبها الدميري هو الشلق عينه بجعل حرف الجيم شيناً اي اننا لو لفظنا جلكا او جلكي شلكا او شلكي اتضح لنا الامر

لا سيما ان القزويني والدميري لم يذكرا كلمة الشلق بل اكتفيا بكلمة جلكا او جلكى عوضاً عنها . بقي عليَّ ان اقول ان فريتغ قرأ كلمة جُلْكا بالضم وتابعهُ في ذلك الدكتور هرتمن اثناء ترجم عجائب المخلوقات وصاحب محيط المحيط والكولنل جاياكار مترجم الدميري والكولنل اسطيفنصن مترجم نزهة القلوب على ان الدميري جعل اللفظة جلكى وضبطها كسَرطَى كما تقدم ولا اعلم صحة ضبطها اهي جُلْكا بالضم او جَلَكى بالفتح لكنني اعلم ان الجلكا او الجلكى هو الشلق عينه مكتوباً على صورة اخرى . ثم ان فريتغ والذين تقدم ذكرهم لم يترجموا الجلكا او الجلكى بل رسموها بحروف لاتينية ولم يتعرضوا لتحقيق امرها او ترجمتها ترجمة صحيحة . ولا اعلم هل لفظة شلق او جلكا يونانية الاصل او انها نشأت في سواحل بحر فارس فأخذها العرب والفرس وسموا بها هذا الحيوان عن اليونانية فقد اوردها ارسطو في كتاب النعوت غير مرة واللفظة اليونانية التي اوردها هي Selache بقي علينا ان نذكر ما جاء في شرح القاموس قال صاحب التاج ما نصه : الشِلْق بالكسر او ككتف سمكة صغيرة او على خلقة السمكة لها رجلات عند الذنب كرجلي الضفدع لا يدان لها تكون في انهار البصرة وقيل هي من سمك البحرين وليست بعربية او هي الانكليس من السمك وهو الجِرّي والجريث عن ابن الاعرابي . انتهى

وعلى ذلك تكون صحة ترجمة Lamprey, Lamproie شِلق وشَلِق وجَلَكى وجُلكا او الاستغناء عن الكلمتين الاخيرتين فكلمة واحدة صواب خير من عشر كلمات خطأً . فالمرجو اصلاح ذلك في المعاجم المقبلة . وذكر الأب انستاس لمن شاء ذلك وحذف الدميري والقزويني لانهما لم يخبرانا اسم هذا الحيوان العلمي ولم يخبرنا بهِ احد من الذين ترجموا القزويني والدميري ولا اخبرنا بهِ شازي فانهُ لم يترجم القزويني بل ترجم بضع عشرة صفحة منه بطلب ده ساسي ونشرت هذه الصفحات التي ترجمها في الطبعة الثانية من كتاب الانيس المفيد فتحقيق الجلكى لكاتب هذه السطور دون غيره

وقلت في معجم الحيوان ص ٢٣٨ وما بعدها ما يأتي :—

دَوْلع الواحدة دَوْلعة . دُلاَّع الواحدة دُلاَّعة — Strombidae

فصيلة من الحلزون الكبار لها اغطية عطرية تسمى الاظفار واظفار الطيب وفي السودان الظفر او ظفر العفريت تتبخر بهِ النساء . والدُلاَّع انواع كثيرة ثم ذكرت بعضها وهي من جنس يعرف عند العلماء باسم Strombus ونقلت عن فورسكال ان اسمهُ السرنباق بالعربية سمعها في البحر الاحمر وقلت ان الدمشقي ذكر السرنباق في بحر القلزم اي ان لفظة السرنباق قديمة بالعربية ولا بأس من ايراد عبارة فورسكال بتمامها وهي ما يأتي

سرنباق — Strombus gallus. Strompak. Arab, Strombak

فالاسمان الاول والثاني هما الاسمان الجنسي والنوعي وقد اعتمدها استاذه لينناوس واضع التسمية

ية. ولا يزال الاسمان المعتمدان في ايامنا . والثالث الاسم اليوناني وقد كتبهُ فورسكال باليونانية تهُ الى احرف لاتينية لسهولة قراءتها . اما الاسم الرابع فكتبه بحروف لاتينية فابقيته على حاله الخامس فعربي وقد كتبه بحروف عربية . ولما كان الدمشقي قد ذكر المرنباق وهو اقدم من سكال كثيراً فلا شبهة في صحة اللفظة كما اوردها فورسكال ولاسيما ان كثيرين ذكروها بعدهُ مما حاجة الى ذكره . ثم اليس من الغريب ان لفظة يونانية قديمة تكون شائعة في البحر الاحمر في زمن مشقي وفورسكال وتكون لفظة عربية مثلها شائعة كذلك وهل هذه اللفظة يونانية او نشأت في حر الاحمر فنقلها اليونان عن العرب وعن سائر اهل سواحل البحر الاحمر كما نقلوا الفرخ واللاطيس لشلبا والبياض عن المصريين حقًّا انها مسألة تستحق النظر وعندي انهُ يتعذر ان يقال ان كلمة بية هي يونانية الاصل فالقرش مثلاً سمك معروف في البحر الاحمر فهل نقدر ان نقول انهُ يوناني ماذا لا نقول عكس ذلك اي ان اليونان اخذوه عن اهل البحر في الاماكن التي يكثر فيها هذا سمك وامثلة ذلك كثيرة . ثم انهُ ليس كل حيوان له اسم عند قدماء اليونان هو الحيوان الذي يسمى بالاسم عينه في ايامنا

وقلت في معجم الحيوان ص ٢١ ما يأتي : —

عنقريط (فورسكال) Argonauta argo. Paper nautilus

حيوان هلامي رأسي الارجل اي من طائفة الاخطبوط له صدفة رقيقة جدًّا

هي في نسخة فورسكال المطبوعة عنقريظ بالظاء المعجمة ولعلها خطأ مطبعي والصواب بالمهملة . ولا يخفى ان فورسكال توفي قبل نشر كتابه . وقد اخذها عنه فريتغ كما هي بالمعجمة ونقلها عنهُ البستاني في محيط المحيط وقال ضرب من السمك وصوابه ما ذكر . ولعل اللفظة تعريب الاصل اليوناني . انتهى

وما يأتي عبارة فورسكال بنصها

عنقريظ Argonauta argo. Arab Ankarit

اما الاسمان الاول والثاني فهما الاسم الجنسي والنوعي الذي يعرف به هذا الحيوان عند العلماء في ايامنا ولعلهما من اوضاع فورسكال او استاذه ليناوس كما تقدم لانهُ لا اسماء مثنوية قبل ليناوس وقد يكون الاول اي الاسم الجنسي معروفاً قبل ليناوس وهو اسم منحوت او تركيب مزجي من كلمتين معناها ملاح السفينة كان يسمى به احد الملاحين الذين صحبوا ياسون في سفره المشهور فلا شبهة ان هذه اللفظة يونانية قديمة جدًّا فهل اللفظة العربية التي سمعها فورسكال تعريب اللفظة اليونانية فان كانت تعريباً اليس ذلك غريباً جدًّا اي يعرب اسم يوناني منحوت على هذه الصورة وان لم يكن تعريب الاسم اليوناني فهو اتفاق اغرب جدًّا

الحشمة والعري (١)

مقال يتضمن آراء اشهر الباحثين

للدكتور صبري جرجس

تدل المباحث التي قام بها العلماء في العهد الاخير على ان عاطفة الخجل ليست أصلية في الإنسان، ولكنها ثمرة من ثمار الحضارة، او بعبارة اخرى ظاهرة عقلية نشأت خلال التطور التدريجي للحياة الإنسانية. وهي موجودة إلى حد ما في الإنسان الذي يمارس العُري، ولكنها قوية ومميزة للانسان الذي يستعمل الملابس. وقد نمت عادة ارتداء الملابس وعاطفة الخجل جنباً الى جنب وكانتا ترميان الى غرض واحد دائماً. وقد قام علماء علم الأجناس بمباحث انتقادية عدة في هذا الموضوع، وأهمها المباحث التي قام بها هفلوك إليس وستراتز وكارل فون ستاينن

ويذكر هفلوك إليس عاملين للخجل: عاملاً حيوانيـاً وآخر اجتماعيـاً. والعامل الاول تناسلي بطبيعته وهو اقوى نمواً في المرأة منهُ في الرجل، بل انهُ كان في بدء الامر مقتصراً عليها فقط وكان الغرض منهُ حماية أعضائها الخاصة من هجمات الرجل غير المرغوب فيها. وقد نستطيع ان نلاحظ عاطفة الخجل على هذه الصورة في بعض انواع الحيوان ايضاً

وهو يقول بان عاطفة الخجل التناسلي في انثى الحيوان ناشئة من انها تقصر علاقاتها التناسلية على اوقات خاصة فقط، وهي ايضاً علامة على عدم استعدادها لقبول الحب الاّ في زمن بعينه. ونحن نرى ان الانثى من الكلاب حين تهيج فيها العاطفة الجنسية تلتمس الذكر وتسعى اليهِ، ولكنها لا تسمح له بالتزاوج الاّ بعد شيء من الدلال والتظاهر بالامتناع والنفور. وبذلك نرى ان عاطفة الحشمة التناسلية في الانثى هي نتيجة لازمة لنشاط الرجل في العلاقات الجنسية وهدوئها واستسلامها فيها. وهذا بدوره ناشىء من ان العاطفة الجنسية للانثى في الانسان وكل الانواع القريبة منهُ دورية اما هو فلا يحتاج الى اي رعاية خاصة من هذا القبيل

ويوجّه جروس النظر الى ان تلك الظاهرة البيولوجية والنفسية الهامة — الدلال — تتوقف الى حد كبير على عاطفة الخجل. بل هي تنشأ من النزاع الداخلي بين الغريزة الجنسية وعاطفة الخجل

(١) معظم الحقائق المذكورة في هذا الفصل مقتبسة عن كتاب ايفان بلوخ «الحياة التناسلية في الزمن الحاضر وعلاقتها بالمدنية الحديثة» وكتاب اوجست فوريل «المسألة الجنسية»

كما ان هناك عاملاً اجتماعياً هاماً في الشعور بالخجل هو الخوف من اثارة الاشمئزاز . ويجدر نذكر هنا نظرية لومبروزو[1] عن الاصل في عاطفة الخجل . فقد لاحظ لومبروزو على كثيرات ن البغايا امتناعهنّ عن الكشف الطبي اثناء الحيض وهو يقول بان هذا هو الاصل في عاطفة الخجل ند المرأة البدائية الاولى : أي خوفها من اثارة الاشمئزاز في نفس الرجل

وقد قام ريشه بدراسات واسعة عن الاصل في هذ الاشمئزاز فوجد انهُ انطلاق رائحة خاصة تسبب الاشمئزاز والنفور عند كثير من الشعوب البدائية ، وهذا سبب تستُّر النساء عن غيرهنَّ وخصوصاً عن افراد الجنس الثاني

على ان لعاطفة الخجل علاقة وثيقة بعادة ارتداء الملابس وخصوصاً في الاطوار المتأخرة للحضارة. وذكر كارل فون دن ستاينن في مشاهداته الخاصة عن قبائل البقارى التي تقطن في البرازيل الوسطى ما يأتي :

«لا يمكن ان اعتقد أن عاطفة الحياء التي لا تنعدم تماماً بين هؤلاء الهنود المراة عاطفة أولية في الانسان . وأنا مضطر الى الايمان بأن هذه العاطفة لم تبدأ في الظهور إلاَّ بعد ان اعتاد الانسان ستر بعض اجزاء جسده بالملابس ،وأن عُرْي المرأة بدأ يسترعي أنظار الغير حين عمد تعقيد الحياة الاجتماعية والاقتصادية على الزيادة من قيمة الفتاة القابلة للزواج . كما أني اعتقد أننا نزيد من صعوبة هذا التعليل كلما عزونا الى أنفسنا عاطفة من الحياة أقوى مما نملك فعلاً »

وفي مجتمع يحيا فيه كل انسان عارياً لا يكون العرْي الاَّ امراً طبيعيًّا لا يدعو الى الخجل ولا يثير الشهوة . بل إن الملابس القصيرة الشفافة التي ترتديها الراقصات في اوربا أقل تحشماً من عرْي المرأة الهمجية . وقد قال احد العلماء الطبيعيين في هذا الصدد ان الجسم الذي تستره الملابس أشد اثارة للعاطفة الجنسية من العرْي المطلق . وقال سنو إن مصاحبة المرأة الهمجية العارية اقل تنبيه للعاطفة الجنسية من مصاحبة المرأة الانيقة في « الصالونات » الحديثة . وقال ريد « ليس هناك ما هو اكثر تحشماً ولا اقل اثارة للشهوات من العرْي » . ومن البديهيّ ان هذه الحالة لا تكون صحيحة الاَّ اذا أصبح العُرْي عادة يمارسها الجميع . وقد حاول بعضهم ان يروض المتوحشين على ارتداء الملابس بقصد الاحتشام فكانت النتيجة عكس ما أرادوا

والانسان يتعود سريعاً حالة العرْي كما لو كانت امراً طبيعيًّا . أما قبائل البقارى التي تمارس العُرْي المطلق فانها لا تولي «الاعضاء التناسلية» أي اهتمام خاص . وهي تتحدث عنها بعدم الاكتراث التام . ومن السخف أن نعدهم جَرَأة لهذا السبب . اما الكيس الذي يستعملهُ الرجل والفوطة أو الاركان التي تستعملها المرأة فليس الغرض منهما ستر الاعضاء التناسلية ولكن يقصد بهما هذه الاعضاء من عوامل الاذى الخارجية بقدر الامكان

ومن الهزل ان نعد هذه القطع ا[illegible] المعنى الصحيح لانها لا تستطيع ان تخفي

وهي في الواقع وسيلة من وسائل التزين والفتنة ولا علاقة لها بالحشمة مطلقاً

وكذلك نستطيع أن نلاحظ بين بعض قبائل البرازيل الوسطى التي تتبع في حياتها نظام العصر الحجري، كل نتائج العُري المطلق، كما نستطيع أن ندرك أن العُري لا علاقة له بالشهوة كما نفهمها نحن فان العوامل الفسيولوجية لعاطفة الحياء ليست من القوة بحيث تؤدي الى ظهور هذه الظاهرة النفسية في هذه الصورة الواضحة

وقد قام ستراتز بدراسة ملابس المرأة في الاجناس المختلفة دراسة دقيقة ، وكان مما ذكرهُ عنها « ان الغرض الاول والوحيد من استعمال الملابس عند الانسان البدائي هو الزينة لاستر الجسد ». لان الرجل العاري لا يعرف الخجل بعكس الرجل الذي يستعمل الملابس . وهذا ينطبق على الانسان المتوحش والمتمدن سواء بسواء . بل ان الانسان لا يشعر بالخجل من اي مظهر من مظاهر العُري التي تقتضيها منهُ « الموضة » والدليل على ذلك موقفهُ من ملابس السهرة (الديكولتيه)

وتمدّنا دراسة تاريخ الملابس والموضة بالعوامل الهامة لفهم الاصل في عاطفة الحياء عند الانسان الحديث ولتقدير حدودها الطبيعية . هذا فضلاً عن ان للملابس علاقة مباشرة بالحب كظاهرة نفسية . وقد قال هرمان في هذا المعنى « ما اعظم الاثر الذي يحدثهُ الحب في جميع درجاته في الملابس ! وما اقوى ما تفصح الملابس عن الحب ! »

وقد اثبت وسترمارك وغيره من علماء الاجتماع أن الوشم وصبغ الجسم وغيرهما ليستا الاَّ رموزاً للملابس لجأ اليها الانسان البدائي الاول . وقد قال بلوس بارتل في هذا الصدد « لا يمكن أن اشك في ان الوشم عند الانسان الاول كان يرمي الى غرض آخر غير ستر عريهِ ». وكذلك قال جوزيت وهو اكبر الثقاة في الوشم : « كلما قلّل الرجل من ملابسه زاد في وشم جسده وكلما زاد منها قلل من وشمه »

وللوشم غرض آخر هو التزين والفتنة وتنبيه العاطفة الجنسية . وقد استعمل الوشم في اغراض اخرى طبية او سياسية او اجتماعية (للتفريق بين الطبقات مثلاً) ولكنهُ كان مع ذلك عاملاً من عوامل الفتنة التناسلية . وليس أدل على هذه الناحية من ان فتيات بعض الاقوام الهمجية يعتدنَ وشم الاعضاء الخاصة . وقد يحسب الناظر لاول وهلة أنهنَّ يسترنها بفوطة خاصة وذلك لقرب الشبه بينها وبين الوشم . كما ان بعض هذه الاقوام تقوم بعملية الوشم عند بدء ظهور الحيض . ولا يصح ان نغفل أثر اللون في الوشم . فان العلاقة بين اللون والعاطفة الجنسية وثيقة (لانج)

ويظهر ان الوشم كتنبيه تناسلي بدأ ينتشر انتشاراً واسعاً بين الطبقات العالية في المجتمع الباريسي رجالاً ونساء على السواء . ويرسم الوشم على اشكال مختلفة ولكن يضيق بنا المقام عن احصائها

نرى من ذلك ان الغرض الاول من الملابس لم يكن ستر الجسد وانما كان التزين . اما استعمال الملابس بغرض الستر فقد نشأ فيما بعد ، حين اكتسبت منطقة الاعضاء التناسلية شيئاً من الرهبة والاحترام... حينئذٍ فقط بدأ الانسان يخفيها حتى يقي غيره شرّها او حتى يقيها شرّ نظرات الناس

وقد تقدم بعض الباحثين بنظرية جديدة يقولون فيها ان استعمال الملابس انما نشأ عن غيرة الرجل الاول . ويستدلون على ذلك بأن المرأة المتزوجة عند بعض الاقوام الهمجية يحتم عليها ارتداء الملابس بينما تمضي الفتاة غير المتزوجة عارية تماماً . وذلك لان المرأة بعد زواجها تصبح جزءاً من متاع الرجل . فلما امتدت فكرة الامتلاك حتى شملت العلاقة بين الاب وابنته غير المتزوجة اضطرت الاخيرة الى استعمال الملابس أيضاً . ومن هنا نشأت فكرة العفاف وعاطفة الحشمة التناسلية

والامثلة كثيرة على ان ستر الاعضاء التناسلية في اول الامر لم يكن ناشئاً عن الشعور بالخجل او الحشمة ، وانما كان — الى جانب اعتباره من وسائل التزين — منبهاً تناسلياً هاماً . وقد استعملت كل انواع التزين للفت النظر الى منطقة الاعضاء التناسلية والعجزين . وكانت محاولة سترها تنبه الشهوة اكثر من العُري التام . وهذه ظاهرة نشاهدها كل يوم في حياتنا المتحضرة اليوم

ويقول فاري ان وسائل الانسان في الاستمتاع تفوق وسائل الحيوان كثيراً ، لأن الحيوان لا يعرف التزين المتصنع ، اما في الانسان فان هذا الستر الشفاف الناقص الذي تدعي به المرأة اخفاء محاسنها انما يعمل في الواقع على كشفها وعلى اثارة الشهوة في نفس الرجل الى غير حد « فكلما قلّ ما يراه الرجل من جسم المرأة زاد ما يصوره له خياله عنه » وليس العُري التام المطلق هو الذي ينبه العواطف التناسلية عند الانسان ولكنه « العُري الناقص » الذي يمارسه في حياته الآن . ويقول وستر مارك في هذا الصدد ما يأتي « لدينا أمثلة كثيرة على الشعوب التي تمارس العُري التام ولكنها تستعمل بعض الملابس احياناً . وهذه الملابس لا تُرتدى الا لغرض التزين والفتنة فقط ، حتى ان في بعض هذه الشعوب يقتصر استعمال الملابس على العاهرات اللواتي يقصدن بها تنبيه العاطفة الجنسية عند الرجال . ونحن نعلم انه في بعض شعوب افريقيا الوسطى تمضي النساء المتزوجات عاريات تماماً بينما تستر الفتيات غير المتزوجات انفسهنّ بالملابس (تنبيهاً للرجل الى الزواج)»

ولعلّ في دلالة الملابس كمنبه تناسلي عند الاقوام البدائية ما يظهر ما لها من الشأن في «الموضة» عند الشعوب المتمدنة . لانهم يتوسلون بها الى تنبيه الشعور الجنسي عند الرجل تنبيهاً قوياً وذلك بالاستعانة بها على اظهار بعض المحاسن واخفاء بعض العيوب . وقد استغلّ موسى هذا التأثير النفسي للملابس في زيادة الانسال بين قومه ، فأمرهم باستعمال الملابس لاخفاء محاسن المرأة « حتى تنتبه عواطف الرجال ويزيد الانسال » وقد اعترض على العُري بحجة انه أمر غير لائق ، ثم جاءت المسيحية فحرّمته بحجة خروجه على الآداب العامة . ونحن نستطيع ان نجد شبيهاً لهذا التغيير في الرأي في مئات الامثلة التي تزخر بها حياتنا العامة الآن

اما أقوى المنبهات الحسية فهي حالة « الاخفاء الجزئي » أو «العُري الناقص» : اي قرن ا محاسن الجسد مع محاسن الثياب . ولعلّ هذا ايضاً من الأسباب العامة في وجود ما يسمى « الت الخيالي للثياب » وهو احد الامراض التناسلية النفسية

غيوم الخريف

خليل شيبوب

جاء الخريف بغيمه يتهادى ... في الجوّ مطرداً عليه طرادا
لما علت شمس الضحى خلعت على ... تلك الغيوم من النضار بجادا
مدّت اشعتها حبالاً فوقها ... نشر الخريف غيومه ابرادا
فكسا بها الافق القصيّ مطارفاً ... تذرو عليها الماطراتُ رمادا
شيبت سواد في البياض فشابهت ... شَيْباً علا فوق الرؤس سوادا
ان الغيوم سرادقات فخمة ... ركزت لها تلك الشعاع عمادا
او انها صحف النذير الى الورى ... بشتائهم أنْ قد دنا ميعادا
او ان هذا الجوّ صدر واسع ... تغلي اشعة شمسه احقادا
حانٍ على بحر خضمٍ هائج ... يرغي بموج غيومه ازبادا
فاذا صفا وصفت تدرج وشيها ... يققاً مدارجهُ اتسقن صعادا
رقّت حواشي بردها وتباعدت ... فاذا السماء وراءها تتهادى
كغلالةٍ زرقاء جلّل لونها ... وشي المخرّم فوقها اسنادا
يا حسن اوبة السلام خوافقاً ... خفق القلوب اذا خلصنَ ودادا

حارت بها هذي الطبيعة فاكتست ... بالظلّ مدّ ذيوله وتمادى
والماء رقّ وراق يجري منسياً ... حرّ الهجير وجرهُ الوقادا
الارض جسم والمياه لها دم ... يغذو بها الاغوار والانجادا
عادت الى الحقل العوامل بعد ما ... في الصيف كنّ فرغنَ منه حصادا
وتنفس الحيوان في روحاته ... وغدا يطيب له التراب وسادا
وتعرّت الاشجار من اوراقها ... وتبدّلت اغصانها اعوادا
وتداعت الاطيار من آفاقها ... تبني الوكون وتستحثّ الزادا
وبدت طلائع للشتاء مغيرة ... جاءت بأول برده مرتادا
ان الشتاء لكل حي راحة ... تسليه من عنت الحياة جهادا
مترقباً عود الربيع وعودها ... بقوى الشباب كأنه قد عادا

سبحانك اللهمّ كونك كله ... نظم تقلبها هدًى ورشادا
قد شدته للناس دار عبادة ... وبه دعينا في الكتاب عبادا
[illegible] خافية مظاهرة لك التسبيح ان همساً وان انشادا

وأثر الملابس من هذا القبيل مزدوج : فهو اولاً اظهار بعض اجزاء الجسم بصورة قوية واضحة في شكل الملابس ومن قطعها ومن بعض ادوات التزين فيها . والثاني اخفاء بعض الاجزاء الاخرى

ثم ان تقسيم الملابس الى داخلية وخارجية له دلالة تناسلية هامة أيضاً . وقد كانت الزيادة في عدد قطع الملابس هي التي صبغت بالشهوة فكرة « ارتداء الملابس او خلعها » اي فكرة التجمل « والتواليت » . وقد اصطحبت هذه الفكرة بأخرى هي ان الخصر — وخصوصاً في المرأة — يفصل الجسم الى منطقتين : منطقة عليا مختصة بالقوى الذهنية ومنطقة سفلى مختصة بامور الجسد

وقد مهّد هذا التميز والتقسيم في الملابس ميداناً خصباً تنشط فيه « الموضة » التي يرجع عهدها بالظهور الى القرون الوسطى . فالموضة اذن هي ثمرة من ثمار القرون الوسطى وأهم عواملها المميزة في ذلك الحين هو المشد « الكورسيه »

وقد ذكر ستراتز بهذا الصدد في كتابه الشائق « ملابس المرأة » ما يأتي : —

« قد يبدو غريباً ان يكون الاصل في ظهور الكورسيه عند المسيحيين هو عبادتهم لله ، ولكن هذه حقيقة لا سبيل الى الشك فيها . فان رجال الدين في ذلك العهد كانوا يتمتعون — على الاقل في الحياة العامة — بنفوذ واسع النطاق ؛ وكانت النظرة الادبية السائدة اذ ذاك تقضي بستر كل ما يمكن ستره من جسم المرأة وبقمع شهوات الجسد . وكانت تقضي على اي حال بتغطية الاعضاء المميزة للمرأة عن انظار الرجل الخاطئة . وكان الناس يعتقدون ان المرأة وقد ادخلت الخطيئة الى العالم يتعين عليها ان تخفي من أعضاء جسدها كل ما يمكن ان يدعو الى الخطيئة . وبينما نرى ان الرجل كان يحاول جهده في انماء صدره وفي الظهور بمظهر القوة والفتوة ، اذ نرى ان المرأة فيما بين القرن الثاني عشر والسادس عشر كان تعمل على ان يكون صدرها منبسطاً وضيقاً بقدر الامكان . وكانت تستعمل لهذا الغرض نوعاً اولياً من الكورسيه »

ومن الغريب ان الموضة استخدمت الكورسيه فيما بعد لعكس هذا الغرض تماماً : أي لاظهار الثديين وابرازهما بقدر الامكان . وقد كانت الموضة منتصرة دائماً على طول الخط في النزاع الذي قام بينها وبين النظرة الادبية في القرون الوسطى

وقد ذكرنا ان الكورسيه باظهاره الفرق واضحاً بين بروز النهدين ورشاقة الخصر قد عمل على زيادة ظهورهما . ثم جاء « الديكولتيه » فكشف عن الجزء الاعلى من الثديين . وهذا امر مشاهد في المراقص والحفلات ولكنه يدعو الى كثير من النقد . حتى ان رجلاً واسع الصدر كثير التسامح من نواح اخرى مثل هيرث اضطر ان يهاجمه بكثير من الشدة والعنف . علاوة على ان تلك الحفلات لا تخلو من الخمر عادة . والرجل تحت تأثير الخمر عرضة لان ينظر الى تلك المحاسن المكشوفة نظرة ليست ادبية كلها

على ان الكورسيه — علاوة على الناحية الادبية — عيوباً اخرى تتصل بالصحة ، فهو يعوق

س الصحيح ويسبب فقر الدم ويضغط على الاعضاء الداخلية في التجويف البطني ضغطاً مؤذياً خصوصاً المعدة والكبد) ويسبب هبوط الكليتين والكبد وارتخاء البطن وقد يؤذي الثديين نضغط عليهما فينتج عن ذلك ضمورها واصابة الارضاع بعطل كبير . وهو فضلاً عن ذلك يفسد ام المرأة افساداً كبيراً ويشوه العمود الفقري وعظمتي الفخذ وهلم جراً . اما فوائده المزعومة كلها اوهام باطلة . ولن تعرف المرأة القوام الرشيق حتى تتحرر منه . وقد هاجمهُ عدد كبير من لاطباء المعروفين نذكر منهم فون كرافت ايبنج الذي قال عنهُ «انهُ اشد الاخطاء نكراً في ملابس رأة» ومنج Menge الذي درس آثاره السيئة في المرأة دراسة عميقة وافية

وقد ظهر أثر الفوارق الجسدية بين الرجل والمرأة من ملابسهما . ولعل هذا الفرق اوضح ما يكون في طول ساق الرجل عن المرأة مما يجعله اسرع عدواً منها . ولما كانت ملابس الرجل تظهر سيقانه بشكل جلي فانها لا توافق المرأة وخصوصاً عند وقوفها . وهذا سبب هام من اسباب الخلاف بين ملابس الرجل والمرأة

كما ان ملابس الرجل تتميز عن ملابس المرأة ببساطتها وميلها الى التشابه . وهذا فيما اعتقد راجع الى تفوقه من الناحية الذهنية مما يغنيه عن الاستعانة بالملابس لاظهار شخصيته . وقد كانت المرأة في الزمن الماضي مخلوقاً تناسلياً فحسب فاضطرت ان تستغلَّ الملابس لعدة اغراض : كوسيلة للفتنة والاستعاضة بها عن حياة النشاط التي كانت تنكرها عليها الطبيعة والتقاليد . أما الرجل فلم يفكر في استعمال الملابس كنبه من هذا القبيل الا في القليل النادر

ثم ان بين الملابس والحياة التناسلية علاقة اخرى مباشرة : هي أثر بعض مواد الثياب في الجلد . فان الملابس الصوفية والفراء مثلاً من المنبهات التناسلية . وقد شبه ريان أثرها في الجلد بالسياط . وللقطيفة أثر مماثل لهذا ايضاً . كما ان المنبهات الناتجة عن الشم لها أثرها في هذه الناحية . وقد كتب احدهم الى زوجته خطاباً يصف فيه شعور اللذة الذي ينبعث الى نفسه من دفن رأسه في فرائها واستنشاق رائحته . وهو يعزو سحر المرأة وسيادتها الى أثر الفراء فيها !

واذا كنا قد ذكرنا ان ملابس الرجل اقل خضوعاً لرق الموضة من ملابس المرأة فاننا نذكر الآن ان المرأة قد بدأت تنحو نحو البساطة وبدأت تتحرر من اغلال الموضة وتشاد على اساس الصحة والفائدة . ومما يستحق الذكر ان المرأة نفسها هي التي تقود هذه الحركة . وهذا دليل جديد على العلاقة الوثيقة بين الشخصية والملابس ، لاننا اذ نطبق هذه النظرية لا نرى في ميل المرأة نحو بساطة الملابس الا أثراً منطقياً لتحررها . ونحن لن نجد مثالاً افضل لحرية الملابس ومطابقتها للبساطة وقواعد الصحة من ملابس المرأة اليابانية . على ان الموضة لا تزال كما كانت في الماضي هي صاحبة السلطان على الملابس النسائية ونحن نرى أثر ذلك كل عام في الاكتشافات الجديدة وفي وسائل التحسين والتجميل وفي طرق الاظهار والاخفاء وفي غيرها من الوان التحايل التي تدخلها عليها .

ولم يظهر لنهضة المرأة بعد سوى أثر واهٍ ضعيفٍ في سبيل تحرير ملابسها من رق الموضة

العلاقة بين عاطفة الحشمة والعري في الحضارة الحديثة : — رأينا كيف ان الموضة في مظاهرها المختلفة تعمل على اضعاف الشعور بالخجل . ولكن الملابس من ناحية أخرى هي السبب الوحيد في ظهور عاطفة الحشمة . فالحشمة لا تعرف الاَّ الانسان الذي يستر جسده بالملابس وتنكر الانسان العاري كل الانكار . وهي ترفض الاعتراف بالآثار الخلقية والادبية للعري الطبيعي : فان هذه الحالة من وجهة نظرها نابية على الآداب باعثة على النفور والاشمئزاز . ونحن — الفريق المتحضر من الانسانية — يجب ان نعزو الى الحشمة السبب في ضياع مزاج العري الطبيعي من اذواقنا وكذلك السبب في ضياع عاطفة الخجل الطبيعية

فالعري الطبيعي — وهو الحالة التي يأتي بها الانسان الى هذا العالم — يخرج عن ان يكون موضعاً لتأمل الرجل ذي التفكير السليم الذي لا يرى في الجسم العاري شيئاً يخالف ما يراه في الجسم المغطى بالثياب . والناس المحتشمون يصرحون بهذا حين تتاح لهم الفرصة لرؤية مناظر العري في حالة طبيعية اثناء الاستحمام . ولا يصبح للعري أثر منبه للشهوة الاَّ حين تدخله عمداً تلك العوامل الصناعية التي تؤثر في العاطفة الجنسية . فالحشمة اذن ليست الاَّ نظرة خاصة ازاء العري تختبيء في طياتها الشهوة

ان اخفاء الامور الطبيعية هو الذي يبعث رغبة الانسان فيها ويهيج شوقه اليها . وقد بالغ الناس في هذا العصر في عاطفة الخجل الطبيعية وتشددوا في كبت نواحٍ طبيعية من الاحساس والنشاط فأدى ذلك الى زيادة الرغبات الخبيثة زيادة كبيرة . وليس هذا في الواقع الاَّ وقوداً جديداً يضاف الى نار الشهوات الجسدية أما شعور الخجل الطبيعي الاول فانهُ يضعف من الشهوة . واليهِ يرجع الفضل في السمو بالعاطفة الجنسية . وهو وثيق الارتباط بالامتناع الاختياري المؤقت الذي لا ينكر شأنهُ في حياة الانسان كما انهُ هذب الغريزة الجنسية دون ان ينكر مطالبها

والثقافة الكاملة تقتضي البراءة التامة . وهي تنكر كل الانكار عملاً كالذي اتاه ذلك القسيس المصاب « بمرض الشمة » حين هشم الاعضاء التناسلية لبعض التماثيل القائمة في متحف درسدن ، كما انها لا تجرد الروح الانسانية من الشعور الجنسي ولكنها ترى في العاطفة الجنسية امراً نبيلاً طبيعيًّا

ان الشعور بالخجل حادث مكتسب من الحضارة ولا يمكن تحويله : هو احترام الذات . ولكن هفلوك إليس يقول بحق ان احترام الذات في الانسان المثقف الراقي يقف حائلاً دون الغلوّ في شعور الخجل . لان المعرفة والثقافة تكبح الحشمة الزائفة . والانسان المتثقف يحاول ان يكون طبيعيًّا في كل شيءٍ ، وهو يرى في الحياة التناسلية جزءًا هامًّا لا يتجزأ من الحياة العامة : يرى شيئاً معقولاً لا ضرر منهُ ولا يجوز الاستخفاف بهِ كما لا يجوز الغلو في تقديره كما يفعل المنافقون في تقديرهم للحشمة

السيكلوجية الحديثة

التحليل النفساني

ليعقوب فام

فرويد

عقل فرويد خصب جداً في ابتداع النظريات ، يرسلها ارسالاً كلما وجد حاجة ماسة اليها ، وكلما وجد انها تتفق مع ما يقابله في علاجه من العقبات . انهُ لا يعنى كثيراً بتحقيق هذه النظريات وجمع الادلة عليها من الواقع او من التجارب في المعامل النفسية ، لا يفعل هذا لانهُ لا يؤمن بالسيكلوجية التجريبية كما قدمنا في مقال سابق ، ولا يفعله ايضاً لانهُ معنيٌّ بمعالجة الحالات التي تعرض له دون ان يهتم بالسيكلوجية نفسها كعلم قد ينفع وقد لا ينفع في شفاء الامراض ، وكل ما يهتم بهِ هو هل تنطبق النظرية على تلك الحالة المعينة بذاتها التي يعالجها في وقت معين او لا تنطبق ؟

قلنا في المقال السابق ان برور وفرويد وجدا صعوبات في تنويم المرضى منها انهُ يستعصي على بعضهم ومنها ان بعض من ينام منهم يصبح مفتوناً بالطبيب ، فحلَّ برور هذه المعضلة بان ترك هذا الضرب من العلاج تركاً باتاً ، واما فرويد فقد حلها بأن اغفل التنويم من طريقته في العلاج واستعاض عنهُ بشيء يشبههُ قليلاً ويفضي الى النتيجة نفسها ، وهو ان يضع المريض في حالة بين بين ، بجلسهُ على مقعد مريح ، ويوحي اليهِ بالطمأنينة والثقة ، وانهُ حرٌّ في ان يقول ما يشاء من غير حاجة الى التردد او محاولة كبت بعض الخوالج النفسية ، وبعبارة اخرى استعمل فرويد طريقة تداعي الخواطر بدلاً من التنويم ، فوجد انها تنفع في الحالات التي كانت تستدعي التنويم

ونظريته في تداعي الخواطر « Association » هي انهُ لا بدَّ من ان تقود المريض الى الكشف عن علتهِ الاصلية وعمل الطبيب الذي يكون قد ألمَّ بعوارض المرض وعرف تاريخهُ وملازماته هو ان يترقب الخواطر التي تكون لها صلة مباشرة او غير مباشرة بالمرض ، وان يبحث فيما يقصهُ المريض عله يجد علاقة بينهُ وبين مرضه ، فيدله على هذه العلاقة ويفتح ذهنه ، ويعينه على ان يضع الاشياء في مواضعها الاصلية من غير مبالغة او مغالاة او اغراق ، والمرض النفسي هو في الواقع نوع من الاغراق والمبالغة في الاهتمام ببعض المشاعر والرغبات

ولكنهُ وجد ان بعض المرضى يغربل تلك الخواطر والمشاعر ويختار منها ما يصرح بهِ وما لا يصرح بهِ ، فيحكم عقله فيما يقول وفيما لا يقول ، فما كان من فرويد الاَّ انهُ سارع ووضع نظرية المقاومة Resistance ليحل هذا الاشكال ، زاعماً ان في المريض شيئاً او قوة او ملكة او سمهِ كما شئت وهذا الشيء يدفعه لان يداري عن بعض المشاعر النفسية ويحتجزها في قرارة النفس كانهُ يبقى عليها ليوم آخر او لظرف آخر ، او كأنهُ لا يملك افشاءها لسبب من الاسباب يجهله هو نفسه في معظم الحالات

***

اخذ فرويد يبحث في هذا الشيء الذي يبقي على بعض الحقائق ويضن بها ان تعلن فيما بين الناس او فيما بين المريض ونفسه ، اخذ يتساءل عن السر في هذه المقاومة ، ولماذا يقاوم المريض اصلاً اذا كان الافشاء لا يقصد بهِ شيئاً سوى شفاء المريض ورده الى حالة الصحة والسلامة . ما الباعث على هذا ؟ وكل الامور تدل على انهُ من حق الطبيب ان يعلم ومن حق المريض لا بل من واجبه ان يتكلم

ثم اخذ فرويد يجادل مرضاه ويقنعهم ان يذكروا له كل ما يعنّ لهم من غير ان يتخيروا شيئاً الكلام فيه وشيئاً للضن بهِ ، فكان من المرضى من يقول ان ما يحتجزه هو في الواقع شيء سخيف وتافه لا شأن له في الموضوع ، ومنهم من يقول صراحةً انهُ لا يفضل ان يتحدث فيما توارد على خاطره في تلك اللحظة لانهُ لا يقدم ولا يؤخر في العلاج ، ومنهم من كان لا يقول شيئاً ولكنهُ يتردد في الحديث ويبدو عليه هذا التردد وانهُ يجاهد نفسه في اخفاء شيء بذاته

ولكن ما هذا الذي يصر على التضليل بفرويد ؟ ليس هو المريض بالطبع لان المريض قد حضر ليتعالج وليس ليقاوم الطبيب ويسد عليهِ المنافذ ، لم يأتِ ليجاهد ويناهض ويرتأي الآراء فيما له شأن في العلاج وفيما ليس له ذلك الشأن . وانما اتى طائعاً مختاراً ليسلم نفسه للطبيب ويخضع لنصحهِ ومشورته ، حار فرويد في هذه الظاهرة زمناً ، واجترّها زمناً آخر ، واذا هو يتقدم للعالم ، ذاتَ يوم ، بنظرية طريفة ، وهل يفعل فرويد شيئاً سوى ان يقدم للعالم نظرية لأية حالة معينة قد تقع بين يديهِ

ومحصل هذه النظرية انهُ قسم العقل الانساني ، او النفس الانسانية ، او الشخصية ، او سمها كما شئت الى قسمين قسم واعٍ شاعر بما يعمل ، وهو ما يحسه الانسان ويعمل بناءً على مشورته ، عارفاً في الوقت نفسهِ انهُ ينشط ويتصرف اجابة لداعي هذا القسم ، ثم سمى هذا القسم بالواعية Conscious ، وقسم آخر يشعر ايضاً بما يفعل ويريد ، ويعرف الدواعي لهذا الفعل وهذه الارادة ولكنه يخفي جميع هـذه عن الانسان نفسه ، ويخفيها ايضاً عن الواعية نفسها ويضن بها ان تعرف

[illegible]

مد الاَّ انهُ يملك من الوسائل ما يجعله يستطيع ان يستخدم الواعية كيف يشاء ومتى اراد ، وهذا قسم اسماه العقل الباطن Unconscions ، والعقل الباطن هذا له اغراضه وغاياته التي يسعى الى تحقيقها ، وهو يحققها بجميع الوسائل المشروعة وغير المشروعة ثم يطلب الى الواعية لا بل يأمرها ان تسوّغ هذا التصرف امام الناس وأمام نفسها بأية طريقة تراها منتحلة له من الاعذار ما يرضيها ويرضي الناس ، هذا شأنها الذي لا يتدخل فيه العقل الباطن ولا يعنى بهِ بحال من الاحوال

ولكن هل حقق فرويد نظريته هذه ؟ هل اجرى عليها التجارب العلمية المطلوبة ؟ هل اختبرها بشكل يقطع كل شك في صحتها ؟ هل يستطيع ان يجزم ان العقل الانساني ينقسم الى واعية ولا واعية ؟ لا بل هل يستطيع ان يجزم بأن العقل الانساني ينقسم اصلاً ، واذا انقسم فهلاً ينقسم الاَّ بهذه الطريقة وبهذا الوضع ؟ وما هي التجارب العلمية التي اجراها حتى يتحقق من هذا الزعم ؟ اما فرويد فانهُ لم يجر تجارب اصلاً ، ولم يحاول ان يتحقق بوجه من الوجوه من صحة هذه النظرية لا بل نزعم انهُ لا يستطاع التحقق من صحتها بالوسائل السيكلوجية المعروفة لدينا في الوقت الحاضر ، وكل ما نعرفه عنها الآن انها قد تصدق وقد لا تصدق . وكل ما يقوله فرويد هو ان هذا هو الاساس الذي أسير عليه في علاجي ، وأرى انه يفيد ، وأرى انه معقول ، ثم ارى انهُ ينطبق على الحالات التي تعرض لي ، وتستطيع ان ترى صحة هذه النظرية اذا ما دققت النظر في الحالات التي تعرض عليك

ولنسلّم جدلاً بأن هذه النظرية صائبة ، وانها هي الواقع والحق ، فاذا بعد ذلك ؟ ما هو السبب الذي يدعو الى المرض العصبي في هذه الحالة ؟ العقل الباطن يريد شيئاً فيفعله ، يسعى الى الشيء فيحصل عليهِ ، ويطلق الواعية على الناس وعلى الانسان نفسه لتسوّغ هذا التصرف او هذه الشهوة ، فأين العقدة في هذا اذن ؟ ولماذا تنشأ العقدة Psychoses or Complex اصلاً في هذا النظام ؟

***

عرضت هذه الاسئلة لفرويد كما عرضت لنا الآن . نحن نقف عندها حائرين ، واما هو فلا يحار لانه يحل هذه المعضلة بنظرية اخرى او بتعديل في نظريته الأصلية ، فقد قلنا ان عقل فرويد خصب في اختراع النظريات فبعد ان قسم العقل هذا التقسيم ، عاد فقسم النفس الى ثلاثة أقسام حتى يستطيع ان يوجد مجالاً للعقدة في المرض النفسي او العصبي ، لان العقدة في المرض العصبي كما لا يخفى هي معضلة لم يجد الانسان لها حلاً معقولاً يريح النفس ويجعلها تتفرغ لشئونها ، وانما هي موضع للنزاع العنيف بين بعض عناصر النفس

زعم فرويد ان العقدة تنشأ من ان النفس تنقسم الى ثلاثة أقسام ، اولها هو النفس النزوعية [illegible]

[illegible]

انه شهوة مستعرة مستديمة ، تطلب شيئاً في كل حين ، وتنزع الى اطفاء غلتها في كل آن ، ليس عليها الا ان تطلب وتلحف في الطلب . لا تفكر الا في نفسها ، وفيما تستطيع ان تحققه لنفسها من المنافع واللذات ، هذا القسم هو في جوهره الرغبة والطلب والشهوة والهوى

وهنالك قسم آخر وهو الشخصية Ego ووظيفة هذا ان يصل فيما بين الانسان وبين الدنيا الخارجة عن ذاته objective التي تحيط به ، بهذا القسم نتصل عن طريق الحواس بالاشياء والاشخاص والآراء ، وبهِ نتفاعل مع هـذه الاشياء والاشخاص والآراء ، بهِ نقوم بوظيفتنا في المجتمع ، يأخذنا الى الديوان ، ويقابلنا بالرئيس ويجعلنا نفهم ما يطلبه منا الرئيس ، ويحرص على ان لا نغضب هذا الرئيس ، او نغضب غيره من ذوي النفوذ والسلطان ، ثم بهِ نؤدي ما يطلب منا في الديوان وفي غيره ، ثم يعود بنا الى المنزل حيث نستريح ونستمتع بالحياة

***

لو سكت فرويد عند هذين القسمين لما استطاع ان يحل المعضلة التي اعترضتنا ، لاننا لو سلمنا جدلاً بصحة هذا التقسيم لما استطعنا ان نرى سبباً للامراض العصبية تنشأ في النفس وتصيبها فتعطلها عن ان تؤدي وظيفتها ، فاننا نستطيع ان نرى انه من الميسور جداً ان يكون في النفس قسمان مثل هذين ومع ذلك تعيش بمنجاة عن الامراض العصبية ، تستطيع الشهوة ان تتحقق ، وتنال ما تريد من اللذات المحللة والمحرمة ، وتستطيع الشخصية ان تقوم بوظيفتها من ايصال الانسان بالعالم الذي يحيط بهِ في نفس الوقت ، يستطيع كل من هذين القسمين ان يقوم بوظيفته من دون ان يعطل الآخر ومن دون ان يكون ثمة حاجة الى عقدة تنشأ في نفس الانسان ، وبعبارة اخرى لا يستطيع هذا التقسيم ان يعطي سبباً معقولاً للمرض النفسي

وهنا يأتي القسم الثالث من النفس الانسانية حسبما يراها فرويد ، ذلك القسم عجيب حقاً لانه لا يمكن التحقق من وجوده بأي طريقة علمية فيما نرى . لقد اقترحه فرويد وعلى العالم العلمي ان يقبله او يرفضهُ من غير سؤال او جواب شأننا في معظم ما يتقدم بهِ فرويد . هذا القسم يحل الاشكال في رأي مدرسة التحليل النفساني ، ثم ان هـذه المدرسة تزعم ان له وجوداً فعلياً في الواقع ، اما كيف نتثبت من صحة هذه المزاعم ، كيف نثبت وجوده من غير ان يتسرب الى منطقتنا الشك فهذا لا يعني تلك المدرسة على الاطلاق . لقد قالت انه موجود ، وقالت ايضاً انهُ ينطبق على جميع الحالات التي تعرض لاطباء هذه المدرسة وكفى ، ليس لهم شأن بالشكوك التي تساورنا من جميع [النو]احي ، ذلك لان السيكولوجية الاكاديمية سيكولوجية ترتاب وتشك في كل شيء ما لم تصدمها [الحقا]ئق صدماً عنيفاً ، وما لم يتعذر عليها الشك بوجه من الوجوه ، ثم يجب ان لا ننسى ان فرويد [و]مدرسته لا تقيم وزناً للسيكلوجية الاكاديمية اصلاً ، فاذا عليها ان تشك هذه المدرسة او تنكر !

سار فرويد ومدرسته لايلويان على شيء ، ولا يقيمان وزناً لتلك الاعتبارات فرضا وجود هذا القسم فرضاً ، وسمياه النفس العليا Super—ego ، وهو شيء اشبه بالضمير في اللغة السائدة ، له مثله العليا وهي النفس الانسانية في اعلى مراتبها ، او هو الانسان كما يجب ان يكون ، ليس كما هو الآن في الواقع ، هذا الشيء خاص بالانسان دون جميع الخلائق ، هو عبارة عن المثل الاعلى ، وأقرب تشبيه له هو نظام الاشكال عند افلاطون او كانط Kant's Cotegorical Imperative ، وهذا نرثهُ فيما نرث من آبائنا وجدودنا ، ولكنه ينمو فينا من الطفولة على ممرّ الزمن بشكل من الاشكال ولكن مبادئه والمقاييس الاخلاقية عنده لا تتغير كثيراً ولا قليلاً

* * *

ولنعد الآن الى العقدة او المرض العصبي كيف ينشأ فنقول ان العقدة تنشأ من نشاط هذه الثلا الاقسام في النفس الانسانية ، بشرط ان يكون نشاطها في وجهات متضادة ، ويزعم فرويد ان هذا ه الحال مع كل انسان في الوجود عاقلاً كان او مجنوناً ، مريضاً او سليماً ، فهو يقول في هذا الصد « مرضاي هم الانسانية كلها » فلكل منا في رأيه عقدة نفسية ، او كل انسان مريض في جانب ه جوانب النفس ، والانسان العادي السليم خرافة من الخرافات لا وجود له ولا أثر . بالطبع تختلف درجات الصحة والمرض باختلاف افراد الناس ، ولكن كل الناس مرضى على اي حال

وينشأ المرض بهذه الطريقة : — يريد الجزء النزوع منا Id امراً وليكن كبيرة من الكب ويلحف في هذه النزعة وتلك الارادة الحافاً شديداً حتى لا تجد راحة او هناءة الا في اجابته الى مطل فتحاول الشخصية الواعية Ego اجابتها الى هذا المطلب فلا بد وان تصطدم باحدى عقبتين ، تصطدم اولاً بالاوضاع الانسانية ، او بالشخصيات الانسانية الاخرى ، فترى ان تحقيق هذه الش متعذر لسبب من الاسباب ، فتعود عليها (على ال Id) فتخاصمها وتقاومها ، وتستمر بينهما الى درجة تصيب الانسان بالمرض العصبي

او قد لا تجد من الدنيا الموضوعية Objective World مقاومة في تحقيق نزعة النفس ه ولكنها تجد هذه المقاومة من النفس العليا فيشتجر الخلاف بينهما وتمرض النفس ، فكأن ال ينشأ من ان النزعة والنفس العليا تغفلان الواقع كل الاغفال ولا تهتمان الا بنفسيهما ، احداهما الشر والاخرى تريد الخير بغض النظر عما تستطيع الشخصية تحقيقه من هذا او من ذاك . ان ه هاتين النفسين مطلب خيالي لايمت الى الحياة الواقعية بسبب ، وما على الجزء العملي فينا او Ego ا يشقى بهذه المطالب الخيالية

والنتيجة ان بكل انسان في الدنيا مسًّا من الجنون . اما فرويد فيقبل هذا الحكم نحن فنرفضه

وحدة العمر

لحسن كامل الصيرفي

تعالَ فقد عرفتُ حدودَ نفسي وأدركتُ السعادةَ ملءَ كأسي
تعالَ إليَّ واملأْ رَحبَ حِسّي فإني اليومَ لستُ خيالَ أمسِ !

***

تعالَ فهذهِ الدنيا حيالي رسومٌ لم تجمَّلْ بالظلالِ
وأنتَ ملاذُ أطيارِ الخيالِ وأنتَ لريشتي اسمى مِثالِ !

***

تعالَ فقد تحطَّمت الكؤوسُ ومالت من تفاعُلِها الرؤوسُ
وتاهت في ضلالتها النفوسُ تعالَ إليَّ تتبعكَ الشموسُ !

***

تعالَ إليَّ يتبعكَ الشروقُ وتلمعُ من خواطركَ البروقُ
فقد سكرَ الظلامُ فما يفيقُ وطالَ على مناجيكَ الطريقُ !

***

تعالَ ، تعالَ أسمِعني غناءَكْ ! تعالَ ، تعالَ صوِّرْ لي سماءَكْ !
تعالَ ، تعالَ أشربني ضياءَكْ فإني اليومَ ظمآنٌ ازاءَكْ !

***

تعالَ تحيَّرني اخذتْ تُوَلّي ! تعالَ فرغبتي بدأت تصلّي
وتنزعُ عن تساميها التدلّي ! تعالَ فأنت اسرارُ التجلّي !

***

تعالَ ، تعالَ طهّرْني بنارِكَ وأهلني لأمزجَ في سوارِكْ
تعالَ إليَّ طهّرني وبارِكْ فؤاداً ظلَّ يفنى في جوارِكْ

***

تعالَ فأنقِذِ الإيمانَ ممّا يحاول أن يحيلَ الطهرَ إثما
ويعمنُ في اجتذاب النفس رغما فما أقسى الحياة تفيض لؤما !

تعالَ فهذهِ كأسُ الليالي بحومُ على حفافيها خيالي
وتلمسها يدٌ تدري ما لي فتُقصيني ، وأيُّ يدٍ أبالي !

***

تعالَ فهذهِ اليدُ كم أشارتْ وحامت في الظلام وما توارتْ
وأزعجتِ النفوسَ وما استثارتْ يداً أقوى تحطمها ، لجاورت ...!

***

يدُ الأقدار تزعجني دَواما وتشهرُ في سكينتيَ السّهاما
وتملأ رَحْبَ إحساسي زِحاما تعالَ نحوِّل الدنيا سلاما !

***

سألزمُ كوخي وأظلُّ أرنو الى الأفُق البعيدِ وأنتَ تدنو
ونورُ الفجرِ يغمرني ويحنو عليَّ صباحهُ وسَناكَ يدنو

***

ستسمع أنت أمواج الاغاني تردّدها مزاميرُ الزمانِ
وتخلدُ في الصدى والصوت فانٍ فهل لك ان تخلّد لي كياني ؟!

***

ستختلف الحياةُ امام عيني تمرُّ طيوفُها وتغيب عني
وتفنى في محيطٍ من تمني وأحلامٍ تلوحُ بكلّ لونِ

***

وما أنا غير طيفٍ من رُؤاها تأخّرَ حينُهُ حتى يراها
ويعرفُ ضعفها ومَدَى قُواها وتفرحهُ وتبكيه مُناها

***

تعالَ فربما جاوزتُ داري فتجذبني الحياةُ الى قراري
فأمشي بين أضواءِ النهار الى ليلي ويهزأ بي انتظاري

***

تعالَ وفيَّ أحلامٌ ورُوحُ ! تعال وفيَّ أطيافٌ تروحُ !
تعالَ وفيَّ أضواءٌ تلوحُ ! تعال وفيَّ أعطارٌ تفوحُ !

***

تعالَ فقد بلغتُ حدودَ نفسي وأطمعُ أن أحقق طيفَ حدسي
فهل لك أن تذيب ثلوج يأسي وتمزجَ حاضري بغدي وأمسي !

آياته في خلقه

الطبيعة رائد المخترعين

﴿ السمك النشّاب والقسي والسهام ﴾ : لئن استوضحت امرءاً تتوسم فيهِ الحصافة « أي [أنو]اع تعتقد ان الانسان مخترعةٌ من اصوله الى فروعه » لاجابك من فوره « القسيّ والنُشّاب » [وما] شا كلها كالبندقية وكل سلاح يقذف قذيفة نارية . والواقع ان من يتوهم ذلك لمخطىء . لان [الطب]يعة اخترعت تلك القاعدة،قبلما عرف الانسان بعصور طويلة ، وسيلة قتل الطيور بقذفها بالحصى [...] ويؤيد قولنا ان كثيراً من النباتات وبعض الحيوانات تتذرع بالقذائف الى الحصول على غذائها [وأف]ضل مثال لذلك « السمك النشّابُ » الذي يعيش في مياه بحار الهند ، ويعرف عند العلماء Toxotes Jaculator اي «السمكة ذات البندقية» ويتغذى غالباً بالحشرات التي تأوي الى النباتات [التي] تنمو على السواحل . ولما كانت تلك السمكة عاجزة عن الوثوب من الماء الى الحشرات حين تحوم [حو]ل تلك النباتات ، فانها تتوسل الى قنصها بقذفها ببندقيتها ، أسوة بالصائد الذي يصوّب بندقيته [الى ا]لطيور من بعيد . فترى السمكة تشتف الماء حتى ينتفخ شدقاها ، ثم تقبض فها وتبعُّ مافيه من [الماء] بشدة على فريستها . وقلما تخطىء المرمى ، فتصرعها ثم تلتهمها

﴿ المحقنة وأنياب الافاعي ﴾ : لم يعرف الاطباء المحقن الذي يستعمل لحقن الادوية تحت الجلد [الا ف]ي خلال النصف الاخير من القرن الماضي . فتوسلوا بهِ الى حقن المرضى في الانابيب الدموية [بضع]ف من المقاقير المخدّرة ، تخفيفاً لآلام العمليات الجراحية وتمكيناً للمريض من احتمالها . مع [ان ا]لطبيعة اخترعت ذلك الاختراع قبل الانسان بملايين السنين ، بيد أنها عملاً محاقنها سمّاً، جاعلة [اياها س]لاحاً دفاعياً لبعض مخلوقاتها . وما الانياب السامة للافعى ذات الاجراس ، والصل المصري ، [والب]اشر — وما اليها من الثعابين السامة ، الاّ محاقن طبيعية في اجسامها تماثل المحاقن الصناعية [التي ت]ستخدمها الاطباء سواءً بسواء . والنحل والزنابير والبعوض ، وما شا كلها من انواع النمل ،

الالتزام العلاجي القروي

اجمال وتعليق

للدكتور كامل هلال

شاهد الطبيب النابه الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك — استاذ علم الطفيليات في كلية الطب المصرية ومدير معهد الابحاث ومستشفى الامراض المتوطنة بمصلحة الصحة العمومية وسكرتير الجمعية الطبية المصرية — بؤس السواد الاعظم من سكان الريف المصري وتفشي الامراض المتوطنة والوافدة بينهم وعجزهم عن اسعاف انفسهم بالتداوي الفني الصحيح لشدة إعسارهم مع ان الاطباء القانونيين متوفرون في البلاد وكثيرٌ منهم في أشد الحاجة الى مرضى يؤاسونهم ويكسبون عيشهم من مهنتهم التي توفروا على دراستها فوضع مشروعاً تقوم الحكومة بمقتضاه بعمل الوسيط بين هذا الجمهور المحتاج من المرضى واولئك الاطباء المستعدين لخدمته فتستفيد الجهتان وتُسعد البلاد

وهذا العمل لا يعَدُّ بدعة في الحكومة المصرية . اليست هي التي تقوم بجميع شؤون الري والصرف في جميع جهات القطر ، وكذلك بتوفير سبل المواصلات على انواعها . اليست الحكومة هي التي تقوم بالتعليم العام على مختلف درجاته . اليس لها في الاعمال الصحية القدح المعلى فيها مستشفياتها العديدة من ثابتة ومتنقلة يتوفر فيها العلاج لمئات الالوف من المرضى . ومشروع الدكتور عبد الخالق هذا الذي دعاه « الالتزام العلاجي القروي » ليس الاَّ صفحة جديدة تضاف الى سجل كبير من الاعمال المجيدة من الخدم الصحية العامة وتكون متممة له

ويلخص هذا المشروع بأن تعين الحكومة لكل عشرة آلاف من القرويين الذين يملك احدهم من عشرين فداناً من الارض او يدفع ضريبة اقل من عشرين جنيهاً في السنة طبيباً واحداً يعيش بينهم ويقوم بتطبيبهم واسعافهم وصرف العلاج مجاناً لهم ويحفظ في عيادته سجلاً لكل مريض ويبلغ عن امراضهم السارية ويحرر شهادة الوفاة للمتوفين منهم . وتمهيداً لتنفيذ المشروع يوضع للاشخاص الذين سوف يشملهم ويعطى كل فرد منهم وثيقة تضع في شكل قرص نحاسي عليه رقم خاص للشخص ولبلدته ومركزه تعلق في عنقه حرصاً عليه من الضياع والتلف

رزه عند كل زيارة الطبيب الذي عليه ان يرجع اليهِ عند تحرير شهادة وفاة صاحبه . ويحفظ الطبيب
لاقة خاصة لكل فرد من سكان منطقته الذين يلتزم علاجهم يثبت عليها ارقام ذلك الفرد الخاصة
نقاً لوثيقته ويدوّن فيها الطبيب تاريخ الفرد المرضيّ . وقد ترك على سبيل الاحتياط الحرية لكل
رد ان يختار طبيبه لمدة اربعة أشهر على الاقل من بين الاطباء المجاورين لمنطقته مراعياً أن لا يزيد
مدد زبُن كل طبيب عن ١٥٠٠٠ نفس حتى لا يرهق ولا ينقص عن ٥٠٠٠ حتى لا يزهد

***

والحكمة في هذا الاختيار هي اولاً الاستدلال من جانب اولياء الامر على حسن قيام الطبيب
بواجبه من شدة اقبال المرضى عليه وبالعكس في حالة انصراف المرضى عنهُ وثانياً لترك المنبه
الطبيعي وهو حب الكسب والفائدة يعمل عمله لانه كلما كثر عدد المرضى زادت فائدة الطبيب
المادية كما سترى بعدئذٍ

وقد قدّر صاحب المشروع عدد الاشخاص الذين يشملهم هذا المشروع بنحو ١١٫٥٠٠٫٠٠٠
وان عدد المرضى الجدد الذين سيتولى كل طبيب فحصهم يوميًّا ما بين ٣٠ و ٦٠ مريضاً
يحتاجون الى ١١٥٠ طبيباً وهو عدد متوافر في البلاد .

ويرى المقترح ان ايراداً شهريًّا في نحو الخمسة والعشرين جنيهاً مصريًّا لكل طبيب وخصوصاً
للاطباء المبتدئين يكون مكافأة عادلة وبالطبع سيدفع من اصلها اجر سكنه وعيادته واجرة خادمه
ووسائل انتقاله التي لا ينتظر ان تبلغ اكثر من ربع المبلغ . وهذه المكافأة تدفع للطبيب من جانب
الحكومة بمعدل قرش ونصف عن كل فرد يحفظ بطاقته في عيادته مرض او لم يمرض . ومن جانب
الافراد بمعدل خمسة مليمات عن كل استشارة طبية وعشرة غروش عن كل زيارة بيتية نهاراً وضعفها
ليلاً . والحكمة في فرض جعل على المريض عن كل مراجعة هو كي لا يرهق الافراد الطبيب
ويسرفون في العلاج سواء اكانوا في حاجة اليهِ ام لم يكونوا . فجعل هذا الرسم التافه الذي لا
يعسر اي فرد عن تداركه تأميناً لعدم سوء استعمال المرضى لهذا الحق

وقد نصّ المشروع على ان الحكومة تجهز عيادة كل طبيب بلوازمها الضرورية وتلفون حكومي
وتمده بما يلزم من الادوية الجاهزة للصرف كما هي الحال في العيادات الخارجية في المستشفيات تصرف
للمريض باثمان يتداركه هو من عنده

وقد ترك المشروع الحرية للطبيب في أن يعالج من يشاء من غير افراد العلاج الالتزامي مقابل
اجر يتقاضاه منهم باختياره . وهو كذلك مخيرٌ في تحويل اي مريض من زُبُنِهِ الى اقرب مستشفى اذا
وجد ان تداويه في عيادته غير ممكن على الوجه الاكمل اما لنقص في ادويته او لحاجة المريض الى عملية

ولضمان حسن سير العمل يرى حضرته ان اطباء الصحة يجب ان يقصروا همهم وكل وقتهم على اعمالهم الصحية حتى لا يكونوا مزاحمين لاطباء الالتزام وانما يكونون مراقبين لهم كما وانه يرى لزوم تعيين نحو ٢٣ طبيباً مفتشاً يقومون بالتفتيش الدقيق على اعمال اطباء الالتزام . كما ان المشروع هذا لايتعرض لاعمال المستشفيات المركزية التي أنشئت او التي ستنشأ تكميلاً للبرنامج الموضوع بل يرى انها لازمة لتكون الملجأ الاخير للمريض الذي لم يمكن تداويه عند طبيب الالتزام كما بيّنا أعلاه

اما نفقات هذا المشروع فيقدرها كما يلي :

مكافأة اطباء الالتزام وعددهم ١١٥٠	١٧٢ ٥٠٠	جنيه سنويًّا
قيمة ادوية ومرتب عشرة صيادلة لتحضيرها	١٠٠ ٠٠٠	»
مكافأة اطباء صحة المراكز نظير انقطاعهم عن العمل لحسابهم	٠١٧ ٠٨٨	»
مفتشون للمشروع عددهم ٢٣ مفتشاً	٠١١ ٥٤٠	»
تجهيز عيادات الاطباء بالادوات الكتابية ولوازم التبريد والتليفون	٠٣٤ ٥٠٠	»
الادارة المركزية من مدير ووكيل وكتبة اداريون	٠٠٣ ٠٠٠	»
ادوات واحتياطي ونفقات انتقال وبدل سفر الخ	٠٠٩ ٣٧٢	»
	٣٤٧ ٥٠٠	

وهذا المبلغ يوازي نحو سبعة بالمائة من المال المربوط على عموم الاطيان في القطر المصري يجوز توزيعها بين مصلحة الصحة ومجالس المديريات وضريبة اضافية على الاطيان لا تزيد عن ثلثة بالمائة التي ينتظر ان يدفعها المموّلون عن طيبة خاطر لما سينالون من الفائدة من هذا المشروع . نعم ان صاحب الثروة التي تزيد عن العشرين فداناً سيدفع الضريبة للمشروع من غير ان يستفيد منهُ بنفسهِ ولكن عماله ومستخدميه سيستفيدون فيزداد انتاجهم فيعوّض هو ما دفعه اضعافاً

ومع ان هذا المشروع جميل المبنى واضح المعالم قريب التناول ينم على ما تحلت بهِ نفس واضعه من مزية الانشاء والابتكار وما اتصف به من التدقيق والبحث العلمي فقد قامت ضده اعتراضات عديدة نلخصها بما يلي

(١) — ان هذا المشروع هو بمثابة وضع سقف البناء الصحي قبل اساسه والمقصود بالاساس هو اصلاح القرية وتوفير مياه الشرب النقية والتخلص من الفضلات بصورة فنية

(٢) — ان برنامج الحكومة لتعميم المستشفيات الحكومية المركزية عند اكماله يغني عن مشروع الالتزام هذا ولذلك فما ينتظر انفاقه على هذا يجب ان ينفق في تتميم انشاء المستشفيات

(٣) — ان اطباء الالتزام سوف لا يجدون منازل في وسط كثير من القرى تناسب مقامهم فيها

(٤) — ان مشروع الالتزام سيفرض الطبيب فرضاً على مرضاه ويحد من حريتهم بينما مشروع التأمين الطبي التعاوني المعمول بهِ في بعض الاوساط يفضل عليهِ فيجدر بالحكومة تعميم هذا التدبير الاخير واراحة نفسها من فرض ضرائب جديدة

(٥) — ان احتياج المشروع الى عدد كبير من الاطباء ١١٥٠ دفعة واحدة سوف لا يخلو من صعوبة باختيارهم من بين الاكفاء وربما يؤول ذلك الى تسرب عدد من غير الاكفاء اليهم ، وفرض الاعتماد عليهم على اناس قلما يستطيعون تمييز كفاءتهم

(٦) — ان دفع الخمسة المليمات عند كل استشارة سوف يمنع كثيرين من المرضى من الاستفادة من المشروع فتضيع الغاية التي وضع لاجلها

(٧) — ان قبول الطبيب خمسة مليمات ثمناً لاستشارتهِ فيهِ تحقير للطب والطبيب

ولا يخفى عن القارىء اللبيب ان هذه الاعتراضات بجملتها لا تمنع من تنفيذ المشروع ولو تدريجيًّا ولا تحوي بينها سبباً جوهريًّا يوجب تأخيره او تأجيله فالسبب الاول لا يثبت عدم فائدة المشروع وانما يدل على ما يمكن ان يكون افضل او اكمل منهُ ولكن اذا تعذر الحصول على الافضل فلا بأس من الاكتفاء بما يليهِ فضلاً حتى ولو قدر لنا ان حصلنا على جميع الاصلاحات المذكورة وهي بلا جدال تعد كالمثل العليا في الانقاذ الصحي، فمشروع الالتزام هذا اذا وجد الى جانبها لا يحط من قيمتها بل يزيدها فائدة ويملأ فراغاً خاصًّا يبقى موجوداً . عدا عن ان ظواهر الاحوال تدل على ان اتمام هذه الاصلاحات العظيمة سيحتاج الى سنين عديدة وملايين كثيرة لا يوجد دليل على توفرها في امد قريب

***

اما تعميم المستشفيات الذي بني عليهِ الاعتراض الثاني فلا يغني عن الطبيب الذي يداوي الفرد في منزله ويجعل له به صلة مستمرة يرجع اليهِ للتداوي والوقاية فهو الصديق النصوح لرعاياه ودليل الحكومة على مواطن الخطر كما هو الحارس الصحي لمنطقته. واذا كنا سننشيء مستشفيات عديدة تكفي لمداواة كل المرضى مهما كانت حالتهم بسيطة فنكون مسرفين اسرافاً لا مسوّغ له . فطبيب الالتزام هو مساعد ومغذٍ للمستشفى وليس مزاحماً له عدا عن ان مشروع الالتزام قريب المنال القطوف بينما تعميم المستشفيات سيستغرق كثيره من المشروعات [illegible] اعواماً عديدة واموالاً [illegible]

***

اما السبب الذي بني عليهِ الاعتراض الثالث فلا [illegible] الواقع . لانهُ في كل [illegible] تظهر فيهِ حاجة الى منازل متقنة تنشأ حالاً من جانب [illegible] بتأجيرها والاستفادة وهو عمل رابح دائماً . وحتى اذا اقتضى الامر في بعض [illegible] يستطيع الطبيب ان

[illegible]

اما عن الاعتراض الرابع فاذا صح في بعض البلدان الاجنبية وبين بعض الهيئات الخاصة المصرية فلا يصح على الاطلاق بين الفلاحين والقرويين عموماً لان روح التعاون الصحيح لم يشع بعد في مصر التي تكاد تبدأ التدرب عليه وربما تمضي عدة سنوات قبل انتشاره وتأصله في النفوس ولا يصح ان ينتظر المرضى الى ذلك العهد بل كل عاقل يرى ضرورة قيام الحكومة بهذا الواجب العام وقد تعود الاهالي ان ينتظروا كل شيء من الحكومة

اما الاعتراض الخامس فلا يبدو جديراً بالبحث فسهر مصلحة الصحة وعلى رأسها زعيمها الهمام صاحب السعادة محمد شاهين باشا ونظامها الدقيق وخبرتها تكفل حسن اختيار الاطباء كما ان المراقبة المنتظمة تضمن اخراج الطبيب غير الكفء الذي يكون قد تسرب خطأً الى الوظيفة ولزيادة الحذر يجوز تنفيذ المشروع تدريجيًّا

والاعتراض السادس هو فرض بعيد عن الواقع فمبلغ الخمسة مليمات زهيد لا يعجز اي فرد في الديار المصرية عن تداركه في اي وقت كان وخصوصاً عند ما تكون هنالك حاجة به للتداوي ودفع هذه الخمسة مليمات يبدو ضروريًّا لمنع سوء استعمال الغير المرضى وللحيلولة دون ارهاقهم الطبيب من دون حاجة او اسرافهم بالعلاج

اما الاعتراض السابع فلا يتفق مع الواقع فانهُ يوجد الآن في ذات القاهرة عيادات مشتركة خاصة يتقاضى الطبيب فيها من المريض اجراً لا يزيد كثيراً عن الخمسة مليمات

***

اما اذا توخينا الحقيقة المجردة المنزهة عن كل تحيز ، فيجب علينا ان نعترف بأن هذا المشروع [illegible] ما ينطوي عليه من الفوائد العاجلة والآجلة ليس سوى حلقة صغيرة في سلسلة الانقاذ [illegible] فالحالة الصحية في القطر المصري تحتاج الى جهود جبارة وتعاون جميع القوى لاجل اصلاحها [illegible] المرغوب وانتشال الفلاح المصري وبالتالي الامة المصرية من الادواء التي تنخر في كيانها [illegible] اقدم العصور السبب الرئيسي في تأخرها في ميادين الانتاج المادية والعقلية والخلقية [illegible]شروع مع ضخامة مظهره يرمي الى تلطيف الاعراض ولا يؤثر كثيراً في اصل العلة . [illegible] نجتث الداء من جذوره فعلينا

[illegible] نشر التعاليم الصحية بكل وسائل النشر من محاضرات واعلانات ومواعظ ونستخدم [illegible] الراديو والمنبر والصحافة وكل وسيلة بالامكان استخدامها

[illegible] التعليم الصحي الزاميًّا في المدارس على اختلاف طبقاتها من روضة الاطفال [illegible] العليا ولكل درجة ما يناسبها . وخصوصاً في مدارس التعليم الالزامي التي [illegible] تطبيقه يجب ان يكون لدرس حفظ الصحة منزلة ممتازة

ثالثاً — نشر الامن الحقيقي في الريف المصري فالفلاح لم يختر منزله بشكله الحاضر غرفة واحدة قليلة النوافذ او معدومتها يترك مواشيه فيها ويلاصقها منزل جاره الاّ لكي يستطيع ان يدافع فيه عن حياته وماله من المعتدين واللصوص . ومهما نصحته بتغيير هذا الطراز لعدم ملاءمته الاصول الصحية فلا تجد منه مجيباً فلسان حاله يقول التعرض للامراض من الجراثيم الخفية افضل من التعرض لاعتداء اللصوص من بني البشر . فمتى شعر بالامن والطمأنينة على حياته وماله فعندئذ فقط يغير طراز منزله من تلقاء نفسه ويجعل اقامته في وسط حقله في منزل منفرد كثير النوافذ محاط بأشجاره المثمرة وبالقرب منه زريبة مواشيه . اما اصلاح القرية المنشود قبل نشر الامن التام فغير ممكن قطعاً . اما الطريقة او الطرق المؤدية الى نشر الامن الحقيقي فليست من اختصاصنا وعند اهل الذكر الخبر اليقين

رابعاً — اجبار اصحاب الاملاك الواسعة والتفاتيش الكبيرة على اقامة منازل صحية لعمالهم وفلاحيهم تتوفر فيها المياه النقية والنور ولا بأس من تضحية هؤلاء بجانب من ايراداتهم في سبيل من هم مصدر ثروتهم ويسرهم . وعندئذ تكون هذه العزب نماذج ينسج على منوالها من هم في جوارهم وتربي في ساكنيها الذوق الصحي حتى اذا انتقلوا منها ينقلون معهم فكرة التجديد فتنتشر تدريجيًّا ويكون الفضل لاسيادهم الاولين

خامساً — تعيين الاماكن الذي يجوز اخذ التراب منها ومقدار التراب المأخوذ حتى لا تتكوّن حفر تصبح بركاً بعد الري والاّ فلا فائدة من ردم البرك الموجودة وحفر غيرها بأسرع من ردمها

سادساً — اقامة مسابقة عالمية لحل مشكلة مياه الشرب في القرى حلاً عمليًّا قابل التنفيذ في الحال وفي متناول الحكومة والاهالي والاّ فلا فائدة من الحلول غير القابلة للتنفيذ ولا فائدة من الارجاء والتسويف فالضرورة ماسة والداء فتّاك ولا بدّ من تدارك الحالة بالعلاج الفعّال . ولا اظن ان العلم يعجز عن ايجاد ماء شرب نقي يتمتع به الفلاح المصري كما يفعل امثاله في كل بلاد العالم المتمدن

سابعاً — حل مشكلة المراحيض بما يتفق مع طبيعة الارض وعادات السكان حلاً سريعاً

***

هذه هي الحلقات السبع التي تكوّن الجزء الاول من سلسلة الانقاذ التي يتطلع اليها الفلاح المصري منتظراً من حكومته الرشيدة ان تمدها لتنقذه ونسله من لجة بؤسه وشقائه . ومع كل ذلك ومع انتشار المستشفيات في الاقاليم فمشروع الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك (التزام الفلاح القروي) اذا نفذ بأيد رشيدة سيكون بلا شك جزيل الفائدة

عناق الادب والعلم

مثال من الادب الانكليزي الجديد

لاسماعيل مظهر

يحدث كثيراً ان نتناول في حلقات الادب والعلم ذكر الاساليب ، ونفرق بين الاساليب العلمية والاساليب الادبية ، ونفصل بين الناحيتين فنقول لغة الادب ولغة العلم ، وهذا اصطلاح ادبي وذاك اصطلاح علمي ، كأننا قد فصلنا بين الناحيتين بفواصل من اللبنات المدرعة بالفولاذ . ويخيل الينا فوق ذلك ان اصطلاحات كل من الناحيتين يجب ان تظل محبوسة بين تلك الجدران التي نظنها ابدية سرمدية ، ونشعر عند ما نحاول ان ندخل اصطلاحاً علمياً في موضوع ادبي ان ذلك الاصطلاح لابدّ من ان يستوحش في موضعه الجديد وانهُ لا بدّ من ان يظهر فيه نابياً غير مساغ . والحقيقة اننا امعنا في هذه السبيل الى حد ان لغة الادب قد تنفر من لغة العلم وقد تنفر اصطلاحات العلم من ان تدخل في اساليب الادب ، حتى أن كلمة علمية إن دخلت في موضوع ادبي أخذ ذلك على الكاتب وكان موضعاً لنقده او سبباً للفرار من قراءة بحثهِ اولاً وآخراً لان لغة العلم تفسد الادب . وكذلك الحال مع كاتب آخر يحاول ان يكتب في العلم باسلوب ادبي مختار الالفاظ حسن التراكيب، فان ذلك قد يصرف العلماء عن قراءة ما يكتب ان لم يرم بانهُ اديب وليس عالماً، وذلك لان لغة الادب تفسد العلم

وقد تجلس في دوائر الادباء فتسمع احدهم يقول ان فلاناً تغلب عليهِ النزعة العلمية ، وما يقصد ذلك الاّ انهُ يغلب عليهِ جفاف العلم ومعنى هذا انهُ قليل الاحساس غير مشبوب الخيال . وقد [يـ]ضمك المقام مع العلماء فتسمعهم يقولون ان فلاناً اديب ، وتتبع كلمة « اديب » ابتسامات لا تنفرج [لهـ]ـا الشفاه عن الثنايا الاّ بقدر ما تعبر عن حقارة ذلك الشيء الذي يسمى الادب . وما السبب في [هـ]ـذا الاّ حقيقة مرّة ، ومحصلها ان ادباءنا لم يتذوّقوا العلم ، وعلماءنا لم يتذوّقوا الادب في الغالب . [امـ]ـا الذي ينزع نزعة فلسفية فهو بين الجماعتين كالحبة بين شقي الرحى ، ان افلتت من الثفال لحقتها اللهوة، [فـ]ـاهون ما يصدر ضده من احكام الادباء والعلماء انهُ ممسوس اخلق بهِ ان يتفلسف في مستشفى المجاذيب . [وسـ]ـبب هذا حقيقة امرّ من الحقيقة الاولى ، ومحصلها ان ادباءنا وعلماءنا سواء في البعد عن تذوق الفلسفة

[ولقد] خطرت لي هذه الخواطر وانا اقرأ رواية لاديب لاشك في اني احار أأسمهُ بالعلم ام بالادب ام بالفلسفة [و]كذلك أأسمي كتابه قصة ام كتاباً في علم النفس أم فلسفة عالية في حقائق هذا الوجود الانساني [اما] ذلك المؤلف — وادعوه مؤلفاً لاخلص من حيرتي الاولى — فهو الدوس هكسلي . واما [الكتاب] — واسمهِ كتاباً لاخلص من حيرتي الثانية — فعنوانهُ « الدنيا الجديدة الجسورة » Brave New [World] — ولقد تعجب كيف استطاع ذلك المؤلف الفذ ان يجمع بين روائع الادب

في اسلوب سهل بعيد عن التكلف مختار الالفاظ متسق الجمل ، وبين افكار علمية في علم الحياة والنفس هي آخر ما جادت بهِ قرائح العلماء ، وتأملات في نظام الاشياء الانسانية هي من اعمق ما يفكر فيهِ الفلاسفة . ولا شك انك في النهاية تقرأ قصة رائعة الخيال . ولكنها قصة يستعصي عليك ان تفهم منها شيئاً اذا أنت لم تحط بحقائق ثابتة في علوم الحياة والاجنة والوراثة وعلم النفس ومذهب بافلوف فيهِ ، او بفلسفة الاجتماع الاوروبي في هذا العصر . فكأن الدوس هكسلي قد استطاع ان يجمع في روايتهِ هذه بين الاضداد التي لا تجمع في رأينا وفي أدبنا الحاضر الاَّ اذا اجتمعت الثريا بسهيل ، والثريا شآمية وسهيل يماني

وأعجب من هذا كله ان يستدرجك هكسلي الى هذه الاغوار البعيدة فلا تشعر الاَّ وانت في معمل عظيم تفرخ فيه الاجنة البشرية داخل زجاجات كسيت من داخلها بمادة بريتونية وملئت بسائل دموي تسبح فيهِ الاجنة ، والزجاجات تدور على رفوف متحركة فاذا ادركت الاجنة التي تفرخ فيها استخرجت لترى ضوء النهار لاول مرة . فلا ارحام اذن ولا أبوَّة ولا امومة ، ولا عمومة ولا خؤولة ولكنها البشرية المفرَّخة في معامل يصنعها مفرخها كيف يشاء ويدسّ فيها من الصفات ما يريد ويخرج منها الطبقات التي تكوّن المجتمع الانساني

وقد يرمز لكل طبقة برمز . فالطبقات خمس . اولها طبقة «الفا» والثانية «بتا» والثالثة «غما» والرابعة «دلتا» والخامسة «ابسلون» على خمسة الحروف الاولى من الابجدية اليونانية ، وعلى الطريقة التي يرمز بها العلماء للاشعة المنبعثة من معدن مشع مثلاً . ولكن كل طبقة من هذه الطبقات تنقسم الى نوعين زائد وناقص . فهناك « الفا » زائد ، وهؤلاء انبغ من تخرج معامل التفريخ البشرية ثم «الفا» ويتبعها الفا ناقص وهكذا الى ان تبلغ الى «ابسلون» ناقص وهؤلاء هم أحط افراد البشرية الذين ينتجهم عالم المستقبل

ولكن اين المساواة التي ينشدها البلاشفة في هذا العصر ؟ هذه لا وجود لها في عالم المستقبل فكأن هكسلي يريد ان يقول ان هذه الاوهام سوف لا تستولي على انسان العصر المقبل . وأين الحرية ؟ ان الانسانية المفرخة في معامل المستقبل سوف تخرج من المعامل حاملة لكل الصفات الفزيولوجية والنفسية التي تجعلها بعيدة عن التفكير في مثل هذا الخيال الفارغ . فكلّ سيخرج مهيئاً لما سخر له . اما الحرية واما الحقوق المدنية . واما قانون العقوبات فعلى كل هذه العفاء . ولماذا يلجأ انسان المستقبل الى تلقيح المجرمين كما يفعل هتلر اليوم في المانيا ؟ يكفيه ان يختار الحييونات التي تلقح البويضات من ذكر وانثى ليس فيهما عنصر الاجرام ولا اللجاج ولا المشاحنة ، ويكفي ان يزيد في قارورة هذا المخلوق قليلاً من مادة الكحول ليخرج حاد الذهن ، وفي قرورة ذاك قليلاً من مادة اخرى ليخرج بليداً من «ماركة» ابسلون ناقص . وكيف يستقوى مفرخو المستقبل ومربو ابنائهِ على الصفات التي لا يمكن ان يتغلبوا عليها في الاجنة وهي في القوارير . صفات التطلع والشهوة الى معرفة الاشياء وامتحان كل شيء يقع تحت الحس ؟ ان هذه الصفات لدى الواقع صفات يشارك فـ

الانسان الحيوان، واذا قتلت في الاجنة خرجت انسانية ادنى من الحيوانات . واذن يلجأ مربو المستقبل الى طريقة تحويل الغرائز بالوسائل العملية . وأية وسيلة اقرب من وسائل بافلوف ؟

* * *

والى هنا اشعر بعجزي عن متابعة الشرح من غير ان افصح للقارىء عما هي طريقة بافلوف هذه وعلى الرغم من ان الدوس هكسلي يشير اليها اشارة ، فاني واثق من اني اذا انبعت طريقته اكون كمن يتكلم بالالغاز . ولتطور هـذه النظرية تاريخ طويل يرجع الى أبعد عصور الفلسفة اليونانية وفي المذهب الفورييني احد اصولها الرائعة . لهذا اكتفي بشرحها على الصورة الاخيرة التي صبها فيها بافلوف الروسي ، وهو من معاصرينا الاحياء

ولقد حصر هذا العالم تجاربهُ في الكلاب . ومن المعروف ان الكلب ، ككل الاحياء المدركة ، اذا رأى قطعة من الحلوى سال لعابه ، فاستغلَّ بافلوف هذه الظاهرة ، وهي ظاهرة من الظواهر التي تسمى « أفعالاً عكسية » اي انه من الافعال التي يؤديها الجسم بقاسر ذاتي ، ومن غير ان يكون لتجاريب الحياة فيها أقل أثر . وهنالك كثير من الافعال العكسية بعضها اصيل وبعضها مؤصل . ومنها ما يمكننا مشاهدته في الاطفال ، ومنها ما يتأصل على قدر من العمر ومرور من الايام . فالطفل يعطس ويتثاءب ويتمطَّى ويحوّل عينيه نحو النور ، ويأتي غير ذلك من الافعال في مختلف اطوار عمره وظروفه ، من غير ان يكون في حاجة الى ان يتلقنها او يتلقاها عن غيره . وكل هـذه الافعال تدعى الافعال العكسية او بالاحرى ، كما دعاها بافلوف أفعال عكسية أصيلة Unconditioned Reflex action وهي بذاتها التي كانت تدعى من قبل الغرائز Instincts والغرائز المركبة لغريزة بناء الاعشاش في الطيور ، تلوح كأنها جملة مندمجة من افعال عكسية . والأفعال العكسية في الحيوانات الدنيا قلما تؤثر فيها تجاريب الحياة . فان البعوضة تستمر تحوم حول الضوء حتى بعد ان يحترق جناحاها . وعلى الضد من ذلك تجد الحال في الحيوانات العليا . فان تجاريب الحياة لها من هذه الافعال العكسية الاصيلة ، تأثير بالغ فيها ، ولا يخرج الانسان عن حكم هذه القاعدة . ولقد قصر بافلوف تجاربه كما قلنا من قبل على سيل اللعاب في فم الكلاب . فخلص من تجاريبه بالقاعدة الآتية التي استخلصها من تحول الافعال العكسية الاصيلة ، قال :

« عند ما يقترن بالمنبه الذي يبعث اي فعل عكسي اصيل او يتقدم عليه مرات عديدة الى منبه آخر ، فان هذا المنبه الثاني يحدث مع الزمن نفس الاستجابة Response التي كان يبعثها المنبه الاول في احداث فعل عكسي متحول » . — Conditioned Reflex action

فان سيل اللعاب فعل عكسي أصيل ، لا يحدث اصلاً الاَّ عند وجود الطعام في الفم . ومن يحصل عند مرآى الطعام او شم رائحته ، او عند حدوث اية علاقة او اشارة تسبق مباشرة الاكل . وكل هذه الافعال يدعوها بافلوف الافعال العكسية الاصيلة . على انك تجد ان نفس

يستحدث في الامر من شيء الاَّ «المنبه» Stimulus الذي يشترك او يتحد مع المنبه الاصلي من طريق التجربة. وهذه القاعدة هي اساس كل تعليم او استيعاب للمعلومات، واساس الظاهرة النفسية التي كانت تدعى من قبل «تداعي او اشتراك الافكار»، واساس تعلم اللغات، واستحكام العادات واستبدادها بالافراد والجماعات، وعلى الجملة هي الاساس العملي لكل مناحي السلوك الانساني الخاضع للتجربة

وبعد أن استرشد بافلوف بهذه القاعدة مضى يطبقها ما على يخطر بباله من ممكنات التطبيق. فانه لم يقتصر على امتحان منبهات الطعام الشهي. بل عمد الى الاحماض المكروهة، يأخذ منها منبهات يستعملها في تجاريبه، حتى يستطيع ان يؤصل في كلابه استجابات «التوقي»، كما يؤصل فيهم استجابات «التشهي» فبعد ان ينبه فعلاً عكسيًّا اصيلاً، يعمد الى قمعه بفعل آخر. فاذا كانت العلامة او الاشارة التي يعمد اليها يعقبها نتيجة مرغوب فيها طوراً، ونتيجة مكروهة طوراً آخر، فان الكلب يصاب باضطراب عصبي مثل الهستريا أو النورستانيا، وتظهر عليه كل العلامات المميزة لاحد المرضين

* * *

وبعد. فافرض انك استعضت عن الكلاب في تجاريب بافلوف بأطفال تريد ان تقمع فيهم غرائز التطلع الى معرفة المجهولات واردت ان تحول غرائزهم تحويلاً لتصبح مجرد شهوات مقموعة بأفعال عكسية محولة فماذا تفعل؟ تخيل معي الصورة التي رسمها قلم الدوس هكسلي

في مستعمرة التفريخ — ولا تنس انها مستعمرة تفريخ بشرية — قسم للتربية، يعهد فيه بالاطفال الى مربيات لا يعرفنَ حنو الامومة ولا مشاق الحمل والولادة، فيسرن في تربية الاطفال على قواعد مرسومة لكل طبقة من الطبقات. اما الاطفال الذين يراد ان تقمع فيهم شهوة التطلع فمن الطبقة الدنيا. ولكن العناية بهم من حيث تكوين اجسامهم وكفاياتهم العضلية وافية. لهذا يجب ان يعرَّضوا كل يوم لاشعة فيها كل خصائص الاشعة الحيوية الطبيعية في مكان يتخذونه مرحاً لهم وملعباً، وفيما هم يلعبون ويمرحون يلقى اليهم بنسخ من الكتب المصورة التي تثير في الاطفال شهوة التطلع فاذا امتدت الايدي الصغيرة الى هذه الكتب وامتدت الانظار تلتهم ما فيها من الصور والالوان، قذف الاولاد بشحنة كهربائية، فتلقى الكتب الى الارض، ويسارع الاطفال الى الاستلقاء كأفراخ ازعجهم صوت داوٍ شديد. وبتكرار هذا الفعل تقمع فيهم شهوة التطلع وتغرس فيهم استجابة التوقي من الكتب والتطلع وحب معرفة الاشياء فيخرجون آلات حسنة للتنفيذ دون التفكير

* * *

في نظام اجتماعي كهذا النظام سوف تستولي على العقول افكار نراها متطرفة وان بدت لاهل ذلك العهد المنتظر حقائق عادية لا تثير عجباً ولا تفكيراً. فان هؤلاء سوف يتبدلون من كل العقائد القديمة عقائد جديدة، وسوف لا يكون لاآله الفضيلة كما نتصورها الآن من محل يشغله في نظام الاشياء التي سوف تقوم في المستقبل، ولن يكون لاآله من محل اللهمَّ الاَّ آله العمل والانتاج. فان اقسم احدهم بقسم أو قطع عهداً قال «بحق فورد» او عاهد على ذكرى «ركفلر» او اقسم

لان ابرة أية حشرة من هاتيك الانواع تخرق الجلد بمباضع دقيقة تتحرك حر
بالانبوب الذي يسري منهُ السم الى الملسوع [1]

﴿ القصر البلوري والزنبق المائي ﴾ : ومع ان الطبيعة سبقت ان اخترعت
المخترعات التي استطاع البشر تقليدها ، غير ان المخترعين قلما يقتبسون مخترعاتهم ،
ولقد كان بدء احتذاء الطبيعة في اعمالها كل الاحتذاء ، موافقاً لتاريخ بناء القصر ا
وهو أول صرح بُني بالفولاذ والزجاج فقط . ويعتبر النموذج الاول الذي قلّده
في كل ما انشأوه وينشئونه من سقائف للمصانع ولمحطات السكك الحديدية

وتفصيل ذلك الحادث انه في سنة ١٨٥١ احتاجت ادارة المعرض في لنـ
للمعروضات، فتبارى المهندسون في عرض الرسوم المختلفة ، فلم تحز القبول ، لا
يعترضون على كل رسم منها لعدم استيعابه للشروط المطلوبة كافة

فجاءهم ذات يوم بستاني ، وهو يوسف بكستون وعرض عليهم بغتة رسماً
لبناية تقام على قاعدة جديدة من كل الوجوه . وكان قد درس الزنبق المائي المسـ
وهو نبات مائي ذو اوراق ضخمة تستطيع الورقة الواحدة منها حمل طفل متوسـ
قد وقف على سرّ قوة احتمال الورقة الزنبقية فاقتبس باكستون اختراع الدعائم
اضلاع اوراق الزنبق المائي المستديرة العائمة الضخمة . واضاف اليها الواحاً من
تركب في أطر مشاتل النباتات في بستانه . فكان ذلك اساس بناء القصر البلوري
أنعمت عليه حكومته بلقب سير، فاصبح البستاني الخامل الذكر، السير يوسف باكسـ

﴿ نبات الجرّة والثلج الصناعي ﴾ : ولا يخفى على كل منا كيفية صيرورة يو
عقب انهمار بارقة [2] thunderstorm فجائية . ويعلم دارسو الطبيعيات ان الحرار
بعض الماء وتحويله مطراً يبرّد الجو . وان بعض المواد ، كالنشادر والحامض الـ
حرارة كثيرة في تبخرها تفوق ما يستنفده الماء فينشأ من تبخرها رطوبة اشد
هذا هو اساس صناعة الثلج . ومع ذلك فقد سبقت الطبيعة الانسان بزمن بـ
تبخر الحامض الكربونيك والماء ، لنفع النبات المسمى « نبات الجرّة » الذي
وهو يستهدف غالباً للعطش ازماناً طويلة ، فيحتاج بطبيعته الى الاستعانة بجها
به على الماء من الهواء . وبعض اوراقه تشبه الجرّة في شكلها ، ويمتد من ساقه
متصل بقعر الجرة . وسطح باطن الجرة يفرز ماء وحامضاً كربونيكاً فاذا ما تبخر

(١) اللسع لذوات الابر واللدغ بالفم — فالعقرب تلسع والحية تلدغ
(٢) الصيهب — اليوم الحار ، او شدة الحر (٣) البرقة بوزن الغرفة والبارقة

فعل الاوهام التي سيطرت على الانسانية خلال اجيال متطاولة واستعبدت العقول على مدى التاريخ الذي سطّره الانسان بدمه ليقوم دليلاً واضحاً عند اهل المستقبل على توحشنا وبربريتنا . أما معابدهم ، فالمعامل الضخمة العظيمة والآلات الداوية التي يستمعون لدويها نغماً اشبه بنغم الارغن الجليل او التراتيل الهادئة التي تُسلين بفتنتها اقسى القلوب في اماكن العبادة . ولسوف يسقط الايمان عن عرش الغيب ، ليعلق بعرش الشهادة . فلا ايمان الا من طريق الحواس ولا حقيقة الا بعد اختبار . اما منطق العقل وحده فذلك سوف يكون اداة ناقصة للعلم ، وخادماً للمجهر والمنظار المقرّب والسسموغراف ولقوائم الاحصاء ، الى غير ذلك من ادوات التجربة والاختبار

ولا شك في ان اول ما سيتقوض من بناء الاجتماع الحالي هو نظام الاسرة . لان المرأة ستشغل مقاماً اقتصادياً في المجتمع يكفيها مؤونة العبودية والاسر الذي يفرضهُ عليها الرجال لا لشيء الا لانهم العنصر المسيطر في النظام الاقتصادي . ففي ايديهم المعامل والمصارف والجامعات والحكومات على الجملة كل ما من شأنهِ ان يمنحهم السيطرة الاقتصادية على الجنس اللطيف . ولكن نظاماً اجتماعياً يرزق فيهِ كل شخص على قدر عمله وانتاجه ، لابدَّ من ان يفسح للمرأة فيهِ مجالٌ للعمل لتكسب رزقها الحلال من كدح يديها وبعرق جبينها . واذن فلا تصبح للنساء من حاجة الى سيطرة الرجال واستعبادهم وتسلطهم على نصف البشرية اللطيف . ولسوف تتغير العواطف الانسانية بهذا الانقلاب الكبير فلا غيرة ولا حبّاً أبوياً ولا شعوراً بامومة ولا قرابة ، وستمحى من القواميس كل الالفاظ التي كانت تدل من قبل على علاقات الاسرة ونظامها ، وتصبح في القواميس القديمة كالآثار المتحجرة في باطن الارض ، ما تذكر الا للفكاهة وما تدور الا على ألسنة بعض الباحثين في تاريخ البشرية في ناحية منبوذة من جامعة كجامعة اكسفورد مثلاً ، التي من قواعدها الموروثة المحافظة على التقاليد

اما الحب الذي يتغنى بهِ الشعراء ، فسوف يصبح مجرداً عن كل المعاني التي نلصقها بهِ الآن . فلا غزل ولا تغزل ، ولا هيام ولا غرام ، لان القاعدة الاساسية في نظام المستقبل سوف تكون قائمة على حكمة الاباحة ، وان كل فرد ملك لكل فرد آخر ، والجميع للهيأة الاجتماعية . فلا اختصاص اذن ، ولا ارتباط برباط الزوجية (المقدس) ولا غيرة ولا شهوة ولا تطلع الى ما في يد الغير ، لان الرغبات ، ستكفيها الاباحة المطلقة ، فما في يدك اليوم يكون من قسمة زميلك غداً ، وانت بعيد عن كل تبعة، اللهمَّ الاَّ تأدية عمل خاص في وقت محدود ، تكون بعدهُ حرّاً في ارضاء شهواتك واكفاء رغباتك بالطريقة التي تراها ارضى لنفسك واشهى لميولك

* * *

ولا يقف بك الدوس هكسلي عند هذا الحد ، بل يسوقك الى صورة متخيلة يصور لك فيها الفرق بين مشاعر الانسان في عصره الحاضر ، ومشاعره في عصره المقبل . ولا أريد ان اصور لك الصورة التي رسمها قلمه ، بل أريد ان أعدّل لك فيها بعض الشيء لعلي استطيع ان ابلغ من وصف ما أريد . فان الدوس هكسلي يصور لك فتىً وفتاة من أهل دنياه المستقبلة فكّرا في

ورا بقعة من بقاع الارض لايزال اهلها يجرون على قواعد مدنيتنا الحاضرة . ولكنني اريد ان
هذه الفتاة ترافقني او ترافقك فتزور بيتي او بيتك او بيت لورد من ارستوقراطيي الانكليز
ور لك ما تشعر بهِ وما يقوم في نفسها من العوامل المثيرة

فصوّر لنفسك انك بعثت سنة ٤٠٠٠ بعد الميلاد واخذت تتسكع فوق الاسطح — لان
ارع ستكون ممرات للهواء لا غير — فالتقيت بفتاة على سطح ناطحة من ناطحات السحاب
ندن ، وانك توسلت اليها في ان ترشدك الى بيتك في جاردن ستي بمدينة القاهرة . اذا حدث هذا
قة فلا تعجب اذا ضحكت منك الفتاة الماكرة ، لان السياحة من لندن الى مصر لا تحتاج الى
ة ، لانك تستطيع ان تحضر من لندن الى القاهرة وتعود اليها في بضعة ساعات . وكذلك
عجب اذا رغبت الفتاة في مرأى القاهرة لانها لا تزال تسمع ان اهلها يأكلون القواقع بالخبز
وي في افران توقد فيها النار بوقود الخشب او القمامة . وما هي الاّ اشارة حتى تهبط على سطح
لحة طائرة صغيرة الحجم ويخرج منها نصف انسان من « ماركة » ابسلون ناقص وقبعته في يده ،
تقلاّنها لتطوي بكما الجوّ الى القاهرة فتبلغانها عند تمام الساعة الثانية عشرة من صباح يوم الجمعة
مايو سنة ٤٠٠٠ بعد الميلاد . ويبحث سائق الطائرة عن مكان ليهبط فيه بطائرته فلا يجد الاّ
زهاً صغيراً يسع الطائرة فيهبط بها ثم يقفز منها ليفتح لكما الباب

ولا تكاد رفيقتك تنزل من الطائرة حتى تتعلق بعنقك رهبة وفزعاً لانها رأت قطيعاً من الماعز
ي عليهِ ولد صغير بسوط طويل في يده والمعز تلتقط في جريها اوراق الاشجار وبقايا المأكولات
قاة بجوار الارصفة مثلاً . فقد يستولي عليها نفس الشعور الذي يستولي عليك اذا هبطت بك
رة الآن في أواسط افريقية ورأيت انك في وسط غابة من الغابات تمرح فيها السباع والوحوش
ارية . فاذا ذهبتَ بها الى بيتك ورأت ابنك يأكل الخبز القديد واسنانه تقضقض فيه وشاهدت
وجك وعلى صدرها رضيع ترضعه ، عرّت عن ساقيها فضل ردائها واطلقتهما للريح واستقلت
طائرة لتبلغ لندن عند تمام الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم نفسه . اما سبب الفزع والهرب فلان
بنك يأكل ويطحن الاكل بأسنانه ولا يبتلعه في حبوب تغذيه ، ولأن زوجك ترضع الطفل .
فأنت وهي وأهل مصر اجمعين برابرة ما تزالون في الطور الذي قطعت الانسانية المتمدينة شوطه منذ
قرون اي انكم في الطور الذي كانت فيه الانسانية من الحيوانات الولودة

* * *

وبعد فأني أتساءل : اتبلغ الانسانية في المستقبل هذا المبلغ من التطور ؟ وهل يكون من نصيب
النظامات المقدسة القائمة فيهِ حولنا ان تنهار وتندك الى الحضيض حقيقة ؟ وهل لنا ونحن في عصر
ندعوه عصر التجديد أن نفرق بين لغة العلم ولغة الأدب ، ويظل علماؤنا بعيدين عن الادب وادباؤنا
بعيدين عن العلم ؛ ليكون مصيرنا جميعاً كمصيري مع الفتاة الانكليزية التي اقترضتها من مجلة الدور
هكسلي . لاستعين بذلك على رسم هذه الصورة المضحكة من مستقبل الانسانية

الاسنان والعمران

بحث علمي تاريخي

يرى بعض العلماء ان اسنان الناس في اوربا وأميركا صارت الآن اضعف مما كانت من قرن
سف قرن وقد نتج عن ضعفها أنّ ضعف الهضم لان المضغ الجيد لازم له . واذا ضعف الهضم
ثرت الامراض وقصر العمر ، وأثّر ذلك في نمو الامم وارتقائها لانه يقلل النسل ويمنع الانسان
ن اعمال كثيرة . وهذه الآفة اي ضعف الاسنان آخذة في الازدياد حتى اذا لم تتخذ الوسائل
عالة لتلافيها فالعاقبة وبيلة جدًّا كما يقول أطباء الاسنان . وقد عني احد علماء انكلترا بفحص
اجم شعوب مختلفة لكي يرى ما بين اسنان تلك الشعوب وأحوالها المعاشية من الارتباط لعله
لم اسباب الحفر الذي أصاب اسنانها حتى اذا تلافيناها نجونا نحن منها . وبيَّن في اوائل هذا
قرن أن الحفر ليس تغيراً كيميائيًّا مجرداً كما كان الرأي الشائع قبل اربعين سنة بل هو يرتبط
عل انواع من الميكروبات فاذا أُميتت توقف الحفر عند الحد الذي وصل اليه . وقد اثبت ذلك
لامتحان . فربى هذا العالم تلك الميكروبات ووضعها على الاسنان فسببت فيها الحفر أي نخرتها
أكلتها . فلم يوافقه اطباء الاسنان على ذلك اولاً ثم وافقه احدهم ثم رأى كوخ العالم البكتريولوجي
شهور تجارب هذا العالم فاقتنع بصحة اكتشافه وعاد الى برلين وهو مقتنع بهِ وهذا هو الرأي المتفق
ليه عموماً الآن . فاذا كان سبب الحفر ان انواعاً من الميكروبات تسطو على الاسنان وتنخرها
دفعه يقوم اولاً بمقاومة هذه الميكروبات وثانياً بتقوية الاسنان حتى تقاومها

والميكروبات كثيرة جدًّا ، كما لا يخفى ، وتتوالد وتتكاثر بسرعة فائقة ، فاذا نظفنا افواهنا منها
لآن لا تمضي ساعات كثيرة حتى تدخلها وتتكاثر فيها فلا سبيل الى منعها من دخول افواهنا .
لكن الاسنان في حالتها الطبيعية مغشاة بقشرة بيضاء صلبة جدًّا وهي المسماة بالمينا ، فاذا كانت
ذه القشرة صقيلة كما هي في حالتها الطبيعية لم تستطع هذه الميكروبات ان تنخرها مهما كثرت ،
اذا بقيت فضلات الطعام بين الاسنان وفي المنخفضات وعلى تبجانها اختمرت وتولدت منها
ن تأكل شيئاً من المينا ، فيخشن سطحها وحينئذ يصير للميكروبات سبيل اليها فتأ كلها
ها . ولذلك كان تنظيف الاسنان من فضلات الطعام ضروريًّا لوقايتها . ومن الاطعمة ما يزيل
غيرها ولا يبقى منها هي فضلات . فهي اذن تساعد على وقاية الاسنان من الميكروبات
ذا من حيث الامر الاول اي مقاومة المكروبات

اما الامر الثاني وهو تقوية الاسنان نفسها حتى تقاومها فأهم من الامر الاول والراجح انه ا بلغت المينا حدها من التكون تعذر على الميكروبات ان تنخرها ولو حاولت فضلات الطعام ان يهد لها السبيل الى ذلك لان هذه الفضلات لا تستطيع تمهيد السبيل الاَّ اذا كانت المينا غير تامة تركيب والنمو فاذا تم نموها وبلغ حده لم يعد للميكروبات ولا لفضلات الطعام سبيل اليها وهي تتكوَّن ي الاسنان قبلما تشق اللثة وتظهر . فكونها قوية او ضعيفة يتوقف على احوال الولد في طفولته

ويظهر من البحث في اسنان أمم مختلفة ، في أزمنة مختلفة ان الحفر كان يزيد بازدياد العمران ي بازدياد المعيشة غير الطبيعية . فالشعوب المتوحشة سليمة الاسنان مهما كان عصرها ومهما كان اقليم لادها ، والذين ساروا في طريق العمران ظهر الحفر في اسنانهم والذين اوغلوا فيه تمكن الحفر من سنانهم حتى أفسدها . فقد احلى البحث في جماجم الشعوب الافريقية ان اسنانها خالية من الحفر ، في جماجم الهنود انها لا توجد الاَّ سن واحدة مصابة بالحفر في كل جمجمتين ، فتكاد أسنانهم تكون سليمة منهُ تماماً ، وفي اسنان الصينيين انه لا توجد سن مصابة بالحفر الاَّ في كل ثلاثين جمجمة ، وهذه الشعوب مشهورة كلها بتنظيف أسنانها بالمساويك والغسل المتكرر وببعض المساحيق التي تنظف الاسنان ، وهم يغسلون أفواههم واسنانهم بعد كل طعـام . فلما ثبت ذلك من درس الجماجم ثبتت علاقة سببية تاريخية بين تنظيف الاسنان وحفظها من الحفر

ولكن الغريب أنه لما فحصت جماجم الاسكيمو الذين يسكنون في المناطق الباردة الشمالية وهم لا ينظفون اسنانهم مطلقاً ولا يغسلون افواههم ، ظهر ان الحفر لا يوجد الاَّ بمتوسط سن واحدة في كل ٧٢ جمجمة ، وكان الظن ان الحفر يكون شائعاً فيها ، لما ثبت منه وجود العلاقة بين حفظ الاسنان ونظافتها في الجماجم السابقة . ثم فحصت جماجم الاستراليين الذين لم يصل اليهم العمران فثبت ان الحفر لا يقع الاَّ في سن واحدة من كل مائة جمجمة . ويستدل من هذا البحث ان أسنان بعض الناس سليمة من نشأتها لا تقوى الميكروبات عليها ولو كان للنظافة شأن كبير في حفظ الضعيف منها

ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام ان اسنان الاوربيين والاميركيين وأسنان نسلهم في مستعمراتهم يزداد الحفر فيها سنة بعد سنة . فمن مائة عام كان الحفر يرى في سن واحدة من كل ثلاثين سنًّا ، اما الآن فيرى الحفر في سن من كل ثلاث اسنان والنظافة لم تزد ولم تقل في خلال هذه المدة بل هي على حالها واذا رجعنا الى جماجم الشعوب القديمة التي بسط العمران رواقه عليها رأينا الحفر كثيراً في اسنانها

فقد فحص احد العلماء ١٤٣ جمجمة من جماجم الرومانيين القدماء فوجد الحفر في ٤١ جمجمة منها . وفحص ٣٦ جمجمة من جماجم المصريين الاقدمين فوجد الحفر في ١٦ جمجمة منها . وفحص عالم آخر الجماجم التي وجدها الاستاذ بتري الاثري الكبير ، في المدافن المصرية القديمة فوجد الحفر نادراً في السابقة منها لعصر التاريخ ، وكثيراً في الحديثة منها . وفحص اليوت سمث الذي كان استاذاً

٥٢٥ [illegible]

التاريخ خال من الحفر ، والذي من عهد الدول الاولى يكاد يكون خالياً منهُ ، ولكن ابتدأ الحفر يظهر في عهد الدول التي بنت الاهرام ولا سيما في اسنان الطبقة العليا من السكان . فانه فحص ٥٠٠ جمجمة من جماجم عظمائهم فلم يجد الاَّ خمسين جمجمة منها خالية من الحفر

وقد قلنا سابقاً إن اسنان الهنود الآن تكاد تكون سليمة من الحفر ولكن يظهر من بحث الدكتور موتو ان الحفر آخذ في الازدياد فيها باقتباس اصحابها أسباب العمران الاوربي . ويستدل من ذلك كله ان العمران يدعو الى حفر الاسنان ولو كان للنظافة وانواع الطعام شأن كبير في حفظها منهُ

***

ان المينا التي تغطي اسنان الانسان تتكوَّن في صبوتهِ — ما عدا الاضراس الاربعة الاخيرة اي ضراس الحكمة فان ميناها تتكوَّن بعد ذلك — فكل ما فيها من كمال ونقص راجع بنوع خاص الى طعام الولد في السنين الاولى من عمره

ففي العصور الاولى حين كان الانسان يعيش بالصيد والقنص ويأكل الاثمار والحبوب من غير طبخ ان يضطر ان يستعمل اسنانه كثيراً وكان ضعيف المضغ ينقرض من أمام غيره . وكان النساء يرضعن طفالهنَّ والطفل الذي لا يجد لبناً في ثدي امه يموت جوعاً . ثم تحضَّر الناس وتركوا البداوة واكثروا من استعمال ألبان الماشية وطبخ الطعام وصارت المرأة التي لا يكتفي ابنها بلبنها تسقيه من لبن البقر وفائدة بن البقر تتوقف على مقدار ما يهضم منهُ . ولبن المرأة اسهل هضماً على معدة الطفل من لبن البقر يغتذي الطفل من لبن امهِ اكثر مما يغتذي من لبن البقر ثم ان احوال الام الصحية والمرضية تؤثر ي ابنها ونموه ، فلما كان الناس على البداوة ، كانت الام الضعيفة تموت ويموت طفلها بعدها . والطفل ضعيف يموت ايضاً فلا يعيش من الاطفال الاَّ الذين يغتذون جيداً من لبن امهاتهم فتنبت أسنانهم قوية

وكان الناس وهم على البداوة ، يأكلون طعامهم من غير طبخ ، فيضطرون الى الاكثار من ضغه ، فتكبر أحناكهم وتقوى لكثرة استعمالها فلما شاع الطبخ وصار اكثر الطعام يؤكل مطبوخاً لت الحاجة الى المضغ ، فضعفت الاحناك وصغرت وبقي عدد الاسنان على حالهِ ، فازدحمت وضاقت فسحات التي بينها ، فصار الطعام يتخللها ويبقى فيها فيحمض ويفعل بالاسنان فعلاً كيمائيًّا

يضاف الى ذلك ان الابحاث الحديثة التي قام بها الدكتور ملنبي وزوجته أثبتت ان نقص بعض واع الفيتامين في غذاء الطفل يضعف مينا اسنانهِ ، وقد جربت التجارب في الجرذان وجراء كلاب ، فتأيدت هذه النتيجة . ولعلَّ تأثير الطبخ في اضعاف الاسنان ، لهُ من هذه الناحية فعل كن معلوماً من قبل اكتشاف الفيتامين

فاذا غذي الاطفال التغذية الكافية الوافية وهم في سن الرضاع وما بعدها ، واكثروا من مضغ طعام ، نبتت اسنانهم في الغالب مستكملة بناءها ، وحينئذٍ اذا اعتاد المرء تخليل اسنانه بعد الطعام تنظيفها جيداً قويت على مقاومة المكروبات ، ولم تصب بالحفر ولا بغيره من آفات الاسنان

الفلاح المصري القديم

مقامهُ . اعماله . حياته . منزله . مقاييسه . مكاييله

للدكتور حسن كمال

نشوء المدنية المصرية وتقدمها ثم انتشارها في انحاء العالم، كل ذلك نتيجة لخصب التربة في وادي النيل ووفرة محاصيله . وبهذه الوسيلة فقط تمكنت مصر على ضيق مساحتها من تغيير نظام العالم القديم تغييراً يفوق كثيراً ما قامت به سائر الاقطار الاخرى مجتمعة . ومهما قلب الباحث في الحضارة المصرية القديمة واستقصى اصولها وازداد في ذلك امعاناً ودقة فانه لا يهتدي في النهاية الا الى الزراعة ، وكلما تعمقنا في اقدم العصور المصرية المعروفة وجدنا الفلاحة قد بلغت شأواً كبيراً ومكانة عظمى قبل تلك العصور بزمن طويل . والمعروف ان ازالة الغابات الكثيفة التي كانت مكتنفة وادي النيل وتهيئة الاراضي لزراعة الحبوب والفواكه ومراقبة فيضان النيل ساعد على جمع كلمة القبائل التي كانت تقطن الوادي فتكونت من ذلك مملكة واحدة متينة الاساس قوية البنيان . وكذلك انقلب الوادي الى مزرعة في منتهى الخصب . لكن القيام بهذا العمل الجسيم تطلب مجهوداً مماثلا لجسامته . فنعاً للقحط والموت حفر القوم الترع فامتدت في انحاء القطر وحافظوا عليها بكل عناية ودقة . ولما كان من الصعب ري بعض الاراضي لارتفاع مستواها عمد الفلاح المصري في اقدم العصور الى استعمال الشادوف كي يثابر به على ري زراعته حتى الحصاد

وكانت الاراضي منذ اقدم العصور تزرع بواسطة فلاحين مأجورين يقومون بهذه المهمة نيابة عن الملاك. وهؤلاء الاخيرون هم الملوك او المديرون او الاعيان او كهنة الاديرة او الاضرحة . وكان الملك يعتبر إسمياً صاحب الاراضي كلها لكنه لم يتمكن من اثبات ذلك اثباتاً عملياً حتى في أوج سلطته

ولا بدَّ ان يلمَّ القارىء بعظم الانتاج الزراعي التي كانت مصر تخرجه قدماً . فثمة في قصة سيدنا يوسف عليه السلام من البراهين على صدق ذلك اقواها وأدعمها . فقد جاء عنها في الذكر الحكيم «تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلاً مما تأكلون . ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلاً مما تحصنون . ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون» (آية ٤٦ — ٤٨) . وهكذا تمكن الصديق بكفاءته من تغذية سكان مصر وما جاورها من البلدان مدة أربعة عشر عاماً بمحصول سبعة أعوام فقط

واحتكرت الحكومة بيع المحاصيل المصرية الى البلدان الاجنبية كما يستدل على ذلك بطريقة بيع القمح الى اهل فلسطين الواردة في القصة نفسها «مسّنا واهلنا الضرّ وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدّق علينا ان الله يجزي المتصدقين » (آية ٨٧) . والمكيال الذي اكتالوا بهِ هو « صواع الملك » (آية ٧١) — اي المكيال الملكي او الرسمي . ولا يبعد ان كبار الملاّك كانوا يبيعون ما يتبقى لديهم من المحاصيل الى الحكومة رأساً . خصوصاً اذا لاحظنا ان الفلاح قدماً كما هو حالاً يقنع دائماً بالقليل من القمح او الشعير مما يسدّ بهِ رمقه . قال ديودوروس الصقلي ان البالغين والاطفال كانوا كثيراً ما يعيشون على جذور النباتات والاعشاب المائية كالبردي واللوطس وغيرها وكانوا يتناولونها نيئة او مشوية او مسلوقة

ولم تتدخل الحكومة في المزروعات التي يرغب الفلاح في زراعتها بل تركت له كامل الحرية بخلاف الحال في عصرنا من حيث تحديد مساحة زراعة القطن والارز . ولا غرابة في ذلك فان الفلاحين وقتئذٍ كانوا بحسب قول ديودوروس الصقلي متمرنين منذ نعومة اظفارهم على الحياة الزراعية . فأتقنوا الفلاحة وتفوقوا فيها على البلدان الاخرى . ودرسوا طبيعة ارضهم وسبل ريها والمواعيد المناسبة للبذر والحصاد وما هو اهم من ذلك من اسرار طرق الحصاد التي توارثوها عن اجدادهم واتقنوها باختباراتهم . وقد اعتاد الفلاحون ان يستأجروا اراضي ملوكهم او ضباطهم او قسوسهم بقيمة يسيرة وان يتفرغوا لفلاحتهــا تفرغاً تامًّـا . اما العمال الذين كانوا يستأجرون للقيام بزراعة اراضي الاغنياء او الامراء فكانوا يعملون تحت رقابة ناظر زراعة يشرف على اشغالهم ويكتب التقارير عنهم بل ويقدمهم الى المحكمة لعقابهم اذا ما لاحظ عليهم اهمالاً او تقصيراً في القيام باعمالهم . وما اكثر ذكر هذه المحاكمات في الآثار المصرية . فالباحث يجدها مرسومة في المقابر كمقبرة (تي) بسقارة وغيرها بل ويجدها مجسّـمة بشكل انموذجي كالانموذج الذي في دار تحف القاهرة وقد عثرت عليهِ بعثة متحف المتروبوليتان الامريكي . وبعد زوال الفيضان وابطال الشادوف يبدأ الفلاح في فلاحة أرضه

ففي هذا الوقت تكون الارض رطبة لان المياه تكون قد انحسرت عنها حديثاً . فيعمد الى حرثها حالاً الاَّ في بعض المناطق التي تتجمع فيها المياه الراكدة . والمعروف ان الزراعة المثلى هي التي يبدأ بها في آخر فصل الصيف كما يستدل على ذلك من النقوش الواردة في أعلى المناظر الزراعية الآثار المصرية مما يشير الى حسن الطقس وتأثيره الحسن في نفوس الفلاحين حينذاك (راجع كتاب مصر للاستاذ ارمان ورانكه فصل ١٧ ص ٥١٧) . خذ مثلاً ما ورد بمقبرة (پاحرى) بمدينة الكاب خاصًّا بهذا العمل فقد جاء ما ترجمتهُ : —

« هــذا يوم جميل ! الهواء رطب والثيران تؤدي اعمالها (على ما يرام) ! والجوّ صاف كما نشتهيه ! » (راجع مقبرة پاحرى لجريفث لوحة ٣) . وهناك عبارات اخرى مماثلة لها مثل « النيل قد عم هذا العام » مما يدلُّ على شأن ذلك عند هؤلاء القوم لانه بحسب قولهم « سوف لا تحصل

جماعة في العام القادم بل بالعكس سيكون عام رخاء غزير المحصول ! » وأيضاً « ان الحبوب في العام القادم ستكون وافرة والثيران سمينة (راجع مقبرة باحري) » ويشبهي ان اول عمل يقوم به الفلاح شق الارض بالفأس ثم حرثها ثم بذرها الخ . وكان الفلاح يلتحف احياناً جلود الحيوانات فوق كتفيه ويصنع منها البسة صغيرة وكان يلبس تارة مآزر كتانية بيضاء قصيرة . اما نسوة الفلاحين فكنّ يلبسن الملابس الطويلة المنسوجة غالباً من الكتان مبتدئة من الكتفين وواصلة الى القدمين . واستعمل الفلاحون النعال احياناً . وشادوا مساكنهم بالمساليج (جمع مسلوج وهو ما لان واخضرّ من قضبان الشجر) الممزوجة احياناً بالطين . وشاد البعض الآخر مأواهُ باللبن

ومما يشير الى شهرة مصر في تلك العصور الغابرة بالزراعة ما تحمله اسماؤها من معانٍ . فمن هذه الاسماء « بق » ومعناه بلدة الزيتون وسميت كذلك لكثرته فيها. ثم اسم (تمرا) ومعناه الارض المشبعة بالترع وسميت كذلك لتخللها اياها . ثم اسم (قم) ومعناه السوداء اشارة الى شدّة سواد طينها . ثم (ناهي) ومعناه بلد الجميز وسميت كذلك لكثرته فيها

وكان يطلق على الفلاح قدماً اسم (سخي) و (حِنشوبو) و (انوتي) و (مِيرْ)

﴿ منزل الفلاح ﴾ لم يبق لنا التاريخ من آثار منازل الفلاحين الاَّ ما ندر . ولم يبق من المدن الأثرية الاَّ القليل جدًّا . والمنازل القديمة مطموسة وقد شيّد عليها منازل حديثة مما يزيد في صعوبة البحث . وتتلخص المباني القديمة التي بقيت للآن في معبد ابي الهول ومنازل اللاهون وتل العمارنة . واهم المراجع لمعرفة منازل الفلاحين وكيفية تنسيقها هي النماذج الصغيرة العديدة التي دفنها القوم مع موتاهم ومنها نماذج كبيرة في دار تحف القاهرة . وبالتأمل في هذه المنازل يتضح للناظر أنها صورة طبق الاصل لمنازل فلاحينا . فمنازل الفلاحين الاقدمين كانت غاية في البساطة كما هي الآن . وهي تتركب من حوش سماوي تمضي فيهِ افراد العائلة يومها (وتنام فيهِ ليلاً) وبهذا الحوش تتصل عدة حجرات مظلمة صغيرة وزريبة للحيوانات . وهناك سلم يوصل الى السطح . وقد تشاد فوق الاخير عدة حجرات . والصورة المرفقة بهذه المقالة هي لانموذج منزل فلاح محفوظ الآن بمتحف فؤاد الاول الزراعي . والاصل بدار تحف القاهرة . وفيهِ تتجسم البساطة بكل معانيها وهو يكاد يتفق تماماً مع كثير من منازل فلاحينا الحاليين فحجرتا السطح للنوم والسلم بسيطة الشكل والوضع . وهناك حجرة كبيرة كالردهة تتصل بالحوش . ويشاهد عمودان يحملان السقف من الامام . وفي الركن الايمن تشاهد دائرة لوضع غذاء الحيوان فيها. ولا يبعد ان الحيوانات كانت توثق بالاعمدة

اما منازل كبار المزارعين وعلى الاخص في عهد الامبراطورية الوسطى (٢١٠٠ — ١٧٠٠ ق٠م) فكانت تتكون من حوش ينتهي من الخلف بمصطبة ذات عمد او بمظلة متجهة عادة الى الشمال لالتقاط النسيم البحري ولتجنب حرارة الشمس المحرقة وفي هذه المصطبة او المظلة بعد الداخل باباً [illegible] الى صالة فسيحة مقدمها محمول على عمد . ويعتقد ان [illegible] نفسه في

انموذج لتمثال خشبي لفلاح مصري من عهد الامبراطورية الوسطى محفوظ بمتحف فؤاد الاول الزراعي والأصل بدار تحف القاهرة وهو تمثال الفلاح وقدماه غائرتان في الطين وقابضاً بيديه على فأس من طراز تلك العصور
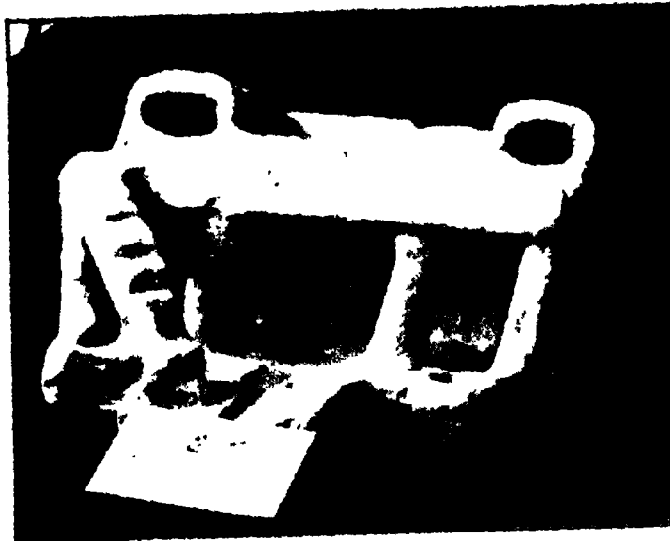
انموذج لمنزل الفلاح المصري القديم والاصل بدار تحف القاهرة
تصوير الدكتور حسن كمال

ارثر شنتزلر

كاتب نمسوي من اشهر كتاب العصر الحديث . وُلِد سنة ١٨٦٢ وتوفي في السنة الماضية . راجع قصته صفحة ٢١٧

بجة الحرارة في الجرّة فيترتب على ذلك اجتماع رطوبة الهواء على جذر الشجرة من الداخل
ات الماء على سطح جرة من ماء مثلوج ، فتنحدر تلك الرطوبة الى الاسفل حتى تصل الى
يث يمتصها النبات وينتفع بها

رود — كلب الماء — واختراع الخزانات ﴾ : ولا يغرب على الكثيرين من القراء ان
يط هو مخترع الحياض التي يخزن فيها الماء لادارة المصانع . وانهُ ايضاً اول من قنّى القني
ستخدامها للنقل والانتقال بالسفن . وكلب الماء يأتي ذلك في الغياط القريبة من الاشجار
، من قطعِ اغصانها وتعويمها في القناة ليستعملها في بناء الخزان او بمثابة كتل للطعام
فتخر المهندسون البشريون بحفر قناة بناما ، وهم خليقون بالفخر ، بيد أنها ليست اغرب
ع التي يحفرها ذلك الحيوان البحري المهندس

أى المستر ارنست طمسون سيتون ترعة من ذلك النوع انشأتها كلاب الماء في جبال
ي نيويورك فاذا طولها ٦٥٤ قدماً وعرضها يتراوح بين قدمين وثلاث اقدام وعمقها قدمان
لخزان الذي ينشئه كلب الماء بغرابة شكله اذ يبنيه من اغصان الاشجار المتينة والطين .
ضه ٢٠ قدماً وعمقه ١٢ قدماً وطوله ١٢٠٠ قدم . فلا شك ان ذلك الحيوان المهندس
ترعين للخرسانة المسلحة لان مواد البناء التي يستخدمها في بناياته اي الطين والاغصان
الاسمنت والقضبان الحديدية المؤلفة[1] للارق المسلح

ضة الافريقية وناطح السحاب ﴾ : تبني الارضة — وتعرف بالنمل الابيض وهي
— بيوتها من الصلصال فيتصلب من الشمس تصلباً شديداً بحيث تستطيع زمرة من
، على سقوفها دون ان تتصدع . وتجعل الارضة بيوتها مقبّبة ، ذات طبقات عدة من
. بعضها بعضاً لاغراض شتى . وتوصلها بعضها ببعض بمجازات تحفرها في جوف الارض
ة مدينة يعلوها سقف واحد كأنها صرح من الصروح المكتظة بدوائر الاعمال ، الحافلة
يطلق عليها اسم (ناطحات السحاب)

ع ارتفاع بيت الارضة ١٢ قدماً مع ان ارتفاع اشهق مباني العالم اي الاميرستيت ١٢٠٠
دت المقارنة بين ذينك البيتين باعتبار قامة بانيه ، اتضح لك البون الشاسع بين مجهود
مجهود الانسان . اذ عمارة «الاميرستيت» لا يزيد ارتفاعها على ٢٠٠ ضعف قامة انسان
دام ، على حين ان بيت الارضة يفوق ٥٠٠ ضعف قامتها التي لاتعدو ربع بوصة ! ! الذي
مباني العصر واشهرها شيئاً حقيراً بازاء بناية الارضة المهندسة البارعة ! !

ير وصناعة الورق ﴾ : معظم الناس يعرف الورق الذي تطبع عليه صحفنا اليومية من

[1] [illegible] الورق — [illegible] فيه بحجارة ورمل وغيره [illegible] — [illegible]

حجرة اخرى ذات عمد ايضاً كانت تستعمل على الارجح للغذاء . ومن ثمّ يتصل الانسان بحجرات النوم المتعددة الخاصة بصاحب المنزل وافراد عائلته من الذكور . اما قسم الحريم فكان يتصل باحد اقسام المنزل الاربعة المذكورة (وهي «الحوش» والمصطبة والصالة وحجرة الاكل) وذلك بواسطة حوش صغير . وفي مقابل قسم الحريم مساكن العبيد والمخازن والمطبخ والاسطبلات والروابي . ولا يبعد ان هذا التقسيم روعي باستمرار على طول العصور . واتبعت سرايات الملوك النظام نفسه كما يشاهد ذلك في تل العمارنة ومدينة هابو

والمادة الاساسية التي كانت تستعمل في بناء المنازل والسرايات هي اللبن المصنوع من طمي النيل وعرّش القوم اسقفهم بالخشب وغطّوهُ بالقش او الغاب الممزوج من الداخل والخارج بالطين . اما العمد فكانت تصنع عادة من الحجر او الخشب وكانت تحلّى في السرايات بالاحجار الزاهية او الزجاج الملوّن . واعتاد سراة القوم ان يموهوا جدر منازلهم بالالوان البديعة وان يطلوها بالجير . وتجفيف اللبن كان بتعرضه للشمس . وبهذه المادة شاد المصريون ربوع عمالهم وقصور اغنيائهم ومستودعاتهم ومخازنهم وقلاعهم واسوار مدنهم .وذلك لرخص مادته وسهولة استعماله . وكان للبن مصانع خاصة . والمصانع الملكية كانت تختم كل طوبة من صنعها بالختم الملكي تذكاراً للعصر واثباتاً للمصنع. ولما كان المعمار يحتاج دائماً الى الاخشاب وكانت هذه الاخيرة قليلة في وادي النيل اضطرّ القوم بحكم الضرورة ان يستعملوا اخشاب النخيل والجميز والاثل والسنط بالرغم من رداءة مادتها. ولندرة الخشب الجيد بالقطر كان ثمنهُ باهظاً . لذلك كان السراة يجلبون من سورية ما يلزمهم من خشب الارز . ومن هذا الاخير صنع النجّارون ما ادهش الناظر واخذ بلبّه

﴿ المقاييس الزراعية ﴾ — الفدان المصري القديم يقرب من اربعة اخماس الفدان الحالي ويعرف باسم (ساتا) وهو المعروف ايضاً باسم (أرورا) ويعادل عشرة آلاف ذراعاً مربعة . وقد جزأ القوم هذا الفدان الى نصف ارورا ويقال له (إرمن) وربع ارورا ويقال له (حسب) وثمن ارورا ويقال له (سا) وجزء من ستة عشر جزءاً من الارورا ويقال له (سو) وجزء من اثنين وثلاثين جزءاً من الارورا ويقال له (إرما)

أما مقاييس الطول فهي (١) الذراع الاعتيادي ويقرب من ٥٤ سنتمتراً ، (٢) الذراع الملكي (٧ اشبار او ٢٠ اصبعاً) ، (٣) الذراع الصغير (٦ اشبار او ٢٤ اصبعاً) ، (٤) الساعد (٢٠ اصبعاً) ، (٥) مقياس يقال له تشستر (١٦ اصبعاً) ، (٦) الشبر الكبير (١٤ اصبعاً) ، (٧) الشبر الصغير (١٢ اصبعاً) ، (٨) مقياس يقال له شپوي (٨ اصابع) ، (٩) المقبض (٦ اصابع) ، (١٠) اليد (٥ اصابع) ، (١١) راحة اليد (اربعة اصابع) ، (١٢) الاصبع

أما مقاييس الكيل فتتلخص في (١) الهنّ = ½ من اللتر ، (٢) التنات = ٢٠ هنّا ، (٣) ابت = ٤٠ هنّا ، (٤) حتب = ١٦٠ هنّا

تحوُّل الآراء الفلسفية

كما تبدو في قصائد

ملتن وپوپ ووردسورث وتنسن وشلي

اذا كان للافكار مرآة فالادب مرآتها . فيهِ تتجلَّى نفسية الامة وآراؤها . ويتطوَّر الادب بتطوُّر التفكير في كل امة في كل عصر . والتعمق في درس ادب الامة، ولا سيما شعرها ، يبدي للباحث حقيقة حالها . على هذا الاساس اورد الفيلسوف هوَيْتهد ، استاذ الفلسفة في جامعة هرڤرد الامريكية ، في كتابهِ : (العلم والعالم الحديث) بحثاً ضافياً تناول فيهِ الرجعة عن العلم الطبيعي ، تحت عنوان : الردَّة الرومنتيكية فاستخلصت منهُ هذه المقالة وتكاد تكون طبق الاصل ، مع حذف ما يمكن الاستغناء عنهُ من الاقتباسات والتعليق عليها [حنا خباز]

لدينا اشعار ملتن وپوپ وشلي ووردسورث وتنسن . فنموذج ملتن كتاب : الفردوس المفقود والفردوس المستردّ[1] وهما مسبوكان في قالب لاهوتي ، امتاز بهِ الشطر الاول من القرن الثامن عشر ، من دون ان يتأثر بالعلم المادي . ونموذج پوپ كتاب : تلخيص في الانسان[2] : وفيهِ نتبين الحركة العلمية التي لاح فجرُها في خلال الستين عاماً بين ملتن وپوپ . ونموذج وردسورث كتاب : النزهة : Excursion وفيهِ ردَّة واضحة عن عقلية القرن الثامن عشر . والمقصود بهذه العقلية هنا التسليم بالآراء العلمية الى اقصى مقتضياتها . لم يزعج وردسورث ايُّ تناقض ذهني انما حفزهُ نفور اخلاقي . فقد شعر ان ذهنية القرن الثامن عشر قد اهملت شيئاً وهذا الشيء الذي اهملت ينطوي في رأيهِ على كل ما هو خطير . اما تنسن ونموذجه الذكرى[3] فلسان حال الرومنتيكية الآخذة في التقدم وهي تحاول ان توفّق بينها وبين العلم الطبيعي . ففي الشطر الثاني من القرن التاسع عشر ، كان اصحاب الفكر الحديث قد انقسموا الى فريقين متمايزين في فهمهم وتعليلهم « الطبيعة وحياة الانسان » . فوقف تنسن بين الفريقين موقف الحائر . وجد نفسهُ امام مذهبين متناقضين ، لكلٍّ منهما مرجع بديهي لا ندحة له عنهُ . اما المذهب الميكانيكي فهو الذي يزعجهُ . قال :

وهمست : النجوم سائرة على غير هدى

(1) Paradise Lost and Paradise Regained (2) Essay on man (3) In Memoriam

في هذا البيت تلخيص القضية الفلسفية التي انطوت عليها اشعاره . واليك البيان : —

تسير كل ذرّة (في الكون) على غير هدى . وفي الاصل الانكليزي — سيراً اعمى — فالجسم الانساني ، وهو مجموعة ذرّات ، اذاً يسير على غير هدى . وهذا ينفي التبعة الادبية في افعال الجسم. فانك ، وقد سلّمت بان الذرّة تسير سيراً جبريًّا ، مستقلاً عن حكم العقل ، خاضعاً لنواميس ميكانيكا عامة — اذا سلّمت بذلك ، فلا مناص لك من انكار التبعة . ولكن الاختبار الذهني يستمَدُّ من حركة الجسد وعليهِ فتنحصر وظيفة العقل في قبول الاختبارات التي تقرّر له ثم يضيف اليها اختبارات مستقلة تستمَدُّ من حركات الجسد . فانا في شأن العقل نظريتان هما انكار الاختبارات المستقلة عن الجسد ، والتسليم بها . فبانكارها يسقط التكليف الادبي ، وبالتسليم بها يثبت . فيكون الانسان مسؤولاً عن افعاله العقلية ، ولو لم يسأل عن حركات الجسد الطبيعية . والصورة التي بها يتجنب تنسن هذه النتيجة هي مظهر ضعف الفكر في العصر الحديث

كانت هذه القضية على بساط البحث في عصر تنسن . وكان الفيلسوف جون ستوارت مِل يقول بالجبرية في هذا الصدد وقوله هذا كان يقتضي ان يكون النزوع البشري مسيّراً لا مخيّراً . وليس في هذا المذهب مخرج من المأزق الذي تحتّمهُ الميكانيكا . لانهُ اذا كانت الارادة متحكمة في الجسد فلا يكون سير ذراته على غير هدى . واذا لم تكن الارادة حاكمة فالعقل في حال من الاضطراب تستوجب اليأس

راج رأي مِل ، ولاسيما بين الطبيعيين ، لانهُ يؤذن بميكانيكا مادّية متطرفة . على انهُ لا يحلّ المشكلة لانهُ اما ان تكون الافعال البشرية حركات «على غير هدى» او لا . فان كان الاول فلا علاقة للعقل بحركات الجسد . والمخرج التقليدي من هذا المشكل ، — اذا صدفنا عن تجاهله — هو في ما يدعى المذهب الحيوي : Vitalism : لانهُ يأذن بسير الجوامد وفقاً لقواعد الميكانيكا ثم يضعف فعلها في الاحياء . على ان الثغرة بين الجوامد والاحياء غير جلية . فلا وزن لرأيٍ عرفي كهذا

الاشياء قسمان . عضوية وغير عضوية . تمتاز الاولى بمبدإٍ كلي يتوزع في الفروع الداخلة تحت الكلِّ ، دخول الانواع تحت الجنس ، والافراد تحت النوع . فتنشأ بهذا الاعتبار في الحيوان الاحوال العقلية . وللاحوال العقلية أثر في تعديل حركات الذرّات في الجسم العضوي . حتى ان الكهارب وهي تسير على غير هدى في الجسم العضوي وفي الاشياء سواسية . ومع ذلك فسيرها في العضوي منطبق على خطة الجسم العامة ، بما فيه العلاقة العقلية

على ان التناقض بين ميكانيكا العلم المادّي والبدائه الاخلاقية اللازمة لمصالح الحياة ، اخذ يتجسم مع مرّ العصور . وموقف كل عصر من هذا التناقض يبدو لك في مستهلّ القصائد التي ذكرناها . فقد جاء في خاتمة مقدمة الفردوس المفقود لملتن هذه الطابة : —

ليتني اسمو بالعناية الى اعالي هذا البحث المظيم فأزكّي طرائق الله للانسان

غرض ملتن في قصيدتيه الفردوس المفقود والفردوس المسترد : تزكية طرق الله في معاملته الانسان . كرر ذلك في قصة شمشون

عدلٌ هي افعال الله ومزكاة في نظر الانسان

تتبين في ذلك ثقة راهنة لا تزعزعها جرف الشكوك التي قذفها العلم . فالفردوس المفقود نشيد وداعي لليقين الراسخ . والموازنة بين «الفردوس المفقود» واشعار بوب في الانسان : ترينا التطور الذي وسم الفكر الانكليزي خلال الفترة بين ملتن وبوب . فقد خاطب ملتن العزة الالهية ، اما بوب فخاطب اللورد بولينبروك قائلاً :

اترك السخافات للمطامع السافلة وكبرياء الملوك . ودعنا (ما زالت الحياة لا تمكننا الا من نظرة والينا يعقبها الموت) نستطلع احراراً مشهد الانسان — تيه عظيم ! ولكن لا يخلو من منوال (نظام)

قابل هذا البيت الاخير «تيه عظيم : ولكنهُ لا يخلو من منوال» بقول ملتن «عدلٌ افعال الله» . والامر الذي يجب ان نقف عنده في القولين هو رباطة الجأش في وسط عالم مصطخب . هي ثقة لا تساورها الحيرة التي ملكت مشاعر ابناء العصور الحديثة . كان رائد ملتن الاستسلام «لطرق الله» في معاملة الناس . وبعد قليل نرى الثقة نفسها في شعر بوب اذ يجد في اساليب العلم الحديث نظاماً كأنهُ خريطة لذلك التيه العظيم

ننتقل الآن الى «نزهة» وردسورث . وهي في الموضوع ذاته . جاء في مقدمتها النثرية انها جزء من مؤلف شعري فلسفي كبير ، يشتمل على آراء في الانسان والطبيعة والهيئة الاجتماعية : قال في مطلعها

كان يوماً من أيام الصيف والشمس رأد الضحى

وكذلك ترى ان الردَّة الرومنتيكية لا تبدأ بالله كما في ملتن ولا باللورد بولينبروك كما في بوب بل بالطبيعة . وفي ذلك رجعة محسوسة عن سمة القرن الثامن عشر . ادرك ذلك القرن الطبيعة بواسطة التحليل العلمي التجريدي . على اننا نرى وردسورث يستعيض من التجريد العلمي باختباره الحسيّ

بين « نزهة » وردسورث ، وذكرى تنسن جيل من الاحياء الديني والتقدم العلمي . وكان شعراء الذين سبقوهما يحلون المشكل بتجاهله ، فلم يتسنَّ ذلك لتنسن . فبدأ شعره بما يأتي : —

ايها الحب الخالد . ابن الاله القدير . اننا ونحن لا نرى وجهك نعتقد وبالاعتقاد وحده نؤمن حيث نعجز عن البرهان

وكذلك ترى ان تنسن تقر في مستهلّ قصيدته على وتر الحيرة ، اذ اشار الى الايمان القائم على الاعتقاد حيث نعجز عن البرهان

كان القرن التاسع عشر قرن حيرة لم يسبق لها نظير . ففي العصور السابقة كنت تجد فريقين متمايزين او نظريتين متناقضتين ولكن كلاً منهما كانت جلية واضحة ، وكان اتباع كل نظرة لا تساورهم اية ريبة في صوابها . وتقوم مكانة شعر تنسن لكونه مرآة عصره الخاصة . فقد كان كما [illegible]

ذاته . بخلاف المفكرين قبل ، اذ كانوا غاية في الوضوح ، كديكارت وسبينوزا ولوك وليبنتز ولكن في القرن التاسع عشر كان اقدر اللاهوتيين والمفكرين محيراً مضطرب الذهن . فكانت تتنازعهم تعاليم متناقضة ، انتجت بلبالاً لا محيص منهُ . بل ان متيو ارنولد ، كان اشدَّ جلاء لهذه الحيرة من تنسن . قابل ذكرى تنسن بختام قصيدة ارنولد التي عنوانها : شط دوفر : حيث يقول

نحن هنا في ساحة قاتمة تجرفنا مخاوف مضطربة من النزاع والفرار حيث تصطدم جيوش جاهلة في الظلام

وقد ذكر الكردينال نيومن في كتابه : الابولوجيا : ان من أهم مزايا بوسي الاكليركي الانجليكاني العظيم انهُ : لم تقلقهُ حيرة عقلية : فيعيد بوسي بذلك ذكرى ملتن وبوب ووردسورث . فهؤلاء على الضد من تنسن وكلو وارنولد ونيومن نفسه لا تملقهم حيرة فكرية ما . وقد اورد زعماء الرجعة الرومنتيكية اهم انتقادات الافكار العلمية في الشعر الانكليزي المعاصر للثورة الفرنسية والذي تلاها . وأعمق مفكري هـذه النزعة كولردج ووردسورث وشلي . أما كيتس فهو مثال الادب الذي لم يمسَّه العلم الطبيعي

كان وردسورث هيَّاماً بالطبيعة هيام سبينوزا بالله . وكان ايضاً مفكراً واسع الاطلاع ، فلسفي النزعة . وعلاوة على ذلك كان عبقريًّا . لكنه اوهن حجته بكراهيته العلم . فقد قال : نقتل لكي نشرح الجثث . يبين ذلك نقده العلم . وهو يأخذ على العلم غلوه في التجريد . ورأيه المتردد في اشعاره هو : ان حقائق الطبيعة الكبرى تفلت من المنهج العلمي . فلنا ان نسأل ماذا وجد في الطبيعة مما لا يعنو للبيان العلمي ؟ لا ريب في انهُ عرف ما لا ينكره احد وهو اختلاف الاحياء عن الجوامد . على ان ذلك لم يكن نقطته الرئيسية . بل فتنه مشهد الهضاب الباعث على الابتكار وهو يتعمق في نقد ما يحيط بنا من الغوامض التي تساور كل عصر . وأهم اشعاره الكتاب الاول من الديباجة : المشحون بفتنة الطبيعة . جاء فيه قوله : —

يامجالي الطبيعة العلوية . والارضية . يا مرائي الهضاب . والهامات المواطن الخالية ! ايمكنني الظن . ان لك املاً ساذجاً باستخدامك . رسالة كهذه يوم فتنتني في خلال السنين . ايان لهوي بتسليات الصبا . في الكهوف والاشجار ، في الحراج والهضاب . ترسمين على كل شكل صفات الخطر او الشهوة ، فجعلت وجه الارض قاطبة . بفوزٍ وحبور وأملٍ وخوف . يضطرب اضطراب وجه البحر ؟ . . . . .

ارى في هذا الاقتباس من وردسورث شدة التقيُّد والتناقض في مشهد الطبيعة الذي يوحيه الينا العلم العصري . ويوضح وردسورث ، الى حدود العبقرية ، حقائق ادراكنا التي شوهها التحليل العلمي

ولكن موقف شلي ضد موقف وردسورث من حيث صبغته العلمية . فقد أحب شلي العلم ، وهو لا ينِي يوضح افكاره العلمية بأسلوب شعري . والعلم عنده رمز الفرح والسلام والبهاء . وكانت

شلي الاوربيين لم يدركوا حقيقته ، لبعد ما بين ذهنهم وذهنه فحسبوا معالجته الطبيعة ، شذوذاً مع انهُ السمط الذي يتخلّل اشعاره وينظمها . ولو ان شلي ولد مائة سنة بعد ولادته لكان نيوتن الكيماويين . فلكي نتمكن من قدر شلي قدره يجب ان ندرك افتتانه بالفِكَر العلمية والامثلة على ذلك في شعره لا تحصى فنكتفي بقصيدة : بروماتيوس المطلق : قال بلسان الارض : —

ادور تحت هرم من الليل ـ متجهة الى السماء ـ حائمة بالنشوة ، متمتمة بالفرح المظفر في نومي المسحور

وهي صورة شعرية ما كان شلي يستطيع بيانها لولا مثال هندسي مرسوم في ذهنهِ

وللطبيعة عنده روعتها وجمالها . وهي في نظره كائن عضوي . فلو اتيح لرجل وصف مضمون العلم الاختباري لكان شلي ذلك الرجل . قال في قصيدة « مون بلان » :

الاكوان المادية الخالدة . تجري في العقل متتالية الامواج . آونة قاتمة — واُخرى باهرة . حيناً تسوء وحيناً تسرّ . حيث يستمد الفكر الانساني مددهُ . من نبوع سرّية لها نصف ضوضائه . كجدول لطيف في قلب الجبال . تنبجس مياهه على الدوام . وشلالاته دائمة الهبوط . فيتفجر ويزمجر

نظم هذه الاشعار استناداً الى المذهب التصوري ، كنتيّاً كان او باركليّاً او افلاطونيّاً . وكيفما اوّلته فهو شاهد على الوحدة التي تؤلف الطبيعة . فشلي وباركلي ووردسورث يمثلون البديهة نابذة العلم المادي الصرف . وهنالك تباين بين نظرتي شلي ووردسورث في الطبيعة . يراها شلي تغيراً وانتقالاً ، كريشة في مهب الريح قال :

كأشباح فارّة من ساحر

او كقولهِ في قصيدة الغيمة على لسانها « اتحوّل ولكن لا اتلاشى » . وهذا التغيُّر في الطبيعة ليس تغيُّر انتقال بل تحوُّلاً في طبيعة الشيء . فتغير الاشياء التي لا تتلاشى هو ما علّق عليه شلي اعظم الشأن . اما وردسورث فنشأ في جبال جردٍ ، لا يؤثر فيها تقلب الفصول . فاستهواه ثبوتها فهو يرى تغيرها عرضاً : كسهم في نسيج الثبوت قاطعاً عرض البحار الهادئة الى أقاصي جزر الهبريدس . ففي كل جهدٍ في تحليل الطبيعة فملاك ، التغير والثبوت . يضاف اليهما ثالث هو : الابدية

فالادب الانكليزي القرن التاسع عشر هو مظهر التباين بين بدائهِ الفن ومقتضيات الميكانيكا العلمية . يصوّر شلي تغيُّر الأشياء تغيُّراً صوريّاً . اما وردسورث فشاعر الطبيعة ذات الجمال الرائع . وهنالك الموضوعات الابدية ، وهي عنده : النور الذي لم يحصره برّ ولا بحر :

ويشهد الشاعران ان الطبيعة غير منفكة عن القيم الفنية . وتنشأ القيم عن إنبثاث الكل في اجزائهِ . ونستخلص من اولئك الشعراء انهُ على الفلسفة ان تعنى بالاشياء الخمسة التالية :—

التغير : القيمة : الاشياء الخالدة : العضويات : الاصطحاب

فالحركة الرجعية الاوربية في مطلع القرن التاسع عشر هي كفلسفة باركلي قبلها بقرنٍ كامل ،

سير الزمان
مشكلة الشرق الاقصى
وخطط الدول العظمى نحوها
دولة اليمن ودولة آل السعود
بحث تاريخي في نشأتهما وتطورهما
لامين سعيد
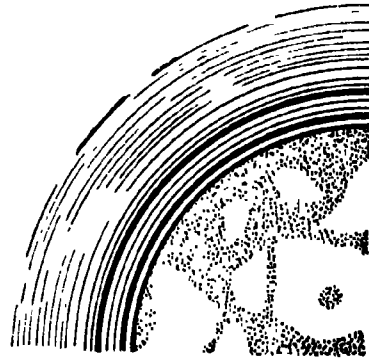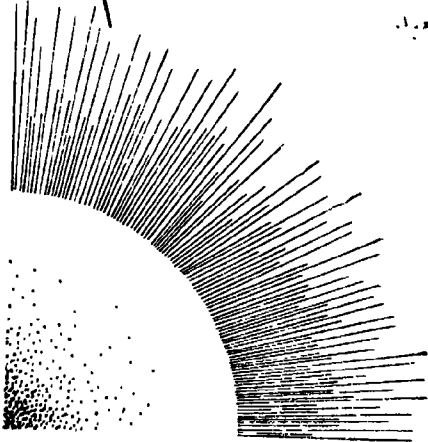
مشكلة الشرق الاقصى

وخطط الدول العظمى نحوها

من نكد الدنيا على العاقل في هذا العصر انهُ يستطيع ان يتكلم عن حرب بين اليابان وروسيا ، ذكرى الحرب العالمية ما تزال حيّة في الاذهان . ولكن ذلك لا يمنع ان حرباً من هذا القبيل ، خرجت عن كونها نظرية تحتاج الى تأييد ، واصبحت احتمالاً لاينقصه الاّ تعيين ميعادهِ . فبعضهم يذهب الى ان هذه الحرب واقعة في هذه السنة ، والبعض الآخر يذهب الى انها قد تتأخر سنة اخرى او سنتين . ولكن لا بدَّ من نشوبها على أية حال . ولسنا نفشي سرًّا لا يعلمهُ أحد ، اذا قلنا ، نقلاً عن اوثق المصادر ان وزارات الخارجية ، واركان حرب الجيوش ، تعدّ معداتها على اساس ان هذه الحرب ناشبة بعد بضعة شهور . وقد نتجاهل ما تفعلهُ وزارات الخارجية او أركان حرب الجيوش من هذا القبيل ، لانَّ اقلَّ باعث من الخطر يحملها على اعداد المعدّات للحرب . ولكننا مع ذلك نظلُّ مالكين لطائفة من الأدلة تشير الى ان الحرب واقعة لا بدَّ منها . خذ مثلاً على ذلك عنف العبارة في البلاغات الروسية الى اليابان ، وهو لا يتسرّب عادة الى لهجة المذكرات بين امتين الاّ اذا كان الجوّ مضطرباً بينهما والصلة متوترة . واجماع الروس، سواءٌ في ذلك صحافتهم وزعماؤهم ، على استعمال هذه العبارات العنيفة في مخاطبة اليابان ، يدلُّ على ان الامر جدٌّ كلَّ الجدّ . ثم ان هناك ادلة اقوى من الادلة المبنية على الكلام وتصريحات الرجال المسؤولين . هناك عناية روسيا بحشد جيوشها في شرق سيبيريا وجمع كلّ ما تستطيع جمعهُ من مواد الحرب وذخيرتها في النقط الرئيسية وتعبئة اسطول جويّ كبير في مدينة فلاديفستوك وهي اقرب المرافىء الروسية في الشرق الاقصى الى اليابان . ومنذ ما فتحت اليابان مقاطعة منشوريا سنة ١٩٣١ عمدت روسيا الى تعزيز مكانتها العسكرية في سيبيريا ، مع ان هذا التعزيز اقتضى منها ان تهمل قليلاً مشروعها الصناعي الكبير العزيز على قلبها

وكانت نتيجة كل هذا ان قوى روسيا واليابان متواجهة الآن في سيبيريا وكوريا ومنشوريا . لاريب ان الصحف هوّلت بكثير من الحوادث ولكن لا ينكر احد ان حوادث وقعت بين الفريقين

والاسباب التي تحملنا على الاعتقاد بأن النزاع قد يتأخر قليلاً بين هاتين الدولتين في الشرق الاقصى هو (اولاً) ان روسيا سوف تجتنبه بكل الوسائل المستطاعة ، الاّ اذا اطلقت اليابان العنان ، وغزت بعض الممتلكات الروسية و (ثانياً) ان اليابان قد تحاول في الغالب ان تضبط نفسها الآن ، او بالحري ان تضبط دعاة الحرب من ابنائها

وليس القول الاول مبنيًّا على محاولة تصوير روسيا بصورة المحبّ للسلام على اطلاق القول . لان

ذلك ليس صحيحاً بوجهٍ عام . وروسيا ما زالت من سنة ١٩١٩ مستعدةً للحرب في سبيل المحافظة على كيان الجمهورية السوفيتية . ولكننا نقوله لان الحرب ، اذا خاضتها روسيا الآن ، تبطىء عمل التعمير الداخلي ، الذي وجّهت روسيا اليهِ كلَّ عنايتها في العهد الاخير . ونحن لا نعتقد ان روسيا واهمة في امكان الافلات من حربٍ مع اليابان ، بل هي ولا شكَّ تدرك ان يوم الحساب معها قادم لا ريبة فيهِ . ومع ذلك ظلّت روسيا لا تحرك ساكناً رغم فقدها لمكانتها الاولى في سيبيريا ، وتهديدها بفقد مكانتها في منغوليا الخارجية . وسوف تظلُّ كذلك ، حتى تتمّ استعدادها — الاَّ اذا هُتِكت حرمة اراضيها في سيبيريا

اما اليابان فاما ان تنفّذ خطتها بسرعة او قد يتعذَّر عليها تنفيذها على الاطلاق . فكرُّ الزمان ضدُّ اليابان في مغامرتها مع روسيا . ذلك ان كل سنة تمرُّ ، تجعل روسيا ، وهي اقوى من اليابان من جميع الوجوه العسكرية والصناعية . فاذا تمَّ ازدواج سكة حديد سيبيريا ، وانشاء المراكز الصناعية في سيبيريا ، فقدت اليابان ما تمتاز بهِ على روسيا الآن ، من الوجهة العسكرية . والراجح في نظر الثقات انهُ اذا كانت اليابان تنوي ان تغزو شواطىء سيبيريا ، لتجعل كلَّ الاراضي التي تحيط ببحر اليابان شواطىء يابانية ، فعليها ان تفعل ذلك الآن ، او على الاقل عليها ان تحاوله الآن ، قبل ان تعزَّز قوى روسيا في الشرق الاقصى . ولكن يقابل ذلك (اولاً) النفقات الهائلة التي تقتضيها الحرب ، مع ان حالة اليابان المالية الآن ، لا تسمح بهذا . (وثانياً) اضعاف اليابان ازاء الولايات المتحدة الاميركية . فعسكريو اليابان يرون العقبة الاولى التي تحول بينهم وبين تحقيق حلمهم في التوسع العالمي : هي الولايات المتحدة الاميركية لا روسيا . وليست ولايات سيبيريا البحرية ، الاَّ شيئاً صغير . ازاء السيطرة على الصين . وخصمهم الاول في السيطرة على الصين ، هو اميركا لا روسيا . حتى اذا خضعت لهم روسيا في الشرق الاقصى ، تبقى الولايات المتحدة في حرز حريز ، تناوئهم وتؤلب عليهم العالم ولذلك يجب ان لا يفعلوا ما يضعفهم ازاءها

***

من ذلك نستطيع ان نستنتج ان الحرب بين روسيا واليابان ، قد لا تنشب هذه السنة ولكن ذلك لا يهمُّ . وسواء انشبت هذه السنة او السنة القادمة او السنة التي تليها فالشرق الاقصى في حالة حرب الآن . ذلك انهُ لما كانت منشوريا بلاداً مستقلة استقلالاً ذاتيًّا ، كانت كالمجنّ بين روسيا واليابان . فلما زال المجنّ تقابلت القوى الروسية واليابانية وجهاً لوجهٍ . بل هناك ما هو انكى من ذلك لليابان في شرق آسيا جناح معرَّض لروسيا الاسيوية . ولروسيا هناك جناح معرَّض لليابان كما يتبين ذلك من مراجعة الخريطة . وموقع كل من هذين الجناحين يقلق صاحبهُ ، اذا بدا من خصمهِ اي ... لاقلاق الحالة الراهنة . وكلتا الدولتين لها مطامع اسيوية حيوية . أما اليابان فطامعها استعمار وأما روسيا فطامعها من قبيل ما تقتضيه النزعة الشيوعية وفلسفة الثورة العالمية لتعميم الانقـ

عجينة الخشب او رُبّه ِ . بيد انهم لا يفقهون كوننا نتأسى في ذلك بأقدم صناع الور
بها الزنابير — !! تلك الحشرات النشيطة التي حذقت صناعة الورق ، قبل ان ي
صناعته بالايدي بدهور . وطريقة الزنابير تقوم بمضغ اوراق الشجر او الياف الخشب حتى
فتستعملها في بناء عشها اما في حفير من الارض واما في غصن شجرة واما ملصقاً بجر
قديمة او هري عتيق

﴿ مذبنة زهرة Venus, Flytrap ﴾ : يدلنا التاريخ البشري ان الانسان حينما شـ
صيد الحيوان ليقتات بلحمه (اخترع الفخّ) وكان ذلك الفخ بمثابة حفير في التدبير
الحيوانات الطريدة سلوكه ، ثم اخفاء الحفير عن عيونها بغطاء ركيك ، حتى اذا مرّ
فتسقط فيهِ حيث لا تستطيع حراكاً فيفاجئها الصائد ويقتلها . ثم تدرج العا
اتقان الحبائل رويداً رويداً حتى اتيح لهم صنع الفخ الفولاذي ذي النابض . الاّ ان الط
الانسان الى صنع الفخاخ منذ ملايين السنين ممثلة في نبات ضئيل ينبت في ولايتي كا
والجنوبية وفلوريدا بأميركا ويعرف باسم مذبنة زهرة . فاذا نصب ذلك الفخ رأ
المستديرين فاغرين ، وثلاث شوكات متينة كالاسنان ناتئة في وسط كل من الشقين .
التعسة التي تلمس الشوكة العليا فتكون كمن يبحث عن حتفه بظلفه إذ ينطبق الـ
وتشتبك توًّا اسنان الشقين بعضها ببعض كما تشتبك اصابع الكفين اذا تداخلـ
فتستقر الحشرة في جوف النبات وحينئذ تفرز غدده سائلاً هاضماً وتمتص المادة ا
في الحشرة وقد يقضي النبات عدة ايام في هضم ذبابة واحدة وقلما تتمكن الور
هضم ذبابتين او ثلاثاً قبل موتها

﴿ اجهزة تنفس الحشرات والـكمامات الواقية من غبار الصناعات ﴾ وقد تـ
العصرية طائفة من الحرف التي يستهدف ذووها الى الذرات التي تتناثر منها . ومـ
الزجاج والمعدن بنسف الرمل ، التي تقتضي توجيه مجرى من الرمل الناعم بوساطة
على سطح من الزجاج من ثقوب مقطع[1] فينجم عن ذلك طيران ذرات الرمل والز
الصانع على الدوام لاستنشاقها ، احدثت تهيجاً في رئتيه قرضاً وبيلاً . ولذلك يـ
او كمامات للتنفس تنقي الهواء مما يشوبه من الذرات الصلبة وذلك بوساطة شبـ
لكي تحول دون دخولها (اي الذرات) في رئتي الصانع . وقد يخيل للمرء ان هـ
من مستلزمات الطبيعة . والواقع ان الحشرات تكاد تكون كلها مجهزة بأمثال ذلك
ويجهل الكثيرون من الخلق كون الحشرات لا تتنفس بأفواهها . والحاصل

الشيوعي حيث تستطيع . ففي اليابان قوى خفية تدفعها غرباً . وفي روسيا قوى خفية تدفعها شرقاً . ولا بدَّ يوماً ما ، من ان تلتقي الدولتان ، لانهما سائرتان في وجهتين متقابلتين في خط مستقيم . فاليابان تهاجم الآن . وروسيا ساكنة تستعدُّ . وهذه حالة دولية لا يمكن ان تبقى مستقرة زمناً طويلاً . وما لم تحدث ثورة عالمية ، او انهيار اقتصادي عام او انحلال اليابان او روسيا من الداخل ، او انتصار الولايات المتحدة الاميركية على اليابان اولاً ، فلا بدَّ من وقوع الاصطدام — قد يكون ذلك قبل نهاية هذه السنة وقد يتأخر سنة او سنتين

فاذا جاء هذا الاصطدام انتقل مركز القوى السياسية العالمية الى آسيا . بل ان الغرب ، قد بدأ يحس بهزات الزلزال قبل وقوعهِ ، على ما رأينا من أثر فتح اليابان لمنشوريا في جمعية الامم وعهدة كلوج والآمال الذاوية بخفض السلاح . فاذا نشبت الحرب ، اضطربت آسيا ، كأنها بحر هبَّ عليهِ اعصار ، وتعيَّن على الدول الغربية ، ان تجيب عن مسائل خطيرة ، ترتبط بمستقبلها ومصير العالم . قد يجد القارئ في هذه الكلمات ، نوعاً من التشاؤم الذي لا مسوّغ له ، ولكننا نذكر ما كتب في المجلات البريطانية عن البلقان سنة ١٩١٣ ، وكيف ملَّ الناس تشاؤم اولئك الكتاب ، وكيف حققت الحوادث كلَّ ما انذروا به

ومما لا ريب فيه ان الحرب في آسيا لا بدَّ ان تشمل الصين ، شمولاً مباشراً او غير مباشر . اذ لا يمكن ان تنشب حرب في شرق آسيا من دون ان تشمل الصين . ثم ان الصين لا ترغب في الغالب ان تظل بمعزل عن تلك الحرب . اذ لا بدَّ من ان تدور رحى القتال في منشوريا ، ولا بدَّ كذلك من ان تتصل بالصين الشمالية . وعندئذٍ لا بدَّ للعصابات الصينية من ان تشنَّ الغارات على القوى اليابانية فتحاول ان تنسف الجسور ومحطات السكك الحديد ومخازن الذخيرة . فتردُّ اليابان على ذلك ، بالانذار اولاً ثم بالتهديد ثم بأخذ الثأر . ولا بدَّ للصين من ان تحاول جهدها ان تعرقل اعمال اليابان الحربية انتقاماً منها . ذلك ان صدور الصينيين تغلي فيها مراجل الحقد على اليابان ، منذ ما اطلق هؤلاء قنابلهم على شنغهاي . ومما يزيد في مرارة الصينيين انهم يشعرون بهذا الحقد وبعجزهم عن اخذ الثأر . فاذا سنحت لهم الفرصة فلن يدعوها تفلت . فاذا نشبت الحرب بين روسيا واليابان سرت في الصين موجة من الامل باسترداد ما انتزعته اليابان منهم ولذلك فالراجح انهم يقفون في المعترك الى جانب الروس ويضاف الى ذلك ان الشيوعية — او ما يعرف بالشيوعية في الصين — قد اصبحت راسخة في غير ولاية واحدة من ولاياتها . وهي آخذة في الانتشار ، لما منيت بهِ البلاد من الحروب الاهلية وفساد الحكم . وقد يتاح لها الفوز فيها . فاذا خاضت روسيا غمار حرب مع اليابان ، فالراجح ان دعاة الشيوعية يصوّرون روسيا في هذه الحرب ، بصورة « المنقذ » للصين من براثن اليابان . وهذا يساعد على انتشار الشيوعية في الصين . ومما لا ريب فيهِ انهُ اذا كان النصر حليف روسيا ، فالصين امامها تنقلب شيوعية ، وقد تقتصر شيوعيتها على شكل الحكم ، دون

فلسفته ، ولكنها تنقلب شيوعية على كل حال ، وتنضوي تحت ظلّ الشيوعية الروسية . وعند ذلك ينبثّ الضباط الروس والممثلون المدنيون الروس في ولايات الصين يحكمون البلاد جنباً الى جنب مع الحكام الصينيين . ولما كانت خطة روسيا واضحة جلية ، والصين تلمس طريقها تلمُّساً ، فالراجح في حالة من هذا القبيل ، ان كل القرارات الخطيرة الخاصة بالصين ، توضع لها حينئذٍ في موسكو

قد يسهل ان نتصوّر النتائج ، ويعسر ان نغالي فيها . اذا انضوت الصين تحت لواء روسيا ، عنى ذلك ان الجانب الاعظم من آسيا قد اصبح شيوعيًّا . وكذلك يصبح ثلث البشر منضوياً تحت العلم الاحمر ، وتكون الثورة الاجتماعية ، قد بلغت حدود الهند من ناحية والهند الصينية من ناحية اخرى ، وجزائر الفيلبين وجزائر الهند الشرقية الهولندية . وفي معظم هذه البلدان نتبين الآن حركات قوية تطالب بالاستقلال عن حكم الدول الغربية . عند ذلك تعود المنافسة القديمة بين روسيا وبريطانيا للسيطرة على آسيا ، كما كانت في العقد الاخير من القرن الماضي . ولكن الدبُّ الذي يسير كرجل — كما وصف كبلنج روسيا — يكون الآن على جبال حملايا يطلُّ من اعاليها على سهول الهند

واننا لا نستطيع ان نتصوّر ان الحكومة البريطانية تقف ازاء تطوُّر الحوادث على هذا المنوال مكتوفة اليدين . ولما كان الجانب الاكبر من سياسة بريطانيا لا يرتجل ارتجالاً ، فالراجح انها لا تنتظر حتى تواجه بالحالة الراهنة ، قبل ان تعيّن النهج الذي تسير عليه . فهي لن تقف وقفة المتفرج على اليابان وقد ادركها الخذلان . فلا بدَّ لها من ان تبتدع طريقة للتدخل . كيف تتدخل ؟ وهل تتدخل وحدها او بالاشتراك مع الدول الاخرى ؟ هذه هي المسائل التي تفرض اجابتها على حكومة بريطانيا في حالة انتصار روسيا . ولا هي تستطيع ان تتجاهل هذه الاسئلة . فانها اذا مرّت بها مر الكرام ، كان عملها اول خطوة في التسليم بحل الامبراطورية . فبريطانيا لا تستطيع ان تسمح لروسيا باحراز نصر تام ، اذا شاءت ان تبقى لها المكانة العالمية التي لها الآن

ولا فرنسا تستطيع ان تقف من ظفر روسيا وقفة المتفرج . لان روسيا عندئذٍ تستطيع ان تواجه قارة اوربا المنقسمة على نفسها . علاوة على تهديدها امبراطورية فرنسا الاستعمارية في الهند الصينية فهي كبريطانيا محتوم عليها ان تقرّر خطتها ازاء بطش روسيا باليابان . والواقع ان الدول الاوربية التي بنت امبراطوريات استعمارية — كبريطانيا وفرنسا وهولندا — لا تستطيع ان تتخذ حياداً ازاء ظفر روسيا ، لان في ذلك قضاء على امبراطورياتها

ولكن ما يكون موقف بريطانيا وفرنسا ازاء بطش اليابان بروسيا او احرازها نصراً تاماً فمن المرجح الذي في حكم اليقين ، ان ظفر اليابان يتلوه ابتلاعها لشمال الصين وتحويلها حموية « حماية يابانية » . ذلك ان الصينيين يكونون بتصرفهم ضد اليابان — كما قدّمنا — قد مهدوا الاعذار الكافية لاتباع خطتي « الابتلاع » و « [illegible] » وقف الصينيون بمعزل [illegible] الابتلاع [illegible] ... [illegible]

الجنوب لنظام الحماية . واليابانيون لا يعرفون ضبط النفس في ساعة الظفر . خذ مثلاً على ذلك موقفهم سنة ١٩٣١ اذ تحدّوا العالم ، وحملوه على مواجهة احتلالهم لمنشوريا كحقيقة واقعة . فهم لذلك يشعرون بأنهم لا يقهرون . ومثل هذا الاعتقاد ليس غريباً عن العسكريين اليابانيين . بل ان جميع الطبقات العسكرية في التاريخ ، كانت تحس بأن لها رسالة سماوية يجب تأديتها بالفتح ، واليابان الحديثة خليط من النظام الحديث والعقائد الصوفية . فقد قال احد خبرائهم الحربيين ان الاوربيين عند ما يقدرون قوة اسطولنا الجوي يقصرون في التقدير . ذلك لان الاوربي عند ما يعمل حساباً للمسافة التي تستطيع الطيارة ان تقطعها يحسب حساباً للذهاب وللاياب . اما طيارونا اليابانيون فلا يحسبون حساباً للاياب . ولذلك فالمسافات التي تقطعها طياراتنا الحربية هي ضعف المسافة التي تقطعها الطيارات الحربية الاوربية . فسياسة اليابان الخارجية قائمة على مزيج من العوامل منها الحاجة الاقتصادية واضطراب الحالة الداخلية وحبُّ العظمة والبسطة الاستعمارية والشعور بأن لليابان رسالة الهية تؤديها . وجميع هذه العوامل تتألب في حالة النصر الياباني على تنبيه شهوة الفتح . عند ذلك تتحول دعوى اليابان بأنها القيّمة على شؤون الشرق الاقصى ، الى رغبة في الامتلاك . وعند ذلك تصبح سيدة آسيا من بحيرة بيقال الى نجد التبت . فاذا تمّ ذلك كان النصر الياباني ، موازياً في خطره لخطر النصر الروسي ، في عيون دول اوربا . قد يكون نصر اليابان اقلّ من خطر النصر الروسي في نظر الامبراطورية البريطانية . ووجه ذلك ان خطر بسطة اليابان الظافرة ، لا يقترن بدعاية ثورية اجتماعية كالدعاية الشيوعية . فاليابان اذا فتحت يجب ان تفتح بالسلاح . واما روسيا فتضيف الى السلاح فكرةً واملاً برّاقاً ودعاية منظمة تغوي بها الشعوب الاسيوية لكي تهرع الى لوائها

ولكنهُ خطر عظيم على كل حال . لان بسط ظلها فوق جنوب الصين يجعلها على أبواب هنكنغ وسنقافورة والهند الصينية والفيلبين . وها هي ذي من دون جلالة الفتح تنافس المصانع البريطانية في الامبراطورية البريطانية بل في قلب بريطانيا نفسها . وقد ذاق البريطانيون الامرّين من منافستها في السنتين الماضيتين . فكيف بها وقد فازت في الحرب مع روسيا ، وابتلعت شمال الصين وبسطت حمايتها على جنوبها ، وبدأت تتغلغل بأساليبها التجارية في سومطره وجاوى والهند الصينية ... ؟ ان أمم الغرب حينئذٍ يجب ان تستسلم لفقد كل امل بالاتجار مع هذه البلدان

... لا نعرف امة غربية واحدة ترضى ان تسلم بهذه الخسارة، تسليماً هيّناً بل لسنا نعرف امة صناعية في الغرب ، تستطيع ان تحتفظ بمكانتها اذا هي سلّمت هذا التسليم . فالحالة الاقتصادية العالمية ... الامم الصناعية ، الاحتفاظ بأسواقها المالية ، بل والسعي الى إضافة اسواق جديدة اليها . ...رة لا مناص منها وفوز اليابان على روسيا فوزاً حاسماً يجعل هذا التسليم امراً لا مندحة عنهُ ... الاميركية الخارجية تقوم على ركنين الاول قاعدة مونرو وليس هذا مجال البحث فيها ...ق بالشرق الاقصى ، وهو انها لا تسمح لدولة من الدول بان تحول دون حق الدول

الاخرى في استغلال الصين كسوق طاليّة للتجارة ، سواء أتمّ ذلك بالضمّ الصريح ، او ببسط السيطرة الفعلية دون الاسمية . وقد دعي هذا الركن ، في سياسة اميركا الخارجية باسماء مختلفة واشهر اسمائه « سياسة الباب المفتوح » وقد حاولت اميركا ان تضمنهُ جميع المعاهدات والاتفاقات الدولية التي دخلتها ، آناً يذكر صراحة وآناً لا يذكر . ولكن اميركا كانت تعني في كل حال مبدأ « الباب المفتوح ».والباعث لها على نهج هذا النهج هو باعث المصلحة الاقتصادية . فقد فكَّر الاميركيون في البلدان التي تصحُّ ان تكون سوقاً لتوسعهم التجاري . فلم يجدوا من البلدان الكبيرة، التي لم تبسط عليها راية الاستعمار الا الصين . ولذلك وضعوا هذه الخطة ، ورفضوا ان يسلموا لايّ كان بأن يوصدَ بابها في وجوههم . وكذلك تراهم وهم ينشئون خطة للابتعاد عن الاشتباك في شؤون البرّ الاوربي ، قد انشأوا خطة تزيد من اشتباكهم في شؤون البرّ الاسيوي

ففي سنة ١٩٠٤ كانت روسيا على وشك ان تصبح الحائل الذي يحول دون هذه الخطة او بالحري كانت روسيا على وشك ان توصد باب الصين في وجه اميركا ، بما اتسع لها من نفوذ ، وانبسط لها من سلطان في تلك الارجاء ، فقاومت الولايات المتحدة روسيا . ولما نشبت الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ — ١٩٠٥) وقفت اميركا في جانب اليابان قلباً وقالباً

ولما اصبحت اليابان اليوم وموقفها كموقف روسيا سنة ١٩٠٤ بدأت اميركا تقاوم اليابان . وما زالت تقاومها . بل ان مقاومة الولايات المتحدة لليابان ، اخذت تزداد بازدياد الخطر الذي يهدّد اميركا في هذه القاعدة الاساسية من قواعد سياستها الخارجية . بل ان الولايات المتحدة وقفت في سبيل اندفاع السيل الياباني العسكري فوق سهول الصين . وقد زاد احتجاج الولايات المتحدة على اليابان في هذا الصدد عنفاً وقوة لهجة من سنة ١٩٠٧ الى سنة ١٩٣١ لما احتلت اليابان مقاطعة منشوريا . وما تزال الولايات المتحدة ، ترفض ان تعترف بانفصال منشوريا عن الصين مع ان منشوكو (الاسم الجديد لمنشوريا) اصبحت امبراطورية ولها امبراطور متوّج . وما نزال نذكر السعي الذي سعاهُ الكولونل ستمسن وزير خارجية اميركا في عهد الرئيس هوفر ، وكيف ألّب مندوبي الدول في جنيف على المعارضة في احتلال منشوريا او الاعتراف بهِ

فاذا تذكرنا كلَّ هذا فمن المتعذر ان نصدّق ان الولايات المتحدة الاميركية تقف مكتوفة اليدين امام انتصار اليابان على روسيا . وقد رأينا ان بريطانيا لا تستطيع ان تسلّم بنصر روسيّ كامل في الشرق الاقصى . وكذلك الولايات المتحدة الاميركية لا تستطيع تسلّم بنصر ياباني تام . قد تسلّم بنصر روسي في الشرق الاقصى ، مع ان مصالحها الاقتصادية تتعرض — بعد زمن — للخطر ، ولكنها لا بدَّ ان تحاول منع اليابان من الظفر . فماذا تفعل اتتدخل ام لا تتدخل ؟ واذا شاءت التدخل فما وسائله ؟ وهل تعقد له المحالفات ؟ ومع مَن ؟ وما نفقاته ؟ لا ريب في ان الجواب عن هذه الاسئلة ، يقرر مقام اميركا في السياسة العالمية خلال قرن او اكثر من الزمان

دولة اليمن ودولة آل السعود

بحث تاريخي في نشأتهما وتطورهما

لامين سعيد

جلا الترك عن بلاد العرب في ختام الحرب العظمى عملاً باتفاق مُدْروس المعقود بينهم وبين الحلفاء يوم ٣٠ اكتوبر سنة ١٩١٨ ثم تنازلوا في مؤتمر لوزان (دسمبر — يوليو سنة ١٩٢٣) عن سيادتهم عليها الى اهلها انفسهم لا الى دول الحلفاء وكانت تحتل الجزء العامر منها

وكان في جزيرة العرب يومئذٍ خمس امارات او حكومات تتنازع السيادة والفوز : امارتا الرياض وحايل في الشمال ودولة الحجاز في الوسط وصبيا وصنعاء في الجنوب . وكان العداء مستحكماً بين امرائها فابن السعود صاحب الرياض يناصب ابن الرشيد صاحب حايل العداء ويشن عليه الغارات وكان الحسين صاحب الحجاز ينفر من وجود الامارة الادريسية على حدوده الجنوبية ويعد صاحبها مغتصباً ويرى ان تهامة عسير جزء لا يتجزأ من الحجاز فيجب ان تعاد اليه وان يطرد ابن ادريس لانهُ دخيل مغتصب . وكان في نفس الامام يحيي بن حميد الدين من ناحية الامارة الادريسية ما كان في نفس الحسين فقد ساءه نجاح السيد محمد علي الادريسي في توطيد دعائم امارته وكان طامعاً فيها راغباً في الاستيلاء عليها لانهُ يعدها جزءاً من اجزاء اليمن . وزاد في نقمته عليهِ تسليم الانكليز للحديدة بعد الحرب الى السيد الادريسي وهي ميناء صنعاء الكبير وباب العربية السعيدة . ومعنى ذلك ان ابن ادريس كان بين عدوين قويين في الشمال وفي الجنوب يتربصان بامارته دوائر السوء ويكيدان لها المكائد ويترقبان الفرص للانقضاض عليها

ولم تكن العلاقات بين الحسين صاحب الحجاز وابن السعود صاحب الرياض على ما يرام مع ما كان الانكليز يبذلونهُ من مساعٍ للتوفيق والاصلاح بين حليفهم الحسين وصديقهم ابن السعود وقد كان الاول يعمل لاخضاع امارة الرياض لاشراف مكة كما كانت في عهد جده محمد بن عبد المعين اي بعد الغارة المصرية على الحجاز سنة ١٨١١ — ١٨٣٠ فقد خضعت لهم فترة غير قليلة

الانكليز والامارات العربية

وكان بين الانكليز وبين ثلاث من هذه الامارات اتفاقات تنظم علاقاتها بهم وربما كان السيد الادريسي صاحب عسير هو اول امير في جنوبي الجزيرة تعاقد مع الانكليز فقد اغتنم فرصة الحرب العظمى فعقد معهم في سنة ١٩١٥ اتفاقاً اعترفوا فيهِ باستقلال امارته وأمدُّوه بالمال والسلاح وأوفدوا في سنة ١٩١٥ بعثة الى ابن السعود لاستمالته واقناعه بدخول الحرب في جانبهم فعقدت

معه معاهدة العقير يوم ٢٦ دسمبر سنة ١٩١٥ وقد اعترفت فيها انكلترا بأن نجداً والحسا والقطيف وجبيلا وتوابعها هي بلاد ابن السعود كما اعترفت به حاكماً عليها وتعهد (ابن سعود) بأن لا يسلم ولا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر الاقطار المذكورة ولا قسماً منها ولا يتنازل عنها بطريقة ما ولا يمنح امتيازاً ضمنها لدولة اجنبية او لرعايا دول اجنبية من دون موافقة الحكومة البريطانية وبأن يتبع مشورتها دائماً بلا استثناء على شرط ان لا يكون ذلك مجحفاً بمصالحه (مادة ٤) وتعهدت الحكومة البريطانية في المادة الثانية بمساعدة ابن السعود ـ بعد استشارته ـ اذا اعتدت دولة اجنبية على اراضيه

ونظمت العلاقات بين الانكليز والحسين على قاعدة غير هذه القاعدة فقد اعترفوا بالاستقلال التام للحجاز بدون قيد ولا شرط واعترفوا بدولته كما اعترفوا بالحسين ملكاً عليه. وعاملوه معاملة الند للند. نعم انهم لم يعقدوا معه اتفاقاً رسمياً كالاتفاق الذي عقدوه مع ابن السعود بيد ان العهود التي قطعوها له في ابان الحرب العظمى لا تدع شكاً في صحة ما ذهبنا اليه وقد ايدها الواقع فقد مثل الملك فيصل الدولة الحجازية في مؤتمر الصلح حين افتتاحه واعتبرت الدولة الحجازية من الدول المؤسسة لجمعية الامم ودعيت الى الاشتراك في اعمالها والجلوس بين اعضائها فحال دون ذلك رفض الحسين للتوقيع على معاهدة فرسايل فقد ابى ان يوقعها لاعتبارين جوهريين : ١ — لانها نصت على مبدأ الانتداب وهو لا يقره ٢ — لانها لم تعترف للعرب بالاستقلال التام وفقاً للعهود المقطوعة له[1]

فالخلاف بين الانكليز والحسين لم يكن على استقلال الحجاز وقد كان هذا مفروغاً منهُ وانما كان على مصير الاقطار العربية المحررة وهي العراق وسورية وفلسطين فقد كان يطالب بمنحها الاستقلال التام وفقاً للعهود المقطوعة له. على اننا نذكر ان الانكليز سعوا بعد الحرب لتصفية هذه العهود بمشروعين عرضوهما عليهِ وقد حمل الاول الكولونيل لورانس الى جدة في سنة ١٩٢٠ وحمل الثاني الدكتور ناجي الاصيل سنة ١٩٢٣ فلم يقبلهما الحسين ولم يقرهما[2]

ولم تكن العلاقات بين الانكليز وابن حميد الدين في ذلك العهد على ما يرام فقد سعوا في ابتداء الحرب الى استمالته والتعاقد معه، كما فعلوا مع الامراء الآخرين واستعانوا على ذلك بسلطان لحج حليفهم وصديقهم فأبى وأقام على ولائه للدولة العثمانية يرعى جنودها المحصورين في اليمن وقد جلوا بعد الهدنة فتسلمها وأنشأ هذه الحكومة في ربوعها

وكان الى جانب هذه الامارة والحكومات الخمس المتنافسة المتناحرة المتعادية امارتان صغيرتان الاولى في الجوف شرقي الشام يسيطر عليها آل الشعلان وكانت في الاصل خاضعة لآل الرشيد في حايل فلما ضعف شأنهم جاهرت بالانفصال عنهم وامارة آل عايض في ابها (شرقي نجد) وغرب امارة صبيا فقد استقل هؤلاء في ابها (عسير السراة) وتسلموها من الترك حين جلائهم في سنة ١٩١٨

(١) طالجنا هذا الموضوع وتوسعنا في بحثه ونشرنا النص الكامل لهذه العهود وتبلغ نحوه ١٥ عهداً في كتابنا الثورة العربية الكبرى وهو يطبع الآن في مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ويقع في ثلاث مجلدات ويصدر في شهر يوليو القادم

(٢) نشرناهما بنصهما الكامل في الكتاب ايضاً

انتصار ابن السعود في نجد والحجاز

تلك كانت حالة جزيرة العرب من سنة ١٩١٨ حتى سنة ١٩٢١ : ثلاث امارات في الشمال : آل الشعلان وآل الرشيد وآل السعود ، وثلاث في الجنوب : ابن حميد الدين وابن عايض وابن ادريس وفي الوسط الحجاز صاحب الدولة المستقلة وحليف الحلفاء وصاحب الجيش المنظم والمطالب بالسيادة على هذه الاقطار كلها والساعي ليحل محل الدولة العثمانية في السيطرة عليها

والواقع ان مطامع الحسين ما كانت تقف عند اخضاع الامارات العربية لسلطانه بل كان يسعى لانشاء دولة عربية كبيرة تضم الاقطار العربية المحررة ونعني بها العراق والشام وفلسطين وقد خاض الحرب لاجلها ، وكانت مسألة الامارات العربية في داخل الجزيرة ثانوية في نظره ولا نشك في انه لو فاز في تنفيذ هـذه الخطة وانشأ الامبراطورية العربية الكبرى — وقد رسم حدودها في مكاتباته مع الانكليز وهي تمتدّ حتى خليج فارس وحدود ايران شرقاً وسلسلة جبال طوروس شمالاً والبحر الاحمر غرباً وعدن جنوباً — لساد العرب كلهم في داخل الجزيرة وفي خارجها ولساد هـذه الامارات وسيطر عليها واصبح سيد العرب غير مدافع

واول اخفاق سياسي اصيب به الحسين هو تملص الحلفاء من عهودهم الصريحة ومنعهم اياه من التدخل في شؤون العراق وانشائهم ادارة بريطانية في فلسطين واصدارهم وعد بلفور لليهود ونزول الفرنسيين في الساحل الشامي ثم تقويضهم الدولة الفيصلية في دمشق . اما خيبتهُ العسكرية فقد تمّت يوم تربه فقد مزّق السعوديون الجيش الكبير الذي اعدّه وسيره الى الرياض في ربيع سنة ١٩١٩ لفتحها والقضاء على الامارة السعودية فكان ذلك اليوم مبدأ تألق كوكب ابن السعود كما كان مبدأ افول نجم الدولة الهاشمية الجديدة ولم تلبث ان هوت في سنة ١٩٢٤ تحت اقدام الغزاة السعوديين

وشجع ابن السعود ما لقيَهُ انصاره من نصر في تربه[1] وما غنموه من معدات وذخائر واموال — وكان يرقب سير المعركة عن بعد ولم يشترك فيها بالذات — فزحف على حايل عاصمة آل الرشيد ولم يزل يطاولها وينازلها حتى استسلمت اليه يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩٢١ وقاد أميرها محمد بن متعب ابن الرشيد أسيراً الى الرياض ولا يزال فيها حتى الآن . ثم اتبع امارة آل الشعلان في الجوف بامارة آل الرشيد فاستولى عليها وضمها الى املاكه واتجه في سنة ١٩٢٢ نحو عسير فدك امارة آل عايض ثم زحف على الحجاز في سنة ١٩٢٤ فاستولى عليه ايضاً وفي سنة ١٩٢٦ دخلت امارة الادارسة في تهامة عسير تحت حمايته وأشرقت شمس سنة ١٩٢٧ على بلاد العرب وابن السعود يسيطر على شمالها وشرقها وجنوبها وغربها ووقفت جيوشه في الجنوب عند حدود ابن حميد الدين صاحب اليمن الذي اصبح وجهاً الى وجه امام ابن السعود مكتسح الامارات ومبيدها

---

(١) وقعت معركة تربه ليلة ١٧ مايو سنة ١٩١٩ فقد بيت النجديون الجيش الهاشمي عند الفجر فأفنوه ومزقوه . ولم تدر غير هذه المعركة بينهم وبينه

اول صدام بين اليمانيين والسعوديين

واول مرة وقف فيها زعيما الجزيرة وجهاً الى وجه كانت في سنة ١٩٢٦ فقد حمل ابن حميد الدين في سنة ١٩٢٤ على الادارسة في تهامة فاستولى على مدنهم الشمالية وتقدم حتى ميدي . فخاف هؤلاء العاقبة فلجأوا الى ابن السعود وعقدوا معه معاهدة مكة يوم ١٩ اكتوبر سنة ١٩٢٦ ودخلوا بمقتضاها في حمايته فارسلها على الفور بنصها الكامل مع كتاب الى ابن حميد الدين يرجوه ان يصدر الامر الى قواده بالكف عن مهاجمة امارة الادارسة لانها في حماه . وقد كانت مفاجأة عنيفة فوجىء بها الامام فاما ان يقر المعاهدة ويعترف بها وبذلك تفلت الامارة من يده وقد كان طامعاً باستصفائها والقضاء عليها . واما ان يرفضها ويأمر عبد الله بن الوزير قائد جنده في تهامة بمواصلة الزحف فيصطدم بابن السعود ويدور القتال بين سيد الشمال وسيد الجنوب وتقع الوقعة الكبرى

وجنح الامام الى السلام واقرّ الامر الواقع وابلغ قائده بأن يوقف رحى الحرب ولبى دعوة ابن السعود الى المؤتمر الاسلامي في مكة سنة ١٩٢٦ واشترك فيه فأرسل اليهِ هذا الرسل مع الهدايا في سنة ١٩٢٧ فقابله بالمثل وارسل اليهِ في شهر ابريل سنة ١٩٢٨ وفداً من السيد قاسم بن حسين والسيد محمد بن زبارة والسيدعباس بن احمد ومعهم حاشية فشهدوا الحج سنة ١٣٤٦ وكانت مهمة الوفد مفاوضة ابن السعود في تحديد الحدود بين البلادين وفي عقد معاهدة تنظم علاقاتهما . وعاد يحمل الى الامام مقترحات للاتفاق لم تنل من جانبه قبولاً

معاهدة العرو

وتعددت الرسل والوفود في خلال الفترة المنقضية بين سنة ١٩٢٨ — ١٩٣١ بين صنعاء والرياض للاتفاق على تحديد الحدود وسافر مندوبو الفريقين الى عسير ليبدأوا بالعمل «فاجتمعوا يوم ٢٥ جادي الثانية سنة ١٣٥٠ (سبتمبر سنة ١٩٣١) في مكان يسمى النظير واقترح السعوديون ان يجلوا اليمانيون عن جبل العرو الذي احتلوه ، الى خط الحدود الاصلي فأبى مندوبو هؤلاء واصروا على الاحتفاظ بالجبل ورفع كل مندوب الى حكومته الامر طالباً تعليماتها فاتصل الملك بالامام اتصالاً برقياً فاجابه انهُ يحكمه في الخلاف فأبرق اليهِ قائلاً بأنهُ يتنازل عن الجبل لليمن حلاً للاشكال

وعقد المندوبون على الأثر معاهدة وقع عليها يوم ١٥ شعبان ١٣٥٠ جاء في المادة الاولى منها ما نصهُ « يكون على الدولتين المحافظة على الصداقة وحسن الجوار وتوثيق عرى المحبة وعدم ادخال الضرر ببلاد كل منهما على الآخر وجاء في المادة الثانية يكون على كل من الدولتين تسليم المجرمين السياسيين وغير السياسيين المحدثين بعد هذه الاتفاقية كل لحكومته عند طلب حكومة له وجاء في المادة الثالثة يكون على كل من الدولتين معاملة رعايا الدولة الاخرى في بلادها في جميع الحقوق طبق الاحكام الشرعية

ثورة الادارسة

ولقد كنا نظن ان العلاقات السياسية استقرت بينهما على اثر عقد هذه المعاهدة [illegible]

الادارسة على ابن السعود في سنتي ١٩٣١ — ١٩٣٢ اثبتت ان الامر على الضد من ذلك فقد لجأ امراء العائلة الادريسية وانصارهم الى اراضي الامام في تهامة حينما تغلب عليهم السعوديون فاواهم اليمنيون عملاً بسنن العرب واجزلوا قراهم . ولما كانت معاهدة العرو تقضي على الامام بتسليم هؤلاءِ وكان تسليمهم يلبس اليمن لباس الخزي والعار فقد عجل الامام يحيي فارسل في اواخر شهر فبراير سنة ١٩٣٣ برقية الى ابن السعود يعلنهُ بوصول السيد الحسن الادريسي ومعهُ جملة من اصحابه وحاشيتهِ الى ميدي ويرجوه منحهم الامان الكامل المطلق والعفو عن كل ما حدث فاجابهُ ببرقية قال فيها ان جميع من التجأ اليكم له امان الله على ماله ودمه وانهُ عفو تام شامل عن جميع ما مضى وحدث في هذه الفتنة الشيطانية سواء حقوق الحكومة او حقوق الاهلين وان جميع من اعطيتموه الامان والمكان فهو تام على وجهه ما يحذرون شيئاً سواء في ذلك الحسن (السيد الحسن) وآله وغيره من الرعية

فاجاب الامام ببرقية قال فيها انهُ كتب الى جميع العمال بارجاع كل من لديهم على وجه السرعة طرد من تأخر وطلب منهُ بان يحرر للسيد الحسن ومن اليهِ « بتحرير عفو وامان له خاص » فرد اليهِ شاكراً له سعيه للاصلاح وقال انهُ يعطي امان الله وعهده للحسن ومن تبعه على دمه وشرفهِ ان جميع ما فات منهُ لا يعاقَب عليهِ وانهُ سيكون اخاً عزيزاً له . ومع كل ما جرى فقد ظل الادارسة من معهم في ميدي ولم يعودوا الى عسير كما وعدوا وتوسط الامام ثانية فتقرر عقد مؤتمر في ميدي يحضره السيد الحسن ورجاله ومندوب لابن السعود ومندوب للامام . وقد عقد هذا المؤتمر في اواخر شهر شوال سنة ١٣٥١ واستمر شهرين وانفضَّ من دون نتيجة فقد طلب الادارسة اعادة الحالة في عسير الى ما كانت عليهِ قبل الثورة واصرَّ مندوب ابن السعود على تقديم الخضوع بلا قيد ولا شرط

مفاوضات صنعاء

وقبل ان تحل مشكلة الادارسة ارسل الملك عبد العزيز رسولاً الى الامام يحيي محمد بن ضاوي يحمل اليهِ اقتراحات لعقد معاهدة دفاعية بين البلادين لمدة عشرين سنة وانشاء اتحاد جمركي وبريدي وقبول مبدأ التحكيم في ما يحدث من خلاف على ان يكون الحكم طبق احكام الشريعة الاسلامية اجاب الامام بالموافقة مبدئيًّا وطلب تعديل الحدود من جهة عسير ومعنى ذلك ان يتنازل له عنها

وفي شهر ابريل سنة ١٩٣٣ ارسلت حكومة مكة وفداً تألف من خالد بك القرقني وحمد السليمان الى صنعاء لمفاوضة الامام في دائرة تلك المقترحات ، ولم يكد يحط رحاله فيها حتى مرض الامام فانتظره نحو شهرين تقريباً لم يعمل في خلالها عملاً يستحق الذكر

وبينما كان العالم العربي ينتظر ورود الاخبار من صنعاء حاملة بشرى الاتفاق فوجئ يوم ١٠ اغسطس بنبأ اذاعتهُ المصادر السعودية في مصر وخلاصته ان الامام طلب في اثناء المفاوضات تخلي ابن السعود له عن مقاطعة الادارسة في تهامة او عن قسم منها وادخال منطقة نجران في داخل الحدود اليمانية وانهُ ارسل القوات فاحتلت نجران كما منع الوفد السعودي عن السفر

ولما وصلت هذه الاخبار الى صنعاء كذبها الامام تكذيباً قاطعاً وقال انها من صنع دعاة السوء . كذبتها حكومة مكة ايضاً واستؤنفت المفاوضات البرقية بين الملك والامام واذيع في اواخر شهر يناير الماضي ان الاخير قبل مبدئياً مقترحات الحكومة السعودية لتنظيم العلاقات بينهما وهي :

١ — الاعتراف بالحالة الحاضرة في عسير ٢ — عقد معاهدة دفاعية ترمي الى المحافظة على سلامة الجزيرة وتعزيز القضية العربية ٣ — تنظيم العلاقات التجارية والاقتصادية وعلاقات القبائل وطرق معاملاتها في اثناء تنقلاتها ٤ — تأجيل البت في مصير مقاطعة نجران الى فرصة اخرى

ووافق الامام ايضاً على عقد مؤتمر في ابها يشترك فيه مندوبو الحكومتين للبت في هذه الشؤون والتوقيع على الاتفاقات الخاصة بها

مؤتمر ابها

عقد هذا المؤتمر في اواخر شهر فبراير الماضي ومثل الحكومة اليمانية فيه السيد عبد الله بن الوزير ومثل الحكومة السعودية وكيل خارجيتها وبدأ عمله في جو صافٍ اعتقدنا معهُ ان التوقيع على المعاهدة لا يلبث ان يتم ولكننا فوجئنا يوم ٢٢ مارس ١٩٣٤ ببلاغ رسمي اذاعته الحكومة السعودية بانقطاع العلاقات بينها وبين اليمن وهذا نصهُ : « بالرغم من استنفاد جميع الوسائل السلمية بقي الامام يحيى ماضياً في خطته العدائية نحونا كاحتلاله جبالنا في تهامة واستعماله القسوة مع اهلها ، فضاعت بذلك الجهود التي بذلت في خلال سبعة اشهر وقد اصدر جلالة الملك امراً الى سمو ولي العهد بالزحف الى الحدود واسترداد المناطق التي احتلها جنود الامام يحيى منتظرين فرصة المفاوضات »

بهذا البلاغ وبما تلاه اعلنت حكومة مكة وجود حالة الحرب بينها وبين حكومة الامام يحيى فاضطرب العالم العربي ووجل خوفاً مما قد تُسفر عنهُ من نتائج سيئة وارسل البرقيات والرسائل الى الملكين يرجوهما الكف عن القتال فردَّ الامام يحيى يوم ٧ ابريل على برقية لسمو الامير عمر طوسن ببرقية هذا نصها «بعد انتهاء المراجعات بيننا وبين حضرة الملك عبد العزيز والوفاق على امهات مواد المعاهدة كان منا ارسال المندوبين لعقد المعاهدة مضمرين كل صداقة واخوة للمشار اليه مستبشرين بصلاح الشأن وحقن الدماء حريصين على جمع كلمة المسلمين غير مجوزين شقاقاً . وفي خلال هذا وحضرة المشار اليه يحشد الجيوش في كل جهة حتى اذا اتم استعداده أفاد الينا انه موجه جيوشه علينا فاجبناه بكل لطف وصداقة وكنا افدنا الى حضرتكم في جوابنا انهُ سيكون اعتماد ارشادكم وثباتنا عند حد الدفاع فلم نشعر الآ بالتجمع الفعلي بالجنود المجندة للعدوان على اطراف بلادنا ومع هذا فلا ندري حتى الآن ما عليه مندوبنا في ابها . وقد رأينا من واجب الاخوة الدينية اعلامكم بالحقيقة»

واذيع في ١١ منه ان الامام يحيى طلب من ابن السعود وقف القتال وان هذا اجابه مشترطاً بعض شروط ومع انهُ مضى على ارسال الجواب اكثر من عشرة ايام فلم يرد ما يشعر بقبوله الشروط كما لم يرد ما يدل على ان الحرب اوقفت ولا ان الكلام شيء من هذه الناحية حتى كتابة هذه السطور

بسامها شهيقاً ويخرج منها زفيراً ، وذلك من جوانبها مباشرة بوساطة صف من المسام يسمى Spiracle مؤلفة من شعور دقيقة تقي تلك المسام من دخول الغبار . ولو حرمت الحشرات من تلك المصافي لصارت حالاً اجهزة التنفس كلها في اجسامها غير مجدية

﴿ البقباق[1] المائي والزوارق ومقاذيفها Water—boatman ﴾ قبل ان يعرف العالم في العصور الاولى من التاريخ البشري طريقة تجويف كتل الخشب وجعلها زوارق ، وقبل ان يتعلموا كيفية تسييرها بمقذافين ، اخترعت الطبيعة مقاذيف متقنة لنفع حشرة مائية ضئيلة سمّيتها البقباق المائي وقد يتسنى لك رؤية تلك الحشرات في الماء الضحل على شواطىء البرك الصيفية . والبقباق يقطع سابحاً بمقاذيفه الطبيعية مسافة لا تزيد على نصف بوصة كلما حرك مقذافيه مرة واحدة — ولو تأملته عن كثب لرأيت الشعور المتينة الناتئة من جوانبه تنقبض في الماء حينما يبغي التقدم . وتنبسط حين يبغي التقهقر . وعلى ذلك النمط ترى الطبيعة اتقنت صنع المجذاف على شكل الريشة قبل ان يحذق الناس ذلك بملايين السنين . والطبيعة تراعي دائماً الاقتصاد في مخترعاتها — فان هذين المقذافين اللذين جهزت بهما البقباق المائي هما ساقاه . وهذه هي خطة النشوء والارتقاء — اي انه اذا استجدت حاجة لمخلوق من المخلوقات لا يمكن ان يعيش من غير استيفائها ، عدّلت الطبيعة اي عضو من اعضائه حتى يفي بتلك الحاجة . ولو عرف الناس مخترعات الطبيعة كنه المعرفة من قديم لكانوا استطاعوا اختراع بعض مخترعاتهم قبل تواريخ اختراعها بالوف السنين

ولما اخترع روبرت فلطون باخرته الاولى جعل رفاسها بمثابة عجلتين على جانبيها . ثم حسن غيره من المخترعين تلك الطريقة فجعلوا البواخر التي تشق عباب المحيطات ذات رفاسات مختلفة عن ذلك النوع فبدأوا باختراع الرفاس اللولبي وذلك النوع ما يزال مستخدماً لتسيير البواخر من اصغرها الى اكبرها . مع انه لم يكن معروفاً منذ مائة سنة . والحيوانات الدقيقة التي تؤلف اجسامها من خلية واحدة والتي تسمى ذات الذوائب او السياط flagellates تنطلق بسرعة في مياه البرك وتستخدم الرفاس اللولبي الذي في جسم كل منها وهو ذنبها منذ عصور لا حصر لها . فاذا ابصرتها سابحة في الماء خلتها طيارة يدور محركها فيشق الهواء فيدفعها الى الامام ساحباً جسمها وراءها . وعلى ذلك الاسلوب تسبح تلك الحيوانات الدقيقة ذات الاجسام اللولبية الاشكال في الماء محركة ذوائبها الطويلة قدامها

﴿ عظام الجمجمة والتعشيق في النجارة ﴾ : يعرف كل نجار ان اوثق رباط لزوايا اي صندوق من الخشب هو التعشيق اي ادخال ألسنة من الخشب من جانب في تجاويف مطابقة لها في الجانب الآخر فتشتبك الزوايا بعضها ببعض كما تشتبك اصابع اليد بالاخرى اذا ضممت كفيك — ويعرف هذا الاشتباك في اللغة الفصحى بالاشتباك التدريزي وعند العامة والنجارين في مصر باسم (عاشق ومعشوق) اي انثى وذكر — وعاشق ومعشوق — والطبيعة اول من اخترع هذه الطريقة وغيرها من

(1) [illegible] الاسم [illegible] عليه البقباق المائي [illegible] من [illegible]

حديقة المقتطف

الملك لير : لشكسبير

ترجمة سامي الجريديني المحامي

فتاة الجبل الاسود

لخليل مطران

صلاة

لأدون ماركهام

الملك لير : لشكسبير

ترجمة الاستاذ سامي الجريديني المحامي

المشهد الرابع من الفصل الثاني

امام قصر جلوستر والدوق كنت امين الملك مطروحاً ارضاً ورجلاه في مقطرة
يدخل الملك والمجنون وأمين من الامناء

الملك لير — غريب امرهم . يرحلون عن ديارهم سراعاً ولا يردّون اليّ رسولي
الامين — لم يكن الرحيل في نيتهم حتى ليل البارحة
كنت — السلام عليك ايها السيد النبيل
الملك لير — ما هذا ؟ أتعبث بنفسك فتلبس هذا العار ماجناً
كنت — لا يا مولاي
المجنون — ها . ها . انهُ متمنطق بجوارب قاسية . ان الخيل تربط من رؤوسها
والكلاب والدببة من اعناقها والقردة من احقائها اما الرجال فمن ارجلهم.
فاذا ما أصيب رجل باسمٍ في رجله البسوه جوارب خشبية
الملك لير — ومن الذي تجاهل مقامك فوضعك هذا الموضع
كنت — هو وهي — ابنك وابنتك
لير—لا: كنت—نعم. لير—قلت لك.لا . كنت— وأنا اقول نعم.
لير— لا.لا.ما فعلوها . كنت—فعلوها. لير—والله لا . كنت—والله نعم.
لير — انهم لا يجسرون على هذه الفعلة . لا يقدرون . بل ولن يقدموا عليها —
انها افظع من القتل اذ يتعمدون اهانتي . اخبرني واتئد فيما تقول .
كيف استأهلت هذا القصاص وكيف اقدموا هم عليه وانت رسولي اليهم
كنت — عند ما جئت اليهم يا مولاي برسالتك اذا برسولٍ مسرع يلهث نصباً
جاء وأنا بعد لم انهض من تأدية السلام والاحترام بكتبٍ من مولاته
ابنتك جونريل فقرأوها بالحال ولم يعبأوا برسالتي ثم امروا اتباعهم
وشدوا الخيل وقالوا الحقْ بنا نعطك الجواب وتثاقلوا بي فنظرت فاذا
الرسول الذي افسد عليّ رسالتي هو ذلك الذي تطاول بقحته عليكم
فغلبتْ اذ ذاك شجاعتي حسن رأيي . فهممت بهِ بسيفي فملأ الفضاء
بصراخ الجبن لجاء ابنك وابنتك وعاقباني بالعار الذي ترى

المجنون — اذا رأيت القطا يطير من هذه الناحية فاعلم ان الشتاء لم ينته بعد .
اذا تدثر الآباء برث الثياب عميت عيون الابناء عنهم اما اذا حملوا
الاكياس مثقلة بالذهب فقلوب الابناء تلين وتشفق . وسوف ترى من
آيات بناتك الرنانة ما لا تستطيع له عدّاً

لير — ما لهذا الداء العياء يصعد الى قلبي . ازل . خفف عني . فليس مكانك
ههنا — اين هذه البنيّة

كنت — مع الدوق في الداخل

لير — ابقوا هنا لا يتبعني احد . (يخرج)

الامين — اما تعدنّ اساءتك ما رويته لنا ؟

كنت — لا . وما الداعي ان يأتي الملك يحرسه هذا العدد القليل من الحراس ؟

المجنون — ان سؤالك هذا جدير بما انت فيه من العقاب

كنت — لماذا يا مجنون

المجنون — سأبعث بك الى النملة تعلمك ان لا عمل في الشتاء . الناس منهم من
تقوده عيناه فيبصر ومنهم من يعمى فيقوده انفهُ فيشم الرائحة . وكلا
الفريقين يهجر الملك . اذا رأيت عجلة تنحدر مسرعة من قمة الاكمة
فابعد عنها لا تمسها يدك لئلاَّ تقع وتدق عنقك اما اذا كانت تتسلق
صاعدة فاردف نفسك وراءها
ان رأيت حكيماً ينصحك بأحسن مني فارجع لي نصيحتي فليس للمجنون
ان ينصح غير الادنياء . ان الرجل الذي يلحق بك للكسب ويتظاهر بالود
لا يلبث اذا امطرت السماء ان يفرّ ويتركك فريسة للعاصفة ، اما انا فلن
ابرح الارض . دع العاقل يهرب اما المجنون فيبقى

كنت — اين تعلمت هذا يا مجنون

المجنون — ليس في المقطرة يا مجنون (يعود الملك مع جلوستر)

لير — ايمتنعون عني ويحتجون بالمرض والتعب وانهم لبثوا ليلهم كله سارين .
انها لاعذار فارغة ودليل المعصية والتبرم . هات جواباً خيراً من هذا

جلوستر — انك تعلم يا مولاي حدة الدوق وتصلبه في ما اعتزم

لير — يا للنقمة . يا لعون الموت . يا للارتباك . ماذا تقول ؟ تصلبه وحدة مزاجه ؟

اي جلوستر اي جلوستر اني اريد ان اكلم دوق كورنوال وامرأته

جلوستر — هذا ما نقلته اليهما يا مولاي

لير — نقلتَ اليهما ؟ الا تفهم ايها الرجل. جلوستر — نعم يا مولاي

لير — ان الملك يرغب في ان يرى كورنوال . ان الاب العزيز يريد ان يكلم ابنته ويأمرها ان تجيء . هل نقلتَ اليهما هذا ؟ قسماً بحياتي اني لا افهم . الدوق صعب المراس ! يا لك من دوق صعب المراس . قل لهذا الدوق الحامي. . . . . لا . لا . مهلاً فقد يكون مريضاً والمرض خادم لا يكرم العافية . وقد تضغط الطبيعة علينا فنذهل عن انفسنا ويمرض العقل بمرض الجسد . ساصبر واكبح جماح غضبي

المشهد الثاني : الفصل الثالث

يدخل الملك لير والمجنون .

الملك لير — اخفقي ايتها الارواح . مزّقي خدودك واغضبي وانفخي

وانتِ ايتها الاعاصير اقذفي بمائك حتى يطغى فيغرق المنائر المرتفعة

وانتِ ايتها النيران المحرقة المارة مرَّ الفكر المنذرة بصواعق تقدّ السنديان قدًّا اشعلي بياض رأسي

وانتَ ايها الرعد القاصف اصعق هـذا العالم في دورانه واهدم بنيانه واسحق نطفةً جاءت بابن آدم العقوق

المجنون — يا عماه ان مياهاً مقدسةً ملكية في دار جافةٍ خير من ماء المطر في خارجها . ادخل ادخل يا عماه واطلب بركة بناتك فهذا ليل لا يرحم العاقل ولا المجنون

لير — اهدر حتى تشبع . ابصقي ايتها النيران واقذفي بمائك ايتها الامطار فليس المطر والريح والرعد والنار بناتٍ لي

اني لا اتهمك ايتها العناصر بالعقوق فلم اهب لكم ملكاً قط ولم اناديكم يا بنيّ ولم تفرض لي عليكم الطاعة

اسكبوا عليّ جام غضبكم فهانذا عبدكم . رجل فقير ضعيف كسيح وشيخ حقير .

ولكنني لا املك عن ان ادعوكم عبيداً مملقين تواطأتم مع ابنتين شريرتين .

وأثرتم في السماء حرباً عواناً على رأسٍ شاخ واشتعل شيباً . يا للعار يا للعار

المجنون — من له بيت يأوي اليهِ يضمن لرأسهِ غطاءً واقياً . الرجل الذي يؤثر كعبه على رأسه يتألم من العقر ويأرق ليله . ابغني امرأة حسناء لا تقلب وجهها امام المرآة

لير — ساكون قدوةً للصابرين واسكت

***

دع الآلهة التي صبّت هذه الكارثة على رؤوسنا تبحث عساها ان تجد غريمها
ارجف جزعاً ايها الشقيُّ الذي خبأ جريمته فلم ينله سوط العدل . اختبئي
ايتها اليد الدامية وايها الحانث بيمينه وايها المرائي المدعي العفة وهو
فاسق : لترجف عظامك جزعاً ايها البائس المتظاهر بالود والمتآمر على
حياة الناس
وانتِ ايتها الذنوب المطوية في الصدور اسلمي نفسكِ واستغفري لذنبك
من حكم هذه الصواعق

المجنون — (يغني) ان الجوَّ يمطرنا كل يوم فمن كان يملك مسكةً من العقل استطاع ان يجمع بين حاجته ودهره في السرَّاء والضرَّاء والريح والمطر

لير — صحيح هذا يا غلام — تعالى نذهب الى الكوخ

المجنون — سأتنبأُ قبل ان اذهب

اذا اهتمَّ الكهنة بالعرض دون الجوهر
واذا خلط الخمارون النبيذ بالماء
واذا اخذ النبلاء يعلمون خياطيهم اتقان الزيّ
واذا عدل عن حرق الكفار الى حرق الفسقة
واذا كانت كل دعوى صواباً في نظر القضاء
واذا لم يبق الشريف مديناً والكريم مفلساً
واذا هجرت النميمة ألسنة الناس
واذا ابتعد النشالون عن الجماهير
واذا بنى القوَّادون والعواهر الكنائس

فني ذلك الزمن تسوء حال انكلترا ويكون وقت تمشي فيهِ الناس على اقدامها . ومن يعش يرَ . هذه نبوءة سيتنبأ بها مرلن نبي بريطانيا الذي سوف يجيء بعدي

فتاة الجبل الاسود

استخرجنا هذه الابيات الروائع من قصيدة للشاعر الكبير خليل مطران

وكان من الترك جمعٌ قليل   على رأس منحدرٍ أصلد
كثير الثلوم كأنَّ الفتى   اذا زلَّ يهوي على مبرد
وقد نصبوا فوقه مدفعاً   يهزُّ الرواسخَ ان يرعدِ
وحفّوا كاشبال ليثٍ به   يداعبهُ بعضهم باليد
ففاجأهم هابطٌ كالقضاء   في شكل غضّ الصبي أمرد
فتىً كالصباح باشراقه   له لفتة الرشإِ الأغيد
يدلُّ سناهُ وسيماؤه   على شرف الجاه والمحتد
تردُّ سواطعُ أنواره   سليمَ النواظر كالأرمد
أقبُّ الترائب غضّ الروادف   يختال عن غُصُن أميد
لهيبُ الحروب على وجنتيه   والنقع في شعره الاسود
وفي عينهِ مثل برق السيوف   وظلُّ المنية في الأثمد
فأكبرَ كلهمُ أنهُ   رآه تجلّى ولم يسجد
وظنّوه مستنفراً هارباً   أتاهمُ بذلة مستنجد
ولم يحسبوا ان ذا جرأة   يهاجم جمعاً بلا مُسعد
ولكنَّ كثرتهم لم ترُعْهُ   فأقدم اقدام مستأسد

....

وما لبثوا ان أحاطوا بهِ   فدان لهم صاغراً عن يد
ولولا اتقاء الخيانةِ فيهِ   لكان الالدُّ له يفتدي

* * *

فسيق الى حيث كان الامير   في نفر منهم مُوفدِ
فأوقع امراً بأن يقتلوهُ   بمرأى الجنود غداةَ الغد
فاقصى الفتى عنهُ حرّاسهُ   وشقَّ عن الصدر ما يرتدي
وابرز نهدَي فتاةٍ كَعابٍ   بطرف حيِيٍّ ووجه ندي
كحقي لجين بقفلي عقيقٍ   وكنزين في رصد مرصد
فكبَّر مما رآهُ الامير   وهلّل كلٌّ من الشُّهد
وراعهم ذانك التوأمان   وطوقاها من دم الأكبد
وَوثبهما عند ما اطلقا   الى ظاهر الدرع والجسد
كوثب صغار المها الظامئات   نفرنَ خفافاً الى مورد

صلاة

للشاعر الاميركي ادونْ ماركهام

علمني ايها الأب ان اسير متئداً كما تنمو الاعشاب
انزل السكينة على قلبي حتى يصمد ، لصدمات العالم المفتون ، كالصخر الاصمّ
وليكن له في احتدام قوته، رقة الزهرة .
ودَعْ هذا القلب الظامىء يترع كأسهُ
ليستقبل السماء في بشر الشقيق الريّان .
واذا ما افعم القلب ريّا ، ودبّت الحياة الجديدة فيه
فليحمل تاجهُ في وداعة الشقيقة الموقرة بالندى

***

علمني ايها الأب ان امنح عطفي دون ملل
كما تمنح الشجرة ظلّها للعابرين
هذا الظلّ الذي يشيع روح الطرب في الجنادب الغردة تحته عند الظهيرة
وتستروح بنسماته العليلة هذه الحشرات الدؤوبة في رحلة الحياة .
فدعني اذاً انشر البهجة والهناءة على ما حولي
من مراعٍ سحيقة وشعاب نائئة كظلال تلك الشجرة الحانية .
فتفيء اليها الارواح العابرة المتعبة لحظاتٍ افرغت فيها الحياة كلّ صفوها وجمالها

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاه مضاعف الغيث العميمِ
نزلنا دوحة حنا علينا حنوّ المرضعات على الفطيم
وارشفنا على ظمإٍ زلالاً ألذَّ من المدامة للنديم
يردُّ الشمس أنّى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حاليةَ العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

مملكة المرأة

مصير المرأة المصرية

عقاب الجنس في الطورد
لاحمد عطاء الله

اجمل ما الجمال الجنى

المرأة في المدينة
للارشمندريت ميشيل عساف
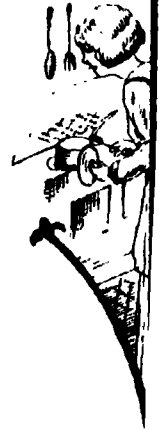
القواعد الصالحة للبناء التي يستعملها الانسان . وحسب المرء ان يفحص الخطوط الموصلة بين العظام المكونة للجمجمة فيجدها كلها على مثال العاشق والمعشوق . فلا غرو اذا كان سميتون المهندس الاسكتلندي قد نهج هـذا المنهج في ربط احجار اساس منارة اديستون Eddystone حيث تثور عواصف البوغاز الانكليزي (بحر المانش) وامواجه الطاغية . وقد اقيمت تلك المنارة على انقاض منارة قديمة ، كانت مبنية بالاحجار فاكتسحتها الامواج والعواصف لضعف بنائها. فلما نيط بذلك المهندس تجديد البناء لم يرَ أفضل من طريقة تعشيق حجارة الاساس بعضها ببعض ثم تعشيقها هي ايضاً في سطح صخر اديستون المبنية عليهِ المنارة نفسها. وقد انقضى على بناء تلك المنارة مائة وخمسون سنة ولم تؤثر فيها العناصر تأثيراً يذكر

﴿ النحل في قفيره واجهزة الهواء في المسارح والمصانع والمناجم ﴾ : لا يخفى ان لكل مسرح من المسارح العصرية ، ولكل مصنع من المصانع الحديثة الطراز ، ولكل منجم من المناجم الجديدة جهاز لتجديد هوائه وذلك الجهاز يعد حديثاً في هندسة البناء البشرية اذا قسناه بقاعدة تجديد الهواء التي عرفها النحل واستخدمها منذ دهور . والغايات التي يتوخاها النحل من ذلك التجديد الهوائي في خلاياه ، لا تختلف عما يقصده الناس ، فالنحل يولد تياراً من الهواء بتحريك اجنحته. والانسان يجدده بالمراوح الكهربائية ولذلك يؤلف النحل صفاً طويلاً من جنوده تقف عند مدخل قفيره فتأخذ في الدويّ بلا انقطاع ، ضاربة الهواء باجنحتها فتحركه وتحدث فيهِ تياراً يخفف وطأة الحرارة في القفير أو يقلل ما يلحقهُ من الرطوبة

﴿ اصحاب مزارع تربية المواشي وحبائل الصيد والحرابي ﴾ : ومن قبل ان يتعلم رعاة المواشي بازمنة طويلة كيفية القبض على العجل الهارب بقذف ربقة حول قرنيه ، اخترعت الطبيعة مثل تلك الاحبولة التي تلقى من بعيد على الطريدة — ممثلة في الحرباءة — وهي اول مخلوق يستفيد بتلك الوسيلة وبها يتسنى لذلك الحيوان قنص الفراش وغيره من الحشرات من بعد يتراوح بين ٦ بوصات و٨ بوصات والواقع ان ربقة الحرباءة انما هي لسانها ذو الطرف اللزج فبذلك اللسان يتيسر للحرباءة وهي جاثمة على اي غصن من اغصان الاشجار ان تقنص اية حشرة تراها على بعد مناسب لطول لسانها فتزحف اليها دون ان تزعجها حيث تختطفها بلسانها في طرفة عين ثم تفترسها . ومن ثم ترى الطبيعة قد جهزت الحرباءة بذلك اللسان العجيب لانها تأوي الى الاشجار حيث يتعذر عليها الوثوب من شجرة الى اخرى لصيد فريستها . فتستعين بلسانها على ادراك كل بعيد عنها ، فاذا خلت الانسان اول مخترع لاي اختراع تراه حديثاً في عرفك ، فانك مخطىء لان الطبيعة اخترعتهُ قبل ذلك بالوف السنين . وهذا سبب كون العلم الآن يشير على المخترعين باستجلاء غوامض الوسائط الطبيعية الميكانيكية واستقرائها حتى يقتبسوا منها ما يصلح لاستفادة المجتمع الانساني من الاختراعات الجليلة الشأن

(عن مجلة العلم العام)

مصير المرأة العصرية

الى البيت والمطبخ في المانيا

حريّات جديدة في البلدان المحافظة

..

ما كادت المرأة الالمانية تفوز بمساواتها للرجل في المانيا بحسب دستور ڤيمار ، حتى جاء هتلر وأعادها ثانية الى البيت والمطبخ . فردّت على ذلك جمهوريات اميركا الجنوبية بمنحها النساء حقوق الرعوية جميعاً أسوة بالرجال. اما في اسبانيا فقد اشترك النساء في الانتخاب الاخير، وكان لاشتراكهن أثر في فوز أحزاب اليمين . واما في روسيا السوفيتية ، فللمرأة من الحرية ، وعلى عاتقها من التبعة ، ما لم يؤثر عن عصر سابق ، حتى في عهد النساء المترجّلات (امازون)

وهذا كلهُ يشوّش على الناس افكارهم في مصيرها ، من أنصار حرية المرأة كانوا او من غير انصارها . فاننا لم نعهد في العصر الحديث عهداً ، انقسمت فيهِ الآراء في مصير المرأة ، كما انقسمت في عهدنا هذا . وليس الغرض من هـذا المقال البحث في الادلة التي تسرد لتؤيد حرية المرأة او تنقضها . فهذا في رأينا قد فرغ منهُ ، في ناحية تأييد حريتها . وانما غرضنا ان نجول خلال بلدان العالم مستطلعين مكانة المرأة فيها ومدى ما حققتهُ من الاغراض التي بدأت تطالب بها من نحو قرنٍ من الزمان ، وما رأي العالم فيها الآن

فلست تجد مثلاً قارة من القارات ، ليس للنساء فيها حقّ الاعراب عن آرائهن في الشؤون العامة بطريقة من الطرق . حتى اميركا الجنوبية ، التي كانت حتى عهدٍ قريب ممتنعة عن منح النساء حق الانتخاب ، منحتهنَّ اياه كاملاً غير منقوص في مؤتمر الجامعة الاميركية الذي عقد في منتيفيديو هذه السنة . ففي سنة ١٩٠٢ لما انشيء الاتحاد الدوليّ للانتخاب النسائي ، لم يكن للمرأة حق الانتخاب الاّ في الولايات المتحدة الاميركية . حتى في تلك البلاد ، كان حقّ النساء الانتخابيّ محصوراً في بعض الولايات الغربية فقط . اما الآن فالنساء يملكنَ حقّ الانتخاب في ما لا يقل عن اربعين بلداً من بلدان الله

ويجب ان نسلّم في هذا المقام ، بأن حقّ الانتخاب ، انما هو ناحية واحدة من المسألة . وان هذا الحقّ منح للنساء في بعض البلدان منحاً نظريًّا فقط . ففي بلاد اكوادور منح نساؤها حق الانتخاب سنة ١٩٠٩ ولكنهنَّ لم يستعملنهُ الاّ في بضع السنوات الاخيرة في نطاق ضيق وفي كثير

من التردد والاحجام ، واما في ايطاليا فللنساء حق الاقتراع في الانتخابات البلدية لملء بعض المناصب. ولكن الانتخاب لهذه المناصب ، قد الغي لانّ موسوليني يعيّن فيها من يشاء ، من دون ان يقترع لهُ رجل او امرأة

***

ويصحب حق الاقتراع عادة حق الانتخاب لملء المناصب العامة . فانت تجد نساء قد انتخبنَ اعضاء في المجالس النيابية في انكلترا والدنمارك والنروج والسويد واسبانيا والولايات المتحدة الاميركية. وقد سبق ان اختيرت سيدة لتكون عضواً في وزارة بريطانية سابقة ، واخرى في وزارة دنماركية سابقة . ووزارة العمل في حكومة الرئيس روزفلت تشغلها سيدة الآن . ثم ان نساء مثّلن امهنّ في جمعية الامم غير مرة . وقد بعثت البرازيل من قبلها بسيدة لتمثلها في مؤتمر دولي للطرق . وسفير الولايات المتحدة الاميركية في الدنمارك سيدة .. اما في تركيا فقد ابيحت لهنّ المناصب العامة . وقد رأى كاتب هذه السطور ، سيدة تركية في ازمير تشغل منصب مستشار بلدي ، واخرى جالسة في محكمة الجنايات . ويقال ان منصب المحافظ في احدى مدن الاناضول تشغله سيدة

ولا يقلّ النجاح الذي اصابتهُ النساء في ميادين الاحكام الشخصية عن النجاح الذي اصبنهُ في ميدان السياسة . فالاتجاه في كل الشؤون الخاصة بالمُلْك والزواج والطلاق وحفظ الاولاد ، نحو مساواة المرأة بالرجل

اما في ناحية التعليم فقد تفتحت الابواب في وجوههنّ في خلال الثمانين السنة الاخيرة . ثم تمهّدت لهنّ سبل الصناعات والحرف المختلفة وقد اصبنَ فيها نجاحاً يشجعهنّ على المضيّ . نعم انهنّ لايدعينَ ان ابرع المحاميات بلغنَ مرتبة اعظم المحامين . ولا ان المهندسات المعماريات يستطعنَ ان يبارينَ المهندسين المعماريين في تشييد نواطح السحاب، او المباني الفخمة . ولكن الزمن الذي انقضى عليهنّ وهنّ يمارسنَ هذه الحرف اقصر من ان يتيح لهنّ ازدهار الملكات الكامنة في نفوسهنّ

***

والعجب ما تمّ من وجوه الانقلاب ، تمّ في اشدّ البلدان محافظة . فقد كانت اسبانيا في مسألة النساء محافظةً اشدّ المحافظة . ولكن الدستور الجمهوريّ الجديد يمنحهنّ جميع الحقوق اسوةً بالرجال الاّ حق الخدمة في الجيش . اما في تركيا ، فقد الغى مصطفى كمال تعدُّد الزوجات ، وشجّع النساء على طرح الحجاب ، وبعث بالبنات الى المدارس والكليات ومنحهنّ نفس الحقوق التي تمنح للرجل في شؤون الزواج والطلاق . بل تجد من النساء التركيات ، ضباطاً في البوليس ، وقد قيل انهنّ الآن يطالبنَ بحق الخدمة في الجيش

اما المرأة الاميركية فكانت اكثر بطئاً في تطوُّرها من اختيها الاسبانية او التركية . فانت اذا نظرت في شؤون المرأة الاميركية الآن ، رأيت ما يدهش حدّها [illegible]

تشتغل في المكاتب او المعامل او المدارس، وتلعب الالعاب وتحضر المسارح
ب . والمرأة الاميركية ، تجاري الشاب الاميركيّ في حسن التعلم وهي ولا شك
، الاجتماع الاميركي . اما في ميدان الحرف ، فلا تزال ماضية بصبرها المعهود تشق
لقدّمة

على النساء الاميركيات الآن ، يصح بوجهٍ عام على النساء الانكليزيات . فقد فازت
ت سنة ١٩١٨ بحق الانتخاب — ضمن حدود معينة — ثم منحنَ حق الانتخاب
١٩ اسوةً بالرجال ، فدخلنَ ميدان السياسة واصبنَ فيهِ نجاحاً لا بأس بهِ . وفي
س عشر سيدة بين اعضائهِ

. ولكنَّ النساء الانكليزيات لم يتقدمن كثيراً في تحقيق مطالبهنَّ بعد سنة ١٩٢٨
في المدارس والصناعات قد زاد ، ولكن هيئة موظفي الحكومة متشدّدة معهنَّ .
لاجر الذي يناله الرجل ولو كان العمل واحداً . والاتجاه الآن الى اخراج النساء
الهنّ لاحلال الرجال محلهنَّ

***

ة النسوية العصرية في اميركا وبريطانيا في القرن الماضي فازدادت قوة لما انضمت اليها
كنديناوية بزعامة الن كاي Ellen Key ونساء الالمان والهولنديين وغيرهم من الامم.
، وخرجت النساء من بيوتهنَّ ، الى ميادين العمل في البلدان المحاربة ، اصبحت
كأنها موجة تكوّنت في عرض البحر ، وسارت تجمع قوة وعزماً في سيرها ، حتى
زارها ، ونال النساء في كثير من البلدان حق الانتخاب ، مع انهنَّ لم يكن لهنَّ في
ن الحقوق من قبل

كة من ظفر الى ظفر حتى بلغت مداها في روسيا . ثم بدأ موسوليني حياتهُ
ح حق الانتخاب لطوائف معينة من النساء اولاً ، ولكن ذلك لم يكن الاَّ اشارة
، لانهُ ما لبث حتى صرَّح برأيهِ في المرأة ، اذ قال ان مكانها انما هو حيث تنجب
لايطاليا الفاشستية . وبعد ذلك جاء هتلر . فأزال بجرّة قلم ما كان النساء الالمانيات
تور فيمار (راجع مقتطف مارس ١٩٣٢ ص ٣٤٧) ووضعهنَّ في مكان دون مكان
ميادينهنَّ الخاصة بهنَّ المطبخ والمدرسة والكنيسة . وكذلك بدأت حركة الرجعة
سابيع وقفت السيدة « كاري تشبمان كات » — وهي سيدة بلغت الخامسة والسبعين
، خدمة نهضة المرأة — فحذرت النساء من موجة الرجعة هذه التي اخذت تكتسح
فعله هتلر ، هو تمادٍ في التطرّف من ناحية الرجعية . ولكن يظهر ان الاتجاهات

السائدة الآن في البلدان الاخرى هي في ناحية الرجعية في الغالب وان كانت اقل تطرّفاً من عمل هتلر فالهمة فاترة في معظم الجمعيات النسائية في اميركا والسويد. واما المرأة الفرنسية، وهي المرأة الوحيدة التي لم تتسع دائرة حقوقها بعد الحرب فيظهر انها قد اخذت تفقد كل عناية بالمطالبة بحق الانتخاب

والظاهر مما تقوله الكاتبة الاميركية ملدرِدْ ادمز ان القضية النسوية لم تتقدَّم في العهد الاخير الاَّ في جمهوريات اميركا الجنوبية (كما نتبين من قرارات مؤتمر منتيڤيديو) واسبانيا وروسيا. والتقدم في اسبانيا، كان في نواحي التعليم والعمل والاعمال الاجتماعية اولاً ثم في ناحية السياسة. ولكن النساء الاسبانيات — راهبات كُنَّ او نبيلات — اشتركنَ في الانتخاب الاسباني الاخير، فاقترعنَ ضدَّ الاحزاب التي منحتهنَّ هذا الحق، وفي هذا دليل على ان الافكار في اسبانيا ليست مجمعة على ما هي حقيقه التقدم

اما روسيا السوڤيتية فهي البلاد الوحيدة التي منحت النساء، جميع ما تطالب بهِ زعيمات الحركة النسوية، فهي مساوية للرجل في الحقوق والتبعات. لها الحق ان تنتخِب وان تتوظف وان تشتغل بأية صناعة، وان تنتظم في الجيش. بل ان الدعاية الى وجوب استقلال المرأة من الناحية الاقتصادية، قد تغلغلت في نفوس الروسيات، حتى لا تستطيع ان تجد امرأة روسية تسلّم بان ليس امامها الاَّ اللّبث في البيت. فيجب عليها ان تقوم بنصيبها لتسديد نفقات زوجها اذا مرض. ونفقات اولادها اذا انفصلت هي عن ابيهم. ثم لها الحق ان تملك ما تكسب، وان تتعاقد، وان تطلب الطلاق

***

هذان هما الاتجاهان. المانيا تطلب عودة المرأة الى البيت، لانها كنبوليون تعتقد ان الواجب الاول على المرأة هو انجاب الجنود. اما الفلسفة التي من وراء النظام الروسي فتميل الى السلم دون الحرب، ولكن مع ذلك يجب على نساءِ البلاد ان يستطعنَ السير بصناعة البلاد اذا نشبت حربٌ. ثم هنالك عامل آخر وهو عامل الرياضة. ففرنسا حيث المرأة لم تنل شيئاً من الحقوق التي تتمتع بها نساء البلدان الاخرى، وفي اسبانيا حيث كانت الفتاة تحجب عن خطيبها ويفصل بينهما بحاجز من القضبان الحديدية المشبكة — في هاتين الامتين خرجت الفتيات الى ملاعب التنس واحواض السباحة ومباريات الدرّاجات. وفي تركيا تجد الفتيات التركيات يسقنَ طياراتهنَّ وينتظمنَ في مباريات الجمال العالمية. ثم ان النساءَ في كل البلدان، تعنينَ الآن بكل ما من شأنهِ ان يساويهنَّ بالرجال في الشؤون الجنسية فضبط النسل موضوع تهتمُّ بهِ نساء الجمهوريات في اميركا الجنوبية، وتحليل الاجهاض تهتمُّ بهِ نساء البلدان السكنديناوية كالدنمارك وغيرها. وتعليم الصحة الجنسية في مدارس انكلترا، كان من المطالب التي تقدّمت بها النساء الانكليزيات الى اولي الامر. ولا ريب بعد هذا ان دائرة المرأة قد اتسعت اتساعاً عظيماً في العمران الحديث سواءٌ أرضي بذلك هتلر وموسوليني ام لم يرضيا

عقل الطفل

في تطوره

لاحمد عطية الله

— ٤ —

«النمو الجسمي للطفل» لدراسة نمو الطفل من الناحية الجسمية شأن كبير في التربية للعلاقة الوثيقة بين « التغيرات الفسيولوجية » التي تحدث في الجسم وبين تطوّره العقلي مع ان الخطين البيانيين اللذين يوضحان التغير الفسيولوجي والتطوّر العقلي لا ينطبقان تماماً . ومع ذلك نرى ان النمو الجسمي في الطفل يلازم تطور النمو العقلي اذ أن كثيراً من استعدادات الطفل العقلية تعتمد على نمو الاجهزة التي تؤدي هذه المهمة

ان جميع أجهزة الجسم واعضائه لا تفتأ في تغير وتطور اثناء الحياة وهذا التغير يشمل تكوينها ووظائفها فالطفل بعد ولادته لا تكون جميع اعضائه كاملة النمو بل هي تختلف في نموّها من حيث السرعة او ميعاد الاكتمال. فبعض الاعضاء كالرأس يكاد يكون كاملاً بينما أجهزة اخرى كالاسنان لا تظهر الاّ في اواخر السنة الاولى عادة : ولا يتمّ هـذا التغير الفسيولوجي الذي يطرأ على الجسم بنسبة واحدة عند جميع الاشخاص بل ان نسبة هذا النمو تختلف باختلاف الاشخاص . لذلك نرى أنهم لا يصلون الى درجة واحدة من النمو الجسمي اذا ما بلغوا سنّاً معينة

فاذا قابلنا بين اطفال في سن واحدة نجد فروقاً من حيث درجة نموهم الجسمي . ولو ان هذه الفروق تزداد وضوحاً بالتدرُّج كلما تقدم الطفل في السن

والقياسات التي اخذت عن النمو الجسمي تبين ان النمو في سني الطفل الاولى يكون في باديء الامر سريعاً . ثم يبطيء هـذا النموُّ فجأة قبل التاسعة عند الفتيات والحادية عشرة عند الصبية ثم يسرع مرة اخرى في دور المراهقة ويصل الى أقصاه في الثانية عشرة عند الفتيات وفي الرابعة عشرة عند الصبيان ، ويأخذ في الهبوط بعد المراهقة حتى يكاد الجسم ان يكون في حكم الوقوف اذا ما وصلت الفتاة الى السابعة عشر والصبي الى العشرين. الاّ ان العضلات تستمرُّ في النمو وكذلك المجموع العصبي لا يفتأ نامياً بعد ذلك بسنين عدة وبعض الأعضاء كما سلف ذكره أكثر نموّاً من الاعضاء الاخرى : فالاطراف مثلاً أثناء الطفولة تكون اسرع نموّاً من الجذع حالة ان نمو الرأس لا يكاد يذكر لانهُ يكاد يتم قبل الولادة

«التطور الحسي» لا يمكنا ان نستخلص نوع الحياة العقلية التي يعيشها الطفل بعد الولادة مباشرة ولكن كل ما يمكن ان نصل اليه نستخلصهُ من شعور المولود بالراحة او الألم . ومن هذا يمكننا ان نقول ان المولود يشعر شعوراً غامضاً بالضوء وعند اقترابه من الماء والهواء والملابس

اما الحركات التي يقوم بها فحركات انعكاسية بسيطة لا يستطيع ضبطها . واذا لم يوجد ما يستثير هذه الحركات فالوليد يكون في حالة نوم ، والدور الاول من حياتهِ هو دور حسي محض ومعنى ذلك ان الطفل لا يدرك ما يراهُ وما يسمعهُ ولكنهُ يحس بشيء مما هنالك لان ادراك الطفل للاشياء يعتمد على نمو اعضاء الحس وعلى كمال نمو المجموع العصبي

وأعضاء الحس بعد الولادة مباشرة لا تقوم بعملها على الوجه الاكمل ولا شك ان في ذلك شأناً كبيراً من حيث ان المولود لا يصطدم دفعة واحدة بفعل المؤثرات الحسية من اصوات او اضواء

(١) الذوق الشمي : اثبت بعض العلماء ان الاحساس الذوقي كالتمييز بين الحلو والمر والحامض في استطاعة الطفل بعد الولادة مباشرة وكذلك الحال مع الاحساس الشمي ، فالمولود يبدي رضا او اشمئزازاً من وضع أشياء حلوة او حامضة على لسانه او بتقريب رائحة قويّة من أنفه

والشم يقترن دائماً بالذوق لذلك كثيراً ما نجد المولود يخلط بين ما يشم وما يذاق فيضع الوردة ذات الرائحة العطرة في فه اذا قرّبت اليهِ ولكن رائحة الطعام أسهل تمييزاً على الطفل من غيرها ولسرعة تقدم هاتين الحاستين عند الطفل كان من العسير ان نجبر حتى المولود على تناول طعام لا يستسيغه او يأنف من رائحتهِ

(٢) اللمس : للوليد قدرة على الشعور بالاشياء التي تلامسه غير أنه يكون عاجزاً في بادىء الامر عن تحديد موضع اللمس ومع ذلك فبعض أجزاء الجسم تكون بطبيعتها أشد احساساً من الاجزاء الاخرى كراحة الكف

وحاسة اللمس تكون على اشدها عند الطفل الذي لا تزيد سنه عن بضعة اسابيع في الشفاه وفي اللسان لذلك تراهُ يستحلب كل ما يقع تحت يده

وهو يستطيع ان يفرق بين الحرارة والبرودة ففي الحالة الاولى تراه يظهر شيئاً من الحركات التي تدل على التراخي . وفي الحالة الثانية تراه يقوم

كان في قديم الزمان تاجر غني ، وكان يملك في ردهته العظيمه علاوة على كنوزه ، ثلاثه كراسي كرسي من فضة، وآخر من ذهب، وثالث من الماس. ولكن كنزه الاعظم ، كان ابنته الوحيدة ليلى

وكانت ليلى ، جالسة ذات يوم في غرفتها ، فاذا باب الغرفة يفتح فجأة فتدخل منه سيدة رائعة الجمال تحمل في يدها دولاباً وقالت :

يا ليلى ، ماذا تفضلين أشباباً هنياً ، ام شيخوخة هنية ؟

فدهشت ليلى ولم تدر بما تجيب . فأعادت السيدة سؤالها قائلة « ماذا تؤثرين . اشباباً هنياً ام شيخوخة هنية»

وتأملت ليلى في السؤال فناجت نفسها : اذا فضلت الشباب الهني تعين علي ان اشقى طوال ما يتبقى لي من حياتي لا . اني افضل ان احمل الشقاء الآن ، وان اتطلع الى شيخوختي الهنية . ثم نظرت الى السيدة وقالت : هبيني شيخوخة هنية

فقالت السيدة : فليكن ما تريدين . وأدارت دولابها ، فاختفت فجأة كما ظهرت . وكانت تلك السيدة الرائعة الجمال مثالا لما صارت اليه ليلى في شيخوختها

اسية كالعطاس ولكن هذه الحاسة كالتي سبقتها تكون غامضة غير محدودة عند
قة بالمرانة
عد الولادة مباشرة يكون الطفل في حكم الاعمى ولما كان غير قادر على الاحساس
ل فهو لا يميز المرئيات اطلاقاً ففي اليوم الثاني من حياته لا يفتح عينيه الاّ في
الضوء
سبوعين الاولين يبدي لامهِ عدم راحة لمقابلة الضوء فلذلك نراه يغمض عينيهِ اذا
شديد اللمعان او ضوء قوي
لاسبوع الثالث يبدأ يعوّد نفسه مواجهة الضوء بل ويظهر سروراً عند وجوده
في بادىء الامر لا يوجه الطفل بصره الى شيء خاص . حتى اذا بلغ الاسبوع الثامن
الى الاشياء الجذابة القوية . ومن الصعب ان نعين قدرة الطفل على تمييز الالوان في
الاولى من حياته ولكنهُ بعد الاسبوع الثامن يظهر سروراً عند رؤية الالوان
الاحمر ثم الاصفر
جه نظره الى الاشياء التي تقع أمامه مباشرة اذ ان من الصعب عليه ان يحول
. ومدى إبصار المولود الذي لا يزيد عمره على ثلاثة اسابيع لا يتعدى ثلاث
ى ابصاره يتسع اتساعاً كبيراً لا سيما بين العام الاول والخامس من حياته
الضرر ان نجبر الطفل في هذا الدور على ملاحظة الاشياء الدقيقة القريبة منه .
بضعة اسابيع من العمر ابتدأ يدرك هيكل المرئيات اذا كانت واضحة قوية : كما ان
ر لا تستطيعان الحركات التوافقية الاّ ان اهتمامه بملاحظة الاشياء ذات الشأن
ي تسترعي انتباهه استرعاءً كالالوان الزاهية تساعد على التغلب على هذا النقص
الملاحظة البصرية عند ما يمكنه تحريك جسمه لمساعدة عينيه في عملهما
: عند الولادة يكون الطفل اصمّ وذلك لخلو طبلة الاذن من الهواء ولكن بعد
بع المولود ان يتأثر بالاصوات العالية باظهار شيء من الجزع . وفي خلال الاسابيع
الطفل تمييز الاصوات اذ انها تصل اليه مشوّشة متداخلة ولكن بعد الشهر
سابيع الستة الاولى يبدأ الطفل في التفريق بين الاصوات (بسماع النغمات الموسيقية)
لاصوات المتنافرة كما يبدي غبطة وسروراً بسماع الاصوات الموسيقية المؤتلفة .
الطفل هو صوت والدته . وميل المولود للموسيقى نشاهده في ميل الاطفال الذين
شهرين او ثلاثة لسماع الاغاني . الاّ ان قدرة الطفل على تمييز الاصوات لا تأتي
ا تبقى كذلك اذا لم نعمل على تنميتها فيه

الجمال والعمل البيتي

كتبت سيدة انكليزية في احدى المجلات النسائية مقالاً عن عناية المرأة بجمالها كائنة اشغالها ما كانت قالت :

زرت امس صديقة لي متزوجة وعندها ولدان . ولكنها ليست غنية . اي انها مضطرة ان تقوم بمعظم اعمال بيتها بنفسها . وكانت ، لما وصلتُ قد انهتْ من اعمال البيت ، وبدت عليها امارات الاعياء فنظرَتْ اليَّ وقالت : الفرق كبير بيننا . انت تظهرين كأنك صورة من احدى مجلات الازياء أما انا . . . . ولكن ما العمل لست اجد متسعاً من الوقت للعناية بنفسي . ان ذلك لا يهمني . فقلت : ولكن يجب ان يهمك . فدهشت لجوابي وقالت اتلقين عليَّ عظة ؟ اذاً افضل ان اسمعها جالسة لفرط تعبي . فقلتُ : عظة وأية عظة . تقولين ان العناية بمظهرك لا تهمك لكثرة عملك . أتظنين اني البث في البيت طول النهار لا ادري ما اعمل ، فاوجّه كل عنايتي الى وجهي وعينيَّ ويديَّ . انا اعمل مثلك طول النهار ، ولكن في مكتب ، يقتضي مني كل دقيقة من ساعات العمل . ومع ذلك اجد من الوقت متسعاً للعناية بنفسي . المسألة مسألة نظامٍ . واذا كنت انا احتاج الى ان اظهر بمظهر لائق امام الرجال الذين اشتغل معهم ، افلا تظنين ان زوجك جدير بمثل هذا ؟ انا ادرك انك متعبة . ولكن لو كان منظرك ابهج مما هو لكان شعورك بالتعب اقلّ

قلت لي من اسبوع مثلاً ان بشرتك جافة . فانت تستطيعين ان تتغلبي على هذا الجفاف بدلكه بقليل من « الكولدكريم » كلَّ ليلة قبلما تبدأين حمام الولدين . وعندئذٍ يفتح بخار الماء الساخن مسامّ جلدك فيتخللها « الكولدكريم » فاذا حان ميعاد نومك ترين الجلد وقد اصبح طريًّا ناعماً . عندئذٍ ازيلي « الكولدكريم » وامسحي وجهك بقليل من الماء البارد ، فتحسّين بنشاطهِ بعد عمل النهار المضني ، ثم امسحيه بقليل من القطن المغموس باحد المستحلبات الخاصة بذلك

او خذي مسألة الشعر . فاذا كان جافًا افركي جذورهُ بقليل من زيت الزيتون ثم اعصبيهِ في خلال العمل فترينهُ لمّاعاً متى انهيت من عملك واردتِ ان تستقبلي زوجك او زوّارك . اما اذا كان شعر كثير الدهن فذرّي قليلاً من النشاء المسحوق حتى يتغلغل الى جلدة الرأس واعصبيهِ فاذا انتهيتِ من عملك ازيلي المسحوق بالفرشة فترين ان كثيراً من الدهن قد زال

او خذي يديك . امسحيها بعد العمل ، بعصير ليمونةٍ حامضة . ثم ادلكيها بمعجون مما تستعملين يبشرتهما غضة وتمنعين التشقق . وما زلنا نتكلم عن اليدين يجب ان تستعملي قفازَ اثناء قيامك بعمل البيت . [illegible] يصدق القول ا[illegible] [illegible] من كثير من الأ[illegible]

المرأة في البادية

خلاصة المحاضرة التي القاها في النادي الكاثوليكي للشبيبة السورية حضرة الارشمندريت ميشل عساف رئيس المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك في القاهرة

لكتّاب في أمر المرأة وذهبوا في وصفها وتحليل نفسيتها وادراك كنه قلبها وتصور
، عديدة متباينة متناقضة . فنهم من صوّب اليها سهام سخطهِ وصبَّ على رأسها
- الى عينيها والى لسانها والى خبث طبيعتها شرور هذا الكون
غنى بطيب عنصرها وجمال فضائلها فقال : هي ملاك أرضي ، وهي شمس تبعث النور
احدهم « ان للمرأة سلطة في نظراتها اكثر نفوذاً من القوانين ودموعها اقوى حجة
قال آخر « تبدأ الاعمال العظيمة اولاً بالمرأة »
لآراء متضاربة في تحليل تلك النفسية العميقة كالبحر ، الصافية كالسماء ، القاتمة
جرة كالرعود القواصف ، المشرقة كالصباح الوضاح
ة هي مرآة الرجل اذا صلُحت صلحت واذا فسد فسدت . والرجل هو كل فرد وهو
، الشعوب . ولما كانت هي في هذه الحياة أمّاً لذلك الرجل ومربيته ورفيقته ومتعته
لة حياتهِ فهي لذلك وان كانت الثانية طبيعة وشرعاً فهي الاولى في المجتمع البشري
تداراً . فاذا ساواها الرجل بنفسه واحترم ضعفها وهذّب اخلاقها وكان لها معيناً
براً أضحت هي بدورها لعقله نوراً ولارادتهِ قوة ولقلبهِ سعادة
، الرجل على امتهان كرامتها وافسادها كان انتقامها ذريعاً فأفسدته ضعف ما هي عليهِ
فهي شيطان اذا أفسدتها واذا اصلحتها فهي ملك
رض يقول : من هي المرأة البدوية حتى نتكلم عنها في هذا النادي الادبي الكبير
ك المخلوق الحقير الجاهل الدفين في بطون الفيافي وغياهب الصحاري . هل كانت
او ملاكاً في عشيرتها حتى يكون لها شأن كاخواتها ربات الخدور في العواصم والقصور
ؤرخ والبحاثة جرجي زيدان : ان المرأة البدوية كانت مساوية للرجل . ونبغ من
لنساء المشهورنّ بالشجاعة والاقدام والحزم والرأي والتجارة والادب والشعر وغيرها

[illegible]دوية في بيتها

[illegible] حين تولد فهي المخلوقة الحقيرة . وحين تبلغ فهي المسكينة الاجيرة . وحين
[illegible] . وحين تتزوج فهي الاميرة الخطيرة
[illegible]

والسبب في ذلك ان البدوي يعيش في ظلال سيوفهِ فاذا كثرت رجاله عظم امره وان قلّت رجاله صغر شأنه . ويقول المثل البدوي : عد رجالك ورِد الماء

ومن العرب من كان يئد البنات خوفاً من ان يخرج منهنَّ من يلحق العار بالعشيرة

— ثم حين تبلغ فهي الاجيرة خادمة البيت للكنس والغسيل والحياكة وحمل الماء وخدمة الضيف

هو الضيف يا ليلى هاتِ الرُّطب وهاتي الشواء وهاتي الحَلَب
وهاتي من الشهدِ ما يُشتهى ومن سمنة الحي ما يُطلب

— ثم حين تبلغ سن الزواج فهي اللؤلؤة الكبيرة وسنتكلم عنها في باب الزواج

— وتصبح الاميرة الخطيرة اذ تصير زوجة فلان وام فلان وفلان . فالمرأة كبيرة المنزلة عند العرب يحترمها الكبير والصغير والصديق والعدو على السواء . ولقد تمرّ بين صفوف الرجال فلا يجرؤ احد ان يكلمها ولا ان يسلم عليها احتراماً ووقاراً حتى ولا زوجها

والعار الاكبر عند العرب ان يعتدي الرجل على امرأة ولا سيما في شرف وقداسة عرضها . ولذلك فان التاريخ لا يذكر ان الفحشاء او البغي قد تفشيا عند العرب . وبذلك يتباهى عنترة بقوله :

لئن أكُ أسوداً فالمسك لوني وما لسواد جلدي من دواءِ
ولكن تبعدُ الفحشاء عني كبعد الأرض من جوّ السماء

والعفاف عند نسائهم هو اظهر زينة لهنَّ واكرم فضيلة . وكان الحب العذري مألوفاً عندهم أعني ذلك الحب الذي لا تشعر به الريبة . ولقد نقل الينا التاريخ اخبار قيس وليلى ، وجميل وبثينة، وتوبة وليلى الاخيلية ، وذهبت حكايتهم مذهب الامثال مدى الاجيال

— ان المرأة البدوية لا تخالط الرجال لا في الاكل ولا في المجالس العامة ولا في الافراح ولا في المآتم . ولكن ليس في ذلك امتهان لكرامتها بل حرمة لها وصيانة لسمعتها من ان تنالها العين بسوء . ولا تعتبره المرأة اذلالاً لها بل رفعة لشأنها

فما البيد الاَّ ديار الكرام ومنزلة الذمم الوافية

والمرأة البدوية تحب بيتها وباديتها وحالها رغم ما هي عليهِ من شظف العيش . وترى ان الحياة لذيذة في بيوت الشعر

وبيتٍ تخفق الارياح فيهِ احب اليَّ من قصر منيف

فبيتها هو لها معقل الشرف والامانة والانفة ، معقل الحرية اللذيذة المقيدة بقيود العز والاباء معقل الفضائل الشرقية العالية من قرى الضيف وخدمة الزوج وتربية البنين والانتصار لة والصبر على الشدائد والتعقل والرصانة . وهي الفضائل الاجتماعية الحقة

— اما الرقص فلقد اعتاده العرب لاسيا في الافراح . ولكن لا ترقص نساؤهم ورجالهم

صادق الرافعي

قلبي... ياقلبي

أنتَ نَصيري في محبّتها … أم أنت يا قلبُ فيها بعضُ أعدائي ؟
، فيكَ من بُرْئي وعافيتي … هو الذي فيكَ من سُقْمي ومن دائي

* * *

ا لكَ من قلبٍ كصَوْمَعَةٍ … في رأسِ شاهِقَةٍ في جَوْفِ صحراء
من الصخرِ لكنْ في طهارتِها … هي الغمامةُ قد شيدتْ من الماء
معانيَ هذي الارضِ في كلمٍ … كالطّفلِ عالَمُهُ في بعضِ اسماء
يها بلا معنىً يُميتُ كما . . … فيها الحياةُ بلا معنىً لإحياء

* * *

ا لكَ من قلبٍ تقلّبَ من . . … جوعٍ لجوعٍ وإظماءٍ لإظماء
حباءِ لا يألو مُنازَعَةً … وإن تكنْ رُوحُهُ عند الأحبّاء
زورٌ عن نأيٍ وما ابتعدا … لكنْ مُعاندُ مَن يهوَى هو النائي
اكِرَ حُبٍّ غيرَ محتفِلٍ … ذكرى ، وناسيَ حبٍّ غيرَ نسّاء

* * *

َ الحبُّ يا قلبي على زمنٍ … كالأرضِ بعد حَصادِ الزّرعِ الوائي
شَعْثاءَ مُغْبرًّا جوانبها … من بعدِ لفّاءَ ريّا النبتِ خضراء
نْ بِتَّ مطويًّا على حُرَقٍ … من الصّبابةِ تُطْفِيها بإطفائي ؟
نشيدٌ ، إنّ نيرانًا تُحرّقني … في حبها ، هي نيراني وأضوائي

* * *

لقلبِ من هجرٍ عَرَفْتُ به … ثِقْلَ الزمانِ على قلبي وأحشائي
مٌ فيومٌ في تَسَلْسُلِهِ … والحبُّ حاسِبُني في يومِ أخطائي
ضبابِ على الأنوار يتركُها … مرضى من النورِ قد حُمَّتْ بظلماء
الهجرِ تمضي لا انتهاءَ لها … إذا الدّلالُ مَضى فيها بإبطاء ! !

* * *

أأنتَ نصيري في محبّتها … أم أنت ياقلبُ فيها بعضُ أعدائي

ترقص بالسيف . الا ان رقصهم بعيدٌ عن جمال الكياسة ولو كان حليف الحشمة واللباقة

وتلبس المرأة البدوية ثوباً بسيطاً عريض الاردان ، طويل الاذيال

هل رأيتم كخادتي اذ انت تسحب الردا
تدخل اليوم واذ يالها تدخل غدا

والمرأة البدوية تمشي سافرة وتستعمل الحناء والكحل والعطور وانواع الطيب

المرأة البدوية والحكم

لقد قام بين نساء العرب من اشتهرنَ بالحكم ولبس التاج وحمل الصولجان : خلد وشقيلة وجيلة في سلع (وادي موسى) عاصمة الانباط . وبلقيس في سبا — ولاسيما زينوبيا في تدمر فان سيرتها اقرب الى سير الابطال منها الى سير النساء ، فضلاً عن جمالها وهيبتها

المرأة البدوية والعقل والحزم

المرأة البدوية هي عموماً عاقلة حكيمة لما تمتاز بهِ من عزة النفس وما هي عليه من شظف العيش في البادية . ولقد وصلت الينا اخبار بعضهنَّ في ذلك

اولهنَّ خديجة بنت خويلد التي يرجع الى حزمها وحكمتها الفضل الكبير في نشر الدعوة الاسلامية بين رجال قريش . ثم عائشة بنت ابي بكر زوج محمد . واختها اسماء ام عبد الله بن الزبير الشهيرة في تاريخ حصار مكة . والخنساء وسفانة بنت حاتم طي وسلمى بنت عمر

المرأة البدوية والزواج

لقد درج العرب على ان لا ينظروا في الزواج الى رغبات بناتهم . فليس للابنة ان ترغب في فلان وتريده بعلاً لها . بل الامر كل الامر بيد الاب او الاخ او العم او اقرب الرجال اليها في عشيرتها وهي تعتبر ذلك سنةً بل شرفاً لها

سألت يوماً احدى البنات البدويات معترضاً — وكانت مسيحية — أليس امركِ في يدكِ . فاجابت على الفور : معاذ الله ان يكون امري في يدي . لان امري لا يكون في يدي الا يوم يموت كل رجال عشيرتي

والرأي عندي ان ذلك ليس اجحافاً بحق الابنة كما هو الحال في المدن اولاً لان الاب لا يغصب ابنته بمن يختاره عريساً لها . ثانياً لانها لما كانت لا تعاشر الشبان فلا يكون قلبها قد علق بفلان دون فلان . ثالثاً لانها شبت على ذلك الاعتقاد فلا تراهُ قسراً وظلماً . وربما كانت البوادي من هذا القبيل هي البلاد اقل تحطيماً لقلوب الفتيات واخف لجيعة في حياة الشابات

— ثم ان صاحب الحق الاول في الزواج من الابنة هو ابن عمها . والمثل البدوي يقول : «ان ابن العم له الحق ان ينزل من على الفرس » حتى في حفلة زفافها وهي راكبة الفرس

ولا اذكر زواجاً في مدة السنوات الخمسة التي قضيتها في الشرق العربي جرى بلا «دفع» كما يقولون

أعني بلا مشاكل . وكثيراً ما صار الضرب وجرت الدماء . وكلما حيث المعركة بسبب عروس ولعبت العصي بالرؤوس كلما فرحت تلك العروس وتنحت لدلالة ذلك على قيمتها ورغبة الشبان فيها . حتى في البادية فالمرأة هي هي : تيه وعجب ودلال

واذا اشتهر الحب بين اثنين منعوا زواجهما لئلا تثور الاقاويل عليهما كما جرى لقيس وليلى وجميل وبثينة

والمرأة عند العرب لا ترث والسبب في ذلك عادات الضيافة عند العرب واعتزاز القبيلة برجالها

ورغبة العرب الاولى في الزواج هي ولادة الاولاد والاكثار منهم . ورغبتهم في الذكور دون الاناث لان العشيرة برجالها يذودون عنها ويحمون ذمارها ويأتونها بالغنائم واسلاب الغزو ، ويرفعون من شأنها في غمار الحروب . واذا رغب رجل في عروس ثم اعرض عنها يقول بلهجة المستخف : لا آخذها ولو كانت تلد لى الصبح ولداً والمساء ولداً

المرأة البدوية والحرب

للمرأة البدوية شأن عظيم في حروب البادية فهي المثيرة للهمم وهي المداوية للجروح وهي الواقفة صفاً منيعاً وراء الصفوف تحمل الماء وتنشد الاغاني الحماسية وترد الخائف وتخزي المنهزم واذا ما رأت الابطال وقعوا صرعى كثيراً ما تركب الخيل وتشن الغارة وتبلى البلاء الحسن

المرأة البدوية والشعر

الشعر نغمة سماوية لا تهب الا في ربوع الحرية . فكلما ساد الاستبداد في بلاد سكتت بلابل الشعر . وأينما رفرفت اعلام الحرية تفتحت القرائح الشعرية .ولقد نبغ في صناعة الشعر غير واحدة من نساء البادية وهي بلاد الحرية . ولكن النساء اللواتي خلدن اسماً مجيداً في رياض الشعر فهن :

في القرن الخامس للميلاد ليلى العفيفة ٤٨٣ . وفي القرن السادس الخرنق ٥٧٠ وجليلة بنت مرة ٥٣٨ . وفي القرن السابع الخنساء ٦٤٦ وليلى الاخيلية ٦٤٠

ولم يقم بين شعراء البادية من صاغ شعراً متهتكاً او وصفاً بذيئاً او كلاماً وحشاً في التحدث عن المرأة او التغني بها ، كما نرى عند بعض كتّاب الغرب . بل كانت البيادي ولا تزال رمالاً نظيفة وفيافي شريفة ومياهاً صافية وهناك طبقة من النساء شغفن بالشعر وحفظنه للمذاكرة فيه في المجالس. ويرجع الفضل ايضاً للمرأة البدوية في تفوق بعض المعلقات

الخاتمة

هذه هي المرأة في البادية رسمتها رسماً موجزاً رسماً مجملاً فبدت كوكباً متلألئاً تكتنفه هالة من الجمال والجلال والوقار والاثر البعيد في حياة تلك البوادي التي يخالها الناظر اليها صامتة ساكنة وهي ملأى حياة وعاطفة فياضة تنبعث من نواظر المرأة البدوية ومن لسانها ومن قلبها

باب المراسلة والمناظرة

في المصطلحات الطبية

للدكتور داود بك الجلبي

بعث اليّ صاحب المقال الآتي كتاباً قال فيه « اني أود ان تنشروا ما كتبته في احدى المجلات لينتقده من اراد » فعرضته على رئيس تحرير المقتطف وطلبت نشره بنصه فتفضل بذلك . أما الحواشي فهي لي
امين المعلوف

حضرة الفريق الدكتور امين باشا المعلوف المحترم

وصلني كتابكم وطيه نسخة من مقالكم للجمعية الطبية المصرية حول المصطلحات الطبية وسألتموني رأيي فيه . اقول اني متفق معكم تمام الاتفاق في لزوم توحيد المصطلحات وفي العلاج الذي اقترحتموه لهذه الغاية وهو تكليف طبيب واحد من المشتغلين بالمصطلحات الطبية في كل من مصر والشام والعراق بوضع مصطلح واحد لكل مرض وعَرَض مثلاً وبعد اتمام عملهم يجتمعون في احدى العواصم يقابلون الالفاظ التي وضعها كل منهم ويتفقون على مصطلح واحد منها ، وما لا يتفقون عليه يعرضونه على الاطباء للمناقشة على صفحات المجلات . ثم يكلفون وضع مصطلحات للتشريح والفسيولوجيا مثلاً ثم غيرها وغيرها على النمط المذكور . ولا ارى من الصواب ترك هذا الامر لغير الاطباء ، للمجمع اللغوي الملكي مثلاً ، فما حكَّ جلدك مثل ظفرك ونحن ادرى بلساننا الفني . ولا بأس باستشارة المجمع وغيره عند الاقتضاء ، او ان يؤلف المجمع لجنة رسمية من الاطباء كما ذكرنا تقوم بهذا الامر

والاقتصار على مصطلح واحد مهم جداً . ولذا اراكم مصيبين جدًّا بقولكم : « وانما ينبغي ان لا يكون تناقض في معجم واحد او ان يكون فيه مترادفات كثيرة لا يدري الواحد ايها يختار » . وانا استثني من ذلك اسماء الحيوان والنبات فانهُ يستحسن بل يجب ذكر جميع مترادفاتها بشرط ان يعتمد على الاسم الافصح والاكثر استعمالاً عند المؤلفين القدماء وتكتب المترادفات بين قوسين مع الاشارة الى البلد الذي يستعمل فيه ذلك الاسم ان امكن

أما مبدأي في انتخاب المصطلحات فانكم تعلمونهُ من مكالماتنا ومخاطباتنا الكثيرة في العراق .

وهو اني ابدأ بتحري مصطلح لما اريد في كتب الطب العربية القديمة . فان وجدت فيهِ والأ راجعت كتب اللغة . فاذا لم اجد فيها ما اطمأن اليه عمدت الى الترجمة او الاشتقاق . وأنا أتوسع في الاشتقاق فلا اقول ان الاشتقاق ينحصر في ما سمع من العرب كما يقول بعض الجامدين الذين يسدون بقولهم هذا باب التوسع على اللغة . واذا لم يمكن الاشتقاق اضطررت الى التعريب . ولا اغفل ما كتبه الاطباء المحدثون على أمل ان اجد فيهِ مصطلحات موافقة . غير اني ارجح تعريب الكلمات التي هي واحدة عند جميع الامم المتمدنة كلما وجدت ان تلك الكلمة غير نافرة عن العربية

ولما كان دأبي اخذ ما في الكتب العربية القديمة اولاً فاني اكره اشد الكره المصطلحات التي يضعها بعضهم حديثاً في حين ان في كتب اسلافنا مصطلحات لعين هذه المسميات . من ذلك كلمة زحار حين ان اسلافنا قالوا دوسنطاريا . وما الزحير وما الزحار الأ ال Ténesme ولو كسروها على صيغ شتى . ولما كانت لفظة الزحير قديمة في الطب فلا حاجة للزحار وقد اعتبرها صاحب المخصص مترادفين لجمعهما بقوله والزحير والزحار داء يصيب المبطون « المخصص ٥ — ٧٨ » وهل يظنون أنهم اذا جعلوها على وزن فُعال ينتقل المعنى من العرض الى المرض ؟ اذا كان هذا ظنهم فهم مخطئون . لان فعال للعرض كما للمرض ، كالسعال والصداع وهما عرضان لا مرضان . او ربما ارادوا تجنب الدوسنطاريا المعربة ووضع كلمة عربية صرف مكانها غيرة منهم بحسب زعمهم

ان هذه الغيرة المفرطة لا محل لها لانهم لا يستطيعون نبذ جميع المعربات . وأي لغة خلت من كلمات غريبة عنها . وهذا القرآن فيه عشرات من الكلمات المعربة . غير ان هذه الغيرة المفرطة مضرة لانها تقطع الصلة بيننا وبين ما كتبه اسلافنا . وكل كلمة عربت ودرجت في لساننا تعد منه لا غريبة . وأخذ المصطلحات عن اسلافنا يوفر علينا تعب تحري مصطلحات جديدة . واني لا اعدل عن مصطلحاتهم الاّ نادراً جداً . مثال ذلك لا احب تسمية الهستريا باختناق الرحم[1] . فلا اقول للرجل انت مصاب باختناق الرحم . بل اسميها « الصَّرْع » (انظر تاج العروس) . ولا عبرة بكون كلمة هستريا مشتقة من هستيرا اليونانية وهي الرحم . فانك ان كلمت فرنسيًّا وقلت له ان مرضه الهستريا لا يذهب فكره الى الرحم بخلاف ما اذا قلت للعربي انهُ مصاب باختناق الرحم فان كلمة رحم تقرع اذنه وهو يعرف ما الرحم وانه رجل لا رحم له . وكذلك اكره تسمية الديدان الشريطية بالحيات . فلا اقول لمن كان مصاباً بها ان في بطنه حية . بل اعدل الى تسميتها بالـ (صَفَر)

وبعد فاني اتفق معكم في اغلب المصطلحات التي اتيتم بها في مقالكم المذكور بعد ان محصتم ما جاء به غيركم . ويبقى هناك بعضها اورد عليه بعض ملاحظات علها تعجبكم

لا اقول للـ Interstice الاّ (خلل) تجنباً للمترادفات ولأن بعض اللغويين قالوا ان خلال جمع خلل كجبال وجبل (تاج) . وكذلك اقول خللي في النسبة ولا اقول خلالي

(١) هذا يذكرني بـ[illegible] أصيب بهذا الداء فشخص الطبيب مرضه باختناق الرحم وكتبه كذلك في ورقة التشخيص [illegible]

قلتم : «ولا اظن ان ابن سينا ذكر الدوسنطاريا[1] في قانونه» . اقول ذكرها في الجزء الثاني في المقالة الاولى من الفن السادس عشر من الكتاب الثالث في فصل في كلام في استطلاق البطن.. الخ. ص ٤٢٤ س ١٩ ، و ص ٤٢٥ س ١٠ و ٧ ، و ص ٤٢٨ س ١٥ . وفي المقالة الثانية من الفن السادس عشر في معالجات اصناف الاستطلاقات ص ٢٣٥ س ٢٣ «طبعة المطبعة العامرة في مصر سنة ١٢٩٤» أما (سحج الامعاء) فعرض من اعراض الدوسنطاريا وهو بالفرنسية الـ Abrasion « انظر معجم ليتره Littré الطبي »

والآن نأتي الى وضع مصطلحات لمتعلقات الجنين وما يخرج معه عند الولادة . وهذا صعب جداً اتعبني كثيراً واظنني وفقت الى نتيجة حسنة . اني جمعت ما عثرت عليه من الكلمات التي من هذا القبيل في التاج والمخصص فكانت : (السخد ، السلى ، الحضير والحضيرة ، المشيمة ، النُخط ، الشاهد والشهود ، الفنق والفُنقاة والفاقياء . السي والسابياء ، المسكة والماسكة ، العاذة ، النَفس ، الرَهل ، السقي ، الغرس ، السكبة ، الحولاء ، الضواة ، القَضاة ، الرَدن ، مدرع الردن ، المُلحة ، المخذفة ، المنتجة ، المكورة ، القنبعة ، السمحاء ، السماري ، الفقحة ، النُكزة) . فهذه ٢٩ كلمة . نطرح منها التسع الاخيرة ، الملحة وما بعدها ذكرها صاحب المخصص ولم يذكرها التاج . وقال ابن سيدة عنها نقلاً عن ابن دريد انها واحد وهو الغرس الذي يكون فيه الولد . وقال عن الغرس انهُ الذي يخرج مع الولد كأنهُ مخاط . ونطرح كذلك الردن ومدرع الردن فهي في المعنى عينه .وقيل عن القضاة انها جلدة رقيقة على وجه الصبي حين يولد وعندنا المسكة تغني عنها والضواة كأنها الفاقياء للناقة فلنهملها . والحولاء ماء يكون في السلى او جلدة تخرج مع الولد . ولنا غنى عنها في الكلمات الباقية . والسكبة الغرس فلا لزوم لها . ولنترك الغرس نفسه لنستعمله مقابل Glaire وهو مخاط لزج ذو قوام يخرج من الامعاء في نزلاتها . وقد استعمل الاطباء (الغرس) بهذا المعنى قديماً فقالوا : قيام الاغراس . يريدون بالقيام الاسهال . ولنترك (السقي) لماء الحبن Liquide ascitique . ونترك الرهل لنقابل به الـ Sérosité . فقد استعملتهُ اطباء العرب بهذا المعنى وبمعنى المائية التي تجتمع في خلال الانسجة فتكوّن الاوذيما . اعلمُ انكم كنتم تريدون تسمية الـ Sérosité بالغسّاق وقد وردت هذه الكلمة في القرآن وفسروها بما يسيل من جلود اهل النار. فلو قلتم لقسيس يسيل من جرحه مائية هذا غساق لربما هان الامر ولكن هل يمكنكم ان تقولوا ذلك لاحد الشيوخ؟ وجاء في التاج « رهل لحمه بالكسر اضطرب واسترخى وانتفخ » ورهله كثرة النوم ترهيلا هبّج وجهه وانتفخت محاجره .. واصبح مرهلاً اذا تهبج وجهه من كثرة النوم »

اما الكلمات الباقية فقد اعطى اللغويون كلاً منها معاني شتى فتداخلت واشتبكت . ولكننا نتمكن بالتمحيص ان نخصصها كما يلي :

---

(١) قوله ان الدوسنطاريا وردت في ابن سينا صواب وكان قولي هذا سهواً مني المعلوف

لا شك في ان (السُخد) هو الـ Placenta . فقد عرّف في مستدرك التاج خير تعريف حيث قيل : « هنة كالكبد او الطحال مجتمعة تكون في السلى » فهذا التحديد لا يترك مجالاً للتردد . واني اظن السخت معرباً عن كلمة (سَخت) الفارسية ومعناها صلب شديد متين . والبلاسنتا هي اشد واثخن قسم في متعلقات الجنين

ولاشك ايضاً في ان (السلى) هو الـ Chorion . فقد جاء في المخصص « السلى الجلدة التي يكون فيها الولد » . وفي القاموس « السلى الجلدة يكون فيها الولد من الناس والمواشي » . ولقد تحققت ان هذا الاسم معروف ومستعمل بهذا المعنى عند اهل البادية اليوم . فلنخصص السلى للخوريون. اما اذا قلتم : ولكن كيف سموا الطبقة من طبقات العين بالمشيمية وهي بالافرنجية Choroïde قلت اما كان ذلك غلطاً درجوا عليه او انهم ارادوا الكل بدل الجزء كما سنرى في كلمة مشيمة

ونخصص (الحضيرة) للـ Amnios فقد جاء في التاج عن ابي عبيدة انها « لفافة الولد » . والامنيوس هو الغشاء المحيط بالجنين والخوريون فوقه

اما (المشيمة) فلم تستعملها اطباء العرب الاّ بمعنى Arrière-faix (Délivre) اي مجموع ما يخرج بعد الولد عادةً من سخد واغشية . فقالوا خروج المشيمة والقاء المشيمة Délivrance [الخلاص حديثة اتى بها ضعفاء المترجين] وقالوا احتباس المشيمة ودواء مخرج للمشيمة . فلنتابعهم في هذه التسمية

واما (النخط) فهو الـ *Liquide amniotique* . جاء في القاموس : « الماء الذي في المشيمة »

واما (الشاهد) فهو *Bouchon gélatineux* . جاء في التاج : « والشاهد شبه مخاط يخرج مع الولد جمعه شهود . . وقال ابن سيدة الشهود الاغراس التي تكون على الحوار »

واما (الفاقياء) فهي الـ Poche des eaux اي القسم الذي يكون امام رأس الجنين من الغشاء وبينه وبين الرأس قسم من النخط . ثم انه ينفقئ عن رأس الجنين فيسيل ذلك النخط . جاء في القاموس : « الفاقياء السابياء وهي التي تتفقأ عن رأس الولد . ومثله في المخصص

لكني ارى ان الفاقياء شيء (والسابياء) شيء آخر . وهي وان وردت في كتب اللغة في مادة [illegible] ومعربة عن ([illegible] آبه) بالفارسية [illegible] وهو الماء الذي يسكب عند انشقاق [illegible] Eaux de la [illegible] . جاء في التاج : « وقال الازهري [illegible] الولد » وهذا عندي اصوب معنى لها [illegible]

[illegible] يكون من رأس الولد »

[illegible] المخصص والتاج] فهي [illegible] اذاً الفاقياء [illegible]

[illegible] . واظن ان الفرنسيين [illegible]

واما (الصامة) فيجدر بها ان تخصص لما يعبرون عنهُ بالـ Sérotine (راجع معجم ليتره) وهذه مشتقة من serotinus ومعناه المتأخر . جاء في التاج عند الكلام على الحِوَلاء : «... ثم يخرج بعد ذلك بيوم او يومين الصامة ... »

واما (النَّفَس) فهو الـ Lochie (المخصص ١ — ٢١)

واسمي الـ Allantoïde (الغشاء اللَقانقي [1]) او (اللقانقي) باختصار . واللقانق وهو الطعام المعروف اليوم بالمنبار والمبار عُرِّب قديماً من الفارسية (لقانه) ووردت في الكتب القديمة منها بحر الجواهر بخلاف السجق والمنبار فانهما لم يجيئا في الكتب المعتبرة . ولا أدري من اين أتتنا كلمة منبار

وليس لنا الآن ان نترجم Caduque ترجمةً فنقول (الغشاء الساقط) او (الساقط) فقط ولنجمل أدناه ما ذكرناه :

ساقط	Caduque
لَقانقي	Allantoïde
حضيرة	Amnios
نُخط	Liquide amniotique
سلى	Chorion
سُخد	Placenta
مشيمة	Arrière-faix (Délivre)
شاهد	Bouchon gélatineux
فاقياء	Poche des eaux

(١) جاء في بحر الجواهر ما نصه : لقانق بالضم لقانه وهي الخوايا المحشوة من اللحم والبصل والشحم المشوية للادهان . قلت ويقال نقانق ولقالق ومقانق والاخيرة شائعة في بيروت . قال دوزي في مادة لقانق : هي لقانقا لاتينية ويراد بها امعاء الضأن محشوة باللحم المهروم (المفروم) مع الفلفل الاسود والملح والليمون الحامض وعصير ... تشوى في التنور . ونقل عن ابن البيطار في مادة امعاء عن الرازي ما نصه : اما الامعاء فلا تصلح لطبخ ... بل النقانق فاذا اتخذت نقانق فليكثر فيه من الابازير والتوابل . وقال لكلير مترجم ابن البيطار في ... لا يعلم ما هو النقانق واظنه السجق . فتجد ان صاحب بحر الجواهر لم يقل انها معرب لقانه بل فسر بالقانه ولعل هذه فارسية كذلك دوزي فانه لم يقل انها لاتينية معربة بل قال انها لقانقا باللاتينية ولم اعثر ... اللفظة في المعجم اللاتيني الذي عندي ولعلها لاتينية محدثة او نسبة الى لقانيا كورة في جنوب ايطالية ... اهي فارسية معربة أم لاتينية الاصل ولا يحل هذا المشكل الا احد اثنين هما من دعاميس الرمل او ... ولقد ... واقترانها ومرادفاتها في مجلة المشرق ومجلة المجمع العلمي العربي ومجلة لغة ... في أساطير الاولين وقدامًا ذلية صاغرة الى حظيرة اللغة العربية [illegible]

Eau de la poche	سابياء	لا ...
Masque ? voile ?	ماسكة	قيل : ج ...
Sérotine	صاءة	وأني
Lochie	نَفَس	اشا

Orgele هي (الشعيرة) لا غير في الاصطلاح الطبي . ولغة هي الجدجد والـ
... الجواهر) والظبظاب ايضاً . ولنعلم ان اللغويين والعوام لا يفرقون بين البردة
لا اقول لـ Blépharite التهاب جفني ولا رمد جفني ، بل اقول (التهاب الجفن
الاجفان) واحسن منها (السُلاق) كما قلتم . اما الرمد فيقابل الـ Ophtalmie . ولـ
العرب اسماء ودرجات كثيرة نظراً لاعراضه ومظاهره ، منها جسأ الاجفان is
الأجفان Galle des paupières وجرب الأجفان Teigne des paupières او e
اوحكة الاجفان Gratelle des paupières و(السلاق)التيني اوالتينة Sycosis وانتثار الا
واقول لـ Blépharite ciliaire (السلاق الهدبي) ولـ Blépharo-adénite التها
وربما كان هذا المرض هو المقصود بتسميتهم بالـ (توثة) توثة الاجفان . اما تسمي
بالشرناق فغير مصيبة . فالشرناق هو الورم الشحمي اذا كان على الجفن العلوي
جاء في كامل الصناعة الطبية (٢ — ٢٨٧) :

« فأما علل الاجفان فأولها علة الشرناق وتسمى اوراطيس ومداواتها باستـ
يقول : ثم من بعد ذلك يشق الجفن عرضاً ويخرج منه الجسم الشحمي » . وصـ
ايضاً يصرح بكونها تحتوي على شحم ويميزها عن السلعة . وفي تذكرة داود ان
عسلية ومنها اردهالجية ومنها شيرازية ومنها شحمية . اذن يكون عنده الشرنا
وتعلمون ان الشيراز هو اللبن المُمَصَّل . ولم اهتد لكلمة اوراطيس اليونانية ا
هو (لحم الموق) Caroncule lacrymale . (انظر المخصص ١ — ٠٨
٢ — ٢٩٠) اما الخصة والبخصة فهما انتفاخ وغلظ اصول الاجفان خلقةً . وا
الشحم الذي وراء المقلة . وليستا لحم الموق

(١) لعل اوراطيس تحريف اوداطيس او هوداطيس ذكرها كذلك في المقالات العشـ
مايرهوف في مادة شرناق ص ١٩٠ و١٩١ (المقالات العشر طبعة مايرهوف) . ثم اني عثرت على
انكليزي قال في تفسير مادة Axirnach هي كلمة عربية قال أبو القاسم الزهراوي انها ورم
اكثر ما يصيب الاطفال وعليه يكون الشرناق ورم في الجفن الاعلى اي سلعة Cyst
او شيرازية او شحمية اي كما قال داود الانطاكي

الاحسن ان تسمى الـ Acromégalie (عدة) وتسمى البثرة الواحدة من العد (عدة) Acné (العُدّ) وتسمي البثرة الواحدة من العد (عدة)
(الفَتَخ) جاء في التاج «الفتخ عرض الكف والقدم وطولها. وذكره المخصص ايضاً (٢—١٢و٦٠)
Angiome (ورم عروقي) ولا اقول وعائي . والنسبة للجمع هنا أنسب . واقول لـ Vaisseau عرق ولا أقول وعاء[1]

Cancroïde (شبه السرطان) . اما (الأكلة) فهي ترجمة Noma حرفياً . فان nomein هو القضم والقرض والاكل باليونانية . جاء في بحر الجواهر : « الأكلة في الفم علة صورتها صورة القروح غير انها تسعى في زمان يسير الى مواضع كثيرة من الفم ولها رائحة كريهة » . وهذا التعريف يقطع جهيزة كل خطيب

لابأس بتسمية الـ Cachexie بالدنف او الضنى او الحرض. ولكن اسلافنا قالوا (سوء القِنْية) والقنية هي الكسب فكأن ما يملكه البدن من الاخلاط قد ساء في هذه الحالة المرضية . وقد جاء في بحر الجواهر « القنية عند الحكماء هي الملك وهو كون الشيء بحيث يحيط به وينتقل بانتقاله كالتعمم والتلبس . وجلد الانسان محيط به فينتقل بانتقاله وهو في هذا المرض يسوء حاله ولذلك يقال لهذا المرض سوء القنية ، وان كان الاستسقاء اولى بذلك الاسم . لكن لما اختص هو باسم خاص فيبقى هذا الاسم خاصاً بهذه الحالة وهو مقدمة الاستسقاء »

Consanguinité (وحدة الدم) في البشر والخيل وسائر الحيوان . اما الاضواء فقد يكون نتيجة لوحدة الدم بعضاً . فقد يتعالى النسل بوحدة الدم وقد ينحط « انظر معجم ليتره »

تسمية الـ Fomentation بالـ (كماد) صحيحة . اما النطول فهو ان يصب الدواء السائل الفاتر على العضو صباً

اسمي الـ Astigmatisme بالـ (لا محراقية) . فان هذه الكلمة الافرنجية مركبة من حرف النفي a ومن stigma وهي النقطة اريد بها المحراق

اما Centrifuge و Centripède فلا احسن من مقابلتهما بكلمتي (الصادر) (والوارد) لابد انكم شاهدتم عين ماء او بئراً او خريجة في الصحراء ورأيتم طرقاً تتجه اليها من جميع النواحي وقد غدت هي مركزاً لهذه الخطوط المطروقة . فالآتي على هذه الخطوط للورد اي المتجه للمركز يسمى الوارد والراجع عليها اي المتباعد عن المركز يسمى الصادر . وهذا يطابق تماماً

Diurétique (المدر للبول ، يدر البول)

لقد طال الكلام فلا اريد ان ابحث عما ذكرتموه من مصطلحات النبات . ولا اخالكم الا مصيبين في ما ذكرتموه منها في مقالكم

الموصل الدكتور داود الجلبي

(1) انظر ما قاله في رأي الاب انستاس في مجلة معهد الطب العربي السنة الاولى ١٢٦ معلوف

كتاب فيصل الاول

تأليف امين الريحاني

تفضل رئيس تحرير المقتطف فسلمني كتاب فيصل الاول في الشهر الماضي فألقيت عليه نظرة عجلى وكتبت عنهُ كلمة مجملة نشرت في الجزء الماضي فطلب اليَّ ان ادرسه درساً وافياً جديراً بكتاب مثله فعمدت اليه فقرأته قراءة الناقد المدقق ، لا قراءة المتصفح السائر

ويمتاز الكتاب كما وصفته في كلمتي الاولى بأسلوبه القصصي الاخّاذ وانسجام ابحاثه وتسلسلها وتنوع مواضيعه وتعددها ، وتلك من خصائص استاذنا الريحاني فلا يبارى فيها ولا يشق له غبار

ولذلك سأتكلم عن الناحية التاريخية فيه ، والظاهر انها لم تنل من عناية المؤلف ما نالته النواحي الاخرى فأخذ بالشائع المتداول من الروايات من دون ان يكلف نفسه مؤونة التدقيق في البحث فوقعت هفوات رأيت ان انبه اليها وان كانت مما لا ينقص قيمة الكتاب ورائدي خدمة التاريخ الخدمة الحقة الواجبة على المشتغلين بهِ

قال في الصفحة ٢٢ : وكان الشريف فيصل في النصف الاول من العقد الثالث عند ما عاد الى الحجاز مع ابيه الذي تقلد منصب الامارة في مكة فعينه مديراً لشؤون البدو فكانت وظيفته تستوجب الحملات التأديبية من حين الى آخر. هذا ما قاله . والصواب انه لم تكن في امارة مكة وظيفة اسمها (مديرية شؤون البدو) يتقلدها او يختص بها بل كانت هنالك اعمال مشتركة يعملها بالتعاون مع اخويه (علي وعبد الله) وكان والدهم ينتدبهم للمهام بحسب الحاجة

وقال في الصفحة ٢٤ وهو يتكلم عن الشريف فيصل في مجلس النواب « بيد انهُ انتمى الى الحزب العربي » والصواب انهُ لم ينتمِ الى هذا الحزب — والذي انتمى اليهِ هو الامير عبد الله اما فيصل فكان موالياً للاتحاديين يرى ان السلامة كل السلامة في التعاون معهم

وقال في الصفحة نفسها « وقعت الحرب العظمى ودخلت تركيا الحرب وكان الشريف فيصل في سورية » والصواب انهُ كان عند دخول الدولة الحرب وذلك في شهر نوفمبر سنة ١٩١٤ يقيم في مكة بقرب والده ، فقد غادر الاستانة في شهر اغسطس مع شقيقه الامير عبد الله على اثر وقف جلسات مجلس النواب العثماني فجاءا القاهرة ومنها سافرا الى مكة. وقضى الشريف فيصل السنة الاولى من الحرب في الحجاز وفي شهر سبتمبر سنة ١٩١٥ غادر مكة الى الاستانة ليشكو وهيب باشا والي الحجاز يومئذٍ ويطالب باقالته ، وليسعى لتكون امارة مكة ارثاً في بيتهم (بيت الحسين) ومرَّ بدمشق وكان الطريق البحري مغلقاً — وتلك هي المرة الاولى يزورها فيها فحل ضيفاً على آل البكري وعرف بما اقترفهُ جمال باشا من فظائع [1] فابلغها الى الصدر الاعظم سعيد حليم باشا وشكا منها وسلمهُ مذكرة وصف

(١) أعدم جمال باشا رجال الرعيل الاول في بيروت صباح ٢١ اغسطس سنة ١٩١٥ اى قبل وصول الشريف

النيل في العهد الفرعوني

مقاييسه . اعياده . مدحته

للدكتور حسن كمال

— ٢ —

سنذكر للقارىء بياناً موجزاً لبعض مقاييس النيل التي كانت في عهد الفراعنة والتي لا تزال آثارها باقية للآن مبتدئين بأقصاها جنوباً ومنتهين بأقصاها شمالاً

(١) مقياس النيل في جهة سمنة : — في قلعة سمنة القديمة (بالسودان) نقوش غاية ن الخطورة خاصة بمناسيب النيل وقت الفيضان. ويظهر ان مشروعات الري العظمى التي شادها امنمحت الثالث (١٨٢٠ ق. م.) في الفيوم تطلبت معرفة حالة الفيضان قبل وصوله الى الفيوم بمدة كافي وكتابة هذه الاحوال بالضبط على الصخور وارسال اخبار الفيضان بواسطة اشارات من تل الى آخ حتى المركز الرئيسي . وهذه النصوص اوردها لبسيوس في مجلده الثاني من الدنكمالر لوحة ١٣٩ وه تقع على ارتفاع عشرين قدماً فوق سطح النيل الحالي . ومن هنا نشأ كثير من الارتباك والتخمي في تفسير هذا الفرق العظيم . ويستدل من طريقة نقش هذه النصوص انها حفرت عند حد الما الحقيقي وليست عند النهاية العليا لحبل طوله عشر اذرع او عشرون ذراعاً مثلاً بينما نهايته السفلى تم سطح النهر ويرى الاستاذ بتري ان نصوص سمنة تشير الى انخفاض قاع النهر في بلاد النوبة الع بخلاف الحالة في مصر وهذا ينشأ من امرين اولهما تآكل قاع النهر الحجري وثانيهما ارتفاع ق النهر عند طرف النوبة الجنوبي (راجع تاريخ مصر للاستاذ بتري جزء ١ ص ١٩٥) . والنصو التي في جهة سمنة هي خاصة بالفيضان سنوياً في عهد الملك سباك حوتب الاول (٢٤٦٠ ق .م. الى الرابع (اسرة ١٣) — راجع بتري جزء ١ ص ٢٥٩) . والمعروف ان امنمحت الثالث (١٨٢٠ كان اعظم ملوك اسرته اهتماماً بأمور الري فهو الذي اصدر امره لحامية قلعة سمنة بأن تقيس جهتها اقصى ارتفاع لمياه النيل كل سنة فتأسس لذلك مقياس النيل المذكور اعلاه . ولما كانت اخب هذه المقاسات ترسل على عجل الى موظفي مكتب الوزير بمصر السفلى فقد تمكن القوم وقتئذ م تقدير مقدار الحبوب الممكن انتاجها في البلاد في السنة التالية. وبناء على ذلك قدروا نسبة الضرائ والرسوم التي تطلبها الادارة المالية من ذوي الاملاك (برستد تاريخ مصر ١٢٣ ترجمة الدكتور حسن كما

(٢) مقياس النيل بمعبد كلابشة : — هذا المقياس في الجهة الغربية لممر المعبد الداخلي

فيها حالة العرب وقال الى والده على استعداد لتأييد الدولة اذا اعترفت باستقلال الحجاز على اساس اللامركزية وبالشريف حسين اميراً على ان تكون الامارة ارثاً في اولاده من بعده[1]

وعاد الى دمشق في شهر نوفمبر سنة ١٩١٥ وقد سبقتهُ برقية من انور باشا الى جمال باشا يوصيه فيها بالحفاوة بالامير وان يتخذه مستشاراً له يساعده على تهدئة الحالة في البلاد العربية وان يحل آراءه المكان اللائق بها . ولم يطل الاقامة في دمشق بل غادرها الى مكة لاطلاع والده على ما وقع له ولابلاغه اماني الجمعيات العربية وقد اتصل بها للمرة الاولى مدة اقامته في دمشق وعرف باستعدادها لاضرام الثورة في البلاد السورية . وجاء دمشق ثالثة في يناير سنة ١٩١٦ ليقيم قرب جمال باشا ، طبقاً لاشارة انور باشا ظاهراً ، وكانت مهمته السرية مراقبة الحالة عن كثب والاتفاق مع زعماء العرب على العمل ، واغتنم الفرصة في شهر مايو سنة ١٩١٦ فسافر الى المدينة لاستقبال المجاهدين القادمين من مكة باسم جمال باشا والعودة على رأسهم الى فلسطين فتخلص من الترك بحجة انهُ ذاهب لوداع اخيه الامير علي وهاجم في اليوم الذي افلت فيه وهو ٢ يونيو سنة ١٩١٦ مواقع الترك حول المدينة

وقال في الصفحة نفسها: «وفي شهر حزيران (يونيو) شنَّ الشريف حسين الثورة على الاتراك وعين فيصلاً لقيادة الجيش الشمالي » وحقيقة ما وقع هو انهُ لم يكن لدى الشريف حين اعلان الثورة جيوش منظمة ليولي ابناءه او غيرهم قيادتها وانما اختصَّ كل واحد منهم بالعمل في ناحية فعمل عبد الله حول الطائف وعمل فيصل على طريق المدينة – ينبع وظل هنالك حتى شهر يناير ١٩١٧ ففي يوم ١٦ منه غادر ينبع الى الوجه بعد ما توطدت اركان الثورة في الحجاز وفازت وانتفى كل خطر عنها . وفي الوجه بدأ بانشاء الجيش الشمالي ثم انتقل مقره بعد ذلك الى العقبة ودمشق

وقال في الصفحة نفسها : وما كاد يدق الاوتاد على شاطىء الحجاز بين العلا والعقبة حتى ظهر على المسرح الكولونيل لورانس الانكليزي رسول الحكومة البريطانية» والصواب ان لورانس ظهر على المسرح في ينبع لا في العلا والوجه ، فقد زار جده في شهر اكتوبر سنة ١٩١٦ لدرس حالة الثورة العربية عن كثب ثم قصد ينبع فالتقى فيها للمرة الاولى بالشريف فيصل في وادي الصفرا على طريق المدينة . ويقول لورانس نفسه في الصفحة ١٨ من كتابهِ « ثورة في الصحراء » عن هذه المقابلة ما ترجمته « وعلى الجانب الابعد من ساحة الدار الداخلية وقف شبح ابيض ينتظرني بلهفة وشوق ولما وقعت عيني عليهِ شعرت بأنهُ الرجل الذي قدمت الجزيرة العربية في طلبه الخ »

واثار في الصفحة ٢٥ قضية ما كان لمثلهُ ان يثيرها واصدر على العرب حكماً قاسياً فزعم ان سبعين من الفضل في نجاح الثورة العربية او اكثر او اقل هي للخيال الانكليزي (الجنيه) . ويلوح لنا ان تسرع استاذنا الريحاني في اصداره هذا الحكم وغمطه حق العرب ناشىء عن عدم دراسته الثورة العربية الدراسة الكافية واعتماده على ما كتبه بعض المؤلفين الانكليز في موضوعها

ويجب ان لا يؤخذ من هذا اننا ننكر ما اسداه الانكليز للثورة من تأييد وامدادهم اياها

(١) ... [illegible]

بالسلاح والمال فنحن نعرف ذلك ونعرف ايضاً ان لهذه المساعدة شأناً كبيراً في نمو الثو
نطاقها ولكننا نعرف الى جانب هذا ان فائدة الانكليز من الثورة كانت اعظم من فائدة العر
وان ما دفعوه وبذلوه لا يعادل الثمرات التي جنوها منها فقد مكنتهم من عبور قنا
وسهلت لهم فتح بلاد الشام والانتصار على الترك وهم الذين قضوا السنوات الاولى من الحر
وراء حصونهم في القناة لا يجرؤون على مغادرتها . ويقول جمال باشا في مذكراته ان اول مر
الانكليز القناة كانت بعد ثورة العرب . يضاف الى هذا ان العرب كانوا ينازلون ٣٠ ال
الترك في الحجاز و الشام . ولولاهم لاشتركوا في قتال الانكليز ولصدوهم عن البلاد أو
لشغلوا ٥٠ الف جندي انكليزي . وما لنا نذهب بعيداً في الاستنتاج وهذا هو الكولوني
وقد رافق الثورة العربية وعرف ما أسدتهُ للحلفاء من خدم يقول عنها في كتابه « ...
ان فيصلاً بذل جهداً كبيراً في نشر الوية الثورة التي اعلنت في مكة وفي توسيع نطاقها فنم
و بفضل بسالته وحكمته اسدت هذه الثورة اعظم خدمة للحلفاء في ميدان فلسطين

« وكلنا يعرف ايضاً ان الجيش العربي الذي اعدّ وانشىء في ساحة القتال بين نير
صار جيشاً منظماً كامل العدة والعدد بعد ما كان في ابتداء أمره شراذم من البدو وقد
٣٥ الف جندي من الترك كما اخرج عدداً لا يقل عن هذا من صفوف القتال وغنم
مدفعاً واستولى على ما مساحتهُ مائة الف ميل مربع من الاراضي ولقد أدّى هذه الخد
كنا في أشد الحاجة اليهم فنحن مدينون لهم »

وقال في الصفحة ٢٦ « وعند ما انتدب الملك حسين ابنه الامير فيصلاً ليمثل العرب
فرساي كانت حاشيته الكبيرة امة مصغرة وقد تباينت فيها النزعات» والصواب ان الذين را
يومئذ هم نوري السعيد رئيس اركان حربه ورستم حيدر رئيس ديوانه والدكتور احمد قد
الخاص وتحسين قدري مرافقه العسكري وفايز الغصين سكرتيره الخاص . هؤلاء الذين
المرة الاولى وما هم بالحاشية الكبيرة المختلفة النزعات . ولو اطلق هذا الوصف على الذين
الرحلة الثانية[1] لما عدا الصواب فقد سافر معه يومئذ الجنرال حداد باشا والشيخ فؤا
والامير امين ارسلان والدكتور سامح الفاخوري والخوري يوسف اسطفان وأمين الت
اسماعيل والدكتور احمد قدري وتحسين قدري

وقال في الصفحة ٢٧ ان الامير والمسيو كلمنصو وقعا الاتفاق بالحرف الاول من اسميهم
ان الامير وعد الفرنسويين بأن يسعى لحمل السوريين على قبول الاتفاق ولم يوقعه

هذا ما رأيت ان انبه اليه في الفصل الاول . وسأعود الى الفصول الاخرى في ال
ان شاء الله
أمين

(١) كانت الرحلة الاولى في شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ ...

في بحور الشعر

لما تناولت بالنقد « صنّاجة الرياشي » وأشرت الى ما في ابيات الشاعر من خلل الوزن او من عجز الموسيقى لم يكن غرضي بداهة سوى النقد الفني الصرف ، وكذلك كان شأني في التعليق على رد صديقي الدكتور بشر فارس ، ولذلك اعتب عليه لمحاولته تصويري بصورة المتعنت المكابر المعاند ولا احب بدوري ان اصفه بهذا الوصف ، كما اني لا اعدّ ما كتبه عني من باب الغمز ، فاني احترم النقد الادبي وافترض دائماً حسن النية وأرحب بما كتبه الصديق الكريم

فأما ما عابه على شعري فليس هذا مقامه ، وانما مقامه حين يصدر احد دواويني الشعرية وله حينئذ ان يؤاخذني بما يشاء وأطالبه بأقصى مما كتب وأنا احمل نقده بكل ارتياح ، ولكنني اذكّره الآن بأننا في معرض شعر الرياشي لا شعر الصيرفي . كما اني اعتب عليه لمحاولته الاستشهاد ببيت يتفق مع ما يليه ولكنه يجذبه فيلصقه ببيت آخر اتفق مع ما يليه ايضاً وحاولت أنا تغيير النغم في مقطع عنه في غيره ، فمحاولة الدكتور بشر في جذب مثل هذين البيتين من مكانيهما ليفهم القارىء انني مخطىء لا اراها من باب الانصاف ، كذلك لا ارى من الاعتزاز الادبي التهكم على زميل يقوم بتجاريب نظمية جديدة

غير انني اعود الى موضوعنا فأدعوه مرة اخرى للفائدة الادبية — لا للمكابرة — ان يقطّع ابيات الرياشي ولمثل هذه الغاية ادعو الاستاذ البشبيشي والدكتور زكي مبارك للمساهمة في هذا التحقيق العروضي ما دام صديقي الفاضل يريد ان يستبعد من المناقشة الذوق الموسيقي الشائع ، وأملي ان لا يعد هذه الدعوة من باب التحامل عليه ما دام غرضه كغرضي الخدمة الادبية الخالصة وإظهار الحق ، وأكرر له اخيراً شكري على هذه المساجلة المفيدة

حسن كامل الصيرفي

[المقتطف] لا ريب في ان الابيات التي اوردها الصيرفي من صناجة الرياشي (مقتطف دسمبر ١٩٣٣ صفحة ٦٣٠) مستقيمة عروضاً ، الاّ ان ثالثها فيهِ ضعف . واما الابيات التي اوردها بشر فارس من شعر الصيرفي (مقتطف مارس ٣٧٥) فاليك الرأي فيها : الابيات الثلاثة الاولى صدورها من المديد واعجازها من الخفيف. والبيت الرابع مستقيم ، والخامس والسادس لا يستقيمان والسابع مستقيم على ضعفٍ . وأما ما بقي منها الى السادس عشر فخطأ الاّ البيتان الثاني عشر والرابع عشر وهما مستقيمان . وبهذا نختم هذه المناظرة

مكتبة المقتطف

كتاب مؤتمر الموسيقى العربية

يعلم قراء « المقتطف » ان مؤتمراً للموسيقى العربية انعقد في مصر في ربيع سنة ٢
نشرنا في شهر ابريل من تلك السنة رسالة مسهبة في اغراض هذا المؤتمر وطرق الوصو
فارس الدكتور في الآداب من جامعة باريس . وقال فيما قال : انهُ من الخطأ ان يخلط
الموسيقى العربية بالموسيقى الشرقية لان الموسيقى الشرقية شيء والعربية شيء آخر .
ملكي قد صدر بتسمية معهد الموسيقى في مصر « معهد الموسيقى العربية » بدلاً من
انعقد ذلك المؤتمر وكان في اعضائه مصريون وشرقيون وافرنجة . فبذل جهده في
نواحي الموسيقى العربية وتحديدها . وقد برز الآن تقرير ضخم عن اعمال هذا الم
التقرير في ما يزيد على ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير . وهو منقسم ثلاثة اقسام . ا
الشؤون الادارية من مكاتبات ادارية واوامر ملكية وبيانات تنظيمية وبرامج عمل
الاعضاء الى غير ذلك . والقسم الثاني يبحث في الامور الفنية وفي هذه الامور طرق
العربية وترقيتها ، ثم حصر المقامات الموسيقية وترتيبها وتحليلها الى اجناس ومقابلتها
في غير مصر ، ثم في بيان انواع الايقاعات المستعملة في مصر وغيرها من البلاد العر
الايقاعات ، ثم بسط انواع التاليف الغنائي والصامت المستعملين في مصر وغيرها وا
اخرى ، ثم بحث التجارب التي اجريت لاثبات مقادير الابعاد السبعة للسلم واثبات
وعشرين صوتاً والتوصل الى طريقة تدوين الالحان ، ثمَّ حصر الآلات العربية وبح
وطلب تحسينها والنظر في اضافة الآلات الاوربية الى الآلات العربية ، ثم تسجيل
الى مقامها والبحث في كيفية دراسة الاسطوانات ثم النظر في الجماعات الموسيقية ب
بمصر واحصاء من يتعلم الموسيقى العربية والغربية والمشاورة في تعميم التثقيف
وكيف يكون والى اي غرض يرمي واي نحو ينحو، ثم احصاء المؤلفات العربية وا
في تاريخ الموسيقى العربية والنظر في تشجيع نشر المؤلفات واعداد تقرير يشمل ت
العربية وتطوراته في العصور المختلفة والتنقيب عن مخطوطات في الموسيقى العربية
فمجموعة من صور الموسيقيين والآلات الموسيقية وصور من العرض المدرسي فا
هذا وان في نهاية ذلك التقرير فصلاً طويلاً عن جلسة المؤتمر السابعة ال

الطرق التي تتبع لاكمال تنظيم الموسيقى العربية وترقيتها لتؤدي كل الاغراض المطلوبة من الموسيقى على العالم مع الاحتفاظ بطابعها » . وفي هذا الفصل سرد الاساليب التي بها تتقدم الموسيقى وتتدرج الى الكمال . وفي هذه الاساليب بعض ما اشار اليه الدكتور بشر فارس في المقال الذي اشرنا اليه في مقدمة الكلام مثل تأليف كتب النماذج Methods وتثقيف من يطلب الموسيقى تثقيفاً رفيعاً يتراوح بين اسلوب الموسيقى العربية والموسيقى الافرنجية وغير ذلك

تاريخ الصحافة العربية (الجزء الرابع)

تأليف الفيكنت فيليب دي طرازي — المطبعة الاميركانية في بيروت ١٩٣٣ — ٥٤٥ صفحة من الحجم المتوسط

ان الفيكنت فيليب دي طرازي من أعلام اهل لبنان ومن مفاخر الشرق العربي . وانه على شرف بيته وكرم خلقه ، لمن اولئك الرجال الذين وقفوا حياتهم على خدمة اللغة العربية فبذلوا في سبيلها مالهم وهناءتهم . بل انهُ من اولئك الرجال الذين بهم نساجل الفرنجة في ميدان العلم والاستشراق

عني الفيكنت منذ فتوتهِ بالصحافة العربية . فراح يجمع الصحف والمجلات في اي بلد برزت حتى استقامت له مجموعة لامثيل لها في العالم تحسدهُ عليها دور التحف وخزانات الكتب . وقد عرض الفيكنت مجموعته في بيروت لبضع سنوات خلت . فأصاب العلماء هنالك ما لم يدر لهم ببال . وخرجوا من المعرض مذهوباً بهم

على ان الفيكنت دي طرازي لم يقصر همه على الجمع والعرض ، بل صنَّف في تاريخ الصحافة العربية كتباً نفيسة ما تزال المرجع الوحيد بل الوثيق في بابها . وقد وقعت من المستشرقين أحسن وقع حتى لانَّهم نقلوها الى لغاتهم . فالجزءان الاولان ترجمها الالمان واما الجزء الرابع فقد ترجمه الاميركيون

وهذا الجزء الرابع اخرجه الفيكنت اليوم وطيه جميع فهارس الجرائد والمجلات العربية في انحاء العالم منذ نشوء الصحافة العربية حتى سنة تسع وعشرين وتسعمائة والف

وقد رتب الفيكنت هذه الفهارس احسن ترتيب حتى يصيب فيها المطلع غرضهُ في اسرع من ارتداد الطرف . وقد جاء هذا الترتيب على ضربين متساويين فترتيب جغرافي تنقسم فيهِ الفهارس خمسة اقسام تتناول مدن كل من القارات الخمس على حسب وضعها السياسي المشهور الآن . ثم ترتيب تاريخي ناهض على تسلسل الصحف في الزمان . ثم ان لهذه الفهارس شروحاً علق بها الفيكنت على بعض الحوادث النادرة اللطيفة اللاحقة بالصحف

ذلك هو الجزء الذي ابرزه الفيكنت اليوم فرحباً بهِ ولعل الفيكنت لا يقعد عن اخراج ما بقي لديهِ من الاجزاء ، فان العلم نفسه يطلبها اشد الطلب

بشر فارس

التجديد في الادب الانكليزي الحديث

تأليف سلامه موسى

الادب الانكليزي أدب فائدة وليس ادب لفظ وصنعة . والادب الانكليزي ينظر الى حياته الخاصة ووسطه العام فيتأثر بهما ويؤثر فيهما . يدرس الحياة على انها موضوعة يُستدعي إرشاد ما فيها من معانٍ غامضة . والحياة عند المجددين من الادباء الانكليز تُنقد وتُعرف على حقائقها الاجتماعية والفكرية والمادية . فيظفر القارىء من الكاتب بفائدة جديدة كان يجهلها أو يعرفها معرفة سطحية . فليست غاية الاديب الانكليزي ان يكتب ويجيد الكتابة على النحو الذي يفعلهُ مثلاً بعض الادباء الشرقيين بل ان يعيش المعيشة الادبية أي ان تكون القاعدة في الادب عندهُ تصوير الحياة بما فيها من مثل عليا على أدق الصور الحديثة في التحليلات النفسية . والادب الانكليزي لذلك يدرس كل يوم شيئاً جديداً . فهو يدرس الانظمة الاجتماعية . والتطور الفكريّ . والمخترعات الحديثة . والوان العلوم . وشؤون الحكم . وبعض الادباء يتخيل انسب وسائل الحكم للجيل الحاضر او المقبل كما تحدث « ولز » في كتابه « الطوبى الجديدة » . فقد رسم لنا طريقة موفقة في شأن المعاملات المادية والاجتماعية . وفيها ايضاً ينزع من نفوسنا النزعة الدموية التي تطغى على عواطفنا فتجنح بنا الى الثورات والحروب . فالحياة في هذه « الطوبى » بعيدة عن الحياة الواقعة ولكنهُ خيال العلم الذي لا يبعد ان يكون حقيقة الغد . وكذلك يؤلف « ولز » الكتب العلمية المحضة وهذا كتابه في « علم الحياة » بالاشتراك مع جوليان هكسلي يعد في طليعة المؤلفات الخاصة بنظرية التطور ونشوء الحياة . ونجده يؤلف القصص يبحث فيها العلل الاجتماعية الخاصة بالعائلة ونظام النسل وتأخذها شركات السينما ودور التمثيل ليشهدها الجمهور ويتمتع بما فيها من معانٍ جليلة عالية .

فالادب الانكليزي يتجدد بمرور الايام ولا يقف وان كان يحوي في ثناياهُ بعض الاساليب الرجعية في الفكر واللفظ ولكن حتى الرجعيين من اصحاب هذا الادب كانوا يمجدون الفن ويؤثرونهُ على الصنعة وكانوا يكرهون الآلات ويؤثرون عليها الجمال الذي نلمسهُ في الصناعة اليدوية .. والادب الانكليزي ادب علم وفن واختراع لا أدب حسن وبيان وصنعة ويضطلع باعبائهِ الكتاب والشعراء على السواء وإن اختلفت عندهم الوسيلة فالغاية التي ينشدونها واحدة ولا يهتم الكاتب الانكليزي الاّ بالمعنى دون اللفظ فالاسلوب عنده شيءٌ ثانوي ولذلك نجد انهُ ليس في انكلترا « اكادمية » للغة كما هي الحال في فرنسا .. وقد تحدث مؤلف هـذا الكتاب في كتابه عن منحى الادب الانكليزي في الاربعين السنة الماضية في مختلف نواحيه في دراسة تحليلية قوية لا تظفر بامثالهـا الاّ في كتب النقدة الكبار وهو من اصحاب المذاهب الحديثة في الاسلوب والتفكير . فيكتب بعقل العـالم وباسلوب مختصر مفيد .. فهو مجدد في الناحيتين الفكرية والقلمية يدعو الى شؤون عديدة في حياتنا الاجتماعية من

دب وعلم وخُلُق ورياضة . وهو متأثر الى حدٍّ بعيد بالادب السكسوني واري انهُ الاديب المجدد لحياتنا قبل ان يكون صحفيًّا او كاتباً بالمعنى العام من هذه الكلمة .. وادبهُ يصدر عن نفس تشعر بوجوب معالجة النقص في مناحي الحياة المصرية ولعل كتابه هذا أبلغ رسالة كتبها لادبائنا الجامدين وهي وإن كانت مقتضبة اقتضاباً شديداً وتحتاج الى كثير من الشرح والاسهاب الاّ انها قوية موفقة ترضي القارىء من وجهتي العقل والشعور حليم متري

تقويم الحكومة المصرية

عن سنة ١٩٣٤

اهدت الينا المطبعة الاميرية نسخة من التقويم الجديد الذي تصدره كل سنة وغرضها منهُ على ما جاء في كلمة التقويم مساعدة « الجمهور على ايجاد فكرة عامة عن وزارات الحكومة المصرية ومصالحها وما تتولاهُ كلٌّ منها من الاعمال وعن أهم ما يوجد في القطر من الجمعيات العلمية والشركات والبنوك وما يؤديه كلٌّ منها من عمل » . وناشرو التقويم يعترفون انهُ رغماً عما بذل من العناية في جمعهِ فانهُ لا يزال يحتاج الى معونة كل من يطلع عليهِ فيرشد الى نقص او خطإٍ وقع فيهِ او اقتراح يزيد في فائدتهِ . والكتاب يقع في ٧٦٠ صفحة من القطع الوسط ، تقع فيها على كل ما يهمك ان تعرفهُ من شؤون الادارة المصرية مبوَّباً أحسن تبويب مسوقاً اليك في ايجاز بليغ . فتحنا الكتاب عند الصفحتين ٢٩٨ و٢٩٩ فاذا هما يحتويان على ملخص تجارة مصر الخارجية مع انكلترا ومستعمراتها وفرنسا وايطاليا والمانيا والولايات المتحدة الاميركية وبلجيكا ولكسمبرج وشيلي . وفتحناه عند الصفحة ٢٤٩ فرأينا في منتصفها الاسفل وصفاً موجزاً دقيقاً لقناطر نجع حمادي اليكهُ : « تقع هذه القناطر على النيل عند الكيلو ٥٨٨ قبلي القاهرة واربعة عشر كيلو متراً بحري كوبري السكة الحديد بنجع حمادي ، وتتكون القنطرة التي بدىء في بنائها في اواخر سنة ١٩٢٧ وانتهت في اكتوبر سنة ١٩٣٠ من مائة فتحة سعة كل فتحة منها ستة امتار ، وفي الجانب الغربي للقناطر هويس عرضهُ ١٦ متراً وطولهُ ٨٠ متراً وهذا الهويس في مقاساتهِ كهويس قناطر اسنا وقناطر اسيوط . وتختلف هذه القناطر عن قناطر اسنا واسيوط في ان سعة فتحاتها ستة امتار بدلاً من خمسة أمتار . وببناء هذه القناطر قد تمَّ ريُّ جميع حياض الوجه القبلي اذ ان بوجودها بين قناطر اسنا واسيوط سيكون ري مديرية جرجا ومركز نجع حمادي من مديرية قنا مضموناً بقطع النظر عن انخفاض الفيضان . والمساحة التي تحكمها هذه القناطر نيليًّا حوالي نصف مليون فدان وستكون في المستقبل اداة لتحويل ٤٥٠ الف فدان من ري نيليّ الى ري مستديم . . . . » الخ

ويلي ذلك وصف التعلية الثانية لسدّ خزان اسوان . فالكتاب من حيث ما يشتمل عليهِ من الحقائق المبوَّبة سجلٌ لا يستغني عنهُ احدٌ من المشتغلين بشؤون مصر العامة

ديوان الماحي

نظم محمد مصطفى الماحي — صفحاته ٢٥٦ قطع صغير

قال الشاعر في ما دفعهُ الى الشعر : « . . . . فكان لي — في الفينة بعد الفينة — خاطرة توحي بها مناسبة او فكرة يتفتح عنها الذهن ويصوّرها الخيال ، او ذكرى تتمثل للخاطر فتجيش بها العاطفة ، او حادث يثير كوامن الاشجان . وكنت اذا اكملت شيئاً من ذلك آثرت ان اطويه قانعاً بارضاء جانب الادب من نفسي كالمثّال المتواضع ما يزال يعصر ذهنهُ ويستوحي ملهمهُ حتى يحسن ويبدع ثم يرى ان يحجب ما الهمه ليستجمّ مؤثراً ان يرضي جانب الفن من نفسه . . . ولشهد الله اني رجل لا انزلق الى الاغترار بمدحٍ ولا الى الاعتداد بشعرٍ . . . بل كنت انطلق جاهداً عن الشعور الصادق وعن همسات النفس وخلجات القلب ووحي الضمير ، وما خطر لي يوماً اني سأواجه عالم الادب العربي بنشر هذا الديوان»

وقال خليل مطران في الديوان « لجملته مرآة عصرك »

وقال عبد الله عفيفي : ... وانك لتقرأ شعره فتجد صورته وصورة ما يحيط به واضحة جلية لا يعتورها نقص ولا يشوبها كلف ولا يزيدها زخرف او تمويه ، في الديوان الذي بين يديك تجد صولة الحب وثورة العاطفة وسورة الشباب وزهوة الامل ولوعة الحزن وشكوى الزمان ومساجلة الاخوان وفيه ذكر الحوادث العامة ونقدٌ لحالات الاجتماع

***

اما محمود عماد فيشير في ما يشير اليه ، الى مكانة بين فريق المتشيعين للادب القديم وفريق النـازعين الى التجديد فيقول : ولسنا الآن في سبيل تفضيل فريق على فريق . ولكن بسبيل ان نتعرف موقف « الماحي » الشاعر منها . والذي نراه انهُ لم يتحيّز الى فريق بعينهِ ولكنهُ وقف في منتصف الطريق واتخذ له بين الادبين خطةً وسطاً قال :

كم في القديم جديد الحسن مؤتلقٌ	يوليك من قسمات الحسن الوانا
إما بعثنا — على الايام — جدّتهُ	اوفى على جدد الآداب ميزانا
وكم جديد نعمنا من نضارتهِ	في ابهج الروض اطياراً وأفنانا
كلاهما تملأ الدنيا محاسنه	وتستجدُّ بهِ الآداب إحسانا

ولم يجد توسطهُ بين الادبين عن عمدٍ ولكنه جاء من وحي الطبع والغريزة وذلك لان الصفة الغالبة في طبعه هي « الاعتدال »

وبعد اطلاعك على هذه الآراء الحكمة يجدر بك ان تطالع ديوان الماحي لتحكم بنفسك

حوّاء بلا آدم

بقلم محمود طاهر لاشين — قصة — صفحاتها ١٦٠ قطع وسط

القصة مصرية في روحها واشخاصها . فالشيخ مصطفى والحاج إمام والجدّة والباشا والشاب رمزي والشابة حوّاء ، اشخاصٌ تحيا . وهي بحديثها وتصرّفها في هذه القصة كأنها قطع من بعض نواحي المجتمع المصري الذي يريد المؤلف ان يرسمهُ وينقدهُ في آنٍ واحد

الحياة التي تحياها الجدّة « قوامها العاطفة . العقل فيها راكدٌ . والعقل يأبى الركود . فاذا حاول ان يرضي الفطرة لم يستطع الاَّ العمل التافه من التشبُّث بالتفاؤل والتشاؤم واقامة الوزن للاحلام ، ومن ثمَّ الاتصال بالجن والشياطين ، تتخذ لهم الاسماء ، وتسبغ عليهم المِلَل والنحل والاشكال والالقاب، ويبايَعون بالسيادة ، فيخضع العقل السليم لهؤلاء « الاسياد » الذين اخترعهم

ومن هؤلاء الاسياد عفريت يدعى سرور وصفهُ المؤلف وصفاً لطيفاً صفحة ٣٤

أما حوّاء فنشأت في هذا الجوّ . نشأت فيهِ فألفتهُ ثم أنِفت منهُ . . . واصابها في صغرها ما يعرف الآن في علم النفس الحديث بعقدة الضعة فنزعت الى التفوّق في طلب العلم فتفوقت وارسلت في بعثة الى انكلترا وعادت منها مدرِّسة « تعلم الرياضة فاقتصدت في الاختلاط بزميلاتها المدرسات . وتكوّنت لها حيالهنَّ شخصية فيها تعالٍ ولكن ليس فيها حماقة . فكن يحترمنها ولا يكرهنها . بل كانت الحكمَ اذا اختلفن جميعاً ... » ثم انضمَّت الى احدى الجماعات النسائية فراحت تعمل بنفس تريد العمل... وكذلك اضافت حياتها الجديدة الى نفسها ما طغى على انوثتها، حتى إيقظها فيها الشاب رمزي وهو نجل باشا كانت تختلف حواء الى دارهِ لتدرّس اولاده . فكانت هذه اليقظة الانثوية في نفس حوّاء بعد ٣٠ سنة قضتها في طلب التفوّق ، عنيفة كالنار ، لا بدَّ ان تأكل صاحبتها اذا هي اصيبت بالاخفاق . وكذلك كان

فالحكاية الغرامية ليست الاَّ سمطاً واهياً ينظم الصور العديدة التي يريد المؤلف ان يرسمها لنواحٍ من المجتمع المصريّ ، ولكنهُ مع ذلك يجعل القصة كلاًّ مندمجاً لا يتجزأ . ولغة الكتاب فصيحة في الغالب ، تتطرق اليها الالفاظ والعبارات العامية احياناً كقوله « ومضى يحدث بانفهِ شوشرة كبرى » او يغلب عليهِ التعبير الفرنجي احياناً كقولهِ «احتلتهُ امتعاض مَنْ رأى شيئاً كريهاً»

وللمؤلف نكتة بارعة مشربة بألوانٍ من السخرية كقولهِ « ... على شرط ان يطلق زوجه الاولى فطلّقها بحجة انها لم تلد له الاَّ إناثاً . وانهُ يريد « النسر الصغير » . وكقولهِ « فالحاج امام وحدهُ هو الذي لا يؤمن بالجرس الكهربائي ويرى عصاتهُ للباب اقرب للتقوى »

ولهُ كذلك نقدات اجتماعية يسوقها اليك منسجمة مع حوادث القصة كوصفهِ رمزي اذ قال : «ولم يتعمّد رمزي ان يتثقف نفسهُ ثقافة خاصة . وانما كان يشتري الكتب غثها وسمينها على السواء»

تساوت في اناقة الشكل وجمال الطبع . فكتبتهُ اذاً عامرة باهرة . وانهُ ليمضي الساعات في ترتيبها
ادة ترتيبها . ويداخله من عرفان اسماء المؤلفين شعور بانهُ يتمشى مع الحركة الادبية ، بيد انهُ
أ اهم الصحف اليومية ، وكافة المجلات الاسبوعية وللاخيرة عنده مجموعات ينفق على تجليدها
خام . . . . . الخ »

الاعشاب

ديوان لمحمود ابو الوفا — صفحاته ١٢٧ قطع صغير

الفرق بين شعر محمود ابو الوفا في ديوانه هذا وشعره في ديوانه الاول كالفرق بين «الاعشاب»
و «انفاس محترقة » . فمحور شعره في الديوان الاول بثّ نفسهِ الكليمة فاذا هو يقذف شواظ نار
حيث يقول « سر الحياة اليمْ » او حيث يقول :

اريد وما عسى تجدي اريد — على من ليس يملك ما يريد

او حيث يقول :

لغة البلابل اين تذ — هب بين هدهدة المداهد

او حيث يقول :

ابي وفي النار مثوى كل والدة — ووالدٍ انجبا للبؤس امثالي

او حيث يقول :

لعجيب ان يطرب الناس عودٌ — شبَّ يسقى السموم من احزانهِ !

أما « الاعشاب » فميدانه اعمُّ . وأغراضهُ اكثر تنوعاً . فقد خرج فيهِ الشاعر من حرم نفسه
الى رحاب بيئتهِ . فهو آناً يسجل ، وآناً ينتقد . يسجل زيارة جلالة الملك الى اوربا في قصيدة
حسنة . ويحتفل وحده بتكريم شوقي ، بقصيدة من خير ما قيل في ذلك المهرجان :

مِزهرٌ غنّت الطبيعة فيهِ — مرسلاتٍ اوحَت بهنَّ السماءُ
في بيان تنافس الصبح فيهِ — حين يروي قصيدهُ والمساءُ
في معانٍ سرين من كل حيٍ — موضع الحس فهي فيهِ الدماءُ
كلمات كأنهنَّ نجومٌ — وقوافٍ كأنهنَّ الماءُ

وكذلك سجّل وفاة فيصل ومأساة الطيارين المصريين اللذين سقطا واحترقا في طريقهما من
انكلترا الى مصر ووفاة عدلي باشا وداود بركات وما توحيه هذه الحوادث من الوان الشعور
أما نقده فوجّه في الغالب الى عيوب المجتمع المصري :

الخاطئون بها هم نجباؤها — فهمو الذين تفرقوا اهواءَ
شقيت بأحزاب وهم فيها شقوا — فغدوا جميعاً في الشقاء سواءَ

[ه]و محفوظ بحالة جيدة . ونكتفي الآن بالاشارة اليه تاركين التفصيل للمقاييس الاخرى التي تفوقه شأناً

(٣) في جزيرة انس الوجود (بيلاق او فيلة) مقياس للنيل وهو عبارة عن بئر في الجنوب [الش]رقي من اطلال الهيكل هناك وفيهِ سلم مستقيمة تحتوي اولاً على ٥٢ درجة وتنتهي ببسطة [...]مة تنعطف منها على اليمين ١٢ درجة ممتدة الى ماء النيل . اما الماء فيدخل في هذه البئر من باب [مص]نوع باسفلها ومن بعض الجوات في الحائط يعلو بعضها بعضاً بمقادير متفاوتة . وفي هذه البئر جهة [الش]مال في اتجاه الدرجة المربعة التقاسيم القديمة منقوشة في الحجر بكيفية غير متقنة ومجزأة الى سبعة [اقس]ام واحد يشمل ٤٢ درجة مقدّرة بثلاث اذرع واربعة يحتوي كل منها على ٢٨ درجة وكل قسم [مق]دّر بذراعين . ثم يلي ذلك قسمان آخران كل منهما ١٤ درجة وكلاهما مقدرّ بذراع . فعلى ذلك يكون [مجمو]ع الاذرع ١٣ ذراعاً . وقد اكتشف هذا المقياس المرحوم محمود باشا الفلكي عام ١٢٨٦ هجرية [فا]صلحهُ وابقى تقاسيمه القديمة وجعل فيهِ المقياس عربيًّا بحسب الطريقة المتبعة في مقياس الروضة [...] وقد قدّر الباشا المذكور الذراع القديمة المستعملة لمقياس النيل فوجدها ثلاثة وخمسين سنتيمتراً. [ولا ي]علم بالضبط حتى الآن تاريخ انشاء هذا المقياس (عن المرحوم كمال باشا في الحضارة القديمة ص ٧٤)

(٤) وفي جزيرة اصوان (ويقال لها ايضاً الجزيرة وعند الافرنج الفانتين) مقياس للنيل في مقابل [مدي]نة اصوان وهو عبارة عن سلم مدرّج ينتهي بالمقياس وهذا عبارة عن تقاسيم ونقوش على جدار [...] . والتقاسيم عبارة عن اذرع والذراع مقسمة الى اقسام صغيرة كل منها يعادل اصبعين . وبعد [م]ضي على هذا المقياس حوالي الالف سنة بلا استعمال اصلح في عهد الخديو اسماعيل عام [١٨..] ميلادية كما يستدل على ذلك من النقوش العربية والفرنسية هناك . وعلى جدران السلم تشاهد [نقو]ش يونانية يرجع تاريخها الى العهد الروماني توضح مناسيب النيل . ومقاسات هذا المقياس رومانية [...] والاذرع مكتوب عليها بالخط اليوناني . اما المقياس الحديث فنقوش على الواح من الرخام

[و]قال استرابون ان هذا المقياس مصنوع من احجار منحوتة نحتاً متساوياً وهو واقع على ضفة النيل [منق]وش عليهِ مناسيب النيل القصوى والصغرى على حدّ سواء لان الماء في هذه البئر يعلو وينخفض [بعلو] النهر . وعلى جانب البئر علامات تشير الى ارتفاع الماء الى العلو الكافي للريّ وغير ذلك . وهذه [المناس]يب تقرأ وتدوّن وتنشر للعلم ..... ولهذا شأنهُ عند الفلاحين اذ عليهِ تترتب مواعيد الريّ [المتع]لقة على الترع والجسور الخ . ولهُ ايضاً شأن كبير عند الموظفين الماليين لان منسوب النيل [في] الفيضان له علاقة بالضرائب . فكلما علا المنسوب زادت الاموال

([٥]) وفي معبد حوريس بأدفو دهليز مدرّج تحت الارض يبدأ من القسم الشرقي للممرّ حول [...] هذا الدهليز ينتهي الى مقياس قديم عبارة عن بئر دائري خارج المعبد ويحيط بهِ سلم حلزوني [...] هذا السلم المقاييس والارقام الديموتيقية الخاصة بقياس النيل . وهذه البئر كانت متصلة

والله ما كان العدوّ ببالغ - لو لم يجد من اهلها نصراءَ

او حيث يقول :

سلوا «الوساطات» في مصر وما اصطنعت   سلوا « الادارات » من دونٍ ومن مال
كم من كريم كبت فيهِ مطامحهُ   وكم لئيم بها طلاّع آمال

او قولهِ : كل شعبٍ صلحت اطفالهُ   كان هذا الشعب مرجوَّ المآل

على ان قصائد« تكريم شوقي » و« حديقة الجار » و« يوم اللقاءِ » و« الجسر والنهر »« وحلم العذارى » فيها نفحة شعرية تحبب ان يعنى الشاعر بتوجيه اكبر جانب من عنايته اليها فهي للكلام النظيم كالأجنحة السحرية ترتفع عليها الى ابعد الاجواء

مجلة كلية الآداب

الجزء الثاني . دسمبر ١٩٣٣

نهضت كلية الآداب وذاع صيتها وحسن عملها ولا نشرة لها تعزز مكانتها حتى قام نفر من الاساتذة وتعاقدوا على اخراج مجلة لها

ان الجزء الثاني من هذه المجلة بين يدينا الآن . ففيه من المباحث الطريف والمحكم بعضه مكتوب باللغة العربية والآخر بالانجليزية او الفرنسية . ومما يؤسف له ان بعض الاساتذة المصريين عدل عن العربية الى الانجليزية كأن ليس في لغتهم متسع لكلامهم . وشدَّ ما يُخشى ان يصير اساتذتنا مصير كتّاب المغرب والهند : هؤلاء يؤلفون في الانجليزية واولئك في الفرنسية . وان كان للقوم عذر نجهله او نعرفه فما عذر اساتذة كلية الآداب بالجامعة المصرية

موضوعات هذا العدد

العناصر المصرية وغير المصرية في تدرج الحضارات في افريقية الغربية (الشرقاوي
حفائر الجامعة المصرية بالمعادي (لمصطفى عا
اسماء بعض النجوم المختلف فيها (لتيلور)
الادب القديم (الكلاسيك) : رأي في تحديده (لبير)

خزانة مخطوطات القس بولس سباط

مطبعة فردريخ بمصر

القس بولس سباط من المولعين بجمع المخطوطات وقد انقطع لذلك خمس عشرة سنة حتى
له خزانة جليلة فيها خمس وعشرون ومائة الف مخطوطة في فنون شتى ، منها الدين في
الاسفار المقدسة بين صميمة وموضوعة ، وتفاسير وتآليف آباء الكنيسة وتصانيف الـ
ومنطقية واخلاقية ومناظرات ، وتعاليم دينية ، وسير الانبياء وآباء الكنيسة ، وطقو
المذاهب والطوائف ، وكتب في التقشف والزهد والرهبنة والعبادات والصلوات . ومنها
فيندرج فيها : القواعد والادب والشعر والمراسلات والخطابة والعروض والمعجما
والسياحات . ومنها التاريخ — ومنها العلوم ، فينطوي تحتها : الطب والعقاقير والهـ
والحساب والقانون وعلم الحيوان والجغرافية والفلك والتنجيم والفراسة والكهانة والعر
والطلاسم والكيمياء والمعادن — ومنها الدين الاسلامي على اختلاف فنونه

ثم ان هنالك مخطوطات سريانية وارمنية ويونانية وقبطية ولاتينية وتركية وفارسـ

والخلاصة ان مثل هذه المجموعة لمما يعتَدُّ به ، وحسناً فعل القس المحترم في
تحليلية مسهبة لتلك المخطوطات . وعسى ان يبقى على جمعه فانّا لفي حاجة الى امثاله

الشرق والغرب

اسم الكتاب الماعُ الى فحواه . فان نفساً حية ، سرى فيها الاخلاص للانسانية ،
الشرق والغرب ، فتبينت البون الشاسع بينهما ، رمت بهذا التأليف الى حث قومها على
تراث الانسانية « العلم والارتقاء » . والمؤلف شاب لم تتسنَّ له الوسائل العلمية في جا
ولا في جامعات الشرق حتى ، فكانت عزيمته هذه ، وثقتهُ من نفسه ، فريدة في بابها

هذا هو رشيد سرحان شكور كاتب « الشرق والغرب » في نحو ٤٠٠ صفحة
واضحة البيان ، نزيهة النزعة ، انسانية المرمى ، عربية الاختصاص

يتلخص الكتاب في احدى وعشرين مقالة ، حافلة بالفوائد التاريخية والاجتما
والصين والعرب والترك واوربا واميركا ، اورد فيها خلاصات في زعماء الدنيا ، وفي
الاديان التي نشأت عن حياتهم وتعاليمهم . وهو يروم ان يلبس ابناء العربية مثال [illegible]

حيث [illegible] العلوم الاختبارية الطبيعية ، وصرف النظر عن النظريات الروحية مع احترام [illegible] ومع اني لا اوافقه في كل آرائه ارى من واجبي ان اشجعهُ ، لانهُ ثار على القيود، والشرق يحتاج الى مثل هذه الثورة . الاَّ ان المسعى الذي يتوخاه طويل شاق ، ودونهُ قدٌّ برد يمانية . وان الذين يروم انتشالهم من لجج الاوهام والخرافات ينظرون اليهِ نظرة عدوٍّ لدود ، دفاعاً عمّا ألفوهُ وذوداً عن سبيلٍ نشأوا عليها . فعلى امثاله بالصبر وانكار النفس ، لان النتائج المنتظرة من امثال هذا المسعى لاتتاح قبل عشرات القرون

احصر كلامي بهذا الالماع لان المؤلّف لا يحتمل اكثر من ذلك . كما اني احجم عن نقد الكتاب للسبب نفسه راجياً ان يكون من النوائم لتحرير الشرق ورفعة اقوامهِ حنا خباز

التربية بالقصص

وضع الاديب المهندس حامد القصبي حلقةً اخرى من حلقات « التربية بالقصص » لمطالعات المدرسة والمنزل . وهذه الحلقة تشتمل على قصص سهلة المأخذ قريبة التناول ذات مغاز ادبية عالية وكل صفحة من صفحات الكلام يحيط بها اطار من الرسوم ، وبعض هذه الرسوم ملوَّنٌ . فنشكر للمؤلف عنايته بالاشتراك في اعداد مكتبة عربية للاطفال نحن في اشد الحاجة اليها

زردشت باستاني وفلسفته

ظهر هذا التاريخ النفيس من تأليف المؤرخ الحاج ميرزا عبد المحمد خان ايراني صاحب جريدة جهرنما الفارسية بمصر وهو يبحث في الديانة القديمة الزردشتية التي كانت سائدة في ايران قبل الاسلام والتي تشغل من تاريخ ايران شطراً مجيداً والنبي زردشت كان في مقدمة المعلمين الدينيين ولا يزال يتبع تعاليمه طائفة كبيرة من اشياخ هذا الدين في الهند وفي ايران . وقد اورد المؤرخ كل ما يتصل بتاريخ زردشت منذ نشأتهِ وقيامهِ ودعوتهِ ونشره لمذهبه وما كان بينه وبين الملوك المعاصرين [illegible]تناول وفاته ومن خَلَفهُ وكيف انتقل الكثيرون من اشياخ هذا الدين من ايران الى الهند وما كان من أثر [illegible]ك في ايران وما عداها وكان اعتمادهُ في تصنيف كتابهِ [illegible] المصادر الموثوق بها من التواريخ الايرانية واليونانية [illegible]رومانية [illegible] والعربية وعلى ما جمعهُ كبار [illegible]

مطبوعات جديدة

شهر زاد
مسرحية تأليف توفيق الحكيم

لندن
تأليف احمد عطية الله

اركان التدريس
تأليف احمد ساع الخالدي

الصحة الريفية في سوريا
تأليف ستيورت دد (انكليزي)

التعريفة الجمركية في سوريا
تأليف نورمن برنز (انكليزي)

تاجر البندقية : للاطفال
تصنيف كامل كيلاني

باب الأخبار العلمية

تعاون هواة اللاسلكي العالميين

على حلّ احدى معضلاته

اتحفنا الاستاذ محمد سعيد لطفي رئيس قسم الاذاعة العربية ، في محطة الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية، بعدد من مجلة «ورلد راديو» وأشار فيه الى اذاعة علمية احبّ ان يكون للمقتطف نصيب في نشر مؤداها حتى يتاح لهواة اللاسلكي من قرائه في الشرق العربي التضافر مع اخوانهم في انحاء العالم على جمع الحقائق الخاصة بموضوع يعنى بهِ علماء اللاسلكية الآن . واليك ملخص المقال :

عني الاستاذ ابلتن، الطائر الصيت في الدوائر اللاسلكية العلميــة في السنوات الاخيرة بدرس ظاهرة الاصــداء اللاسلكية التي ترد الينا من الفضاء . واشتركت معهُ في ذلك طائفــة من العلماء . وانت تعلم ان الهوائي يذيع امواجاً لاسلكية تنتشر في جميع الجهات ، الاّ اذا كان موجّهاً توجيهاً خاصّاً . هذه الامواج الحاملة لرسائل معينة تنطلق من سطح الارض الى الفضاء ولكن قلما يتاح لها ان تفلت من جو الارض الى الفضاء الكائن بين الاجرام السماوية. ذلك ان في اعالي الجو ثلاث طبقات من الذرات المكهربة وقد سميت بثلاثة احرف من الابجدية الانجليزية هي D و E و F تردُّ الامواج من اعالي الجو الى سطح الارض ، فتجعـل التخـاطب اللاسلكى البعيد المدى مستطاعاً. فطبـقة D تعلو ٣٠ ميلاً عن سطح الارض ورد الامواج اللاسلكية الطويلة

اما طبقة E (وهي المعروفة بطبقة كنلي هيفيسيد) فترتفع نحو ٦٥ ميلاً عن سطح الارض وتردُّ الامواج اللاسلكية الطويلة والمتوسطة . و اما طبقة F (وهي المعروفة بطبقة ابلتن) فعلوها ١٥٠ ميلاً وترد معظم الامواج القصيرة . ولكن بعض

في مقتطف يونيو

الري ومشروعاته الكبرى في القطر المصري
لحسين بك سري وكيل وزارة الاشغال

البحث عن الثروة المعدنية في مصر
للدكتور حسن صادق بك
مراقب ادارة المناجم والمحاجر

من محاضرات المجمع المصري للثقافة العلمية

الامواج اللاسلكية يستطيع ان يخترق جميع هذه الطبقات وينطلق الى الفضاء وراءها

اما يظهر ان هذه الامواج التي يبدو لنا انها تنفذ الطبقات الثلاث الى الفضاء ، لا تنطلق فعلاً الى الفضاء الخارجي ، بل هناك فوق الطبقات المذكورة ما يردُّها الينا

ففي سنة ١٩٢٧ لاحظ احد هواة اللاسلكي الهولنديين ، في خلال التقاط اشارات لاسلكية مرسلة من أيندهافن ، انهُ يسمع احياناً الاشارة الواحدة ثلاث مرات فبعد ما سمع الاشارة الاصلية ، لبث سُبْع ثانية فسمعها ثانية كأنها واردة من جهة مقابلة ، وبعد ثلاث ثوانٍ سمعها ثالثة . اما الصدى الاول (اي الذي يسمع بعد انقضاء سبع ثانيــة على الاشارة الاولى) فيمكن تعليله بأنهُ تم بعد ما دارت الاشارة الاصلية حول الارض . وهذا يقتضي سُبْع ثانية من الزمان لان المسافة حول الارض تبلغ سبع سرعة الامواج اللاسلكية في الثانية (نسبة ٢٤٨٠٠ ميل محيط الارض : ١٨٦٠٠٠ سرعة الضوء والامواج اللاسلكية في الثانية) ولـكن من اين جاء الصدى الثالث ؟ فان مجيئه بعد ثلاث ثوانٍ يقتضي ان يكون قد قطع ٥٤٨٠٠٠ ميل قبل رجوعهِ الى الارض . فاذا كانت الامواج اللاسلـكية تسير بسرعة واحدة في انطلاقها من سطح الارض وارتدادها اليها ، فالطبقة التي ردّت الصدى الاخير ، يجب ان تكون على ٢٧٩ الفاً من الاميال فوق سطح الارض . وفي سنة ١٩٢٨ سمعت اصداء لاسلكية بعد انقضاء ١٥ ثانية على سماع الاشارة الاصلية ، وهذا يقتضي نظريًّا وجود ما ردَّها الى الارض على بعد ٢٣٢٥٠٠٠ ميل من سطحها

فماذا يمكن ان يكون على هذه المسافة فوق سطح الارض ؟ هل هناك طبقة من الذّرات المكهربة ، او تيار من الدقائق منطلق من الشمس او غيمة منبسطة من الغبار الكوني ؟ وهل هذه الطبقة ، كائنةً ما كانت ، تدور مع النظام الشمسي او لها حركة ذاتية خاصة بها ؟ ولماذا تتأثر هذه الاصداء المرتدة الينا من ابعادٍ سحيقة بالنور القطبي وكلف الشمس ؟ وفي كم موقع على سطح الارض يمكن التقاط الصدى اللاسلكي الواحد في وقت واحد ؟ النظريات كثيرة ولكن الحقائق التجريبية يسيرة وكلّ ذلك ما يزال لغزاً غامضاً

ولما كان العلماء يحتاجون الى جمع المشاهدات الخاصة بهذا الموضوع التي يشاهدها اكبر عدد من الهواة اللاسلكيين تقرر انشاء عصبة سماع اللاسلكي التجريبيين والغرض من هذه العصبة ارسال اشارات لاسلكية معينة في اوقات معينة ، ثم على كل عضو في العصبة ان يدوّن ميعاد سماع الاشارة الاصلية والاصداء التي تليها وفترات الوقت بين الاشارة واصدائها . وقد وافق الاستاذ ابلتن على انشاء هذه العصبة ووعد بالتعاون معها بل هو الذي اقترح جعل تجربتها الاولى خاصة « بالاصداء اللاسلكية المتأخرة » . وتعرف هذه العصبة بالحروف الافرنجية الاولى من اسمها . وهي W. R. R. L ومن شاء من القرّاء الانتظام فيها فعليه بالكتابة الى العنوان الآتي :

Ralph Stranger c/o Editior World-Radio B. B. C. Broad Casting House. Portland Place, London, England.

ويقول له انه يود الانتظام في هذه العصبة W. R. R. L. وما هي مؤهلاته العلمية ونوع اللاقط اللاسلكي الذي يستعمله

الهمّ والصحة

ذكر الدكتور كالب ولميز صليبي في كتابهِ : الهمّ داء العصر : ان فتاة خطبت ثم اضطربت أحوال خطيبها وتعسرت اموره فاضطر ان يؤخر زواجه . فقلقت لما اصابهُ . وأثر قلقها في صحتها فزالت البهجة من وجهها وتولاها الارق . ففي اول الامر صار نومها خفيفاً كما ظهر من كثرة احلامها ثم قلّ نومها وطال ارقها وانتابها الكابوس الدال على سوء الهضم ثم اصبحت لاتنام مطلقاً.وصلحت احوال خطيبها بعد ذلك فتزوجا وزال ما يدعو الى قلقها وأرقها ، ولكن الارق لم يزُل . اي ان همها السابق بقي تأثيرهُ فيهـا . وصارت سريعة الشعور بالتعب

***

وكان هضمها قبل ذلك غاية في الانتظام فلما قلقت اصابتها تخمة شديدة لغير سبب ظاهر ، مصحوبة بنوب من الالم الشديد حتى اذا كانت ماشية واعترتها احدى هذه النوب خادت رجلاها لا تحملانها . وقد مضى عليها بعد زواجها اربع سنوات وسوء الهضم لم يفارقها يوماً واحداً مع ان طعامها لم يتغير عما كان عليهِ قبلما اصابها القلق . وكل ظواهر سوء هضمها تدلُّ على انهُ عصبيٌّ لاطبيعي ايّ انهُ حادث من تأثر اعصابها المتسلطة على الهضم

وتحلّف جسمها ... بانهُ نتيجة سوء الهضم ، ولكن ... من نحافة جسمها ان ضعف شعرها وسقط اكثرهُ وهذا لا يعلل بسوء الهضم ومعلوم ان الهمّ والقلق يضعفان الشعر اي يقلّلان تغذيتهُ فيسقط او يشيب باكراً وفي ذلك قال المتنبي

والهمُّ يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبيِّ ويهرم

واذا كانت الشيخوخة سبب الصلع ابتدأ في مكان واحد . ثم يتسع نطاقه رويداً رويداً ويبقى شعر القذال غالباً . ولكن اذا حدث الشيب والصلع من الهمّ والقلق اصابا شعر الرأس كلهِ في الغالب اي انتشرا فيهِ انتشاراً.وقد سقط ثلثا شعر هذه المرأة وبقي ثلثه فلم يصبها الصلع في بقعة واحدةٍ من رأسها بل قلّ شعرها كله بوجهٍ عام

***

ويمتاز صلع الهم عن صلع الشيخوخة بأن الاول لا يلزم ان يستمرّ لانهُ حادث من سبب عارض وهو قلة التغذية الناتجة من ضعف الاعصاب المتسلطة على توزيع الغذاء في الجسم فاذا زال سببهُ اي اذا زال الهم واستردّت الاعصاب المغذية قوتها وانتظامها عاد الشعر الى نموه لان بصلاتهِ تكون باقية في الجلد حيّة ولا ينقصها للنموّ الا الغذاء الكافي ، فلو زال الهم وصلحت تغذية الجسم كلهِ تغذّت بصلات الشعر معهُ . وقد حدث ذلك ... قل شعرها ثانية ...

حول الهرم الرابع

في المنطقة المجاورة لهرم خوفو وابي الهول كشف الاستاذ سليم حسن ، عن الهرم الرابع الذي كان مطموراً بالرمال ، ومدينة الاحياء التابعة له ، ومدينة الاموات الخاصة باهرام الجيزة جميعاً . في هاتين المدينتين ، عثر الباحث المصري على آثار تملأ بعض الفجوات في التاريخ المصري القديم ، وآيات فذة ، ما زال علماء التاريخ المصري يقرأون عنها في الكتب القديمة ولا يرون لها في الآثار التي كشفت ما يؤيدها

مدينة الاحياء مبنية بالطوب الاخضر واما مدينة الاموات فمنحوتة في الصخر الاصم لان الحياة في اعتقاد قدماء المصريين زائلة ، وأما «ما بعد الموت» فهو الباقي . ففي مدينة الاحياء بقايا جدران يختلف ارتفاعها من قدم فوق سطح الارض الى متر ومما يسترعي النظر فيها ان الطوب كبير الحجم حتى لقد يبلغ طول الطوبة الواحدة احياناً خمسة واربعين سنتمتراً . وفي بعض المباني قواعد لاعمدة من الالبستر ، قطر القاعدة منها نحو متر . وقد استوقف نظرنا قيام اعمدة من الالبستر في مبان من الطوب فقال الاستاذ سليم حسن هـذا ما جرى عليه المصريون ، وتعليل ذلك ان الالبستر بلورات من سلفات الكلسيوم ، والتبلور يقتضي وجود الماء فاذا عرضت البلورات لما يزيل بعض مائها تفتتت وهذا من عجائب ما كشفه المصريون من العلاقات العلمية في ذلك العهد السحيق . ولا تزال ... آثار الاجران المستديرة التي كانت تستعمل لخزن الحبوب والحنطة

وزرنا في مدينة الأموات مدفناً لمدير سراي الملك فيه حجرة مستطيلة رسمت على احد جدرانها رسوم بديعة لصاحب المدفن وهو يسلم وصيته لابنه . والجديد في هـذه الوصية انها موقعة من خمسة عشر رجلا ، كل رجل منهم يمثل حرفة او صناعة . ويلي ذلك لوحة نقشت عليها رسوم بارزة تمثل الصناعات في ذلك العهد مع تفسير للصناعة التي تمثلها بالكتابة الهيروغليفية . ففي احد الرسوم قزمان يصنعان عقداً وترى مراتب صنع العقد وعند اتمامه يقول احدهما للآخر ما معناه : «لا بدّ ان تسر السيدة التي صنع لها هذا العقد» . اما الرسوم الاخرى فتمثل صهر المعادن واستقطار الجعة وعمل الخبز وطرق المعادن وحفر التماثيل وصنع التوابيت والصناديق وما شابه

وقد رأينا كذلك حوضاً لا يقل طوله عن ثلاثة أمتار وعرضه عن مترين ونصف متر وعمقه عن متر ونصف متر ينزل اليه بسلم وقد كان يستعمل لاستحمام الملكة . وتطل عليه سلسلة من المقابر اقربها اليها خاصة بالكاهن الذي كان يشرف على استحمام الملكة . وفي ناحية اخرى وجدوا حديثاً البئر التي كانوا يستمدون منها الماء في ذلك العهد

ومن ابدع ما شاهدناه قبر رجل يدعى عنخ تف تدخل اليه بباب واطىء ثم تنحرف الى اليسار فتدخل حجرة ضيقة ، ثم تنحني وتضع عينك على ثقب في الجدار الايمن قد لا يزيد ارتفاعه على متر وربع متر ، فيقع بصرك على

تمثالين ناصعي البياض من الحجر الجيري السلطاني يصدق فيهما قول شوقي حيث قال :

ونقوش كأنما نفض الصا
نع منها اليدين بالامس نفضا

احدهما يمثل صاحب المقبرة بحجم يقارب ثلث الحجم الطبيعي والآخر وهو اصغر من الاول تمثال فتاة عارية راكعة على ركبتيها ومنحنية الى الامام وهي تعجن وهذان التمثالان لم تمسهما يد ولا وقعت عليهما عين انسان بعد ما اقفلت تلك المقبرة الى ان عثر عليها الاستاذ سليم حسن في هذه السنة

وقد عثر غربي الهرم الرابع على قارب كبير طوله نحو ٣٠ متراً محفوراً في الصخر الاصم والمسافة بين قعره وسطح الصخر الذي حفر فيه نحو عشرة امتار او تزيد وهو فذّ في تاريخ الآثار المصرية . ذلك ان مراكب من هذا القبيل كشفت من قبل، منها المركب الذي كشفهُ (ألان رو) من نحو عشر سنوات شرق الهرم الكبير . ولكن لم يكشف من قبل مركب منها غرب هرم من الاهرام . ووجه الخطر في هذا الفرق ان المراكب كانت في عقيدة المصريين القدماء تمعدّ لنقل النفس مع الآلهة رع من الشرق الى الغرب ، ثم تحت الارض من الغرب الى الشرق فالمراكب التي كشفت شرق الاهرام كانت سطحية ومعدة لنقل النفس في النهار من الشرق الى الغرب . واما التي تنقل النفس في الليل وتحت الارض من الغرب الى الشرق فلم يكتشف منها مركب قبل هذا المركب الكبير. وليس هذا كل ما رأيناه . ولكنهُ أهم ما بقي في الذاكرة

الكهارب في الصناعة

من الصفات التي يتصف بها كبار
الملاحظة ، ولولا هذه القوة ، في
المستنبطين لظلّ الالكترون موضو
النظري ، ولما اصبح ، كما اصبح الا
من اركان الصناعة والثروة

منذ نحو خمسين سنة اكتشف
عظيم ، اكتشافاً لا شأن له — وخاص
اذا أخذ بظواهر الامور . كان ذل
توماس اديصن ، الذي رغم حصول
بصنع المصباح الكهربائي ، ظلّ مح
يحاول البلوغ بهِ الى مرتبة الكمال .
اليهِ من هذه الناحية ، انما كان اطالة
باطالة عمر السلك الدقيق الذي يتأل
اثناء البحث لاحظ اديصن امراً غر
السلك يضعف وينقصم في نقطة مع

ولو ان مستنبطاً آخر لم يؤت
ونفوذ بصيرته ، شاهد هذه الظاهر
الكرام ، ولكن ارتقاء العلم
العصور الحديثة يقوم في الغالب على
هذه التفصيلات ، وقد كانت مشاه
الحلقة الاولى في سلسلة محكمة الح
الى استخدام الالكترون — احدا
في الصناعة

درس اديصن هذه الظاهرة ا
السلك في مصباحه الكهربائي و
دقيقاً في الدفاتر التي كان يدوّن ف
وملاحظاته في تلك الآونة ثم

لانهُ كان معنيًّا حينئذٍ بحل مسائل اخرى تتطلب سرعة الحل لشدة الحاجة اليها

هذه الظاهرة التي اكتشفها اديصن ووصفها تعرف الآن لدى علماء الطبيعة باسم «فعل اديصن» Edison's Effect وهي التي افضت بالباحثين الى استنباط الانبوب المفرغ واتقانه ، والانبوب المفرغ كما لا يخفى اساس التليفون اللاسلكي والتلفزة والصور المتحركة الناطقة وغيرها من غرائب المستنبطات الحديثة

وقد اشترك العالم النظري ، والمستنبط في اتقان الانبوب المفرغ . الا ان بحث العالم تقدم تطبيق المستنبط . والعالم في خلال بحثه ، لم يكن مهتمًّا بما يستخدم له الانبوب المفرغ قدر اهتمامه بمعرفة ما الانبوب المفرغ وما تعليل ما يقع فيه لان العلماء يبحثون عن العلل . وكان الالكترون (الكهرب) قد اكتشف فساعد العلماء الباحثين في الكشف عن حقيقة الانبوب المفرغ وما يتصل بهِ من الظاهرات

وقلما يستطيع الانسان ان يتصور ان هذا الكهرب الدقيق ، الذي بدأ يتسرب الى معجمات اللغة من عهد قريب فقط (كان اكتشافهُ في اواخر القرن الماضي) ويبلغ في صغر حجمه دون ما تكشف عنهُ عيون الجاهر ولو قوّي إبصارها الف الف ضعف ، قد اصبح في العقد من السنين الذي تلا الحرب الكبرى ، مداراً لصناعات واسعة النطاق ، تقدَّر الاموال المثمرة فيها بعشرات الملايين من الجنيهات

ولكن دعنا نرجع الى منشأ كل هذا — في اوائل هذا القرن ، عني عالم انكليزي شاب يدعى رتشردسن (O. W. Richardson) وهو احد الاساتذة الذين تلقى عليهم الدكتور مشرفة العلم فيما نذكر وقد قدم رسالة مشرفة التي عنوانها « ثنائية المادة » الى الجمعية الملكية البريطانية) بدرس القواعد الرياضية التي يقوم عليها فعل اديصن فمنح لبحثه هذا جائزة نوبل الطبيعية سنة ١٩٢٨

فلما أتم رتشردسن بحثه صار في امكان العلماء ان يفهموا لماذا يحترق السلك في مصباح اديصن ، وينقصم في نقطة معينة ثم انهُ اثبت ايضاً ان ثمة علاقة محدودة بين حرارة السلك وعدد الكهارب الذي يتطاير منهُ ، كما تجد علاقة معينة بين حرارة الوقيد تحت ابريق من الماء ومقدار البخار المائي الذي يطير منهُ . فلما قرأ رسالته التي تنطوي على هذه المباحث في الجمعية الملكية البريطانية كان بين الحضور مهندس يدعى الآن السر جون امبروز فلمنغ فجعل هذا المهندس يدون على ظرف في يديه ما يستفيده من رسالة رتشردسن هذه

على هذا الظرف ارتسمت الفكرة الأولى التي بني عليها الانبوب المفرغ . كان انبوباً ناقصاً من جميع الوجوه اذا قيس بأنابيب اليوم المتقنة التي نجدها في أجهزة الالتقاط اللاسلكي ولكنهُ كان مع ذلك خطوة حاسمة خطيرة ، في ترقية المخاطبات اللاسلكية . فبهذا الانبوب أصبح الباحثون قادرين على التقاط الأشعة اللاسلكية من مسافات كانت ممتنعة عليهم من قبل . ودعا فلمنغ أنبوبه هذا الصمام الترميوني وهو الصمام الذي قلب التلغراف اللاسلكي

رأساً على عقب وجعل التليفون اللاسلكي مستطاعاً ولكنهُ لم يبلغ ما بلغهُ من شدة الاحساس ودقته وتعدد نواحي استعماله، الا بعد ما تناوله الدكتور لي ده فرست الاميركي وأدخل عليهِ تعديلات جمة جعلتهُ صالحاً للاغراض التي يستعمل لها الآن وهو الآن حجر الزاوية في صناعة الادوات اللاسلكية على اختلافها — وما اوسع نطاقها !

العمل وقياس الضوء

ليس قياس قوة الضوء بالامر الجديد. فقد تعلمنا في كتب الطبيعة ان الآلة المستعملة لذلك تدعى «فوتوميتر» اي «مقياس الضوء» وبها يقاس الضوء بالنسبة الى ضوء الشمعة الواحدة. ولكن مقياس الضوء هذا أداة علمية، لا تصلح للتناول العملي اليومي. لذلك استنبطت في اميركا آلة عملية جديدة، مبنية في مبدئها على «الفوتوميتر» ولكن خارجها مدرّج، كمقياس الحرارة «الترمومتر» فتستطيع ان تعلم قوة الضوء بها كما تعلم درجة الحرارة بعد وضع مقياس الحرارة في فم المريض. وعلاوة على ذلك كتب على خارج هذه الآلة، الاعمال المختلفة التي يصلح لها الضوء من قوة معينة. فثمة علامة لقوة الضوء الذي يصلح لانارة سلالم البيت، وعلامة لقوة الضوء التي تصلح للقراءة او للخياطة على اختلاف درجاتهما من الدقة. فلمحة واحدة الى خارج الآلة تنبئك هل المصباح الذي تقرأ على ضوئهِ هذه الكلمات كافٍ لقراءتها او لا. فالعمل العادي الذي لا يقتضي دقة استعمال النظر، كترتيب الكتب على رف، او العزف على [illegible]

عشر شمعات على القدم [illegible] [illegible] في كتاب دقيق الحروف فيحتاج الى [illegible] قوته تبلغ ثلاثين شمعة على القدم [illegible]. أما ترتيب هذه الآلة فبسيط. ذلك ان قطعتها [illegible] عبارة عن قرص من النحاس مغشى بغشاء من اكسيد النحاس. واكسيد النحاس هذا شديد الاحساس بالضوء. فاذا وقع عليه الضوء ولّد فيه تياراً كهربائيًّا ضعيفاً. وهذا التيار الذي يتولد في الغشاء المذكور بفعل الضوء يسري في الآلة فيحرك ابرة معينة. فاذا زاد الضوء زادت قوة التيار. واذا ضعف الضوء ضعفت قوة التيار، وكذلك تتحرك الابرة لتدل على الاعمال التي يصلح لها الضوء المولّد للتيار الجاري فيها

الكهرباء والزرع

في بلدة جليزدورف على مقربة من مدينة غراتز بالنمسا، يقيم رجل يدعى رتشارد هيس يملك مزرعة لتجربة التجارب العلمية فيها وقد عني في السنتين الاخيرتين بامتحان اثر الكهربائية في تفريخ البذور وانتاشها ونمو النباتات بعد ذلك. فأخذ في مايو سنة ١٩٣٣ قدرين متساويين من بذور معينة وزرع القدر الاول في اول مايو ثم زرع القدر الثاني في اواسط يونيو، ولكن بعد ان عرض البذور للكهرباء. ومع ان الفرق بين ميعادي الزرع يبلغ نحو ستة اسابيع، كانت النباتات التي انتشت من البذور جميعاً في [illegible] واحدة من النمو. وكذلك اخذ قدرين من بذور البنجر، وزرعهما في وقت واحد، ولكنه [illegible] احد القدرين بالكهرباء [illegible]

(٦) وفي الركن الشمالي الشرقي للسور الخارجي لمعبد مدينة هابو بالاقصر فوق البحيرة المقدسة وعلى بعد ٤٥ ياردة والى الشمال الغربي منها يوجد مقياس النيل ويتوصل اليه بباب منقوش عليه اسم الملك نقتانب الاول وهذا الباب يوصل الى حجرة ثم الى دهليز ينتهي بسلم مدرج يصل الى عمق ٦٥ قدماً حيث توجد مقاييس الفيضان النيلي

(٧) مقياس الكرنك : — على جدار مرسى السفن القديم لمعبد الكرنك نقوش تدل على مناسيب النيل في عهد عدة فراعنة . وقد نشر هذه النقوش وترجمها الاستاذ ليجران في مجلة السيتشرفت الالمانية عدد ٣٤ . وهذا المرسى مشاد باحجار ضخمة وعليه ٤٥ نصاً خاصة بمناسيب النيل ابتداء من السنة السادسة للملك شيشاق الاول الى السنة التاسعة عشرة من عهد الملك بسامتيك الاول. اما النصوص فبسيطة ولا يجد الباحث صعوبة في ترجمتها وهي عبارة عن تكرار العبارة الآتية:—

« النيل في العام ... من حكم جلالة ملك الوجهين القبلي والبحري ... » وبجانب هذه النصوص توجد نصوص اخرى تاريخية واخرى لها علاقة بالري . خذ مثلاً النص الخامس الخاص بالعام الثالث لحكم الملك اوسر كون الثاني فانه يخبرنا عن فيضان عالٍ جداً. وقد عثر الاستاذ دارسي في معبد الاقصر على نصوص هيروغليفية يرجع تاريخها الى ذلك الزمن شرحها امام المعهد العلمي المصري قائلا ان الثانية الاسطر الاولى تصف حالة طيبة في هذا الفيضان غير الاعتيادي من حيث وفرته حتى منع القيام بالاحتفالات الكبيرة المعتادة للمعبود امون حامي المدينة. يلي ذلك دعاء من الملك الى المعبود امون ليوقف هذا الفيضان عند حده.

قال الاستاذ بتري في تاريخه عن مصر الجزء الثالث ص ٢٥١ ان هذا الفيضان حصل حوالي ٠ اغسطس سنة ٨٧٦ ق.م . وهو ميعاد مبكر جداً لان اعلى الفيضان يبلغ اقصاه في طيبة حوالي ٠ اغسطس في الازمنة الحاضرة

وقبل الفراغ من هذا البحث يجدر بنا ان نذكر شيئاً عن مقياس الروضة ومقابلته بالمقاييس الفرعونية . فالمقاييس في العهد القديم كانت آباراً متصلة بالنيل ومنقوش على جدرانها المقاسات المصرية القديمة. ويظهر ان المقاييس تطورت بعد ذلك فجعلت التقسيمات على عمود خاص وسط البئر وقد سبق ان ذكرنا ان لعظم الفيضان النيلي أثراً في نفس المصري القديم حتى اعتبره من عمل المعبود فلما دخل العرب مصر تأثروا ايضاً بهذا الحادث السنوي العظيم وتذكروا قوة المولى جل وعلا فنقشوا الآيات القرآنية الشريفة عليه . وهذا المقياس شيد في ايام سليمان بن عبد الملك الخليفة الاموي على يد أسامة بن زيد التنوخي عام (٩٦ — ٩٧ هجرية) (ويقابله ٧١٤ — ٧١٦ ميلادية) وهو مكون من بئر رباعية الشكل تصل اليها مياه النيل من ثلاثة دروب وفي وسطه عمود مثمن الاضلاع نقشت عليه تقاسيم الاذرع التي تعرف بها ارتفاعات المياه . وكانت اهمية هذا المقياس اعظم كثيراً مما هي الآن فقد كان لها دار وفي جانب الدار فسقية عظيمة ذكرها ابن دقماق. وكان المقياس فيه الآيات القرآنية التي نقشت عليه فهي :—

هل افرست اعلى القمم

تعلمنا في كتب الجغرافية انَّ قمة افرست في سلسلة جبال حمالايا هي اعلى قنن الجبال فوق سطح الارض . ولكن ماذا نعني (بأعلى جبل) وما هو «مقياس العلو» . مقياس العلو هو ارتفاع قنة الجبل عن مستوى سطح البحر . وعلى ذلك يكون أفرست اعلى الجبال على ما جاء في كتب الجغرافية . ولكن اذا حسبنا مقياس العلو بُعد القنة عن مركز كرة الارض ، كان جبل شمبوزازو وهو احد قنن سلسلة جبال الاندس في جنوب اميركا أعلى الجبال ، بل لفاق هذا الجبل ، قنة أفرست بنحو ألفي متر وعند التدقيق (بسبعة آلاف ومائتي وسبعة عشر قدماً وثمانية أعشار القدم ٧٢١٧٫٨ قدم)

لذة التدخين : تفسير جديد

نشر عالمان من علماء جامعة يابل الاميركية — وهما الدكتور هورد هنجرد والدكتور ليون جرينبرج — ان لذة التدخين ناشئة ، من ان التدخين وخاصة عند ما تكون متعباً ، يزيد مقدار السكر في الدم . ذلك ان نيكوتين التبغ يفعل في الغدد الكلوية (الادرينالية) فيحفزها على زيادة ما تفرزه من الادرينالين . فينجم من ذلك ان السكر المخزون في الكبد والعضلات في شكل غليكوجين ، يتحول الى سكر عادي وكذلك يكثر مقدار السكر في الدم . وزيادة مقدار السكر في الدم تزيل عوارض الاعياء و «توتُّر الاعصاب» لان هذين المرضين ينشئان عن قلة السكر في الدم فإذا أكلت أو دخنت زاد مقدار هذا السكر فيزول هذان المرضان . وهـذا يعلل ان المدخن يعمد الى التدخين اذ يحس بالجوع او التعب فالنيكوتين يزيل الشعور بالتعب او بالجوع ، ازالة مؤقتة لانهُ يزيد مقدار السكر في الدم

نور الحباحب

يقول الاستاذ نيوتن هارفي ، من جامعة برنستن الاميركية ، ان النور الذي يظهر من الحباحب ، ونحوها من الحشرات ، المضيئة ، حادث من اكسدة مادة فيها تدعى لوسفرين Lucifrin اذا وجد معها مادة خميرية تدعى لوسفراس

والفرق بين هذا النور والنور المتولد من احتراق الزيت والشمع وما أشبه هو ان المادة الناتجة من أكسدة اللوسفرين ، يفارقها اوكسجينها حالاً فتعود لوسفريناً بسيطاً اي ان دقائق اللوسفرين تتحد بالاكسجين فتنير. ثم يفارقها الاكسجين فتعود الى حالتها الاولى، مستعدة للاتحاد بالاكسجين من جديد ، وهذا على الضد من دقائق الكربون . فانها اذا اتحدت بالاكسجين صارت ثاني اكسيد الكربون وطارت في الهواء . واذاً فأسلوب الانارة في الحباحب اقل الاساليب نفقة ، لان اللوسفرين ينير أولاً ثم بعد ما يفارقه الاكسجين ينير ثانية وهكذا

نور الحباحب الكهربائي

لعوض جندي

الحباحب — ذباب يطير بالليل له شعاع كالسراج . ومنهُ نور الحباحب او هي ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة — الفيروزابادي

قلت في كتابي «مشاهد اليابان» : «وطالما حار العلماء في تعليل نور الحباحب فأصبحوا يرجحون تولده من مواد كيماوية غريبة كامنة في النسيج الشحمي ، تضيء اذا اتحدت بعنصر الاوكسجين الذي يصل اليها من انابيب التنفس التي في جانبي الحشرة . وقد حملهم هذا الظن على محاولة توليد نور صناعي فصفوري مثله فخابت آمالهم . وذهبت مساعيهم هباء منثوراً . ولا غرو فماهية ذلك الضوء لا تزال سرًّا محجوباً عن مداركهم . وحسب تلك الحشرات شهرة ان رجالات العلوم ، على كل ما أوتوه من سعة المعارف الكيماوية كما تقدم القول لم يسعهم تقليد ذلك « النور البارد » اي الضوء الذي يشعّ من أجسامها من دون حرارة . فيالها من آيات بينات تدل على خطير صنع الاله القدير »

ويسرنا الآن ان نزف الى قرّاء المقتطف بشرى جاءتنا بها حديثاً مجلة العلم العام الاميركية اذ قالت : —

ليتصور القارىء النور البارد الخفي الذي يشع من أجسام الحباحب مضاعفاً الوف المرات ، مودعاً في أنبوب زجاجي ! ! وهو الاختراع فمهّد به السبيل لايجاد نوع جديد من النور الكهربائي المنزلي . حقًّا ان هذا المصباح الحديث لم يتم استعماله الاّ في المختبرات العلمية ولكن قد صنعت منه نماذج لانارة المساكن . وستجرب في القريب العاجل ، وهي تشبه في شكلها المصابيح الكهربائية الحالية (واوى ان افضل تسمية لها «المصابيح الدرية» Incadescent) وبكونها يمكن انارتها بوصلها باي تجويف كهربائي منزلي بلا تغيير في الاسلاك المركبة في الحيطان . وتختلف عنها بان نورها لا يتولد من سلك كهربائي دقيق يحمى حتى يبيضّ من الحرارة فيضيء ضوءا دريًّا ، بل من غشاء معدني متألق يغشّى به باطن الانبوب المحتوي على المصباح فلا يسخنهُ عند الاضاءة . وذلك الغشاء يضيء بانطلاق مجرى من الاشعة السلبية اي الالكترونات عليه . وهذه تنبعث من كرة في وسط زجاجة المصباح . ومتى ركبت الزجاجة على تيار كهربائي منزلي خفيف ، قام سلك معدني دقيق في باطن الكرة بتسخينها لكي يساعد على توليد تلك الاشعة غير المنظورة ومتى استعملت لاجل تيار عالٍ كما هي الحال في انارة المصانع والاعلومات التجارية — البفط — تيسر الاستغناء عن ذلك السلك الدقيق . ويتسنى الحصول منها على اي لون من الانوار ومنها الابيض وذلك طبقاً للغشاء المعدني الذي يستعمل

الحباحب [illegible] من اجله وطمحوا الى محاكاته [illegible] ذكرنا آنفاً . وقد اجمع الخبراء على ان اجود المصابيح الكهربائية الحالية مضيعة للمال وليست طبق المرام ، لانها تحول جل التيار الكهربائي الذي تستنفده الى حرارة الى ضرر محقق لا فائدة منها للمستهلك وربما تتحول

وقد اخترع الباحثون اخيراً مصابيح مختلفة الاشكال بأن استعملوا فيها اعمدة من الغاز المنير لكي يزيدوا قوتها . ولكن استعمال الفلزات المتألقة التي تتأثر بالقذائف الكهربائية فتضيء بغير حرارة ، حل جديد من كل الوجوه لتلك المعضلة العلمية

ويرى مستر جلبرت شميدلنج مخترع هذه المصابيح الحديثة ان قوامها مزيج جديد متألق شديد البهاء . والمواد المتألقة نفسها ليست شيئاً جديداً لان المعروف من مركباتها يبلغ ١١٠٠٠ نوع وكلها لها خاصة التألق الغريبة عند انطلاق الاشعة الكهربائية الخفية المختلفة الانواع عليها . ومنها دهان الراديوم الذي تدهن به موانئ الساعات . ومنها اهداف اشعة رنتجن التي يستعملها الجراحون ، واهداف انابيب الاشعة السلبية التي تستعمل في لوحات التلفزة. وقد كان مستر شميدلنج يفحص الوفاً من هاتيك المواد ابتغاء الوقوف على مبلغ صلاحها للوحات لتلفزة ، فعثر عرضاً على مزيج منها ولَّد نوراً يكفي تألقه أو لمعانه للشغل والقراءة . وثبت له بالتجارب امكان استعماله في مصباح كهربائي بنير كالمصباح [illegible] ولا يستنفد اكثر من سدس [illegible]

تكريم العقاد وزكي مبارك

اقام ادباء مصر وكرامها في آخر ابريل حفلتين فخمتين لتكريم الاستاذ عباس محمود العقاد والدكتور زكي مبارك . وأقيم الاحتفال بالأستاذ العقاد في مساء الجمعة ٢٧ ابريل في مسرح حديقة الازبكية . وشهده حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا وجمهور كبير من رجال الوفد المصري وكرائم السيدات والكتّاب والصحافيين والشبان . وكان الجوُّ ينبض وطنيةً صادقة . وكان من خطباء الحفلة الشيخ عباس الجمل والاستاذ محمد توفيق دياب صاحب جريدة الجهاد (العقّاد الصحافي) والدكتور طه حسين (العقّاد الشاعر) والاستاذ ابراهيم عبد الهادي المحامي

اما حفلة الدكتور زكي مبارك فاقيمت في مسرح الحمراء في مساء الاحد ٢٩ ابريل برآسة الشاعر الكبير خليل مطران وكان من خطبائها وشعرائها الدكتور ابرهيم ناجي والدكتور ابو شادي والاستاذ محمد خالد والاستاذ محمود رمزي نظيم والاستاذ عبد الباقي ابرهيم عوض . وغنّى فيها الاستاذ محمد عبدالوهّاب

فكانت الحفلتان دليلاً على نزعة كريمة في المجتمع المصري لتقدير الادب والعلم

تصحيح خطإ

في اول السطر الثالث عشر من الصفحة ٥٥٠ — مقالة عجائب الحل الطيفي — قلنا «من نحو مائة سنة أمرَّ العلامة نيوتن . . . » الخ وصوابها « من نحو مائتي سنة امرَّ العلامة نيوتن . . . » الخ

الجزء الخامس من المجلد الرابع والثمانين

صفحة

مكتبة المطبوعات العصرية

... المكتبة العصرية» بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

صـ

... عربي (طبعة ثانية)
« « « (طبعة ثالثة)
« عربي انكليزي (طبعة ثانية)
... المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
... الجيب عربي انكليزي وبالعكس
« عربي انكليزي فقط
« انكليزي عربي فقط
... سيبو عربي انكليزي (باللفظ)
« انكليزي عربي (باللفظ)
« « « « وبالعكس
... عربيه لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
... ية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)
... الماني (لتعليم الالمانية بسهولة)
... مراع (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
... في السودان « « « «
... الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد
... تراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة
(الاستاذ محمد عادل زعيتر)
... ياسة « « «
... المعتقدات « « «
... قوق الدستورية « « «
... المصرية (لغوستاف لوبون)
... الحديثة (تأليف كبار رجال مصر
... شتراكية (رمسي مكدونلد)
... ل في مذهب النشوء والارتقاء
... (الاستاذ سلامه موسى)
« « «
... لوروأصل الانسان « «
... انس في مبادئه، للامير شكيب ارسلان
... بركا (للاستاذ امير بقطر)
... يثة وكيف نسوسها (عبدالله حسين)
... ستر بونار (اناتول فرانس)
... الماضي والحاضر
... أة في شريعتي موسى وحمورابي
... يم (للاستاذ ابرهيم عبدالقادر المازني)
... (« « « « «)
... ابع شعر منثور مصور
... ام جديدة (سليم عبدالواحد)
... لادب المصري (خائيل نعيمة)
... طفال، اول (مصور بالالوان)
... ثان « «
... ثالث « «
... طبعة منقحة لاسعد خليل داغر
... (للاستاذ حنا خباز)

١٠ التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري)
٥ خواطر حمار (الاستاذ الجمل)
٥ التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد الحميد
١٥ الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥ ذكراً وانثى خلقهم « « «
٥٠ علم الاجتماع (جزآن كبيران « «
١٥ اسرار الحياة الزوجية « «
٣٠ الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور فخري
٢٠ المرأة وفلسفة التناسليات « «
٢٠ الضعف التناسلي في الذكور والاناث «
١٥ الربقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي محمد)
١٠ تاييس « « « «
٥ مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠ القصص المصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠ مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢ رواية اهوال الاستبداد، مصورة
١٠ « فتنة المهدي، او استعادة السودان
٨ « الانتقام المذب (اسعد خليل داغر)
٥ « فقر وعفاف (للاستاذ احمد وأفت)
١٢ « باريزيت، مصورة (توفيق عبد الله)
١٢ « غرام الراهب او الساحرة المجدورة
٧٥ « روكامبول، ١٧ جزء (طانيوس عبده)
٢٥ « ام روكامبول، ٥ اجزاء «
٢٠ « بارديليان، ٣ اجزاء «
٢٠ « الملكة ازابو، ٤ اجزاء «
٢٠ « الاميرة فوستا، جزآن «
٢٠ « عشاق فنيسيا، جزآن «
١٦ « الساحر العظيم ٤ اجزاء «
١٦ « كابيتان، جزآن «
١٦ « الوصية الحمراء، جزآن «
١٦ « بائعة الخبز «
١٢ « فلمبرج، جزآن «
١٠ « فارس الملك «
١٠ « ضحايا الانتقام «
٨ « المرأة المفترسة «
٥ « المتنكرة الحسناء «
٥ « مروضة الاسود «
٥ « شهداء الاخلاص «
١٦ « دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠ « فرنسوا الاول « «
١٠ « الجنون فنون « «
٨ « حورية « «
٨ « الغلامان الطريدان « «
١٢ بسو عران الانسان (جبران خليل جبران)

هي
من

ة ،
ية ،
ة ،
ـذا
ه ،

من
ان
اية
من
كانة
ة ،

مدينة المستقبل في الحضارة الصناعية

، المقابل لمدخل المقياس : بسم الله الرحمن الرحيم : وانزلنا من السماء ماء مباركاً
الحصيد
: وترى الأرض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج
: ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير
لي : وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد
ريفة موجودة الآن في المواضع التي ذكرت في رواية ابن خلكان

***

ية التي يحتفل بها الآن هي في الحقيقة تكرار لاعياد فرعونية قديمة فمن هذه
يونيه) — المعروف بليلة النقطة — لاعتقاد العامة انهُ في هذه الليلة تنزل
ل فتسبب فيضانهُ . والحقيقة ان هذه التسمية ناشئة من اعتقاد قدماء المصريين
س تنزل في النيل في تلك الليلة فتحدث فيضانه . وادّعى علماء الفلك الاقدمون
ديد الساعة التي تنزل فيها هذه النقطة . واعتاد قدماء القبط ان يضعوا هذه
، مؤدّين انواع الخزعبلات — كأن يضع كل فردٍ من عائلة قطعة من العجين
ختمرت عجيلته سعُد صاحبها . وفي ٢١ يونيه يرتفع منسوب النهر قليلاً وفي ٤
ينادي منادي النيل بان الفيضان بلغ الحدّ المطلوب . ولا بد ان القارىء سمع
من عدة اشخاص لانها دارجة ومنتشرة في القطر . يلي ذلك عيد جبر
ر ويقع هذا في منتصف شهر مسرى (منتصف اغسطس) . ويحتفل رسميًّا بهذا
ذلك جهة فم الخليج . وفي هذا اليوم يصل منسوب النيل حدّ ١٦ ذراعاً
يقوم بهِ اجدادنا الاقدمون اذ يحين الانقلاب الصيفي ويأتي الماء لمقدس من
لة . فان القسوس المقيمين في هذا الجبل او الملك الحاكم أو ابنه كانوا يتقرّبون
ويلقون في الماء قرطاساً من البردي مختوماً يشتمل على امرٍ فيهِ اطلاق الحرية
لمصر الخير بفيضان معتدل . فاذا كان المتقرّب بالقربان هو نفس الملك فشهرة
زة بهذا الاحتفال وكانوا يعتنون بهذا العيد سواء حضرهُ الملك او لم يحضره
رواية القديمة القائلة « ان سعادة السنة وشقاءها متوقفان على ذلك المهرجان .
ل او توانى رفض النيل الامر الصادر اليه واغرق الاهالي والجهات »
كان الفلاحون يأتون بالزاد ويأكلون معاً اياماً متوالية ويشربون حتى يثملوا
حتى يأتي اليوم الكبير فتخرج حينئذ القسوس من المحراب ومعهم التماثل

المقتطف
مجلة علمية صناعية زراعية
الجزء السادس من المجلد الرابع والثمانين

١ يونيو سنة ١٩٣٤ ١٧ صفر سنة ١٣٥٣

أيام الخليقة

في بدء الكون كان فضاء كروي اصغر نطاقاً من فضاء اليوم . وكانت المادة في هذا الفضاء منتشرة انتشاراً متسقاً ، بمعدل بروتون واحد ، والكترون واحد ، في كل لترمنهُ . وقد يبدو لك أيها القارىء ان تسأل ، لماذا وصفنا الفضاء بالكروي . ونعتناه بالصغر اذا قيس بفضاء اليوم . ولماذا وزعنا المادة فيه توزيعاً متساوياً . والرد على جميع هذه الاسئلة عند علماء العصر . اما أن الكون كروي ، فلأن الحقائق المشاهدة والمعادلات الرياضية اثبتت لهم ان هندسة الكون تعلل افضل تعليل اذا هم افترضوا ان الكون محدودب في شكل كرة . ولكن لماذا قلنا انهُ كان اصغر مما هو الآن ؟ لأن الدلائل تدل على ان الكون في مرحلة من مراحله بدأ يتسع وما يزال آخذاً في الاتساع . ولماذا حكمنا بأن المادة فيه كانت موزعة توزيعاً متساوياً ؟ ليس لهذا سند علمي . بل هو في الغالب يستند الى سند من الفلسفة وحس الجمال . فالعقل الانساني يفضل ان يتصور الاشياء على ابسط ما يمكن ان تكون . فاذا افترض ان المادة في ناحية من الفضاء البدائي ، كانت اكثف منها في ناحية اخرى ، اضطر العقل ان يرجع بهذه الحالة الى حالة ابسط منها سبقتها ، لما كانت المادة موزعة توزيعاً متساوياً في انحاء الكون . ولذلك نفترض التوزيع المتساوي للمادة ، قبل ان اختلف التوزيع ، واصبحت المادة في نواحٍ اكثف منها في نواحٍ اخرى . ثم ان الاستاذ ادنفتن قد قال ان لا فرق اساسي بين العدم والاتساق الكوني العام في جميع الصفات . فالخليقة الكونية اذن بدأت يوم سرى التنوع الى هذا الاتساق او الى هذا العدم

فماذا حدث ؟

لا يعلم احد ما حدث او كيف حدث او لماذا حدث ؟ ولكن ذلك التشابه الكوني الشامل ،

دبَّ اليهِ دبيب التنوُّع . كان في كل لتر من الفضاء بروتون واحد والكترون واحد . فاذا بعض النواحي قد احتشدت فيها البروتونات والالكترونات ، واذا النواحي الاخرى قد اصبحت فراغاً . ولو ان فعل التجاذب أُطلق في تلك الساعة العصيبة ، لتهاوت مادة الكون بعضها على بعض ، ولتقلص الكون بتجمع مادتهِ واحتشادها ولما نشأت الاحوال المواتية لنشوء الشموس والسيارات وظهور الحياة على بعضها . ولكن ذلك لم يحدث . لان قوة اخرى اطلقت من عقالها . ونحن لا نعلم عن هذه القوة الا النزر اليسير ولكننا ندعوها قوة التنافر او قوة التنابذ الكوني . فما شرعت المادة تتكتل ، حتى اخذت دقائق تلك الكتل تتنابذ ، فانفجر الكون وتشتت ، بدلاً من ان يتكتل ويتقلص

وليست هذه الصور من بنات الخيال الوثاب . بل ثمة من الادلة ما يؤيدها . انها نتيجة للارصاد التي يقوم بها العلماء بآلات التقريب والتصوير والحل الطبفي . فنحن نعلم ان الكون أَخَذَ في الانفجار والتشتت لاننا نراه الآن كذلك

فخارج المجرَّة التي منها نظامنا الشمسي ، عدد لا يحصى من المجرَّات . واذا حلل ضوء هذه المجرَّات بالمطياف (آلة حلّ الطيف) دلَّ التحليل على انها آخذة في الابتعاد عنا ، وفي ابتعادها بعضها عن بعض على عجَل . وسرعة ابتعادها بعضها عن بعض تتزايد بتزايد بُعدها عنا . ولقد قيست سرعة احد السدم البعيدة ، في ابتعادها عنا فاذا هي نحو ١٢ الف ميل في الثانية . فاذا انقضت بضعة ملايين من السنين ، غابت في ابتعادها ، عن انظارنا ، الا اذا استطعنا ان نستنبط آلات احدَّ بصراً من الآلات التي بين ايدينا الآن . والدليل على ابتعاد هذه السدم عنا ، يترك أثره في نورها ، الذي نلتقطهُ بآلاتنا ونحللهُ بمطايفنا (جمع مطياف) . فالقطار الصافر اذا كان مقترباً منا علا صفيره . واذا كان مبتعداً عنا انخفض صفيره . ذلك ان امواج الصوت في الحالة الاولى تتلاحق في مدى يقصر باقتراب القطار ، فتقصر اذا قصر ، فيرتفع الصفير . اما اذا كان القطار مبتعداً فان امواج صفيره تتلاحق في مدى آخذٍ في الاستطالة بابتعاد القطار عن السامع ، فتطول الامواج ، فاذا طالت انخفض الصفير . وكذلك في الضوء . فلاضواء النجوم خطوط مميزة تظهر في طيوفها . فاذا كانت هذه الخطوط متحركة في الطيف دلّت حركتها على حركة مصادرها . فاذا كانت هذه الخطوط متجهة في حركتها الى اللون البنفسجي ، دلّت على ان امواج الضوء آخذة في القصر . فمصدر ذلك الضوء آخذٌ في الاقتراب الينا . واذا كانت حركة تلك الخطوط متجهة الى اللون الاحمر دلت على ان امواج الضوء آخذة في الاستطالة واذاً فمصدر ذلك الضوء آخذ في الابتعاد عنا . وقد دلّت ارصاد السدم على ان معظمها آخذ في الابتعاد عنا ، وقدّرت سرعة ذلك الابتعاد . ومما عرف من سرعة الابتعاد ومواقع تلك السدم ، يمكننا من عمل حساب لليوم الذي انطلقت فيهِ اولاً ، مبتعدة بعضها عن بعض — وهو يوم الخليقة الكونية

فاليوم الاول في الخليقة الكونية ، هو ذلك اليوم الذي انفجر فيهِ الكون [illegible] .

اما اليوم الثاني فهو يوم ولادة المجرّة ، ونظامنا الشمسي جزء منها . فبعد اليوم الاول انتشرت في الكون قطع من السحاب الكوني — وهي ما نطلق عليها اسم سديم — في كل الجهات ..وكل منها يدور على نفسه ، فأخذ يتقلص بفعل التجاذب . واحدى هذه القطع تجمعت على مدى الزمان جميع النجوم التي منها شمسنا

كانت هذه القطعة في البدء كروية كالكون الذي تجملها . ولكنها بفعل دورانها على محورها اخذت تتسطح عند قطبيها ، كما تسطحت الارض عند القطبين بفعل دورانها على محورها . ولكن لما كانت تلك القطعة غازية ، كان أثر الدوران في تسطيحها ابعد مدى من أثر دوران الارض في تسطيحها عند قطبيها . ومضت في ذلك السبيل حتى اصبحت كالقرص . والمراصد تمكننا من رؤية السدم في مختلف ادوار نشوئها منذ كان كروية تامة الكروية الى ان تسطحت قليلاً عند قطبيها الى ان زاد تسطيحها عند القطبين الى ان اصبحت كالقرص . غير ان دوران السديم وتقلصه ، جعلا من المتعذر عليه الاحتفاظ بكل مادته . ففي مرحلة من مراحل نشوئه تكونت حوله حلقات من مادة ، ما لبثت حتى انفصلت عنهُ ، وتكونت منها النجوم

وبعد انقضاء ملايين السنين على تكوُّن النجوم في المجرّة تكوّن نظامنا الشمسي . ولكنهُ احتاج الى صدفةٍ لكي يتكوّن . وهذا هو اليوم الثالث من الخليقة الكونية

في القرن الثامن عشر تصوّر سويدنبرغ وكانط قطعة سديمية عظيمة في دور التقلّص وقالا بان السيارات نشأت منها بالانفصال فبقيت كتلتها المركزية وهي الشمس . على ان بوفون الفرنسي رأى ان النظام الشمسيّ نشأ من اصطدام حدث اتفاقاً بين كتلة الشمس ومذنب كبير . فخالفهُ لابلاس ذاهباً الى ان حدوث اصطدام من هذا القبيل بعيد الاحتمال . ومن البحث في الخلاف بين الرأيين خرج لابلاس بالنظرية السديمية في نشوء النظام الشمسي وملخصها ان قطعة سديمية تسطحت في اثناء دورانها على محورها ثم اخذت تتقلص ، وتقلصها زاد سرعة دورانها ، فلما بلغت سرعة دورانها حدًّا معيناً ، تعذّر التماسك بين اجزائها ، فانطلقت منها حلقات وهذه الحلقات تقلصت فنشأت منها السيارات . فاقبل العلماء على هذا الرأي اولاً . ثم ظهرت الاعتراضات عليه ، وتوالت المذاهب ، الى أن استتبَّ الامر الآن رأي جينز ومن نحا نحوهُ وهو ان شمساً ، اقتربت في خلال سيرها في الفضاء ، من شمسنا فأحدثت مدًّا في سطحها ما زال يعلو حتى انطلق في شكل ذراعٍ كالطوربيد ثم تقلصت دقائقها كتلاً كتلاً فنشأت السيارات . وكان جفريز من اتباع جينز اولاً ثم تحوَّل الى القول بوجوب تماسّ الشمسين . اما فيما خلا ذلك فرأيهُ ورأي جينز واحد . على ان النجوم بعيدة بعضها عن بعض ، وتوزيعها في الفضاء من قبيل توزيع عشرين كرة صغيرة في باطن كرة قطرها ثمانية آلاف ميل . فاحتمال اقتراب احدى هذه الكرات من كرة اخرى حتى تصير على بضعة امتار منها كنسبة واحد الى ملايين ، ولذلك قلنا ان اليوم الثالث من ايام الخليقة احتاج الى صدفة لكي يكون

في ربيع اليأس

لامين الريحاني

اليأس ، مثل كل حس بشري ، يتنوع ويتفاوت في الناس . فقد ييأس الفلاح مثلاً من جفاف في الطقس حرق زرعه ، او من وباءٍ ذهب بمواشيه . وقد ييأس الفيلسوف من نظرية يعالجها لاستئصال الوباء ، او من آلة يخترعها للسيطرة على الجو والمطر . وكذلك يختلف يأس الشاعر عن يأس البقال . وكذلك قل في يأس المجرمين ويأس الانبياء ، اي في ما تحت وما فوق يأس جميع الناس

اعود بك الى امثلة من اليأس الاعلى الذي لايزال نوره يشع في العالم ، الى المسيح في الجثمانية ، والنبي محمد في الكهف ، والرسول بولس في مركب تتقاذفه الامواج ، والشاعر دنتي في المنفى شريداً طريداً ، وابي العلاء المعري في محبسيهِ — فهل كان يأس هؤلاء ، يا ترى ، مثل يأس جيرانهم الفلاحين والنوتيين والمشارين او مثل يأس زملائهم الادباء والشعراء ؟

وهل يأس الاديب الشاعر الذي ينتهي في قصيدة ينظمها ؛ او تتقيد اشواقه اليوم بتقريظ في جريدة ، او بعشاءٍ على مائدة امير ، او بظفر في حفلة راقصة ، مثل يأس مَن له سلّم لولبيّ من الاشواق والآمال ؟

قد يكون الجوهر واحداً . ولكن الكمية ، واللون ، والبيئة ، وما يتصل بالبيئة من سابق ولاحق في الحياة ، تختلف كلها اختلاف الآمال والاشواق في الناس ، واختلاف الثروة الروحية في الافذاذ من الناس

***

كان ليأسي شتاءٌ ، وكنت فيهِ الاديب المجاهد في سبيل — المجد !

ألا في سبيل المجد ما انا فاعلُ ...

وكنت بين كتبي واوراقي وصوري وتحفي الفنية كالقائد لجيش عاصٍ متمرد . وما الفائدة من السلاح والذخيرة — من القلم والافكار ، ومن العلوم كلها ؟

ياضيات وانت لا تدري في اية دورة من الفلك تصل النجدة ؟ ولا حرب بلا مال .
ولوجيا وانت لا تستطيع ان تصلح قلبك المكسور او قلب المحبوب القاسي ؟
ة البلدان وانت عاجز عن السفر الى حيث تخف تكاليف الحياة وتنم جنباتها ؟
وانت في لجج الاحزان من اضعف الناس ؟ وما الفائدة في الطب وشرايين قلبك
نيوماً ، او المكروب بفتك برئتيك ؟ وما نفع الفنون الجميلة كلها والعالم كله في
ميذ في مدرسة الفنون العليا ؟
تالا ، وكنت فيه الاديب العالم المجاهد في سبيل — المجد والشهرة ! ولكن ذلك
اباً من ابواب الحياة كنت اجهلها

يوم من بيتي ، من غرفتي التي كفنت فيها اعز عزيز لديّ . بل خرجت من الغرفة
ن ارى ما كنت اتخيله امامي : تابوت احلامي ، فررت منهُ في ليلة عاصفة . وكان
، ويتراكم تحت قدميّ ، ويتجمد ألماً بين جنبيّ . وكنت ، لستاره الكثيف
تحتها رقبتي ، لا ارى غير موطىء قدمي . فتصادمتُ في تلك الساعة وشخصاً
ة مثل حالي ، فاعتذرت . وكان الصوت الآخر المعتذر صوتاً ناعماً رقيقاً . انقطع
: لا تؤاخذني » . هو صوت فتاة بائسة شريدة ... جمع الثلج والليل بيننا ، وربطت

يتي ، الى غرفتي التي تركت فيها تابوت احلامي . واجلستها بين كتبي وادواتي
ذكرية . فقالت فوراً . ليتها تؤكل ! فاخرجت كل ما في الخزانة الصغيرة ، فأكلتْ
من البرد . فشببتُ النار ، ولم يكن عندي ما يكفي من الفحم فأشعلت سفراً

تلك الصفحات احلامي . وانستني البائسة الشريدة الضالةَ المنشودة . فلله من
البؤس وهذه الآلام تكون ، وانا وامثالي ، بين الكتب والاوراق والالاعيب
ة والمجد ، ونود ان نحرق المدينة ، ونعزف بالناي مثل نيرون فوق طلولها ، لانها
لنا ابواب قصورها ؟
: تلك الليلة كآدم وحواء — آدم وحواء لا في الفردوس ، بل في الجحيم . وفي
مي ، وتضاعفت احزاني . لم افكر بعد ذلك بضالتي المنشودة ، واعمى من مخيلتي
اني انتقلت الى الحياة الكبرى التي تتبارى فيها المحاسن والمآثم ، واللذات
ر الحياة الذي يقرن العقم بالفضيلة والبؤس بالجمال
ا تتحوّل الدودة فتصير فراشة . فوددت لو كان في امكاني ان أُخرج حواء وآدمها
رجل — من جحيم هذا الزمان ، وأعود بهما الى الفردوس الاول . هيهات

هيهات ! وكان هذا اليأس في قلبي احرّ من نار الجحيم ، وآلم من كل ما قاسيته من الآلام . فلا عجب اذا فررت منهُ . فررت هارباً من آدم وحواء في الجحيم . هربت من المدنية ، ومن المدينة — جحيمهما

***

هربت الى البادية ، فنسيت آدم ، ونسيت حواء ، ونسيت الجحيم . وكانت سنة من السياحة فيها من الابتهاج مثلما فيها من الحرمان ومن المشقات . وكيف يكون ابتهاجٌ مع مشقة ، وكيف يلتئم الحبور والحرمان ؟ !

ليس من شأني التلاعب بالكلام والافكار . وانهُ ليؤلمني ان اترك القارىء مخدوعاً بكلمة واحدة من كلماتي ، كما اني لا اطيق مخادعة النفس

كنت قبل الفرار الى البادية في شتاء اليأس ، بل في باب الربيع منهُ . ولكني لضعفٍ روحي او ادبي ، او اجتماعي — وقد يكون الضعف في الثلاثة — لم اثبت في الجهاد . فتقهقرت ، ثم عدت ادراجي الى الشرق ، الى البادية العربية . فكنت فيها مغتبطاً على ما قاسيت ، محبوراً على ما حُرمت

وكيف ذلك ؟ رأيتني في البادية امشي في ظل الشهرة التي طاردتها في المدينة ، ورأيتني محفوفاً بالتجلة والاكرام ، ورأيتني مستمتعاً بما كنت اتوق اليه — بالمجد — قبل ان امحي من مخبأتي تابوته ، وقبل ان اجتمعت بحواء في الجحيم

اذاً ، في فراري الى البادية عدت الى الوراء ؟ اذا ما نظرنا في الامر نظرة سطحية اقول : نعم عدت الى الوراء سنة واحدة . وكان من العلم ، ومن الخدمة لقومي ، ومن معرفة الله في تلك الدهناء وتلكم النفود ، ما يبرر هذه السنة التي تتخلل اليأسين ، يأس الشتاء ، ويأس الربيع

***

ايها القارىء العزيز — وما انت بعزيز اذا كنت لا تتفهم كل كلمة اقولها ، وما انا رسول الحقيقة والخير اليك اذا كنتُ لا اتحرى الصراحة والصدق دائماً في كل ما اقول . واني لذلك افتح كتاب النفس لاطلعك على صفحة من صفحاته الشخصية الخصوصية . وقد ادركتَ السر في ابتهاجي في البادية . وستدرك المعنى كله في عنوان مقالي هذا ، فلا تتهمني بعد ذلك بالتلاعب بالاحساسات والالفاظ

سنة في البادية انتهت بعزلة في الجبل ، ولكن [illegible] الكتب والاوراق والالاعيب الفنية تشاركني في هذه العزلة ، و[illegible] اخبار العالم وانباء الحياة في العالم

العالم الذي فررت منهُ هارباً والحياة التي نبذتها ! ترى الاول يجالسني كما جلست استريح ، فيحدثني وهو يبسم بسمة جنية فظيعة . وترى الثانية تجيئني سامرة ، فتثرثر وهي تقهقه قهقهة الفاجرة

العالم يقطع عليّ العزلة ليقول : وما الحق لغير القوة . وما الرجال بغير المال . وما الانتداب غير نوع جديد من الاستعمار . وما الالف والباء والجيم منه غير درجات في الظلم والاستبداد . وهذا حقٌ ما زال الحق للقوة . خلق الضعيف لخدمة القوي . والضعيف من الامم والشعوب ، مثل الضعيف في الناس قسطه النير

وها كم قويًّا في العالم الجديد يسيطر على اقوياء العالم القديم . يسيطر بالمال ، بالذهب . وها كم في الشرق الاقصى دولة تقلد دول الغرب بما يودّ مصلحو هذا الزمان تطهير الغرب منه — بالقوة المادية والشره الاستعماري . وها كم الشرق الصيني يئن بين براثن الحرب الاهلية التي تغذيها سرًّا دول الغرب . وها كم الشرق الهندي وفيه الاسد والفيل يتنازعان الملك ويتصارعان . والى شمال ذاك الشرق دولة تشرئب بعنقها الى الغرب وتود ان يكون لها في جوار الهند ما لليابان في جوار الصين

وها كم في الشرق الادنى طرَفي الحقيقة « ان الحق للقوة » : ففي انقرة تخط الحقيقة بأحرفها الكاملة ونلفظها : جمهورية كمالية . وفي طهران تخطها بماء الذهب بالحرف الفارسي ونلفظها : مملكة رضوية . وفي نجد والحجاز نخطها على الرمال بالاحدب البتار فتسفيها الرياح وهي تردد اسم ابن سعود . وفي الشرق العربي لا نكاد نخطها حتى يمحوها ببصره الخنوع ويكتب مكانها : لتحي بريطانية العظمى ! وهذه بريطانية العظمى بعد ان استعادت شيئاً من الصولة التي فقدتها في الحرب الكونية ، تقلد الطائع في الشرق العربي نيشاناً ، وتهدد بالمدرعات والطيارات ، السيادة الوطنية ، والحرية القومية في وادي النيل وفي فلسطين

وفي هذه البلاد السورية كُتبت الحقيقة بعشر لغات — لغات الطوائف — فكان للدولة المنتدبة فيها عشر قراءات مختلفات بعضها عن بعض ، وكلها تعود الى مصدر واحد : الحقّ للقوة

***

هذا يحدثني العالم وهو يبتسم بسمته الجبينة المؤلمة . والحياة تقطع عليّ عزلتي فتجيء سامرة وتقول : انما الحق لمن يحسن الرثاء ، والقوة لمن يبرع في المداجاة . الحق والقوة والوجاهة والثروة والسيادة كلها الأمنيين . لاولئك الذين يقفون مطأطئي الرؤوس امام كل كبير من السادة الزعماء ، وأمام كل من وقف حولهم [illegible] السلطات الثلاث ، المدنية والدينية والمالية

الحق والقوة [illegible] والثروة والسيادة لمن يقول ! نعم ، نعم ، على الدوام . ذلك ان القوة الايجابية في [illegible] . ولا يقول لا ، لا ، غير المصابين بعسر الهضم ، والمجانين ،

نعم . سيّارة تتصدر فيها ؟ نعم . عصاً من الذهب وثوباً من الارجوان ؟ نعم ، نعم . عضوية في المجمع العلمي ، او رآسة في البلدية ، او في الرابطة الادبية ؟ نعم ، سيدي نعم . . . وفساطين يا سيدتي من باريس ؟ نعم ، نعم . وأميراً صاحب كيس ؟ كيف لا . والحب لأبليس ؟ نعم . لأبليس ... هي ذي الحياة . حياة كل يوم ، تجيئني في الجرائد ، وهي تثرثر وتقهقه ، ثم تختفي وهي ترقص الرقصة الجديدة

فاخرج من المنزل لأستنشق الهواء النقي ولأحدث النجوم . وكأني بها ، وهي تدور في افلاكها تدكّر بمن وقف تحتها في غابر الزمان من الانبياء والعلماء ، وهي تقول : نعم . نعم ، لكل ما قالوه

***

وهل من حاجة الى ان اردد على مسمع القارىء ما قاله الانبياء ؟ فقد بدأ احدهم وصاح بـ « لا ، لا » . ووقف احدهم امام عروش الظلم وقال : « لا ! » لاربابها . ومشى الآخر مع الفقراء وذوي القلب الوديع فقال لهم مراراً : انا هو خبز الحياة . ومن اضاع حياته من اجلي يجدها . واوصى الآخر بالامر بالمعروف وبالنهي عن المنكر . وقالوا كلهم بالحب ، والسلام ، والاخاء الانساني . وجميعهم يئسوا من الانسان

ووقف الانبياء في ربيع اليأس فصرخوا من اعماق قلوبهم قائلين : صمع الانسان كلمة الله وظلّ عتيّاً . وآمن الانسان وظلّ ضالاً . ومشى الانسان على الاثنتين وهو لا يزال في كثير من صفاته مثل ذوي الاربع . وعلمناه التوحيد وهو لا يزال يقول : موسى وعيسى ومحمد وبوذا وازدرشت . وعلمناه المحبة وهو لا يزال يصنع القنابل والمدافع والبارود . وعلمناه الرحمة والعدل وهو لا يزال في سبيل شهواته ، يمشي على القلوب [illegible] ، ولا يزال ، في سبيل مطامعه ، اما ضبعاً او ثعلباً

ونفض الانبياء ايديهم من الانسان . ولكن صرخة [illegible] ، يأسهم عمتها القرون ، وردتها الاجيال . رددها في كل جيل افراد من الناس ، من [illegible] حياتهم ليجدوها ، وكان لترددهم فترات من تجديد الصلاح في الناس . وكان لتجديد الصلاح ، ازدياد في صفوف من يقولون « لا ! » ومن يؤمنون في قلوبهم ، وفي العالم [illegible] يداه الحياة تزداد اخضراراً وتتسع كل مائة من السنين

كذلك يزهر يأس الانبياء . وانا [illegible]

زهرة نوّرت ، فذوت ، فتناثرت اوراقها ثم انتثرت من قلبها بذور الحياة ، فحملتها الرياح في النواحي الاربع من الارض

***

زهرة من يأس الانبياء غدت بستاناً ، واضحى البستان ربيعاً ، وكان للربيع صوت ، هو الذي تسمع الآن ! هو صوت صاعد من ربيع اليأس

— لله من ظلم يتجدد في حكومات العالم الحرة . لله من شعوب تنفر الى الماضي لتمتص من عظام الاموات شيئاً من الحياة . لله من حياة تزداد اعباؤها كما ازداد الانسان علماً ونوراً . لله من شعوب في هذا الشرق يرددون كلمات التوحيد وهم في الشرك يعمهون ، وفي الشقاق يهلكون

ان في السماء آلهاً واحداً وان تعددت اسماؤه . وان على الارض لناموسه ، مظاهر ، تتجسم كل جيل في افراد من الناس ، فينيرون جادة من جادات الروح ، ويفتحون باباً من ابواب الخلاص — الرقي — للأمم

هم ازهار ذلك الربيع ، ربيع يأس الانبياء . ولهم يومهم ، ولهم عملهم ، ولهم يأسهم المزهر المنير . لولا ذلك ليئسنا حتى من الله . ولكنا من المؤمنين الذين لا يؤمنون بسواه

***

ان يأسي لفي ربيعه ، وان في هذا الربيع لكل امة من الامم ، ولكل شعب من الشعوب ، زهرة طيبة الأريج

ولكني وان قالت أمي : العذراء ، اقول : الله

وان قال [اخواني في] الغرب : المسيح، اقول : الله

وان قال اخواني في الشرق : بوذا ، اقول : الله

وان قال اخواني العرب : محمد ، اقول : الله

وان قال اخي الفارسي : آهورا ، اقول : الله

وان قال اخي الصيني : كنفوشيوس، اقول : الله

وان صوتي ، وان كان من اصوات اليأس ، لمن أصوات [illegible]

ولولا هذه الاصوات ، المرسلة من اليأس [illegible]

لما [illegible]

[illegible] ليتمكن

الري في مصر

وثيقة فنية خطيرة

لحسين بك سرى وكيل وزارة الاشغال

خطبة الرآسة في المجمع المصري للثقافة العلمية

نظرة تاريخية

لي الشرف ان اتحدث اليكم في موضوع من اهم الموضوعات التي تعني بها مصر لعلاقتهِ الوثيقة بالزراعة اهم مرافق هذا القطر وعماد ثروتهِ وينبوع رخائهِ وأقصد بهِ « الري في مصر »

وأود قبل ان اتكلم عن الري في الوقت الحاضر أن ارجع بذاكرتكم الى العصور الغابرة لنستعرض معاً ما كانت عليهِ اراضي وادي النيل في ذلك الوقت ثم الادوار التي مرت قبل ان وصلت نظم الري الى حالتها الحاضرة من التقدم وقبل ان يتمكن سكان مصر من التحكم في مياه النيل يطلقونها بقدر معلوم ويستخدمونها وفقاً لرغباتهم . يحبسون ما فاض عن الحاجة منها ليعودوا فيصرفوهُ في الوقت الذي يقف فيهِ ايراد النيل عاجزاً عن أن يفي بحاجة الاراضي الزراعية

لو اننا القينا بنظرتنا على هذا الماضي البعيد وتخيلنا ما تنطق بهِ سطور التاريخ عنهُ لامكننا ان نتصور اراضي مصر في ذلك الوقت مكوّنة من سهول مجدبة لازرع فيها وكثبان من الرمال وأدغال تملؤها المستنقعات ، ولتصورنا مياه النيل تفيض على هذه السهول من عام لآخر فتغمرها فترة من الزمن ثم تعود فتنحسر عنها بعد ان يمر الفيضان ولا تتركها الاّ وتكون قد خلّفت وراءها طبقة من الطمي كان لها الاثر كله في تكوين اراضي مصر الزراعية وفي تجديد خصبها وقوتها عاماً بعد عام . ثم لتصورنا ساكن مصر الاول ينظر فيجد امامهُ ارضاً رواها النيل بمائهِ من دون ان يقوم هو في سبيل ذلك بمجهود او يتكبد نفقات فيرمي ببذوره فيها ولا يلبث ان يراها زرعاً يجني ثمرهُ بعد زمن قصير . واذ كان لنا ان نسمي هذه العملية طريقة ري فانها تكون اقدم ما عرفهُ الانسان من طرق الري

مرت القرون بعد ذلك الى ان فطن قدماء المصريين الى هذه المزايا التي حبت بها الطبيعة واديهم ورأوا امامهم قوى تضيع دون ان يفكروا في الانتفاع بها فاخذوا ينظمون جهودهم . وتقدم ملكهم « مينا » فرأى ان يقيم للنيل جسرين على طول مجراه ليمنع مياهه من ان تطغى على شواطئه فتكتسح اطيان البلاد . الا انه وجد هذا العمل شاقاً لا [illegible] فكر في ان يقصر جهوده على احد الجسرين فقط وبدأ بالجسر الايسر [illegible] وترك الضفة اليمنى يطغى عليها النيل ما سمحت مناسيبه [illegible] توصيل ما

الملك يقدم القرابين للمعبودات (حراصت) و (بتاح) ومعبود النيل (وذلك على يمين الداخل) يقدم ايضاً القرابين للمعبودات (امون) و (موت) و (خنسو) (وذلك على يسار الداخل) . سفل ذلك نشاهد نقوش لمدحة النيل الطويلة وقائمة بالهدايا التي تقدّم لمعبود النيل

اما السبب في الاحتفال بفيضان النيل جهة جبل السلسلة فهو ان النيل اعتبر قدماً انهُ ينبع من صخور ذلك الجبل . واستمر القوم يعملون المهرجان في تلك الجهة على توالي العصور بالرغم من تتبعهم لمنيل الى اقاصي السودان السابق ذكرها في المقال السالف

ويقال ان السبب في تسمية هذا الجبل بهذا الاسم هو ان وادي النيل كان موصداً في تلك الجهة بسلسلة عظيمة مثبتة في جانبيه المقابلين لبعضهما

وللنيل مدحة كان القوم ينشدونها في اعياده وُجدت مدوّنة على عدة آثار منها درج سالبير الثاني ودرج انسطامي السابع (وهما محفوظان في دار التحف بلندن) ودرج تورين . وايضاً على قطعة حجرية ostraca تعرف باسم الاستاذ جولنشيف الروسي وقد سبق ان المعنا الى نقش هذه المدحة بجبل السلساة وذلك في ٢١ مايو سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد في عهد الملك رمسيس الثاني ثم اعيد نقشها بنفس الجهة في السنة السادسة من حكم رمسيس الثالث اي سنة ١١٩٦ قبل الميلاد (الذي حكم القطر من سنة ١١٩٨ — سنة ١١٦٧ . م) . واليك ترجمتها عن المرحوم كمال باشا (الحضارة القديمة) : —

السلام عليك أيها النيل يا من ظهرت على هــذه الارض واتيت لاحياء مصر . انت الذي يختفي مجيئك في الغياهب الى يوم الترتيل بقدومك . انت البحر المفيض بمياهك على البساتين التي اوجدتها الشمس لنا لتحيي جميع ما يكون . انت الذي تمتنع عن ريّ الصحراء حين نزولك من مياه السماء . فمعبود الارض (سب) يتولع بايجاد العيش ومعبود الحبوب (نبرا) يقدم قرابينه . والمعبود (بتاح) يصلح احوال العامل . انت صاحب الاسماك . متى تجاوزت الشلال لم يعد الطير ينزل الى الحقول . انت صانع القمح وموجد الشعير ومطيل اجل المعابد . ان تعطلت اصابعك او اعتراك كساد اصبحت الالوف من الناس في فاقة . وان نقصت وقت نزولك من السماء افنيت المعبودات والخلق وتكدرت الحيوانات وصارت الارض كباراً وصغاراً في عذاب . واذا كانت الحال على عـكس ذلك واستجيب دعاء الناس حين تفيض وتكون لهم نيلاً مباركاً عند ارتفاعك حينئذ تصبح الارض مبتهجة وتنشرح كل ذي بطن ويهتز كل ظهر من الضحك وتمضغ كل سنة . يا مجلب الارزاق ومكثر المأكولات ومبدع أحسن الاشياء . انت صاحب الجرائم . انت اللطيف بمجيئك حين تكون خليـلاً لهم . نعم انت الذي توجد علف الحيوانات وتعطي كل ما لزم لقرابين المعبودات . فالبخور الناتج عنك هو الاجود . انت الذي تهتم بالقطرين فتمتلىء المخازن وتزداد خيرات الفقراء . انت الذي تستجيب دعاءهم عند تقديم النذور فلا ينقصهم شيء . انت سند الفقراء لم تصوّر في حجر ولم تمثل بتمثال ذي التاج المزدوج . ولم تبصرك العين ولم تدفع لك جزية . ولم يؤت اليك بقربان . ولم يؤثر فيك كلام السحر

الفيضانات [illegible] الى الاراضي المنخفضة البعيدة عن مجرى النيل فشق الترع خلال اراضي الشواطىء العالية لتوصيل المياه الى تلك الاراضي المنخفضة وأقام جسوراً عمودية على جسر النيل ليمنع بها فيضان المياه على مواطىء الاراضي الشمالية وكانت هذه اول خطوة لتنظيم الري الحوضي

وقف مجهود القدماء بعد ذلك عند هذا الحد الى ان كان عصر الاسرة الثانية عشرة فأقاموا جسر النيل الايمن الا انهم خشوا بعد اتمام الجسرين ان تمزقهما الفيضانات العالية وتغرق البلاد او تكتسح اراضي الدلتا الواطئة فرغبوا في الاحتياط لذلك وقاموا بتوصيل مجرى النيل بالمنخفض الذي كان معروفاً ببحيرة موريس ليصرفوا فيه ما زاد من مياه الفيضانات العالية . وما لبثوا بعد ذلك ان فكروا في العمل على اعادة هذه المياه الى مجرى النيل حتى يمكن الاستفادة بها في الفترة التي يقل فيها ايراد النهر ولعل في ذلك ما يقوم دليلاً على أن فكرة تخزين المياه كانت وليدة العصور الماضية

استمر نظام الري في مصر على هذه الحال الى ان غزا العرب مصر ورغب ولاتهم في زيادة ثروتها فلم يجدوا امامهم الا الزراعة مورداً يتعهدونه بعنايتهم حتى تؤتي ثمارها وورث كل وال منهم عن سلفه العناية بالشؤون الزراعية حتى نمت وترعرعت وجنت البلاد من ورائها الربح الوفير فزادت مساحة الاراضي المنزرعة من مليون ونصف في اوائل حكمهم الى ثلاثة ملايين في آخر مدتهم . ولم يتغير نظام الري في عهدهم عنه في العهد السابق بل ظلت اراضي مصر العليا والوسطى تروى بنظام الحياض تغمرها مياه النيل وقت الفيضان وتبقى عليها زمناً ثم تصرف في مجرى النهر وتبذر البذور في الاراضي بعد ذلك وتترك حتى يتم نضج المحاصيل ثم حصادها . واستمرت اراضي الدلتا تروى بهذه الطريقة ايضاً وتخترقها فروع النيل المديدة تمدها بالمياه اللازمة لها وقت الفيضان

وكان للبلاد ان تلمس هذا المغنم الذي لقيته من وراء عنايتها بالشؤون الزراعية وان تعمل على الاحتفاظ به الا انها منيت بحكم المماليك الذين استولوا على الاراضي الزراعية وخصوا بها انفسهم وتابعيهم وبقي الاهلون يعملون في اراض لا يملكونها مما دعاهم الى هجرها وعدم العناية بها فأجدبت وقل محصولها

ولما ان ولي محمد علي باشا حكم مصر وجد الاراضي تروى بنفس الطريقة التي كانت متبعة مدة حكم العرب . وانها لا تنتج تحت هذا النظام الا محصولاً واحداً في السنة مما لا يتفق مع التوسع الزراعي الذي ينشده والذي يرى انه الوسيلة الوحيدة لزيادة ثروة البلاد . فبدأ بأراضي الدلتا وأدخل فيها زراعة بعض محاصيل جديدة أهمها القطن وكان قد استحضره من البرازيل والهند عام ١٨٢٠ — ودعت زراعة القطن الى تغيير نظام الري المتبع وذلك لان هذا المحصول يحتاج الى ريات متتابعة ولا يتفق وقت زرعه مع الفترة التي ترتفع فيها مياه النيل فاضطر ساكن الجنان أمام هذه الحال الى اقامة [illegible] النيل حتى لا تطغى المياه وقت الفيضان على الاراضي المنزرعة قطناً . وعمق الترع [illegible] ل مياه الصيف الواطئة فيها وبنى عليها القناطر المتعددة ليتمكن بذلك من [illegible] تقل معه نفقات رفعها الى الاراضي . وكانت اراضي الدلتا بعد

هذه الخطوة تزرع فيها الحبوب بعد صرف المياه التي تغمرها وقت الفيضان وبعد ان يتم حصاد الحبوب تطهر الترع مما يكون قد رسب فيها من الطمي لتسمح بأمداد الاراضي المزروعة قطناً بالمياه مدة الصيف وفي شهر اغسطس كانت تعمل قطوع في جسور الترع لري مواطيء الحياض حتى اذا ما تم حصاد القطن في شهر سبتمبر تغمر الاراضي بمياه الفيضان وبعد صرف المياه تبذر فيها بذور الحبوب وهكذا. أي ان اراضي الدلتا كانت تروى بطريقتي الري الحوضية والمستديمة. وهذا اول العهد بأدخال نظام الري المستديم في مصر

الا ان الجمع بين نظامي الري على الوجه السابق اقتضى نفقات كثيرة كانت تصرف في حفر الترع الى منسوب واطيء ثم صيانتها على هذا المنسوب بتطهير مقادير الطمي الكبيرة التي كانت ترسب مدة الفيضان مما دعا محمد علي باشا أمام هذه النفقات وكثرة الايدي التي يتطلبها هذا العمل الى التفكير في تحسين الطريقة المتبعة فكلف مهندسيه البحث عن وسيلة يمكن بها رفع مياه الصيف بحيث تدخل الترع من غير حاجة الى تعميقها فعرض عليهِ مهندسوه مشروع اقامة قنطرتين على فرعي النيل عند قمة الدلتا . ولما صادفت هذه الفكرة قبولاً لديه امر بأعداد ما يلزم لذلك ثم اعتمد المشروع وبدأ العمل في تنفيذه عام ١٨٤٣ واستمر بناء القناطر بعد ذلك تعترضهُ الصعوبات فتوهن من عزيمة القائمين بهِ وتفلّ ثقتهم بنجاحه ثم يرجعون فيواصلون العمل فيه حتى تم بناء القناطر سنة ١٨٦١

وقبل استعمال القناطر في الموازنات رأى القائمون بالامر في ذلك الوقت اختبارها فعجزت عن تأدية ما طلب منها ولم تتمكن من رفع منسوب المياه امامها الى الدرجة المطلوبة وكان ذلك داعياً لاعادة البحث فيما يمكن تنفيذه لمقابلة احتياجات نظام الري الجديد وبدت لهذا الغرض فكرتان احداهما تقضي باقامة آلات لرفع المياه اللازمة والاخرى بترميم القناطر الا ان الآراء عادت فاقرت الفكرة الثانية وبديء بترميم القناطر ولما فرغوا من ذلك لم يكن الحجز عليها الى المنسوب المطلوب فأعيد ترميمها مرات انتهت باقامة سدود غاطسة خلفها سنة ١٩٠١ وبعد ذلك امكن للقناطر ان تقوم بالغرض الذي بنيت من اجله

وباتمام القناطر تم وضع الحجر الاساسي في نظام الري المستديم في الدلتا وامكن بواسطتها امداد هذه الاراضي بما يلزمها من المياه مدة الصيف مما ساعد على تحويل المساحات الحوضية لتروى بطريقة الري المستديم وكانت مساحة الاراضي التي تزرع فيها بعض المحاصيل الصيفية لا تتعدى المليوني فدان وقت البدء في بناء القناطر زادت بعد ذلك الى ثلاثة ملايين تتمتع بنظام كامل من الري المستديم ولا يخفى ما كان لهذا التوسع من أثر في زيادة مقدار المحاصيل وما ترتب عليهِ من ازدياد موارد القطر وازدياد ثروتهِ بارتفاع ثمن اراضيهِ . وبذلك تكون الجهود المتواصلة التي بذلها المغفور له محمد علي باشا قد اثمرت وتحقق الامل الذي طالما تطلع اليهِ

وفي اثناء بناء القناطر تم حفر ثلاث ترع كبيرة تأخذ من النيل أمامها وهي الرياح التوفيقي والرياح المنوفي ورياح البحيرة ليروي الاول شرق الدلتا والثاني وسطها والثالث غربيها

ولما تولى الخديو اسماعيل باشا حكم مصر ورأى ثمرة جهود جده التي بذلها في العناية بالشؤون الزراعية

اراد ان يتتبع خطواته فأمر في سنة ١٨٧٣ بحفر الترعة الابراهيمية التي تعد من اكبر الترع في العالم وكان الغرض من انشائها في بادىء الامر امداد مزارع القصب الخديوية بالمياه مدة الصيف واستعملت بعد حفرها في ري مساحة صيفية قدرها حوالي نصف مليون فدان واخرى حوضية مساحتها نحو ٥٠٠,٠٠٠ فدان ولقد كان انشاء هذه الترعة الخطوة الاولى لادخال نظام الري المستديم في مصر الوسطى

ولما لمس سكان مصر الوسطى أثر محصول القطن في الثروة الزراعية عملوا على زراعته في بعض مساحاتهم الحوضية وكانوا يحيطون هذه المساحات بجسور تقيها من طغيان المياه عليها مدة الفيضان ويرفعون اليها ما يلزمها من المياه بالآلات من النيل او من الآبار الارتوازية — ولما ازداد عدد السكان وتطلبت هذه الزيادة حاجتها من المزروعات اتجهت الانظار الى اراضي مصر الوسطى بغية تحويلها الى الري المستديم الاّ ان زراعة الاراضي مدة الصيف تقتضي ريها في هذا الوقت الذي تقل فيه تصرفات النيل ويعجز ايراده عن ان يمدها بحاجتها من المياه . لذلك كان على القائمين بأعمال التوسع في كل مرحلة أن يفكروا في توفير المياه اللازمة للمساحات الصيفية ومن هنا عادت فتجددت فكرة التخزين وحجز بعض مياه الفيضان الزائدة عن الحاجة ليمكن الاستفادة بها مدة الصيف . وسبق ان قلنا ان اول من فكر في تخزين المياه هم ملوك الاسرة الثانية عشرة الفرعونية وبدت هذه الفكرة من بعدهم لمحمد علي باشا فأمر مهندسه لينان باشا بدراسة هذا المشروع وفكر هذا في منخفض بحيرة موريس القديم ولما رأى ان النفقات التي تلزم لتنفيذ فكرته باهظة عدل عنها وفكر في اقامة قناطر عند جبل السلسلة لتخزين المياه امامها الاّ ان تصدع القناطر الخيرية بعد بنائها لم يشجعهُ على المضي في تنفيذ فكرته . وفي سنة ١٨٨٠ تجددت فكرة التخزين عند جبل السلسلة وكانت سعة الخزان المقترح انشاؤه عند هذا الموقع سبعة مليارات من الامتار المكعبة . وتقدم اقتراح آخر باستعمال منخفض وادي الريان خزاناً تحجز فيه بعض مياه الفيضان الاّ ان الحكومة لم تأخذ بأحد الاقتراحين بل نبذت فكرة التخزين ولعلَّ السبب في ذلك ما شاهدتهُ من ضعف القناطر الخيرية

ولما اسفرت اعمال الترميم في هذه القناطر عن بعض النجاح واصبح من الممكن الحجز عليها شجع ذلك الحكومة على المضي في تنفيذ فكرة التخزين واخذت هذه الفكرة تتطور فتتجه احياناً الى جبل السلسلة ثم تنحرف عن هذا الاتجاه لتعود الى منخفض وادي الريان وهكذا الى ان بدت في سنة ١٨٨٩ فكرة استخدام مجرى النيل نفسه للتخزين واخذت الحكومة بعد ذلك في بحث هـذا الاقتراح وعهدت الى لجنة من المهندسين الاخصائيين باختيار الموقع المناسب لهذا الخزان فقررت اللجنة بعد دراسة مجرى النيل بين حلفا والقاهرة ان أنسب موقع يبنى عنده السد هو شلال النيل الاول عند اسوان شمال أنس الوجود وتم تحضير المشروع بعد ذلك . وكان تصميم السد في بادىء الامر يسمح بالحجز عليهِ الى منسوب ١١٢ متراً وتبلغ سعة الخزان عند هذا المنسوب ما يربى على المليارين من الامتار المكعبة . الاّ ان الرغبة في المحافظة على المعبد الذي

يقع في حوض الخزان حالت دون تنفيذ هذا المشروع واقتصر في بناء السد الذي بدأ في سنة ١٨٩٨ وتم سنة ١٩٠٢ على جعل منسوب التخزين ١٠٦ امتار بدلاً من ١١٢ متراً وبذلك لم يعد الخزان الا ليتسع ملياراً واحداً فقط من الامتار المكعبة

وللانتفاع بمياه التخزين رأى رجال الري في ذلك الوقت ان يعملوا على رفع منسوب مياه النيل عند فم ترعة الابراهيمية ليتمكنوا بذلك من اعطاء مصر الوسطى نصيبها من هذه المياه مدة الصيف . وكانت ترعة الابراهيمية تتغذى من النيل بدون قنطرة تساعد على رفع المياه امامها الى الدرجة التي تكفي لامداد الزمام المترتب ريهُ على هذه الترعة بالمياه اللازمة له . ولمعالجة هذه الحال استقر الرأي على اقامة قناطر على النيل عند اسيوط وتم بناء هذه القناطر سنة ١٩٠٢ وبذلك امكن لترعة الابراهيمية ان تأخذ نصيبها من المياه مدة الفيضان والصيف من دون ان يكون لمناسيب النيل أثر كبير عليها . وبعد اقامة هذه القناطر امكن تحويل ٤٥٠ الف فدان من حياض مصر الوسطى الى الري المستديم

وفي سنة ١٩٠٣ تمت اقامة قناطر زفتى على فرع دمياط وكان الغرض من بناء هذه القناطر رفع المياه امامها في اوائل الفيضان لتغذية اراضي شمال مديرية الدقهلية والجانب الشرقي من مديرية الغربية في الوقت الذي لا تقوى فيه القناطر الخيرية على امداد الترع التي تأخذ من امامها بالمياه اللازمة

وامتدت الجهود بعد هذه المرحلة الى العناية بتحسين وسائل الري في اراضي مصر العليا التي تروى بطريقة الري الحوضية ولما رؤي ان اراضي مديرية قنا تحتاج الى تحسين حالة الري فيها فكر في اقامة قناطر اسنا على النيل لترفع امامها مياه الفيضان بحيث تكفي لغمر هذه الحياض وبدىء في اقامة هذه القناطر سنة ١٩٠٦ وتم بناؤها سنة ١٩٠٨

ولم يكن للقائمين بأمر التوسع ان تقف جهودهم عند هذا الحد بعد ان تمّ انشاء هذه الاعمال الكبيرة في مجرى النيل بل دعتهم قلة الايراد الذي اتت بهِ السنين الشحيحة بعد ذلك الى اعادة التفكير في تخزين مقادير اخرى من المياه غير التي تحجز كل سنة في خزان اسوان واتجهت انظارهم الى هذا الخزان يفكرون في العمل على رفع منسوب التخزين بهِ لعلهم بذلك يسدون النقص في الايراد الطبيعي للنهر مدة الصيف عن احتياجات الاراضي الزراعية التي زادت مساحاتها . وانتهى تفكيرهم الى البدء في تعلية خزان اسوان للمرة الاولى وتمت هذه التعلية سنة ١٩١٢ وأصبحت سعة الخزان بعدها مليارين ونصف من الامتار المكعبة واستخدم مقدار المياه الاضافية في تحسين حالة الري وفي التوسع في جانب من الاراضي البور في الوجه البحري . ولما تمّ الانتفاع بهذه الزيادة كانت مساحة الاراضي المزروعة بالقطنا ٣٬٣٥٠٬٠٠٠ فدان ومساحة الاراضي التي تروى رياً مستديماً في مصر الوسطى ١٬٠٥٠٬٠٠٠ فدان وبذلك يكون قد [illegible] مياه التخزين كلها عند اسوان في استصلاح ٣٠٠٬٠٠٠ فدان من اراضي [illegible] ٤٥٠ فدان من حياض مصر الوسطى

التوسع في الاراضي الزراعية

. الكلام عن تاريخ الري في مصر الى التوسع المقترح في اراضيها الزراعية
يتطلبها هذا التوسع والخطوات التي يقترح اتباعها لزيادة الايراد حتى يمكن
في كل مرحلة من مراحله المستقبلة

راضي التي تروى ريّاً مستديماً في الوجهين البحري والقبلي حوالي ٤٠٠٠ر٤٠٠ر٤
لمساحة لكي تأتي بالفائدة التي ترجى من زراعتها الى امدادها بكفايتها من المياه
هذه الفترة من السنة يقل ايراد النهر بحيث لا يفي مع ما يضاف اليهِ من المخزون
ت الاراضي الزراعية ، ويضطر رجال الري أمام قلة الايراد ان يقسموا مدة
الى فترات تخصص كل واحدة منها لري جزء من زمام كل ترعة ثم يمنع هذا
فترات الباقية . وهم في ذلك يبغون توزيع المياه ما امكنهم على الاراضي الزراعية
نطرهم قلة الايراد في السنين الشحيحة جدًّا الى اطالة الفترات التي تحرم فيها
ولهذا من الاثر في الزراعة ما يقل معهُ مقدار المحاصيل وخصوصاً محصول القطن
يين وأملهم الذي يترقبونهُ طول عامهم . وهناك ايضاً من نتائج قلة الايراد
الذرة عماد غذاء الفلاح المصري وذلك أن شُحَّ الايراد يمنع التبكير بطفي
عتها بهذا المحصول . وفي تأخير زرعها الاثر السيء في مقدار ما يجنونهُ منها
— الازديادُ المستمر في عدد سكان مصر وما تتطلبهُ هذه الزيادة من المزروعات
لاحصاءات التي عملت لسكان مصر في السنين الماضية لوجدنا ان عددهم يتكاثر
ممة سنويًّا ومع هذا المعدل نرى ان أهالي مصر ينتظر ان يصل عددهم الى ١٨
١٠ والى ٣٠ مليوناً في سنة ٢٠٠٠ ولا شك ان هذه الزيادة سوف تتطلع
ة ترجو الحصول منها على ما يقوم باحتياجاتها

، ازاء هذه الحال ان تتجه الانظار الى التوسع في الاراضي الزراعية باستصلاح
الحياض الى الري المستديم حتى تزيد مقادير المحاصيل التي تأتي بها . ولا سبيل
الاّ الرجوعَ الى ايراد النيل الذي ظلَّ قبلة المصريين في كل عصر يولون
لتمسون من ورائهِ رزقهم وما يتمتعون بهِ من ثروة . وما شجع دائماً على
ل في كل خطوة من خطوات التوسع أن مجموع ايراده طول العام يزيد عن
مجموع فصول السنة الاّ انهُ يأتي بايراد يزيد كثيراً عن حاجة الزراعة مدة
عن الوفاء بها مدة الصيف . وهذا ما اوحى الى الاولين فكرة التخزين
الى أن تعمل على زيادة المخزون من المياه لتمد الزراعة المستقبلة بمطالبها
المياه التي تفيض عن الحاجة من مجموع ايراد النيل في السنوات

المتوفرة الايراد للانتفاع بها في السنين الشحيحة وفي الفترات التي يعجز فيها ايراد النهر الطبيعي عن الوفاء بحاجة الاراضي الزراعية لامكن بذلك ضمان زراعة ما لا يقل عن ٢٠ مليون فدان أي ما يعادل تقريباً ثلاثة أمثال أقصى مساحة تصل اليها الاراضي الزراعية في الوادي بالقطر المصري في المستقبل اذا لم نعمر الصحاري التفاتاً ما

وسارت وزارة الاشغال في سبيل زيادة المخزون وفكرت في تعلية خزان اسوان للمرة الثانية . ولما تأكدت من امكان هذه التعلية شرعت فيها واتمتها اخيراً . وبدأت في بناء خزان جبل الاولياء . وباتمام هذين العملين سيزيد المخزون من المياه بمقدار ٤٨٠٠ مليون متراً مكعباً منها و٢٨٠٠ مليون من خزان اسوان و٢٠٠٠ مليون من خزان جبل الاولياء سينتفع بها :—

اولاً — في تحسين حالة المناوبات والتبكير بطفي الشراقي في الوجهين البحري والقبلي وضمان زراعة ٢٠٠٫٠٠٠ فدان ارزاً

ثانياً — في استصلاح حوالي ٤٠٠٫٠٠٠ فدان من الاراضي البور في الوجه البحري

ثالثاً — في التوسع في الوجه القبلي بتحويل حياض مساحتها حوالي ٤٥٠٫٠٠٠ فدان واعطاء مياه لمساحة قدرها حوالي ٥٠٠٫٠٠٠ فدان من الاراضي البور والسواحل

ولقد بدأ التوسع في هذه المساحات من السنة الحالية وسيستمر حتى يتم استنفاد المخزون الاضافي بخزان اسوان لمنسوب ١٢١ م وذلك في سنة ١٩٣٨ وفي هذا التاريخ يكون قد تمَّ بناء خزان جبل الاولياء وأمكن الحجز عليهِ فيبدأ باستخدام مياههِ الى ان يتم الانتفاع بها حوالي سنة ١٩٤٦ — ويتبقى بعد ذلك مقدار آخر من المخزون يمكن الحصول عليهِ برفع منسوب التخزين بأسوان متراً فيخصص لاستصلاح بعض المساحات البور في الوجه البحري ابتداءً من سنة ١٩٤٦ الى سنة ١٩٥٣ وبذلك يكون قد تمَّ الانتفاع بمياه الخزانين حوالي سنة ١٩٥٣

ويستلزم الانتفاع بهذه المقادير أن ترجع الوزارة أولاً الى القناطر الرئيسية المقامة على النيل لتدرس حالتها وتتأكد من انها تقوى على الحجز عليها الى المنسوب الجديد الذي يمكن معهُ اعطاء الترع الآخذة من امامها نصيبها من هذه المياه . ولقد انتهت الوزارة الى ضرورة تقوية قناطر اسيوط حتى تسمح برفع منسوب المياه أمامها بحيث يكفي لتحسين حالة المناوبات على الترعة الابراهيمية وتحويل بعض المساحات الحوضية بمصر الوسطى الى الري المستديم ولامكان التوسع في بعض المساحات البور بمديرية الفيوم . ويحتاج التوسع في الوجه البحري الى زيادة الحجز على القناطر الخيرية وهذه القناطر لا تقوى بحالتها الحاضرة على تحمل الحجز الجديد لذلك رؤي ضرورة تقويتها او بناء قناطر جديدة بدلاً منها ولم يستقر الرأي بعد على احد الحلين

وهناك قناطر اخرى يتجه التفكير نحو اقامتها على فرع رشيد بدل السد الترابي الذي يقام كل عام ليمنع بهِ دخول المياه المالحة في الوقت الذي تنخفض فيه مناسيب النيل ولتتجمع امامه مياه الرشح

التي يمكن الانتفاع بها في ري جزء من الاراضي الشمالية بمديريتي الغربية والبحيرة . وتستلزم اقامة هذا السد كل عام صرف مقادير من المياه لطرد المياه المالحة قبل قفل السد . وسيكون لهذه المقادير أثر في ملء خزان أسوان في مراحل التوسع المستقبلة وهذا ما دعا الى التفكير في اقامة هذه القناطر

ويجدر بي ان اشير الى القناطر التي تمّ بناؤها على النيل سنة ١٩٣٠ في وسط المسافة تقريباً بين قناطر اسنا وقناطر اسيوط واقصد بها قناطر نجع حمادي وقد اقيمت لضمان الري الحوضي في مديرية جرجا ولامكان تحويل الاراضي الحوضية بمديريتي اسيوط وجرجا الى الري المستديم بعد اتمام اعمال التخزين . وتمّ حفر ترعتين تأخذان من امام هذه القناطر وهما الترعة الفؤادية بالبر الايسر للنيل والترعة الفاروقية بالبر الايمن . وستحول المساحات التي تتحكم فيها هاتان الترعتان الى الري المستديم لتنتفع من مياه خزاني اسوان وجبل الاولياء

وبعد هذه المرحلة لا تكون مصر قد اتمت كامل التوسع في اراضيها الزراعية بل يبقى هناك حوالي ٧٠٠٫٠٠٠ فدان من اراضي الوجه القبلي باقية تحت نظام الري الحوضي وحوالي ٩٥٠٫٠٠٠ فدان بور بالوجه البحري بما في ذلك ما يستجد منها بعد تجفيف الجانب الاكبر من البحيرات الشمالية. وحين يتم هذا التوسع تصل مساحة الاراضي الزراعية في مصر ٧٫١٠٠٫٠٠٠ فدان وتحتاج هذه المساحات زيادة على ايراد النهر الطبيعي الى حوالي ٨٠٠٠ مليون من الامتار المكعبة مدة الصيف وذلك بخلاف المخزون بخزان اسوان بعد تعليته الثانية وقدره ٥٣٠٠ مليون متر مكعباً — وما سيخزن في جبل الاولياء وقدره ٢٠٠٠ مليون متر مكعباً

ويمكن الحصول على هذه المقادير من الوجوه الآتية : —

١٤٠٠	مليون من خزان بحيرة تسانا
٥٦٠٠	» » » البرت بعد انشاء قناة السدود
١٠٠٠	» » » كيوجا
٨٠٠٠	المجموع

ويستلزم الانتفاع بالمقادير التي ستحجز بخزانات تسانا والبرت وكيوجا غير الاعمال العادية تقوية قناطر اسنا . وينتظر ان تبنى هذه الاعمال في التواريخ الآتية : —

العمل	تاريخ البدء	تاريخ الانتهاء
تقوية قناطر اسنا	١٩٥٠	١٩٥٤
انشاء خزان تسانا	١٩٥٠	١٩٥٤
انشاء قناة السدود	١٩٥٥	١٩٦٥
انشاء خزان البرت	١٩٦١	١٩٦٥
انشاء خزان كيوجا	١٩٧٥	١٩٧٩

ويتم الانتفاع بهذه المقادير حوالي آخر القرن الحالي . واذا كان لأولي الامر بعد ذلك ان

يتطلعوا الى زيادة التوسع فإن عليهم ان يتجهوا الى الصحراء ليصلحوا بعض البلاد فيها ويمكنهم الحصول على المياه اللازمة لها عن طريق انشاء خزان آخر على بحيرة فكتوريا ويحصلون من المياه الغزيرة التي تسقط على هذه البحيرة وحوضها ما يوفر لهم مقادير كبيرة من المياه ويكون الانتفاع بهذه المقادير آخر مدى تقف عنده الجهود في التوسع . والآن انتقل لا تحدث اليكم من موضوع الصرف والخطوات التي اتبعت لتحسين وسائله وتعميمها في الاراضي الزراعية

﴿ الصرف ﴾

للصرف ما للري من خطر الشأن اذ يتوقف انتاج الاراضي الزراعية عليهما معاً فلا تجود الارض بمحصولها ولا يبقى لها خصبها الا اذا توفرت لها المياه وتم امدادها بوسائل الصرف اللازمة والاراضي اذا ما رويت تخللت المياه طبقاتها الى اسفل حتى تصل الى منسوب المياه الجوفية فتأخذ هذه المياه في الارتفاع . واذا ما استمر ري الاراضي على فترات متقاربة زاد ارتفاع مستوى المياه الجوفية الى الحد الذي لا يجد النبات معه طبقة من الارض يستطيع ان يرسل بجذوره فيها من دون ان تخنقها المياه . كذلك في الفترات التي يوقف فيها ري الاراضي تعلو المياه التي تتخلل طبقاتها الى السطح بفعل الجاذبية الشعرية ثم تعود فتهبط الى اسفل ثانية في فترات الري وهكذا تستمر المياه في الهبوط والصعود فتذيب معها كمية من الاملاح المختلطة بطبقات الارض وتسير معها في حركاتها المختلفة . فاذا ما وصلت المياه المحملة بالاملاح اثناء هبوطها الى مستوى منخفض فان كمية الاملاح التي في الطبقة العليا تقل تدريجيًّا . أما اذا كان مستوى المياه الجوفية عالياً فان هذه الاملاح تعلو الى سطح الارض مع المياه اثناء صعودها بفعل الجاذبية الشعرية حتى اذا ما تبخرت المياه بقيت الاملاح في الطبقة التي تتخللها جذور النباتات فتؤثر فيها وتكون بذلك مهلكة لحياة الزرع ويقل معها خصب الارض ويضعف انتاجها . وترون من ذلك ألاّ فائدة من توفير المياه للاراضي الاّ إذا كانت المصارف تخترقها وتعمل دائماً على تخفيض منسوب المياه الجوفية

ولقد دلت الابحاث التي عملت سنة ١٩٠٨ لمعرفة الباعث على نقص محصول القطن ان ذلك راجع الى فساد الارض لاستمرار ريها وعدم امدادها بالمصارف وكان أثر ذلك اوضح في اراضي الدلتا لطول عهدها بنظام الري المستديم

ودعت هذه الحال إلى توجيه العناية الى شؤون الصرف واستمرت العناية بها الى أن شبت الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ وحال ذلك دون مواصلة تنفيذ مشروعات الصرف إلى أن وضعت الحرب أوزارها فعادت الايدي وتناولت هذه الاعمال واتجهت أولاً الى اراضي الدلتا فبدئت مقترحات متعددة في شأن أفضل الوسائل التي تتبع لصرف هذه الاراضي الى ان تم تفضيل احدها وتتلخص فيما يأتي :—

قسمت أراضي الدلتا الى الاقسام الثلاثة الآتية : —

(١) القسم الاول — ويشمل أراضي شمال الدلتا وتبلغ مساحتها ... وهذه

لاراضي ذات منسوب واطيء ولا يمكن صرفها الاّ بالآلات لذلك تقرر انشاء ثماني عشرة محطة طلمبات فرعية لصرفها على أن تستمد هذه المحطات التيار الكهربائي اللازم لادارتها من ثلاث محطات رئيسية بالعطف وبلقاس والسرو . ولقد تمت اقامة المحطات الرئيسية وأغلب المحطات الفرعية

(٢) القسم الثاني — ويشمل الاراضي التي تلي المنطقة السابقة جنوباً وتبلغ مساحتها حوالي المليون فدان أيضاً.ومناسيب هذه الاراضي أعلى من الاراضي الشمالية وتخترقها شبكة من المصارف الفرعية تصرف مياهها في أخرى رئيسية وهذه تصب بالراحة أما في البحيرات الشمالية أو في البحر.وينبغي لتحسين صرف أراضي هذا القسم زيادة عدد المصارف الفرعية لتتمتع جميع الاراضي بطرق صرف وافية

(٣) القسم الثالث — ويشمل أراضي صدر الدلتا العالية . وكان المتفق عليهِ فيما سبق أنها سوف لا تحتاج الى وسائل الصرف . الاّ ان استمرار ريها بالراحة أثر فيها وبدأ الفساد يتطرق اليها كما بدأت الاملاح تظهر فوق سطحها . وأظهر الادلة على ذلك ما شوهد من فساد أراضي مديريتي المنوفية والقليوبية وقد كانت حتى سني الحرب أغنى أراضي مصر الى أن عمها نظام الري بالراحة تخفيفاً للعبء الذي كان ملقى على عاتق الاهلين في ري أراضيهم بسبب ارتفاع ثمن الوقود اللازم لادارة طلمباتهم في فترة الحرب . ودعا ري هذه الاراضي بالراحة وعدم وجود المصارف اللازمة لها الى فساد تربتها وقلة غلتها حتى اضطر رجال الري أخيراً الي توجيه جهودهم الى العمل على امداد هذه المناطق بوسائل الصرف اللازمة . ولقد سار تنفيذ مشروع صرف اراضي المنوفية مرحلة طويلة .ولا تلبث ان تتم دراسة مشروع صرف أراضي القليوبية ويبدأ في تنفيذه . ولو أنني أعتقد ان الحل الحقيقي لتحسين حالة اراضي هذا القسم هو ارجاع طريقة الري بالآلة التي كانت متبعة في ري هذه الاراضي حتى سني الحرب

اما اراضي مصر الوسطى فيخترقها مصرف واحد تطلق عليهِ أسماء متعددة في أحباسه المختلفة وتصب فيهِ المصارف الفرعية التي تشق هذه الاراضي ويصرف هو مياهه في رياح البحيرة وتصله في بعض طوله وصلات بالنيل ليصبَّ فيه مياهه اذا سمحت مناسب النيل بذلك .كما تصله وصلات أخرى ببحر يوسف لنفس الغرض السابق . وتحتاج أراضي مصر الوسطى الى تحسين وسائل الصرف فيها وهو ما يقوم رجال الري في الوقت الحاضر بدراسته والمأمول أن يبدأ تنفيذه في القريب العاجل

يتبقى بعد ذلك أراضي الحياض في الوجه القبلي وهي التي ستحول الى نظام الري المستديم وهذه الاراضي سيراعى في تنفيذ المشروعات بها أن تسير أعمال الصرف جنباً الى جنب مع اعمال الري حتى لا يأتي ذلك الوقت الذي تبدو عليها فيهِ آثار الفساد نتيجة استمرار ريها وعدم امدادها بوسائل الصرف

نفقات الاعمال

وأود في هذا الجزء الاخير من محاضرتي أن أذكر لكم المبالغ التي يجب على مصر ان تنفقها حتى [illegible] المشروع المقترح في أراضيها الزراعية

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثاني من المجلد الرابع والثمانين

١ فبراير سنة ١٩٣٤ — ١٦ شوال سنة ١٣٥٢

علم الطبيعة بين عهدين

التحوّل في النظر الكوني

بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين

اكتب هذه الكلمة وأمامي صورة لافوازييه العالم الفرنسي العظيم الذي حزّت عنقه بمقصلة الثورة الفرنسية، بحجة ان زعماءها لا يحتاجون الى العلماء . كان لافوازييه أول من فسر تفسيراً صحيحاً فعل « الاحتراق » من الوجهة الكيمائية ، على انه اتحاد المادة المحترقة بالاكسجين . هذا الرجل الفرنسي العبقريّ ، لايزال مذكوراً في كتب الطبيعة والكيمياء ، ببحثهِ الاماميّ في ناموس حفظ الطاقة والمادة ، وهو من الاركان التي قام عليها علم الطبيعة في القرن التاسع عشر

وقد انقضت نحو مائة واربعين سنة ، على تلك المأساة التي فقد فيها هذا العالم رأسه، ونحن اذا تطلعنا حوالينا الآن وجدنا اننا في عالم جديد من علمي الطبيعة والكيمياء فقد انقضت حاسة الاستقرار، في هذين العلمين ، كأنهما كانا مضربين في الصحراء ، فهبت عليهما ريح عاتية اقتلعتهما وتركتهما مسفى رمال . ولو انهُ اتيح للعالم لافوازييه ان يعود الى الارض من نحو ربع قرن او ثلث قرن فقط ، لما رأى في علم الطبيعة شيئاً يتنكر له . كان لا بدَّ له ان يجد حقائق جديدة ، ومستنبطات كثيرة ، لكنه ما كان يستطيع ان يتبين تحولاً في الاصول التي يقوم عليها العلم

ولم يعرف لك مكان . ولم يهتد الى مقرك بسرّ الطلاسم السحرية . لا بيت رحيباً يكفيك .
مد يطلع على ضميرك . ان ذراري اولادك تنشرح منك . لانك تحكم كملك اوامره نافذة
يع اهل الارض . يتجلى في مشهد من سكان اهل الجنوب وسكانٍ اهل الشمال . وهو الذي
، فيجفف دموع الاعين ويفيض باحسانانه . اينما وجدت حلت الافراح وانشرحت
ور واخذ التمساح يثب سروراً لان طائفة المعبودات المصاحبة لك اعدت كل شيء واخذ الفيضان
، الحقول ويجعل جميع الناس في تهامة . وكل يروي بدون نزاع . فاذا دخلت كنت عاطاً
في . واذا خرجت صاحبك التهليل . واذا رقصوا فرحاً يوم ظهورك من غياهبك فما ذلك الاّ
ن عجزك اضمحلال لهم وفساد . ومتى تضرعوا اليك لينالوا الماء السنوي شوهد اهالي مصر
لى واهالي الوجه البحري مصطفين بعضهم بجانب بعض وشوهد كل امرىء حاملاً بعدد صنعته
نزوي احد وراء جاره . ولا يلبس احدٌ ملابس الاعياد . ولا يتحلى بحليّ . وطائفة المعبودات
ة تلبث في ظلمة . لكن متى منحت الزيارة تعطر كل انسان . انت منبت الارزاق الحقيقية
ي رغبة الناس . هذا هو كلام الالتماس الذي يجعلك محبباً لدعائهم . اذا تكرمت بلجج المحيط
ي على الانسانية قدم إلهالحبوب (نبرا) قربانه وتهجدت لك كل المعبودات ولم تنزل الطيور
الجبال . ومتى عجنت يداك شيئاً صار ذهباً او طوبة صارت فضة . نعم لا يؤكل اللازورد .
القمح افضل من الاحجار الكريمة . لقد شرعوا ينشدون على الناس ويرتلون لك ويصفقون
رار لتبتهج من اجلك ذراري اولادك وليكثروا من اجلك اناشيد المدح كيف لا والنيل هو
ثروة الذي يحسن الاراضي ويكثر السفن في عيون الناس . وهو الذي يحيي قلوب النساء
، ويحب كثرة الحيوانات . اذا ما ارتفعت في عاصمة الامير شبع الغني وعني الصغير الوطس
كل شيء ثابتاً وجيداً للغاية ووجدت جميع الحشائش لاولادك ، ولو اغفلت عن اعطاء الغذاء
السعادة من المساكن وحلّ بالارض الضعف الشديد

ولعلّ اقدم رسم للنيل هو الوارد في لوح العاج للملك مينا اول ملوك الاسرة الاولى
بالعرابة يرجع تاريخه الى حوالي (٣٤٠٠ سنة ق . م .) تشاهد عليهِ نقوش تعتبر من اقدم
ش الهيروغليفية المعروفة للآن . وهو مقسم الى اربعة اقسام . فالقسم العلوي يحوي في طرفه
ر رسم الباز الملكي الخاص بالملك مينا وفي طرفه الايمن رسم معبد منصوب في حوشه
معبودة (نيث) وتعلو هذا الرسم سفينة . اما القسم الثاني فيشاهد في طرفه الايسر الملك
على وعاء من « مزيج الذهب والفضة » ومقدماً القوابين اربع مرات . ونشاهد في الطرف

واستخدمت مياهه لاستصلاح حوالي ٣٠٠٫٠٠٠ فدان من الاراضي البور في الوجه البحري وتحويل نحو ٤٥٠٫٠٠٠ فدان من حياض الوجه القبلي الى الري المستديم . فاذا قدرنا ان ما انفقتهُ الحكومة في عملية تحويل الاراضي الحوضية كان بمعدل ١٢ جنيهاً للفدان . وفي شق الترع والمصارف للاراضي البور خمسة جنيهات للفدان . وان ما صرفهُ الاهالي في الاراضي الحوضية كان بمعدل ٤ جنيهات للفدان وفي الاراضي البور ١٢ جنيهاً للفدان فان جملة النفقات تكون : —

(١) — ما أنفقتهُ الحكومة

[illegible] انشاء الخزان وتعليته الاولى	٤٫٥٥٠٫٠٠٠	جنيه
تحويل الحياض ٤٥٠٫٠٠٠ × ١٢	٥٫٤٠٠٫٠٠٠	«
استصلاح البور ٣٠٠٫٠٠٠ × ٥	١٫٥٠٠٫٠٠٠	«
	١١٫٤٥٠٫٠٠٠	«

(٢) — ما أنفقهُ الاهالي

[illegible] الحياض ٤٥٠٫٠٠٠ × ٤	=	١٫٨٠٠٫٠٠٠	جنيه
استصلاح البور ٣٠٠٫٠٠٠ × ١٢	=	٣٫٦٠٠٫٠٠٠	«
		٥٫٤٠٠٫٠٠٠	«
[illegible] النفقات	=	١٦٫٨٥٠٫٠٠٠	«

[illegible] زادت قيمة الاراضي البور بعد استصلاحها بمعدل ٧٠ جنيهاً للفدان وارتفعت اثمان [illegible] الحوضية بعد ان تم تحويلها بمعدل ٥٠ جنيهاً للفدان وبذلك تكون الفائدة التي عادت على [illegible] من التوسع في المساحات المذكورة : —

[illegible] ٤٥٠٫٠٠٠ × ٥٠ =	٢٢٫٥٠٠٫٠٠٠	جنيه
[illegible] ٣٠٠٫٠٠٠ × ٧٠ =	٢١٫٠٠٠٫٠٠٠	«
	٤٣٫٥٠٠٫٠٠٠	«

[illegible] فائدة أخرى عادت من هذا التوسع بزيادة الايراد السنوي الذي تأتي بهِ الاراضي الجديدة [illegible] والتي حولت للري بنظام الري المستديم فاذا قدرنا الزيادة في ايراد اراضي الحياض [illegible] بمعدل ٣ جنيهات للفدان سنويًّا وان قيمة ايراد الفدان البور بعد استصلاحهِ بمعدل [illegible] للفدان سنويًّا وهي أرقام متواضعة كانت الزيادة في الايراد كما يأتي : —

[illegible] ٤٥٠٫٠٠٠	٣ =	١٫٣٥٠٫٠٠٠	جنيه
استصلاح الاراضي البور ٣٠٠٫٠٠٠	٥ =	١٫٥٠٠٫٠٠٠	«
المجموع		٢٫٨٥٠٫٠٠٠	«

ومن هذه الارقام ترون ما لقيته البلاد من الربح بعد خزان اسوان وتستنتجون ما ستلقاه من وراء انفاقها على اعمال التوسع المستقبلة

تبلغ نفقات الاعمال التي يستلزمها الانتفاع بماء خزاني أسوان وجبل الاولياء ما يأتي : —

التعلية الثانية لخزان اسوان	٤٫٨٠٠٫٠٠٠ جنيه
انشاء خزان جبل الاولياء	٤٫٣٠٠٫٠٠٠ »
تقوية قناطر اسيوط	١٫١٠٠٫٠٠٠ »
تقوية القناطر الخيرية او انشاء قناطر جديدة	٣٫٢٠٠٫٠٠ »
انشاء قناطر على فرع رشيد بدل السد الترابي	٧٠٠٫٠٠٠ »
تعديل الري والصرف في الوجه البحري	١٣٫٠٠٠٫٠٠٠ »
استصلاح اراضي بور في الوجه البحري	٣٫٢٠٠٫٠٠٠ »
تحويل الحياض بالوجه القبلي	٦٫٥٠٠٫٠٠٠ »
اقامة المحطات الرئيسية والفرعية لصرف شمال الدلتا والخطوط الكهربائية اللازمة	٢٫٤٠٠٫٠٠٠ »
اقامة محطات الصرف الاخرى بالدلتا	٨٠٠٫٠٠٠ »
الصرف في مصر الوسطى	٢٫٣٠٠٫٠٠٠ »
الملاحة	٧٠٠٫٠٠٠
	٤٣٫٠٠٠٫٠٠٠ »

أي ان مجموع نفقات هذه الاعمال يبلغ ٤٣٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه ينتظر ان تصل قيمة ما يصرف منها لغاية السنة المالية الحالية حوالي ١٣ مليون جنيهاً والباقي هو ما يلزم صرفه في مدى العشرين السنة القادمة بمعدل سنوي متوسطه حوالي ثلاثة ملايين جنيه في الثلاث السنوات الاولى ومليونان في التسع السنوات التالية ثم يهبط هذا المتوسط الى حوالي ٣٠٠٫٠٠٠ جنيه في السنوات الباقية

وتقدر قيمة الاعمال التي يستلزمها التوسع في المرحلة الثانية أي بعد سنة ١٩٥٣ ما يأتي : —

انشاء خزان تسانا	٢٫٧٠٠٫٠٠٠ جنيه
» قناة السدود	١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ »
» خزان بحيرة البرت	٣٫٠٠٠٫٠٠٠ »
» » » كيوجا	٢٫٠٠٠٫٠٠٠ »
تقوية قناطر اسنا	٨٠٠٫٠٠٠ »
استصلاح اراضي بور شمال الدلتا	١١٫٠٠٠٫٠٠٠ »
تحويل باقي الحياض بالوجه القبلي	٩٫٠٠٠٫٠٠٠ »
	٣٨٫٥٠٠٫٠٠٠ »

أي ان مجموع ما ستصرفهُ الحكومة على اعمال التوسع حتى آخر القرن الحالي تربي على ٨٠ مليون من الجنيهات . ولا شك ان البلاد ستجني من وراء تنفيذ هذه الاعمال أضعاف ما تنفقهُ عليها . ولو اننا رجعنا الى ما صرف على خزان أسوان منذ انشائهِ الى تعليته الاولى وقدرنا الفائدة منهُ لوجدنا أنهُ عاد على البلاد بالربح الوفير . واني أضع أمامكم فيما يلي موازنة بين النفقات التي صرفت على هذا الخزان والفوائد التي جنتها البلاد منهُ : —

بلغت نفقات انشاء الخزان	٣٫٠٥٠٫٠٠٠ جنيه
» » تعليته الاولى	١٫٥٠٠٫٠٠٠ »
	٤٫٥٥٠٫٠٠٠ »

واستخدمت مياهه لاستصلاح حوالي ٣٠٠ر٠٠٠ فدان من الاراضي البور في الوجه البحري وتحويل نحو ٤٥٠ر٠٠٠ فدان من حياض الوجه القبلي الى الري المستديم . فاذا قدرنا ان ما انفقتهُ الحكومة في عملية تحويل الاراضي الحوضية كان بمعدل ١٢ جنيهاً للفدان . وفي شق الترع والمصارف للاراضي البور خمسة جنيهات للفدان . وان ما صرفهُ الاهالي في الاراضي الحوضية كان بمعدل ٤ جنيهات للفدان وفي الاراضي البور ١٢ جنيهاً للفدان فان جملة النفقات تكون : —

(١) — ما أنفقتهُ الحكومة

نفقات انشاء الخزان وتعليته الاولى	٤ر٥٥٠ر٠٠٠ جنيه
تحويل الحياض ٤٥٠ر٠٠٠ × ١٢	٥ر٤٠٠ر٠٠٠ «
استصلاح البور ٣٠٠ر٠٠٠ × ٥	١ر٥٠٠ر٠٠٠ «
	١١ر٤٥٠ر٠٠٠ «

(٢) — ما أنفقهُ الاهالي

تحويل الحياض ٤٥٠ر٠٠٠ × ٤	=	١ر٨٠٠ر٠٠٠ جنيه
استصلاح البور ٣٠٠ر٠٠٠ × ١٢	=	٣ر٦٠٠ر٠٠٠ «
		٥ر٤٠٠ر٠٠٠ «
فيكون مجموع النفقات	=	١٦ر٨٥٠ر٠٠٠ «

وقد زادت قيمة الاراضي البور بعد استصلاحها بمعدل ٧٠ جنيهاً للفدان وارتفعت اثمان الاراضي الحوضية بعد ان تم تحويلها بمعدل ٥٠ جنيهاً للفدان وبذلك تكون الفائدة التي عادت على ثروة البلاد من التوسع في المساحات المذكورة : —

(١) تحويل الحياض ٤٥٠ر٠٠٠ × ٥٠ =	٢٢ر٥٠٠ر٠٠٠ جنيه
(٢) استصلاح الاراضي البور ٣٠٠ر٠٠٠ × ٧٠ =	٢١ر٠٠٠ر٠٠٠ «
	٤٣ر٥٠٠ر٠٠٠ «

وهناك فائدة أخرى عادت على هذا التوسع بزيادة الايراد السنوي الذي تأتي بهِ الاراضي الجديدة التي استصلحت والتي حولت لتروى بنظام الري المستديم فاذا قدرنا الزيادة في ايراد اراضي الحياض التي تم تحويلها بمعدل ٣ جنيهات للفدان سنويًّا وان قيمة ايراد الفدان البور بعد استصلاحهِ بمعدل ٥ جنيهات للفدان سنويًّا وهي أرقام متواضعة كما ترون لكانت الزيادة في الايراد كما يأتي : —

(١) تحويل الحياض ٤٥٠ر٠٠٠ × ٣ =	١ر٣٥٠ر٠٠٠ جنيه
(٢) استصلاح الاراضي البور ٣٠٠ر٠٠٠ × ٥ =	١ر٥٠٠ر٠٠٠ «
المجموع	٢ر٨٥٠ر٠٠٠ «

ومن هذه الارقام ترون ما لقيته البلاد من الربح بعد خزان اسوان وتستنتجون ما ستلقاه من وراء انفاقها على اعمال التوسع المستقبلة

مصطلحات علم النفس

ومشكلة ترجمتها وتعريبها

لمحمد مظهر سعيد
استاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية اصول الدين

٣ — الفكر والتفكير

يجد المتتبع لترجمة مصطلحات هذا الموضوع الهام في علم النفس نوعاً جديداً من التخبّط في المؤلفات العربية . فقد اتفق الكتّاب والادباء والمؤلفون والمترجمون على اتخاذ كلمة فكر او تفكير ترجمة لكلمتي Thought و Thinking الانكليزيتين ولكنهم تخبطوا في تحديد معنى العمليات العقلية التي يصح ان يطلق عليها كلمة تفكير ، تخبطاً يستحيل معهُ على الباحث ان يعرف بالضبط حدود هذه العملية ووظيفتها والفوارق الجوهرية التي تميزها عن غيرها من وظائف العقل . فالادباء والكتّاب من ناحية اطلقوا كلمة التفكير من غير قيد او تحديد ، على كل عملية يقوم بها العقل سواء أكانت مجرد تذكر حادثة قديمة او استحضار صورة ذهنية لشيء معروف او التأمل في امر يتمناه الانسان ويشتهيه او يشعر نحوه شعوراً خاصًّا او تدبُّر مستقبله وكيف يرجو ان يكون من غير ادنى تفريق بين ما هو حاضر امامهُ يدركه بحواسه وما هو غائب عنهُ يعرفهُ بصورته او ذكراه . فأصبح المعنى الدارج يتضمن كل سانحة شاردة وكل ذكرى تافهة . وكل حلم من احلام النهار واليقظة . وكل ما يترى في الذهن من حلقات متنافرة متناثرة غير منسجمة ولا متصلة ليست من التفكير الصحيح في شيء

وخطا رجال التربية وعلم النفس خطوة قصيرة فأطلقوه من ناحية اخرى على الفكرة التي تخطر في الذهن عن شيء او شخص لا يكون موجوداً ولا يدركه العقل عن طريق الحس كالذكريات والصور والخيالات — ونحا بعضهم نحو قدماء علماء النفس في الغرب فاعتبروا التفكير مرادفاً لمراتب الادراك المختلفة من ادراك المحسوسات الى العلاقات بين المواقف المحسوسة الى الاستقراء والملاحظة فالتجريد والتعميم والقياس الى التعليل في حين ان لكل من هذه العمليات العقلية شخصيتها التي تحتفظ بها وان اندمجت معاً في المواقف العقلية المعقدة . وسيتضح للقارئ من هذه التعليقات انهم الى جانب هذا اطلقوا الفكر او التفكير [illegible] التفكير [illegible] تتصل صلة كالتحصيل والحفظ والاستدلال [illegible]

تكون ... وليقاً ولكنها ليست منهُ كالفهم وادراك المعنى والعلاقات وادراك الكليات

١ — يقول المرحوم الشيخ شريف (ص ٣٥) الفكر هو قوة للنفس تتمكن بها مع استخدام العقل من الحصول على المعارف وحفظها واستحضارها (وهذا يقصد بهِ الذاكرة . وغريب جداً ان يفرق بين العقل والفكر)

٢ — ويقول الجارم (ص ٩٧) توجيه النفس وحصر « الفكر » في الحادث (وفي ص ٩٨) الانتباه توجيه « الفكر » وحصره فيما يعرض عليهِ من الاشياء (فهو في الاولى يقصد الانتباه وفي الثانية الشعور جملة)

٣ — ويقول قنديل (ص ٧٥) عند المقارنة بالتخيل : التفكير هو تكوين رأي في الصورة. فهو يشمل الصورة وما تدل عليهِ من حيث معناها وقيمتها (وأفهم من هذا انهُ يقصد التصور ولكني لست افهم معنى الحكم على الصورة الآ اذا قصد بها المشكلة او الموقف الذي يفكر فيهِ الانسان وهذا ليس صورة . لأن الصورة الذهنية لا تتطلب حكماً)

٤ — ويقول الجارم (ص ١٠٧) وهو يمثل لضعف الارادة : كأن يظل الطفل مشتت الفكر (ومعنى الفكر هنا غير واضح على الاطلاق وكذلك العلاقة بين الفكر والارادة)

٥ — ويقول الشيخ شريف (ص ٩) — حركة النفس في فهم حقائق الاشياء ونسبها تسمى فكراً (وهذا يتضمن المعنى الصحيح للتفكير لولا انهُ استخدم كلمة الفكر بدون توضيح)

وفي (ص ٧٣) : أثر القوة الفكرية في تدبر المعاني (ومعنى تدبر هنا غير واضح على الإطلاق) وزاد الامر تعقيداً بقوله (ص ٧٧) اسناد الاشياء بعضها لبعض يسمى حكماً او تعقلاً او تفكراً او تصرّف الخ

٦ — ويقول قنديل (ص ١٥٨) التفكير هو موازنة شيء بغيره لادراك ما بينهما من علاقات قريبة او بعيدة . او ادراك ما بين الاشياء بعضها وبعض من اوجه الشبه (وقصر التفكير على خطوة واحدة من خطواتهِ وهي ادراك العلاقات والاقتصار في العلاقات المدركة على مجرد الشبه والتشابه نقص كبير)

٧ — وحدد (في ص ١٥٨) انهُ عملية ادراك الكلي نفسها وهذا تحديد غريب في بابهِ لان ادراك الكلي هو مجرد خطوة من خطوات التفكير وليس التفكير كله

اما التعليل Reasoning وهو نوع من انواع التفكير يقصد بهِ البحث عن علة الاشياء او اسباب المواقف فلم يحددها واحد منهم غير واصف بك فقد ترجها في قاموسه بالقياس الفكري او النظر ولكنهُ قصر التعليل بهذه الترجمة على القياس واخرج الاستقراء الذي هو خطوة هامة من خطوات التعليل . فهل يستطيع القارىء الذي لم ينل قسطاً كبيراً من دراسة علم النفس الحديث في المراجع الغربية بلغاتها الاجنبية ان يعرف بالتحديد معنى التفكير والفوارق الجوهرية بين هذه العملية الهامة وغيرها من العمليات العقلية

ولكننا ... كل العذر للمؤلفين والمترجين . فقد وقع علماء الغرب الذين نقلوا

عنهم في نفس هذا الخطأ حتى ادرك المحدثون ان التفكير الصحيح لا يتعين فيه ان تتوالى الوحدات بعضها وراء بعض وتتعاقب وترتبط مجرد ارتباط لحسب . بل لابد لها ان ترتبط ارتباطاً محكماً بحيث تستند كل خطوة الى سابقتها . وتحدد التي تأتي بعدها فتكون حلقة متصلة في سلسلة الافكار . وكذلك لا يكون مجرد التأمل في شيء غير حاضر الحس تفكيراً . فقد يتخيل المرء حادثة منسجمة الاتصال . مترابطة الاجزاء كما يفعل القصصيون والروائيون من غير قصد اثبات شيء او نفيه او الاعتقاد في حقائق او نظريات او التصرف في موقف «عن طريق ايجاد العلاقات الصحيحة بين اجزائه حتى نستطيع الحكم عليه جملة في حدود هذه العلاقات التي يصبح الموقف بدونها عديم المعنى»[١]

فالتفكير بمعناه الحديث — الذي حدده الفيلسوف الامريكي جون ديوى وعنهُ اخذت المدارس الحديثة — «هو العملية العقلية التي يقوم بها العقل عند شعوره بأنهُ يواجه موقفاً معقداً غير مألوف لديه او مشكلة جديدة تتطلب منهُ ان يتصرف تصرفاً خاصاً مقيداً بالظروف والعلاقات القائمة فعلاً — او التي يستنبطها العقل — بين اجزاء هذا الموقف . او بين هذا الموقف وموقف آخر يتصل بهِ او يماثله»[٢] .وبعبارة اخرى «هو عملية عقلية يكيف بها الانسان نفسه حتى يتصرف في الموقف الذي يجدّ لهُ ويشعر المفكر ذاته بهذه الملاءمة ولو كان الموقف حسياً بحتاً»

فالاصل في التفكير اذن وجود مشكلة متشعبة الاطراف لها حل واحد او جملة[٣] حلول يجدها العقل او يفضل واحداً منها على البقية — او حالة ارتباك وشك تدفع العقل الى محاولة ايجاد مخرج منها او الوصول الى نظرية او رأي او مشروع تحل بهِ عن طريق البحث وكشف الحقائق التي تساعد على الوصول الى الحل

وعلى وجه العموم لا يصح لنا أن نسمي العملية العقلية تفكيراً الا اذا تضمنت العناصر الآتية :

(١) — الشعور بضرورة التصرف في المشكلة القائمة (٢) — تقدير القيم النسبية للموقف واجزائه وادراك ما بينهما من علاقات وتحليل الموقف لاستخلاص نتيجة معينة (٣) — الحكم على الموقف او الموضوع بالصحة او البطلان

وفي ضوء هذا الرأي يصح ان نعتبر ان التفكير يتم في كل مستويات الادراك وليس هو بقاصر على مستوى ادراك الكليات كما كان يقول قدماء علماء النفس والمنطق . ففي مرتبة الادراك الحسي يكون موضوع التفكير خاصاً محدوداً مميزاً وفي الادراك الكلي يكون معقداً متناولاً لمجموعات كاملة او كليات مجردة عن الحس وهو كذلك يتضمن كل عمليات المقابلة وفرض الفروض والتجربة والتعليل والحكم التي كانت ولا تزال تعتبر في المنطق عمليات قائمة بذاتها

فاطلاق ترجمة التفكير على الاحساس والتذكر والتصور والخيال خروج عن الموضوع — وعلى مجرد ادراك العلاقات او الكلي او الحكم والتعليل تقييد مخل لا معنى له — وعلى الفهم والتأمل توسع غير مقبول . ومن شاء المزيد فليقرأ كتابي في الادراك والتفكير « علم النفس النظري والتعليمي »

(١) Dewey : Mind & its Education (٢) Dewey : How We Think

بماذا تتفوق السلالات

أبالدم تفوقها ام بالبيئة

على ذكر القول بتفوّق السلالة النوردية

يختلف اثنان في ان السلالة النوردية — السلالة التي تنطوي تحتها شعوب اوربا الشمالية —
يمة ولها مكانة خطيرة في تاريخ الحضارة ولكن اذا ادّعى احد بأن السلالة النوردية هي
لالات البشرية على الاطلاق ، وان جميع الحضارات الراقية من بنائها ، هبّ غير واحد من
بدّي هذا القول وردّه
هذه الاقوال المتطرفة ، وخاصة اذا ارسلت باسم العلم ، دليل على ان شؤون الحياة العاطفية ،
ل عن ميزانهِ العادل . فاذا كنا نورديين وقيل لنا القول المتقدم عن تفوق السلالة النوردية ،
حتهِ ، لانهُ يرضي في نفوسنا ، عزتها وكرامتها ، فاذا نحن اقتنعنا بتفوق سلالتنا الخاصة ،
نا الخاصة ، او بلادنا الخاصة ، صار من السهل علينا ان نستنبط الادلة ، التي تؤيد هـذا
حتى العلماء ، يتعرضون لمثل هذا المزلق الخطير . فنهم من يرى رأياً علميّاً ، ويقتنع بهِ ،
حث عن الادلة التي تؤيدهُ ، ولو كان يحتاج الى كثير من العنت في سبيل ذلك
ي في الدعوى القائمة على تفوق السلالة النوردية شيء جديد ، بل هي ناحية جديدة من
رى في خلال القرن التاسع عشر مؤداه ان بعض طوائف من الناس لها حق منزَل في ان
لوائف الاخرى . ومن قبل ذلك احسّ المؤلف الانكليزي دانيال ديفو مؤلف رواية
كروزن بانهُ مطالب من قبل نفسه ، بل ومن قبل الحق والعدل ، بأن يهبّ الى السخرية من
الرأي الذي يرمي الى تبوىء سلالة معينة المكانة العليا في تاريخ الانسانية كأن هذه المكانة
من طريق الوضع الالهي . ولكن العواطف الانسانية قوية لتأصلها في الطبيعة البشرية ،
، صوت العقل ونوازع المنطق ، فتبدو نظرية « التفوق العنصري » او « تفوّق سلالة
رة بعد اخرى في خلال عصور التاريخ مع ان العقل والعلم لا يؤيدان الاركان الواهية التي

ونحن الآن نشهد انبثاق هذه الفكرة او هذه النزعة من جديد بعدما كنا قد [illegible] اليها في اواخر القرن التاسع عشر

ونظرية « التفوق النوردي » هي فرع من نظرية التفوق الآري (اي تفوق الشعوب الآرية) التي كان زعيمها ذلك الارستقراطي الفرنسي كونت جوزيف أرثر ده جوبينو الذي توفي سنة ١٨٨٢ . فهذا جوبينو هذا ، ذهب الى ان الشعوب الآرية وحدها دون غيرها هي التي خلقت كل ما له قيمة في الحضارة ، وحافظت عليه . وفكرة وجود سلالة آرية ، نشأت من تشابه اللغات الهندية الاوربية ، مما حدا الى القول ، بانها جميعها ترتد الى اصل واحد ، هو اللغة الآرية . والقول بتفرع اللغات الهندية الاوربية من اللغة الآرية ، قول له سند علمي صحيح . اما ما ذهب اليه جوبينو من ان وجود لغة آرية اصلية — تفرعت منها اللغات الهندية الاوربية — يقتضي كذلك وجود سلالة آرية فقد كان وهماً من الاوهام

فلما خلقت هذه السلالة الموهومة على الطريق المتقدم ، أُسندت اليها جميع الفضائل ، وقيل انها منبع جميع الحضارات العالية ، من قديم الزمان الى حديثه ، . وقيل ان النورديين ، هم سلالة الآريين الذين توطنوا شمال اوربا في القِدَم ، ومنهم الشعوب التوتونية والانجلوسكسونية . ومع ذلك لم يستطع احد من العلماء ان يأتي بسند علمي واحد ، على ان السلالة الآرية كانت موجودة حقيقة ، إذ ليس ثمة علاقة حتمية ، بين اللغة والسلالة . « فالآرية » لغة ، واستعمالها للدلالة على سلالة معينة — كما يستعملها الالمان اليوم — ليس له مسوّغ علمي واحد

اما الشعوب النوردية فلا يعلم اصلهم على وجه التحقيق ، بل ليس من المؤكد انهم ينتمون الى سلالة صريحة النسب

ومهما يكن من اصل الشعوب النوردية ، فلا ريب في انهم كانوا شعوباً جمة النشاط . ثم لا ريب كذلك في ان دماءهم التي اختلطت في فترات مختلفة من التاريخ بدماء بعض الشعوب في اوربا الجنوبية ، كان لها أثر كبير في ارتقاء جنوب اوربا . ولكن هذا القول يمكن أن يطلق على شعوب مختلفة . فان اختلاط شعبين ، من سلالتين مختلفتين ، اذا كان الشعبان نشيطين متفوقين في استعدادهما الحيوي والذهني ، لا بدّ ان يسفر عن شعب جديد متفوق في الغالب على الشعبين اللذين نشأ منهما

وليس في امكان العلماء ، والعلم في حالته الراهنة ، ان يقولوا ، بان سلالة بعينها من السلالات ، او طائفة من سلالات ، متفوقة بطبيعة تركيبها ونشأتها على السلالات الاخرى . بل انهم لا يعرفون [illegible] بين السلالات هذه الفروق التي تجعل السلالة الواحدة متفوقة على الاخرى ، لانهم لم يستطيعوا حتى الآن مقاييس [illegible] . نعم لقد ابتدعت مقاييس الذكاء ، ولكن هذه المقاييس [illegible] [illegible] الذكاء ، وقلما نستطيع ان نقيس الذكاء الاصلي [illegible]

ومع ذلك تستمر خرافة تفوق السلالة النوردية فيقول اصحابها ان مجد اليونان عائد الى الشعوب النوردية التي غزت بلاد اليونان ، وان روما استطاعت ان تحافظ على عظمتها طوال ما احتفظت بدمها الآري نقياً غير مدخول ، وان قيام الحضارة الاسبانية يعود الى دماء القوط الذين غزوها ، وان انحطاطها بدأ لما اختلط هذا الدم بدماء الشعوب الاخرى ، وان عصر الاحياء في القرون المتوسطة وما بعدها كان ظاهرة نوردية بحتة

***

فلننظر الآن في المبادىء التي تقوم عليها هذه الدعوى . اي صحة في قول القائل بان اليونان والرومان والاسبان كانوا نورديين صراح النسب لما كانوا في اوج عظمتهم ؟ من الصعب ان تعين العناصر المختلفة التي تدخل في بناء امة من الامم في فترة ما من فترات تاريخها ولكننا نستطيع ان نتيقن من شيء واحد ، وهو ان الحروب والغزوات والفتوحات المختلفة قبل عهد التاريخ المدوّن ، وفي فجر التاريخ ، كانت من بواعث اختلاط الشعوب بعضها ببعض وان دماء سكان اوربا في عهد اليونان ثم في عهد الرومان لم تكن صريحة من ناحية السلالة على الاطلاق . والقول بان الشعوب الرومانية واليونانية كانت صريحة السلالة لا تقوم الا على الرغبة في تصديق هذا القول . وليس لها اي سند من المباحث الانثربولوجية . فالعلامة دكسون يقول ان الاسبرطيين — وهم في نظر دعاة النوردية شعب نوردي حر — من الشعوب الالبينية . وكذلك الاوترسكانيون كانوا يحسبون نورديين ولكن هرتز يقول في كتابه « السلالة والحضارة » ما يأتي : « وثمة حقيقة واحدة ثبت ان لا ريب فيها وهي ان هؤلاء القوم لم يكونوا من النورديين ولا من الهنديين الجرمانيين Indo—Germans »

ومجرد التناقض بين دعاة « النوردية » يكفي للقضاء على مكانتها من الوجهة العلمية . فبعضهم يحسب ان النهضة او الاحياء في ايطاليا ، نتيجة لاختلاط الدماء التوتونية بدماء الايطاليين في عصر انحلالهم . أما ده جوبينو ، وهو منشىء هذه الفكرة في القرن التاسع عشر ، فيؤكد ان النهضة (الرينيسانس) من آثار قوًى غير توتونية . وليس هذا بالمثل الوحيد على تناقضهم

***

قد يكون من الحمق ان تنكر اثر السلالة في نشوء الامم وارتقاء الحضارة ولكن من الصعب ان تفرق بين اثر السلالة وأثر العوامل الاخرى المتعددة في نشوء الامم وارتقاء الحضارة . على ان الذين يقولون بتفوق بعض السلالات على غيرها ، يتجاهلون هذه العوامل الاخرى ، كل التجاهل . فمن يقول بأن حضارة اسبانيا ترتد الى الدم النوردي ، وان انحلالها يرتد الى ضعف هذا الدم باختلاطه بدماء الشعوب الاخرى ، يغضي او يتغاضى ، عن أثر العوامل الاخرى في تقدم الحضارة الاسبانية [illegible] الجغرافية والاقتصادية على اختلافها . واذ جارينا اولئك على ما يقولون — ومعنى ان [illegible] حضارة اسبانيا — فكيف نستطيع ان نعلل ان حضارة العرب في اسبانيا ،

كانت مدى عهد طويل ، ارقى الحضارات الاوربية ؟ او هل نستطيع ان نقول ان المثاربة من اصل نوردي ؟ !

قد يكون من السهل ان تفند مزاعم « النورديين » . ولكن ليس من السهل ان نعلل ، تعليلاً وافياً ، قيام الحضارات وانحطاطها . فالمسألة معقدة كل التعقيد . وقد لا يمكن حلها على الاطلاق . وانما نستطيع ان نشير الى امر واحد ، يحملنا على الحذر في اصدار مثل هذه الاحكام . فشمال اوربا مضى عليه قرون عديدة ، وهو مباءة شعوب نوردية ، صريحة في نورديتها الى حد بعيد ، ولكن شمال اوربا هذا ظل غير متمدن ، بمعنى التمدن الحديث الى عهد قريب في التاريخ . بل انك لا تستطيع ان تدعي ان حضارة ابتدعت في شمال اوربا . وان النورديين لم ينشئوا قط حضارة خاصة بهم مميزة لهم ، في موطنهم هذا . فهل كانوا عاجزين عن ذلك ؟

اننا نعلم ان الحضارة بدأت اولاً في اقاليم جنوبية ، تقطنها سلالات غير السلالة النوردية — في الهند والعراق ومصر وكريت — هذه البلدان كانت مواقع الحضارات الاولى . ثم انتقلت الحضارة رويداً رويداً من شرق بحر الروم الى اواسطه الى غربه ، ثم الى البلدان الشمالية . وكذلك لم يكن للشعوب النوردية اي شأن في ترقية الحضارة او ابتداع اصولها وأركانها ، قبل ان انتهت اليهم حضارات البلدان التي ذكرنا ، بعد مطافها الطويل من شرق بحر الروم الى غربه خلال العصور

واذا كانت السلالة هي العامل الوحيد ، او العامل الرئيسي في قيام الحضارة ، فلماذا ظل اولئك النورديون الشقر في شمال اوربا ، في حال الهمجية ، بينما كانت الشعوب الاخرى غير النوردية تخترع حروف الهجاء ، وتبني الامبراطوريات ، وتستكشف سطح الكرة ، وتربط بين اجزائها بروابط التجارة ؟ ثم كيف نعلل تقلدهم — اي النورديين — زعامة الحضارة بعد همجية طويلة ، لم يتغير في خلالها تركيبهم العنصري ، تغييراً كبيراً ؟

***

كل هذه الامثلة تبين ما للعوامل الجغرافية والتاريخية من أثر في توجيه مصير الام . فالجزر البريطانية بموقعها الجغرافي كانت بعيدة عن تيارات التجارة والثقافة ، اذ كانت هذه التيارات محصورة في بحر الروم . فحال ذلك دون بلوغها مكانة عالية في شؤون العالم — قبل القرن الخامس عشر . فلما كشف كولمبوس اميركا وبدأ « العهد الاتلنتيكي » في تاريخ العالم اصبحت بريطانيا فجأة ، وكأنها

على خشبة المسرح العالمي

فموقعها في الطرف الشمالي الشرقي من المحيط الاتلنتيكي [illegible] خصها بامتيازات مكنت اهلها من تقلد الزعامة العالمية . [illegible] العالم لما كانت الحضارة محصورة في بحر الروم [illegible] أنه لما

السفن والملاحة بمصر

من صلاح الدين الى نابليون

للدكتور علي مظهر

— ٢ —

عصر الايوبيين وسلاطين المماليك

عنى سلاطين هذه الاسرة بأمر الاساطيل دفاعاً عن البلاد
ولما كان صلاح الدين وعصر الايوبيين للاسطول ديواناً وعين له
التي كانت الفرنج تغير عليها او تطمع في ذلك . وقد افرد صلاح الدين
عدة اقاليم وبلدان للانفاق عليه وكانت لهم اساطيل في البحر الاحمر كما كانت لهم في البحر
المتوسط الابيض

ويظهر مما ذكره المقريزي ان عناية صلاح الدين بالاسطول كانت اكثر من عناية خلفائه فقد
كانوا لا يفكرون في امره الا عند الحاجة وقلت العناية بذلك حتى طمع الفرنج في بلادهم وهاجموها
لما علموا بضعف البحرية الايوبية وسار الحال كذلك حتى ان كانت دولة المماليك الاتراك وعني
الظاهر بيبرس البندقداري بأمر الاسطول (٦٥٨ هـ) وتقدم بعمارة الشواني في الاسكندرية
ودمياط وكان يقوم على ذلك بنفسه وقد كانت بعض مراكبه تسير للفتح والغزو كما كانت تدافع
احياناً عن مصر وغيرها وعنايتهم كانت ضرورية لان اساطيل الروم كانت تجيء الى الثغور وتتعدى
على الاهالي بالسلب والنهب كما كانت تتعرض لسفن التجارة في البحر

وفي سنة ٩٠٤ هـ — سنة ١٤٩٨ م كانت سفن البرتقال قد اكتشفت طريق الهند مارة برأس
الرجاء الصالح يقودها فاسكو دو غاما ثم ارسل فرانسوى دالميدا وأخذت السفن البرتغالية تمخر بين
البصرة وعدن وتتعدى على سفن مصر والعرب التجارية وتنهبها وتستولى عليها واقتطع طريق الهند
عن مصر

ولما طلب السلطان مظفر شاه ملك كجرات والسلطان عامر ملك اليمن المساعدة من السلطان
الغوري (١) ارسل حسين سفينة حربية وجيوشاً كثيرة يقودها الامير حسين بك الكردي ٩١٣ هـ

كشفت الطريق البحرية الى الهند ، حول جنوب افريقيا ، فقد بحر الروم مكانته كسبيل للتجارة العالمية ، وانحطت المدن الايطالية ونقصت ثروتها

فاذا نحن تدبرنا كل هذا ، لم نستطع بحال من الاحوال ان نسند انحطاط ايطاليا ، الى عوامل السلالة والدم دون غيرها

***

ثم توالت المكتشفات والمخترعات ، فأضيف الى العامل الجغرافي في قيام الحضارات ، وارتقاء الامم ، عامل جديد . فالآلة البخارية والعصر الصناعي الذي تلاها ، احدثا انقلاباً سياسيًّا وتحولاً اقتصاديًّا . ففي خلال القرنين الماضيين كان تفوُّق الامم ، يكتسب في الغالب بمقدار ما تملكه من الطاقة المحركة (عدد الاحصنة البخارية) والقوة البخارية المحركة تعني حديداً وفحماً . فمن الحمق ان نتجاهل الحديد والفحم في درس تفوق السلالة النوردية ، وان نتكلم عن الدم فقط . وقد يكون من الصعب ، ان نعين مدى اثر الفحم والحديد ، في تاريخ بريطانيا والولايات المتحدة ، ازاء العوامل الاخرى ، ولكن الراجح انهُ لولا وجود مناجم الفحم الغنية في بريطانيا والولايات المتحدة ، لكان تاريخ القرنين الاخيرين غير ما كان

***

فتاريخ كل حضارة ، كحياة كل انسان ، تفاعل دائم بين الوراثة والبيئة . فالجغرافي يقدم عوامل البيئة ، وقد اشرنا الى بعضها . وليس الغرض من هذا المقال ان نقابل بينها ، وبين العوامل الاخرى ، وانما الغرض ان نثبت ان عوامل البيئة تعين حدوداً ، قد لا تستطيع الامة ان تتعداها . فشعوب المايا في اميركا المتوسطة انشأت حضارة عالية . ولكن القول بأنها شعوب منحطة لانها لم تعادل في حضارتها حضارة اليونان ، جهل وحمق . ذلك ان هؤلاء الناس انشأوا حضارة وهم لا يملكون حديداً ولا حيوانات لحمل الاعباء فبيئتهم لم تمكنهم من هذين العاملين المهمين

اننا لا ندري ما كان اليونان يستطيعون ان يفعلوا لولا الخيل والماشية والحديد . وهذا كلهُ ورثوه من شعوب اخرى . أما بيئة شعوب المايا فلم تتح لها هذه المزايا . ومع ذلك فبعض العلماء يقول ان شعوب المايا فاقت اليونان في بعض النواحي

وليس ثمة اية فائدة تجنى من هذه المقابلات . لانها لا تفيدنا شيئاً عن القوى الذهنية مجردة عن عوامل البيئة . فنحن لا نعلم البواعث على انحطاط حضارة المايا ولكن لا يحق لنا ان نسنده تحكماً الى ضعف اصيل في السلالة . والعلماء مختلفون في ذلك . فالاستاذ هنتنغتن مثلاً يسندها الى تغيّر الاقليم . وأدلته في هذه الناحية مقنعة . فالسلالة عامل واحد من عوامل الحضارة ، كالموقع الجغرافي والاقليم والتربة والحيوانات والنباتات والمعادن [عن السينتفك اميركان بتصرف يسير]

البحث عن الثروة المعدنية

بالقطر المصري

للدكتور حسن بك صادق[1]
مراقب مصلحة المناجم والمحاجر

سادتي : في البلاد رغبة ملحة تظهر واضحة عند كل مناسبة في اجتماعات مجالسنا النيابية وعلى صفحات جرائدنا ومجلاتنا وفي الاسئلة التي توجه الينا بين آونة واخرى من كل من يهتمون بشؤون البلاد الاقتصادية للوقوف على ثروة مصر المعدنية والمدى الذي يمكن الاعتماد عليها عند تقدير الثروة الأهلية العامة. والبلاد في هذه الرغبة خير قدوة في شخص مليكها المعظم فؤاد الأول الذي يحبو بعطفه الكريم جميع القائمين بشؤون التعدين في مصر ، وقد أولاهم عام ١٩٢٧ شرف زيارتهم في اماكنهم النائية والوقوف بنفسه الغالية على ما يبذلونه من جهود . وقد سنّ حفظه الله بتلك الزيارة سنّة اتبعها من بعده الكثيرون من اولي الامر فكانت لزياراتهم خير الثمرات

وليست هذه الرغبة للوقوف على ما قد يكون للبلاد من ثروة معدنية كمينة فحسب ، بل هو مظهر من المظاهر التي تجلت في السنين الاخيرة نتيجة ما نشعر به جميعاً من ان الزراعة وان كانت هي العماد الاكبر لثروتنا الاهلية والتي تتجه نحو انمائها اعظم جهودنا لا يجب ان تنفرد دون غيرها باهتمامنا بل يجب ان تتجه جهود بعض ابنائنا وجهة الصناعة والتجارة حتى تقوم مدنيتنا الحديثة على أساس استقلالنا في كل ما يمكن ان نستقل فيه من المرافق عن البلاد الاخرى

والثروة المعدنية من خامات ووقود علاقة وثيقة بمختلف الصناعات فلا تقوم لهذه قائمة الا اذا توافرت لها بعض ما يلزمها من خامات في داخل البلاد او كله

تلبية لهذه الرغبة وتطميناً لجميع من يهتمون بمرافق الدولة الاقتصادية ، رأينا ان نعرض على حضراتكم بياناً مختصراً للجهود التي بذلت فيما مضى وما يبذل في الوقت الحاضر وما يجب ان يبذل في المستقبل للوقوف على كنه الدفين من هذه الثروة في الاراضي المصرية وما يجب ان يتخذ من الاجراءات نحو استثمارها والاستفادة منها في اقامة صناعات مصرية لسد حاجة البلاد والتصدير

ولكي تقدروا تقديراً صحيحاً عظم هذه الجهود التي يجب ان تبذل في البحث نذكركم بأن مساحة القطر المصري تبلغ نحو ٢٤٠ مليون فدان منها ٧ ملايين فقط هي الاراضي الزراعية

(١) [illegible]

القابلة للزراعة في وادي النيل والدلتا اي ما لا يزيد عن ٢ في المائة من مجموع المساحة . اما السبعا
والتسعون الباقية فهي أراض صحراوية يعوزها الماء صعبة المواصلات غير مأهولة الا بالنذر اليسير من
البدو الرحل الذين لا يفقهون من أمور الحياة سوى رعي الابل والاغنام . فهذه المناطق الشاسعة
لا أمل لها في الحياة الا بقدر ما قد يوجد في بطون صخورها من ثروة معدنية دفينة

ولا شك أنكم تقدرون ان المجهود الذي يجب ان يبذل في فحص هذه القفار الشاسعة تحت هذه
العوامل القاسية يجب ان يكون مجهوداً جباراً منظماً متصلاً يستمر بغير كلل او ملل مدى سنين
كثيرة وبغير ان يكون لما يناله في أي مرحلة من مراحله من نجاح او اخفاق اي أثر في استمراره

هذا المجهود يتطلب من القائمين به أن يكونوا شديدي الثقة والايمان في المهمة التي القيت على
عواتقهم وأن يكونوا قد تزودوا من علوم التعدين والجيولوجيا احدثها . وان يكونوا ذوي أناة
وصبر على الشدائد ، ورضى بشظف العيش ، راضين بما قسم لهم قانعين بما ينال عملهم من نجاح
وان لم يعد عليهم شخصياً بربح مادي فعلى الاقل بالشعور أنهم يقومون نحو وطنهم بخدمة من
أجل الخدمات وأشرفها

ولا تقف صعوبة ظروف الصحراء عند حد عمليات البحث بل تلازم ايضاً عمليات الاستغلال
فوسائل العمل والنقل وتدبير الماء والوقود والعناية بالعمال وتغذيتهم بحاجتهم من ماء ومأكل ، كل
ذلك يتطلب ممن يقومون بتدبير شؤون العمل في المناجم المصرية حيلة واسعة لاستنباط وسائل
تجمع بين القصد في النفقات والكفاية للعمل . وقد يكون من ألذ الدراسات الاحاطة بما يبتدعه
مهندسو المناجم المشتغلون في الصحاري المصرية من وسائل لمقابلة ما يصادفهم من عقبات ومغالبتها
والتغلب عليها

امام هذه الظروف القاسية وما يتطلبهُ التغلب عليها من نفقات احياناً ما تكون طائلة قد يتعذر
على الفرد وحده ان يقوم بمجهود موفق في البحث بل يجب ان يضطلع باعبائه جماعة او شركة او
الحكومة المصرية نفسها . والاخيرة بحكم ملكيتها للاراضي التي تستكن في بطونها الخامات المعدنية
وبحكم ما لها من الهيمنة على انماء الشؤون الصناعية في البلاد يقع عليها قبل غيرها واجب البحث
عن المعادن وتشجيع استثمارها

وقد كانت هذه الحال منذ أقدم عصور التاريخ المصري فكان فرعون مصر هو الذي يوفد
البعثات للبحث عن الذهب والنحاس والاحجار الكريمة في مجاهل الصحاري

وفي خزائنه كانت تودع المعادن التي تعود بها هذه البعثات . وكان هو الذي يتولى [illegible]
[illegible] على من يدينون له بالولاء من ملوك البلاد الاخرى . وفي المطابات التي [illegible]
[illegible] ملوك الشام وآسيا الصغرى أصدق دليل على ما نقول

[illegible] الدقة التي كانت للمصريين القدماء في البحث عن [illegible]

مبالغين اذا قررنا انهُ فيما يختص بالذهب على الاقل لم يعثر الباحثون بعد على عرق واحد لم يقم المصريون القدماء بفحصه واستغلاله . ولا يختلف الحال عن ذلك كثيراً في شأن المعادن الاخرى التي كانت لها قيمة عندهم كالمغرة (اوكسيد الحديد) والاحجار الكريمة (الزمرد والزبرجد) والنحاس

كذلك كان هناك نشاط في استغلال مناجم الذهب والاحجار الكريمة كالزمرد والزبرجد والفيروز ابان الحكم العربي الاسلامي ، وكتب المقريزي والمسعودي وغيرهما تفيض بالشرح عن اخبار هذه المناجم وما كان يستخرج منها من كنوز . ولا شك ان استغلالها كان على يد بعثات حكومية كما كان في عهد الفراعنة

تولت مصر بعد ذلك عصور ضعف واضمحلال اضطرب فيها الحال في الصحاري واستوحش البدو القاطنون بها فحالوا دون اي توغل فيها او استغلال لمعادنها فأسدل ستار كثيف عليها وأضحت الصحاري المصرية محوطة بظلام حالك من الاوهام الباطلة ومضى عليها في ذلك بضعة قرون

على انهُ في القرن الثامن عشر كان يفد على مصر من وقت لآخر بعض الرحالة من علماء الفرنسيين والطليان والانكليز نذكر من بينهم Sicard عام ١٧١٧ و Donate ١٧٥٩ — ١٧٦٢ و D'anville عام ١٧٦٦ و Bruce عام ١٧٩٠ وغيرهم

فكان من بين ما زاروه ووصفوه وادي النطرون وبعض جهات الصحراء الشرقية وخاصة جبل الزيت ومناجم الزمرد والزبرجد ومحاجر الالباستر قرب بني سويف ، ولو ان اوصافهم كانت تعوزها الدقة العلمية التي امتاز بها من جاء بعدهم

وفي اوائل القرن التاسع عشر غزا مصر نابليون بونابرت واصطحب معهُ اليها جماعة من كبار العلماء الفرنسيين فكلفهم القيام بدراسة علمية مستفيضة لمختلف الموضوعات الخاصة بمصر فقام من بينهم Valentia عام ١٨٠٩ بفحص مناجم الذهب بوادي العلاقي بالصحراء الشرقية بين اسوان والدر وكذلك Quatremere عام ١٨١١ ففحص مناجم الزمرد بسكيت وزبارا على مقربة من شواطيء البحر الاحمر جنوب القصير

وامتاز من بينهم جميعاً de Roziere بدقة ملاحظاته وواسع اطلاعه وله في كتاب وصف مصر Description de l'Égypte عام ١٨١٣ كتابات قيمة عن الجيولوجيا المصرية ووصف بعض الاحجار التي كانت قد استغلها القدماء واستعملوها في معابدهم وهياكلهم

ولما استعاد ساكن الجنان محمد علي باشا الكبير مؤسس الاسرة العلوية الكريمة لمصر وحدتها القومية واراد ان يجعل منها بلاداً حية قوية ، رأى انهُ لتحقيق ما كان يصبو اليهِ من اقامة مختلف الصناعات لا بدَّ لهُ من الوقوف على ما في البلاد من ثروة معدنية فاستعان بعدد كبير من علماء الاوربيين جهزهم في بعثات الى مختلف نواحي الصحراء ، وكان يشرف بنفسه على تنفيذ خطته ويتتبع من كثب النتائج التي وصلوا اليها تباعاً وبهذا بدأت المرحلة الاولى في البحث المنظم عن المعادن المصرية

قد كان اظهر هؤلاء العلماء واكثرهم اتصالاً بالموضوع الذي نحن بصدده : —

Caillau ١٨١٥ — ١٨١٨ الذي قام بفحص مناجم الزمرد فحصاً دقيقاً و Ruppel ١٨٢٩

جهوده موجهة نحو شبه جزيرة سينا حيث استكشف خامات النحاس والحديد

Sir J. Wilkin ١٨٣٥ الذي زار جبل الزيت وفحص البترول الذي ينضح على مقربة منهُ .

ن الكبريت في جمسا ومحاجر الالباستر قرب تل العمارنة واسيوط ومناجم الزمرد والرصاص وغيرها

Brocchi ١٨٤١ — ٤٣ أعاد فحص مناجم الرصاص والزمرد والذهب وزار محاجر الحجر

، الامبراطوري بجبل الدخان

ى ان Russeger ١٨٤١ — ٤٨ كان اظهرهم جميعاً اذ كان اول من وضع خريطة جيولوجية للقطر

ي مع تدوين اوصاف دقيقة عن بعض المناطق التي تحتوي رواسب معدنية مما سبقت الاشارة اليها

Figari Bey ١٨٤٤ فكان من اكثرهم تنقلاً في الصحاري المصرية وطبع خريطة جيولوجية

الاَّ انهُ كانت تعوزه الدقة العلمية فقد اظهر البحث فساد الكثير من نظرياته . وكان يعتقد

آ راسخاً في وجود الفحم الحجري وقام بابحاث كثيرة عنهُ بينما كان لا يتفاءل كثيراً في وجود

، وقد ظهر ان الحال على الضدّ من ذلك فيما بعد

من الطليان ايضاً Forni الذي قام بابحاث بأمر والي مصر عام ١٨١٩ ولم تطبع ابحاثه الاَّ عام

، وقد تناول فيها وصفاً دقيقاً لاغلب المواطن المعدنية المعروفة

من اشهر هؤلاء العلماء Linant de Bellefond الذي بعثه محمد علي باشا في بعثة نيلية الى ما

سوان فلما ان وصل الى بلدة العلاقي عاق سير سفينته تيار شديد من جراء انحدار مياه السيول

دي العلاقي فرسا بمركبهِ وفحص الحصى الذي قذفت بهِ السيول فوجد بينها حصيات من

رتز الحامل للذهب فدعاه ذلك الى ترك السفينة والقيام برحلة الى اعالي وادي العلاقي فزار مناجم

، القديمة في سيجع ودرهيب ووصفها جميعاً عام ١٨٦٨ وصف خبير دقيق . على انهُ لم يصحب

بخريطة تحدد مواضع المناجم التي زارها

ذا قدر مختصر يدل على المجهود الكبير الذي بذله محمد علي باشا للكشف عن ثروة مصر المعدنية

، توفق هذه البحوث الى استغلال المناجم فكان لها على الاقل الفضل الاول في اماطة اللثام

، الصحاري المصرية . وكانت المعلومات التي جمعها هؤلاء العلماء والنتائج التي حصلوا عليها نوراً

اء بهِ من جاء بعدهم

لم يكن المغفور له إسماعيل باشا أقل اهتماماً بالمباحث المعدنية او اقل تشجيعاً للقائمين بها من

عظيم فساعد فيجاري ولينان دي بلفون على الاستمرار في بحوثهما التي شرعا بها قبل توليه

صر كما انه فتح الباب على مصراعيه لغيرهما من الرواد وقد امتاز من بينهم Oscar Fars

، عام ١٨٦٧ بمباحثه في سينا وعلى الطريق بين قنا والقصير التي بلغت مبلغاً كبيراً من الدقة

و Bauermann عام ١٨٦٩ الذي كان اول من لاحظ وجود خامات الحديد والمنجنيز في شبه جزيرة سينا و Lartet ١٨٦٩ الذي كان اول من اعطى بياناً ضافياً عن الصخور المصرية من الناحية البتروجرافية

وكان من اشهر من جابوا الصحارى في عصر اسماعيل Schweinfurth ١٨٧٥ — ٧٨ الذي ضمن بحوثه في الصحراء الشرقية خرائط دقيقة وكانت لكتاباته أهمية في مباحث البترول بجبل الزيت. وكذلك Kurl Von Zittel الذي كان له الفضل عام ١٨٨٠ في تبويب وتهذيب النتائج العلمية التي وصلت اليها بعثة Rholfs الشهير

الى هنا انتهت المرحلة الاولى من مراحل البحث وهي التي قام بها الروّاد بزيارات واسعة المدى لمختلف المناطق. فاذا لم تؤد مباشرة الى استغلال مناجم معينة فكان لها فضل تعبيد الطريق الى البحوث المنظمة فيما بعد. وبدأت المرحلة الثانية بانشاء قسم المساحة الجيولوجية عام ١٨٩٦ وكان انشاؤه على اساس مذكرة قدمها الكابتن (كولونيل) ليونز Lyons مدير المساحة اذ ذاك وكانت عبارة عن مجموعة الادارات الفنية في الحكومة المصرية. والمقدمة التي وضعها الكابتن ليونز لمذكرته توضح الغرض الذي من اجله أنشىء ذلك القسم وقد جاء فيها ما ترجمته : --

« إن الغرض من انشاء قسم المساحة الجيولوجية هو قبل كل شيء لفحص الموارد المعدنية للبلاد ولتدوين المعلومات عن مختلف الرواسب وبخاصة من بينها تلك التي لها قيمة اقتصادية كالفحم والعروق المعدنية ورواسب الاملاح وغيرها. يأتي بعد ذلك في المقام تدوين هذه المعلومات بطريقة سهلة التناول كوضعها على خرائط وفي مذكرات وتقارير تفسيرية الخ. وبمجرد الوقوف على حقيقة التركيب الجيولوجي لاي منطقة تسهل معرفة الطبقات الصخرية التي يجب اختراقها في اي نقطة وتقدير سمك كل منها بتقريب دقيق »

وقد عقّب الكابتن ليونز على هذه المقدمة بتفصيل الخطة التي اتبعت فيها بعد وعادت بأحسن النتائج كما سنبينه. وقد استعان في تنفيذ خطته الموضوعة بشبان من الانكليز الذين تخصصوا في العلوم الجيولوجية قاموا بأجل الخدمات للجيولوجيا المصرية والبحث من المعادن في هذه البلاد نذكر من بينهم الدكتور هيوم Hume المستشار الجيولوجي للحكومة المصرية والدكتور بول Ball مدير قسم مساحة الصحارى والذي جعل من مساحة الصحارى فناً دقيقاً ذا قواعد علمية ثابتة وبيدنل Beadnell وبارون Barron وغيرهم

اختص كل واحد منهم بناحية من نواحي [illegible] فكانا [illegible] جيولوجياً [illegible] ودونوا مشاهداتهم في [illegible] [illegible]

[illegible]

ن بطبيعة الحال خريطة عام ١٩١٠ كاملة في كل النواحي على ان العمل المستمر بعد
اشترك فيه جميع من انتظموا بالقسم الجيولوجي قد مكن من سد الفراغ وتصحيح
ات حتى ظهرت عام ١٩٢٨ الخريطة الجيولوجية الكاملة التي لا تقل دقة عن مثلها في
بية وقد اعتبرها المؤتمر الجيولوجي خليقة بادماجها في الخريطه الجيولوجية للعالم . وقد
بحوث الجيولوجية ثمراتها المباشرة فأدت الى اكتشاف الفوسفات عام ١٨٩٧ ولو ان
خاصة بفحصه فحصاً تعدينيًّا تطلب وقتاً طويلاً فلم يبدأ استغلاله فعلاً الا عام ١٩٠٨
بة من سفاجه على البحر الاحمر . كذلك استكشف معدن المنجنيز عام ١٨٩٨ ثم بدأ
، ذلك عام ١٩١١ . وهكذا كانت النتائج التي وصل اليها الجيولوجيون في هذه المرحلة
في بدء استغلال الكثير من المناجم المصرية الحالية

ول فقد قدمنا ان وجوده كان معروفاً منذ القدم ثم زار مواطنه بعض المستكشفين
، ذكرهم كما ان الاعمال التي قامت بها احدى الشركات التي كانت تستغل معدن الكبريت
عام ١٨٦٣ على وجود مقادير منهُ خليقة بأن تشجع الاعتقاد في امكان انتاجه انتاجاً رابحاً
ذت الحكومة المصرية خطة ايجابية في شأن البحث عن البترول منذ عام ١٨٨٥ عند
ـ المهندسين الاخصائيين في حفر الآبار بحفر بئرين في جمسا وأخرى في جبل الزيت .
جمسا عن نتيجة ايجابية اذ وجد في احداها زيت البترول على عمق ١٠٦ قدم بقوة
اليوم وفي الثانية على عمق ١٣٧ قدم وقوة ١٥٠ طن يوميًّا على انها رغم ذلك وبحجة
نفقات طائلة في بحثها قررت عام ١٨٨٨ تعطيل العمل وسدّ الآبار وهكذا قضي على
غلالي حكومي ان يقبر على ان يستأنف مرة اخرى فيما بعد وبنشاط اكبر على يد احدى
جنبية التي تقدمت لاستغلال منطقة جمسا عام ١٩٠٨ وبذلك بدأت مصر تتبوأ مركزها
نتجة للبترول

نجاح الذي صادفته هذه الشركة في جمسا مشجعاً لشركات اخرى وللحكومة نفسها على
ة بالبحث . فقامت شركات عديدة بفحص مواقع متفرقة على مقربة من شواطئ خليج
، الجزائر الواقعة عند ملتقى ذلك الخليج بالبحر الاحمر . واذا كانت قد اخفقت [illegible]
ة من بينها وفقت في النهاية الى استكشاف حقل الغردقة الذي يربي مجموع [illegible]
ة الاخيرة على ثلاثة ملايين طن من البترول
[illegible] للحكومة نصيبها من البحث واستعانت [illegible]
[illegible]

من حقل ابي دربة على شاطىء سينا قرب بلدة الطور وهو الحقل الذي اعطى امتيازه فيما بعد الى زكي ويصا بك الذي يستغله حتى الآن

كذلك حفرت بئراً في ابي شعر قرب حقل الغردقة ولكنها لم تصادف فيه نجاحاً

وللاخفاق في البحث عن المعادن قيمته لمن يعلم كيف يستفيد منهُ . ذلك ان اخفاق الحكومة واخفاق الشركات كان نتيجة حالات جيولوجية خاصة يتطلب حلها الاستعانة في البحث بوسائل علمية جديدة هذه الوسائل هي المعروفة بالوسائل الجيوفيزكية اي التي تعتمد على خواص الارض والصخور والمعادن وهي التي افردنا لها محاضرة في المؤتمر الاول من مؤتمرات هذا المجمع

ومع ان هذه الوسائل هي حديثة الابتكار وتطبيقها في البحث هو وليد الحرب العالمية نفسها الاَّ ان الحكومة المصرية لم تتوان في الاخذ بها وقد استوردت للقيام بها في مناطق البترول المصرية بعض الاخصائيين من الالمان وكان للنتائج التي وصلنا اليها قيمة خاصة ولو انها لا تزال في حاجة الى مباحث تكميلية نرجو ان تزول قريباً الظروف المالية التي ادت الى العدول عنها

الى هنا قام البحث على اكتاف اجنبية وبأموال جلها اجنبي على ان النهضة القومية التي عمت البلاد في عهدها الحالي تحتم علينا ان بقاء هذا الحال من المحال وان عزتنا وكرامتنا القومية تقضيان بأن نقوم بأنفسنا بهذا الواجب . وقد تلمست الحكومة افتقار البلاد الى الاخصائيين في الجيولوجيا وعلوم التعدين فأوفدت بعثات عديدة من الشبان النابهين الى اميركا للبترول وانجلترا للجيولوجيا والتعدين والمانيا للعلوم الجيوفيزيكية وقد عاد اغلب هؤلاء بعد ان استكملوا عدتهم من العلم واشترك بعضهم فعلاً في البحوث التي قامت بها الحكومة في السنين الاخيرة وهم جميعاً متحفزون لتسلم شعلة العلم والبحث ورفعها والنهوض بها لخير البلاد

وهنا ستبتدىء المرحلة الثالثة من مراحل البحث وهي مرحلة البحث التفصيلي الذي يقوم على أساس المعلومات التي وصلت الينا نتيجة المرحلتين السابقتين

هذه المرحلة هي اشقها جميعاً لانها تقتضي منا صبراً وأناة وتتطلب من القائمين بها دقة وعناية ومن المفروض علينا ان لا يصرفهم الاخفاق مرة اخرى من الاستمرار بها

وسيكون اساس البحث في هذه المرحلة الاخيرة تقسيم [illegible] الى مناطق يقوم كل باحث بفحص منطقة معينة فحصاً يتناول كل دقيق في التركيب الصخري و[illegible] . وبودنا جميعاً ان يمتاز عصر فؤاد الاول باتمام هذه المرحلة والوصول بها الى نتيجتها الموفقة وان تمر المراحل الاخرى جميعاً في ان تقوم على اكتاف ابناء البلاد . ومن دواعي اغتباطنا أن حضرة صاحب المعالي وزير المالية قد لمس هذه الحاجة لاستعادة نشاط البحث في رحلتهِ الاخيرة لمناطق البحر الاحمر ولم يتأخر لحظة عن مد يده باعتماد مبلغ من المال يخصص لهُ — نرجو ان يكون اول الغيث كما اننا نرجو ان نوفق في فرصة قادمة الى [illegible] ما سيصيبه شباننا الباحثون من النجاح

عتاب واستصراخ

لخليل مطران

{ من قصيدة طويلة قيلت في الحرب الاولى بين الترك والطليان حين حاول هؤلاء فتح طرابلس سنة ١٩١١ }

صدقتُ في عتبكم او يصدق الشممُ ... لا المجد دعوى ولا آياتهُ كلمُ

أمتي حسبنا بالله سخرية ... منّا وبما تقاضى اهلها الذممُ

ل مثلما نتباكى عندنا حزنٌ ... وهل كما نتشاكى عندنا ألمُ

ن كان من نجدةٍ فينا تفجعُنا ... فليكفنا ذلنا وليشفنا السقمُ

تسعوا وتعلّوْا ما يطيب لكم ... ولا تزعكم محاظيرٌ ولا حُرَمُ

اعلموا مرةً في الدهر صالحةً ... علماً تؤيدهُ الافعال والهممُ

يّ جهل غدونا امة هملاً ... وأيّ عقلٍ تولت رعينا الامم

* * *

تُنكروا عذَلي هذا فعذرني ... جرح بقلبيَ دامٍ ليس يلتئمُ

من الذين أبحنا الراصدين لنا ... حمًى بهِ كانت العقبان تعتصمُ

لا تغافلنا لولا تخاذلنا ... لولا تواكلنا تالله ما اقتحموا

ي الحقيقة عن نصح صدعتُ بها ... وما النصيحة الاّ البرّ والرحم

أبغِ من ذكرها ان تيأسوا جزعاً ... خيرٌ من اليأس ان يُستقدم العدمُ

يأس منهكة للقوم موبقة ... في حمأةٍ تتلاشى عندها الشيم

ا مطلب الفخر من أيدٍ منعّمةٍ ... رطيبةٍ ونفوسٍ ليس تحتدمُ

أس الجماعات داءٌ ان تملّكها ... فهو التحلل يتلوهُ الردى العممُ

كالشمس يأكل منها ظلُّ سُفعتها ... متى يبيد شعاع الشمس والضَرَمُ

تقنطوا كبرِهِ الله الألى قنطوا ... اليوم يعتزم الأبرار فاعتزموا

ليوم ان تبخلوا اعماركم سفَهٌ ... والجاه فقرٌ ومقصوراتكم رُجُمُ

* * *

ني لأسمع من (حزب الحياة) بكم ... « نصراً لامتنا سحقاً لمن ظلموا »

م لتُنصر على الباغين أمتنا ... لا بالدعاء ولكن نصرها بكمُ

تبقَ يقظى على الادهار نابهةً ... لا الاّ من يهفو بها سكر [illegible]

تحيَ وليَمُتِ الموت المحيط بها ... من حيث يدفعهُ اعداؤ[illegible]

الكريم والفتى والسيد

What is a Gentleman ?

للدكتور امين باشا المعلوف

دعاني الى البحث الآتي مقال « الصحافي العجوز » في جريدة الاهرام قال فيه ما نصّهُ :

شيعت بالامس جثة « الجنتلمان » عدلي يكن . وجنتلة عدلي يكن مثل جنتلة مصطفى فهمي ، شهد بها الانكليز لكل منهما . واولئك الاشراف المعقولون ، قوم عمليون لكل كلمة عندهم معناها ودلالتها العملية . الترجمة الحرفية لكلمة جنتلمان هي الرجل اللطيف او الرجل الظريف . اطلقها الانكليز اولاً على أرباب المال والعقار من الناس الطيبين الذين يحسنون معاملة عملائهم عامة ومستأجري عقارهم خاصة . والكلام انما يوضع للتعبير عن المعاني والمعاني تختلف بتطور الاخلاق والعادات واختلاف المقاصد وتنوع الحاجات . وكلمة جنتلمان أصبحت بالتواتر تشمل معاني كثيرة. ولا يزال الناس يذهبون مذاهب جديدة في تحديد المناحي المختلفة التي ترمي اليها

قال كاتب اميركي ان المعنى العام لكلمة جنتلمان هو « عدم الاساءة الى احد » و « وجوب الاحسان عند المقدرة »

وقد تناول الموضوع أديب سوري في صحيفة « المدى » العربية التي تطبع في نيويورك فقال :

« ليس جنتلمان الرجل الذي يقبل متبختراً على رصيف الشارع ، كأن الدنيا قد خلقت كلها له . وحين يمرّ بك يدفعك بمنكبه ليوقعك في اوحال الشارع . ولكن الجنتلمان هو الذي اذا زلت بك قدم اندفع بعامل المروءة لنصرتك وانتشالك من ورطتك

« ليس جنتلمان الرجل الذي رعى فؤاده الحسد، وتضيق في عينه الدنيا عند ما يراك سائراً الى الامام مجداً ومجوداً في عملك ، وحين لا يقدر على مجاراتك يعمل على مقاومتك

« ليس جنتلمان الرجل الذي يسخر وظيفته لغير غاياتها الشريفة

« ليس جنتلمان الرجل الذي يبطن غير ما يظهر »

وكما يحار الانكليز الآن في تحديد كلمة « جنتلمان » فان كتّابنا وادباءنا لا يزالون [illegible] ترجمتها باحدى الكلمات الآتية : نبيل ، سري ، حصيف ، ظريف ، كيّس . ويؤكد [illegible]

انسوى دالميدا وقد حدثت وقائع عادت بعدها سفن مصر بعد ان
٩١ هـ قاصداً كجرات ثانية وقد ساعدت سفن البنادقة السفن المصرية
رر لحق بالفريقين من تحويل البرتقال لتجارة الهند عن طريق رأس
م من قبل

. هي كل ماكان للغوري فقد كانت لهُ اساطيل بالبحر الابيض وقد
طان سليم بعشرين سفينة حربية لتساعدهُ على ان يكون سلطاناً بدل
ن في يد العثمانيين . وقيل بل اصابتها زوبعة شديدة غرق كثير منها
في سنة ٩١٩ هـ دخل اسطول برتقالي الى البحر الاحمر واخذ في اعمال
طول المصري بقيادة الامير حسين بك الكردي وقد تمكن من
، فلما انتصر المصريون سار الاسطول البرتقالي طالباً عرض البحر
، مياه اليمن فعاد البوكرك Albuquerque البرتقالي باسطوله واراد
صريين وفاوضهُ في امر تحويل مصب النيل الى البحر الاحمر ليموت
) وكان يظن هذا امراً يسيراً

سرية واحتلت جزيرة قمران كما استولت على كثير من بلاد اليمن واقلع
واستولى على زيلع وغيرها وجاءهُ مدد بقيادة الامير سلمان احد
بار عدن القاصدة بلاد الهند وكان سلمان هذا على خمسين غراباً[١]
مدى على سفن المسلمين في تلك المياه حتى استولت الدولة العثمانية على
البرتقال حتى منعت عدوانهم واطمأنت ثغور بلاد العرب من شرهم

البحرية بمصر بعد ان صارت ولاية عثمانية

ا نظاماً تسير عليهِ في ادارتها وجعلت اساطيله تتردد على مياهها اما
في نفوس من بقي من المماليك لاسيما على ثغور البحر الابيض
، الاستانة كان خير الدين بك الوالي الفعلي الذي تركه سليم على مصر
ودة بالنيل يساعدهُ في ذلك خير بك امير الامراء
(مراكب بحرية) بالبحر الاحمر حينئذٍ ايام قانصوه الغوري فقد كان
منها حجزهُ الامراء المصريون بجهات اليمن بقيادة سلمان رئيس

هيناً حاولت لن اقنعهُ ان الكلمة سودانية معناها (ابن آدم) رجلاً كان او امرأة . وان هناك قبيلة تعيش في جوف افريقية اسمها (الزولوس) وتعرف بلادهم باسم «الزولولاند» . وراجعت القاموس فوجدت فيه : الزول الظريف الخفيف يعجب من ظرفه . والجمع ازوال والانثى زولة . ووصيفة زولة نافذة في الرسائل ، وتزوّل ، تناهى في ظرفه ، والزول (بتشديد الزاي) الشجاع الذي يتزايل الناس من شجاعته . والزّوّل « بتشديد فسكون الجواد . والزولة ، المرأة الفطنة الداهية ، وقيل الظريفة

ومن هذا القدر اليسير يدرك القارىء خطأ الاديب الكيلاني وبعد كلمة زول عن المقصود من « الجنتلمان » وان اقرب المعاني اليها الحصيف والكيّس ولو أبى استاذنا خليل مطران الذي استخدم كلمة (غطريف) في رواية عطيل ترجمة لجنتلمان

ومهما يكن في أمر الكلمة وتحديدها وتكييفها وترجمتها فان الجنتلمان الانكليزي وكل من ينعته الانكليز بالجنتلة هو جنتلمان على طول الخط

اما نحن فالجنتلة عندنا منحة وقتية . تكون صفة لشخص عند ما يكون في وظيفته ، وعند ما يكون صديقاً لنا ، وعند ما يسدي الينا يداً ، وعند ما يوافقنا على رأي سياسي معين . بل قد تكون جنتلمان عند ما تركب الدرجة الاولى في عربات ثورنيكروفت وتتفضلت بالقيام لسيدة . لا لأنها امرأة بل لانها حسناء انيقة الثياب . ثم تكون انت بذاتك (طورمان) عند ما تقف في عربة الدرجة الثانية لثورنيكروفت او الاتوبيس نمرة ١٧ « مثلاً » متشملقاً في الجلادة

قد تكون الجنتلة كلها . ولكن لا يدركها فيك احد لانك فقير

وقد تكون جنتلمان . وليس في يدك ما تبرهن بهِ على هذه الجنتلة

والجنتلمان عندي صاحب المروءة والاخلاق العالية والآداب الراقية

لكن ليس الناس كلهم أعين ترى وعقول تدرك

... الله على عدلي يكن الجنتلمان « صحافي عجوز »

***

... كلام الصحافي العجوز والصواب الصحافي الفتى الكريم وسيرى بعد قراءة ... الكريم ولا اريد بالفتى الشاب الحدث ولا بالكريم السخي فقد يكون الصحافي العجوز ... وهاباً لكنهُ ليس شاباً في ريعان الشباب وزارته بل فتى وكريماً . وهكذا شيخه فهو ... وفتى بيّن الفتوة ولو انهُ راسخ في الشيخوخة والمشيخة اي انهُ شيخ مثلث . فالصحافي فتى من فتيان الفجالة والدرب الواسع وشيخه فتى وسيد كريم من فتيان كسروان وساداته ... في الايام الاخيرة شر هزيمة . اما الآن وبعد هذه المداعبة الوجيزة فأني لست ذاكراً ... الاحياء فالبحث دقيق فيهِ كرم ولؤم فاذا وجدت كرماً ذكرته في الاموات اما الاحياء فلست ... في كرم ولا في لؤم

ولنبحث الآن في كلمة جنتلمان الانكليزية ونتتبع اصلها واصل بعض الفاظ لها علاقة بها عن امهات اللغة الانكليزية . اما في الفرنسية وان كانت هذه الالفاظ شبيهة بالالفاظ الانكليزية ومن اصل لاتيني مثلها لكن الاستعمال جعل لها معاني اخرى تختلف عن المعاني الانكليزية اختلافاً بيناً فالاعتماد في بحثنا على المعاني الانكليزية دون غيرها. وفي ما يلي بعض هذه الالفاظ عن معجم وبستر المطوّل طبعة سنة ١٩٢٤

Noble. a. (French noble from latin nobilis that can be or is known, well known, famous, highborn, noble akin to noscere to know)

يقول وبستر في اصل الكلمة انها عينها بالفرنسية وهي لاتينية الاصل ومعناها معروف ومشتهر وعالي الحسب وانها تمتّ الى فعل معناهُ عَرَف . ثم ان هذه اللفظة قد تُرجت في كثير من المعجمات ترجمة صحيحة منها نبيل وشريف ونبيه واثيل واصيل وحُرّ ونجيب وحسيب وكريم ورفيع وماجد وغير ذلك مما نجده في كتب القوم . فما جاء في مادة شرف في كتب اللغة العربية ما يأتي عن التاج قال : والشرف المجد يقال رجل شريف اي ماجد او لا يكون المجد والشرف الاَّ بالآباء يقال رجل شريف ورجل ماجد لهُ آباء مقدَّمون في الشرف واما الحسب والكرم فيكونان في الرجل وان لم يكن له آباء قاله ابن السكّيت او الشرف علوّ الحسب قاله ابن دريد . انتهى ما اريد نقله . واننا اذا رجعنا الى هذه المادة وجدناها تدل على العلوّ في كثير من معانيها اي ان الكلمة العربية والكلمة اللاتينية اصلهما واحد في المعنى . ومثل ذلك مادة نبه فاننا نجد انها تدل على الشهرة والشرف فمن معاني النبيه المشهور والشريف اي ان الشريف والنبيه بالعربية مثل اللاتينية اصلاً ومعنىً . اما الكريم فيختلف عن الشريف كما تقدم وله لفظة أخرى لاتينية غير هذه واصلها يختلف عن اصل ما يقابل الشريف كما سيجيء في الالفاظ الآتية

Gens. n. Plural gentes (Latin. see gentle.) Roman History. A clan or family connection, embracing the families of the same stock in the male line; a subdivision of the Roman Curia

هي كلمة لاتينية يقابلها لفظاً جانس باليونانية وجنس بالعربية ويقابلها معنىً الأسرة والعترة والعشيرة بالعربية . وكان الرومانيون يسمون باسم الأسرة او العترة او العشيرة ابناء العشيرة عند ومثلهم العرب فيقال زيد الهاشمي او زيد من آل هاشم او بني هاشم او الهاشميين والمأمون العباسي ومن آل العباس وبني العباس والعباسيين وجبلة بن الايهم وابن جفنة ومن آل جفنة ومن الجفنيين كذلك في ايامنا فيقال فلان الشهابي لكل من الشهابيين وقد يضيف بعضهم [illegible] فيقال الامير بشير قاسم الشهابي ومثل ذلك عبد المحسن الفهد السعدون واسماها عبد المحسن آل سعدون وما اشبه وهذا كثير جدًّا عند العرب في جزيرتهم وفي الشام والعراق وقابل في [illegible] واذا يحسن تعميمه لاسباب يطول شرحها

Genus. n. (Latin, birth, race; akin to Greek genos)

لاتينية يقابلها جنس بالعربية لفظاً ومعنىً وسواء كانت الكلمة اصلية في العربية او باليونانية كما في محيط المحيط فلا شبهة ان بين الكلمتين تجانساً في اللفظ والمعنى

Gentle. a. (Middle English gentil. French gentil noble, pretty, gracefu gentilis of the same clan or race, from gens, gentis, tribe, clan, race, or which belongs together by birth from the root genere, gignere, to beget; perty, of birth or family, that is of good or noble birth)

ستر هنا ان هذه اللفظة هي عينها بالانكليزية المتوسطة والفرنسية ومعناها بالفرنسية ف وكيّس وهي لاتينية الاصل ومعناها من العشيرة او من النسل عينه من مادة جنس شيرة او نسل واصلها ما كان متولداً معاً في العشيرة من مادة معناها ولد او انشأ. ي طيب الاصل او شريفه

اورده وبستر في اصل هذه المادة وليس معناه انها بالانكليزية كما في الفرنسية تماماً لاز ى بالانكليزية كما سيأتي وهذا سرّ المسألة في ترجمة لفظة جنتلمان الانكليزية فهي ليست بالفرنسية فالفرنسيون يعبرون عنها بالفاظ اخرى . ثم ان وبستر بعد ايراده اصل المادة معانٍ هي ما يأتي

1. Well-born; of a good family position, although not noble. Britis livided into nobility, gentry and yeomaury, and families are either nc or simple.

2. Excellent; of fine quality; of animals of fine breed—Obs. except in g

3. Honourable; of, or approporiate to good birth or distinguished pos gentle occupation; manifesting the qualities of one of gentle birth, chivalrous

4. Hence, refined in manners; not rough, hard or stern, mild, kind; ai gentle nature, temper or disposition; a gentle manner; a gentle voice.

5. An appelation of respect, kindness or conciliation, as gentle reader, gentle Jew.

6. Tamed; quiet, tractable, and docile; as a gentle horse; also of fruit etc.

7. Soft; not violent or rough; not strong, loud or disturbing; not sto soothing; as gentle touch; a gentle rule; a gentle medicine.

8. Moderate; as a gentle warmth; a gentle declivity

لمعنى الاول كريم لا الكريم بمعنى السخي بل بمعنى الطيب الاصل فان الكريم معنا نجيب . وقد يقال بهذا المعنى حرّ ونجيب وكريم النسب ولكن كلمة كريم تتي ي ان الكريم غير الشريف كما تقدم . ولما كان الغرض ترجمة الكلمة الانكليزية ى اصلح من الكريم لهذا المعنى [illegible]

النبلاء او الاشراف والكرام او علية القوم وعامة الناس . ولما كانت كلة جنتلمان بمعناها الاول كما سيجيء مركبة من هذه اللفظة مع لفظة رجل فلا أرى أصلح من قولنا رجل كريم لهذا المعنى الانكليزي لا الفرنسي . ثم ان لفظة كريم تصلح للمعاني الاخرى من ترجمة جنتل هذه او ما جاء بمعنى الكريم في كتب اللغة كما سيجيء . فترجمة المعنى الثاني من معاني هذه الكلمة كريم وحرّ وعتيق ونفيس وجميعها وارد بمعنى كريم فيقال طائر حرّ وصقر حرّ وفرس كريم وعتاق الطير . وترجمة المعنى الثالث كريم وفتى وشهم . وترجمة المعنى الرابع كريم ولين وظريف وكيّس ولطيف ورخيم . وترجمة المعنى الخامس كريم فيقال قارىء كريم ونحوه . وترجمة المعنى السادس في شقه الاول كريم وسهل القياد وفي شقه الثاني اي اذا كان ثمراً او شجراً كريم وحرّ وعتيق كما في قولنا حرّ البقل وعتيق الشجر وحرّه وكريمه . وترجمة المعنى السابع كريم ولين وهادىء ورخاء ولطيف وسهل . وترجمة المعنى الثامن كريم ومعتدل وسهل . وصفوة القول ان جميع المعاني يصلح لها الكريم فالكريم من كل شيء احسنه كما سيجيء في مادة كرم

See etymology and derivation of gender, genealogy, generate, generosity, genesis gentile, gentility etc.

انظر اصل الالفاظ المتقدمة واشتقاقها فتجد ان جميع هذه الالفاظ المتجانسة من اصل واحد اي من مادة جنس او عشيرة المتقدمة الذكر ومثل ذلك كثير من هذه الالفاظ اللاتينية الاصل ان بالانكليزية وان بالفرنسية لكن الاستعمال جعل لها بعض الاختلاف في هذين اللغتين كما لا يخفى . وفي ما يلي بحث في كلة جنتلمان وهي عقدة العقد

Gentleman. n. (Middle English gentilman, nobleman)

1. A man well born; one of good family though not noble
2. One of gentle or refined manners. A well bred man of fine feelings, especially one of good character raised above the vulgar by education, habits, and social esteem
3. A servant, especially a valet of a man of rank.
4. A man, irrespective of condition; used especially in plural in addressing men in popular assemblies etc.
5. A respectable man who engages in no occupation
6. An amateur as gentleman jockey

ولما كانت ترجمة هذه الكلمة دقيقة جداً فاني أراني مضطراً الى ايراد بعض الامثلة ... غير الاحياء . فترجمة المعنى الاول رجل كريم لا الكريم بمعنى السخي بل الكريم نسباً و... أحسن منها السيد الكريم كما قال رئيس تحرير المقطم في عدلي باشا يكن . فقد جاء في ... ابي ربيعة ان اخاه الحارث كان شريفاً كريماً وسيداً من سادات قريش وعدلي باشا كان شريفاً وسيداً من سادات مصر . هذا هو المعنى الاول والاصلي لهذه الكلمة . واما الاستعمال الانكليزي

... بعض الاختلاف عن الاستعمال الفرنسي فالفرنسيون لا يسمون بهذا الاسم الاّ من كان من
... نبل وشرف والانكليز يسمون به غيرهم ايضاً فترجمة هذا المعنى الاول عند الفرنسيين رجل
نبيل وترجمته عند الانكليز رجل كريم هذا في اصطلاح القوم في النبل والكرم عندهم فالنبيل
Nobili والكريم Gentilis وقد تقدم ذكرها فالنبيل واحد عند الفرنسيين والانكليز اما الكريم
عند الفرنسيين فمعناه النبيل والظريف وهو ليس كذلك عند الانكليز . وأحسن مثل للتمييز
بين النبيل والكريم عند الافرنج هو ما كانت الحالة عليه في العراق ولبنان عند ما كان نظام الاقطاع
نافذاً فيهما فكل رجل مثلاً من السعدونيين او غيرهم من ابناء البيوت القديمة في العراق يطلق
عليه اسم Gentilhomme بالفرنسية وترجمته Nobleman بالانكليزية وكل رجل من الشهابيين او
غيرهم من اصحاب الاقطاع في لبنان يطلق عليه احد هذين الاسمين وكل واحد من ابناء البيوت
الكريمة الاخرى في العراق ولبنان يطلق عليه كلمة Gentleman بالانكليزية في معناها الاول اما
الفرنسيون فلا يقولون Gentilhomme بهذا المعنى بل يقولون

Homme bien-né ou de famille honorable

هذه مسألة دقيقة جدًّا وانما ضربت الامثلة المتقدمة لأُبين الفرق في استعمال هذه الكلمة عند
الفرنسيين وعند الانكليز وسببه نظام الاقطاع والعرف عند كلٍّ من الفريقين لذلك ارى ان الرجل
الكريم او السيد الكريم اصلح تعبير لهذا المعنى الانكليزي الاول وان شئت فقل الكريم فقط
في الحديث الذي اورده صاحب التاج عن يوسف بن يعقوب وسيأتي ذكره

واذا اتصف السيد الكريم بصفات الفتوَّة يقال فتىً فعبد المحسن السعدون كان فتىً بيّن
... A thorough gentleman قال عنه ذلك احد كبار الانكليز في العراق فانه عند ما نعي اليه
... كتاب تعزية قال فيه ذلك [1] . وفيصل الاول كان فتى فتيان العرب غير مدافع . قال المتنبي
... اخت سيف الدولة وكان المتنبي يومئذٍ في العراق

أرى العراق طويل الليل مذ نعيت . فكيف ليلُ فتى الفتيان في حلب

... قلت ان فيصلاً كان فتى فتيان العرب فاني لست مبالغًا وقد قيل في جده ولا فتى الا ...
... ملك البلجيك السابق كان فتىً وربما فتى فتيان اوربة كلها وهو ما يقوله الانكليز عن ملكهم
... عهده The first gentleman in England اي فتى فتيان انكلترة . وشيخ الصحافة داود
... كان فتىً وكريماً وشهماً . هذا هو الفتى والكريم والشهم ولا يقال كذلك الاّ لمن اتصف بالمناقب
... مهما علت منزلته

(١) ترجم الكتاب صديقي عبد المسيح وزير رئيس المترجمين في وزارة ...

اما ترجمة المعنى الثاني فكذلك اي رجل كريم وفتىً وشهم ويراد بالكريم كل رجل كريم في نفسهِ وفي تربيته وخلقهِ وان لم يكن كريماً في نسبهِ والعامة في الشام تقول آدمي وفي مصر بني آدم اي من بني آدم كأن العامة ترى ان يتخلق جميع البشر بخلق الكرام منهم وحبذا الامر لو كانوا كذلك . وبعضهم يقول شريف لسمو اخلاقه . وبعضهم يقول هو شهم ويريدون بذلك صاحب نجدةٍ ومروءة وهي واردة بهذا المعنى فقد جاءَ في التاج ما نصهُ : والشهم السيد النجد النافذ الحكم في الامور. وقال الفراء الشهم في كلام العرب الحمول الجيد القيام بما حمل الذي لا تلقاهُ الاَّ حمولاً طيب النفس بما حمل وكذلك هو في غير الناس . وقالوا في ترجمة هذا المعنى الظريف والكيِّس والشلبي لكن الفتى اصلح كثيراً فالكيس والظريف لا يؤديان المعنى الانكليزي لكن الفتى يؤديهِ بل ربما فاقه . وان اقرب كلمة للظريف والكيِّس كلمة چلبي (شلبي) ولعلها تركية او من اصل آخر اعجمي وكانت لقباً لبعض ابناء السلاطين من آل عثمان وهي شائعة بهذا المعنى اي بمعنى الكيِّس في الشام والعراق ولكن كلمة الفتى تفوقها بمعنى جنتلمان . ولا يخفى ان كلمة چلبي او شلبي لقب في العراق يلقب بهِ بعض التجار واصحاب الاملاك وهو لقب كبير المولوية ولعله سمي بذلك لكياسته هو وجماعتهُ او ان اللفظة منقولة في الاصل عن معنى الفتى بالعربية اي انهم ترجموا الفتى بكلمة چلبي لان بعض المتصوِّفة كانوا فتياناً من الفتوَّة لا الفتاء والمولوية منهم وسيأتي ذكر الفتى والفتوة . وهذا لا يمنع ان لفظة چلبي تركية او فارسية او غير ذلك كقولهم انها من صليبي اي افرنجي او نحو ذلك . اما الكيِّس فقد ظن بعضهم ان كلمة جنتلمان الانكليزية معناها الكيِّس لان من معاني جانتيل الفرنسية الكيِّس فالكياسة والظرف واللطف من الصفات المحمودة في الانسان ولكن جنتلمان ليس الظريف ولا الكيس ولا اللطيف فقد يكون الانسان ظريفاً وكيِّساً ولطيفاً ومن ابعد الناس عن الكرم ومن اقربهم الى اللؤم لذلك لا ارى اصلح من الكريم والفتى والشهم لهذا المعنى . فالكرم والشهامة غريزتان يكونان في نفس الانسان ويولدان معهُ ولا يأتيان بالعلم والتربية او بالتكلف او التصنع او حسن الهندام او مغازلة الحسان بطريقة سمجة تأباها النفس او بالتبجح بطرق شتى مكروهة عند الكرام

***

واما ترجمة المعنى الثالث ففتى وهو وارد في القرآن الكريم وفي كلام العرب بهذا المعنى كما سيجيء ومن الغريب ان العرب والانكليز قد اتفقوا في كلمة واحدة لمعنيين مختلفين تمام الاختلاف

واما ترجمة المعنى الرابع فسيِّد كقولنا ايها السادة ومثله المعنى الخامس اي سيِّد كقولنا سيد من ارباب الاملاك . كذلك المعنى السادس فيقال سباق السادة اي اصحاب الخيل اي ان كلمة جنتلمان يقابلها بالعربية كريم وفتى وسيِّد وشهم ... [illegible]

توريث الصفات المكتسبة

للدكتور شريف عسيران

الصفات في اصطلاح علم الوراثة نوعان : الوراثية التي تنتقل من الآباء الى الابناء او من السلف الى الخلف بواسطة العوامل الوراثية التي في الكروموسومات وهي تخلق من الفرد او تكون كامنة فيهِ منتقلة اليهِ من آبائهِ تمييزاً لها عن الصفات الاكتسابية وهي التي لا تخلق مع المرء بل يكتسبها من المحيط ومتى ظهرت فيهِ تنتقل منهُ الى نسله بحسب رأي طائفة كبيرة من العلماء الافذاذ لهم منزلتهم في العلم والبحث . وقد احتدم الجدال حول قضية توريث الصفات المكتسبة احتداماً شديداً فنهم من ينكرها ومنهم من يثبتها ومنهم من يتردد بين النفي والاثبات ولعلّك لا ترى اختلافاً في مختلف فروع العلم اكثر من الاختلاف في هذه النظرية وسنقص عليك احسن القصص ونأتيك باصدق الانباء عن هذا الموضوع اللذيذ

﴿ تحديد الصفات المكتسبة ﴾ : يجدر بنا قبل الخوض في الموضوع ان نحدد الصفات المكتسبة لكي يكون بحثنا فيها واضحاً . الصفة المكتسبة هي التي تنشأ في خلايا الجسم في دور من ادوار حياة الفرد بتأثير عامل خارجي من عوامل البيئة يؤثر فيها مباشرة وتبقى تلك الصفة ظاهرة في الفرد بعد انفصاله عن المحيط الذي ولّدها ثم تنتقل منهُ الى نسله بحسب رأي بعضهم دون تعريض النسل للبيئة الذي ولّدت تلك الصفة في سلفهِ

زعيم هذه النظرية هو العالم الفرنسي الاشهر لامارك (١٧٤٤ - ١٨٢٩) ويعرف هذا المذهب باسمه لاماركزم او اللاماركية . وُلد هذا العلامة في بازنتين من اعمال فرنسا في اول اغسطس سنة ١٧٤٤ ومات في ١٨ دسمبر سنة ١٨٢٩ . وبين حياته وحياة مندل العالم النمسوي شبه كبير فكلاهما اكتشف اكتشافاً عظيماً في عالم الوراثة ولكنَّ مندل كان اوفر حظاً في ثبوت نظريته. وجهل الناس قدرهما في حياتهما ورفعوا اسميهما بعد مماتهما وكلاهما عاش فقيراً خامل الذكر بيد ان مندل كان اكثر تقديراً لان جثة لامارك طرحت بعد موته في الحفرة العامة مع الكلاب. وكلاهما انتظم في سلك الرهبنة فان والد لامارك حمله على دخول الدير ولما توفي والده انتظم في الجيش وكان شديد الميل اليهِ ومال الى علم الفلك والكيمياء . ولكن مواهبه تجلت في علم النبات فألّف فيهِ كتباً عديدة اشهرها نباتات فرنسا في ثلاثة مجلدات . وقد قدر العالم نظرية مندل بعد انقضاء ١٥ سنة على موته ولم تقدر فرنسا لامارك الا بعد انقضاء مائة سنة على وفاتهِ وعاش فقيراً معدماً واصيب بالعمى قبل وفاته

ان للامارك مع ما هو عليه من العلم آراء غريبة في الوراثة فهو يزعم ان تغير البيئة يفضي الى نشوء حاجات جديدة في الحيوان فتحمله على ان يسلك مسلكاً جديداً يقتضي استعمال اعضاء كانت كامنة فيزيد حجم تلك الاعضاء بالاستعمال او تنشأ لها وظائف جديدة . وعلى الضد من ذلك يؤول اهمال غيرها من الاعضاء التي عادت غير صالحة للاستعمال الى تلاشيها . فلو نقلنا بزور نبات تعوّد ان يعيش في ارض رطبة الى ارض جافة فان ذلك النبات يلائم نفسه للمحيط الجديد ويتحول الى نوع جديد يختلف عن الاول في صفاته بسبب تغير المحيط وتنتقل الصفة المتغيرة الى نسله . ويحدث مثل ذلك في الحيوانات . فالمحيط الجديد يتطلب حاجات جديدة تتولد منها عادات جديدة فينشيء صفات جديدة تنتقل بالوراثة الى النسل . فالزرافة (معجم الحيوان) Giraffe مثلاً التي تقتات اوراق الشجر وتضطر الى مد عنقها طلباً للقوت كلما علا الشجر اضطرت الى زيادة مد عنقها فصار عنقها طويلاً لهذا السبب واستطالت قوائمها الامامية والخلفية لسبب عينه وانتقلت هذه الصفة الى نسلها . هذا بحسب رأي لامارك . وتضطر الطيور التي تتطلب قوتها في الماء الى بسط اقدامها لتتمكن من السباحة فيتمدد جلد الرجلين ويتولد نسيج الاباهم . وقد اورد امثلة عديدة من هذا القبيل لا حاجة الى التوسع فيها اذ لم تثبت لها قيمة علمية . وقد ايد العلامة داروين هذا المذهب ونوه بفضل لامارك وتصدى له كثيرون من العلماء الحديثين فادعى برون سيكار الفرنسي انهُ اذا اتلفنا عضواً من اعضاء الآباء في الخنازير الهندية سواء اكان الاتلاف موضعيًّا او عامًّا فان تأثيره يظهر في النسل فيصاب بالصرع او بتر طرف من اطرافه او ابهام من اباهمه الى غير ذلك

وزعم غيره ان تعريض الجسم للشمس يصيّرهُ اسود وان هذا هو سبب سواد جلد الزنوج فاذا نقلنا رجلاً ابيض الى منطقة حارة اسودّ جلده بسبب حرارة الشمس . والحقيقة ان لون الجلد ناشيء عن وجود اصباغ في طياته يتلون بلونها والحرارة الزائدة تؤذي الجلد وبوجه خاص طبقاته الداخلية فيحصل ردّ فعل غريزيّ فيتنبه الجلد ويفرز مقداراً زائداً من الاصباغ التي تمتص حرارة النور وتمنع اذاها عن الجلد

وقالوا ان صنعة الحداد تسبب تضخم عضلاته وتنتقل هذه الصفة الى نسله . واهمال عضو من الاعضاء كعدم استعمال العين مثلاً يسبب ضررها وهذا الضرر ينتقل الى الابناء . والامثلة على ذلك كثيرة ولا حاجة الى الاطالة فيها

ومن اهم المعارضين لهذا المذهب والناقدين [illegible] نظرية استمرار [illegible] [illegible] الوراثة [illegible] [illegible] نظرية في الوراثة لان في الاخيرة [illegible] انتقال الصفات المكتسبة بقواعد عديدة تأييداً لنظريتهم [illegible] منها

...هذا بتر عضو من الاعضاء يصير البتر صفة في الفرد تنتقل منه الى نسله . فالهرة التي يقطع
...ها عمداً تلد هرة لا ذنب لها ومثلها الكلاب والابقار التي يتلف قرنها تلد عجلاً ذا قرن
...قد بين فيسمن ان الهررة التي تلد هررة لا ذنب لها متولدة من نوع خاص خال من الذنب
يعرف بهررة مانكس[1] Manxcats وان ولادة العجل بقرن واحد ناشىء عن عيب خلقي
...ه ايضاً باليهود والمسلمين الذين يمارسون الختان من قرون عديدة ومع ذلك لا يولد ابناؤهم
... خلقة بل يخلق بعضهم وفيهم ما يشبه الختان بسبب شواذ جنينية وهو يظهر في غيرهم ممن
...ون . وقد مضى على البشر الوف السنين وهم يتكلمون اللغات ومع ذلك يولد الطفل ولا يستطيع
...لم لغة بعينها ومتى بلغ العمر الذي يتكلم فيه ينطق باللغة التي يتدرب عليها فاذا كان عربياً
في بيئة افرنسية تكلم الافرنسية والعكس بالعكس . هذه خلاصة مختصرة لهذا المذهب
سنتبسط فيه الآن بصورة اوضح ونذكر مختلف الابحاث والتجارب التي ترشدنا الى الحقيقة.

...ن ناموس التباين والتحول ان الاشعاع يؤثر في العوامل فيولد صفات جديدة وان النبذ
...باري Selective elimination يختار انواعاً ويستغني عن اخرى وزعم انصار توريث الصفات
...سبة ان المحيط عامل ثالث في خلق صفات جديدة. وقد ثبتت نظرية الاشعاع الذي يحدث تحولاً
...نواع . ومع ان اكثر التحولات مضرة بالنوع فلم يقم دليل على عدم وجود تحولات نافعة
جرب العالمان Babcock و Collins تجارب بذباب الفواكه فناسلوا عدة انواع منه بعضها في
...قليل الاشعاع واخرى في محيط اشعاعه الطبيعي ضعف الاول فكان التحول في الاقليم
...ر الاشعاع اكثر منه في الاقليم الذي قل اشعاعه

غير ان تأثير الاشعاع ضئيل جداً فقد يؤثر في عامل ويعف عن جاره . وزعم بعض العلماء ان هنالك
...ات اشد فعلاً منه ولها تأثير كلي في تغيير الصفات كالحرارة العالية والواطئة والمواد الكيماوية
...ذاء. ووجد ملر H. J. Muller ان تحولات ذباب الفواكه اكثر في الحرارة العالية منه في المنخفضة
...م هلسب J. W. Helsop بعض انواع الفراش طعاماً فيه مواد معدنية فاخذ هذا الفراش يتلون
...م يتلون بلون قاتم مائل الى السواد . ثم صار نسله يتلون بهذا اللون دون اطعامه الطعام المحتوي
...المواد المعدنية بل انتقلت اليه صفة اللون بالارث وفقاً لمذهب مندل ولم يظهر هذا ...
...لم يتغذ اسلافه بالغذاء المذكور . فمن البديهي ان تكون المواد المعدنية هي ...

... هواء انكلترا الشمالية حيث مركز الحركة الصناعية ...
... وقد سبب دخان تلك المصانع تغيراً في انواع الفراش ...
... هريسن Harrison ...

(1) نسبة الى جزيرة مان Isle of Man ...

بالسائل الحامل املاح المعادن وزعم آخرون ان الغذاء الرديء يضر العوامل الوراثية وينشىء نسلاً معتلاً وان هذا هو سبب منشأ عاهات البشر . ولكن اذا تذكرنا ان في الخلية مادتين مغذية ومولدة تمكنَّا من دحض هذا القول فاذا كان في الاب مادة مضرة فمن الممكن ان تؤثر في السيتو بلازم من دون ان تصيب العوامل الوراثية بأذى فينشأ النسل معتلَّ الجسم ويخلق النسل الذي بعده صحيحاً اذا تغذى تغذية جيدة . وقد رأينا ان كثيراً من العوامل تنشأ معتلة دون ان يعيش الابوان في بيئة ملائمة او غير ملائمة وظهر في ذباب الفواكه الذي عاش في ظروف ملائمة مئات العيوب الوراثية التي انتقلت وولدت نسلاً عليلاً فالعيوب تظهر في بيئة غير ملائمة ونفس العيوب تظهر في البيئة الملائمة كذلك . فالعيوب تتوقف على العوامل الوراثية لا على الغذاء . فهل العيوب التي تظهر في النسل المتولد من سلف عاش في بيئة غير صالحة اكثر من عيوب نسل تحدر من سلف عاش في بيئة صالحة ? هذا ما سنجيب عنهُ الآن

لنبدأ بالحيوانات الوحيدة الخلية Protozoa ان المحيط الرديء يسبب انحطاطاً وراثيًّا في البروتوزى فقد عرَّض A. R. Middleton الستيلونيكيا Stylonychia لتأثير حرارة عالية فجاء نسلها ضعيف الحيوية وقلَّ معدل تناسلها مقدار الربع . فاذا اعدنا النسل المتولد من سلف عاش في الحرارة العالية الى الحرارة الطبيعية تضعف حيويته بالقياس الى غيره ممن لم يخضع لهذا العامل مما يدلُّ على انه السبب في توريث ضعف الحيوية بتأثير الحرارة العالية . وتوصل الى نفس النتيجة V. Tollos الذي عرَّض بعض الحيوانات النقاعية عدة اجيال متعاقبة لتأثير نترات الكاس ، فانخفض معدل تناسلها ولما فصل نسلها عن ذلك المحيط بقي معدل تناسله منخفضاً بتأثير الوراثة عن النوع الذي لم يتعرض لنترات الكاس . واجرى غيرهم تجارب عديدة من هذا القبيل توصلوا فيها الى نفس النتائج

يجري التناسل في الحيوانات ذات الخلية الواحدة بانقسام الخلية الواحدة الى اثنتين وتنقسم في التي اعلى منها الوف الخلايا فينشأ الفرد ويحملنا هذا الفرق على ان نتوقع اختلافاً في نشوء وتوريث العيوب التي تتولد من المحيط ولدينا تقارير تبين ان بعض العيوب الخلقية والوراثية تتولد من المحيط حتى في الحيوانات التي اعلى من البروتزوا . ولقد وجد Little and Bagg بعض العيوب في نسل فئران عرضت لاشعة اكس ولم تظهر تلك العيوب في الفئران التي لم تعرَّض . ومما يستدعي النظر ان العيب ظهر في عدد قليل جدًّا من الفئران التي عرِّضت لتأثير الاشعة فمن الممكن ان تكون تلك العيوب كامنة وظهرت . وقد مرَّ بنا ان الاشعة سبب من اسباب التحولات الفجائية فما يدرينا ان تلك العيوب ليست وليدة التحول . ووجد M. F. Guyer ان عيباً وراثيًّا ينشأ في عيون الارانب اذا ادخلنا مصلاً غريباً الى اجسامها ولكن هذا العيب ظهر في عدد قليل من الارانب التي اجريت عليها التجارب . ولم يتوصل غيره الى نفس النتيجة فمن الممكن ان منشأ العيب في العوامل الوراثية لا في المصل وعيوب كهذه تظهر دائماً في عيون الارانب

السفن والملاحة بمصر

من صلاح الدين الى نابليون

للدكتور علي مظهر

— ٢ —

عصر الايوبيين وسلاطين المماليك

ولما كان صلاح الدين وعصر الايوبيين عنى سلاطين هذه الاسرة بأمر الاساطيل دفاعاً عن البلا[د] التي كانت الفرنج تغير عليها او تطمع في ذلك . وقد افرد صلاح الدين للاسطول ديواناً وعين [له] عدة اقاليم وبلدان للانفاق عليه وكانت لهم اساطيل في البحر الاحمر كما كانت لهم في البح[ر] المتوسط الابيض

ويظهر مما ذكره المقريزي ان عناية صلاح الدين بالاسطول كانت اكثر من عناية خلفائه فق[د] كانوا لا يفكرون في امره الا عند الحاجة وقلت العناية بذلك حتى طمع الفرنج في بلادهم وهاجمو[ها] لما علموا بضعف البحرية الايوبية وسار الحال كذلك حتى ان كانت دولة المماليك الأتراك وع[ني] الظاهر بيبرس البندقداري بأمر الاسطول (٦٥٨ هـ) وتقدم بعمارة الشواني في الاسكندر[ية] ودمياط وكان يقوم على ذلك بنفسه وقد كانت بعض مراكبه تسير للفتح والغزو كما كانت تداف[ع] احياناً عن مصر وغيرها وعنايتهم كانت ضرورية لان اساطيل الروم كانت تجيء الى الثغور وتتعد[ى] على الاهالي بالسلب والنهب كما كانت تتعرض لسفن التجارة في البحر

وفي سنة ٩٠٤ هـ — سنة ١٤٩٨ م كانت سفن البرتقال قد اكتشفت طريق الهند مارة بر[أس] الرجاء الصالح يقودها فاسكو دو غاما ثم ارسل فرانسوى دالميدا وأخذت السفن البرتقالية تمخر [في] البصرة وعدن وتتعدى على سفن مصر والعرب التجارية وتنهبها وتستولى عليها وانقطع طريق اله[ند] عن مصر

ولما طلب السلطان مظفر شاه ملك كجرات والسلطان عامر ملك اليمن المساعدة من السلط[ان]

هل البربر عرب ؟

وهل لغتهم لغة ضاد اخرى ؟

لمحمد سعيد الزاهري*

قال الشيخ ابو القاسم : زارني ذات يوم مستشرق فرنسي كان ضابطاً في الجيش ثم احيل على المعاش ، ولم يكد يستوي جالساً حتى قال : لقد أتيتك اليوم مستفهماً سائلاً . فقلت : حبًّا وكرامة ، ولكني ارجو من فضلك ان لا تسألني عما ليس لي به علم . قال : سأسألك عن مسألة من مسائل التاريخ . قال فقلت : ومن قال لك انني من المؤرخين ؟ . قال : انا سائلك عما تعلم ، وما اريد ان اشقّ عليك . قلت : سلْ . قال : ان المؤرخين العرب الذين بحثوا عن اصل البربر قد ذكروا كل مذهب ، ونقلوا كل قول في هذا الموضوع . ثم عطفوا على ذلك كله بالنقد والتمحيص فنفوا ما نفوا وأثبتوا ما أثبتوا . ولكن مذهباً واحداً قد أهملوه ، فما تكلموا عنهُ ولا اشاروا اليهِ ، وهو مذهب الذين يرونَ ان البربر هم من اصل «لاتيني». فهل تعلم لماذا اهملوهُ ؟ وهل اهملوهُ متواطئين ؟ قلت : لعلَّ ذلك لانهُ لا يزال حديث العهد ، وليس المؤرخون العرب هم الذين اهملوهُ وحدهم فقد اهملهُ من قبلهم المؤرخون من اليونان بل والمؤرخون من الرومان . قال : نعم ، هو مذهب — كما قلتَ — لا يزال حديث العهد . لا يعدُّ من العمر الاّ بضعَ سنوات . واذا كان هذا هو عذر المؤرخين القدماء من اليونان والرومان والعرب ، فما بال هؤلاء المؤرخين من العرب المعاصرين ؟ . قلتُ : هذا الرأي اقل ما يقال فيهِ انهُ ما زال رأياً مفروضاً لم يقم عليهِ ادنى دليل يؤبهُ لهُ من العلم والتاريخ . فكل ما فعل اصحاب هذا الرأي هو انهم عمدوا الى النقوش والصور التي لا يزال بعض البربر الى الآن يضعونها على الاواني التي يتخذونها من الطين وهي صور ونقوش مصرية لايشك في مصريتها احدٌ من اهل العلم — وقالوا عنها انها تشبه من بعض الوجوه نقوشاً وصوراً وجدت في ايطاليا . واذاً فهي « لاتينية » لا « مصرية » واذاً فهي دليل على ان البربر هم من اصل « لاتيني »

ويُسمعنون في اثبات هذه الدعوى ، فيزعمون ان البربر حينما كانوا « لاتيناً » وكانوا نصارى نبغ منهم رجال في السياسة والادب والدّين مثل سانت اوغست البربري ، وانهم بعد ما صاروا عرباً مسلمين انحطّوا وتأخروا . ثم يقولون انهُ من الخير للبربر أن يعودوا « لاتيناً ونصارى ، ومن الخير لهم ان لايبقوا عرباً ولا مسلمين ... وكذلك بمثل هذا المنطق يحثّون البربر على ان يقطعوا كلّ ما لهم بالعرب من صلة القربى ، ويطلبون اليهم ان يخلعوا « جنسيتهم » كما يخلع الناس الملابس

---

* من مراجع هذا البحث : تاريخ الجزائر في القديم والحديث للاستاذ مبارك الميلي . الاستقصاء في اخبار المغرب الاقصى للناصري السلاوي . تاريخ آداب العرب للاستاذ مصطفى صادق الرافعي . ديوان العبر لابن خلدون

والنياب ! وهذا كلام (كاتري) هو تُرويج لاهواء السياسة ، ودعاية ضد الاسلام ، وليس مذهباً من مذاهب التاريخ . فمن الحقّ الواجب على كلّ مؤرخ يتوخّى الحقيقة والانصاف ان يهمل مثل هذا الكلام ، وان لا يورّط نفسه ، ولا قرّاءه في خصومة سياسية او في جدل ديني . فقال الضابط : انهم جاءوا بدليل آخر على هذه الدعوى ، وهو كلمات والفاظ بربرية وجدوا لها في « اللاتينية » ما يشابهها في اللفظ والمعنى . قال الشيخ فقلت : لقد سلك رِنّ Rinn المؤرخ الفرنسي نفس هذه الفلسفة اللفظية واعتمدها وحدها في معرفة اصول البربر ، فجعلهم اوزاعاً بين الامم والشعوب ، وانتهى الى انّ اكثرهم هنود وآريون ، حتى زعم ان عرب بني هلال الذين جاءوا هذه البلاد هم ايضاً « طورانيون وآريون » ! ! فقال الضابط ان هذه المشابهات اللفظية بين لغةٍ ولغةٍ لا يمكن ان توجد عفواً من غير ان تدلّ على شيءٍ . فكلمة « آرّوس » التي تعني في « البربرية » جبلاً معيّناً قريبة من كلمة « الروس » التي هي اسم روسيا ، وهذا التقارب بين اللفظتين يمكن ان يدلّ على ان بين البلدين نوعاً ما من التقارب المعنوي . قلت : الكلمة البربرية هي « آوْراسْ » وليست « آرُّوسْ » ، ومع ذلك فانّ بين « آوْراسْ » و« روسيا » صلةً اخرى . قال : وما هي ؟ قلتُ ان العشائر البربرية التي تسكن هذا الجبل هي عشائر زراعية تعيش من زراعة الذرة . ومن العجيب ان مزارعها واراضيها لا تزال مشاعة بين رجالها وابنائها يقسمونها بين من يحملون المساحي ، و« يتبعون المحاريث » وهم يتّبعون في ذلك نظاماً قديماً توارثوه خلفاً عن سلف يشبه ان يكون نظاماً « شيوعيًّا » لانهُ لا يعترف بحق التملك لاحدٍ كائناً من كان . ومع ان هذا « الوضع » يرجع الى عهد بعيد جدًّا ، ومع انهُ آخذ في الزوال ، فانهُ لا يبعد ان يكون مقتبساً من الاوضاع الشيوعية الحديثة التي تقوم اليوم في بلاد السوفييت ! ثم هو لا يبعد ايضاً ان يكون دليلاً على ان البربر هم من « الروس » وليسوا من « اللاتين » !! فضحك الضابط ، وقال : دعنا من الهزل ، غير انهُ دهش لهذا الاتفاق الغريب ! قال الشيخ : ومضيت احدثهُ ، واقول : الرُّومان هم اوّل من اطلق كلمة « البربر » على هذا الجيل ، يذمونهم بهذا الاسم ، ويعنون بهِ انهم همج متوحشون ، وما كانوا ليذموهم بهذا ، لو انهم كانوا يمتون اليهم بقرابة او نسب . فقال : والعرب ايضاً يذمونهم بهذا الاسم الذميم . قلت : كان ذلك بعد ما اشتهروا به وصار لهم علماً يعرفون بهِ بين الشعوب ، على ان عامة هؤلاء العرب الذين لم يتأثروا بهذا الاسم الروماني لا يسمونهم « البربر » بل يسمونهم « الشّلح » يمدحونهم بذلك ، ويعنون انهم اهل نجدة وشجاعة ، وانهم اولو قوة ، واولو بأس شديد . وما كانو ليمدحوهم بمثل هذا المدح لو لم يكونوا لهم ذوي رحم واولي قربى . قال : أفتعتقد انّ البربر عرب ؟ قلتُ : يكاد يجمع المؤرخون على ان البربر يجمعهم جِذْمان عظيمان : البُتر والبرانس ، ويكادون يجمعون على ان البتر من ابناء برّ بن قيس بن عيلان بن مضر ، وانّ قبيلتي كتامة وصنهاجة (من قبائل البرانس) هما من عرب اليمن [illegible]

باسمه « افريقية » فيما بعد . وذلك حينما رجع من غزوها . وروى ابن عبد البر عن بعض النسابة من البربر ان البتر والبرانس هما جميعاً لاب واحد هو النعمان بن حمير بن سبا . ويرى المسعودي وغيره انهم اوزاع من اليمن وغسان ولخم وجذام وغيرها من قبائل العرب . وقيل هم من العماليق . وقيل من العبر والفينيقيين وقيل من المصريين الا ان ابن خلدون يرى ان البربر كلهم من ولد مازيغ ابن كنعان بن حام بن نوح ، ولا يستثني الا قبيلتي كتامة وصنهاجة الحميريتين . على ان ابن خلدون ليس له دليل على دعواه هذه الا ما حكاه من ان البربر لا يزالون يتسمّون « الامازيغ » . وهذا لا يكفي في اثبات هذه الدعوى ، فقد تكون ثمة « مزيغة » اندمجت في البربر فغلب عليهم اسمها . وقد انقرض اليوم هذا الاسم بالمرة . الا ان قبيلة بربرية صغيرة لا تزال الى الآن تسمي لغتها « تمزيغت » اي المازيغية » وليس من الحق ان نترك ما يراه جمهور المؤرخين من عروبة البربر . وما يقوله نسّابة البربر انفسهم عن اصلهم العربي . لكي نعتمد هذا القول الذي لا نجد عليه دليلاً ، وان رآه ابن خلدون . وها انت ترى ان كثيراً من المؤرخين يرون ان البربر عرب ، وانهم ينزلون من العروبة في صميمها ولست انا وحدي ارى هذا . قال الشيخ : فقال لي الضابط : الآن انحلّ المشكل . فقلت : وأي مشكل ؟ قال لدي حار فيه اكثر الفرنجة الغربيين الذين كتبوا في تاريخ البربر . قلت : وما الذي حاروا فيه ؟ قال : امتزاج العرب والبربر امتزاجاً شديداً . حتى صاروا في مدة قليلة امة واحدة متجانسة الاخلاق والعادات . وهذا مما عجب له كتّاب الفرنجة اشد العجب ، وحاروا في تعليله ومعرفة اسبابه . وقالوا انه لم يوجد له مثيل في التاريخ . وها انت قد حللت المشكل ، وقلت ان العرب والبربر هما من عنصر واحد يجري في عروقهما دم واحد . قال الشيخ فقلت : نعم ، والعرب حينما توغلوا في هذه البلاد بفتحهم لها لم يخطر احد منهم ان يتخذ لنفسه ترجماناً بينه وبين البربر وهذا معناه ان اللغة البربرية لم تكن يومئذ تزيد على انها لهجة عربية محرّفة بعضها العربي دون مشقة او عناء وكان يومئذ اكثر اسماء الاعلام عند البربر عربيًّا . وهذا « طارق بن زياد » القائد المشهور . وفاتح الاندلس قد قال عنه التاريخ انهُ بربري ، وانهُ هو صاحب الخطبة المشهورة ، ولئن سمي « طارق » باسم عربي في اوائل الفتح الاسلامي ، فقد سُمّي ابوه قبل ذلك « زياداً » ! وانا لا شك في نسب طارق . ولا في نسبة الخطبة اليه . ولكن هذه الخطبة التي هي آية خالدة من آيات البيان العربي ، هي ايضاً تمثل « النفسية » العربية في اكرم [illegible] واسمى معانيها . ومعنى ذلك ان « طارقاً » عربي بطبعه ومزاجه ، وعربية تلك النفس [illegible] [illegible] ، وعرب قومه : هؤلاء الذين يسمونهم « البربر » او « الامازيغ » .

[illegible] ان كل ما قيل في اصل البربر انما ينطبق على البربر قبل الاسلام ، اما [illegible]
[illegible] صرح في العروبة [illegible] [illegible] مرتب [illegible]
فاعوا بها [illegible]

الفرنجة ان البربر في منتصف القرن السادس للميلاد قد خسروا خمسة ملايين من الانفس في حروبهم مع الروم البيزنطيين وذكر المؤرخون العرب ان البربر خسروا في حروبهم مع العرب — ايام الفتح الاسلامي — خلقاً كثيراً . واذا انت اضفت الى ذلك ما خسروه من قبل ومن بعد في الفتن والثورات ايقنت ان اكثرهم قد تلاشى . ولم يبقَ منهم الاَّ فلول وبقايا قد اعتصموا بقنن الجبال ، ولاذوا بالصحاري . ثم حدَّثنا التاريخ ان موجات عظيمة من العرب قد غمرت بلاد البربر هذه في اوقات مختلفة . وقد احصيت موجة واحدة من هذه الموجات العربية فاذا هي تربي على مليون نسمة ، وهي موجة بني هلال وحلفائهم الذين نقلهم الفاطميون في القرن الخامس الهجري من صعيد مصر ، وأرسلوهم نقمة على دولة الصنهاجيين الذين كانوا يومئذ ينصرون مذهب اهل السُّنة في هذه البلاد ، ويضطهدون مذهب الشيعة فيها . وكانت المذاهب الدينية الاسلامية يومئذ بمنزلة الاحزاب السياسية اليوم ، يصطنعها اولو الامر لتمكين نفوذهم وتأييد مُلكهم ويتخذها المتطلعون الى العروش والتيجان وسائل ومطايا الى انتزاع الحكم والسلطان

وكان النزاع بين هذه المذاهب قاسياً عنيفاً في منتهى القسوة والعنف لا يتورَّع فيه المتنازعون عن الاغتيال وسفك الدماء . وكان لكل مذهب دعاة وزعماء قد انبثوا بين قبائل البربر ينشرون دعوتهُ ، ويستعملون كل وسيلة من وسائل الاغراء والارهاب ليحملوا الناس على ان يعتنقوه طوعاً وكرهاً . وكان العرب من هؤلاءِ الدعاة والزعماء « يتبربرون » استمالةً للبربر ، واخفاءً لانفسهم وغاياتهم عن « الخلافة » القائمة يومئذٍ ، وتضليلاً لعيونها وارصادها وكانوا يكثرون التزوّج من النساء البربريات ، استكثاراً للحماة والخؤول والانصار . وقد اصبح ابناؤهم بعد ذلك « بربراً » أقحاحاً . وهؤلاء اهالي وادي مزاب في جنوب الجزائر يتكلمون اليوم اللهجة البربرية كلغة منزلية ، ولكنك اذا اطَّلعت على انسابهم واصولهم وجدتهم كلهم من العرب الذين « تبربروا » لسبب من مثل ما اقول . ويحدّثنا التاريخ ان الادارسة الطالبيين قد فرُّوا الى البربر واندسُّوا بينهم هم ومن كانوا حولهم من الاشياع والاتباع والمريدين . ثم صاروا بالفعل « بربراً » ، وذلك فراراً بانفسهم من سيف هادم دولتهم موسى بن ابي عافية ومن سيوف رجاله الذين امعنوا فيهم تشريداً وقتلاً . وكذلك ما زالت دولة الاَّ و« تبربر » اكثر اشياعها وانصارها . وكلما قامت دولة الاَّ واندسَّ خصومها بين البربر ، واختفوا من الميدان . و« عملية التبربر » هذه هي عملية بسيطة جداً فما هي الاَّ ان يقيم العربي بين البربر مدة من الزمن حتى يصبح منهم . وقد شاهدنا عرباً خلّصاً افراداً وجماعات قد اضطرتهم مصالحهم الحيوية او الحروب الاهلية الى الاقامة بين البربر فلم يكد يمضي عليهم زمن قليل حتى « تبربروا » عن بكرة ابيهم واخرى تدلُّ على عروبة البربر ، و[illegible] العروبة ويميلون اليها كل الميل . وقد قرأنا تاريخ البربر ، ودرسنا حياتهم الحاضرة [illegible]

ولقد اسس البربر دولة كبرى في هذه البلاد ، وأسسوا في بعض انحائها امارات صغرى ، ولكن لم تقم ولا واحدة منها على العصبية البربرية ، بل قامت كلها على دعوات دينية محضة لا اثر « للبربرية » فيها . وأكثر الاسر البربرية التي اسست هذه الدول والامارات ، قد ادعت لنفسها العروبة وادعت ان نسبها يتصل بآل البيت . فبنو عبد الواد ، وبنو زيان ، وبنو مرين ، والموحدون كلهم قد ادعوا انهم عرب ، وانهم من السلالة الهاشمية . أما محمد بن تومرت البربري فلم يكتف بادعاء العروبة وبالانتساب الى آل البيت النبوي الكريم ، بل زعم انهُ هو « المهدي المنتظر » . والفوا كتباً كثيرة في اثبات « شرف » هذه الاسرة البربرية مثل « قلائد العقيان في شرف بني زيان » وغيره . وهذا ان لم يدل على ان هذه الاسر البربرية هي من سلالة هاشمية فهو يدل على منزلة البربري العروبة وعلى مكانة العروبة في انفسهم . وانه لا يستبعد ان يكون هؤلاء عرباً ، ولا ان يكونوا « هاشميين » .

ولو ان ابن خلدون نظر الى اللغة البربرية لكان له رأي آخر في اصل البربر : واذن لوجد فيها ما يدله على عروبة البربر ، او ما يدله على الاقل على ساميتهم . فهذه اللغة البربرية هي عربية لا في الفاظها ومفرداتها فقط ، بل ايضاً من حيث تركيبها وحروف المعاني فيها . ولا تزال تلازمها بعض خصائص اللغة السامية الاولى ، ومن اغربها مثلاً هو حرف السين فهم يقولون « كتابس » اي كتابه او كتابها ، ويقولون « معس » اي معه او معها ونحو ذلك . وحرف العين لا يوجد في كلمة بربرية ، وكل كلمة فيها عين فهي عربية « مبربرة » او ان هذا الحرف لا يوجد في كلمة بربرية الا في النادر القليل . ولقد قالوا ان اللغة السامية الاولى يعبر فيها عن ضمير الغائب بحرف السين ، وانها لا « عين » في كلمة من كلماتها . ومخارج الحروف في البربرية هي عربية خالصة حتى انك لا تجد فيها حرفاً غير عربي . ومن العجب ان هذه اللغة هي ذات ضاد كالضاد العربية تماماً . فالفعل المضارع المسند الى المخاطب يختم فيها دائماً بحرف ينطقهُ كثير من البربر ضاداً عربية فصيحة . وهناك اسماء بربرية فيها هذه الضاد . منها : « آضيل » : العنب . « آحبوض » : التمر في لغة « [illegible]ـوض » : البطن و[illegible] « آمقران » : العظيم او الكبير . « آمتشيض » : التين . [illegible] : الارجل [illegible] وذلك في الضابط بالنتائج التي كنت انتهيت اليها في هذا [illegible] البربرية [illegible] الشق الطويل ، وهي ان هذه البربرية ليست لغة [illegible] اكثر بعداً عن العربية [illegible] هي [illegible] تغيرت بطول الزمن حتى اصبحت [illegible] التي تتكلمها الشعوب الناطقة بالضاد . ويجوز مع [illegible] انقضت كل [illegible] فيها حتى [illegible]

هل الانسان آلة

الجدال يتسع نطاقه ويتشعب

هل شكسبير وأديصن وانيشتين والآلة من قبيل واحد ؟

في اللغة العربية ثمانية وعشرون حرفاً ، تجدها في مؤلفات الجاحظ والرازي وابن سينا كما تجدها في اشعار البحتري والمتنبي والمعري وشوقي . وفي الطبيعة اثنان وتسعون عنصراً تتركب منها الجمادات على اختلافها والاحياء على تنوّع مراتبها من الاميبا الى الانسان . فالمواد الاساسية واحدة في الانسان وحجارة الاهرام واليواقيت الكريمة وخراطين الارض وزواهي الازهار . فاذا نزلت مراتب السلّم الحيوي رأيت الخلايا قد قربت في شكلها وتصرُّفها من بعض الجوامد . بل كلما اقتربت من الاميبا وهي ادنى الاحياء ، رأيت الجسم الحيّ وقد اصبح اوثق ارتباطاً ببيئته وأشد اعتماداً عليها ، من الاحياء العليا التي تستطيع ان تستقلّ عن بيئتها بعض الاستقلال ، او ان تعدّل فيها وفقاً لحاجتها . فالخلية الواحدة في هذه الاحياء الدنيا تصبح في عرف علم الحياة «تكويناً كيمائيّاً طبيعيّاً» Physico-chemical-system خذ مثلاً على ذلك قطرة من الكلوروفورم وصبّها على قطعةٍ من اللكّ Shellac فتتحرك القطرة عليها حركة شبيهة بحركة الاميبا . فيسند الطبيعي حركتها هذه الى قوة الجاذبية السطحية ، التي تمكّن الحشرات من المشي على الماء ، وتجعل قطرات المطر تتجمع كريّات صغيرة على سطحٍ لا يخترقهُ الماء . او خذ قطرة من الكلوروفورم وضعها على خرزةٍ مغطّاة باللكّ ، فتنتشر حول الخرزة المغطاة وتأكل اللك وتهضمهُ ثم تقذف الخرزة نفسها . ولو كانت الاميبا محلها لما استطاعت ان تفوقها في تصرُّفها هذا

كل ظاهرة من ظاهرات الحياة تمكن اعادتها في المختبر ، حتى ظاهرة التكاثر ، على ما ترى في بلورات الشبّ او كبريتات النحاس . ومع ذلك يظلُّ الفرق كبيراً جدّاً ، بين كتلة من البروتوبلاسمة ، وقطرة من الكلوروفورم تبتلع اللكّ وتهضمهُ . ولكن اذا صعدت سُلّم الاحياء ، وجدت الفرق بين الحي وغير الحي واضحاً لا شبهة فيه . الانسان مستقل عن بيئته الى حدّ بعيد ، ولكن الاميبا ليست مستقلة . ومع ذلك فالانسان ليس الاّ نظاماً معقداً من البروتوبلاسمة لا فرق في تركيبه الاساسي ، بينهُ وبين مادة الخلية البدائية

وقد نشأت في خلال العصور مدرستان من مدارس الفلسفة ، الاولى وهي المدرسة الحيوية

يقول اصحابها ان الانسان مخلوق مميز بالروح والشعور والارادة الحرة . أما اصحاب المدرسة الثانية — المدرسة الآلية — فيردُّون على اولئك بأن الانسان كالاميبا ، « تكوين طبيعي كيماوي » انما هو اشدُّ تعقيداً منها في تركيبهِ . ليس ثمة روح ولا ارادة حرَّة . واذا كان يبدو لكم ان الانسان حرّ الارادة فذلك لان سبر استجابتهِ لمنبهات او الحوافز المختلفة الناشئة عن بيئتهِ معقَّد وصعب، لم تجدوا اليهِ السبيل بعد . وكلما اتسع نطاق معرفتنا ببيولوجية الانسان وسيكولوجيتهِ ، نزداد اعتقاداً بأنهُ اقرب الى ان يكون « آلة معقدة التركيب »

ومن المتعذر ان تخضع هذه المذاهب والآراء للامتحان . لان الجسم البشري ما يزال متسماً بسمة مقدسة تجعل تجربة التجارب الحيوية فيهِ امراً متعذراً . فالعالم فساليوس اضطهد في عصره لانهُ شرّح جثة . ولست تجد الآن طبيباً او بيولوجياً يجرؤ على اجراء تجربة ما على طفل قبل ان يمتحنها امتحاناً دقيقاً بتجربتها اولاً في الحيوانات . بل ان استعمال الحيوانات في بعض هذه التجارب ، مقيَّد في بعض البلدان بقيود ثقيلة . والمذهب الآلي يمكن امتحانه باحدى طريقتين . إما بدراسة التوائم وإمَّا باستنباط الآلات التي تتصرف تصرفاً يشبه السلوك الانساني في نواحيهِ العامة

فلنبدإ بالتوائم . فالتئمان اولاً يجب ان يكونا من بيضة واحدة (Identical) لان الشبه التام بين تئمين من هذا القبيل يجعل التفريق بينهما متعذراً حتى على الام

خذ مثلاً على ذلك تئمين من هذا القبيل يدعيان « جمي » و « جوني » . امهما عاملة تلفون ووالدهما سائق سيارة . فمنذ ما بلغ هذان التئمان عشرين يوماً من العمر ، عنيت بهما الباحثة مرتل ماكرور من علماء معهد الامراض العصبية بنيويورك . فجعلت تستقدمهما اليها في كل صباح . كان « جوني » اضعف بنيةً عند ولادتهِ من تئمهِ « جمي » . وقد بلغا من العمر عشرين شهراً الآن . أما « جوني » الضعيف عند الولادة فقد درّب ومرّن ، حتى أصبح يستطيع ان يتزحلق على القباقيب وان يغوص في الماء ويسبح فيهِ وان يتسلق سلَّماً . أما تئمهُ فلم يدرّب بل ترك وشأنهُ . فهل يستطيع ان يجاري « جمي » تئمهُ في شيءٍ ؟ كلاَّ . بل اذا وضع على رف مرتفع قليلاً بدأ يعول خوفاً واستنجاداً وعند المقابلة الآن ترى كأنَّ « جوني » ، يفوق « جمي » ذكاءً ومقدرة

فنحن هنا امام طفلين بلغا في تشابههما عند الولادة اقصى ما يمكن ان يبلغ التشابه بين كائنين ، ولكنهما يختلفان الآن اختلافاً كبيراً ، بعد سنةٍ واحدةٍ من المرانة والتدريب

ولكننا نشكُّ كثيراً في اننا نستطيع بلوغ الحقيقة في هذا الموضوع عن طريق دراسة التوائم . واذا كان الانسان آلة فيجب ان يكون في وسع البيولوجي ان يستنبط آلة خالية من الروح ، ولكنها تتصرَّف كما يتصرَّف الكائن الحي . والعلماء لم يغفلوا ذلك ، بل انَّ طائفة منهم قد حاولتهُ

في اوائل هذه السنة ، وقف طالب من طلاَّب معهد ماستشوستس الفني الصناعي Techonology ويدعى نورمن كرِمْ Krim امام قسمٍ من اقسام معهد المهندسين الكهربائيين في اميركا ، وقرأ رسالة

[illegible] ان [illegible] القارئ عند هذه النقطة ان

عنوانها « الفعل العكسي المحوّل ومقابلهُ الكهربائي الميكانيكي » . وفي هـذه الرسالة
آلة كهربائية يمض فيها احياناً وميض العقل الانساني ، ثم تكتنفها غياهب الجمود . واشـ
في مقالتهِ الى انهُ تتبّع مباحث الاستاذ كلارك هلْ وصحبهِ في جامعة يابل الاميركية
بنوا آلات مختلفة ، تستطيع ان تتذكر وتنسى . وهؤلاءِ المستنبطون ليسوا واهمين
الى الآلات التي استنبطوها . فانهم لا يتوهمون ولا يريدون ان يرهموا انهم صنعوا
الميكانيكيّ (Robot) الذي تصوّرهُ الكاتب التشكوسلوفاكي كابك في مسرحيّتهِ ، ولا ان
آلات للاعمال التجارية والمالية تحصي وتعيدُ وتجمع وتطرح من تلقاءِ نفسها . بل هم من
المذهب الآلي في طبيعة الحياة ويحاولون بما يقومون بهِ من المباحث واستنباط ما يستنبط
الآلات ، ان يكشفوا السرّ الغامض اذا امكن من هذه السبيل

فهم يعتقدون ان كلمات « العقل » و« الروح » و« النفس » الفاظ لا معنى لها ، ور
مخلّفات الماضي الغيبية ، وان الانسان سواء اكان عبقريًّا كاينشتين او ابله ، لا يعدو ا
نظاماً معقّداً من المادة يتفق ان تكون في حالة ندعوها حالة الحياة ، وانهُ لا بدَّ في الـ
تفسيرها بقواعد الطبيعة والكيمياءِ والكهربائية . والواقع ان الغرض من الآلات التي
وهلْ وصحبهما ، انما هو اقامة الدليل على ان الانسان آلة Automaton — مخلوق تعلّم ان
لقوى داخلية وخارجية استجابة طلقة Spontaneous عند ما تفعل هذه القوى في الحواس و
من الجهاز العصبي. ففي جميع المحاولات التي حاولوها صنعوا آلات ميكانيكية وكهربائية وكيمائية
تستطيع ان تفعل فعل «التأثير العكسيّ المحوّل » الذي اشتهر بهِ العلاّمة الروسي ايفان
ولسنا في حاجةٍ الى الافاضة في موضوع بافلوف فقد سبق لنا وصف المباحث الاساسية التي

فقد حصر[١] هذا العالم تجاربهُ في الكلاب . ومن المعروف ان الكلب ، ككل الاحيا
اذا رأى قطعة من الحلوى سال لعابه . فاستغلَّ بافلوف هذه الظاهرة ، وهي ظاهرة من
التي تسمى « افعالاً عكسية » اي انهُ من الافعال التي يؤديها الجسم بقاسر ذاتي ، ومـ
يكون لتجاريب الحياة فيها أقل أثر . وهنالك كثير من الافعال العكسية بعضها اصيل
مؤصل . ومنها ما يمكننا مشاهدتهُ في الاطفال ، ومنها ما يتأصل على قدر من العمر و
الايام . فالطفل يعطس ويتثاءب ويتمطّى ويحوّل عينيهِ نحو النور ، ويأتي غير ذلك مـ
في مختلف اطوار عمره ، من غير ان يكون في حاجة الى ان يتلقنها او يتلقاها عن
هذه الافعال تدعى الافعال العكسية او بالاحرى ، كما دعاها بافلوف افعال عكـ
Unconditioned Reflex actions وهي بدأتها التي كانت تدعى من قبل الغرائز stincts
المركبة كغريزة بناء الاعشاش في الطيور ، تلوح كأنها جملة مندمجة من افعال عكسية

العكسية في الحيوانات الدنيا قلما تؤثر فيها تجاريب الحياة . فان الفراشة تستمر تحوم حول الضوء حتى بعد ان يحترق جناحاها . وعلى الضد من ذلك تجد الحال في الحيوانات العليا . فان تجاريب الحياة لها في هذه الافعال العكسية الاصيلة ، تأثير بالغ فيها. ولا يخرج الانسان عن حكم هذه القاعدة. ولقد قصر بافلوف تجاربهُ كما قلنا من قبل على سيل اللعاب في فم الكلاب . فخلص منها بالقاعدة الآتية قال :

« عند ما يقترن بالمنبه الذي يبعث اي فعل عكسي اصيل او يتقدم عليهِ ، مرات عديدة منبه ثانٍ ، فان هذا المنبه الثاني يحدث مع الزمن نفس الاستجابة Response التي كان يبعثها المنبه الاول في احداث فعل عكسي متحول » . — Conditioned Reflex action

فان سيل اللعاب فعل عكسي أصيل ، لا يحدث اصلاً الاَّ عند وجود الطعام في الفم . ومن ثمَّ يحصل عند مرآى الطعام او شم رائحته ، او عند حدوث اية علاقة او اشارة تسبق مباشرة الاكل . وكل هذه الافعال يدعوها بافلوف الافعال العكسية الاصيلة . ثم قرن تقديم الطعام بقرع جرس وكرَّر ذلك مراراً . ثم استغنى عن تقديم الطعام فاصبح قرع الجرس يسيل اللعاب في فم الكلب فالاستجابة (سيل اللعاب) واحدة في الفعل العكسي الاصيل والفعل العكسي المتحول ولم يستحدث في الامر من شيء الاَّ « المنبه » Stimulus الذي يشترك او يتحد مع المنبه الاصلي من طريق التجربة . وهذه القاعدة هي اساس كل تعليم او استيعاب للمعلومات ، واساس الظاهرة النفسية التي كانت تدعى من قبل « تداعي او اشتراك الافكار » ، واساس تعلم اللغات ، واستحكام العادات واستبدادها بالافراد والجماعات ، وعلى الجملة هي الاساس العملي لكل مناحي السلوك الانساني الخاضع للتجربة

وبعد ان استرشد بافلوف بهذه القاعدة مضى يطبقها على ما يخطر بباله من ممكنات التطبيق . فانهُ لم يقتصر على امتحان منبهات الطعام الشهي . بل عمد الى الاحماض المكروهة ، يأخذ منها منبهات يستعملها في تجاريبه ، حتى يستطيع ان يؤصل في كلابهِ استجابات « التوقي » ، كما يؤصل فيهم استجابات « التشهي » فبعد ان ينبه فعلاً عكسيًّا اصيلاً ، يعمد الى قمعه بفعل آخر . فاذا كانت العلامة او الاشارة التي يعمد اليها يعقبها نتيجة مرغوب فيها طوراً ، ونتيجة مكروهة طوراً آخر ، فان الكلب يصاب باضطراب عصبي مثل الهستريا او النورستانيا ، وتظهر عليهِ كل العلامات المميزة لاحد المرضين

ففي كل فعل عكسي عنصران . الاول هو الحافز او المنبّه وهو بمثابة الضغط على زناد البندقية . والثاني الاستجابة ، وهو ما يقع بعد الضغط على الزناد اي انطلاق البندقية

فهل الجسم آلة تسيطر عليها قوى من قبيل ما يعرف بالحوافز او المنبّهات Stimuli ؟ اما بافلوف واتباعهُ فيرون ذلك . ثم ان الدكتور وطسن الاميركي قد بنى فلسفة نفسية كاملة على هذا الاساس، تعرف بالسيكولوجية السلوكية Behaviouristic فاذا صحَّ هذا ، فمن العبث ان نبحث عن سرّ عظمة [illegible] وايلشتين ولكن ونيوتن في اندماج خاص من الخلايا الحية تلقوها وراثة من اسلافهم [illegible] ذ آلات حية ، تطبّعت — والتطبّع قائم على قاعدة الفعل العكسي المتحول —

بحوافز بينها لتخرج خططاً اجتماعية خطيرة كارئيس لنكن ، او مصابيح كهربائية وغراموفوناً كاديسن ، او نظريات في الكون كنيوتن واينشتين

واصحاب هذه النزعة لا ينكرون الحب والبغض والبطولة . وانما يقولون ارونا السلوك الذي تطلقون عليه صفة الحب او صفة البغض او صفة البطولة ونحن نشرع في تجربة تجارب تمكننا من الانباء بدقة عن الوان هذا السلوك . فاذا قبلت هذه النظرية ، اصبحت الخطوة التالية ، جلية ، محتومة ، وهي بناء شيء يتصرف كالحيوان ولو كان في ابسط عناصر تصرفه

كيف يفسر اصحاب المذهب الآلي الفعل المكسي البسيط والمحوّل ؟ كيف يفسرون سيل اللعاب عند رؤية الطعام ؟ يقولون ان العين تبعث رسالة الى الدماغ . فيصدر الدماغ الاوامر الى الغدد اللعابية واللسان والفكين والفخذين وغيرها من الاعضاء . فتنشأ كذلك صلة بين مراكز الحس ومراكز الحركة ، التي تسيطر على الغدد والفكين وغيرها . ثم ان مباحث السر تشارلز شرنتن الانكليزي قد اثبتت ان رسالة العصبية من قبيل التيار الكهربائي

فلنعد الآن الى احدى الآلات التي استنبطها هَلْ وكرمْ وصحبهما . فهي عبارة عن دورة كهربائية تحتوي على بطرية وزرٍّ للكبس ومصباح . اضغط على الزر . فهذا الضغط في الآلة المنبه ويقابل مشاهدة الكلب للطعام . فينير المصباح وهذه الانارة هي الاستجابة وتقابل سيل اللعاب في فم الكلب

اما الفعل المكسي في الكلب — اي سيل اللعاب عند رؤية الطعام — فقد تحوّل . فأصبح يسيل عند قرع جرس بعد مرانة . فكيف نعلّل ذلك ؟ ليس ثمة صلة مباشرة بين العين والاذن ولكن وراء العين والاذن نجد الدماغ وهو اشبه شيء بمركز كهربائي . بل هو يفوقهُ ، في مركز تنسّق فيهِ الرسائل العصبية حتى لا يتعارض بعضها مع بعض . فكلما قرع الجرس استثير العين والاذن ، استثارة غير مباشرة ، عن طريق الدماغ (اي الجزء من الدماغ المعروف بالمخيخ) لتستطيع ان تستغني عن المخ في حياة الكلب وتظلُّ قادراً ان تحدث في الكلب فعلاً عكسيًّا محوّلاً كاسالة اللعاب لدى قرع الجرس بدلاً من اسالتهِ عند رؤية الطعام

ثم لننتقل من الفعل المكسي المحوّل الى الآلة . فنضيف اليها بطرية ثانية وزرًّا ثانياً ومصباحاً ثانياً . اضغط على الزر الثاني ، فلا ينير المصباح الاول . فكأنك قرعت الجرس امام الكلب مرّة فلم تتأثر بصوتهِ غدده اللعابية . ثم اضغط على الزرّين معاً فيضيء المصباحان معاً . فكأنك قدمت الى الكلب الطعام وقرعت الجرس معاً فسال لعابهُ . وامضِ في ضغط الزرّين . فكأنك تعلّم هذه الآلة نوعاً من تداعي الافكار . او كأنك تدرّبها على تحويل فعلٍ عكسيٍّ لسيل . وبعد ان تفعل ذلك عشر مرات او عشرين مرةً ، اضغط على الزر الثاني وحده — هو الزر القائم

نة سفن البرتقال بقيادة فرانسوى دالميدا وقد حدثت وقائع عادت بعدها سفن مصر بعد ان
ت بعض قطعها ثم عاد سنة ٩١٧ هـ قاصداً كجرات ثانية وقد ساعدت سفن البنادقة السفن المصرية
ـه الغزوة البحرية لان الضرر لحق بالفريقين من تحويل البرتقال لتجارة الهند عن طريق رأس
الصالح وكان ذلك في ايديهم من قبل

لم تكن سفن البحر الاحمر هي كل ما كان للغوري فقد كانت له اساطيل بالبحر الابيض وقد
بعد الامير كركور اخا السلطان سليم بعشرين سفينة حربية لتساعده على ان يكون سلطاناً بدل
وقد وقع اغلب هذه السفن في يد العثمانيين . وقيل بل اصابتها زوبعة شديدة غرق كثير منها
لى العثمانيون على باقيها . وفي سنة ٩١٩ هـ دخل اسطول برتقالي الى البحر الاحمر واخذ في اعمال
والتخريب فسار اليه الاسطول المصري بقيادة الامير حسين بك الكردي وقد تمكن من
السفن البرتقالية عن عدن فلما انتصر المصريون سار الاسطول البرتقالي طالباً عرض البحر
عاد الاسطول المصري الى مياه اليمن فعاد البوكرك Albuquerque البرتقالي باسطوله واراد
مانة بنجاشي الحبشة على المصريين وفاوضه في امر تحويل مصب النيل الى البحر الاحمر ليموت
صر وبلادها عطشاً (!!؟) وكان يظن هذا امراً يسيراً

قد ضايقته الاساطيل المصرية واحتلت جزيرة قران كما استولت على كثير من بلاد اليمن واقلع
حسين الى عدن وهاجمها واستولى على زيلع وغيرها وجاءه مدد بقيادة الامير سلمان احـد
صر لجعله يرافق سفن تجار عدن القاصدة بلاد الهند وكان سلمان هذا على خمسين غراباً[1]

ما زالت سفن البرتقال تتعدى على سفن المسلمين في تلك المياه حتى استولت الدولة العثمانية على
وقامت اساطيلها بمحاربة البرتقال حتى منعت عدوانهم واطمأنت ثغور بلاد العرب من شرهم

البحرية بمصر بعد ان صارت ولاية عثمانية

فتح سليم مصر وضع لها نظاماً تسير عليه في ادارتها وجعلت اساطيله تتردد على مياهها اما
ها او لاظهار قوة الدولة في نفوس من بقي من المماليك لاسيما على ثغور البحر الابيض
بعد ان عاد السلطان الى الاستانة كان خير الدين بك الوالي الفعلي الذي تركه سليم على مصر
ي اصلاح المراكب الموجودة بالنيل يساعده في ذلك خير بك امير الامراء
ا ما كان لمصر من اغربة (مراكب بحرية) بالبحر الاحمر حينئذٍ ايام قانصوه الغوري فقد كان
ا قد ضاع وفقد وما بقي منها حجزه الامراء المصريون بجهات اليمن بقيادة سلمان رئيس
رك الذي ذكرنا اسمه

ولكن امضِ في ضغط الزر الثاني ، فينير المصباح الاول عدّة مرات . ثم يتوقف عن الانارة . وهذا يقابل ما يقع تماماً للكلب . فانك بعد ان تعوّده الاستجابة لقرع الجرس بسيل اللعاب يمضي يسيل لعابهُ عدة مرات كلما قرع الجرس . ثم كأنَّ كيانهُ يستيقظ الى ان الغرض من سيل اللعاب هضم الطعام ، وقرع الجرس هذا لا يقدم لهُ طعاماً ، فيرفض كيانهُ بعد ذلك ان يُسيل اللعاب في الفم عند قرع الجرس اي ان الفعل العكسي المحوّل يرتدُّ فعلاً عكسيًّا اصيلاً

او خُذ آلة اخرى مبنية من عيون كهربائية تتأثر باللونين الاحمر والاخضر وادوات كهربائية اخرى لايهمّنا التوسع في وصفها . فقد وضع المستنبط هذه الآلة في صندوق يشبهُ في شكلهِ رأس الانسان واقامهُ على عجلات تسير على قضبان ، فتستمدُّ الآلة الطاقة من طريق هذه القضبان

اقرع الجرس . فتتجاهل الآلة قرعك او امسك بالجزَر او الاسبانخ امامها . فلا تستجيب . ولكن جرّ هذه الآلة على القضبان عبر الغرفة عشر مرّات ثم اقرع الجرس ، فترى الآلة وقد سارت على القضبان من تلقاء نفسها . او امسك بالاسبانخ امام عيونها الكهربائية . وفي الوقت نفسهِ شُدَّ اذني الرأس . فبعد ان تفعل ذلك عشر مرّات ، تهزُّ الآلة رأسها من تلقاء نفسها عند مجرّد رؤية الاسبانخ . واذا لوّحت بالجزر امامها وربّتَ على قفا الرأس في الوقت نفسهِ عشر مرّات كذلك، هزّت الآلة رأسها عند رؤية الجزر من دون ان تربتها . والآلة تتصرف التصرف نفسهُ اذا ابدلت الاسبانخ بلوحة خضراء والجزر بلوحة برتقالية ، لان اللون هو العامل الفعّال في هذه التجربة

***

ان ما تفعلهُ هذه الآلة ، يكاد يكون لا شيء ازاءَ ما يستطيعهُ جسم حيٌّ بسيط التركيب كالاميبا مع ان الاميبا ابسط الاحياء على الاطلاق . وقد يكون في متناول العلماء ان يصنعوا جهازاً يتصرف تصرّف الاميبا . ولكن بناءَ جهاز يستطيع ان يتصرف تصرف الدماغ الانساني فمستحيل على ما نعلم الآن . ذلك ان المادة السنجابية في الدماغ تحتوي على نحو عشرة آلاف مليون خلية عصبية . وهذه الخلايا مترابطة وعدد الصلات بينها يبلغ الوف الملايين وكل عملٍ من اعمال الانسان العكسية والشعورية يقتضي عمل طائفة كبيرة مترابطة من الخلايا

***

اما الحيويون فيقولون بلسان هولدين : يحسن بنا ان نزن الانسان ونحلّل نُسُجَهُ والمواد التي تدخل في تركيبها ولكن ذلك لا يمكننا بوجهٍ من الوجوه من ادراك كنهُ الصفات التي يتصف بها سلوكهُ الشعوري او الواعي Conscious اي ان هولدين يعترض على هذه الآلات ، لانها اذ تتصرّف تصرُّفاً شبيهاً ببعض نواحٍ من تصرّف الجسم ، لا يكون تصرُّفها هذا واعياً او شعوريًّا . فيردُّ الآليون عليهِ ، مستندين الى بافلوف قائلين : ونحن غرضنا ان نبين ان الشعور او الوعي ليس الاَّ مجموعة من الافعال العكسية المنفصلة بعضها عن بعض

فاجـــــنر

WAGNER

وتلخيص أوبرة « لونجرين »

أتاح لنا شاعر الفرنسية الموهوب ، المصري المثقف « خيري بك » فرصة ثمينة مرّت كما تمرّ على المرء اسعد اوقات حياته، ساعة ان تحدّث الى سامعيه وعارفي قدر أدبه عن موسيقى فاجنر في معهد الموسيقى الملكي. تحدث عن موسيقى هذا الفنان في نواحٍ متعددة تدل على انهُ جهد جهداً موفقاً في دراسة ادب فاجنر وفنهِ الموسيقي واوپراتهِ . وما ظنسك بشاعر يصرف من زهرة عمره اكثر من عشرين ربيعاً يدرس فيها حياة هذا العبقري العظيم ... فانت اذا سمعتــه وهو يتحـدث عن فاجنر لا تنصرف عنهُ الأولك ثقة تامة تحت تأثير العاطفة والشعور الموسيقيين بأن هذا المصري طُبع بروح فاجنر نفسه فتحدث الينا عن موسيقاهُ وفنه وعن أدبه وأوپراتهِ في ليلة من الليالي المشهودة في العمر

> «جميع بواعث النغم دانت لارادته . فكان أميراً للالحان الصاخبة وقد اقتسمت من موج البحار بايقاعه العجيب . بها يأمر السماوات ان ارعدي او اخلدي الى السكون . كان يحس بالموسيقى الكامنة في أكنة من الحرائيت ، ويسمع كل همسة من همسات النسيم في الاشجار . بالمحبة والبغض، بالفرح والحزن والنشوة ، كان يجعلها في القلوب ناراً او يجعلها جمداً . فاذا جاء يوم في المستقبل البعيد ، واستشرف الناس الماضي الغابر المجيد ، للبحث عن امارات الخلود قالوا : «انه كان نسيج وحده. ان سمفونياته الحية تتردد الليلة اصداؤها في درب التبان فتدخل الطمانينة على السكان في عنقود الثريا »
>
> [للشاعر فتزهيو مينجرود]

ولد ولهلم رتشرد فاجنر المؤلف الموسيقي العظيم في مدينـة ليبزج عام ١٨١٣ ومات عام ١٨٨٣ رجلاً تمثلت فيه العصامية والاعتماد على النفس . درس الموسيقى في المام وإسهاب هيئا له كرسي الاستاذية في مسرح فرزبرج حيث كان مشرفاً على الموسيقى وما يتصل بها . ولقد ذهب الى باريس عام (١٨٣٩) حيث قضى فترة من عمره الى سنة (١٨٤٢) ومن ثمّ رحل الى درسدن حيث عين استاذاً ايضاً للموسيقى . ولقد حدث ان نفي من المانيا عقب ذلك للاحوال السياسية الخاصة بثورة (١٨٤٩) فنزح الى سويسرا وصرف فيها اثني عشر عاماً متنقلاً منها الى انكلترا وايطاليا وفرنسا . ولقد مضى من سنة (١٨٦١) الى سنة (١٨٦٤) فيما بين فينا وميز مجداً في سبيل رزقه الى ان ظفر بمرتب مستديم شمة به « لدفيج الثاني » ملك بافاريا

وظلّ مقيماً في سويسرا الى عام ١٨٧٢ وبعدها نقل الى « باروويت » Baireuth حيث امضى الشطر الاخير من حياته وقضى نحبه في مدينة البندقية في ١٣ فبراير سنة ١٨٨٣. ولقد تزوج فاجنر في حياته مرتين . الاولى من « مينابلانر » والثانية من « كوزما فون بيلو » ابنة الموسيقار لسْت

***

اشتهر فاجنر « بأوبراته » الموسيقية فألف منها ما يُعَدُّ الى الآن في أوربا نوعاً فريداً من الانواع الحية الفتانة . « اوبراته » فيها عبقرية موسيقية يقبل عليها عشاق فاجنر من الجمهور المستمع فضلاً عن أئمة الفن والنقد . . يكفي ان يقال فيها انها موسيقى رجل نبت عصامياً وعاش لفنه وفي سبيله هائماً من بلد الى بلد كالطائر الطريد الصدّاح !! ومن سوء حظه ان استعدى عليهِ خصومه اصحاب القوة فنفي من وطنهِ وظلّ مشرّداً الى ان ضمهُ مليك بافريا فتمرّد ايضاً على الحياة لانها عنده لاشيء . . ولان الجمال الروحي في عاطفته فطري يغذيه

تلك هي الشاعرية الطريدة التي تعيش لنفسها وتعمل للناس تسمو بالحياة الى المعاني العالية الرفيعة . . تلك الشخصية الفذة العظيمة لا ترفعها الحياة بل تنازلها . تصارعها الشدائد فتخرج اصلب عوداً . وتعجمها الحوادث والمحن لتعود اكبر نفساً واقوى مراساً

استطاع فاجنر في حياته الفنية ان يهذّب من فن الاوبرا فأودع فيها من التجديد ووسائله ومن السبك والوانه ما جعل لها قيمة جدية في عالم البقاء . فقد ضمن للاوبرا القوة التي نلمسها في القصة التمثيلية التي لا يستطيع الانسان هضمها واساغتها بغير الموسيقى . والروح الموسيقي الذي يكوّن الاوبرا في مذهب فاجنر وتدور عليهِ الحوادث نفسها مبعث القوة والنهوض فيستثير كوامن النفس ويلهب منها العواطف والاحاسيس . ويفسر فاجنر مذهبه الموسيقي باكساب الحركات والحوادث لباس الروح العاطفي الذي لا يستطيع الكاتب او الشاعر ان يبرزه في شيء من التأثير كما يوفق الى ذلك الموسيقي الملهم . الموسيقي الشاعر بفطرته . الموسيقي الروحي الذي تلهمهُ الانسانية المعذبةُ رسالة الألم وعبارة الرجاء . .

واشهر اوبرات فاجنر التي اعدّت للتمثيل وشهدتها معظم مسارح اوربا هي « داي فين » سنة ١٨٣٣ و« داي ليبسڤربوت » ولم يمثلا حتى وفاته . ولقد مثل في حياته الاوبرات « طان هوسر » سنة ١٨٤٥ و« خاتمة النبلنجين » و« داي رينجولد » و« ڤلكيري » و« سيجفريد » و« غسق الآلهة » و« الهولندي الطائر » ولقد بدأ تأليفها حوالي عام ١٨٥٠ وراجعها كلها عام ١٨٦٩ واتمها سنة ١٨٧٥ . وشهدت دار الاوبرا العظيمة في مدينة « باروبت » « خاتمة النبلنجين » واوبراته الاخيرة ومنها « لوهجرين » و « بارسيفال » التي تعد من اقوى ما ألفه فاجنر في الادب والموسيقى

واني اقدم هنا تلخيص « اوبرته » لوهجرين التي أحرزت نجاحاً كبيراً قلما يعدلهُ نجاح آخر والتي بهرت كبار رجال الفن واعجب بها كثير من النقاد

أوبرة « لونجرين »

تعتبر لونجرين من اقوى اپرات ڤاجنر التمثيلية . ويكفي ان يكون واضعها تمثيلاً وموسيقى ڤاجنر فقد لا يوجد صبي في المانيا لا يعرف اغنية « كوكب الدجاجة » عند ما يدفع لونجرين الاوزة . . . وقد استقى ڤاجنر اوپرته من النصوص القديمة التي تحدثنا عن مصير لونجرين البطل الغامض وحارس « السر الاعظم »

في هذه القصة صراع عنيف بين الحق والباطل وبين القوة والقانون وفيها صراع عنيف ايضاً بين حب الخطيبة وشهوة الزوجة . فيها اتهام يلقى على النفس الشريفة كأقوى ما يكون الاتهام . وفيها من الألم ما يمس صميم النفوس الكبيرة فيكاد يقضي على موضع العزة فيها والشرف . . . فيها صراع قوي بين الزوج والزوجة . . . وما رأيك في زوج نبيل يذهب ضحية زوجة مفتونة بسحرها تتعمل السحر للايذاء والشر فتغير من الصور الانسانية في سبيل شهوتها وإثمها . . . كثير على زوج ان يتحمل المأ وتضحية في سبيل امرأة تسخر من الزوجية في سبيل ثأر تداله ومأرب وضيع تصبو اليه نفسها ولكن هي المرأة وكفى . . .

***

نحن بجوار « أنتورب » حيث يستعرض هنريك فوجلر ملك المانيا جيوشه الجرارة امام سكان مقاطعة « برابانت » ليدرأ اعداءه الغزاة الهنجاريين . فيجد الملك الناس في هرج ومرج فيتفهم هذا فيعلم ان الكونت فريدرك تيلرامند يتهم إلزا صاحبة برابانت بقتل اخيها الصغير « جود فري » وارث دوق برابانت الذي توفي قبل امد قصير تاركاً اطفاله لعناية « تيلرامند » ولقد كانت إلزا خطيبة تيلرامند ولكنهُ تزوج « اورترد » صاحبة فريزلند . وكان يطالب بحقه في وراثة دوقية برابانت

تعلن إلزا براءتها من قتل اخيها لانها لا تعلم عن امره شيئاً . فكل ما تذكره انهُ اختطف اثنا نومها فاذا عرض الامر على الملك اصدر قراراً فحواه ان يترك شأن هذا الحادث للعناية الالهية دون غيرها لتصدر فيه ما تراه . ولكن تيلرامند لوثوقه من حقه يرى ان يعلن استعداده لمبارزة من يرى الدفاع عن إلزا . فأما ابطال برابانت وعظماؤها فيرفضون طلبه ولا يقبلون عليه حتى المليك نفسه الذي يعتقد في براءة إلزا . ولكن ابطال برابانت والمليك ايضاً يعتقدون ايضاً أن الحق يبدو في جانب هذا الرجل المعدود في طليعة الابطال

تلتزم إلزا الهدوء وتتضرع الى السماء حتى اذا اقبل الليل واستلقت في مخدعها تخيلت ذلك البطل الالهي المرسل من السماء يحملها رسالة الدفاع والذود عنها . وأما هي فقد تتحدث الى

الخيال فهي لا تتوانى ان تمنحه يدها وأملاكها . فأما هي فتكثر من هذا الحديث وتبتهج لروعة هذا المنظر وان هي الا لحظة حتى ترى فارساً يتمنطق بالدرع ويرتدي لباساً فضياً لامعاً لا تكاد العين تنصرف عن رؤيته لجماله وتأثيره . يركب قارباً مسطحاً تسيره في الماء « اوزة » جميلة اللون شائقة المنظر .. حتى اذا انتهى الى الساحل ودَّع القارب والاوزّة واتجه الى قصر إلزا فتقبل عليه محبيه . . وتعلم فيما بينها وبين نفسها ان هذا هو البطل الذي تخيلته في حلمها . أما هو فيسر اليها انه سيذود عنها ما امكنه الذود . على ان تكون له زوجة وان لا تفكر من اين هبط عليها او ان تفكر في اصله . . تقبل إلزا هذا في غير عسر او مشقة . ويبدأ الصراع بين الفارس وتيلرامند فيفوز الفارس على خصمه فوزاً مبيناً ولا يفكر في قتل تيلرامند بل يهبه حياته التي في متناول يده والتي كانت ستطوح بآمال زوجته « اورترد »

***

أما « أورترد » فكانت ساحرة وفقت الى ان تخدع زوجها الذي يؤمن الايمان كله بقتل « جود فري » بينما هي اختطفت الطفل ولم يدرِ بها احد . بل استطاعت ان تهزأ بعقل زوجها بما لم يكن يتوقعه احد

فاذا كان الفصل الثاني فنحن في قصر « ديكال » حيث تمد معدات الزواج الذي اغتبط له قوم واستاء منه آخرون . أما إلزا فسعيدة بهذا الزواج يحدوها فيه الامل ويدفعها اليه الرجاء . وأما « اورترد » فتبرمة بهِ يدفعها الغيظ لتقف في طريقهِ . وأما زوجها فحانق عليها لانها كانت الباعث في امر هزيمته . وهو هذا العظيم القوي امام قومه ! يتحدث اليها في شيء من الألم والتأثر وتجيبه في شيء من الهدوء وفي غير مبالاة حتى يتهمها بأنها سبب هزيمته وانها لا تأبه لشرفه المثلوم فتجيبه في شيء من الهدوء وقلة الاكتراث عما تصنع وما حيلتها في الجبناء ! يتحرج الموقف بينهما فتسرع الى ابتسامة متكلفة وتعلمه بأنها ستعمل على فض الزواج بأية سبيل . . . فتلجأ الى إلزا لتقول لها كيف يتم لها زواجها بشخص لا تعلم شيئاً من امره بل ولا تعلم اسمه . حتى اذا قنعت إلزا بهذا أخفق الزواج وهي كساحرة تعلم العلم كله بأن قوة هذا الفارس ستفنى اذا اصطدم بهذا الحديث الذي تحمله اليه إلزا

تقف إلزا في نافذة قصرها الفخم تستعرض جمال الطبيعة . . وتشكر الله القدير . . . وتنصت فتسمع الى نداء حزين هو نداء منكوب او خائر القوى . . لا يكاد يقوى على الحديث ... إلزا ... إلزا . . . فتجيب بعد ان يخفق قلبها تأثراً وألماً . . وتبحث عن المنادي فاذا به « اورترد » تبكي بين يديها . تستعطف إلزا في شيء من الرفق والاخلاص . هي ترى ان إلزا ستكون ضحية لطيبة قلبها وتسليمها امرها لهذا المستقبل المجهول . . واذن فإلزا متأثرة بهذا الشعور . . وهنا يتناول الشك موضعه في قلب إلزا . . والآن فقد احتشد الناس في الكنيسة في الصباح المبكر ليشهدوا

زا العظيم وقد اقبلت إلزا لتأخذ مكانها بجانب زوجها . . . فتندفع اورترد بين الصفوف
لزا بما سبق ان اسرّت به اليها . ويتسابق تيلرامند الى الفارس الغريب ليتهمهُ . . . ولا
بهذا حتى يندفع الى الوراء بتدفق الجماهير . . . وإلزا تصرح « لأورترد » بأن رسالتها
ح جاءت متأخرة . ولكن الشك يزداد والامل في مستقبلها السعيد يصبح ضعيفاً . . هي
ة اذن لحديث « اورترد » ولكنها تدفع عن زوجها ما يكاد يلم بهِ من امر تيلرامند وتلجأ
يحمي نفسه ويحميها . . . ولكنهُ يصر على ان يتركها وشأنها . . . ويتقدم تيلرامند الى
ستعطفه في ان يعلم اسم هذا الغريب ويسأل عن شأنه . . ولكن لونجرين — الفارس —
ذلك الا اذا صدر السؤال عن زوجته . . . ولكن إلزا تمتنع مع ما بها من شك ان تسأله

***

ين الآن في الفصل الثالث حيث يقيم الزوجان في قصر إلزا . . يرفرف عليهما طائر الفرح . .
ن قلب إلزا لم يزل كما هو . . . فيه شك وفيه ألم . . . بل فيه خوف وفيه اضطراب . . . الم
فيه «أورترد» هذه العواطف كلها ... تصرح إلزا في غير تردد بأن مصيرها مجهول . والواجب
زوجها ان يخفف من غلوائه فيذكر لها موقفها اذا تركها وذهب الى طريقه بل وعاد الى سمائه .
هما في هذا الحديث يشعر بأن تيلرامند مقبل لقتله غيلةً . فيفلت منهُ ويطعنهُ طعنة نجلاء . .
قتيلاً . . . وأما هو فيأخذ زوجته الى ساحة المليك ليطلعهُ على حقيقة أمره . . . وعن
نه . . . ومن هو . . أما السر فهو انهُ حارس السر الاعظم وخليفة « بارسيفال » . والسر
ظم هو « دم المسيح المحفوظ » الذي يحرسه الفرسان بالوراثة في القصر الاعظم . . على الجبل
ي... والآن لا يسعهُ اذ قد باح بهذا السر الخطير ان يقيم وزوجتهُ بل يعود من حيث اتى . .
ر اليهِ فقد تلفت الى امامه فوجد الأوزة قد اقبلت نحوه فيأخذ من عنقها سواراً صغيراً
بًا يمنحه الى الزا ويعطيها كذلك درعه وسيفه . . لكي تدفع بهما كل عداء وكفاها ما فيهما
مر . . .

يهم الفارس بأن يذهب فيستمع الى اورترد بأنها هي التي سحرت الطفل فصنعت منهُ اوزة وانهُ
في مقدوره ان يعيد الطفل الى كيانه الاول لو لم تسرع إلزا بسؤاله عن حقيقة امره ... يستمع
رين هذا في ألم . فيرفع وجههُ الى السماء ويصلي بقوة طالباً نجدة الطفل ... ويتقدم اليهِ واضعاً
ب في عنق الاوزة .. فيختفي الطائر الى حيث الماء لحظة ثم يعود فاذا به « جودفري » نفسه قد
م ... ولذا وارث عرش برابانت قد اقبل ... واذا الفارس يذهب الى قاربهِ في الماء وقد أقبلت
ة من السماء تدفع القارب ... واذا لونجرين قد ابتعد عن الشاطىء وغاب عن الانظار .. واما إلزا
قامت تضم اشلاءها لها ... وخرجت اورترد حسيرة النفس يائسة »

حليم متري

السيكولوجية الحديثة

التحليل النفساني

ليعقوب فام

فرويد

قلنا في مقالنا السابق ان فرويد قسم النفس الى ثلاثة اقسام وأسماها (Id, Ego and Super Ego) بلغتنا : الشخصية والنفس العليا والشهوة ، او الضمير والعقل والنفس باللغة القديمة ، او نستطيع ، نستعمل مؤقتاً الاصطلاحات التي كانت تستعملها السيكولوجية من خمسين سنة وهي العقل لشعور والارادة — هذه الثلاثة هي الاركان التي تقوم عليها النفس الانسانية

ثم قلنا ان مدرسة التحليل النفساني تزعم ان الامراض العصبية تنشأ في الاصل من ان الشهوة حف على الشخصية بالمطالب التي لا تستطيع هذه ان تؤديها فتتولد عن هذا العجز ازمة نفسية دة او خفيفة ، وهذه الازمة هي المرض بذاته ، هي محاربة اجزاء النفس بعضها لبعض ، وقيامها ضها على البعض الآخر ، اما ان الازمة تنشأ من خلاف بين الشخصية والشهوة ، او تنشأ بينهما بين المثل الاعلى للانسان

هذا ما يذهب اليهِ فرويد ، وهذا ما بيناه بالتفصيل في المقال السابق ، ولكننا نعود الآن قول انهُ في الواقع ليس هنالك ما يسوّغ وجود هذه العقدة في النفس على الاطلاق حتى ولو قبلنا ذا التقسيم على علاته من غير بحث او مناقشة . لنذهب مع فرويد الى آخر الشوط ، ولننسَ كل نكوك التي تساورنا في صحة هذا التقسيم ، ومع كل هذا فلسنا بمستطيعين ان نرى بشكل من لاشكال كيف تقوم هذه الصعوبة اصلاً ، او كيف تخلق العقدة ، وكيف توجد الامراض العصبية ، الانسان ، ولكي نوضح وجهة نظرنا في هذه المسألة نضرب لذلك مثلاً ، ولزيادة التبسط في وضوع دعنا نحصر النزاع بين الشهوة والشخصية

تريد الشهوة امراً من الامور ، وتركز كل نشاطها وقواها في هذا الامر ، ولنفرض انها حف في طلبها هذا وتصر عليهِ ، وتصر ايضاً على ان لا تنساه ، وتظل تذكر الشخصية في كل حين ان قبلها مطلباً لم يتحقق بعد ، وانها لن تستريح او تريح الا اذا اجابتها الشخصية الى مطلبها وقضت حاجتها ، ثم لنفرض ان الشخصية ترى ان تحقيق هذا المطلب عسيرٌ او مستحيلٌ ، ترى ان الة الاجتماعية او القوانين الوضعية لا تسمح بهذا ، ويجب ان نذكر القارىء عند هذه النقطة از

صبية او (Ego) هي التي تصل فيما بين العالم الداخلي والعالم الخارجي ، او هي الصلة بين
الداخلية وبين الدنيا حواليها ، فهي بطبيعة وظيفتها اقدر من جميع قوى النفس على تفهم
ستطيعهُ الانسان وما لا يستطيعهُ ، ما يمكن تحقيقهُ في الواقع وما لا يمكن تحقيقهُ ، ذلك لان
ى الناحيتين الاخريين عمياء والاخرى خيالية ، وأما هذه فواقعية محضة (Realistic)
فرضنا ان هذا ما قد وقع بين الشهوة والعقل (آسف جدًّا للخلط في اسماء هذه النواحي لاني
رف لها اوضاعاً صحيحة في اللغة العربية) . فرضنا ان هذه تطلب امراً وذاك يعجز عن تحقيقهِ ،
ضنا ان هذه تظل متمسكة بمطلبها وذاك متردياً في عجزه ، وبعد هذا ماذا يكون ؟ وماذا يحدث ؟
تحدث ازمة نفسية تؤدي الى المرض

اما ان ازمة نفسية تحدث فنعم ، واما ان هذه الازمة تؤدي الى المرض فلا ، ذلك لان الازمات
ث كل يوم وكل ساعة ، فلست اظن ان انساناً عاش من غير تلك الازمات في لحظة من اللحظات
ستطيع كل انسان ان يذكر منها الشيء الكثير من طفولته الى وقتهِ الحاضر ، وما على من ينكر
ه الحقيقة الاَّ ان يراقب اطفاله بضع دقائق ، وانا واثق انهُ سوف تمر عليهِ بعض ازمات نفسية
د هؤلاء الاطفال ، وان هذه الازمات ستمضي الى حال سبيلها من غير ان تترك اثراً في نفسيتهم ،
يستطيع ان يراقب نفسهُ في يوم بذاته ليرى كيف ان نفسه تتوق في كثير من الاحيان الى اشياء
انها وانها تشعر ان سعادتها لا تتحقق الاَّ بتحقيق هذه الرغبات ، ثم ان نفسه تطلب الى قواهُ
اعية ان تعمل على تحقيق هذه الرغبات ، والايام تمر والرغبات لا تحقق ، والنفس غير راضية ،
لعقل منهمك في شؤونهِ العادية من غير التفات الى هذه المطالب ، ومع كل هذا فلا يقع الانسان
يسة لامراض عصبية او غير عصبية

كم من الامور كنت اريدها ؟ وكم من الامور كنت اظن اني لا استطيع العيش من دونها ؟
كم من الرغبات عندي الآن ؟ وكم يشتق عقلي وبدني في العمل على تحقيقها ؟ ومع هذا كله فلا
لت سليماً معافىً ولا زلت اقوم بعملي واؤدي واجبي وانشط في كل ما تنشط فيهِ بيئتي التي اعيش
بها ، واظنني خالياً من العوارض الفرويدية بقدر ما اظن ان معظم اصدقائي خالين منها

لست متجنياً على فرويد ، ولست ظالماً لهُ ، لانهُ هو نفسهُ شعر فيما يظهر بأن المشكلة التي
ضطلع بحلها لم تحل بعد ، كما اشعر انا الآن ، والفرق بيننا اني تشككت في صحة ما ذهب اليهِ بعض
لشيء ، أما هو فقد لجأ الى حيلتهِ القديمة — تلك الحيلة التي كان يلجأ اليها علماء الطبيعة في القرن
لتاسع عشر في مسألة الاثير ، لقد فرضوه فرضاً ، ثم فرضوا لهُ الخصائص التي كان يجب ان تكون
هُ فيما لو كان موجوداً حقاً ، وكانوا كلما اعوزتهم الحيل فرضوا لهُ خاصية اخرى مناقضة تمام المناقضة
لسابقاتها الى أن اصبح وجوده مستحيلاً في الواقع

هكذا يفعل فرويد ، وجد ان تقسيم النفس الى هذه الاقسام لا يكفي في ذاته لتفسير الظواهر

النفسية التي يطلق عليها الامراض العصبية ، فلجأ الى فرض شيء آخر في النفس حتى يزداد التعقيد فيها فيستطيع هو أن يصف الداء ، وجد أن العقل يستطيع ان يغفل الشهوة ويدعها وشأنها ، ثم يسير في شؤونه كأن الشهوة لم توجد اصلاً ، وكأنها لم تطلب شيئاً ، وماذا عليه منها ومن مطالبها من الصواب أن يغفلها كل الاغفال

ولكن لا ، فرويد يريد أن يحل الاشكال في وجود الامراض العصبية وفي معالجتها بالتحليل النفساني ، فاذا كانت جميع نظرياته السالفة لا تكفي لهذا الغرض فما عليه الا أن يمعن في فرض النظريات السيكولوجية واحدة تلو الاخرى الى أن يستقيم له وصف الداء والدواء ، لهذا فرض للنفس رقيباً Censor يختبيء في زاوية من زواياها يستطيع أن يستدعيه فرويد فينشط ويجيء نشاطه مصداقاً لنظريات فرويد

هذا الرقيب موجود اذن في نفس الانسان ، ولكي تتم النظرية وتستقيم يجب أن لا ينشط الا بناء على اشارة النفس العليا Super Ego تأمره فيفعل ، وتومىء اليه فيتحرك ، ويجب أن يكون نشاطه موجهاً الى الشخصية ، يأمرها أن تنسى ما تطلبهُ الشهوة ويجب أن يكبت الشهوة نفسها كبتاً ويضغطها ضغطاً حتى لا تعود تظهر في النور . وحتى لا تبرح الخفاء ، يجب على هذا الرقيب أن يكتم أنفاس الشهوة ويحرم عليها الظهور في وضح النهار بحال من الاحوال

فصارت النفس عندما تريد شيئاً تخشى الرقيب وترتعد فرائصها منهُ فتبقيه مكتوماً في خباياها الداخلية مندسًّا في ثناياها ، ويصير العقل الواعي عاجزاً عن أن يحس لها وجوداً على الاطلاق ، وهنالك في مداخل النفس الداخلية تفعل الشهوة فعلها وتربك النفس وتقض منها المضاجع وتقلبها على الشوك والقتاد من غير أن تحس الواعية بأن هنالك شيئاً على الاطلاق ، وبأن نفسه الداخلية غير مستريحة الى شيء ، كل هذا يحدث والواعية منهمكة في شؤونها اليومية العادية من الاتصال بالناس وبالاشياء ومن توفير وسائل الطعام والشراب والامور المادية الصرف

وبينما الانسان يسعى لشؤونهِ المعاشية وبينما عقله منهمك في ترتيب الدنيا التي تحيط بالانسان ، وبينما هو مأخوذ باتقاء الحر والبرد والظواهر الطبيعية والاهتمام بمطالب الجسد المادية ، بينما يحصل كل هذا يكون الرقيب مهموماً بالشهوة يتكفل بكتمها وكبتها ، والانسان بخير مادام هذا هو الحاصل وما دام الرقيب يقظاً ساهراً قائماً بوظيفتهِ خير قيام

ولكن الرقيب ينام ، او يغفل او يغفو ، ولكن الامور تخرج عن طوق الرقيب في بعض الاحيان ، وهنا الطامة الكبرى والداهية العظمى ، لان الواعية لا تشعر الا وهي محوطة بظواهر نفسية غريبة لم تألفها ولم يكن لها بها عهد ، يرى العقل الواعي نفسهُ امام احساسات ومشاعر غريبة عنهُ ليست منهُ وليس هو منها ، أو كأنهُ يرى نفسهُ يدير شخصية اخرى غير تلك الشخصية التي كان يديرها ويرعاها ويسهر على رضاها وشؤونها

يحار العقل الواعي في هذا ويشكل عليه الامر فلا يعود مستطيعاً ان يميز هذه الشخصية من غيرها ، يعجز عن ان يعرف هل هذا هو الانسان بعينهِ الذي كان يخدمه فيما سلف ، ام هو انسان غيره ، هل هذه الميول والاتجاهات الفكرية كانت له من قبل ، ام هي شيء جديد طارىء ، واذا كانت شيئاً جديداً طارئاً فما اصلها وما سببها ؟ ما الدافع لها ؟ وما الغرض منها ؟ ليس هذا فقط ولكنهُ ايضاً يحار في طرق حلها وتسوية تلك المشكلة الجديدة التي هبطت عليهِ من الجحيم

ترتبك الواعية وتفقد توازنها من هذه الضربة التي انقضت عليها على غرة ، تختلط قيم الاشياء عندها ، وتنقلب معاييرها رأساً على عقب فلا تعود مستطيعة ان تضع الاشياء في مواضعها ، وان تحفظ للانسان مكانته في هذا النظام الاجتماعي الذي يعيش فيهِ . و لما كانت الواعية هي القوة النفسية التي نيطت بها الصلة بين الانسان وما يحيط بهِ ، ولما كانت هي دون غيرها التي تتعامل مع الدنيا الخارجية ، فأول ما يختلط عليها هو تلك العلاقات بين الانسان والدنيا الخارجية ، تفسد هذه العلاقات فيبدأ الناس يشعرون بالتحول في هذا الانسان ، وان عقله مدخول ، مغاير لعقول الناس ، وان نظرته للاشياء معيبة غير سليمة ، ولو ملكت الناس امورها لاخذوه من يده ووضعوه في مستشفى المجاذيب

ومحصل القول في هذا ان اغفال الرقيب عن تأدية وظيفتهِ كان سبباً في ظهور الخبايا التي كانت النفس العليا Super Ego تصر على ان تكبتها وتداريها من الواعية حتى لا ترتبك هذه فيما لا طائل تحتهُ وتعجزها عن مقابلة الدنيا الخارجية وجهاً لوجه من غير ان تميد الارض من تحتها ، كانت النفس العليا تود اخفاء هذه المشاعر اولاً لانها لا تتفق والمثل الاعلى الذي تطلبهُ هذه النفس وتود اخفاءها ثانياً لان الواعية تعجز عن تحقيق تلك الرغبات لان الحالة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد تحول دون ذلك

ولا يخفى أن وجود الرقيب وعمله هما في الواقع اصل الداء والسبب المباشر في الامراض العصبية التي تنتاب الانسان ، لانهُ أولاً يكبت الشهوات والرغبات غير الاجتماعية في الانسان ، أو يكبت منها ما لا يستطيع النظام الاجتماعي ان يسيغهُ ، ولانهُ ثانياً يلقي ستاراً كثيفاً على عيني الواعية حتى لا تعود ترى ما يحيط بها في داخلية النفس ، فكأن وظيفتهُ بعبارة اخرى هي أن يضلل الواعية ويتغفلها حتى تصبح عاجزة عن مواجهة حقائق النفس ، ومعالجتها بالحكمة والقصد حتى تمر ه الازمات بسلام من دون ان تثير ما تثيره من المشاكل والصعوبات النفسية

واسنا متجنين على الفرويدية في هذه الزعم لانها في الواقع لا تسير في علاجها للمشاكل [illegible]

الا عليه . فهي تزعم أن العلاج لا يكون الا باعانة الواعية على فهم الدوافع النفسية لهذه الم[illegible] والمشاعر ، ووظيفة الطبيب في التحليل النفساني اعادة التوازن للقوى الواعية حتى تستطيع ان [illegible] لنفسها اصل الداء ، ووظيفته ان يدل العقل الواعي على وجود هذه الرغبات المكبوتة ، وبفهمه [illegible] مشروعة من وجهة النفس البشرية ولا غبار عليها بغض النظر عن العرف والتقاليد الاجتماعية . [illegible] الطبيب الواعية على ان تواجه هذه الحقائق مواجهة [illegible] ما تستـ[illegible]

السفن والملاحة بمصر

من صلاح الدين الى نابليون

للدكتور علي مظهر

— ٢ —

عصر الايوبيين وسلاطين المماليك

ولما كان صلاح الدين وعصر الايوبيين عنى سلاطين هذه الاسرة بأمر الاساطيل دفاعاً عن البلا[د]
التي كانت الفرنج تغير عليها او تطمع في ذلك . وقد افرد صلاح الدين للاسطول ديواناً وعين
عدة اقاليم وبلدان للانفاق عليه وكانت لهم اساطيل في البحر الاحمر كما كانت لهم في البحر
المتوسط الابيض

ويظهر مما ذكره المقريزي ان عناية صلاح الدين بالاسطول كانت اكثر من عناية خلفائه [الذين]
كانوا لا يفكرون في امره الا عند الحاجة وقلت العناية بذلك حتى طمع الفرنج في بلادهم وهاجموها
لما علموا بضعف البحرية الايوبية وسار الحال كذلك حتى ان كانت دولة المماليك الاتراك و[قام]
الظاهر بيبرس البندقداري بأمر الاسطول (٦٥٨ هـ) وتقدم بعمارة الشواني في الاسكندرية
ودمياط وكان يقوم على ذلك بنفسه وقد كانت بعض مراكب [illegible] والغزو كما كانت تل[ك]
احياناً عن مصر وغيرها وعنايتهم. كانت ضرورية لان [illegible] الى الثغور وتع[تدي]
على الاهالي بالسلب والنهب كما كانت تتعرض لسفن [illegible]

وفي سنة ٩٠٤ هـ — سنة ١٤٩٨ م كانت سفن [illegible] طريق الهند مارة ب[رأس]
الرجاء الصالح يقودها فاسكو دو غاما ثم [illegible] السفن البرتغالية تغ[ير على]
البصرة وعدن وتتعدى على سفن مصر و[illegible] وتقطع طريق [illegible]
عن مصر

ولما طلب السلطان [illegible] من [illegible]
الغوري(١) ارسل [illegible] الكردي(٢)

اجابته ، وتعترف بشرعية ما تعجز عن تحقيقه منها ، وتعترف ايضاً بوجود الازمة ، ثم تسير في شؤونها اليومية وهي شاعرة بأن هنالك في زوايا النفس مطلباً لم يتحقق بعد ، واغلب الظن انهُ لن يتحقق . ولكنهُ موجود على كل حال ، ويجدر بالواعية ان تعترف فيما بينها وبين نفسها بوجوده ، ثم تنشط في شؤونها العادية . لقد نجح فرويد — من وجهة نظره فقط — في التعليل عن السبب في وجود العقدة النفسية ولكن لنا سؤالاً واحداً نريد ان نسأله ثم نترك الموضوع عند هذه النقطة وهو هذا :

ما هي هذه الرغبة او الشهوة التي تستطيع ان تقيم الدنيا وتقعدها ؟ ما هي هذه الامنية التي ان لم تتحقق لا يمكن ان يبقى في النفس ركن قائم او حجر على حجر ؟ لماذا كل هذه المبالغة والتهويل في مطالب النفس ؟

اما من جهة المبالغة والتهويل فهما ضروريان جداً في نظام فرويد والا لن تستقيم نظريته ولن يستطيع ان يدل على اصل الداء ، اما هذه الشهوة التي تقوم لها النفس وتقعد والتي تستطيع ان تدك كل القوى النفسية دكاً فيقول فرويد انها الغريزة الجنسية

الحق انك تستطيع ان تفسر كل الظواهر الاجتماعية والنفسية من الدين الى الادب الى السياسة الى الجنون الى العقل بالغريزة الجنسية ، ولن يقول فرويد الا انك اصبت الاصابة كلها

زهد الخلفاء الراشدين

لست تقرأ في كتب الادب اجمل مما قيل عن زهد الخلفاء الراشدين : « روي عن ابي بكر الصديق انهُ لما حضرتهُ الوفاة قال لعائشة « انا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم ولبسنا من خشن ثيابهم وليس عندنا من فيء المسلمين الا هذا العبد وهذا البعير وهذه القطيفة . فاذا مت فابعثي بالجميع الى عمر . فلما مات بعثتهُ الى عمر . فلما رآهُ بكى حتى سالت دموعهُ الى الارض وجعل يقول رحم الله ابا بكر لقد أتعب من بعده ويكرر ذلك ويأمر برفعهِ . فقال عبد الرحمن بن عوف سبحان الله تسلب عيال ابي بكر عبداً وناضحاً وسحق قطيفة ثمنها خمسة دراهم فلو أمرت بردها عليهم فقال لا والذي بعث محمداً صلى الله عليهِ وسلم لا يكون [illegible] ولايتي ولا يخرج ابو بكر منهُ وأتقلدهُ انا »

[illegible] وقيل ان زوجتهُ اشتهت حلواً فقال ليس لنا ما نشتري بهِ فقالت أنا أستفضل من نفقتنا في عدة [illegible] نشتري بهِ . قال افعلي ففعلت ذلك . فاجتمع لها في ايام كثيرة شيء يسير . فلما عرفتهُ ذلك [illegible] بهِ حلواً اخذهُ فردهُ الى بيت المال وقال هذا يفضل عن قوتنا وأسقط من نفقتهِ بمقدار [illegible] كل يوم وغرمهُ لبيت المال من ملك كان لهُ . وكان يحلب للحي أغنامهم . فلما بويع بالخلافة [illegible] جارية منهم الآن لا يحلب لنا منائح دارنا . فسمعها فقال بلى لعمري لأحلبنها لكم واني لأرجو [illegible] لا يغير بي ما دخلت فيهِ . فكان يحلب لهم . ثم تحول الى المدينة بعد ستة اشهر من خلافته

العناصر المشعة وتركيب الذرة

لمحمد عاطف البرقوقي
مدرس الطبيعة في المدرسة السعيدية الثانوية

﴿ منديليف والجدول الدوري ﴾ قبل ان نحاول معرفة تركيب الذرة من الوجهة الحديثة يجب ان نلم بعض الالمام بالعناصر المختلفة او بالذرات المختلفة في الكيمياء . ولعلني لا اكون مبالغاً اذا قلت ان اساس اكتشاف العناصر الجديدة بل ومعرفة تركيب الذرة ذلك التركيب الحديث انما يرجع جُلُّ فضله الى العالم الروسي « منديليف »

ولد منديليف في فبراير سنة ١٨٣٤ وأصبح له شأن يذكر في علم الكيمياء حتى اختير استاذاً لعلم الكيمياء في احدى جامعات روسيا . وأهم عملٌ ينسب اليهِ هو اكتشافه « للجدول الدوري » عام ١٨٧٠ وقد دار لهذا الجدول أثر كبير في تحديد عدد العناصر التي يجب ان تكتشف . بل ومعرفة صفات هذه العناصر قبل كشفها . ولقد ما كانت دهشة العالم اذ رأى ان العناصر الجديدة التي اكتشفت بعد الجدول الدوري كانت تثبت التجارب ان صفاتها تتفق مع ما عرف عنها قبل كشفها

وكذلك لهذا الجدول فضل كبير في الابحاث الحديثة التي يجربها كثير من العلماء لمعرفة تركيب الذرة . والجدول الدوري هو نتيجة لمحاولات عدة وتركيبات مختلفة وحقائق جمعت عن جميع العناصر التي كانت معروفة في عهد منديليف — التي بلغت ٦٣ عنصراً في زمنه وأصبحت الآن ٩٢ عنصراً . وفي هذا الجدول نجد ان العنصر لا يشابه العنصر الذي يليه اذا رتبت العناصر بحسب اوزانها الذرية بل ان العنصر يشابه عناصر اخرى تقع في ترتيب دوري فالصوديوم لا يشابه المغنسيوم كيميائياً بل يشابه البوتاسيوم ولذلك نجد الصوديوم والبوتاسيوم والروبيديوم والكـ[illegible] كلها تقع في عمود رأسي واحد ولذا فهي تتشابه كيميائياً وتسمى Alkalis اي القلويات . وكـ[illegible] الهيليوم والنيون والارجون تقع في عمود رأسي آخر وهذه العناصر تتشابه كيميائياً وتـ[illegible] اي الغازات غير الفعالة Inert gases . ولاهمية هذا الجدول وترتيب العناصر بهذه الكيفية وجـ[illegible] تطلق كلمة العدد الذري Atomic Number على ذلك العدد الذي يدل على مكان العنصر في الجدو[illegible] والعدد الذري للايدروجين واحد والهليوم ٢ والليثيوم ٣ [illegible] ٨ واليورا[illegible] ٩٢ وسنعرف فيما بعد العلاقة المتينة بين العدد الذري [illegible]

﴿ تركيب الذرة ﴾ يرجع الفضل في معرفة [illegible] [illegible]جهات الما[illegible]

بارب الدقيقة في اشعة اكس فهذه الاشعة بجانب فضلها على الطب لها فضل كبير في اهدائنا
مرفة تركيب الذرة . وكذلك دراسة (Radio - activity) او دراسة العناصر التي تخرج اشعة ،
ضل كبير في ذلك الموضوع . ويشتغل بهذه الابحاث علماء قديرون مثل العالم الانجليزي
ورد Rutherford واعوانه في كمبردج والعالم الدانماركي Bohr وملكن وكمطن وطمسن الصغير
ويدنغر وغيرهم

والذرة هي الجزء الذي لا يتجزأ من العنصر او هي تشبه حرف الهجاء في لغة من اللغات وكما
هناك ٢٨ حرفاً في اللغة العربية فكذلك يوجد حول ٩٢ عنصراً وكما تنتج الكلمات من اتحاد
وف كذلك تنتج الجزيئات من اتحاد الذرات . فمثلا ذرتان من الايدروجين وذرة واحدة من
كسجين تتحد كيميائيًّا فتكوّن جزيء الماء . وقد كان يظن ان الذرة هي آخر ما يمكن ان نصل
من التجزيء ، ولكن لعلماء الطبيعة — لا لعلماء الكيمياء — الفضل كل الفضل في تكسير
ة ومعرفة ان الذرة ليست وحدة بل ان كل ذرة مركبة من الكترون او عدد من
كترونات تدور[1] حول نواة بها بروتون Proton او عدد من البروتونات والالكترونات اي
لذرة تتركب من وحدتين الالكترون والبروتون . فاذا رجعنا الى مثل الحروف الهجائية وجدنا
لك الحروف ليست هي الوحدات التي لا تتجزأ والتي تتكوّن منها اللغة بل ان تلك الحروف
ان تتكوّن جميعاً من نقطة وشرطة — واظنني وفقت في هذا التشبيه — لان العلاقة بين
كترون والبروتون من جهة الوزن كالعلاقة بين النقطة والشرطة . فكما ان النقطة صغيرة
ا بالقياس الى الشرطة فكذلك كتلة الالكترون يمكن اهمالها بجانب كتلة البروتون او بمعنى آخر
كتلة الذرة الى مجموع كتل البروتونات التي فيها . ومن جهة اخرى الالكترون به شحنة
ية سالبة تعتبر اصغر شحنة يمكن ان توجد على حدتها والبروتون به شحنة كهربائية مساوية
الالكترون الا انها مضادة لها اي ان شحنة البروتون موجبة ولما كنا نعلم ان هناك قوة تجاذب
ات المتضادة فلو ان الالكترون بقي ساكناً بالقرب من البروتون لانجذب الاول الى
هذا لا يحصل في الذرة لان هناك قوة اخرى طاردة تضاد قوة التجاذب وهذه القوة
القوة الناشئة من دوران الالكترون في مدار دائري — او حول قطع ناقص — كما
حول الشمس. فلولا دوران الارض حول الشمس لهبطت الارض منجذبة نحو الشمس.
مى هذا النظام في تركيب الذرة النظام الشمسي للذرة . فمثلاً ذرة الايدروجين وهو
صر تتركب من بروتون واحد وحوله يدور الكترون واحد في مدار دائري
ووزنه الذري اربعة — تتركب من اربعة بروتونات والكترونين في النواة
[illegible] (Net Charge) [illegible]

موجبتين في النواة وحولها شحنتان سالبتان . والالكترونات التي في نواة اي عنصر تزيد في تماسك الشحنات الموجبة

وكلما زاد وزن العنصر زاد معهُ عدد البروتونات في النواة وعدد الالكترونات المتحركة في المدارات . ومن غرائب الصدف ان العدد الذري — لا الوزن الذري — وهو العدد الدال على ترتيب العنصر في الجدول الدوري يبين عدد الالكترونات المتحركة حول النواة . فالايدروجين عدده الذري واحد وعدد الالكترونات المتحركة في ذرتهِ واحد . والهيليوم عدده الذري اثنان والالكترونات المتحركة في ذرتهِ اثنان. والليثيوم عدده الذري ثلاثة وعدد الالكترونات ثلاثة حتى نصل الى أثقل العناصر وهو اليورانيوم وترتيبه في الجدول الدوري ٩٢ فنجد عدد الالكترونات المتحركة حول نواتهِ ٩٢ وكذلك ترى ان للعدد الذري شأناً كبيراً في تركيب الذرَّة

***

ومن دراسة الطيف لكل عنصر وجد انهُ من الضرورى افتراض ان للالكترونات المتحركة عدة افلاك متغيرة لا فلك واحد كما للارض . فالالكترون المتحرك يصح ان يدور في فلك قريب من النواة او في فلك بعيد عنها . وليس ضروريًّا ان تتحرك جميع الالكترونات في فلك واحد في الوقت الواحد بل هناك في الذرَّة الواحدة عدة افلاك وفي كل فلك يدور عدد من الالكترونات. ومن الغريب انهُ قد لوحظ ان الصفات الكيميائية للذرَّة لها علاقة وثيقة بعدد الالكترونات في الفلك الخارجي فاذا كان الفلك الخارجي في اي ذرَّة كامل العدد كان عنصر هذه الذرَّة لا يميل للاتحاد الكيميائي مع اي عنصر آخر . وهذا ما يحدث في جميع الغازات غير الفعَّالة [illegible] مثل النيون والارجون وغيرها. اما الذرَّات التي فيها المدارات الخارجية ناقصة فتميل الى ان تكملها فمثلاً ذرَّة البوتاسيوم تميل الى ان تتحد بذرة الكلور . وقد فسّر ذلك بان الالكترون [illegible] البوتاسيوم يمر الى المدار الخارجي في ذرة الكلور فيتممهُ وهذا سبب الالفة الكيميائية بين العنصرين وبالاختصار فان جميع العناصر المتشابهة كيمائيًّا لها عدد واحد من الالكترونات في المدار الخارجي

ومن ذلك ترى ان الذرة تبنى من الالكترون والبروتون[1] بنظام خاص بحيث يكون هناك [illegible] بها عدد من الالكترونات والبروتونات وحول النواة افلاك تدور فيها الالكترونات . فاذا [illegible] الامر كذلك فلماذا لايمكن تكسير الذرة الى وحدتيها الاساسيتين — الالكترون والبروتون؟ هذا فكر فيه العالم الانجليزي رذرفرد — تسنَّت لي مقابلته في حفلة افتتاح احدث بناء لدراسة الطبيعة جامعة برستل عام ١٩٢٧ — وقد افلح رذرفورد هذا في تكسير ذرة النتروجين وعدده الذري ١٧ دقائق كل دقيقة عبارة عن نواة الايدروجين . وكسر كذلك غيره من الذرات . وقد لاحظ رذرفو[رد] أن العناصر التي يمكن تكسير ذراتها هي العناصر التي عددها [illegible] كالعدد ١٧ و

(١) الاسم الحديث [illegible]

وان العنصر الذي عدده الذري زوجي لا يمكن تكسيره بل لاحظ ايضاً وجود نواة الهليوم تخرج او تقذف من بعض العناصر مما يدل على ان نواة الهليوم متماسكة جداً ولا يمكن تفتيتها

وهنا يجدر بي ان اقدم للقارىء بحثاً من الابحاث التي افادت كثيراً في تنوير الاذهان في موضوعنا هذا — تركيب الذرة — واهم هذه الابحاث هو بحث العناصر المشعة

﴿ العناصر المشعة ﴾ اكتشف هذه الظاهرة العالم الفرنسي بكرل Antoine Henri Becquerel عام ١٨٩٦ بعد ان اكتشفت اشعة اكس X—Rays عام ١٨٩٥ وقامت بقسط وافر في اتمام البحث مدام كوري . وهذه الظاهرة خاصة ببعض العناصر ذات الوزن الذري الكبير مثل اليورانيوم والثوريوم والراديوم . وهذه العناصر لها القدرة على الاشعاع او اخراج مقذوفات والاشعة التي تخرج منها لها صفات كثيرة منها انها تؤثر في الالوحة الفوتوغرافية وهذه الصفة هي السبب في اكتشافها اولاً . ذلك ان بكرل كان قد وضع في درج مظلم لوحة فوتوغرافية وقطعة يورانيوم فوجد ان اللوحة صورت قطعة اليورانيوم رغم الظلام ولذلك لم يجد هذا العالم بداً من تعليل هذه الظاهرة بان اليورانيوم يصدر اشعة لها هذا الأثر في اللوحات الفوتوغرافية . اما مدام كوري فقد وجدت ان حجارة البتشبلند الذي يستخرج منهُ اليورانيوم اقوى في الاشعاع من اليورانيوم نفسه وعزت ذلك الى وجود عنصر آخر اقوى في الاشعاع من اليورانيوم وبذلك اكتشفت العنصر المسمى الراديوم وهو ذلك العنصر الثمين الذي يستعمل في الطب الحديث والراديوم اقوى في الاشعاع من اليورانيوم مليون مرة وجرام الراديوم يقدر ثمنهُ بعشرات الالوف من الجنيهات ولذلك الحكومات تساعد المستشفيات الكبيرة في شراء جرام الراديوم او جزء منهُ لما لهُ من الفائدة الكبيرة في الطب . واذكر ان الامة الاميركية اهدت الى مدام كوري جراماً واحداً من الراديوم بواسطة الرئيس هاردنج تقديراً لخدماتها في هذا المضمار عند زيارتها لاميركا سنة ١٩٢١

والاشعة التي تخرج من العناصر المشعة مثل الراديوم واليورانيوم وغيرها على ثلاثة انواع سميت باسماء الاولى من الحروف الهجائية اليونانية فسميت اشعة الفا ، وبيتا ، وجاما ويمكننا في الواقع ان نصطلح او نصطلح على تسميتها باشعة الف واشعة باء واشعة جيم على الترتيب. واشعة الف واشعة باء قام البرهنة على أنها دقائق لها كتلة وشحنة الا ان اشعة باء هي في الواقع الكترونات تخرج من بسرعة تقرب من سرعة الضوء وعلى ذلك تكون كتلتها مثل كتلة الالكترون اي صغيرة تساوي $\frac{1}{1840}$ من كتلة ذرة الايدروجين . اما اشعة الف فشحنتها موجبة وكتلتها اكبر من كتلة اشعة باء بل ان كتلتها تساوي ٧٤٠٠ مرة كتلة الالكترون أو تبلغ اربعة امثال الايدروجين . اما اشعة جيم فليس لها كتلة ولا يصحبها شحنة بل هي في الواقع مثل اشعة انها موجات مستعرضة الا ان طول موجتها اقصر من طول موجة اشعة اكس

والآن فلنتكلم عن اشعة الف واشعة باء اللتين أفادتا في فهم تركيب الذرة . وقد برهن رذرفورد على أن الدقيقة من اشعة الف هي نواة ذرة الهليوم وقد اثبت ذلك بتجارب كثيرة . وهذه النواة كما ذكرنا من قبل كتلتها اربعة امثال كتلة ذرة الايدروجين وبها اربعة بروتونات والكترونان اي ان عليها وحدتين من الشحنات الموجبة وقد وجد انها تخرج من العنصر بسرعة تقرب من $\frac{1}{10}$ سرعة الضوء واذا ما خرجت من الذرة فان الذرة يقل وزنها طبعاً وبذلك تصبح ذرة عنصر جديد وله مكان جديد في الجدول الدوري . وقد وُجد أن هذا المكان يبعد عن المكان الاصلي خانتين في الاتجاه المتناقص . اي ان الذرة اذا فقدت شحنتين موجبتين — ولا يكون هذا الا من النواة — فان العنصر يتزحزح خانتين اي يتخذ مكان عنصر آخر اي يتحوَّل اليهِ

اما اذا فقـدت النواة دقيقة من اشعة باء فان عدد الشحنات السالبة في النواة ينقص . ومعنى هذا ان الشحنات الموجبة في النواة يزيد اثرها بمقدار الوحدة فتتغير الصفات الكيميائية للعنصر مع عدم تغير كتلة الذرة ويحتل العنصر مكاناً جديداً في الجدول الدوري . ولكن في هذه المرة في الاتجاه المتزايد . اي ان الذرة اذا فقدت دقيقة من اشعة الف فان الذرة تنقص خانتين في الجدول الدوري .-واذا فقدت دقيقتين من اشعة باء فان الذرة تزيد الخانتين ثانية اي ترجع الى مكانها الاصلي في الجدول الدوري وبهذا يصبح عندنا في الجدول الدوري عنصران يحتلان مكاناً واحداً في الجدول الدوري وهذان العنصران يختلفان في الوزن ويتفقان في الصفات الكيميائية . ومثل هذين العنصرين يسميان نظائر Isotopes وهذا الموضوع — وهو موضوع دراسة النظائر -- قد اهتم بهِ العالم الانكليزي استون Aston وبرهن على ان جميع العناصر لابد ان يكون وزنها الذري عدداً صحيحاً فان لم يكن كذلك فلا بد ان يتكوَّن من مزيج من نظائر اي ان الكيميائيين لا يستطيعون فصل هذه النظائر كيميائيًّا ولكن يمكن فصلها طبيعيًّا . فمثلاً إذا كان الوزن الذري للكلور — وهو الغاز السام — ٣٥٫٥ فقد برهن استون على انهُ يتركب من نظيرين وزنهما الذري ٣٥ و ٣٧ بنسبة خاصة على الترتيب . وكذلك برهن على ان النيكل Nickel ووزنهُ الذري ٥٨٫٧ يتركب من نظيرين وزنهما الذري ٥٨ و ٦٠ على الترتيب. وقد يتساءل البعض وكيف يمكننا فصل هذه النظائر بعضها عن بعض . والجواب انهُ يمكن فصلها بطريقة القوة الطاردة Centrifugal Force كما تفصل القشدة عن اللبن او كما تفصل الحجار الكبيرة عن الاخرى الصغيرة بتحريكها حركة رحوية

وقد حاول قدماء الكيميائيين تحويل مادة الى اخرى فلم يفلحوا ولكن قد افلح علماء الط الحديثون بفضل مباحثهم في العناصر المشعة وتركيب الذرة . ولكن بدلاً من ان يحولوا ال البخسة الى الذهب — وهو بغية قدماء الكيميائيين — اقول بدلاً من ذلك اكتشفوا انهُ أن [illegible] الادوم وهو أغلى بكثير من الذهب الى نوع من الرصاص ولكن اذا [illegible] اخذ

سير الزمان
اسبانيا ومشكلاتها
بين الملكية والجمهورية
الوطنية في الشرق الادنى
للدكتور عبد الرحمن شهبندر
سياسة بريطانيا الخارجية
قواعدها الاساسية

عر
لتذ
يتف
في
مـ
اليـ
الملا
يرذ

وا
تو
يد
و
ر
د
ا
ا
و
ذ
ه

اسبانيا ومشكلاتها

بين الملكية والجمهورية

...

كأنَّ اسبانيا بعد انشاءِ امبراطوريتها الاستعمارية في القرن الخامس عشر وما يليهِ ، أقامت بمعزل عن اوربا . فالمُثُل الدمقراطية التي ذاعت في اوربا بعد الثورة الفرنسية ظلَّت لا تلقى الاَّ صدًى ضعيفاً في اسبانيا . وظلَّ ملوكها مستبدّين بامرهم حتى سنة ١٨٧٦ ، اذ سلّموا بوضع دستورٍ والاصغاءِ الى مشورة مجلس نيابيّ . ومع ذلك ظلّت اسبانيا بعد الدستور بلاداً رجعية يسيطر عليها اصحاب المصالح من رجال الكنيسة ورجال الجيش . ولكنها اليوم جمهورية تميل الى الاشتراكية بعد ثورة غير دامية ثلّت عرش آل بوربون . ونحن لا نستطيع ان نفهم الانقلاب الاسباني الذي وقع سنة ١٩٣١ على حقيقتهِ ، الاَّ اذا طوينا السنين الى مطلع القرن الحالي . ففي سنة ١٩٠٢ لبس الفونسو الثالث عشر — وكان قد وُلد ملكاً اي ولد بعد وفاة ابيهِ — التاج والارجوان وتقلّد الصولجان واقسم بالقسم التالي : «اقسم بالله العظيم والاناجيل المقدسة بان ارعى الدستور والقوانين. فاذا فعلت ذلك فليجزني الله والاَّ فليدعني الى الحساب »

وكانت مهمّة الملك الشاب مهمة صعبة . فحركة العمال في اسبانيا لم تكن قد نظّمت بعد، ولكن الفقر كان ضارباً اطنابهُ بين جماهيرهم ولاسيما في ولاية الاندلس ، حيث اتجهُ العمال في اطيان الملاّك الكبار الى الشيوعية ، وفي مدريد حيث شرع عمال الصناعات ينظمون صفوفهم وفقاً لآراءِ سورل الاشتراكي الفرنسي ، وفي برشلونة حيث فزع القطالونيون من استبداد القشتاليين الى الفوضوية . اما الفونسو فلم يواجه المشكلات مواجهة الرجل . وكان يميل بطبعهِ ونشأتهِ وتربيتهِ الى تأييد الكنيسة والجيش وكبار الملاّك واصحاب المصانع . اما القطالونيون فكان يكرههم فاضاف الحنق الى الكرهِ ، لما رمى احد فوضويهم قنبلة على مركبة عرسهِ ، ثم لما قتلوا كاناليس اعلى وزرائه مقاماً في نفسهِ

فلما نشبت الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ رغب زعماء الحياة الفكرية في اسبانيا في الانضمام الى الحلفاء وكان في مقدمة هؤلاء الفيلسوفان اونامونو Unamono واورتيجا ايكاست Ortega y Casset حتى انهم اوفدوا وفداً (وكان من اعضائهِ السنيور ازانا رئيس الوزارة الاسبانية في عهد الجمهورية) الى باريس . ولكنَّ الملك الفونسو ومؤيديهِ من الاحزاب المحافظة قضوا بوجوب بقاءِ اسبانيا على الحياد . فلما وضعت الحرب اوزارها رأت اسبانيا ان ثروتها قد زادت . ولكن حكومتها ظلت في معزل عن رغبات الشعب ، تعوزها الكفاءة في تدبير شؤون البلاد . وكان الفونسو ادرى الناس

بمواطن الضعف في حكومته ، فظن ان خير علاج انما هو تدخُّلهُ الشخصي . فكانت محاولته الاولى خائبة . ذلك أنهُ بعث ، من دون معرفة الحكومة او قيادة الجيش ، بقائد يدعى سلمستر لتنظيم هجوم على الريف في مراكش ، فهزم شر هزيمة . وليس ثمة ريب في ان تبعة هذه الهزيمة واقعة على كتفي الملك . فاغتاظ الملك لهذه الهزيمة ، ودبَّر انقلاباً يحرره من قيود الدستور . وكانت الوزارة قد طلبت استرجاع الجنرال بريمو ده ريفيرا من قيادة الجيش في قطالونيا ، فرفض الملك ان يوقع الامر ، وأجبر وزير الحربية — الكالا زامورا وهو رئيس الجمهورية الآن — على الاستقالة . ثم سمح للجنرال ده ريفيرا ان يحمل وزير الخارجية على مغادرة اسبانيا ، ورفض ان يسمح للكورتس (المجلس النيابي) بالاجتماع

من بريمو ده ريفيرا الى الثورة

كان ذلك في ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٣ ، فكان هذا العمل ايذاناً بأن الدستور الاسباني قد اصبح حرفاً مماتاً . وظن الفونسو ، ان ذلك اليوم هو بدء حكمه المطلق . ولكنه اخطأ الظن ، لانهُ كان بدء حكم مطلق يمارسهُ بريمو ده ريفيرا . وده ريفيرا رجل دكتاتوري الطبع من ولادته . وصفهُ السنيور مادراياغا فقال : شديد الوطنية ، قوي الخيال ، لا يصبر على البطء والاناة ، سريع الانفعال ، قليل العلم ، يعتمد على البداهة ، ويحاول ان يعالج اعوص المشكلات بأبسط الاساليب كأنهُ الاسكندر ، يقطع العقدة بالسيف بدلاً من ان يفكّها . ثم هو متصف بالجرأة الادبية والشجاعة . كريم الطبع لم يحقد في خلال حكمهِ المطلق على معارضيهِ . كان اندلسيًّا واذن كان داهية يحسن تصريف الامور . . . . » . وقد لبث ده ريفيرا في منصة الدكتاتور ، سبع سنوات ، فأصلح من خلل الحكومة وأصاب بعض وجوه من النجاح في ادارة شؤون البلاد . فكانت القطارات تقوم وتصل في مواعيدها . ومنع الاعتداء عليها . وأقبلت التجارة والصناعة في عهده . فانهُ خفض سعر العملة لكي يشجع تجارة الصادر . وأزهرت الزراعة . وأنشيء بنك زراعي . وخفت سورة العمال بالسماح لهم بانشاء نقابات على مثال النقابات الايطالية

ولكن ثمن ذلك كان باهظاً . ذلك ان الدكتاتورية لا تعيش الاّ اذا كُمّمت الافواه والاقلام ، وقلما يرضى شعب بذلك طويلاً . فقد مارس ده ريفيرا رقابة شديدة صارمة على الصحافة . فتوقف عن الصدور عدد من الصحف الاسبانية التي كان يكتبها اعلام المفكرين والاحرار وكانت من امجاد الصحافة الاسبانية . ونفي زعماء الفكر الاسباني كالفيلسوفين اونانومو وجراست ، وقضي على النزعة الحرة في الدين ؛ كما قضي على النزعة الحرة في السياسة ، وأصبح التعليم احتكاراً للكاثوليك وكان نصف اطفال اسبانيا — بنين وبنات — لا ينالون من التعليم الاّ مبادئه الاولى ، وسمح للكنائس بوضع كتب الدراسة وفرضها على مدارس الحكومة لاستعمالها

ما سفن البرتقال بقيادة فرانسوى دالميدا وقد حدثت وقائع عادت بعدها سفن مصر بعد ان ت بعض قطعها ثم عاد سنة ٩١٧ هـ قاصداً جزرات ثانية وقد ساعدت سفن البنادقة السفن المصرية ه الغزوة البحرية لان الضرر لحق بالفريقين من تحويل البرتقال لتجارة الهند عن طريق رأس ء الصالح وكان ذلك في ايديهم من قبل

ولم تكن سفن البحر الاحمر هي كل ما كان للغوري فقد كانت له اساطيل بالبحر الابيض وقد بعد الامير كركور اخا السلطان سليم بعشرين سفينة حربية لتساعده على ان يكون سلطاناً بدل فقد وقع اغلب هذه السفن في يد العثمانيين . وقيل بل اصابتها زوبعة شديدة غرق كثير منها ى العثمانيون على باقيها . وفي سنة ٩١٩ هـ دخل اسطول برتقالي الى البحر الاحمر واخذ في اعمال التخريب فسار اليه الاسطول المصري بقيادة الامير حسين بك الكردي وقد تمكن من سفن البرتقالية عن عدن فلما انتصر المصريون سار الاسطول البرتقالي طالباً عرض البحر د الاسطول المصري الى مياه اليمن فعاد البوكرك Albuquerque البرتقالي باسطوله واراد ة بنجاشي الحبشة على المصريين وفاوضهُ في امر تحويل مصب النيل الى البحر الاحمر ليموت وبلادها عطشاً (؟!!) وكان يظن هذا امراً يسيراً

ضايقتهُ الاساطيل المصرية واحتلت جزيرة قمران كما استولت على كثير من بلاد اليمن واقلع ين الى عدن وهاجمها واستولى على زيلع وغيرها وجاءهُ مدد بقيادة الامير سلمان احد جعله يرافق سفن تجار عدن القاصدة بلاد الهند وكان سلمان هذا على خمسين غراباً[1]

ت سفن البرتقال تتعدى على سفن المسلمين في تلك المياه حتى استولت الدولة العثمانية على اساطيلها بمحاربة البرتقال حتى منعت عدوانهم واطمأنت ثغور بلاد العرب من شرهم

البحرية بمصر بعد ان صارت ولاية عثمانية

سليم مصر وضع لها نظاماً تسير عليه في ادارتها وجعلت اساطيله تتردد على مياهها اما ظهار قوة الدولة في نفوس من بقي من المماليك لاسيما على ثغور البحر الابيض

عاد السلطان الى الاستانة كان خير الدين بك الوالي الفعلي الذي تركه سليم على مصر المراكب الموجودة بالنيل يساعده في ذلك خير بك امير الامراء

من الغربة (مراكب حربية) بالبحر الاحمر حينئذ ايام قانصوه الغوري [illegible] [illegible] منها [illegible] الامراء [illegible] [illegible]

ولذلك ما لبثت الاركان التي تقوم عليها الدكتاتورية حتى تصدعت . فالزعماء في عالم التجارة اخذوا يخشون نتيجة الوسائل الحديثة المبتكرة التي يعمد اليها ده ريفيرا في ميادين المال والاعمال. وكان تخفيض سعر العملة ذا فائدة اولاً ، ولكن التخفيض افلتت السيطرة عليهِ من يد الحكومة وبدأت العملة تتدهور وليس هناك ما يكبحها او من يكبحها . ثم ان عدم التوازن في الميزانيات المتوالية احدث قلقاً في النفوس ، فاستفحلت الريبة في اعمال الدكتاتور وفائدتها . حتى الجيش اخذ يتردد في تأييد الحكم القائم . فكان فيهِ فريقان فريق يبغي الاصلاح ويرمي اليهِ ، وفريق يؤيده ويدفع عنهُ . ومن وراء ذلك كان الفونسو يبحث عن وسائل يتخلص بها من ده ريفيرا نفسهِ. ذلك ان الدكتاتورية كانت دكتاتورية الجنرال لا دكتاتورية الملك ، ومع ان الدكتاتور كان يتظاهر دائماً باحترامهِ وولائهِ للعرش الاَّ ان رغبات العرش كانت لا تلقى منهُ العناية الوافية

فلما احسَّ الملك في سنة ١٩٢٩ ان عبء الحكم مدى سبع سنوات قد ناء بكلكله على الدكتاتور الجنرال ، ظن ان الفرصة قد سنحت ، لانشاء دكتاتوريته الخاصة . وكان المعروف حينئذٍ ان ثورة ذات اغراض جمهورية تتحفز للثوران في حامية الجنوب ، فاقترح ده ريفيرا ان يقيم استفتاءً عسكريًّا ليعرف ميل الجيش بوجه عام . وكان هذا الاقتراح غريباً في بابهِ ، فاتخذ الملك منهُ عذراً ليطلب من الدكتاتور استقالتهُ ، فاستقال من دون اية مقاومة او اعتراض

وكان همّ الفونسو حينئذٍ ان يقنع الامة بأنهُ كان غير موافق على الدكتاتورية ، ولا يرغب فيها فألف وزارة جديدة أقام على رأسها الجنرال برانجر . وأعلن أن المحافظة على الدستور سوف تكون دقيقة كل الدقة في المستقبل. ولكن الامة رفضت ان تصدق ، ان الفونسو ما كان يرغب في الانقلاب الذي احدثه ده ريفيرا . وعلى كل حال رأت الامة ان دكتاتورية ده ريفيرا تفضل ديكتاتورية الملك او الجنرال برانجر اذا كان لا بدَّ من التفضيل بين الديكتاتوريتين لانها في ظل الاول كانت اكفأ منها في ظل الثاني. ووعدت الحكومة الجديدة باجراء انتخاب عام في مارس سنة ١٩٣١ لاقامة بناء الدولة على اساس نصف دستوري . ولكن الاحرار والجمهوريين ادركوا ان الانتخابات سوف تكون مهزلة فأعلنوا قرارهم على مقاطعتها . عند ذلك اضطر الملك في فبراير ١٩٣١ ان يعيد الضمانات الدستورية فاقتنع الاحرار بالرجوع عن قرار المقاطعة ولكن زعيمهم كونت رومانوز اعلن انهُ سوف يطلب انشاء جمعية تأسيسية لوضع دستور جديد. فلما عرفت نية رومانوز ألغتْ الحكومة الانتخابات العتيدة ، ولكنها عجزت عن البقاء في مناصبها فاضطرت ان تستقيل ، فحاول الملك ان ينشىءَ وزارة تنهض بأعباء الحكم الدكتاتوري فلم يجد الاَّ الاميرال ازنار

ولكن الميل الى الجمهورية في اسبانيا كان قد بدأ ينتشر ويذيع . وارتفع في مدن كثيرة صياح الجماهير « ليسقط الملك الفونسو » . وبدأ اهل قطالونيا ينادون ويطالبون باستقلالهم . فلما للفيلسوف اونانومو ان يعود من المنفى استقبله الشعب ، وطوائف الشباب بوجه خاص ،

استقبالاً حافلاً ، فكان في هذا الاستقبال ريح من العاصفة التي تتحفز عند الافق للانطلاق

ولما انقضت سنة على سقوط ده ريفيرا بدا لمراقبي تطور الحالة في اسبانيا ، ان الملكية مقضيٌّ عليها . وكان الفونسو ذكيًّا ، فتبين هذا التحول قبل غيره . وفي ابريل سنة ١٩٣١ أجريت الانتخابات البلدية فكان الفوز فيها للجمهوريين ساحقاً ، فلم يبقَ امام الملك الاَّ ان ينسحب . فغادر البلاد وحدهُ من دون ان يتنازل عن العرش . وانشئت حكومة وقتية ثم وضع الدستور لاسبانيا الجمهورية وانتخب زامورا رئيساً

الدستور الجمهوري والاصلاح الاجتماعي

في نوفمبرسنة ١٩٣١ أُقِرَّ الدستور في الكورتس باجماع ٣٦٨ عضواً من اعضائهِ (وامتنع ٩٨ عضواً عن الاقتراع) . وكان منشئوهُ من اصحاب النزعة الحرّة ، الذين تصوّروا السبيل الى علاج مشكلات اسبانيا سبيلاً خالياً من التطرُّف والعنف . بهذا الدستور اصبحت اسبانيا جمهورية دمقراطية لها مجلس نيابي واحد (في فرنسا مجلسان احدها للنواب وآخر للشيوخ ، وكذلك في الولايات المتحدة الاميركية) ينتخبهُ الرجال والنساء على السواء . ومنح الناخبون حقَّ المراقبة على المجلس ، بمنحهم حق طلب الاستفتاء . فاذا وافق ١٥ في المائة من الناخبين على وجوب استفتاء الشعب في مسألة ما وجب استفتاؤهُ فيها

وحلَّ الدستور مشكلتي اسبانيا القديمتين . اما الاولى فمشكلة المكانة الممتازة التي تتمتع بها الكنيسة في اسبانيا وقد حلّها بمصادرة جميع املاك الكنيسة . ذلك ان الثورة كانت ضدَّ الاكليروس ولكنها لم تكن ضدَّ المذهب الكاثوليكي . فالاسبان ما زالون كاثوليكاً مستقيمي الرأي ولكن الدستور قضى على سيطرة اليسوعيين على التعليم في اسبانيا ، وعلى تمتع رجال الرهبنات والاديرة المختلفة بالريّ والشبع والشعب حولهم يتضوّر جوعاً ويتحرّق ظمأً . ومنع رجال الاكليروس بواسطة الدستور من الاشتراك في عمل التعليم

واما المشكلة الثانية فمشكلة العمال ، وقد خطا الدستور نحو حلّها خطوة اولى ، اذ منح العمال في كل منشأة صناعية او تجارية — اذا زاد عددهم على خمسين — حق تأليف لجان يحق لها ان تطالب بتنفيذ عقود العمل ، وفحص حسابات الشركة ، وحضور اجتماعات المديرين . ولكنهم لم يمنحوا حق الاقتراع في جلسات المديرين ، وهذا ما اعترض عليه الشيوعيون في اسبانيا ، وعلى اساس اعتراضهم هذا لم يعترفوا بالدستور الجمهوري . وفي سبتمبر سنة ١٩٣٢ وافق الكورتس على القانون الزراعي او قانون الفلاحين Agrarian Law وبمقتضاه منحت الحكومة السلطة ان توزع على الفلاحين افراداً او جماعات ، ما صادرتهُ من املاك الفونسو واراضي اليسوعيين وبعض الملاك والملكيين منهم بوجه خاص ممن اشترك في فتنة الجنرال سان خورخو . بل ومنحت كبار الحكومة كذلك حق مصادرة

الأملاك البور او التي لم تحسن زراعتها على ان تعوّض اصحابها قدراً من المال على اساس أثمان تلك الاراضي كما دوّنها اصحابها في دفاتر الحكومة لفرض الضرائب عليها . وكان غرض وزير الزراعة ان يكون توزيع الاراضي للجماعات دون الافراد في الغالب تنشيطاً للروح التعاونية

١١ مقاطعة قطالونيا فتعرف في دوائر السياسة باسم «ارلندة» اسبانيا . اي ان موقفها من اسبانيا كموقف ارلندا من بريطانيا . فالشعب القطالوني يختلف عن القشتاليين سلالة ولغة وتقاليد . ولكنهم مع ذلك يعتمدون في حياتهم الاقتصادية على القشتاليين ، والقشتاليون يعتمدون عليهم . ظلمتهم الحكومة الاسبانية في القرن التاسع عشر فحظر عليهم استعمال لغتهم وأُلغيت محاكمهم وعملتهم . وفي اواخر القرن التاسع عشر ، ظهرت بينهم بوادر نهضة قوية ، انتهت في سنة ١٩٣١ — لما وقعت الثورة الاسبانية — الى اعلان استقلالهم وانشاء جمهورية قطالونية مستقلة . فواجهت الحكومة الجمهورية الوليدة في مدريد ، مشكلة الاعتراف باستقلال قطالونيا من دون ان تنفصل عن الجمهورية الاسبانية . وفي سبتمبر سنة ١٩٣٢ اقرّ الكورتس مشروع استقلال قطالونيا الذاتي Antonomy فاصبح لها برلمانها الخاص ومجلس تنفيذي — اي وزارة — ورئيس . ولما اقيم الاحتفال الرسمي بهذا الاستقلال شهدهُ السنيور ازانا رئيس الوزارة الاسبانية حينئذٍ وخطب فيهِ فقال موجّهاً الكلام الى الكولونيل مارسيا رئيس قطالونيا : « حريتكم والجمهورية متصلتان لا تنفصم عقدتهما »

أما في الناحية الاجتماعية فقد منحت النساء حق الاقتراع في الانتخابات ، واعترف بشرعية الطلاق ، والقضاء على الوصمة التي يوصم بها الاطفال المولودون خارج النطاق الزوجي . وهذا كلهُ من شأنهِ ان يبدل العلاقة الكائنة بين الرجل والمرأة ويغير من شكل الاسرة . ففي بلاد كانت فيها المرأة مستعبدة لا حقوق لها ، وموقف الرجل نحوها موقف سيطرة وامتلاك لجسمها وروحها ، لابدَّ ان تسفر هذه القوانين عن تحوّل كبير في مقامها الاجتماعي

وكانت الحكومة الجمهورية قد اعدّت مشروع خمس سنوات تنشيء بموجبه في خلالها ٢٧ الف مدرسة وأُنشيءَ منها في اواخر السنة الماضية (١٩٣٣) نحو سبعة آلاف مدرسة . ولكن ثمة مشكلة خطيرة نشأت عن الغاء مدارس الاديرة ذلك أن نحو ٦٠٠ الف تلميذ وتلميذة لا يجدون مدارس يتعلمون فيها غير ان وزارة المعارف تقدر العدد بنحو ٣٠٠ الف ، وهو على كل حالٍ عددٌ لا يستهان بهِ

اما الموقف الآن فمحفوف بالشك . احزاب اليمين لا تجاهر بنزعتها الملكية ، وانما تطلب الغاء قوانين الاصلاح الاجتماعي التي اقرّها الكورتس الجمهوري الاول ، كقوانين العمال والفلاحين والرهبنات . واما احزاب اليسار فبعضها يرى الجمهورية في خطر ، والمتطرف منها غير راضٍ عن الجمهورية كما انشئت لانها اقرب الى البورجوازية منها الى الاشتراكية او الشيوعية . فالطريق الآن سد لاسبانيا لتتخذ احد سبيلين . اما الرجعية ونقض ما تمَّ على أيدي الجمهوريين او المضي في الثورة الى نتائجها المنطقية . والموقف الآن موقف حيرة وتردُّد فكل تنبؤ في هذا الصدد كثير المزالق

القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

الوطنية

الوطنية شعور عميق يحدو صاحبه الى مؤاخاة عدد عظيم من النـاس (هم الامة) يعتقد انهم يشاركونهُ في مثل عليا يقدسها في نفسه وهي تستلزم حقوقاً وواجبات ، وتختلف هذه المثل العليا باختلاف المقاييس الاخلاقية الزمنية والنظرات المعنوية الاعتبارية ولكنها بالاجمال تجمعها كلمة عامة هي الثقافة

وتزداد سرعة الامم التي فيها عروق الحياة نابضة الى الاعتصام بحبل الوطنية المتين على قدر هبوطها في هوّة المصاعب وتعرّضها لعوامل التفتت والاستغلال

فالامة تتألف اذن من افراد يشعرون كما قال الاستاذ (مكدوجال)[1] بانهم متماسكون تما[...] طبيعيـاً بروابط لها عندهم من القوة والصدق بحيث يكون في ميسورهم ان يعيشوا بالسعادة و[...] اذا كانوا معاً ولكنهم يصابون بالضيم اذا ما تفرقوا . وهم يرفضون كل خضوع وانقياد [...] التي لا تشاركهم في هذه الروابط . فما هي هذه الروابط يا ترى ؟

هي في نظري قائمة على أسس جوهري مبناهُ التجانس والاتصال وما الى ذلك من التشابه ، فهي تتطلب التماثل في الاوضاع والعادات والانساب ، والاتصال الزمني واتحاد [...] هي في عالم الانسان مصداق للمثل الذي ينطبق على ذوات الاجنحة « ان الطيور على اشكالها بل هي مصداق للحديث « الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اخ[...]

ومع كل ما يقف في سبيل الوطنية الصادقة من العقبات وما يعتور زحمتها من المقاومات والخارجية فهي كما تنبأت دائرة المعارف البريطانية في احدى طبعاتها الاولى « تتقدم والمرجح ان تكون عاملاً قويّـاً في اوربا لمدة اجيال قادمة فتؤدي الى انشاء وحدات سياس[...] الى سالف العهد لغات قد انحطت وتتولد ادبيات مستحدثة »

ولما انتشرت الافكار الاشتراكية المتطرفة واشتدت [...] عقب الحرب ال[...]

---

(1) The Group Mind, p. 136

ـ الوطنية وظن الناس ان عهد كافور وغاريبالدي وماتسيني وبسمارك ومن حذا حذوهم من اعلام
ـنوميات لم تعد له صلة بزماننا لان الجامعة الوطنية عند اصحاب هذا الظن هي كالجامعة الدينية
ـصبحت من مخلفات القرون الوسطى، ولكن نهضة الطليان والترك والالمان الحديثة وما تبعها من
ـتشار الافكار الفاشستية الوطنية بصورة فعالة حتى في بلاد الديمقراطيات العريقة كل ذلك خيب
ـال اللاوطنيين الاندثاريين وقضى—ولو مؤقتاً— على فكرة الذين يزعمون ان الانسان يستطيع ان
ـتخلى عن تراثه القومي وثقافته الوطنية. ومالم تشترك جميع الامم الراقية اشتراكاً اقتصادياً وسياسياً
ـهذا الاندثار والتخلي فمن المستحيل ان تتحقق فكرة الاشتراكية الدولية او الاخوة العالمية، لانهُ
ـن انكر النكر ان تبث في سورية او في مصر مثلاً فكرة الاخوة الانسانية وفي فرنسا او انكلترة
ـكرة تنازع البقاء في آن واحد. ولعلَّ اخفاق عصبة الامم يرجع سببه في الدرجة الاولى الى ان
ـسيطرين عليها قد اصرُّوا على ان تبقى جميع القوة في ايديهم وان يتنازل غيرهم عن جميع اسباب دفاعه،
ـهكذا نسوا ان يبدأوا بأنفسهم فينهوها عن غيها، ويعلموها ما يحاولون ان يعلموهُ غيرها

ونرى روَّاد الوطنية الحديثة قد قاوموا بكل ما اوتوه من قوة النظريات الانسانية العالمية التي
ـبتها الثورة الفرنسية لان مثل هذه النظريات تفتت الشعب فتحوله الى افراد لكي تؤلف منهم فيما
ـخليطاً من الغوغاء. فلا عجب ان يعلن (ماتسيني) حرباً عواناً على اللاوطنيين الارضيين الذين
ـون النـاس ان يحب بعضهم بعضاً من غير تفريق في الجنسية، لانهُ يعد مثل هذه الدعوة عبثاً
ـمن الاساس على المستحيل عقلاً

ـعند (ماتسيني)[1] ان الامة مرتبة وسط بين الفرد من جهة وبين مجموعة الجنس البشري من
ـخرى، وفي طاقة المرء ان يفهم امته ويحبها لانهـا مؤلفة من مخلوقات تشبههُ، وهي تنطق
ـي ينطق بها وتتحلى بالميول الطبيعية التي يتحلى بها، وقد أدبتها التقاليد التاريخية المشتركة،
ـكان تصويرها في الذهن وحدة وطنية مستقلة فالامة والحالة هذه مرتبة وسط بين البشرية
ـد. (ترجمة حياة ماتسيني ص ٢٧٣). وفي وسع المرء ان يحيط بالبشرية وذلك بان يتصورها
ـ من أمم كل منها يتألف من افراد متجانسين، والامم هي رعايا البشرية كما ان الافراد هم
ـة. اما عهد الانسانية فلا يجوز ان يعضيه الافراد بل تمضيه الشعوب الحرة المتساوية ذات
ـلاعلام الخاصة والتي تحس بحوزتها المستقلة

ـلت الوطنية كما فهمها بسمارك وماتسيني في القرن التاسع عشر دوراً خطيراً في نشوء الوعي
ـوربا، ولكن الكتّاب زعموا عقب الحرب العالمية انها لا تصلح لحل المعضلات التي
ـ قومهم دام فضلهم في مساعي المتلاريين في يومنا الحاضر لضم [illegible]

[1] [illegible] Human Nature in Politics

حدود النظرية البسماركية وذاهبين في التطرف الى ابعد منها؟ أليس التجانس اللغوي والثقافي واتصال البلاد ومصلحتها وتنظيمها السياسي كل ذلك من القواعد الوطنية التي ساقت النازي الى هذا العمل؟ ألم تدلنا الوطنية الفرنسية في الغرب وفي الشرق، في فرساي وفي عصبة الامم، في المؤتمر الاقتصادي العالمي وفي مؤتمر نزع السلاح، في بلاد الحماية وفي بلاد الانتداب، على ان قاعدة بسمارك التي تلاها في خطابه سنة ١٨٥٠ لا تزال محترمة تحز مفاصل الامم في سنة ١٩٣٤ وفحواها «ان المبدأ الصحيح الوحيد للخطة التي تسلكها الدولة المعظمة انما هو الانانية السياسية» ألم يدخل الجنرال غورو دمشق الشام في سنة ١٩٢٠ مفتخراً بسحق سورية التي يرأسها حليفه، والتي نالت قبل ذلك ببضعة عشر شهراً تصريحاً مشتركاً من فرنسا وانكلترا بحقها في الاستقلال، والتي قال عنها الحلفاء انفسهم في عهد عصبة الامم انها اهل له؟ وأما جميع تلك التفاسير التي فسرت بها هذه الوعود والعهود الشفهية والخطية، الرسمية وغير الرسمية، لدخول المستعمرين البلاد فاتحين مغتصبين فهي تفاسير اهل الحيل الشرعية الذين يؤولون اصرح النصوص وأقدس العقود لمصلحتهم الشخصية او مصلحة وكلائهم المادية. وقد سمعت في احد الايام شيخاً اشترته فرنسا بالوظيفة يدعو الناس الى طاعتها في سورية بما تلاه عليهم من نص القرآن «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم» ثم ان القوي يتمتع منذ القدم بحق تفسير الشرائع السماوية والارضية لمصلحته وأما الضعيف فيرفع يديه الى السماء طالباً الرحمة، ولو انهُ بدلاً من ان يرفعها الى السماء لطم بها وجه المنافقين لكان اقرب الى استنزال الرحمة واستدرار البركة

***

كذلك نحن اذا حللنا خطة فرنسا في شمال افريقيا تحليلاً دقيقاً وجدناها قائمة على الفكر البسماركية ايضاً، وبدلاً من ان يكون النموذج البروسي في هذه القضية هو الذي يجب ان يهـ[...] غيره ويمثله نرى النموذج الفرنسي اللاتيني هو الذي يحاول «بالدم والحديد» كما قال بسمارك يمتص غيره من عناصر العالم العربي. وهذه لعمري وطنية التوسعيين من اهل البسطة الـ[...] وان نجحت طريقتهم في البلدان المتجانسة ذات الثقافة المماثلة فهي محكوم عليها بالاخفاق في ا[...] الاخرى، وحسبنا ان نشير هنا الى ايرلندا والصراع العنيف الذي دام حقباً لكلفتها الى ان فرصة الحرب العالمية فأعلنت استقلالها المعلوم وهي تقطع اليوم عرى اتصالها ببريطانيا و[...] مع انكلترا غير معاملة الند للند

وقاعدتنا في تحديد الحلف العربي القادم هي قاعدة [illegible] لا [illegible] حديد كقواعد هذه بل قائمة على تجاذب روحي يناسب المستوى [illegible] قولنا «طا[...] العربية بأوسع معانيها ان تنضم تحت جناحيها [illegible] والتجا[...] واما ما لا تقسم له [illegible] فيكون [illegible]

وقد يعترض علينا معاشر السوريين معترض فيقول : ما بالنا نبحث في الحلف العربي الاكبر ونحن في عقر دارنا مقسمون ممزقون الى دويلات ؟ وهل من الحصافة في شيء ان نحبر المقالات الطوال في وصف (الشوكولاته) وطبخها للذين يموتون من الحاجة الى الخبز على قارعة الطريق ؟ والجواب ليس عسيراً متى عرفنا ان الوعي القومي اذا دبّ في الافراد اصبح خالداً وان الامم الحية واصلة الى غرضها ولو لاقت في سبيل ذلك اضعاف ما لاقى الصربيون واليونانيون والبولنديون

﴿ شأن الوطنية عند المعاصرين ﴾ ومما يدلنا على المقام الرفيع الذي تتمتع به الوطنية الصادقة في الشعوب الحية المعاصرة المسألة الآتية التي لم نعهد لها مثيلاً في الشرق على اقل تقدير وهي ان المحافظة على العقائد الدينية في الاقطار عامة — ولا سيما التي فيها نزعة روحية ظاهرة — امرٌ مرغوب فيه يتطلب عناية الذين يقودون الشعب في نهضته السياسية ، وذلك لحاجتهم الى الاستعانة بالرأي العام والتأثير في الدهماء، لان الخروج على العقائد هو مثل امتهان حرمة التقاليد المقدسة يدعو الى النفرة في سواد الشعب، والقائد هو في حاجة دائماً الى استرضاء الجنود واستمالتهم والاّ ما حاربوا تحت لوائه، ولكن زعيماً سياسيًّا حربيًّا مثل مصطفى كمال باشا لم يهمل قضية الدين فقط بل حاربها محاربة جبارة قد لا تقل من بعض الوجوه عن محاربة (لنين) لها وضربها في الصميم ، ولم يدخر وسعاً في قلبها من الاساس من غير ان يفقد شيئاً عظيماً من هيبته ، وهو وان احدث لهُ خصومة لا يستهان بها في العالم الاسلامي ، الاّ ان المعجبين بهِ من المسلمين انفسهم الذين يحلونه المحلّ اللائق بهِ من الاعتبار — مع احتفاظهم بعقائدهم الدينية — هم لا يستهان بهم ايضاً ، فكأن عمله الباهر في ميدان الحرب والسياسة قد طغى في نظرهم على سائر الاعتبارات فغفر لهُ ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وكأن انقاذ الشعب المستعبد من ربقة الذل ولعنة الاستعمار حدث يجبُّ ما قبله ويمحو ما بعده ، ومما يسترعي الانظار ان الحملة عليهِ في العالم الاسلامي لم تبلغ جزءاً من شأو الحملة على الالحاد ... في العالم النصراني . ولعلّ للدعاية الرأسمالية الواسعة شأناً في هذا المضمار

***

﴿ خاتمة ﴾ : وقصارى القول اننا لا نخطىء اذا قلنا ان الوطنية مثل الاشتراكية — ومثل ... المذاهب السياسية التي تتناول سعادة الافراد ورفاهيتهم — هي دين له كتبه المقدسة وانبياؤه ... وحروبه ، وتزداد الحماسة التي تحفز اهله الى الاقدام وتحملهم على البذل بقدر ... عوزتهم من الدول حولهم . ولا جرم ان تسمو الوطنية في اعين الشرقيين عامة ... لان بلدانهم اصبحت هدفاً يرمى وغنيمة تقتسم ، وما لم يهبوا للدفاع عنها ... القرون الوسطى للدفاع عن العقائد الدينية المقدسة كانت ...

سياسة بريطانيا الخارجية

قواعدها الاساسية وصلتها بنزع السلاح [1]

..

كثيراً ما يقال ان سياسة بريطانيا الخارجية غير جلية ، وان البلدان المتصلة بها بصلة السياسة والاقتصاد قلما تدري ما تستطيع ان تتوقعهُ من موقف بريطانيا في المسائل المختلفة . بل يقال انهُ لو حددت بريطانيا موقفها في مطلع سنة ١٩١٤ او قبل ذلك لاجتنب وقوع الحرب ، ويقال كذلك انه لو وقفت بريطانيا موقفاً حازماً من مشكلات منشوريا ومسألة النزاع بين المانيا وفرنسا ، ومعضلة تنقيح معاهده فرساي ، وهي المسائل التي تقلق بال العالم اليوم ، لحلت هذه المشكلات حلاً نهائيًّا. واذن يعزى استمرار القلق العالمي ، الى تردد بريطانيا وغموض سياستها . والمسألة التي يثيرها هذا الكلام مسألة اساسية . فلننظر في تفصيلاتها

لننظر اولاً اليها من الوجهة التاريخية . في الفترة بين سنة ١٦٨٩ ومعركة واترلو ، كانت بريطانيا مشتبكة في حرب ما ، في كل سنة من سنتين من سني هذه الفترة — فسنو الحرب خلالها كانت ٦٣ سنة وسنو السلم كانت ٦٣ سنة كذلك . فنشأ عن ذلك ان الامة البريطانية احسَّت انها سئمت هذه الحال. فلما انشئت الحكومة الديمقراطية الصميمة في بريطانيا، بعد اصلاح سنة ١٨٣٢ جرت بريطانيا على مبدأ الامتناع عن الاشتباك في حروب البر الاوربي كطريق نحو السلام . فانقضت عليها نحو مائة سنة بعد ذلك — لولا حمق الانزجاج في حرب القريم — وهي متمتعة بالسلام ، صادفة عن نزاعات البرّ الاوربي. وكانت نتيجة ذلك انها اصابت اقبالاً ماديًّا، وكان نجاحها المادي ذا فائدة لها ولجيرتها، بل والعالم قاطبة ، كشكل نجاح مادي على الاطلاق

فالمسألة التي واجهها رجالها في مطلع القرن العشرين . كانت هذه : هل ثمة باعث كاف يبعثهم على تغيير خططهم التي جروا عليها

***

من السهل ان نلتفت الى الحوادث بعد وقوعها ونقول كان يجب ان تفعل كذا او كذلك ، و يسهل الآن ان نقول انهُ لو فعلت بريطانيا كذا او كذلك قبل سنة ١٩١٤ لاجتنب وقـ الحرب الكبرى . ولكن الذين كانوا يعيشون في غمار الحوادث المتتابعة حينئذٍ ما كانوا يرو راهُ الآن او يحسون بما نحسُّ به

قال السر هربرت صموئيل : ولما كنت وزيراً في الوزارة البريطانية التي سبقت الحرب مدة

---

(١) عن بحث السر هربرت صموئيل احد زعماء الاحرار [illegible]

سنوات وأشرفت على اعلانها اظن اني اعرف كيف سارت الامور حينئذ . وانني اذا التفت الى الوراء، الآن ، على ضوء ما حدث بعد ذلك ، اجدني غير متفق مع الذين يقولون انهُ لو اعلنت بريطانيا في جلاء ووضوح انضمامها ، الى فريق فرنسا او الى فريق المانيا ، لاجتنب وقوع الحرب . بل اني لاعتقد ، انهُ ما كان في وسع اية وزارة بريطانية ، ولا اي حزب بريطاني ، ان يسلك هذا المسلك. ذلك انهُ لو فعلنا ، لكنا عدنا مرة اخرى ، الى الاشتباك في مشكلات توازن القوى الاوربية . وهذا النظام من توازن القوى لم يكن في وقت ما ، ضماناً من ضمانات السلام . بل على الضد من ذلك كان دائماً باعثاً من بواعث الاحتكاك المفضي الى الحرب . ولو ان بريطانيا تحالفت مع احد هذين الفريقين لتحتم عليها ان تتحمل تبعة الاعمال التي يعملها حلفاؤها . وكيف نعلم ان حلفاءها لا يندفعون في سبيل المطامح المنطوية على خطر على السلام اعتماداً على مساعدتها وتأييدها ؟

وعلى الضد من ذلك ، ان موقف بريطانيا المنعزل او المنفصل كان يمكنها من ان تستعمل نفوذها في سبيل السلام . كذلك فعلت في حروب البلقان سنتي ١٩١٢ و ١٩١٣ اذ استعملت نفوذها ، لمنع تلك الحروب المحلية من الامتداد كالنار في الهشيم . وليس ثمة ما يدل على انهُ لو وقعت حينئذ حروب اخرى لتعذر عليها ان تستعمل مكانتها في سبيل تأييد السلام ، كما استعملتها في حروب البلقان. بل ان السر ادورد جراي ، استعمل نفوذه ومكانته باخلاص تام ، في صيف سنة ١٩١٤ لهذا الغرض العظيم ، ومرّت بنا لمحة من الزمان ظننا فيها انهُ قد يفوز

يقال احياناً ، انهُ لو اعلنت بريطانيا المانيا ، اعلاناً رسمياً ، بانهُ اذا اخترق حياد البلجيك ، حمل ذلك الاختراق بريطانيا على خوض المعترك اي لو اعلنت بريطانيا المانيا بهذا ، لما كانت الحرب . هذا ما يقال . ولكن اعلاناً من هذا القبيل كان يعني ضمناً ان بريطانيا تبقى على الحياد اذ كان زحف المانيا على فرنسا من غير طريق البلجيك

نعم لا بدَّ ان تعنى حينئذ قيادة الجيش الالماني بتغيير خطتها . ولكن الحرب بعد ذلك تصبح [illegible]ب وقوعاً بدلاً من اجتنابها بمثل هذا التصريح . اما اذا كان تصريح بريطانيا لا يعني وقوفها [illegible] الحياد اذا هوجمت فرنسا على الاطلاق ، فهو يعني انها اصبحت في صف فرنسا مهما يكن [illegible]ر المانيا . وهذا عود منها الى موقف ما زالت تريد ان تتجنبهُ . أما اذا رفضت المانيا ان تقيم [illegible]لتصريح بريطانيا كائناً ما كان فالحالة تبقى على ما كانت عليهِ بل وتزيد تعقداً وخطراً

***

[illegible]ذا من الناحية الخارجية وملابساتها . اما من الناحية الداخلية فان انضمام بريطانيا الى احد [illegible] ، او تصريحها التصريح الذي كان ينتظر منها على قول بعضهم ، من شأنه ان يقسم الامة [illegible]ة الى فريقين . ذلك ان الديمقراطية البريطانية شيء متأصل في النفوس، والاعراب عن حرية [illegible]ق لا نتنازل عنهُ . والوقوف قبل سنة ١٩١٤ الموقف الذي يقال الآن انهُ كان يجب علينا

ان نفقه كان لا بد ان يلقى حينئذٍ ، معارضين ومؤيدين وكذلك تنقسم البلاد وتنشأ بها ازمة خطيرة

ثم ان الشعب البريطاني، لكي يقتنع بوجوب التضحيات العظيمة التي تقتضيها الحرب، يجب ان يقتنع اولاً بان الحرب تشهر في سبيل غرض صالح وانهُ كان من المتعذر اجتناب تلك الحرب بوسيلة شريفة . ولو ان حكومة بريطانية ، كائنة ما كانت ، حاولت في مطلع القرن العشرين ان تنضم الى احد الفريقين الاوربيين الكبيرين — فرنسا وفريقها أو المانيا وفريقها — او لو أنها صرحت تصريحاً يعني ضمناً انضمامها الى احد الفريقين في حالة نشوب حرب بينهما ، لكان نشأ في بريطانيا حينئذٍ جدال سياسي خطير ، لا بد ان يفضي في النهاية الى انقسام الامة بعضها على بعض . ذلك انهُ من المتعذر في حالة كهذه الحالة ، ان تقنع الجمهور بان الغرض من هذا الانضمام او من هذا التصريح، هو منع الحرب ، كما يقال . بل لهاجم الكتّاب الاحرار الوزارة مسندين انضمامها او تصريحها، الى اغراض امبريالستية، او الى رغبة منها في القضاء على خصم قبل ان يشتدَّ ساعدهُ . واذا اضطرت الحكومة حينئذٍ ان تزيد الانفاق على اسطولها — كما اضطرت حكومة بريطانيا بين سنة ١٩٠٨ وسنة ١٩١٤ — لما صدق الشعب ان الغرض من هذه الزيادة انما هو الدفاع عن كيان البلاد ، بل لعزا هذه الزيادة ، الى غرض الاستعداد للحرب التي اعترف بها ضمناً في انضمام الحكومة الى أحد الفريقين . ثم اذا كان لا بد من وقوع الحرب حسبت الامة نشوبها نتيجة للسياسة التي جرت عليها الحكومة وعندئذٍ فقد تلقى الحكومة معارضة فتكون النتيجة اللازمة لخطة كهذه ، خيبتين ، خيبة في السلم واخرى في الحرب !

ثم ان خطة بريطانيا الخارجية مرتبطة من ناحية اخرى ببلدان الدومنيون المستقلة استقلالاً ذاتياً — اي كندا واستراليا وزيلندا الجديدة وجنوب افريقية (لم تكن ارلندا حينئذٍ في عدادها) — وهذه البلدان تصر على ان تكون مقدَّراتها في ايديها . وبريطانيا تسلم بذلك . بيد أن حكومة لندن مضطرة ، اضطراراً مستمراً الى اتخاذ قرارات عامة . لها صلة بشؤون كل جزء من الامبراطور البريطانية . لذلك تحيط حكومة لندن حكومات الدومنيون والهند ، علماً بتفصيلات كل مشكلة تعرض لها او كل قرار خطير تتخذهُ . وهذه بحكم الطبع لا تميل الى الاشتباك في شؤون اوربا المع

***

تكلمنا عن الاركان التي تقوم عليها السياسة الخارجية البريطانية بوجه عام وأثرها موقف بريطانيا من الحرب الكبرى قبيل اعلانها . ويقول السر هربرت صموئيل ان الحالة ا تشبه بوجه عام الحالة قبيل الحرب . فالشعب البريطاني الآن يتردد كل التردد قبل الاقدا الاشتراك في اي حرب لأي غرض . فهو يمقت الحرب [illegible] فيها احد كبار «سخفاً مكروهاً» . ولكنه — اي الشعب البريطاني [illegible] على عاتقه في د [illegible] يدي عقد التعاون للمحافظة على السلام . وقد مضى [illegible] لمعاهدة تنطو

مركباً في قبالة جده وان هاته المراكب بقيت بالبحر وتقوم باعمال القرصنة وتقطع على التجارة
فما وسع والي مصر الاّ ان أرسل جماعة من المماليك الشراكسة وغيرهم يبلغ عددهم ثلاثمائة مع ال
وجعلهم يقيمون في جـدة خشية ان يطرقها الفرنج ويفاجئونها وقد ساروا براً لانهُ لم تكن
قوة بحرية يرسلها لهذا الغرض

ومن ذلك الحين اخذت العناية ببناء السفن تزداد واهتم بصناعتها خير الدين بك فأمر بف
دار صناعة بولاق وقد جاء في تاريخ ابن اياس (ج ٣ ص ٢١٤) ان ملك الامراء عرض المراك
الاغربة التي انشأها ولعبت قدامه في البحر والشرح من ذلك سنة ٩٢٦ هـ. اهـ

وقد كان من جراء التعدي المتوالي من مراكب البرتقال على السواحل المصرية وغيرها
الاحمر ان اهتمّ السلطان سليمان بأمر الثغور البحرية فجعل أنظمة خاصة لادارة السواحل
والامور البحرية فيها وعين ثلاثة امراء بحر لمصر كل امير لثغر من ثغورها دمياط وا
والاسكندرية وسمي كل منهم قبودان بك وكان تعيينهم وابدالهم بغيرهم راجعاً الى السلطان
وكانت الدولة ترسل حاميتها رأساً من الاستانة تحت قيادة امراء البحر المذكورين وتمـ
سنة بما يلزم من الذخائر الحربية

ولم يكن هؤلاء الامراء البحريون يعتبَرون من جيوش مصر الاّ لانهم يقيمون في
وتصرف لهم مرتباتهم من خزائنها الاّ انهم كانوا مستقلين تمام الاستقـلال عن حكوم
يتلقون الاوامر من دار الخلافة رأساً وكثيراً ما كانت توجد اغربة حربية تحت قيادة هؤلا
البحريين ما عدا من كان بالسويس لما ذكرناه

ولـما ازدادت العناية بصناعة السفن ارسلت بعضها وعليها بعض الملاّحين العثمانيين
لمقاتلة البرتقال وكانوا يعبثون بالبحر الاحمر فقاتلوهم حتى تغلبوا على المراكب البرتقال
عليهم واخذوا ما كان معهم بالمراكب وكان بها بضائع وجوخ واصناف فاخرة وكبلوا الفر
الى ملك الامراء وكان ذلك عام ٩٢٧ ثم جهزت مراكب اخرى في اواخر تلك السنة لما
الى العبث بالسواحل المصرية واعمال القرصنة وقد وجدوا سفن الفرنج وفيها ثمار ومعهم بض
قيمتها بخمسين الف دينار ودار القتال بينهما فدارت الدائرة على البرتقال وقبض علي
بضاعتهم (ابن اياس ج ٣ ص ٢٧٤ — ٢٧٧) وزاد عبث البرتقال في البحر حتى كادت
مصر وغيرها من بلاد العرب وبلاد الهند تنقطع الى ان استغاث بهادر شاه حاكم كجر
الهند بالسلطان سليمان وكانت اساطيل البرتقاليين تتعـدى على بلاده لتمنع التجارة بين
[illegible] (٩٤٤ هـ) فأنشئ اسط

مخاطرة عظيمة . فاذا اقتضت الحال وجوب تدخل بريطانيا في غرب اوربا فان الشعب البريطاني ، مع شدة مقته للحرب ، لا يتأخر عن تنفيذ العهود التي قطعها . غير ان الرأي العام البريطاني ، معارض الآن معارضة صريحة في توسيع نطاق هذه المعاهدة

وبلاد الدمنيون توافق بريطانيا على هذا الموقف بوجه عام . ولكن خشيتها من الاشتباك في الشؤون الاوربية عظيمة جداً ، حتى انك لا تجد بلاداً واحدة منها، قد ابرمت معاهدة لوكارنو. فهي تحتفظ بحقها في الحكم ، اذا اقتضت الحال خوض بريطانيا غمار حرب اوربية تنفيذاً لمعهدة لوكارنو . وحينئذ فاما ان تعاونها وتشترك معها ، واما ان تعرض عن ذلك

ويرى السر هربرت صموئيل ان الرأي العام البريطاني يفضل الانسحاب من الشؤون الاوربية لو كان ذلك في نطاق السياسة العملية، ولكنه يدرك في الوقت نفسه ، ان هذا الانسحاب غير عملي. وهو الى ذلك معارض اشد المعارضة في انتهاج خطة تقوم على عقد المحالفات . واذن لم يبقَ امامه الاّ احد سبيلين – أما السبيل الاول فهو استعمال الاساليب التي كانت مستعملة قبل الحرب الكبرى ، اي الاساليب الدبلوماسية والنفوذ الدبلوماسي والتدخل الدبلوماسي بين حين وآخر . اما السبيل الثاني ، فهو السبيل القائم على الاشتراك في المفاوضات واستعمال وسائل جمعية الامم . والكثرة الغالبة في بريطانيا تفضل الاسلوب الثاني على الاول . فسياسة بريطانيا قائمة على اساس جمعية الامم وفي هذا تؤيدها بلدان الدمنيون وحكومة الهند

ولكن الطريقة الثانية ، لا يرغب فيها الشعب البريطاني ، الاّ اذا كانت امية بالمعنى الصحيح، بريطانيا لا ترغب ان تقوم وحدها ، في الشؤون العالمية ، مقام البوليس ، فهي لا ترغب ان بان تبعث بالجنود البريطانيين والبحارة البريطانيين معرضة حياتهم للخطر ، الى مكان بعيد، يقوم نزاع بين دولتين او اكثر ، مع ان مصالحها في ذلك المكان لا تفوق مصالح غيرها من الاخرى . ولما كانت الضرائب التي يؤديها الشعب البريطاني اكبر من الضرائب في اية امة فانه يرفض ان يتخذ على عاتقهِ تبعات جديدة تزيد نفقاته والضرائب المفروضة عليهِ
... اذا اشتركت جميع الامم في عمل دولي ما ، فان الشعب البريطاني حينئذٍ لا يحجم عن القيام التجاري والمالي وما اليهما ، للاقتصاص من دولة خرقت عهدة كلوج (عهدة تحريم الحرب ١٩...) او عمدت الى الاعتداء على غيرها ، وهذا العمل في حد نفسه ، ينطوي على مخاطرة لا يرغب فيها الشعب البريطاني بوجه عام . ولكنّ السر هربرت صموئيل يعتقد انه ... اذا اشتركت الامم الاخرى معهُ في ذلك

***

والولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا . ولكن واحدة فقط من هذه الدول عضو في جمعية الامم . فبأي حق تدعى احدى هذه الدول وحدها — المقصود بريطانيا لانها الوحيدة بينها المنتظمة في الجمعية — من قبل الجمعية للنهوض بتبعات كبيرة كان يجب ان تشترك الدول الاربع جميعاً في حمل عبئها

في هذه المسائل الدولية الخطيرة تنظر بريطانيا بعين العناية العظيمة الى موقف الولايات المتحدة الاميركية . قال السر هربرت : قال لي احد الاميركيين مرة ، لو ان بريطانيا واميركا تتفقان على العمل معاً لكانتا تحكمان العالم. فأجبتهُ الجواب المنتظر ، ولماذا تريدها ، او لماذا تريدان هما ان تحكما العالم ؟ خير للعالم، ان يحكم نفسهُ. ولكن الواقع انهُ اذا اتفقت الولايات المتحدة الاميركية والامبراطورية البريطانية على العمل معاً ، كان لهذا الاتفاق اثر عظيم في السياسة الدولية على شريطة ان توجها نفوذها الى الخير العام لا إلى اغراض ضيقة خاصة . واذا شاءتا ان تكون خطتاهما مشتركتين او متحاذيتين وجب زيادة التشاور والتعاون بينهما

اذا تبصّر القارئ في هذه القواعد التي عرض لها السر هربرت في بحثهِ ، استطاع ان يدرك تلكؤ بريطانيا في قبول فكرة « الضمانات » التي تطلبها فرنسا ، شرطاً لعقد اتفاق نزع السلاح . فبمقتضى المشروع البريطاني ، الخاص بهذا الموضوع ، والمذكرة البريطانية التي عدّلت فيها بعض مواد المشروع الاصلي ، تقترح بريطانيا على فرنسا ان توافق على تسلُّح المانيا باسلحة دفاعية معيّنة . وان تنقص فرنسا سلاحها في بعض النواحي . فأعربتْ فرنسا في ردّها عن قبولها ذلك اذا ضمن تنفيذ الاتفاق . وحجتّها في ذلك ان المانيا قد تخلُّ بمواد الاتفاق وتصنع اسلحة ممنوعة فيهِ ، وان لجنة الرقابة الدولية قد تثبت ذلك . فاذا تفعل الدول حينئذٍ وما هي الوسائل التي تتخذها لقسر المانيا على المحافظة على العهود التي قطعتها في الاتفاق الذي وقعتهُ . اما بريطانيا ، فتقول ، استناداً الى خطتها التقليدية ، انها تعِدُ في حالةٍ كهذهِ بالتشاور في الوسائل التي يمكن اتخاذها لتنفيذ الاتفاق المعقود. اما فرنسا فتقول ان الوعد بالتشاور لا يكفي وانها تطلب وعداً بالعمل . فلما وجّهت حكومة بريطانيا الى حكومة فرنسا ، سؤالاً عن الضمانات التي تطلبها فرنسا ، بعثت فرنسا بمذكرتها الاخيرة وفيها ترفض ان تسلّم بشرعية تسلُّح المانيا وباجراء مفاوضات نزع السلاح في غير حرم مؤتمر جنيف

ولكن اذا امتنعت بريطانيا جرياً على خطتها المعروفة عن توسيع نطاق معاهدة لوكارنو . اي اذا امتنعت عن قطع عهود حربية اخرى على البرّ الاوربي ، فما حجتّها في الامتناع عن قبول الضمانات الاقتصادية ، كقطع الصلات المالية بالبلاد المعتدية ومنع التصدير اليها او الاستيراد منها ؟ حجـ[ـتها] في ذلك انهُ اذا لم تشترك الولايات المتحدة الاميركية في هذه الضمانات ، فقد تصطدم بريطانيا ، و[إذا] تنفذ الضمانات الاقتصادية بالولايات المتحدة الاميركية الباقية على الحياد . وهذا ما تتحاشاه . ول[ـكن] اقتراح الرئيس روزفلت بان تمتنع الحكومة الاميركية في [illegible] عن اي عمل من شأنه عر[illegible]
[illegible]

حديقة المقتطف

مجد الروّاد

لالفردّ نويز

ترجمة شيطان

للدكتور طه حسين والاستاذ العقاد

قبرّة شلي

لتوماس هاردي

لماذا تحبني

للشاعرة مسز برووننغ

مجد الروّاد

الفرد نويز Alfred Noyes شاعر انكليزي في الطبقة الاولى بين شعراء انكلترا المعاصرين . استشرف بنظره تاريخ ارتقاء المعرفة فاختار من سير روادها الحوادث التي كانت معارك فاصلة بين جيوش النور وجيوش الظلام ونسج من ذلك ملحمة شعرية عظيمة سماها « حملة المشعل » . وفي ما يلي قطعة اجراها على لسان تيخوبراهي — وهو فلكي دنماركي من علماء القرن السادس عشر قضى ٢١ سنة يرصد الافلاك في مرصد اورانيئبرج ثم اضطر ان يغادر بلاده ويلجأ الى رودلف الثاني في براغ وكان جلّ همه ان يعين مواقع الف نجم قبل ان يموت ولكنه لم يعين الا مواقع سبعمائة منها قبل طرده من بلاده — مخاطباً مريديه قبل مبارحته وطنه

ما اقلّ ما اعلم — عملتُ عمل قزمٍ ! ان الرجال الذين سوف يتبعونني
قد يزيدون ، بفنٍّ ادقّ من فنّي ، عشرات الالوف . ولكن مجموعتي تنقذهم
من عناء خمس وعشرين سنة ، وتقربهم الى هدفهم ، الى ملك النواميس
الذي لن ارى . اننا على عتبة عصر من المكتشفات العظيمة . فأنا احسُّ
كما يحس الحالم ، بالفجر ، قبل ان يفتح عينيه . كثيرون منكم سوف يشاهدون
تلك المكتشفات . وفي ذلك اليوم تذكرون اجتماعنا الاخير في اورانبرج
وكيف قلت لكم ان عملنا هذا لا بدّ ان يفضي الى انتصارات العصر المقبل .
قد ينسانا المنتصرون . وماذا يهمنا ذلك ؟ سوف يظفرون بسعف النخل
واهازيج الثناء . اما مجدنا فمجد الآباء في ابنائهم : غبطتنا غبطة
المانح ، غبطة العامل على صفحة الصخر الصلد طوال الليل ، يحفر
فيهِ مواقع الاقدام ، ليرتفع عليها من يجيء بعده ، الى الاعالي
فيطيل التحديق في العوالم المكتشفة حديثاً .
عندئذ لا تجدونني على القمة ، فاذا هبطتم ، ابحثوا عني في الظلام
عند سفح الاكمة ، تحت الاوراق المتناثرة . هناك نختبيء نحن
الروّاد ! لان فينا كِبْراً ، وعلى العالم ان يبحث عنا
قبل ان يكتشف قبورنا !

ترجمة شيطان

رأي الدكتور طه حسين في قصيدة الاستاذ العقاد (١)

«...لست اخفي عليكم اني قرأت له قصيدة لن ينقضي اعجابي بها وقد اقرؤها عشرين مرة او ثلاثين والسبب في ذلك اني اجد فيها كلما قرأتها معنى جديداً ، او معاني جديدة. ثم هذه الطرافة المدهشة وتستطيعون ان تبحثوا عن مثلها في الشعر القديم فلن تجدوا لها شبيهاً . هي طويلة ، ولكنها على طولها قصيرة تبلغ مائتي بيت وعشرين

«أما موضوعها فشيطان . اراد العقاد ان يترجم لشيطان ، ويظهر ان العقاد سئم ترجمة الناس ، وسئم نقد الناس وما يكتبون وما ينظمون فأبى الاّ ان يبحث فوفق الى شيطان خلقه خلقاً ومشى معهُ وأبعد في المشي . انهُ خلقهُ في اول القصيدة وصعد معهُ السماء وهبط بهِ الى الجحيم ومن حسن الحظ انهُ قتله في آخر القصيدة . هذا الشيطان غريب ، خلقهُ واذن له كما اذن للشياطين ان يغوي الناس ما استطاع فهبط الى بلاد الزنج ولكنهُ لم يكد يرى هذه البلاد وأهلها حتى ضاق بالارض وسكانها ورأى انهُ ارفع من اغواء الزنوج فارتحل عنهم وطوف الارض وما زال يطوف حتى بلغ بحر الروم او بحر العجم حيث البلاد المتحضرة ، وهناك استطاع ان يخدع الناس فأخرج لهم شيئاً يسمى الحق ، ولكنهُ الاعتداء الشنيع المنكر الذي افسد الحياة الانسانية افساداً ، ثم كلفه ان ينوب عنهُ في فتنة الناس . نظر الى الناس وقد وقعوا جميعاً في شركه وخضعوا لفتنته فاحتقرهم ، وكفر الشيطان بالشر ، ارأيتم شيطاناً يكفر بالشر الاّ عند العقاد ؟ والطريف ان هذا الشيطان خالف طبيعته وظفر بما لن يظفر بهِ شيطان ، ظفر بالعفو ، واذن الله له في ان يصعد الى الجنة ويعيش بين الملائكة عيشة راضية في مكان لا سبيل الى تصويره في الشعر بأجمل من تصوير العقاد . ولكنهُ شيطان لا يرضيه شيء ولا يقنع بشيء ، وما اسرع ما ضاق بالجنة ورفاقه الملائكة ، حتى خيل الى الذين يرافقونهُ انهم ينظرون الى الجحيم وقد تجسد في وجههِ ، ثم يوحي الله الى الجنة فاذا هدوء شامل ، وسلام كامل ، وأمن وسكينة واذا الشيطان المتمرد قائم أمام جلال الله . أترون انهُ خضع او اضطرب او احسّ شيئاً مما تحسهُ النفس وهي في مثل هذا الموقف ؟ كلاّ ، ظلّ مرفوع الرأس شامخ الأنف متحدياً ، ينكر على الله آياته ، ويتحدى الله ان ينزل بهِ المكروه ، ثم ينزل المكروه بهِ فاذا النار قد استحالت

(١) ... البنا في مقتطف مايو

حجراً . ومع ذلك فطبيعته لم تتغير حتى بعد المسخ بعد ان اصبح حجراً هامداً · طبيعته مفسدة دائماً . أليست تتخذ الصور الخلاَّبة من هذا الصخر؟ هذا الشيطان الذي احياه العقاد وأماتهُ وصوّر لنا حياته هذا التصوير البديع ، هـذا الشيطان اسمحوا لي وليسمح لي العقاد وأنا أعترف بأني متأسف جدًّا ، هذا الشيطان هو شيطان العقاد وشعره ، وهذه النفس الطامحة التي لا حدَّ لآمالها ، هذه النفس التي لا يرضيها شيء ولا تستريح ولا تطمئن الى شيء ، ولا ترضى الاَّ لتسخط ، ولا تستقر الاَّ لتتحرك حركة لا حدَّ لها حتى اذ خرجت من الحياة وانتهى عهدها بالوجود فان آثارها ما تزال قائمة تعمل في النفوس وتغريها وتبعث فيها الحركة ، وان كان الشيطان قد استحال الى رماد في القبر هذا الشيطان هو سحر صاحب الفن والذي نلحظه في كل أثر من آثار العقاد او الشعراء النابهين أمثال العقاد (انظر ديوان العقاد ج ٣ ص ٣٣٨)

« أعترف اني عند ما قرأت القصيدة وقرأتها وقرأتها ، فكرت في شعراء آخرين ليسوا عندنا ولا هم بين شعرائنا ولكنهم يعيشون في اوربا ، يعيشون في اوربا القديمة والحديثة ، فكرت في جوت حين يصور ابليس وهو يتحدى خالقهُ ، فكرت في بول فاليرى وهو يصور الحية حين أغوت حواء ، وفكرت في ملتون حين يصور الجنة الضائعة . ومع ذلك فهل كان العقاد مقلداً لهؤلاء الشعراء ، هل أخذ عنهم ، أو هل أخذ العقاد عن شعراء العرب القدماء

«كلاَّ أيها السادة ، لم يأخـذ العقاد عنهم بل قرأ هؤلاء ، وهو لا يقرأ الاَّ فهم ، ولا يفهم الاَّ دقق وهو بهذه القراءة وبهذا الدرس المتصل الذي لا يعرف العقاد له حدًّا ، والذي فرضهُ العقاد على نفسه فرضاً ، بهذا الدرس المستمر الطويل قد خلق لنفسه قوة لم يعرفها غيره من شعرائنا ، قوة خاصة خارقة لا يعرفها شعراء العرب لأنهم من أقل الناس قراءة في هذا العصر ، خلق العقاد لنفسه قوة شاعرة لا نجد لها نظيراً الاَّ في اوربا حيث يلتمس الشعراء الفن لا في الادب وحده بل في العلم وفي كل شيء آخر . من هـذا كله استطاع العقاد ان يكون هذا المارد المتمرد هـذا الشيطان الذي لا حدَّ لهُ »

تعليق الشاعر

« ترجمة شيطان » هي احد أثرين من آثاري الادبية انتجتهما الحرب العظمى فأما الاول فمنثور وهو رسالة « مجمع الاحياء » وقد كتبتها في اوائل الحرب

وشرحت فيها فلسفة القوة ورجحت عليها جانب الحق وانتهيت منها الى ان الطبيعة توحي الى الاحياء ان تتصارع وان الصراع يمحصها وينشيء بينها ميزات القوي وهو الحق في النهاية

فلما قاربت الحرب العظمى ان تضع اوزارها ولم نرَ لها نتيجة حاضرة ولا متوقعة تكافيء اهوالها واخطارها غامت على النفس غيمة حزن يائس وبدا لي كأن حوادث التاريخ لا تعدو ان تكون اضطراباً متقلباً كاضطراب العناصر الطبيعية التي لا تحفل شيئاً بمقاييس الاخلاق والمثل العليا ، وان الامم العاقلة المتحضرة تثور الى الحرب كما يثور بركان او يثور اعصار ، فلا فرق بين غوص حضارة في اعماق التاريخ الانساني وغوص جزيرة في اعماق الاوقيانوس ، وهذه هي الحالة التي عبرت عنها في « ترجمة شيطان » . وجعلته من اجلها يقول وهو يحتقر ان يفسد الناس لان غاية الصالح والفاسد منهم سواء :

ما له يفسد قوماً عدموا آية الرشد ، وهبهم رشدوا !
وعلام السلب مما غنموا وهمُ لو غنموا لم يُحسدوا

***

كلهم طالب قوت والثرى ذلُّ قوم او تعالوا مخصب
وقصارى الامر في هذا الورى راسب يطفو وطاف يرسب

ومما يحسن ان اسجله في هذا الصدد ان الجزء الثالث من ديواني كان وشيكاً ان يظهر دون ان تظهر فيه هذه القصيدة ، لان الغيمة اليائسة التي اوحتها اليَّ تغيرت شيئاً فشيئاً واصبحتُ انظر الى الحياة واطوار التاريخ بغير تلك النظرة . وانما نشرتُ مصادفة لانني كنت اتحدث الى بعض الاخوان ومنهم الاستاذ عبد الرحمن صدقي — اثناء طبع الجزء الثالث — عن القصائد التي انوي حذفها ومنها هذه القصيدة . فسألوني عنها وعن موضوعها وأصرُّوا اصراراً شديداً على وجوب نشرها . [illegible] انتهيت بعد مراجعة نفسي الى أن أضمها الديوان واقدم لها [illegible] :

« ولما عرضت لي طبع الشعر المجتمع لدي خطر لي ان احذف [illegible] [illegible] [illegible] وعدولي عن صور رأي فيها ، و[illegible] [illegible] فقلت : [illegible] حذفها أقل من [illegible] [illegible] بنشرها ، [illegible] من اطوار فكرة و[illegible] منقولة من حياة قلب ، [illegible] لم هذه الاطوار انه ما من حالة [illegible] سبيل »

الشيطان امام الله

فاذا الجنة أمن وسكون   كسكون الليل في ضوء القمر
خشعت حتى الشوادي في الغصون   وصفت حتى وريقات الشجر

ساعة ثم انجلى موقفها   عن جلال الله فرداً في علاه
غابت الاملاك لا تعرفها   وبدا الشيطان معروفاً تراه

وبدا الشيطان معروفاً ترى   كبرياء الكفر في وقفته
عالي الجبهة يأبى القهقرى   وتؤجّ النار من نظرته

وتنحّى كلُّ مشهود فما   ثمَّ الاَّ الله والطاغي المريد
ويكاد الكون ما بينهما   يغلب الشك عليه فيبيد

ساعة اخرى وقد حُمّ القضاء   وانقضى العفو وحق الغضبُ
ساعة للنحس حلّت والبلاء   ومتى حلت فأين المهربُ ؟

حاقت اللعنة . حاقت كلها   وقضاها المنعم المنتقم
وجناها وهو لا يجهلها   ذلك الجاني الذي لا يندم

***

هاتف في الخلد لما هتفا   نفذ السهم فمن ذا الهاتف
أهو الرحمن ؟ لا وا أسفا   بل هو الروح العصيّ العاصف

هو روح يحسد الله وما   أعجب الحاسد لله الصمد
كلما أبصرهُ محتكما   أصغر الكون وازرى بالأبد

هو ناع سمجت في عينه   نعمُ الله فأمسى يجتويها -
حبة يزرعها في كونه   تلكم النعمى، فأين الجود فيها ؟

هو طاغ يأنف الصفو الى   سائل يسأله عما جنى
يحسب الصفو عقاباً قد غلا   كيف لو أعذر او لو أذعنا ؟

[illegible] بالمُحجر لا يحفله   حيث لا يبدأ خلق بالكلام
[illegible] القول او ميزه   ولمينيه وميض وابتسام

مختارات من بيرون

﴿البحر﴾ ختم لورد بيرون « تشيلد هارولد » — وهو عنوان قصيدة قصائده الطويلة — بما تواضع النقاد على تسميته « نشيد البحر » . ففي الد من هذا النشيد يتجلى نفوره من الاجتماع واستئناسه بالوحدة والانفراد «لا لا الانسان بل لان حبهُ للطبيعة اشد » ثم تمر في مخيلته صور الدول التي نشأت وما تعاقب على العمران من آيات التغير والانقلاب فخاطب البحر قائلاً

« والعالم في تغيُّر مستمر الاّ ك يا بحر ! لا يقدر الزمن ان يخط عل الزرقاء اسارير الهرم ولا ان يرسم على محياك آثار الضعف والشيخوخة » . المرآة الصقيلة التي نرى فيها صورة الخالق في كل زمان ، سواء اكنت ساكناً ثائراً ، في النسيم العليل او في العاصفة المجتاحة ، حول القطب ثلجاً وجليد خط الاستواء خضماً زاخراً عظيماً »

﴿مشهد طبيعي﴾ « هذه هي الساعة حين تسمع من الاغصان نغمات الشجية . هذه هي الساعة حينما تبدو عهود المحبين حلوة في كل كلمة يهمسونها العليل ، والماء الصافي يطربان الاذن بموسيقاهما . الندى رطب كل زهرة و انبثقت الزُهَر . وقد زاد ازرقاق البحر . وقد قتم لون الاوراق . وفي السماء ذا الواضح الذي يعقب انخذال النهار . والشفق اخذ يذوب امام القمر ... »

﴿الجبل الابيض﴾ « الجبل الابيض ملك الجبال. توّجتهُ (يتكلم الشاعر بل المكان) عليها من زمن بعيد . على عرش الصخور في حُلَل الغيوم . التاج م وحول وسطهِ الحراج . وفي يده جرف الثلج المنهارة . لكن قبل ان ينهار الج كالرعد يجب ان يلبث هنيهة ليتلقى الاوامر مني. والنهر الجليدي البارد الذي لا لهُ ، يتقدم يوماً فيوماً . لكن أنا الذي آذن لهُ في المسير او في البقاء مع سائ انا روح المكان . اخضع الجبل لي او ازعزع اركانهُ ... »

﴿تشاؤم﴾ وأ اسفاه ! ما الحياة الاّ حلم لايوقظنا منهُ غير الموت . وم او هلم تتغير بتغيرنا. كلٌّ منها يخدعنا بدوره . حتى يسدل الموت ستاره فو الرهيبة . أليس من الغريب انهُ كلما ازداد شعورنا بأن الحياة عبثاً ، از

ابه وانصب عليها احد ضباطه المسمى بهرام بك وزوده بالمدافع والجنود ثم اقلع الى الهند ومع
بذله من الجهود بجهات ديو فانهُ لم يتمكن من طرد البرتقال عن تلك الجهات فعاد الى عدن ثم الى
مخا واقلع من بلاد اليمن الى مصر

***

ومما يحسن ذكره ان الاخشاب اللازمة لبناء هاته السفن كانت تجلب من اضاليا (بلاد الاناضول)
نقل بواسطة السفن ثم تنقل على النيل الى القاهرة وتحمل من القاهرة على الجمال الى السويس حيث
ى منها السفن المطلوبة

ومع ان سليمان باشا هذا لم يقض الوطر من حملته الى بلاد الهند الا انهُ طرد امير عدن وكان
الياً للبرتقال كما امكن ان ينشيء حكومة جديدة في بلاد اليمن وقد عادت تلك الحملة البحرية ببعض
وائد لرائدي البحار

وقد بنيت بعد ذلك سفن عديدة وجهزت بالمعدات اللازمة وسارت الى البحر الاحمر وبحار
هند وخليج العجم وكانت تقاتل اساطيل البرتقال في تلك البحار واستمر ولاة الدولة يصنعون
سفن لتشارك اساطيل الدولة ولتحمي البلاد من عدوان الغير ولتجعل طريق المواصلات آمنة بينها
بن البلاد الحجازية وسواحل اليمن وثغور الدولة بالبحر الاحمر واستمرت هذه العناية بصناعة
سفن حتى النصف الاخير من القرن الثاني عشر الهجري فأخذت القوة البحرية في مصر تتضاءل
نحط لضعف الولاة ولضعف الدولة نفسها ولما كان بمصر من الاضطرابات والفتن والثورات واستمرت
ورات حتى اضطرت الدولة ان ترسل امير البحر (القبودان) حسن باشا الجزائري ببعض سفن
ربية وناقلات للجند ليوقع الرعب في قلوب الامراء المتمردين (مراد بك وابرهيم بك) وكان ذلك
ة ١٢٠٠ هـ . وقد جاء بسفنه وعساكره الى مصر صاعداً في النيل عن طريق فوة وغيرها رغم
اظهره الامراء من الطاعة والخضوع لاوامر الخليفة واضطر العصاة ان يفروا الى الصعيد وتم اخيراً
صلح بينهم وبين امير البحر حسن باشا المذكور وهدأت الاحوال وأقام حسن باشا بالصعيد اربع
نوات ثم عاد الى القاهرة وشرع في انشاء دار صناعة بالجيزة وصنعت فيها السفن وجعل بحارتها ورئيسهم
ن نصارى الاروام واصبح لرئيسهم نيقولا من النفوذ العظيم والسطوة ان اكثر من التعدي على
من الاسلام والفرنج معاً. وقد ذكر العلامة جودت باشا في تاريخه انه كان من اسباب الحملة الفرنسية
، مصر ما اتاه هذا الرئيس نيقولا من المظالم وما اوقعهُ بالتجار الفرنسيين وقد عاد حسن باشا امير
حر بأسطوله الى الاستانة وفي عهد سليم الثالث ازدادت اهمية البحرية العثمانية لما ادخل عليها من
صلاحات وقد ارسل بعض السفن لحراسة البلاد المصرية

باعدابها ، بكل ما نملك من قوة ؟ هذا دليل آخر على ما فينا من طبيعة الحيوان . لانهُ لو كان الروح العالي الذي نفخهُ فينا الخالق ، متسلطاً على الطبيعة الحيوانية ، لكنّا نسرُّ بطرح العبء الذي يثقلنا ونئنُّ منهُ ، باحثين عن وجود آخر يتغلب فيهِ النور على الظلام . مَن بلغ الخامسة والثلاثين ولم يشعر بالسأم يسمُّ الجذل اليسير الذي يكون نصيبهُ في بعض الاحيان . نبدأ الحياة برجاءِ الحصول على السعادة ثم ينكشف لنا ان ذلك محال ، فنطلب الملذات،ولكن حتى الملذات تتملص من قبضتنا،فننتهي الى التوق الى الراحة ، ولا ننال الراحة الاَّ بالموت »

﴿ رجاء ﴾ «ايها الالم .. انت تلين الانسان كما يلين اللهيب الحديد .. فمن لم يعرفك ايها المعلم ، لم يعرف من الحياة الاَّ اسمها الاجوف . بل هو يطفو على وجهِ الحياة كما لو كان طافياً على غيمة من غيوم الصيف ، ليس لهُ أثر يتركهُ وراءه ... لا قطرة عرقٍ من جبينهِ . ولا دمعة تذرف من عينيهِ . وقدمهُ لم تدمِها الحجارة المبثوثة في طريقك .. »

...

لماذا تحبني

للشاعرة مسز براوننغ زوجة الشاعر روبرت براوننغ

اذا كان لك ان تحبني ، فليكن لاجل الحب فقط .
لا تقُل انا احبُّها لبسمتها ، لنظرتها ، لحديثها اللطيف
للفتةٍ في فكرها تتسق مع فكري وتنشىء شعوراً
بالراحة والطمأنينة كل يوم من ايام الحياة .
لان هذه الاشياء بحد ذاتها ، يا حبيبي ، قد تتغير
او قد تتغير في نظرك ، والحب الذي نُسج منها
ينحلُّ كما نُسج . ولا تحبني لما تشعر بهِ من الاشفاق
اذ تمسح الدموع على خديَّ . فقد ينسى الكائن الذي
تطول نعماه في عطفك ، ان يبكي ، فيفقد حبك كذلك .
ولكن احبني للحب ، لكي يمضي حبنا ، حيًّا الى الازل

قبرة شلي

لتوماس هاردي

نظمت على مقربة من ليجهورن — حيث نظم شلي قصيدته في القبرة

هنا في مكان ما ، من هذه المرجة ، يرقد في حمى الارض الفسَّاءة
لعهدها العمياء عن وفائها ، شيء بعث النبوءة في روح شاعر .
انهُ حفنة من تراب تجاوزتها العيون وأهملها الناس

هو التراب — تراب القبَّرة التي سمعها شلي
وبعثها روحاً خالداً في ثنايا الزمان ، مع انها عاشت ككل طائر
غيرها ولم يدر بخلدها معنى خلودها ! !

لقد نممت بحياة هانئة وديعة ثم هوت يوماً ما كومة من الريش
والعظام . . لا يُعرَف كيف ماتت .. ولا متى غنَّت اغنية الوداع ..
ولا ايَّان حال الفناء عناصر حياتها ! !

ومن يدري ! ربما تستقر هذه الروح في صعيد هذه الخضرة التي
تضطرب في مسارح عيني ! او ربما تخفق في خضرة آسة متزاهرة !
او تغفو في صبغة عنبة على منحدرات هذه الارباض

فانسلّي يا بنات عبقر . . . انسلي وابحثي عنها . . .
عن هذه الحفنة الصغيرة من التراب الذي لا يقوَّم بمال
وهاتي حُقَّةً مبطنةً بالفضَّة مغلَّفة بالذهب مرصعة بالجواهر !

ولنضجعها فيها بسلام مقدسة على الزمن ، جزاء
ما اوحت به الى شاعر ، فسما الى عليا طبقات
الافتنان والسحر في سماء الفكر والالحان ! !

[ترجمة م . ع . الهمشري]

مملكة المرأة

المرأة الفرنسية

حقوقها وآدابها ومكانتها الاجتماعية

الزوجة ام الولد

للشاعر تنيسون

الجمال والصحة

الاكنة او حب الصبا

عقل الطفل

لاحمد عطية الله

الامراض النفسية

للدكتور شكري جرجس
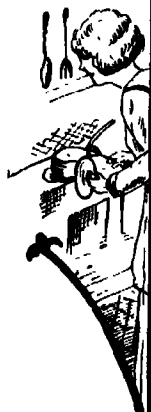
المرأة الفرنسية

حقوقها وآدابها ومكانتها الاجتماعية

قيل ان وفداً ذهب الى الامبراطور لويس فيليب لينبئهُ بأن فرنسا عادت لا تحتاج الى خدماتهِ على العرش فقال « لست اميل الى اجابة طلبكم . ولكنني على كل حال لا اتحرك من هنا قبل ان اسأل زوجتي» ! وقد كان لويس فيليب من طبقة فرنسية متوسطة وموقفهُ نحو زوجتهِ انما كان موقف طبقتهِ نحو المرأة الفرنسية . وليس من يستطيع ان ينكر ، ان للمرأة في فرنسا سلطاناً على رجالها تحسدها عليهِ نساء البلدان الاخرى . فقد تفاخر نساء تلك البلدان بما فزن بهِ من الحقوق التي لا تتمتع بها المرأة الفرنسية وقد يشفقنَ عليها لانها متى تزوجت تعامل معاملة القاصر ، ولكنهنَّ على كل حال يحسدنها على المكانة العالية التي نالتها بحكمتها وحسن تدبيرها

وليس في العالم امرأة أسيء فهمها كما اسيء فهم المرأة الفرنسية . فالمذكرات التي نشرت عن حياة المرأة في بلاط الملوك تصوّرها بالصورة التي اجملها ڤولتير بقولهِ « كل امرأة متزوجة في البلاط يحق لها ان يكون لها عشيق واحد على الاقل» . اما كتّاب العصر الحديث ، وبوجه خاص كتّاب الروايات ، من جوتيه الى فرانس الى موپاسان وكوليت وبروست ، فقد شرّحوا عواطفها ورسموها في صورة المرأة التي لا عمل لها الاّ الاستسلام لشهواتها . ولكن من تتسح لهُ فرصة النفوذ الى حقيقة المرأة الفرنسية ، كما اتيح للمسز بروملي احدى زعيمات الكواتب الاميركيات ، يقل معها ، ان الفرنسية هي رأس البيت ومدار الاسرة

القانون الفرنسي يعاملها معاملة القاصر الذي يحتاج الى وصيّ . وهذا القانون يرتدّ الى ... ولم يصب من التحوّل بعد ذلك الاّ شيئاً قليلاً . وفيهِ ان الزوجة الفرنسية لا تستطيع ...ا الاّ اذا اذن لها زوجها في ذلك . ولا تستطيع ان تفتح حساباً في بنك من دون ... كانت تمارس صناعة او تجارة . ولا تستطيع ان تزور اصدقاءها او تختلف الى محلات ... زوجها الموافقة . وللزوج الحق في السيطرة على الاولاد ، والتصرف بملكها كيف ... عقد الزواج شرطاً خاصًّا بانفصال عقار الرجل عن عقار المرأة . بل واغرب ... لاً مطلقاً يستطيع ان يسحب مالاً من مال زوجتهِ اودعتهُ في البنك ... معارضة ذلك او منعهِ ، ما زال المال باسم الولد

... كثيراً ما يستغلون هذه القوانين التي تستعبد المرأة الفرنسية ... بوجه عام ، لا يفكر في نهب زوجتهِ لان الزوجين في رأيهِ متعادلان ... الاخر . وهو شديد الوداعة ، فلا يفتح رسائلها الخاصة ، ولا يعلي عليها

ما يجب ان تفعله في زيارتها ولو كان القانون يبيح له ذلك . نعم نجد في بعض المناطق الريفية حيث العقيدة الكاثوليكية ما تزال متسلطة على النفوس ان سيطرة الرجل معترف بها ، ولا بدَّ للمرأة من التظاهر بخضوعها لزوجها . ولكن الزوجة الفرنسية في الريف ليست مظلومة ، كما يتصور الغريب عن فرنسا عند مطالعة القانون الخاص بحقوق النساء

واذا تحدثتَ الى المرأة الفرنسية قالت لك ان الحرب اطلقت حريتها في كثير من النواحي . فقبل سنة ١٩١٤ كانت المرأة الفرنسية الكريمة من سكان العاصمة كانت اومن سكان غيرها من المدن لا تجرؤ على ان تظهر في مقهى من المقاهي او مسرح من المسارح الاَّ مع زوجها . ومجرَّد الاقتراح على السيدة ان تسوق سيارتها بنفسها او ان تشترك في العاب رياضية عامة او ان تنتظم في سلك حرفة من الحرف ، كان يحدث صدمة اجتماعية . وكانت الفتاة الفرنسية خاضعة لمراقبة دقيقة حتى زواجها . فكل ما تقرأه كان يراقب . وكان تعليمها اما خاصًّا في دار والديها او في مدرسة من مدارس البنات

فلما جاءت الحرب وولَّت كانت جميع هذه الحواجز قد اندكَّت . فلا يندر الآن ان تجد فتيات الطبقة المتوسطة الراقية او الطبقة الارستقراطية ، يذهبنَ الى مدرسة عالية اوكلية ، يذهب اليها اشقاؤهنَّ . ولا ريب في ان اتساع افق الحياة امام الفتاة الفرنسية والمرأة الفرنسية ، قد كان باعثاً على نمو قواها في نواحٍ مختلفة . ولكن ذلك لا يمنع ان المرأة الفرنسية كانت حتى قبل ايام الحرية الجديدة ، مخلوقاً له مكانة عظيمة في المجتمع الفرنسي

في استطاعة المرأة الفرنسية ان تهزَّ كتفيها استخفافاً بالقيود التي يقيدها بها القانون الفرنسي لانها تستطيع ان تسيطر بذكائها وحكمتها على زوجها فينقاد لرأيها . فهي تقول في ذات نفسها « علي ان اضمن سرورهُ وراحتهُ ورفاهتهُ في كل ساعة من ساعات النهار » وهذه هي القاعدة الاولى في دستور حياتها . فاذا علمت ان زوجها أكولٌ اعدَّت لهُ من الوان الطعام ما يشتهي ، واعدَّت بيديها الاطباق التي يفضّلها على غيرها . واذا دَرَت ان يومهُ في عمله كان شاقًّا ، كانت اول من يقترح البقاء في البيت في ذلك المساء . واذا عرفت انهُ يكرهُ الانتظار ، بذلت ما تستطيعهُ لتكون دقيقة في جميع المواعيد . واذا رأت من الحكمة قضاء اجازة الصيف في الريف في سبيل صحة الاولاد ، ولم يستطع زوجها ان يقضي اكثر من اسبوع او اسبوعين معهم ، تركت في دارها في المدينة الخادم الذي جعلت كلَّ ثقتها للعناية بزوجها

ثم ان الزوجة الفرنسية تفعل كل ما تستطيع لكي يصبح زوجها وهو لا يستطيع الاستغناء عنها . وليس عن عبثٍ تقلدها زمام الانفاق على الاسرة . وانما ذلك لحكمة وهي انها تدبر مالية الاسرة خيراً مما يدبرها هو . ثم انهُ يبيح لها ان تشرف على نفقاتهِ لان له ثقة بتدبيرها . فهي تستطيع مثلاً ان تصنع من فستانين قديمين فستاناً جديداً . واذا وجب ان تقيم في بيتها مأدبة صغيرة لبعض اصدقاء الاسرة فهي في الغالب تستطيع ان تعدَّ المعدَّات من دون اية نفقةٍ كبيرة . ومن المشاهد في فرنسا بعد الحرب

ان ارتفاع نفقات المعيشة وهبوط الدخل قد حتّم على الفرنسيين ، وعلى الفرنسيات بوجهٍ خاص ، مواجهة صعاب كثيرة . ولكن المرأة الفرنسية نهضت بهذا العبء على خير وجهٍ . فقد تستغني عن بعض خدمها ، وتتخذ في دارها نزلاء لزيادة دخل الاسرة ، وهذا يقتضي منها زيادة عملها ولكنها تفضل ذلك ، كما قالت كونتسة فرنسية ، على ما تواجههُ من الهمّ في آخر كل شهر عند ما يستحقُّ عليها دفع النفقات الرتيبية

وتروي مسز بروملي ، انها تعرف سيدة فرنسية بارعة الجمال ، رشيقة الملابس ، قد تظنُّ اذا حادثتها لاول مرّةٍ ان كل ما يهمها في الحياة شؤون الادب والفن . ولكن هذه السيدة تنفق كل يوم احدٍ من صباحهِ الى ظهرهِ مع زوجها في مكتبه ، تراجع معهُ دفاتره . وهو من ناحية يستشيرها في كل صغيرة وكبيرة من شؤون عملهِ . ولكنها ، بحكمتها ، لا تقف منهُ موقف المشير المتعالي ، بل تعرض الرأي كأنهُ رأيه فيحسُّ هو ان زوجتهُ لا تتعدّى على حقوق الرجل وامتيازاتهِ

ثم ان المرأة الفرنسية بارعة كل البراعة في توجيه زوجها او اقناعه . فهي تقول في ذات نفسها «ان القانون الفرنسي ينصُّ على ان الزوجة يجب ان تتبع زوجها . ولكنني سوف اقوده في السبيل الذي يجب ان يسير فيهِ لانهُ لا يستطيع ان يصمد لقوة ارادتي ، وتخفى عليهِ اساليب دهائي » . فهي اذا ارادت ان تقنعهُ بشيءٍ عمدت الى ترديد حجتها اولاً وثانياً وثالثاً حتى يسلّم اعياء . ويروى ان جوريس الاشتراكي الكبير — وقد كان ملحداً — كان يختلف وزوجته في موضوع تعليم اولادهما تعليماً دينيًّا . وان زوجتهُ تغلبت عليه في آخر الامر فسلّم بتعليم اولاده التعليم الديني الذي ترتضيه زوجتهُ . ذلك انهُ كان محبًّا للسلام والسكينة علاوة على كونهِ ملحداً فآثر السلام والسكينة في بيته على مخالفة زوجته في هذا الموضوع

ولكن المرأة الفرنسية تعمد في الغالب الى اساليب الاطراء والتملق في سبيل رأيٍ تراهُ . قيل ان زوجة ارادت ان تبعث بأولادها الى مدرسة دينية فعارض زوجها في ذلك . فقالت : « اني اراك متفوقاً على سائر الرجال في قوة الخلق ، واحترم فيك اعجابك بالصفات المعنوية العالية ، وهذه الصفات الممتازة رسخت في نفسك بواسطة تعاليم الكنيسة في حداثتك فلماذا تريد ان تحرم اولادك منها ؟ » وكان ذلك الرجل معجباً بصفاتهِ وخلقهِ ، فاقرَّ ذهاب اولاده الى مدرسة دينية

وقلما تصرّح المرأة الفرنسية برأيها كاملاً في موضوع ما. فاذا اختار زوجها شقة للسكن تبعد عن حيّ صواحبها قالت ان الشقة ليس فيها غرفة مريحة للتدخين — اذا كان زوجها من مدمنيه — او قالت هي بعيدة عن مكتبه . وتروى حكاية عن رجل مثقف يحسن الغناء ويميل الى انشاد قطعة معينة وهو يحلق في الصباح او في مناسبات اخرى . والراجح ان زوجتهُ سمعتهُ يردد هذه الاغنية مئات المرّات . ولكن قلما اعربت تلك الزوجة بخلجة واحدة من خلجات وجهها عن تبرّمها بها ، بل كانت تقول دائماً « ما أعجب ذاكرتك يا فرنسوى » او ما هو من قبيل ذلك . وروت مسز بروملي

كذلك ان صديقة مثقفة من صديقاتها كانت قد تزوجت رجلاً لا يمتاز بشيء الاّ بإسمه الضخم.
وكان من الشائع المعروف ان هذه الزوجة تسيّر هذا الزوج كما تشاء او « تقوده من انفه » كما يقول الفرنسيون . ففي ذات ليلة ، كان هذا الرجل يمحض شاباً على وشك الزواج النصح على مسمع من الضيوف في مأدبة بداره ، واطال في وجوب كون الرجل سيّد الاسرة . ثم التفت الى زوجته وقال « المرأة تريد ان تحكّم أليس كذلك » ؟ فأجابت « ميه وي فيليب » وعلى ثغرها بسمة لطيفة وليس في صوتها اثرٌ للكد او الاستنكار

والمرأة الفرنسية تقوم بوظيفتها كأم ، خير قيام . فهي حريصة كل الحرص على الوديعة الثمينة التي القتها الحياة بين ايديها ، حتى لقد تمتنع احياناً عن اطلاق هذه الوديعة من قيود عنايتها بعد بلوغ السن القانونية . وهي تربي اولادها تربية طبيعية ، لا تفسح فيها مجالاً للنظريات المتضاربة في علم النفس الحديث ، فتطبعهم بطابع الصدق والحرص وحسن السلوك . وقد تكون الام طبّاخة تشتغل اثنتي عشرة ساعة في النهار ، ولكن ذلك لا يحول بينها وبين الاشراف على تعليم ابنائها وتثقيفهم . او قد تكون محامية، فلا يمنعها ذلك عن السهر لصنع ملابس طفلها . او قد تكون من سيدات الطبقة الراقية تحضر السهرات والمآدب . على ان واحدة من اولاءِ السيدات ربّت سبعة اولادٍ كان اربعة منهم اولادها وثلاثة اولاد شقيقتها ، وما كانت تهمل ان تشرف بنفسها كل صباح على شؤون نظافتهم ولبسهم قبل ذهابهم الى المدارس ، او مساعدتهم بعض الظهر في اعداد دروسهم

والوالدان الفرنسيّان يحسّان بتبعة كبيرة قِبَل اولادهما . فهما لا يقنعان بتعليمهم وتثقيفهم ، بل قد يقتّران على نفسيهما شديد التقتير ، لكي يبتاعا داراً او مزرعة او اي عقار ، يورثانه لهم

وكثيراً ما يظلّ الوالدان الفرنسيّان — والام بوجهٍ خاص — باسطين جناحيهما على اولادهما ، حتى بعد تزوُّج الاولاد واستقلالهم في الحياة

ولما وضعت الحرب اوزارها تمهد امام المرأة الفرنسية كثير من السبل التي كانت وعرة ، قبلها . فأبواب المهن الحرّة مفتوحة امامهنّ الآن، وكذلك الجامعات . وقد اصابت بعض النساء نجاحاً عظيماً في الاعمال التي مارسنها ، ولكنّ حكمة المرأة حفظتهنّ من غضب الرجل المهدّد في ميدان عمله لان المرأة الفرنسية احتفظت في ميدان الاعمال برشاقتها وانوثتها ، وامتنعت عن جرح الرجل في كبريائه

وقد ظلّت بعض النساء الفرنسيات تمارسنَ الاعمال بعد الزواج . ولكن هؤلاء لسنَ القاعدة. والمرأة الفرنسية تدرك ، او تعتقد ان « البيت » هو اهم ما في الحياة . فهي لذلك تفضل « البيت » على « العمل» اذا كانا متعارضين او لا يمكن الجمع بينهما

لا ريب في ان الفرنسي يؤخذ عليه عدم انصاف المرأة من ناحية التشريع . ولكن المرأة الفرنسية ببراعتها وحكمتها قد نالت مكانة اعلى من المكانة التي يمنحها اياها القانون . والفرنسي يعلم ذلك . وليس عبثاً ان يكون الرمز الذي تتمثل فيه فرنسا في طوابعها واوراقها الرسمية — صورة امرأة

الزوجة أم الولد؟[1]

— ١ —

تفشى بين قوم آمنين وباء جارف
وتلاه جوع عاث في الارض فساداً
فمات جمهور كبير بالوباء
وبقي الآخرون يتضورون من آلام الجوع
وهب الجميع يصرخون ويولولون
«ان الالـه انزل بنا المصائب لذنب أتيناه»
وهرول الكهنة الى المذبح يسجدون ويضرعون
«انقذنا من المرض، نجنا من الجوع
خذ منا ما تريد ومن تشاء
اطلب أعز شخص علينا واقرب انسان الينا
فنحن لك من الطائعين»

— ٢ —

ولكن ازدادت مصائبهم وتعددت ضرباتهم
وجاءهم جيش العدو ينهب ويقتل ويستبيح
جرت الدماء انهاراً، وتكدست اشلاء القتلى تلالاً
فجعل الناس يصعدون زفرات حرى ويبعثون انيناً ملأ الفضاء
حاسبين الطبيعة ثارت عليهم بكل قواها وحملت عليهم بجيوش عناصرها
فصلوا للالـه وتضرعوا، حتى سمعوا الجواب
«ان ملككم سعيد بزوجته وولده
أعطوني أعزهما عليه واقربهما الى قلبه»

— ٣ —

ذهب الكاهن يطوي الفيافي ويتوقل الجبال
والملك لاه عنه بالصيد والقنص
لا يهتم بأمور العرش ولا يعبأ بمهام الملك.
وجد الكاهن الملكة ومعها ولدها الوحيد

(١) ترجمة فيها تصرف يسير لقصيدة نظمها الشاعر تنيسون وعرض فيه لهذا السؤال

جميل الوجه ، طلق المحيا ، باسم الثغر ، ذهبي الشعر
نظر اليهِ الكاهن فحسبه الضحية المطلوبة
فصرخ وقد هزه الفرح واستخفه السرور
« ان الآلهه اجابنا فلنقدم له الولد »

— ٤ —

رجع الملك ولم يصب من الصيد نصيباً وافراً
واقبلت عليهِ الملكة تذرف دموعاً تزري بالجمان
« لقد أخذوا ولدنا ليهدروا دمه انقاذاً للبلاد »
فالحالة تاعسة والوباء والجوع ملأا الارض جيفاً منتنة
والآلهة يجب ان تعطى شيئاً يرضيها
لتكف عن تعذيب هذا الشعب المنكود
بربك قل لي وقد اخذوا ولدنا للتضحية
أهل هو أعز شيء عليك ام أنا زوجتك ؟

— ٥ —

اطرق الملك ملياً وقد ارتجت عليه أبواب الكلام
وخفق قلبه وجلاً واضطراباً لذلك السؤال المفاجيء
« ما نفع الجواب ايتها الحبيبة وقد حكم الكاهن والحكم نافذ »
ثم أخذ يناجي نفسه ويسأل ضميره وكلاهما لا يحير جواباً
« ايهما اعز عليَّ ؟ لا اقدر ان احكم — لا اقدر ان احكم »
لكن الكاهن فرح لاستجابة صلاته فأخذ الولد وهو يقول
«قد حصلنا على أعز شخص عليه ، ولده الوحيد »

— ٦ —

شحذوا المقصلة وعرّوا الولد من الثياب
وقف الكاهن على المذبح وقد رفع السكين
وما أوشك ان يهوي على عنق الولد حتى رأى الام تحول بينهما وهي تقول
« اذبحوني أنا »
عبثاً حاول الملك ان يرجعها ، وعن قصدها يثنيها
لكنها تملصت من قبضتهِ وصرخت من صميم الفؤاد
« انا اعز شخص عليهِ ، انا اقرب انسان الى قلبه »

الصناعة في العراق

لامين سعيد

زار كاتب هذا المقال العراق في الخريف الماضي
ودرس شؤونه واحواله وخص المقتطف بهذه المقالة

معمل الجوخ — معامل السطاير —
الصابون — المنسوجات الصوفية

كان العراق حتى نهضته الجديدة محروماً من الصناعات الحديثة قوام الحياة الاقتصادية وركنها الركين فلما انشئت الدولة الجديدة في ربوعه واستقرت اموره ظهر النشاط في كل فرع من فروع الحياة العامة وكان للصناعة من هذا النشاط الحظ الاوفى

ولعل معمل الجوخ العراقي في الكاظمية على شاطىء دجلة من اعظم دور الصناعة الحديثة في العراق واكبرها شأناً فقد بدأ الوجيه فتاح باشا وابنه نوري بك بانشائهِ في سنة ١٩٢٦ يساعدهما نسيب لهما درس فن الميكانيكا الصناعية واختص بها فتولى ادارة العمل الفني وفي سنة ١٩٢٧ تم انشاء هذا المعمل ويضم اليوم ٣٠٠ عامل عراقيّ حذقوا عملهم واتقنوه. وهنالك خبير الماني يستخدمونه وقتيًّا ريثما يعود من اوربا الذين ارسلوا للتخصص في العلوم الصناعية

زرت هذا المعمل ابان رحلتي الاخيرة الى بغداد ، فأعجبني اتقانه ونظامه ، وسرني ان يكون في البلاد العربية امثال هذه المعاهد الصناعية التي يرجى ان تكون نواة نهضتنا الاقتصادية تتلو النهضتين السياسية والوطنية فما أخر الشرق سوى فقر شعوبه واهمالها الصناعات وأخذها بالسفاسف والقشور . وتمتاز هذه الدار الصناعية عن امثالها في الشرق العربي بكونها مستكملة لجميع ما تحتاج اليهِ من معدات وبكونها تغزل الصوف وتصبغه وتنسجه وتخرجه جوخاً للبس والاستعمال اي أنها حاوية لجميع المعدات اللازمة لهذه الصناعة الراقية

ولقد شاهدت نفس هذه العملية في ادوارها ورأيت الصوف تعلوه طبقات من الغبار والاقذار حينما يؤتى بهِ من الارياف فتتسلمه نسوة يعملن في (عنبر) قرب الباب فيبدأن بنفشه واعداده وبعد الانتهاء من هذه العملية البسيطة ينقل الى احواض معدة لغسله ، فينقع بادىء بدء في حوض خاص

وارتمت على المذبح وهي تقول « اذبحوني انا »

فرح الكاهن بذلك لانه علم ان البلاد لا شك خالصة فرفع رأسه نحو السماء وقال :

ايها الآله ، ها نحن نقدم لك حياة بشرية

أيهما اعز عليه ، ايهما اقرب الى قلبه — لا نعلم

الجمال والصور

الاكنة او حب الصبا

تظهر الاكنة او حب الصبا في الجبهة والانف والذقن والصدر والظهر والكتفين وأماكن اخرى من البدن ولكن اكثر ظهورها في الوجه . ويكون ظهورها غالباً بين السنة الرابعة عشرة والسنة العشرين من العمر ، ولا سيما في الذين يكثر برد ايديهم وافواههم او الذين تكون دورتهم الدموية ضعيفة . وتزيد بالامساك وقد يرافقها سوء الهضم . وتشتد اذا قلت الرياضة البدنية ، وقلّ غسل الوجه ، لضعف فعل الغدد الجلدية . ومن اعراضها العامة القبض وسوء الهضم وضعف الدورة الدموية ، وهي تفعل كاسباب لها . وحب الصبا نفسهُ نقط سود صغيرة تدلُّ على ان افواه القنوات الدهنية قد سدّت بالغبار والوسخ ، واذا عصرت خرجت منها مادة دهنية كالدودة الدقيقة . اوكثيراً ما يكون هناك انتفاخ محمرّ والنقطة السوداء في رأسهِ ، وقد يكون صغيراً اصغر من حبة العدس ، ويزول سريعاً ، او كبيراً اكبر من الفولة ، ويبقى اسابيع او اشهراً ، ويقيح ثم يشفى ويبقى مكانهُ ندبة او تصلب دائم

ومن اشدِّ الهموم التى تعرو الفتاة في الصبا ، هو عند ما تبدأ هذه الاكنة بالظهور . فالفتاة تخشى ان يتحول بعضها كبيراً ويتقيح ويترك مكانهُ ندبة تشوّه صفاء الوجه

﴿ العلاج ﴾ يجب الالتفات الى الصحة العامة . ومداواة سوء الهضم والقبض ونحوها ، بالرياضة وحسن اختيار الاطعمة التي تترك فضلات تسهل حركة الامعاء . واذا كان الجسم ضعيفاً وجبت تقويته بشرب زيت السمك ، مثلاً ، او غيره من المقويّات ، وبالرياضة في الهواء الطلق ونور الشمس على حسب ما يحتمل الجسم من ضروب الرياضة . واذا كان مصاباً بفقر الدم وجبت معالجتهُ ، واذا كان قليل الحركة والرياضة وجب ترويض الجسم في الخلاء ، وتعهده بالغسل بالماء البارد ، وتنشيطه بالمناشف الخشنة . وتقوى غدد الجلد على افرازها بدهنها بدهون خاصة قبل النوم يصفها الطبيب ثم غسلها صباحاً ومساء ، بمذوّب خفيف جدًّا من السليماني جزء منهُ في عشرين الف جزء من الماء او قمحة منه في اقة من الماء ، او بماء كولونيا . ولا بدّ من عصر امكنة النقط السود مراراً كل يوم بعد غسلها حتى يخرج ما فيها . اما البثور التي يظهر فيها القيح ، فتلمس بعود دقيق غمس في الحامض الكربوليك النقي فيساعد على شفائها وزوالها

عَقلُ الطِفلِ

في تطوّره

لاحمد عطية الله

﴿ الدور الاول : من الولادة الى الثالثة ﴾ انجسم الطفل بعد الولادة يكون غير متناسق الاعضاء . لان بعض هذه الاعضاء يكون متقدماً في نموه على الاجزاء الاخرى . ويأخذ نمو الجسم في التكامل والتناسق بسرعة فتتعادل الاطراف وتقوى العضلات فلا ينتهي هذا الدور إلاّ ويكون للطفل القدرة على الحركة والمشي والكلام

كما أن حواس الوليد لا تقوم بوظيفها على وجهها الاكمل في باديء الامر . وتأخذ في الدقة والتطور بكثرة استعمالها «راجع المقال السابق» واغلب الحركات التي يقوم بها الطفل في هذا الدور أعمال منعكسة لا يمكن أن يُسيطر عليها . وعندما يتم نمو عظامه وعضلاته يظهر ميل الطفل للحركة . وتبدو الغرائز المختلفة المتصلة بهذه الغريزة كالميل للاستطلاع والتقليد والحل والتركيب واللعب والتطور الجسمي والعقلي الذي يحدث في هذا الدور نلخصهُ فيما يلي

﴿ الاسبوع الاول ﴾ يميز الطفل الفرق بين الاشياء المضيئة والمظلمة . يراقب الاشياء التي تمر ببطء أمام عينيهِ . يبدأ في استعمال الاذن في اليوم الرابع

﴿ بعد الشهر الاول ﴾ يمكن للطفل ان يميز بين الاصوات . يفرق بين الاشياء الحلوة والمرة . يدرك الروائح النفاذة . يظهر اشمئزازه أو ألمهُ وذلك بتحويل رأسه بعيداً عما يضايقه .أو ببكائه

﴿ بعد ست أسابيع ﴾ ترتقي قدرتهُ على الانتباه . بمعنى أنهُ يستطيع أن يدير وجههُ الى المكان الذي يصدر منهُ الصوت او يندفع إلى اتجاه شيء يريد أن يبلغهُ يميز صوت الانسان عن غيره من الاصوات

﴿ بعد الاسبوع السابع ﴾ يمكن للطفل ان يظهر استحسانهُ بالابتسام ويقدر على تمييز والدته . كما انهُ تسكن هائجته بسماع الاغاني

﴿ بعد الاسبوع التاسع ﴾ يكون للطفل القدرة على الحركة ولكن بلا قصد ولا غاية . تظهر غريزته لتقليد الاصوات . وكذلك تظهر عليه معالم الانفعالات لا سيما الغضب والاستغراب والخوف . وعلى الاخص الخوف من التغيير الفجائي كما اذا حملناه [illegible]

﴿ بعد الشهر الثالث ﴾ يظهر الطفل استعداده للمزح ومقدار قدرته على الضحك

﴿ بعد الشهر الخامس ﴾ يمكن للطفل ان يجلس منفرداً دون مساعدة ، ويحمل الأشياء بيده ضعها في فه كما انهُ يبسط ذراعيه طلباً لحمله ويستطيع ان يميز بين شخص وآخر

﴿ بعد الشهر السادس ﴾ يراقب الاشياء التي تسقط من يده على الارض . يدرك صورته في آة ويراقبها بشغف . كما انهُ يشير الى الصورة بأصبعه

﴿ بعد الشهر الثامن ﴾ يظهر الطفل سروراً للاصوات يحدثها ويرمي الاشياء الى الارض بقصد

﴿ بعد الشهر التاسع ﴾ يبدأ الطفل ينطق بعض الالفاظ البسيطة لا سيما الاسماء التي يطلقها ابويه . مثل بابا . ماما . نينا . دادا وان كان هذا الاستعداد يظهر في بعض حالات قبيل هذه السن

﴿ بعد الشهر العاشر ﴾ تظهر غريزة الميل للحركة كما انه يبدي لذة وارتياحاً الى الا كل الذي اوله ويميز والديه بعد غياب بضعة ايام

﴿ بعد الشهر الحادي عشر ﴾ يحاول الوقوف على قدميه

﴿ بعد الشهر الثاني عشر ﴾ تبدو في الطفل علامات الغيرة ، كما تظهر فيه بعض الميول خلاقية فهو يشعر بالخطأ والصواب

﴿ الشهر السادس عشر ﴾ تبدأ قدرته على نطق بعض الكلمات الاختيارية مثل لا ثم . آ . نعم . يبكي اذا نهرناه

﴿ الشهر الثامن عشر ﴾ يمكن للطفل في هذا السن ان ينطق ببعض جمل صغيرة عن والده يز بعض الاشياء الغريبة كالحصان او القطار

﴿ الشهر التاسع عشر ﴾ يقدر الطفل على استعمال ذاكرته . يظهر ميله للاقتناء . ويأخذ مظهر نانية والأثرة بأن يخطف اللعب التي في يد غيره من الاطفال ويبحث عن المكان الذي يريده بنفسه

﴿ الشهر العشرون ﴾ يظهر ميل الطفل للاجتماع والاختلاط

﴿ بعد عامين ﴾ تظهر عناية الطفل بنظافة نفسه فلا يميل مثلا الى بل ملابسه او جسمه بالماء الى اللعب في الطين والوحل

﴿ الطفل في عامه الثالث ﴾ ظهور غريزة اللعب باستعمال الادوات التي يجد انها وسائل عب . فيتخيل العصا قطاراً ، والصناديق الفارغة جنداً . تظهر قدرته على تقدير الزمن الماضي ستقبل . يميل الى الاعتداد بنفسه والى العناد ، يبدأ في الشعور بأنهُ له شخصية مستقلة عمن هم وله . يقدر الطفل على التمييز بين الكذب والحقيقة . يفرق بين ما يقوم بقصد المزاح او بقصد لجد . يمكنه اذا أمر ان يعين اذنه او فه او انفه تعييناً صحيحاً او في صورة تعرض عليه . يمكنهُ يكرر جملة لا تزيد على ست كلمات بلا خطإ . يمكنهُ ان يكرر رقماً مكوناً من عددين . يمكنهُ ان عدد الاشياء المعروفة لديه على صورة معروضة امامهُ . يمكنهُ ان يعدد أسماء بعض افراد عائلته

الامراض النفسية

الهستيريا (الهرع : الجلبي)

للدكتور شكري جرجس

عرف هذا الداء منذ القدم وكانوا في العصور الوسطى ينسبونهُ الى الشياطين والجن او السحرة او غضب الآلهة . ولم يزل هذا الاعتقاد سارياً عند عامة الشعب المصري حيث يستعملون الزار لاخراجهِ . ثم اعتبر من الامراض التي تنتاب النساء فقط وزعموا انهُ ناتج من «بخار بيت الرحم الحار»

ولقد ظهر هذا المرض بشكل وباء من وقت لآخر ولم يزل يظهر حتى الآن في بعض الاوساط المدرسية

واول من شرع يدرس هذا المرض درساً علميًّا هو العلاَّمة الدكتور الفرنسي (شاركو) فكان يظن ان الفكر اهمُّ باعث من بواعثهِ . ولذا ابتدأ بحثه من هذه الوجهة فاسفر عن نتائج باهرة وخصوصاً على يد تلميذه البرفسور (جانيت) بباريس الذي اعتقد ان اصل الداء هو اضطرابات في العقل ولقد ادَّى هذا الاكتشاف الى تغييرات هامة في الطب ثم جاء الاستاذ (فرويد) النمسوي فاخرج نظرياته الهامة في التحليل النفسي

***

هذا المرض لا ينحصر في مملكة واحدة او جهة واحدة بل هو عام في كل زمان ومكان غير انهُ يقال ان بعض الشعوب كاللاتين والصقالبة واليهود اكثر تعرضاً له من غيرهم . ويكثر ظهوره حوالي سن المراهقة ويندر بعد الخامسة والعشرين ولا يعرف قط بعد سن الخامسة والاربعين . وهو كثير الانتشار في الاطفال وخصوصاً البنات . ولقد يكون للوراثة اثر خطير فيهِ نظراً للوسط والحالات التي يوجد فيها الطفل في اول نشأتهِ . اما العنصر المهم الداعي لظهور هذا الداء فهو الذعر والخوف الشديد . ولكن في بعض الاحيان تكون العوامل المسببة له هي عدم الرضى عن الحياة باجمعها او عن المعيشة التي وجدت في وسطها المريضة مثل عدم الارتياح الى الحياة الزوجية او قد ينشأ عن ان المريض لا يرتاح الى وظيفته او مهنته او عن حمله تبعة كبيرة فوق طاقته . او قد يكون سببه في بعض الاحيان موت بعض الاقارب فجأة او ضياع محبة عزيز على النفس . وقد ينتشر هذا الداء فجأة في شكل وباء في المدارس وخصوصاً الداخلية منها وكذلك في الاوساط الدينية كالاديرة وغيرها .

﴿ اجتناب هذا الداء ﴾ اما عوارض هذا الداء فكثيرة ومتنوّعة حتى انهُ غالباً ما يشتبه فيها بعوارض اي مرض آخر ويمكننا تقسيمها الى : —

(١) عوارض عصبية
(٢) عوارض نفسية
(٣) عوارض حسية
(٤) عوارض تختص باعضاء الانسان

فالعوارض العصبية تظهر في شكل نوبات تشنجية تنتاب المريضة من وقت الى آخر وغالباً تكون بعد تغير نفساني شديد وهـذا اما يعقبه رأساً او بعد مضي وقت قصير او يتخلله بكاء وضحك على التوالي . وفي هذه الحالة تشكو المريضة من احتقان في العنق مع بعض آلام شديدة في بعض اجزاء الجسم وبعد ذلك تتشنج المريضة وتصير في شبه غيبوبة فتقع على الارض. وقد تستمر هذه الحالة بضع دقائق وبعدها تعود المريضة الى رشدها . هذه النوبات تختلف عن حالات اخرى تعرف بنوبات الصرْع Epilepsy ففي هذه الحالة تفقد المريضة وعيها فقداً تامًّا وفجأة تقع على الارض وتجرح نفسها جروحاً خطرة وتعض لسانها وتتنفس بسرعة وتغمض عينيها بشدة حتى لا يمكن فتحها بالقوة ويعقب كل ذلك غيبوبة طويلة

***

اما العوارض النفسية فأولها ضعف الارادة والتشوق الى الحب والحنان والتأثر باقل فكرة عارضة . ولقد يتبرم المريض باقاربهِ واصحابهِ نظراً لسوء فهم حالاتهِ النفسية وهذا مما يزيد الطين بلة . ولربما كانت حالتهم العقلية من حيث الذكاء جيدة ، ولو انهم بعض الاحيان يصابون بفقدان الذاكرة نظراً لتضارب العوامل النفسية فيهم . فاذا كانت شديدة تكوَّنت تلك العوارض التي يسير فيها المريض مسافات بعيدة على غير وعي ولا هدى ويفقد الشخصية بأجمعها

﴿ الهرَع والحزن المستمر ﴾ يصف الطب الحديث نوعاً مخصوصاً من هذا الداء يسمى (هستريا الزعل) وهي تختلف عن الهستريا الجسدية . ولو ان لكليهما سبباً واحداً نفسانيًّا . ففيها كما يدل اسمها يصبح المريض عبداً لتأثيرات حزن عميق واوهام خيالية Phobia وهذا النوع كثير الانتشار حتى انهُ ليندر ان نجد شخصاً لا تنتابه هذه العوارض . فمثلاً الخوف من الظلام . وعلى ذلك لا يمكن للمريضة ان تدخل او تجلس في غرفة مظلمة . كذلك الخوف من بعض الحيوانات كالفيران والهررة وغيرها او الخوف من السكاكين او اي شيء مدبب والخوف من المكروبات او من علوّ شاهق او من السير في الصحارى . فالمريض يمتلىء رعباً اذا حاول السير في ميدان فسيح لا يوجد بهِ انسان وكذلك الخوف من اماكن ضيقة كالسفر في القطارات او عبور نفق او الخوف من الامراض او اخذ العدوى او غير ذلك من انواع الخوف المختلفة التي لا يمكن حصرها . ولقد تتركز هـذه

العوارض في بعض اجزاء الجسم وفي هذه الحالة يجب على الطبيب الحاذق ان يفرق بين الحالات الحقيقية والحالات الناشئة من الهستريا التي غالباً ما تكون مصحوبة بأرق وانقباض النفس . ولقد تزداد هذه العوارض ويستهدف المريض الى نوع من الجنون

ومن ضمن العوارض التي ربما لا يلاحظها المريض هي فقد الحس في بعض اجزاء الجسم وغالباً تكون في جهة واحدة منهُ على ان المريض لا يجد غضاضة من ذلك . ولكن في بعض الاحيان تزداد حساسة بعض الاعضاء كالعين مثلاً ولذا يتألم من الضوء البسيط ويحب الحجر المظلمة

﴿ الشلل الناتج من الهستريا ﴾ اما الشلل الناتج من الهستريا فلا يؤثر في عضل واحد بل في مجموعة بذاتها كاليد او الرجل ولكن لا تضعف هذه العضلات وتضمحل كما في الشلل العادي وفي بعض الاحيان تظهر حالات عجيبة اخرى بدلاً من وقوع الشلل فمثلاً ينتفخ البطن وتظهر المرأة كانها حامل . كذلك في بعض الاحيان توجد رعشات متوالية اما في اليد او في العنق او ان القلب ينبض نبضاً سريعاً ويقل التنفس مع سعال شديد

ولقد تظهر الهستريا بشكل عوارض في القناة الهضمية او آلام في المعدة او سوء هضم او صعوبة في البلع او بشكل قيء يستمر بضع سنوات ونفور من الاكل مما يفضي الى هزال المريضة وضعفها . وفي بعض الاحيان يظهر انتفاخ في الجسم كله (Oedema) واسهال شديد وغير ذلك من العوارض الكثيرة

***

ومن الحالات العجيبة التي رأيتها ان اصابع اليد التي يمسك بها الانسان القلم تأخذها حركة ميكانيكية وتتقلص كلما وضع قلم بها وهو ما يعرف برعشة الكاتب

اما كيفية تشخيص هذا الداء فاتركه للطبيب الحاذق لانه ليس من السهل التفريق بين العوارض الحقيقية والعوارض الناشئة من الهستريا فعلى الطبيب ان يتعرَّف الحالات النفسية التي تختلج في ضمير المريض والوسط الذي يعيش فيهِ حتى يمكن تشخيصه بدقة

وهذا الداء ليس بخطر على حياة المريضة ولكنهُ ينغص عيشتها وعيشة من حولها من الاقرباء ولقد تعمد المريضة في بعض الاحيان الى الانتحار بعد ان تيأس من شفائها وخصوصاً بعد ذهابها عبثاً الى عدة اطباء وكثرة المصاريف التي صرفتها

﴿ منشأ الداء ونظرية التحليل النفسي ﴾ ان اول من درس هذا الداء درساً علميًّا هو (جانيت) بباريس ولقد برهن ان سببه هو انفعالات نفسية في العقل الباطن تظهر بشكل هذه العوارض ثم اتى بعد ذلك الدكتور (بابنسكي) وأثبت ان الهستريا عبارة عن تأثير الايحاء الذاتي (Autosuggestion) لان اغلب هؤلاء المرضى ضعاف الارادة وعلى ذلك يسهل الاستهواء النفسي . واستمرت تلك النظرية حتى اتى العلامة (فرويد) وتقدم خطوة اخرى وبين ان الافكار المكبوتة

الرغبات في الصغر تحفظ في العقل الباطن لما يصحبها من آلام او حزن او غير ذلك وتلك الافكار تحاول ان تظهر بشكل هذه العوارض الهسترية وهو يقول ان تلك الرغبات او الاحلام اللذيذة تتعارض مع ما يجده الانسان من الحالات الحقيقية المرة وعلى ذلك يحب المريض ان يعيش في عالم آخر ويفضل احلامه اللذيذة عن مواجهة الحقيقة ويؤكد الاستاذ (فرويد)ان اكثر تلك الرغبات تتعلق باللذة التناسلية بأكبر معانيها وخصوصاً في عهد الطفولة . وحيث ان هذه الرغبات قد اودعت في العقل الباطن (Sub-Conscious) ومنعت من الظهور في العقل الواعي (Conscious Mind) فتجتهد ان تجد لها منفذاً وغالباً ما تظهر بشكل مستتر نظراً الى المقاومة التي تجدها في العقل الواعي . واذا حللنا معظم هذه العوارض نجد ان اغلبها ينطبق على هذه النظرية لان معظمها عبارة عن ارضاء لتلك الرغبات فالقوة الكامنة في العقل الباطن من تأثير هذه الرغبات تتحوّل الى عوارض جسدية

﴿ كيف يمكن علاج الداء ﴾ ان اهم نقطة يجب ملاحظتها هي الاجتهاد في منع ظهور هذا الداء قبل وقوعه . فلقد تبين لنا انهُ يجب تربية الاطفال تربية حقة وتثقيف مداركهم وخصوصاً بما يتعلق بحالاتهم النفسية . ومع انهُ يوجد في بعض العائلات استعداد لهذا المرض غير انهُ يمكن اجتنابه بتعليم ماهية الغرائز وخصوصاً غريزة التناسل التي يعتبر الاستاذ (فرويد) Freud انها تبتدىء من عهد الطفولة . ويجب الاحتراس من قمع تلك الغرائز بالقوة ويجب ان يدرك جميع الآباء خطر هذا الموضوع ويدرسوه بدقة من كل الوجوه لانهُ ربما يكونون هم السبب في تمريض مستقبل الطفل لذلك الداء بجهلهم تلك الحقائق

***

اما العلاج الذي كان يصفهُ بعض الاطباء كالتدليك او الكهرباء بنوعيها او غير ذلك من العلاجات الطبيعية فلا فائدة منها لان اصل الداء ليس جسمانيًّا بل هو عقليٌّ . ولو ان هذه العلاجات تفيد في بعض الاحيان اذا كانت لها تأثير نفسي بالايحاء الى المريض . اما المسكنات كاملاح البروميد وغيرها فلا تفلح بل غالباً ما تضر الشخص . واحسن علاج اكتشف في العصر الحاضر هو العلاج النفسي Psycho-therapy فهو العلاج الوحيد للشفاء فالاستهواء يفيد في اكثر الحالات ولكن اضمن علاج هو التحليل النفسي Psychonalysis انما هناك بعض عقبات لهذا العلاج منها طول المدة التي يضحي بها الطبيب ومجهوده الذي يبذله لاظهار الافكار الكامنة في العقل الباطن المسببة لهذا الداء ثم وضعها امام العقل الواعي وبهذه الطريقة امكن شفاء عدة اشخاص بالقطر المصري كانوا قد يئسوا من رجوعهم الى حالاتهم الطبيعية الاصلية

باب المراسلة والمناظرة

العرض عند عرب الجاهلية

بين الاب لامنس المستشرق وصاحب الكتاب

بقلم بشر فارس

يعلم قرّاء المقتطف انني اخرجت كتاباً باللغة الفرنسية عنوانه « العرض عند عرب الجاهلية »* (ارجع الى «مكتبة المقتطف» يونيو ١٩٣٣) وبهِ نلت شهادة الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس

وقد أراد الله لهذا الكتاب ان يظفر برضى المستشرقين فضلاً عن نقاد الصحف والمجلات في الشرق العربي وفي اوربا. الاَّ ان الاب لامنس المستشرق المقيم ببيروت والكاتب في مجلة المشرق بدا له ان يعيب كتابي. فعقد في «المشرق» (يوليو ١٩٣٣ صفحة ٥٤٨) فصلاً ذهب فيهِ الى ان في كتابي مواضع للنكير والغمز. فرددت عليه من فوري. فأبى ان ينشر ردي، بل عاق عليه تعليقاً مضطرباً. فأدركته بردّ آخر كان حظه حظ الاول. وكأني بالاب لامنس يعيب كتابي ثم يأبى ان ينشر اجابتي لأني تتبعت تآليفه عن العرب تتبع من لا يعرف الهوادة ولا التواني. وبيان ذلك انني اخذت عليه تحامله على الاسلام واستخفافه بالعرب، ثم اشرت الى سقطاته في الترجمة وأوهامه في التعليل ونبهت الى اضطراب مصادره. هذا، ثم اني لما رأيت مجلة المشرق قد سُدَّت دوني، خروجاً على سنة المناظرة فزعت الى المقتطف الرحب وهاءنذا انقل ما دار بيني وبين الاب لامنس

اولا — نقد الاب لامنس الاول

الشرف (العرض) عند العرب قبل الاسلام

لقد كان من السهل لخمسين سنة خلت، ان يؤلف كتاب كهذا. وذلك ان الناس كانوا يقرّون اجالاً بصحة نسبة الشعر الجاهلي بكامله وبصحة نسبة الاحاديث المتعددة وما اليها من نوادر وشروح وتعاليق اما اليوم فقد اصبح العلم ينظر نظر الشاك الى الكثير من هذه المواد. على ان المؤلف لا يجهل ذلك، بل يعرف خاصة نظريات طه حسين في الموضوع، ويحاول تفنيدها بطريقة تضطرب بين النجاح والفشل

هذا والكتاب حسن الطبع، مقبول المظهر، لا بأس في انشائه الفرنساوي (كذا) على الغالب، ولا بأس كذلك في اسلوب البحث فيهِ وهو الاسلوب الذي استفادهُ المؤلف من اساتذة علم العمران في فرنسا. اما مواد البحث فتظهر كافية على الغالب. الاَّ ان المؤلف لا يستند في اكثر قياساته الاَّ

---

* L'Honneur chez les Arabes avant l'Islam

الى كتاب او اثنين من مؤلفات العرب . فضلاً عن ان كثيراً من الاستنتاجات لا تركز على اس متين ، حتى يسهل (كذا) على الناقد ان ينقضها بعشرات الشواهد تفيد عكس ما يرمي اليهِ الكاتب . وفوق ذلك تراهُ يستند ، في ما خص حادثة جاهلية ، الى الدكتور غوستاف لوبون . وهذا لعمري غاية الغايات ، اذ لا يخفى على احد ان ذاك الطبيب لم يكن ليحسن كتابة اسمه بالحروف العربية

ثانياً — ردي على هذا النقد

حضرة رئيس تحرير مجلة « المشرق الغراء »

أما بعد فقد اطلعت في « المشرق » على نقد للكتاب الذي ألفتهُ وعنوانهُ « العرض عند عرب الجاهلية » ، ولي في ذاك النقد آراء ، وفي مأمولي ان يفسح لها مكان في « المشرق »

ان ناقد كتابي يأخذ عليَّ معالجة موضوع عولت فيهِ على الشعر الجاهلي على حين هذا الشعر مشكوك في صحته . والحقيقة انني لم اعتمد عليهِ اعتماد من يريد ان يفحص عن الادب الجاهلي ولكني استندت اليهِ لأتدبر العقلية الجاهلية ذهاباً مني الى ان ذلك الشعر يدل عليها ويشفّ عنها وان كان غير صحيح ، ذلك بان الذين وضعوه كله او بعضهُ حملوه على شعراء الجاهلية فاضطروا الى ان يعارضوا الشعر الجاهلي المعارضة كلها فجاءت قصائدهم على نحو قصائد الجاهليين مبنىً ومعنىً ، ولقد بينت ذلك في مكانهِ (ارجع الى ص ٩ وما يليها) . ثم ان الناقد يأخذ عليَّ رجوعي الى الحديث النبوي، فانهُ يعده موضع نظر بل محل شك . والتحقيق انني رجعت اليهِ على غير اندفاع ولا تهوّر . هذا واني اقمت ميزاناً موزعاً بين فقه اللغة والقرآن في سبيل تمحيص الاحاديث التي عولت عليها (ارجع الى ص ٦ و ٧ الحاشية). وبعد فما لامساغ فيهِ للشك ولا مجال للجدل انهُ لا منصرف عن الشعر الجاهلي والحديث لمن يريد ان يتدبر الجاهلية

ثم ان الناقد يحكم في بعض فصول كتابي متنقصاً اياها طاعناً فيها دون ان يقيم الادلة على حكمهِ . مثال ذلك قوله « ان طريقة تمنيدي لآراء الدكتور طه حسين تضطرب بين النجاح والفشل» ، وقوله « لا بأس في اسلوب بحثي » ، وقوله « ان مواد البحث تظهر كافية على الغالب» ، وقوله « ان استنتاجاتي لا تركز على اس متين ، حتى (كذا) يسهل على الناقد ان ينقضها بعشرات الشواهد تفيد عكس ما ارمي اليه»

وهنالك مطاعن لا تثبت عند النظر . منها قوله انني استشهد بالدكتور (غوستاف لوبون) . والحقيقة انني لم اعتمد على تصانيف الرجل الاَّ في تحفظ وحذر . (وقد صرحت بذلك في ص XXII) والدليل على قولي هذا انني ذكرت كلامه ثلاث مرات : مرة حين تحدثت عن الحياة الصحراوية الشاقة (ص ١٢٠) ولا يختلف اثنان في هذا . وأما المرتان الاخريان (ص ٢٤ ، ١٧٦) فلم اذكر (غوستاف لوبون) الاَّ في تحفظ ما بعده تحفظ ، وشاهد ذلك انني نقلت كلامه في صيغة الشك والاحتمال التي يفطن اليها كل من له اطلاع على النحو الفرنسي . ومن تلك المطاعن أيضاً قوله « انني لا استند في اكثر قياساتي الاَّ الى كتاب او اثنين من مؤلفات العرب » . والواقع انني عوّلت في تصنيف كتابي على ما يزيد على سبعين مصنفاً عربيًّا قحًّا (ارجع الى جدول المصادر)

على انني اذكر الآن من تلك المصادر «القرآن والحديث والسيرة وكتب التاريخ التي ترجع الى الجاهلية وصدر الاسلام وامّات كتب الادب والاخبار كمثل كتاب الاغاني والبيان والتبيين للجاحظ وكتاب الحيوان له وكتاب البخلاء له والعقد الفريد لابن عبد ربه والاشتقاق لابن دريد والاصنام لابن الكلبي والمعارف لابن قتيبه وعيون الاخبار له والميسر والقداح له وطبقات الشعراء لابن سلاّم ومجمع الامثال للميداني والكامل للمبرد والامالي للقالي والعمدة لابن رشيق والمزهر للسيوطي ثم الحماستين وديوان حسان وديوان السموأل والمفضليات وشعراء النصرانية، فضلاً عن المعجمات وكتب اللغة»

ثالثاً — تعليق الاب لامنس على ردي (المشرق ٢٦ نوفمبر ١٩٣٣)

لقد أثار وصفنا لكتاب الاديب بشر فارس (في مشرق هـذه السنة، ص ٥٤٨ — ٥٤٩) حماسة المؤلف فأتحفنا بكتاب طويل، نسي فيه ان يشكر لنا التقريظ (كذا)، ولكن لم ينسَ ان يحتج شديداً على النقد. اما نحن فليس علينا الاّ ايضاح واحد، وهو اننا لم نقل ان المؤلف يجهل موضوعه، بل اشرنا الى انهُ يكتفي غالباً بشاهد او شاهدين في تأييد أمر يسهل على الناقض نقضه بعشرة شواهد تفيد عكس ما يرمي اليهِ الكاتب

رابعاً — تعليقي على ايضاحه

تقدت مجلة «المشرق» الغراء في عددها الصادر في يوليو هذه السنة كتابي «العرض عند عرب الجاهلية» الذي الفته باللغة الفرنسية فرأيت في ذلك النقد ما لا يجدر بكتابي فبعثت الى «المشرق» برد على ذلك النقد ولكنهُ لم ينشر «لشدة اسلوبه»؟ الاَّ ان صاحب النقد عاد الى الموضوع في شهر نوفمبر الماضي فصرح بأنهُ لم يأخذ عليّ الاَّ شيئاً واحداً هو اكتفائي غالباً بشاهد او شاهدين في تأييد أمر يسهل على الناقد نقضه بعشرة شواهد تفيد عكس ما يرمي اليهِ الكاتب

والذي عندي ان النقد لا يثبت على هذا النحو. ولقد كان يحق لمن نقد كتابي ان يضرب الامثال فيما يذهب اليهِ. هذا ثم ان صاحب النقد رأى انني لم اشكر له ثناءه على كتابي فاني اعتذر اليهِ من فعلتي. على انني لم افطن البتّة انه وصف كتابي الوصف الحسن

* * *

ذلك ما دار بيني وبين الاب لامنس ثبّت الله قدمه

والذي استخلصه من هذا كله ان الرجل نقم عليّ دفعي بعض نظرياته وأقواله في العرب والاسلام. وعندي ان الاولى بالاب لامنس ان ينازلني في الميدان الذي جلت فيه فيصرعني والحجج المواضي بين يديه. فان العلم لا يدفع الاّ بالعلم. وان بدا للاب لامنس ان يجادلني بعد هذه فليبادر — باديء بدء — الى التنصل مما رميته بهِ وليسع سعيه في رد الاوهام المختلفة التي نسبتها اليهِ من طريق علمي

ووالله ثم الله لولا اني رأيت واحداً ممن يلحق بالمستشرقين قد عاب ناحية من نواحي كتابي مستنداً الى نقد لامنس لما شغلت باب المراسلة والمناظرة الى هذا الحد. واما ذلك الذي عاب كتابي فلقد ارسلت الى المجلة التي نشر فيها نقده («دير اسلام» الالمانية، العدد الاخير) ما يدفع قوله دفعاً

بقول الرجال تختمر بصور جديدة للطبيعة . واذا التجارب والنظريات ، توهن من مقام الآراء القديمة التي مضت في استحواذها على ميدان العلم من ايام لافوازييه الى أيام رتتجن في العقد الاخير من القرن الماضي . واذا نحن بين ليلة وضحاها من ليالي الزمان وأضحيته في غمار ثورة تقلب علم الطبيعة رأساً على عقب . فانهار كذلك البناء المستقر المشمخر الذي شاده علم الطبيعة في القرن التاسع عشر ، واصبحنا امام مكتشفات لا يستطيع ان يصدقها من آمن بفراداي ومكسوبل وكلفن ، مع انها تسير اليوم تحت الوية رجال أمثال پلانك واينشتين وطمسن ورذرفورد وملكن

واذا أنت سألت من تريد ، ممن درس علم الطبيعة الحديث ، ما رأيه في ناموس حفظ المادة — اي ان المادة لا تتلاشى وانما تتحول فقط — الذي قال به لافوازييه لاجاب انه يصدق في احوال الطبيعة كما نحسُّ بها نحن ، ولكن الايمان المطلق بصحته ، في عالم الذرِّ الدقيق ، قد انقضى عهده . كان الرأي القديم ، أن المادة مؤلفة من دقائق صغيرة صلبة ، لا يمكن ان تتلاشى . ولكن ذلك الرأي كان لهُ عهد وانقضى . وأصبحنا اليوم نعتقد ، ان الجبال الدهرية الراسية ، والانهار الجارية ، وأجسامنا الحية ، وهواءنا الذي نتنفسه ، وهذا الورق الذي اكتب عليه ، وهذا الضوء الذي تبعثه الينا الشمس والكواكب ، انما هذه جميعاً دقائق من الطاقة الكهربائية ، أو هي حزم من دقائق الطاقة الكهربائية

فالمادة والطاقة في أصلها ، بحسب آراء العلم الحديث ، ترتدان الى شيء واحد هو الطاقة الكهربائية

واذاً فاحداها يمكن تحويلها الى الاخرى

واذاً فالمادة يمكن ان تحول الى طاقة . واذاً فالمادة لا تحفظ كما قال لافوازييه

***

ونحن لا نعدو الحقيقة ، ان قلنا انَّ علم الطبيعة الآن ، وهو في غمرات هذا الانقلاب الخطير ، مختلط عاليه بسافله . كان يظن في اواخر القرن الماضي ان علم الطبيعة علم مستقر ، وان مبادئه الاساسية ، قد كشفت جميعاً . ففي القرنين السابع عشر والثامن عشر كشفت قواعد الميكانيكيات واخرج هوجنس نظريته الموجية في الضوء . وفي القرن التاسع عشر أيد فرنل الفرنسي ويَنغ الانكليزي ، نظرية الضوء الموجية . وعلى هذه المباحث نهضت صورة الاثير المالىء لرحاب الفضاء ، وبني ناموس حفظ الطاقة ، وقام القول بان الطاقة المتحولة انما تتحول الى درجات اوطأ ولا يمكن أي ان الطاقة القصيرة الامواج القوية الفعل تتحول الى طاقة طويلة الامواج ضعيفة الفعل ، وكذلك محتوم على الكون ، في المستقبل البعيد جدًّا ، ان ينتهي من تحول الطاقة فيه ، الى طاقة لا قدرة لها على احداث التحوُّل . وهذا ما يعرف بناموس الترمودينامكس الثاني . ثم جمع [illegible] مكسوبل بين الكهربائية والضوء في نظرية الضوء الكهرطيسية (من كهربائية ومغنطيسية)

مملوءة بالماء الحار الممزوج بالصودا والصابون مدة ساعتين ثم ينقل الى حوض آخر فثانٍ وثالث ورابع اي انه يسير بنفسه مضغوطاً بقوة البخار من حوض الى حوض حتى الرابع وهو اكبرها فيستقر فيه قليلاً ثم يخرج منه وهنا تنتهي عملية الغسيل وتبدأ عملية جديدة هي عملية التجفيف تتولاها ماكينة خاصة في عنبر (الغسيل) فتجففه وتقصره وبعد ان يعرض لنور الشمس ينقل الى المصبغة فيصبغ في احواض خاصة معدة لذلك . ومنها ينقل الى قسم (الحلج) ثم الى ماكينات التمشيط فيخرج منها خيوطاً صوفية وتتكرر «عملية» التمشيط مثنى وثلاث ورباع في ماكينات خاصة وفي كل مرة يزداد الصوف المحلوج الممشط نعومة ومن هنالك ينقل الى المغازل فتبدأ عملية الغزل وتتكرر ايضاً في ادوار مختلفة حتى يخرج الخيط او «الفتلة» طبقاً للحاجة المطلوبة ويبلغ طول الكيلوغرام الواحد من الصوف ٢٤ الف متراً اذا كان الخيط رفيعاً و ١٢ — ١٤ الفاً اذا كان ثخيناً

وبعد ان يصبح الصوف خيوطاً رفيعة ناعمة ينقل الى ماكينة «السدى» فتمده للانوال ثم ينقل الى المناسج ولها عنبر كبير وعددها عندهم ٨٤ نولاً او منسجاً وجميع آلات العمل تدار بالكهربائية وعندهم مولدان للقوة الكهربائية تديرها ماكينات بقوة ٢٥٠ حصاناً تقريباً

وينقل الجوخ بعد انتهاء نسجهِ الى الغسيل فتغسله ماكنات خاصة في احواض مملوءة بالماء الساخن الممزوج بالصودا والصابون وتدقه وتدعكه وتقصره ثم ينشف في ماكينة اخرى اي ان العملية التي عملت قبل النسج تتكرر ولكن بطرق واساليب غير تلك . ثم ينقل الى فرن فيوضع فيهِ مدة ثم يوضع في ماكينة خاصة تنظفه وتزيل ما يعلوه من وبر وتتكرر هذه العملية مثنى وثلاث ورباع على البخار ثم يرسل ثانية الى الفرن ثم يكوى بمكاوٍ خاصة ثم ينظف باليد ثم يكوى ثم يسلم الى ماكنة تطويه وتخرجه اثواباً جاهزة وتضع على كل ثوب رقمه وطول الثوب الواحد ١٠٠٠ متر ولما وقفت على العامل الذي يتولى هذه العملية كان يرقم بالعربية ٣٠١٣ على الثوب الموجود بيده

ويخرج المعمل يوميًّا ٧٠٠ متر من الجوخ وفي استطاعته ان يزيد هذه الكمية عند الحاجة وتباع مصنوعاته في العراق باثمان بخسة فثمن المتر الواحد من الجيد لا يزيد عن ٢٥ قرشاً صاغاً ويصدر كميات الى سورية وفلسطين والخليج الفارسي وايران ومصر وتلقى رواجاً لرخصها وجودة صنعها

ولقد ذكر لي مدير المصنع انهُ كان في نيتهم استحضار صوف من استراليا وهو انعم من الصوف العراقي واصلح للنسج وكانوا يعتمدون في اتمام هذه العملية على مساعدة المغفور له الملك فيصل فقد وعدهم بان يمدهم ماليًّا كما ساعدهم في جميع ادوار العمل وشجعهم بيد ان وفاته قضت على هذا المشروع او ارجأته الى وقت آخر على الاقل. ويقدم المعمل للجيش العراقي ما يحتاج اليهِ من البسة شتوية ومن ... ويخرج من هذه كميات كبيرة تلقى رواجاً عظيماً في اسواق العراق والشام لرخصها وجودة ... كما يقدم للشرطة العراقية وطلاب المدارس ما يحتاجون اليهِ من البسة يصنعها طبقاً للتوصيات ... للعمل ايضاً «مناقل» لغزل الخيطان تخرج مقادير كبيرة منها وعندهم مغزل صغير لغزل

الملاح التائه

ديوان علي محمود طه — ١٦٠ صفحة قطع وسط — ثمنه ٨ غروش

اذا أردت ان اكتب عن شعر فقرأته كان من دأبي ان اقرأه متثبتاً اتصفح عليه في الحرف والكلمة الى البيت والقصيدة الى الطريقة والنهج الى ما وراء الكلام من بواعث النفس الشاعرة ودوافع الحياة فيها وعن اي احوال هذه النفس يصدر هذا الشاعر وبأيها يتسبب الى الالهام وا ايها يتصل الالهام بهِ وكيف يتصرف بمعانيه وكيف يسترسل الى طبعه ومن اين المأتى في رديئه وسقطه وبماذا يسلك الى تجويده وابداعه

ثم كيف حدة قريحته وذكاء فكره والملكة النفسية البيانية فيه وهل هي جبارة متعسفة تملك البيان من حدود اللغة في اللفظ الى حدود الالهام في المعنى ملكة استقلال تنفذ بالامر والنهي جميعاً او هي ضعيفة رخوة ليس معها الاَّ الاختلال والاضطراب وليس لها الاَّ ما يحمل الضعيف على طبعه المكدود كلما عنف بهِ سقط بهِ ؟

اتبين كل هذا فيما اقرأ من الشعر ثم ازيد عليه انتقاده بما كنت اصنعه انا لو اني عالجت هذا الغرض او تناولت هذا المعنى ثم اضيف الى ذلك كله ما اثبته من انواع الاهتزاز التي يحدثها الشعر في نفسي فاني لاطرب للشعر الجيد الوثيق انواعاً من الطرب لا نوعاً واحداً وهي تشبه في التفاوت ما بين قطرة الندى الصافية في ورق الزنبقة وقطرة الشعاعة المتألقة في جوهر الماسة وموجة النور المتألهة في كوكب الزهرة

وأكثر الشعر الذي ينظم في ايامنا هذه لا يتصل بنفسي ولا يخف على طبعي ولا اراه يقع من الشعر الصحيح الاَّ من بعد وهو مني اذا كالرجل يمر بي في الطريق لا اعرفه فلا ينظر اليَّ ولا انظر اليه فما ابصر منهُ رجلاً وانسانية وحياة اكثر مما اراه ثوباً وحذاء وطربوشاً . والعجيب انهُ كلما ضعف الشاعر من هؤلاء قوي على مقدار ذلك في الاحتجاج لضعفه وألهم من الشواهد والحجج ما لو ألهم بعدده من المعاني والخواطر لكان عسى

فاذا نافرت المعاني الفاظها واختلفت الالفاظ على معانيها -- قال : ان هذا في الفن . . . هو الاستواء والاطراد والملاءمة وقوة الحبك . واذا عوص وخانه اللفظ والمعنى جميعاً وأساء ليتكلف وتساقط ليتحذلق وجاءك بشعره وتفسير شعره والطريقة لفهم شعره — قال : انهُ اعلى من ادراك معاصريه وان معرفة معانيه هذه آتية من ان شعره من وراء اللغة ، من وراء الحالة النفسية

من وراء العصر . من وراء الغيب . كأن الموجود في الدنيا بين الناس هو ظل شخص لا شخصه والظل بطبيعته مطموس مبهم لا يبين ابانة الشخص . واذا اهلك الشاعر الاستعارة وأمرض التشبيه وخنق المجاز بحبل — قال لك : انهُ على الطريقة العصرية وانما سدد وقارب وأصاب وأحكم . واذا سمى المقالة قصيدة .... وخلط فيها خلطه وجاء بها في اسوأ معرض وأقبحه وخرج الى ما لا يطاق من الركاكة والغثاثة — قال لك : هذه هي وحدة القصيدة فهي كلٌّ واحد افرغ افراغ الجسم الحي رأسه لا يكون الاّ في موضع رأسه ورجلاه لا تكون الاّ في موضع رجليه ...

تلك طبقات من الضعف تظاهرت الحجج من اصحابها على انها طبقات من القوة غير ان مصداق الشهادة للاقوياء عظامهم المشبوحة وعضلاتهم المفتولة وقلوبهم الجريئة أما الالسنة فهي شهود الزور في هذه القضية خاصة

***

هناك ميزان للشاعر الصحيح وللآخر المتشاعر فالاول تأخذ من طريقته ومجموع شعره انهُ ما نظم الاّ ليثبت انهُ قد وضع شعراً والثاني تأخذ من شعره وطريقته انهُ انما نظم ليثبت انهُ قرأ شعراً ... وهذا الثاني يشعرك بضعفه وتلفيقه انهُ يخدم الشعر ليكون شاعراً ولكن الاول يريك بقوته وعبقريته ان الشعر نفسه يخدمه ليكون هو شاعره

اما فريق المتشاعرين فليمثل له القارىء بمن شاء وهو في سعة ... واما فريق الشعراء ففي اوائل أمثلته عندي الشاعر المهندس علي محمود طه . اشهد : اني اكتب عنهُ الآن بنوع من الاعجاب الذي كتبت بهِ في المقتطف عن اصدقائي القدماء : محمود باشا البارودي واسماعيل باشا صبري وحافظ وشوقي . رحمهم الله واطال بقاء صاحبنا . فهذا المهندس الشاب اوتي من هندسة البناء قوة التمييز ودقة المحاسبة ووهب ملكة الفصل بين الحسن والقبح في الاشكال مما علته من العلم وما علته من الذوق وهذا الى جلاء الفطنة وصقال الطبع وتموج الخيال وانفساح الذاكرة وانتظام الاشياء فيها وبهذا كله استعان في شعره وقد خلق مهندساً شاعراً ومعنى هذا انهُ خلق شاعراً مهندساً وكأن الله تعالى لم يقدر لهذا الشاعر الكريم تعلم الهندسة ومزاولتها والمهارة فيها الاّ لما سبق في علمه انهُ سينبغ نبوغه للعربية في زمن الفوضى وعهد التقلقل وحين فساد الطريقة وتخلف الاذواق وتراجع الطبع ووقوع الغلط في هذا المنطق لانعكاس القضية فيكون البرهان على ان هــذا شاعر وذاك نابغة وذلك عبقري — هو عينه البرهان على ان لا شعر ولا نبوغ ولا عبقرية . وهذه فوضى تحتاج في تنظيمها الى (مصلحة تنظيم) بالهندسة وآلاتها والرياضة واصولها والاشكال والرسوم وفنونها فجاء شاعرنا هذا وفيه الطب لما وصفنا فهو ينظم شعره بقريحة بيانية هندسية أساسها الاتزان والضبط ، وصواب الحسبة فيما يقدر للمعنى ، وابداع الشكل فيما ينشىء من اللفظ ، والاّ يترك البناء الشعري قائماً ليقوم اذ يكون واهناً في اساسه من الصناعة ، بل ليثبت ، اذ يكون اساسه من الصناعة في [illegible]

وديوان «الملاح التائه» الذي أخرجه هذا الشاعر لا ينزل بصاحبه من شعر العصر دون الموضع الذي اومأنا اليه، فما هو الا ان تقرأه وتعتبر ما فيه بشعر الآخرين حتى تجد الشاعر المهندس كأنه قادم العصر محملاً بذهنه وعواطفه وآلاته ومقاييسه ليصلح ما فسد، ويقيم ما تداعى، ويرمم ما تخرّب، ويهدم ويبني

***

ديوان الشاعر الحق هو اثبات شخصيته ببراهين من روحه. وها هنا في «الملاح التائه» روح قوية فلسفية بيانية، تؤتيك الشعر الجيد الذي تقرؤه بالقلب والعقل والذوق، وتراه كفاء اغراضه التي ينظم فيها، فهو مكثر حين يكون الاكثار شعراً، مقل حين يكون الشعر هو الاقلال، ثم هو على ذلك متين رصين، بارع الخيال، واسع الاحاطة، تراه كالدائرة يصعد بك محيطها ويهبط، لا من انهُ نازل او عال، ولكن من انهُ ملتف مندمج، موزون مقدر، وضع وضعه ذلك ليطوح بك

وهو شعر تعرف فيهِ فنية الحياة، وليس بشاعر من لا ينقل لك عن الحياة نقلاً فنيًّا شعريًّا، فترى الشيء في الطبيعة كأنهُ موجود بظاهرهِ فقط، وتراه في الشعر بظاهره وباطنه معاً، وليس بشعر ما اذا قرأتهُ، واسترسلت اليهِ لم يكن عندك وجهاً من وجوه الفهم والتصوير للحياة والطبيعة في نفس ممتازة مدركة مصورة

ولهذا فليس من الشرط عندي ان يكون عصر الشاعر وبيئته في شعره، وانما الشرط ان تكون هناك نفسه الشاعرة، على طريقتها في الفهم والتصوير وانت تثبت هذه النفس بهذه الطريقة ان لها ان تقول كلمتها الجديدة، وانها مخولة له الحق في ان تقولها، اذ هي للعقول والارواح اخت الكلمة القديمة — كلمة الشريعة التي جاءَت بها النبوة من قبل

وليس في شعر علي طه من عصرياتنا غير القليل، ولكن العجيب انهُ لا ينظم في هذا القليل الا حين يخرج المعنى من عصره ويلتحق بالتاريخ، كرثاء شوقي، وحافظ، وعدلي باشا، وفوزي المعلوف، والطيارين: دوس وحجاج، والملك العظيم فيصل. فان يكن هذا التدبير عن قصد وارادة فهو عجيب، وان كان اتفاقاً ومصادفة: فهو اعجب، على انهُ في كل ذلك انما يرمي الى تمجيد الفن والبطولة في مظاهرها، متكلمة، وسياسية، ومغامرة، ومالكة

اما سائر اغراضه فانسانية عامة، تتغنى النفس في بعضها، وتمرح في بعضها وتصلي في بعضها، وليس فيها طيش ولا فجور ولا زندقة الا ... ظلالاً من الحيرة او الشك، كتلك التي في قصيدة «الله والشاعر» واظنهُ يتابع فيها المعري ولست ادري كم ينخدع الناس بالمعري هذا، وهو في رأيي شاعر عظيم غير ان له بضاعة من التلفيق تعدل ما تخرجهُ «لانكشير» من بضائعها الى اسواق الدنيا

وما استحسن في شعر علي طه انهُ في مناحي فلسفتهِ وجهات تفكيره يوافق رأيي الذي اراه دائماً،

وهو ان ثورة الروح الانسانية ومعركتها الكبرى مع الوجود — ليستا في ظاهر الثورة ولا في العراك مع الله كما صنع المعري وأضرابه في طيشهم وحماقتهم ، ولكنهما في الهدوء الشعري للروح المتأملة ، ذلك الهدوء الذي يجعل الطبيعة نفسها تبتسم بكلام الشاعر كما تبتسم بازهارها ونجومها ويجعل الشاعر اداة طبيعية متخذة لكشف الحكمة وتغطيتها معاً ، فان العجيب الذي ليس اعجب منهُ في التدبير الالهي للنفوس الحساسة — ان زخرفة الشعر وما يجري مجراه في الفن إنما هي ضربٌ من زخرف الطبيعة حين تبدع الشكل الجميل لتتمم اغراضها من ورائهِ ولو ثارت الازهار — مثلا — على الوجود وخالقه ثورة اولئك الشعراء لما صنعت شيئاً غير افساد حكمتها هي ، وما يتصل بهذه الحكمة من المصالح والمنافع ، ولن تنتصر الاّ ببقائها أزهاراً ، فذلك حربها وسلمها معاً

***

وأسلوب شاعرنا أسلوب جزل ، أو الى الجزالة ، تبدو اللغة فيهِ وعليها لون خاص من الوان النفس الجميلة يزهو زهوه فيكثر منهُ في النفس تأثيرها وجمالها وهذه هي لغة الشعر بخاصته . ولابد أن ننبه هنا الى معنى غريب ، وذلك انك تجد بعض النظامين يحسنون من اللغة وفنون الادب ، فاذا نظموا وخلا نظمهم من روح الشعر — ظهرت الالفاظ في اوزانهم وكأنها فقدت شيئاً من قيمتها كأن موضعها في هذا النظم غير موضعها في اللغة ، وما اختلف اللفظ ولا تغير ، ولكن موضعه ثمّ هو الذي اعلن افلاسه ، اذ اقامه مقام الذي يريد ان يعطي ثم هو اذا وقف لا يصنع شيئاً الاّ ان يعتذر بأنهُ لم يجد ما يعطيه . . فهذا كان رجلاً من الناس ، وكان في ستر وعافية ، فلما وقف موقفه انقلب مدلساً كاذباً مدّعياً فاختلفت بهِ الحال وهو هو لم يتغير

وما الاسلوب البياني الاّ وسيلة فنية لمضاعفة التعبير ، فان لم يكن هذا ما يعطيه كان وسيلةٍ فنية اخرى لمضاعفة الخيبة وهذا ما تحسه في كثير من شعر النظامين او البديعيين في العصور الميتة وتحسه في الشعر الميت الذي لا يزال ينشر بيننا

وعلي طه اذا حرص على اسلوبه ، وبالغ في اتقانه واستمرّ يجريه على طريقته الجيدة متقدماً فيها ، متعمقاً في اسرار الالفاظ وما وراء الالفاظ ، وهي تلك الروعة البيانية التي تكون وراء التعبير وليس لها اسم في التعبير ، معتبراً اللغة الشعرية — كما هي في الحقيقة — تأليفاً موسيقيًّا لا تأليفاً لغويًّا — فانهُ ولا ريب سيجد من اسعاف طبعه القوي وعون فكره المشبوب ، والهام قريحته المولدة — ما يجمع له النبوغ من اطرافه ، بحيث يمده الوجود من كبار مصوريه ، وتتخذه الحياة من بلغاء المعبرين عنها في العربية ، ومن ثم تنظمه الغريبة في سمط جواهرها التاريخية الثمينة ويصله السلك بشوقي وحافظ والبارودي وصبري الى المتنبي والبحتري وابن الرومي وابي تمام ، الى ما وراء ذلك ، الى الجوهرة الكبرى المسماة جبل النور البياني ، الى امرىء القيس

وليس هذا ببعيد على من يقول في صفة القلب :

يا قلب عندك اي اسرار ما زلن في نشر وفي طي
يا ثورة مشبوبة النار اقلقت جسم الكائن الحي
حملته العبء الذي فرقت منهُ الجبال واشفقت رهبا
وأثرت منهُ الروح فانطلقت تحسو الجحيم وتأكل اللهبا
وعجبت منك ومن ابائك في اسر الجمال وربقة الحب
وتلفتت المتكبر الصلف عن ذلة المقهور في الحرب
ووهمت ناراً ذات ايماض فبسطت كفك نحوها فزعا
مرت بعينك لمحة الماضي فوثبت تمسك بارقاً لمعا
والارض ضاق فضاؤها الرحب وخلت فلا أهل ولا سكن
حال الهوى وتفرق الصحب وبقيت وحدك انت والزمن

ولو ذهبنا نختار من هذا الديوان لاخترنا اكثره ، فقصائده ومقاطيعه تتعاقب ، ولكن تعاقب الشمس على أيامها تظهر جديدة الجمال في كل صباح ، لان وراء الصباح مادة الفجر ، وكذلك تأتي القصائد من نفس شاعرها مصطفى صادق الرافعي

شهرزاد

تأليف توفيق الحكيم . طبعة دار الكتب ١٦٢ ص ٤من القطع الكبير

هذا الكتاب الثالث الذي اخرجهُ الاستاذ توفيق الحكيم في مدة سنة واحدة . وهذا الكتاب منسوج على منوال الكتابين الاولين من حيث انهُ يعمد الى اسلوب بعض الروائيين الفرنسيين وغيرهم الحاليين امثال جيرودو Giraudoux ولنورمان Lenormand ومترلنك Maeterlinck وهذا الاسلوب معروف بالرمزي Symbolisme وميزتهُ انهُ يرمي وراء تحريك الاشخاص الموهومة الى فكرة فلسفية او خلقية بعيدة

والواقع انك لا تصيب فكرة بعيدة الغور عند الاستاذ توفيق الحكيم في رواية شهرزاد فمحورها أن الانسان ربما سئم الماديات وتاق الى الروحانيات فلا يستقر على حال لانهُ متصل بالحياة اتصالاً عنيفاً حتى انهُ يظل كالمعلق بين السماء والارض . وهذه الفكرة تدور لكل ذهن

الاَّ ان براعة الاستاذ توفيق الحكيم انما هي في السياقة . فهو يحكم سرد الرواية ويحكم الحوار ويحكم تهيئة البيئة. وكأني بهِ قد حذق فن الروايات التمثيلية. ومن هذه الناحية فهو صاحب فن حقاً

واما لغة الرواية فتتراوح بين الفصاحة والاضطراب . فانك تراها تصعد الى البلاغة ثم تنحدر الى الضعف . ولكنَّ الاسلوب حيٌّ وهّاج

وبالجملة ، ان شهرزاد لقطعة من قطع الفن المسرحي بمعناهُ المحدود ، ثم انها لطليعة الفن الرمزي في المسرح العربي

بشر فارس

استشارات الطبيب الممارس

الجزء الاول في امراض الاطفال لمؤلفيه الاطباء

ترابو استاذ السريريات الطبية والعصبية في المعهد الطبي العربي والمجاز في اللغة العربية من المفوضية الافرنسية وعضو مراسل وطني لجمعيتي المستشفيات الطبية والامراض العصبية في باريز
ومحمد محرم الاستاذ في المعهد الطبي العربي وعزة مريدان مساعد المخابر في المعهد الطبي العربي
طبع بمطبعة الجامعة السورية سنة ١٩٤٣

هو كتاب في عشرة مجلدات صدر الجزء الاول منه في امراض الاطفال وطلب مني نقده فقرأته واني أبدي فيه الملاحظات الآتية

اهداء الكتاب : — قلما يصدر كتاب في الشرق الآ ويهديه مؤلفه الى ذي منصب كبير او شهرة واسعة او سريّ او ثريّ او ما اشبه ومما لفت نظري في هذا الكتاب انهُ لم يهدَ الى المفوض السامي او رئيس الجمهورية او الى احد الوزراء او السراة او الاغنياء او الى رئيس من رؤساء المؤلفين مما يدل على أنهم رجال علم وعمل يعلمون كيف يحفظون كرامة انفسهم ولو انني رأيت ان الكتاب اهدي الى رجل كبير من رجال الدولة كنت القيته من يدي كما وقع لي قبلاً وقرظته مرضاة لصاحب المقتطف او حياء من مؤلفه) ولكن هذا الكتاب مصنّف عليَّ انقده عن رضى وسرور بلا حكم سابق على مؤلفيه او لهم

مقدمة الكتاب : — وجيزة جدًّا وخالية من التبجح شأن العلماء الحقيقيين فأخذ الكتاب يرتفع في نظري ووضعت عـلامة حسنة جدًّا لمؤلفيه ولا سيما الدكتور ترابو مع انهُ اخرجني من الشام برؤوس الحراب فما كاد يختفي ذيلي سنة ١٩٢٠ حتى ظهر رأسه فخرجت من دمشق قائمقاماً طريداً شريداً وعدت ودخلتها بعد عشر سنوات من الباب الشرقي فريقاً رافع الرأس . فانا وزميلي الدكتور ترابو على صلح دائم الى ان يقضي الله امراً كان مفعولاً

طبع الكتاب : — حسن جدًّا وهو مطبوع على ورق صقيل وبحرف جميل ومعتنىً بتصحيحه أشد العناية فلم أرَ فيه من الخطإ المطبعي الآ النادر جدًّا مما لا يعتد بهِ

لغة الكتاب : — لغته عربية علمية فصيحة خالية من التعقيد واني اذكر مثالاً منها وهو ما ورد في الصفحة الاولى حتى لا يقال انني انتخبت المثال فقد جاء فيها ما نصه : لا يعطى الوليد في اليوم الاول من الولادة شيئاً من الحليب واما في الايام التالية فيعطى ثمانين غراماً في اليوم الثاني ثم يضرب هذا المقدار في عدد الايام كلما تقدم عمر الوليد حتى اليوم السادس وهذا المقدار من الغذاء يقسم الى ثماني رضعات على ان تكون الفاصلة بينها ساعتين ونصفاً وعليه يمكن تلخيص ارضاع الوليد الذي تتراوح سنه بين يومين وستة أيام على الوجه الآتي . ثم يلي ذلك جدول فيه رضعات الايام الستة الاول ثم جدول آخر فيه تغذيته في السنة الاولى . فقوله الوليد خير من قوله الطفل الحديث الولادة وقوله الحليب خير من قوله اللبن لان اللبن [illegible] يكون خاثراً او [illegible] الوليد ويتمدد ان

[illegible]

يزاد عليها حرف او ينقص منها حرف بلا تغيير المعنى وهي عبارة علمية موجزة صريحة المعنى وهاك مثالاً آخر وهو ما جاء في ص ٣٣٩ في علاج التهاب الشغاف قال : توضع المنفطات على الناحية القلبية كصبغة اليود او القطن اليودي او المنفطات الطيّارة والافضل وضع كيس من الجليد الخ . وجاء في ص ٣٤١ في علاج التهاب التامور قال : اذا كان التهاب التامور حادًّا يحمى المريض الاّ عن اللبن ويستريح راحة مطلقة ويوضع على قلبه كيس من الجليد وهو في الاضطجاع الظهري ويوضع في وضعة نصف الجلوس متى لم يحتمل الاضطجاع ويجتنب الجهد والحركة الخ

ثم ان رؤوس الفقرات مكتوبة بالعربية والفرنسية واذا وردت كلمة اصطلاحية كتبت بالعربية والفرنسية والكتاب كلهُ على هذه الصورة يفهمهُ العامة ولا تنبو عنهُ الخاصة اي ان الكتاب علمي دقيق الشرح فصيح العبارة موجزها فهو في جلائهِ و دقتهِ وايجازه شبيه بالمؤلفات الفرنسية وهي تفوق المؤلفات الاخرى في ذلك على ما اعلم اي الايجاز في الوضوح ولعل ذلك من خصائص هذه اللغة . وهذا الكتاب يدل دلالة واضحة على ان اللغة العربية لا تقل عن غيرها في الايضاح العلمي ودقة التعبير فالذنب ليس ذنبها

المصطلحات الطبية . — لا ريب انها عربية فصيحة معتنىً في انتقائها اشد العناية وهو ما جرى عليهِ اساتذة هذا المعهد في استعمال المصطلحات العربية فما لم يعثروا له على اسم عربي قديم وضعوا لهُ مصطلحاً عربيًّا . اما بالترجمة او بالاستعارة او بالتعريب ولو احببت ان اذكر المصطلحات التي جروا عليها لذكرت لهُ شيئاً كثيراً منها وقد اصابوا في معظمها تمام الاصابة واني اضرب بعض الامثلة فقط منها الخديج والوليد والرضيع والطفل وهي الفاظ عربية معروفة ومشهورة ولكن هؤلاء الاساتذة احسنوا اختيارها وساروا على وتيرة واحدة في استعمالها ولم يخلطوا فيها ولا مرة واحدة بل استعملوا كلاًّ منها ومن امثالها في المكان الذي يجب فيهِ استعماله وهي كثيرة جدًّا ولولا ضيق المقام لاوردت بعضها . ثم ان جميع هذه المصطلحات العربية قد كتبت وكتب ما يقابلها بالفرنسية . واني اعيد ما قلته قبلاً في توحيد المصطلحات الطبية في مقالٍ تلي في المؤتمر الطبي في الاقصر ان من رأيي في توحيد هذه المصطلحات ان يمثل اهل سورية طبيب من اطباء الجامعة السورية والاّ فمن العبث ان ينفرد اطباء مصر على كفاءتهم بهذا الامر الجوهري

وانهُ يتعذَّر عليَّ ان أفي هذا الكتاب حقهُ من التقريظ فهو مثل جميع المؤلفات التي تصدر من الجامعة السورية جدير بالعلماء ان يطالعوه وان يقتبسوا منهُ ولما كان هذا الكتاب خاصًّا بتلامذة الطب والاطباء فاني اشير على كل تلميذ وطبيب عربي اللغة ان يقتنيه ويقتني سائر مؤلفات هذا المعهد ففوائدها العلمية واللغوية كثيرة جدًّا

يطلب هذا الكتاب من احد مؤلفيهِ الدكتور ترابو من اساتذة المعهد الطبي العربي بدمشق والثمن اربعون [illegible] يضاف اليهِ اجرة البريد وهو ثمن زهيد بالنسبة الى فوائد الكتاب فعسى ان [illegible] الافضل بقية الكتب التي وعدونا بها امين المعلوف

هوامش الصحفي العجوز

برسوم العريان وآخرون

لا أعرف في هذا العصر كاتباً للتراجم والسير والشخصيات أقدر من هذا الصحفي العجوز — انهُ يعمد الى الشخصية ملأت الدنيا وشغلت الناس يقص سيرتها عليك فاذا بهذه الشخصية الطويلة العريضة لا تشغل اكثر من هامش واحد في صحيفة الاهرام على أنك قد تقرأ عشرات الكتب في تلك السيرة بعد ولكنك لن تجد شيئاً واحداً يستحق الذكر لم يأتك بهِ هذا الهامش السحري العجيب

وعندي ان مقدرة الصحفي العجوز في هذا الضرب من الكتابة راجعة الى ما في الرجل من ألمعية وفن موهوب — ويقولون في تعريف الالمعي بأنهُ هو الذي يظن بك الظن كمن رأى وقد سمع — فاذا كان هذا صحيحاً فالصحفي العجوز من اكثر الناس ألمعية لانهُ من أقدرهم على استخلاص الحقائق مما يحيط بها من الزيف فهو اذا نفذ الى قضية من القضايا التي تقع في دائرة ابحاث المؤرخين فليس حكمه عليها الاَّ توقيع الزمن وخاتمه على سجل تلك الحقيقة. بل ليس هو الاَّ المرسوم الذي تصدر بهِ تلك الحقيقة للاجيال — أما الفن فلا أظن لهذا الرجل فيهِ ميزة اكثر من قدرته على الاستهواء وأنا أتحدَّاك ان تأتيني في كل ما تقرأ للصحفي العجوز باستعارة او تشبيه او شيء من هذا الذي يصطنع توشية للكلام في عرف البيانيين. وانما انت في كل لفظة واجد حقيقة وفي كل حقيقة واجد فائدة وفي كل فائدة واجد لذة . وهكذا يقبض الرجل على قرائهِ فلا يتركهم حتى يعطيهم كل ما عنده من المعلومات وهو في نفس الوقت لا يشعرهم انهُ يعطيهم شيئاً. ولعله حقيقة لا يحس بأنهُ يعطي اي شيء — هو يعطي من على (الهامش) فكأنهُ يقول خذوا هذا الشيء السهل البسيط — وهنا يسمح لنا السيد توفيق حبيب بالقبض عليهِ بتهمة التلبس بالفلسفة أجل اني أتهم السيد توفيق بالفلسفة وبالشعر ايضاً . ولا اظنه مهما تبرأ من الشعر وتنكر للفلسفة يستطيع ان ينجو من هذا الاتهام الاهمَّ الاَّ ان يغير عنوانه « على الهامش » ويكتب بدله «في صميم الحياة» ، فالحياة لا هامش لها وكل ما يقع فيها منها ومن صميمها كما يقول الدكتور هيكل وكما هو رأي الصحفي العجوز ذاته غير ان صاحبنا العجوز يريد ان يجعل من عنوانه « على الهامش» اشعاراً لقرائه بأن اختبارات العلماء من امثاله— وتحقيقاتهم وتدقيقاتهم كل اولئك في نسبتهِ للحياة لا يزيد عن الهامش في نسبته للكتاب العظيم او في نسبته لجريدة الاهرام— واذن هل الشعر والفلسفة شيء غير هذا يا سيد توفيق وايت شعري اي صميم للحياة وراء ماجئت بهِ في الهوامش ألست في هامش تتكلم عن برسوم العريان او القديسة كاترينه. وفي هامش آخر تتكلم عن فورد اليس هذان هما الجانبان — المادي والروحي، اللذان يتكوَّن منهما هيكل هذه الحياة وهل تتألف الحياة الاَّ من المادة والروح او من الاشخاص والآثار

أشهد اني قرأت في هوامش الصحفي العجوز تراجم سير وشخصيات فحسبتني أولاً اقرأ كتاباً في الحياة وعدت ثانياً فحسبتني اقرأ الحياة في كتاب. وهكذا ظلَّ يستهويني الرجل ويفتنني ويعجبني حتى وددت لو أملك ان اقيم كتابه في معرض ثم اطلق عليه متحف الصحفي العجوز محمود أبو [illegible]

لندن

تأليف احمد عطية الله — صفحاته ٣٦٨ قطع المقتطف — مطبعة عيسى البابي الحلبي

السفر مدرسة الحياة . والارض كتاب لا يقرأ منهُ المقيم في بلد واحد ، الاَّ فصلاً واحداً . لان السفر يصقل الطبع ، ويثقف العقل ، ويقيد الخيال بقيود الحقيقة ، ويطلق الفكر من اغلال التحزُّب الاجتماعي والتاريخي ، ويوسع افق النظر الى الحياة والعمران

فاذا كان كاتب الرحلة راوياً لحوادث التاريخ وعبره ، ملمَّا بآداب الامم وطبائعها ، استطاع ان يجعل وصفه لرحلة ما ، قطعة من الادب العالي ومن هنا اقبال الناس على مطالعة الرحلات او ما كان من قبيلها

وكاتب هذه السطور يعجبه في كتب الرحلات ، استيفاء كل موضوع في فصل على حدة . كعقد فصل مثلاً لاسباب المواصلات في مدينة من المدن ، وآخر لمنشآتها الصحية ، وآخر لمعاهدها العلمية العامة . لانهُ يعتقد ان الكتابة على هذه النحو ترسم صورة اوضح في ذهن القارىء من تجزيء الموضوعات وتفريقها في صفحات الكتاب فلا يستطيع القارىء ان يلمّها الاَّ بعد جهدٍ جهيد . . ولكنه يعترف كذلك ان الرحلة نفسها لا تماشي هذه الجمع والاجمال . فالمسافر يتعرَّف الى الاشياء والاعمال والمنشآت والطبائع كما تتوالى على حسهِ . وترتيب المادة في كتاب من كتب الاسفار وفقاً لهذا التوالي يحمل القارىء على الاحساس ، بانهُ مصاحب للكاتب في مراحله المختلفة ، فهو افضل في اغراء المطالع بمواصلة المطالعة من طريقة الاستيفاء على الاسلوب الاول

ولعلَّ هذا الاعتبار هو الذي حمل مؤلف « لندن » على تجزئتهِ فصولاً قصيرة ، تتوالى عليك كما تتوالى مشاهد بلاد جديدة رحلت اليها ، ففي كل فصل طرافة الشيء الجديد ، وخفة اللمحة الاولى

خذ وصفه « لحمام ترافلجار » ترى فيهِ هذه اللمحة العابرة . فان هذه القطعة على ايجازها صورة كاملة لمظهر من المظاهر التي تنفرد بها لندن ثم تعليق اجتماعي حسن للمؤلف قال :

في ميدان ترافلجار الفسيح ، وهو الميدان الفريد في لندن ، وتحت ظل عمود نلسن الهائل وتحت اقدام الكثير من تماثيل الاسود الفرسان والقوَّاد التي تحيط به ، تجد مئات من الحمام الاسمر ، يطير ويحط على ارض الميدان وعلى حنايا هذه التماثيل ، ثم على اكتاف السائرين

حمام اليف ، لم يعد يخاف الانسان ، ولا يهرب منهُ — بل يهرع الى كل سائر يرمي له بالحب وبفتات الخبز . وما اشبه هذا الميدان الفسيح بتماثيله ، وما اشبه هذا الحمام الوديع بميدان سان مارك في البندقية

وهذا الحمام رسول السلام ، ورمز الحب . ولكنهُ لم يجد مكاناً يرفرف فيهِ الاَّ ميدان ترافلجار ميدان اخذ اسمه من الحرب ومن القتال ولست ادري ماذا كان يصنع هذا الحمام لو درى بهذه الحقيقة؟

ولكن لعله يريد ان يكون رسول السلام في ميدان بني لتخليد رجال الحرب ، ويعلّم الانسان كيف الخلاص من نير الحروب

ما ارق قلب هذا الشعب الذي لا يرضى بحبس الحمام ، بل يتركه طليقاً ، ولكن [illegible] الفرسان والقواد الذين خلدتهم الحرب والنيران

وتمر السيدة الريفية بميدان ترافلجار ومعها اطفالها ، وتشير بأصبعها من نافذة عربة الامنيبوس الى عمود نلسن الهائل ، تذكر أبناءها بموقعة الطرف الاغر التي احالت مياه المحيط الى حمرة قانية

تذكرهم بنلسن العظيم : لتذكي في دمائهم حرارة الفروسية وتنسى تلك المئات من الحمام الاسمر الذي يطير ويحط على حنايا هذه التماثيل ، وعلى اكتاف السائرين ، تنسى ان هـذا الحمام رسول السلام ورمز الأخاء على الارض ...

وكذلك تنتقل مع المؤلف من ميدان ترافلجار الى دار البرلمان الى الستي حي الاعمال الى معرض الشمع (معرض مدام توسو) الى سراديب لندن التي تسير فيها قطارات الانفاق الى عالم المسارح الى مقبرة العظماء في دير وستمنستر الى مدرسة اللغات الشرقية الخ ... الخ ...

وكل فصل يحتوي على الحقيقة البارزة في الموضوع الذي يعالجهُ المؤلف ، فتخرج من قراءة الكتاب وفي ذهنك صورة عامة للندن كما هي الآن ، وصورة لأهم منشآتها وأساليب معيشتها وطبائع سكانها وآدابهم ، ولو تعذر عليك ان تقول انك تملك صورة واضحة لناحية بعينها من حياة هذه المدينة العظيمة لان عناصر الصورة التامة قد تكون موزعة في فصول متفرقة

وقد تخلل الفصول الكثيرة التي وضعها المؤلف ، فصول قليلة ولكنها مختارة مترجمة عن طائفة من ابرع كتاب الانكليز في وصف نواح من حياة لندن فثمة فصول لروبرت لند والكاتب اديسن وجيمس ملن ورنيير وغيرهم

والكتاب في ٣٧٠ صفحة من قطع المقتطف وفيه طائفتان من الصور مبثوثة في صفحاته ، الواحدة فوتوغرافية والاخرى كاريكاتورية مرحة . اما وقد طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر فشهادة له بجودة الطبع

رسائل في النقد

تأليف رمزي مفتاح

لو برز هذا الكتاب في عهد صفت فيه الانفس لنبذ . الا ان مصر قد اصبحت اليوم ميدان سباب وقدح ، ومن اسوإ ما يترتب على هذا ان السباب يقابل بمثله والقدح بما هو اشد منهُ ، فتضطرب المقاييس ويصيب مصر وادباءها ما يجرّس بها وبهم في الخارج

اما هذا الكتاب فالاعتساف في سطوره مستفيض والتحامل فيما بينها مستكنٌ . وفيه اخطاء تاريخية لا ندري وروحه ما ذكرنا اعفواً جاءت ام عمداً . وجل ما يقال فيه انهُ لولا ما فيه التحامل [illegible] وذلك الاعتساف لأعد [illegible] [illegible] الحديث

القطن او الحرير الصناعي ويحتاجون اليهِ في صناعاتهم . وكذلك فهم يخرجون مقادير كبيرة من خيطان الصوف يبيعونها للنساج في بادية العراق وفي مدنه فيحيكون منها العباءات ولا يزال عدد لابسيها غير قليل في بغداد نفسها وهم يكثرون في الارياف فلا بدَّ للابس الملابس العربية من عباءة يضعها فوق ثوبهِ في جميع فصول السنة وتختلف بحسب اختلاف الفصول

وفي العراق ايضاً صناعات جديدة نشأت مع النهضة الجديدة ونمت في ظلها ، وفي مقدمتها صناعة لفائف التبغ فقد كان العراقيين يعتمدون حتى الايام الاخيرة على ما يسمونه لفائف « الدك » وطريقة صنعها بسيطة جدًّا وهي انهم يأتون بالدخان فيكسرونه بايديهم حتى ينعم ثم يملأونه باليد في ورق خاص اعدَّ له ويبيعونه على هذه الطريقة بثمن بخس ، ومخازن باعة التبغ في الارياف مملوءة باللفائف الفارغة ولا تملأ الاَّ عند البيع . اما الخاصة فكانوا يعتمدون على التبغ التركي في عهد الترك ثم على التبغ الانكليزي في عهد الاحتلال

وفي بغداد اليوم ما لا يقل عن ١٠ معامل لفرم التبغ واعداده طبقاً للاساليب الحديثة يعمل فيها نحو ٣٠٠٠ عامل والتبغ الرائج عندهم هو التبغ العراقي وقد جاؤوا بتقاويهِ من تركيا وزرعوه في المناطق الشمالية الجبلية المجاورة للاناضول التركي وفي منطقة « السليمانية » فنجحوا نجاحاً كبيراً كما يقولون وولدوا تبغاً لذيذاً . والتبغ رخيص في العراق بالنسبة لما هو عليهِ في مصر والشام لعدم الاحتكار او رسوم جمركية باهظة كما يظهر فعندهم انواع عديدة منها غازي والرشيد وفيصل والملوكي وعبد المحسن السعدون وعلبه فاخرة وسعر العلبة ذات العشرين لفافة من الصنف المتوسط ١٠ مليمات ومن الجيد ١٦ مليماً

وكذلك فقد بدأوا بادخال صناعة طبخ الصابون وقد كانوا حتى الحرب العظمى يستوردون مقادير كبيرة من سورية وفرنسا . وفي بغداد اليوم ٣ معامل لطبخه ويستخدمون مواده الاولية من الخارج لعدم وجودها في العراق . ولا تزال هذه الصناعة في دور التكوين ولم تلق من النجاح ما اصابته صناعتا نسج الجوخ ولفائف التبغ

وكذلك عندهم معمل للدباغة . وقد انشأهُ احد اغنياء بغداد سنة ١٩٢٨ ويديره نجله وقد درس هذه الصناعة في انكلترا ، ويخرج هذا المعمل ولا يزال صغيراً للعراق ما يحتاج اليه من جلد ونعل وتباع الاحذية من مصنوعاته باثمان رخيصة جدًّا في اسواق بغداد ويقبل عليها الناس

وقد بدأوا حديثاً بانشاء معمل لغزل الصوف ونسج الاقمشة الصوفية ويرجى ان ينجز قريباً فيستغنى العراق عما يستورده من الاقمشة الصوفية

هذا بعض ما عرفته عن حالة الصناعة الجديدة في العراق ولا تزال في دور النشوء والتكوين والمأمول ان تنمو وتتقدم في ظل الدولة العربية الجديدة وبتأييد العرب كافة ومساعدتهم . فالشرق في أشد الحاجة الى ترقية صناعاته حفظاً لثروته ولايجاد اعمال العاطلين من ابنائه وهم كثيرون

ليالي باريس

بقلم توبه مسعد — صفحاته ٢٠٠ مصورة — ثمنه ١٥ قرشاً

يختلف هذا الكتاب عن سائر الكتب التي وضعت حديثاً باللغة العربية عن بعض العواصم الاوربية، في ان مؤلف هذا الكتاب، يروي مغامراته الصحافية، في باريس وجنيف فتتخلل روايته الخلابة، صفحات يصف فيها من مشاهد باريس ومظاهر حياتها ما لهُ صلة بتلك المغامرات -

والمؤلف شاب متوقد الذهن، ذهب الى باريس طالباً للعلم، فانشأ مكتباً لتزويد الصحافة العربية في الشرق والغرب، بالانباء البرقية والمقالات الدولية، ودعي لحضور اجتماع جمعية الامم، ممثلاً لهذا المكتب، فسافر في القطار الذي أقلَّ بريان وهندرسن وغيرهما من اقطاب السياسة ومراسلي الصحف العالمية: نخصَّهُ البوليس الفرنسي والبوليس السويسري بعناية خاصة لاشتباههم فيه. وحادثَ زوجتي كوست وبيلونت الطيارين الفرنسيين اللذين عبرا المحيط الاتلانتيكي طيراناً من باريس الى نيويورك. وفي حديثه مع مدام كوست عرف انها من جمهورية جورجيا الواقعة على حدود القوقاس، وهي البلاد التي انجبت ستالين طاغية روسيا الآن. ومن أحاديثه مع مشهوري باريس حديث مع موريس شفاليه وآخر مع جوزفين بيكر. والجانب الاخير من الكتاب موقوف على مباريات الجمال واحاديث مع بعض ملكاتها. وفيهِ فصول كثيرة تتناول نواحي من حياة الطلب وحياة اللهو في عاصمة الدنيا. فالكتاب تلذُّ مطالعتهُ، لانهُ يأخذ كالرواية. ولو تداركه والد المؤلف — الشيخ بولس مسعد — بشيء من التنقيح اللغوي لكان قطعة جيدة من الادب الصحافي العربيّ

تاجر البندقية

تأليف شكسبير — تلخيص كامل كيلاني — صفحاته ٦٨ قطع وسط — مطبعة المعارف بمصر

هذه هي القصة الثانية من قصص شكسبير، التي يلخصها الاستاذ كيلاني، ليضيفها الى مكتبة الاطفال العربية. اما القصة، واما مؤلفها، فاشهر من ان يذكرا. وانما يهمّنا ان نقول في هذا الصدد، ان الاستاذ كيلاني، قد اجاد كلَّ الاجادة في التلخيص، وافراغهِ في قالب، يغري الطفل ويستهويه، بحسن سردهِ لملخص القصة، وسهولة التعبير واستقرارهِ في آنٍ واحد

خذ مثلاً على ذلك وصف شيلوك صفحة ١٤ قال: — «عرفت ايها القارئ الصغير انطونيو وباسانيو كانهما مثالين من مُثُل الوفاء والحبّ والاخلاص. واحبُّ ان اعرض عليك رجلاً آخر هو على العكس من صاحبينا هذين، في اخلاقهِ وصفاته، فقد عرفهُ الناس شحيحاً بخيلاً قاسي القلب شريراً، اجتمعت لهُ كل اسباب الخبث واللؤم والشرَه حتى اصبح مثالاً من امثلة النذالة والخسّة والضعة. الا ترى صورته وهي تمثلهُ في ثوبهِ الذي اكسبهُ القِدمُ بريقهُ. الا ترى ظهرهُ المقوَّس واصابعهُ البالية النحيفة التي تشبه المخالب، وابتسامتهُ الخبيثة التي تنمُّ على مكرٍ ودهاءٍ، ونظرتهُ الحادة [illegible] لا تفكر الاَّ في المال .... الخ» ومما وفق في ترجمتهِ قولهُ صفحة ٤٦ في شطر

واحد من الشعر « ما كلُّ ما يبرق لمّاعاً : ذهب» وهو ترجمة All that glitters is not gold وكذلك
يقدم المصنف اشخاص الرواية الى قرائهِ الصغار ثم يعرض لهم مشاهدها مشهداً مشهداً بايجاز ووضوح.
اما طبع الكتاب فهو من الجودة والاتقان بحيث يتمنى كاتب هذه السطور مثلهما لاحد مؤلفاتهِ !

القاهرة

الجزء الاول — تأليف الملازم عبد الرحمن زكي — ثمنه ٨ قروش

القاهرة هو الكتاب الاول – فيما نعتقد – من نوعه . وقد احسن الملازم الاول عبد الرحمن زكي كل الاحسان في اختيار موضوع هذا الكتاب ميداناً لاستغلال مواهبهِ العلمية الادبية وترويض قلمه المدقق الاديب. ولقد كان من حق المكتبات العربية ان لا تحرم كل هذا الزمن من كتاب يوضع عن القاهرة خصيصاً ولاسيما بعد ان زينت تلك المكتبات بالمؤلفات عن بعض عواصم الغرب. فالقاهرة في معالمها وفي عظمتها التاريخية لا يمكن ان تكون اقل من تلك العواصم التي حظيت من ناحية كتابنا بعناية كبيرة ، علاوة على ما في الكتابة عن مصر وتاريخ عاصمتها التاريخية من استلفات تدعو له النهضة القومية المصرية . والحق انهُ فرض كان يجب على الكتاب المصريين ان يقوموا به ولكنهم اهملوه ليقوم بهِ هذا الضابط المصري الكريم فكان له فضل السبق في هذه الناحية من خدمة وطنهِ

اما طريقة المؤلف فهو يجري على اسلوب المؤرخين الاقدمين في رسم الصور للحوادث كما وصلت الى علمهِ من مطالعته الواسعة النطاق من غير ان يضيف اليها الوانه الخاصة بترجيحاته ا[illegible] بتحقيقاته اللهم الاَّ في مواضع قليلة جدًّا فانهُ يعمد الى ترجيح بعض ما قيل . لذلك رأيناه يرج[illegible] قصة الغراب الذي هز الاجراس فبنيت القاهرة في غير ساعة سعيدة. على ان الكتاب في اسلوبه و[illegible] معروضاته ممتع شائق حتى ليكاد يحبس قارئهُ على استيعابه حبساً . وناهيك بكتاب تطلع فيهِ [illegible] قاهرة المعز لدين الله الفاطمي وقاهرة صلاح الدين وقاهرة المماليك البحرية والجراكسة اجل تطلع [illegible] على القاهرة في كل هذه العصور كما تطلع فيهِ على مصر في فسطاط عمرو وقطائع ابن طولون فلا ت[illegible] شيئاً يهمّك الاطلاع عليهِ كمؤرخ او كسائح الاَّ وفي هذا الكتاب منهُ المامة تغنيك عن الرجوع عشرات من كتب التاريخ

وكأنما بالمؤلف قد طالع كل ما وصلت اليهِ يداه من المؤلفات عن معالم القاهرة ومعيشة - في كل دور من ادوارها ثم رسم لنا في كل فصل من فصول كتابهِ صورة حية ناطقة لذلك ال[illegible] حتى لكأنك وانت تقرأ . ترتد على جناح الذاكرة والخيال والحقيقة التاريخية المدونة فترى الجوامع والمنشآت العامة والخاصة والناس يروحون ويجيئون ، ويحبون ويبغضو[illegible]

[illegible] وينقرضون [illegible] المجمع [illegible] العربية

اركان التدريس

وضع احمد سامح الخالدي

للمرة الثانية تتاح لي الفرصة لأعرض على قراء المقتطف مؤلفاً جديداً من مؤلفات الاستاذ احمد سامح الخالدي مدير الكلية العربية بالقدس واستاذ التربية بها

وربما كان عنوان الكتاب لا يرسم صورة صحيحة لموضوعه ، فالمقصود باركان التدريس ، القواعد والمبادىء التي يبنى عليها التدريس كفن ، وهذا ما يعبر عنهُ بقولنا Fundamentals of Teaching ، ولكن هذا الكتاب لا يقتصر على دراسة هذه المبادىء بل يتعداها الى طريقة التدريس العامة ، ثم يخصص اكثر من نصف الكتاب لبحث طرق تدريس اللغة والجغرافيا والتاريخ والحساب ودروس الطبيعة

لذلك كان لزاماً علينا ان نعرض الكتاب على قسمين (الاول) ويشمل اركان التدريس، (والثاني) طرق التدريس العامة والخاصة

مهد الاستاذ لكتابهِ بمقدمة عن فن التدريس وعن مهمة المعلم وواجباته والشروط التي تتوافر في المعلم الذي يصح ان يكون مثلاً اعلى للمعلمين . ثم انتقل الى دراسة عوامل التدريس ، فذكر طرق اختيار مادة الدرس ، وطرق كتابة المذكرات الخ

وفي هذا الفصل ذكر المؤلف شيئاً من تجاربه الخاصة عن الطرق الاصطناعية التي يسير عليها المعلمون الناشئون في اعداد دروسهم وكتابة مذكرات هذه الدروس ، لاسيما في اختيار المقدمات الملفقة للتمهيد لكل درس دون اعتبار لمادة الدروس من حيث بساطتها او تشويقها الطبيعي للاطفال

هذه الملاحظات الشخصية ، ضرورية في مثل الكتب الخاصة بالتربية حتى لا يشعر المعلم الناشئ ان قضايا التعليم ومبادئهُ نظريات ليس الاَّ . وذكر مثالاً طريفاً لمدرس للحساب مهد لدرسهِ بالاسئلة عن اسماء الشوارع لكي يقود التلميذ الى ذكر تاجر الاقمشة الذي يستعمل الاطوال والمقاييس

ومثل هذه الملاحظات هامة جداً للمفتشين في مدارس المعلمين لدينا في مصر كذلك ، وسبب هذا كله يرجع الى عدم تفهم المعلم فيها ان نظريات التربية والتعليم قابلة للتشكيل بحسب ظروف الطالب والدرس . ثم انتقل المؤلف الى دراسة عوامل التدريس الاخرى الخاصة بطبيعة الطفولة فعدد انواع الغرائز التي لها أثر في استعداد الطفل للتعلم : الاَّ ان بعض المصطلحات التي استخدمها المؤلف فيها شيء من الغرابة ومثال ذلك قوله فعالية الانسان ص ٤٣ بدلاً من قوله الميل للحركة

كما ان المؤلف قد تصرف بعض التصرف في ترجمة بعض مصطلحات علم النفس فترجم Curiosity غريزة الاستغراب لا غريزة حب الاستطلاع ، اذ ان الاستغراب هو الانفعال النفساني المصاحب لهذه الغريزة ، واسماه الغرائز [illegible] الزوجي لا الوجداني الغريزة ، فندعو gregarious

Inst غريزة حب الاجتماع لا غريزة الحنين . كما انهُ ترجم Awe بـ «دهشة» مع ان الدهشة Wonder
الانساني بسيط يصاحب غريزة حب الاستطلاع، اما Awe فهو انفعال مركب خليط من الخوف
دهشة والشعور بالانقياد . كما ان المؤلف دعى هذا الانفعال غريزة ، فالانفعالات كما رأينا ليست
زة بل هي مظهر الغرائز ، كما ان الانفعالات البسيطة هي وحدها التي تصاحب الغرائز أما
فعالات المركبة فهي مظهر لسلوكنا الارادي

ثم ان المؤلف ذكر في ص ٩٤ ما دعاه دروس الارتياح وهذا ولا شك اصطلاح مبهم ، واقرب
التدقيق ان يدعوها بدروس تربية الوجدان او الذوق

ومن المباحث التي لم ينظر المؤلف الى دراستها بعين شرقية محلية مسألة الغذاء في المدارس .
ان عوامل شتى تجعل مسألة الغذاء في بلاد كمصر او فلسطين من الخطورة بمكان . خذ مثلاً نوع
هي الشرقي الذي يحتاج الى وقت طويل لهضمه اطول من الفترة المقررة في المدارس لهذا الغرض .
خذ ثانياً حرارة الصيف التي تجعل العمل بعد تناول هذا الغذاء عسيراً ، فالمؤلف كان
به ان يتناول في بحثه هذه العوامل معتمداً على مشاهدات خاصة او احصائيات ويقترح في نهاية
ثه حلاً موفقاً، كتجديد في اساليب الطهي ولو في غذاء المدارس ، او السماح للتلاميذ بانهاء
مل المدرسي قبل الغذاء (الساعة الواحدة مثلاً) كما هي الحال في المدارس الالمانية ، على ان
صص مدة بعد الغذاء لاعمال التلاميذ الحرة

اما دراسة المؤلف لموضوع المناهج ووضعها ، فكان يستلزم الشيء الكثير من الاطالة لا سيما
في نقط هامة صار لها اليوم شأن خاص ، لاهتمام كثير من البلدان الشرقية باصلاح مناهج مدارسها
مع استقائها عن الغرب الاصول في وضع هذه المناهج . فكان على المؤلف ان يذكر لنا علاقة
المناهج الدراسية العامة بالبيئات الاجتماعية ، وما لتطور المناهج من الشأن ، ولجان وضع المناهج
وكيف تشكل ، وأتصال المناهج الدراسية المختلفة الخ الخ

***

(ثانياً) وينتقل المؤلف من هذا الجزء الى الجزء الخامس بطرق التدريس ، وافتتحه بمقدمة
مشروحة عن اهمية دراسة اللغة القومية ووجوب اهتمام المعلمين بها اهتماماً شاملاً ، ثم عن النطق
... وكل هذا كتبه المؤلف بطريقة ... وذلك اعتماد المؤلف اعتماداً
... Handbook ... ولست ادري
... من عشرات الكتب
... النظر . هذا من ناحية

كيف او يشرف على التعليم ، لا على النظريات العامة التي لا يمكن تطبيقها مباشرة في كل بيئة .فلو ان الاستاذ قد عدد لنا من ملاحظاته الخاصة او ضرب لنا الامثلة من مشاهداته ، لكان هذا القسم من الكتاب اكثر تشويقاً واعظم فائدة

وكان من ضرر التمشي مع كتاب ارشادات للمعلمين ان تناسى المؤلف او نسي نواحيَ هامة في المواضيع التي بحثها ، كانت جديرة بالدراسة والبحث ، بل انها جعلت الكثير من الطرق التي بحثها المؤلف بعيدة التطبيق على النظم المدرسية التي نسير عليها في الشرق العربي . فمثال ذلك انهُ قسَّم طريقة تدريس المادة الواحدة الى قسمين صفوف دنيا وصفوف عليا تمشياً مع النظام الانكليزي Senior and Junior مع انهُ كان من الاجدر ان تتمشى طرق التدريس اما مع نوع المدرسة (اولية او ابتدائية او ثانوية مثلاً) واما بحسب سن الاطفال

ونتيجة اخرى لذلك انهُ ترك في بحث تدريس اللغة العربية نقطاً لها شأن كبير جدًّا لم يتعرض لها تعرضاً ما ، مع انها موضع اختلاف المشتغلين بالتعليم في الوقت الحاضر ومثال ذلك انهُ لم يذكر متى وكيف يدرس التشكيل او ربط الحروف او قواعد اللغة وانواع الخط العربي وطرق المحادثة والأناشيد الخ . .

كما اننا نشاهد نتيجة الاعتماد على كتاب « ارشادات المعلمين » واضحاً كثيراً عند الكلام على تدريس التاريخ ، اذ المؤلف لم يجد امثلة لتوضيح نظرياته غير الامثلة الانجليزية فذكر اسماء الشوارع الانجليزية التي لها اساس تاريخي ولم يحاول ان يساير الفكرة فيذكر شيئاً من الامثلة المحلية فبدلاً من ذكر Wailing St. يذكر المبكى مثلاً ، وبدلاً من ذكر Grey Friars يذكر باب الخليل ، والاستاذ اعرف مني بذلك

كما انهُ في تدريس الحساب لم يذكر ولو تلميحاً طريقة منتسوري في تدريس الحساب (وهو لم يذكر هذه الطريقة في تدريس اللغة للاطفال) مع ان هذه الطريقة من انسب الطرق الحديثة لتدريس الصغار ، وهي منتشرة انتشاراً واسع المدى في جميع رياض الاطفال حتى تلك التي لا تسير على طريقة منتسوري ، وبعد كل ذلك اراني عاجزاً عن تقدير هذا الكتاب القيم ، الذي ولا شك اننا في كبير حاجة الى امثاله في اللغة العربية . وانني اهنىء الاستاذ الخالدي بمجهوداته المشكورة في سبيل تزويد المكتبة العربية من حين الى حين بمثل هذه المؤلفات الجديدة بكل تقدير واعجاب

القاهرة

احمد عطية الله

المخطوطات

[illegible] البنات تأليف مهدي احمد خليل

هو مجموعة [illegible] والحكايات الادبية مما يلذ مطالعته لمدارس البنات الابتدائية [illegible]

﴿ سعادة الاسرة ﴾ قصة ادبية تأليف الفيلسوف الروسي ليو تولستوي ترجمها الى العربية الاديب مختار الوكيل وهذه القصة جامعة ما بين الترجمة الشخصية والرغبة الفنية الى درجة ما وفيها تصوير لاحلامه وامانيه الزوجية . وقد كتبها قبل زواجه بثلاث سنوات فهي ذات صبغة خاصة تستحق عنايتنا لانها تتناول موضوعاً يشغل في الوقت الحاضر جميع الاذهان . وعنيت بنشرها المطبعة السلفية ومكتبتها

﴿ فن طبع الاصابع ﴾ تأليف عبد الجبار فهمي — وهو كتاب مفيد نافع لكل من ينتسب لاسرة القانون حاوياً كل ما يتعلق بهذا الفن من النظريات والتطبيقات فلا يستغني عنهُ كل من قام بعبء التحقيق كبيراً كان او صغيراً ، وادارة البوليس في حاجة ماسة اليهِ كما يحتاج اليهِ كبار المحامين واساطين القضاء ففيه تاريخ طبع الاصابع وشرح واف في فن طبعها . طبع بمطبعة النجاح في بغداد

﴿ القاتلة ﴾ رواية محزنة حيث يقضي الحبيب ضحية لغرامهِ وتنهض المرأة لتنتقم لحبها الضائع فتكون المعركة واذا بالحب يصيب قلبها من جديد

وتقع بين حبين وتتصارع بين عا[...] تمضي في طريقها اذ لا بد من الا[...] الاديب عبد المنعم حسن ونشره[...] في مجلدين وتطلب من مطبعة ال[...] ومكتبتها وثمنها ٤ غروش

مطبوعات جديدة

وراء الغمام
نظم الدكتور ابراهيم ناجي

ملوك الطوائف
تأليف دوزي — ترجمة كامل كيلاني

ديوان عبد المطلب

غاندي والحركة الهندية
لسلامه موسى

دراسة القانون
للاستاذين مصطفى رضا بك والدكتور محمود احمد الحفني

الحموضة والقلوية
للدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

حياة وحياة
للدكتور محمد كامل الصي

﴿ طريقة م[...] فرنسية لمصف[...] ومحررها الا[...] الخضر منس[...] بتعليم المب[...] الفرنسوية [...] سهل اخاذ [...] الحكايات الط[...] والمصطلحات [...] طلبة الكفا[...] (اضافي)

﴿ الذئاب [...] ترجمها الاد[...] حسن نشر[...] الاهرام . [...] يوسف في [...] من مطبعة [...] ومكتبتها و[...]

﴿ تقويم الاتحاد الفلكي ١٣٥٣ هـ ﴾ يشمل الاوقات الشرعية الاسلامية واحوال الكواكـ[...] ومواقيت الزراعة وغير ذلك الوفاق بيلقاس

باب الأخبار العلمية

علاج خطر للصداع

من العقاقير المستعملة في معالجة الصداع، عقار يدعى «بيراميدون Pyramidon» وهو يستعمل احياناً لازالة الالم بالتخدير في حالات عرق النسا والالتهاب المفصلي. والمرجّح الآن ان هذا العقار وما هو من قبيله يضرّ بنخاع العظم حيث تتولد بعض كريات الدم. وهذه حالة مرضية تعرف باسماء مختلفة في عالم الطب، وتبدأ عادة بحرارة والتهاب الحلق فيُظنّ ان البرد سببهما. ثم تظهر قرح على اللوزتين واللسان واللثة، وتنتشر انتشاراً سريعاً. ولعل اهمّ اعراضها نقص كبير في عدد كريات الدم البيض. ففي الملمتر المربّع من الدم نحو ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ كرية بيضاء فينقص هذا العدد الى الفين. اما عدد الكريات الحمر ومقدار الهيموغلوبين في الدم فيظلاّن على حالتهما السوية، ويلي ذلك ان المصاب بهذه الحالة يلقى حتفهُ في الغالب رغم العلاج

اكتشف هذا الداء سنة ١٩٢٢ اذ راقبهُ طائفة من الاطباء الالمان ولكن العلاقة بينهُ وبين البيراميدون لم تكشف الاَّ هذه السنة. فقد لاحظ الطبيبان ماديسن وسكويرز من اطباء مدينة ملووكي الاميركية، ان اعراض هذا الداء تشتدُّ بزيادة ما يتناول من البيراميدون وعقاقير اخرى تحتوي على مادة Barbiturate فدرسا ثلاث عشرة حالة من هذا القبيل توالت توالياً يدعو الى الاستغراب فوجدا ان جميع هؤلاء المصابين تناولوا احد هذه العقاقير، مدداً مختلفة الطول، قبل ظهور اعراض الداء عليهم. فحاولا حينئذٍ تجربة هذه العقاقير في غذاء الارانب فلم تلبث حتى ظهرت في احدها أهم اعراض هذا الداء وهو نقص عدد الكريّات البيض وظهر في ثلاثة ارانب اخرى تحوّل في نخاع العظم

وكان الدكتور كراك Kracke من جامعة اموري Emory قد اشار سنة ١٩٣١ الى امكان وجود علاقة بين العقاقير المستخرجة من قطران

في مقتطف يوليو القادم

الطب المصري القديم

القضاء الجنائي في السودان

الكهارب وعجائب افعالها

الدكتور رضا توفيق

آراؤه في الحكومة والحرية والفن والشعر

غريبة الماء الثقيل !

الفحم الحجري واحد الاشكال التي يظهر فيها هذا الداء . وقرر في سنة ١٩٣٢ ان ثمانية من تسعة مصابين به كانوا يتناولون عقاقير تحتوي على المواد الكيماوية القائمة في تركيبها على ما يعرف « بحلقة البنزين» . والبيراميدون احد هذه المواد

فاستعمال البيراميدون وحده او مختلطاً بعقاقير اخرى ، يجب ان يكون باشراف الطبيب ولا بدَّ لهذا ، من احصاء كريات الدم البيض في الجسم مراراً كل اسبوع لكي يتمكن من معرفة اثر هذا العقار في الدم ونخاع العظم

الذهب في ماء البحر

في ماء البحر ذهبٌ ، ولكن ما مقداره ؟ كان العلماء قد قدَّروا انَّ كلَّ طنٍ من ماء البحر يحتوي على قمحة من الذهب . فلما وضعت الحرب اوزارها ، وفرضت على المانيا تلك الغرامة الباهظة ، ظنَّ العالم الكيماوي فرتز هابر ، انهُ يستطيع ان يغنم لوطنهِ من ماء البحر قدراً من الذهب ، يساعدهُ في تسديد مال التعويض المفروض عليهِ. فجرَّب التجارب الكيمائية ووجد انهُ يستطيع ان يستخرج الذهب من ماء البحر اذا استعمل وسائل معيّنة للترسيب والتصفية والتكتيل . وكان العلماء من قبل قد حاولوا ذلك فآبوا بالخيبة ولكنهُ ظن انهُ قد يفلح حيث اخفقوا هم . فسافر في سفينة خاصة اعدَّ لهُ فيها معملٌ كيمائيٌ تامُّ الاجهزة ، وجعل في خلال سفرهِ يتناول نماذج من مياه البحار التي يجتازها ، ويحللها ليعلم مقدار ما فيها من الذهب فثبت لهُ ان تقدير العلماء مبالغ فيهِ وان الطن من ماء البحر لا يحتوي على اكثر من $\frac{٢٤}{١٠٠٠}$ من القمحة ذهباً ، فكتب بعد ذلك ما مؤداه انهُ يرجح استحالة استخراج الذهب من ماء البحر

تبغ خالٍ من النيكوتين

في انباء المانيا ان معهد فور شهَيْمر للبحث في التبغ بمدينة فرانكفورت قد توصَّل الى تأصيل اصناف جديدة من التبغ بعضها خالٍ من النيكوتين خلوًّا تامًّا وبعضها مقدار النيكوتين الذي فيهِ قليل. وقد شرع الدكتور بول كوينج مدير المعهد يوزّع فسائل التبغ الجديد على طائفة من الفلاحين لزرعهِ وجنيهِ

الطيارات وابادة الجراد

جاء من دربان في جنوب افريقية ان الحكومة تعد حملة جوية على الجراد ، فأعدت طائرتين تحمل احداها طنًّا من « زرنيخات الصوديوم» وسوف لا يهاجم الجراد وهو في الجو اذ يحتمل ان يعرقل آلات الطيارة ويسبب سقوطها ، بل سيفاجأ الجراد عند هجوعه وقت الفجر فتطير الطائرات على ارتفاع منخفض فوق حقول البنجر ثم ترش المادة السامة من مضخات فيها فوق المناطق التي حطت فيها اسراب الجراد وهذه المناطق تميز بواسطة رايات تنصب قبل العملية . ويلبس الطيارون كمامات واقية اثناء قيامهم بمهمتهم هذه . وفي الاستطاعة ان تعمل الطائرات عملها خلال الليل وفي هذه الحالة توقد مشاعل لارشادها الى مواقع الجراد . والمعتقد ان هذه الطريقة الجديدة ستقلب الطريقة المتبعة في جنوب افريقيا رأساً على عقب وهي استخدام المواد الملتهبة في ابادة الجراد

الاشعة المستحدثة وبناء الذرة

اقوى الاشعة التي تنطلق من المادة اشعة غمّا التي تنطلق من الراديوم والثوريوم. وطاقتها من رتبة ٢٥٠٠٠٠٠ ڤولط . ولكن العالمين الاميركيين لورنزن وكراين من معهد كاليفورنيا الذي يرأسهُ العلاّمة ملكن قد صنعا اشعة غمّا اقوى من اشعة غمّا الطبيعية التي تنطلق من العناصر المشعة لان طاقة الاشعة التي استحدثاها من رتبة ٣٥٠٠٠٠٠ ڤولط . وكان قد سبقهما الى عمل من هذا القبيل الاستاذ جوليو وقرينتهُ (وهي ابنة مدام كوري) والدكتور لورنس من اساتذة جامعة كاليفورنيا . فالاستاذ جوليو ومدامتهُ وجّها دقائق الفا المنطلقة من الراديوم بسرعة ١٢ الف ميل في الثانية الى المادة غير المشعة فأصبحت مشعة . اما لورنزن وكراين فوجّها نوى الايدروجين الثقيل (وتعرف في اميركا باسم دوتونات) الى الكربون والبورون والليثيوم او البريليوم . فخرج منها نوع من النتروجين يطلق اشعة غما . ولكن هذه المقدرة على الاشعاع المستحدث بوسائل صناعية لا يطول اكثر من عشر دقائق ثم يتحول النتروجين بعد عشر دقائق اخرى الى كربون . وقد يكون لهذه الاشعة المستحدثة — اشعة غما — فائدة في معالجة السرطان مع قصر حياتها ، لان طاقتها اقوى من طاقة اشعة غما الطبيعية . واهم من ذلك ان هذه الاشعة حملت العلماء على اقتراح آراء جديدة مؤداها ان بناء الذرّة قد يكون ابسط جداً مما يُظَنّ الآن

اشعة اكس والمواليد

في الاجتماع الذي عقدتهُ الجمعية الفلسفية الاميركية في اواسط ابريل تلا الدكتور جون غون Gowen احد علماء معهد ركفلر الطبي في برنستن ، رسالة بيّن فيها ان التجارب التي اجراها بتعريض الخلايا التناسلية في ذباب الفاكهة لاشعة اكس اسفرت عن زيادة المواليد الذكر في نسلها

مدير مرصد حلوان

قرأنا في مجلة نايتشر ان الدكتور محمد رضا مدوَر الفلكي المقيم بمرصد حلوان قد عين مديراً خلفاً لمستر كري . والدكتور مدور من علماء الفلك المتفوقين ، وهو عضوٌ في الجمعية الفلكية الملكية والمجمع المصري للثقافة العلمية . ونشر نبإِ تعيينهِ في مجلة نايتشر دليل على ما يتمتع بهِ من المقام في الدوائر العلمية الاجنبية

مجمع تقدم العلوم البريطاني

يلتئم مجمع تقدم العلوم البريطاني هذه السنة في مدينة ابردين باسكتلندا في الاسبوع الواقع بين ٥ سبتمبر و ١٢ منهُ ، برآسة السر جيمز جينز الفلكي الرياضي المعروف وصاحب المؤلفات العلمية الدقيقة والمبسّطة في الآراء الكونية الحديثة ومن اشهرها « الكون الذي حولنا » و« النجوم في مسالكها » و« الكون المحجّب بالاسرار» . وينتظر ان تدور خطبتهُ على نظريات علم الطبيعة الحديث

الجزء السادس من المجلد الرابع والثمانين

صفحة

تشخيص النسا [1]

وتعيين الجنس بالتفسرة [2] وجس النبض والطرائق الحيوية

للدكتور شوكت موفق الشطي

الاستاذ في المعهد الطبي العربي بدمشق

ان ما يتمتع به الذكر من الحقوق في الارث والملك وما له من الاثر في حماية المنزل واستمرار مؤدده ومجده ورفع شأنه جعل الحوامل وبعولتهن وذوي قرباهم يسارعون الى التكهن بجنس (شق) الجنين فدفع ذلك العلماء والعرافين [3] الى التنقيب عن وسائل تشخيص الحمل منذ العصور الغابرة فكثر عدد العرافين كان لهم في تاريخ هذا البحث شأن خطير . وكان عرافو المصريين لجأوا الى طريقة غريبة لتشخيص الحمل وتعيين الجنس وقد ظهرت رسالة حديثة تطرقت الى هذا الموضوع واثبتت ان قدماء المصريين كانوا يعرفون منذ اربعة آلاف سنة واسطة تساعد على التكهن بالحمل وجنسه

تستند هذه الطريقة الى تأثير بول الحوامل في القمح والشعير فكانوا يكلفون الحامل أن تروي ببولها يوميًّا كيسين في احدهما قمح وفي الثاني شعير فان نمت الحبوب دل ذلك على الحمل وان لم تنم استدل على عدم وقوعه واذا كان نمو القمح اكثر من نمو الشعير دل على ان الجنين ذكر وان وقع العكس كان الجنين انثى . ولعل القول الشائع في الديار الشامية حتى الآن الذي يسترشد به الى جودة الامر او نقيضه وولادة الصبي او البنت « اقمح ام شعير » هي من تراث ذلك العهد

درس ليوليوس منجر Liolios Manger وزوندك Zondek درجة تأثير بول الحوامل في نمو النبات وأخذا يقابلان بين النتائج التي حصلا عليها وما هو مذكور في اوراق البردي . وقد تمكن شولر Schoeller وغوبل Gobel ان يعجلا نمو العيصلان « نبات زنبقي » والبصل العادي والذرة بارواًئها بالرسول [4] الجرابي ثم كررا التجربة في نباتات اخرى فنجحت ولما كان بول الحوامل

---

(١) النسأ : مبدأ الحمل . نسئت المرأة تنسأ — بدأ حملها (المخصص) (٢) بول المريض يستدل به على حالته (٣) العراف : الذي يخبر عن الماضي والمستقبل (٤) رسول : ترجمة هرمون وهي كلمة اطلقت على افرازات داخلية ... ات اخرى ولها انواع كثيرة

January—June 1934

يناير الى يونيو سنة ١٩٣٤

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرُّوف والدكتور فارس نمر

المجلد الرابع والثمانون

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

Edited by : FUAD SARRUF

VOL. LXXXIIII

FOUNDED 1876 BY DRS Y. SARRUF & F. NIMR

فهرس المجلد الرابع والثمانين

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثاني من المجلد الخامس والثمانين

١ اكتوبر سنة ١٩٣٤ ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٥٣

مدام كوري

في خريف سنة ١٩٢٠ ذهب الى ولاية كولورادو الاميركية جيش من العمال وقصدوا الى منطقة
ة في جنوبها لينقبوا فيها عن تبرٍ معين . كانوا قد بحثوا في مختلف الولايات الاميركية عن هذا
النفيس ولم يظفروا بهِ لذلك اضطر زعيمهم الى الاكتفاء بنوع من الرمل يكثر في صحارى
رادو القاحلة يدعى كارنوتيت . فأخذ رجاله—وكانوا اكثر من ثلاثمائة — يشتغلون ليل نهار
ع اطنان منهُ ثم نقلوها في صحارٍ لا تخترقها طرقٌ ما ، مسافة ١٨ ميلاً الى اقرب مكان فيهِ ماء
 عنوا بتشييد معمل خاص لغسل هـذا الرمل وتنقيته . هنا عولجت خمسمائة طن منهُ معالجة
ئية حتى بقي منها مائة طن فقط . وما بقي سحن حتى صار مسحوقاً دقيقاً ثم وضع في اكياس نقلت
ة الحديد الى بلدة تدعى پلايسرڤِل . ثم شحنت الاكياس في مركبات شحن خاصة مسافة ٢٥٠٠
الى بلدة تدعى كانونزبرغ بولاية بنسلڤانيا في الشمال الشرقي المتوسط من الولايات المتحدة الاميركية
وفي كانونزبرغ عُهد الى مائتي رجل في تحويل هذه الاطنان من المسحوق الناعم الى بضع مئات
الارطال فقط مستعملين مقادير كبيرة من الماء في غسل المسحوق ثم معالجتهِ بمواد كيمائية
ناض لاستخراج كنز ثمين منهُ . لم يضيع الرجال ذرة واحدة منهُ على رغم تعدد عمليات الغلي
صفية والبلورة . وانقضت اشهر فاذا ما بقي من ٥٠٠ طن من رمل كولورادو مقدار يسير جداً
ل الى معامل البحث في شركة بتسبرغ الكيمائية بحراسة حرس خاص . هنا في المعامل الكيمائية
يت العمليات الاخيرة في استخراج بضع بلورات من ملح معين . فلما تم استخراجها كانت سنة

كاملة قد انقضت على جمع الرمل من صحاري كولورادو وانفق عشرون الف جنيه فكانت تلك البلورات اثمن مادة معروفة على سطح الارض — مائة الف ضعف اثمن من الذهب . ثم وضعت هذه في أنابيب صغيرة من الرصاص والانابيب حفظت في صندوق فولاذي كثيف الجدران مبطن بألواح كثيفة من الرصاص . ثم وضع الصندوق الفولاذي في صندوق آخر من خشب المغنة المصقول وهذا حفظ في خزنة متينة انتظاراً لقدوم زائر كريم من فرنسا

وفي ٢٠ مايو سنة ١٩٢٩ وقف رئيس الولايات المتحدة الاميركية في ردهة الاستقبال في البيت الأبيض يحفُّ بهِ سفير فرنسا ووزير بولونيا المفوض واعضاء وزارتهِ ورجال القضاء واكبر المشتغلين بالعلم ، ووقفت امامهُ سيدة نحيفة البنية وديعة المنظر مرتدية ثوباً اسود ثم خاطبها الرئيس فقال : «كان من حظك انك قمت بخدمة خالدة للانسانية . ولقد عهد اليَّ ان اقدم لك هذا القدر الضئيل من الراديوم . فنحن مدينون لك بمعرفتنا لهُ وملكنا اياه . لذلك نرفعهُ اليك واثقين انهُ وهو في حيازتك لا بدَّ ان يكون وسيلة لتوسيع نطاق العلم وتخفيف آلام الناس»

تلك السيدة كانت مدام كوري

﴿ نشأتها ﴾ وُلدت ماري كوري في بولونيا في ٧ نوفمبر سنة ١٨٦٧ وفقدت أمها وهي لا تزال في طفولتها . وكان والدها الاستاذ سكلودفسكا مدرساً للرياضيات والطبيعة في مدرسة فرسوفيا العالية . وكان يقضي مساء كل سبت امام مصباحهِ يقرأ آيات الادب البولوني نثراً وشعراً . فكانت ابنته ماري تحفظ فقرات طويلة منها وتعيدها امامهُ عن ظهر قلب ورآها العالم الروسي منديليف في حداثتها تخلط المواد الكيمائية في مختبر كيمائي لابن عمها في فرسوفيا فتنبأ لها بمستقبل علمي مجيد

كانت بولونيا في تلك الايام مقاطعة من روسيا وحكومة روسيا تفرض اعباء ثقيلة على الشعب البولوني المحكوم . فاستعمال اللغة البولونية كان محظوراً في الصحف والكنائس والمدارس . والبوليس السري الروسي كان ألحق بالناس من ظلهم لا تخفى عليهِ خافية مما يفعلون . فلما كانت ماري في حداثتها اجتمع بعض تلاميذ والدها وألفوا جمعية سرية غرضها قلب الحكومة وطرد المعتدين على وطنهم وكانوا يجتمعون كل ليلة ليدرسوا اللغة البولونية وليدرّسوها لجماعات من الطلاب فانتظمت ماري في احداها وتمادت فكتبت في احد الايام نشرة ثورية شديدة اللهجة

ولكن البوليس الروسي نمت اليهِ اخبار الشبان الثائرين فقبض على بعضهم. ونجت ماري من الشرك ولكنها اضطرت ان تغادر فرسوفيا لكي لا تشهد على اخوانها عند المحاكمة. فجاءت باريس في شتاء سنة ١٨٩١ وهي لا تزال في الرابعة والعشرين من عمرها . هنا استأجرت غرفة صغيرة في مكان حقير . فكان البرد يقرسها في الشتاء والحر يكاد يخنقها في الصيف . وكانت معيشتها شديدة البؤس لانها كانت مضطرة ان تحمل الماء والفحم الى غرفتها الكائنة على سطح المنزل فوق الدور الرابع . وكانت فقيرة لا تجرؤ ان تنفق اكثر من نصف فرنك في يومها . وكثيراً ما كان طعامها خبزاً ومسلاً

كسرة من الخبز وقطعة من الشوكولاته . ولكن هذه المصاعب لم تقعدها عن تحقيق
اجاءت باريس لتدرس في السوربون . ولكي تتمكن من تسديد اجور التعليم اضطرت
جاءت في معمل البحث في كلية العلوم وتعنى بنظافة الموقد
١٨٩٤ التقت ببيير كوري في دار احدى صديقاتها . وكان هو يشتغل حينئذ في معمل
مؤسس مدرسة البلدية للطبيعة والكيمياء بباريس ومديرها . وكان قد تخرّج من
النشأ يبحث مع اخيه جاك في موضوع « المكثفات الكهربائية » . فلما تعرف اليها
ان في ما يهمهما من موضوعات العلم . ثم انتقلا الى بعض الموضوعات الاجتماعية والادبية.
مبعث سرور خاص للفتاة البولونية الشريدة لانها وجدت على قولها : «اتفاقاً غريباً بين
رغم اختلاف وطنينا». اما بيير فدهش لما رآه في هذه الفتاة من توقد الذهن وسعة العلم
ا عن دهشته ردت عليه «ترى يا استاذ من اين اتيت بآرائك الغريبة في حدود عقل المرأة»
قد كتب لما كان في الثانية والعشرين : « النابغات بين النساء نادرات . اما المرأة
كاء فلا ريب في انها عائق كبير لعالم جادّ في عمله » . كتب ذلك في الثانية والعشرين.
في الخامسة والثلاثين ، واتصاله بالحياة قد غيّر آراءه . ولما تحولت معرفته بماري الى
انقلبت آراؤه في النساء رأساً على عقب . وكانت هي قد فتنت بما عرفته في العالم كوري
لشاعر والحالم علاوة على علمه الغزير . فلم تلبث حتى استأذنت الاستاذ شوتزنبرجر
ان تصبح مساعدة للمسيو كوري في معمله
اج العلمي ❊ تزوجا في يوليو سنة ١٨٩٥ ولم تكن مسألة فرش البيت مسألة خطيرة
ن لا تهمهما التقاليد المرعية . فاستأجرا ثلاث غرف تشرف على حديقة وابتاعا قليلاً من
ء الحاجات الضرورية . وفي ذلك الاثناء عين بيير كوري استاذاً للطبيعيات في مدرسة
ورة وكان مرتبه ستة آلاف فرنك في السنة فتمكنت زوجه من مواصلة دروسها . ولكن
سمح لهما بشيء من الكماليات الا دراجتين ابتاعاها لقضاء رحلاتهما الاسبوعية الى الريف
اخر سنة ١٨٩٥ — اي بعيد زواج بيير وماري — كشف الاستاذ وليم كونراد رنتجن
لاشعة السينية. ولم تكد تصل انباء هذه الاشعة الغريبة التي تخترق الاجسام الصلدة وتبين
، الى دوائر العالم العلمي حتى حدثت حادثة غريبة اتفاقاً في غرفة مظلمة بمعمل الاستاذ هنري
ل . لم تكن من الحوادث التي تعنى بها الصحف وتنشرها بأحرف عريضة في صفحاتها
دث القتل وفضائح الغرام ، مع ان اثرها كان اثراً عالمياً عظيماً لان سلسلة من الحوادث
يرة جاءت في اثرها وتوّجت اخيراً بانتصار مدام كوري الباهر في كشف عنصرا الراديوم
ا فاصلاً في تاريخ العلم ، انتهى عنده عصر وبدأ عصر جديد
ن معروفاً ان المواد الفصفورية بعد تعرضها لنور الشمس تتألق في الظلام . وكان بكرل

يحاول ان يعرف هل هذه الاجسام تطلق اشعة كالاشعة التي كشفها رنتجن . فوضع اتفاقاً قطعة من الاورانيوم على لوح فوتغرافي حساس كان ملقى على مائدة في غرفته المظلمة . فلما رفع اللوح في يده في اليوم التالي لاحظ انهُ كان قد تأثر تأثراً خاصًّا حيث كان الحجر ملقى عليهِ . فلم يفهم لذلك علة وظن ان احدهم لعب لعبة عليه . فحاول ان يعيد التجربة ليرى هل يحصل على النتيجة نفسها فأعادها مستعملاً صخوراً مختلفة تحتوي على الاورانيوم وفي كل مرة كان يجد البقعة على اللوح حيث يضع الحجر . فحلل الصخور ووجد ان فعلها في اللوح الفتوغرافي سببهُ عنصر الاورانيوم الذي فيها

فصرح بكرل ان عنصر الاورانيوم كان وحده سبب الفعل الغريب الذي يقع في اللوح الفوتوغرافي . ولكنه لم يلذ بتصريحه هذا طويلاً . لانهُ جرب البتشبلند وهو اهم الصخور التي تحتوي على الاورانيوم — معدن يستخرج من شمال بوهيميا — فوجد فعله في اللوح الفتوغرافي اقوى جدًّا مما كان منتظراً من الاورانيوم مهما يعظم قدرهُ في هـذا الصخر . فاستنتج من ذلك استنتاجاً بسيطاً وهو ان عنصراً آخر يستطيع ان يؤثر في الالواح الفوتغرافية اضعاف تأثير الاورانيوم

وكان بكرل يعرف ماري كوري وقد راقبها تعمل في المعمل ولاحظ رشاقتها وخفتها في تناول الادوات الكيمائية واستنباط الحيل لمعالجة مشكلة تجدُّ في خلال البحث وكان معجباً بصفاتها الممتازة كعالمة مجرّبة فأفضى اليها باستنتاجه الثاني وعهد اليها في البحث عن هذا العنصر المجهول. فأخبرت زوجها بما حدث والفرح يستخفها ففتن بحماستها . وكان هو يبحث في البلورات وهي في صفات المعادن المغنطيسية . فتركا بحثيهما الخاصين ليشتركا في مغامرة فكرية شاقة ولكنها اخّاذة ، وهي البحث عن العنصر المجهول في البتشبلند

ولم يكونا على شيء من الثروة للقيام بنفقات البحث فاقترضا مبلغاً من المال لذلك . ولم يكونا يدريان اين يبدآن البحث ولا كيف يواصلانه والى اين يتجهان فيه . فكتبا الى حكومة النمسا فردت عليهما باستعدادها لمعاونتهما وارسلت اليهما طنًّا من البتشبلند من مناجم جوا كيمستال ، فلما وصل البتشبلند الى باريس اخذا يشتغلان بلا انقطاع ، يغليان هذا الطن من التراب بعد سحنهِ وينقيانهِ لكي يستخلصا منهُ المادة الثمينة . وكثيراً ما كانت ماري تقف ساعات متوالية تحرك المزيج وهو يغلي على النار بعصا حديدية تكاد تماثلها وزناً

وقد وصفت مدام كوري معيشتها حينئذ فقالت : «كنا في انصرافنا الى بحثنا كأننا في حلم» ولما اقبل شتاء سنة ١٨٩٦ كانا لايزالان يعالجان بحثهما في معمل خشبي يشبهُ طنب البدوي «تخفق فيهِ الارواح» . كان البرد والفاقة والاعياء والحمل قد انهكت جسم مدام كوري فأصيبت بالتهاب الرئة ولزمت فراشها ثلاثة اشهر قبلما استطاعت ان تستأنف بحثها العلمي . وكان التعب قد حطّ من قوة زوجها كذلك فكان يعود الى بيتهِ معيىً في كل مساءٍ ولكنهما لم يتوقفا عن العمل فكأنما كانا مدفوعين اليهِ بإرادة خفية

تمبر من سنة ١٨٩٦ ولدت مدام كوري فتاة[1]، ولكنها كانت وهي ملازمة سريرها على
ائمة التفكير بعملها العلمي الذي ملك عليها قلبها وعقلها . وبعد الولادة باسبوع واحد
بيتها الى معملها واستأنفت البحث هناك . ولكن ما السبيل الى العناية بالطفلة ومتابعة
ي من جهة اخرى ؟ واتفق حينئذٍ ان والدة زوجها توفيت فدعوا والده وهو طبيب
، للسكن معهما وعُهد اليهِ في العناية بالطفلة

الاغلاء والتصفية والتنقية التي دامت اكثر من سنة تحوّل طن البتشبلند الى نحو مائة
دة غريبة ثم تلا ذلك سنة اخرى من العمل المتواصل مرضت في اثنائها ماري ثانية واخذ
رق الى نفس زوجها ، ولكنها كانت مقدامة صلبة العود فلم تلن للمصائب . وقد وصفت
ك السنتين بقولها الشعري : « في ذلك المعمل البائس قضيت اسعد ايام حياتي »

اديوم — اخيراً استخرجا من طن البتشبلند قدراً ضئيلاً جداً من املاح البزموت
فيها مادة فعالة جداً تفوق فعل الاورانيوم ثلاثمائة ضعف . واستفردت منها مدام كوري
الشكل وبعد ما امتحنتها بكل وسائل الامتحان الممكنة اعلنت في يوليو سنة ١٨٩٨
، عن عنصر جديد دعتهُ « بولونيوم » نسبة الى بلادها . واختلف العلماء اولاً في صحة
ثم ثبتت صحتهُ ثبوتاً لا ريب فيهِ

ن مدام كوري وزوجها لم يقتنعا بفخر الكشف عن عنصر جديد . وظلاَّ يواصلان البحث
ن حتى استخرجا قدراً ضئيلاً من مادة ثبت انها افعل جداً حتى من عنصر البولونيوم
هذه الدرجة من البحث كان محتوماً عليهما ان يشددا العناية بكل ذرة من ذرات هذه المادة
خلصاها بجهد يكاد يكون من فوق طاقة البشر فكانت ماري تمتحن كل قطرة ماء تخرج
ح وكل ذرة تعلق بهِ

، المعمل الذي يشتغلان فيهِ غرفة لتشريح جثث الموتى من قبل . فكانا اذا دخلاه ليلاً
عليهما رعبٌ لغرابة ما يشاهدان . وذلك انهما بدلاً من ان يشاهدا ارواح الجثث المشرحة
فضائه كانا يشاهدان الانابيب المحتوية على هذه المواد تشع في الظلام كأنما بسحر ساحر . فعلما
انهما على قاب قوسين من تحقيق غرضهما او أدنى . واخيراً استخلصت مدام كوري من
دة بضع بلورات فكانت أول انسان التي بصره على املاح الراديوم واثبتت انهُ عنصر جديد
، عليهِ اسم «الراديوم» اي « المشع » فكان كشفهُ منشأً لانقلابات من اعظم الانقلابات التي
ي ميدان الكيمياء والطبيعيات

ين الاستاذ كوري استاذاً في السوربون وعهد الى زوجتهِ بالمحاضرات العلمية في مدرسة

---

[1] ي ايرين المعروفة الآن في ميدان العلوم باسم مدام كوري جوليو وقد كان لها اكبر اثر في الكشف عن النوترون
نقالة الاولى في مقتطف يوليو ١٩٣٤ او فصل « لبنات الكون » في كتابنا : فتوحات العلم الحديث : صفحة ١٤٤)

المعلمات العليا في بلدة سيفر على مقربة من باريس : فكانت تعلم وتدرس وتبحث في معملها وتعنى بابنتها . ولكي تنال منصباً عالياً في ميدان التعليم كان لا بدّ لها من ان تنال لقب «دكتورة في العلوم» فأعدت رسالتها وقدمتها باسطة فيها جميع مباحثها في موضوع الاشعاع فدهش العلماء الكبار الذي عينوا لفحص هذه الرسالة لما وجدوا فيها من الحقائق الجديدة والمباحث الطريفة ، ولما وقفت امامهم للاجابة عن اسئلتهم كانوا بمثابة اطفال امام معلمهم لا يدرون اي أسئلة يوجهون اليها. وقرروا ان هذه الرسالة اعظم بحث علمي قدم لنيل « دكتوراه العلم » في تاريخ جامعة باريس

وذاعت الانباء ! انباء عنصر جديد تكشف عنهُ سيدة . املاحهُ تتألق وتضيء في الظلام كمصابيح كهربائية صغيرة . وتنطلق منهُ مقادير دقيقة من الحرارة انطلاقاً دائماً . ان حرارة طن من هذا العنصر كافية لاغلاء الف طن من الماء مدة سنة كاملة . ثم ان هذا العنصر اقوى سم معروف يفعل عن بعدٍ فاذا وضع انبوب يحتوي ذرة منهُ بحجم رأس الدبوس على ظهر فأرة إصيبت بالشلل في ثلاث ساعات . واذا وضع قرب الجلد قرّحهُ . بل ان اصابع الاستاذ كوري نفسه كادت تشلّ من لمسهِ . وذاع ان بكرل قال يوماً لمدام كوري « أحب الراديوم ولكني محنق عليهِ » ذلك أنهُ اصيب بحرق مؤلم في صدره بعد حمله انبوباً فيهِ ذرة من ملح الراديوم في جيب صدرتهِ . بهذا العنصر كانت المكروبات تقتل والنوامي السرطانية السطحية تشفى وحجارة الماس تلوّن والهواء المحيط بهِ يكهرب حتى يصبح موصلاً جيداً للكهربائية

﴿ نصر وجيمة ﴾ وبين ليلة وضحاها ذاع اسم الاستاذ كوري وقرينتهُ . فأخذ السيّاح يتوافدون الى دارهما ومصورو الصحف ومخبروها يغزون حياتهما الخاصة بالاسئلة والصور والرسائل والبرقيات وجعلت الدعوات تنهال عليهما . فدعاهما لورد كلفن ليأتيا الى لندن ليتسلما مدالية دايفي من الجمعية الملكية فكانت هذه المدالية اول اوسمة الشرف الكثيرة التي رفضها الاستاذ كورى . ويقال أنهُ لما عرض عليه وسام اللجيون دونور رفضهُ قائلاً اني افضل ان اوهب معملاً على ان امنح اوسمة. وفي سنة ١٩٠٣ وهبت لهما جائزة نوبل الطبيعية بالاشتراك مع الاستاذ بكرل فأنفقا المال في توفية الدين الذي استداناه للشروع في عملهما وللاتفاق على مواصلة البحث . وقد كان بامكانهما ان يستغلا مكتشفاتهما استغلالاً تجاريًّا ولكن الثروة لم تكن الغرض الذي يتطلعان اليهِ . فبحثهما كان بحثاً علميًّا للعلم وحده وغرضهما انما كان خدمة الانسانية . وكل ذرة كانا يستخرجانها من املاح الراديوم كانا يقدمانها للمستشفيات ودور البحث بلا مقابل

فطفح كأس مدام كوري عندئذ غبطة وهناءة . ها هو ذا زوجها يفقد قليل من كآبته واحوالهما المعاشية اسهل من قبل وها طفلة ثانية تولد لهما فينعمان بحبها وتربيتها

ولكن مخبراً نقر على باب مدام كوري في مساء ١٩ ابريل سنة ١٩٠٦ واخبرها ان الاستاذ كوري كان قبل بضع دقائق يتكلم مع الاستاذ پران فلما غادر كلية العلوم حاولاً ان يجتاز الشارع

متوكاً على هذه المادة وعلى رسول النمو المتولد في فص الغدة النخامية الامامي فلا غرابة في انباته الحب واغاثه . كور ليوليوس طريقة المصريين القديمة فنجحت في تشخيص الجنس ولم تفد في اظهار الحمل لان البول يعيق نمو النبات ممدداً كان او صافياً ولعل سبب خيبة تجربته استعمال حبوب القمح العادي لا النوع الفارسي المذكور في اوراق البردي

وجاء في قانون ابن سينا ان بول الحوامل صاف وربما كان على لون ماء الحمص وماء الاكارع اصفر فيه زرقة وعلى رأسه ضباب وفي وسطه كقطن منفوش وكثيراً ما يكون مثل الحب ينزل ويصعد فان كانت الزرقة شديدة الظهور فهو اول الحمل وان كان بدلها حمرة فهو آخره وخصوصاً اذا كان تكدر بالتحريك . وجاء في كتاب شفاء الاسقام ودواء الآلام لنور الدين الشهيد ان ابوال الحبالى صافية لاحتباس ما يغلظ البول ويكدره عليها ضباب في رأسها لطيف يطلب الاعالي من المائية يقف هناك

وذكر اطباء العرب عن نبض الحوامل انهُ عظيم وسريع ومتواتر بسبب مشاركة الولد لأمه وكانوا يستطيعون تشخيص الحمل بجس النبض . ولا تزال هذه الفكرة سائدة في الاذهان حتى يومنا هذا وكثيراً ما تسأل النساء الاطباء ان يجسوا نبضهنَّ وينبئوهنَّ عن كونهنَّ حوامل وعن نوع الحمل

سعى العلماء لمعرفة الجنس فزعم ابقراط ان مدة اقامة الصبي في الرحم اقل من زمن اقامة الانثى ونقل ارسطاطاليس وجالينوس آراء وذكر اطباء العرب المجوسي والرازي وابن سينا ان المرأة اذا كانت حاملاً بذكر تبكر معها حركات الجنين واذا كان الحمل انثى تأخرت الحركات

قال الرازي الحبلى بذكر ابسط واصح نوماً وشهوة واسكن اعراضاً تحس بالثقلة في الجهة اليمنى ويعظم الثدي الايمن اولاً وتحمر حلمته ويكون اللبن غليظاً ابيض وتحرك الرجل اليمنى اذا مشت وتعتمد على اليد اليمنى اذا قامت وتكون عينها اليمنى اخف واسرع حركة والذكر يتحرك بعد ثلاثة اشهر والانثى بعد اربعة اشهر

وذكر غيره من اطباء العرب ان مما يدل على ذكورة الحمل كون النبض متوتراً قوياً والهضم سهلاً ووجود خط احمر او اسود على الخط المتوسط للبطن وقالوا ان فحص البول قد يرشد الى معرفة جنس الحمل فجاء في كتاب شفاء الاسقام « ان طفا على البول غمامة تغطي جميع وجه الماء دل على ان الولد ذكر وان كانت الغمامة في جانبه فالولد انثى وان كانت كالحبات فليست المرأة حبلى بل كان ذلك دليلاً على الرياح »

***

ليس من الحكمة بعد ان اوردنا ما تقدم عن طريقة المصريين وما عرفه اطباء العرب ان نتهم القدماء بالغفلة لذكرهم اساطير كهذه ولا ان ننبذها قبل ان نبحث عنها بحثاً دقيقاً لان اكثرها وليد اختبارات جمة ومشاهدات عديدة . واكبر دليل على ذلك ما اثبته العلم في الوقت الحاضر وهو

مدمتهُ عربة فوقع في عرض الشارع فرَّت عجلات عربةُ نقل ثقيلة كانت قادمة من الجه
ى رأسهِ فمات في الحال
ت ماري الى القصة ولم تذرف دمعاً ولم تولول ولم ترفع يديها الى السماء . بل جعلت تردد
لم « بيير مات بيير مات » .وكادت الصدمة التي اصابتها بموتهِ تقوى عليها . فانها ظلت مدة
ان تجمع قواها لمواصلة عملها . ولكن بعد انقضاء بضعة اسابيع قويت على حزنها وعادت
ا كثر صمتاً وهدوءًا من قبل
ئذٍ تصرفت فرنسا ذلك التصرف النبيل الذي اشتهرت بهِ في الملمّات. ذلك انها دعت ماري
مل كرسي استاذ الطبيعيات في السوربون الذي خلا بموت زوجها. وكانت هذه الدعوة مغايرة
التقاليد . لم يعلم ان امرأة قبلها تقلّدت منصب استاذ في السوربون فلما تمَّ تعيينها واُعلن
على كثير القال والقيل وجعل بعض الاساتذة يهمسون في آذان اصفيائهم مستنكرين خطأً
اخذ بعضهم يشيع بأن الفضل في نجاحها في كشف عنصري البولونيوم والراديوم عائد
لما تحت مراقبة زوجها . قالوا : « انتظروا بضع سنوات لتعرفوا حقيقتها فتجدوا انها قد
منبر العلم مرور شبح لا يترك اثراً »
اري تقوم بالعمل ثم شاع انها ستلقي محاضرتها الأولى في السوربون . فهرع الى باريس
الذين يشغلون اكبر المناصب العلمية والتعليمية في البلاد — اعضاء الاكاديميات وأساتيذ
لوم وكبار رجال السياسة ونبيلات السيدات . رئيس جمهورية فرنسا كان هناك يصحبهُ
لوس ملك البرتغال وزوجةُ الملكة اميليا . ولما قرعت الساعة الثالثة. دخلت من باب جانبي
بلة مرتدية ثوباً اسود . . . . واذا الردهة تدوي بالتصفيق . وكأن ذلك أزعجها فرفعت
ة مرتجفة تطلب السكون . فخمدت العاصفة حتى لكدت تسمع رنة إبرةٍ تقع على الارض
أت محاضرتها بصوت خافت واضح . ففتن سامعوها بقولها . لم تُشرْ بكلمة واحدة الى
ل . هي استأنفت موضوع البحث في عنصر البولونيوم حيث تركه زوجها . فلما ختمت
دوت الردهة ثانية بعاصفة من التصفيق . ولكن بعض المشككين ظلوا يشككون بمقدرة
ملء منصب استاذ بالسوربون ! سمعت هي بذلك ولكنها ظلت صامتة كأبي الهول
انَّ عنصر الراديوم لم يكن قد استفرد بعد . ولم تحضَّر منهُ الاَّ املاحهُ . فأكبَّت مدام
على تحقيق هذا الغرض الصعب لندرة الاملاح التي يمكن تجربة التجارب بها . فجربت طرقاً
فصل العنصر من املاحه، على غير جدوى. وكأن ماري لم تكن تعيش حينئذٍ الاَّ في معملها،
الى المسرح ولا الى الاوبرا . ورفضت ان تلبي الدعوات الاجتماعية التي وجهت اليها . وأخيراً
١٩ امرَّت تياراً كهربائيًّا في كلوريد الراديوم المصهور . فلاحظت تغييراً يحدث عند القطب
(المهبط) حيث رأت ملغماً يتكوَّن . فجمعت هذا الملغم وأحمته في انبوب من السلكا مع

تتروجين تحت ضغط مخفف . فبخر الزئبق الذي في الملغم تاركاً وراءه كريات بيضاً لامعة لم تلبث حتى اكمدّت في الهواء . تلك كانت كريات الراديوم النقي

فكان عملها هذا في استفراد الراديوم النقي وتعيين وزنه الذري تاجاً لجميع مباحثها السابقة . هذا بحث علمي دقيق قامت بهِ المرأة — ماري كوري — بعد وفاة زوجها . ايرتاب المرتابون بعد هذا ؟ فلتخرس الالسنة الطويلة ! ومنحت مدام كوري جائزة نوبل للكيمياء اعترافاً بعملها هذا فكانت العالم الوحيد الذي فاز بشرف جائزتين من جوائز نوبل

وأقنعها بعضهم بتقديم اسمها للعضوية في اكاذيمية العلوم . ولكن مانع الجنس حال دون انضمامها لهذه الجماعة الممتازة من ابناء العلم . لم يعرف من قبل ان امرأة انتخبت عضواً في اكاديمية العلوم فلماذا التنكب عن هذه الطريق ؟ انت ترى مظاهر الحماسة والانفعال في الجدال المحتدم بادية على اكثر العلماء رزانة ووقاراً ! واخذت الاصوات في ٢٣ يناير ١٩١١ فاخفقت مدام كوري بصوتين. وحتى وفاتها لم تكفّر الاكاديمية عن تعصبها هذا !

ولما نشبت الحرب وأصبحت جيوش الالمان على أبواب باريس ، عمدت مدام كوري الى الانبوب الذي يحتوي على ما عندها من الراديوم واسرعت بهِ الى بوردو خشية ان يقع في أيديهم . فلما وضعتهُ في بوردو في حرز حريز ، عادت الى باريس لايقلقها فيها خطر الغزاة على أبوابها ولا طياراتهم في فضائها. واكبّت على جمع ما تستطيع جمعهُ من آلات المعالجة بالراديوم والاشعة ، واستنفرت بنات باريس للتمرّن على استعمال هذه الآلات في معالجة الجرحى ، فلبّت نداءها مائة وخمسون فتاة ، كانت بينهن ابنتها ايرين Irene وهي في السابعة عشرة من عمرها ، فأقامت شهرين تخطب فيهنّ وتعلمهنّ استعمال هذه الآلات ، ثم تعلمت هي قيادة السيارة وجعلت تنقل هذه الآلات الى مستشفيات الجيش وتقيمها فيها . وتقدمت ابنتها الى صفوف النار بل الى منطقة ايبرس حيث كان غاز الكلورين السام يفتك بالجنود فتكاً . فلما ارتدّ الجيش الالماني ، عادت مدام كوري مطمئنةً الى بوردو واخرجت أنبوبها الثمين من مخبئهِ الامين وعادت بهِ الى باريس . وما كادت تنتهي السنة الاولى من الحرب الكبرى حتى كان قد تمّ في باريس انشاء معهد الراديوم وجعلت مدام كوري مديرة لهُ ، وانصرفت بعدها الى البحث والعلاج . ولكنها كانت تحب الحرية وتمقت الحرب فقالت لما عقد الصلح : « غمرني الصلح بموجة من الغبطة نتيجة للنصر الذي احرزناه بعد بذل عظيم . وقد عشت لارى بلادي ينتصف لها من قرن حافل بالجور والتفرقة » . ولما سئلت في سنة ١٩٢٠ عما تتمنى قالت فوراً : « غرام من الراديوم اتصرف فيهِ كما اشاء » . ذلك ان هذه المرأة التي منحت العلم والانسانية عنصر الراديوم بكشفها عنه كانت لا تملك شيئاً منهُ ، مع ان مائة وخمسين غراماً منهُ كانت موزعة في مختلف المستشفيات ومعامل البحث . فكان قولها هذا باعثاً على سخاء الاميركيات في تقديم الغرام الذي ذكرناه في مطلع المقال

الى القارئ العزيز والمواطن الـكريم

نحن واثقون

تمام الثقــــة

من إقناعكم ونيل رضاكم

فان أسعارنا هى بلا نزاع أرخص من أسعار أى مكتبة أخرى لا سيما بعـد التعديلات الهامة التى أجزيناها أ . ً على القائمة مراعاة للحالة الحاضرة .

هذه القائمة الغزيرة المادة والـكبيرة الحجم تغنيك مراجعة أى قائمة أخرى فقد جمعنا فيها الـكثير من الـ النفيسة العصرية التى صدرت فى خلال المدة الأخيرة

فضلا عن ذلك فاننا نمنح امتيازاً خاصاً بارسال الطا خالصة أجرة البريد لزبائننا الـكرام المقيمين فى البلدار المنتظمة فى اتحاد البريد الدولى العـام أو احتمال نه مصاريف الارسال للبلاد الأخرى الخارجة عن هذا الا

ومكتبتنا هى الوحيدة فى الشرق التى قامت بهـذه التضحية الفريدة رغبة منها فى توثيق عرى الاتصال بزبائنها الـكرام فى الأقطار العربية وغيرها ؟

تمخضت الفأرة

فولدت جبلاً

بقلم ميخائيل نعيمه

في سنة ١٦٢٦ لميلاد القائل « مجاناً أخذتم، مجاناً أعطوا » جلس الفلس على عرشه ونادى أعوانه ثم خطب فيهم هكذا :

« منذ سلمني النـاس مقاليدهم وانا أدأب النهار والليل في سبيل اسعادهم . واجترح العجيبة بعد العجيبة لانقذهم من بؤسهم وشقائهم

« سمعتهم يشكون تبلبل ألسنتهم . فابتدعت لهم لساناً واحداً . وذلك اللسان أنا . أنا هو الحرف والمقطع والكلمة . وحيثما اجتمع اثنان باسمي تفاهما في الحال وان يكن الواحد لا يفقه حرفاً من لغة الآخر . تلك هي العجيبة الاولى

« ورأيتهم تتناتشهم ارباب كثيرة . فخلقت لهم ربًّا واحداً . وذلك الرب أنا . أنا هو الوزن والميزان والدين والديَّان ، وأنا يعبدني النـاس بقلوبهم وبكل افكارهم وكل نياتهم . اما اربابهم الآخرون فيعبدونهم بشفاههم لا غير . تلك هي العجيبة الثانية

« ووجدتهم يسلكون الى السعادة شتى المسالك . ويطرقون شتى الابواب . فهديتهم الى مسلك واحد هو أنا . والى باب واحد هو أنا . أنا هو الطريق والمحجَّة . أنا هو المدخل والمخرج . تلك هي العجيبة الثالثة

« وساكنتُ النـاس وآكلتهم وشاربتهم فوجدت سلطانهم لا يساكن راعي اغنامهم . وابن اميرتهم لا يؤاكل ابن جاريتهم . وقسهم لا يشارب زانيتهم . وسمعتهم يتبرمون بذلك ويطلبون المساواة . فوضعت على اعناقهم نيراً واحداً ، وذلك النير أنا . أنا هو النير والمحراث والحارث . تحت نيري يمشي السلطان بجانب الراعي . وابن الاميرة بجانب ابن الجارية . والقس بجانب الزانية . تلك هي العجيبة الرابعة

« ودخلت قلوب الناس فألفيتها مرصوفة بالشهوات ولا رصف الحَبِّ في الرمانة . والفيت الناس قد قسموا شهواتهم الى صالحة وطالحة . فأطلقوا الحرية للاولى وأقاموا على الثانية الحراس

هذا المقال فصل من كتاب « جبران خليل جبران — حياته ، موته ، ادبه ، فنه » الذي وضعه ميخائيل نعيمه وينتظر صدوره قريباً

والحجّاب وظلت قلوبهم تصرخ اليّ باسم الحرية . اذ ذاك جعلت لكل شهوة ثمناً . وجعلت
الشهوة الطالحة أضعاف ثمن الصالحة . فاختلط حابل الناس بنابلهم . وهكذا حرّرت قلوبهم ،
قلوبهم . وتلك هي العجيبة الخامسة

« ومشيت في الأرض فوجدت ان الناس قد تقاسموها بالفتر والقيراط . واقاموا لقس
حدوداً . واقاموا السيف حارساً لحدودهم . فلا يتعدى جارٌ حدود جاره . ولا تعبر جنود
تخوم مملكة اخرى الاّ بقصد الغزو . فأقمت للناس عبّارة تصل الحدود بالحدود وتهزأ بالسـ
والجنود . وتلك العبّارة أنا . أنا هو العابر والعبّارة . أمرُّ حيث السيف لا يجسر ان يلمع .
حيث الجيوش ترتد من وجه المدفع . تلك هي العجيبة السادسة

« اما العجيبة العجيبة فهي اني قد مزجت الناس في بوتقة واحدة . فجعلتهم جنساً وا
وكانوا اجناساً . وامة واحدة وكانوا أمماً . بل قد جعلتهم لحماً واحداً وعظماً واحداً ودماً وا
لاني جعلت طعامهم واحداً وشرابهم واحداً وكذلك كساءهم ومأواهم

« انا هو الطعام والشراب والكساء والمأوى . ومثلما يشرب الناس قطرة من الماء جاهلين
بشربها يشربون كل اصناف التراب والمعادن والنبات والحيوان والاقذار التي مرّت بها .
يقبضون الفلس ويبتاعون بهِ طعاماً وشراباً وكساءً ومأوى وهم لا يعلمون ماذا يأكلون ويش
ويلبسون والى أين يأوون . اليكم هذا المثل :

« في الليلة البارحة باعت امرأة اشواق قلبها التائه واهتزازات دمها المحموم بكمية من الفا
والمرأة تلك تدعى في قاموس الناس بغيًّا ، وفي شرعهم آفة ، وفي ناموس شرفهم قاذورة يت
الشرفاء والاتقياء . وفي هـذا الصباح انطلقت المرأة الى الكنيسة فابتاعت ببعض فلوسها
للكنيسة وقدّمت البعض تزكية الى الكاهن . اما البخور فأحرقه الكاهن تسبيحاً لربه
التزكية فابتاع بها لحم ضأن واكل منهُ واطعم عياله . او تحسبون ان ذلك الكاهن ، عند ما
البخور لربه ، احرق نزيز جرح في قلب شجرة عطرة ؟ الحق اقول لكم انهُ لم يحرق لربه سو
جرح في قلب بغيّ . أم تظنون انهُ اكل وعياله لحم ضأن ؟ الحق اقول لكم انهُ لم يأكل
سوى لحم بغيّ ولم يشرب سوى دم بغيّ . واي الامرين اصعب : ان يؤاكل الكاهن البغيّ ويـ
ام ان يأكلها ويشربها فيصبح الاثنان لحماً واحداً ودماً واحداً ؟

« اليكم مثلاً آخر : أمس دخل لص على ارملة عجوز كان قد سمع انها تحمل في عنقها كيـ
الفلوس . فارداها بطعنة مدية وانتشل الكيس من عنقها مغموساً بدمها . وراح ليلته فقامر
وخسره . والذي ربحه منه ابتاع بهِ ثوباً من عند تاجر . والتاجر دفعه ضريبة للخزينة . وا
دفعته راتباً للقاضي . والقاضي حكم على اللص بالشنق . أو تحسبون القاضي اكثر براءة من ا
الحق اقول لكم انه لص مثله . اللص اراق دماً بريئاً . اما القاضي فشربه

« اجل . لقد مزجت الناس في بوتقة واحدة فجعلتهم انساناً واحداً من حيث لايدرون . وقد جترحت في سبيل إسعادهم سبع عجائب كبار ما عدا الصغار . وهم ، مع ذلك ، ما يزالون بؤساء شقياء واصواتهم ما تزال تصرخ اليّ — اعطنا السعادة اعطنا السعادة ! فها انا عازم ان آتيهم معجيبة جديدة

« لقد بنيت لهم في سالف الاحقاب مدناً كثيرة . اما الآن فبخاطري ان ابني لهم مدينة فوق كل ما بنيت . وسأعطي هذه المدينة آذاناً تسمع بها كل لغات الناس . وعيوناً تبصر بها كل شكالهم واجناسهم . وسأجعل احشاءها اوسع من احشاء الجو . تسوق لها اليابسة خير خيراتها لا تشبع . وتحمل اليها البحار انفس انفاسها فلا ترتوي . وسيكون فيها لكل شهوة مأوى . لكل فكر مجال . ولكل خيال مسرح . فيمشي فيها الله الناس وشيطانهم جنباً الى جنب . وتنبت غراس فردوسهم في مجامر جحيمهم . ويجاور المعبد الخمارةَ وبيت الدعارة . ويتعانق المتحف المقصف . وتتكىء المدرسة والسجن على بساط واحد

وسأحقن سكان هذه المدينة بمصل جديد . هو مصل الحركة الدائمة . فيَصِلون النهار بالليل لا يهدأون . وهكذا يكون لهم في كل ساعة مايتلهون به عن التفكير في بواعث الحزن والالم سيكونون لي أطوع من بناني وألصق بي من ظلي . يكفرون بأربابهم اما بي فلا يكفرون . ويهربون ن ارواحهم اما مني فلا يهربون . بل اليَّ في كل امر يفزعون . اذا حمّلتهم من نفسي فوق طاقتهم ' يقولون : خفف من احمالنا . بل يقولون : زدنا من احمالك وسيضيق بهم سطح الارض فيتخذون ي جوفها انفاقاً . ويشيدون في الجو حصوناً عالية وابراجاً شامخة . وسأجعل اذنابهم طعاماً لرؤوسهم . رؤوسهم طعاماً لاذنابهم . فيأ كل بعضهم بعضاً من حيث لايعلمون

« ها انا قد بحت لكم بما في خاطري . وعليكم ان تخلقوه . وقد اخترت للمدينة العتيدة جزيرة ي العالم الجديد واقعة بين مصب نهرين . واسمها مانهاتان . وهي اليوم ملك عشيرة من العشائر لحمر . فبادروا اليها في الحال وباشروا بالعمل وليقسم كل منكم يمين الطاعة قبل ان يبرح هذا المكان . انا معكم حتى نهاية الازمان »

ما ختم الفلس خطابه حتى قام من بين الحضور كائن مجنّح في عنقه غلّ من الذهب . وعلى عينيه رقع من الذهب . ومشى بكبرياء نحو العرش . ومشى خلفه ابناؤه العشرون — توأمين فتوأمين — وفي عنق كل منهم غلٌّ من ذهب . وعلى عينيه برقع من ذهب . واذ مثلوا امام العرش خرّوا ساجدين ، وعفّروا جباههم قائلين :

« نقسم بوجه الفلس وقفاه اننا سنطيعه في كل ما يأمره وينهاه »

فقال الجالس على العرش :

« ايها الخيال ! لقد احسنتَ النطق والنية . ليكن في مدينتي العتيدة لكل فنّ من فنونك أثر »

ثم تقدَّم شيخ جللته هيبته اجيال كثيرة . وبداه في اصفاد من الفضة . وعلى عينيه قناع الفضة . وتقدم وراءه اولاده الخمسون توأمين فتوأمين وبدا كل منهم في اصفاد من الفضة عينيه قناع من فضة ففعلوا وقالوا ما فعله الخيال واولاده . فقال الجالس على العرش :

« ايها الفكر ! لقد احسنت النطق والنية . ليكن في مدينتي العتيدة لكل فتح من فتوحك .

ثم نهض كهل على عينيه نظارتان كبيرتان ورجلاه مكبلتان بسلسلة من نحاس . وحبا نحوال على عكازتين . وحبا وراءهُ على عكازاتهم اولاده الثمانية والتسعون — توأمين فتوأمين . وعلى كل منهم نظارتان كبيرتان . ورجلاهُ مكبلتان بسلسلة من نحاس . ففعلوا وقالوا ما فعله من سبق فقال الجالس على العرش :

« ايها العقل ! لقد احسنت النطق والنية . ليكن على كل باب من ابواب مدينتي العتيدة نظ كالتي على عينيك وعيون اولادك »

واخيراً تقدمت كتلة من اللحم قد نشبت فيها مسلاَّت كثيرة فبانت كأنها القنفذ . وقالت الذين سبقوها . فاجابها الجالس على العرش

« ايها القلب ! لقد احسنت النطق والنية . قرَّ عيناً وانعم بالاً . ففي مدينتي العتيدة منفذاً لكل مسلَّة من مسلاَّتك »

وعندها التفت الفلس الى الوزير الجالس عن يمينه واسمه « الطمع » والوزير الجالس عن واسمهُ « المكر » وقال لهما :

« اليوم يومكما . انطلقا الى العالم الجديد حيث القبيلة الحمراء التي تملك الجزيرة المدعوة ما وابتاعاها منها بابخس ما يمكنكما »

وكاد الفلس يحل مجلسهُ عند ما انتصبت فجأة امامه فتاة عريانة تقلّب في يديها كرة كبيرة النور الصافي المتبلور . ففرك الفلس عينيه وقد ادهشتهُ الفتاة وبهره جمال الكرة في يديها . متلعثماً من شدة دهشته

« من اين جئتِ ايتها الفتاة ؟ »

« كنت هنا من قبل ان تكونوا »

« هذا مستحيل . ومن تكونين ؟ »

« انا الحياة »

« وهذا مستحيل والحياة في قبضتي . وماذا تبغين ؟ »

« سمعتكم تطلبون السعادة فجئت اهديكم اليها »

« وهذا ابعد من المستحيل . فليس يَعرف بيتَ السعادة والسبيلَ اليه الاَّ انا . انا ه

« السعادة »

« وهذا مستحيل المستحيل فالسعادة في مدينتي العتيدة التي شرعت اليوم في بنائها . ام انت تمزحين ؟ »

« بل انا في جدّ »

« ان في جدّك مزحاً يستفز ضحكي . لكن الكرة التي تقلبينها في يديك جميلة فهل تبيعينها ؟ »

« السعادة لا تباع ولا تشرى »

« هذا ضربٌ من الجنون . اذ ليس في مملكتي ما ليس يباع ويشرى . واذا سلّمنا بجنونك وقلنا ان السعادة لا تباع ولا تشرى . فكيف لمن يطلبها ان يحصل عليها ؟ »

« مَن قَبِلَني كما انا نال الجوهرة التي في يدي . مجاناً آخذ ومجاناً اعطي »

« يا لك من داهية . افلا تفضلت اذن وعلمتنا كيف نقبلك لننال السعادة من يدك ؟ »

« ازل عن عرشك وانزع نيرك عن اعناق الناس ودعهم يعطون مجاناً ما يأخذونه مجاناً »

« يا لك من عاهرة وقحة . لا تخجلين حتى من ان تقفي امامي ولا كساء عليك غير جلدك . استروا عورة هذه العاهرة . واسكبوا في فمها رصاصاً . وشدوا رجليها بالحديد . واطرحوها في الدركة السابعة من دركات الجحيم . وآتوني بالجوهرة من يديها الاثيمتين »

فبادر الحراس الى الفتاة وانتزعوا الجوهرة من يدها وقدموها الى الجالس على العرش . وما كادوا يسترون الفتاة برداء من ارديتهم حتى التفت الفلس الى الجوهرة في يده واذا بها حجر اسود . والى الفتاة فاذا بها حية رقطاء . فصاح مقهقهاً

« انها لمشعوذة كبيرة . اسحقوا رأسها ثم دعونا منها . وانصرفوا كل الى عمله . واياكم ان تؤجلوا الى الغد ما يمكنكم فعله اليوم . انطلقوا بسلام »

وكان كما امر الفلس . فابتاع اعوانه جزيرة مانهاتان بثمن يوازي الاربعة والعشرين دولاراً . وراحوا يبنون نيويورك مدينتهم العتيدة . وما يزالون حتى الساعة يحفرون ويؤسسون . ويهدمون ويشيدون . وبين انقاض ما يهدمون وجدران ما يشيدون ملايين من الناس يأتون ويروحون وهم عن السعادة يفتشون

***

في خريف سنة ١٩١٢ لميلاد القائل « ملكوت الله في قلوبكم » ازجّ بين تلك الملايين جبران خليل جبران

الزراعة والحضارة

كيف نشأت زراعة الذرة وأين

وسائل البحث الزراعي التاريخي

﴿ طرائق التحقيق والبحث ﴾ لتاريخ الذرة ، ونشوء زراعتها ، شأن خطير في نظر المؤ
الفيلسوف لا يقل عن شأنهما في نظر علماء الزراعة والنبات ، وذلك لان الذرة من الحب
الزراعية التي مكنت الانسان من التحضر . وطريق العالِم في تحقيق أصل النبات هي ان
ما يستطيع جمعهُ من الحقائق المعروفة . فيوفق بينها ثم يبني حكمه عليها . واذا اعوزته
الصريحة فكثيراً ما يلجأ الى ما يلجأ اليه القضاة احياناً فينظر في القرائن. واذا كثرت القرائ
تدل على صحة الحكم زاد ثبوته ، اذ يبعد ان تتفق قرائن كثيرة في دلالتها على صحة شيء ما
ذلك الشيء صحيحاً او قريباً كل القرب من الصحة . واذا بدا له — اي للعالم — من الة
لا يلتئم مع غيره وجَّه عنايته اليه وتعمق في البحث فيه حتى يتبين سبب هذا الاختلاف
ما يكون حل السرّ ، مرتبطاً بمعرفة اسباب التناقض بين الحقائق المعروفة

واذا اراد نباتي ان يعرف الموطن الاصلي لجنس من النبات التفت اولاً الى النوع ال
وبحث عن الاماكن التي ينمو فيها ، وقلما تخطىء طريقته هذه ، ولكن من اجناس الـ
ينمو بريًّا ، فيُسَدُّ هذا الباب في وجهه ، فيعمد عندئذٍ الى طريقة اخرى وهي ان يرا
في نموه ونشوء اعضائه ، ويقابل بينه وبين غيره ، لعله يعثر على جنس يقرب منه ولو
حبل القرابة طويلاً . او قد يطرق في بحثهِ ، طريقة المقابلة بين بقاياه المتحجرة والنظر فيما ؛
من الاسماء في اللغات المختلفة لانّ من ينقل نباتاً من بلاد الى اخرى لم يعرف فيها من ة
اسمه كذلك ، ولا يعتدُّ بهذا الامر ولا يبنى عليه حكم الاَّ اذا امكن تأييده بقرائن اخرة

هذه هي السبل التي سوف نشير اليها في البحث عن أصل الذرة

﴿ اختلاف الاسماء ﴾ يرجح ان الذرة لا تنمو برية ولو وجد منها نوع ...
الباحثين ، لاسيما وانها من اجناس النبات المشهورة . وهذا مما جعل ...
وقد ذهب كثيرون الى انها نقلت من اميركا الى سائر البلدان ...
تزرع في العالم القديم قبل الكشف عن العالم الجديد ، مستندين في ...

تشخيص الحمل منذ بدأه وتعيين الجنس بواسطة البول واننا نذكر فيما يلي احدث ما وصل
الاحيائيون biologists في السنين الاخيرة والطرق المستعملة اليوم
يتناول الاحيائيون سابقاً هذا البحث اعتقاداً منهم انه سرٌ من اسرار الطبيعة الى ان كشف
بالدن Abderhalden سنة ١٩١٢ القناع عن هذا السر وقال بتفاعله المثبت للحمل وقد أمّل
يائيون ان يتوصلوا الى تعيين الجنس بتعميق ابحاثهم بعد ان وفقوا الى تشخيص الحمل
حث زوندك واشايم Asheim في ذلك وقالا بوقوع وجوه من التغير في الدم خلال الحمل تساعد على
ص النسأ والجنس اذ لا يخفى ان الحمل يؤثر في الغدد الصم فيضطرب توازن رسلها وتتبدل
لط الدموية . نذكر فيما يلي نبذة عن تفاعل ابدرهالدن لما له من القيمة التاريخية فقط ثم نذكر
لات المستعملة اليوم والمستندة الى بول الحوامل كما كان الامر قديماً
تفاعل ابدرهالدن ، يستند الى تبدل خواص الاخلاط بتأثير اسباب معينة فيظهر في دم الحوامل
عناصر آحينية (زلالية) خاصة تقابلها الاخلاط بخمرات تصنعها الكبد والكريات البيض
يستند التفاعل المذكور الى كشف هذه الخمائر في مصل دم الحوامل . ولم تنتشر هذه الطريقة لانها
صعبة وليست نتائجها مع ذلك صحيحة فقد يبدو التفاعل سلبيًّا في الحمل وايجابيًّا في غيره ثم
في هذه السنوات الاخيرة طرائق متعددة اهمها طريقة اشايم وزوندك والتفاعلات المعدلة عنها
ثبت هذان المؤلفان ان بول الحامل يحتوي على رسل الفص النخامي الامامي الخاصة بالحمل فاذا
، به ادراص [1] نما مجراها التناسلي وضخمت رحمها واحتقنت ولتمت الاباضة (تكون البيضة
بة) ونزف المبيض . وقد استعملت هذه الطريقة في المانيا فكانت نتائجها صحيحة في ٩٩
من مائة
تظهر رسول الفص الامامي في البول بعد الالقاح ببضعة ايام ولا يزول الا بعد الولادة، تحقن
الصغيرة مرتين او ثلاث مرات بالبول في اليوم الواحد مدة ثلاثة ايام متتابعة ثم تقتل وتفتح
ويفحص مبيضها فان بدت فيه بقع نزفية دلّ ذلك على الحمل
وقد استبدل بروها Brouha وسيمونه Simonet الحيوان المؤنث بذكر . يحقن البول مرة في
مدة ٨ الى ١٠ ايام متعاقبة ثم يقتل الحيوان بعد يومين وتفتح جثته وتوزن خصيتاه ولا سيما
سلان المنويان فان ازداد حجمها بالنسبة الى حيوانٍ شاهد لم يحقن دلّ ذلك على الحمل والعكس
ن . وقد بدت نتائج هذه الطريقة مشابهة لسابقتها
وقد ارتأى بروها Brouha وفريدمن Friedman ان يُلجأ الى حيوانات كبيرة لان التفاعلات في
ة عنها قد لا تكون جلية فاتخذا الارانب في اختبارها ولا يشترط في الارنبة ان تكون دون

[1] ادراص : جمع درص وهو ولد الفأر

لم يقع الاَّ بعد سنة ١٥٧٠ وتعرف الذرة في اوربا بأسماء تشعر بأن اصلها من البلدان الشرقية .
فالانكليز يسمونها القمح الهندي Indian Corn والفرنسيون يسمونها القمح التركي blé de Turquie
وتعرف في مصر بالذرة الشامية . لكن الذرة ليست قمحاً ولا هي هندية او تركية او شامية، والنسبة
الى البلدان لا تكون صحيحة دائماً . فالديك الذي يسمى في مصر بالديك الرومي يسمى في لبنان الديك
الحبشي وفي انكلترا بالتركي وفي فرنسا بالهندي . وقد قال احد العلماء — واسمه ده كنتول —
ان الذرة كانت تعرف بالقمح الروماني في مقاطعتي اللورين والفوج وبالقمح الصقلي في مقاطعة تسكانا
بايطاليا وبالقمح الهندي في صقلية وبالقمح الاسباني في مقاطعة البيرنيه والترك ينسبونها الى مصر

﴿ هل الاصل شرقي ﴾ ولم يرد للذرة اسم في السنسكريتية ولا في العبرانية ولم يعثر لها على
أثر في النقوش والكتابات المصرية ، على ما يعلم . وقد وجد أحدهم سنبلة منها في طيبة ولكن
لاشك في انها وصلت الى تلك المقبرة في الازمنة المتأخرة إذ لا يعقل ان يكون المصريون استعملوا
الذرة وعرفوها ثم اغفلوها في نقوشهم . ومن الثابت انها لم تعرف في اوربا قديماً ، ولكن البعض
كان يظن انه أُتي بها من الشرق في القرون الوسطى ومن القائلين بذلك عالم يدعى بونافوس وهو
من اكبر من كتب في هذا الموضوع في اوائل القرن التاسع عشر ثم تابعه نفر كبير وكانوا قد اعتمدوا
على وثيقة تؤيد رأيهم ولكن ظهر بعدئذٍ أن الوثيقة ملفقة في العصور الحديثة . فلم يبق للقائلين بالاصل
الشرقي ، من دليل يعتمدون عليه ، إلاَّ صورة في مخطوط صيني خط ما بين سنتي ١٥٧٨ و ١٥٩٧
وتمثل تلك الصورة نباتاً يقرب من الذرة وقد كتب في أسفلها اسم الذرة في الصينية لكن البرتغاليين
أتوا الصين سنة ١٥١٦ أي قبل كتابة هذا الكتاب بنحو نصف قرن ولا يبعد أن يكونوا هم الذين
أوصلوا الذرة اليها، ومما يؤيد ذلك انه لم يرد لها ذكر في كتابات الصينيين الذين لم يغفلوا ذكر شيء فيها

﴿ أصلها اميركي ﴾ فسكوت الشرقيين عن ذكر الذرة في كتاباتهم القديمة ، دليل واضح على
انها من اصل غير شرقي وقد انتشرت زراعتها بعد اكتشاف أميركا بسرعة غريبة ولو كانت في الشرق
قبل أن يؤتى بها من اميركا لوجب ان يعرف نفعها ويعتنى بزراعتها قبل ذلك التاريخ بزمن طويل

وليس من ينكر ان الذرة كانت تزرع في اميركا زرعاً واسع النطاق عندما كشف الاوربيون تلك
البلاد وكانت اهم المحاصيل التي يعتمد عليها هنود اميركا ولها اسماء في كل لغاتهم ويستدل على قدمها
وشأنها العظيم عندهم من ادخالها في اكثر شعائرهم الدينية . وقد وجد شيء كثير منها في قبور
الهنود الاميركيين ، وفي هيا كل المعبودات في المكسيك ، كما وجدت الحنطة (القمح) [illegible]
[illegible] القديمة . ويجب ان لا يفهم مما تقدم ان الاميركيين بدأوا بزراعتها [illegible]
[illegible]

شواطىء بيرو باميركا الجنوبية وقد ارتفع ذلك الشاطىء الآن ٨٥ قدماً عن شط البحر

﴿اين موطنها في اميركا﴾ يظهر مما تقدم ان موطن الذرة الاصلي هو اميركا. ولكن اي اقسام اميركا هو ذلك الموطن؟

يعرف من طبائع هذا النبات انهُ يجود في البلدان الحارة فيجب ان نبحث عنهُ في حالتهِ البرية في سهول الاقسام الحارة ونلتمسهُ في السهول لان النبات الذي لا يعمر الاَّ سنة واحدة لا ينمو في الحراج والغابات. وقد كفانا علماء النبات عناء البحث الكثير إذ قد مضى عليهم اكثر من ٣٠٠ سنة رادوا فيها السهول جميعاً ولم يدعوا نباتاً الاَّ وصفوه وشرحوا طبائعهُ ولم يعثروا على نبات بري من الذرة الاَّ انهم عثروا على نبات يقرب منها في المكسيك وغواتيمالا (اميركا المتوسطة) وهو النبات المعروف باسم (تيوزنت teosinte) فترجح ان سهول المكسيك وغواتيمالا هي موطن الذرة الاول

والذرة انواع كثيرة تعد بالمئات والبعض منها يختلف عن البعض الآخر، اكثر مما يختلف االتيوزنت عن انواعها القريبة منهُ، وعلماء النبات يجعلون التيوزنت من جنس نباتي مستقل عن جنس الذرة، ولكن ذلك لا يمنع ان يكون الجنسان نبتا من اصل واحد، لا يختلف عنهما او عن كل منهما، الاَّ اختلافاً يسيراً. واكثر انواع الذرة تكون الحبوب فيه عارية من الغلاف والاستغناء عن الغلاف درجة من درجات ارتقائها، فإذا لقحت الانواع الخالية من الغلاف من بعض انواع الحبوب ذوات الغلاف أتى النسل مغلّف الحبوب، قريباً من التيوزنت، لا يفرق عنه إلاَّ في وجوه قليلة. ويمكن تلقيح الذرة بالتيوزنت، والتيوزنت بالذرة فيأتي النسل قويًّا منتجاً، وهو من الدلائل على صلة النسب بين الجنسين. وثمة وجوه شبه اخرى بين الذرة والتيوزنت لا مكان للتبسط فيها هنا وكلها تثبت وتؤيد صلة القرابة بين الذرة والتيوزنت

﴿صورة التطور العامة﴾ فاذا جمعت كل هذه الحقائق وغيرها وضمت بعضها الى بعض، امكننا الرجوع بتصورنا، نطوي الوف السنين، الى الزمن الذي كانت فيه الذرة تنمو في سهول المكسيك وغواتيمالا وغيرها من بلدان اميركا الوسطى. وكانت سوقها اذ ذاك طويلة يزيد ارتفاعها ارتفاع اكثر انواع الفصيلة النجيلية، وتحمل حبوباً صغيرة في رؤوس اغصانها

ثم تكيفت، ازهارها بمرور العصور، فأصبح بعضها يحمل البيوض، وبعضها يحمل ال

ثم ظهر نوع قصرت اغصانه كثيراً ونمت اوراقه وتكيفت حتى احاطت بالحبوب، وو ...

الطيور وبعض الحيوانات. فراق منظر هذا النبات بعض هنود اميركا، وثبت لهم نفعه ...

ومن ذلك الوقت بدأت زراعة الذرة واخذت انواعها تتكاثر حتى اصبحت تعد بالمئات

ان الاميركيين الاصليين اظهروا من العقل والفطنة، في انتخاب انواع الذرة، اكثر مما

تجاربهم بها مع الاوربيين الذين نزلوا بلادهم اولاً، اذ كانوا ينمونها اكداساً مقابل ...

[illegible] بجامعة هار

بين الحيوان والنبات

للامير مصطفى الشهابي

لي صديق عكف على الحيوانات فتوغل في مدارسة خَلْقها وطبائعها ومنافعها ومضارها حتى اذا هضم منها ما لا يستهان به من المعلومات صار صديقاً لها يكثر من ذكرها ويشيد بفوائدها في كل المجالس . وكان يعلم انني اميل الى النباتات وانني لا اعدل بها شيئاً من الاحياء السائرة فكان يتعمد ذمها امامي ليستفزني الى مناظرته . لكنني كنت اتجنب منازلته واتحاشى مقارعته ، حتى كان يوم من الايام واذا بي اراه في المخبر وقد دخل عليَّ داعراً لا مستأذناً فوجدني حانياً على بعض الازهار اتفحص عن مواقع أجزائها واتقصاها . وحانت منهُ التفاتة الى احدى زوايا المخبر فرأى على الارض جماجم بعض الخيل والانعام وعظامها وقد علاها الغبار لفرط اهمالها ، فما كان منهُ الا ان انفجر بحديث طويل يدل على ما يكنهُ صدره من الحفيظة والموجدة قال :

ان امرك مع دوحة النباتات عجب . اراك تُعنى بأشجارها وتشغف بأزهارها وتستلذ اثمارها وتستخف خيارها لكنك تتناسى شرارها . هلاَّ ذكرت ان جميع الجراثيم القتالة التي يسمونها مكروبات تنتسب الى رتبة الأشنة الورقاء فهي اذن من النبات لا من الحيوان ، وان معظم امراض الزرع والشجر مصدرها فطور دقاق مجهرية تستولي على مزروعاتك ومغروساتك فتفسدها وتبيدها هذه الفطور هي ايضاً من النبات لا من الحيوان. وربما كان عملها هذا اي فتكها بابناء جلدتها اشد واضر [illegible] فتك الحيوان بالحيوان . ثم انظر الى الاعشاب السامة ما اضرها كالشوكران واليبروح والعنصل [illegible]يسان والزؤان وغيرها ، واضر منها تلك المخدرات المذهلات الذاهبات بحسك والطائحات بلبك [illegible]يون والحشيش والكوكائين والنكوتين ، دع التي لايدخل منها ذرة في جوفك حتى تبعث بك [illegible] الى حيث استقر اجدادك في العالم الثاني كسم الاستركنين واضرابه من المواد النباتية المخيفة [illegible] ملامس بعض النباتات اليس لبعضها شوك طالما آذى الناس في عيونهم وايديهم وارجلهم ؟ [illegible] بعض الحيوانات ببعض افننسى بعض الطفيليات من النباتات التي لا تعيش الا من ظل [illegible]ـنه كالكَشُوث والذؤنون والدبق واشباهها ؟

[illegible] الصديق ريقه قال :

[illegible] الموازنة بين فوائد الحيوان وفوائد النبات . وهاك الحمار مثلاً [illegible]

[illegible] المرء من بعض ابناء جنسه [illegible]

من ايام حقبة الحجر المصقول في فجر الانسانية الى يومنا هذا وهو على جورنا صابر يقنع بالقليل من الطعام ويقوم بواجبه خير قيام لقاء قليل العلف الذي يُعلفه . وهذه الصافنات الجياد من الخيل العراب شدّ ما يبدو على محياها من سيماء النبل وجلال العتق . وما احقر السيارة امام غربة يقودها زوج من الجياد عليهما الاعنة المذهبة وهما يختالان كمروسين او يشتدّان عدواً رافعي الرأس شائلي الذنب ضاربي الارض بقوائم كمقامع من حديد . والعز على متون الخيل . وما ظفر الظافرون في الفتوحات الاّ بالجياد السريعة في جريها المروّضة على الكرّ والفرّ في عجاج الحروب ورهج الملاحم

وما عيشة الناس في الفلوات بغير الابل . ولولاها لزالت البداوة وفقد الانتفاع بالصحاري والمغاور . لحمها لذيذ ووبرها ناعم ولبنها حلو ملين للمعدة مطهر للمعى وجلدها صالح لصنع النعال والقُرَب العظام وظهورها تحمل الاحمال الثقال ، وهي آية الصحراء التي لا تعد مناقبها ولا تذكر مثالبها . ومن ذا الذي لا يعجب بالعنز التي يقتات بلبنها الفقير المعدم دون ان يطمع من مال الغني بفلس ، وبالنعجة التي نجزّ صوفها ونشرب حليبها ونأكل لحمها طعاماً شهيًّا . وبالبقر الذي نحرث به الارض ونأكل منهُ اللحم ونصنع من لبنه الزبدة والجبن

وأراك تملأ الدنيا صياحاً من اضرار الحشرات . لكنك لا تذكر بخير دودة القز عند ما تمتع طرفك بأثواب الحرير التي ترفل بها فواتن النساء وانت تردد بيت ابي الطيب المتنبي

بأبي الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلاببا

او بيت المنخّل اليشكري

الكاعب الحسناء ترفل في الدمقس وفي الحرير

ولقد سهيت عن فوائد النحل وشهده وحشرة القرمز واصباغها والحشرات الناقلات اللقاح الى سمات الازهار

ولماذا لا نتحدث عن الفراش وتزاويقها والطير وتغاريدها وصيد البر والبحر وما في اقتناه من لذة . وهل عاش اجدادك الاقدمون الاّ من الصيد قبل ان يمدوا الى النباتات يداً

ولما رأيت صاحبنا قد استرسل في حديثه ورأيتهُ مندفعاً فيهِ اندفاع الودق المطال او السيل الجرّار وربما انقضت الساعات دون ان يقف أسكتّه صائحاً : على رسلك يا أخي . هوّن عليك الامر قليلاً ودع مجالاً لغيرك يتكلم . لقد آمنت ببعض ما ذكرته وكفرت ببعض . فالمكروبات من النباتات كما قلت . لكن دقائق الدود وغلاظها كلها من الحيوان وفتكها بأعضاء الانسان كبير والذي يسمعك تتكلم عن الحشرات وعن منافع بعضها يظن انك قد نسيت [illegible] اضرارها العظيمة وفظائعها الجسيمة حتى كدت تنسينا ارجل الجراد [illegible] وحشرات [illegible] وآفاتها وذبابة الفواكه وضرباتها وقتّم الاشجار [illegible] سوسة [illegible] ونخراتها . وكأني بك اذا ما تركتك وشأنك [illegible] البقة وتند

عن لسعة البعوضة وتنسيني إلحاح الذباب على الناس وتجعلني أسر لسروره وأقول مع عنترة العبسي « هزجاً يحك ذراعه بذراعه » الى آخر البيت المشهور . ولعلك لا يؤثر فيك لدغ الثعابين ولسع أم اربع واربعين . وستقول عما قريب ان الزنابير والعقارب لا حمات لها وان جميع هذه المخلوقات المخيفة هي آية الله في ارضه رونقاً وبهاء وبهجة واشراقاً . . . .

ومن العجيب انك تذكر بعض النباتات الطفيلية وعددها حقير لا يؤبه له وتنسى ان معظم الحيوانات لا تعيش الا من لحم الحيوان . فكبار السمك تلتهم صغارها ، والجوارح من الطير تفتك ببغاثها ، وسباع الحيوان يفترس بعضها بعضاً ، والدنيئة منها تسطو على خشاش الارض ، ومن الحشرات ما هو مسلط على حشرات اخرى وهكذا تتقاتل الحيوانات وتتفانى وهي في ذلك كالانسان بحروبه الهمجية واعماله البربرية . اما النباتات فمنها الحنطة والارز والذرة وسائر الحبوب التي تقتات بها منذ آلاف من السنين . ومنها البقول التي لا يضاهيها شيء بخفتها في المعدة . ومنها الفواكه اللذيذة والتوابل والافاويه وما يستخرج منه السكر والنشاء وما تعصر منهُ الزيوت المختلفة . وماذا يعدل العنب وابنة العنب التي قال فيها الشاعر الكافر « هات التي هي يوم الحشر اوزار » . ولولاها أ كان يكون ابو نواس وخمرياته . وما هو قوت أهم الحيوانات الدواجن التي تباهي بها . أليس هو الكلأ وسائر ما تنبته الطبيعة في المروج الطبيعية او يستنبته الفلاح في المروج الصنعية . ثم [انـ]ظر الى الحراج واخشابها وتخيل فوائدها التي لا حدَّ لها في معظم الصناعات البشرية حتى قال [بعـ]ضهم انه لم يهتد الى صناعة من الصناعات الا وهي في حاجة الى الخشب . ومن المعلوم ان الاخشاب [تسـ]تعمل في صناعة الورق وعود الثقاب والفحم وفي بناء البيوت وفي تدفئة الغرف وفي رصف [الشـ]وارع وفي صنع الاعمدة والعوارض والعربات واقلام الرصاص والعصي وقبضات المظلات [والخـ]زانات والمنصات والكراسي والسلال الخ . ويستعمل لحاء بعض الشجر لاستخراج الدباغ منها [و]يستخرج الفلين من احد انواع البلوط

وأي شيء اجمل في العين من زهرة ندية يروقك منظرها او ريحانة عطرة تنعشك رائحتها . [و]بيت من البيوت الكبيرة او الحقيرة يخلو من حديقة للزهر او من حوض او من زهرة في [الشـ]مس . ولا شك انك عليم بضروب العطور وبالمياه العطرة . ولا تجهل ان ادقها في الانف [وا]زها ثمناً تلك التي تقطر من بعض الازهار والرياحين كالورد والبنفسج والياسمين والليلك والعنبر [...]ي البر والبعيثران وزهر الفصيلة البرتقالية وغيرها كثير ، دع ما يأتينا من البلاد الحارة [كالبخـ]ور والجاوى واللبنى وامثالها من المنعشات

[و]اذا انتقلنا الى النباتات الطبية ألسنا نرى فيها المسكنات والمعرقات والمسهلات و[illegible] [...]يات والمخدرات والمنبهات والمقيئات وطاردات [illegible] من البطن . [illegible] [...] حسنك [illegible] واستانك [illegible] فهل من [illegible]

أسرفت يا صاح بذكر مثالب المكروبات الضارة ونسيت ان هنالك الخمائر التي لا غنى عنها في صنع الخبز والجبن والخمر وامثالها . ونسيت ايضاً ان من المكروبات ما يستعمل مصلاً يحقن به الاصحاء اتقاء للامراض . وذكرت حشرة القرمز ولم تذكر نباتات الصباغ كالفوة والنيلة والحناء والعصفر . واطنبت بالصوف والوبر ولم تطنب بالقطن والكتان وهو لباس سواد الشعوب . وهذه سيارتك واقفة امام داري فهل من سبيل الى سيرها الا بالمطاط في دواليبها والا بالبنزين يدفعها وهو من النفط والنفط من بقايا اشجار جيولوجية قديمة

وعبثاً حاول صاحبي ان يسكتني فلم اسكت حتى قرع الباب علينا زائر . واذا به صديقنا العلامة الدكتور امين باشا المعلوف صاحب معجم الحيوان فاحتكمنا اليه لان علمه بالنبات كعلمه بالحيوان . فلم يشأ ان يحكم بيننا بل قال لا لزوم الى المفاضلة . فللنبات منافع ومضار وللحيوان منافع ومضار والامر جلي لا يحتاج الى مهذار . . . .

زهر يتفتح ليلا

يذهب بعضهم الى ان ما في الطبيعة من جمال الازهار وشذا عطرها ، انما أبدعته الطبيعة لتكفي حس الجمال في الانسان . وهو قول شعري اكثر منهُ علمي ، لان بدائع الالوان وروائع العطور في أزهار النبات واوراقه ، متصلة صلة وثيقة بنشوئه وتطوره وتلقيحه واخلاف النسل فيه . فاذا أصر اصحابنا على رأيهم الشعري فلنذكر لهم نباتاً من فصيلة الصبير ، لا يتفتح زهرهُ ولا يعبق نشرهُ الا في الليل . فزهر هذا الضرب من الصبير ، يبدأ في التفتح عند المساء ، ولا يأتي عليه الصباح الا وقد انطبقت اكمامه ، وتهدلت تيجانها ، لا حيوية فيها ولا عطر ولا جمال . ولكنها تكون في خلال ذلك قد حققت الغرض الذي انشأتها الحياة لتحقيقه . ذلك ان بعض اصناف الفراش يكون قد زارها في الليل ، منجذباً بعطرها ، فيتنقل من زهرة الى اخرى ، فيكون في خلال تنقله وسيلة الطبيعة لاحداث التلقيح . ويعرف هذا النبات باسم Cereus اي الليّن ، لان له سوقاً طويلة دقيقة سهلة الالتواء يمتد فيها من أعلى الى اسفل اضلاع مقعّرة ، فيها على فترات متساوية شوك قاس . وهذا النبات اما معترش يتسلق الاشجار او يمتد على سطح الارض . اما قطر الزهرة من أزهاره فقدم وقد يبلغ اربع عشرة بوصة . ولكنك اذا رأيت البرعم في النهار لم تستطع ان تتصور ما ينطوي [illegible] من الجمال عند تفتحه في الليل . فلون اوراق الكأس [illegible] اصفر زاهٍ [illegible] وكأن الطبيعة اختارت هذا اللون الاصفر لكي [illegible] ويصحب [illegible] عطر لطيف يفوح ليلاً فيجتذب [illegible] والنبات [illegible] الهند الغربية ويرى في مستنبتات [illegible]

احمد زكي باشا

في ذمة الله أبي وشيخي

بقلم بشر فارس

— العالم —

قدمت من باريس الى مصر — في فصل الصيف سنة ١٩٣٠ — أطلب طائفة من المستندات إتماماً لرسالتي « العرض عند عرب الجاهلية » . فسرعان ما كتبت الى احمد زكي استضيء بمشكاته . ولما مثلت بين يديهِ قرأت عليهِ خطة رسالتي فناقشني في بعض نواحيها . والغريب انهُ ناظرني في مسائل فلسفية محضة لا ترجع الى العرب في شيء

خرجت من عند احمد زكي منشرح الصدر ، ذلك اني ادركت اني ظفرت بأستاذ ثقة . ومما زاد في انشراح صدري ان الرجل — رحمه الله — مال إليَّ وأنس بي وحملني على ان أسير في عملي اذ جعلني اطمئن اليهِ بل أثق بنفسي

منذ ذلك اليوم حتى عودتي الى باريس — أي زهاء شهر — ظللت اختلف الى احمد زكي اقرأ في داره كتباً مطبوعة ومنسوخات كان يجلبها اليَّ من خزانته او من دار الكتب المصرية . وكان يعلمني كيف اطالع هذه المنسوخات واتصفح تلك الكتب . ثم اني لما قفلت الى مصر في السنة الثانية ما فتئت اعتمد على احمد زكي وارجع اليهِ فيما اقرأ وا كتب

كان احمد زكي راسخ القدم في الفنون العربية : عالماً بفقه اللغة وقواعدها ، بالتفسير ومذاهبه ، بالفقه ودقائقه ، بالتاريخ ونوادره ، بالجغرافيا وشواردها ، بتراجم الرجال المبرزين . وكان — فوق ذلك — متضلعاً من اللغة الفرنسية ، مطلعاً على أدبها القديم والجديد ، وكان يقرأ الانكليزية ، وكان يأسف على جهله الألمانية ، وطالما قال لي : تعلم الالمانية ان اردت ...

هـذا ، وقد يظن الناس ان سعة الاطلاع كانت خاصية احمد زكي . والذي عندي ان خاصيته كانت بين البصيرة الخطّافة والذاكرة الممكينة . ثم انهُ كان يفضل سائر العلماء باستعمال الجزازات fiches ، وهي طريقة علمية اخذها عن الفرنجة : فكنتَ ترى في داره خزانات يملأها جزازات مرتبة على حروف المعجم ، كل طائفة منها على حسب الفن او الباب الذي ترجع اليهِ . وهذا ما يبين لنا كيف كان يأتي احمد زكي بالحجج القاطعة والاستشهادات الصحيحة في اسرع من ارتداد الطرف .

وكيفما كانت الحال فان احمد زكي كان قوي الحجة ، طلق البديهة . وقد رأيته — غير مرة — يكتب مقالاً كاملاً في جلسة واحدة . وكان يؤثر الكتابة عند الفجر

واظن ّ المناظرة الفن الذي مهر فيهِ احمـد زكي . وانه لا يخفى عليّ ان خصومه في العلم كانوا يخافونه لثباته وعارضته ، ولربما خافوه للذعه . والحق ان قلم احمد زكي كان ينحرف الحين بعد الحين عن الهدوء فيهيج ، الاّ ان هيجانه لم يشذّ قط عن ادب المناظرة ، وجلّ ما يقال فيهِ — اذن — انهُ كان متهزلاً ساخراً . واني أشهد ان احمد زكي لم يعمد الى التهزل والسخرية الاّ ليدفع سقطة خصومه ويشلّ مكابرتهم

***

ومن فضائل احمد زكي العلمية انهُ كان حرّ الفكر ، كثير التحري والتثبت ، منقاداً للحق . وكل هذه صفات العالِم الحق

أما حرية فكره فانهُ لم يقل ولم يكتب الاّ ما رسخ في ذهنه . ثم انهُ ما تملّق احداً من الناس . والمعلوم انهُ كان كثير الخصوم والاعـداء لصراحته وصدقهِ . (ووالله لو صانع لحلَّ في مقدمة المجمع العربي المصري !) واكبر دليل على حرية فكره انهُ فسّـر طائفة من الآيات الكريمة مستنداً الى عقله فأقبل عليه العلماء والفقهاء يحاجّونه ولم يظفروا منهُ بشيء

واما تحريه وتثبته فقد عرف المُقرّبون اليهِ كيف كان يطيل النظر في الكتب المُمَـد ويوازن بينها ابتغاء الوصول الى الحقيقة ، وكثيراً ما كان يثبت المظانّ فلا يرسل الكلام ارسالاً كمثل غيره من علمائنا

واما انقياده للحق فقد اجتمع ذات مساء عندي بالاستاذ زكي المهندس المدرس بدار العلوم . فدارت بينهما مناظرة حول استعمال « لا » مع « كاد » . فقال احمـد زكي : تقول العرب « يكاد لا يفعل » وقال الاستاذ المهندس : بل تقول « لا يكاد يفعل » . فثبت احمد زكي عند رأيه ، وبقي الاستاذ المهندس على قوله ، حتى انصرفا جميعاً . ولما كانت الساعة الخامسة صباحاً ايقظني جرس (التلفون) ، واذا احمد زكي يصيح : ان الاستاذ على صواب ، ولكن أجهل عنوانه ، فأخبره لساعتك اني قضيت ليلتي في التنقيب والتصفح حتى أصبت الدليـل على قوله — في القرآن — « أم انا خيرٌ من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين — سورة الزخرف »

ومما يؤسف عليه ان احمد زكي باشا بذل حياته العلمية في كتابة المقالات . فاذا نظرنا الى تآليفه لم نصب الاّ كتباً ضئيلة او محاضرات او رحلات او ترجمات وكم قلت له يا باشا توّج حياتك بمؤلف ضخم لا يقدر على اخراجه الاّ انت . فما زلت به وما زال بهِ خلصاؤه ومريدوه حتى دعاني يوماً فقال لي : يا بنيَّ اني نويت ان اؤلف معجماً مختصراً سهل المتناول على شاكلة معجم Larousse الفرنسي مع لحَق ادرج فيهِ اسماء الاعيان والبلدان . فصفقت لتلك النية . فقال لي الباشا : اني ارغب اليك ان تعاونني على تأليف ذلك المعجم ، وليكن عملك موقوفاً على تهذيب المعاجم العربية بحيث تطرح الزوائد والشواهد وتقصر الشرح على الالفاظ الحية التي بنا حاجة اليها سواء كانت علمية او عملية ، ثم اراني بعض جزازات كان قد هيأها على سبيل المثال . فاتفقنا على ان نشرع في تأليف المعجم بعد اشهر معدودات ، وقد اوصاني احمد زكي ان اجعل الامر بيني وبينه . وها انذا اذيعه اليوم

***

ومن مباحث احمد زكي الاخيرة انهُ كان يشتغل باثبات خارطة الجزيرة ولا سيما اليمن . وقد اطلعني على رسم اولي لهذه الخارطة ، واخبرني انهُ بعث الى الحكومة اليمنية يسألها عن اشياء وانهُ راحل الى تلك البلاد ليحقق مولد النبي

ومن اعماله الاخيرة انهُ صحح طائفة من تجارب كتاب « موافقات الحديث » ، ذلك الكتاب الذي يطبعه الآن البروفسور (فنسنك) في (هولندا) . وكان احمد زكي يرسل تلك التجارب بالبريد الجوي على الغالب

ومن آثاره في خزائننا تلك الكتب النفيسة التي صححها وطبعها وعلّق عليها ، واليك مثلاً « كتاب التاج » . ولربما ظفر بكتاب فريد يحلم العلماء بهِ فلم يدخر وسعاً في اقتنائه وطبعه الطبع الذي لا يترك غاية وراءه (دونك « كتاب الاصنام » لابن الكلبي) او تصويره تصويراً محكماً (اليك « كتاب الامتاع والمؤانسة »)

ومن آثاره على السنتنا واقلامنا الفاظ ولدها واسماء رجال وبلدان احياها احياء . اما هذه الاسماء فقد ظلَّ يجاهد في سبيلها في الصحف ولا سيما « الاهرام » . واما تلك الالفاظ فقد برى لها قلمه . ومنها لفظة « السيارة » . واني اقف عندها لان « الباشا » حدثني عما عانى من اجلها قال : كتبت فيما مضى من الزمان اعرض لفظة « السيارة » بدلاً من لفظة « اوتوموبيل » . فسفَّهني لفيف من الادباء ، على رأسهم المويلحي وظهروا عليَّ . الاّ اني كنت في ذلك العهد صاحب السر في مجلس الوزراء ، فوقعت لائحة « النقل » ذات يوم بين يدي ، فجعلت لفظة « السيارة » مكان لفظة « اتوموبيل » حيث اصبتها ، ثم دخلت على رئيس الوزراء ، فوقَّعها على وجهها ، وهكذا شاعت لفظة « السيارة »

وعلى الجملة ، ان احمد زكي كان العالم الذي يقف حياته على العلم ويتلف ماله في سبيله : ترجم وألف وكتب وخرّج التلاميذ وعاون العلماء وجمع الكتب ثم بذلها للخلق . وما أظن احداً من الشرقيين لهذا العهد ظفر بالصيت الذي ظفر به احمد زكي . ولعلَّ بعض خصومه يذهبون الى ان صيته انما رفع على حبهِ للعرب ودعايته لهم ودفاعه عنهم ، فاعلموا ان الرجل كان ابعد صيتاً عند الافرنج على تحديه لهم وتشيعه للعرب وتعصبه للشرق والدليل على ذلك ان مكانته عند المستشرقين رفيعة جداً ، ولقد اتفق لي وأنا اطلب العلم في « السوربون » ان اسمع غير واحد من اولئك القوم يثني على احمد زكي ويعترف لهُ بالعلم الغزير ، ولولا ان يكون الامر هكذا ما قصده البروفسور (فنسنك) ولما قال فيهِ استاذي البروفسور (دومامبين) ما قال في المقدمة التي عملها لكتابي المذكور في مستهل هذا المقال

— الرجل —

لازمت احمد زكي سنة ونصف سنة . فكان رحمه الله اباً لي وشيخاً وصديقاً في آن

ان خلق احمد زكي [1] خلق عربي كريم حتى الاتلاف أبيّ (لا يطأطىء ولا يلتمس شيئاً) — سمح النفس (لا ينصب عداوة لمن يخالفهُ في عقيدة) — وفيّ (لم يخفر ذمة ولم يخن صديقاً) — عصبي المزاج (سريع الغضب ، سريع الرضى) — مقدام (وانما كانت شجاعته في الرأي) — ميال الى النضال (وانما كان يبارز بالقلم واللسان) — ثابت الرأي (لا ينقاد لامر عن هوى) — لطيف المحاضرة ، ظريف البادرة ، حلو الحديث

بيد ان هزّة الشباب ابرز ما في خلق احمد زكي

كان — رحمه الله — وثاباً متحركاً ، لا يقعد عن الكتابة والقراءة ، ولا عن الجولان ، فتارةً تراه في داره ممسكاً بكتاب او قابضاً على قلم ، واخرى في سيارتهِ ، واخرى عند صديق لهُ ، واخرى في دار علم او محفل قومي

الاَّ انهُ لم يتخلف عن داره بعد العشاء . وكان يفد اليهِ خلصاؤه في تلك الساعة ، فيتعشون معا ويلاعبونهُ « الدومينو » او يساقطونهُ الوان الحديث . وكم مرة قلت لصديقي الفاضل الشيخ محمد الغنيمي التفتازاني: هذا الظلام قد خيَّم على مصر ، اين نمضي ؟ فينظر كلانا الى الآخر ، وا... نحن نسير الى « شيخ العروبة » اندفاعاً وهل تنبسط النفس الاَّ بين يدي صديق يصافيك او يخالصه الاجلال !

---

(1) اني في هذا المقال ما ازال اقول احمد زكي من دون ان اضيف الى هذين الاسمين لقب « الباشا » أو « ... العروبة » لان الرجل — رحمه الله — كان يقول لي اذا رمال الي يفخر بنفسه او يتوجه بحجة : انظر الى ا... ... سترى ما يصنع احمد زكي

البلوغ بل يكفي ان تكون بعيدة عن الذكر لئلا تبيض (تكون البيضة الناضجة) بنا فيتشوش العمل .

***

تبدو التبدلات الكاشفة لهذا التفاعل كالبقع النزفية في المبيض وتبيُّغ[1] الدم في المجار وضوحاً كبيراً كما ان وريد الارنبة الهامشي كبير والحقن فيه سهل . فيحقن الوريد المذكو ١٠ سنتمترات مكعبة من البول . ولا بأس من تكرار الحقن مرة ثانية في اليوم الثاني الارنبة في اليوم التالي للحقنة الثانية وتفتح جثتها ويشاهد ماوقع من التغير في مجراها التناسلي

ينتخب بول الصبح عادة على ان يطهر بترشيحه من الشمعات وتكلف المرأة أن ا دواء في اليوم السابق . وقد كانت نتائج هذه الطريقة صحيحة ايضاً في ٩٩ حادثة من مائة كان من اللازم الاعتماد عليها في التشخيص والاسترشاد بها في بعض الامور الشرعية والقا

وقد عرفت حديثاً وسيلة لكشف الجنس تقوم بحقن وريد الارنب البالغ الهامشي بـ فاذا نمت خصيتاه دلّ على ان المرأة حامل بأنثى ولا يطرأ عليها اقل تبدل اذا كان الحم توصل الى ذلك مؤلفان اميركيان وهما ج . هـ . دورن H. Dorn وأدوار سـ Edouard Sugarman بينما كانا يجرّبان طريقة زوندك واشايم في تشخيص الحمل . غير ا لا تكون صحيحة الاّ اذا كان سن الحيوان مناسباً . ينتخب لذلك ارانب في دور البلوغ خصيتاها بالنزول . وقد لاحظ هذان المؤلفان ان مدة هبوط الخصية واجتيازها الحلـ وبلوغها جدار الصفن تختلف من عشرة الى خمسة عشر يوماً . يراقب سير هبوط الخصـ البسيط ولا يصلح الارنب للاختبار المذكور الاّ في هذه المدة فقط . وطريقة العمل ١٠ سنتمترات مكعبة من بول الحامل الصبحي ويحقن احد اوردة الارنب واحسنها الهـ ثم يقتل الحيوان بعد ٤٨ ساعة وتفحص خصيتاه عيناً ومجهراً فاذا كان التفاعل ايجابيًّا على كون الجنس انثى تتكاثر عروق الخصية ويبدأ تولد المني فيها واما اذا كان الجنين ذكراً اقل تبدل في الخصية . وقد كانت نتائج هذا الاختبار صحيحة في ثمانين حادثة من ٨٥ حادثة

يستنتج مما تقدم ان ابحاث القدماء واختباراتهم جديرة بالعناية والاهتمام وكثيراً ما ا صحة ما دونوه وكما انهُ جاز للمؤرخين ان يقولوا بان التاريخ يعيد نفسه يجوز أن يقال ايضاً يعيد نفسه في بعض الاحيان مع الاحتفاظ بالتناسب بين شتى العصور طبعاً ودليل ذلك تأ الالمان صحة اختبارات المصريين التي مضى عليها اكثر من ٤٠٠٠ سنة. لذلك كان علينا الشرقيين ان نقتبس من علوم الغربيين فقد سبقونا اشواطاً بعيدة في مضمار الرقي وان لا نـ ل علينا ان ننقب في بطون الكتب لنبحث عما عني به اجدادنا ونقتطف ثمار ابحاثهم وعلو

(١) تبيغ الدم تهيج وتوقد حتى يظهر في العروق

الغريبة

مكحولة العينين ذات لمى احوى وثغـر رائق الشنب
البدر يطلع من ترائبها والشمس صفحة خدها الذهبي
ويزين لبتها بجوهـره نوط كنظم السبعة الشهب
فكأن نور الدر زاد سنا وجه بنور الحسن منتقب
وكأن زنديها بياضهما عاج زها في قالب عجب
جلست الى رجلٍ يحدثها في محفلٍ بجموعهِ لجب
تصغي اليهِ وهو منشغل معها ببعض الاكل والشرب
وجلست في سهوي حيالهما لاهي النواظر غير مرتقب
متفرداً بين الجموع بما عندي من الحسرات والكرب
لكنها اخذت تخالسني نظراتها عفواً بلا سبب
فتدير نحوي الوجه في لهفٍ وتدير عني الوجه في ادب
تصغي له وتكاد تبسم لي في جرأة طوراً وفي رهب
وتمدّ الحاظاً قـد اخترقت بالسحر ما في القلب من حجب
ماذا تريد ولست اعرفها حتى اسلم — وهو لم يجب
ان الذي جلست تحدثهُ يبدو محبًّا والمحب ابي
تجني عليهِ اذ تخالسني نظراتها فأراه وهو غبي
فعلى مَ تدنيـه لتبعده وعلى مَ ترضيه على غضب
وعلى مَ تغريني وما عرفت اصلي ولا فصلي ولا حسبي
ما راقني ان يستباح لها حلمي وان يُلهى ويُعبث بي
لكنها بقيت تخالسني نظراتها وتجدّ في لعب
وصديقها عن ذاك في شغل يصغي لما في الحفل من صخب
فشعرت اني قد فقدت هدى نفسي واني جدّ مضطرب
وتزيد في غزلي ومشغلتي سيان في صدق وفي كذب
حتى تركت لها المكان ومن فيه ورحت ولم ارح تعبي

يا بنت ساعك الآله على ... ما هجت في صدري من اللهب
ايقظت في قلبي لواعجه ... ودعوته عرضاً فلم يجب
عجباً لصبر القلب عنك ولي ... قلب على حب الجمال ربي
حوّاء ما انتسبت لآدم في ... عدنٍ بغير الحسن من نسب
فأقرّه دون الخلود لنا ... وكذا ورثناه على الحقب
ما كنت اجهل ناظريك وقد ... متّا اليّ بكل ما سبب
لكن تعارضت الطريق بنا ... حتى تباعد كل مقترب
فاذا الحياة مضلة واذا ... معنى الخيانة جدُّ منقلب

***

كم عدتُ مرتقباً هناك وكم ... حاولت لقياها فلم اصب
هي طفرة عفو الحياة اتت ... منهوبة لشقاء منتهب
بل نظرة كالبرق قد ومضت ... آب الدجى والبرق لم يؤب
يا من جهلت ومن عرفت ومن ... ودّت تفرّج همٍّ مكتئب
ذنبي مراعاة الحقوق وان ... هي اوردتني مورد العطب
وأمانة للناس توجبني ... اغفال حقٍ غير مكتسب
لكن حسنك انت ربتهُ ... والحسن فوق العرض والطلب
خالفتهُ جهلاً فأوقفني ... في العمر بين الويل والحرب
ان كنت غبت الدهر عن نظري ... فجمال ذاك الوجه لم يغب
وأظل اذكر ناظريك وما ... غزلاه من سحر ومن عجب
والكحل في عينيك مبتسماً ... والثغر احوى رائق الشنب
والنوط والدرّ النظيم به ... والمعصمين وخدّك الذهبي
فيقيم اشجاني ويقعدها ... يوم لقيتك فيه عن كثب
اني تعذبني وتسلبني ... رشدي فرشدي اي مستلب
ذكرى فتاة حاولت صلةً ... بفتى فخاب بها ولم تخب
جهل لعمرك لا يسوّغهُ ... دفع الخيانة عن اذل غبي
هذي القرينة ربما شعرت ... في العمر اني جدّ مغترب

صلة الكندي بعصره

تمهيد — بيئة الكندي — الفلسفة والكلام — الحركة العلمية بوجه عام

لمحمد متولي

تمهيد

أما أن الصلة وثيقة بين الشخص وبين العصر الذي يعيش فيهِ ، فهذا ما لن نحاول أن نحصّنهُ بالدليل ، لانهُ ، أولاً ،شديد الظهور فلا يحتاج الى تفصيلٍ وتدليلٍ ، ولأنك ، ثانياً ، سوف ترى أن الكندي، فيلسوف العرب كما يسمونهُ ،كان صورة واضحة لزمانهِ ، بحيث لو تقدم وجوده قرنين ، أو لو تأخر ، إذن لكان شيئاً آخر غير الذي سنعرفه .

بلى ! ينفخ الزمان في الشخص من روحه ، ويفيض عليهِ من نوره ، فتكون شخصيته مشعة مع ما لهُ من استعداد وكفاية ، ومع ما لزمانه من قوة وإشراق

وإذ نريد دراسة عصر الكندي لنتعرّف الصلة بينهما ، فقد لزم أنْ نتغلغل في الماضي حتى نشرف على العراق في الفترة الممتدة من منتصف القرن الثاني الهجري الى ما حول منتصف القرن الثالث ، فنرى كيف كانت بيئة فيلسوفنا ، ثم نحاول أن نقف على شيءٍ من حال الفلسفة والكلام هناك ، ونحاول أن نتقصّى مدى الحركة العلمية بوجه عام

— ١ —

ونحن اذا كنا في العراق ، كان علينا ان نتنقل بين الكوفة والبصرة وبغداد . فالرواة يحدّثوننا ان الكندي قضى حياته في البصرة وبغداد . وأنا سأبين لك أنهُ ، كذلك ، عاش في الكوفة زمناً ما .

والكوفة والبصرة مدينتان أنشأهما العرب في صدر الاسلام لتكونا قاعدتين حربيتين . وبغداد بناها المنصور وكانت مقرّاً للخلافة . فأنت ترى ان هذه المدن الثلاث قامت على أنقاض الحضارات البابلية والأشورية والفارسية واليونانية ، وغيرها من الحضارات التي تناوبت الازدهار على ضفاف دجلة والفرات . فلما سكن العرب العراق على هذا النحو ، وخالطوا اهله من الاعاجم ، كان لهم حظهم من غناه . وكان لهم حظهم من ثقافة أهله الذين قاموا بأكبر نصيب في الحركات الفكرية مع من استقدمهم الخلفاء من علماء الامصار (١)

(١) فجر الاسلام جـ ١ ص ٢١٨ — ٢١٩

والكوفة والبصرة كانتا الى هذا ميداناً لتطاحن المسلمين على الامامة ومثاراً لخلافاتهم الكلامية منذ حروب علي ومعاوية . وبغداد ما كان أعلى مكانها وهي حاضرة المسلمين يختلف اليها العلماء ليس من الكوفة والبصرة فقط ، بل ، أيضاً ، من الشام وفارس والهند وغيرها

واذن فقد تعددت العوامل التي تجعل في هذه البيئة تطوراً فكرياً . والتطور الفكري يكون في جو ملائم لطبيعته كي يستطيع ان يعيش وينمو ، فكيف كانت نزعة القوم ؟

لقد يبدو انهُ كانت هناك نزعة ترمي الى اصطناع العقل في بعض المسائل . فالخليفة المنصور كان يدعو الى الرأي في شدة فأمر فضرب مالك بن أنس ، ثم استقدم أبا حنيفة من الكوفة الى بغداد إعلاءً لشأن فقهاء العراق واعزازاً لقوله بالرأي [(١)] . والخليفة المنصور أيضاً هو الذي كان يبكي لموت عمرو بن عبيد المعتزلي فيقول « كلكم طالب صعيد غير عمرو بن عبيد » [(٢)]

والمأمون والمعتصم كانا معتزلين يقولان بخلق القرآن ويتشددان في إذاعة رأيهما فينكلان بمن يعارضهما ، فلم يكن نصيب احمد بن حنبل عند المعتصم خيراً من نصيب مالك عند المنصور [(٣)]

وكان المتوكل من اهل السنة وقد وُشي لهُ بالكندي فصادر مكتبتهُ زمناً . ونحن لا نعلم هل كانت هذه الوشاية تتصل بكون الكندي معتزلياً أم تتصل بشيءٍ آخر . وعلى اي حال فنحن نستطيع ان نقول ان فيلسوف العرب نعم بحريتهِ الفكرية طول حياتهِ ، لان غضبة المتوكل لم تكن طويلة بحيث تعطل عليهِ حريتهُ تعطيلاً مؤثراً

— ٢ —

ويحدثنا صاحب « الملل والنحل » فيقول « ورونق علم الكلام ابتداؤه من الخلفاء العباسية هارون والمأمون والمعتصم والمتوكل » [(٤)] ونحن نحب ان نستبين ما دعا الى نشاط المتكلمين وبهاء الكلام فنجد ظاهرتين قويتين

اما الاولى فهي آثار أصحاب الاديان القديمة الذين كانوا يعيشون بين المسلمين ، سواء من اعتنق الاسلام ومن بقي على دينه منهم ، فهؤلاء أثاروا مسائل كانت مثارة في أديانهم من قبل . وكانوا سبباً في ان تسربت الى المتكلمين تعاليم غريبة عن الاسلام — والقول بالقدر من أمهات المسائل التي شغلت أصحاب الاديان جميعاً ، وفكرة التجسيم عند المجسمة من الشيعة قريبة منها عند الثنوية وما يقول بهِ أبو عيسى الوراق الرافضي في استكراهه لقتل الحي هو بعينه ما نجده في مذهب ماني [(٥)]

وأما الظاهرة الثانية فهي ما حصلهُ العرب من حكمة الاوائل عن طريق العقل فيذكرون أن عبد الله بن المقفع (١٤٣ هـ) ترجم بعض منطق أرسطو وفورفوريوس [(٦)] ويذكر ان يوحنا

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٧١ — ٧٢ (٢) الملل والنحل ص ٣٤ (٣) مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ج ٢ ص ٣٨ (٤) الملل والنحل ص ٣٤ (٥) الانتصار للخياط (طبعة القاهرة) ص ٥٤ — ١
(٦) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٣٨ .

البطريق والحجاج بن مطر (عاش ٢١٤ هـ) وقسطا بن لوقا البعلبكي (عاش ٢٤٠ هـ) وعبد المسيح ابن ناعمه الحمصي (عاش ٢٢٠ هـ) وحنين بن اسحاق (٢٦٠ هـ) يذكرون ان هؤلاء تعاونوا مع غيرهم في نقل كتب ارسطو وأفلاطون وبعض الفلاسفة الآخرين [(١)]

وهاتان الظاهرتان قويتا قالتنا بالعقول الى نحو جديد فاذا نحن أمام ما استجدّ في الكلام بما احدثهُ المعتزلة وبما حاربهم به اهل السنة وغيرهم ، مما نجده عند ابن قتيبه في « تأويل مختلف الحديث » وعند الاشعري في « مقالات الاسلاميين » وعند سواهما من اصحاب الفرق الاخرى

والكندي لم يكن بعيداً عن حركة النقل ولا كان بمعزل عن تلك الحرب الكلامية . فهو لم يأل جهداً في معرفة فيثاغورس وسقراط وافلاطون وارسطو [(٢)] وهو قد اشترك في مناقشة المسائل التي تناولها معاصروه امثال العلاف (٢٢٦ هـ) والنظام وابن النجار وابن المعتمر وثمامة بن أشرس والجاحظ (٢٥٥ هـ) وهشام بن الحكم ومن اليهم

فأبو الهذيل العلاف ، كان يقول « ان الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته ، قادر بقدرة وقدرته ذاته ، حي بحياة وحياته ذاته » ويقول الشهرستاني ان ابا الهذيل « انما اقتبس هذا الرأي من الفلاسفة الذين اعتقدوا ان ذاتهُ — اي ذات الله — واحدة لا كثرة فيها بوجه » [(٣)]

وكان ابو الهذيل يقول ايضاً ان « الاستطاعة يُحتاج اليها قبل الفعل فاذا وجد الفعل لم يكن بالانسان اليها حاجة بوجه من الوجوه وقد يجوز وقوع العجز في الوقت الثاني فيكون مجامعاً للفعل ويكون عجزاً عن فعل لان العجز — عنده — لا يكون عجزاً عن موجود فيكون الفعل واقعاً بقدرة معدومة » [(٤)]

وقال ابراهيم بن سيار النظام « ان الانسان في الحقيقة هو النفس والروح والبدن آلتها وقالبها » وقال « ان الروح جسم لطيف مشابك للبدن مداخل للقالب بأجزائهِ مداخلة المائية في الورد والدهنية في السمسم والسمنية في اللبن ... والروح هي التي لها قوة واستطاعة وحياة ومشيئة وهي مستطيعة بها والاستطاعة قبل الفعل » [(٥)]

وقال النظام أيضاً « ان كل ما جاوز محل القدرة من الفعل فهو من فعل الله تعالى بايجاب الخلقة. ان الله تعالى طبع الحجر طبعاً وخلقه خلقة اذا دفعته اندفع واذا بلغت قوة الدفع مبلغها عاد الحجر الى مكانه طبعاً » [(٦)] . ومن آثار النظام كذلك انهُ « وافق الفلاسفة في نفي الجزء الذي لا يتجزأ » [(٧)] و انبرى للمنانية فسفههم في قولهم في النور والظلمة وفي التناهي [(٨)]

وقال أبو الحسين بن النجار « ان الاستطاعة لا يجوز ان تتقدم الفعل وان العون من الله يحدث في حال الفعل مع الفعل وهو الاستطاعة وان الاستطاعة الواحدة لا يفعل بها فعلان وان لكل فعل استطاعة

---

(١) عصر المأمون جـ ١ ص ٣٧٩ — ٣٨٣ وتاريخ التمدن الاسلامي جـ ٣ ص ١٤٢ — ١٤٨ . (٢) تراجع الكندي في الفصل الثالث (٣) الملل والنحل ص ٣٤ (٤) مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ٢٤٢ (٥) الملل والنحل ص ٣٨ (٦) الملل والنحل ص ٣٨ (٧) الملل والنحل ص ٣٨ (٨) الانتصار ص [illegible]

تحدث معه اذا حدث وان الاستطاعة لا تبقى وان في وجودها وجود الفعل وفي عدمها عدم الفعل»[1]

وبشر بن المعتمر تكلم – كأصحابه – في الاستطاعة فقال إنها «سلامة البنية وصحة الجوارح وتخليها من الآفات . وقال لا أقول بها في الحالة الاولى ولا في الحالة الثانية . ولكني أقول الانسان يفعل والفعل لا يكون الا في الحالة الثانية»[2]

وقال ثمامة بن أشرس ان الاستطاعة هي «السلامة وصحة الجوارح من الآفات» وهي قبل الفعل[3]

وذهب الجاحظ ـ كالفلاسفة ـ الى نفي الصفات عن الله والى اثبات ان القدر خير وشره من العبد . وهو إذ يصف الله بالارادة فانه يعني «انهُ لا يصح عليه السهو في أفعاله ولا الجهل ولا يجوز ان يغلب ويقهر»[4]

ويحدثنا ابو الحسين الخياط فيذكر ان الجاحظ أبلى في دفاعه المجيد عن النبوة بكتابته في تثبيتها[5]

وقال هشام بن الحكم الشيعي «ان الله جسم محدود عريض عميق طويل . طوله مثل عرضه . وعرضه مثل عمقه . نور ساطع . له قدر من الاقدار بمعنى ان له مقداراً في طوله وعرضه وعمقه لا يتجاوزهُ»[6] وقال «ان مكانه هو العرش وانهُ مماس للعرش وان العرش قد حواه وحده»[7] وقال «ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبههُ شيء» ويروى انهُ قال «هو سبعة اشبار بشبر نفسه وانهُ في مكان مخصوص وجهة مخصوصة وانهُ يتحرك وحركته فعله وليست من مكان الى مكان» ثم قال «هو متناه بالذات غير متناه بالقدرة»[8]

وهشام يقول عن الاستطاعة انها «كل ما لا يكون الفعل الا به كالآلات والجوارح والوقت والمكان»[9]

فاذا تأملنا الكندي في ضوء هذه الامثال التي ضربناها وجدنا انهُ قد كتب في الاستطاعة وزمان كونها وفي تثبيت النبوة وفي قول من زعم أن جزءًا لا يتجزأ وفي التجسيد وفي قول من ادعى أن الاشياء الطبيعية تفعل فعلاً واحداً بإيجاب الخلقة وفي الرد على المنانية والثنوية[10] وأنهُ كان يقول بمذهب المعتزلة في صفات الله[11]

— ٣ —

على ان شخصية الكندي بلغت من التركيب انها تكاد تمثل كل ما كان في عصره تمثيلاً صادقاً فقد اهتمَّ العرب إذ ذاك بنقل علوم جديدة من لغات مختلفة وظهرت الوان من التطور في نواحٍ اخرى فكان للكندي أثر في كل هذا

والمنصور اول من اهتمَّ بالترجمة فنهض بعلوم النجوم نهضة واسعة لانهُ كان يستعين بها في قضاء أموره فقرَّب اليه نوبخت العالم باقترانات الكواكب والحوادث، وقرَّب ابنه أبا سهل . وكان لابراهيم الفزاري وابنه محمد وعلي بن عيسى الاسطرلابي، كانت لهم جميعاً حظوة عند المنصور .

(١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٧٠ (٢) الملل والنحل ص ٤٥ (٣) الملل والنحل ص ٤٩ (٤) الملل وا[لنحل] ص ٦٢ (٥) الانتصار ص ٢٣ ، ١٥٥ (٦) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٩٧ (٧) مقالات الاسلا[ميين] ج ١ ص ٢٠٠ (٨) الملل والنحل ص ١٤١ (٩) الملل والنحل ص ١٤١ (١٠) [illegible] مؤلفات ال[كندي] الفصل الثالث من هذه الرسالة (١١) [illegible]

[illegible] كتاب السند هند الكبير في حركات الكواكب وبقي هذا الكتاب عمدة للنجوم حتى ايام المأمون. ويذكرون ان كتاب اقليدس ترجم للمنصور أيضاً بسبب حاجة النجوم الى العلم بالهندسة[١]

وسواء كان المنصور قد استدعى جورجيس بن بختيشوع لعلته او لسبب آخر ، فهو قد استدعاه فحضر مع بعض تلاميذه وكرّمهم الخليفة فكان لهم أثر كبير في النهضة الطبية بما ألفوه وبما ترجموه عن اللغة اليونانية من كتب الطب

واهتمّ الرشيد بالترجمة بعد المنصور غير انهُ وجّه اكثر عنايته الى نقل الكتب الطبية التي عثر عليها في انقره وعمورية . ويقولون ان يحيى بن خالد البرمكي عُني بترجمة المجسطي في ذلك الوقت[٢]

ولكن هذا الذي كان في ايام المنصور والرشيد لم يكن الاّ تدرّجاً معقولاً لتلك النهضة الشاملة التي اتسم بها عصر المأمون وما بعده فان الترجمة في هذا العصر قد تناولت امهات الكتب من لغات كثيرة وتناولت اكثر فروع المعرفة

ويروون ان المأمون كان يقوّم الكتاب المنقول بوزنهِ ذهباً . وهذا ان يكن بعيد الحصول من ناحية ، فهو يدل ، من ناحية اخرى ، على مقدار عنايته بنقل الكتب . ويدل على تهافت المترجمين على النقل ثم تهافت الناس على القراءة والدرس — وهناك حنين بن اسحاق الذي كان يعرف اليونانية والسريانية والفارسية والعربية وقسطا بن لوقا البعلبكي وثابت بن قره الحرّاني (٢٢١ هـ — ٢٨٨) وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي ويحيى بن البطريق الذي كان يعرف اللاتينية ويوحنا بن البطريق ويوحنا ابن ماسويه الذي عُني بنقل الكتب الطبية . اولئك بعض الذين كانوا ينقلون الكتب عن اليونانية والسريانية واللاتينية بينما كان غيرهم ينقل عن الفارسية والهندية والنبطية[٣]

فاذا تلمسنا أثر هذه الحركة في الكندي فاننا نبلغ حقيقة كونه منجماً وفلكيّاً ورياضيّاً وطبيباً مما هو واضح في بيان مؤلفاته

وكان للحياة الادبية نصيبها من نشاط العرب في هذه الفترة من تاريخهم فكان من الشعراء بشار (حول ١٦٨ هـ) وابو نواس (حول ١٩٨ هـ) وابو العتاهية (حول ٢١٣ هـ) وابو تمام (حول ٢٣٠ هـ) وكان من الادباء الجاحظ والمبرد وابن قتيبة (حول ٢٧٠ هـ) والاصمعي (حول ٢١٧ هـ) وابو عبيدة (حول ٢٢٠ هـ) وغير هؤلاء واولئك من اعلام الادب والشعر

وهذه الناحية إلاّ تكن مستحدثة في حياة العرب فقد جدّ فيها لون من الكتابة لم يكن معهوداً [illegible] امتزاج العرب بغيرهم ونقل العلوم والفنون من اللغات الاخرى وعلم الفلسفة والكلام ، كل هذا [illegible] سبباً في ان كسبت اللغة العربية ثروة من الالفاظ الطبية والاصطلاحات الفلسفية ومن غيرها الكلمات المعرّبة الكثيرة[٤]

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٣٨ (٢) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٣٩ — ١٤٠ (٣) عصر المأمون [illegible] — ٣٩٣ وتاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٤٢ — ١٤٨ (٤) عصر المأمون ج [illegible] ص [illegible]

ثم ان معالجة الفنون والفلسفة كانت داعية الى اسلوب ضروري لها ، هو الاسلوب العلمي السهل القائم على الحجة القوية والبرهان المبين

وصلة الكندي بهذه الحياة الأدبية ظاهرة في أسلوبه العلمي الذي عالج به ما عالج من العلوم والفنون والفلسفة وفيما يرويه لنا ابن خلكان من ان الكندي كان يسمع أبا تمام وهو يلقي إحدى قصائده في حضرة احمد بن المعتصم وكان آخر هذه القصيدة قوله :

اقدام عمرو في سماحة حاتم   في حلم احنف في ذكاء إياس

فلما سمعهُ قال « الامير فوق من وصفت » فقال أبو تمام على البديهة :

لا تنكروا ضربي لهُ من دونه   مثلاً شروداً في الندى والباس

فالله قد ضرب الاقلّ لنوره   مثلاً من المشكاة والنبراس[1]

فهل لا نجد في هذا ما يدل على ان الكندي كان على اتصال بالحياة الادبية بحيث يذوق آثارها وبحيث يستطيع ان يأخذ شيئاً على شاعر كبير كأبي تمام

ثم انهُ كان من دواعي البيئة ان نشأ علم النحو ونضج في العراق . وهذا لانهُ كان ملتقى الشعوب الاسلامية المختلفة حيث عاش الاعاجم بين العرب وتعلموا لغتهم ودرسوا الاسلام. وحسبك سيبويه (حول ١٨٨ هـ) وتلميذه الاخفش (٢١٥هـ) ثم الكسائي (حول ١٨٣ هـ) وتلميذاه المبرد والفراء (٢٠٧ هـ) حسبك سكان العراق هؤلاء لتقول بهِ موطناً للنحو ولتقول ان النحو بلغ الغاية في اواخر القرن الثاني الهجري واوائل القرن الثالث[2]

وانت قد تعجب اذا قلت لك ان الكندي الفيلسوف كان يتصل بالنحو والنحويين ولكن هذا هو الواقع فالجرجاني يروي عن ابن الانباري انهُ قال « ركب الكندي المتفلسف الى ابي العباس وقال لهُ : اني لأجد في كلام العرب حشواً . فقال له ابو العباس : في أي موضع وجدت ذلك فقال : أجد العرب يقولون : عبد الله قائم . ثم يقولون : إن عبد الله قائم. ثم يقولون ان عبد الله لقائم فالالفاظ متكررة والمعنى واحد» ويروي الجرجاني ردّ أبي العباس على هذا :[2]

***

والآن ، وقد عرضت عليك صلة الكندي بعصره مجملة ، فهل لا ترى أحدهما صورة واضحة للآخر ؟ لقد رأيت — إذن فقل : انهُ لكذلك

---

(١) وفيات الاعيان جـ ١ ص ١٥٢

(٢) تاريخ التمدن الاسلامي جـ ٣ ص ٧٤ — ٧٦ وفجر الاسلام جـ ١ ص ٢٢٠

الشباب والإشباب [1]

والتعمير [2] والشيخوخة

للدكتور شوكت موفّق الشطّي

الاستاذ بمعهد الطب العربي في دمشق

يبصر الوليد النور ويستهل [3] فتقام الافراح في دار أبويه ويهش ساكنوه وتكثر التهاني والزيارات فرحاً بقدومه ترضعهُ امه لبنها فتعطيه بذلك أعز ما لديها وهو دمها راضيةً هاشةً ثم يدب [4] ويثغر [5] وهو ما زال طفلاً ساذجاً لا يميز بين الجمر والتمر ويأخذ بعد ذلك بالنمو والترعرع فيشتد ويسير مرحاً ثم يصير يافعاً فراهقاً حتى اذا ما اجتمعت قوته واحتلم عاد حزوراً فاذا صار ذا فتاء فهو فتى وشارخ ثم يصبح شابًّا في شرخ الشباب وذلك في عشرين سنة ثم تستقر حالته وتكاد تكون ثابتة مدة عشرين سنة اخرى لولا ان بعض الوهن يعتريها

والانسان في هذا الدور قوي الجسم ، صحيح البنية ، نشيط ثم يأخذ بالتدني ويزداد ذلك شيئاً فشيئاً فيهن نشاط عضلاته وتعود مشيته بطيئة وتنحني قامته ويحدودب ظهره وتخور قواه ويبطئ عمل اجهزته وتصبح اعضاؤه كسلى وينتزع الكاس من عظامه فتسقط اسنانه ويشتعل الشيب في رأسه ويتناثر شعره ويجف جلده ويتحسف ، لا يقوى على النهوض هذا ان لم يك مقعداً ، لايستطيع ان يمسك ريقه لانهُ ماج يسيل لعابه كِبراً وهرماً اذا جاع، لا تقوى يداه المرتعشتان على ايصال الطعام او الشراب الى فمه بسهولة بل ينصبُّ ما في الملعقة او الآنية على لحيته وثوبه، يضعف حسه وشعوره ويخبل عقله . صورة تهلم لها قلوب من داسوا عتبة العقد السابع من العمر وترتعد لها فرائص من استوفوا السبعين لانها تمثل الانسان بأجلى مظاهر الضعف واهنَ الجسد والعقل مستقفساً [6] في زاوية الغرفة معتزلاً العالم وحيداً حزيناً

فلو تبصرنا في حالة الانسان في اول عمره ومنتهاه لرأينا انهُ بدأ حياته مقعداً لا يستطيع الحركة وانتهى عمره وهو كذلك غير انَّ بعد سكونه في الصغر دبًّا وحركةً ومشياً ، وبعد قُعاده [7] في

---

(١) تأويل rajeunissement من أشب يشب.لم يرد ذكر هذه الكلمة بهذا المعنى في كتب اللغة على ان الحريري صاحب المقامات قد ذكرها في المقامة البكرية فقال « والضجيع الذي يشب ولايشيب » اي يجملك شاباً ولا يشيبك

(٢) من عمره الله اى ابقاه زمنا طويلاً وقد جاء في القرآن الكريم — «ومايعمر من معمر ولاينقص من عمره الا في كتاب» ..

(٣) الاستهلال اول بكاء الصبي وفي الحديث «الصبي اذا ولد لم يورث ولم يرث حتى يستهل صارخاً»

(٤) الدب او مشي الطفل

(٥) أثغر الصبي نبتت اسنانه

(٦) استقفف الشيخ اذا ضمر وانحنى وانضم ومنه قيل كبر حتى كأنه قفة

(٧) القعاد : الداء الذي يقعد واقعد الرجل لم يقدر على النهوض

كبر ومسّاً ولحداً ، ترافق السذاجة والبساطة كل عمل يأتي به وهو طفل وتصحب السماجة سكناته وحركاته وهو شيخ ، لا يميز في صغره الضار من النافع ولكنهُ مع ذلك وديع لطيف يُنظَر بعين الرضى الى كل ما يبدو منه ، ولا يفرق في كبره بين الغث والسمين الاّ ان عين الغضب تظهر مساويه، يخدمُ في طفولته بحنو وأمل ويقوم افراد العيلة في قعاده بواجبها نحوه وكثيراً ما يشوب ذلك الضجر والملل فالامل معقود عليه في صغره وليس الامر كذلك في كبره وقد نعتت هذا السن بأنها ارذل العمر وقد جاء في القرآن الكريم : « يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مُضغة مُخلَّقة وغير مخلقة لِنُبيّن لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشُدَّكُم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العُمُر لكي لا يَعلَم من بعد علمٍ شيئاً (١) »

ان هذه النتيجة المؤلمة التي يؤول اليها حال الانسان وهذه الحالة المحزنة التي يبلغها جعلت لنا ذكرى الصبا سلوة وسيرة الشباب عزاءً وعوده حلماً ولذلك اكثر شعراء العرب من وصف الشباب فبكوه وأوجسوا خيفة من الشيب فهجوه واليك بعض اقوالهم قال أبو تمام :

غدا الشيب مُختطاً بفودي خطةً سبيل الردى منها الى النفس مَهيَعُ
هو الزَّور يُجفى والمُعاشر يُجتوى وذو الإلف يُقلى والجديد يُرقَّعُ
له منظر في العين أبيض ناصع ولكنهُ في القلب اسود اسفعُ

وقال محمود الورَّاق :

بكيتُ لقرب الاجل وبُعد فوات الأمَلْ
ووافق لشيب طرا بعقب شباب رحَلْ
شبابٌ كأن لم تكنْ وشيب كأن لم يزلْ
طوى صاحب صاحباً كذاك اختلاف الدُّوَلْ

وكان ينشد ابو العتاهية شعره الآتي ودموعه تسيل على خديه

لهفي على ورق الشباب وغُصونه الخُضر الرطابِ
ذهب الشباب وبانَ عني م غيرَ مُنتظر الإيابِ
فلأبكيَنَّ على الشبا ب وطيب أيام التصابي
فلأبكينَّ من البلى ولأبكينَّ من الخضابِ
إني لآملُ ان أُخلَّد م والمنية في طلابي

ومن ابلغ الاقوال في التفجع على الشباب وفي ذم الشيب قول ابي حازم الباهلي :

لا تكذبنَّ فما الدنيا بأجمعها من الشباب بيوم واحد بَدَلُ

(١) سورة الحج آية ٥

الخبراء الاجانب

وتقاريرهم عن التعليم في مصر [1]

في السنوات الخمس الاخيرة ، انتدبت وزارة المعارف جماعة من الخبراء الاجانب ، لدراسة نظم
عليم العامة في مصر ، والنظر في السياسة التعليمية او لدراسة نظم مدارس معينة كمدرسة الهندسة
لكية . وما نلاحظه عما لهذه التقارير من الشأن ، ان النظر في السياسة التعليمية في بلادٍ ما ،
بدّ ان يراعى فيه دراسة مستفيضة لتطور نظام التعليم والاسباب التي ادت الى هذا التطور ،
راسة سيكلوجية لمستوى التلاميذ العقلي وبحث اقتصادي واجتماعي للبيئات المختلفة . لهذا
جب ان تؤخذ تقارير هؤلاء الخبراء ، والنتائج التي وصلوا اليها بشيء من التحفظ ، لاسيما ما يختص
ها بسياسة التعليم العامة . ولكن لا شك في ان آراء هؤلاء الخبراء فيها شيء كثير من الحقيقة .
شيما ما كان منها خاصًّا بالشؤون التي لا تعتمد على الاستعداد السيكلوجي او اعتبارات البيئة وان
نّ غير واحد من المشتغلين بالتعليم في مصر قد ردد جانباً كبيراً من هذه الملاحظات في فترات مختلفة.
اهم هؤلاء الخبراء الذين درسوا نظم التعليم العامة ، كلاباريد السويسري ومان الانجليزي

﴿ مهمة كلاباريد ﴾ الدكتور كلاباريد ، مدير معهد البيداجوجيا (التربية) واستاذ علم النفس
لخاص بالاطفال في جامعة جنيف في سويسرا وقد ندبته وزارة المعارف وعهدت اليه في وضع خطة
أمة للاصلاح المدرسي تتناول النظام السائد حالاً في مصر وبوجه خاص مدرسة المعلمين . وقد
باء كلاباريد في اواخر شهر اكتوبر سنة ١٩٢٨ ، وبقي نحو ثمانية اشهر ، اصدر بعدها تقريراً عن
آرائه ومباحثه ، طبعته وزارة المعارف فيما بعد . وقد اعتمد في دراسته على مصادر متعددة ، منها
راء المعلمين والمفتشين وخبراء الامتحانات ثم على الملاحظات التي عنّت له في خلال زياراته للمدارس
المختلفة ، كذلك على الاختبارات السيكلوجية التي اجراها على بعض تلاميذ المدارس في مختلف درجات
الدراسة في المدن والارياف ، كما انه اعتمد على ملاحظات لفيف من طلاب مدرسة المعلمين العليا

واهم المباحث التي عهد الى الاستاذ كلاباريد في درسها ما يأتي :

(١) نظام مدارس المعلمين ، وهل تختلط فيها المواد العلمية البيداجوجية، وهل تنضم مدرستا
المعلمين الى كليتي العلوم والآداب بالجامعة المصرية. وما الخطة التي تسير عليها الوزارة في تخريج المعلمين.
(٢) دراسة نظام التعليم العام : وهل النظام الدراسي في جميع مراحل التعليم يحتاج الى اصلاح او تغيير
لا سيما من حيث مواد الدراسة وعددها ومقدارها ومن حيث التوحيد بين الدراسة في مدارس

(١) فصل من « تقويم التعليم » صنفه احمد عطية الله ومنشه دار الهلال للطبع

شرخ الشباب لقد ابقيت لي اسفاً ما جدّ ذكرك الاّ جدّ لي شكلُ
وأحسن منه على رأي اللغوي الاديب الامام ابي هلال العسكري قول منصور النمري
ماتنقضي حسرةٌ مني ولا جزع اذا ذكرت شباباً ليس يرتجعُ
بان الشبابُ ففاتتني بشرّته [١] صروفُ دهر وأيام لنا خُدعُ
ما كنت اوفي شبابي كنه غرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبعُ
وقد سئل ابو العتاهية اي شعر قلتهُ اجود واعجب اليك قال قولي :
ان الشباب حجة التصابي روائح الجنة في الشباب
وفي قول أبي العتاهية « روائح الجنة في الشباب » على رأي الجاحظ معنى لمعنى الطرب الذي لا يقدر على معرفته الاّ القلوب وتعجز عن ترجمته الالسنة الاّ بعد التطويل وادامة الفكر الجليل والتفكر الجزيل وخير المعاني ما كان الى القلب اسرع من اللسان
وبكى شاعرنا ابو العتاهية الشباب بقوله المشهور .
عريت من الشباب وكان غضّاً كما يعرى من الورق القضيب
ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب
غير ان الحلم الذي تغنى بهِ ابو العتاهية بقوله «ألا ليت الشباب يعود يوماً» صار حقيقة واصبح رد قوة الشباب ممكناً

جدّ الانسان منذ خُلق في اجتناب الموت ولكنهُ رأى استحالة الوصول الى مطلبه ونظر في حالته التي ينقلب اليها فألفى الموت خيراً منها كما قال الشاعر زبّان بن سيّار الفزازي
اذا المرءُ قاسى الدهر وابيضّ رأسهُ وثُلّمَ تثليمَ الاناء جوانبه
فللموتِ خير من حياة خسيسة تُباعده طوراً وطوراً تقاربه
بُحث لذلك في اسباب العتيّ وسعى الى تحاشيه بوسائل مختلفة كالتمائم والتعاويذ والالكسيرات لمستحضرات والوصفات المتنوعة وقد اشتهر امر كل منها وراج مدة من الزمن وما لبثت تلك سائل ان عادت نسياً منسيًّا لأنها لم تحقق الغاية ولم تنل الأرب

لجأ الانسان في الأعصر السابقة الى طريقة ما زلنا نشاهد اثرها اليوم وقد اوصى بها الطبيب بهير « سيدنهام » في مذكراته اذ قال ما من وسيلة توقظ العافية في مريض مضنك انجع من العناصر نصاعدة من انفاس شاب قوي وسليم واشار بتنويم الشبان الأصحاء في غرف المرضى

ليس هذا الرأي من مبتكرات سيدنهام فقد قال به من قبل ابقراط وقد روي ايضاً ان الملك ندس داوود لما أثر فيه العمر وبرد جسمه وضعف واعيي امره نطس الاطباء تشاور خدمه فقرروا حث عن فتاة عذراء تدفىء الملك فعثروا على الفتاة الجميلة ابيكايل فصرفت عنايتها لخدمته فاصطلح حاله

(١) شرة الشباب : نشاطه في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري وفي الاغاني (بلذته)

وقد شاعت هذه البدعة مدة من الزمن وهنالك من الأقوال الكثيرة ما يدل على ذيوعها حتى اليوم منها المثل الشامي «لاتقترن من عجوز فتمتص ماء الحياة منك ولاتزوج ابنتك شيخاً فيمتص ماتيها»

وروي عن امير المؤمنين علي بن طالب رضي الله تعالى عنه انه قال من اراد البقاء ولا بقاء فليجوّد الغذاء ويتمشى بعد العشاء ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الخلاء ودخول الحمام على البطنة من شرّ الداء واكل القديد اليابس معين على الفناء ومجامعة العجوز تهدم اعمار الاحياء . واشار المتنبي الى الاستشفاء بروائح الفتيات في شعره فقال

وفتّانة العين قتّالة الهوى اذا نفحت شيخاً روائحها شبّا

وضع كوهاوزن (Cohausen) سنة ١٧٤٢ كتيباً تناول فيه تأثير انفاس الفتيان والفتيات في تحسين صحة الشيوخ فعمت هذه البدعة ووجد بعض الشيوخ في هذه السنة الطريفة ضالتهم المنشودة فاستنّوا بها . ويروي لنا التاريخ بعض من اشتهروا بطول البقاء وربما كان لهذه البدعة شأن في إشبابهم منهم حيان بن قيس وقد تزوج ثلاثة اهلين فتيات ولا شك كما يستدل من شعره

لبست اناساً فأفنيتهم وأفنيت بعد اناس اناسا

ثلاثة اهلين افنيتهم وكان الاله هو المستاسا

ويدل قوله الآتي على عمره وانهُ ما زال قويًّا

ومن يك سائلاً عني فأني من الفتيان ايام الخُنان (١)

اتت مائة لعام ولدت فيه وعشرٌ بعد ذاك وحجتان

فقد ابقت خطوب الدهر مني كما ابقت من السيف اليماني

وقد بقيت اسنانه ترفّ(٢) حتى مات وفي النهاية وكأنّ فاه البردُ وذكر ابن قتيبه انهُ عمّر مائتين وعشرين سنة ومات باصبهان وما ذلك بمنكر لانهُ قال لعمر رضي الله تعالى عنه انهُ افنى ثلاثة قرون وكل قرن ستون سنة فهذه مائة وثمانون سنة ثم عمر بعده فمكث بعد قتل عمر الى خلافة عثمان وعلي ومعاوية ويزيد

ويروي لنا التاريخ ان غوته قد عشق في سنته الثانية والثمانين ماريان يونغ التي كانت في العقد الثاني من عمرها وان طوماس بار دعاه ملك الانكليز في سنته المائة والثانية والثلاثين وكان تزوج في السنة المائة والتاسعة عشرة وبتر البرخت الذي عاش مائة وثلاث وعشرين سنة تزوج في سنته الثمانين ورزق سبعة اولاد وجورج دوغلاس عاش مائة وعشرين سنة وسبعة اشهر وتزوج في الخامسة والثمانين ورزق ثمانية اولاد وولد ابنه الاخير اذ كان عمره مائة وثلاث سنوات وهيريانوس وقد عاش مائة وخمس عشرة سنة . ومن منا لم يسمع باسم زارو اغا التركي الذي مات حديثاً عن عمر يزيد على المائة والعشرين سنة وقد اقترن من ست فتيات وكان يلازمه وهو شيخ حفيد حفيده الشاب

(١) زمن الخنان كان في عهد المنذر بن ماء السماء (٢) ترف اسنانه اي تبرق وتتلألأ

ومن غريب الصدف ان مامن شيخ ممن ذكرنا اسماءهم الا وقد تأهل مراراً عديدة وكانت عرائسه فتيات

ويزعم كوهاوزن ان الهواء يدخل رئة الفتاة فيتضرج فيها بعناصر نافعة فتزفره حاملاً خواص غريبة تهب الشيخ النشاط وان الشيخ اذا مكث في مكان حيث يحيط به عدد من الفتيان والفتيات استنشق هواء ممتلئاً فتوة منشطاً للشيخ

اننا لو بحثنا في هذه الوسيلة واستنرنا بنور العلم الحاضر لوجدناها مستندة الى اسس اوهى من خيط العنكبوت لان الهواء الذي يزفره الانسان اشيخاً كان ام شاباً وعجوزاً ام فتاة يحمل عناصر ضارة لا نافعة . غير ان الكشوف الحديثة تفاجئنا بين الفينة والفينة بكل ما هو غريب ولا يبعد ان ينبه منظر الفتوة والشباب غدد الشيخ الصم فيجعلها تفرز بعد ان نضب افرازها وقد ثبت ان للرسل (هورمون) شأناً كبيراً في الشيخوخة. وهل لا يغزر سيلان اللعاب في فمنا اذا شممنا رائحة طعم ذكي او نظرنا الى طعام شهي ؟ على ان من الوسائل المتخذة اليوم في تجديد الشباب ما يتناسب والطريقة المذكورة . وقد قلنا في مقال سابق نشر في هذه المجلة الغراء [1] ان العلم كالتاريخ يعيد في بعض الاحيان نفسه مع الاحتفاظ بالتناسب بين شتى العصور

ويزعم دعاة هذه الطرائق الحديثة ان حقن الشيوخ بخلاصة الاجنة وبدماء الفتيان خير وسيلة لمكافحة العجز الشيخي . وتستند الفكرتان القديمة والحديثة الى اساس واحد وهو الاستشفاء بالفتوة

خيل الى كوهاوزن وقد وضع كتابه قبل عهد لافوازيه ان الهواء عنصر مركب كالدم يفسد اذا خالطتهُ مواد ضارة ويصلح اذا امتزج بعناصر نافعة ومن العناصر النافعة فيهِ انفاس الفتيان والفتيات

ولا يخفى ان مستنبطي الطرائق يثبتون دعواهم بالاختبار والمشاهدات ولم يقصر كوهاوزن عنهم في ذلك فقد ابان ان معلمي الولدان اطول عمراً من غيرهم لانهم يتنفسون هواءً مشبعاً بريح الفتوّة والصبا . وقد عرف كوهاوزن نساء بلغن من الكبر عتياً عدن نشيطات اقوياء أثر اقترانهن من ازواج في شرخ الشباب وميعة الصبا وشاهد دوالف[2] اشبُّوا أثر اقترانهم بفتيات منهم (ليتسيسوس) وقد تزوج وهو ابن ثمانين سنة بفتاة لها من العمر خمسة وعشرون ربيعاً فرض في بادىء الأمر ثم عاد قوياً نشيطاً لذلك اقترح بعض المختبرين حينها ان يُستخرج من انفاس الفتيان والفتيات الكسير للحياة وذلك بأن يتنفس عدد كبير منهم في غرفة محكمة فيها ثقب متصل بوعاء فيهِ ماء فتتصاعد العناصر النافعة من الانفاس فتجري في الثقب وتنحل في الماء وقد سموا هذا الماء المضرج بريح الصبا وانفاس الفتيان ماء الحياة فباعوهُ بأثمان باهظة

قيل بهذه الآراء في عهد غابر لم تكن العلوم فيهِ متقدمة هذا التقدم المدهش الذي نرى اثره اليوم اما الآن فقد اعدت الدول مختبرات للعلماء يشتغل فيها عدد كبير من الباحثين وقد اخذ

---

(١) المقتطف عدد فبراير ١٩٣٤ صفحة ١٤٩ (٢) جمع دالف والدالف الشيخ البطيء المشية لثقله

لاء بالبحث عن الشيخوخة تلك القضية المعقدة التي لم تنل قسطها من البحث والتي ما زالت غامضة لم
ف كنهها ولم يسبر غورها تماماً مع ان الرغبة في الخلود والخشية من الموت رافقتا الانسان منذ الأزل
ذا سئم الشيخ الحياة فليس ذلك طلباً للموت ولكن ضجراً من الضعف كما يقول شاعرنا الكبير المتنبي

واذا الشيخ قال أفٍّ فما مـــلّ حياة وانما الضعف ملاّ
آلة العيش صحـة وشباب فاذا ولّيا عن المرء ولّى

يسأل العلماء عن الاسباب الداعية الى اختلاف عمر المخلوقات فمنها ما كانت حياتهُ قصيرة لا تزيد
سنة كبعض انواع النبات ومنها ما يعيش زمناً طويلاً كالأرز الخالد ومن الحيوان ما يعمر
عات محدودة ومنهُ ما يبقى حيًّا ثلاثة عصور . وما هذه الأسباب الاَّ اسرار استصعب العلماء
حث فيها لكشف القناع عنها على اختلافهم فاجتنب الحيويون التنقيب عنها زاعمين ان الشيخوخة
ذثة خلقية وتركوا التقصي فيها للأطباء ولم يفحص عنها المختبرون من الاطباء لأنها حالة ليست فرضية
شغلهم معالجة المرض ولم يعرها الفسيولوجيون ما تستحقهُ من الاهتمام لأنهم يرون انها حالة
يعية والتنقيب عنها معقد وامعن الفلاسفة فيها فكتبوا عنها ما سوّلت لهم انفسهم ولم تك ابحاثهم
حرة فقد اعتادوا الاكتفاء باعطاء الرأي في الغالب ، على ان هذه القضية العويصة لا تحل بنظرية
سفية وفرضية خيالية ولابدّ من الاختبار وليس ذلك رأيهم

ينسب علماء هذا العصر الشيخوخة الى اسباب عدة فيقول مشنيكوف انها انسمام بانقاض الاختمارات
معوية الذاتية وان للبلعمات الكبيرة نصيباً كبيراً في تكوين نسيج ضام يسيطر على الاعضاء فيشيخها
لا تنطبق هذه الفرضية على جميع المخلوقات لأن كثيراً منها محروم من الجهاز الهضمي والبلعمات
م انها تشيخ وتموت . ولو نقّبنا عن هذا الرأي في كتب اطباء العرب لرأينا له اثراً اذ يقول ابن سينا
ي قانونه حين البحث عن اسباب الشيخوخة وضرورة الموت : « اما الاسباب الخارجة فمثل الهواء المحلل
المعفن وأما الاسباب الباطنة فمثل الحرارة الغريزية التي فينا المحللة لرطوباتنا والحرارة الغريبة المتولدة
فينا عن اغذيتنا وغيرها المتعفنة وهذه الاسباب كلها متعاونة على تجفيفنا » ثم يقول « وكلما اخذ
تجفيف في الزيادة أخذت الحرارة في النقصان فعرض دائماً عجز مستمر الى الامعان وعجز عن
ستبدال الرطوبة الخ الى ان يقول فيزداد التجفيف من وجهين احدهما لتناقص لحوق المادة والآخر
تناقص الرطوبة في نفسها بتحليل الحرارة فيزداد ضعف الحرارة لاستيلاء اليبوسة على جوهر
الاعضاء ونقصان الرطوبة الغريزية التي هي كالمادة وكالدهن للسراج لان السراج له رطوبتان ماء
دهن يقوم بأحدهما وينطفيء بالآخر كذلك الحرارة الغريزية تقوم بالرطوبة الغريزية وتختنق بالغريبة
ازدياد الرطوبة الغريبة التي هي عن ضعف الهضم والتي هي كالرطوبة المائية للسراج فاذا تمّ الجفاف
لفئت الحرارة وكان الموت الطبيعي »

يستنتج مما سبق ان ابن سينا يعتقد ان للحرارة الغريبة المتولدة فينا عن اغذيتنا ولضعف

الهضم تأثيراً كبيراً في الشيخوخة والموت الطبيعي ويرى ان خير وسيلة لمكافحة الشيخوخة هي منع العفونة وحماية الرطوبة الطبيعية واجتناب الرطوبة الغريبة التي هي عن ضعف الهضم

فينسب مشنيكوف الشيخوخة الى الانسمام الذاتي وضعف انبوب الهضم ويعزو ابن سينا ايضاً الموت والشيخوخة الى العفونة والمواد الغريبة الناتجة عن ضعف الهضم وهي ليست الاّ الاختمارات المعوية التي بحث عنها مشنيكوف

ويرى فورنوف ان الشيخوخة تنشأ من اختلال التوازن بين الخلايا الضامة والخلايا النبيلة فمتى اشتعلت هذه الفوضى في الجسد سار الانسان الى الموت لأن الخلايا الضامة تكوّن وسادة تضطجع عليها الخلايا الجوهرية او تضم بعضها الى بعض وتغذيها فلا ضرر منها البتة بل هي نافعة نفعاً كبيراً مازالت لاتتجاوز الحد الذي وضعته لها الطبيعة وهي شديدة الضرر متى تجاوزت حدها وطغت فخنقت الخلايا النبيلة لأنها لاتستطيع القيام بما تقوم به تلك . وقلما تبدو هذه الفوضى في الحداثة لأنها مظهر من مظاهر الشيخوخة بل هي الشيخوخة نفسها . ويزعم غيره ان تعب الخلايا وتفاد قواها الحيوية الكامنة وعدم توالدها او بطوءه من الأسباب الداعية الى الشيخوخة

ويعتقد الأزليون ومنهم اهل الكتاب ان الحياة والموت والشباب والشيخوخة حادثات كتبت منذ الأزل وان حفظ النوع يقضي بزوال الشيوخ ليحل محلهم الشبان

ويدعي بعضهم ومنهم لوميار وماراغليانو ان الشيخوخة والموت وغيرها من مظاهر الحياة حادثات لها صلة كبيرة بالقانون العام الذي يرأس الحالات الغرائية . والواقع ان التدني الشيخوخي ولا سيما في الأنسان والحيوانات العليا ينتج من عوامل عديدة يمكن جمعها في زمرتين

١ — العوامل الباطنية : وهي عوامل ذات صلة بالأمم [1] تنظم الحد الأعظم من عمر كل منها فتجعل حياة بعض انواع النبات قصيرة لاتزيد عن فصل واحد وحياة بعضها مديدة كأنها خالدة ولم يتوصل العلم حتى الآن الى وسيلة تبدل مدة هذا الدور الحيوي الخاص بكل امة

٢ — العوامل الخارجية : وهي كثيرة ومختلفة تختلف باختلاف البيئة التي يعيش فيها الانسان وباختلاف عمله وطوره قد تقصر عمره وتقوده الى الشيخوخة المبتسرة وقد تعينه على بلوغ اعلى درجات التعمير . ويمكن تنظيمها باتباع القواعد الصحية وبجعل البيئة التي يعيش المرء فيها صالحة

واخيراً حذار ايها الشيخ القارىء لمقالتي ان تغتر بما مرَّ فتلجأ الى طريقة الاستشفاء بالفتوة ولا يخدعنك فيها سهولتها واستحسانك لها وتذكر المثل الطبي القائل «الغادة الشابة والطعام النفيس معولان يحفران قبر الشيخ»

---

(١) جمع امة تأويل espèces بدلا من انواع والامة جنس كل حيوان وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤيد هذا المعنى : « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم » سورة الانعام آية ٣٨

مصطلحات علم النفس

ومشكلة ترجمتها وتعريبها

لمحمد مظهر سعيد
الاستاذ بمعهد التربية وكلية اصول الدين

النزعات الموروثة

يطلق المصطلح الافرنجي Innate Tendencies على جميع نزعات الانسان وقوا
من النوع الانساني عامة بطريق الوراثة فتدفعه الى القيام بأعمال معينة — تختلف
بحسب مرتبة النزعة الخاصة من سلم التطوّر الانساني — من دون سابق خبرة او
وهي تتدرّج من الجمود التام والثبوت على حال واحدة لا تتبدل ولا تتغير كحركة ا
عند تحرك شيء ما بسرعة نحو العين، الى القابلية للتغيير والتبديل والتهذيب نوعاً
كغرائز الهرب من الخطر وقتال العدو، وأخيراً الى اكبر قسط من المرونة والتعديل
وكان علماء النفس في اوربا وامريكا الى عهد قريب جدًّا يخلطون بين انواع ه
لا حدّ لهُ ويذهب كل منهم في تفسيرها وتسميتها ما شاء ان يذهب

أما الآن بعد ان دالت دولة التداعيين Associationists والمسلكيين rists
Mechanistics وانتصرت مدرسة وليم ماكدويل الهورمية Hormic او الغا
تحددت المعاني وانتظم التقسيم وصارت النزعات الموروثة تنقسم الى ثلاث طوائف
وأبسطها تركيباً طائفة الأفعال المنعكسة (او المعكوسة) Reflex actions
التلبيات او الاستجابات reactions التي يقوم بها عضو واحد من اعضاء البدن
آلية ثابتة لا تتغير في جوهرها مع الزمن والخبرة كلما وجد مؤثر طبيعي
الانسان شعوراً واضحاً او غامضاً او لا يشعر بها على الاطلاق وقت حدوث
انفعال او لون وجداني خاص بها ولا تخضع لارادة الانسان ولا لتفكيره و
العين عند التعرض للنور والظلام، والعطس عند وجود جسم غريب يلامس
الجفن عند وجود شيء يفاجىء العين . وكل ما يحصل فيها من التعديل
المنعكس بمؤثر آخر غير المؤثر الطبيعي يكون قد صحبه عدة مرات كسيلان

رنين الجرس اذا تكرر قرع هـذا الجرس كلما وجد الطعام امام الكلب . أما الفعل ذاته او التلبية للمؤثر فلا تتغير في الحالتين وتسمى في هذه الحالة افعال منعكسة معدلة او محوّلة او شرطية Conditioned

والطائفة الثانية هي طائفة الغرائز Instincts وقد عرّفها ما كدوجل « بالنزعة البدنية النفسية (او السيكولوجية الفيزيقية Psycho-physical) الموروثة التي تدفع الكائن الحي الى ادراك موقف او مؤثر طبيعي معين (او مجرد الشعور بوجوده والانتباه له) . والشعور بانفعال نفساني خاص على اثر هذا الادراك . ثم النزوع او التصرف تصرّفاً خاصّا للوصول الى غرض خاص او على الأقل الشعور بوجود دافع نفساني لهذا التصرف ولو لم يتم . وهذه النزعات يتعين ان تكون عامة مشتركة بين الانسان والحيوان وان اختلفت مظاهرها وألوانها . فلا بد اذن من توافر هذه الشروط الاربعة في كل استعداد او نزعة موروثة حتى يصح اعتبارها غريزة . وعلى هـذا الاعتبار صارت الغرائز الاساسية هي مجموعة غرائز حفظ الذات كالبحث عن الطعام بصرف النظر عن طرق هذا البحث ، والمسكن والوقاية وغيرها من الغرائز الفردية كالهرب من المخاطر والمقاتلة والنفور والجمع والغرائز الاجتماعية كالتسلط والخنوع والاستطلاع والتجمع وغيرها لان كلاً من هذه الغرائز له مؤثرات طبيعية محدودة وتحدث في النفس انفعالات محدودة واضحة كالخوف والغضب والحنو وغيرها.وهي كذلك تدفع الانسان الى القيام بأعمال خاصة توصله الى غرض خاص محدود يختلف في كل غريزة عن الاخرى وفوق هذا كله فهي عامة عند الانسان والحيوان ومهما تبدلت المؤثرات الطبيعية بغيرها مما يتصل بها او يماثلها او يحل محلها ومهما تعدلت أساليب التصرف وتغيرت مظاهر السلوك بالخبرة والذكاء والبيئة فالانفعال باق على ما هو عليه لا يتغير . ولا يتبدل والغرض الطبيعي الذي ترمي الغريزة الى تحقيقه عن طريق النزوع كذلك موجود في جوهره وان اختلف وارتقى وسما في مظهره

والطائفة الثالثة — تتناول النزعات الموروثة الراقية غير المحدودة المتنوعة الجوانب التي لا يثيرها مؤثر خاص بعينه ولا ترمي الى غرض خاص بعينه . واظهر ما فيها انهُ لا يصحب كلاً منها انفعال خاص يميزها عن غيرها كما هي الحال في الغرائز وان شعر معها الانسان بالارتياح عند تمام النزوع واشباعه او القلق والالم عند تعطيله والوقوف في سبيله او ثارت في نفسه عدة انفعالات . ولذلك تسمى بالنزعات الموروثة العامة او غير النوعية General or Non - specific Tendencies ومن اهمها الاستهواء Suggestion ومشاركة الغير في حالته الوجدانية Sympathy والتقليد Imitation والتعويض Compensation واللعب.وسنتحدث عن كل من هذه النزعات في شيء من التفصيل فيما بعد

***

هذا في المصطلحات الافرنجية اما في المؤلفات العربية فلا يزال الكتّاب والمؤلفون يخلطون

بين هذه الطوائف الثلاث فضلاً عن الخلاف في تسمية النزعة الواحدة مع تحديد مداها واغراضها

فتجد المرحوم الشيخ شريف يقول (ص ٤٢) بواعث غريزية صرفة يندفع اليها الطفل بطبيعته من غير علم ولا شعور ولا يتأثر منهُ بالكلية . ويقصد هنا منع وجود الانفعال . وفي (ص ٤٣) حركات غريزية غير مشعور بالغرض منها البتة او الشعور بهِ خفي جداً كحركات الاجفان (وهـذا فعل منعكس) واطلق على الغرائز في بعض المواقف بالقوة الطبيعية (ص ٣٤) الغرائز وغيرها مما ليست نفسية محضة ولا فكرية صرفة تدخل تحت القوة الطبيعية

***

ولا يزال الكثير من الكتاب والمؤلفين يخلطون بين انواع النزعات الموروثة فيسمون الارتضاع (مص الثدي) غريزة وهو فعل منعكس معقد واللعب والتقليد غرائز ناهجين نهج القدماء من علماء النفس امثال باين وسللي وهي نزعات عامة غير نوعية كما بينا سابقاً وبعضهم يعتبر الحب والكراهية غرائز وهي عواطف

فتجد الاستاذ حامد عبد القادر في صفحة ٧٥ (في علم النفس الجزء الاول) يتكلم عن غرائز بناء الاعشاش او البيوت والغناء عند الطيور والدكتور علي عبد الواحد في مقاله عن الغرائز (العدد الاول من صحيفة دار العلوم) يذكر غريزة الجراحة عند بعض الطيور وغيرها من الاسماء الغريبة الذي تذكرنا بنزعة التقسيم والتبويب المتطرفة التي استولت على العلماء في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحاضر فجعلتهم يعتبرون كل مظهر من مظاهر السلوك الانساني غريزة كاملة مستقلة بذاتها ويعطونها اسماً خاصاً حتى بلغ عدد اسماء الغرائز التي وردت في مؤلفاتهم مائتين وخمسين وضع منها ثورندايك وحده اربعين . ولقد اراحنا مكدوجل من هذا الهوس فاصبحنا نعتبر هذه الغرائز الخاصة بجنس واحد من اجناس الكائنات الحية مظاهر والوان لغريزة واحدة عامة عند الانسان والحيوان فالهرب مثلاً هو اسم الغريزة او النزعة العامة عند الكائنات الحية اما التلون عند الحرباء والتماوت عند بعض الزحافات الصحراوية فألوان خاصة لغريزة الهرب وليست هي غرائز مستقلة تعطى لها اسماء خاصة بها

واعتبر الاستاذ حامد في صفحة ٧٦ التعبير عما في النفس وحب الجمال وكذلك حب الثناء (ص ٨٥) غرائز ولا نعرف واحداً من علماء النفس المحدثين المعتبرين قال بهذا وقال بأن التأثر للحالة الوجدانية للغير غريزة وهو نزعة عامة . ونسب الاستاذ الابراشي في الفصل الذي كتبه عن النزعات العامة في نفس الكتاب (ص ٨٩) الى العلامة ما كدوجل انه يعتبر نزعة التدين والمنافسة والتعبير عن النفس نزعات عامة تتمم مع الاستهواء والمشاركة الوجدانية واللعب والتعويض مجموعة النزعات

اما الاستاذ قنديل فقد جمع في صفحة ١٦١ في الجزء الاول من كتابه اصول علم النفس عدة تعاريف متضاربة متناقضة للغرائز في نظر مدارس علم النفس المختلفة وعطفها جميعاً عطفاً يجعل القارىء يعتقد ان هذه التعاريف كلها مترادفة ومقبولة . ثم تتبع تقسيم ما كدوجل للغرائز ولكنهُ ذكر معها غريزة الاستغاثة ونحن لم نسمع بها عن ما كدوجل او غيره من العلماء

أسماء الغرائز الاساسية

سنذكر الآن الترجمة التي نرتاح اليها لاسماء الغرائز الاساسية بحسب تقسيم ما كدوجل : —

١ — Flight : غريزة الهرب (من الخطر او المخاطر او الاشياء الخطرة) اما الخوف فهو اسم انفعالها

٢ — Fighting, Combative : غريزة المقاتلة او القتال وانفعالها الغضب — Pugnacity المشاكسة (او حب الخصام : قنديل)

٣ — Repulsion النفور او النبذ وانفعالها الاشمئزاز او التقزز (للامور المادية كالمذوقات العفنة والروائح الكريهة)

٤ — Self-assertion اثبات الذات والتسلط والسيطرة جميعها ترجمات مقبولة اما الظهور او حب الظهور او الرآسة فلا نرتاح اليها لانها درجات او نواحي خاصة للغريزة

٥ — Self-abasement الخنوع لانها تعبر تماماً عن المصطلح الانجليزي وفيها معنى الشعور بضعة الشأن وتليها في الافضلية كلمة الخضوع اما غريزة الانقياد فلا نرضاها لانها تدخلها في النزعات العامة وخصوصاً الاستهواء

٦ — Gregarious غريزة التجمع ولا نرضى البتة بكلمة الاجتماع (قنديل) لان كل انسان كما يقول ما كدوجل يميل بغريزته الى مجرد التجمع والوجود مع بني جنسه او على مقربة منهم ولو لم تربطه بهم رابطة او مصلحة او حتى لغة للتفاهم اي انه Sociable ولكنه لا يتعين بالضرورة ان يكون عضواً في جماعة منتظمة لها مصالح او اغراض معينة society حتى يكون Social فالغريزة اذن تدفع الى مجرد التجمع لا الى الاجتماع الذي هو ارقى مراتب التجمع وأرفعها . خصوصاً وان هذه الغريزة موجودة ايضاً عند الحيوان وهو ليس اجتماعياً وان كان يتجمع مع غيره

٧ — Curiosity الاطلاع او الاستطلاع — اما محبة الاستطلاع (قنديل ص ٢١٠) وحب الاطلاع (حامد ص ٨٥) وحب الاستطلاع (عند غيرهما) وكذلك حب الاقتناء وحب الظهور الخ لا نرضاها مطلقاً لان كلمة حب ومحبة تنقلها من مرتبة الغرائز طفرة واحدة الى مرتبة العواطف وشتان بين مجرد النزعة او الغريزة وبين الحب والمحبة

عبقرية محيطة

ليوناردو دافنشي

لاديب عباسي

عصور الانتقال الحاسمة هي احفل عصور التاريخ بالمتناقضات وأملاها بالاضداد . في مثل هذه العصور يقترن الكفر العنيد بالايمان الوطيد ، ويجاور الاخلاص للعلم الدجلَ والتغرير ، ويواطن التعصب الذميم والحرج في التفكير الحرية المطلقة في النظر والتقدير . وعصر النهضة الذي يقع حوالي سنة ١٥٤٦ من ابرز العصور في هذه الخصائص وأقواها تمثيلاً عليها . ففيه ابيحت حرية التفكير وفيه استبيحت هذه الحرية . كان فيه العلم الراجح وكان فيه الجهل الفاضح . ساد فيهِ الالحاد الجريء ، وساد فيهِ ايمان العجائز . كان فيهِ حمق الجمهور وجموده ، وكان فيه تساهل العلم وسعة المعرفة . وغالى فيهِ قوم في تمجيد القديم والجمود عليهِ والافاضة بذكره واغرق قوم آخرون في تحدي القدماء وقديمهم والزراية عليهم وعلى ارثهم الذي ورّثوا . كان فيه الحب العذري والهوى الافلاطوني ، وكان فيه الحب الدنس والهوى الاثيم يتمثلان في قصص بوكاشيو وما يروى عن آل بورجيا من حب الاب لابنته والاخ لاخته

وتعليل ذلك — في رأينا — هو ان هذه العصور تجيء زاخرة مفعمة ، وتحل غالباً حلولاً مفاجئاً دون تمهيد طويل او سبق انذار ، فتحدث ما لا بدّ ان تحدث من ارتجاج في العقائد واضطراب في الاخلاق واحتراب بين الافكار في الفئة اللينة المطاوعة ، وتحدث ما لا بدَّ ان تحدث من صلف وعناد بين الفئة الجامدة المحافظة التي تزيد محافظة وجموداً كلما ازدادت موجة التجديد في الازدخار وامعن تيارها في الهجوم . وتظل هذه الفئة على موقفها من الجمود ريثما تعمل الموجة عملها ويفعل التيار فعله من زعزعةٍ لاركان وتقويض لبنيان في عقائد هذه الفئة واخلاقها

وليوناردو الذي نترجم له في هذه الصفحات يمثل لنا في شخصه معظم نواحي العصر الايجابية ابلغ تمثيل . ولا يمثلها بالوقوف منها موقف المرآة من المرئيات تنعكس عنهُ صور النهضة واشكالها وترتسم فيهِ دون ان يكون له اثر في ازجائها وازخار تيارها . انما هو يمثلها في انهُ كان رائداً من روّادها الاولين وعاملاً من اقوى العاملين على تقويض صرح القديم واقامة الجديد على انقاضهِ قويّاً ثابتَ الاساس . وهذا لم يكن بالكثير على ليوناردو ، وهو في ذلك العقل الجبار والعبقرية النادرة والاكتمال الذهني المحيط . ولعلَّ التاريخ لا يحفظ لنا اسماً كاسم ليوناردو من حيث الاحاطة

البنين والبنات وعدد المدارس التي تخصص لكل مرحلة بالقياس الى عدد السكان (٣) دراسة نظام التعليم الالزامي – وهل الخطة المتبعة تتفق مع الانتقال من حالة الامية الى حالة المعرفة من الوجهتين الاجتماعية والتعليمية (٤) دراسة ميزانية التعليم بالقياس الى الميزانية العامة (٥) علاقة المدارس العليا بالجامعة

يرى كلاپاريد ان المشتغلين بالتعليم يخلطون بين الغرض من التعليم والغرض من التربية وان كان لا يرى ان هـذا الخطأ خاص بمصر وحدها غير ان مصر باستمدادها النماذج المدرسية من اوربا انما نقلت منها اسوأ النماذج وزادتها سوءاً من عندها . واكبر ظاهرة في هذا الاضطراب الغلو في التعليم وبناؤه على الفاظ يحفظها التلميذ دون فهم لمعانيها وهذا كلهُ نتيجة لتحميل المناهج الدراسية ما لا تطيق وخوف الامتحانات وجهل اساتذة كثيرين بطبيعة عقل التلميذ وضرب مثلاً لذلك بدروس الديانة . ورأى ايضاً ان التفاوت في اعمار تلاميذ الفرقة الواحدة كبير وعدَّد الاضرار الخلقية والفنية التي تنشأ عن هذا التفاوت . ثم انه لاحظ كثرة عدد التلاميذ في فرق مدارس الاطفال كثرة شاذة. وكذلك انتقد تخصيص المعلمين في المدارس الاولية و الابتدائية . واخذ على نظار المدارس انصرافهم عن دراسة حالة تلاميذهم النفسية والصحية . ثم انه نقد الابنية المدرسية وقلة مدارس البنات

﴿ ماذا يقترح كلاپاريد ﴾ شخص كلاپاريد الداء ثم انه اقترح علاجاً لهُ واهم مقترحاته ما يلي :

نقص عدد التلاميذ في الفرق مع زيادة التجانس في السن والمستوى العقلي واختبار كل طفل على حدته اختباراً فردياً مع تعيين معلمي فرق في المدارس الاولية والابتدائية وجعل تعليم الاطفال الى التاسعة في ايدي المعلمات . ثم انه يرى تضييق نطاق المناهج وتعديل نظام الامتحانات وجعلها تعتمد على التفكير لا على الاستظهار . ثم انه يرى توسيع نطاق التعليم الابتدائي والثانوي للبنات والاتئاد في نشر التعليم الالزامي ريثما يتخرج المعلمون القادرون على القيام باعبائه . واقترح تعديل اسلوب اعداد المعلمين وانشاء فرق متنقلة لنشر الثقافة في الارياف والقاء محاضرات اسبوعية في التربية لتجويد المعلمين وتعيين مفتشين سيكولوجيين لمواصلة البحث في المدارس ولارشاد المعلمين ثم انهُ ندَّد بنظام المركزية في التعليم واشار بوجوب منح مدى من الحرية للمعلمين ونظار المدارس

﴿ تقرير المستر مان ﴾ : ندبت وزارة المعارف المستر (مان) مفتش المدارس وكليات المعلمين بوزارة المعارف الانكليزية لدراسة سياسة التعليم في مصر فجاء في سبتمبر سنة ١٩٢٨ وامتدت زيارته الى ابريل سنة ١٩٢٩ واعدَّ تقريراً قدمه إلى وزارة المعارف . وأهم المسائل التي طلب اليه بحثها وابداء الرأي فيها نظام تخريج المعلمين ثم مناهج الدراسة المتبعة في مراحل التعليم العام والعلاقة بين مناهج مدارس البنات والبنين ثم دراسة نظام التعليم الاولي الالزامي وعدد المدارس اللازمة لكل مرحلة من مراحل التعليم ثم ابداء رأيه فيما يجب تخصيصه للتعليم من ميزانية الدولة العامة

يرى المستر مان أن ما أعد حتى الآن من وسائل التعليم الاولي ناقص نقصاً كبيراً كما ان تعليم الاطفال في المدارس بحسب الطرق الحديثة يكاد يكون معدوماً في جميع انحاء القطر حالة أن ما أعد للتعليم

---

(١) تبيغ الدم تبيجع وتوقد حتى يظهر في العروق

ن في التفكير والاجادة في نواحي العلم والفن الى حدود العبقرية والاعجاز . يذكر
ير اسم ليوناردو — ارسطو وغوته . ولكن يقيننا انهُ لا ارسطو ولا غوته
، عمقاً واحاطة في ناحيتي العلم والفن . فالاول كانت اجادتهُ في ناحيتي العلم والفلسفة
قريته في ناحية الفن . وان كان له نظر صائب في بعض مسائل العلم . وهذا يفسر
اسم ليوناردو عصوراً ادلَّ على الاستحالة منهُ على الامكان وألحق بالخرافة منهُ
نا ايضاً لماذا احيطت شخصية ليوناردو بالشكوك والظنون رغم نصوع هذه
مها . فقد اتهم بالسحر ، وهو عدو السحر الاكبر . ورُمي بالكفر ، وكانت آخر
لوت في ذكر الله والفزع اليهِ . وروّج عنه انهُ يسمُّ الاشجار ويدس بأثمارها الى
انتقل فعل السم الى الثمر ، وهو الذي تدركه الرأفة بالطائر الحبيس ، فيبتاعهُ
به الحرية الغالية

ه الخصومة بين الجمهور وليوناردو خروج على القاعدة العامة التي يجري عليها
لمتازين والعباقرة . فالعبقري دائماً مثار للارتياب وهدف للوقيعة وغرض يُرمى
نيته . يشعر هذا الجمهور بالحطة والصغار وضآلة القدر اذ يقيسون اقدارهم الى
ان ينزلوه الى مستواهم الذي يضطربون فيهِ . ذلك لانهم لا يستطيعون الدنو من
ويشعروا معه بشيء من وحدة الحال والتقارب ويخفقون غالباً في محاولاتهم هذه
من الريب ويجللونهُ بغمامة من الشكوك . ولمَ لا يحقد الجمهور على ليوناردو
في متعلميه :

ب وعبّاد لارسطو (لاحظ هذا !) ، غربان في اثواب طواويس واصداء تردد
تحلون لانفسهم زينــة ليست لهم ، ثم لا يريدون ان يتركوا لي جنى يدي الذي
ستوحي الطبيعة ومقلدي القدماء فرق ما بين الجسم وصورته في المرآة . انني
ستشهد ، ولا احب ان استشهد بأقوال القدماء ، انما استشهد بما هو اصدق من
— استشهد بالاختبار والتجربة : « الاستاذ لكل استاذ »[1]

تقدَّم من عوامل المباعدة بين ليوناردو وابناء عصره انهُ كان يقوم بتجارب
كانت تظهره في نظر معاصريه بمظهر العابث الذي يقتل الوقت ويهدر الزمن في غير
انهُ كان ذات يوم يجرب تجربة كيماوية في مختبره . وفيما هو مهموك في عمله شاهد
دها « دلو » من الماء تهمُّ بسكبهِ على المنضدة . ولولا ان امتدَّت يد ليوناردو
لفتاة ، لكانت افسدت عليهِ وعلى العالم عمل سنين واغرقت كل ما تكدَّس على
م واشكال وصور ومخطوطات لا تقوَّم بمال ولا تقدر بثمن . ولما سألها ليوناردو

[1] سورة بين اقواس مترجمة عن كتاب « حياة ليوناردو » ارجنسكي

اما صورة العشاء الرباني — اعظم اعمال ليوناردو الفنية — فهي في نظر ارباب الفن أعظم عمل فني لفنان قديم او حديث . . . . وليست شهرة ليوناردو منحصرة في الفن بالتصوير ، بل هو نحات في الطراز الاول من النحاتين وموسيقي بارع وكاتب مبدع في الفوج الاول من كتاب النهضة . والذي يدهش حقًّا ان يبلغ ليوناردو حد الاعجاز وانقطاع النظير من الابداع في نواحي الفن وبعض نواحي العلم ، ثم لايتطرق الوهن الى عمل من اعماله الفنية . ولعلَّ هذا ان ليوناردو، رغم توزيع ميوله وبسط جهوده . ظلَّ يقبل على جميع اعماله الفنية والعلمية دقيقها وجليلها اقبالاً يكاد يبلغ حد الذهول . فهو اذا ذهب احد الامسية الى الرواق الذي كان يخلّد على جداره صورة العشاء الرباني نسي العالم ونسي وجوده ولم يبق امامهُ الاَّ صورة العشاء الرباني . وهو اذا اجرى في يوم آخر تجربة من تجاربه العديدة في النبات او الكيمياء كانت هذه التجربة كل ما يهمهُ من شؤون هذا العالم . واذا انصرف الى صنع درع تلبسها اكاديمية المصورين (الخيالية ؟!) في ميلان نسي ان في العالم شيئاً لهُ خطر وقيمة غير هذا العمل التافه . وهكذا كان ليوناردو يقبل على جميع اعماله اقبال العابد وينقطع اليها انقطاع العاشق . فكان هـذا مضافاً الى عبقريته النادرة سبباً في خروج اكثر آثاره في هذه الرتبة من السمو والابداع . هذا الى انهُ كان يقف من فنه وعلمه موقف المحاسبة الشديدة والنقد الصارم . فلم يكن يفتنه عمل من اعماله عن اجتلاء مواطن الضعف ونواحي النقص فيها ، فيعمل على ازالتها واستكمالها . ولعلَّ هذا كان في اول الاسباب في بقاء كثير من أعمال ليوناردو الفنية والعلمية مبتورة ناقصة

ولم يكن ليوناردو يسير في فنه بحسب الالهام والوحي فقط شأن كثير من الفنانين ، بل كان فضلاً عن استيحائه الالهام والعبقرية يسير على هدًى من العلم والمعرفة ويرصد للجانب النظري من فنه شطراً ليس باليسير من وقته وجهوده ، ولهذا الغرض درس دراسة جيدة علم التشريح وعلم الالوان والظلال فجاءت صوره وتماثيله من اصدق الصور والتماثيل في تقريب الفن من الحياة . وقد كان يقول :

« الالوان الواضحة تأسر الرعاع . ولـكن الفنان الذي اخلص لفنه لا يخضع لنزوات الرعاع ، انما هو يجب ان يرضخ لنخبته المختارة الممتازة فقط . والذي يفخر بهِ الفنان ويصبو اليه ليس الألوان البراقة اللامعة انما هو ان يكوّن من الضوء ما يشبه المعجزة . ان الضوء والظل يجملان السطوح المستوية مستديرة . فالذي يحتقر الظلال في التصوير يشبه الثرثار الذي يضحي بالمعنى في سبيل الكلمات الجوفاء الرنانة »

هذه صورة مصغرة لليوناردو العالم الفنان . وفي فصل آخر صورة اخرى لليوناردو الانسان

بعض المصادر التي رجعنا اليها في هذا الفصل :

1 — Men of Art : Thomas Craven
2 — LeonardoDa Vinci : Siren
3 — دائرة المعارف البريطانية
4 — Lives of the Painters : Vasari

التعقيم واصلاح النسل

في ١٩ يونيو الماضي بعث مراسل « الصحافة المشتركة » البرليني برقية الى نيويورك
ـ فيها ان محكمة التعقيم النازية بينت في تقريرها الاول الذي نشر في ذلك اليوم ان
٣٢ رجلا وامرأة من سكان برلين عملت لهم عمليات التعقيم خدمة للاجيال المقبلة . من
ؤلاء ١٤٣ تقدموا بملء اختيارهم لعمل هذه العملية التي تحول دون اخلافهم نسلا ،
لكن من دون ان تترك اي اثر آخر في حياتهم الجنسية . وان معظم الذين عملت لهم
ـه العملية كانوا من الرجال

ـة ١٩٣٤ بدأ الالمان ينفذون القانون القاضي بتعقيم المصابين من الالمان بأمراض
ـ العقل الخلقي [1] والسرسام [2] والجنون التهيجي الانقباضي [3] والصرع الوراثي [4]
(داء الرقص) والكمه (العمى) الوراثي والصمم الوراثي وادمان المسكرات .
المانيا انهُ ينتظر تعقيم ٤٠٠ الف الماني مصابين بهذه الامراض او ما هو من قبيلها
تطهير الآريين من الالمان من كل شائبة تشوبهم

هـذا القـانون باعثاً على احتدام المناقشة في موضوع تحسين النسل بالتعقيم ،
حقيقة التعقيم وكيف يختلف عن الخصي ، وما اثره في حياة الانسان المعقم بوجه
لجنسية بوجه خاص ، واي الناس يجب ان تعمل لهم عملية التعقيم ، وفي اي
ـه العملية ، وهل هي عملية الهمة وتنطوي على خطر ام لا ؟

ولايات المتحدة الاميركية، ان نحو ٢٥ مليوناً من الشعب الاميركي مصابون بأحد
ـت المذكورة في صدر هذا المقال فلا يصلحون للقيام بما يفرضهُ عليهم المجتمع من
نيهم احوال البيئة الاقتصادية على ذلك . فمتوسط المرضى في مستشفيات الولايات
ـ سنة ١٩٣١ كان ٣٩٦ر٧٧٥ اما عدد المرضى في مستشفيات الحكومة الخاصة
ـ فبلغ في آخر سنة ١٩٣٠ نحو ٧٢٤ الفاً فزاد هذا العدد في تلك السنة عن عدد
ـو ١٢ الفاً . من هؤلاء ٦٤٢٥٣ مصابون بضعف العقل والصرع . وكان في سجون
١٩ نحو ١١٧ الف سجين . وفي سجون الحكومة المتحدة ١٤٤٧٣ سجيناً .
ـكموا وسجنوا في اميركا سنة ١٩٣١ نحو ٧١ الفاً . ثم ان الحكومة الاميركية تميل
عدد مدمني المخدرات في بلادها سنة ١٩٣١ كان مائة الف مدمن . والاحصاء

(١) hereditary feeble-mindedness (٢) Schizophrenia (٣) manic-dep
(٤) hereditary epilepsy (٥) Huntington's chorea

الاميركي العام لسنة ١٩٣٠ يدل على ان عدد الكمه في اميركا سنة ١٩٣٠ كان ٦٣٤٨٩ اكمه وعدد الصم ٥٧٠٨٤ اصم وفي البلاد علاوة على ما تقدم نحو عشرة ملايين متعطل عن العمل، والراجح ان خمسة ملايين منهم لن يتسنى لهم وجود عمل في المستقبل كائناً تحسن الاحوال الاقتصادية ما كان . فالقول بأن في الولايات المتحدة الاميركية نحو ٢٥ مليوناً من الناس لا يصلحون للقيام بما يفرضه عليهم المجتمع من التبعات ـ او لا تواتيهم البيئة الاقتصادية على ذلك ـ ليس فيه غلوّ ولا اغراق

ويذهب بعض المتطرفين من دعاة تحسين النسل في اميركا امثال وِجَم Wiggam وهنتنغتن Huntington وستودرد Stoddard الى ان الناس المصابين بأمراض او عاهات من هذا القبيل خطر على الجنس البشري . فهم يعتقدون ان هؤلاء الناس يورثون امراضهم وعاهاتهم ، وان الحضارة التي بنيت بأرواح الانبياء وعقول العباقرة ، انما تخلّف ، لاقزام الجسم والعقل والروح . ويضيفون الى وجوب تعقيم اصحاب الامراض والعاهات الوراثية التي تقدم ذكرها ، وجوب الحيلولة بين بعض المجرمين واخلاف النسل

وهناك طائفة اخرى من دعاة تحسين النسل، تذهب الى ان الخطر ليس من الشدّة بحيث يصوره وجَم وهنتنغتن وستودرد . فهم يقولون ان اصحاب الامراض والعاهات المذكورة لا يزداد عددهم اكثر مما كان يزداد في الماضي ، وان زيادة عددهم في دفاتر الاحصاء ، ليست الاّ زيادة ظاهرة ، سببها شدة العناية الآن بفحصهم وتشخيص امراضهم وعاهاتهم والتبليغ عنها وتدوينها . ثم يتمادون فيقولون ان الحضارة الميكانيكية بحاجة الى امثال هؤلاء ليقوموا بالاعمال الآلية التي لا تحتاج الى قدح زناد الفكر

***

وقد كانت الولايات المتحدة الاميركية اسبق الامم الى سن قوانين تقضي بتعقيم المصابين بأمراض وراثية . ففي سنة ١٩٠٧ سنّت ولاية انديانا اول قانون من هذا القبيل ، وكانت ولاية مشيغن قد حاولت سنّ مثل هذا القانون سنة ١٨٩٧ فرفض مشروعه في مجلسها النيابي . وفي اميركا الآن سبع وعشرون ولاية من ثمان واربعين ولاية سُنّت فيها هذه القوانين ويبلغ عدد الذين عملت لهم عمليات التعقيم ودونت اسماؤهم ١٧٨٩٨ شخصاً وهناك مَن عملت لهم هذه العملية ورفضوا تدوين اسمائهم خشية بعض العقد القضائية

وتبعت الولايات المتحدة الاميركية في هذا ، ولاية البرتا — وهي احدى ولايات كندا — سنة ١٩٢٨ وبلادا الدنمارك وفنلندا ومقاطعة ڤو Vaud في سويسرا سنة ١٩٢٩ وولاية فيراكروز بالمكسيك سنة ١٩٣٢ والمانيا سنة ١٩٣٣

هذه هي الحكومات التي اصدرت تشريعاً بهذا المعنى . ولكن حكومات انكلترا والنروج والسويد وغرب استراليا ، تعنى الآن بدراسة الموضوع توطئة للتشريع فيه

المحاكم الاميركية قد حكمت
بير دستورية ، لما كانت طريقة
لخصي في الرجل او في ما يقابله
تنبطت طريقة جذ الأسهر
Vasectom في الرجل وجذ
رأة salpingzectom زال

لاسهر عملية صغيرة بسيطة تقوم
ويتين
بذلك
وية .
الرحم
جذ
بها الى
قناتي
حتى
بيضة
لرحم .
تم في
وألمها
منها لا
مة أيام من دون ان يحول بين
مله اليومي . اما العملية الثانية
، بخدر عام وشق البطن فهي
ة استئصال الزائدة الدودية .
من ان تبقى في المستشفى تحت
ب والمرضة مدة عشرة أيام .
– اي العمليتان — على كل حال
تأثير غير طبيعي في حياة الرجل

والمرأة من الناحية الجنسية . فخيض المرأة مثلاً لا يتأثر بهما . ولكن اذا تقدم رجل وزوجته للتعقيم من تلقاء نفسيهما فالاطباء الاميركيون يفضلون ان تعمل العملية للرجل ، لانها اسهل وتكفل تحقيق الغرض منها

***

يظهر من مقالات متتابعة في هذا الموضوع نشرتها مجلة السينتفك اميركان ، ان علماء تحسين النسل (اليوجنيين) مجمعون على ان المتوكلين — مثل المتعطلين عن العمل والصم والكمه — ومقترفي الآثام — امثال المتشردين والمجرمين — والمنحطين امثال العهار الصاديين Sadist ومدمني المخدرات — والملوثين — امثال المصابين بالدرن والزهري — يجب ان لا يخضعوا لقانون التعقيم رغماً عنهم لان اصاباتهم هذه مكتسبة في الغالب لا متوارثة . ولكن هناك طائفتان من الناس اولاهما طائفة المصابين بأمراض عقلية مثل المجانين ، والثانية طائفة ضعاف العقول مثل المتوهين والبله . وقد اختلف العلماء في اسباب اصاباتهم

ومما لا ريب فيه ان الوصول الى رأي قاطع في الموضوع لا مندحة عنهُ لكل مشروع غرضهُ تحسين النسل عن طريق التعقيم

> **رأي الدكتور ادولف لورنتز**
>
> **الجراح النمسوي المشهور**
>
> أؤمن بالتعقيم لان الواجب على الطب ان يمنع المرض ، والتعقيم وسيلة من وسائل منع المرض العقلي وغيره . واعتقد ان التعقيم يجب ان يشمل جميع اصابات الامراض العقلية ، والاصابات الوراثية من مدمني السكر والمجرمين وضعاف الاخلاق . والامل ان تصيب هذه الطريقة في المانيا نجاحاً والراجح انها تصيبه . فتنتشر بعدئذ في جميع الامم كوسيلة للتخلص من حثالة الانسانية

فمعظم علماءِ تحسين النسل متفقون على ان الامراض العقلية مكتسبة اكثر منها متوارثة ولكن كثرتهم تذهب الى ان الضعف العقلي متوارث اكثر منهُ مكتسب . والامر الذي يجعل الحكم في هذا الموضوع متعذراً انك قد تجد أبله مولوداً من أب وأم سويين ولكنهما يحملان في عقود كروموسوماتهما عيوب الضعف العقلي . فالخطر على المجتمع في حالة كهذه ليس الأبله — لأن الابله لبلههِ قلما يخلف نسلاً لاعراض النساء عنهُ — بل الوالدان السليمان في الظاهر

اما احصاء العمليات في اميركا فيدلُّ على ان عمليات التعقيم لا تماشي الرأي العلميَّ السائد في في هذا الموضوع . ففي ١٥ ولاية من الولايات المتحدة الاميركية ، عملت ٩٢٦٠ عملية تعقيم اجبارية منها ٦٢٤٦ عملية لاشخاص مصابين بالجنون Insanity و ٢٩٣٨ عملية لاشخاص مصابين بضعف العقل و ٥٥ عملية لاشخاص مصابين بالصرع و ١٦ عملية لمجرمين و ٥ عمليات لاشخاص مصابين باضطراب الاعصاب . فيبدو من هذا الإحصاء ان العمليات التي عملت لاناس مصابين بالجنون هي ضعف العمليات التي عملت لاناس مصابين بضعف العقل ، مع ان علماءَ تحسين النسل مجمعون او يكادون ، على ان ضعف العقل اكثر انتقالاً بالوراثة من الجنون

***

وقبل ان نختم هذا المقال نريد ان نذكر الطريقة التي تجري عليها حكومة ولاية كاليفورنيا في تطبيق قانون التعقيم . فقانون التعقيم الكاليفورني ، يجعل عملية التعقيم اجبارية للمجانين وضعاف العقول الذين في منشآت الحكومة مثل السجون ومستشفيات الأمراض العقلية . فاذا ظهر لمدير القسم الطبي في أحد هذه المنشآت ان تعقيم احد هؤلاءِ مرغوب فيهِ ، حماية لهُ والمجتمع وللذريات المقبلة ، قدَّم تقريراً في الموضوع الى القسم الصحي في حكومة الولاية ومدير قسم المنشآت كالسجون والملاجيء ، فاذا حكما بوجوب العملية وجب ذلك . ولكن في الواقع يستشار اقرب اقرباء المريض اولاً ويطلب اليهِ ان يعلن قبوله كتابةً . وقد اثبت الاختبار ان اقرباء المريض كانوا في الغالب يرحبون اشد الترحيب بالعملية ، بل كثيراً ما كانوا هم البادئين في الحث على عملها . فطريقة تنفيذ القانون الكاليفورني يجمع جمعاً عمليًّا بين عنصري الاجبار والاختيار

وعنصر الاجبار في هذه القوانين ، اصبح مبدأً قانونيًّا معترفاً بهِ في اميركا . ففي سنة ١٩٢٧ نظرت المحكمة الاميركية العليا في حكم محكمة بولاية فرجينيا فقررت ان للولاية ان تنص على مبدإ الاجبار في احوال معينة . وكتب الحكمَ القاضي الاميركيُّ المشهور اوليفر وندل هومز فقال « يكفينا ثلاثة اجيال من البله » ثم قال ان احداً لا ينازع في حق دولة من الدول ان تبذل حياة ابنائها الممتازين عقلاً وحيوية ، في الحرب، فمن المستغرب ان ينازع في حقها ان تطلب في ايام السلم من ابنائها المنحطين تضحية صغيرة في سبيل حماية الذريات المقبلة
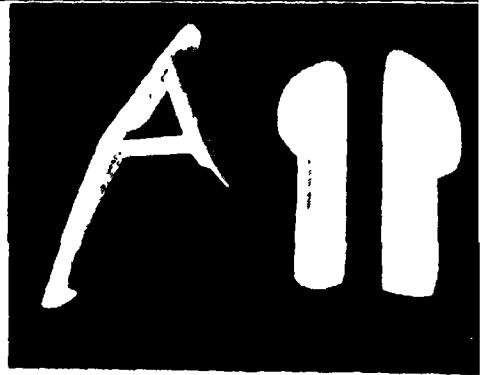
الادوات الزراعية الفرعونية

الشادوف — الفأس — المحراث — المنجل — المدراه

للدكتور حسن كمال

ب ❦ — كثيراً ما نشاهد بالمقابر رسوم لترع توزع مياه الفيضان على الحقول وذلك
الذي يركب وقتئذ قارباً صغيراً مصنوعاً من سوق البردى . وما اكثر النقوش
النيلية ناقلة محصول الاراضي وكذلك الحيوانات على اختلاف انواعها من الحقول
ما يزول الفيضان يعمد الفلاح الى حراثة ارضه الرخوة التربة بالمحراث الذي تجره
مادة الآن . وتمتد الترع من اقاصي الاراضي جنوباً الى نهايتها شمالاً . ومن هذه
وات صغيرة لتوزيع المياه على اجزاء الحقول بالتساوي وفقاً لما تتطلب جغرافية

فيضان النيل يبدأ عادة في نهاية شهر مايو او بعد ذلك بقليل . وفي منتصف شهر
فيضان بلغ درجة محسوسة وحينئذ تشاهد مياه النيل ضاربة الى الاحمرار نتيجة
الآتي من بلاد الحبشة . وبعد زوال الفيضان يخضر لون المياه النيلية . واعتقد
عدم صلاحيتها للشرب فكانوا يخزنون مياه الفيضان في الزلع الكبيرة لشربها
. قال ارستيديس Aristides ان مصر هي الامة الفردة التي يخزن اهلها المياه
اً معيناً كما يفعل غيرها بالنبيذ

شهر اغسطس تطلق المياه في الترع من النيل فتغمر الحياض . ولما كانت الاقاليم
اه هي اوطأ الاقاليم منسوباً كانت المياه تغمرها اولاً بخلاف الاراضي القريبة من النيل
بيناً ولذلك كانت تغمر اخيراً . وهذا الامر يشاهد فقط في الصعيد اما في الوجه
اضيه تقع في مستوى واحد تقريباً . لذلك كانت الدلتا تغمر كلها وقت الفيضان
دن والقرى لان مستواها اعلى بكثير من مستوى الاراضي المجاورة . وكلما ارتفع
ان وغمرت المياه الاراضي زاد اهتمام القوم بنجاة بهائمهم التي في الاراضي
و مشاهد بمقابر بني حسن . وهذا المجهود وهذه العناية يتجسمان تماماً اذا ما انقطع
مياه النهر فجأة واغرقت الاراضي المجاورة . وفي هذه الاحوال يشاهد القوم

واضعين ملابسهم على رؤوسهم وجاذبين اغنامهم وبهائمهم من المياه وواضعينها في السفن . وهناك مناظر اخرى يُرى فيها القوم يشدون الثيران وهي عائمة في المياه الى اقرب اكمة . واذا كان هناك زرع يمكن الانتفاع به بعد اقتلاعه عمد القوم الى ذلك وشحنوه في القوارب

والمعروف ان القطر المصري كان منذ عهد المملكة القديمة (٣٢٠٠—٢٢٧٠ ق. م.) يروى بالحياض . وهذه كان يصرف اليها ماء النيل بواسطة ترع كبيرة تحت اشراف المدير او الحاكم المحلي (راجع مقبرة رخمارا حائط A و B لوحة ١١ و ١٤ و ١٥) الذي لا يسمح بارسال الماء الا بعد ما يبلغ ارتفاعاً خاصاً . وكانت المياه تصرف الى الجهات بمنتهى الحكمة والعدل وفق ما تقتضيه طبيعة ارضها ونوع زراعتها . وعند ما يهبط مستوى مياه النيل تغلق الفتحات الرئيسية لمنع تسرب المياه الى النيل بسرعة حتى تكتسب الارض اكثر ما يمكن من الغرين

اما الاراضي المرتفعة التي لا تصلها مياه النيل وقت الفيضان او التي تصلها بصعوبة فكانت تروى بواسطة الشواديف التي تصب مياهها في ترع او قنوات صغيرة موصلة الى الجهات المذكورة ويرجع استعمال الشادوف في القطر المصري الى الزمن السابق لعهد الفراعنة . ويظن البعض انه وجد مرسوماً على جدار بمقبرة بمدينة الكاب (راجع جرين وكويبل في كتاب هيركونبوليس طبعة ١٩٠٢ ج ٢ لوحة ٧٤ و ٧٥) . وقدر بعضهم مقدار المياه الممكن رفعها بهذه الآلة في الساعة الواحدة بما يتباين من ١٦٥٠ الى ٣٤٠٠ لتر (راجع كتاب Barois و Ringelmann عن الزراعة الريفية Essai d'hist. du genie rural ج ١ ص ٢٠٤) وهناك عدة طرق لري الحدائق منها تخزين المياه في حوض كبير وسط الحديقة ثم ارسال المياه منه بواسطة ميازيب صغيرة الى اجزاء الحديقة المختلفة . ومنها ايضاً نقل المياه بواسطة آنيتين معلقتين في طرفي قضيب خشبي يحمل على الكتفين الى النبات المطلوب ريه (راجع كتاب البرشة للاستاذ نيوبري لوحة ٢٦)

ويشاهد استعمال الشادوف بوضوح في جدار مقبرة (ايوي) التي يرجع تاريخها الى زمن رمسيس الثاني (١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق. م.) وقد ورد وصفها في المجلد الخامس من سلسلة كتب بعثة العاديات الفرنسية المطبوع عام ١٨٩٤ ص ٦٠٤—٦١٢ . اما صاحب هذه المقبرة فكان حفاراً في خدمة المعبود آمون بطيبة الغربية — وفي هذه المقبرة رسمٌ لمدخل منزل هذا الموظف ويتكوّن من سلم ذي ست درجات يصل الى المدخل الرئيسي ذي العمد المتوّجة بباقة براعيم اللوطس والبردى . وتحت الاشجار يشاهد شادوفان لري الحديقة . والاشجار المذكورة تحمل ثماراً متباينة كالجميز والبرتقال ؟ وغيرها . وكل شادوف مكوّن من قضيب خشبي مثبت في ثلثه الاوسط على جدار وينتهي طرفهُ المؤخر بكتلة طينية . اما الطرف الامامي فينتهي بحبل طويل يحمل دلواً من الجلد له يدان . و الفلاح في كل حالة يقبض على الحبل بيديه . وبذلك يمكنهُ ان يؤدي حركة الملء والتفريغ باستمرار وهو واقف من دون ان يناله تعب . وذلك بحركة الموازنة بين الثقلين

يما يتبعه من التعليم الابتدائي والثانوي يزيد زيادة فاحشة بالقياس الى ما أعد للتعليم الاولي.
ما أعد من الوسائل لتعليم البنات يسير اذا قيس بما أعد لتعليم البنين . أما فيما يختص بأجور
ونظام المباني وبالمرتبات المدرسية فيرى انها غير منظمة وناقصة من بعض الوجوه
فهو يستهجن التغالي في تركيز السيطرة على التعليم في الادارة الرئيسية ، هذا الذي ادى الى
لمدارس وطرق التدريس ومواد الدراسة بطابع واحد . لهذا يقترح ان يعدل نظام اختصاص
ثمين في وزارة المعارف تعديلاً يمنع الخلط في الاعمال الادارية ، كما يرى ان يعهد في ادارة التعليم
ي وما يتبعهُ من مدارس المعلمين والمعلمات الى سلطات محلية مع توزيع المفتشين على مناطق معينة
ر يقترح أن يخول نظار المدارس قسطاً من الحرية اوفر مما يخولونه الآن في ادارة مدارسهم
وقد اهتم المستر مان بأمر الامتحانات اهتماماً كبيراً واقترح اقتراحات عديدة بشأن كل شهادة
لشهادات فهو يرى مثلاً الا يمتحن الطلبة في الشهادة الابتدائية الا في الرياضة واللغة العربيـة
؛ اوربية واحدة . اما في التعليم الثانوي فاقترح ان يباح للتلاميذ التخصص في الدراسة العلمية او
بية ابتداء من السنة الاولى مع انقاص عدد المواد المقررة للامتحان . وعنده ان يبطل اعطاء
دات للطلبة الناجحين في امتحان شهادة اتمام الدراسة الابتدائية ، وإلغاء نظام الملاحق وعـدم
بار الشهادات الدراسية اساساً لتعيين موظفي الحكومة

وقد درس الخبير الانكليزي مسألة الحياة الاجتماعية الخاصة بالطلبة الغرباء فرأى ان تتولى
درسة التي هم فيها امر سكناهم وتدبير شئون معيشتهم ورياضتهم واعداد فنادق مدرسية موافقة
للبة الكبار وتنقيح جداول اوقات الدروس بقصد ايجاد فترات كافية لتمكين المدرسين والطلبة
ن الاستراحة وتناول الغذاء .وقد عني في تقريره بأمر المدارس الفنية المتوسطة فهو يرى ان يؤخذ
تلاميذ لهذه المدارس من المدارس الأولية مباشرة ويراعى في الاختيار صغر السن . اما عن نظام
تعليم فهو يرى وجوب مقاومة تغلب الدراسة النظرية والعلمية على الدراسة العملية في التعليم الفني
ذلك بتأليف مجلس استشاري في كل مدرسة وزيادة عدد معلمي الصناعات ممن سبق لهم ان
مارسوا العمل في ميدان الصناعة الحرة

ويتبين مما تقدم ان هذين التقريرين يشيران الى ضرر نظام المركزية في التعليم والاهتمام الشاذ
بأمر الامتحانات العامة وتشجيع التعليم الابتدائي والثانوي على حساب التعليم القومي . اما اصلاح
نظام التعليم فلا يكون الا باعطاء حرية كافية للنظار والمعلمين وبصرف العناية عن التعليم التلقيني
النظري . ومما نلاحظه عن تقرير الخبير السويسري عنايته بالدراسة السيكولوجية الفردية للتلاميذ ،
الا انه اخطأ في تطبيق الاختبارات الاوربية على التلاميذ المصريين لذلك كانت النتيجة التي وصل اليها
غير صحيحة وهي انخفاض مستوى ذكاء الطفل المصري عن اي طفل اوربي . اما آراء الخبير الانكليزي
فمتأثرة بنظام التعليم الانكليزي .

رفي القضيب . وهناك شادوفان آخران مقابلان للسابقين . وعلى ذلك تكون حديقة ابوى
ذكورة فسيحة لانها تطلبت شواديف اربعة أنفار للقيام بريها

وعلى أثر زوال الفيضان السنوي عن الاراضي تشاهد أعشاب نامية وأيضاً بعض النباتات
لوحشية آخذة في الظهور في عدة جهات من الحقول . كذلك تلاحظ أحجار قذفتها مياه
لنيل وقت غمرها الاراضي . لذلك تجد الفلاح المصري من أقدم العصور يهتم باستئصال هذه الاعشاب
والنباتات وازالة الاحجار من حقله قبل الشروع في زرعه . واذا لاحظنا ان تعداد القطر المصري
كان يقرب في عهد الفراعنة من الستة ملايين نسمة وان القطر كان يورّد لممالك البحر الأبيض
المتوسط القمح الكثير امكننا ان نستنتج شدة عناية المصريين بتحويل اراضي الوادي الى
حقول زراعية

وتشاهد في مقبرة (نخت) بالاقصر مناظر لفلاح يستأصل بفأس خشبية النباتات النابتة على حافة
النهر كما أورد (لبسيوس) في الدنكمار ج ٢ لوحة ١٠٧ من زاوية المتين رسماً لفلاح قديم يبعد
الاحجار عن طريق المحراث بواسطة عصاة طويلة

﴿ الفأس ﴾ حافظ الخط الهيرغليفي على رسم الفأس القديمة كحرف هجائي مركب مدى التاريخ .
واستعمل المصريون في عهد الاسر الاولى الفؤوس في الفلاحة والهدم . وكانوا اذا قرر أحد ملوكهم
تشييد معبد قبض على فأس واشترك في العمل . ومنذ مبدأ التاريخ المصري القديم (٣٤٠٠ ق.م)
حتى العهد الصاوي (٦٦٣—٥٢٥ ق. م) كانت الفأس تتركب من قطعتين خشبيتين غير متساويتي
الطول . وكانت احدى هاتين القطعتين تستعمل يداً وهي مستقيمة واقصر من القطعة الاخرى
المستعملة أداةً للحفر . ويختلف طول القطعتين طبعاً باختلاف طول صاحبهما . لكن متوسط
طول اليد يبلغ خمسين سنتمتراً . ومتوسط طول الحد سبعين سنتمتراً . ويلاحظ في الحدّ انهُ
مقوّس قليلاً وانه تارة مدبّب واخرى مفرطح وطوراً مفرطح ومشعب في آن واحد

ويثبت الحد في اليد بالحفر الخشبي او بوثاق او قضبان خشبية . وقد اتضح ان الفؤوس صنعت
من المعدن منذ عهد الاسرة الخامسة (٢٥٦٠ — ٢٤٢٠ ق . م) (راجع كتاب العدد والاسلحة
للاستاذ بتري لوحة ١٩ رسم ١٣) . وفي عهد الأسرة الثامنة عشرة (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق . م)
وبالاخص بمقبرة (نخت) و (اوسركاسنب) و (شامته) يظهر ان الفؤوس كانت تصنع من المعدن
واستمرّ القوم يستعملون الفأس الخشبية طول مدة التاريخ القديم وزودوا بها تماثيلهم الصغيرة التي
كانوا يضعونها مع موتاهم لعمل الفلاحة اللازمة لهم في الدار الآخرة . وفي عهد الامبراطورية
الحديثة (١٥٥٥ — ٧١٢ ق . م) غير البناؤون والنجارون شكل الفأس فجعلوا احياناً القطعتين
متساويتين طولاً واحياناً جعلوا اليد اطول من السلاح . والفأس المدببة كانت تستعمل في حفر
الاراضي الصلبة . اما المفرطحة فكانت تستعمل في حفر الارض الرطبة وتنظيف الترع

وقد سبق ان اوردنا رسماً لأحد ملوك مصر الاول يحتفل بحفر قناة مستعملاً الفأس الخش المدببة (عن كويبيل هيراكونبوليس ج ١ لوحة ٢٦) . وهناك لوح اردوازي يرجع تاريخه الى من ٣٤٠٠ ق.م وقد نُقش عليه ملك مصر مرموزاً له بحيوانات وألوية مختلفة قابضاً على فأس يـ بها قلاع الاعداء . واورد الاستاذ پتري رسماً في كتابه عن المقابر الملكية للاسرة الاولى جزء لفأس يظهر منها انها خشبية ويشاهد فيها تساوي اليد والحد طولاً وتثبيتهما احدهما في الآخر بط الحفر وبقضيب خشبي . وهذا القضيب كان يستبدل احياناً بوثاق . واورد ولكنسون في كتابه عن ء قدماء المصريين واخلاقهم ج ٢ ص ٢٥٢ رسماً لفأسين خشبيتين تستعملان لحفر الأرض ا سلاحهما مصنوع على شكل الجرفة وهو اطول من اليد ومثبت بالحفر الخشبي وبوثاق وهذا ا يطوّق احد الاسلحة ويخترق الآخر . والفؤوس الخشبية الواردة بالدنكايلر ج ٢ لوحة ٢٧ يرجع تاريخها الى الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ ـ ١٧٩٠ ق . م) يشاهد فيهـا قصر اليد و السلاح الواضح ودبدبة نهايته وتثبيته في اليد بوثاق . وورد بمقبرة نخت بالاقصر رسم لفأس تستعمل لاستئصال الاعشاب وهي خشبية مقوّسة اليد في موضعين وهي اطول من السلاح اوردت للقارىء رسوماً لعدة فؤوس محفوظة بدار تحف القـاهرة وعمل منهـا نماذج لمتحف الاول الزراعي لما كنت قائماً بانشاء قسم الزراعة المصرية القديمة هناك . وعددها خمسة يشاهد في طول اليد والسلاح وطرق تثبيت الاثنين في بعضهما واستعمال الحبل وثاقاً واحياناً القضيب بدله . اما طريقة استعمال هذه الفؤوس فقد وردت في كثير من المقابر مرسومة بوضوح . و ان اوردت رسماً لتمثال لفلاح مصري قديم قابضاً على فأسه ورجلاهُ غارتان في الطين وهو قا حفر الارض

الصف الاول : الزراعي والاصل الصف الثاني ... فؤاد الا

﴿ المحراث ﴾ واصلاً فأس كبيرة . وقد نسب المصريون الى معبودهم (ازوريس) استعمال المحراث في الفلاحة . ولا يبعد ان المحراث كان يجرّ في بادىء الامر بالعمال دون ا لبساطته وخفته وقتئذٍ . واول ما ظهر المحراث في شكله المعروف كان بجهة ميدوم (أس ٢٧٨٠ — ٢٧٢٠ ق.م) (راجع كتاب بتري عن ميدوم لوحة ١٨) وهناك لوحظ انهُ يجر بواسـ

اما كيفية اشتقاق المحراث من الفأس فتتلخص فيما يلي : زيد في طول يد الفأس حتى بل امتار تقريباً وصار (نافاً) واستعيض من الوثاق تدريجاً بوصلات خشبية في نفس الموضع . ذلك ان السلاح صار اقصر كثيراً من الناف

مقتطف ا

وللتمكن من ارسال سلاح المحراث في باطن الارض صنع لهُ يدان يضغط بهما الفلا اليدان تتغيران باستمرار على مدى التاريخ في شكلهما وارتفاعهما ومقدار ميلهما وطريقة الناف . وقد يستغنى عن احداها ويكتفى بواحدة . وتقدمت صناعة المحاريث منذ عهد الم (٢١٠٠ — ١٧٠٠ ق . م) فصار السلاح ضخماً وثقيلاً . ولا يبعد انهُ كان يصنع وقتئ

د المعدن لكن لم نتأكد للآن من تاريخ العهد الذي ظهرت فيهِ صناعة المحاريث المعدنيـة المصري كما اننا لم نتأكد من نوع المعدن وهل كان حديداً او برنزاً

في عهد الامبراطورية الحديثة (١٥٥٥ — ٧١٢ ق . م) ازداد اليدان طولاً ووصلتا بعدة ، خشبية وزاد ثقل المحراث فصار قادراً على الغور الى مسافة أبعد في جوف الارض بسهولة ما النساف فينتهي اماماً بقضيب خشبي مستعرض يثبت في قرون الثيران بوثاق . وقد اوردت ى‌ه هنا صورتين لمحراثين صغيرين محفوظين بدار تحف القاهرة . وقد عمل انموذجان لهما عندما ت قسم الزراعة المصرية القديمة بمتحف فؤاد الاول الزراعي وهما يمثلان نوعي المحراث الخفيف ، يتولى استعماله رجل واحد والثقيل الذي يتطلب استعماله رجلين . والانموذجان يمثلان بوضوح ة الحرث التي لم يعترها تبديل ولا تغيير منذ اقدم العصور التاريخية المعروفة الى الآن

واوردت ايضاً رسماً لمحراث وجد منقوشاً على آثار بسقارة يرجع تاريخهُ الى عهد الامبراطورية دينة وهو يمثل النوع الثقيل الطويل اليدين الصلب التركيب وقد بلغ اليدان خاصرة الفلاح القائم ملية الحرث . وهذا النقش عمل منهُ ايضاً انموذج واودع متحف فؤاد الاول الزراعي بالدقي بالجيزة

واورد الاستاذ بتري في كتابه عن ميدوم رسماً لمحراث خشبي خفيف من الاسرة الثالثة ٢٧٨٠ — ٢٧٢٠ ق.م.) لهُ يدان يضغط بهما الفلاح لارسال السلاح في جوف الارض والسلاح ثبت بقضيب خشبي كي لاينفصل وقت الحرث . واورد الاستاذ نيوبري في كتابه عن البرشة ج ١ وحة ٣١ رسماً لمحراث من الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠—١٧٩٠ ق.م) لهُ يدان تكوّنان مع السلاح زاوية تقرب من ٩٠° . واليدان مثبتتان احداهما في الاخرى بوثاق مستعرض. اما السلاح فثبت بحبل مع اليدين وباقي المحراث بوثاق وينتهي بحدّ مدبّب يظهر من شكله انه معدني المادة . واورد الاستاذ روزليني في مذكراته ج ٢ لوحة ٣٢ رسماً لمحراث طويل السلاح مرتفع اليدين تنتهيان بتقوّس افقي بهيئة مقبضين . ويظهر عليه انه معدني السلاح وان يديه ونافه مثبتان فيه . واورد الاستاذان تيلور وجريفث في كتابهما عن بقرة باحرى لوحة ٣ رسوم لمحراث من الاسرة الثانية عشرة (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق.م.) من مدينة الكاب نافهُ مثبت في سلاحه بقضيب خشبي . ولهُ يد واحدة طويلة تستعمل للتوجيه والضغط عند اللزوم

﴿ المنجل ﴾ ذكر المسيو ده مرجان في (Recherches I ص ١٣٢) انه يستحيل التمييز بين مناجل العصر الحجري ومناشيره . والمعروف ان المناشير في العهد الاول كانت تستعمل في قطع الاخشاب والعظام ثم استعملت بعد ذلك في الحصاد . وقد عثر الاستاذ بتري (راجع كتابه عن كاهون وجوروب والهوارة لوحة ٧ شكل ٢٧ ولوحة ٩) على منجل من عهد الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠—١٧٩٠ ق م.) لهُ حدّ مسنّن مصنوع من الظرّ ومنزّل في دائر خشبي

ويستعمل المنجل في الخط الهيرغليفي كحرف مركب ، لكن كتّاب العصور الاولى لا تميز في

كتاباتهم اجزاءه بوضوح ولا حتى المواد المصنوعة منها. اما نقوش ميدوم الملونة (الاسرة الثالثة ٨٠
— ٢٧٢٠ ق . م.) فتظهر بوضوح اجزاء المنجل . فيلاحظ ان اليد وبعض السلاح ملونان ب
اخضر . اما السلاح المصنوع من الظرّ فلوّن بلون ابيض ويُرى بارزاً من الجزء الكام
واستمرت هذه الآلة ترسم بهذه الصفة في الخط الهيروغليفي في عهد الاسرة الخامسة (مقبرة
والاسرة الثانية عشر (مقابر بني حسن) . اما النقوش التي يرجع تاريخها الى العهد الاخي
يوضّح بها بالدقة اجزاء هذه الآلة حتى تعذر معرفة اليد من السلاح بالتأكيد (الدنكايلر ج ٢-
ولا يمكن الحكم بالضبط على العهد الذي ظهر فيه المنجل المعدني بمصر . وثمة في دار تحف ا
منجل بحد حديدي . اما المنجل المعدني المحفوظ الآن بدار تحف (جيميه) بباريس فق
عليه بالدير البحري وهو مكوّن من حد حديدي ويد مصنوعة من خشب الجميز (راجع
الزراعة المصرية القديمة لمارتمان ص ٨٣)

وتتلخص طريقة استعمال المنجل فيما يلي : يقبض الفلاح على جملة من سيقان القمح و
اسفل السنابل بمنجل بيده اليسرى . وهذه الطريقة بقيت مرعية على مدى تاريخ مصر القدي

ورسم المنجل الوارد في الخط الهيروغليفي من عهد الاسرة الاولى (حوالي ٣٠٠٠ ق
غير واضح الاجزاء (راجع كتاب المقابر الملكية للاسرة الاولى للاستاذ بتري جزء ١ لو
شكل ٥٣ - ٦ و ج ٢ لوحة ٢٠ و٢٤)

وتختلف رسوم المناجل القديمة على مدى العصور في اجزائها المتباينة . فالسلاح يكو
ماضياً وطوراً مسنناً . ومرة مستقيماً وأخرى مقوّساً . ودرجة الزاوية التي بين السلاح و
غير ثابتة الانفراج

﴿ المدراة ﴾ — في دار تحف القاهرة قطعتان خشبيتان يقبض على كل منهما بيد
احداها من الاخرى فينتج من ذلك مسطح تقذف بواسطته الحبوب الى اعلى ثم تفصل اليدا
الحبوب الى الارض ويقذف الهواء القش والقاذورات بعيداً كما هي الحال الآن . وه
الخشبية عمل مثلها لمتحف فؤاد الاول الزراعي لما قمت بانشاء قسم الزراعة القديمة فيه و
في الشكل المرفق بهذه المقالة. وهناك مدراة طويلة اليد مشعبة النهاية كالمستعملة الآن كا
ايضاً من عهد المملكة القديمة كما هو واضح في لوحة من قبر بدار تحف القاهرة

﴿ البلطة ﴾ — اخذت البلطة تتحسن تدريجاً في الزمن السابق للعهد الحجر
الحجري ايضاً حتى عهد الاسر الاولى حيث ذكر المسيو ده مرجان رسماً لبلطة على اسطو
سلاحها الحجري منزل في يد خشبية [1] . وكان السلاح حينذاك مثبتاً في اليد بواسط
اسفل السلاح [2] . وهذه الثقوب تشاهد كثيراً في بلط وادي النيل والقصد منها ا

الصف العلوي
...اعي والاسل ...
الصف السفلي
...حف فؤاد الاول

مقتطف ا ك...

---

(1) Morgan Recherches t II p 244 fig: (2) Même Oeuvre. t II p 75

اليد وزيادة في هذا التثبيت ومنعاً لكسر اليد استعمل القوم على تثبيت هذين الجزئين بواسطة اوثقة مدية. ويلاحظ في البلطة الحاملة لاسم الملك تحوتمس الثالث ان سلاحها مصنوع من البرنز على الشكل المتبع في الأسرتين الأولين وكانت تستعمل في اوقات العبادة على روح هذا الملك العظيم فقط [1]

وفي زمن الاسرة الثالثة ظهر رسم البلطة في الخط الهيرغليفي بشكل يتبين منهُ ان السلاح كان صنع من المعدن (النحاس او البرنز) كما يستدل عليهِ من اللون الاصفر او الرمادي الضارب الى الخضرة [2]

وفي عهد الاسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة بلغت صناعة البلط حد الكمال من حيث تثبيت السلاح في اليد . فالبلط التي عثر عليها جهة رفح [3] تتكوَّن من سلاح مستدير تقريباً وطرفاه (أو طرف واحد احياناً) ينتهي بخطاف وبين هاتين الطرفين تشاهد عدة ثقوب (اربعة أو خمسة) لوضع اوتاد خشبية فيها لتثبيت اليد

ومنذ الاسر الاولى حتى العهد الصاوي استعمل الحَطَّاب البلطة ذات الحد المستدير (بتاح حوتب ج ١ لوحة ٣ . البرشة ج ١ لوحة ١٣) واليد المستقيمة او المقوّسة يسيراً وذلك وقت قطع الاشجار في اثناء تهيئة الحقول للفلاحة

﴿ المدية ﴾ — ان اقدم المدى المصرية هي المصنوعة من حجر الظرّ . وقد اعتنى القوم بصناعة هذه الآلة كثيراً . فكانوا بعد ما يقطعون من الحجر القطعة المراد صنعها مدية يبدأون في نحت الحد القاطع على عدة دفعات حتى يصير ماضياً جهد الطاقة (راجع كتاب نقادة والبلاص للاستاذين بتري وكويبل ١٨٩٦ لوحة ٧٦) . ثم كسا القوم الجزء الآخر من المدية بالمعادن كالنحاس وجعلوا منه يداً لهذا السلاح [4] . والخط الهيرغليفي في مبدئه يظهر المدية كاملة التركيب . فعلى شاهد قبر (جابيوسوكاري) رسم لاشارة هيرغليفية تمثل مدية ذات يد خشبية او معدنية [5] . وفي مقبرة بتاح حوتب (ج ١ لوحة ١٢ رقم ٢٧٣) يشاهد رسم للمدية المصرية القديمة ذات اليد الخشبية . واخيراً عثر على مدية من هذا النوع (راجع كتاب الآلات والاسلحة لبتري ١٩١٧ لوحة ٢٤ رقم ٣٥ ، ٣٦) . لكن بالرغم من كل هذه التحسينات بقيت المدية الحجرية مستعملة على الدوام في الحفلات الدينية

﴿ ادوات اخرى ﴾ وهناك ادوات اخرى كان يستعملها الفلاح في معيشتهِ كالامشاط التي كان يفصل بها خيوط الكتان والمطارق والمدراة البسيطة والمشعبة والمكنسة المصنوعة من القش والغربال والعصي وغير ذلك . (وجميع هذه الادوات ذكرتها Jane Ellen Harrison في مجلة The Journal of Hellenic Studies ج ٢٤ سنة ١٩٠٤ ص ٢٤١ — ٢٥٤)

---

(1) Maspero. Hist. Ancienne t I p. 60 fig. -- Birch Cat. of Collect. of Egyp. Antiq. at Almwick Castle London 1880 pl. B No 1182

(2) Medum pl. 10, 13, 14. (3) Petrie Gizeh & Rifeh 1907 pl. 3 No 108-113

(4) Capart Les debuts de l'art en Egypte p 68 fig.

(5) Weill, Les orig. de l'Egypte pharaon. p 217

كتاباتهم اجزاءه بوضوح ولا حتى المواد المصنوعة منها. اما نقوش ميدوم الملونة
— ٢٧٢٠ ق . م.) فتظهر بوضوح اجزاء المنجل . فيلاحظ ان اليد وبعد
اخضر . اما السلاح المصنوع من الظرّ فلوّن بلون ابيض ويُرى بارزاً
واستمرت هذه الآلة ترسم بهذه الصفة في الخط الهيروغليفي في عهد الاسر
والاسرة الثانية عشر (مقابر بني حسن) . اما النقوش التي يرجع تاريخها
يوضّح بها بالدقة اجزاء هذه الآلة حتى تعذر معرفة اليد من السلاح بالتأكيد
ولا يمكن الحكم بالضبط على العهد الذي ظهر فيه المنجل المعدني بمصر . و
منجل بحد حديدي . اما المنجل المعدني المحفوظ الآن بدار تحف (جي
عليه بالدير البحري وهو مكوّن من حد حديدي ويد مصنوعة من خشب
الزراعة المصرية القديمة لمارتمان ص ٨٣)

وتتلخص طريقة استعمال المنجل فيما يلي : يقبض الفلاح على جملة من
اسفل السنابل بمنجل بيده اليسرى . وهذه الطريقة بقيت مرعية على مدى تار

ورسم المنجل الوارد في الخط الهيروغليفي من عهد الاسرة الاولى (حو
غير واضح الاجزاء (راجع كتاب المقابر الملكية للاسرة الاولى للاستاذ
شكل ٥٣ – ٦ و ج ٢ لوحة ٢٠ و٢٤)

وتختلف رسوم المناجل القديمة على مدى العصور في اجزائها المتباينة . فا
ماضياً وطوراً مسنناً . ومرة مستقيماً وأخرى مقوّساً . ودرجة الزاوية التي بين
غير ثابتة الانفراج

﴿ المدراة ﴾ — في دار تحف القاهرة قطعتان خشبيتان يقبض على كل
احداهما من الاخرى فينتج من ذلك مسطح تقذف بواسطته الحبوب الى اعلى ثم تق
الحبوب الى الارض ويقذف الهواء القش والقاذورات بعيداً كما هي الحال الا
الخشبية عمل مثلها لمتحف فؤاد الاول الزراعي لما قمت بانشاء قسم الزراعة القدي
في الشكل المرفق بهذه المقالة. وهناك مدراة طويلة اليد مشعبة النهاية كالمستعملة
ايضاً من عهد المملكة القديمة كما هو واضح في لوحة من قبر بدار تحف القاهرة

﴿ البلطة ﴾ — اخذت البلطة تتحسن تدريجاً في الزمن السابق للعهد
الحجري ايضاً حتى عهد الاسر الاولى حيث ذكر المسيو ده مرجان رسماً لبلطة على
سلاحها الحجري منزل في يد خشبية [1] . وكان السلاح حينذاك مثبتاً في اليد
اسفل السلاح [2] . وهذه الثقوب تشاهد كثيراً في بلط وادي النيل والقصد

مقتطف

...gan Recherches t II p 244 fig: (2) Même Oeuvre. t II p 75

في اليد وزيادة في هذا التثبيت ومنعاً لكسر اليد استعمل القوم على تثبيت هذين الجزئين بواسطة اوتقة جلدية. ويلاحظ في البلطة الحاملة لاسم الملك تحوتمس الثالث ان سلاحها مصنوع من البرنز على الشكل المتبع في الأسرتين الأوليين وكانت تستعمل في اوقات العبادة على روح هذا الملك العظيم فقط[1]

وفي زمن الاسرة الثالثة ظهر رسم البلطة في الخط الهيرغليفي بشكل يتبين منهُ ان السلاح كان يصنع من المعدن (النحاس او البرنز) كما يستدل عليهِ من اللون الاصفر او الرمادي الضارب الى الخضرة[2]

وفي عهد الاسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة بلغت صناعة البلط حد الكمال من حيث تثبيت السلاح في اليد . فالبلط التي عثر عليها جهة رفح[3] تتكوَّن من سلاح مستدير تقريباً وطرفاه (أو طرف واحد احياناً) ينتهي بخطاف وبين هاتين الطرفين تشاهد عدة ثقوب (اربعة أو خمسة) لوضع اوتاد خشبية فيها لتثبيت اليد

ومنذ الاسر الاولى حتى العهد الصاوي استعمل الحطَّاب البلطة ذات الحد المستدير (بتاح حوتب ج ١ لوحة ٣ . البرشة ج ١ لوحة ١٣) واليد المستقيمة او المقوَّسة يسيراً وذلك وقت قطع الاشجار في اثناء تهيئة الحقول للفلاحة

﴿ المدية ﴾ — ان اقدم المدى المصرية هي المصنوعة من حجر الظرّ . وقد اعتنى القوم بصناعة هذه الآلة كثيراً . فكانوا بعد ما يقطعون من الحجر القطعة المراد صنعها مدية يبدأون في نحت الحد القاطع على عدة دفعات حتي يصير ماضياً جهد الطاقة (راجع كتاب نقادة والبلاص للاستاذين بتري وكويبل ١٨٩٦ لوحة ٧٦) . ثم كسا القوم الجزء الآخر من المدية بالمعادن كالنحاس وجعلوا منه يداً لهذا السلاح[4] . والخط الهيرغليفي في مبدئه يظهر المدية كاملة التركيب . فعلى شاهد قبر (جابيوسوكارى) رسم لاشارة هيرغليفية تمثل مدية ذات يد خشبية او معدنية[5] . وفي مقبرة بتاح حوتب (ج ١ لوحة ١٣ رقم ٢٧٣) يشاهد رسم للمدية المصرية القديمة ذات اليد الخشبية . واخيراً عثر على مدية من هذا النوع (راجع كتاب الآلات والاسلحة لبترى ١٩١٧ لوحة ٢٤ رقم ٣٥ ، ٣٦) . لكن بالرغم من كل هذه التحسينات بقيت المدية الحجرية مستعملة على الدوام في الحفلات الدينية

﴿ ادوات اخرى ﴾ وهناك ادوات اخرى كان يستعملها الفلاح في معيشتهِ كالامشاط التي كان يفصل بها خيوط الكتان والمطارق والمدراة البسيطة والمشعبة والمكنسة المصنوعة من القش والغربال والعصي وغير ذلك . (وجميع هذه الادوات ذكرتها Jane Ellen Harrison في مجلة The Journal of Hellenic Studies ج ٢٤ سنة ١٩٠٤ ص ٢٤١ — ٢٥٤)

---

(1) Maspero. Hist. Ancienne t I p. 60 fig. — Birch Cat. of Collect. of Egyp. Antiq. at Almwick Castle London 1880 pl. B No 1482

(2) Medum pl. 10, 13, 14. (3) Petrie Gizeh & Rifeh 1907 pl. 3 No 108-113

(4) Capart Les debuts de l'art en Egypte p 68 fig.

(5) Weill, Les orig. de l'Egypte pharaon. p 247

استدراك على معجم الحيوان

وبحث علمي طريف

بقلم الفريق امين باشا المعلوف

— ٤ —

لما نشرت معجم الحيوان سنة ١٩٠٨ وما بعدها ثم في طبعته الأخيرة سنة ١٩٣٢ كنت اكتب للخاصة الذين يعرفون شيئاً عن هـذا العلم . ثم رأيت الآن ان اشرح اموراً ظننتها واضحة في أول الامر فاذا هي غامضة على بعضهم منها ما يلي فقد قلت في الصفحة ٩٣ ما يأتي :

فصيلة السعالي Pongiidae

قرود شبيهة بالانسان منها الغورلّى اي الغول والبعّام والسعلاة والشِق . انظر ص ١٩ و ٢١ و ١١٥ من هذا المعجم . انتهى

وقولي هذا المعجم يراد بهِ معجم الحيوان . أما سبب تسميتي لهذه الفصيلة باسمها العلمي هذا فعن الكتاب الآتي وقد ذكرته بين أسانيدي وهو من أحدث الكتب وأوسعها في المقدّمات وهي الرتبة العليا من رتب الحيوان والكتاب هو

Elliot, A. Daniel. A Review of the Primates, New York 1912

فقد جاء ذكر هذه الفصيلة بهذا الاسم في المجلد الثالث ص ١٨١ وفي الحاشية ما ترجمتهُ :

« لما كان نموذج القرود المعروفة باسم سيميا هو قرد المغرب فان سيمييدا لا يمكن ان يتخذ اسماً لفصيلة القرود العظيمة . ولما كانت كلمة بُنجو اقدم اسم جنسي اقترح لهذا الحيوان فانهُ ينبغي اتخاذه اسماً للفصيلة لذلك كانت كلمة بنجييدا الاسم الصواب » . انتهى والترجمة حرفية

ثم بحث الدكتور اليوت في ص ١٧٢ في قرد المغرب وناقش العلماء في صحة هذه التسمية مما لا حاجة الى الاسهاب فيهِ . ولا يخفى ان اسم الفصيلة Family مأخوذ من اسم الجنس النموذجي لذلك يقال فصيلة البشر من « هومو » اللاتينية اي الانسان في آخرها لاحقة من أصل يوناني فتصير هوميندا وترجمتها ابناء الناس اي البشر وهذه اللاحقة معناها في الاصل ابن كما قال اليونان جفنيد وعباسيد اي ابن جفنة وابن العباس وعند المحدثين فيليبذس وقسطنطينيذس ابن فيليب

.عند العرب في اسماء الحيوان ابن كقولهم ابن آوى وابن عرس والجمع بنات على
وهـذا الاستعمال اصطلاح حديث جرى عليه العلماء وهو في الاصل قديم في
م في قولهم ابن جفنة وابن العباس فيجب ان يكون الاصطلاح العربي كما هو عند
الاسم الجنسي وتصاغ الفصيلة منهُ فيقال فصيلة البشر وفصيلة السراعيب وفصيلة
يائل وفصيلة الدعاسيق من اسم الجنس وهو الانسان والبعير والايّل والدعسوقة
ومثل ذلك فصيلة السنانير وفصيلة الكلاب وهلمّ جرًّا . اي ان الفصيلة ينبغي
الجنس النموذجي او اقدم جنس وضعه علماء الحيوان فان أقدم جنس من هـذه
يدا هو الجنس المعروف باسم بنجو فيكون من الطبيعي ان تسمى هذه الفصيلة
اثبت الدكتور اليوت.ثم ان بعض العلماء منهم ليناوس سموا هذا القرد باسم سيميا
سمـوا هذا القرد عينه سيميا ساتيرس اي القرد ساتيرس ومعنى ساتيرس كما
يوان ص١٥ وما بعدها السعير او السعلاة وكان الهاً عبده اسلافنا ففضلت السعلاة
سمية العلماء ومن شاء زيادة ايضاح في ذلك فليراجع ما كتبه بلنيوس وما جاء في
ن ساتيرس وما كتبه علماء التوراة في كلمة ساتيرس لانهُ كان الهاً عبده الساميون .
.ا القرد عفريتاً لكانت القاعدة ان تسمى الفصيلة فصيلة العفاريت ولو كان ملاكاً
اي ان الفصيلة يجب ان تسمى باسم هذا القرد عينه لا باسم قرد آخر

***

بت اخيراً ان علماء الحيوان قد اخذوا برأي الدكتور اليوت اي بعد مضي عشرين
لك فقد اطلعت على كتاب في اللبونات جمعه الميجر فلـو ر لجمعية الحيوان البريطانية
الكتاب آخر كتاب تعتمد عليه الجمعية في اسماء الحيوان وهو مطبوع سنة ١٩٣٠
ن كل كتاب آخر في تصنيف الحيوان والأسماء المعتمدة في بريطانية واميركة وقد
، الفصيلة بهذا الاسم العلمي اي بنجيبيدا ونبذ الاسم القديم اي سيمييدا مع الاشارة
ي قوله ان بنجيبيدا هو سيمييدا عند بعض المؤلفين اي ان جمعية الحيوان البريطانية
سمية الدكتور اليوت الاميركي فالعلماء لا يبالون بصغار الامور كما يفعل بعض
فلا يقول الواحد منهم مثلاً هذه كلمة وضعها كوفي او بصري او عربي او فارسي
ي او مصري وينبغي ان ارفضها او اغير فيها بعض التغيير او اتحذلق فيها بعض
.عها ليس من قومي بل يقولون كما قال النبي الكريم اطلبوا العلم ولو بالصين الى آخر
جر فلور الانكليزي وعلى شدة تعصب الانكليز لقومهم قبل التسمية التي وضعها
الاميركي اللعين وقبلتها جمعيته البريطانية الانكليزية لانها صواب

ومما يسرني ان صديقي الاستاذ اسمعيل مظهر جرى على مذهب كبار العلماء فنبذ كلمة قسم لانها خطأ وكان يقولها قبلاً وقبل كلمة قبيلة وكان قبلاً يقول القبيل لان القبيلة اصلح او لعله اصابه ما اصابني فجمع القبيل على قُبُل فانصرف ذهنه الى المفرد ونقيضهِ كما انصرف ذهن صفي الدين الحلي فنظم فيه شعراً اي صفي الدين يعده ارباب الفن من جيد الشعر . وأملي كبير ان الصديق المحقق يقبل اصطلاحات اخرى متى وجدها صواباً فيكون عمله هذا قدوة نحتذيها

***

انتهت المداعبة الى اجل . قلت وقد اخطأت في الشقوق وجعلتها في معجم الحيوان من فصيلة السعالي وكان يجب اخراجها وجعلها فصيلة على حدة كما فعل الميجر فلور في كتاب اللبونات المشار اليه والميجر فلور كما لا يخفى كان مديراً لحدائق الحيوان في مصر وهو مواليدي مشهور كذلك ابوه قبله . اما الفصيلة التي وضع فيها الشقوق فهي الفصيلة الآتية

فصيلة الطافرات في الشجر وهي الشقوق او الجبابين Hylobatidae. The Gibbons.

والواحد جبّون

الطافرات في الشجر فصيلة من مرتبة اى ردف رتبة البشريات وهي اي الفصيلة تشمل الشقوق على أنواعها والكلمة يونانية الاصل في صيغة لاتينية ومعناها الماشيات في الشجر وربما كان قولنا الطافرات في الشجر اصلح منها لانها اكثر ما ترى في الشجر تطفر فيه من غصن الى آخر . اما قولي الشِق بمعنى الجبّون فقد ذكرته في معجم الحيوان ص ١٥ وذكرت السبب الذي دفعني الى تسميته بهذا الاسم . وقد قلت البشريات ترجمة لكلمة انتروبويديا كما قال الاستاذ اسمعيل مظهر لا كما كنت اقول قبلاً لان البشريات اصلح

وايضاحاً لما تقدم أقول :

رتبة المقدّمات	Primates
هي رتبة من طائفة اللبونات تشمل مرتبتين البشريات والشبحيات	
مرتبة او ردف رتبة البشريات وهي تشمل البشر وجميع القرود	Anthropoidea
مرتبة او ردف رتبة الشبحيات وهي تشمل الهوابر على أنواعها	Lemuroidea

اما أشباه البشر ففصيلتان وقد تقدم ذكرها فهاتان الفصيلتان يقال لهما الاشباه او اشباه البشر فلو خصصنا الفصيلة الواحدة بالاشباه فبماذا نسمي الفصيلة الثانية . هذه هي المسألة الدقيقة لذلك أرى ان خير الامور هو اتباع العلماء في تصنيف الحيوان لاننا اذا تصرفنا في التصنيف فان المسألة تصير فوضى او نزيدها عرقلة

ستنتج مما سبق ان ...

واعظ المنصور

[من اهل الحق رجالٌ يجلوهم الحق كجلاء السيوف ، حتى يستوي عندهم هام الناس من الملوك بأذنابهم من السوقة والعامة ، فاذا وقفوا بين يدي الملوك ارسلوا عليهم من مواعظِهم شواظاً من نارٍ تحـرق ضعاف الملوك ، فهم فيها كيابس الحطب ، وتنقي كرامهم ، فهمْ فيها كالذهبِ ، لا يزدادُ على النارِ الاّ بهاءً وصفاءً . وهؤلاء الرجالُ من الحياة بمنزلة الملوك ، لانهم همْ ساسة الحقّ والقائمون بأمره في هذه الدنيا . وواعظ المنصور هو امامٌ من ائمة هؤلاءالافذاذ]

بينما المنصور يطوف ليلاً إذ سمع قائلاً يقول :

اللهمّ اني اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع

فخرج المنصور ناحية من المسجد وأرسل الى الرجل يدعوه ، فصلى الرجل ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليهِ بالخلافة

فقال المنصور : ما الذي سمعتك تذكر من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حشوتَ مسامعي ما ارمضني

قال: يا امير المؤمنين ان أمّنتني على نفسي أنبأتك بالامور من اصولها ، والاّ احتجزت منك واقتصرت على نفسي ففيها لي شاغل، فقال :

أنت (آمنٌ) على نفسك (فقل) ، فقال : إن الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر من البغي والفساد لأنتَ

قال : ويحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في قبضتي والحلو والحامض عندي !

(١) [illegible]

العنصر الثالث والتسعون

كشف طبيعي خطير

تختلف العناصر في وزنها الذري (Atomic weight) من الايدروجين (وزنه الذري واحد) الى الاورانيوم (وزنهُ الذري ٢٣٨) وتختلف كذلك في خواصها الطبيعية والكيمائية . فبعضها غازي كالاكسجين والايدروجين والنتروجين والكلور وبعضها سائل في الاحوال العادية كالزئبق والبروم ، والباقي جامد كالذهب والفضة والكربون والفصفور . بعض المعادن صلب قاس كالبلاتين والاريديوم وبعضها لين كالصوديوم والبوتاسيوم . الليثيوم معدن خفيف يطفو على سطح الماء مع ان الاسميوم معدن يفوق وزنه النوعي specific gravity وزن الماء النوعي اثنين وعشرين ضعفاً ونصف ضعف . ثم ان هذه العناصر تختلف لوناً . فالنحاس احمر والذهب اصفر واليود رمادي قاتم والفصفور ابيض . وبعض الفلزات كالنيكل يصقل حتى يخطف البصر بلمعانه ، وبعضها يمكن صقله ولكنه يظل مكمداً فلا يلمع . الذهب لا يكمدُ عند تعريضه للهواء وأما الحديد فيصدأ وأما اليود فيتصعد . وبعض هذه العناصر يتحد بذرة واحدة من الاكسجين وبعضها بذرتين وبعضها بثلاث ذرات . ومنها طائفة قليلة كالبوتاسيوم والفلور شديدة الفعل يصعب تناولها بالانامل ومنها عناصر لا يطرأ عليها تغيير ما طال الزمن . تباين في الصفات والخواص يحيّر اللب ! ولكن العناصر مع ذلك لا تخرج عن كونها اثنين وتسعين عنصراً ، من الايدروجين ورقمه الذري atomic number واحد الى الاورانيوم ورقمه الذري اثنان وتسعون

فما هو السرُّ في ترتيب العناصر ترتيباً عددياً صاعداً من ١ الى ٩٢ يتفق وتدرجها في الوزن ؟ ظل هذا السؤال من دون جواب ، حتى قام موزلي قبيل الحرب بمباحثه الخالدة ، فبيَّن الصلة بين هذه الارقام الذرية وعدد الكهارب في كل ذرة من الذرات او بالحري بعدد الكهارب حول كل نواة منها

فقد كانت الذرة في نظر علماء عصره ، مبنية من نواة حولها كهارب . وكانت النواة في رأيهم مبنية من كهارب وبروتونات ، ولكن عدد البروتونات فيها يفوق عدد الكهارب اي ان عدد الشحنات الموجبة في النواة يفوق عدد الشحنات السالبة . واذن فلا بدّ ان يكون حول النواة عدد من الكهارب يقابل عدد البروتونات الفائض في النواة

وعلى ذلك كانت ذرة الايدروجين – وهو أبسط العناصر وأخفّها – مبنية من نواة فيها بروتون واحد وحولها كهرب واحد . والهليوم يلي الايدروجين . ورقم الهليوم الذري ٢ فما الصلة بين هذا الرقم وبناء ذرته . ان النواة في ذرة الهليوم مبنية من اربعة بروتونات وكهربين . اي ان الشحنات الموجبة فيها تزيد شحنتين على الشحنات السالبة . واذن فالذرة تحتاج الى كهربين حول النواة لتعديل فعل البروتونين . واذن فرقم الهليوم الذري يتفق وعدد الكهارب التي حول النواة . اما الاورانيوم فهو أثقل العناصر وعددهُ بينها ٩٢ ورقمهُ الذري ٩٢ كذلك . فهل ثمة صلة بين رقمهِ الذرّي وعدد

الكهارب حول نواته كالصلة بين رقم الهليوم الذري والكهربين اللذين حول نواته ؟ ان نواة ذرة الاورانيوم مبنية من ٢٣٨ بروتوناً و ١٤٦ كهرباً فعدد البروتونات الذي يفيض على عدد الكهارب في نواة الاورانيوم ٩٢ بروتوناً فهي تحتاج الى ٩٢ كهرباً لتعديلها واذن فرقم الاورانيوم الذرّي متفق وعدد الكهارب حول نواته . وقد تغيَّر الآن النظر في بناء النواة ، ولكن ذلك لم يغيّر الصلة بين الرقم الذرّي وعدد الالكترونات التي حول النواة في كل ذرّة من كل عنصر

هذا البناء يعلل فعل الاشعاع . ان ذرات العناصر الثقيلة غير مستقرّة البناء فتنحلُّ الى ذرات عناصر أخف منها وفي خلال انحلالها تطلق نواها بعض الدقائق . فالاورانيوم يتحوّل مثلاً الى راديوم . والراديوم يتحوّل الى رصاص فتنطلق منهُ في خلال هذا التحول دقائق الفا (وهي نوى عنصر الهليوم) ودقائق بيتا (وهي كهارب) واشعة غما (وهي من قبيل الاشعة السينية) ولكنها أشدُّ اختراقاً منها للمواد

أفلا يوجد عنصر أثقل من الاورانيوم ؟ أي ألا يمكن ان يكون عدد العناصر اكبر من ٩٢ عنصراً ؟ كان الرأي انهُ لا يمكن ان يوجد عنصر أثقل من الاورانيوم لانهُ اذا وُجد انحلَّ لساعتهِ ، إذ لا بدَّ ان تكون ذرتهُ أقلَّ استقراراً في بنائها من ذرة الاورانيوم . ولكن المباحث النظرية التي قام بها جينز وادنغتن وغيرهما حملتهم على القول بأنهُ اذا لم تكن الاحوال على الأرض مواتية لوجود عنصر أثقل من الاورانيوم فالراجح ان في قلب النجوم عناصر مشعة لا يقابل بها الاورانيوم والراديوم وقد ذهب ادنغتن الى ان عدد العناصر هو ١٣٦ عنصراً على الاكثر

وفي اوائل هذه السنة كشف الاستاذ جوليو الفرنسي وقرينتهُ (وهي ابنة مدام كوري) ان في الامكان احداث اشعاع وقتي في بعض العناصر غير المشعة باطلاق هليومات (اي نوى ذرات الهليوم) عليها فأطلقا هذه الهليومات على عناصر البور والمغنيسيوم والالومنيوم فنشأ منها اشكال مشعة — ولكن اشعاعها وقتيٌّ — من عناصر النتروجين والسلكون والفصفور . وما لبثت مباحث جوليو وقرينته حتى تأيدت نتائجها بنتائج التجارب التي أجريت في جامعتي كمبردج وكاليفورنيا . ولكن الباحثين في انكلترا استعملوا البروتونات بدلاً من الهليومات وفي كاليفورنيا استعملوا الدوتونات (نوى الايدروجين الثقيل) وكان الغالب في تجارب هؤلاء العلماء ان اطلقوا مقذوفاتهم على بعض العناصر الخفيفة . ولكن فرمي — وهو عالم ايطالي شاب في الثانية والثلاثين من عمره — اطلق النوترونات على العناصر الثقيلة ومنها الاورانيوم أثقل العناصر على الاطلاق ، فتكوَّن لديهِ عنصر اثقل من الاورانيوم دعاه بعضهم « سوبر اورانيوم » — اي فوق الاورانيوم — واطلق عليهِ غيرهم « العنصر الثالث والتسعين » والظاهر ان النوترون الذي يطلق على الاورانيوم ينقسم الى قسمين عند اصطدامهِ بالذرّة فيندمج البروتون بنواة الذرّة فيزداد وزنها الى ٩٣ وينطلق كهربهُ ولكن هذا العنصر غير مستقر كما يتوقّع فلا يكاد يتكوَّن حتى ينحلّ

اخونا سليم

لك مكاريوس سنة ١٩١٠ نعاهُ الدكتور صرّوف — رحمة الله عليهما — في
نا شاهين » فقال : — « اصبحنا نحن الثلثة اصحاب هذه الجريدة اشبه الناس
خص الواحد ، منا بثلاثة اشخاص . فكم من كتاب يأتينا كلّ يومٍ معنوناً
وف نمر » او باسم « نمر مكاريوس » كأنّ لا فرق في اعتبار الكاتب بين يعقوب
، وشاهين مكاريوس . وكثيرون من الذين يفرقون بيننا ويعلمون اننا ثلثة
ثلثة اخوة ابناء اب واحد وام واحدة ويظهرون من العجب والدهشة ما لا
اننا ثلثة رفقاء لا قرابة بينهم ولا نسب . . . »
آزروا ، فلا عجب في ان يمتدّ أثر تآخيهم وتآزرهم الى الابناء ومن يلي الابناء
لاسر الثلاث ما تزال حتى الساعة لا يربط بينها رابطة نسب . وكذلك نرى اليوم
ينا بنعي سليم مكاريوس الى قرّاء المقتطف ، ان ادل كلام على مكانته في
لى فقده ، هو قولنا : « أخونا سليم »

***

س في بيت علم وفضل واجتهاد فطمح من صباه الى التشبه بأساطين العلم وكان
شاطه العجيب ما بعث فيه الرغبة وأحيا فيه الامل فطلب العلم في مدارس بيروت
انه فكان أنجب طلبة جامعة بيروت الاميركية الى العام الذي أتمَّ فيه دروسه
وأحب بحوثها حبًّا جمًّا وأحاط بمذاهبها ولا سيما الحديث منها وآثر من هذه
ر الفيلسوف الانكليزي فكان يعرف اصولها وفروعها معرفة تامة فلما زار
ينة بريطن بانكلترا وحادثه ولم يكن قد جاوز الحادية والعشرين دهش الفيلسوف
اركه وامتلاكه لناصية الانكليزية وأُعجب بهذا الشاب الشرقي الأسمر اللون
هب الى لندن وباريس اعطاه كتباً من كتب التعريف والتوصية الى جماعة
ي الاثينيوم وهو ندوة العلماء والكتّاب بلندن فتوصل من هناك الى معرفة
العلم والصحافة كالبرنس كروبتكين والمستر سدني وب (اللورد باسفلد الآن)
لنكستر والطبيب السر لودر برنتن والسر ميخائيل فوستر الفسيولوجي وشارل
ي الفرنسيّ وغيرهم
في مدرسة الحقوق الفرنسية واجتاز امتحاناتها السنوية في فرنسا بنجاح عظيم

فلما اراد اجتياز امتحان المعادلة كان بين ممتحنيه المرحوم رشدي باشا فطرح عليهِ سؤالاً عاديًا فأجابه الفقيد عليه وقال لرشدي باشا لماذا لا تتفضل بأسئلة أصعب من هذا السؤال السهل فدهش رشدي باشا وابتدره بأسئلة عويصة فكانت اجوبته عليها في منتهى الاحكام ومن ذلك الحين اتخذه صديقاً وقدمه الى المرحومة قرينته الاولى . ولقي مثل هذه العناية من السر ملكُم مكرايث المستشار القضائي في ذلك الحين ففتح له أبواب مكتبته يطالع فيها ما يشاء ويأخذ منها ما يشاء

وبعد ما اشتغل بالمحاماة مدة رغب عنها الى الصحافة وقد نشأ في وسط صحافي فانضم الى قلم تحرير المقطم ثم عين مكاتباً في مصر لجريدة الديلي مايل فظل يكاتبها نحو عشرين سنة ودعته ادارتها الى ان ينتظم في هيئة تحريرها بلندن فلبى الدعوة ، وقدر لورد نورثكلف صاحب الديلي مايل كفاءته واخلاقه فانزله منزلة رفيعة من الاعتبار وبلغ من دالة الفقيد عليهِ انهُ كان يستعمل مكتب اللورد الخاص كأنهُ مكتبهُ بل فعل ما لم يتفق مثله في ادارة جريدة كبيرة فانهُ كتب مرة مقالة عن « كسوف الشمس » وبعد ما دارت آلات الطباعة مدة خطر له ان يبدل عبارة في المقالة وينقل توقيعه من اسفل المقالة الى اعلاها فنزل الى مكان المطابع وأمر بوقف الطبع وبدل العبارة واقتضى ذلك تبديل الصفحات التي هي فيها ونشأ عن العمل ان تأخر توزيع الجريدة في شمال انكلترا . ونمي الخبر الى اللورد نورثكليف فأرسل اوامر مشددة بمعاقبة من يعد مسؤولاً عن الحادث حتى ابلغه رئيس التحرير ان الآلات وقفت « بأمر مكاريوس » فعدل عن العقوبات ولكنهُ افهم الفقيد اذ ما صنعه محظور لم يسبق له مثيل ولا يجوز ان يعاد . ولم يستقل من مكاتبة الديلي ميل الا في مطلع الثورة المصرية لانهُ اختلف وهيئة تحريرها في الرأي

وعرف هناك اللورد روذرمير شقيق نورثكليف ثم اللورد بيفربروك صاحب الديلي اكسبرس وكانا يزورانه في منزله عند زيارتهما لمصر ويرحبان به في لندن ويعدانه من اصدقائهما

***

ولما كان في لندن حينئذ زارها الوفد البرلماني العثماني برئاسة طلعت باشا الصدر الاعظم الاسبق وكان حينئذٍ رئيساً لمجلس المبعوثان فطاف بهم الفقيد على ادارات الصحف وانشأ لهم اتصالاً بهيئات سياسية وعلمية وادبية واقتصادية واعجب طلعت باشا بمقدرته ونفوذه فعرض عليه ان يتقلد منصب مستشار للسفارة العثمانية في لندن فاعتذر الفقيد عن القبول بحجة انهُ يؤثر العمل الصحافي على سواه. ثم زار استانبول بعد ذلك وكان طلعت باشا قد قلد وزارة الداخلية فاحسن استقباله وكان يأخذه معهُ الى الباب العالي وقد اشتبك ذراعاهما واعاد طلعت باشا في استانبول ما عرضه عليهِ في لندن فأبى قبوله معتذراً وشاكراً. ومن الزعماء الذين توطدت صلة الصداقة بينهُ وبينهم المستر مكدونلد عرفهُ في مطلع حياته السياسية ولقيهُ لما زار مصر سنة ١٩٢١ وشرب الشاي عنده ولما زار الفقيد لندن في صيف ١٩٢٩ دعاه المستر مكدونلد الى زيارته في داره في ١٠ دوننج ستريت

البقية في باب الاخبار العلمية

احدث معجزات الصوت

الاصوات الحادة النبرات تحلل السوائل وتقتل البكتيريا وتسلق البيض سلقاً خفيفاً وتهدم المباني الضخمة وتشل الافاعي بالانغام المنتظمة

نقلاً عن مجلة العلم العام الاميركية : ترجمها عوض جندي

جاءَ من امريكا انهُ قد تمّ اطلاق مدفع ضخم من المدافع الحربية الساحلية ٧١ طلقة في ميدان من ن التجارب الحربية ، طوله اربعة اميال ، حيث نُصبت عدة ميكروفونات على ابعاد يسيرة ا عن بعض . وكان ذلك الميدان مجهزاً عند القيام بالتجربة ، بفلم متحرك ، يطبع عليهِ بطريقة ماتيكية ، عند كل طلقة ، خط متمعج يبيّن سرعة موجة صوت المدفع في الثانية الواحدة . وكانت وفونات متصلة باجهزة مركزية دقيقة جداً تقدّر الزمن تقديراً صادقاً . وقد قسّمت فيها الثانية دة الى ١٠٠٠ جزء . فاسفرت التجربة عن تمكن الدكتور ديتون مِلَر ، الاستاذ بمدرسة العلوم بقية في كليڤلند بولاية اوهيو ، من جمع المعلومات التي تذرّع بها الى تحديد سرعة الصوت في ة الواحدة تحديداً صحيحاً . وبعد ما حسب حساباً لعوامل الحرارة والرطوبة والضغط الجوي هات الارياح وسرعتها استدلّ على ان سرعة الصوت المضبوطة في الهواء ١٠٨٧٫١٣ من القدم في ة وكانت قبل تختلف من ١٠٨٥ قدماً الى ١٠٨٩ قدماً في حساب العلماء

ويتوقع العليمون ان هذا المقياس الصحيح لسرعة الصوت سوف يفيد فوائد جليلة في كثير يادين العلم . ذلك لانهم اصبحوا يستخدمون الصوت خدمات شتى تبعث على الدهشة . فترى ربابنة ن مثلاً يتلمسون طرق مراكبهم ، عند انتشار الضباب الكثيف ، بوساطة جهاز يسجل الاصداء بة التي ترتد من اجسام في طريقهم ، يحجبها الضباب عن انظارهم وكذلك يتسنى للخبراء الحربيين ة مواقع الطيارات الخفية المحلقة في اجواء بلادهم ، وتعيين مواقع مدافع الاعداء القاصية طة جهاز دقيق يسمى (محلل الصوت)

ثم ان الاجهزة المستعملة لسَبْر اعماق البحار تمكّن السفن المستخدَمة لعملية المساحة البحرية سم خرائط الجبال والاودية الغائرة في اليمّ على عمق الوف من الاقدام . ويتضح من تجارب ت في كاليفورنيا من عهد قريب ان امواج الصوت الوثّابة قد ترشد الطيارين الذين يضلون طرقهم مبلغ ارتفاعهم الصحيح عن سطح الارض . وتقوم امواج الصوت في معامل الكيمياء بسلق ض وكيّ الاصابع وتطهير اللبن مما يشوبهُ من الجراثيم وبتغيير المواد الكيميائية وغيرها من الغرائب وقد عرض منذ عهد قريب الدكتور بيرس استاذ الطبيعة (كرسي رمفورد) في جامعة هرفرد

جهازاً يجعل « الاصوات الصامتة » مسموعة كأنها قصف الرعد . وهو جهاز حساس جدًّا يفخم صوت اشتعال ثقاب تفخيماً شديداً جدًّا فيصيره كأنهُ قعقعة عجلة في مركبة ثقيلة ، ويصير خشخشة قصاصة الورق كأنها دويُّ مدفع رشاش ، ويجعل انفاس طائفة من الناس الصامتين تدوي كقطيع من الافيال المجفلة ، حتى خشخشة النسيج في ثوب قشيب ، يتاح تفخيمها فتسمع في اطراف الحجرة التي يجتازها اللابس . ويتسنى التذرع بكشاف من هذا النوع الى التقاط الاشارات الواردة على الملتقط من عمق عشرة اميال في الماء ، لان سرعة اختراق الصوت للماء تفوق سرعة اختراقه للهواء اربعة اضعاف . ويمكن استخدام هذا الجهاز ايضاً في اثناء الحرب لارسال الاشارات لانهُ يلتقط الامواج الصوتية الدقيقة جدًّا ولاسيما السريعة التذبذب التي لا تستطيع الآذان البشرية سماعها

اما خبراء مختبر « بل » التليفوني ، فقد عرضوا على مؤتمر المعهد الامريكي للمهندسين الكهربائيين ظواهر صوتية مدهشة ، فركبوا طائفة من الميكروفونات ومفخمات الاصوات اللاسلكية ولكل منها دائرة كهربائية خاصة فاستطاعوا ان يولدوا موسيقى ذات « ثلاثة أبعاد » واذاعوا الاصوات المطبوعة على اسلوب المتكلم من بطنهِ . ذلك ان النظارة وهم جلوس في الغرفة سمعوا ازيز طيارة محلقة فوق رؤوسهم فأشرأبوا اليها وشاهدوا دهشين مبوقاً يتمشى على مسرح بينما كانت الحان بوقه تنبعث من الموضع الذي كان واقفاً فيهِ ، ثم رأوا راقصاً يرقص متجهاً الى جهة واحدة ووقع اقدامه يسمع في الجهة الاخرى

وعرض من بضع سنين في انكلترا طائفة من الجرذان المغنية فتحمّس لرؤيتها فريق من المشاهدين واعتقد الفريق الآخر أنها تدجيل فلم يكترثوا لها . وأسفر البحث عن كون الفريق الذي اعتقد أن الامر خداع ، ان افراده لم يستطيعوا سماع الاصوات الحادة التي كانت تصدر من الجرذان وهي تشدو بعضها مع بعض . والواقع ان آذاننا تختلف بعضها عن بعض اختلافاً عظيماً في قدرتها على التقاط الالحان ، وان أخفت صوت نسمعه مؤلف من زهاء ٤٠ موجة في الثانية . وان أعلى صوت نسمعه مؤلف من ٤٠٠٠٠ موجة . وان طبقة الصوت تتوقف على عدد موجاته ، وارتفاعه يتوقف على اطوال موجاته . واما سبب سماعنا طنين النحلة الطنانة حينما تحرك أجنحتها ، وكوننا لا نسمع شيئاً عند ما يحرك امرؤ ذراعيه ، فلأن الانسان لا يستطيع تحريك ذراعيه بمثل السرعة التي تحرك بها النحلة اجنحتها فتولد موجات في كل ثانية تحدث صوتاً مسموعاً

وقد أعلن السير « فرنسيس غالتون » العالم البيولوجي البريطاني المشهور (١٨٢٢ — ١٩١١) أن السنانير أحدُّ الحيوانات سمعاً لأخفت الاصوات ، وعزا ذلك الى أجيالها التي عركها الدهر في صيد الفئران في الدجى فأضطرتها الحياة الى ارهاف وسائل السمع . ومن ادوات التجارب التي اشتهر بها عصا كانت تعرف باسم « صفارة غالتون » وهي عصا ذات مقبض تُثَبَّتُ فيه محجرة من الصمغ المرن تُركَّبُ في رأسها صفَّارة صغيرة . وجعل غالتون يطوف كل يوم في حديقة الحيوانات في لندن متوكئاً على تلك العصا وكان يقف هنيهة عند حظيرة كل طائفة من الحيوانات ثم يدني العصا من

الحيوانات ضاغطاً مقبضها ، مراقباً كل حيوان يرهف اذنيه لسماع اللحن الحاد النبرات . وكان غالتون إذا لقي كلباً في طريقه ، صفر خلفه بعصاه ، فكانت الكلاب الصغيرة تلتفت اليه ، واما الكبيرة فلم تحفل بالصفارة لعجزها عن سماعها

وفي احد المختبرات العلمية في كاليفورنيا تذرَّع العلماء بمصابيح غاز النيون الكشافة ، الى استنباط حقائق اخرى خاصة بتغريد الطيور البرية ، فيرى المرء هاتيك المصابيح الكهربائية « تصور بالنور » اغاريد تلك الطيور وما فيها من الامواج الصوتية . والجهاز المستعمل لتلك الغاية من صنع الدكتور ملتن ميتفسل رئيس دائرة السيكولوجيا في جامعة كليفورنيا . وبيان ذلك انهُ يمكن احداث تقلبات في شدة استضاءة غاز النيون بواسطة صدح الطيور المحبوسة في الاقفاص فتنطبع تلك التقلبات على قرص دوَّار (كاسطوانة الجراموفون) بوساطة مجرى من النقط تمثل صورة الاغرودة ، فاستدل من تلك المباحث على مبلغ تفوق الطيور على الانسان في مدى الالحان

وجاء من جامعة جونز هوبكنز نبأ استنباط بديع خاص بالأصوات المرتفعة الطبقات اذ تحقق الدكتور هبرد Hubbard انهُ يستطيع تحليل السوائل المجهولة التركيب في معمل التحليل الكيميائي بامرار امواج صوتية سريعة التذبذب لان لكل مادة من المواد المعروفة ميزة في توصيل الامواج بسرعة خاصة تختلف عن سرعة غيرها كل الاختلاف . فاذا مرَّت الامواج في محلول ما بسرعة معينة ، استطاع المحلل الكيميائي معرفة كنه ذلك السائل والوقوف على عناصر تركيبه وتحديد مقدار كل عنصر منها ، وادرك أنقي هو أم مزيج

وتجلت للباحثين حقيقة اخرى وهي استخدام امواج الصوت في تحليل اللبن اذ اعلن كل من الدكتور لزلي تشمبرز والاستاذ نيوتن جاينز من اساتذة جامعة تكساس المسيحية ، انه اذا مرَّ الحليب في قمع مثبت فيه انبوب من النيكل يخترقهُ عند مرور الحليب فيه صوت حاد ، قتلت امواج ذلك الصوت ما قد يوجد فيه من البكتريا وذلك بنسبة تتراوح بين ٨٠ في المائة ومائة في المائة حتى بعض الميكروبات التي لا تؤثر فيها البسترة (تطهير اللبن بطريقة باستير) تقتلها تلك الامواج

واعلن الدكتوران تشمبرز وفلوسدورف من اساتيذ جامعة بنسلفانيا انهما استطاعا تضهيب[1] بيضة دون رفع درجة حرارتها . لأن الصوت الحاد يولد تأثيرات كيميائية « تفاعلات » تجمد پروتين البيضة . ثم انهما تذرعا ببوق من ابواق الغواصات ، ذوات الامواج الصوتية الثاقبة التي تستعمل لتبادل الاشارات في اغوار البحر ، فتيسر لهما توليد غاز الاسيتالين من الزيوت النباتية واستخراج سكَّر العنب من سكر القصب وتحويل خلات الاتيل الى حامض خليك، بتوجيه صوت ذلك البوق اليها . وتفسير ذلك اللغز العلمي ان الامواج الصوتية تعجل بطريقة خفية ، سير الجزيئات في المواد التي تعالج بتلك الوسيلة ، فتحدث فيها تفاعلات كيميائية ذاتية

---

(١) ضهب البيضة — سلقها سلقاً خفيفاً من ضهب الشيء تضهيباً شواه على حجارة محماة وشواه ولم يبالغ في نضجه — الفيروزبادي

وطالما اعلن العلماء ان امواج الصوت تدك الابنية المتينة وهذا حقيقي ، ولكنه عسير جداً . لانك اذا توخيت ذلك وجب عليك تسخير ٣٠ مليوناً من المبوّقين لينفخوا في الصور بأقصى جهدهم لكي يولدوا ما يعادل قوة حصان بخاري واحد من الصوت . وعلى هـذا الاساس يرى احد العلماء الامريكيين انه يتاح صدع صرح الامبيرستيت [1] ثم هدمه، متى استطعت توليد اللحن الصائب لذلك ، وواظبت عليه زمناً طويلاً موفور الضخامة . وهـذا هو التعليل الذي يعلل به العلماء دائماً حادث سقوط اسوار أريحا من تبويق رجال جدعون

ومن هذا القبيل ما حدث في مصنع من مصانع احدى الاقاليم الشرقية بالولايات المتحدة من عهد قريب . وذلك انه كان في المصنع مروحة كبيرة تمتص الهواء من داخله ثم تدفعه في مدخنة من الآجرّ لتجديده . وكانت المدخنة بمثابة جزء متمم للجهاز المتحكم في هواء المصنع . فاذا ادرت المروحة دوراناً سريعاً ، أثرت في المدخنة تأثيراً شديداً يعرضها للتداعي فالانهيار . تخيل الى المهندسين ان العيب في المحرك الكهربائي ، فوضعوه فوق قاعدة صلبة من البرقاء [2] فلم تنقطع الذبذبة بل ظلت على حالها . وحينئذ ضاق ارباب المصنع ذرعاً بالمدخنة فاستعانوا على تثبيتها بخبير من خبراء الصوت فجاء وفحص الجهاز ، فتبين له ان المروحة متى دارت ، دفعت كل ريشة من ريشها موجة من الهواء في المدخنة . فاذا دارت المروحة بأقصى سرعتها اصبحت تلك الامواج الهوائية بمثابة امواج صوتية تخفق خفقاناً مطرداً فتشتد ذبذبة المدخنة اكثر فأكثر حتى تكاد تنقاض . ثم استصوب معالجتها بتخفيف سرعة المروحة قليلاً فضؤل الخفقان وزال الخطر

ووقع في مدينة دترويت حادث صناعي كان يلابسه لغز من الالغاز العلمية حلّه علم الصوت ، وذلك ان مصنعاً من مصانع السيارات ، عرض ذات يوم نموذجاً جديداً من مركباته ، فكانت تلك المركبة اذا سارت بسرعة معينة ، ولدت صوتاً اشبه بطنين شنيع . فظنهُ مهندسو المصنع ناشئاً من تروسها ، فقاموا بفحصها فلم يعثروا على اي عيب صناعي فيها واتفق ان كان احدهم من هواة علم الصوت ، فأدرك ان لذلك الطنين نبرة معينة تعادل ١٨٠ موجة في الثانية . وشاهد ايضاً ان السرعة التي تولد الطنين تجعل العجلتين الخلفيتين تدوران دورتين فقط في الثانية . فأحصى العقد المانعة الانزلاق فاذا هي تسعون عقدة في كل طوق من اطواق العجلات (المصنوعة من الصمغ المرن) فاذا دارت العجلة دورتين في الثانية ولّدت ١٨٠ هزة وهي التي يؤلف منها الطنين فاستبدلوا الاطواق بصنف آخر، فانقطع ذلك الصوت الشنيع

واسفر استخدام الصدى عن استنباط مقياس جديد لقياس ارتفاع الطيارات في الجو بوساطة

---

(١) اعلى مباني العالم (٢) الابرق والبرقاء — الخرسانة — غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة — الفيروزابادي — وقد أقرني على استعمال هذا اللفظ الدكتور معلوف باشا وقال انه مستعمل في العراق . انظر مقالنا (الطبيعة رائد المخترعين) في مقتطف فبراير الماضي

كن الطيار معرفة مبلغ علوه عن الارض ، وهو مثل المقياس الصوتي الذي يدل الملاحين
عن قعر اليم . ومخترع هـذا الجهاز هو الدكتور (ليود لساسو) احد علماء جامعة
. وقد جرّبه من عهد قريب بقرب لوس انجليس حيث حلّق في بلون من بلونات
، حتى بلغ ارتفاعه ٧٠٠ قدم عن سطح الارض وحينئذ ضغط زرّاً كهربائيّاً مسلطاً على
، فانبعث منهُ صوت مرتفع النبرة فاق دوي المحركات ووصل الى سطح الأرض في هنيهة
بلون حيث التقطه ميكروفون منتخب منظم لالتقاط الاصوات الفريدة النبرة ، فلم
. حتى حول الزمن المستغرَق الى اقدام ، دلت الطيار على مقدار ارتفاعه عن الارض
وبلت مقاييس الارتفاعات التي قيست بهذا الجهاز ، بما قيس بغيره من الآلات المعروفة
نها اختلافاً يسيراً ، لا يعدو قدماً واحدة في كل ٧٠٠ قدم. ودلت التجارب التي جربت فيما
لك الجهاز يكاد يستطيع التقاط الصدى في اثناء نزول المطر وتخييم الضباب بسهولة كما
لجو الصحو . وبناءً على ما تقدم تقوم هذه الآلة الجديدة بايضاح ارتفاع الطيار عن الارض
نوقها ، لا عن نقطة قيامه فحسب ، بعكس المقاييس العادية . ومن ثم يرجى منهُ خير
طيران الذي يحصل على غير هدى . ولم يبق أمام مخترعه الاّ عقبة واحدة يرجو تذليلها
شجار والغابات في اخفات الاصوات ومنع صداها . ويتوقع الخبراء لهذا المقياس الجديد
ئد شتى ، ولكنهم يرون انها سوف تصبح بلا فائدة ، حينما تخترع الطيارات السريعة التي
ت ! ! والمعروف ان طيارات السباق قد تمكنت من قطع ٤٢٠ ميلاً في الساعة ، فلا يبعد
عنها ٣٠٠ ميل اخرى فتصل الى ٧٢٠ ميلاً في الساعة وهي المسافة المساوية لسرعة الصوت
ى المستر (تشستر ريس) احد مهندسي شركة الكهرباء العامة في اميركا في فصل الصيف
ازاً آخر ، مما تستخدم فيه امواج الصوت بمثابة مساعد للملاحة ، وهو كناية عن آلة
ع بوساطة الصوت اذ تلتقط اصداء الصوت من الزوارق والعوامات واحواض السفن
بها المخترع من ارشاد زورق موطري وسقه ١٧ طنّاً الى السير في الضباب الكثيف في بوغاز
، واتيح له ايضاً الاهتداء الى البواخر التي كانت تبعد عنه نصف ميل ، والكشف عن
التي كانت سائرة بالمقاذيف على بعد ٨٠٠ قدم منهُ في الضباب . ولذلك يؤتى بثلاثة
(١) وتوضع على دعامة صغيرة فوق السطح الاعلى للمركب على شكل مثلث فيصدر من احد
، صفير حاد يتجه اتجاهاً مستقيماً ، فاذا صادف شيئاً في طريقهِ انعكس الصوت عنه ، وكان
، يستغرقهُ الصوت في اثناء انعكاسهِ ، والجهة التي ينعكس منها الصدى ، دليلين على
وقع اللذين فيهما نقطة الخطر . واعلى صوت سمعهُ العالم حتى اليوم ، هو انفجار بركان

يجافون ضرب من ابواق السكلام

« كراكاتوى » في جزائر الهند الشرقية الهولندية ، الذي حدث سنة ١٨٨٣ وسمع صداه كأنهُ قنبلة ضخمة صدمت الجو صدمة شديدة جعلت الامواج الهوائية تؤثر في الباروجرافات [١] تأثيراً دام مشاهداً طول الزمن الذي استغرقتهُ ثلاث سياحات متوالية حول الكرة الارضية

وقد اتيح للعلماء حديثاً اختراع اجهزة تدل على الصوت وتطبع ارتفاع الاصوات العادية بوحدات تسمى decibels فاستدلوا بها على ان هزيم محرك الطيارة اشد من ازيز مصنع المراجل واستعمل المستر ريموند ديتمارز المشرف على قسم الحيوانات الثديية والزواحف في حديقة الحيوانات في نيويورك ميكروفونات ومفخمات للصوت حساسة جداً واخذ يصغي للاصوات المنبعثة من قرية الارضة فتسنى له بجهازه الدقيق التقاط اللغط الناشىء من حركاتها في طرقاتها

وحدث مثل ذلك في تجربة اخرى في دار الافاعي بالحديقة نفسها حيث قام المستر ديتمارز بتجربة تحرَّى بها تحقق تأثير الموسيقى في الثعابين فجاء بقيثارة شرقية من صنع الهند واخذ يعزف بها خلف حظيرة الصل المصري المعروف بالناشر (حية الحواة) وهو المعروف هناك بالملك الناشر لضخامتهِ اذ يبلغ طوله ١٣ قدماً فجعل الصل يثب في الهواء عند ما سمع النغمة الاولى من نغمات القيثارة . وما لبث عند سماعه لحناً حاداً ان ترنح ترنحاً ضئيلاً وارتعد عنقه ثم سقط على الارض كأنهُ ميت وبقي على تلك الحال عدة ثوان ثم استأنف الوثوب في الهواء

اما تأثير الموسيقى المسكنة والاصوات الجشة في انفعالات البشر ، فمشهورة . وقد اظهرت المباحث الحديثة مبلغ ما يحدث في الدماغ والمعدة عند ما يطرق اذني المرء صوتٌ جشٌّ . ودلت الآلات الصوتية الحساسة انهُ اذا انفجر كيس من الورق قريباً من اذن امرىء ، ارتفع الضغط في دماغه اربعة اضعاف الضغط الطبيعي . وثبت ايضاً في تجربة اخرى ان عمل المعدة الطبيعي يتعطل ثلثه من جراء اي صوت عنيف مزعج

اما الاصوات التي لا نستطيع سماعها على الاطلاق فقد تؤثر ايضاً تأثيراً ضاراً في اجسامنا كما ثبت ذلك في تجربة مدهشة قام بها الباحثون اذ استخدموا تياراً كهربائياً قوياً متناوباً فجعلوا طبقاً من البلور الصخري وضع في قعر باطية زجاجية كبيرة مملوءة ماء ، ينبض نبضات سريعة جداً بلغت تموجاتها ٦٠٠٠٠٠ في الثانية وحينئذٍ بدت للمشاهدين مناظر غريبة اذ اخذت الاعشاب العائمة في ذلك الماء تتفتت والسمك والضفادع [٢] تهلك كأنها اصيبت بآفة ذريعة خفية وهي متأهبة للسباحة . وكذلك شعر الناس الذين غمسوا اصابعهم في الماء نفسه بآلام حادة جعلتهم يرفعون اصابعهم حالاً . ثم جيء بخيط طويل من الزجاج فوضع طرفه بين الاصابع ووضع طرفه الآخر في الماء فاكتوى الجلد كما يكويه سلك محمى لدرجة الاحمرار

---

(١) الباروجراف : بارومتر تنطبع فيه انطباعاً اوتوماتيكيا تقلبات الضغط الجوي

(٢) راجع فصل « غرائب امواج الصوت » في كتاب « فتوحات العلم الحديث » صفحة ١٨٩

ان امواج الضوء تخضع لقوانين الكهربائية والمغناطيس . وبعد ذلك قام هرتز وأثبت وجود الامواج الكهرطيسية التي أطول من امواج الضوء ، وكذلك افتتح عهد اللاسلكي العظيم ، الذي جرى في ميدانه ، لودج وبرانلي وماركوني وفلمنغ وده فرست وغيرهم

كانت هذه هي الاركان التي يقوم عليها علم الطبيعة في القرن التاسع عشر

فلما ناوله القرن التاسع عشر الى القرن العشرين ، كان ينتظر منه ان يحافظ عليه ، ويضيف اليهِ شيئاً هنا وشيئاً هناك ، من دون ان يتعدى عليهِ ، بالتحويل ، دع عنك التدمير والنقض

ولكن العلم ليس شديد الاحترام ، إلاّ للحقيقة . وهذا هو الانقلاب ، قد أقبل علينا في خلال ثلاثين سنة ، بخيله ورجله ، فلا نستطيع أن نفلت منها . اكتشفت اولاً أشعة اكس، ثم فعل الاشعاع ، فثبت ان المادة ليست دقائق مستقرة لا تتحول . ثم كشف طمسن الالكترون ، فبيّن ان الذرة التي كانت تحسب كالكرة الصلبة ، انما هي مركبة من دقائق اصغر منها . ثم كشف الراديوم ففتح ميدان البحث في تحوُّل العناصر أمام العلماء ، وعند الحد الفاصل بين القرنين التاسع عشر والعشرين ، أعلن بلانك ، ان الطاقة — الضوء والحرارة وغيرها — ليست متصلة البناء، بل هي كالمادة ذرية البناء ، وهذا هو المبدأ الذي تقوم عليهِ نظرية الكم ، كما تدعى ، ونظرية « المقادير » كما نحب ان ندعوها، لان مقدار ترجمة Quantum وهو اسم النظرية في اللغات الاعجمية . فاقتضت هذه النظرية اعادة النظر في نظرية الضوء الموجية ، فوجد العلماء انفسهم في مأزق ، وهم الآن يحسبون الضوء دقائق أو مقادير من الطاقة تسير سيراً موجيًّا ، ولكن المخرج التام من المأزق لم يكشف بعد

***

ثم جاء اينشتين ، وبنى على تجربة قام بها العالم الاميركي ميكلصن ، فادخل فكرة النسبية واستغنى عن اثير القرن التاسع عشر ، وقال انه من المستحيل علينا التوصل الى معرفة الحركة المطلقة لان كل حركة انما تتم بالنسبة الى مشاهدها فتختلف في اتجاهها وسرعتها في نظره عنهما في ناظر مشاهد آخر. وحبك من الزمان والمكان شيئاً جعلهُ وحدة الكون الطبيعي او ما يدعوه بالحادثة (Event)

ولم تمضِ سنوات ، حتى بدا لنا كأن حلم الكيماويين الاقدمين قد بدأ يتحقق . وها هو ذا رذرفورد ، وغيره من علماء الطبيعة يطلقون المقذوفات المنطلقة من الراديوم ، وغيرها من المقذوفات [illegible] على ذرات العناصر فيحولونها ، فيجعلون النتروجين اكسجيناً ، والليثيوم كربوناً [illegible] العناصر ، ولكنهم لا يبغون صنع الذهب ، بل يبحثون عن الحقيقة ، وهي عندهم أغلى [illegible]

[illegible]

. ومن خشي احداً من الطمع ما دخلك ! إن الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمين وأموالهم
ت امورهم واهتممت بجمع اموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر وأبواباً
الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها عنهم ، وبعثت عمالك في جباية الاموال
معها ، وقويتهم بالرجال والسلاح والكراع ، وأمرت بألا يدخل عليك من الناس الا فلان
فلان نفر سميتهم ، ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العاري ولا الضعيف الفقير
ولا احد الا وله في هذا المال حق.

فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت الا يحجبوا
عنك ، تجبي الاموال وتجمعها ولا تقسمها قالوا : هذا قد خان الله فما بالنا لا نخونه وقد سجن لنا
نفسه ! فأتمروا بألا يصل اليك من علم اخبار الناس شيء الا ما ارادوا ، ولا يخرج لك عامل
فيخالف امرهم إلا قصبوه عندك ونفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره ، فلما انتشر ذلك عنك
وعنهم ، اعظمهم الناس وهابوهم ، فكان اول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليقووا بها
على ظلم رعيتك ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم ، فامتلأت
بلاد الله بالطمع بغياً وفساداً ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل فان جاء متظلم حيل
بينه وبين دخول مدينتك ، فان اراد رفع قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ،
وأوقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك (خبره) سألوا صاحب المظالم
ألا يرفع مظلمته اليك ، فان المتظلم منه له بهم حرمة ، فأجابهم خوفاً منهم فلا يزال المظلوم يختلف اليه
ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه ، فاذا اجهد وأحرج وظهرت ، صرخ بين
يديك ، فضرب ضرباً مبرحاً ، ليكون نكالاً لغيره ، وأنت تنظر فلا تنكر ، فما بقاء الاسلام
على هذا !

وقد كنت يا امير المؤمنين (اسافر) الى الصين فقدمتها مرة وقد أصيب ملكها بسمعه ، فبكى
يوماً بكاء شديداً فحثه جلساؤه على الصبر فقال : أما اني لست ابكي للبلية النازلة بي، ولكني ابكي
للمظلوم بالباب يصرخ ولا اسمع صوته ثم قال : أما اذ ذهب سمعي فان بصري لم يذهب ، نادوا في
الناس ألا يلبس ثوباً احمر إلا متظلم ، ثم كان يركب الفيل طرفي نهاره ، وينظر هل يرى مظلوماً

سير الزمان
اوربا بعد الحرب الكبرى
— روسيا من لنين الى ستالين —
تجار الحرب
واثرهم في احباط اعمال السلام
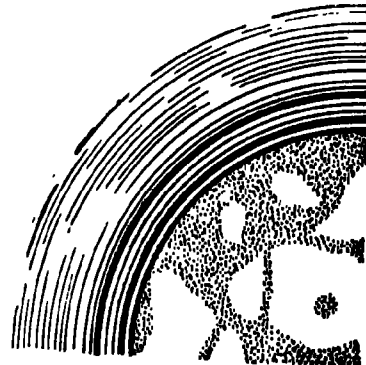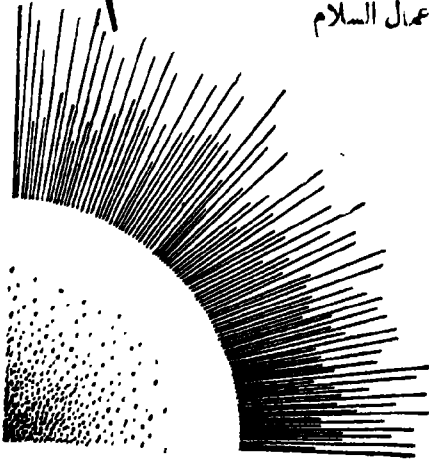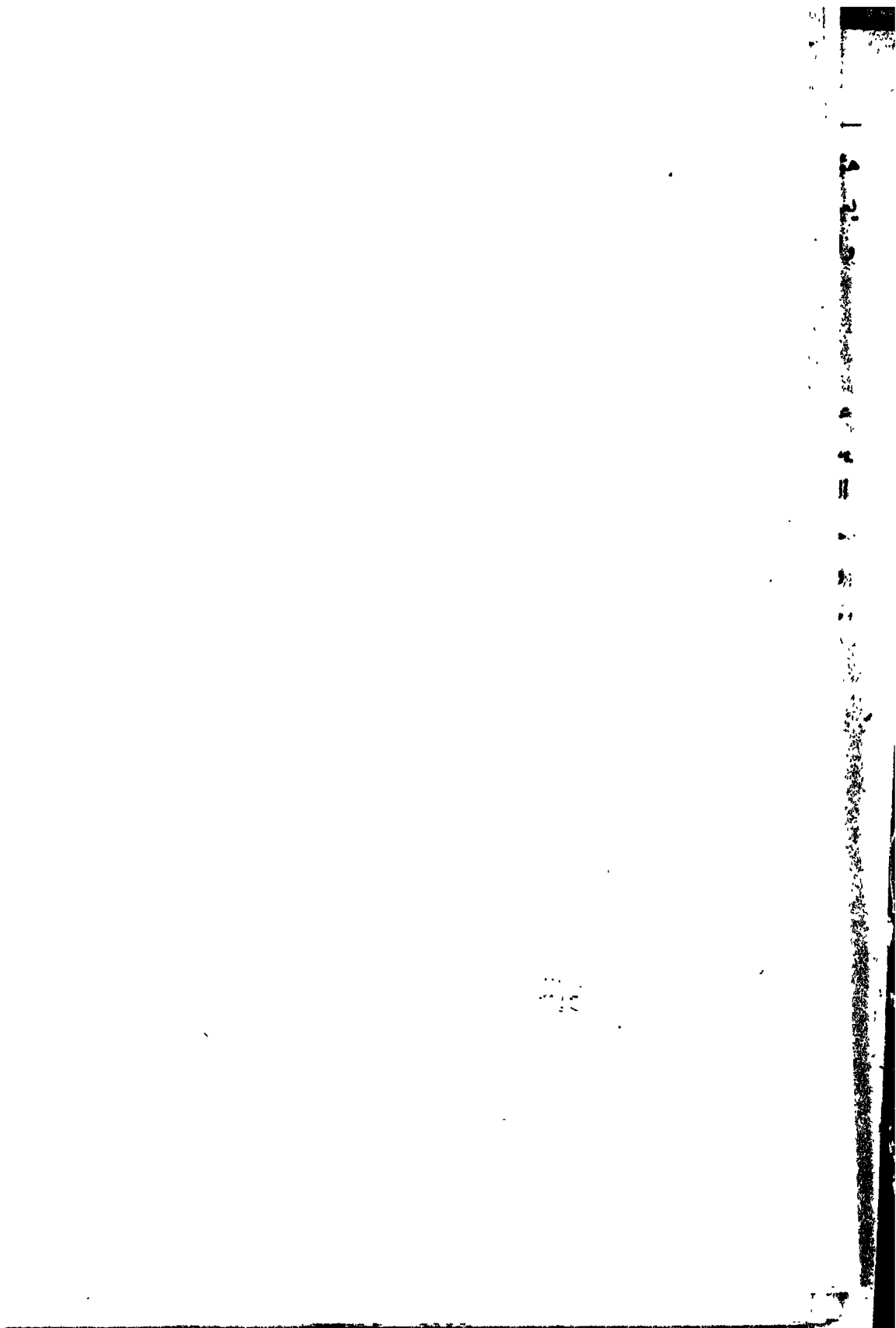
روسيا بعد القيصر [1]

من لنين الى ستالين

لم يلق البلاشفة عناء كبيراً في تقلد ازمة السلطان . فكادت ثورتهم في نوفمبر ١٩١٧ ان تكون ثورة بلا دم . ولسنى لهم ان يصدوا شبح الجوع ، صدًّا وقتيًّا بمصادرة الطعام . وعقدوا الصلح مع المانيا في برست ليتوفسك . ولكن المشكلات المعقدة كانت لا تزال امامهم ويجب ابداع حلول لها . كيف ينشئون نظاماً شيوعيًّا في بلاد سكانها نحو ١٥٠ مليوناً موزعين في مساحة تقدر بنحو ثمانية او تسعة ملايين من الاميال المربعة ويتكلمون اثنتين وستين لغة مختلفة ؟

كان سقوط القيصر ايذاناً بنشوب حرب اهلية . ولكن لو كان اعداء لنين وصحبه ، محصورين في الروس المقاومين للشيوعية لهان الامر قليلاً على اصحاب النظام الجديد . غير ان الحلفاء كانوا قد عزموا ان يبذلوا ما في وسعهم لنزع السلطان من الحزب الذي حمل روسيا على عقد الصلح مع المانيا فأيدوا الروس البيض (المقاومين للبلاشفة وهؤلاء يعرفون بالروس الحمر) بالمال وفي ربيع سنة ١٩١٨ تناهى الى لنين في بتروغراد ان فرقاً من جيوش الحلفاء والروس البيض كانت تجمع قواها على حدود روسيا لمناصبة البلاشفة العداء

كان الاميرال كولشاك في الشرق يقود جيشاً من الروس البيض ويحاول ان ينشيء حكومة روسية معادية للبلاشفة في سيبيريا . وكان اليابانيون يؤيدونهُ ويشدُّون ازره . بل علاوة على ذلك كان ثمة جيش تشكوسلوفاكي مؤلف من ٤٠ الف جندي يحاول الاتصال به . وكان التشكوسلوفاكيون من ابناء امبراطورية النمسا والمجر ، فرأوا في الحرب الكبرى فرصة سانحة للفوز باستقلالهم . وكان بعض رجال هذا الجيش قد فرَّ الى روسيا ليحارب في صفوف جيشها . وبعضهم كان في صفوف الجيش النمسوي فأسرهم الروس بملء ارادتهم . فلما وقع الانقلاب الروسي ، كان جميع التشكوسلوفاكيين المقيمين في روسيا ، قد نظموا فرقة كبيرة تعرف بالفرقة التشكوسلوفاكية ، وكان البلاشفة قد سمحوا باعادتهم الى بلادهم عن طريق سيبيريا واميركا ولكنهم اشتبكوا على ما يقال بفريق من مسرَّحي الاسرى الالمان والنمسويين فصدرت الاوامر اليهم بالقاء اسلحتهم . فرفضوا وتمردوا على الاوامر فحاول الروس تفريقهم. اما الذين كانوا منهم الى شرق جبال الاورال فتمكنوا من الاجتماع والاتحاد. وأما الذين كانوا الى غرب الاورال فحاربوا حرب اليائس المستميت حتى تمكن معظمهم من الاجتماع

(١) راجع فصل الثورة « الروسية » في هذه السلسلة — مقتطف يناير سنة ١٩٣٤ صفحة ٦٥

رفاقهم . فاستبشر الاميرال كولشاك بفلول جيش مستميت يحارب بهِ الروس الحمر

وكانت الحالة في الجنوب تبعث على اليأس ، في نفس غير راسخة العزم . ولكن لنين امتاز بعزمه الحديدي ، وارادته التي لا تقهر . ذلك ان قوزاق مقاطعة الدون كانوا قد اتحدوا وانشأوا حكومة ، غرضها مقاومة اية حكومة تحاول ان تنتزع منهم الاملاك التي ما زالوا يتوارثونها من مئات السنين . وفي غرب القوقاس ، قام قائد يدعي دنيكين فجمع جيشاً وحارب به البلاشفة في شتاء سنة ١٩١٨ الى صيف ١٩١٩ وكان في قبضة يده اهم مدن روسيا الجنوبية . وكان دنيكين كالاميرال كولشاك يتناول مدداً ماليًّا وعسكريًّا من الحلفاء . ففرنسا كانت قد بعثت بفرقة من جيشها الى مدينة اودسا ، والانكليز ارسلوا طائفة من سفنهم الحربية الى باطوم وباكو

اما في غرب روسيا ، فكان الالمان قد أيّدوا فريقاً من شعب اوقرانيا ، فأنشأ حكومة مقاومة للشيوعية . وفي بولونيا ، كان الجنرال بلسودسكي ، على رأس حركة قومية عنيفة بلغت في فتوحاتها مدينة كيف . وفي الشمال كان الانكليز قد انزلوا شراذم عسكرية في مدينة أركنجل ، وكانت بوارجهم رابضة في خليج فنلندا . وكان الانكليز يؤيدون في عملهم هذا قائداً يدعى يودنتش أعدَّ خطة لمهاجمة بتروغراد ، في ربيع سنة ١٩١٩ بجيش من الروس البيض والاستونيين والبريطانيين . فلما عرفت في بتروغراد أنباء هذه الخطة ، حدث فيها ذعرٌ أو ما هو من قبيل الذعر . فسكان المدينة كانوا يعلمون انهم لا يستطيعون المقاومة فجعل الشعب يستعدُّ لاستقبال الفاتحين . حتى لنين نفسهُ كان قد ضيَّع كل أمل في الفوز . وكان في نيته ان يخلي بتروغراد وينقل الحكومة الى موسكو . ولكن تروتسكي اقنعهُ بالصبر ، وبعث بشاب شيوعي من سكان جورجيا — يدعى ستالين — ليجمع جيشاً من عمال المصانع ففاز بحشد مجموعة بائسة من الرجال . وقد وصفهم الجنرال كراسنوف ، وهم مسوقون الى الدفاع عن بتروغراد فقال : «صفر الوجوه ، يعلو جباههم تقطيب ، غائرو الحدود والعيون ، ضيقو الاكتاف ، مرتدون سراويلات طويلة ، وأحذية كبيرة . . . »

ولكن جيش ستالين وتروتسكي القى الرعب في قلب يودنتش : فتراجع قليلاً ينتظر المدد الانكليزي . ولكن المدد الانكليزي لم يصل وكذلك انقذت بتروغراد الحمراء

هنا انقلب التيار . ففي الشرق تعذر على كولشاك ان يجمع بين فرق التشكوسلوفاكيين وجيشه فتمكن الشيوعيون من هزيمتهم ، كل فريق منهم على حدة . وفي الجنوب تلقى ستالين من لنين امراً بانشاء فرقة من الفرسان الحمر ، فأنشأها وردَّ بها الجنرال دنيكين الى البحر ، فلم يبق من جيش دنيكين الاَّ شرذمة في القريم بقيادة الجنرال فرنجل . ولكن الجيش البولوني ظلَّ خطراً يهدّد البولشفية . فردَّ الخطر في اكتوبر سنة ١٩٢٠ لما عقدت روسيا الصلح مع بولونيا ، وخرجت ظافرة ، بعد ثلاث سنوات من الحرب والنزاع

وقد يتعذر على الباحث ان يعلل ظفرها . والغالب ان الباعث الاول على ظفر البولشفيك انما

كان تفرّق الكلمة في صفوف أعدائهم . فقد قال المؤرخ الانكليزي ستيفن غرايهم في كتابه عن ستالين ما معناه : كان لا بدّ من انتصار البيض ولكن رأيهم السياسي كان موزّعاً . فما كان يعلمون في سبيل من يحاربون ، أفي سبيل جمهورية دستورية او في سبيل القيصرية . . . . وزادت البلبلة في مجالسهم بوجود وكلاء انكليز وفرنسيين . وجلّ عناية هؤلاء كانت موجهة الى الاعمال المالية الكبيرة لا الى روسيا . اما اعمال الارتكاب والفساد في جيوشهم فكادت تكون علنية . والواقع ان حديث المقاومة للثورة البولشفية حديث يثير الاشفاق على القائمين بها»

وكان يقابل هذا في صفوف البلاشفة اتحاد كلّ الاتحاد ، وحماسة كلّ الحماسة ، في سبيل فكرة عظيمة ، وغاية يرنون اليها ، ألا وهي روسيا الشيوعية . فعوّضهم ذلك شيئاً مما كان يعوزهم من النظام والمؤونة والملابس . ان حكايات انتصاراتهم في هذه الحروب ، لمن أمجاد هـذا الجيل من الروسيين . وقصص بعض الابطال الذين استشهدوا في معاركها ، اصبحت أشبه بالاساطير التي تروى عن أبطال القدماء

ثم ان جانباً كبيراً من ظفر روسيا في هذه الحروب ، يرتدّ الى شخصية زعيم البلاشفة الحربي — ليون تروتسكي — فقد قضى تروتسكي سنوات هـذه الحروب (١٩١٨ — ١٩٢٠) في القطار متنقلاً من مكان الى مكان ، ومن ميدان الى آخر . كان تحت إمرته ، في ميادين الحروب المختلفة ستة عشر جيشاً روسيًّا ، وكان عليه ان يبقى على صلة بها جميعاً للاشراف على خططها واعمالها ، وليكون صلة بينها وبين الحكومة البلشفية الجـديدة . فكنت تراه يوماً في بتروغراد وآخر في سامراء ففي سمولنسك ففي كيف ففي كرونستاد . ولا تنسَ ان روسيا المترامية الاطراف كانت تحارب في الشرق وفي الغرب ، في الشمال وفي الجنوب فكان تروتسكي في ناحية يجيء الجيشَ المحارب بضباط يتولون قيادته ، وفي ناحية اخرى يوزع الاحذية والملابس ، وفي ثالثة الخرائط والخطط ، وفي رابعة يحوّل الاسرى من الروس البيض الى فرق عسكرية في الجيش الاحمر بعد ان يلهب نفوسهم بخطبه النارية . وفي خلال كل ذلك كان على اتصال تلفوني دائم بالعاصمة . وكذلك كان وصول قطاره الى أقصى الميادين ايذاناً باتصال الجيش في ذلك الميدان بالجيش الاحمر قاطبة في سائر الميادين . ويقال أنهُ قطع في خلال تلك السنوات مسافة لا تقل عن مائة الف ميل او قد تزيد

ولكن العامل الأكبر في فوز روسيا ، كانت شخصية لنين لأن جميع اعمال الحكومة كان مرجعها اليه

وكان انتهاء الحرب ، ايذاناً للزعيم لنين بمواجهة أعقد المشكلات . ففي خلال الحرب ، كان حكمهُ قائماً على اساس من دكتاتورية عسكرية شيوعية ، فكل ما تحتاج اليه الدولة من المؤن والذخائر ، كانت تصادره . بل كانت الحكومة تتناول المواد الخام من المنتج وتوزع عليه — على قدر — الخبز والملابس والاحذية . فكان هذا النظام قريباً بعض القرب من المثال الذي بنيت عليه

جمهورية أفلاطون . ولكن الفلاحين لم يقتنعوا بأن يعملوا عملاً لا يجنون منهُ ربحاً ما . وكانوا علاوة على ذلك يلومون الحكومة ، كلما اضطرب أمرٌ من أمورهم او اختلَّ شأنٌ من شؤون حياتهم . ففي السنتين اللتين تلتا الحرب الاهلية أصيبت روسيا بجفاف أضرَّ ضرراً بالغاً بمحصول سنة ١٩٢١ فمات ملايين من الفلاحين جوعاً . فرأى لنين ببصيرتهِ النافذة ، ان الفلاحين لا بدَّ ان يحجموا عن الزرع لمحصول السنة التالية ، الاَّ اذا أرضاهم بعض الارضاء . وكانت الطريقة الفردة لحملهم على الزرع ، وعدهم بجانبٍ من الربح . ولكن ذلك يعني التخلي عن بعض المبادىء الشيوعية الاساسية ، والارتداد الى أصول الحكم الذي قضى عليهِ لنين وصحبهُ

وكذلك وجد لنين نفسهُ في مأزق . أيتخلى عن مبادىء حزبهِ ، او يتمسَّك بها وهو مقتنع بأن تمسكه يعني امتناع الزرَّاع عن الزرع ؟ ومما يدلُّك على جرأة لنين انهُ فضَّل الاول ، وهو يعلم ان ذلك الى حين ، فأعلن خطة اقتصادية جديدة تعرف بهذا الاسم عند الافرنج ويرمز اليها عادة عند الانكليز بالحروف اللاتينية الثلاثة .N. E. P أي New Economic Policy ويقتضي هذه الخطة اذن للفلاحين في ان يحتفظوا بمحصولهم ، وان يبيعوه في الاسواق بأنفسهم ، وفرض طبعاً على المحصول ضريبة تجنيها الحكومة . ولكنهُ سلَّم بمبدإ الملك الخاص ، وهو ما يتنافى مع مبادىء الشيوعية . اما الشيوعيون المستقيمو الرأي فرأوا في خطة لنين الجديدة قضاءً على الشيوعية ، وكان تروتسكي في مقدمتهم . الاَّ ان لنين كان يعلم ان هذه الخطة هي الطريقة الفردة لاجتناب الموت جوعاً . فلما كانت سنة ١٩٢٤ وقد نسي الناس الجوع وشبحهُ ، شرع لنين يتراجع رويداً رويداً على الخطة الاقتصادية الجديدة ، واخذ ينشىءُ تدريجاً ، الشيوعية الخالصة من شوائب الملك الخاص . فشجع الفلاحين على ادماج حقولهم الصغيرة في حقول كبيرة ، يكون ملكها مشتركاً بينهم . وأغراهم بعد ذلك بتوزيع الارباح المشتركة في المزارع المندمجة على أصحابها . أما في المدن فكانت الدولة مسيطرة على المصانع ، لان أصحابها ما كانوا يستطيعون انشاءها او العمل فيها الاَّ باعتمادات تفتح لهم في البنوك . والبنوك كانت ملك الدولة . وكذلك تحوَّلت القوى الاقتصادية في روسيا رويداً رويداً الى الخضوع لسيطرة الحكومة ، فأصبح الدولة الروسية دولة اشتراكية ، نظراً وفعلاً

وبعد ما فاز لنين بحلّ المشكلتين الحربية والاقتصادية ، واجه المشكلة السياسية . هنا أمة عدد أبنائها نحو ١٥٠ مليوناً يتكلمون نحو ٦٢ لغة ، فكيف ينشىءُ منها دولة اشتراكية مندمجة بالمعنى السياسي ! فكان ردُّ لنين : حكومات سوفيتية (مجالس عمال) مستقلة استقلالاً ذاتيًّا ، وللحزب الشيوعي الروسي ، الاشراف والسيطرة عليها

فعهد في كل قرية وكل مدينة ، الى مجلس سوفيتي في الاشراف على حكومتها المحلية . وفرض على كل مجلس سوفيتي في القرى والمدن ان يبعث بممثليهِ الى المجلس السوفيتي الخاص بالمقاطعة ، ومجالس المقاطعات تبعث بمندوبيها الى مجلس الولايات ، ومجالس الولايات تبعث بمندوبيها الى مجلس

السوفيتية فكانت جميع القوميات والطبقات متساوية في الحقوق . فليس ثمة طبقة تستبد بطبقة لان جميع الروس كانوا طبقة واحدة ، ذلك ان جميع الروس كانوا عمالاً

ولكن هذه النظرة لم تعن ان الشيوعيين حلوا جميع مشكلاتهم . بل الواقع انهم كانوا في مطلع الكفاح لحلها . وكان لنين قد عين الاغراض التي يتجه اليها الحزب الشيوعي الروسي ، وخص بالذكر منها غرضين : اما الاول فتنظيم اتحاد جمهوريات روسيا السوفيتية ، حتى يرتفع مستوى المعيشة فينعم كل واحد من السكان البالغين ١٦٠ مليوناً ، بالرغد والرخاء . وأما الآخر فهو نشر التعاليم الشيوعية حتى تعم الثورة الشيوعية انحاء العالم

فايُّ غرض من هذين الغرضين يقدَّم على الآخر ؟ هذا هو السؤال على قولهمات . فكان رأي تروتسكي ، ان الشيوعية ، دولية في نزعتها ، واذاً فالواجب على الشيوعيين الروس ان يبذلوا ما في وسعهم لاحداث الثورة العالمية . وكان شعاره شعار الاشتراكيين القديم : « يا عمال العالم اتحدوا » . غير ان لنين كان يعتقد ان الغرض المقدَّم ، انما هو تنظيم روسيا على اساس اشتراكي . فاذا تمَّ ذلك امكن الاهتمام بالغرض الآخر واصبح تحقيقه اهون منالاً . فاذا حاول الروس احداث الثورة العالمية قبل تنظيم بلادهم ، لم يكن من شأن الشيوعية الاَّ احداث فوضى عالمية . وكذلك قرر لنين ان ينصرف عن السعي لاحداث الثورة العالمية ، الى العناية بتحقيق سياستهِ الاقتصادية الجديدة فأعاد الى الحياة الاقتصادية الروسية ، شيئاً من نزعة المنافسة الرأسمالية في الصناعة والتجارة ، لئلاَّ ينفر منهُ جماعات الفلاحين المحافظين

فلما توفي لنين في سنة ١٩٢٤ اعيد النظر في السؤال نفسهِ : اتقدم الثورة العالمية على تنظيم روسيا الاقتصادي او تسير روسيا بحسب الخطة التي وضعها لنين قبيل وفاته ؟ وكان المرجح ان يخلف تروتسكي زعيمه لنين . ولكن زعماء الحزب الشيوعي الروسي ، كانوا قد اخذوا يشكون في صلاح تروتسكي لمنصب الزعيم ، لشدة معارضته في خطة لنين هذه ، ولقوة ايمانهم بها . وكان كمنيف وزينونيف من اتباع لنين وأيدهم في ذلك سكرتير لنين المعروف باسم ستالين . فتمكن هؤلاء الثلاثة من اخراج تروتسكي من الحظيرة المختارة في الحزب الشيوعي . وتسلموا هم مقاليد الامور . ولكن حكم الثلاثة لم يدم طويلاً . فقد كان كمنيف وزينوفيف من رجال الثورة والشغب المتمرسين بأساليبهما . ولكن الحزب الشيوعي حينئذ كان لا يحتاج الى امثالهم من الرجال ، بل كان في حاجة اشد الى رجال يحسنون الادارة والتنظيم . فما لبث ستالين حتى اسقطهم من مكانتهم وأصبح هو وحده يحكم الحزب الشيوعي ، بل وروسيا كما فعل لنين حكماً دكتاتورياً

كان ستالين ، مجهولاً عند سواد الروسيين ، عند ما تسلم مقاليد الحكم ، بل وكان من قبل يعرف في صفوف الحزب الشيوعي باسم « سكرتير لنين الصامت » . ولكنه في الواقع كان قد بذل احسن سني حياته ، من مطلع القرن العشرين ، في سبيل الشيوعية

لينس روسي المولد . بل مسقط رأسه ولاية جورجيا في القوقاس . ولد سنة ١٨٧٩ من
لدية يدعى دوجاشفيلي ، وكل جل رجاء والده ، ان يصبح ابنه قسيساً . ولـكنهُ قبل ان
مشرين من العمر ، ادركه كتاب ماركس فقرأه . وفي سنة ١٩٠٣ التقى بلنين فتم اعتناقه
الشيوعي . وبدلاً من ان يصبح قسيساً مسيحيًّا ، اصبح مبشراً بالشيوعية . فمضت عليهِ
، وهو يعمل في هذه السبيل في مدينة تفليس ، في صمت وهدوء . وقبض عليهِ ما لا
خمس عشر مرة فنفي او سجن . وكان في كل مرة يفر من السجن او من المنفى . فاطلق
، لقب « الرجل الصلب » — ومن هذا اللقب الذي اشتهر به اي « ستالين » . فلما كان شهر
ة ١٩٠٧ سنحت له فرصة للظهور . وكان الحزب الشيوعي في حاجة ماسة الى المال . فعلم
ن مبلغاً كبيراً من المال — مقداره ٢٤٠ الف روبل — على وشك ان ينقل الى بنك
، . وان اوراق النقد سوف تكون في كيس يحمله الصراف وتحرس مركبته سيارة بوليس
ن فرسان القوزاق . فلم تكد العربة تخرج من المحطة يحيط بها الحرس ، حتى انفجرت
ا ، فانقذف الصراف من العربة ، واطلقت الخيل العنان ، واضطرب الحرس واختلط الحابل
وفاز رجال ستالين بالمال

ذلك اصبح ستالين محل ثقة الزعيم لنين . وهو من ناحيتهِ ايد زعيمه بوجوب الاعتماد على
، اغتصاب مقاليد الحكم . وسار وراءه في انقلاب اكتوبر سنة ١٩١٧ . وفي خلال الحرب
ان لنين يعهد اليهِ في ادق الامور . ولما هددت جنود الروس البيض مدينة تساريتسن ،
ين شؤون الدفاع عنها . فصمدت في وجوه المحاصرين . وظل فيها يثير روح الحماسة ويتولى
نظام حتى استدعاه تروتسكي غيرة منه على ما يقال . وقد كان الدفاع عن هذه المدينة
، افعال البولشفيك في الحرب الاهلية . لذلك اطلق عليها بعد انتهاء الحرب اسم ستالنغراد
ستالين ، منظم الدفاع عنها . وفي سنة ١٩١٩ بعث بستالين لمقاومة الاميرال كولشاك في
فلما هدد يودنتش مدينة بتروغراد استدعاه لنين الى مركز القيادة العامة ، ثم لما هاجم
نيكين المنطقــة الصناعية في حوض الدونتز ، ارسل ستالين للدفاع عنهــا ، فنظم فرقة من
الحمر ، واكتشف جنديًّا عبقريًّا لقيادتها يدعى بودني ، فطرد دنيكين من تلك المقاطعة
ستشهد بعيد ذلك فأصبح اسمــهُ علماً من أعلام الوطنيــة الجديدة ونسج حولهُ خرافات
لحمتها أحاديث البطولة والشجاعة والاستشهاد

سنة ١٩٢٢ خلا منصب السكرتير للحزب الشيوعي فعرضهُ لنين على تروتسكي فرفضهُ ولكن
له لانهُ ادرك ان هذا المنصب يقربهُ من لنين السكرتير العام ، ويمكنهُ من القبض على اعنة
، سقطت من يدي الزعيم . وقد كان ما توقع

تجار الحرب

اصحاب مصانع الاسلحة خطر على السلام

منذ ما وضعت الحرب اوزارها وانظار الشعوب ترنو الى ما وعدهم به رجال السياسة من ان الغرض من الحرب الكبرى انما هو القضاء على الحروب او بكلام الرئيس ولسن الغرض منها « ضمان سلامة العالم للحياة الدمقراطية » . لذلك توالت المحادثات في موضوع نزع السلاح وخفضه وتحديده من مؤتمر وشنطن البحري (سنة ١٩٢١ — ١٩٢٢) الى مؤتمر نزع السلاح الذي اصبح في عرف الناس جميعاً مؤتمراً للتسلح . في خلال هذه السنين ، اذ كان الوزراء ودعاة السلام يتحدثون في نزع السلاح في عواصم الدنيا الكبرى ، في وشنطن ولندن وباريس وروما وطوكيو ، كانت مصانع السلاح ، تصنع المدافع والدبابات والطيارات والدروع والقنابل والغازات الخانقة والكمامات الواقية منها ، بل ان اصحاب هذه المصانع ، كثيراً ما روَّجوا اشاعات الحروب ، ونشروا الدعايات القائمة على أنباء مختلقة في صحف اشتروها بالمال ، لكي يثيروا المخاوف في صدور الناس ، ويحملوا الحكومات المتنافسة على شراء الاسلحة والذخائر واعدادها لليوم العصيب . هؤلاء هم تجار الحرب ، الذين يثرون من تأجيج نيرانها ، فلا يتورعون عن أية وسيلة في سبيل تأجيجها

***

ولعلَّ المستر هندرسون رئيس مؤتمر نزع السلاح وهو الداعية الجوالة للسلام في عواصم اوربا ، من أدرى الناس بما يصنعهُ هؤلاء التجار . فمن عهد قريب ، اذ كان هندرسن يعد حقائبه ليسافر الى باريس فالى جنيف ، ليسعى مساعيه الصادقة في سبيل نزع السلاح ، والتوفيق بين وجهات النظر المختلفة ، وقف اثنان من مواطنيه في جماعة من حملة الاسهم في شركتيهما ، فألقيا خطبتين نزلتا كصاعقتين على رأس هندرسن فثبطتا من عزمهِ وفلَّتا من نشاطهِ . لانهُ ادرك حينئذٍ أن قوى عظيمة تعمل من وراء ستار على احباط المساعي العظيمة التي يبذلها . هذان الرجلان هما السر روبرت هدفيلدز رئيس شركة هدفيلدز لمتد والسر هربرت لورنس رئيس مجلس ادارة شركة فكرز وكلتا الشركتين من اكبر شركات صنع السلاح في بريطانيا

فالسر روبرت هيدفلدز ، قال في التقرير الذي قدمهُ للمساهمين عن الارباح التي ينتظر توزيعها :

« ولحسن الحظ اتجهت الاحوال اتجاهاً طيباً بعد وقوع الازمة العالمية ، واننا لشاكرون للنعم التي حبينا بها . بل ان شكرنا لأعظم ، للنعم التي نتوقعها » ثم قال : —

« من عهد قريب صنعت شركة هدفيلدز قنبلة قطرها ١٥ بوصة ووزنها طن ..... فلما اطلقت على درع معينة اخترقتها مزيلة في اختراقها ماوزنه ٧٣٥ رطلاً من الصلب القاسي ، وظلت

فهذا يا امير المؤمنين مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين شح نفسه وأنت مؤمن بالله ثم من اهل بيت نبيه لا تغلب رأفتك بالمسلمين على شح نفسك ، فان كنت انما تجمع المال لولدك ، فقد اراك الله عبراً في الطفل يسقط من بطن امه وما له على الارض مال ، وما من مال الاّ ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليهِ ، ولست بالذي تعطي بل الله يعطي من يشاء ما يشاء، وان قلت انما اجمع المال لتشديد السلطان فقد اراك الله عبراً في بني امية : ما اغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وأعدوا من الرجال والسلاح والكراع حتى اراد الله بكم ما اراد ، وان قلت انما اجمع المال لطلب غاية هي اجسم من الغاية التي انا فيها، فوالله ما فوق ما أنت فيهِ الاّ منزلة لا تدرك الاّ بخلاف ما انت عليه يا امير المؤمنين ، هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل

قال المنصور : لا ، قال : فكيف تصنع بالملك الذي خولك ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ! ولكن بالخلود في العذاب الاليم ، قد رأى ما قد عقد عليهِ قلبك وعملتهُ جوارحك ونظر اليهِ بصرك واجترحتهُ يداك ومشت اليهِ رجلاك، هل يغني عنك ما شححت عليهِ من ملك الدنيا اذا انتزعهُ من يدك ودعاك الى الحساب

فبكى المنصور وقال : يا ليتني لم أخلق ! ويحك ! فكيف احتال لنفسي

قال . يا امير المؤمنين إن للناس اعلاماً يفزعون اليهم في دينهم ويرضون بهم فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم في امرك يسددوك

قال : قد بعثت اليهم فهربوا مني

قال : خافوا ان تحملهم على طريقتك ولكن افتح بابك وسهّل حجابك وانصر المظلوم واقمع الظالم وخذ الفيء والصدقات مما حل وطاب واقسمهُ بالحق والعدل على اهله وأنا الضامن عنهم ان يأتوك ويسعدوك على صلاح الامة . وجاء المؤذنون فسلموا عليهِ فصلى وعاد الى مجلسهِ وطُلب الرجل فلم يوجد

اختراعها المترع حائزة لسرعة مكنتها من الانطلاق مسافة تسعة اميال . هذه القنبلة تضع في ايدي الماهرين قوة عظيمة لا توصف » . اما زميله السر هربرت لورنس فقد اعلن في خطبته ان الشركة ربحت في السنة السابقة ما يزيد على نصف مليون من الجنيهات ، وان مجلس الادارة ينوي ان يوزع ارباحاً قدرها ٤ في المائة . ثم قال ان من بواعث سروره ورضاه ، ان الطلبات على الاسلحة من شركة فكرز التي يرأس مجلس ادارتها قد زادت زيادة كبيرة في تلك السنة

﴿ سوق السلاح ﴾ وقد اتسعت سوق الاسلحة والذخائر الحربية اتساعاً عظيماً ، بعد التقدم العظيم الذي طرأ على ادوات الحرب وأساليبها من الوجهة الصناعية والعلمية . فالجندي الكامل العدة في العصر الحديث ، ليس الا معملاً علميًّا متحركاً ، ورغماً عن خطب رجال السياسة ، في سنة ١٩١٩ على اثر انتهاء الحرب ، وتسليمهم جميعاً بان الاحتفاظ بالقوى المسلحة في المستوى الذي كانت فيه لا بدَّ ان يسفر عن نشوب حرب اخرى ، نرى جيوش اليوم وهي اوفر عدة ، وأشد بطشاً من جيوش سنة ١٩١٩ . ومع ان عدد الرجال في الجيوش ما يزال عنصراً خطيراً في تنظيم كل جيش ، الا اننا نرى ان التقدم العلمي والصناعي في صناعة الاسلحة الهجومية والدفاعية قد حوّل مركز الثقل في تنظيم الجيوش من الرجال الى الاسلحة . ويقدر ما ينفق على جيوش الامم وأساطيلها الجوية والبحرية كل سنة بنحو الف مليون جنيه . من هذا المبلغ ١٥ في المائة من ميزانيات الجيوش و ٥٠ في المائة من ميزانيات الأساطيل، ينفق على الاسلحة والذخائر المختلفة

هذه الجيوش المجهزة باحدث وسائل الحرب ، هي الميدان الذي يتجه اليه أصحاب مصانع السلاح لترويج بضائعهم ومصنوعاتهم . واليك التقدير التقريبي التالي للجيوش الاوربية

	عدد الرجال		عدد الرجال
فرنسا	٧١٧٧٥٠	يوجوسلافيا	٢١١٥٩٢
بلجيكا	٨٠٣٨٤	رومانيا	٢٤٠٥٠١
بولونيا	٢٦٥٩٨٠	ايطاليا	٤١٤٨٥٩
تشكوسلوفاكيا	١٥١٤٣٥	روسيا	٥٦٢٠٠٠

أما المانيا فجيشها النظامي بحسب معاهدة فرساي يبلغ مائة الف جندي، ومن وراء هؤلاء الآن مليونان ونصف مليون من فرق الهجوم وفريق كبير منهم بحسب اعتراف قوّادهم قد اتخذ رويداً رويداً شكلاً عسكريًّا . وهذه الارقام لا تشتمل على نحو ٣٥ مليون جندي من الجيوش الاحتياطية المدربة في بلدان اوربا المختلفة التي تقتضي اعداد المعدات لها وخزنها حتى يمكن استعمالها [illegible] تنشب الحرب . والمعدات تتباين من المدافع والقنابل الى الرشاشات والدبابات الى قنابل الغاز [illegible]ات الواقية منها . وهذه جميعها تصنعها مصانع الاسلحة وتبيعها للدول

﴿ [illegible]قات البحرية ﴾ أما النفقات البحرية ، في الدول البحرية الكبرى ، فعظيمة جداً .

فنفقات بريطانيا البحرية قد زادت من ٥١ مليوناً من الجنيهات في سنة ١٩٣١ الى ٥٥ مليوناً ونصف مليون في سنة ١٩٣٤ . وميزانية اليابان البحرية قد زادت من ٢٢٧ مليون ين في سنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ الى نحو ٤٨٨ مليون في سنة ١٩٣٤ — ١٩٣٥ وينتظر ان تبلغ ٦٠٠ مليون ين في سنة ١٩٣٦ أما نفقات الولايات المتحدة البحرية فقد قدرت بنحو ٦٧ مليون جنيه لسنة ١٩٣٤ وبنحو ٩٥ مليون جنيه لسنة ١٩٣٥ ومائة مليون جنيه لسنة ١٩٣٦

ولما كانت هـذه الاموال تنفق على ما يقال في سبيل الدفاع ، وحماية مصالح الدول التي تنفقها، فمن المعقول ان تتوقع من الحكومات ان يكون لها مصانعها الخاصة لصنع الاسلحة المختلفة ، كما تحتفظ كل دولة بحقها في ضرب النقود . ولكن الواقع ان الحكومات المختلفة ، تعتمد في الغالب على مصانع الاسلحة التابعة لشركات خاصة، وتسمح لهذه الشركات في ان تبحث عن أسواق لمصنوعاتها ، عند ما تستطيع ان تنتج منها علاوة على ما تحتاج اليه حكومتها ، حتى تبقى هذه المصانع مستعدة لتجهيز حكومة بلادها بما تحتاج اليه عند نشوب الحرب . وهنا نجد مفارقة عجيبة في صناعة السلاح . البوارج ، والطيارات ، والدبابات ، والرشاشات ، والقذائف ، والقنابل ، والغازات — جميع هذه الاسلحة رمز للنزعة القومية الشديدة . ولكن أصحاب المعامل التي تصنعها لا يؤمنون الا بالنزعة الدولية ، لأنهم يريدون ان يبيعوا أسلحتهم الى اكبر عدد من الدول ، سواء أكانت صديقة لبلادهم ام خصماً لها . ومع ذلك نجد ان لاصحاب هذه المصانع كلمة خفية ، ولكنها كلمة مسموعة، في المجامع التي تقرَّر فيها الخطط العليا التي تجري عليها دولهم في السياسة العالمية

﴿ مصانع الاسلحة الشهيرة ﴾ ليست أسماء هذه المصانع مشهورة شهرة وزراء الخارجية الذين يلقون الخطب الرنانة في وجوب خفض السلاح والتعاون لمنع الحرب والتضافر على رفع مستوى الحياة الانسانية بتعزيز السلام وتوفير اسباب العمل لبنيها ، ولكن أثر هـذه الاسماء قد لا يقل عن أثر وزراء الخارجية اصحاب الخطب الرنانة !

والواقع ان عدد المصانع المسيطرة على تجارة الاسلحة قليل قد لا يعدو اصابع اليد الواحدة وفي مقدمتها جميعاً شركة فكرز البريطانية ، ولهذه الشركة فروع كثيرة واغلب ما تخرجه من الاسلحة تبيعه للحكومة البريطانية ولكنها لا تمتنع عن تلبية طلبات الحكومات الاجنبية وهي ككل جميع مصانع الاسلحة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحكومة البريطانية ورئيس مجلس ادارتها الآن ضابطاً كبيراً من ضباط الجيش البريطاني . ومن الشركات المتصلة بها او التي من قبيلها شركة «أمبريال كيمكلز» التي تخصصت في ادوات الحرب الكيمائية ، علاوة على صنع الاسمدة

أما في فرنسا، فثمة اتحاد لصناع الاسلحة يعرف باسم «كوميته ده فورج» ورئيس مجلس ادارته رجل يدعى فرنسوى وندل وهو من اصحاب النفوذ العظيم في دوائر السياسة الفرنسية . وأهم شركة داخلة في هذا الاتحاد شركة «شنيدر كروزو» التي تبيع اسلحتها لحكومة فرنسا وسائر بلدان

وقد قضت معاهدة فرساي ان تفكك المانيا معامل الاسلحة فيها كمعامل كروب وسيمنز .
لكن يقال الآن — وقد اعترفت الحكومة الالمانية بذلك ضمناً في مذكرتها بتاريخ (١٦ ابريل ١٩٣٤ للحكومة البريطانية) — بأنها ماضية في التسلح . والاحصائيات التجارية تدل على ان [illegible] تصدر أسلحة وذخائر ، وتستورد المعادن المختلفة وبعض الادوات اللازمة في صناعة الاسلحة
وأهم معمل للاسلحة في اوربا الوسطى قائم في تشكوسلوفاكيا ويعرف باسم معمل سكودا [illegible] فروع مختلفة في مدن مختلفة في رومانيا وبولونيا ، وهو خاضع لمعمل شنيدر كروزو الفرنسي .
[illegible] هذه الظاهرة اي ظاهرة اتحاد معامل الاسلحة الدولية من اغرب الظاهرات في هذه الصناعة التي [illegible] فيها ان غرضها الاول انما هو اعداد معدات الدفاع عن البلاد التي يكون المعمل فيها ، بل لقد [illegible] ان لشركة شنيدر كروزو حصة كبيرة في اتحاد الماني لصنع السلاح
هذا في اوربا — فكرز وشنيدر كروزو وسكودا في المقدمة — اما في الشرق الاقصى فمصانع [illegible]سوي في اليابان اهمها : وهذه المصانع مشتركة او متحدة بمصانع فكرز الانجليزية . ومع ان في [ايطا]ليا وبلجيكا مصانع للاسلحة ، الاّ انها لا تبلغ في مقامها الدولي مقام المصانع التي ذكرناها
اما في الولايات المتحدة الاميركية فلست تجد كذلك شركات ضخمة لصنع الاسلحة من مقام [فكر]ز ولكن ٩٥ في المائة من معدات الجيش الاميركي تصنع في مصانع شركة بيت لحم (اي مفارقة [اط]لاق اسم بيت لحم حيث ولد عيسى على شركة لصنع السلاح !) وشركة دوبون . وهذه الاخيرة [اختص]ت بالاسلحة الكيمائية

﴿ المصانع والمداوات القومية ﴾ من يطلع على البرقيات التي تنشرها الصحف العربية كل يوم ، [يدر]ك مبلغ العنف والحدة في المداوات القومية في اوربا ، ولكن اصحاب مصانع الاسلحة لا يأبهون [لها] كثيراً ، فانهم يبيعون اصدقاء بلادهم كما يبيعون اعداءها . وثمة في تجارة الاسلحة شيء [لا ن]راه في غيرها ، فزيادة الطلب على احدى الشركات ، لا يعني ان الشركات الاخرى تحرم منه ، بل [ان ال]زيادة تشمل جميع الشركات على السواء ، بل تكون باعثاً على توسيع نطاق الطلب لان الدولة [المت]حدة التي توصي بصنع قدر من الاسلحة في احد المعامل ، لا تلبث ان ترى مزاحمتها وقد اوصت على [قدر] اكبر منها في معمل آخر. واذا استنبطت شركة من الشركات وسيلة حربية جديدة تسرع جميع الامم [الى ش]رائها لكي لا تحرم من ميزاتها ، فلا تلبث ان تستنبط شركة اخرى ، وسيلة جديدة لمقاومتها ، [فتقب]ل جميع الدول التي اشترت الاسلحة الاولى على شراء الاسلحة الجديدة . وهذه الحقيقة في [تجار]ة الاسلحة ، افضت الى التعاون بين شركات الاسلحة في مختلف الاقطار ، ومن هذا التعاون [تنشأ] المخاطر التي تهدد السلام . ذلك ان مصانع السلاح يهمها ، ان تنشىء جوّاً من الريبة والخوف [يحمل] الدول على التسلح
[و]كانت جمعية الامم قد عينت لجنة سنة ١٩٢١ للبحث في هذا الموضوع فأنحت على صناع

فنفقات بريطانيا البحرية قد زادت من ٥١ مليوناً من الجنيهات في سنة ١٩٣١ الى ٥٥ مليوناً ونصف مليون في سنة ١٩٣٤ . وميزانية اليابان البحرية قد زادت من ٢٢٧ مليون ين في سنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ الى نحو ٤٨٨ مليون في سنة ١٩٣٤ — ١٩٣٥ وينتظر ان تبلغ ٦٠٠ مليون ين في سنة ١٩٣٦ أما نفقات الولايات المتحدة البحرية فقد قدرت بنحو ٦٧ مليون جنيه لسنة ١٩٣٤ وبنحو ٩٥ مليون جنيه لسنة ١٩٣٥ ومائة مليون جنيه لسنة ١٩٣٦

ولما كانت هـذه الاموال تنفق على ما يقال في سبيل الدفاع ، وحماية مصالح الدول التي تنفقها، فمن المعقول ان تتوقع من الحكومات ان يكون لها مصانعها الخاصة لصنع الاسلحة المختلفة ، كما تحتفظ كل دولة بحقها في ضرب النقود . ولكن الواقع ان الحكومات المختلفة ، تعتمد في الغالب على مصانع الاسلحة التابعة لشركات خاصة، وتسمح لهذه الشركات في ان تبحث عن أسواق لمصنوعاتها، عندما تستطيع ان تنتج منها علاوة على ما تحتاج اليه حكومتها ، حتى تبقى هذه المصانع مستعدة لتجهيز حكومة بلادها بما تحتاج اليه عند نشوب الحرب . وهنا نجد مفارقة عجيبة في صناعة السلاح . البوارج ، والطيارات ، والدبابات ، والرشاشات ، والقذائف ، والقنابل ، والغازات — جميع هذه الاسلحة رمز للنزعة القومية الشديدة . ولكن أصحاب المعامل التي تصنعها لا يؤمنون الاّ بالنزعة الدولية ، لأنهم يريدون ان يبيعوا أسلحتهم الى اكبر عدد من الدول ، سواء أكانت صديقة لبلادهم ام خصماً لها . ومع ذلك نجد انّ لاصحاب هذه المصانع كلمة خفية ، ولكنها كلمة مسموعة، في المجامع التي تقرّر فيها الخطط العليا التي تجري عليها دولهم في السياسة العالمية

﴿ مصانع الأسلحة الشهيرة ﴾ ليست أسماء هذه المصانع مشهورة شهرة وزراء الخارجية الذين يلقون الخطب الرنانة في وجوب خفض السلاح والتعاون لمنع الحرب والتضافر على رفع مستوى الحياة الانسانية بتعزيز السلام وتوفير اسباب العمل لبنيها ، ولكن اثر هـذه الاسماء قد لا يقل عن اثر وزراء الخارجية اصحاب الخطب الرنانة !

والواقع ان عدد المصانع المسيطرة على تجارة الاسلحة قليل قد لا يعدو اصابع اليد الواحدة

وفي مقدمتها جميعاً شركة فكرز البريطانية ، ولهذه الشركة فروع كثيرة واغلب ما تخرجه من الاسلحة تبيعه للحكومة البريطانية ولكنها لا تمتنع عن تلبية طلبات الحكومات الاجنبية وهي مثل جميع مصانع الاسلحة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحكومة البريطانية ورئيس مجلس ادارتها الآن كان ضابطاً كبيراً من ضباط الجيش البريطاني . ومن الشركات المتصلة بها او التي من قبيلها شركة «أمبريال كيمكلز » التي تخصصت في ادوات الحرب الكيمائية ، علاوة على صنع الاسمدة

أما في فرنسا، فثمة اتحاد لصناع الاسلحة يعرف باسم «كوميته ده فورج» ورئيس مجلس ادارته رجل يدعى فرنسوى وندل وهو من اصحاب النفوذ العظيم في دوائر السياسة الفرنسية . وأهم شركة داخلة في هذا الاتحاد شركة «شنيدر كروزو» التي تبيع اسلحتها لحكومة فرنسا وسائر بلدان العالم

وقد قضت معاهدة فرساي ان تفكك المانيا معامل الاسلحة فيها كمعامل كروب وسيمنز . ولكن يقال الآن — وقد اعترفت الحكومة الالمانية بذلك ضمناً في مذكرتها بتاريخ (١٦ ابريل سنة ١٩٣٤ للحكومة البريطانية) — بأنها ماضية في التسلح . والاحصائيات التجارية تدل على ان المانيا تصدر أسلحة وذخائر ، وتستورد المعادن المختلفة وبعض الادوات اللازمة في صناعة الاسلحة

وأهم معمل للاسلحة في اوربا الوسطى قائم في تشكوسلوفاكيا ويعرف باسم معمل سكودا وله فروع مختلفة في مدن مختلفة في رومانيا وبولونيا ، وهو خاضع لمعمل شنيدر كروزو الفرنسي . وهذه الظاهرة اي ظاهرة اتحاد معامل الاسلحة الدولية من اغرب الظاهرات في هذه الصناعة التي يقال فيها ان غرضها الاول انما هو اعداد معدات الدفاع عن البلاد التي يكون المعمل فيها ، بل لقد قيل ان لشركة شنيدر كروزو حصة كبيرة في اتحاد الماني لصنع السلاح

هذا في اوربا — فكرز وشنيدر كروزو وسكودا في المقدمة — اما في الشرق الاقصى فصانع متسوي في اليابان اهمها : وهذه المصانع مشتركة او متحدة بمصانع فكرز الانجليزية . ومع ان في ايطاليا وبلجيكا مصانع للاسلحة ، الا انها لا تبلغ في مقامها الدولي مقام المصانع التي ذكرناها

اما في الولايات المتحدة الاميركية فلست تجد كذلك شركات ضخمة لصنع الاسلحة من مقام فكرز ولكن ٩٥ في المائة من معدات الجيش الاميركي تصنع في مصانع شركة بيت لحم (اي مفارقة في اطلاق اسم بيت لحم حيث ولد عيسى على شركة لصنع السلاح !) وشركة دوبون . وهذه الاخيرة اختصت بالاسلحة الكيمائية

﴿ المصانع والعداوات القومية ﴾ من يطلع على البرقيات التي تنشرها الصحف العربية كل يوم ، يدرك مبلغ العنف والحدة في العداوات القومية في اوربا ، ولكن اصحاب مصانع الاسلحة لا يأبهون لذلك كثيراً ، فانهم يبيعون اصدقاء بلادهم كما يبيعون اعداءها . وثمة في تجارة الاسلحة شيء لا تراه في غيرها ، فزيادة الطلب على احدى الشركات ، لا يعني ان الشركات الاخرى تحرم منه ، بل ان الزيادة تشمل جميع الشركات على السواء ، بل تكون باعثاً على توسيع نطاق الطلب لان الدولة الواحدة التي توصي بصنع قدر من الاسلحة في احد المعامل ، لا تلبث ان ترى مزاحمتها وقد اوصت على قدر اكبر منها في معمل آخر . واذا استنبطت شركة من الشركات وسيلة حربية جديدة تسرع جميع الامم الى شرائها لكي لا تحرم من ميزاتها ، فلا تلبث ان تستنبط شركة اخرى ، وسيلة جديدة لمقاومتها ، فتقبل جميع الدول التي اشترت الاسلحة الاولى على شراء الاسلحة الجديدة . وهذه الحقيقة في تجارة الاسلحة ، افضت الى التعاون بين شركات الاسلحة في مختلف الاقطار ، ومن هذا التعاون تنشأ المخاطر التي تهدد السلام . ذلك ان مصانع السلاح يهمها ، ان تنشيء جوّاً من الريبة والخوف يحمل الدول على التسلح

وكانت جمعية الامم قد عينت لجنة سنة ١٩٢١ للبحث في هذا الموضوع فأنحت على صنائع

الأسلحة باللوم الشديد ، وقالت انَّ ممثليها عمدوا الى خلق إشاعات الحرب ، ورشوا موظفي الحكومات، وأذاعوا بيانات مختلقة عن الاستعداد البحري والبري والجوي في دول مختلفة ، وحاولوا التأثير في الرأي العام بواسطة الصحف — كل ذلك لكي يحملوا الدول على التنافس في التسلح لان هذا التنافس سبيلهم الى الثروة والسلطان . ولذلك يقول السر روبرت هد فيلدز ، ان شركته يجب ان تكون عظيمة الشكر لما حبيت به من النعم . والنعم في نظره طبعاً ، هي زيادة الطلب على المدافع والبنادق والقنابل وسائر الاسلحة التي تصنعها شركته

﴿ السلام ومندوبو مصانع السلاح ﴾ نشرت احدى الصحف في اوائل الصيف انهُ بينما كان جو الاستعداد لاستئناف مؤتمر نزع السلاح رائقاً راجت اشاعة ، أخذت جنيف لجأة ، مؤداها ان الدول قررت فض المؤتمر من دون ان تحاول الخروج من المأزق الذي بلغتهُ المفاوضات . فاضطربت جنيف لذلك ، واضطربت معها الدوائر الدولية العالمية ولكن الدول اسرعت الى تكذيب الاشاعة وكان المسيو بارتو وزير خارجية فرنسا من أصرحهم في تكذيبها

وليست هذه الأشاعة بالاشاعة الاولى التي تقلق مؤتمراً لنزع السلاح أو خفضهِ . ففي سنة ١٩٢٧ لما اجتمع المؤتمر البحري في جنيف استأجرت مصانع السلاح الاميركية رجلاً يدعى شيرر Scherrac ليذهب الى جنيف مراقباً بالنيابة عنها ، والواقع ان عمله كان محاولة احباط المؤتمر بكل ما يستطيعهُ من الوسائل ، كالتأثير في بعض المندوبين الذين يستطيع الاتصال بهم ، وخلق اشاعات تؤثر في الرأي العام الاميركي من جهة ، وفي الرأي العام الدولي من جهة اخرى . ولولا اختلاف شيرر بعدئذٍ مع الشركات التي ندبتهُ على قيمة الاتعاب التي طلبها لما فضحت المسألة . وليست المصانع الاميركية الوحدة بين مصانع السلاح الكبرى التي تستخدم امثال شيرر ، فقد كتب المستر فيليب نويل بايكر ، سكرتير رئيس مؤتمر نزع السلاح في هذا الصدد ما مؤداه : —

« قضيت معظم ايامي في خلال الستة الشهور الاولى من سنة ١٩٣٢ في أروقة مؤتمر نزع السلاح وما مضى علينا اسبوع واحد في تلك الفترة ، حتى سمعنا باشاعة تتناقلها الالسن ، مؤداها ان الدول قد قررت حل المؤتمر او تأجيله ، وهؤلاء المروجون بارعون كل البراعة في خلق الاشاعات لانهم يحسنون ربطها بتطور المفاوضات ، حتى يسبغوا عليها ظلاًّ من الحقيقة . وكانت كل اشاعة منها ، تذاع وفي عبارات اذاعتها ، اقوال خفية تشير الى ان ناقليها يملكون من الاخبار السرية ما لا تتسنى معرفتهُ لجميع الناس . فكان الناس — والمندوبون في المؤتمر ناس — يعتقدون حقًّا ، ان الوقت لم يحن بعد للبحث في نقص السلاح او خفضهِ دع عنك نزعه ، وكانت هذه الاشاعات في الغالب على افواها وا كثرها ، لما كانت المفاوضات سائرة سيراً حسناً

« كنت أسمع هذه الاشاعات في أروقة المجلس ، وأنا عالم حق العلم — (أليس هو سكرتير رئيس المؤتمر) — ان الدول لم تكن تفكر في حل المؤتمر أو تأجيله بوجه من الوجوه ، فخرجت الى النتيجة التالية

وهي ان هذه الاشاعات تختلق اختلاقاً ولست أملك الدليل على رأيي هذا ، وقد لا أملكه حتى يطلع علينا حادث آخر من قبيل حادث شيرر ومصانع السلاح الاميركية. ولكنني اعتقدت حينئذ وما ازال أعتقد الآن ، ان لمصانع السلاح وكلاء يستأجرون خاصة لاضعاف الروح المعنوية في المؤتمر ، بخلق الاشاعات على المنوال المتقدم ، وايهام الناس والصحافة والمندوبين أنفسهم بأن نجاح المؤتمر متعذر

«بل انني أعرف أناساً في مقامات رسمية يذهبون الى ابعد من هذا فهم يعتقدون ان مغامرة اليابان في منشوريا وحربها مع الصين في سنة ١٩٣١ أقرّت في دوائر اليابان العسكرية بعد اتفاقها مع صناع الاسلحة في أوربا وان تاريخ تلك المغامرة العسكرية رتب خصيصاً حتى يجيء في وقت تكون فيه جمعية الامم قد صدمت صدمة عنيفة عند اجتماع مؤتمر نزع السلاح . ولا أريد ان أحمل تبعة هذا الاعتقاد ، وانما هناك من الحقائق ما يحول دون اهماله كل الاهمال . فان عداوة العسكريين اليابانيين ، وصناع الاسلحة الاوربيين للمؤتمر تشير من وجوه مختلفة الى هذه العلاقة وتوضحها . فعندنا اولاً الطلبات الكثيرة للسلاح التي طلبتها اليابان من مصانع السلاح الاوربية، وثانياً السهولة التي دبر بها المال لتسديد ثمن هذه الطلبات بعقد قروض اوربية خاصة لها ، وثالثاً التأييد الذي تناله اليابان في الصحف المتصلة بمصانع السلاح حتى في البلدان التي تطلب صحافتها تأييد جمعية الامم وتعزيزها — ان الادلة متوافرة على ان ذلك الاعتقاد الغريب له ما يستند اليه »

بل هنالك ماهو أغرب من هذه الحكاية . زاد انتاج مصانع السلاح ، زيادة كبيرة بعد قيام هتلر في المانيا ، وتقلده لأزمة الحكم فيها . وليس هذا بالامر الغريب فهتلر قد نفخ في أمته روح الكرامة الغاضبة ، ونزوعاً الى المساواة في سبيل تلك الكرامة . فالناس في اوربا يحسون قلقاً ، مهد السبيل الى المضيّ في التسلح . وانما يهمنا في هذا المقام ، أن نذكر ، ان مديري شركة سكودا — وهو مصنع سلاح كبير في تشكوسلوفاكيا متصل بمصنع شنيدر كروزو بفرنسا — اكتتبوا بمبالغ من المال لتأييد حركة هتلر قبل تقلده الحكم ، مع ان هتلر كان حينئذ صريحاً في أنه يدعو الى تنقيح المعاهدات التي تدافع عنها فرنسا وتشكوسلوفاكيا بكل قواهما . والسر في موقف سكودا وشنيدر ، ان قيام هتلر يبعث القلق في أوربا على سلامة كل أمة فتعمد الى التسلح للدفاع عن كيانها . وهذا هو سبيل الربح لهذين المعملين . بل ان ملكي صناعة الحديد والصلب في المانيا — أي تسن Thyssen وكروب Kruppe — اكتتبا كذلك بمبالغ لتأييد الهر هتلر قبل تقلده لمنصب المستشار ، مع أن هتلر كان لا يخفي حينئذٍ أنه ينوي أن يجعل جميع الصناعات ملكاً للامة . أي أنه كان ينوي أن يجرد تسن وكروب من مصنعيهما

واذا أنت طالعت الصحافة الاوربية ، وهذه الحقائق الاساسية عالقة بذهنك ، تبينت كثيراً من الفضائح التي قد تند عنك في القراءة العادية . فانت تقرأ مثلاً في مجلة «هدوي» الانكليزية عدد مايو سنة ١٩٣٤ العبارة التالية : — « والواقع أن واحداً على الاقل من أصحاب الصحف التي تعادي جمعية

الامم أعنف المعاداة يملك ألوفاً من الاسهم في شركة من الشركات التي تصنع الطيارات الحربية »

أقرن هذه العبارة بما تراه مثبتاً في صحيفة الديلي ميل من الدعوة الى تقوية سلاح الطيران البريطاني او تقوية سلاح الطيران الفرنسي ، تدرك ان المقصود هو روذرمير نفسه . ففي ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٣٣ قالت الدايلي ميل ان بريطانيا تحتاج الى سلاح جوي اقوى عشرة اضعاف من سلاحها الحالي . وفي الشهر نفسه قالت بتوقيع روذرمير نفسه ان بريطانيا تحتاج الى خمسة آلاف طيارة اذا شاءت الاَّ تبقى تحت رحمة جارانها. وفي ديسمبر قالت ان فرنسا القوية ضمان للسلام واذن فيجب ان يتألف سلاحها الجوي من ٢٠ الف طيارة . وبعد هذا يسهل على القارىء ان يصل الى النتيجة الصحيحة عن الصلة بين هذه الدعاية وما يملكه صاحبها من الوف الاسهم في شركة الطيران الحربي

بل هناك ما هو انكى من هذا كله ، لانه مصبوغ بصبغة رسمية . ذلك ان جمعية الامم كانت قد وجهت الى الحكومات اسئلة تتعلق بتنظيم صناعة السلاح في بلادها . فجاء في اجابة الحكومة البريطانية : « ان مصانع السلاح الكبيرة كشركة فكرز ارمسترونج ، تقف جانباً من وقتها فقط على صنع الاسلحة ، واما الباقي فموقوف على مصنوعات لا صلة لها بالسلاح » . هذا جواب رسمي من الحكومة البريطانية. ولكن رئيس تلك الشركة نفسه السر هربرت لورنس قال في خطبة له لحملة اسهم شركته : — « اننا نجتهد ان نوسع نطاق اعمالنا الاخرى . . الاَّ ان شركة فكرز ارمسترونج تعتمد في حياتها على صنع السلاح »

وقد جاءتنا ونحن نكتب هذا الفصل بعض نتائج التحقيق الذي تجريه لجنة عينها مجلس الشيوخ الاميركي، في فضائح صناع الاسلحة وتجارها ، فاذا كلُّ ما فيها مؤيد لمجمل ما تقدَّم . خذ مثلاً على ذلك شركة اميركية اسمها Electric Boat Co. متفقة مع شركة فكرز ، فقد دفعت هذه الشركة للسر باسيل زهاروف ١٥٠ الف جنيه من سنة ١٩١٩ الى ١٩٣٠ عمولة على طلبات السلاح التي جاءها بها من حكومة اسبانيا . ولما كانت شركة رغز Riggs تحاول ان تبيع مدافعها للحكومة التركية ، بعثت وزارة البحرية الاميركية بالطراد راليه الى استانبول ، لكي يتاح للترك التفرُّج على مدافعه وهي من صنع شركة رغز . وسمح لضابط من الضباط العاملين في الجيش الاميركي ان يصبح مستشاراً فنيًّا لحكومة كولومبيا فوضع في مكتب شركة رغز تقريراً يشير فيه على حكومة كولومبيا بشراء مقدار كبير من الذخيرة التي تصنعها تلك الشركة. وفي سنة ١٩٢٩ لما كان الجفاء مستحكماً بين بيرو وشيلي اتفقت شركة فكرز وشركة Electric Boat الاميركية على ان تبيع الاولى الاسلحة لشيلي والثانية لبيرو ثم تتقاسمان الأرباح وكتب مندوب هذه الشركة في بيرو يقول انهُ يسعى لكي يعيَّن مندوباً لحكومته في مؤتمر نزع السلاح وغرضهُ حماية مصالح صناع السلاح والذخيرة

هذه نواحٍ من فضائح اصحاب المصالح في صناعة السلاح ، وهم يحاولون ان يحبطوا كل مؤتمر لنزع السلاح او خفضه ، ويعرقلوا كل مسعى

حديقة المقتطف

شعر ستيفن كراين

الاعشاب — كتاب الحكمة —

الرجل الصريح — العقاب —

طريق الحق

الشعر الغربي في مصر

الشاعر — ملجأ الشيوخ

لغاستون زنانيري

لا تشفق عليّ

للمس ادنا سانت فنسنت ميلاي

الشاعر اريوستو

لطه دوزي

الغر
سلا
من
النا
الس
الس
منه
أنب
المت
من

مو
بار
الم
ك
ع
د
وَ

ال

سير الزمان
اوربا بعد الحرب الكبرى
معاهدات الصلح
اقطاب العالم في العصر الحديث
مشكلة الساعة
المانيا ونزع السلاح
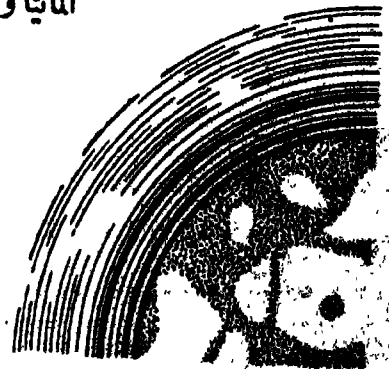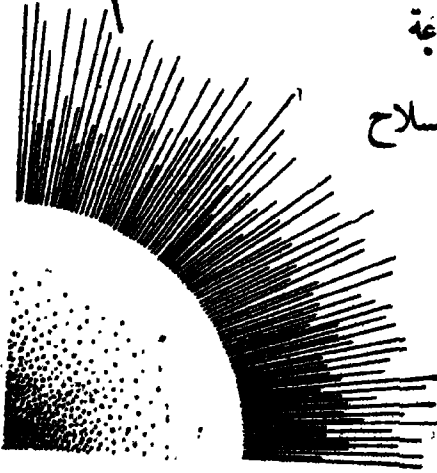
شعر ستيفن كراين

[القطع التالية مختارة من شعر اديب يدعى ستيفن كراين مرّ على مسرح الادب الاميركي مرور الشهاب اذ ولد سنة ١٨٧٩ وتوفي سنة ١٩٠٠ ولكنه ترك في القصة والاقصوصة والشعر الغنائي آثاراً رائعة]

الاعشاب

وقفت طائفة من الاعشاب في السماء امام العزة

فقالت العزة لها : ماذا فعلت ؟

فتهافتت جيماً — الاّ واحدة منها — على تعديد مآثرها في الحياة .

اما العشبة الصغيرة فانتحت مكاناً وراءهنّ وعليها آثار الحياء .

فالتفتت العزة اليها وقالت : وانت ماذا فعلت ؟

فقالت : رباه ان الذكرى البحة .

واذا كان لي في حياتي حسنات فقد نسيتها .

عندئذ تجلت العزة في كل ابهتها ونهضت

عن العرش وقالت : يا افضل الاعشاب !

كتاب الحكمة

التقيت بسيد يَحمل في يديه كتاب الحكمة

فقلت يا سيدي ، دعني اطالع فيه

فقال : ايها الطفل — ولكنني قاطعتهُ قائلاً :

يا سيدي : لا تظنن انني طفل ،

لانني اعي كثيراً مما تنطوي عليهِ صفحات الكتاب في يديك

نعم ، واعرف كثيراً منها . فابتسم الرجل وفتح

الكتاب ونشر صفحاته امامي . فاذا بي — فجأة — قد كُفِفتُ

الرجل الصريح

خرج الرجل الصريح وجعل يخاطب الرياح
ولما تلفتَ حواليه وجد نفسهُ في بلاد غريبة

خرج الرجل الصريح وجعل يخاطب النجوم
فبهرهُ نورها الاصفر الساطع

فالتفت اليهِ سائرٌ حكيم وقال :
ايها الاحمق الصالح . ان جميع اعمالك حمق وجنون

فصاح فيهِ الرجل الصريح قائلاً « انك كثير الصراحة »
ولما هوت عصاته عن رأس محدثهِ كانت قطعتين

القلب

رأيت في الصحراءِ كائناً ، عارياً ، وحشيًّا
متربعاً على الارض ، وممسكاً قلبهُ بيديهِ
وهو ينهشهُ

قلت : الذيذٌ ايها الصديق . قال :
انهُ مرٌّ . مرٌّ . ولكنني استطيبهُ
لانهُ مرٌّ ، ولانهُ قلبي !

طريق الحق

لما شاهد المسافر الطريق الى الحق
اخذه العجب لانهُ رأى الاعشاب تغطيه
فقال : لدي ان احداً لم يسر عليه من زمن طويل !
ثم تبين ان كل عشبة سكين حادّ ، فتمتم :
« لا بدّ ان يكون هنالك طرق اخرى » !

الشعر الغربي

في مصر

صح عزمنا بعدما نقلنا طائفة مختارة من الشعر الغربي ان ننقل مختارات من قصائد الشعراء المصريين والاجانب الذين ينظمون الشعر الغربي في مصر . وقد بدأنا بقصيدتين بليغتين للشاعر المصري المجيد خيري نشرتا في العدد الماضي . وفي هـذا العدد ترجمة قصيدتين فرنسيتين عامرتين للشاعر غاستون زنانيري

الشاعر

بيدٍ ترعدها الحمى ، كان يخطُّ كلمات تدعمها كلمات ، وتليها كلمات ، وبينما هو يكدُّ ويدأبُ سمع في قرارة نفسهِ صوتاً يهتف بهِ قائلاً :

انا الوهم فائق الوصف ، الذي لا يتسنى التعبير عنهُ ، غير العابىء بشرائع الحقيقة ، اسكب في القلوبُ جاذبيات نجواي ، واضع فيها سحرَ صفوي الخفي ، الذي لا تدركه عينٌ ، انا مثيل موجةِ البحرِ ، الصخبةِ المضطربة ، التي تبتلع الغوّاص ، الساعي دون كللٍ ولا تمهّلٍ ، للحصول على ضياء الفضة النقية البراقة ، المشعة في مستقرِّ اللجج ، كأنها الأمل البعيد المدى ، الذي لا يتسنى ادراكهُ ، ولا الوصول اليهِ

افتحُ آفاقاً ذات ضوء ونورٍ ، يكادان يهزءان بحلول الليل ، ويتركان وراءهما ، بعد تلاشيهما ، سراباً تكفي لحظةٌ واحدةٌ ، لكي تمحو اثره ، وتلاشي معالمهُ

فالسمك في البحر ، والطير في الفضاء ، واللذة في الحبِّ ، والبريقُ في العيونِ ، والنَظَرُ التائهُ في لانهاية السماوات . . . جميعُ هذه الاشياء البديعة تضمحلُّ دون ان تتركَ أثراً

ولكن ذلك الهاتفَ ، قُوطِع في همسهِ بصوتِ السكوتِ ، وبحركةٍ خفيفةٍ في الظلام ، تُشبهُ النفْثَةَ التي تمرُّ بقربِ العقلِ ، فنهضَ الشاعرُ من مكانه

وكانت الغرفةُ قد سادها غَبش المساء . ورأى الليل يَتسلّلُ الى غرفته . فأظلمَ كلُّ ما فيها ، وعاد لا يُبصر شيئاً

ملجأ الشيوخ

لا يَضيرهم ان تُغشي عيونَهم سحابةُ الكآبة والحزن ، وان يَجرُّوا تحت اشعة الشمس الدافئة ، اعضاءَهم المتخدّرة اليابسة . . لا يضيرهم ان تكون قبضات ايديهم خُلُواً من كل حبرٍ وحنان ، وان تكون وجوههم منقبضة تحوطها الرزانة ، وجباههم معتّمة تغشاها الظلمةُ والحلوكة

لا يضيرهم ان تكون السماء مشعّةً بالانوار ، وان تكون اشجارُ الخمائل باسمةً مزهرةً . . لا يضيرهم ان تحنو قلوبهم على تذكارات الماضي ، وان يقبل الليل اليهم بذكرى ، تعيد لهم ما سلف من حياتهم الهانئة السعيدة

لا يضيرهم ان يصبح الاملُ حلماً لذيذاً ، وان يكون الليل المقبل غير ذي صباح . . لا يضيرهم ان تضحي حياتهم نهاراً ، ينقضي تاركاً في القلب أسفَ الصباح وغصّتهُ

لا يضيرهم كل هذا ، فقد عرَفوا نهايتهم ، وهم ينظرونها بهدوءٍ وسكينة ، ينتظرون حلولَها بصمتٍ وسكونٍ ، دون ان يأتي اليهم من يزورهم في ملجأهم الاخير ، ولا من يقبل ليزوّدهم النظرةَ الاخيرة وهم على فراش الموت

[نقلها جورج نيقولاوس]

لا تشفق عليَّ

للمس أدنا سانت فنسنت ميلاي — شاعرة أميركية معاصرة —

لا تشفق عليَّ لان نور النهار ، عند الغروب ، عاد لا يتماوج في الفضاء
لا تشفق عليَّ لزوال الوان الجمال من الحقل والغابة باختلاف الفصول
لا تشفق عليَّ لنقصان القمر ، ولا لجزر البحر
ولا لانَّ شهوة الانسان تخبو بسرعة
ولا لانك غدَوتَ لا تلقي عليَّ نظرة الحب .
لقد عرفت كلَّ هذا . ليس الحب اكثر من الزهرة التي تلفحها الريح
ولا اكثر من المدّ يغسل الشاطىء فينثر عليه صرعى العواصف .

بل اشفق عليَّ لان القلب بطيءٌ في ادراك ما يراهُ العقل في كل لفتة

لودفيك آريوستو

شاعر ايطالي يقال انهُ تأثر بألف ليلة وليلة

الغرض
سلامة
من مؤ
الناس
السلا
السلا
منها ،
أنباء
المتناف
من تا

من أ
باريـ
المخت
كـ
عظـ
رو
وكل

التي

على

لودفيك آريوستو

[شاعر ايطالي تأثر بألف ليلة وليلة]

في اليوم السادس من شهر يونيه من العام الماضي احتفل الايطاليون في مشارق الارض ومغاربها بمرور اربعمائة عام على وفاة شاعرهم القصصي الكبير لودفيك آريوستو مؤلف قصة « اورلاندو فوريوزو » الخالدة . وكان اكبر هـذه الاحتفالات واعظمها شأناً ذلك المهرجان العظيم النادر المثال الذي اقامته مدينة « فرارا » Ferrara مسقط رأس الشاعر وقد قام بتنظيمه نفر من كبار رجالات تلك المدينة وعلى رأسهم السنيور ايتالو بالبو وزير الطيران الايطالي سابقاً . ويهمنا نحن الشرقيين ان نعرف شيئاً عن هـذا الشاعر الفذ وعن قصته الطريفة التي ادعى كثير من الكتّاب الافرنج ان قصة الف ليلة وليلة العربية انما هي مأخوذة منها لوجود شبه كبير بين القصتين مع ان هناك من الكتّاب الايطاليين انفسهم من يقول بغير هذا القول.فقد القى المستشرق الكبير الدكتور لويجي رينالدي في عام ١٩٢٠ محاضرة نفيسة عن المدنية العربية في الغرب بمدينة القاهرة كان لها وقع عظيم في نفوس الشرقيين عامة والمسلمين بنوع خاص ونشرتها مجلة المقتطف في حينها وقد جاء فيها ما يأتي بالحرف الواحد :

« انظر الى قصة « اورلاندو فوريوزو » تجد انها مأخوذة كلها من كتاب الف ليلة وليلة الشهير الذي احتوى على قصص عربية وفارسية وهندية غريبة وانك لتجد فيهما الاسلوب واحداً والمغزى واحداً ولا سيما تلك النقطة التي تدور حولها جميع هـذه القصص وهي زعمهم بأنه ليس في العالم امرأة عفيفة

« وبيننا كثيرون يعتقدون ان العرب هم الذين عرّبوا كتاب « اورلاندو فوريوزو » ولكن هذا محض افتراء ولقد تكلم في هذه النقطة المؤرخ الشهير آماري Amari فقال « اقول ان سرقة وقعت لكتاب الف ليلة وليلة ذلك ان قصص اريوستو وحوادث استولفو وجوكوندا كلها مقلدة من اولها الى آخرها او بالاحرى منقولة من قصص الف ليلة وليلة ما عدا تغيير بسيط في بعض الاسماء وفي بعض الظروف القليلة الاهمية »

ولكن هـذا على فرض التسليم بصحته لا ينقص من قيمة قصص آريوستو ولا يفقدها شيئاً من جمالها وسلاستها وروعتها لان هـذه القصص انما هي من بدائع الشعر الايطالي التي خلدت وستخلد على كرّ الزمن ومرور الايام

اما لودفيك آريوستو فقد كانت ولادته في اليوم السادس من شهر سبتمبر سنة ١٤٧١ بمدينة ريجيو دعيليا Reggio d'Emilia وكان ابوه رجلاً من اشراف « فرارا » وكان قائداً لقلعة « ريجيو » من لدن الدوق هرقل الاول واما امه « داريا مالاجوتزي » فكانت احدى نبيلات مدينة ريجيو

تلقى آريوستو تعليمه الاول في مدينة فرارا حيث انتقلت اسرته ولم يبلغ الثانية عشرة من عمره ولم يكن كثير الميل الى التعلم على ان امياله جميعها كانت متجهة نحو التمثيل المسرحي الذي نبغ فيه الى حد كبير حتى انهُ في سنة ١٤٩٣ استدعاه هرقل الاول الى مدينة پافيا Pavia للتمثيل في حضرة لودفيك المورو. وعلاوة على اشتغاله بالتمثيل كان يميل الى قرض الشعر ولقد نظم في ايام شبابه قصة « تسبي Tisbe » التي قام بتمثيلها هو واخوته واخوانه وكان موضع اعجاب المتفرجين لمبتدعاتهِ الشعرية التي زانت القصة اكمل زينة

ولقد تحدث آريوستو حديثاً مستفيضاً في قصيدته الهجائية السادسة التي وجهها الى « بيترو بمبو » عن تعليمه وعن غرامه بالشعر . فقد حاول والده عبثاً حملهُ على دراسة الكتب والتعليقات الشهيرة لانه كان حتى سن العشرين يكاد يجهل اللاتينية وكان يجد صعوبة كبيرة في مطالعة قصة فدرو Fedro ولكن اباه عاد واطلق له الحرية في ممارسة المهنة التي كان يهيم بها وكان من حسن حظه ان تتلمذ على عالم كبير من علماء اللاتينية واليونانية هو « جريجوريو دا سپوليتو » وكان ذلك لمدة قصيرة لان هذا الرجل الاديب سرعان ما استدعي الى ميلانو للتعليم في بلاط سفورزسكا Sforzesca لما ناله من الشهرة الواسعة

مضى آريوستو بعد ذلك في دراسة اللاتينية وحده دون معلم فقرأ مؤلفات فرجيل وهوراس وتيبولو وكاتولو واعجب بها كل الاعجاب ولقد بلغ من اتقانه اللغة اللاتينية ان نظم بها بعض اشعار لا تقل جودة ومتانة عن اشعار اشهر شعرائها الانسانيين المعروفين

ولقد كان فقده لاستاذه المحترم ثم فقده لوالده في سنة ١٥٠٠ في الوقت الذي فقد فيهِ ابن عمهِ العزيز باندولفو، من بواعث حزنهِ الشديد فاضطر الى حمل عبء الاسرة وهي مؤلفة من الام واربعة اولاد وخمس بنات لان ما ورثهُ عن ابيهِ لم يكن ليسد حاجاتها وكان عليهِ ان يعلم اخوته واخواته ولكن هذا لم يكن ليمنعهُ لحظة واحدة من قرض الشعر الذي كان يقبل عليهِ بحماسة لانهُ كان يرى فيهِ سلواهُ الوحيدة في غمار هذه الهموم والآلام

اضطرَّ اريوستو اذ ذاك ان يلتمس منصباً في بلاط آل دستي Deste فانتظم في خدمة الكردينال ايبولينو ولم يكن عمله يحول دون نظم الشعر فكتب كثيراً من القصائد الرائعة

بقي في خدمة الكردينال اكثر من خمس عشرة سنة بمرتب لم يكن كبيراً مع انهُ كانت توكل اليهِ في بعض الاحيان مسائل غاية في الخطورة تدل على ما حازهُ من الثقة كما كان يرسل في سفارات لم تكن دائماً قليلة الخطر كان ينتقل من اجلها الى مانتوڤا وميلانو وبولونيا وفلورنسه وفي اغلب الاحيان الى مدينة روما وكان يطلب اليهِ ان يكتب بعض الروايات الهزلية فكانت اولاها قصة كاساريا Cassaria التي مثلت في سنة ١٥٠٨ وقصة الوكلاء Suppositi في سنة ١٥٠٩ ثم قصة الساحر Il Negromante والتنفس La Lena والطلبة وهي قصة التي بلغ فيها نصفها وا كملها من بعده اخوه جبرائيل آريوستو ثم القصة المدرسية La Scolastica وكانت القصتان الاوليان مكتوبتين في مبدأ الامر بالنثر ولكنهُ عاد ووضعهما شعراً وكانتا اولى الروايات الهزلية في الادب الايطالي وكانت جميع رواياته على نسق روايات Trenzio ترنزيو و Plauto بلاوطو

وفي الفترة التي مضت بين سنة ١٥١٣ وسنة ١٥٣١ نظم اريوستو سبع قصائد هجائية تحدث فيها عن عصره وعمن عاصره من الرجال وعن بلاط روما وعن البابا ليون العاشر وعن مدينة جارافانيانا وبلاط فرّارا والدوق الفونسو والكردينال ايبولينو وعن عادات النساء وعيوب الرجال وقبل كل شيءٍ تحدث باسهاب عن نفسه وعن اميالهِ وعن سوء حظه وعن جملة حياته وكان حديثهُ حديث رجل مخلص مستقيم ولكنهُ ضعيف الارادة قد خلا من الاطماع لا يهتم بالانعامات ولا بالرتب ويقتنع بان يعيش حرًّا بين جدران داره بين كتبه واوراقه تحوطه عناية زوجته وحبها . ولقد روى لنا الشاعر في قصيدتهِ الهجائية الاولى التي وجهها في سنة ١٥١٧ الى السيد جالاسو آريوستو انهُ كان مريضاً وكان يشكو السعال ولذلك اعتذر عن الذهاب في سفارة الى مدينة بودا في هنغاريا في سنة ١٥١٧ وكان يكفي هذا الرفض الذي كان العذر فيهِ واضحاً لكي يحرم الشاعر من عطف الكردينال ويقال من خدمتهِ

بعد ذلك عطف عليهِ الدوق الفونسو الذي اراد ان يصلح من خطإِ الكردينال والحقه بخدمته واعطاه مرتباً لا بأس بهِ وكان اريوستو يشكو دائماً حظهُ الذي كان يضطره لان يعيش على اكتاف الغير على انهُ كان مغتبطاً ببقائهِ في خدمة الدوق لانهُ كان يندر ان يبتعد عن موطنه وكان هذا يتيح له فرصة المطالعة والدرس وتصحيح

الشعر الذي لم يكن ينقطع يوماً واحداً عن العمل على تجويده

كانت علاقات الصداقة بين الشاعر وآل مدسيس قديمة ولذلك لم يكد يظهر كتاب «فوريوزو» حتى منح البابا حق الطبع للمؤلف وامتدح الكتاب وذكر صداقة آريوستو الثابتة والمستمرة لاسرته. ونستطيع ان نقرأ شيئاً عن ذلك في مرثية لجوليانو دي مدسيس الذي ذهب ضحية مؤامرة المهووسين في سنة ١٤٧٨

اوعز اليهِ اصدقاؤه ان يسافر الى روما لمقابلة البابا وبعد الحاح نفر منهم سافر الى روما واستقبل فيها استقبال الغزاة والفاتحين قال فيهِ « ان البابا نزل عن كرسيه المقدس ومد اليَّ يديهِ مصافحاً» ثم بقي آريوستو في روما فترة من الزمن ضيفاً على الفاتيكان وكان يأمل الحصول على مرتب من بلاط البابا ولكن لما لم تتحقق هذه الامنية عاد ثانية الى (فرارا) حيث كتب قصيدته الهجائية الثالثة التي وجهها الى ابن خاله هانيبال مالاجوتزي واشار فيها الى رحلته الى روما قائلاً « انهُ رأى ثروة عظيمة تختفي من امام عينيه دون ان يأسف عليها »

ولما عاد الى بلاط الدوق الفونسو لم يكن لديهِ ما كان يتمتع بهِ من الطمأنينة فيما مضى ولم يكن عمله في البلاط ليساعده حتى من وجهة النظر الاقتصادية لانهُ بسبب الحرب التي كانت ناشبة بين الكردينال دستي والبابا اوقف صرف راتبه فجعله يشكو قائلاً انهُ اذا لم يُدفع اليهِ المتأخر له فانهُ سيضطر الى البحث عن طريقة اخرى لصرف هذا المتأخر

وفي سنة ١٥٢٢ ارسل الى مدينة جارفانيانا ليصلح بين احزابها المتخاصمة ولكي يلزم اهلها باحترام القانون فذهب اليها والحسرة تملأ فؤاده لفراق بيته ولكنه لما كان يأمل ان يصلح فيها من احواله الاقتصادية بقي حوالي ثلاث سنوات من سنة ١٥٢٢ الى سنة ١٥٢٥ نجح في حلالها في تهدئة المنطقة التي لم تكن تخضع لسلطان السلطات المدنية

بقي في هذه المدينة بضع سنوات اخرى ولي فيها القضاء بعيداً عن بلاده حتى سئمها ورغب في العودة الى حياة المنزل الهادئة فطلب ان ينقل الى منصب آخر ولقد اقترح بعضهم على الدوق ان يرسله سفيراً لدى بلاط البابا الجديد لانهُ كان الشخص الوحيد الذي يصلح اكثر ممن عداه لمثل هذا المنصب نظراً لصداقته بآل مدسيس ولكنه لم يعرب عن رغبتهِ في قبولها — مع انهُ لم يرفضها — محتجاً بأنهُ لم ينل شيئاً من البابا السابق ولا ينتظر ان يحصل لآل دستي على شيء من هذه الاسرة. ولكنهُ لم يصرح بأن بقاءه بعيداً عن داره كان يسبب له كثيراً من المتاعب والآلام . وفي سنة ١٥٢٦

بينما

الم

نفر

الركن و

فق

الحق ا

قا

واقته

أ

من ال

ق

اشترى منزلاً صغيراً في مدينة فرارا يقع في شارع ميراسولي Mirasole واخذ في تجميله وادخال كثير من وجوه التحسين عليه ووضع لوحة على بابه كتب عليها باللغة اللاتينية «ان بيتي صغير ولكنه يكفيني وليس لاحد عليه سلطان وهو في نفس الوقت ليس قبيحاً واهم شيء عندي انني حصلت عليه بكدي وعرق جبيني»

وبعد وفاته اضاف ابنه فرجينيو الى اللوحة هذه العبارة : «ليبارك الاله بيت آل اريوستو كما باركته آلهة الشعر»

ولقد اضيفت الى هذا المنزل الصغير حديقة لم تكن انيقة حتى لقد تجرأ احد اصحابه ان يقول له «ما بالك قد استطعت انشاء ابيات من الشعر غاية في الجمال دون ان تستطيع ان توجد عمليًّا واحداً منها» ولكنهُ اجاب بأنه لايستطيع ان يوجد حديقة جميلة بنقود قليلة

قضى الشاعر سنين سعيدة في هذا المسكن الصغير مع صديقته الكسندرا ابنة السيد فرانشسكو بينوتشي التي كانت زوجة للشاعر الفراري النبيل تيتو ليوناردو ستروتسي Strozzi والتي تزوج منها في آخر سني حياته وربما كان ذلك في سنة ١٥٣٠ مع انها كانت تصرح له بأنها لا تريد ملاءة ولا خاتماً تقيد بهما حريتها

وفي سنة ١٥٣١ ربط له الدوق الفونسو دافالو مركيز فاستو مرتباً سنويًّا قدره مائة دونية غير المساعدات الاخرى التي كان يحصل عليها من الدوق اركولي دستي ولما حل الفونسو ولده محله قدم له مساعدات اخرى سهلت له اسباب الحياة

في هدوء تلك الدار التي تمتع فيها بالحب والعناية التي كانت تحوطه بهما امرأته بينوتشي Bennucci اشتغل بجد وبهمة لا تعرفان الكلل في نظم قصائده الهجائية وفي اعادة طبع قصته العظيمة بعد ان ادخل عليها كثيراً من التعديل والتنقيح في سنة ١٥٣٢. عند ذلك بدأت تظهر عليه علامات المرض والسقم والح عليه مرض السل الذي لا يرحم ثمانية اشهر كاملة فارق بعدها الحياة في ليلة ٦ يونيه سنة ١٥٣٣ ودفنت جثته في كنيسة القديس بنيدتو San Benedetto القديمة وبعد اربعين سنة من موته شيد له احد اشراف فرارا مقبرة اثرية فخمة وفي ١٦١٢ اقام له احد حفاده الذي كان يحمل اسمه ولقبه مقبرة اجمل وافخم من الاولى ونقل اليها جثمانه في احتفال مهيب ثم في سنة ١٨٠١ نقل جثمانه مرة اخرى الى سراي المدارس بأمر الجنرال ميوليس Miollis

أعطي آريوستو بسطة في الجسم وكان متناسب الاعضاء قوي البنية ذا شكل حسن ومنظر نبيل مهيب وكان طيب الشمائل حلو الحديث حاضر البديهة مما جعل حديثه مقبولاً

لدى الطبقات العالية التي كانت تحب مجلسه والتي كان يبهرها بمواهبهِ النادرة وهي صفات قلما اجتمعت في شخص متعلم اعتاد مخالطة العظماء والكبراء. على انهُ كان يفضل الحياة المنزلية على حياة البلاط بما فيها من مسرات واحتفالات ومظاهر وافراح وكان يقول « اريد الهدوء فهو عندي خير من الحياة والغنى »

كان الدرس والشعر يفضلان لديه كل ماسواهما من الاعمال وفضلاً عما أوتيه من دماثة في الخلق فقد كان طيب القلب ميالاً الى الحب احب بلدته كما احب بيته وزوجته كما احب اميره الذي كان يفخر بحبه ويتفانى في الاخلاص له

كان آريوستو دائماً مشغولاً بكتاباته الادبية ومؤلفاته حتى في الساعات التي لا يكون فيها على مكتبه لدرجة انها كانت تصيرهُ مذهولاً شتيت الفكر . وعلى ذكر هذا يروي ولده ڤرجينيو انَّ اباه خرج في صباح يوم من ايام الصيف من كابري Capri للتنزه فما زال سائراً يوماً كاملاً حتى وصل الى فرارا دون ان يشعر انه ينتعل خفين او انه كان يسير وقال عنه ايضاً انهُ كان يأكل بسرعةٍ دون ان يميز اصناف الطعام الذي يتناوله

كان آريوستو يحب اصدقاءه ويحترمهم ويعظمهم ويعترف بجميل من كانوا يساعدونهُ ويعاونونهُ كما كان يحب سادته الذين سرد لنا اسماءهم في آخر انشودة من اناشيد قصتهِ « فوريوزو » بعد ان تغنى في الانشودة الثالثة منها بنسب آل دستي

ولعل احب شيء لدى آريوستو كانت الحرية التي كان يهيم بها ويشيد بذكرها في قصائده ولو انهُ لم تتح له الفرص للتمتع بها يوماً من الايام فهو يضعها قبل كل شيء ويضحي في سبيلها بمنصبهِ وبصداقتهِ للعظماء وحتى بحبهِ لانهُ كان يخشى ان يتزوج من المرأةِ التي احبها لئلاً يقيد حريته بزواجهِ . وبعد الحرية كان كل غرامهِ متجهاً الى الشعر لانهُ كان يرى فيهِ اكبر عزاء لنفسهِ وكان يوحى اليهِ بانبل المشاعر والاحساسات

وفي مقال آخر سنتكلم عن قصة « اورلاندو فوريوزو » التي صادفت نجاحاً عجيباً والتي لا تزال الى يومنا هذا موضع اعجاب المتأدبين والتي بلغ من عظمتها وتعلق الناس بها ان كان لها كثير من المقلدين بينهم الكونت فنشترو بروسانتيني دا فرارا الذي كتب قصة « انجليكا العاشقة» ولودفيك دولتي الذي وضع قصة «ساكريبانتي » و« محاولات اورلاندو » ثم بيترو آرتيني في رسائله عن مارفيزا ودموع انجيليكا واستولفيدي وغيرهم ولم تكن جميع هذه الاً محاولات غير مجدية لان فن لودفيك اريوستو كان فنًّا لا يمكن تقليده ولا الاتيان بمثله

طه فوزي

مملكة المرأة

مقام المرأة واتجاهها

في المانيا النازية

الفروق الجنسية

للاستاذين الابراشي وحامد عبد القادر

مهام المرأة في الحياة

للمسز روزفلت سيدة البيت الابيض

ارشادات نسوية

مسائل وأجوبتها
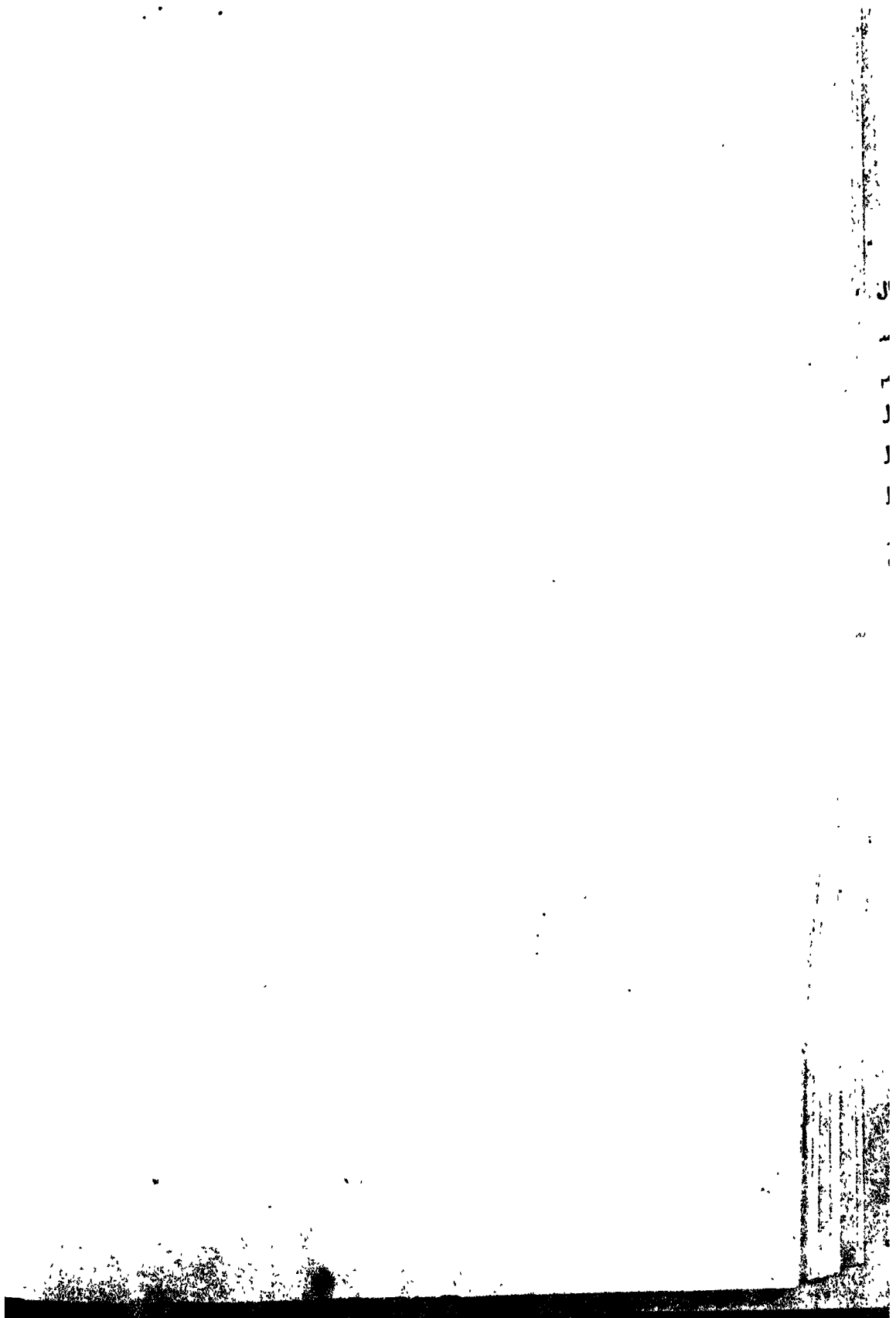
مقام المرأة واتجاهها

في المانيا النازية

كتب الفرد روزنبرج ، في مؤلفه الكبير « روح القرن العشرين » العبارة التالية :— « الرجل المتأنث والمرأة المترجلة ، دليلان على الانحطاط السياسي والثقافي . فنتيجة السيطرة النسائية على حياة اميركا ظاهرة في انحطاط مستوى الثقافة في تلك الامة » . وعنده ان ادوار الانحلال في المانيا، وبوجه خاص في الفترة التي انقضت بين هزيمة المانيا سنة ١٩١٨ وبلوغ النهضة الوطنية الاشتراكية مقام الحكم سنة ١٩٣٣ اقتضت نشوء الرجل المتأنث والمرأة المترجلة فيها

والهر روزنبرج هو الرجل الذي عيَّنهُ هتلر اميناً على التعليم الروحي والفلسفي في المانيا ، ورسالة المرأة في رأيه — وهو شبيه بالرسمي — ان تحتفظ بالسلالة نقية من اية شائبة تشوبها

ولما كانت الحركة الوطنية الاشتراكية تبغي انشاء سلالة نقية عديدة ، فهي تقتضي من المرأة الالمانية خضوعاً لمقتضيات الاسرة والدار ، وتأييداً لسياسة الحزب . وشعار هذه الحركة ، من حيث النسوية ، « العودة الى البيت » . وثمة وسيلتان يتوسل بهما الزعماء لجعل هذا الشعار مما يحلو في عيون النساء . فهم ينددون بالحركة النسوية ، التي انتشرت قبل الحرب وافضت بعيدها الى منح النساء جميع حقوق الرجل في دستور فيمار سنة ١٩١٩ ، ويقولون انها افضت بهنَّ الى المناداة بالسلام كائناً ثمنهُ ما كان ، وجعلتهنَّ لا يعبأن بالتقاليد . فالمحاولة التي قصد بها الى تمهيد طريق الاستقلال للمرأة ، قوّت فيهنّ حب الذات والايثار ، وقذفتهنَّ الى الشوارع . ثم ان التحرر الصحيح في نظرهم، هو تحرر المرأة من واجب الارتزاق، فالزعيمة النسوية النازية الدكتورة صوفيا رابي Rabe تقول : « اننا نطلب تحرر المرأة من قيود الارتزاق ، لا تحرر المرأة من الرجل »

اما قول هتلر فلا يختلف عن قولها كثيراً . ففي توجيهه النداء الى كل الماني للدفاع عن حرية الامة قال : — ليس ثمة كفاح للرجل ، ليس هو كفاحاً للمرأة . وليس ثمة كفاح للمرأة ، ليس هو كفاحاً للرجل . اننا لا نعترف بحقوق للرجل وبحقوق للمرأة . اننا لا نعترف الا بحقوق واحدة للجنسين . نعترف بحق هو في الوقت نفسه واجب ، حق الحياة والعمل والكفاح معاً في سبيل الامة»

ومع ان زعماء النازي يحاولون ان يثنوا المرأة عن اي عمل الا العمل البيتي، ولا يشجعونها الا على الزواج واخلاف النسل، لكنهم في الوقت عينه، لايمنعونها رسمياً من الانتظام في الحرف والاعمال المختلفة، الا القضاء والادارة الحكومية والجيش . وحجتهم في منعها من الانتظام في سلك القضاء والادارة الحكومية ميل المرأة الى اللين. ولذلك ترى ان النازي لم يعينوا نائبة واحدة الى الريخستاغ مع ان النائبات في الريخستاغ في العهود السابقة بلغن احياناً تسعاً وكان من شأنهن غير يسير في التشريع

وقد نظمت الآن جميع الجمعيات النسوية في المانيا في جمعية واحدة تدعى «دويتش فراون ورك» يقال ان عدد اعضائها يختلف من ثمانية ملايين الى عشرة ملايين . ورغبة في تنسيق اعمالهن ، اخضعت هذه الجمعية الى جمعية نسائية نازية عدد اعضائها من اربعة ملايين الى خمسة ملايين

وعلى رأس هذا النظام سيدة تدعى فرو شولتس كلنك . فهي زعيمة هاتين الجمعيتين ، وزعيمة قسم العمل النسائي وممثلة الجمعيات النسائية الالمانية في جمعية الصليب الاحمر الالماني . قالت كاتبة اميركية : ولما ذهبت الى احدى السيدات اللواتي تعاونها في عملها وسألتها هل سيرة الفرو كلنك سيرة حافلة قالت تلك السيدة « انها والدة اربعة اولاد . فما حاجتها بعد ذلك الى سيرة حافلة ؟ »

ان عمل المرأة في رأي النازي اخلاف جنود المستقبل . وقد ضم عدد حديث العهد من المجلة النازية الرسمية الخاصة بالنساء ، مقالاً يبين نواحي عمل المرأة . ففي ناحية واحدة من عملها عليها ان تربي الاولاد على اصول الثقافة العسكرية . يضاف الى ذلك تنشئتهم على فضيلة البساطة الاسبرطية ، وتنمية قوة المقاومة الروحية فيهم ، لانها تحميهم من الامم الاجنبية . حتى النساء العوانس واللواتي يمارسن عملاً فنياً يستطعن ان يؤدين نصيبهن التثقيفي ، بالعمل في الجمعيات الدينية والعسكرية

والمسلّم به في المانيا الآن ، ان اقل عدد من الاولاد يجب ان تنجبهُ المرأة النازية هو اربعة اولاد . وقد لاحظ بعض الكتّاب الاجانب في المانيا ، انهُ اذا زاد عدد الاولاد في الاسرة الواحدة الى خمسة او ستة منح الوالد وساماً يرتديه ويباهي بهِ . لان الدولة النازية تشجع على الزواج بتمهيد العقبات المالية لمن يبغي الزواج ولا يستطيعهُ ، ثم انها تتبع ذلك بمنح امتيازات مالية وغير لمن يكون كثير الانجاب . ومع ان دستور فيمار نص على وجوب العناية بالام ، الا ان المانيا النازية تفاخر بان الام موضوع عناية خاصة منها . فعيادات الامومة في المانيا تحاول ان تتصل باكبر عدد من الامهات . وثمة معرض نقال يعرف باسم معرض « الام والطفل » يتنقل في الريف ، ويسدي الى الامهات الارشاد الصحي والنصح الخاص بالتناسل

ثم ان النساء النازيات ، يقاومن مذهب تعليم المرأة تعليماً عالياً . وعندهن ان جميع النساء اللواتي انتظمن في الجامعات في الفترة بين ١٩١٨ — ١٩٣٣ انما فعلن ذلك تقليداً ومجاراة . فكان عملهن هذا باعثاً من بواعث تعقيد مشكلة التعطل عن العمل التي يعانيها خريجو الجامعات . فلما سألت : «ولكن الا يمكن ان يكون بين اولئك اللاتي انتظمن في الجامعات ، نساء على جانب عظيم من الذكاء» اتاك الجواب الغريب : لاريب في ذلك ، ولكن مبدأ الزعامة عندنا يمكن الزعماء من تبيّن النساء المتفوقات واختيارهن ومنحهن امتيازات خاصة ، تفتح امامهن آفاق البحث والارتقاء العلمي

ان اذكى النساء ، في نظر المرأة النازية ، يجب ان توجه عنايتها الى اخلاف النسل ، اكثر من توجهها الى ممارسة ذكائها . والظاهر ان عدد النساء في الجامعات الالمانية في المستقبل ، سوف لا يزيد عن نسبة ١٠ في المائة من مجموع الطلاب . لذلك يجب ان يكون اختيارهن دقيقاً كل الدقة

طريقة الاختيار هي انتخاب المتفوقات عقلاً وذكاء من النساء اللواتي عرفن بامكان الاعتماد عليهن من الناحية السياسية ، فيسمح لهن بالانتظام في سلك الجامعات . وعلى الفتيات قبل بدء حياتهن الجامعيـة ان يشتغلن ستة اشهر في « معسكرات العمل » حيث تتعلم الفتيات اعمال البيت ، بعدهن تمرينهن فيها ليتقلدن زعامة الحركة الالمانية التي شعارها « العودة الى الارض» . فاذا زاد المواليد في المانيـا كما يتوقع زعمـاؤها ، اقتضى ذلك توسعها ، اما شرقاً (على ما يرى هتلر في كتابه « كفاحي » ولـكن هذا متعذر الآن بسبب معاهدة الصداقة وعدم الاعتداء التي عقدت بين المانيا وبولونيا لمدة عشر سنوات) او في المستعمرات الالمانية القديمة بعد استردادها او استرداد بعضها ، وعندئذٍ يكون لهؤلاء النساء الشأن الاكبر ، في استعمار الاراضي الجديدة

وقد قل في المانيا شأن النساء اللواتي يبالغن في الانفاق على الملابس ووسائل التجمل ، حتى نجد ممثلة مشهورة من ممثلات الصور المتحركة مثل « بريدجت هلم » تقول لمن يقابلها من رجال الصحافة ، مشيرة الى لباسها : لا يمكنك ان تعلم انني كوكب سينمي ! وقد عني رجال النازي في اول عهدهم بدعوة النساء الى الاستغناء عن وسائل النطرية والتجمل والتبرج فصار الوجه الذي لا تغطيه المساحيق ، موضعاً للاستحسان

اما النساء اللواتي تلقين العلم العالي ، فقد سدت في وجوههن ابواب الرزق او كادت ، لان وقفهن نحو الزواج واخلاف النسل ، مما لا يروق زعماء النازي . فالمدرسات اللواتي كن يدرسن فرق العالية في مدارس البنات ، قد حل محلها في الغالب مدرسون ، او عهد اليهن في تدريس فرق الصغيرات ، يدلك على ذلك ان مدرسة الرياضة في مدرسة بثورنجيا ، اضطرت الى التخلي عن تدريس المسائل الرياضية اللذيذة والاكتفاء بتدريس : (اثنين زائد اثنين يساوي اربعة)

ثم ان الطبيبات لا ينلن من اولي الامر اي تشجيع على المضي في ممارسة صناعتهن

اما موظفات الحكومة فكن قلائل في العهد السابق ، وكان جلهن من اليهود والاشتراكيين فهؤلاء فصلن من وظائفهن طبعاً ، وحل رجال محلهن

وكان الظن في بدء العهد الهتلري ان الكواتب على المكتاب (تيب رايتر) في الشركات والبنوك سوف يستغنى عنهن ليحل الرجال محلهن . ولـكن اصحاب هذه الاعمال ومديريها رفضوا الاستغناء عنهن . وكذلك البائعات في المخازن الكبيرة . اما العاملات في المصانع فقد استغني عنهن بوجه عام ، بيد ان الدكتور لاي Ley زعيم « جبهة العمل » قال ان ذلك يجب الا يكون اطلاقاً لانه من العبث الاستغناء عن النساء في اعمال يجدنها اكثر من الرجال

فالاتجاه العام في المانيا النازية ، هو حصر عمل النساء في البيت وخدمته واخلاف النسل والاستعداد بالتمرين لاستعمار الاراضي الزراعية مع رجالهن ، والاعراض جهد الطاقة عن التعليم العالي والاعمال التي يستطيع الرجل ان يتولاها

الفروق الجنسية

بين الرجل والمرأة

فصل من كتاب « علم النفس » الجزء الثالث

تأليف محمد عطية الابراشي وحامد عبد القادر

ان الرجل لا يختلف عن المرأة من حيث كونه فرداً له مزاجه وطباعه وسجاياه الخاصة فحـ
ولكنهُ يختلف عنها أيضاً من حيث كونه رجلاً ، كما انها تختلف عنه من حيث كونها امرأ
ان الاختلافات الجنسية والجثمانية الهامة المشاهدة بين الرجل والمرأة تعد موازية لاختلافات
ليست بأقل منها أهمية . والمعقول ان يكون لهـذه الاختلافات الجنسية العقلية آثار في السلو
وان التاريخ الانساني يبرهن لنا على ان وظائف المرأة لم تكن في يوم من الايام مثل وظائف الرجـ
الحياة ، وان قانون الرقي المستمر الذي يعمل عمله في الحياة الانسانية يبرهن لنا على ان الرقي لا
ان يكون الا بتوزيع الاعمال ، وتخصص كل من الجنسين لأعمال خاصة ، وعلى ان التخصص
الاعمال والوظائف يتبعه على مر الزمن تغير ظاهر في التكوين الجثماني

وليس لنا ان ننتظر التقارب والتشابه الشديد بين الجنسين الا اذا كنا ننتظر ان نقترب
الحياة الساذجة الاولى ، فمن المشاهد ان اختلاف الجنسين ليس من الظهور بين الامم المتوحشة
هي بمعزل عن الحضارة كما هو بين الامم المتمدينة

ولا تزال الحوادث التاريخية تبرهن لنا على ان مساواة المرأة بالرجل في الاعمال والوظائف تؤ
الى انقلاب اجتماعي . وقد يؤدي هـذا الانقلاب الى ثورة عنيفة ضد النظم والقوانين الاجتما
لا يعلم الا الله تعالى مصيرها

وليس هنا موضع الكلام على هذه الثورة ، ولا البحث فيما يكنه لنا المستقبل ، ولكننا نريد
نقول ان المشاهدات والتجارب قد برهنت على ان المرأة ليست كالرجل في الاستعدادات الجسمية
ولا في المواهب العقلية ، ولا في النزعات الخلقية

وأهم ما بينهما من فروق : —

﴿ ١ — ان المرأة تنظر الى العالم متأثرة بوجدانها اكثر من الرجل ﴾ فمزاجها أقرب ما يكـ
الى المزاج الانفعالي ، ويشتد تأثرها بجمال الاشياء وتناسبها مع بيئاتها ، وتقل عنايتها بالافـ
المجردة ، واذا حاولت التعميم والوصول الى قواعد كلية فانها لا تعنى بالتحليل والتدقيق والبـ
العميق ، وهذا هو السبب في أنها تميل الى التسرع في الحكم والخطأ في التطبيق

وكراهة التحليل المنطقي العميق الذي يصل بهِ الرجل الى القوانين العلمية الصحيحة يعد من اهم ما تمتاز بهِ المرأة عند الرجل

﴿ ٢ — ان المرأة عملية اكثر منها فلسفية ﴾ أما الرجل فيميل الى النظر ، ويجنح الى التفلسف والتدبر والتفكير في العواقب فاذا رأى خطراً محدقاً بهِ فكر في طرق تجنبه وهو هادىء الفكر مهما اعتراه ألم او ضجر وقد يثور أو يغضب او يسب ويلعن اذا لم يصل الى نتيجة مرضية ، اما المرأة فانها تبكي وتصيح وتولول في وجه الخطر ، وقد يعتريها اضطراب يمنعها من التفكير والتروي

والرجل ينظر الى دواخل الاشياء وبواطنها ، ويعتد بقيمها الذاتية الحقيقية وحقائقها الواقعية ، لا يغتر بظواهرها ، اما المرأة فتغرها الظواهر ، وتعجب بحسن المنظر وان ساء المخبر ، فالجواهر الرائقة ، الحسنة الشكل ، المنسجمة الصوغ تقع لديها موقعاً حسناً — وان كانت قليلة القيمة في ذاتها

﴿ ٣ — ان الرجل مستعد بطبيعته وقواه الجسمية الى الزعامة والقيادة ﴾ لقدرته على التصرف في المواقف الحرجة ، وعلى الابتكار للخروج من المآزق بسرعة ، اما المرأة فانها لا تبلغ منزلة الرجل في ذلك ، وان كانت تفوقه في الصبر والجلد ، والقدرة على المقاومة ، والسرعة في التنفيذ ، لذا يقال ان الرجل اكثر استعداداً للتشريع والابتداع ، اما المرأة فأكثر استعداداً للتنفيذ ، ومن ثم كانت الأغلبية الغالبة من القادة والمشرعين والمبتدعين من الرجال ، ولم يعرف عن امرأة انها ابتكرت في عالم العلم،[1] او ابتكرت آلة قيمة ، وهي بصبرها ، وقوة وجدانها وحنوها ، وشفقتها ، مستعدة استعداداً طبيعيًّا لأن تكون أمًّا ، وطبيبة وممرضة ، وسلوة للرجل اذا حلت بهِ النكبات ، او استولت عليهِ الهموم ، او تحكمت فيهِ الامراض

وان هذه الاختلافات والفروق التي بين الرجل والمرأة لتظهر واضحة جلية بعد النمو والكبر ، اما في عهد الطفولة فان هذهِ الفروق تكون يسيرة غامضة : فالذكر والانثى لا يكادان يختلفان عند الولادة ، وبعد ذلك تأخذ فروق ما في الظهور ، فأنت اذا رأيت طفلة صغيرة سنها اربع سنوات لا تشك في أنها بنت صغيرة بمعنى الكلمة واذا رأيت طفلاً صغيراً في هذه السن علمت انهُ غلام صغير بمعنى الكلمة أيضاً . والبنت في العادة تسبق الغلام في القدرة على الكلام ، وقلما تصاب باضطراب في اعضاء التكلم، ومعنى ذلك ان المراكز العصبية والخيوط العصبية الوصلية المرتبطة بالتكلم تنمو في الطفلة قبل نموها في الطفل

ويلاحظ ان لعبها يختلف في النوع والاسلوب عن لعب الطفل سواء ألعبت وحدها ام مع غيرها لما ينقصهُ النشاط في الحركة ، وسعة النطاق التي تلاحظ في لعب الغلام . وهي تصل الى مرتبة اللعب التقليدي قبل الطفل، وتبقى في هذه المرحلة مدة اطول منهُ . ومن المشاهد انها تولع حتى في الطفولة الاولى باللعب بالدمى ومعاملتها معاملة الأطفال ، فتلبسها ملابسها ، وتحملها الى مراقدها

(١) المقتطف : ألا تستثنى مدام كوري على الاقل ؟

وتحاول إطعامها ، كما انها تحنو على الحيوانات الداجنة وتطعمها كما ستفعل لها الفرصة ، اي تحاكي امها في اداء وظيفتها ، كأن طبيعتها تملي عليها انها ستصير يوماً ما من الامهات

والبنت تفوق الغلام في إظهار شعورها بحدة ، فهي تضحك وتبكي بصوت مرتفع ، و تأثرها بيئتها بسرعة وشدة ، ولكنها تميل الى الانكماش والازوراء والمقاومة السلبية إذا أ أحد ، في حين ان الطفل يحتد ويقاوم مقاومة ايجابية عند الغضب

والبنات لسن كالبنين عند حصول نزاع فيما بينهن ، فهن يشكون ويبكين ويسببن ، في البنين يتقاتلون ويتضاربون ، ويهاجم بعضهم بعضاً مهاجمة فعلية ، كأن طبيعتهم تملي عليهم سيصيرون رجالاً مسئولين عن الدفاع عن انفسهم وعن ذويهم

والنزاع لا يحسم بين البنات بصفة نهائية ، ولكن آثاره تبقى مدة طويلة ، وقد يسعى في الكيد والدس لبعض . ولكن البنين كثيراً ما يتصالحون ويتصافون بعد انتهاء التشاجر

وفي الغالب يتلون التنافس بين البنات بألوان سيئة ، وأخلاق مكروهة ، كالحقد و وحمل الضغينة ، لا سيما ضد من كانت منهن موضع الثقات وعناية من بعض الاقارب او

وتظهر الفروق التي بين الجنسين من الناحية الادراكية في المواد التي تحتاج الى بحث و استنباط وابتكار ، فالبنات يساوين البنين بل يفقنهم في السنين الاولى من سني الدراسة التي التعليم فيها محصوراً في دائرة المحسوسات،إذ أنهن يستظهرن المعلومات بسهولة ، ويعنين بال والنظام ، والدقة في عمل التمرينات التي يعملنها ، ويقدرن الجمال تقديراً حسناً ، وانما يولعن قبل ان يولع به البنون ، ويجدن الكتابة الانشائية في اول الامر ، ويحاكين على محاكاة ما في كتب الادب ، او على ما كتبه لهن الاساتذة . وهذا يظهر جلياً في القصص ، فالحكا ينشئها الغلام تكون في الغالب مفككة الاوصال ، أما الفتاة فتنسج حكايتها نسجاً محكماً . الاجزاء كامل العناصر ، وتسير بالقارىء الى نقطة الموضوع الهامة سيراً متسقاً

ولذلك نرى ان الغلمان يكذبون ، ولكن كذبهم يظهر ، لانهم لا يجيدون التلفيق . فيفتقهم على العموم في اجادة هذا الفن . وقد دلت التجارب على ان كذب البنات اكثر من البنين ، وان كذبهن يتأثر في الغالب بنزعات واغراض شخصية ، فقلما تكذب البنت لا أما الولد فكثيراً ما يفعل ذلك . والحق ان الغلام المربى تربية حسنة لا يكذب مطلقاً لا الغرض ، فالأولاد تنقصهم المهارة ، والتظاهر بمظهر المتأكد عند الكذب . اما كذ فنمق ملطف ، مفرغ بصيغة توهم السامع ان ما قيل هو الحق الصراح . وهذا نوع من اللغوية ، وهو أساس الفرق بين الرجال والنساء في وصف الحوادث الخارجية ، وتقدير فالحق عند الرجال ما كان مطابقاً للواقع — بصرف النظر عن شكله أو صيغته . اما النساء فالح أنهن يخدعن بالشكل الظاهري ، وبالصيغة ، والانسجام ، والزخارف

معاهدات الصلح

جو الحرب في المؤتمر

انقضى شهران على عقد الهدنة (١١ نوفبر ١٩١٨) قبلما اجتمع مؤتمر الصلح في باريس . وكان بعضهم قد اقترح ان يعقد المؤتمر في مدينة جنيف ، حيث يكون بعيداً جهد الطاقة عن روح الحرب التي تسود جوّ العواصم الكبرى . ولكن الحكومة الفرنسية اصرّت على رغبتها في ان يوقع الالمان معاهدة الصلح في ردهة المرايا في قصر فرساي ، حيث اعترفت فرنسا بهزيمتها سنة ١٨٧٠ . فلما اجتمع المؤتمر كان خلواً من ممثلي الدول المركزية، لانّ القرار كان قد تمّ على ان تمنع المانيا وحلفاؤها من الاشتراك في وضع معاهدة الصلح ، وان تملى شروطهُ عليها إملاء . ولكن المانيا كان قد وثقت بالرئيس ولسن ، وولسن كان قد جاء باريس ليحضر المؤتمر ويشترك في وضع المعاهدة. وليس ثمة شكّ انهُ قابض على مفتاح الصلح بكلتي يديهِ . ذلك ان دول الحلفاء كانت مدينة للولايات المتحدة ومعظم دول اوربا المركزية كانت تعتمد على جمعيات الاغاثة الاميركية في انقاذها من الموت جوعاً . لذلك توقعت المانيا صلحاً قائماً على النصفة والعدل ، وفصلاً سريعاً في المشكلات التي تحتاج الى فصل . غير أن المانيا لم تحسب حساباً لجوّ باريس . ذلك ان كلّ دولة ودويلة من الدول المتحالفة المشتركة في الحرب ، كانت قد بعثت بمندوبيها الى باريس ، وكان كل ممثل مصمّماً ألاّ يغادر باريس الاّ وقد اصاب نصيباً من الغنائم والاسلاب . فكان الامل في سرعة الوصول الى اتفاق املاً خلّباً . اما من حيث النصفة والعدل ، فاين السبيل اليهما ، وباريس ما تزال تغلي بحمى الحرب واحقادها وضغائنها . كان زعيم الوفد الفرنسي المسيو جورج كلمنصو ، قد صرّح بان غرضه سحق المانيا . وكان زعيم الوفد البريطاني المستر لويد جورج ، قد فاز — قبيل ذلك — في انتخاب بريطاني عام وشعاره فيه «احملوا المانيا على الدفع» و «يجب ان نشنق القيصر» . ثم كيف تخبو الضغينة على المانيا في بضعة اسابيع او بضعة شهور وهي التي ولّدتها في النفوس دعاية قوية منظمة خلال اربع سنوات ؟ طغت هذه الضغينة على النفوس كأنها الأتيّ لا حيلة لك في صدّه فوقف ازاءها الرئيس ولسن حائراً عاجزاً

وكذلك اجتمع في باريس ممثلو الارمن الذين نجوا من الذبح ، ووفود الفرس ، ومندوبو العرب

ثت التجارب التي قام بها كثير من العلماء في ظروف مختلفة ان البنين يفوقون البنات — عليم الراقي — في العلوم والرياضيات ، وان البنات يفقن البنين في الفنون كالرسم والتصوير الادب وتعلم اللغات

ثت اللجنة الاستشارية بوزارة المعارف الانجليزية سنة ١٩٢٢ الفروق التي بين البنين هذه الناحية ، مستندة في ذلك الى الدرجات التي حصل عليها كل منهما في امتحانات علية فتبين لها :

درجات التي حصل عليها البنون كانت اعلى في الرياضة — ومنها الحساب ، وفي الطبيعة ، واللغة اللاتينية ، وكذلك في الجغرافية الطبيعية

نات فقن البنين في اللغة الانجليزية ، والتاريخ الانجليزي ، وعلم النبات ، والجغرافية ، سية كتابة ومحادثة ، وكذلك في الرسم والتصوير »

لفروق راجعة الى الفرق الاساسي الذي لخصهُ مسيو لافت بقوله : « نستطيع ان نقول موم : ان المرأة على ما يظهر تتأثر بالحقيقة الحسية الواقعية اكثر مما تتأثر وتعنى بالفكرة ا معشر الرجال نعني بالعلاقة بين الاشياء اكثر مما نعني بالاشياء ذاتها ، وان عقل المرأة يات اكثر من عقل الرجال الذي يسبح في عالم المعقولات اكثر من عقل النساء »

يد تيرمان[1] ان الكتب التي يميل البنون الى قراءتها وهم في الحادية عشرة هي كتب والاقاصيص المشتملة على مغامرات غريبة ، وكتب الميكانيكا والطيران والكهرباء ، وكتب لكشف ، وكتب العلوم الطبيعية وغيرها

***

ت فيملن في تلك السن الى القراءة في كتب العشق ، وفي كتب القصص المتعلقة بالحياة ربية ، وفي الكتب المتعلقة بحياة الحيوان والنبات والازهار او بفلاحة البساتين ، ولا تب العلمية او الميكانيكية

يد تيرمان ايضاً ان البنين في الرابعة عشرة يميلون كثيراً الى قراءة المجلات ، ويحبون رياضة البدنية وعشاقها ، ويزداد شغفهم بكتب الميكانيكا ، وبتراجم الرجال ، وكتب حكايات الغابات والادغال

لبنات في هذا السن الى القراءة في المجلات ايضاً ، ويشتد ولعهن بالاقاصيص الغرامية ، يحفلن كثيراً بحكايات المغامرات ، ولا بكتب الاطفال

ختبر « جوردان » عدداً من البنين والبنات ليعرف انواع الكتب التي يحب مطالعتها كل الى النتيجة المبينة في الجدول الآتي

(1) Terman. See. The Psychology of Adolescence, by F. D. Brooks I

المادة	النسبة المئوية من ١٢ — ١٣ سنة		النسبة المئوية من ١٤ — ١٦ سنة		النسبة المئوية من ١٧ — ١٨ سنة	
	بنون	بنات	بنون	بنات	بنون	بنات
حكايات خرافية عن الكبار	١١ر٧	٣٤ر٦	١٣ر٩	٤٨ر٣	٢٤ر٦	٥٦ر٩
حكايات خرافية عن الصغار	٣ر١	٣٨ر٥	٢ر٥	١٧ر٣	١ر٩	٩ر٧
كتب المغامرات	٦٢ر١	١٩ر٧	٦٣ر٣	٢٥ر٤	٥٢ر٨	٢٧ر١
كتب التراجم	٣ر١	٦ر	٢ر٣	٨ر	١ر٣	١
كتب التاريخ	٢ر٣	—	٥ر	—	١ر	—
كتب الشعر	ر٥	—	١ر٢	١ر٦	٣	٢ر٦
كتب العلوم	—	—	١ر	١ر	١ر	١
كتب الاسفار	—	—	١ر	—	١ر	—
كتب المعلومات العامة	ر٥	٢ر	٦ر	—	٦ر	—
كتب المزاح	٩ر٩	٢ر٥	٧ر٣	٣ر٣	٨ر٥	١ر٩
كتب فنون مختلفة	٣ر	٤ر	١ر	—	١ر	—
لا يولعون بشيء خاص	٦ر٥	٣ر٥	٨ر١	٣ر٢	٨ر٩	١ر٧
	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

ولا يجولنّ بخاطر القارىء الكريم ان معنى هـذه التفرقة استصغار شأن المرأة او الحط من كرامتها ، اذ ان التفرقة لا تستدعي الحط من الكرامة وصفات المرأة الخاصة لم تنشأ عن تأخرها في سلم الترقي ، ولكنها نتائج طبيعية للاتجاه العام المستمر نحو التخصص وتوزيع الاعمال

يقول فوييه : « ان المرأة لم تتأخر عن الرجل بل انها سارت معهُ جنباً لجنب ، ولكن تقدمها دائماً الى الغاية التي ترغمها طبيعتها على السير نحوها »

ويقول جيمز ولتون :[1] « ان قياس قوة المرأة الفكرية بقوة الرجل قياس باطل ، وان استنباط ان الرجل اعلى منزلة من المرأة من عجزها عن التفكير الفلسفي استنباط كاذب . نعم ان تقدير الرجل للقوانين والاحكام العامة شيء ، وتقدير المرأة للامثلة والنماذج الحسية المادية شيء آخر ، ولكنا لانستطيع ان نقول ان هذا اقل منزلة من ذلك ، فكل منهما ضروري في الحياة ، والمرأة باتجاهها الى ناحيتها الخاصة تكمل الرجل في اتجاههِ الى ناحيته ، كما انهُ باتجاهه الخاص يكمل المرأة في اتجاهها فكل منهما مكمل للآخر »

« فليست المسألة مسألة تفضيل الرجل على المرأة ، ولكنها مسألة بيان اختلاف كل عن الآخر

(1) See : The Psychology of Education, P. 131—132

الصفات الجسمية والعقلية ولذا نعد عبثاً كل محاولة عملية يقوم بهما المجتمع ، وكل منهج تسير
ه الامة يكون الغرض منهُ جعل المرأة مثل الرجل في قواه العقلية ، لانها تكون حينئذٍ محاولة
، ومنهجاً مبنيًّا على اساس سيكولوجي واهٍ لا يلبث ان ينهار »

ويهمنا كثيراً ان نلفت نظر القارىء الى ان هذا البحث يفضي بنا الى نتيجة عملية لا نزاع في
ا هي : انهُ ليس من الحزم في شيء ان نرغم البنت على ان تسير مع الولد جنباً لجنب في ادوار
ليم ، او ان نجمل المناهج التي نسير عليها في تعليم البنين مثل التي نسير عليها في تعليم البنات ،
كل ميول واستعدادات ، ولكل وظيفة خاصة في الحياة تنتظره . فلنعد كلا لوظيفته خير اعداد
مين في ذلك ما تمليه علينا الطبيعة البشرية ، وما يرشدنا اليه القانون الالهي الاعلى ، الذي يأبى
ان يكون الرجل رجلاً ، والمرأة امرأة

اننا ان خالفنا تلك الطبيعة البشرية ، وخرجنا على ذلك الناموس الالهي فاننا نعرض ابناءنا
خطار اجتماعية ربما لا يستطيعون مقاومتها ، ونقع في اخطاء تعليمية قد لا نستطيع إصلاحها

سر النوم وقرب حله

علاج للارق والامراض العصبية

يعمل نفر من علماء مستشفى الامراض العقلية في هوايتشرتش بلندن ويبذلون همة عظيمة لحل
يعد من اهم الاسرار الطبيعية وهو لغز النوم لكشف الحجاب عن سره وهم يأملون انهُ
يمضي طويل حتى يستطيع الطبيب جلب النوم الطبيعي الى المريض الذي يعالجه اذا برح
الارق مع الداء ولا سيما اذا كان من المصابين بالنورستينيا فيخلص بذلك الوفاً من الذين يموتون
سنة لان الارق ينهك قواهم او يساعد امراضهم على الفتك بهم

والمبدأ الذي اتخذوه اساساً لبحثهم هو ان الغدد النخامية التي في قاعدة الدماغ تفرز شكلاً
اشكال البرومين وان سبب النوم اطلاق البرومين لسريانه مع الدم

وقد وصف طبيب معروف في مستشفى تشارنغ كروس معنى هذا الاكتشاف لعالم الطب
ل : ان خلو النوم ثماني ساعات من الاجلام والتقطع المزعج يعود بأعظم فائدة على المرضى
لمصابين بالارق . فلذلك يعد هذا الاكتشاف اعظم نعمة على البشرية لان المريض او المؤرق
ي ينام نوم العافية بلا تقطع ينسى كل شيء في نومه فيزول المه كما يفعل السحر فاذا صحا من نومه
لا لم على حاله في ساعات يقظته امل ان ينام نوماً هادئاً في الليلة التالية وهذا مما يساعده على التغلب
الداء لانه ينبهه تنبيهاً معنويًّا اذا صرفنا النظر عن التأثير الطبيعي ويسبغ عليه شجاعة لمحاربة الداء

ان النوم اعظم لغز في العالم ولا يعلم احد سببه الحقيقي فاذا تمكن اولئك الباحثون من
يقولوا لنا ما هو كان لهم فضل عظيم على الطب وعلى النوع الانساني

مهام المرأة في الحياة

للمسز روزفلت

سيدة البيت الابيض

نشرت المسز فرنكلين روزفلت قرينة المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة هـذا المقال احدى الصحف الاميركية وهو ينطوي على كثير من الاختبارات والآراء النافعة فلخصناه فيما يلي

صرت جدة واريد الآن ان اذيع اني بلغت الخمسين من عمري من دون ان اشعر بذلك وا قدر لي ان اعيش السنين السبعين التي تمنحنا اياها التوراة فاكون قد طويت الآن من عمري ثلث

اسمع كثيرين وكثيرات يلقون عليّ السؤالين الآتيين :—

لماذا تظهرين يا مسز روزفلت بمظهر الشباب ولماذا لا تزالين تنهضين باعباء اعمالك كأنك في مقتب العمر مع انك اصبحت جدة ؟

ان هذين السؤالين يثيران فيّ عاطفة الاعجاب ولما كنت لا ازال اشعر انني في نضارة الشبا لم يخطر لي قط ان اسأل هل اخذ دبيب الشيخوخة يدب اليّ او هل يهددني الوهن

لا اشعر باني شيخة وهذا لا يمنعني من النفور من الذين يصرون على التصرف تصرف الشب مع ان شبيبتهم قد ولت من عهد بعيد ولذلك احاول غير مرة ان اتذكر باني ادركت سن الكهولة و اسمح لنفسي او لاولادي او لاصدقائي ان ينسوا هذا الامر. ومع كل ذلك فلا اشعر البتة باني شيخة

وقد صرت من عهد بعيد اشعر بوجوب تمتع الانسان بالحياة والتمرس بشتى الشؤون الخطيرة ا تعرض له في حياته فان اكتفاءه بالاهتمام بالامور التي يراها عند متناوله والتي قضت عليه الاجو بالتأمل فيها يحكي بسخافته جلوسه على كرسي وتأمله في الورق الملصق على جدران الغرفة بدلاً النافذة فيجب علينا ان نوسع دائرة افق حياتنا ونتذرع بما يتسنى لنا من الذرائع لفهم حياة غير ونكثر من الاصدقاء في مختلف الاوساط ونطلع على ما يشغل خواطر الناس ويستهويهم

اعرف سيدة تجاوزت السبعين من عمرها وارتاح كثيراً الى محادثتها وتشعر ابنتي بمثل ما اش به من الارتياح الى معاشرة تلك السيدة العجوز ففي صحبتها تزول فوارق السن بيننا ولا نضطر التحفظ من القاء الكلام على عواهنه فكأن تلك السيدة الكريمة قد اكتشفت سر الشبيبة الدائمة و ذلك السر سوى شبيبة الفكر فكم من الذين يشيخون مع بقاء اعضائهم على مرونتها في الجر ينفرون من معاشرة الشبيبة لقد صدئت اداة التفكير عندهم واحاطت بها الاوهام فلا قيمة عند الا للمبادىء التي كانت شائعة في شبيبتهم واصبحت اذهانهم عاجزة عن تقبل المبتكرات الجديدة لا يعرفوا كيف يدربونها على معالجة الجديد فهؤلاء يشيخون قبل وصولهم الى سن الشيخوخة

وهذا ما جعلني ادرك سبب عدم تفاهم الوالدين والاولاد . ولا تقضي علينا الحال بأن نهتم بترويح خاطر الفتيان والفتيات المألفين معنا بمثل اهتمامنا بترويح خواطرنا

وما عرفت واسطة لبلوغ الشيخوخة قبل الآن كتركِ سوانا يعمل لنا كل شيء . فالناشئة الجديدة لنا — من دون اطالة التفكير في ذلك — في مصاف العجائز او الضعيفي البنية لتوهمهم اننا نعجز عمل ما يعملونه لنا . وما نقوله عن الجسم يمكننا ان نقوله عن الفكر وقد لا يتيسر لنا في شيخوختنا سبب الامراض التي تلم بجسمنا ولكننا اذا فكرنا تفكيراً جدياً في ذلك مشينا منتصبي القامة الى القبر ا موقنة ان نشاط الفكر المنوع هو افضل علاج لادواء الجسم

كنت اعرف من سنوات سيدة طاعنة في السن نحيلة الجسم لطيفة المعاشرة فذهبتُ وسيدة في مقتبل الشباب لزيارتها ذات يوم وبعد ما قضينا زيارتنا ورجعنا قالت لي السيدة الشابة هنيئاً لك بمقامك مدينة تستطيعين كلما شئت ان تزوري فيها مثل هذه السيدة الفاضلة التي يسري حديثها الهمّ عن الفؤاد

والحق يقال ان صديقتي العجوز كانت تنسى نفسها وتظهر بمظهر اللطف والرقة والعطف والجودة الذكاء والتساهل وقد اقتبست تلك الخلال من التجارب وكانت تتفنن في طرق ابواب الموضوعات لجها ذاهبة فيها كل مذهب. ويحسن بالنساء الآيسين ان بقاءهن على نضارتهن منوط بحسن صحتهن يجب على كل منهن ان تنظم اسلوب معيشتها بتعيين ساعات النوم ومقدار الغذاء وانواعه ومواعيد تنزه وترويح الخاطر من دون اذاعة ذلك على رؤوس الاشهاد

وما اكثر النساء اللواتي يعنينَ بتربية اولادهن ويهملنَ العناية بانفسهن فالالعاب الرياضية تعد من خصائص المرأة العصرية وهي تشمل رياضة الجسم ورياضة الفكر . ولا ينبغي للمرأة ان تنبذ هذه الرياضة مع تقدمها في العمر فلعبة الجولف مثلاً تلائم المرأة التي هي في الستين من عمرها ملاءمتها للفتاة التي لا تزيد سنها على ثماني عشرة سنة . واذا كانت المرأة قد تعودت ركوب الخيل في العشرين من عمرها فلا مسوغ للعدول عن ذلك حينما تبلغ الثمانين ولكن لا بد لها حينذاك من الاعتدال

أما مهمة المرأة الجوهرية فهي ان تجعل حياتها وحياة الذين تحبهم والذين لها صلة بهم على جانب عظيم من الهناءة والراحة ومن الواجب عليها ان تجعل الحياة محبوبة وذات معنى

فالمرأة التي تعود بالفكر الى الذكريات الماضية تغتبط بان يكون لها الفضل على والديها وزوجها واولادها بجعل روض حياتهم خصباً وجعل شمس البهجة تشرق فيه

واذا شاءت المرأة ان تجعل الذين يحيطون بها راتعين في بحبوحة الهناءة كان امامها مجال واسع للعمل والتفكير ولا يبقى لها وقت لجمود جسمها وقلبها وفكرها . والمرأة الطاعنة في السن لا تخلو حياتها من الفائدة أبداً . أجل انه لا سبيل لها الى المجاهرة بمثل ما كانت تجاهر به من الحب في ايام شبيبتها ولكنها تشتد فيها قوة الفهم والادراك والشعور والحنان مما يساعد الذين تحبهم على المعيشة وفقاً لما تمليه عليهم عواطفهم من دون ان تضطرهم الى العمل بمشيئتها

باب المراسلة والمناظرة

صورة قلمية

ديمتري بك خلاط

بقلم نقولا شكري

كل ما هو خير وقوة في الطبيعة يستحيل في الغالب الى مزايا وصفات سامية في الانسان . كذلك استحال اخلاف النورمانديين الذين انحدروا الى غرب اوربا من ملاّحين وغزاة الى تجار ومستعمرين بسطوا جناح سيطرتهم على جزء من العالم لا تغيب عنه الشمس

ومن الممكن ان يقال ايضاً عن طبيعة الشرقي انها بمقدار ما تختزن من الخير منذ القديم لا تزال تهب الشرقيين مزايا وصفات يندر ان توجد في غيرهم . ولم تكن رمال الصحراء في بوادي الحجاز بخلو من هذه المزية فان العرب قد استحالوا من رجال اكفاء الى فاتحين وحكّام

وكأنما يعد من تقاليد الشرق ان يكون الشرقي تاجراً وفي الوقت نفسه أديباً او عالماً واسع الاطلاع او بالعكس مشتغلاً بالعلم وفي مزاجه حب العمل والتوسع في الرزق بوسائل تنم على ذكائه واتصاله القوي بالطبيعة عن طريق المعاملات المادية

ولقد سبق ان كتبنا عن شرقي كبير من العصاميين الذين استحال فيهم خير الطبيعة الشرقية الى مزايا وصفات سامية ونعني بذلك كبير تجار الخشب الكاتب الباحث أسعد باسيلي

ونود ان نقوي هذا المثل في نفوس النشء بوصف شخصية اخرى من هذا الصنف من الرجال الذين كان اساس نجاحهم يرجع رأساً الى الفطرة . شاعر وتاجر من الطراز الاول لا تزال حياته واعماله مثلاً يستحق ان يقتدى به هو حضرة صاحب العزة العالم العامل ديمتري بك خلاط

قلنا ان خير ما في الطبيعة يستحيل بالعصاميين الى مزايا ومواهب سامية ولعلّ اصدق صورة لذلك تتمثل في ديمتري بك خلاط

بدأ حياته بالاشتغال بالادب والعلم وهي وظيفة لا تزال نعدها من الوظائف الكمالية ولكن يغيب عنا دائماً انها من تقاليد الفطرة الشرقية التي كأنها تأبى ان تقطع شوطاً في سبيل النبوغ والنجاح قبل ان تدل على مواهبها السامية أما في العلم او في الادب . وقد كان نبوغه في التجارة والاعمال المادية الصرفة بعد ان اشتهر اسمه كشاعر وكأديب . وكانت كبريات المجلات العربية

...ت لكتاباته صفحاتها فانتج كثيراً من قبل ان يحقق بذكائه ذلك النجاح العظيم الذي وفق اليه في الاعمال التجارية . ولم يكن من الممكن لرجل دلّ على مواهبه السامية في الادب ان يؤدي مهمته الكبيرة في الاعمال المادية من دون ان يحقق معجزة تميزه وتشير الى فضله وقد كانت العادة المتبعة عهده ان التجار يستوردون بضائعهم من الاسواق الكبيرة في اوربا ولكن دمتري بك خلاط تاجر خالف هذه السنّة بذكائه وجعل يستورد هذه البضائع عينها من مواردها الاصلية فخلق لنفسه خطوطاً تجارية جديدة ساعدت كثيراً على نجاحه . ويجب ان نعترف بأن النجاح الكبير في التجارة ليس بالمهمة الميسورة ولكن دمتري بك خلاط امتاز فضلاً عن مواهبه بالجرأة وهي رأس مال التاجر وربما كانت جرأته هي اساس اتساع معاملاته عند ما اختار ان يكون من رجال الاعمال.وهي تلك الجرأة نفسها التي جعلت منه في بادىء الامر أي قبل هجرته الى مصر كاتباً حرّ الفكر لا يطيق الصبر على الافتئات والازدراء بالحقوق . فقد يذكر لدمتري بك خلاط الاديب تلك المقالات الرنانة القوية التي ثار بها على رجال الحكومة في بيروت وطرابلس الشام وقت ان كان الشاعر الرقيق والاديب السليم الذوق والافكار . وقد استحال ذلك الشاعر عند ما بدت له وجوه النقص التي يكابدها الجمهور الى صحافي جريء لا يهاب تهديداً ولا وعيداً في سبيل نصرة الحق فأفضت حملاته الى قيام النزاع بينه وبعض أهله . بل لقد أفضت الى هجرانه لموطنه وهبوطه مصر حيث صار من رجال الاعمال البارزين

ولم تكن هجرته سبباً في ظهور مواهبه وفطرته الشعرية فقد اشتهر بهذه المواهب وتلك الفطرة وهو بعد فتى في موطنه طرابلس الشام وكان يملأ بمقالاته وشعره اعمدة « الجنان » و« الجنة » اللتين كان يصدرها المرحوم المعلم سليم البستاني فقد خص الاولى بالادب والثانية بالسياسة وربما كان من المستظرف ان نذكر لهذه المناسبة محاولة قامت بها الجنان وقتئذٍ في تعريب قصة « سرفانتس » المشهورة باسماء عربية . وهي محاولة تدل على اخلاص ذلك الجيل من الادباء في جهودهم . ولم يكن شاعرنا وقتئذٍ ينقصه ذلك الاخلاص في اعماله الادبية . بل لقد كان اخلاصه مقروناً بالجرأة وحرية الفكر فكان الى جانب شاعريته وأدبه خطيباً قوي النفس اتفق انه في سنة ١٨٨٩ القى خطاباً في تاريخ التمدن الانساني على غرار خطاب جان جاك روسو في الاختلاف بين حالات الناس « عدم مساواة الناس » ونشر الخطاب في صحيفة الاهرام فكان له أثره العظيم الذي ادى الى تعرفه بتلاميذ جمال الدين الافغاني ولاسيما امير بلغاء ذلك العصر وسيد خطبائهم ونعني به أديب بك اسحق وكان وقتئذٍ يدير جريدة مصر ويحررها . ونحن نعلم مقام اديب بك اسحق وفضله وأثره العظيم الذي خلفه في ادباء العصر الاخير فجعل دمتري بك — وكان لا يزال شاباً مملوءاً حماسة يعمر قلبه الاخلاص والوطنية والشعور القومي — يكتب المقالات والرسائل في جريدة مصر . ولاشك في ان الذين يحفظون ذكرى اديب بك اسحق يغبطون دمتري بك خلاط على الحقبة التي نعم بها بصداقة خطيب عصره

صاحب جريدة مصر . ولاشك ان هذه العلاقة وغيرها لم تكن بلا تأثير في شاعر تأثر . ا
له الزمن القيام بجهود ادبية ومادية من الطراز الاول

وفي الحقيقة ان ديمتري بك خلاط جعل يباري بقلمه واتخذ من جريدتي مصر والاهرام م
لاظهار مواهبه وبلاغته فنشر في الاخيرة رواية «عزة النفس» ضمنها افكاره الحرة عن دياجي الاسا
التي كانت مخيمة وقتئذٍ على افق الشرق وكان ذلك قبيل سنة ١٨٨٢ وكذلك شهد ديمتري بك خلاط
عصر من عصور الادب في مصر ، هو ذلك العصر الذي اشتهر بالاسماء الخالدة التي تستحق منه
واعترافنا بالجميل ، عصر جمال الدين الافغاني ومحمد عبده واديب اسحق وعبد الله نديم وابراهيم اليا
وغيرهم من الذين اقاموا قواعد هذه النهضة وبنوا للاخلاف ذلك الهيكل العظيم الذي نمجده الى ا

وفي ذلك العصر الذي امتاز بتحرره من القيود عاش ديمتري بك خلاط . ولا شك ان ار
بالعلاقات الادبية مع عظماء ذلك العصر قد وهب لتفكيره كثيراً من الحرية والروح العملي الذي
اساس الانتاج . ولما كان ديمتري بك خلاط قد هبط مصر قبيل الثورة العرابية وشهد -
الاسكندرية سنة ١٨٨٢ لم يكن من الممكن ان يشذ عن الحالة التي سادت مصر في ذلك الوقت
عقب خمود تلك الحركة استأنف الناس في مصر اعمالهم وكان ذلك بقوة وجهد عظيمين كما يكون
عقب الفترات التي تشل فيها حركة الاعمال فاختار ان يقف كل جهوده على توسيع دائرة اعماله الت
وكان لا بد ان تعينهُ مواهبه وذكاؤه الفطري على النجاح فكان اول ما فكر فيه كما قلنا اس
انواع من البضائع من مصادرها وعيونها على خلاف ما يفعل سائر التجار ولم يستنفد العمل التج
مع ذلك جهوده فقد كان يسترق الوقت للاطلاع والتأليف ولم يترك وقتاً يفلت منهُ دون ان
رسالة او ينظم قصيدة وكان من حظه وحظ الادب وقتئذٍ ان قدم استاذه وصديقه العلامة الدكـ
يعقوب صروف مع رفيقه الدكتور فارس نمر فنقلا الى القاهرة ادارة المقتطف وانشآ بالاشتراك
المغفور له شاهين بك مكاريوس جريدة المقطم فظل من ذلك الحين يوالي المقطم والمقتطف بمق
وقصائده . ونذكر انهُ في سنة ١٨٨٨ نشر في المقتطف قصيدة سماها « القصيدة الهندية » وهي
بدائع الشعر العصري ومن خير ما نظمه شاعرنا منها قوله : —

أراك في يقظة من لوعة الألم ... إني شبيهك مكلوم فمي كلمي
أصغي ولا تعجبي مما أصبت به ... اني سعيت الى حتفي على قدمي
وقد حصدت ثمار الوجد يانعة ... لما زرعت بذور الضر والنقم
وهكذا الذنب مصفوع بنقمته ... وصاحب البر لن يشقى ولم يُضم

وقد نشرت هذه القصيدة في خير صحف العلم والادب في الشرق العربي وفي مصر حيث امتا
الاكثرية بتذوق الشعر الجيد وتقديره . تقول انه بلغ من استحسان القراء لهذه القصيدة
المقتطف اعاد نشرها كاملة بعد سنوات

دمتري بك خلاط الرجل الذي كان حب الاطلاع قد استحوذ على ذهنه ، وكان شغفه والطريف مزية لمواهبه كشاعر عصري وأديب ملم باللغات الحية ينقل عنها مختارات الرسائل سليم ومقدرة فائقة — كان من الطبيعي ان تحمله مهنته كتاجر الى القيام برحلة واسعة في انحاء فجعل زيارته لمعرض باريس الذي اقيم سنة ١٨٩٠ وسيلة لتحقيق هذه الرحلة التي اطلع فيها على الصناعة والتجارة في العالم المتمدن وقيد ملاحظاته كتاجر واسع المعاملات او كاديب دقيق ميال بفطرته الى الطريف من الاشياء فجاب اوربا غرباً وشرقاً وزار متاحفها والاوساط وة ورافقته في تلك الرحلة زوجته الفاضلة وهي من السيدات المستنيرات تجيد مع لغتها العربية ليزية والفرنسية وتحسن الكلام بالايطالية واليونانية والالمانية . ونعلم ان والدها المرحوم الله كرم عني بتثقيفها عناية كبيرة ونعتقد ان من النعم الكبرى ان تكون الزوجة مستنيرة ك زوجها إفكاره وطباعه وتعينه في جهوده كذلك كانت مدام دمتري بك خلاط وقد جمعت الى الاستنارة اخلاقاً سامية وتواضعاً كبيراً ولا تزال تساعد زوجها في اعماله وتقيد ما يمليه عليها ان حال الداء الذي اصابه في عينيه عن ادائه لهذه المهمة

ولما عاد من رحلته وضع كتابه النفيس الذي اسماه « التسمير في السفر » وضمنه ملاحظاته اهداته وظهرت في ذلك الكتاب مواهب الشاعر والاديب الاريب في تصوير المدن والناس ف العادات ولولا انه اصيب منذ سنوات بداء كان يوشك ان يودي بحياته وكتب له الشفاء ما انقطعت اعماله الادبية الجليلة التي كانت نواة مجده ونجاحه الكبيرين في ميدان الاعمال

ولقد زرت دمتري بك اخيراً في منزله وسرني ما شاهدته في فردوسه الارضي كما يسميه سب هذه التسمية دليلاً كبيراً على حب الشاعر التاجر لمغناه الذي تتولاه سيدة من انبل العقيلات تلهن خلقاً فانشدني ابياتاً فكهة شكا بها الداء الذي اصابه في عينيه « كتراكت» وحجب النور ا ضمنها مصراعاً من شعر لبيد قال :—

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وسؤال اهلي ماذا تأكل في غد
أكبيبة ام سمكة مشوية ... ام لون أرز بالفراخ مزود
ام هل تروم السير في سيارة ... تطأ الثرى في خفة كالهدهد

ومنها :— كلاّ . فما من لذة مذ مقلتي ... حرمت قراءة كل سفر جيد
حسبي ضباب بالعيون مخيم ... في كل آن بالظلام مهددي

وانشدني قصيدة اخرى عن الحرية قال — :

جاءت مقنعة بالحلم زائرة ... تشق صدر الدجى في طلعة الفجر
فقلت يا مرحباً بالله البعاد فهل ... يبقى الحجاب على محياك والنحر
هلاّ تميطينه قالت أتضمن لي ... رؤيا الرقيب فيدري كامن السر

ومنها :— تورعت من هوى المحبوب في زرد يرد سهم العدى بالذل والكسر
والحب ليس جميلاً الا صادفه قولاً وفعلاً شريف القصد والفكر
ومنها :— بالله يا معشر العشاق فانشدوا وقلبوا الرأي بين الحلم والصبر
فهل تظنون قلبي كرة صنعت للعبة الناس بين الكر والفر
ومنها :— هل حالة القفص المصنوع من ذهب لنفسنا فرج من خيفة الحصر

وبقي ديمتري بك خلاط ينهض بأعماله التجارية خير نهوض من دون ان ينقطع عن الاشت
بالكتابة والشعر. وفي سنة ١٩٢٠ نقلت جرائد سوريا قصيدته اللبنانية التي نشرها في المقطم يؤيد
رأي اللبنانيين في ضم مدن صيدا وبيروت وطرابلس الى لبنان بعد انفصالها عنه سنة ١٨٦٠ وكا
منه بمنزلة القلب من الجسم فأفضى السعي الى ان رفعت الدولة المنتدبة ذلك الجور عن لبنان واعا
الى حدوده القديمة واطلقت عليه اسم لبنان الكبير

وكذلك كان شاعرنا الجليل موفقاً الى القيام بجهود مثمرة في دائرة السياسة كتوفيقه
الشعر والادب

وفي غضون ذلك كان تقدير صفات ديمتري بك خلاط من جميع الذين عرفوه وعرفوا فضله ومو
فانعم عليه سنة ١٩١٧ برتبة البكوية تقديراً لمكانته وكان من قبل قد اشترك في عضوية ب
الشركات والجمعيات لاسيما مجلس ادارة البورصة ومجلس ادارة شركة الملح والصودا والجمعية الخ
للسوريين الارثوذكس وهو الذي تولى تصفية البورصة من المساهمين وكان وقتئذ قد ا
مكانته العظيمة في الدائرة التجارية مقدار ما ذاعت شهرته كاديب وشاعر . وفي سنة ١٩٢٦ انع
عليه الحكومة البلجيكية بنشان رفيع تقديراً لمكانته وجهوده في سبيل شركة ترام الاسكندرية وال

***

هذه الحياة الكبيرة الحافلة بالاعمال والانتاج القيم التي جعلت من ديمتري بك خلاط تا
عظيم المكانة تستحق ان نسوقها لشباب هذا العصر لكي يقتدوا بها فان الاعمال المادية لا تم
ابداً الاشتغال بالتفكير المنتج ولا تحول دون الانتاج في الادب . لقد رأينا كيف ان شاعرنا
يقوم بتوسيع علاقاته ومعاملاته التجارية دون ان يمنعه ذلك من الاشتهار في الادب والشعر .
بد من معرفة الصفات التي امتازت بها شخصية ديمتري بك خلاط فهو رغم اشتغاله بالاعمال التج
التي رفعت مكانته قد اشتهر بميوله الانسانية وتواضعه وهدوء نفسه

وديمتري بك قد بلغ اليوم حدود السبعين ولا يزال على عهده من الصراحة والجرأة و
الدقة التي الفها في تنظيم حياته واعماله . ولعل ذلك اظهر صفاته وهي الصفات التي كونت عن
نجاحه . وهو رغم الصبغة الاوربية التي استحوذت على حياته بداعي الضرورات الاجتماعية فان
الحياة في جوهرها تمثل الاحتفاظ بالتقاليد الشرقية .

التي وعدتهم بريطانيا وقطعت لهم عهداً بالاستقلال على يد الكولونل لورنس وغيرهم من افريقية وصينيون ويابانيون وروسيون (لا يمثلون الحكومة القائمة حينئذٍ) وتشكيون وكرواتيون وسلوفينيون ولتفيون واستونيون واوكرانيون ، علاوة على ممثلي الدول الكبرى الظافرة . جاء جميع هؤلاء الى باريس ، ولكلّ مطلب عزيز ، يؤيده بالادلة التاريخية او التوزيع الجغرافي او بحجة العدل المنابط من العُلى . وكان في كثير من هذه المطالب ، جورٌ على العدل وتعدٍّ على التوزيع الجغرافي . ذلك أن كل امة كانت في الغالب ترمي الى ضمّ قطعة من بلاد مجاورة يقطنها شعب غير شعبها ، ولكن المندوبين تآمروا على جهل ولسن ولويد جورج بهذه الحقائق الجغرافية الدقيقة . ثم انهم حسبوا حساباً للمساومة فطلبوا اكثر مما يتوقعون الحصول عليه

مجلس الاربعة

كيف يستطيع مؤتمر مؤلف من ممثلي اثنتين وثلاثين دولة ان يقبل على معالجة هذه المشكلات من دون ان يسرف في الخطابة والجدل العقيم . لذلك تقرّر في بدء المؤتمر ان يعهد الى مجلس مؤلف من عشرة رجال في وضع معاهدة الصلح . ثم تبيّن ان العشرة عدد كبير ، اذا كانت الامم ترغب في الحصول على معاهدة صلح في بضعة شهور . لذلك عيّن مجلس ، مؤلف من ولسن وكلمنصو ولويد جورج واورلندو ، لوضع المعاهدة . وعرف هذا المجلس بمجلس الاربعة . وقد وصف المستر كاينز الكاتب والاقتصادي البريطاني هؤلاء الرجال وصفاً بديعاً في كتابه «نتائج الصلح الاقتصادية» :قال: جلس كلمنصو لابساً قفازيهِ الرماديين على كرسي مغطى بالحرير المطرّز وكأنهُ جالس على عرش . جافيَ الروح خالياً من الامل شيخاً متعباً — ... كان ينظر الى فرنسا ، نظر بركليس الى اثينا .... هي الخير الاعلى في الدنيا ، وليس ثمة غيرها شيء يؤبه لهُ .... اما مبدأهُ في معاهدة السلام فيمكن ان يلخص في انهُ كان يعتقد ان الالماني لا يفهم الا البطش ، وفي المفاوضات لا يدرك معنى السخاء او تأنيب الضمير ، وانهُ في سبيل مغنم ما لا يقف عن ايّة خسة ، فهو لاشرف لهُ ولا كرامة ولارحمة» . ويقابل كلمنصو الرئيس ولسن . قال فيهِ كاينز : «كان الرئيس اشبه بقسيس .... لم يكن عنده خطة يريد ان يجري عليها ، ولا مقترحات عملية تبعث الحياة في الوصايا التي اذاعها من البيت الابيض ... كان في استطاعتهِ ان يلقي عظة بليغة او يرفع دعاء حارًّا الى العزة الالهية ، في كل موضوع من موضوعاتها .... ولكنهُ كان عاجزاً عن تطبيقها تطبيقاً عمليًّا ، على حالة اوربا الراهنة ... وعلاوة على ذلك كان ما يعرفهُ عن احوال اوربا خاطئاً في الغالب . ومع ذلك كان يسمح لنفسهِ ، ان ينفرد كل يوم ، برجال اروع منهُ واوسع حيلةً .... فتأثر بالجوّ الذي يحيط به واصبح يتحدّث في شؤون الصلح ، على اساس الحقائق التي يقدمونها والخطط التي يقترحونها عليه ، وكذلك سار معهم في الطريق الذي اختاروه» . وكان لويد جورج في الغالب ، يوافق كلمنصو ، الذي ما برح طوال المؤتمر

مكتبة المقتطف

عصر التبسيط والتعميم[1]

فتوحات العلم الحديث

. حاجة دائمة الى تبسيط العلوم والمعارف وتعميمها ، لانهُ عصر الجمهور

م التفصيلات العلمية والدقائق الفنية ، ولا طاقة له بدرس المشكلات وحل الغوامض
صر كثرت فيهِ المخترعات التي يستفيد منها ولا بدَّ له من السؤال عن سببها ، ولا
ول صحيح يغنيه ما استطاع ويتيح له ان يعيش في زمانه كما يعيش البصير المدرك
التبسيط العلمي تسد هذه الحاجة وتحقق وجود الانسان في عصره ، لانهُ بغير
ا من تلك الكتب يعاني غربة عن الزمن شرًّا من الغربة عن الوطن ، ونعم الكتاب
ة في مستقرها ويرد العقل الانساني الى زمانهِ ومكانهِ
لماء السبَّاقين من يفهم الدقائق المفصلة في علمهِ ولا يتسع وقته لفهم المبادىء
خرى فقد يبلغ من اتساع الطب والهندسة وعلوم الطبيعة ان يكون الفرق بين
لطب وزميل له في فرع آخر كالفرق بين الطبيب عامة والمهندس عامة ، من حيث
م وأبوابه ، فليست الحاجة الى التبسيط والتعميم مقصورة على جمهرة العامة والسواد
فطاحل العلماء ، بل هي حاجة يدعو اليها فرط العلم وقلة الحظ منهُ في آن واحد ،
ر في الضليع أن يصغى الى حديث عن « المذيع » الذي يسمعهُ باذنيه كأنهُ يصغى
، وليس يجمل بالعالم الزراعي ان يصغى الى حديث عن السماء وشموسها وسياراتها
من الارض التي يزرعها ، وانما يجمل بكل عالم ان يستوفي علمه ولا يجهل الضروري
مو في هذا يلتقي بجمهرة السواد في الحاجة الى مراجع التبسيط والتعميم

---

[1] علم الحديث » اسم الكتاب الذي اصدرته مجلة المقتطف في اوائل سبتمبر ليكون هدية الى مشتركيها
س وسبتمبر سنة ١٩٣٤ — صفحاته ٣٣٦ صفحة قطع المقتطف . وهذا هو المقال الذي
ستاذ عباس محمود العقاد ونشره في الصفحة الادبية من جريدة الجهاد وقد نقلناه بإذن منه

وقد نشأت في اوربا شركات كبرى لنشر الاصول العلمية والفلسفية والادبية في ... التناول مفيد لجميع الطبقات ، فاصبح في مقدوركل قارئ ان يطلع على اغرب الحقائق العلمية ... مفسرة ميسرة في رسائل صغيرة حسنة التمهيد والتقسيم تعطيه ما يغنيه ويريحه مما يشكل عليه . و... جانبي — وانا اكتب هذا — عشرات من المجالات تصدرها شركة ارنست بن في مختلف المعا... الانسانية وقد عهدت في كتابة كل مجالة منها الى حجة عليم بتلك المعرفة، وها انذا أتناول عشراً منها ... ترتيب مقصود ، فاذا المجالة الثامنة عشرة في تاريخ الهند ، والتاسعة عشرة في الاسلام ، والعشر... في عهد الاصلاح ، والحادية والعشرون في الصحافة ، والثانية والعشرون في السكك الحديد... والثالثة والعشرون في المصورين الانجليز بالالوان المائية ، والرابعة والعشرون في فلاسفة العالم العظ... والخامسة والعشرون في الحرب على اليابسة ، والسادسة والعشرون في رؤساء الوزارات الانجلي... والسابعة والعشرون في علم الجريمة ، والثامنة والعشرون في القصة الفرنسية ، وقس على ذلك تن... المعارف واتساع الافق وكثرة الموضوعات ، فاذا فرغت من قراءة الرسالة ولم تستوف كل ما تت... اليه من شرح وتفصيل فأنت واجد في الصفحة الاخيرة منها سجلاً باسماء الكتب المطولة يحـ... لك اهم المراجع واحقها بالاعتماد ويدع لك ان تختار منها ما تشاء للتوسع والاستقصاء

ونحن احوج من الاوربيين الى امثال هذه المجالات او الى تبسيط المعارف وتعميمها وتشو... القراء اليها . ولهذا نرحب كل الترحيب بالسفر الجديد الذي اصدره الاستاذ الباحث فؤاد صرّ... محرر « المقتطف » ونعني به « فتوحات العلم الحديث » فانه سفر حافل بالبسائط الجليلة يد... البحث فيه على نحو ستين موضوعاً من المعارف الانسانية التي تدخل في علم الاجتماع والعمران... علم الفلك والسماوات او علم الطبيعة وألغازها او علم الطب او علم الحياة وما بين ذلك من مبا... يمتزج فيها العلم والفلسفة والتقرير بالتقدير ، وقد افتتحه الاستاذ بكلمة مقتبسة من « هربرت هوفر... رئيس الولايات المتحدة السابق يقول فيها : « ان علماءنا ومستنبطينا اغلى الممتلكات القومية ا... نملكها . كل مبلغ من المال مهما يعظم ضئيل ازاء عمل هؤلاء الرجال الذين يملكون قوة الابد... والتفاني والمثابرة على ترقية الفكر العلمي خطوة خطوة حتى يصلوا به الى البيوت فينشروا فـ... اسباب الصحة والراحة والرفاهة ، اننا لا نستطيع ان نقيس ما عملوه لترقية العمران بكل ار... البنوك في جميع ارجاء المعمورة »

وهذه كلمة بديهية ولكنها ضرورية من رئيس جمهورية يخاطب الناس عامة ، فان الغريب ... نظرنا ان توضع « ارباح البنوك » موضع المقابلة والموازنة لفتوح العقول ، ولكن ربما كان ... الدنيا ملايين يستغربون ان توضع فتوح العقول موضع المقابلة والموازنة لارباح البنوك في ج... ارجاء المعمورة ، فهؤلاء يحتاجون الى تلك الكلمة من رئيس حكومة يعنى بالمنفعة قبل عنا... بالتفكير ، وتحضرنا لهذه المناسبة كلمة الشاعر الالماني الاسرائيلي ... الذي يقول ...

ان ابناء اسرائيل تركوا هيكل سليمان يحترق بما فيه من الحلي والجواهر
لم يستنقذوا منهُ الاّ الكتاب . . . اليس هذا حجة على فضل الكتاب من « آل
النفائس !!

يطلعون على «فتوحات العلم الحديث» انه امتع من قصة واولى بالقراءة من كتاب
بدليل الآثار الذي يتفقده السائح كل لحظة ولا يستمتع بسياحته أو يستفيد منها
وكذلك هذا الكتاب عند من يرى عجائب الكون وألغاز العلم في العصر الحاضر
سحاً ممتعاً ما كان يراه غامضاً مغلقاً لا يتصل بالعقل ولا بالشعور ، وان انساناً
لا يشعر بالحاجة الى استطلاع هذه العجائب والالغاز لهو أغرب من سائح يزور
لوك وقصر أنس الوجود ولا دليل معه ولا اطلاع على التاريخ

***

زاد صرّوف في مقدمته على مقام العلم في الحضارة : « كثيراً ما نسيء فهم الفرق
العملي والبحث العلمي المجرد ، ان البحث الصناعي بطبيعته يتجه الى حل مسألة
الصناع في عملهم ؛ فاذا توصل الباحث الى حل المشكل الذي امامه قضى لبانته
جهده الى غيره جاعلاً همه في كل عمله الوصول الى غاية معينة . اما البحث
يع نطاق المعرفة بكشف نواميس الطبيعة والحياة ، وبعض هذه المباحث قد
يعود — على الصناعات بفائدة اكبر واعم من المباحث الصناعية الضيقة النطاق
مشكلة خاصة . فالبحث الصناعي قد يكون وسيلة لاتقان جزء خاص من المحرك
باح الكهربائي ولكن البحث العلمي المجرد الذي كشف لنا ناموساً واحداً من
جعل كل المحركات وكل المولدات الكهربائية في حيز الامكان ، ولولا كشفه لما
ق»

ستاذ في ملاحظته العلمية الفلسفية . فان الواجب الاول على طلاب الخير للانسانية
وس حب الاستطلاع لانه يدل على سعة الحياة والشوق الى المزيد منها ، ثم
فوائد المعيشية مما يكشفه المستطلعون ويبدعهُ المخترعون : فحب الاستطلاع
لحياة والشعور ، ويزوّدنا بالمنافع والصناعات ، وليس الفرق بين امة رفيعة وأمة
في حب الاستطلاع الذي يؤدي الى اقتحام الجديد من الابواب وفتح المغاليق
ل ما يبدو من علامات ارتفاع الامة ان تتصرف في معاشها تصرف المؤمنين
الامم التي لا يطمح فيها الانسان الى شرف المعرفة الاّ اذا تقدمه الثمن سلفاً من

ما قلّ ودلّ

تأليف احمد الصاوي محمد — مجلدان صفحاتهما ٤٧٨ — قطع صغير — مطبعة دار الكتب

ينعم بعض الناس ، بموهبة النظرة السريعة الخاطفة ، يستجلون بها غامضاً من الغوامض ، ينفذون بها الى كنه عمل من الاعمال او نفس من النفوس ، او يرون بها في حادث عبرة لا يرا الغير ، او يصيبون نكتة قد تجيء هي والعبرة سواء . والصاوي أحد هؤلاء . بل انهُ علاوة ذلك كاتب رسَّام ، يرسم بالكلمات المشاهد والحوادث احياناً ، وخلجات النفس او همسات الضـ او العِبرَ المستخرجة من كل ذلك احياناً اخرى . وهو الغالب . فهو اذا رأى في الشارع فتاة تـ مرفوعة الرأس معتزّة بجمالها مزهوّة زهواً يكاد يبلغ حدّ الصلف كأنها تتحدّى النساء وتكـ للرجال لم يكتفِ بقوله انها مسرفة وانها معتدّة بنفسها ، بل نظر اليها نظرة عاطفية فأسـ اعتدادها بنفسها الى « ان قلبها لا يزال خالياً ، فهي تسير شاعرة باستقلالها ، تقطع الطريق رافـ الرأس لانها ترى من حولها القيود والاغلال . . . . أنا افهم هذا الجبين المرفوع . . . . انهُ ر التحرر من عبودية الجيل ، ولكنهُ رمز لا يطول مداه ، فان الرجل يتربص بهِ . . . . » وفي هـ التعليل كثير من الشعر

او قد تأتيهِ رسالة يستفتى فيها في موضوع عاطفيّ خاص وهو في الوقت عينهِ اجتماعي عام أين تضع قلبها ؟ فيردُّ وفي قوله حكمة خالصة : « نعم يا سيدتي لها حق الحبّ والحياة على شريطة تعرف اين تضع قلبها ، صحيح ان هذا القلب ملكها ولكن ليس للمالك ان يلقي برأس مالهِ كلهِ البحر ويجلس بعد ذلك على الشاطىء يندب سوء المآل ، بل ان المال الضائع قد يعوّض اما القلـ المنكسر فهيهات ان يجبَر . والفتاة المصرية يا سيدتي . قلما تعرف كيف تحب ، لانهُ لاسبيل لها ا اختبار النفوس ، فهي لا تكاد تحبُّ الاَّ الوجوه ، والوجوه كثيراً ما تكون خادعة »

واغلب ما يراه في شؤون المرأة المصرية ونهضتها ومكانتها الاجتماعية متسم بسمة الجرأة والحكـ وقد تكون اقوالهُ هذه في نظر الذين خبروا الحياة في الاوساط الاوربية او في اوربا نفسها ، كلاماً معاد ولكن هؤلاء ينسون ، ان « نسبية » اينشتين ، ليست محصورة في الرياضة العليا والطبيعة

ولهُ كذلك في الاجتماع المصري نظرات ينقد بها ما يراه فيهِ من مواطن الضعف ، في بعـ العادات والتقاليد ، ولكن ذلك لا يحول دون تمجيد ما يراه جديراً بالتمجيد ، مستعيناً علـ بأقوال الحكماء وعِبر التاريخ . بل انك لتقع احياناً على مقطعات في صفحاتهِ هذه ، تنم على شاعر صاحبها مع اننا لا نعلم انهُ نظم او حاول نظم الشعر

ولقد أنصف الاستاذ انطون الجميّل بك في تقديرهِ هذا الكتاب اذ قال في مقدمتهِ : « بعض مقالا « ما قلّ ودلّ » وليد الحوادث اليومية العابرة ، يذهب معها وينطوي بطيّها ، والبعض الآ يتناول موضوعات اجتماعية وخلقية وقومية ثابتة لا تضيع بهجتها ولا تمل جدتها » . فالذين يطلبو

الصاوي التعمق في كل موضوع يتناولهُ ، ينسون انهُ صحافيٌّ ، يكفيهِ في التعليق على حوادث ما تمليهِ عليهِ البداهة التي صقلها الاختبار وحفزها حب الخير ، فيدل على مواضع للبحث والتنقيب والتبسط ، يعالجها المتفرغون لذلك . ولا يصحُّ ان نختم هـذه العجالة في كتاب « ما قلَّ ودلَّ » من غير ان نشير ، الى ان الصاوي — مشتركاً مع مطبعة دار الكتب المصرية — جدير بأعظم الثناء ، على عنايته العظيمة بالناحيـة الفنية من طبع كتابهِ . فالحجم الذي اختاره ، والرسوم التي في صفحاتهِ بها ، والغلاف البسيط الرزين القوي الذي غلفهُ بهِ ، كل ذلك يجب ان يصبح مثلاً للمؤلفين والناشرين يحتذونهُ . فانهُ اثبت ان في إمكان المطبعة العربية، اخراج كتب متقنة الطبع تبهج برؤيتها العين والنفس، وكم من كتاب نفيس كانت بليتهُ في سخف ورقهِ وسقم طبعهِ

تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني

حاكم لبنان من سنة ١٥٩٠ الى سنة ١٦٣٥

صفحاته ٤٥٠ بالقطع المتوسط وثمنه ١٣٥ قرشاً سورياً في الخارج

الف هذا الكتاب حضرة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عضو مجمع اللغة العربية الملكي بمصر وعضو المجمعين العلميين في دمشق وبيروت فجاء حافلاً بالمعلومات التاريخية الطريفة والبيانات المفيدة التي كان اكثرها مجهولاً لدى المشتغلين بالتاريخ . ويحتوي هذا الكتاب على خلاصة وجيزة لتاريخ لبنان في زمن الفتح العثماني استطرد منهُ المؤلف الى الكلام عن نسب الامرة المعنية وعن نشأة فخر الدين الثاني المعني وعن توليه حكم لبنان وعن سفره الى ايطاليا لاجئاً الى حكومتها ثم رجوعه الى بلاده وعودته الى تسلم زمام الحكم وتوسيعه نطاق امارته حتى طرابلس وحلب وفلسطين ودمشق وما تلا ذلك من حرب الدولة العثمانية له والقبض عليهِ وعلى اسرتهِ وارسالهم الى الاستانة وقتله واولاده فيها

وفي الكتاب مباحث وافية عن اعمال المعنّي العمرانية وعن علاقاته بفرنسا وايطاليا ومعاهداته معهما وعن البعثات الدينية الاجنبيةِ وتاريخها في الشام . وعن عادات الامير واخلاقه وعائلته مع رسوم شمسية نادرة . وقد رجع مؤلفهُ الفاضل الى كثير من المصادر التاريخية الايطالية والفرنسية والتركية والروسية والالمانية والمخطوطات العربية التي لم تنشر فجاء وافياً بالمقصود يمثل الحياة العامة في لبنان اصدق تمثيل في تلك الحقبة ولا يستغنى عنهُ الذين يعنون بالعلوم التاريخية ويحرصون على دراسة حالة لبنان في تلك العصور وما بلغهُ من تقدم وعمران على يد اميره المعني

واعترافنا بفائدة الكتاب وتنويهنا بخطورة شأنه من الجهتين التاريخية والعلمية لايمنعانا من تذكير حضرة مؤلفهِ الفاضل بملاحظة بسيطة تختص « بالشكل » لا « بالموضوع » . وهي كثرة الحواشي وتعددها في ذيل صفحاته حتى يكاد القارىء يضل في تيهها الواسع فينصرف عن تلاوة المتن مع انه لو ادمج معظمها في متنهِ ما دامت متصلة بالموضوع او لو افرد لها صفحات خاصة وضعت كملاحق يرجع اليها القارىء المتبحر لخففت بعض العناء عنهُ ولعلهُ يأخذ بها في الطبعة الثانية ان شاء الله

مفتاح كنوز السنة

وضعه بالانجليزية الاستاذ فنسنك وترجمه الاستاذ «محمد فؤاد عبد الباقي»
نشرته «لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية» مطبعة مصر سنة ١٣٥٣هـ سنة ١٩٣٤م

كتب الاستاذ العالم الجليل السيد محمد رشيد رضا المقدمة الاولى لهذا الكتاب ، والمقدمة
نية كتبها المحدث البارع الاستاذ الشيخ احمد محمد شاكر ونحن ننشر هنا جزءاً من هذه
دمة النفيسة ليفي بالغرض في تعريف القراء بهذا الكتاب : قال

هذا الكتاب جمله مؤلفه فهرساً لثلاثة عشر كتاباً من امهات كتب الحديث وهي : مسند
مام احمد بن حنبل ، صحيح البخاري ، صحيح مسلم ، سنن الدارمي ، سنن ابي داود السجستاني
ن الترمذي ، سنن النسائي ، سنن ابن ماجه ، وهذه الثمانية هي اصول السنة ، ومصادرها
صحيحة الموثوق بها ، ويندر ان يكون حديث صحيح خارجاً عنها ليس موجوداً في احدها

ثم موطأ الامام مالك ومسند ابي داود الطيالسي ، وهما من اقدم الكتب المؤلفة في الحديث ،
مالكاً والطيالسي من علماء القرن الثاني الهجري ، وان كان الطيالسي تأخرت وفاته الى اول
رن الثالث (سنة ٢٠٤)

ثم سيرة ابن هشام المتوفي سنة ٢١٨ هجرية ، وهي اختصار وتهذيب لاول كتاب ألف في
يرة ، وهو كتاب محمد بن اسحق رئيس اهل المغازي المتوفي سنة ١٥١ هجرية .

ثم كتاب المغازي للامام محمد بن عمر الواقدي المتوفي سنة ٢٠٧

ثم اعظم كتاب جمع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتراجم الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، وهو كتاب
لطبقات الكبيرة) للامام الحافظ الثقة محمد ابن سعد المتوفي سنة ٢٣٠ وهو تلميذ الواقدي وكاتبه

والكتاب الرابع عشر : المسند المنسوب للامام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب المتوفي
يداً سنة ١٢٢ . وهذا الكتاب عمدة في الفقه عند علماء الزيدية من الشيعة ، ولو صحت نسبته
، الامام زيد عليه السلام لكان اقدم كتاب موجود من كتب الائمة المتقدمين ، الا ان الراوي
عن زيد رجل لا يوثق بشيء من روايته عند ائمة الحديث ، وهو ابو خالد عمرو بن خالد
اسطي ، رماه العلماء بالكذب في الرواية ، قال الامام احمد بن حنبل في شأنه : « كذاب ، يروي
، زيد بن علي عن آبائه احاديث موضوعة »

وقد رتب الاستاذ ونسنك كتابه على المعاني والمسائل العلمية والاعلام التاريخية ، وقسم كل
نى او ترجمة الى الموضوعات التفصيلية المتعلقة بذلك . ثم رتب عناوين الكتاب على حروف
لعجم . واجتهد في جمع ما يتعلق بكل مسألة من الاحاديث والآثار الواردة في هذه الكتب ،
لكني في مطالعتي وجدت انه لم يستقر كل الاستقراء ، وهذا مرجعه الى صعوبة العمل الذي قام
عن غير مثال يحتذى

[illegible] مسند الطيالسي على طبعة حيدر آباد سنة ١٣٢١ هجرية ، وفي مسند زيد على طبعة [illegible] ١٩١٩ ميلادية ، والاحاديث في الكتابين لها ارقام متتابعة ، فأشار الى ارقامها فيهما واعتمد في مسند احمد على طبعة القاهرة سنة ١٣١٣ هجرية ، وفي طبقات ابن سعد على طبعة ليدن سنة ١٩٠٤ — ١٩٠٨ ميلادية ، وفي سيرة ابن هشام على طبعة غوتنغن سنة ١٨٥٩ — ١٨٦٠ ميلادية . وفي مغازي الواقدي على ترجمتها المطبوعة في برلين سنة ١٨٨٢ ميلادية . واشار الى ارقام الصحف في كل منها

ولكثرة الطبعات في سائر الكتب — وهي الكتب الستة والموطأ والدارمي — اعتمد على ارقام ابتدعها لكل واحد منها باصطلاح له أبان عنه في مقدمة كتابه ، وذلك انهُ قسم كلاً منها ما عدا صحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك — الى كتب (او مجموعات للابواب) وكل كتاب الى الابواب التي ذكرها مؤلفه فيه ، وجعل لكل كتاب منها رقماً متتابعاً ، ثم لكل باب من كتاب رقماً متتابعاً ايضاً ، واشار الى مواضع الاحاديث بأرقام الكتب والابواب ، الاّ في كتاب التفسير من صحيح البخاري وهو المرقوم برقم (٦٥) ومن صحيح مسلم ، وهو برقم (٥٤) ، ومن سنن الترمذي ، وهو برقم (٤٤) فاعتمد على عدد سور القرآن ، واشار الى كل سورة برقمها في موضعها من المصحف

واما صحيح البخاري فان طبعة ليدن فيها ارقام الكتب والابواب من عمل مصححها

وأما صحيح مسلم فانه ليس فيه تراجم للابواب من عمل مؤلفه ، بل التراجم التي كتبت على حاشيته من وضع الشرّاح الذين جاءوا بعده ، واهمهم الامام النووي رحمه الله . ويوجد في صحيح مسلم كثير من المتابعات ، وهي الاسانيد التي يروي بها حديثاً تأكيداً للاسناد الاول الذي رواه به ، فالراوي الثاني يتابع الراوي الذي ذكر قبله في روايته ويؤيده . فرأى الاستاذ ونسنك ان يعتبر الاحاديث الاصول في الابواب ويدع الاشارة الى المتابعات ، ورقّم الاحاديث الاصول في كل كتاب من كتب صحيح مسلم بأرقام متتابعة يشير اليها في كتابه

واما موطأ مالك فان الاستاذ ونسنك قسمه الى كتب ، لانهُ لم يكن مقسماً تقسيماً واضحاً ، ثمّ وضع ارقاماً متتابعة للكتب وللاحاديث فقط ، وترك ما لا يحتوي الاّ على آراء مالك وغيره من الائمة ، لانها ليست من مقاصد هذا الفهرس

والطبعات التي اعتمد عليها في تقسيم الكتب والابواب الثمانية هي : البخاري طبعة ليدن سنة ١٨٦٢ — ١٨٦٨ و ١٩٠٧ — ١٩٠٨ ، ومسلم طبعة بولاق سنة ١٢٩٠ ، وابو داود طبعة القاهرة سنة ١٢٨٠ ، والترمذي طبعة بولاق سنة ١٢٩٢ ، والنسائي طبعة القاهرة سنة ١٣١٢ ، وابن ماجه طبعة القاهرة سنة ١٣١٣ ، والدارمي طبعة دهلي سنة ١٣٣٧ ، والموطأ طبعة القاهرة سنة ١٢٧٩

وقد وضع الاخ محمد فؤاد عبد الباقي افندي جداول مفصلة للكتب والابواب والاحاديث في كل كتاب من هذه الثمانية ، لتكون مرشداً للقارىء يستعين بها على البحث عما يريد من الاحاديث

« وانا انصح لكل من يقتني هذا الكتاب النفيس ان يعنى بدراسة اصطلاحه في تقسيم الكتب والابواب والاحاديث في الكتب الثمانية ، ثم يضع ارقام الكتب والابواب ، والاحاديث على النسخ التي لديه منها ، وبذلك يسهل عليه البحث عن اي حديث يحتاج اليهِ ، بأيسر الطرق واسرعها دلالة »

ولعلَّ نشر هذا الكتاب بلغتنا العربية الشريفة يكون سبباً في اقبال المتعلمين من جميع الطبقات على الاشتغال بالسنّة النبوية ، وعلى الاستفادة من كتب الحديث ، وهي كنوز العلم والحكمة ، التي اعرض عنها اكثر الناس . اما جهلاً بفائدتها ، واما عجزاً عن المراجعة فيها عند الحاجة

هذا وقد عني الصديق فؤاد افندي بالدقة في الترجمة اتم عناية ، فانهُ لم يترجم معنىً من المعاني حتى رجع الى الاحاديث في مصادرها التي أشار اليها المؤلف ، وعبّر عنها بالعبارة الصحيحة التي تدل عليها الاحاديث ، ولذلك مكث في ترجمته اربع سنين ، ثم لم يضن على طبعه بالمال ، فاختار له ارقى المطابع في القاهرة . وهي (مطبعة مصر) ، وانتقى اجود انواع الورق ، فأبرز الكتاب كاملاً

« ملوك الطوائف ، ونظرات في تاريخ الاسلام »

تأليف دوزي (المستشرق) وترجمه الاستاذ كامل كيلاني . نشرته مكتبة عيسى الحلبي وشركاه سنة ١٣٥١ و١٩٣٤

دوزي — مستشرق معدود في الطبقة الاولى من الاعاجم الذين صرفوا قلوبهم الى دراسة العربية وما فيها من الكتب . و « بعد » فقد كتبنا في مقتطف مارس سنة ١٩٣٣ ان الأمة العربية ابتليت ببليتين : أولاهما ، انهُ لم ينتدب أحد من اهل هذه اللغة الى التنقيب عن آثار الامة العربية التي طويت في أرضها بين يمنها وشامها وحجازها وعراقها ومصرها ومغربها وما سوى ذلك ، والاخرى : انهُ لم يخفّ احد الى دراسة كتب العرب ولمّ شتاتها واستخراج ما خفي من أساليب العرب واحوالها وعاداتها في الاجتماع والادب واللغة حتى جاءنا في هذا العصر أصحاب الألسنة الاعجمية من دول اوربا بأقوالهم في تاريخنا وأدبنا وديننا بالكلام الجيد تارةً والفهم الملتوي والتعليل الفاسد تارةً اخرى

فهذا الكتاب الذي ترجمهُ الاستاذ كامل كيلاني وتنصّل من الاثم فيه بقوله « اذا كان العلامة فخر الدين الرازي يقول في مقدمته لشرح «الاشارات» لابن سينا : «ان التقرير غير الردّ ، والتفسير غير النقد » فما أجدرنا ان نقول « والترجمة غير النقد » نقول هذا الكتاب قسمان الاول ما كتبهُ دوزي عن ملوك الطوائف والآخر فصول من كلام دوزي في تاريخ الاسلام . والاول أهونهما خطراً وأقلهما خطأً والآخر ما هو الا تركيب فاسد قد اجتمع لهذا المستشرق من (استخراج) فاسد لكتب التاريخ الاسلامي وغيرها وترقى فيها بالخديعة الكتابية الى تأليف كلام يشبه التحقيق العلمي وما هو منه في شيء . وهذه عادة هذه الفئة من المستشرقين الذين يتعرضون لتاريخ الاسلام ورجاله لا يتورعون عن عرض آرائهم في اسواق الكتب ثم لا يبالون الا بالنسج الذي نسجوه فيطيرون الى الحقيقة العلمية

.. قرأت هـذا الكتاب ووقفت على ما فيه من مواضع الخطإ وأحصيت عليه الآراء التي عرضها وأخذ يلوكها مرة ثم مرة مجمجماً غير مصرّح ، وكنت على عزيمة تبيانها للقارىء رأيت ان ذلك مما يستنفد منا في هذا الباب من المجلة صفحات كثيرة ، ثم وجدت أن .. محمد امين هلال » قد سبقني وكتب في جريدة البلاغ مقالات دقيقة اطلعت على الرابعة منها ، وقد وقف فيها عند ما وقفت عليه ودافع كلام هذا المستشرق بالحجة الصحيحة ، انقل الى القارىء هنا جزءاً من كلمة الاستاذ « محمـد امين هلال » التي نشرت في بلاغ .. جمادى الآخرة سنة ١٣٥٣ — ١١ سبتمبر سنة ١٩٣٤) لما فيها من الفائدة

.. ان اتهام رجال العرب الفاتحين — خصوصاً في الدولة الاموية — بالوثنية والحنين الى .. كان صدّى لما كان يشيعه اعداء الاسلام من انهُ دين وثني وان المسلمين جماعة من الوثنيين .. الارض المقدسة ونفوا منها كل فضيلة واخلاص ولقد رأينا هذه الاقوال الكاذبة ينشرها .. من رؤساء الكنيسة إبان الحروب الصليبية فلما قفل الغزاة الى ديارهم قصوا على قومهم .. كانوا أهل دين وتوحيد ومروءة ومجاملة

نحن اذا تخيرنا من بين خلفاء الامويين الذين يتهمهم العلامة دوزي ببغض الاسلام ابغض .. الخلفاء وابعدهم عن قلوب المسلمين وهو يزيد بن معاوية مثلاً نجده كان يعمل للاسلام ويأمر .. لك فقد حـدثنا التاريخ ان عقبة بن نافع عامل يزيد لما فتح بلاد البربر وسار الى السوس حتى وصل الى بحر الظلمات (المحيط الاطلانطي) قال « يا رب لولا هـذا البحر لمضيت في .. هداً في سبيلك » وانه لما سار الى (تهوذا) ورآه الروم في قلة طمعوا فيهِ فأغلقوا باب .. شتموه وقاتلوه وهو يدعوهم الى الاسلام ثم تكاثروا عليه وقتلوه

.. رأينا قتيبة بن مسلم عامل الحجاج بن يوسف «المشهور بغطرسته وقسوته» يخطب في الناس .. م : انالله قد أحلكم هذا المحل ليعز دينه ويذب بكم عن الحرمات ويزيد لكم المال استفاضة .. عاً ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم النصر بحديث صادق وكتاب ناطق فقال (هو الذي .. سوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) ووعد المجاهدين في سبيله .. ثواب واعظم الذخر عنده فقال « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل .. يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً الاَّ كتب لهم بهِ عمل صالح ان الله .. أجر المحسنين * ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً الاَّ كتب لهم .. الله احسن ما كانوا يعملون *) ثم اخبر عمن قتل في سبيله انهُ حي يرزق فقال (ولا .. الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون *) فتنجزوا موعود ربكم و.. .. الى اقصى اثر وأمض ألم وإياي والهوينا !

.. قتيبة هذا هو الذي تلقاه ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح من ذهب ودعاه الى بلاده و..

فعل ملك كفتان وأنصف له من ملك آخرون وشومان وكتب اليه ... يقول ... فكن مقدم الناس. واذا قتلت فكن في أخريتهم وساقتهم ، حتى فتح بلاداً ... الاسلام فأخرجت العظماء من كتاب المسلمين وفقهائهم ومحدثيهم وعلمائهم

«وهذا أشرس بن عبد الله السلمي عامل هشام بن عبد الملك على خراسان ارسل لاول عهده الى اهل سمرقند وما وراء النهر يدعوهم الى الاسلام على ان توضع عنهم الجزية فسارع الناس هناك الى الاسلام وحين كتب اليه امير سمرقند انهم لم يسلموا الا تعوذاً من الجزية قال له من اختتن واقام الفرائض وقرأ سورة من القرآن فأرفع خراجه .وقد روى عن يوسف بن عمر عامل هشام على العراق انهُ مع اسرافه في العقوبة كان طويل الصلاة ملازماً للمسجد ضابطاً لحشمه واهله — وكان يصلي الصبح ولا يكلم احداً حتى يصلي الضحى . ولقد كتب عمر بن عبد العزيز الى ملوك السند يدعوهم الى الاسلام وقد كانت سيرته بلغتهم فأسلموا وتسموا بأسماء العرب

«هذا قل من كثر من موقف خلفاء الامويين وعمالهم ازاء الاسلام وعملهم على نشره والترويج له في غير عنف ولا شطط ، أفبعد هذا يقول عنهم قائل « ان تلك الاقلية العربية التي اضطرت الى الاسلام اضطراراً واكرهت على الدخول في هذا الدين اكراهاً ، عرفت كيف تثأر لنفسها حين سنحت لها فرصة الانتقام فتقاضت ثمن ذلك الفوز مضاعفاً وشفت غلة صدورها المكتومة» اه

هذا وكنا نراه لزاماً على مترجم الكتاب الاستاذ كيلاني ان يتعرض لهذه المواضع ولا يتنصل منها ، نعم نحن نقول معه ان الترجمة غير النقد ، ولكن ذلك صحيح حين يترجم للعلماء دون غيرهم أما حين يظن في كتاب مترجم انهُ مما يقع في ايدي الناشئين ، فلا . . . . إن أبناءنا في المدارس المصرية من ثانوية وعالية لا يعرفون عن مثل عمرو بن العاص الا انهُ فتح مصر ، وعن عمر بن عبد العزيز انهُ كان خليفة وعن فلان وفلان مثل هذا او اقل فكيف نترك مثل هذه الآراء الفاسدة غذاء ألباب الذين يريدون من ابنائنا ان يقرأوا كتاباً سهلاً داني الثمرة . وهم لا يعلمون من التاريخ دقائقه ولا من الاسلام الا كلمات حفظوها لا تبلغ بهم درجة من العلم فيه . والمترجم الذي يقول في مقدمة كتابة للقراء اني قد آثرت نقل هذه الفصول من دوزي « لتبيان وجهة تفكير عالم اوربي كبير ، وهي — وان خالفت آراءنا احياناً في بعض مناحيها — جديرة ان تقرأ بعناية فائقة » الذي يقول هذا يجب عليه ان ينقد المغالطات والمفاسد بعناية فائقة كذلك في زمن قد اجتمعت فيه على التاريخ الاسلامي عناصر الفساد والافساد من كل ناحية . بل في زمن نحن نتهيأ فيه لاعادة المجد الضائع والحق المغتصب بفقه ما كان عليه اسلافنا فقهاً صحيحاً لا يميل الى الخرافة ولا يشط مع التقليد والتورط والفساد.

اقول هذا وانا اشكر المترجم على ما اضافة الى قليل علمنا عن آراء هذه الفئة المستشرقة التي خدمت العربية ... كثيراً بحفظ كتبها ونشرها حين اضاعها ابناؤها وعموا وصموا ... ولا رحمة الله ... فينا واحيا بعض مجد العربية لغمرتنا الموجة الطاغية ...

ره » بالسيد الذي قاله امام الناخبين البريطانيين « اجلوا المانيا على الدفع » . وقد قال كلمنصو في جورج : — « اظن ان هذا الرجل يستطيع ان يقرأ ولكنني اشك في انه يفعل » وقال كذلك في لويد جورج وولسن : « فالاول يحسب نفسه نبوليون بونابرت اما الثاني فيظن انه السيد المسيح » . وماذا نقول في اورلندو ؟ كان اورلندو لا يعرف الانكليزية وكان ولسن ولويد جورج يجهلان الفرنسية فالتخاطب بينهم كان متعذراً . اما كلمنصو فكان يجيد اللغتين ويعرف الهدف الذي يرمي اليه ، فكان الصلة بين الفريقين فسيطر على المؤتمر

وكذلك تبدد كل امل بتحقيق حلم الرئيس ولسن . كان الثلاثة وبوجه خاص كلمنصو ، ابرع منه في المناورات السياسية ، فتغلبوا عليه في معظم المسائل وهو لا يدري انهم تغلبوا عليه . بيد ان كلمنصو ، كان داهية في استرضائه حيث لا يكلفه الاسترضاء شيئاً . خذ مثلاً على ذلك موضوع « ميثاق جمعية الامم » فان ولسن اصر على جعله في مستهل كل معاهدة من معاهدات الصلح . فاعترض على ذلك لويد جورج واورلندو ، بحجة ان العالم لا يستطيع ان ينتظر حتى يوضع دستور الجمعية وينقح ، ولكن كلمنصو انحاز الى ولسن ، ودافع عن رأيه ، حتى اقره مجلس الاربعة وخرج ولسن من هذا الجدال باكليل الغار

عقاب المانيا

ولما هم المؤتمر بعقد معاهدة الصلح مع المانيا ، عرضت لهُ ثلاث مشكلات

كانت المشكلة الاولى ما يعرف بدولة الرين . ذلك ان الوزارة الفرنسية كانت قد طلبت انشاء دولة مستقلة على نهر الرين ، تقوم بين المانيا وفرنسا مقام المجن بين الجندي وخصمه ، على ان تنشأ من ارض كانت المانية قبل الحرب ، وتكون خاضعة للنفوذ الفرنسي بعد الصلح . فاعترض ولسن على ذلك فتنازل كلمنصو ، بعد اخذ ورد طويلين عن « دولة الرين » المقترحة ولكنهُ اشترط ان تحتفظ فرنسا بمقاطعتي الالزاس واللورين وان يعهد اليها في السيطرة على مناجم الفحم الغنية في وادي السار . اما ولسن فما كان ينوي قط ان يسلب المانيا وادي السار ، ولكن ما العمل وقد تنازل كلمنصو عن جانب كبير من مطالبه ؟ والواقع ان المطالبة « بدولة الرين » لم تكن من ناحية كلمنصو الا من قبيل المساومة

وكانت المشكلة الثانية خلوصة بمال التعويض . ففي الشروط الاربعة عشرة التي اذاعها ولسن اساساً للصلح قبل عقد الهدنة ، ببضعة أشهر ، صرح انهُ يجب على المانيا ان تدفع ثمن الدمار الذي احدثته وتصليح الاراضي التي عبثت بها الجيوش في كرها وفرها وتقدمها وتأخرها . واصر كلمنصو على ان التعويض يجب ان يشمل التعويض الادبي وان المانيا يجب ان تدفع المعاشات التي تصرفها الحكومة الفرنسية وغيرها من حكومات الحلفاء ، للارامل ، اذ من السخرية ان تعوض الفلاحين

الروافد

بكر شكر الله الجر — صفحاته ٩٦ — مطبعة الاندلس الجديدة — ريو دي جانيرو برازيل

يقول الشاعر في مقدمة ديوانه « هذه مجموعة قصائد تمخضت بها النفس في حوادث مختلفة وهي كما يراها القارىء ليست بمجملها من الشعر الوطني المفرقع الذي يستشوق السامع فتعقد له مجالس السمر عند القوم » ... ثم يقول في ختام كلمته « واني وان اصابت هذه المجموعة وشلاً مما نوهت به فلا يعني انني راض عنها كل الرضا بل احب الي منها مجموعة اعدها الآن للنشر تحت اسم «الغمائم» ربما كانت أثرى وآثر من الوجهة المعنوية لدى جماعة المفكرين الاولى يعنون بالشعر من حيث عمقه وجدته وتعدد صوره واصباغه » . وقد تصفحنا هذه المجموعة الشائقة فوجدنا شاعراً جزل اللفظ حسن الاداء بارع التصوير ولولا بعض ألفاظ تنبو بها قوافي بعض القصائد مثل

واسكب رحيقك في النفو س مطيباً أنفاس كارع

لخلا الديوان من المآخذ . ولقد أبان الشاعر في مقدمته عن اتجاه شاعريته الى الناحية الانسانية واعتذر عن شعره الوطني ونحن وان كنا نوافق الشاعر على قيمة الشعر ونعتز بهذا الغرض الانساني النبيل الذي يرمي اليه الادب العربي الحديث فانا ايضاً نقدر الشعر الوطني ونقول اننا في حاجة اليه على الاقل لتخليد تاريخ نهضاتنا والاشادة بامجاد حاضرنا والتغني بالمستقبل المرموق وحفز ابنائنا الى المجد . وخلا هذا فاننا نوقن ان الشعب البريطاني مدين بمتانة جوانبه الاخلاقية ونبل اغراضه وقوته وعظمته الى ادب شكسبير . ولولا هذا الميراث الحي الذي يجري في دم الامبراطورية من ادبه الخالد لما وجدت صيحات كبلنج الوطنية مجيباً لصداها ولا محتفلاً بسماعها

وبعد فان «الروافد» ديوان لم يخل من شعر الطبيعة والانسان والوجدان وأنت تنهل من رحيق هذا الشعر في قصائد «على متون الامواج» و «شواطىء الاندلس» و «قطرة كأس» وغيرها . وفي الديوان قصائد حسان يجدر بكل اديب شرقي ان يقرأها فانها صدى لآلام هذا الشرق واحلامه ***

الثورة العربية الكبرى

أنجزت مطبعة عيسى الحلبي وشركائه بمصر طبع كتاب الثورة العربية الكبرى للباحث المحقق الاستاذ امين سعيد فصدر اليوم في ثلاثة مجلدات عدد صفحاتها ١٤٠٠ صفحة بالقطع الكبير فيها ثلاث خارطات و ١٥٠ صورة . والكتاب الجديد مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن اي من ١٩٠٨ الى ١٩٣٤ والجزء الاول منه خاص بأخبار النهضة العربية من ظهورها حتى دخول الجيش العربي الى سورية في ختام الحرب العظمى سنة ١٩١٨ وانشاء الدولة الفيصلية في الشام فهو تاريخ [illegible] نضال العرب والترك . اما الجزء الثاني منه فخاص بالنضال بين العرب من جهة والفرنسيين والانكليز من جهة اخرى وينطوي على اخبار الدولة الفيصلية في دمشق من قيامها حتى زوالها مقروناً بتاريخ

أمارة شرقي الاردن وقضية فلسطين وقد بسطهما المؤلف بسطاً وافياً وعززها بأخبار سقوط الدولة الهاشمية في الحجاز وما تقدمها من سعي الانكليز لتصفية عهودهم مع الحسين وما تلاها من حوادث ثم تاريخ الحركة الوطنية في سورية من سنة ١٩٢٠ حتى اليوم. وفي الكتاب ما لا يقل عن ٥٠٠ وثيقة سياسية وجانب كبير من معلوماته مما لم ينشر قبل فلا يستغني عنه باحث ولا كاتب ولا عربي يهمه الاطلاع على تاريخ قومه ونهضتهم فهو في الواقع تاريخ العرب القومي والسياسي في العصر الحديث

﴿ الاصلاح ﴾ مجلة ادبية اقتصادية تصورية جامعة. لصاحبها الدكتور جورج صوايا وقد أصدرت عدداً فخماً ممتازاً يضم بين دفتيه كثيراً من المباحث العلمية والمقالات والأشعار البليغة منها قصيدة الخمر والحب والشباب للشاعر المبدع فرحات ووداع قنديل وهي قصيدة عصماء رائعة للشاعر القروي المعروف

﴿ الارلزيانة ﴾ مأساة تمثيلية ذات ثلاثة فصول تأليف الكاتب الافرنسي الشهير الفونس دوده وتعريب الدكتور جورج صوايا صاحب مجلة الاصلاح في بونس ايرس (الارجنتين)

﴿ في سبيل الحرية ﴾ بقلم الاستاذ الياس قنصل وهي خلاصة رواية تمثيلية للكاتب الشهير فرنسوى كوبيه جرت حوادثها في احدى مقاطعات ايطاليا في القرن الخامس عشر طبعت في المطبعة السورية اللبنانية في بونس ايرس (الارجنتين)

﴿ القراءة الفريدة ﴾ الجزء الرابع للمدارس الابتدائية للاستاذ شريف النشاشيبي وهي تضم رسائل بديعة وامثال لطيفة وقصص قصيرة جامعة وحكايات على ألسن الحيوانات ناطقة ونوادر يلذ سماعها — طبعت بمطبعة المعارف بمصر

﴿ مثلنا الأعلى ﴾ رواية تمثيلية وضعها عبد الحميد عباس وهذبها الاستاذ اكرم زعيتر وهي تشمل كثيراً من المبادىء القومية والخلقية التي يجب ان يدين بها الطالب العراقي طبعت بمطبعة الحكومة ببغداد

﴿ ايزيس ﴾ قصة تمثيلية يدور محورها حول رجوع الروح وضعها الاستاذ محمد زكي صالح، طبعت بمطبعة النظام بمصر

﴿ همام او في عاصمة الاحقاف ﴾ رواية شعرية تمثيلية للاديب علي احمد باكثير ويرجع ناظم هذه الدرامة جهل شعبه الحضرمي الى جهل المرأة فهو يريدها متعلمة كشقيقاتها الشرقيات طبعت في المطبعة السلفية بمصر

﴿ الحسناء العربية اريئب بنت اسحق ﴾ رواية تمثيلية تاريخية اخلاقية ذات ثلاثة فصول بقلم الاستاذ فريد شاهين ابي فاضل منشىء مجلة الرياض يتجلى فيها دهاء معاوية وشهامة الحسين ووفاء المرأة العربية طبعت في مطبعة الرياض بانطلياس — لبنان

﴿ دلال ﴾ رواية تاريخية في عهد الأمير بشير الكبير بقلم الاديب كميل فرألي تصف الامير وحاشيته ورجال لبنان في عصره وعادات أهله وفتح الجيش اللبناني لمدينة دمشق سنة ١٨١٠ ولقلعة سانور في نابلس سنة ١٨٢٩. طبعت في مطبعة «المجلة البطريركية» في بيت شباب — لبنان

باب الاخبار العلمية

كرة الاعماق وريادة الاغوار

حف في اواسط الصيف صورة
؛ التي استعملها الدكتور بيب
تر اوتس بارتن ، ليغوصا بها الى
انسان من قبل . وتعرف هـذه
ثيسفير Bathysphere اي « كرة
، هذا افضل اسم يطلق عليها

ة مبنية من الصلب وزنتها نحو
وقطرها اربع اقدام وتسع بوصات
ا بوصة ونصف بوصة، ولها ثلاث
منها ثماني بوصات وقد وضع
كاً الواحٌ من زجاج البلور الصخري
مد صهره وتجميده ، وسماكة كلّ
ات وقطرهُ خمس بوصات .

، هذه الكرة ان تكون وسيلة
، تمكنهُ من بلوغ اعماق لا يستطيع
غها لشدة ضغط الماء وبرده في
غائص عن ان يلبث وقتاً ما يمكنهُ
اهدات العلمية على الاسماك التي
فهذه الكرة تتسع لرجلين ،
تقفل اقفالاً محكماً وتدلّى رويداً
بقى عند عمق مطلوب ، فينظر
الالواح البلور الصخري ، وهي
صافية كلّ الصفاء ، ويشاهد اشكال الاسماك والوانها ، ويستطيع الآخر، ان يصوّرها ، باليد او بآلة فتوغرافية يتصل بها مصباح كشاف

قلنا ان الكرة مقفلة اقفالاً محكماً ، حتى لا تنفذ اليها قطرة ماءٍ واحدة ، فكيف يتنفس الرجلان داخلها ؟ انها في الواقع تشتمل على جهاز للتنفس ، مؤلف من حوضين يحتويان على الاكسجين اللازم للتنفس، وللجهاز صمّام يخرج لترين من الاكسجين الى فضاء الكرة الداخلي كلّ دقيقة . ومقدار الاكسجين الذي في الحوضين يكفي رجلين مدى ثماني ساعات وقبل الغوص يوضع فوق الحوضين طبقان على احدهما مركّب من الجير والصوديوم لامتصاص اكسيد الكربون الثاني الذي يزفرهُ الرجلان ، وعلى الآخر كلوريد الكلسيوم لامتصاص الرطوبة . وهناك مراوح لتحريك الهواء

فهذه الوسائل تكفل للغائصين اسباب الراحة الجسدية . وقد غاص « بيب » واحد اعوانه غير مرة فلم يستشعرا في خلال غوصهما اي ضيق ناجم عن قلة الاكسجين او كثرة الرطوبة وثاني اكسيد الكربون في الهواء

اما في محاولتهما الاخيرة فقد بلغا الى ٢٥١٠ اقدام ، على مقربة من جزيرة نونسش

وهي احدى جزائر برمودا ، ففاق العمق الذي بلغاهُ في السنة الماضية وهو ٢٢٠٠ قدم

ولا يخفى ان الاقدام على الغوص بكرة من هذا القبيل مغامرة تنطوي على خطر عظيم . لذلك جربت كرة الاعماق قبل نزول بيب وبارتن بها لمعرفة مقدار الضغط عليها عند اعماق مختلفة وهل تستطيع ان تتحمل هذا الضغط فثبت ان الضغط على كل بوصة مربعة منها يبلغ ٦٥٢٦٧ الرطل عند عمق ربع ميل اي ان مجموع الضغط على الكرة كلها، كان عند هذا العمق ٣٦٣٦٦ طنّاً . ولكنها تحمّلت هذا الضغط ، فلم تتحطم الواح الكوارتز في عيونها ولا نفذت اليها قطرة ماء

والكرة عند غوصها تظل متصلة بالسفينة التي تدلّى منها ، بسلك تلفون ، وسلك للاضاءة الكهربائية . والحبل الذي تدلّى به طوله ٣٠٠٠ قدم وهو من الصلب وثخنهُ سبعة أثمان البوصة ويقوى على حمل ٢٩ طنّاً . ومن ادواتها مصباح كشاف يوجّه من احدى عيون الكرة لاستكشاف الاغوار القاتمة وما فيها من الاحياء

بلون كشاف
يحمل مذيعاً لاسلكيّاً

استنبط الدكتور ارثر كمطن استاذ الطبيعة في جامعة شيكاغو طريقة جديدة لاستكشاف احوال الجو في الطبقة الطخرورية stratosphere ذلك انهُ صنع بلونات صغيرة لا يزيد وزن البلون منها على ١٦ رطلاً وقطرها على ١٥ قدماً يطلقها في الجو صعُداً فترتفع الى اعالي الطبقة الطخرورية من تلقاء ذاتها . وجهزها بأداة لاسلكية مجيبة ، وصلها بمقياس للحرارة ومقياس لضغط الهواء ومقياس لقوة الاشعة الكونية . وهذه الاداة انبوب لاسلكي متذبذب يرسل اشارات لاسلكية بامواج طول الموجة منها عشرون متراً . فاذا حدث تغيُّر في ضغط الهواء ، بحسب ما يدونه مقياس الضغط (البارومتر) أثر ذلك في طول الموجة التي يطلقها الانبوب اللاسلكي ، فيعرف بذلك علو البلون . ثم ان الانبوب متصل بأداة دقيقة هي متصلة بدورها بمقياس الحرارة . فاذا تغيرت حرارة الجو ، دُوّن ذلك في مقياس الحرارة وأثر في الاداة المتصلة بالانبوب اللاسلكي. وهذا الاداة فيها عجلة كعجلة الساعة تختلف سرعة دورانها باختلاف الحرارة . فاذا بطؤت سرعة العجلة او اذا اسرعت ، زادت المسافة بين فترات اطلاق الامواج من الانبوب اللاسلكي . وهذا يفسّر في المحطة الارضية فيعرف منهُ حرارة الجو على ارتفاع معين . ثم ان قوة الاشعة الكونية تؤثر في مقياس خاص بها ، وهذا بدوره يؤثر تأثيراً خاصّاً في الامواج اللاسلكية يمكن فهمهُ على الارض

ولا يخفى ان نوعاً من هذه البلونات كان قد استعمل قبلاً في استكشاف طبقة الجو العليا ، وكان كل بلون منها يجهز بآلات تدوّن من تلقاء نفسها اعلى درجات الحرارة واخف درجات الضغط وقوة الاشعة الكونية . ثم اذا هبط البلون الى الارض اخذت هذه الآلات وقرىء ما كان مدوّناً فيها . وهي طريقة لا بأس بها وانما يؤخذ عليها انهُ لا يمكن استعمالها الا

المناطق المزدحمة بالسكان . لانهُ من المتعذر ان يتعرف الذين يقع البلون عند هبوطه . فالعلماء يستعينون على معاونة الناس لهم ، في العثور عليه ويتبينه الى المحطة التي اطلقته وفقاً لبيان ملصق عليه . فاذا كانت المنطقة قليلة السكان ، تعذّر وجود البلون اذا سقط في قفر. اما البلون الجديد فلا حاجة بالعالم اليهِ ، بعد تدوين الرسائل اللاسلكية التي يبعثها في عنان الفضاء ، وسواء اهبط في قفر ام في منطقة مأهولة . فانهُ يؤدي مهمتهُ وهو في الفضاء ، ونفقات بنائهِ واطلاقهِ يسيرة ، فلا يعبأ باسترداده او فقده

عجيبة في بيضة

اخذ العالم الفرنسي الاستاذ جلينك Jellinek بيضة نيئة ووضعها بين لوحي مكثف كهربائي Condenser ووصل اللوحين بمذيع لاسلكي قصير الامواج ، مستعملاً قوة كهربائية قدرها الف وط وموجة طولها ثلاثة امتار . فاخترقت الامواج البيضة . وبعد خمس دقائق اخذ البيضة وكسرها ، فوجد محّها (صفارها) قد تجمد ، واما زلالها فلم يتأثر بالامواج التي اخترقته لان قوامه من قبيل قوام الهلام . ثم ثبت عند فحص حرارة المح والزلال ، ان حرارة الاول لا تعدو ١٤٠ درجة بميزان فارنهيت (اي ٦٠ درجة مئوية) حالة ان حرارة الثاني بلغت ١٧٦ درجة بميزان فارنهيت (اي ٨٠ درجة مئوية) . ولم يكن الغرض من هذه التجربة الكشف عن شيء يبعث الدهشة ، بل كانت تجربة من سلسلة من التجارب غرضها معرفة فعل الامواج اللاسلكية القصيرة في المواد العضوية المختلفة . وقد جربت تجربة من هذا القبيل بعين ثور فثبت ان عدسة العين البلورية لم تتأثر كثيراً بالامواج ، ولكن نسج العين الاخرى تأثرت بها تأثراً عظيماً . ويرى الاستاذ جلينك ان درس اثر الاشعة اللاسلكية القصيرة في النسج المختلفة وما تولدهُ فيها من الحرارة لا بدَّ منهُ لضبط استعمال هذه الاشعة في الطب

سياحة زجاجة

في عشرين ابريل سنة ١٩٢٧ كتب الضابط بارستو الاميركي في السفينة الاميركية هاميرا ورقة ووضعها في زجاجة وسدَّ الزجاجة سدًّا محكماً والقاها في البحر بين جزائر برمودا وشواطىء الولايات المتحدة الجنوبية . فتقاذفتها تيارات المحيط الاطلنطي سبع سنوات الى ان قذفتها من عهد قريب على شواطىء ولاية تكساس وتقدَّر المسافة التي قطعتها في خلال هذه المدة بنحو ٨٠٠٠ ميل

الاشعة التي فوق البنفسجي

يختلف اثر هذه الاشعة في قتل خلايا النبات باختلاف طول امواجها . ذلك ان الاستاذ فلورنس ماير Meier احد علماء المعهد السمثصوني الاميركي اخذ لوحة مستطيلة من الزجاج وغشاها بطبقة من الفطر البحري سمكها سمك خلية واحدة ، ثم وضعها في تيار من الاشعة التي فوق البنفسجي ، بعد ما حلّلها بموشور الى مناطق كل منطقة منها تحتوي على اشعة يختلف طولها عن طول الاشعة في المنطقة التالية او

السابقة . وعدد هذه المناطق ثمانٍ . فوجدت ان الخلايا المعرّضة لاشعة منطقة منها اسرع تلفاً من الاخرى مع ان الخلايا واحدة . والأشعة من مختلف الاطوال تميت الخلايا ولكنها تختلف في سرعة الفعل

النحاس المشع

نشرت مجلة نايتشر العلمية ان الدكتور وستكوت Westcot والدكتور بيرج Bjerge من علماء معهد كافندش بجامعة كمبردج اطلقا النوترونات على النحاس فأصبح عنصراً مشعًّا . والنحاس المشع ينحلُّ كما ينحلُّ الراديوم وهو عنصر مشع بطبيعتهِ ولكن الفرق بين النحاس المشع والراديوم ، ان الراديوم يفقد نصف وزنهِ بالاشعاع في مدة ١٦٠٠ سنة واما النحاس المشع فيفقد نصف قوتهِ على الاشعاع في ست ساعات . ولكنهُ على كل حال يفوق العناصر الاخرى التي حولت الى عناصر مشعة باطلاق قذائف عليها ، لان معظم هذه العناصر يفقد كل قوتهِ على الاشعاع في بضع دقائق

اشعة غما والايدروجين الثقيل

يعلم قرّاء المقتطف ان للايدروجين نظيراً يدعى في الولايات المتحدة الاميركيَّة دوتيريوم ونواة تدعى دوتوناً ، ويدعى في انكلترا دبلوجين ونواة تدعى دبلوناً ، وهو يختلف عن الايدروجين في خواصه الطبيعية وفي مقدمتها وزنهُ الذري فانهُ ضعف الوزن الذرّي للايدروجين المألوف . وقد عني الاستاذ شدك (مكتشف النترون) والدكتور غولدهابر Goldhaber باطلاق اشعة غما من طاقة ٢٦٢٠٠٠٠ فولط على الدبلونات لحلّ كل دبلون منها الى ذرة ايدروجين مألوف ونوترون . فيكون الدبلون مؤلف من بروتون ونوترون . والنوترون مركَّب في نظر العلماء من بروتون والكترون قريب احدهما من الآخر . وهذا القرب بين الالكترون والبروتون ، في النوترون ، هو الفارق بين النوترون وذرّة الايدروجين المألوف ، لانها هي الاخرى مؤلفة كذلك من الكترون وبروتون ولكن احدهما بعيد عن الآخر بعداً نسبيًّا . ولما كانت الطاقة التي تربط بين الدقائق التي يتركب منهُ الدبلون كبيرة وجب استعمال اشعة غمَّا وهي اسرع ما ينطلق من الراديوم من الاشعة واعظمها طاقة

شهاب يرى في النهار

في الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين من يوم ١٤ سبتمبر ١٩٣٤ شوهد في انكلترا شهاب مرق في الفضاء كالسهم الناري . وقد وصفهُ المستر كلن من موظفي مرصد غرينتش فقال انهُ خرج بعد الظهر لتدوين قراءات الترمومترات وكان الجو ازرق صافياً فاسترعى نظره جسم لامع كالصاروخ ، له نواة لامعة ووراءه خط مضيء . وظلت رؤيتهُ مستطاعة مدة ثانيتين او ثلاث ثوان . ثم اختفى كأنهُ انشق الى جسمين لامعين ، ولكن المستر كلن لم يسمع فرقعة الانفجار وقد رآه غير واحد من سكان جنوب انكلترا

العنصر الثالث والتسعون

... علماء من علماء جامعة شيكاغو ان ... الذي اطلق عليه اسم « العنصر الثالث والتسعين » (راجع مقال « العنصر الثالث والتسعين » في هذا الجزء صفحة ١٩٥) قد لا يكون عنصراً جديداً كما ظُن اولاً بل يرجحان انه نظير العنصر الحادي والتسعين

حرب المكروبات

ان التقدم العجيب الذي تمّ في ميدان الطيران، قد قلب قواعد الحرب التي جرى عليها كبار القوّاد والفاتحين من هنيبال الى الاسكندر الى نبوليون الى جوفر وفوش وهندنبرج .ذلك ان القيادات العليا في الجيوش الكبيرة اصبحت ترمي الى اضعاف الروح المعنوية في جيوش الاعداء بتدبير الخطط لالقاء القنابل من الجوّ على مراكز الصناعة التي تجهز الجيوش بما يلزمها من وسائل الكفاح ، وعلى المدن الآمنة الآهلة بالسكان وراء خطوط القتال .وقد لا تقتصر هذه القنابل على المواد المتفجرة ، تدمّر الدور وتحوّلها الى انقاض ، بل قد تحتوي على غازات كيمائية تفعل في الجلد او في العيون او في الاثاث فتعطل عن العمل ، او تسقي ناشقيها كأس الردى

وقد تفنن الكيمائيون في صنع الغازات المختلفة من هذا القبيل ، واستنباط الكمامات الواقية حتى اجمع الثقات ان امة من الامم لا تستطيع ان تتقي اغارة الاعداء عليها من الجوّ ، الاّ اذا مرّنت شيبها وشبانها واطفالها ذكوراً واناثاً على استعمال هذه الكمامات، وجهز كلٌّ منهم بكمامة ... . ومما يدلّ على احتمال حدوث ما هو من هذا القبيل، ان الخوذة الجديدة التي بنيت لبنك ده فرانس تحت الارض ، ابتدع لها المهندسون الفرنسيون طرقاً عجيبة لاتقاء الغاز الخانق الذي قد يتغلغل حتى يتصل بها . والراجح ان هذه الوسيلة طبقت على المعاقل التي بنتها فرنسا على حدودها الشرقية . لذلك اجمع الثقات على ان الطيران الحربي خطر يهدّد الحضارة بالانقراض ، واذا كان للطيارات الحربية ان تلقي قنابل تحتوي على الغازات المختلفة فما يمنعها ان تلقي قنابل تحتوي على مكروبات مميتة .

هذا الاحتمال هز الدوائر العالمية في شهر يوليو الماضي ، على اثر مقالة نشرها المستر وكهام ستيد محرر التيمس سابقاً في مجلة القرن التاسع عشر . وستيد رجل متزن رزين والمجلة التي نشرت مقالته ذات مكانة عالية لا تغامر بها في سبيل مقالة تستثير النفوس

قال المستر ستيد ، انه حصل من مصادر غير يهودية على وثائق خطيرة لا يرتاب في صحتها وهذه الوثائق صادرة على ما يقال من مصلحة في وزارة الحربية الالمانية تعرف باسم (لوفت—غاز — انجريف) اي « هجوم الهواء والغاز » وهي في شكل رسائل تبودلت بين المصلحة المذكورة وبعض خبرائها ووكلائها والمصانع المعنية بالطيران والحرب الكيمائية

بسطت في هذه الوثائق تجارب بدأت سنة ١٩٣١ — اي نحو سنة كاملة قبلما [illegible] أزمة الحكم في بلاده — غرضها درس [illegible] الوسائل لالقاء السوائل المحتوية على مواد كيميائية او مكروبات من الجو على مدائن الاعداء

ولكن أهم ما جاء في مقالة المستر ستيد ان رجال هذه المصلحة من وزارة الحربية الالمانية اختاروا مكروباً اسمه العلمي «ميكركوكوس بروديجيوسس» لا يسبب مرضاً ما ويستعمل في دراسة الطب في التمثيل والاختبار. وانهم بعد ما اختاروا هذا المكروب، جربوا تجارب به في لندن وباريس غرضها الوقوف على كيفية ازدراع هذا المكروب في مزدرعات خاصة لذلك توضع عند مداخل قطارات الانفاق، حتى اذا اطلق في الجو، وهبطت بعض عمائره الى الارض لصق بعضها بهذه المزدرعات، فتتكاثر وتنتشر في الهواء فيستنشقها الناس

طبعاً ان تجربة التجارب بهذا المكروب لا تسفر عن خطر يتعرض له سكان العاصمتين المذكورتين الآن ولكن اذا صحت هذه الوثائق فان التجارب المذكورة لا بدَّ ان تكشف للمجربين، الوسائل التي يستطيعون الجري عليها اذا نشبت الحرب، في اطلاق مكروبات ليست مثل هذا المكروب في عدم ضررها. وقد جربت تجارب في سنة ١٩٣٣ لالقاء السوائل المحتوية على هذا المكروب من طيارات على ارتفاعات مختلفة تتباين من ٥٠٠ متر الى الف متر، لمعرفة أصلح ارتفاع لالقاء السوائل منه. وتقول الوثائق ان هذه التجارب اسفرت عن نتائج تبعث على الرضا

وقد جاء في وثيقة تاريخها يوليو سنة ١٩٣٢ ما مؤداه ان المعاقل العظيمة التي بنتها فرنسا على حدودها الشرقية تجعل كل هجوم عليها من المشاة او المدفعية عبثاً واذن لم يبق الا استعمال سلاح الجو لشن الحرب من دون رحمة او شفقة على المراكز العسكرية والصناعية بل على الآهلين في المدن الكبيرة

وثمة وثيقة اخرى تاريخها ا كتوبر ١٩٣٣ تحتوي على خطط الهجوم بالغاز على مدن مختلفة في فرنسا منها متز وستراسبورج وبلفور وفردون وضواحي باريس ومرسيليا وطولون وليون وهافر وغيرها. وليس الغرض من هذا المقال البحث في صحة هذه الوثائق. فقد انبأتنا البرقيات العامة ان الدوائر المسؤولة انكرت صحتها ولكن الامر الذي لا جدال فيه ان ليس ثمة ما يمنع القيام بهذه التجارب، من جانب المانيا او جانب غيرها من الدول. ويقول كاتب في الابزرفر ان لا ريب في ان هذا الفرع في الاستعداد الحربي، ينال الآن عناية خاصة مثل سائر الفروع. واطلاق الغاز والمكروبات على الطريقة المتقدمة يمكن ان يتم بواسطة الطيارات الحربية والمدنية على السواء

الهيموفيليا او النزف الوراثي

كانت الهيموفيليا او داء النزف الوراثي سبباً في وفاة الامير غونزالو نجل الفونسو الثالث عشر ملك اسبانيا سابقاً. والغريب في هذا الداء انهُ وراثي في الذكور دون الاناث، لذلك لما حدثت حادثة الاصطدام اصيب الامير غونزالو وشقيقتهُ برضوض، فتوفي هو متأثراً بها لانها احدثت فيه نزيفاً داخلياً لم يستطع وقفهُ ولكنها لم تصب هي بنزيف مثله فنجت. واعجب من هذا ان النساء تنقل خلايا الداء دون الذكور. لذلك نهى الملك الفونسو ابنته في سنة ١٩٣٦ عن الزواج لئلا تنقل هذا الداء الى اولادها

وليست اسرة بوربون — التي منها الملك الفونسو — بالاسرة المالكة الوحيدة المصابة بهذا الداء الوبيل . بل اسرة رومانوف كانت مصابة به كذلك . فالقيصر نقولا الثاني وولي عهده كانا مصابين به ، ويقال انهُ نقل اليها من اسرة هبسبرج ، وكثيراً ما يعرف هذا الداء بـ « لعنة آل هبسبرج » . ولقد تعذر حتى الآن الكشف عن طريقة لمنعهِ او علاجهِ ، ولكن الدكتور برتش Birch احد اساتذة كلية الطب بجامعة وسكنصن الاميركية، يظن ان حقن احد هرمونات الانثى في الذكر قد يفيد في علاجهِ وهو يجرب التجارب الآن لامتحان هذا الرأي

جو الزهرة

يؤخذ من المباحث الفلكية الحديثة ان في جو الزهرة قدراً كبيراً من ثاني اكسيد الكربون

كان الدكتور ادمز والدكتور دنهام Dunham من علماء مرصد جبل ولسن بكاليفورنيا قد اثبتا في سنة ١٩٣٢ ان جو الزهرة يحتوي على ثاني اكسيد الكربون ، ولكنهما لم يستطيعا ان يعينا مقداره حينئذ ، لانهما ما كانا يعرفان مقدار النور الذي يمتصهُ هذا الغاز عند مرور النور فيه . بيد ان الدكتور ارثر آدل احد علماء جامعة مشيغن كتب الى المجلة الطبيعية يقول انهُ عني بدراسة موضوع امتصاص ثاني اكسيد الكربون للضوء فوصل الى نتائج مكنتهُ من تقدير ما يوجد من هذه المادة في جو الزهرة . فقدر ان الطبقات العليا من جو الزهرة فيها مقدار من ثاني اكسيد الكربون يفوق عشرة آلاف ضعف مقدار ما نجده منهُ في جو الارض بكاملهِ . ولما كان الدكتور آدل عالماً طبيعيًّا فانهُ لم يتعدَّ حدود التقدير الى التكهن بعلاقة هذا المقدار الكبير من ثاني اكسيد الكربون بالحياة على سطح الزهرة

اخونا سليم

[تابع الصفحة ١٩٨]

وكان الفقيد محدّثاً بارعاً قوي الحجة واسع الرواية ونذكر اننا ذهبنا في صحبتهِ يوماً لزيارة لورد بيفربروك، فجلسنا نتجاذب اطراف الحديث وبدأ الفقيد يقصُّ على بيفربروك قصة زيارتهِ للفيلسوف سبنسر ، وبيفربروك مأخوذ بطرافة الحديث . وتبيّن سليم شغف مضيفهِ ، فجعل يتوقف في الحديث ، كأنهُ اتى عليهِ . فكان اللورد وصحبهُ يستزيدونهُ ولا يسلمون باي ايجاز في روايتهِ . اما زهدهُ في حطام الدنيا، ومروءتهُ، واقبالهُ على نجدة من يطلب نجدتهُ، فكانت مضرب الامثال . كان حرًّا يأبى الضيم ويمقت الجور ، فكان اذا عرف مظلوماً ، بلا يقرُّ له قرار ، حتى يكشف غمتهُ . وعني بباعة المقطم فانشأ لهم مدرسة علمهم فيها القراءة والكتابة ، وكان يعنى بصحتهم وصحة اهلهم ويدفع عنهم نفقات الاطباء والعلاج بماله الخاص، ولا ينثني عن تزويدهم بالنصائح وحثهم على البعد عن المنكرات

وكان الى ذلك اديباً ، نظم بالانكليزية شعراً حكميًّا بليغاً، ووعى من تاريخ الادب الانكليزي وآثار شكسبير بوجهٍ خاص شيئاً كثيراً، حتى كان من النادر ان يخطيء امرؤٌ في سرد بيت شعر من روايات شكسبير المشهورة الا وردهُ سليم الى الصواب . رحمهُ الله ونفعنا بذكر مناقبهِ

الجزء الثاني من المجلد الخامس والثمانين

بما خسروه من النتاج والماشية ، ولا تعوّض الامهات ما خسرنه من الابناء والازواج . ووافق لويد جورج على اقتراح كلمنصو واضطر ولسن ان يسلم بما وافق عليه الائتلاف

ولكن كيف يقدّر الخراب الذي احدثته الحرب ؟ عهد الى لجان مختلفة في ذلك فتضاربت آراؤها ، لان عمل هذا التقدير العظيم كان اكبر واعقد من ان يتم في بضعة اسابيع . فاكتفى مجلس المؤتمر بفرض الف مليون جنيه على المانيا تسددها في خلال سنتين ، وعهد الى لجنة التعويضات في تقدير المبلغ النهائي الذي يُطلب منها . وقد نظن الآن ، ان هذا العمل ، كان من اختصاص جمعية الامم ، وكان يجب ان يعهد اليها فيه ، ولكن جمعية الامم لم تذكر حينئذٍ ، وانشئت لجنة التعويضات على ان تكون مستقلة عن اي مجلس او جمعية

وكانت المشكلة الثالثة خاصة بمصير بولونيا . ففي شروط ولسن قطع عهد لبولونيا باستقلال الأراضي التي يقطنها اقوام بولونيون وان يكون لها منفذ حرٌّ الى البحر . وكان كلمنصو يبغي ان يكون هذا المنفذ على بحر البلطيق ، فتنفصل به وبالطريق اليه ، بروسيا الشرقية عن سائر الريخ الالماني ، وان يجعل ان دانتزغ مدينة بولونية . فاعترض لويد جورج ، على هذا التقطيع في اوصال المانيا ، قائلاً أنهُ ينطوي على حقد ورغبة في الاخذ بالثأر . ولكن اللجنة التي عينت للبحث في الموضوع قرّرت ما رجّح رأي كلمنصو ، فانشىء المجاز البولوني . على ان كلمنصو كان سخيّاً ! فسلم لولسن بجعل مدينة دانتزغ وما يجاورها مقاطعة دولية يحكمها مندوب او لجنة من قبل جمعية الامم ، بدلاً من ان يحتم جعلها بولونية على ما جاء في اقتراحه الاول

***

وبعد ما انقضت ثلاثة اشهر او نحوها ، على المناقشة والبحث والمساومة ، اعدّت المعاهدة وقدمت لالمانيا . فكانت اكثر المعاهدات التي عقدت في العصر الحديث ، تضييقاً على امة مغلوبة. كانت المانيا امة صناعية ، تعتمد في معيشتها على مصادر ثروتها المعدنية ، وعلى تجارتها الخارجية في اسواق مستعمراتها والاسواق العالمية بوجهٍ عام . فحكم عليها في المعاهدة بان تفقد جانباً كبيراً من فحمها وحديدها ، فمنحت مناجم الالزاس لورين والسار لفرنسا ، ومناجم سيليزيا العليا لبولونيا . وصودر اسطولها التجاري (الا السفن التي يزيد محمول السفينة منها على الف طن) ونزعت منها مستعمراتها ، واخضعت انهارها — وهي بمثابة عروق التجارة الداخلية فيها — لسيطرة ادارة دولية ، ثم حكم عليها علاوة على غرامة الحرب ، وتقطيع اوصالها الاقتصادية ، بان تحمل تبعة نشوب الحرب . ففي المادة ٢٣١ من معاهدة فرساي النص الآتي : —

« ان الحكومات المتحالفة والمشتركة ، تؤكد ، والمانيا تقبل ، تبعة المانيا وحلفائها في احداث كل الخسارة والدمار اللذين تعرضت لهما الحكومات المتحالفة والمشتركة وابناؤها ، نتيجة الحرب التي فرضها عليهم تعدّي المانيا وحلفائها »

صورة تمثال لأبي القاسم الفردوسي

مقتطف نوفمبر ١٩٣٤

انظر صفحة ٢٧٧

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثالث من المجلد الخامس والثمانين

نوفمبر سنة ١٩٣٤ — ٢٣ رجب سنة ١٣٥٣

العمل وطول العمر

الصلة بين عمل الانسان ومدى حياته

تمهيد

عمل الذي يعملهُ الانسان والاحوال التي يعمل فيها والاجور التي يتقاضاها عليهِ : تعيّن
، معيشتهِ ومعيشة اهلهِ الذين يعولهم ، كالبيت الذي يسكنونهُ والملابس التي يرتدونها والطعام
يغتذون بهِ واوقات الراحة وضروب الرياضة التي يتمتعون بها . فعمل الانسان يكاد يكون اهمّ
ل في صحتهِ ومدى حياتهِ . خذ مثلاً على ذلك القسيس الانكليزي او الاميركيّ ، فانهُ يتوقّع
، ما دلّت عليهِ جداول الاحصاءِ ، ان يبلغ من العمر عتيًّا وهو ممتّع بصحة جيدة ونشاط
، ما كانا ليتاحا لهُ لو اختار عملاً آخر في الحياة . ويليهِ في ذلك المعلم واصحاب المهن الحرّة
تابية بوجهٍ عام . ويقابلهم في الطرف الآخر من الجدول المعدّنون ومن اليهم من العمال . فمدى
ؤلاءِ قصير بوجهٍ عام ، ومتوسط الوفيات بينهم يفوق متوسطها العام ضعفين او ثلاثة اضعاف
لى ان الصلة بين عمل الانسان ومدى حياتهِ ، ليست صلةً محدودةً كصلة العلّة بالمعلول .
ير والتمتع بالصحة الجيدة في الشيخوخة او الاصابة بالحوادث العارضة قبل الوفاة ، تتوقف على
، مختلفة متفاوتة في تأثيرها ، علاوة على عامل العمل الذي نقوم بهِ . فثمة القوة الجسمية التي
والبيئة التي ننشأ ونترعرع فيها واحوال الاسرة ونصيبها من الثروة . فاذا كان دخل الاسرة
وجب عليها ان تكتفي باليسير من الطعام ، والخفيف من الملابس ، وغير الصحي من المساكن .

والعمال من الطبقات الفقيرة يمضون في العمل ، بعد ان تصبح حالتهم الصحية تقتضي الراحة والعلاج وذلك خشية منهم ان ينقطع ايرادهم بانقطاعهم عن العمل . ولذلك نرى انهُ ليس بالامر اليسير على الباحث ان يعيّن مدى تأثير العمل نفسه في امراض الناس وطول اعمارهم ومعدل وفياتهم من ناحية ، ومدى تأثير احوالهم المعاشية في ذلك كلهِ من ناحية اخرى

ولكن لا ينكر احد ان احوال المعيشة ترتبط في الغالب بنوع العمل الذي يمارسهُ الانسان . انما يتعذر على الباحث ان يفرد كلاً من هذه العوامل العامة على حدة ويخصهُ بنصيبهِ من الاثر في صحة الانسان ومدى عمرهِ . الا ان دراسة جداول الاحصاءِ في شركات التأمين على الحياة ، تثبت ان لهذه العوامل غير المباشرة اثراً لا يمارى فيهِ

ففي احصاءات الشركات الاميركية يقسم حاملو عقود التأمين الى فريقين عامين . الاول وجلّ افرادهِ من الذين يرتزقون بالعمل في المصانع والمناجم والنقل بالسكك الحديدية والسيارات العامة والترامواپات وغير ذلك . واجورهم قليلة في الغالب واحوال معيشتهم ضيقة . اما الفريق الثاني فاجورهم اكبر واعمالهم اقل خطراً واحوال معيشتهم ميسرة بوجهٍ عام او هي الى السعة والترف . وجلّهم منصرف الى العمل في المهن الحرة او التجارة وينتظم في سلكهم العمال الزراعيون والميكانيكيون . فاذا قابلنا « توقع الحياة » (Life expectancy) في الفريق الاول بما يقابلهُ في الفريق الثاني ، وجدنا ان افراد الفريق الثاني يتوقعون حياة اطول من حياة افراد الفريق الاول . فحامل عقد التأمين في الفريق الثاني ينتظر وهو في سن العشرين ان يعيش حتى يبلغ التاسعة والستين . اما حامل عقد التأمين من الفريق الاول فلا ينتظر ان يعيش بعد السنة الثانية والستين أي ان مدى حياتهِ يقل سبع سنوات عند مدى حياة الآخر . وهذا سببهُ في الغالب الاحوال المعاشية الناشئة عن عملهِ وطبيعة العمل نفسهِ . والمقصود هنا بطول الحياة او « توقع الحياة » المتوسط لطائفة كبيرة من الناس

ودراسة الاحصاءات الرسمية الانكليزية تؤيد هذه النتائج

الاعمال الحرة والكتابية

القسوس والمعلمون — فالموضوع من اية الناحيتين نظرت اليهِ ، تخرج من بحثك فيهِ بنتيجة عامة هو ان الرجال والنساء الذين يمارسون المهن الحرة او الاعمال التجارية والكتابية في المنشآت والشركات ، يفوق توقعهم للحياة ، توقعَ عمال المناجم والمصانع ومن اليهم . وذلك لان احوال معيشتهم اسهل ، ولان طبيعة الاعمال التي يمارسونها اخفُّ وطأة على صحة الانسان

فالاحصاءات التي تشمل مدى طويلاً من الزمان ، تثبت ان معدل الوفيات بين القسوس البروتستانت ، منخفض جداً ، لا يبلغ نصف متوسط الوفيات بين العمال بوجهٍ عام . ويزيد متوسط الوفيات بين القسوس الكاثوليك على متوسط اخوانهم البروتستانت ، ولكن الاحصاءات

البريطانية ، تدلُّ على ان متوسط وفياتهم ، يظلُّ مع ذلك ،اقلَّ كثيراً من المتوسط العام. ويؤخذ من هذه الاحصاءات ان الانتحار يكاد يكون غير معروف في هذة الفئة من الناس كباعث من بواعث الوفاة — وهو المنتظر طبعاً — وان الوفيات بالسرطان اقلُّ بينهم منها في اية فئة اخرى من اصحاب المهن الاخرى التي تناولها البحث

ثم ان المعلمين فئة اخرى من فئات المشتغلين ، التي متوسط وفياتها قليل جداً . بل انهُ يكاد يكون اقل من متوسط الوفيات في اي فريق آخر من الناس ما عدا القسوس . وان نسبة الاصابة بينهم بالعوارض «accidents» اقلّ من نسبة هـذه الاصابات في سائر مستخدمي الحكومة في مدينة نيويورك . وقد كان الظنُّ ان متوسط الوفيات بالسل بين المعلمين كبير اي انهُ فوق المتوسط العام. ولكنهُ على الضدّ من ذلك اقل من المتوسط قلة لا بأس بها، وان أهمّ الاسباب في تعطيلهم عن العمل كان الانفلونزا والتهاب الشعب الرئوية والامراض العصبية . على ان الباحث لم يتمكن من ان يثبت ان الاصابات الكثيرة بينهم بالنورستينيا ، ناجمةٌ مباشرة ، عن عمل التعليم . ومما لا ريب فيهِ ان عمل التعليم ، يرهق الاعصاب ، ولكن ذلك لا يكفي لعزو كثرة اصابات النورستينيا بين المعلمين الى عمل التعليم . يؤيد هذا ان طائفة كبيرة من المشتغلات بالاعمال الكتابية ، ظهرت بينهنَّ اصابات النورستينيا بالقدر الذي ظهرت فيهِ في طائفة المعلمين — وجلُّ طائفة المعلمين من النساء كما لا يخفى .

والاحصاءات الانكليزية تبين ان معدّل الوفيات بين المعلمين اقلّ كثيراً من المتوسط العام

﴿ الاطباء والممرضات ﴾ — ويزيد متوسط الوفيات بين الاطبـاء على متوسطها بين القسوس والمعلمين . بل ان متوسط عمرهم لا يزيد على المتوسط العام ، اكثر من سنة واحدة . وهذا يبعث على الدهشة ، لان الاطباء كطائفة مختارة من الناس ، اقوى أجساماً وانفذ ذكاء وأعلى مقاماً اجتماعيّاً من سواد الناس . ولكن عدم الانتظام في ساعات عملهم ، ووجوب استعدادهم لتلبية ما يطلب منهم في الحوادث والعوارض ، في أية ساعة من ساعات الليل او النهار ، وتعرُّضهم لمختلف الاجواء من حر وبرد وجفاف ومطر — وخاصة اذا كانوا من اطباء الارياف — يعدّل الميزات الاولى التي يمتازون بها.واكثر بواعث الوفيات بينهم، الانفلونزا والالتهاب الرئوي . بل يمكننا ان نحسب هذين المرضين مما يتصل خاصة بصناعة الطب ، لان الطبيب كثير التعرض لهما في خلال تأديتهِ عملهُ اليومي . ويلي هذين المرضين في اطباءِ اميركا مرض القلب وداءِ البول السكري . بل ان الاحصاءات الاميركية تبين كذلك ان معدّل حوادث الانتحار بينهم أعلى قليلاً من المتوسط العام . ولكن معدّل حوادث الانتحار بين اطباءِ انكلترا ووبلس ، يبلغ ضعفي المعدل العام . اما وفيات اطباء الاسنان فأقلُّ من وفيات الاطباءِ واكثر من وفيات طائفة المشتغلين بالاعمال الحرة والاعمال الكتابية

يقابل ذلك ان وفيات الممرّضات قليلة . ولعلَّ ذلك سببهُ ان الممرضات في الغالب عوانس ، والمعروف ان معدّل وفيات العوانس قليل . بل لقد يكون معدل وفيات الممرضات اقل من معدّل

وفيات العوانس بوجهٍ عام . وقد تناول الكتّاب الاوربيون موضوع وفيات الممرضات وتعرضهنّ للعدوى بالسل لتمريضهنّ المصابين بهِ . ولكن اصحاب الرأي في اميركا يختلفون في ذلك، لان طائفة من المنشآت التي يعالج فيها المسلولون تعتمد على ممرضات مسلولات . ولكن الرأي العام السائد ان صناعة التمريض لا تعرّض الممرضات للعدوى لتوفيرها وسائل الوقاية في المستشفيات والمصحات الكبيرة . وعلى كلٍّ يؤخذ من بعض المباحث التي اجريت في هذا الصدد ، ان معدّل الوفيات بالسل بين الممرضات يزيد ٣٣ في المائة ، عن معدلهِ في جماعة عامة من النساء في العمر نفسهِ

العمال واخطار اعمالهم

من الجليّ ان اصحاب الاعمال الحرة والمشتغلين بالاعمال الكتابية لا يتعرضون لاخطار خاصة تتصل بطبيعة عملهم ، كالعوارض التي يتعرض لهم عمّال المصانع ، او استنشاق غبار يضرُّ بالرئتين ، اوغازات سامة ، او العمل في احوال مرهقة من البرد او الحر او الرطوبة او غير ذلك . فهناك طوائف كثيرة من العمال لا تنعم بما ينعم بهِ القسوس والمعلمون والاطباء والممرضات وموظفو الحكومات والشركات والمصارف ، لأنهم يتعرضون لأحد هذه العوامل او لطائفة منها ، فتضعف صحتهم وتقصر مدى حياتهم

﴿ العوارض الصناعية ﴾ — واهم المخاطر التي يتعرضون لها، هي العوارض accidents التي تحدث في المصانع . ففي الولايات المتحدة يموت كلّ سنة ٢٤ الفاً من الناس بهذه العوارض الآلية . وتحدث عوارض اخرى على درجات متفاوتة من الخطر ، بحيث تمنع المصابين عن القيام باعمالهم مدداً تقصر او تطول بحسب شدة الاصابة وخفتها ، فاذا قدر عدد ايام العمل الذي تخسره المعامل في اميركا بسبب هذه الحوادث المختلفة بلغ نحو ٣٠٠ مليون يوم عمل فكأن هذه الحوادث تبقي مليون عامل عاجزين عن العمل ، على مدار السنة . وتقدر الخسارة الناجمة عن هذه الحوادث في اجور العمال ، بنحو مائتي مليون جنيه . ويضاف اليها ما ينفق على معالجة هؤلاء المصابين ، وما يستنزل من اجرة العامل بعد شفائهِ ، لنقص كفاءتهِ بعد الحادث عنها قبله . ويلي ذلك ان نحو ثلاثة آلاف عامل من كل مليون عامل يعملون في المناجم ، يموتون بعوارض تحدث لهم في خلال قيامهم بعمل التعدين . وحوادث السكك الحديدية المختلفة التي تقع لعمالها البالغين مليوناً وثلاثة ارباع المليون ، تقضي على ١٥٠٠ عامل كل سنة . وكذلك يموت كثيرون من الحطابين بما يقع عليهم من الانقاض الكبيرة ، ومن البنائين وسوّاقي السيارات وغيرهم بحوادث ناجمة عن طبيعة اعمالهم

وقد حاول اصحاب هذه الاعمال على حدةٍ وباشتراك مع الحكومة ، اصلاح الحال ومع ذ[illegible] لا تزال الحال تبعث على التبرم . فمتوسط الذين يقتلون في حوادث مناجم الفحم ، يفوق متو[illegible] الوفيات بين الكهنة والمعلمين عشرة اضعاف . وتوقع الحياة عند عمال الفحم ، في سن العـ[illegible] ينقص عشر سنوات عن توقع الحياة عند عامة الناس . [illegible] — ونحن [illegible]

وفي اليوم السابع من شهر مايو جيء بالوفد الالماني يحيط به حرس شاكي السلاح ، الى فندق
رف وقدم نص المعاهدة اليه . وفي الثالث عشر من مايو ، رد الكونت بروكدورف رانتزو على
منه مصرحاً بانه مضطر الى رفضها لانها تناقض الشروط الاربعة عشرة التي اذاعها ولسن ولان
ودها لايمكن تطبيقها تطبيقاً عملياً . قال : اننا لسنا واهمين بل ندرك مدى خذلاننا وضعفنا ..
ن لانتوي انتبرىء المانيا من تبعة الحرب كلها ، وانما نبغي ان لاتتحمل المانيا — التي كان شعبها
ند انه يحارب حرباً دفاعية — كل التبعة دون غيرها » ثم قال : «ان من يوقع هذه المعاهدة ،
، يوقع الامر بالاعدام لملايين من الرجال والنساء والاطفال الالمـان » . ونحن اذا راجعنا تاريخ
ة التي انقضت على توقيع معاهدة فرساي ندرك ان ما قاله الكونت بروكدورف رانتزو كان صحيحاً

***

اما المانيا ، فرددت قول بروكدورف رانتزو من اقصاها الى اقصاها . ذلك ان المعاهدة انقضّت على الامة الالمـانية كالصاعقة ، فجعلت تسأل « اين السلام الولسني ؟ اين الشروط الاربعة عشرة ؟ » ونحن الآن نسأل الاسئلة نفسها ؟

ذلك ان ولسن لم يدرك ان كلمنصو كان ابرع منهُ في الكرّ والفرّ ، وانهُ لبراعتهِ حقق ما يطلبهُ وولسن مقتنعٌ انَّ ما انطوت عليهِ المعاهدة هو الحق كل الحق . فلما قدّم بروكدورف رانتزو اعتراضات المانيا على المعاهدة ، ومقترحات جديدة ، أيّده لويد جورج بعض التأييد ، ولكن ولسن رفض ان يتزحزح قيد انملة عن نصّ المعاهدة الاصلي ، اذ لا سبيل عندهُ الى التنازل عما هو «حق» . فرفضت مقترحات الالمان ولم يسلم لهم الاّ بجعل مصير سيليزيا العليا ، رهن استفتاء يجري فيها بدلاً من ان تمنح لبولونيا بلا اي استفتاء . ثم انذرت المانيا بانها تمنح حتى الساعة السابعة من مساء ٢٣ يونيو لتقبل المعاهدة او ترفضها

وقعت المانيا في مأزق حرج ، لانها اذا قبلت المعاهدة ووقعتها ، ارهقت نفسها باعباء لا قبل لها بها . واذا رفضت سارت جيوش الحلفاء الى برلين . ففضلت وزارة شيدمان ان تستقيل على ان توقع . ولكن المانيا اضطرت اضطراراً الى القبول فوصل جوابها الى المؤتمر ساعة ونصف ساعة قبل نفاد الميعاد المضروب . وفي يوم ٢٨ يونيو — اي بعد انقضاء خمسة اعوام على مصرع الارشيدوق النمسوي في سراييفو — وقعت المانيـا معاهدة الصلح ، في ردهة المرايا بقصر فرساي حيث وضعت أركان الامبراطورية الالمانية سنة ١٨٧١ على يدي بسمارك

المعاهدات مع الدول الاخرى

على ان عمل المؤتمر لم ينته بتوقيع معاهدة فرساي . ماذا يفعل بالامبراطورية النمسوية ؟

مشرين — ان نعيش حتى نبلغ الخمسين ، فمعدّن الفحم لا يتوقع ان يعيش بعد الاربعين . ومن
يل عمل المعدنين ، اعمال اخرى يستهدف اصحابها للموت بما اطلق عليه اسم العوارض
سناعية Industrial accidents

﴿ الطيران ﴾ — وقد بلغ من شدة المخاطر التي يتعرض لها الطيارون ان رفضت شركات
تأمين في البدء تأمينهم على حياتهم، او جعلت اقساط التأمين عالية ، اعلى جداً من الاقساط العادية
، التأمين على الحياة . ولما كثر عدد الناس الذي اتخذوا الطيران صناعة لهم ، او وسيلة عادية للانتقال
نيت شركات التأمين بتحديد مدى الخطر على الحياة الذي يتعرض له الانسان في خلال الطيران .
سبت بعض الشركات حساباً على اساس وفاة عشرة طيارين في كل الف طيار ، وزادت القسط السنوي
، تأمين قدره الف ريال ، عشرة ريالات ايضاً . ثم ثبت ان هذا المبلغ لا يكفي في تأمين سائقي
لطيارات على حياتهم . والمقرّر الآن ، ان سواقي الطيارات النظاميين يختلف متوسط وفياتهم في السنة من
٢ الى ٥٠ في الالف . حتى اذا كان الرقم الاقل ، اقرب الى الصواب كان متوسط وفياتهم اربع اضعاف
توسط الوفيات في جماعة عامة من الرجال في عمرهم . وقد ثبت ايضاً ان الخطر الذي يتعرض له
سافر بالطيارة على خطوط نظامية معترف بها لا يذكر ، ولذلك لا يزاد القسط السنوي على تأمينه

وقد حاول اولو الامر في الولايات المتحدة الاميركية ، ابتداع وسائل كثيرة لتوقي هذه العوارض
نتائجها ، فنقص متوسط الذين يقتلون من موظفي سكك الحديد ، من ١ : ٣٥٧ سنة ١٨٨٩ الى
: ١١٣٦ في سنة ١٩٢٨ . ونقصت كذلك الحوادث في مصانع الحديد والصلب وخفت شدتها ،
قل ما تضيعه على العمال من ايام العمل . ولكن النتائج بوجه عام ليست مما يصح السكوت عليه ،
بل انها لا تبعث على الرضا . وذلك في الغالب ، للتبدّل الدائم في اساليب الصناعات المختلفة . فقد
تستنبط اليوم طريقة لتوقي خطرٍ من الاخطار في احد الاعمال الصناعية فيتبدل اسلوب العمل
في الغد ، ويأتيك بخطر جديد ، لا تجديك في اتقائه الطريقة القديمة

﴿ الغبار ﴾ — اما الغبار فيلي العوارض الصناعية ، خطراً على حياة العمال . فغبار الصخور يحتوي
على قدر كبير من السلكا ، وهو كثير الضرر ، يقصر اعمار طائفة كبيرة من العمال في صناعات مختلفة
كقطع الاحجار ، واستخراج تبر المعادن المختلفة من الصخور ، واستخراج صخري الاردواز
والغرانيت من محاجرها ، وصقل الجرانيت وغير ذلك من الاعمال المماثلة لها . والواقع ان متوسط
الوفيات بين هذه الطائفة من العمال ، هو اعلى متوسط عرف في شركات التأمين ، لان العمل يجمع
في بعض الاحيان بين التعرّض للعوارض ، واستنشاق هذا الغبار الضارّ في آنٍ واحد ، كما يقع في
مناجم الذهب والفضة والنحاس ، وبوجه خاص في تعدين الرصاص والزنك . فمتوسط الوفيات بينهم
ثلاثة اضعاف او اكثر على المتوسط العام . وتوقّع الحياة لاحدهم وهو في العشرين ينقص من
١٤ سنة عن « توقع الحياة » العام . اي اذا كان توقع الحياة لموظف بنك في العشرين من عمره ،

ثلاثين سنة ، فتوقع الحياة لاحد هؤلاء العمال لا يزيد على ١٧ او ١٨ سنة . وقد اثبتت الاحصاءات البريطانية ، ان أعلى معدل للوفيات ؛ هو معدل الوفيات بين معدني القصدير والنحاس ، المعرَّضين لغبار الصخور الصلدة التي يقطعونها . فمعدل الوفيات بين هؤلاء المعدنين يفوق اربعة أضعاف معدَّل الوفيات العام ، ومعدل الوفيات بالسلّ بينهم يفوق ١٢ ضعفاً المعدل العام للوفيات بالسلّ

والسلّ الرئوي داء كثير الانتشار بين هذه الطائفة من العمال ، فكأن دقائق الغبار ، تنفذ الى نُسج الرئتين ، فتحدث احتكاكاً ميكانيكيًّا — او كيمائيًّا على ما يرجح الآن — يعقبهُ تحجّر في النسيج ، يجعل الرئة هدفاً صالحاً لعمل باشلّس الدرن . وقد اثبت بحث اجري بين قاطعي الغرانيت في ولاية فرمونت الاميركية ، ان متوسط الوفيات بالسل بينهم ، يفوق عشرة اضعاف متوسط الوفيات بالسل في الولاية عامًّا . والظاهر ان الآلات التي تستعمل الهواء المضغوط التي يعتمد عليها الآن، تثير الغبار الحافل بدقائق السلكا، اكثر من الآلات اليدوية القديمة ، وهذا يعلل ما ظهر من زيادة في حوادث السلّ الرئوي . وقد ثبت ان هناك انواع اخرى من الغبار عدا غبار الصخور ، يصحب ما يرى في بعض طوائف الناس من ارتفاع متوسط الوفيات ، مثل الحلاّقين وصنّاع الاثاث والنجارين والخبازين وعمال مصانع الغزل والنسج ومصانع الاحذية او التبغ . ولكن متوسط الوفيات بين هؤلاء ، لا يبلغ في حالة من الاحوال ، ما يبلغهُ في عمال المحاجر وما اليها

وهناك نوع من الغبار ، يظهر انهُ يقي من الخطر ، بدلاً من ان يعرّض الحياة لهُ فمن المشهور في جميع انحاء العالم ، ان متوسط الوفيات بالسل بين معدّني الفحم اقل من معدل الوفيات بهِ بين الذكور بوجهٍ عام . فمتوسط الوفيات بالسل الرئوي في انكلترا وويلس بين سنة ١٩٢١ — ١٩٢٣ كان ينقص ٢٥ في المائة في الذكور الذي يتباين عمرهم من ٢٠ سنة الى ٦٥ ، عن متوسط جميع الذكور بين هذين السنين . وما يصحُّ على معدني الفحم يكاد ينطبق كذلك على عمال مصانع الاسمنت . وقد ذهب بعضهم ، الى ان غبار الجير كغبار الفحم ، لهُ اثر في الرئتين ، يقي من السلّ . ولكن ذلك لم يثبت ثبوتاً علميًّا بعد . ولا ريب في ان البحث العلميّ الطبي على اساس المناعة التي يتمتع بها معدنو الفحم وعمال مصانع الاسمنت ، يسفر عن خير عظيم

﴿ السموم والغازات السامة ﴾ — ان امتصاص بعض المواد السامّة ، مثل الرصاص والزئبق والفصفور والنحاس والزرنيخ والبنزول واكسيد الكربون الاول وغيرها من المواد المستعملة في الصناعات المختلفة ، هو الباعث المباشر لمرض بعض عمال هذه الصناعات وموت بعضٍ آخر . ومن قبيل هذه السموم ، الاشعة السينية ، التي يتعرَّض لها الاطباء والممرضات في بعض المصحات والمستشفيات ومعامل البحث العلمي . كذلك العمال الذين يشتغلون في صنع موانيء الساعات المضيئة ، يتعرضون للاصابة بما يعرف باسم « التسمُّم الراديومي » . ومن المتعذر الآن معرفة مدى الاصابة بالسموم المختلفة الناشئة عن طبيعة العمل، لغموض الاعراض في هذه الاصابات من حيث صلتها بالعمل

نفسهِ ، حتى ليصعب على جمهور الممارسين من الاطباء تبينها وتشخيصها ولذلك يهمل التبليغ عن بعضها مع ان القوانين تقتضي بذلك . ولكن بعض الولايات انشأ من عهد قريب قوانين لتعويض العمال الذين يصابون بامراض ناشئة من عملهم ، فينتظر ان تفضي هذه القوانين الى معرفة اتم بهذه الناحية من علاقة العمل بالصحة وطول العمر

ومع قلة المعلومات التي تمكن الباحث من تعيين اثر السموم الصناعية في معدل الوفيات ، تقرر شركات التأمين الاميركية ، ان معدل وفيات الدهانين ، المعرّضين دائماً للرصاص—لانهُ يدخل في تركيب طائفة كبيرة من اصناف الدهان — أعلى من المعدل العام ، وان اثنين في المائة من وفياتهم سببها التسمم بالرصاص . اما في انكلترا ، فالتسمم بالرصاص ، يسبب وفاة كثيرين من البرّادين . والمشتغلون بصهر القصدير ، يتعرضون لدخان اكسيد الزنك (القصدير) فيصابون بداء يعرف «بداء صاهري القصدير» واليهِ يردُّ وفاة كثيرين منهم بامراض الجهاز الهضمي والسلّ والتهاب الرئة . ولا ريب في ان الغبار يشترك مع هذه الادخنة في الاصابات التي سبق ذكرها

﴿التعرُّض لاختلاف الحرارة﴾ — تقضي بعض الاعمال ، على القائمين بها ، ان ينتقلوا فجأة من مكان دافئ شديد الدفء الى مكان بارد شديد البرد . ومن هؤلاء المشتغلون بمصانع الحديد والصلب والخزف والزجاج ، وغرف الآلات البخارية في السفن . فهؤلاء العمال معرّضون لأمراض الجهاز التنفسي ، ومعدل الوفيات بينهم ، بالتهاب الرئة ، عالٍ جدًّا . والواقع ان الوفيات بهذا الداء بين العمال في مصانع صبّ الحديد ، اعلى منهُ في أية فئة اخرى من العمال . اما العمال في مصانع النسيج ، حيث يتعرضون للحرارة والرطوبة معاً ، فيصابون بعلل لا يمكن تحديدها وانما يبدو اثرها في ارتفاع معدل الوفيات بينهم . ومنهم من ينحصر عمله في اعمال يطلق فيها البخار من احواض وصناديق ، فيتعرضون للروماتزم المزمن او لالتهاب شعب الرئتين المزمن او لاضطراب في الدورة الدموية

﴿التعب والاجهاد﴾ — لقد اثبت الدكتور ريموند پرل فساد القول بأن العمل لا يقتل احداً . فأثبت من درسهِ لتقرير مصلحة الاحصاء ، ان الاجهاد الجسماني ، يقصر حياة الرجل بعد الاربعين من العمر . قال : من المعروف ان حياة العبيد في السفن الحربية الرومانية والعمال في مصانع الصين ، وعمال مزارع الارز في جاوى ، قصيرة لكثرة ما ينفقونهُ من الطاقة في اعمالهم . فثمة صلة معينة في معدل وفيات الذين اربوا على الاربعين من العمر ، ومقدار الطاقة التي ينفقونها في اعمالهم . وقد ثبت من بحث ٢٢ الف عامل في مصانع الحديد بانكلترا ، ان الامراض اكثر تفشياً بين طوائف العمال الذين يقتضي عملهم منهم انفاق قدر كبير من الطاقة في جوٍ حارّ ، منها بين الذين عملهم اسهل والجوّ الذي يعملون فيهِ اقل حرارة . وثبت من بحث آخر ان تعب القلب الناشيء عن الاجهاد في العمل كثير بين الجنود والحمّالين والمعدنين والحدادين . ولا يخفى ان الفتق من الاصابات التي تكثر بين رافعي الاحمال الثقيلة

صفحات من كتاب الارض

مراحل الحياة عبر الزمان[1]

للسر جيمز جينز

كشف علماء الطبيعة من عهد قريب عن طريقة تمكنهم من تبيّن الصفحات المتوالية في كتاب الارض وتعيين تواريخها تعييناً على جانبٍ من الدقة يسترعي النظر ولا يمضُ

فقد رأى كل قارىء لهذه الكلمات ساعة من تلك الساعات التي تتألق في الظلام الحالك فيستدلُّ صاحبها بهذا التألق على مواقع عقاربها . ولكن البحث الوافي في هذه الآلات الدقيقة . يثبت لنا ان تألقها ليس فعلاً مستمرّاً، بل هو سلسلة من الانفجارات المتوالية توالياً سريعاً فيظهر التألق كأنهُ مستمرّ .وكل انفجار سببهُ تلاشي ذرة من ذرات الراديوم ، او بالحري تحوُّلها .لأن ذرة الراديوم لا تتلاشى فعلاً ، ولكنها تتحوَّل على مرّ الزمان الى صنف خاص من الرصاص، يدلُّ عليها

والغريب ان تحوُّل الراديوم الى رصاص ، يمضي على وتيرة واحدة وبسرعة واحدة ، ولذلك يستطيع العالم ان يقيسهُ في مخبرهِ . فاذا استطعنا ان نعرف مقدار ما على عقارب الساعة من الراديوم والرصاص الناشىء عن تحوُّل الراديوم مكننا معرفة سرعة التحوُّل في الراديوم الى رصاص ، من قياس عمر الساعة . وكذلك نستطيع ان نقيس عمر صخور الارض ، بالاسلوب نفسهِ

فأننا اذا اخذنا شرائح من صخري الميكا والتورمالين ، ونظرنا اليهما بالمكرسكوب ، رأينا فيهما احياناً نوعاً من الهالات هو عبارة عن حلقات متراكزة وفي مركز الهالة ذرية من مادة مشعة، تنحلُّ او تتحوَّل ، بسرعة معيَّنة ، على مثال تحوُّل الراديوم في ميناء الساعة . وقد تكون هذه المادة مبنية من عنصر الاورانيوم او عنصر الثوريوم او منهما معاً . فحلقات الهالة ناشئة عن انحلال هذه المادة المشعة

وفي مستطاع العلماء ان يحدثوا هالات من هذا القبيل في المخبر ، مؤلفة من حلقات متراكزة ، فيمكنهم ذلك من فهم اسرار حدوثها في الصخرين المذكورين اوغيرهما من الصخور

وقد ثبت من امثال هذه التجارب ، ان لون الهالات ، يشتدُّ قتاماً ، بمضي الزمان ، ولذلك يستطيع العالم احياناً ان يقدّر عمر الصخر من لون الهالات التي يتبينها فيه

بيد ان هناك صخوراً ، تحتوي على عنصر الاورانيوم او الثوريوم ، ولكن لا تبدو فيها

(١) ملخص فصل من كتاب جديد للسر جيمز جينز العالم الانكليزي عنوانه « عبر الزمان والمكان »

ظاهرات الهالات هذه ، فعند ذلك يعمد العالم الى التحليل الكيمائي ؟ ليعرف مبلغ ما طرأ عليها من التحوُّل . وهذا يمكنهُ من تقدير عمر الصخر ، كما يمكنهُ تقدير عمر الساعة من تحليل الراديوم الذي في ميناء أرقامها

فقد ثبت من تحليل بعض الصخور في كندا [1] انها تجمدت من نحو ١٢٣٠ مليون سنة . وثمة صخور في جهاتٍ اخرى اقدم من ذلك واطول عمراً ، ولكنها ليست اقدم كثيراً من صخور كندا ، ولا يمكن تعيين عمرها ، بمثل الدقة التي عُيّن بها عمر تلك . ولذلك يصحُّ ان تقول ان صخور «البغمتيْت» بكندا هي الصفحة الاولى في كتاب الارض التي يمكن تعيين تاريخ دقيق لها

في هذه الصفحة من الكتاب ، نقرأ ان الارض كان لها من ١٢٣٠مليون سنة ، قشرة جامدة ، تجري عليها الانهار ، فتجرف في جريانها فتات الصخور الى البحار . بل ان الصفحات التي قبل هـذه الصفحة — أو الطبقات التي تحت هذه الطبقة — تبين لنا ، فعلَ التبرُّد والتجمد ، ولكننا لا نستطيع ان نعرف ما استغرقهُ هذان الفعلان من الزمن والمرجح انهما استغرقا ملايين من السنين. ولذلك يرجح علماء العصر ان عمر الارض قد لا يقلُّ كثيراً عن ١٥٠٠ مليون سنة . ولا يمكن ان يزيد على ١٥٠٠ مليون سنة كثيراً، والاَّ لكانت المواد المشعة فيها ، قد خمدت بعد انقضاء اشعاعها ، ولما اتيح لنا نحن ان نرى ظاهرةَ الاشعاع الطبيعي . والراجح ان سكان الارض بعد ملايين الملايين من السنين لن يعرفوا ما هي. فاذا كانت المواد المشعة تمضي في اشعاعها وتحوُّلها على وتيرة واحدة فعمر الارض نفسها قد لا يزيد على ٣٤٠٠ مليون سنة ، والراجح انهُ أقل من ذلك كثيراً

فبين هذين الحدين — ٣٤٠٠ مليون سنة و١٥٠٠ مليون — يقع عمر الارض [2] . فاذا اقتصرنا في تقديرنا على الارقام « المدوَّرة » قلنا ان عمر الارض يبلغ نحو ٢٠٠٠ مليون سنة ، فهو مائة الف مرة اطول من مدى التاريخ المدوَّن ومليون مرة اطول من العهد المسيحي

وقد يتعذر على ذهن الانسان ، ادراك ما في هذه الارقام من المغازي . ولعلَّ ايسر طريقة لتصوُّر ذلك ان نأخذ كتاباً يشتمل على ٥٠٠ صفحة ، تحتوي كل صفحة منهُ على ٣٣٠ كلمة ، ومتوسط الحروف في كل كلمة ستة حروف . فاذا كان هذا الكتاب يمثل عمر الارض ، فالكلمة الاخيرة فيهِ تمثل عهد التاريخ المدوَّن ، والحرف الاخير فيها يمثل العصر المسيحي . في مدى هذا الحرف الاخير ، قامت الامبراطورية الرومانية ودالت وانتشرت المسيحية في مختلف بقاع الارض وتحوَّلت دول اوربا من البلدان الهمجية التي وصفها قيصر الى ما هي عليه الآن . (وبزغ في الحجاز نجم الدين الاسلامي وامتدت فتوحات المسلمين من الحجاز الى اوربا شمالا فغرباً ، ومن الحجاز الى

(١) تعرف هذه الصخور باسم Pagmatite (٢) بعيد كتابة هذا المقال قرأنا آخر تقدير لعمر الارض ١٧٢٥ مليون سنة

اوربا عن طريق شمال افريقيا). في مدى هذا الحرف الصغير، ولد ومات ستون جيلاً من الناس. اما مدى حياتي وحياتك ايها القارىء، فقد لاتفوز بممثل لها في هذا الكتاب بأ كثر من نقطة صغيرة

فاذا شئنا ان نقرأ في هذا الكتاب ما سبق الكلمة الاخيرة (اي ما سبق عهد التاريخ المدوَّن) وجب ان تكون قشرة الارض كتابنا ، الذي نقرأ ، وما فيها من طبقات الصخور والتراب. وجانب كبير من الصفحات في كتاب القشرة الارضية قد جعّد وتكسر بمرور الزمن عليهِ، ولكنَّ الصفحات لا تزال في الغالب مرتبة بحسب تواليها الزمني ، وبعضها يحمل في طياته هناك وهنا ، ما ينبيء عن تاريخه

فلنتصوَّر اننا بسطنا هذه الصفحات المجعّدة فماذا نقرأ فيها ؟

قبل الفي مليون سنة كانت الارض لا تزال خالية من الحياة ، آخذة في التبرُّد والتجمد والاستقرار ، ومضت على ذلك نحو مائة مليون سنة . ثم نقلب صفحة أثر صفحة من الاحداث الجولوجية ، في ذلك العهد السحيق ، الى ان نقع في الصفحات التي تاريخها يرجع الى حوالي ١٢٣٠ مليون على طمي يحتوي على آثار الكربون . ويرى بعض الجولوجيين في ذلك بعض الدليل الاستنتاجي على ان البحار كانت تحتوي على طائفة من الاشكال الحية البسيطة . ثم نمضي في تقليب الصفحات فلا نقرأ فيها ، في الغالب الأ عن احداث جولوجية ، حتى نصل الى الصفحات الخاصة بالمدة التي بين ١٠٠٠ مليون سنة و ٥٠٠ مليون سنة فنجد بقايا حفريات في الصخور، يرى فيها الجولوجي بقايا الاحياء في ابسط مظاهرها . ثم حوالي المدة التي تقع قبل ٤٠٠ مليون سنة ، نجد الحياة وقد كثرت اشكالها وتعقد بناء هذه الاشكال . بل اننا نجد بقايا ديدانٍ وحيوانات بحرية هلامية تعرف بقناديل البحر ، وهي لا تختلف كبير اختلاف عن اشكالها المعهودة الآن

ثم تنقضي ملايين السنين ، فاذا فتحنا عندها صفحات في كتاب الارض وجدنا حفرياتٍ تشبه شبهاً كبيراً بعض نباتات العصر الحديث . نحسبها نباتات ولكنها لم تكن نباتات لانها كانت تعيش في اغوار البحر ، وكانت اشبه بما يعرف بشقائق البحر او نجوم البحر . ولكن بعد ذلك اخذت الحياة تغزو اليابسة وفي آثار هذا العصر نرى حفريات الاعشاب الاولى والنباتات الشبيهة بالسراخس

فلما كثر النبات على اليابسة اتخذت الارض تدريجاً شكلها الحالي . فجذور النبات تثبّت دقائق التراب، وتنشيء تربة مستقرّة صالحة للزراعة . ثم ان بعض الحيوان يغتذي بالنبات ، والبعض الآخر يغتذي بطوائف الحيوان الاول

كان هذا مفتتح العصر الذي سيطرت فيهِ الزحافات الضخمة على الارض . ومن اشهر هذه الزحافات حيوان يدعى Dimetrodon Gigas وقد كان عظاءة لاحمة (Carnivorous) ضخمة الجثة ، عاشت قبل ٢٥٠ مليون من السنين . ومن العجيب ان بعض الاشكال البسيطة التي ظهرت في ذلك العهد ، او قبيله ، كالديدان وقناديل البحر واصناف الاسفنج ، ما تزال باقية الى عصرنا هذا لم يطرأ عليها تغيير كبير، حالة ان الاشكال المعقدة التركيب التي ظهرت حينئذٍ تحوَّلت تحوُّلاً كبيراً

واذ نتقدم في تقليب صفحات الكتاب نجد صفحات كتب عليها الجولوجيون اسم «الدور البرمي» او « الدور الترياسي » وكتب عليها علماء الطبيعة « ٢٠٠ مليون سنة ». في هذه الصفحات نقرأ عن احداث جولوجية ، جمدت قشرة الارض وبدّلت من شكل سطحها . ففي نصف الكرة الشمالي نقرأ عن جفاف بعض البحار ومنها المحيط الاطلنطي والمحيط الهندي وتحوّلها الى يابسة ، ونعلم ان جانباً فقط من المحيط الهادىء ظلّ مغموراً بالماء . اما في نصف الكرة الجنوبي ، فيقول الجولوجيون ان الارض المعروفة باسم غوندوانا Gondwana برزت فوق سطح الارض وشغلت الفسحة الممتدة من شرق اميركا الجنوبية الى افريقية فاستراليا

ويرينا الجولوجيون كذلك شقوقاً في الصخور محشودة بحفريات السمك كأنها العَرَم (السردين) في العلب ، فكأن هذه الاسماك قضت آخر ايامها حيث توجد قطرات الماء الاخيرة قبل تبخرها

***

فلما انحسرت المياه عن ساحات شاسعة على سطح الكرة الارضية ، وضاق مسطح البحار الذي تتبخر المياه منهُ ، وقلّت الامطار تحوّل جانب كبير من اليابسة الى صحراوات . في هذه الصفحة من كتاب الارض نقرأ أن بحار اوربا الشمالية ظلت تتقلص حتى أصبحت بحيرات ملحة ، وازدادت ملوحتها بازدياد الجفاف ، ثم جفّت تاركة رواسب من الملح على نحو ما نجده الآن في مقاطعتي تششير وساتفوردوشير بانكلترا . فلما بدأ الجفاف في الزوال ، لم تظهر اشكال كثيرة من الاحياء التي كانت معروفة قبله ، فكأن الجفاف لاشاها ، ولم يبق منها الا ما استطاع ان يلائم ملاءمة سريعة بينهُ وبين الاحوال الجديدة . ومن هذه الحيوانات زحّاف Cacops aspidophorus استطاع ان يعيش على اليابسة بعد جفاف البحار

ويلي ذلك صفحات خاصة بالدور الجوري Jurassic وتاريخها يرتدّ الى عهد يمتدّ من ١٥٠ مليون الى مائة مليون سنة قبل عصرنا . في هـذا العصر ، عادت الرطوبة الى الهواء ، وعاد المطر ينهمل على سطح الارض ، واصبحت الارض من جديد صالحة للاحياء . في هـذا العصر ، نشاهد الزحافات التي تخطّت عهد الجفاف ، بعضها يعيش في البحر وبعضها على اليابسة ، وبعضها قد غزا الهواء. لاننا في الحفريات الخاصة بهذا العصر نقع على آثار اول الحيوانات المجنحة وقد كان لها في بدء امرها أسنان في مناقيرها . ولكن معظم الحيوانات في هذا العهد كان غير صالح لتنازع البقاء في الغالب لضخامته وعجزه عن الكرّ والفرّ

فمن الحيوانات التي عاشت في اميركا قبل حوالي الف مليون سنة حيوان يدعى Triceratops وهو نموذج للحيوانات التي كانت تعتمد على دروعها الدفاعية في الكفاح . فقد كان لهُ ثلاثة قرون طول كل منها بضع اقدام ، فكان عليهِ اذا هوجم ان يقف « وظهره الى الجدار » منتظراً عدوه المهاجم ان يتمزق على قرونهِ . وكان حيواناً ضخماً طوله نحو عشرين قدماً وعلوه نحو تسع قدام .

وكان لا يزال زحافاً في بعض خصائصه وكانت اناثه بيوضاً . ولما كانت طرق الهجوم والدفاع لا تزال بدائية فان هذه الحيوانات لم تكن في حاجة الى كثير من الذكاء ولذلك نجد ان جمجمة هذا الحيوان كان طولها ست أقدام ولكن دماغه كان لا يفوق دماغ الهريرة في حجمهِ

ومن هذه الحيوانات العجيبة الزحاف المجنّح Pterodactyl وقد كانت المسافة بين اطراف جناحيهِ نحو ١٨ قدماً . ولكن اجنحته كانت اضعف من ان تشيل جسمهُ الضخم في الهواء ؛ وارجله اضعف من ان تحملهُ على الارض. ويصورهُ لنا العلماء جاثماً على رأس صخرة او اكمة ، ثم اذا بهِ فجأة يلقي بنفسهِ في الهواءِ ، فيسبح فيهِ بفعل تياراتهِ ، على نحو طيران السابحات في الهواءِ الآن gliders فينقضُّ على فريستهِ ثم يعود ادراجه ، متثاقلا الى رأس الصخرة . فكأن حياتهُ كانت محاولة مستمرة ان يتعلم الطيران من دون ان يصيب قسطاً كبيراً من النجاح

اما الحيوان المعروف باسم diplodocus فكان من اضخم الحيوانات التي ظهرت على الارض . كان علوهُ نحو ٣٠ قدماً فوق سطح الارض ، ولذلك يرجح ان وزنهُ كان يختلف من ٤٠ طناً الى ٥٠ طناً . وقد بلغ من ضخامة جثته ان ارجله كانت تعجز عن حمله ، لذلك فضل ان يعيش في البطائح (المستنقعات) حيث كانت عنقهُ الطويلة المستدقة تمكنهُ من تناول غذائهِ . والواقع انهُ كان يحتاج الى قوة رفع الماءِ لكي يستطيع تحريك جثتهِ الضخمة

لذلك قلنا ان هذه الحيوانات واشباهها كانت غير صالحة لمعترك البقاء ، فأخلت مكانها لحيوانات اخف حركة وألمع ذكاء

فاذا قلبنا صفحة هذا العهد بعد انقراض هذه الحيوانات انفتحت امامنا صفحة الحيوانات الثديية (اللبونة) وهي في صفاتها العامة تشبه الثدييات المعاصرة . فالحيوان المعروف باسم Arsinoitherum كان يعيش في مصر من نحو ٢٥ مليون سنة . كان اصغر من جبابرة العهد السابق ، ولكنهُ كان مع ذلك في حجم الكركدن او الفيل الصغير . ومنهُ نشأ الفيل الحديث . وكان هناك نوع الببر ، وهو حيوان اصغر من سلف الفيل ، شرس الطباع ، حاد الناب كان يقطن آسيا واوربا من نحو عشرة ملايين سنة . وكان في حجمهِ مثل الببر الكبير او الاسد الكبير ، وكان له في فكيه نابان طويلان حادّان ولكنهما كانا يعوقانهِ عن اطباق فكيه ، والعلماء يعجبون كيف لم يمت هذا الحيوان جوعاً لعجزه عن اطباق فكيه ومضغ طعامه

***

وفي خلال المليون السنة الاخيرة ، نشأ الانسان من بعض الثدييات الشبيهة بالقردة . ان مدة مليون سنة ، تبدو طويلة جدًّا عند مقابلتها بمدى حياة احدنا على الارض ولكنها بالقياس الى عمر الارض ليست الاّ لحظة خاطفة . ومع ذلك ترقى الانسان في هذه اللحظة ، فسيطر رويداً رويداً على الحيوانات التي كان يصطادها وبوجه خاص لما تعلم الكلام من نحو ١٠٠ الف سنة

صورة تمثل التصميم الذي وضعه احد المهندسين لقبر الفردوسي

امام صفحة ٢٧٧
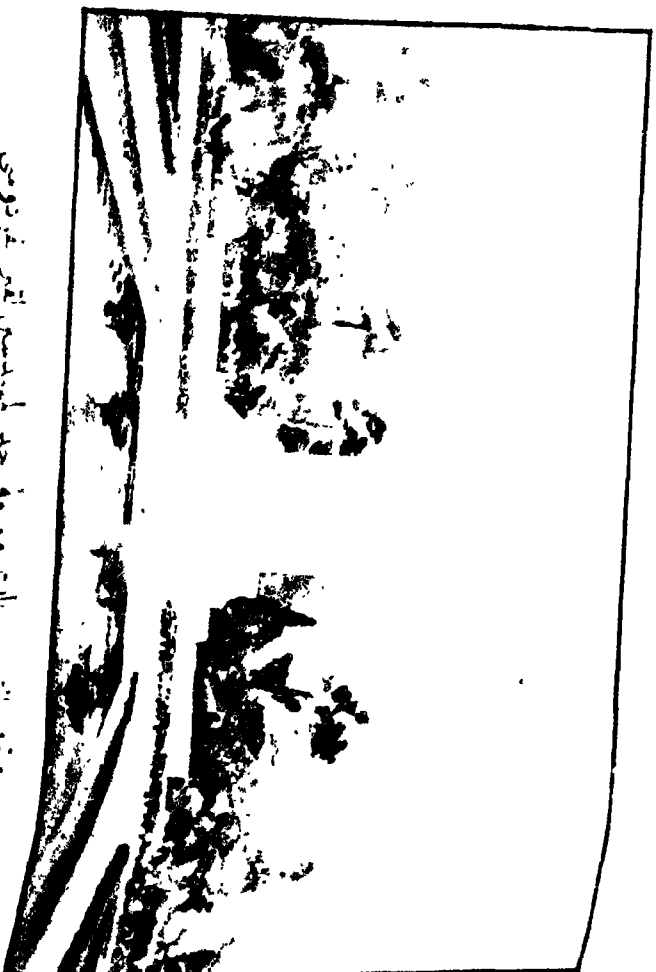
مقتطف نوفمبر ١٩٣٤

سوف نعود الى موضوع اوربا الوسطى في فصل تالٍ ، فنكتفي الآن بأن نقول ان معاهدة الصلح مع النمسا ، حوّلتها من دولة في الطبقة الاولى بين دول اوربا الى دولة في الطبقة الخامسة . نزعت منها الولايات الشمالية — وهي الولايات الصناعية — وانشأت منها جمهورية تشكوسلوفاكيا . وضمت ولاياتها الجنوبية وشواطىء دلماتيا الى مملكة صربيا فأصبحت بعد اتحادها بمملكة الجبل الاسود مملكة يوغوسلافيا ، واستقلت بلاد المجر ، وضمّت مقاطعة الى بولونيا من ناحية ، ومقاطعة اخرى من ناحية أخرى — في التيرول — الى ايطاليا . وما بقي من الامبراطورية القديمة المترامية الاطراف وعاصمتهُ فينا ، جعل جمهورية لها الحق في ان تدافع عن استقلالها بثلاثة مراكب بوليس على نهر الدانوب ، وجيش مؤلف من ٣٠ الف جندي ! ووقعت المعاهدة مع النمسا في سان جرمان في سبتمبر ، وتعرف بمعاهدة سان جرمان

وبعد انقضاء شهر على عقد معاهدة سان جرمان عقدت معاهدة نويي Neuilly مع بلغاريا ، فأصبحت من دول البلقان الصغيرة وفرضت عليها غرامة حربية قدرها ١٢٠ مليوناً من الجنيهات . اما عقد المعاهدة مع المجر فتأجل . ذلك ان بيلا كون ، كان قد اكتسح العاصمة بودابست ، بفريق من الشيوعيين ، ولم يغلب على امره الاّ في يوليو ، فتأخر عقد معاهدة تريانون مع بلاد المجر حتى شهر يونيو سنة ١٩٢٠

وكان الحلفاء قد وضعوا معاهدة مع تركيا ، بنوا موادّها على الاركان التي بنوا عليها المعاهدات الاخرى مع المانيا وحلفائها ، ولكن قبل ان توقع تركيا هذه المعاهدة ، تحدى مصطفى كمال الحكومة العثمانية في الاستانة وحكومات الحلفاء جميعاً ، فتغلّب على الارمن سنة ١٩٢٠ وطرد اليونان من آسيا الصغرى في سنة ١٩٢١ ولما سلمت تركيا الكمالية بعقد مؤتمر للصلح في لوزان سنة ١٩٢٣ اصرّت على تحقيق مطالبها القومية ، فخرجت من لوزان وقد غنمت مقدونيا والاستانة

***

اما الدول القائمة على الشاطىء الشرقي من بحر بلطيق — لتوانيا ولتفيا واستونيا وفنلندا — فاعترف باستقلالها . ووضعت الحكومات المتحالفة والمشتركة معاهدات لحماية الاقليات في بولونيا وتشكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا ورومانيا واليونان ، معترفة للقوميات المختلفة بحق احتفاظها بشرائعها وعاداتها . وكذلك نرى ان مؤتمر الصلح لم يحافظ الاّ على مبدإ حقوق الاقليات ، من مبادىء الرئيس ولسن ، ومع ذلك سلّم باخضاع نحو مليونين ونصف مليون من الالمان لبولونيا (في سيليزيا) ونحو ثلاثة ملايين ونصف مليون لتشكوسلوفاكيا ، وحكم بتوزيع نحو ثلث الشعب المجري في اوربا بين رومانيا وتشكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا

وقد صدّرت كل معاهدة من المعاهدات المذكورة بميثاق جمعية الامم ولهذا حديث تالٍ

الفردوسي وشاهنامته

وعظيم تأثيره في التاريخ واللغة والأدب الفارسي

رأيت ان اتقدم بنصيبي الى قراء العربية وادبائها الكرام من الافضاء ببيان عن الشاعر الايراني العظيم الفردوسي وشاهنامته في الوقت الذي تقام فيه الحفلات وتعقد المؤتمرات الادبية ويحتفل لعلم والادب والانسانية بمرور الف عام على ذكراه القدسية . واري قبل الخوض في بيانٍ عن ذلك لشاعر الخالد وقبل مواجهتنا الموضوع ان أطوف بالقارىء قليلاً في عوالم اللغة الفارسية وآدابها تاريخها . ان اللغة الفارسية الحاضرة ناشئة الى حد ما عن اللغة البهلوية التي ترجع الى اللسان الفارسي لقديم المسمى (آريا) او الفارسي الباستاني ، وقد انشعبت هذه من اللغة(الآرية) الاصلية ، لذلك نجد الدولة الفارسية تعرف باسم (ايران) اشتقاقاً من الكلمة الاصلية (آريان) حيث ان لفظة « يان » هي علامة الجمع بمثابة الياء والنون في جموع اللغة العربية ، اما لفظ فارس فهو محرف في لتعريب عن كلمة (پارس) الباقية بحالتها الراهنة في بعض اللغات الآرية الحاضرة . اما في اللغة فرنسية فيسمونها (پرسان) وهي كلمة مخففة عن كلمة پارسيان وكذا يسمى پرس المخففة عن پارس

وقد ظلت اللغة البهلوية محافظة على صبغتها في الخط والقراءة الى ما بعد الاسلام بقرنين او ثلاثة رون وعنها نقل ما بقي من تاريخ الايرانيين وآدابها الى اللغة العربية ثم اصبحت بعد ذلك الى القرن الخامس غة دينية عند الزردشتيين مقصورة على جماعة الموبذ والموبذان كهنة زردشت وكذلك من تعلمها من لماء الاسلام كابن سينا والبيروني وابن المقفع وغيرهم وبذلك عاشت هذه اللغة بعيدة عن متناول العامة. ما اسلوب طريقة الخط في هذه اللغة فقد بقي الى اواخر القرن الأول بعد الاسلام وتشهد بذلك سكوكات من النقود كان التعامل جارياً بها عند العرب منذ الجاهلية وقد نقلت كتابة الدواوين بها ن الفارسية في عصر عبد الملك الى العربية واهمل الخط البهلوي وشغل مكانه الخط الفارسي لحاضر الا ان اللغة الفارسية بوجهٍ عام بقيت في ميدان الخطابة والكلام الى ان عادت ثانياً ميداناً لعلم والادب بعد الاسلام

﴿ الشعر الفارسي ﴾ الشعر الفارسي قديم على ما يظهر حيث كانت الموسيقى فنّاً تلازم الحضارة [illegible]رانية في سلمها وفي حروبها ومعلوم ان الموسيقى تلازم الشعر وتلازمها في سائر خطواتها فلا بد [illegible]ون لهم مقطوعات تساير انغامها وكلمات موزونة تجاري اوزانها وفي عهد الساسانيين كما ذكر [illegible]الادب الايراني لبعض الادباء المعاصرين كان للموسيقى وزير خاص ووجد في ذلك العصر أعاظم [illegible]في مقدمتهم باربد نكيسا بامشاد فان اردشير مؤسس الدولة الساسانية قسم رجال الدولة الى ثلاث [illegible]متازة كان الموسيقيون إحداها حتى بلغت عنايته بذلك مما حدثوا عن تقسيم النغمات الموسيقية

على ايام الاسابيع وعلى فصول السنة واواخر الشهور واختلاف الليل والنهار وبقيت بعض المصطلحات الموسيقية الى مابعد الاسلام في كتب الموسيقى والادب واللغة وجرت بذلك السنة الشعراء في الاسلام ومن قرأ رسالة الفارابي في الموسيقى والمحاسن والاضداد للجاحظ وجد بعض مصطلحات موسيقية فارسية قديمة مثل زيرا افكند نهفت زير كشيده نوروز ومن هذا الرقي الموسيقي على اختلاف العصور يتبين لنا ان الشعر كان ملازماً للموسيقى وان لم تكن له الاوزان الخاصة الجارية ولكن على كل حال كان يرتكز على اوزان اخرى يمكن تطبيقها على النغمات الموسيقية التي كان لها القدم الراسخة في مرافق الدولة الايرانية ومما يدل على ثبوت الشعر الفارسي ما نقل في شرح ادب الكاتب لبطليوسي ان طليحة الاسدى من اشراف العرب اتى الى بلاط كسرى خسرو پرويز في مهرجان العيد فرأى مغنياً ينشد اشعاراً عربية فلما ترجمت لكسرى لم ترقه واخذ مُغنٍ فارسي رجّع غناءه فطرب الملك وتناول الراح. ومما يدل على علم الايرانيين بالشعر واهتمامهم به ماروى ابن قتيبة في كتاب الشعراء ان كسرى انوشروان سمع بأن الاعشى ينشد هذا البيت

ارقت وما هذا السهاد المؤرق وما لي من سقم وما لي معشق

فقال انوشروان ، ما يقول هذا العربي ؟ ورغب في ترجمة البيت فلما فهم قال اذا لم يكن عاشقاً ولا مريضاً مع سهاده فلا بد ان يكون لصّاً

وقد بيّن ابن المقفع في مقدمة كليلة ودمنة ان في اليوم الذي جاء فيه برزويه بكليلة ودمنة امر باقامة حفل احتفاء ببرزويه وكتابه وكلف الشعراء والخطباء ان يتحدثوا عن مزايا اليوم وفي هذا دلالة على ان الشعر كان ذائعاً بين الايرانيين قبل الاسلام. اما مبدأ حياة الشعر في العصر الاسلامي فقد اختلفت الآراء في اول شاعر فقيل انهُ ابو العباس المروزي وقيل انهُ ابو حفص احوص السغدي السمرقندي وقيل انهُ حنظله باد غيسي وليس في الوقت ولا موضوع المقال متسع لتحقيق ذلك ومما لا خلاف فيه ان اول شاعر بكل معنى هذه الكلمة ، والذي رُويت وحفظت عنه شعر جيلة بقيت في عيون القصائد هو الرودكي الذي نظم كليلة ودمنة وكان مغنياً بارعاً مكثراً من قول الشعر وكان كفيف البصر ولم يمضِ على بدء الشعر الفارسي الا بضع قرون حتى نبغ شعراء صاروا اعظم الامثال في مضمار التخيل والتفكير وفي براعة الاداء والتصوير وخلدوا في صحيفة الادب الفارسي قصائدهم ومقطوعاتهم التي شهد العالم بعظمتها وسمو مكانتها وفي مقدمتهم الشاعر الحكيم ابو القاسم الفردوسي الذي كان من اكبر العوامل في نهضة اللغة الفارسية وآدابها الحديثة واسترداد مكانتها العالمية بين الآداب واللغات الحية

﴿ الشاهنامه وعظيم تأثيرها في اللغة والآداب الفارسية ﴾ الشاهنامه هي المرجع المهم في التاريخ والأدب الفارسي لجميع الأدباء والمؤرخين ، ومنهج مثل على المتأخرين سبيل الـ[illegible] وهو كنز اللغة الفارسية وقاموسها الرحيب الذي [illegible] معنيا يشتمل على ذكر الـ[illegible]

والابطال وقضايا ايران وحوادثها الماضية فحسب بل هو محتوٍ على اغلب فنون الادب ففيه حكمة وغزل واخلاق، كما ان فيه قصص الحروب والابطال وجميع نواحي العواطف الانسانية من حب وهيام على ان ملحمة الشاهنامة لا تكتفي من الحوادث بسردها فقط ولكنها تربط العلل بمعلولاتها والآثار بمؤثراتها وتشير الى اسباب الطبيعة في سائر القضايا وتتحدث عن الخصائص الاجتماعية ولا تكاد تبدأ بقصة او تختمها حتى تتوجها بالعبرة وتحذر من الاغترار بالدنيا والركون اليها وتقرنها بما يلائمها من النصائح المناسبة لوقائعها المشاكلة لحوادثها وكل هذه القصص ذات الاحداث الرائعة والقضايا المتسلسلة والحقائق العالية والافكار الرحيبة يجليها في اوضح مجاريها ويخرجها في اصدق صورها فتجد القصة مكتوبة منظومة وتحس بها كأنها واقعة مشاهدة تراها رأي العين وتتحقق من مناظرها وابطالها كأنك تعيش معهم وتحيا بينهم في اسلوب قريب ايضاً تتعشقهُ كل نفس ويستمرئه كل ذوق وهذا ما جعل الشاهنامة نشيد الخاصة والعامة على السواء واتخذ أنيس المحافل فهو يبعث كوامن العواطف والاحساسات ويحمل النفس على التحلي بالشجاعة وركوب الاخطار وقوة العزيمة والاصطبار على نوائب الايام

وقد اجمع علماء الشرق والغرب على رأي واحد تجاه الشاهنامه هو اعتبارها أدباً عالميًّا وشعراً في اسمى طبقة لم يتوجه اليه احد بنقد ينال من سموها عدا البروفسور براون في مؤلفه فقد ذكر في مؤلفه في الادب الفارسي ان الشاهنامه ليست في المستوى العظيم من الشعر ثم انهُ لا يجحد مكانتها في اللغة والادب والتاريخ. على ان مستر براون هو الذي انفرد بهذا الشذوذ وهذا التفرد الغريب في نقده ، ولكنَّ اجماع علماء الامم وادباء العالم مع تباين الاذواق والنزعات على تقديرها والحفاوة بها هو اعظم ردّ على نقد مستر براون واكبر برهان على القيمة التي حازها الفردوسي وليس بضائره بعد ذلك شذوذ فرد وانفراد رأي. ان كل شعب اعلم بادبه وخصائص الشعر فيه واقدر على التمييز بين الغث والثمين فان ألحانه الفنية ... امتزاجاً تامًّا بالبيئة التي صدر عنها ذلك الفن ونشأت فيها تلك الصور الادبية وليس من شك ... مثل براون يعوزه الاتصال الكافي بالفرس من جهات عديدة . فمع احترام رأيهِ فان هذا الرأي ... عن الصواب ولاسيما اذا لاحظنا ان شعراء عديدين حاولوا تقليد الفردوسي ونظموا الحوادث فما بلغوا شأوه ولا ظفروا من محاكاته بطائل ونحن لا ندعي ان كل بيت في الشاهنامه هو ...يد فان سفراً جامعاً مثل هذا الكتاب فيما حوى من حوادث وقصص واسعة الاطراف ... يكون بعض اشعاره خيراً من بعض واعتراف الشعراء انفسهم وهم اولى الناس بتقدير ... غناء عن الدفاع عن مقام حرمتها

... ترجمة بعض نوابغ الشعراء في حق الفردوسي . يقول حكيم الانوري ما ترجمتهُ :

... شاعر الفردوسي في مقامه النوراني الرفيع فما كان الفردوسي استاذاً ونحن تلاميذه بل كان ... من عبيده . ثم يقول ابن يمني : ان الطابع الذي نقشهُ الفردوسي على دنانير الكلام لم يتح ... انهُ كلام هبط من الثريا الى الثرى فصاعد الفردوسي ورفعهُ من الثرى الى الثريا

يقول النظامي : الفردوسي هو الشاعر التاريخي والعالم الطوسي هو الذي زين بالشعر وجه الكلام كما زين بالحلى وجه العروس

ثم قال السعدي ما اجمل اقوال الفردوسي الطاهر الاصل فلتهبط شآبيب الرحمة على ترابه الطاهر

﴿ ترجمة من الشاهنامه ﴾ لعلَّ أكثر ما يهتم له الاديب معرفة رأي هذا الرجل العظيم في الحياة وها هي ترجمة بعض كلماته الحكمية والاخلاقية التي تتضمن رأيهُ فيها ايضاً

ماذا تريد من الحياة الطويلة المدى وهي مقفلة الاسرار والغيوب فانها تربيك اولاً بشهد اللذات ولا تسمعك الأَّ ارق النغمات فتظنها قد بذلت لك كل حبها وهي لا تعبس في وجهك فأنت بها فرحٌ تبذل لها ودائع قلبك واسرار نفسك ثم تلعب معك دوراً بعد ذلك يترك قلبك دامياً هكذا هذه الحياة المنقضية فلا تبذر فيها الاَّ بذور الخير

تعال بنا ، لا نودع هذه الحياة بسوء ، ولنكن مجدين في ان ننال منها يد الخير ، لاشيء من الخير والشر يبقى ابديًّا ، فاجمل بنا ان يكون الخير هو الذكرى بعدنا ، ان كنز الدنانير وقصور الذهب لن تكون لك بنافعة ولكن الكلام هو الذكرى الباقية فلا تظنن الكلام امراً هيناً

ان افريدون فرّخ ماكان ملكاً ولا كان مخلوقاً من مسك وعنبر
ولكن بالعدل والجود وجد هذه الذكرى فكن جواداً عادلاً تكون انت افريدون

*

اني أحب من الحياة زاويةً اجد واجتهد فيها لجمع زادي لا تؤذي نملة تجر الحبة الى قراها
فان لها روحاً والروح حلو لذيذ انه لحجري القلب اسوده من تكون نملة منه في ضيق

*

أيتها الحياة كلك وهم وانتفاخ لا يكون العاقل بافعالك طروباً اذا نظرت الى افعالك
لا أجد فيها الاَّ خيالاً وما أحسن الذي يجعل الذكر الجميل فيك اثراً سواءٌ أعبداً كان أو ملكاً

*

لا تركن الى هذه الحياة ولا تأمن باسرارك لها فان لها في كل حين طرازاً من اللعب جديداً
ترفع واحداً من مجرى الاسماك الى مسرى القمر وتخفض الآخر من السماء الى الهاوية

*

ان الحياة عبرة وحكمة فلماذا يكون نصيبك فيها الغفلة لقد اكثرت تشاغلك بالحياة وحرصك عليها
حتى مضى اصحابك عنك وبقيت وحدك في تشاغلك

انظر يميناً ويساراً ولا أعرف اول العمر من آخره هذا يعمل سوءاً فتأتيه [illegible]
وآخر يعمل الخير [illegible] فلا يلقى منها الاَّ [illegible] لا تؤذ روحاً ولا [illegible]
[illegible] كل [illegible]
[illegible]

التطفل في الاحياء

للامير مصطفى الشهابي

رحم الله طفيلاً الكوفي فلقد خلد اسمهُ في كتب الادب ومعاجم اللغة بفرط نهمه وشدة حرصه على لذيذ المآكل ، واستسهاله غشيان الولائم دون ان يدعى اليها ، حتى ظنَّ بعضهم انهُ اول من اتى هذه الفعلة الخبيثة ، وحتى نسي الناس الوَرْش وهو التطفل والوارشين وهم الطفيليون . وطفيل هذا ليس بأول من دَمَر على الولائم ليصيب من طعامها ؛ ولا بأول من دمَق على المشارب ليوغل في شرابها . وكل حي على هذه الارض طفيلي ابن طفيلي شاء ام ابى الاّ اذا استطاع ان يعيش في عزلة عن الناس وعن الحيوان وعن النبات وهو ما لا تأذن بهِ عيشته على هذه الكرة الارضية . وربَّ طفيلي يفيد اكثر مما يستفيد كاسحق الموصلي الشهير اذ يحكون انهُ دخل بلا اذن على جمع فيهم قينة تضرب على عود فلم ترقهُ حالة اوتاره فاقترح اصلاحها فتبرَّم الحضّار وقالوا له طفيلي وتقترح وهو المثل المعروف، لكن الموصلي اسمعهم بعدها مااقامهم واقعدهم حتى جن جنونهم فكانت صفقتهم هي الرابحة . وقد يورد التطفل صاحبه موارد التلف كقصة ذاك الذي رأى جماعة يسيرون او يُساق بهم في الطريق فظنهم ذاهبين الى وليمة فاندسَّ بينهم . فاذا بهم يقادون الى القتل . ولم يفلت صاحبنا من السيف والنطع الا بعد لأي

ولكن ليس جميع الطفيليين على هذا لأن الطفيلي في غالب الحالات يأخذ منك اكثر مما يعطيك وهو اذا قصر همه على اشباع بطنه او ارواء غليله من فضلات زادك او شرابك كان امره اهون من ان يعتدَّ بهِ او ان يؤبه له . غير ان هنالك الوارشين على مالك كالمرابين وسماسرة السوء واللصوص من التجار ولا سيما بعض الاجانب منهم ، والوارشين على علمك وأدبك وآثار قلمك ينقلون خيارها وينتحلون منها ويتحلون بها وانفك راغم ، والوارشين على بلادك يتمتعون بخيراتها ويسعدون جناتها ويسخرون السفلة من ابناء جلدتك في استصفاء دمائها وسرقة اعلاقها . ولا حد يا صاح [illegible]ال الوارشين من ابناء آدم فنهم من لا يقل عملهم عن عمل التينيا وهي الدودة العريضة اذ تستقر [illegible]مائك تشاطرك كل ما تهوي بهِ على فمك ، او عمل الدودة التي تستولي على عضلك ، او عمل الاسطوانية او المعقوفة عند ما تتكاثر في دقاق امعائك وتمتص زادك ودمك ، او عمل [illegible] لا عداد لها وهي تنمو في انحاء جسمك وتتكاثر بسرعة البرق فتولد فيك الامراض [illegible] وربما قضت عليك وقذفت بك الى العالم الثاني في ايام او في ساعات معدودات ما لم [illegible] الجانب عليها بوسائل الكفاح ، ففي هذه الحال ربما افلتَّ من براثنها كما تفلت [illegible] من ابناء آدم اذا تحليت بالصفات التي ذكرتها وكنتَ جديراً بالبقاء

[illegible] تظن ان الانسان والحيوان منفردان بهذه الاعمال الشائنة ، ففي دوحة النبات

انواع كثيرة تقوم افرادها بأعمال التطفل على مختلف اشكالها . فمن هذه الاعمال ما لا ضرر فيهِ كأن تطلب بعض النباتات المعترشة شجرة او سلكاً او حائطاً او عصى تصعد عليها لتقترب من اشعة الشمس ومن خالقها العلي الاعلى . وهذه النباتات كبيرة العدد يعرف القراء كثير منها كالهليون المعترش وصنوف من القرع واللوبياء والجلبان العطر وحشيشة الدينار وشب الليل والكرمة وغيرها . ويكون لها اسلاك تسمى عطفات او حوالق تعتمد بها دعامتها وتسير لغايتها صُعُداً الى العلاء فلا هي تضر بمضيفها ولا هي تبخل على الانسان بأزهارها المنعشة او بأوراقها الجميلة او بأثمارها اللذيذة

ويا ليت كل الطفيليات كانت كهذه اذن لسهل امرها وهان شأنها ولما استحقت هذا الاسم القبيح . ولكن هنالك نباتات متسلقة ثقيلة الظل شديدة الوطأة على الشجرة المضيافة ، كاللبلاب مثلاً فهو اذا التفَّ على شجرة تشبث بكل شق دقيق من اغصانها وسوقها كأنهُ يخاف ان تفلت منهُ فيصبح مقعداً . وتراه ينمو على تلك الشجرة ويلتصق بها حبًّا وشغفاً دون ان يمتص شيئاً من نسغها ، بل يكسوها بأغصانه وأوراقه ويمنع عنها الشمس والهواء فتستجير من ثقالته بالفلاح صاحب الارض فان اجارها سلمت والاَّ عاشت هزيلة او هلكت مع الهالكين . وكم في الناس من ثقلاء كاللبلاب اذا انت لم توصد دارك دونهم قتلوا وقتك وضيقوا انفاسك وأثاروا اعصابك وقصروا عمرك

وليست هذه النباتات طفيليات حقيقية لانها وان نزلت بابناء جلدتها ضيوفاً ثقيلة الظل فهي لا تستطعمها ولا تستقي منها . وثمة ما هو اشد منها فظاعة كالكشوث الذي يسميه الشاميون والمصريون «الهالوك» فهو ينمو على بعض البقول وعلى الورد ونبات السياج وغيرها ويلتف عليها بأغصانه الخيطية وينشب فيها ممصات دقاقاً ولا ينفك يمتص نسغها ويغتذي بهِ حتى تهزل وتبيد . وكالجُعْفيل والذُّؤنون اذ ينشبان اظفارهما في جذور ما يصادفانه من الزروع فيغتذيان من نسغها ويعيشان برغد من دم الغير بلا مشقة ولا عناء . وكنبات الهَدَالة او الدبق فلكم شاهدناه على اشجار اللوز زاهياً ينعم بطلّ (نسغ) هذه الشجرة وهو اسعد خلق الله حالاً . فهل جال بخاطره انه يعيش من دم هذه الشجرة المباركة . وهب انهُ ادرك فظاعة عمله افتراهُ يرتدع عن الاضرار بها وهو لا يستطيع ان يعيش الاَّ من زاد الآخرين وكل هذه الطفيليات لا تعد شيئاً مذكوراً اذا قيست ببعض فطور مجهرية تتكاثر في نسُج بعض الزروع والاشجار وتولد فيها امراضاً شديدة الوطأة لا تقل عن الامراض التي تحدثها الجراثيم بالانسان . ومن هذه الفطور تلك التي تولد صدأ الحبوب واسوداد الزروع وتعفن الكرمة وغيرها من الامراض التي تعد بالمئات

وبعد ارأيت ان الحياة جلاد وجهاد ، وان كل حي طفيلي ابن طفيلي على اختلاف وطأته . وهل لك ان تفسر لنا لماذا جعلت الاحياء على هذا الشكل ولماذا لا تعيش بهناءة ما لم تتكالب على الرزق وما لم تتفانَ وراء متع الحياة وما لم يُبدْ بعضها بعضاً في الدقيق والجليل من الشؤون ؟ هذه امور دقت عن متناول الفهم . ويقولون ان فيها حكمة لا يدركها الاَّ الذين انقشعت الغشاوة عن بصائرهم . فهل انت من هؤلاء النفر الملهمين لتكشف لنا القناع عن احاجي هذا الوجود العجيب ؟

فكرة جديدة ولكنها قديمة

الحيوان في عصر الآلة

خطبة رجل من فجر التاريخ

الاختراع من الصفات التي يتميّز بها هذا العصر . ولكن العصر الذي اخترعت فيهِ الكتابة والعجلات والإبر ، واستنبط الصفر والقمح والنقد كان من اعظم العصور اثراً في التاريخ . لان تلك المخترعات والمستنبطات وغيرها كانت اوثق صلة باصول التحضر واركان العمران من المصابيح والسيارات ومثاقب الحديد ومجعّدات الشعور ومطريات الجلود ومذيعات الانباء

خذ مثلاً على ذلك الرجل الذي «اخترع» البقرة . فقد يصعب علينا الآن ان نتصور بيتاً ليس فيهِ زجاجة لبن حليب . ولكن في العصور المتغلغلة في جوف القدم ، كان اصعب على الانسان ان يتصوّر بيتاً فيهِ لبن حليب ، دع عنك الزجاجة . فقد كان اسهل على الرجل ان يقدم الى زوجه باقة من الزنابق على ان يأتيها بوعاءٍ من اللبن . وليس ذلك لقلّة اللبن ولكن لتعذّر الحصول عليهِ . فقد كان يملأ ضروع طائفة من الحيوانات ولكنها كانت بريّة شرسة فلا يحاول رجل ان ينتزع منها لبنها الاّ ويصاب بأذى

عندها ولد عبقريٌّ — عبقري جرّب التجارب بالحيوانات كما نجربها نحن بالمواد الكيمائية . وفي ذات مساء طرأ على فكرهِ خاطر عجيب قوامهُ الحصول على اللبن الذي يطلبهُ عند بابهِ كلّ صباح

كان تحقيق هذا الخاطر من اعسر الامور . أيُّ الحيوانات اصلح ما يكون لهذا العمل ؟ ففي بعض نواحي الارض كان بعض الناس قد جرّب الحيوان المعروف بالكسلان الذهبي . وهو حيوان قبيح الخلقة ، كانوا يحفظونهُ في الكهوف ويحلبونهُ عند الامكان . ولوانهم نجحوا في تجربتهم هذه لحلّ الكسلان في الراجح محل البقر في مروجنا وصور مصورينا وقصائد شعرائنا

غير ان الكسلان كان لا يصلح لهذا . فهو يصاب في الصيف بامراض جلدية ، ويشخر في الليل ، وفي لبنهِ طعم كريه كأن فيهِ اثراً من السمك . ولو انحصر الاعتراض عليهِ في الوجوه المتقدمة لهان الامر . ولكن الكسلان كان غير مزواج بل كان يكتفي بزوج واحدة . والتقيّد بزوج واحدة في الحيوانات الزراعية ، ليس في مصلحة الفلاّح . فلما تبيّن الاقدمون ان كلّ كسلانة لا بدّ لها من زوج خاصّ بها ، انصرفوا عن محاولة تربية هذه الحيوانات للفوز باللبن الذي تدرّهُ اناثها

عند ذلك التفت العبقريُّ الى حيوانٍ نغلٍ ، لا يبدو على ظاهرهِ انهُ اصلح لهذا الغرض من الكسلان المنبوذ . كان شرساً ، صلب القرون ، يجفل لأهون الاسباب ، بعيداً في شكلهِ وطبائعهِ

عن البقرة كما هي الآن ، بُعد تبر الحديد عن احدى المدرّعات . ولكن ذلك العبقري رأى فيه بعين الخيال ، حيواناً يصحُ ان يكون « الآلة » التي ينشدها لتجهزهُ باللبن امام داره كلَّ صباح هزيءَ بهِ الناس ودعوهُ خياليًّا لا يقيم للواقع وزناً . كيف يستطيع ان يصيد هذا الحيوان الشرس النفور ؟ ان البحث عن التبر في الارض ، معقول لان التبر لا ينتقل من مكان الى مكان . اما صيد هذا الحيوان حيًّا ثم تأنيسه واستدرار لبنهِ ، فعمل من وراء القدرة البشرية . انهُ يرفس وينطح ولا يستقرُّ لهُ قرار . ومع ذلك فجلُّ اعتمادنا اليوم في اللبن الذي نشربهُ صغاراً وكباراً ، ونأكلهُ جبناً مختلف الالوان، وندخلهُ في صناعات لا حصر لها، انما يستدرُّ من البقرة التي «اخترعها» ذلك العبقري

وما لبث مفكّر آخر حتى « اخترع » الدجاجة . ذلك انهُ لم يكتفِ بالبحث عن البيض الصغار في الحراج ، فاختار طائفة من الطير الخفير الجبان ، واقنعهُ بالتربية والعناية بهجر الحراج وسكنى القيعان . و « اخترع » غيرهُ في آسيا الجَمل للنقل وآخر الحصان للعدو والانتقال السريع

قابل بين هذه المخترعات ومخترعاتنا نحن ! ان مخترعاتنا ولا ريب زادت في رفاهتنا ، ولكنها في الوقت نفسه زادت في متاعبنا . ولو انهُ اتيح لأحد هؤلاء المخترعين القدامى ، ان يزور الارض الآن لأخذ بالمجائب التي اجترحنا . ولأخذ كذلك بالجهد المضني المحتّم علينا الآن . فاذ تملّى قليلاً من هذا المشهد الذي يدهشهُ ويحيّره التفت وقال : انني لا أستطيع ان افهم كيف ترضخون لهذا وامامكم مملكة الحيوان . فلماذا لا تختارون منها حيوانات منوّعة ، فتروّضونها على القيام بأكبر جانب من العمل المحتوم عليكم ؟ انني لا أفهم لماذا تحصرون هذه الاعمال في الرجال ومن الحيوان اصناف كثيرة يمكن تعويدها ان تقوم بها ؟

فتأنس قليلاً الى ملاحظة الرجل . ويأنس هو منك هذا الايناس فيمضي في قوله :

« ... ولست ادري ... بل لعلّنا كنا في العصور السابقة ابرع منكم واوسع حيلة . . . على ذلك الشأن . فأنها بعد اختراعنا لها شبّت عن الطوق في الطبائع المطلوبة منها و . . . وزيادة ما تتطلبهُ من الخدمة منا . ولكننا لم نلبسّ لها ، ولا رضينا بها اسياداً ونحن عبيداً . . . كلب الرعاة ليرعاها ويحرسها

« ولكنني لا أفهمكم . تدّعون انكم احرارٌ من قيود التحزّب لفكرة سابقة وتضحكون من الذين رفضوا ان يقبلوا البخار مسيّراً لمركبات الانتقال بدلاً من الخيل . فأضحك من . . . لأنه اذا جاء رجل وقال لكم لماذا لا تستعملون الدببة بدلاً من الرجال في تعدين . . . وهزأتم بما يقول . ولكن اذا كان لنا في تلك العصور القديمة ان نأخذ الخيل . . . ونروّضها حتى تتخلّى عن بعض طبائعها الشرسة كالرفس والنفور والعناد فنحولها . . . مطواعة تحمل اعباءنا وتطيع اشاراتنا — اذا كان لنا ذلك في العصور القديمة فاحر بكم ان تحوّ . . . الى حيوان يعدّن الفحم من دون صعوبة كبيرة

« اني اسلّم بانكم لاتستطيعون ان تستعملوه في التمدين كما هو الآن . ولكن انظروا اليهِ نظركم الى الصلصال في يد الخزّاف . فهو حيوان في عقله ذكاء ، وفي عضلاتهِ قوة . ويستطيع ان يستعمل مخالبه كما يستعمل الانسان يديهِ . انكم لتستطيعون ان تخلقوا منهُ بالتناسل حيواناً ابرع في استعمال يديهِ من الدبّ الحاضر . وهذا اكثر مما وجدناه في الحيوان الذي خلقنا منهُ البقرة في عهدنا البعيد

« وانما يظهر ان آخر ما تتجه اليهِ انظاركم هو استعمال الحيوان . فاذا وجد احد روّادكم نوعاً جديداً من الحيوان عاد بنموذج منهُ الى حديقة من حدائق الحيوانات : او جاءَ بجلده الى بيته او احدى المتحفات . ولو انكم جريتم في استعمال المعادن على هذه الخطة ، لاكتفيتم بتعليقها على الجدران او عرضها في المتحفات او تصويرها بالفوتغراف

« ومما يحيرني عنايتكم الشديدة بالجوامد ، وانصرافكم عن الاحياء

« للمخترعين ثلاثة ميادين — ميدان الجوامد — وميدان النبات — وميدان الحيوان . فلماذا لا « تخترعون » حيوانات جديدة . فأنتم بحاجة كبيرة الى ما تستطيعون اختراعهُ في هذا الميدان الثالث من ميادين الاختراع ؟

« بل مما يزيد حيرتي ، رضاكم عند القيام بالعمل المضني ، من دون ان يسعى احد لالغائهِ او الاستغناء عنه ، بالقائهِ على عواتق الحيوانات التي تخترع لهذا الغرض خاصةً . ان مخترعيكم يتحدثون بالغاء العمل ، او تقليله . فما هو السبيل الذي يسلكونه الى تحقيق غرضهم ؟ يخترعون آلات جديدة ، تدير من تلقاء نفسها الآلات القديمة ، والآلات الجديدة يعهد في ادارتها الى الرجال او النساء . فلماذا يجب عليهم ان يخترعوا آلات لا يديرها الاّ الناس ؟ لماذا لا يحاولون ان يخترعوا آلات يمكن ان تديرها الحيوانات ؟ او لماذا لا تحاولون ان تخترعوا حيوانات جديدة تصلح لادارة آلاتكم ؟ ولو انكم عشتم في العصر الذي استنبطت فيهِ العجلات ، لما خطر على بالكم — بناءً على حكمكم الآن — ان تستعملوا الخيل لجرّ العربات ، بل لجررتموها بأنفسكم ولظللتم تجرّونها حتى يستنبط البخار فيغنيكم عن جرّها على الاطلاق . ولكننا نحن اخترعنا الجياد قبل العربة ، والبغال والثيران والحمير . فحوّلنا العربة ذات العجلات نعمةً للناس ، لا لعنة . ان مئات من الحيوان تصلح للاستعمال في آلاتكم ، بالتمرين والترويض والانتخاب التناسلي . ان الجياد البرية يستغرق بضعة أسابيع ، ولكن تطبيع الاطفال يستغرق سنين طوالاً . وليس خوف ، من ان ينقلب الحيوان المطبّع فلا يقوم بالعمل الذي تعوّده وتمرّن عليهِ . ولابدَّ ان يهزأ فيهِ حفدتكم من اسرافكم في اطلاق الحرية للحيوانات القوية الصبورة ، تنفق في المراج والبطائح والسهول وانتم تعملون حتى كدتم ان تأتوا على نفوسكم بالعمل المضجر ... تسخرون من مصيركم » !

... القادم من فجر التاريخ خطبتهُ في ابناء العصر الحاضر

اذا اخذنا باقتراح ذلك الخطيب البليغ ، رأينا انقلاباً كبيراً قد أتى على مناحينا ومصانعنا . بل رأينا قبل هذا انقلاباً عظيماً في حروبنا . فالحروب اول ما تتأثر بالمخترعات الجديدة . فاذا تعلم الناس ان يستعملوا الحيوانات في إعداد الجيوش ، فقدت الحرب ، بعض فظائعها التي يأباها الانسان . كان امراء الهند في العهد السابق للانكليز هناك يستعملون الفيلة في الحرب . فلماذا لا ننشيء فرقاً من النمورة ، تتخصص في الهجوم على الخنادق ، واسراباً من النسور لالقاء القنابل من الجو . فالمسألة مسألة تمرين، ونحن لانستطيع ان نحكم الآ بعد ان نجرّب !

او خذ مثلاً آخر . فقد ألّف العالم الاقتصادي البلجيكي — لاسيليري La Sellerie — كتاباً قال فيه : ان ملايين من الأفدنة الصالحة لرعي الماشية في الاقطار الباردة الشمالية، لا تصلح لذلك من الوجهة الاقتصادية ، لأن الأبقار مثلا تحتاج الى حظائر مدفأة ، وان ما يقتضيه بناء هذه الحظائر وتدفئتها من النفقة ، يجعل العمل من الناحية المالية عملاً خاسراً . ولكن هذا المؤلف لم يلقِ باله الى طريقة عمد اليها الانسان في فجر التاريخ . ذلك انهُ ليس من المحتوم علينا ان نربي الابقار في المناطق الشمالية الباردة لان الابقار من اصل استوائي ويتعذّر عليها تحمل البرد الشديد في تلك الاصقاع .ولكن لماذا لانبحث نوع آخر من الماشية يستطيع ان يتحمّل البرد . ولعلّ افضل هذه الحيوانات التي تصلح لمثل هذا الغرض هو ثور المسك . لا ريب في ان ثروة طائلة تدرُّ على الرجل او الجماعة التي تستطيع ان تلائم ثور المسك لاحوال المعيشة هناك فيسهل تكثيره فيها . ولحم ثور المسك لحم جيد ، لايفوقه لحم البقر ، وصوفهُ ناعم كالكشمير ولا يتقلص عند الغسل . ومع ذلك فالانسان هذا العصر لا يفكر ، الاَّ في الصعوبات التي تقوم في وجهه من هذه الناحية . فيقول ان ثور المسك لم يؤنس . وهو على كونهِ حيواناً بريَّاً ليس على الاطلاق حيواناً شديد الشراسة

اننا نجرب التجارب بتبر المعادن والمركبات الكيمائية ، مع ان التجربة بحيوان ثور المسك ، تنطوي على لذة وفائدة انطواء التجارب الكيمائية على الاقل

وما قولك في بعض المراعي الافريقية . ففي هذه المراعي حيوان برّي يعرف بالايلند . تأنيسه سهل وطعم لحمه لذيذ . ولكن الناس لم يروا فيهِ الاّ حيواناً للصيد .فابادوه او كادوا من منطقة واسعة مساحتها تبلغ مئات الالوف من الافدنة . ثم جاءوا بالابقار والثيران لتعيش هناك فباءت تجربتهم بالخيبة والخسارة . لأن هذه الحيوانات لم تستطع الثبوت في وجوه ذباب تسه تسه

واذا صحَّ ما توقعه منا سلفنا العظيم ،واستعملنا بعض الحيوانات لادارة بعض الآلات ،وجب علينا ان نستنبط وسيلة للتفاهم معها . وهـذا امر ميسور اذا عرفنا كيف نعالجهُ . فبدلاً من ان نحاول تعليم الحيوانات النطق يجب علينا — ونحن بارعون في أصول اللغات واساليبها — ان نفهم لغاتها هي ، فنحاكيها فيها ونفهمها ما نريد

هذه لمحة خاطفة من نواحي هـذا الموضوع الفتّان نسوقها للتفكهة والاعتبار في آنٍ واحد

ملكن دلائل على تكون العناصر الثقيلة في رحاب الفضاء ويقول جينز انها اشارات الى فناء المادة في تحولها الى اشعاع . فالاول يقول ان الكون يبتدىء حيث ينتهي اذ تتحول الطاقة الى مادة ، واما الثاني فيقول ان الطاقة اذا تحولت الى طاقة ضعيفة بحسب ناموس الترموديناميكس الثاني ، فلن ترتد

وأدهى من كل هذا ان العالم هيزنبرج الالماني ، اثبت انهُ اذا تغلغلت الى عالم الالكترونات تعذر عليك أن تؤمن بأن في الطبيعة سبباً ومسبباً او علة ومعلولاً ، فناموس السببية يضعف عند ما يدخل عالم الالكترونات وهذا ما يعرف عند علماء العصر بمبدإ عدم التثبّت Principle of Uncertainty ، ومن هنا ما يدعى أزمة العلم الحديث

***

وازمة العلم الحديث شبيهة بأزمة الاقتصاد الحديث . فالازمة الاقتصادية هي أزمة «كثرة وفيض» اكثر منها ازمة «فقر واعمال» . كذلك في العلم . ففي عصر حافل بنشاط علمي يضاهي عصر غليليو ونيوتن، نسمع نغمة حيرة تتردد في المحافل والمجامع . فكأن العلم بعد ما غزا الطبيعة فقد ثقته في نفسه . فارتبك وتجلجل . ذلك ان الثورة التي طغت على العلوم الطبيعية الحديثة ، قلبت اوضاعها الاساسية جعلت العالم والعامي سواء ، في اعتقادهما ان النظريات العلمية غير كافية للاعراب عن الحقيقة بل هما يرتابان في أن الطبيعة يمكن ان تكون حقيقة كما يصورها لنا رجال العلم ، محدثوهم وقدماؤهم على السواء

فالرجال الذين يعالجون نظرية المقدار يقولون ان الاوليات العلمية وناموس العلة والمعلول تتهاوى بين ايديهم اذ يحاولون تطبيقها على الالكترون والبروتون . ولما كانت كل الاشياء المادية مبنية من الكترونات وبروتونات فمعنى قولهم هذا أنهم لا يؤمنون بعد الآن في السببية او الجبرية . يقول اينشتين ان الايمان بناموس السببية مهدد اليوم من قبل أولئك الذين انار هذا الناموس سبيلهم — اي علماء الطبيعة . فكأن قول الفيلسوف كونت لما حذر العلماء من التمادي في النفوذ الى ما وراء المكروسكوب من اسرار الطبيعة ، قد صحّ بحذافيره

كان كونت ناقماً — لما قال قوله هذا — على علماء الاجتماع ، الذين يريدون أن يتمدوا درس مظاهر الاجتماع الى البحث في الاسباب الاولى فقادهم ذلك الى الشقاق والفوضى . نخشي أن تصاب العلوم الطبيعية بما أصيبت بهِ العلوم الاجتماعية ، اذا شرع علماء الطبيعة في البحث عن الاسباب الاولى . وكان رأيهُ ان يكتفي العلماء ، بتخطيط الظاهرات الطبيعية ، من حيث انتظامها العملي ، لتكون مرشداً للانسان في حياته اليومية ، لانهُ اذا حاول العالِم ان يتقصّى النواميس الطبيعية كما هي وراء مظهرها الواقعي ، فقد يجد أنها ليست مطلقة ، وأنها لا تخرج عن كونها احتمالات ، لا نواميس على الاطلاق ولكن العلم لم يأبه لنصح الفيلسوف ، وها هو ذا مرتطم محيّر لا يعرف من المأزق مخرجاً

***

ولا ريب في انه من المستطاع ان يقام الدليل على ان سرعة تقدم العلوم قد بلغ ما لم يكن ...

اقطاب العالم

في العصر الحديث

بين عنة الازمة والامل بانفراجها يتطلّع العالم المتحير ، إلى ما قد تسفر عنهُ الحادثات السياسية ؤتمرات الدولية المختلفة. يسأل بعضنا بعضاً هل نشهد بأم العين ما تغنى بهِ الشاعر الانكليزي لورد سون على أنهُ من الاحلام إذ قال : « وتقدت بنظري الى المستقبل ، الى أبعد ما يصل اليه النظر ري . . في برلمان الانسان واتحاد العالم » ؟ ولكن رجل الشارع ، أيّاً كان هذا الشارع وأين كان ل : — « على من تلقى التبعة في خيبة هذه المؤتمرات . ان فيها ميداناً واسعاً للابداع ، فكيف ل خيبة الآمال ؟ كيف نفسر التردد وعدم الحزم حيث لا ينجينا إلاّ الحزم والاقدام ؟ »

وقد أعرب الدكتور بطلر ، رئيس جامعة كولومبيا ، عن رأي رجل الشارع اذ اسند هذا النقص حياة العالم العامة الى عوزٍ في الزعماء وصفات الزعامة . فالمعرفة واسعة النطاق ، والآمال والنيات طوي على الخير في الغالب والبواعث تستدعي العمل . ولكن يعوزنا الزعماء . ويؤيدهُ رجل الشارع قول : « فاذا أخفق الزعماء فلعلَّ لهم عذراً في ذلك. انهم غير الزعماء في العصور الماضية . أين تام وبرك ودانيال وبستر وتاليران وبسمارك ودزرائيلي ؟ »

وليس الغرض من هذا المقال المقابلة بين زعماء هـذا العصر وزعماء العصر الماضي أو العصور اضية ، بقصد الحكم لهؤلاء او لهؤلاء . وانما القصد أن نبين ما طرأ من التغيير على احوال الزعامة الحكم في العصر الحديث مما جعل الزعماء في حال لا يحسدون عليها

فالتغيير الاول هو من الثبات والاستقرار الى التقلب في مناصب الحكم ، فالزعماء اليوم ، يتقلدون الحكم في الغالب بفعل المشيئة القومية المعبر عنها في المجالس النيابية ، وهذه تتقاذفها الآراء والاهواء ، فتتقلب وتنقلب غداً على زعيم اليوم ، او بعد غد على زعيم الغد . والتغيير الثاني من لبساطة في المشكلات التي يعالجها الزعماء الى التعقيد . ولو أن احد اقطاب الماضي ، عاد اليوم الى مناصب الحكم ، لوجد امامه طائفة منوعة معقدة من المشكلات الجنسية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، يتعذر علاجها وحلّها باللسان الذرب والنطق الخلاّب. علينا ان نذكر هذين الوجهين من وجوه التغيير اذا شئنا أن نصل الى حكم منصف في مقام اقطاب العالم اليوم من مشكلات عصرهم

ففي القرن الثامن عشر والقرن التاسع كان الزعماء يحسون انهم ليسوا باطياف عابرة على مسرح السياسة . فوشنطن وادمز وجفرسن وهملتن وفرنكلن وغيرهم من مؤسسي الجمهورية الاميركية ظلوا ذوي أثر عظيم في حياة أمتهم طوال حياتهم . وفي بريطانيا ظل بت Pitt الصغير حاكماً لبريطانيا خلال عشرين سنة من سني الحرب والسلم . ثم ان حياة ولنغتن وبامرستون وغلادستون العامة

القضاء في السودان

لخليل الخوري
القاضي بمحاكم السودان سابقاً

القضاء الجنائي : تتمة[1]

مما يلاحظ ان ترتيب الجرائم في القانون السوداني قد توخيت فيه البساطة القصوى ففاز
رع السوداني فوزاً باهراً بتوضيح ابواب القانون وترتيبها ترتيباً منطقيًّا جامعاً مانعاً خالياً من
تباك والتقيد والاغلاق . وابوابه ثمانية وعشرون باباً وهي — مقدمة تبحث في مريان القانون
الاشخاص والاماكن — ايضاحات عامة وتعريفات — والمسؤولية الجنائية وتشمل حق الدفاع
الارواح والاموال والشرف — والعقوبات — والافعال المشتركة — والتحريض — والشروع
ارتكاب الجرائم — والمؤامرة الجنائية — والجرائم ضد الحكومة — والفتنة — والجرائم
لقة بالقوات العسكرية — والجرائم ضد الراحة العمومية — وجرائم الموظفين والجرائم ضدهم —
زدراء بسلطة الموظفين القانونية — وشهادة الزور والجرائم المتعلقة باقامة العدل العام —
رائم النقود المسكوكة والنقد والورق — وجرائم الطوابع الرسمية — والجرائم المتعلقة بالاوزان
نابيس والمكاييل — والجرائم الماسة بالصحة العمومية والامن والراحة والحشمة والادب —
ائم القسوة على الحيوانات والجرائم المتعلقة بالدين — والجرائم الماسة بالجسم الانساني وتشمل
ائم الماسة بالحياة وبتسبيب اسقاط الحوامل واضرار الجنين وتعريض الاطفال للاخطار ومعاملتهم
سوة واخفاء الولادات والاذى والاعاقة والاعتقال بدون حق والقوة الجنائية والتهجم والخطف
شغيل الجبري والاغتصاب والجرائم المخالفة للطبيعة الواقعة على الشخص وهتك العرض —
رائم الواقعة على المال وتشمل السرقة والسلب والنهب والسطو والامتلاك الجنائي بدون حق
انة الامانة وتسلم المال المسروق والاحتيال اي النصب والاساءة اي اضرار الاموال والتعدي
ئي — والجرائم المتعلقة بالمستندات وبعلامات الملكية وبعلامات اخرى — والاخلال الجنائي
د الخدمة — والجرائم المتعلقة بالزواج والزنا بالمحارم — والقذف — والارهاب والسب والتكدير
ائي والسكر . ومما امتاز به قانون العقوبات السوداني الامثلة المحسوسة التي يضعها في آخر المواد
بة وهذه الامثلة بمثابة شرح عملي للمواد واليك مثالاً واحداً على هذا تستدل منهُ على قيمة هذا
ح للمحاكم ولرجال القضاء

---

١) راجع مقتطف يوليو ١٩٣٤ صفحة ٧٤

المادة ٨١ — اذا اشترك جملة من الاشخاص في ارتكاب فعل جنائي فيجوز ان يكونوا مرتكبين جرائم مختلفة بواسطة ذلك الفعل

مثال — هجم عمرو على زيد في ظروف تهييج شديد فجعل قتله لزيد قتلاً جنائياً لا يبلغ القتل العمد فعاون بكر عمرواً على قتل زيد بدون تهييج وهو اي بكر في نفسه ضغن على زيد ويقصد قتله ففي هذه الحالة يعتبر بكر مرتكباً القتل العمد وعمرو مرتكباً فقط القتل الجنائي الذي لا يبلغ القتل العمد وان كانا قد اشتركا كلاهما في تسبيب موت زيد

وينتج عن هذا ان عمرواً قد يعاقب بالحبس سنة مثلاً فقط وان بكراً قد يعاقب بالاعدام

﴿ تشكيل المحاكم الجنائية ﴾ — المحاكم الجنائية السودانية خمس درجات — المحكمة الكبرى والمحكمة الصغرى ومحكمة القاضي من الدرجة الاولى ومحكمة القاضي من الدرجة الثانية ومحكمة القاضي من الدرجة الثالثة — وتشكل كل من المحكمتين الكبرى والصغرى من ثلاثة قضاة وهاتان المحكمتان لهما اختصاص بالحكم في الجرائم الكبرى كما سيبين . والمحاكم الثلاث الاخرى مؤسسة على نظام القاضي المنفرد والقضاة الجنائيون من ثلاث درجات كما هي الحال في القضاء المدني ويعتبر مدير المديرية ونائب المدير وقاضي المحكمة العليا المدنية وقاضي المديرية المدني والقاضي الجزئي المدني من الدرجة الاولى قضاة جنائيين من الدرجة الاولى بحكم وظائفهم وكذلك يعتبر المفتش ومساعد المفتش والقاضي الجزئي المدني من الدرجة الثانية قضاة جنائيين من الدرجة الثانية ويعتبر القاضي الجزئي المدني من الدرجة الثالثة والمأمور ووكيل المأمور قضاة جنائيين من الدرجة الثالثة . وقد يدهش القارىء اذا قلت له انهُ لا يوجد في السودان في الواقع محاكم جنائية متفرغة للنظر في القضايا الجنائية فالموظفون الذين يمارسون القضاء الجنائي السوداني هم الحكام الاداريون او متولو السلطة التنفيذية اي المدير ونائبه ووكيله والمفتش ومساعده والمأمور ووكيله والقضاة المدنيون فهؤلاء فوق اعمالهم الادارية والقضائية المدنية وعلاوة عليها ينظرون في القضايا الجنائية ويحكمون فيها بحسب ما خولهم القانون . كما انهُ لا توجد محكمة كبرى او محكمة صغرى جنائية ثابتة بل تشكل هاتان المحكمتان عند الاقتضاء من ثلاثة قضاة من القضاة المدنيين ومن الحكام الاداريين الذين هم قضاة بحكم وظائفهم — والقضاء الجنائي هو في الواقع تحت اشراف مديري المديريات أي هم الذين يشكلون المحاكم وهم الذين يوزعون الأعمال والمدير يرأس بنفسه المحكمة الكبرى او يرأسها قاضٍ من الدرجة الاولى ينتدبهُ المدير ويشترط ان يكون واحد على الاقل من قضاة المحكمة الكبرى الثلاثة قاضياً من الدرجة الاولى اما المحكمة الصغرى فيشترط ان يكون احد قضاتها من الدرجة الثانية — وكما سبق لا توجد في السودان محكمة مخصوصة للقضاء الجنائي وحده الاَّ في مديرية الخرطوم حيث وجد ولا يزال يوجد حتى الآن محكمة جنائية منفردة للقضاء الجنائي يجلس فيها قاضٍ من الدرجة الاولى منفرد وهو الذي يرأس المحكمة الكبرى والمحكمة الصغرى عند الاقتضاء — اما اختصاص هذه المحاكم الخمس فمعرفته على غاية من السهو[لة]

والمسائلة فقد ذيل قانون التحقيق الجنائي بعدة جداول او قوائم او بيانات فالجدول الاول منها ذو ست خانات الخانة الاولى ذكرت تحتها نمرة المادة من قانون العقوبات والخانة الثانية ذكرت فيها خلاصة الجريمة المنصوص عنها بالمادة والخانة الثالثة عنوانها « هل يجوز للبوليس القبض بدون أمر أم لا » والخانة الرابعة عنوانها «هل يجوز في اول الامر اصدار امر قبض ام ورقة حضور» والخانة الخامسة عنوانها «العقوبة» والخانة السادسة عنوانها «المحكمة ذات الاختصاص الادنى التي تحكم في الجريمة» فمتى رفعت القضية كان من السهل جداً بمراجعة هذا الجدول معرفة المحكمة المختصة وقد ذكرت المحكمة ذات الاختصاص الادنى اي اصغر محكمة يجوز لها الحكم في الجريمة وهذا لا يمنع محكمة اكبر من النظر والحكم في الجريمة

وكما انهُ لايوجد في السودان محكمة جنائية مخصوصة فكذلك لا يوجد ما يسمونه في مصر محكمة نقض وابرام او ما يسمونه في سوريا ولبنان محكمة تمييز (ولفظة تمييز هذه لفظة اخذها الاتراك عن اللغة العربية كما اخذوا كثيراً غيرها فعبثوا بها وبغيرها وأخرجوها عن معانيها الأصلية ثم عاد العرب واسترجعوها معبوثاً بها) — ولا محكمة استئناف خاصة وانما يستأنف بعض احكام القضاة المنفردين واحكام المحكمة الصغرى الى المدير وتستأنف احكام المحاكم الكبرى الى الحاكم العام وسواء استؤنفت احكام المحاكم الصغرى والكبرى ام لم تستأنف فينبغي رفعها الى المدير او الى الحاكم العام لنقضها او لابرامها او لتعديلها على ان للحاكم العام طلب اية قضية جنائية لمراجعتها ومستشار الحاكم العام في المسائل الجنائية هو رئيس القضاء فترسل الأحكام الى الحاكم العام عن طريق رئيس القضاء

ويتولى في السودان ضباط البوليس اعمال التحري في الجرائم ثم يحيلونها الى القضاة الذين يتولون التحقيق وبعد ذلك تحال الى المحكمة المختصة وليس في السودان نيابة كما في مصر والذي يقوم بأعمال النيابة هو المحامي العام الملحق بالمصلحة القضائية والذي هو بمثابة قلم القضايا العام للحكومة السودانية او هو في الواقع مستشار الحكومة القضائي ولا يشبه النائب العام في مصر او المدعي العام في غير مصر على ان المادة ٢١١ من قانون التحقيق الجنائي السوداني تنص على انهُ يجوز ان يتولى الادعاء المحامي العام او اي شخص يعينه المحامي العام لينوب عنهُ او اي شخص يعينه المدير او المفتش او المشتكي او محام معين من قبل المشتكي

ومما يلاحظ ان التقادم او سقوط العقوبة او سقوط الحق باقامة الدعوى العمومية لا وجود لهُ في السودان فليس في قانون التحقيق الجنائي نص على سقوط اية عقوبات ولا على سقوط الحق باقامة الدعوى العمومية وما دام لم يوضع نص كهذا تبقى العقوبات قائمة ويبقى الحق باقامة الدعوى قائماً

وفي القضاء السوداني توسع في الجرائم التي يجوز الصلح فيها وقد ذيل قانون التحقيق بجدول ذكرت فيه الجرائم التي يجوز الصلح فيها وذكر الاشخاص الذين تجوز لهم المصالحة وعدد هذه

الجرائم تسع وعشرون منها إحداث الاذى والتهجم والتعدي الجنائي والتعدي المنزلي والاخلال الجنائي بعقد الخدمة والزنا واغواء المرأة المتزوجة او خطفها او حجزها والقذف والسب وامتهان شرف المرأة بالاشارات او الالفاظ

وفي القضاء السوداني نظام العفو وهو غير العفو المنوط بالحاكم العام عن المحكوم عليهم وهذا العفو يعرضهُ المدير او المحكمة او قاضي التحقيق في الجرائم المختص بالحكم فيها المحكمة الكبرى او الصغرى او الجرائم التي عقوبتها الحبس الذي اقصى مدتهُ سبع سنين ، على المجرم بشرط ان يفشي افشاء تامًّا وصحيحاً جميع الظروف التي يعلمها والتي تتعلق بالجريمة وارتباط كل شخص أضرَّ بها سواء كان فاعلاً اصليًّا او محرّضاً فاذا قام بتعهده بافشاء كل ما يعلم ولم يكذب ولم يخفِ امراً ذا شأن عفي عنهُ عفواً تامًّا . اما اذا لم يقم بتعهدهِ فاخفى عمداً أمراً جوهريًّا او أدى شهادة كاذبة جازت محاكمته عن الجريمة التي عرض عليهِ العفو من أجلها

وفي السودان نصوص خاصة للوقاية والحماية قبل وقوع الجرائم فيصح للقاضي اذا بلغهُ ان شخصاً ما يحتمل ان يرتكب اخلالاً بالامن او اقلاقاً بالراحة العمومية ان يستحضرهُ ويجبره على تأدية تعهد بكفالة او بغير كفالة بحفظ الامن الخ . ولهُ ان يفعل مثل ذلك لمن عرف عنهُ انه معتاد ارتكاب الجرائم او هو خطر الى حدٍّ يجعل تركه طليقاً بدون ضمان تهديداً للهيئة العمومية . ولهُ في بعض الاحوال اذا رأى ان ثمة ما يدعو الى الخوف من ارتكاب اخلال بالامن الخ وانهُ لا يمكن ان يمنع ذلك الاّ بالقبض العاجل على شخص ما ان يأمر بالقبض عليهِ ويطلب منه تعهداً بالمحافظة على الامن — والقاضي لا يحق لهُ طلب التعهد الاّ بعد التحقيق عن صحة ما بلغهُ

ومن الجرائم ما تحصل المحاكمة فيها بصورة ايجازية وهي مبينة في ذيل قانون التحقيق في جدول خاص . وفي المحاكمات الايجازية لا تدوَّن شهادة الشهود ولا تحرر ورقة اتهام وانما يدوَّن باختصار نمرة المحاكمة واسم المتهم واسم المشتكي والجريمة وتاريخ ارتكابها ومكانهُ وتاريخ الشكوى او التبليغ واسماء الشهود ورد المتهم نعم أم لا والحكم بأسباب موجزة . وهذه الاحكام لا تستأنف وانما يجوز التظلم منها الى المدير الذي لهُ ان يؤيدها اذا رآها موافقة للقانون او ينقضها اذا رآها مخالفة له وهو في هذه الحالة يفعل ما تفعله محكمة النقض والابرام

هذا ما رأيت ذكره عن القضاء الجنائي في السودان وسواء من جهة الجرائم والعقوبات او جهة نظام المحاكم فما لا شك فيهِ ان القضاء الجنائي السوداني يمتاز عن غيره مما هو قائم في سائر الاقطار المجاورة بوضوح مواده وترتيبها ترتيباً مبنيًّا على المنطق والعقل وببساطة تشكيل السلطات القائمة بتنفيذه وكل ذلك يؤدي في الجملة الى سرعة الفصل في القضايا الجنائية وكلما تقدمت مصالح الحكومة في السودان بالتطور تبينت مزايا هذا النظام السهل وظهرت الحكمة الفائقة من وضعه بالصورة التي وضع فيها

فناء المادة بتشعع الطاقة

بقلم نقولا الحداد

الكتاب القيم Astronomy and Cosmogony للعالم الكبير السير جايمز جينز
لمادة بتشعع الطاقة Radiation of Energy لا يتفق تمام الاتفاق مع نظرية تكوّن
وتونات Protons ومن كهارب Electrons تدور حولها — هذه النظرية التي
هو من جملتهم مجمعين عليها. والسر جايمز جينز ممتاز بسعة علمه ودقة نظره الفلسفي
كتاباته الرائقة بحيث لا يبهم فكر منها على القارىء المطّلع . ولهُ نظريات
بعله في صف كبار علماء التاريخ وفلاسفته
شارح نظرية البروتون والكهرب شرحاً وافياً لا يدع غموضاً ولا لبساً في فهمها
ما قرأتهُ لغيره من العلماء في شرحها وتقرير الرأي الارجح فيها بعد غربلتها
ي تنقيح آخر[1] مما ظهر ضعيفاً لا يعتمد عليهِ الى ان يظهر من الملاحظات
ة ما يؤيده . وقضيتا بناء الذرة Atom ومصير المادة تلوحان في بال كل دارس
ه التي تثقف فيها عدد كبير من الناشئة تثقيفاً علميًّا . ولذلك اعتقد ان بسطهما
قراء المقتطف وشرحهما يظهر ما لاحظته من الشك في التطابق بينهما

تكوين الذرة او بناؤها

ه النظرية هكذا : — كانت الذرة Atom الكيماوية حتى اوائل هذا القرن تعد
غير قابلة التجزئة . والجزيء Molecule يؤلف من ذرات مختلفة في الوزن الذري
ة الهيدروجين التي تعدُّ الوزنة الاولى اي ان وزنها واحد عدًّا واثقلها ذرة
٢٣٨ مرة كوزن الهيدروجين . والتفاعل الكيماوي يحدث بتبادل الجزيئات
يء بجزيء آخر او بجزيئات اخرى اتحاداً كيماويًّا . وهذه الذرات لا تختلف في
ب في خواصها الكيماوية ايضاً . والمعروف منها الى الآن ٩٢ صنفاً (عنصراً) وربما
ل غيرها ايضاً . وانما في الشمس والنجوم الاخرى ذرات ليست موجودة في
ل جدًّا من الاورانيوم الذي هو اثقل عناصرنا والذي اشتق راديوم مدام كوري
ولونيوم والثوريوم والاورانيوم . هذا كان معتقد العلماء حتى اواخر القرن الماضي
القرن بعد ظهور الراديوم ودرسهِ جيداً ظهر ان الذرة وان كانت ابسط اجزاء المادة

---

[1] ما علم حديثاً عن دخول النوترون والبوزيترون في بناء نواة الذرة

او وحدتها التي لا تتجزأ كيماويًّا — ظهر انها تقبل التجزئة كهربائيًّا. فهي مؤلفة من صنفين من الدقائق: الصنف الاول البروتون وهو ذو شحنة كهربائية موجبة او ايجابية والثاني الكهرب (الكترون) وهو ذو شحنة سالبة او سلبية. واصناف الذرات الاثنان والتسعون تختلف بعضها عن بعض بعدد ما في كل منها من البروتونات والكهارب. يفهم هذا جيداً اذا شرحنا كيفية وجود هذه البروتونات والكهارب في الذرة

ذرة الهيدروجين مؤلفة من بروتون واحد فقط وكهرب واحد فقط يدور حول البروتون. وبعد الهيدروجين تكون الذرّة مؤلفة من اكثر من بروتون وكهرب. ووزنها الذري يدل على ما فيها من البروتونات. فالاكسجين مثلاً وزنهُ الذري ١٦ ففيهِ ١٦ بروتوناً والاورانيوم وزنهُ الذري ٢٣٨ ففيه ٢٣٨ بروتوناً. ولا اعتبار لوزن الكهرب لانهُ جزء من ١٨٤٠ من وزن البروتون مع انهما يكادان يتساويان في الحجم. وبروتونات الذرة متجمعة في وسطها ومجموعها تسمى نواة. والكهارب بعدد البروتونات في الذرة بعضها متحد ببروتوناتها وبعضها بعيد عنها يدور حول النواة. فحجم الذرة ليس حجم نواتها (مجموعة البروتونات) بل يشمل اقصى افلاك الكهارب التي تدور حول النواة والفراغ الذي بين الكهارب والنواة ليس بالحقيقة فراغاً مطلقاً بل يشغله جو كهرطيسي موجيّ

ولزيادة الايضاح نقول بعبارة اخرى ان لكل بروتون كهرباً يقابله بالشحنة الكهربائية. فاذا كان الكهرب متحداً مع بروتونهِ اي داخلاً في بناء النواة، نعبر عن اتحادهما بالزواج. فنقول البروتون متزوج كهربهُ وحينئذٍ يكونان متنافيين كهربائيًّا Neutral اي ان سلبية هذا نفت ايجابية ذاك فلا شحنة هناك. وفي الكتب المدرسية العربية يعبرون عن هذا التنافي بلفظ «تعادل» Neutrality. وقد يكون البروتون اعزب خاطباً اي ان كهربه غير متحد بهِ بل هو بعيد يدور حول النواة (مجموعة البروتونات) كسيار يدور حول الشمس حسب سنة الجاذبية تماماً. ويستفاد مما تقدم ان بعض الكهارب متحدة ببروتوناتها (مزوجة) وبعضها بعيدة عنها (مخطوبة) وحينئذٍ تكون النواة برمتها ذات شحنات ايجابية بعدد ما فيها من البروتونات العزباء. وذات شحنات سلبية بعدد ما فيها من الكهارب السيارة المخطوبة. وانما الذرة المشتملة على الجميع تعتبر متعادلة Neutral وفي احوال لا يسع المقام تفصيلها تكون الذرة ناقصة كهرباً او اكثر وتسمى Ion وسلخ الكهرب منها يسمى Ionization ففي هذه الحالة تعتبر الذرة ايجابية الشحنة لان ايجابيتها تزيد على سلبيتها. ولزيادة الايضاح نضرب الامثلة التالية:

ذرة الهليوم تحتوي على ٤ بروتونات اثنان منها متزوجان كهربيهما والاثنان الآخران اعزبان خاطبان لان كهربيهما بعيدان يدوران في فلك حول النواة (مجموعة البروتونات الاربعة). لذلك وزن الهليوم الذري ٤ ورقمه في جدول العناصر الذري ٢ لان كهاربه السيارة ٢ وذرة الصوديوم تشتمل على ٢٣ بروتوناً منها ١٢ مزوجة كهاربها و١١ عزباء كهاربها تدور حول النواة. لذلك وزنها الذري ٢٣ ورقمها في الجدول المذكور ١١. وذرة الاورانيوم تشتمل على ٢٣٨ بروتوناً (كعدد وزنها الذري) منها ١٤٦ متزوجة كهاربها والبقية ٩٢ عزباء كهاربها تدور حول النواة و٩٢ هو رقمها في الجدول والاورانيوم

منحصر فيه[٢] . وهنا قد يسأل القارىء كيف تدور الكهارب العديدة حول النواة . والجواب انها تدور في افلاك كما تدور السيارات في افلاك حول الشمس بعضها ضمن بعض كفلك عطارد ضمن فلك الزهرة. وهذا ضمن فلك الارض الخ ولكن الفرق بين النظام الشمسي والنظام الذري ان كل فلك في النظام الشمسي يشغله سيار واحد فقط . فلا ترى سيارين في فلك واحد حتى ولا في فلكين على بعد واحد من الشمس ولو متقاطعين . ولكن في النظام الذري ترى ان الكهربين الاولين الاقربين الى النواة يشغلان فلكاً واحداً متقابلين (وربما كانا يشغلان فلكين على بعد واحد متقاطعين) ثم تلي فلكيهما منطقة ذات ثمانية أفلاك على بعد واحد من المركز ولا بدَّ من تقاطعها) ثم منطقة ثالثة فرابعة مثلها وبعد ذلك منطقة ذات ١٨ واخرى ذات ٢٨ فلكاً الخ . وتصوير افلاك الكهارب على هذا النحو يفسر درجات الالفة الكيماوية Valencey التي يفهمها الكيماويون جيداً. ومن رام التوسع في هذا البحث فليطالعه في الكتاب القيم Introduction to Modern Physics by F. K. Richtmyer الفصل الحادي عشر ولا سيما صفحات ٤١٨ وما بعدها . ولا محل هنا للتوسع في هـذا الموضوع لانهُ خارج عن دائرة بحثنا . وانما لا بدَّ من بيان نقطة ذات شأن وهي ان الكهارب غير مقيدة بالافلاك بل يمكن ان يثب الكهرب الواحد من فلك الى فلك أقرب للنواة او أبعد عنها بحسب حشر الطاقة فيها او اشعاعها لها. فاذا طرأ على الذرة ما حشَر فيها كمّاً (Quantum) من الطاقة تباعد الكهرب من فلك الى فلك وراءه . وكل كهرب سيار يسير على هذا النمط فتتعاقب الكهارب على الافلاك هكذا

واذا طرأ ما الزم الذرة ان تشع كمّاً من الطاقة وثب الكهرب الى فلك ضمن فلكه . وسائر الكهارب تحذو حذوه بالتتابع . فاضافة طاقة الى الذرة تضخم حجمها (اللهمَّ حيث لاضغط) بحيث تتباعد الكهارب عن النواة الى افلاك قصية عنها . واذا قضي على النواة ان تشع كمّات من الطاقات تقلصت الذرة الى ان تعود الى حجمها الطبيعي . ولا محل هنا لبيان الطوارىء التي تطرأ على الذرة لحشر طاقة فيها او لاشعاعها اياها . لان هذا الموضوع متشعب الاطراف لا يمكن ان يشرح في مقال او بضع مقالات . فما ألمعنا اليهِ منهُ كافٍ لغرضنا في هذا المقال

كيفية اضمحلال الذرة

تقدم القول ان البروتون المتزوج كهربهُ لا يحسب ذا شحنة كهربائية لا موجبة ولا سالبة لان شحنة كل من الزوجين نفت الاخرى فهما متعادلان Neutral . ولكن البروتون الذي لا يزال عزوب ولكنه خاطب كهرباً دائراً حول النواة (التي فيها البروتون المذكور نفسه) يعد موجب الكهربائية وكهربهُ الدائر حوله يعد سلبي الشحنة . وكلٌّ منهما يجذب الآخر . وانما الذرة برمتها تعد متعادلة الشحنتين . ولما كان البروتون اثقل مادة من الكهرب ١٨٤٠ مرة فلا يحسب حساب جذب الكهرب له كما انهُ لا يحسب حساب لجذب الارض للشمس (الا نظريًّا) لصغرها بالنسبة الى

(٢) انظر كتاب السير جايمز جينز The Universe Around Us صفحة ١٤٧

عظمة الشمس . لذلك بقوة جاذبية البروتون للكهرب يدور الكهرب حول مركز الذرة الذي تمثله النواة بسرعة مطابقة لناموس المسارعة الجاذبي هكذا م = $\frac{س^{2}}{ش}$ أي المسارعة = $\frac{\text{مربع السرعة}}{\text{البعد عن المركز}}$

فكلما انحشرت الطاقة في جو الذرة (الكهرطيسي) اي تخزنت فيه قلت مسارعة الكهرب فيبتعد بحسب هذا الناموس عن المركز . ولكن اذا جعلت الذرة تشع كمّات Quanta من الطاقة نشطت حركة الجوّ المذكور فيتسارع الكهرب . ولنفرض الآن ان ذرة كذرة الهيدروجين وجدت في ظرف طارىء يقضي عليها ان تشع طاقتها التي في جوها الى ان تفرغ منها كلها تماماً فبحسب هذا القانون يعجل الكهرب متسارعاً في دورانه الى ان يهبط الى بروتونه كما يهبط الحجر الى الارض وحينئذ يضمحلان معاً — البروتون والكهرب — يضمحلان اذ يتحولان الى طاقة متشععة

يقول السير جايمز جينز في صفحة ١٣٦ من كتابه الذي اشرت اليه في صدر هذا المقال . ولا يهمنا ان كان هذا الاضمحلال يحدث في الحال او بسلسلة تحوُّلات (من حال الى حال) تستغرق وقتاً طويلاً او قصيراً . ويحتمل جدًّا انها لا تحدث بسرعة بل على التوالي كأنها تذوب ذوباناً لا كما يذوب الثلج بحرارة من الخارج بل كما يذوب الراديوم بتفكك في داخله

وفيما ان هذا التشعُّع الناتج من اضمحلال البروتون والكهرب صادر من داخل النجم كالشمس مثلاً ينحشر في ذرات اخرى في سبيله ثم تشعه منها — ينحشر ويُشعّ مراراً لا يحصى عددها : تشعه الواحدة الى الاخرى الى ان يخرج من سطح النجم وينطلق في الفضاء . ويظن ان الاشعة الكونية Cosmic Rays التي لا تزال لغزاً للعلماء هي ذرات مندثرة من سُدُم واجرام قصية يكثر فيها الاشعاع للسبب الآتي ذكرهُ : واضمحلال الذرات على هذا النحو هو اطلاق لمقادير عظيمة من الطاقة . وانما قلة الذرات المندثرة يكفل للنجم العمر الطويل . معدل هذا الاضمحلال في الشمس مثلاً ذرة واحدة في $١٠^{١٧}$ (اي واحد الى يساره ١٧ صفراً او ١٠ مضروبة بنفسها ١٧ مرة) من الذرات

مثل هذا الاضمحلال لا يحدث الاَّ في الذرات الثقيلة جدًّا كالراديوم والاورانيوم والثوريوم التي تكثر فيها البروتونات والكهارب فتكون اقل استقراراً من الخفيفة او اكثر تقلقلاً فتندثر منها بعض بروتوناتها وكهاربها على نحو ما تقدم وصفهُ . وفي اعماق الشمس من العناصر التي لا وجود لها في ارضنا ما يبلغ ثقلها اضعاف اضعاف ثقل الاورانيوم الذي هو أثقل عناصر ارضنا . وفي تلك العناصر يحدث اندثار البروتونات والكهارب على نحو الاندثار الذي يحدث في الراديوم واسرته . وفي اجرام اخرى من العناصر ما هو اثقل جدًّا من عناصر الشمس الثقيلة . وكلما كان العنصر ثقيلاً كانت ذرته عرضة للتفكك واندثار بعض بروتوناتها

تعارض النظريتين

هذا هو مجمل نظرية السير جايمز جينز في فناء الذرة او المادة . فالنقطة التي في هذه النظرية

يتعارض مع نظرية تكوّن الذرة هكذا : — اذا كان سقوط الكهرب الى بروتونه (بحيث تفني شحنة الواحد شحنة الآخر) يفضي الى اضمحلال الاثنين معاً في لمعة او لمعات تشعُّع فلماذا لا يضمحل البروتون المتزوج كهربه في النواة (مجموعة البروتونات) ؟ ما الذي ابقى على حياته وحياة كهربه بعد فناء شحنتيهما او انطلاقها امواجاً في الجو الذري الكهرطيسي ؟ . لم اجد في شرح جينز ولا شرح غيره ممن تناولوا هذا الموضوع بحثاً ما يستخرج منهُ بيان لهذا التناقض بين النظريتين . وبعد تفكيري في هذه المسألة لاحت لي فكرة تصالح بين النظريتين ولا تتعارض مع سلسلة بناء الذرة مما زعمه اقطاب العلم بشأن بناء الذرة انَّ كل ذرة او نظام (مجموعة) ذرات او مجموعة مجموعات انما هي في حركة دورانية على الدوام بمقتضى سنة الجاذبية العامة . فالبروتون يدور على نفسهِ كما تدور الشمس على محورها والارض كذلك . والنواة (مجموعة البروتونات) تدور على نفسها ايضاً . والكهرب فيما هو يدور حول النواة يدور على نفسهِ ايضاً دورة محورية [1] . والفوتون [2] احد الوحدات الصغرى النهائية ، التي ينحل اليها الكهرب والبروتون تدور على نفسها وهي مندفعة في الفضاء تشعماً

وما دام البروتون يدور على نفسهِ فلا يمكن ان يكون كهربهُ المتحد بهِ (في رأيهم) متحداً بهِ حقيقة لأن دوران البروتون على نفسهِ يحدث جوًّا كهرطيسيًّا حوله ولو على بعد قليل بسرعة تتناسب مع سرعة البروتون فالكهرب الذي حسبوه متزوجاً بروتونه لا يزال يدور حوله كأنهُ وبروتونه نظام مستقل في داخليته . ولكنهُ مشترك بنظام عام هو نظام النواة كلهِ . وأما الكهرب المطلق الذي لم يتزوج بروتونه فلا يدور حول بروتونه وحده بل يدور حول النواة (مجموعة البروتونات كلها) . هذا هو الفرق بين الكهربين : (الكهرب الزوج والكهرب الحر المخطوب)

فكأن النواة ليست مجموعة بروتونات « مكبوسة » بعضها مع بعض كتلة واحدة بل هي مجموعة انظمة في اول درجة من النظام . وانما يقوم ضد هذه النظرية امر يتراءى انه مفسد لها وهو ان كهارب البروتونات المتزوجة كلها سلبية اي من جنس واحد في الشحنة الكهربائية فتتدافع بعضها مع بعض وهو امر ليس من مصلحة النواة اذ يجعلها مقلقة عرضة للتفكك لاقل ضغط يكف عنها . على ان هذا الامر هو في الظاهر معارض للنظرية ولكنهُ بالحقيقة يؤيد كيفية اضمحلال البروتون وكهربه لان الذرات التي هي عرضة للاضمحلال هي الذرات الثقيلة المقلقلة لانها عديدة البروتونات المتزوجة — لأن كهاربها قريبة لها جدًّا والضغط يسبب بطء دورانها ، وبالتالي بطء دوران كهاربها حولها . فلأي طارىء من الطوارىء تقع هذه عليها ويحدث التنافي في الشحنة فالاضمحلال الذي شرحه السير جايمز جينز كما لخصته عنه . وسبب الضغط عليها وجودها في اعماق الجرم لثقلها . ناهيك عن ان تنافر كهاربها النواتية (التي مع بروتوناتها في النواة) يسبب تقلقلها ويسهل تفككها

(١) الكهرب ينحل الى ١٠٠٠٠ فوتون والبروتون = ١٨٤٠ كهرباً اذن = ١٨٤٠٠٠٠٠ (٢) فوتون انظر صفحة ١٥٣ الى ١٦١ من كتاب جينز The New Background of Science

داعى الحياة

يخفق القلبان ، بل تهفو الشفاه منذ ان ضمتك في شوق يداه
منذ ان رنَّ صداها قبلة نهلت منها وعلّت شفتاه
وارتوت روحاكما بل ظمئت برحيق القبلات المشتهاه
بل رحيق الخلد قد طاب جناه وسرى فيه حلاه وشذاه

***

يخفق القلبان ، بل تهفو الشفاه حين يلقى ناظريك ناظراه
حينما يستعر الحبُّ جوًى يكتوي القلبان من حر لظاه
فيرجّى كل ثغر قُبلة هي بردٌ للحنايا والشفاه
مثلما يطلب ريًّا ظامىءٌ ينظر الماء ولا يبلغ فاه

***

يخفق القلبان بل تهفو الشفاه كلما بشّر بالحب الهُداه
كلما نادى المنادي حَيَّ هلاً يقطف المحروم ما طاب جناه
ما لمحرومين لم يستمعا ؟ ذلك الصوت الّذي دوّى صداه
ايه هيّا ، فلنُجب داعي الشفاه فهو داعي الحب او داعي الحياه

سيد قطب

انبسطت على نصف قرن من التاريخ البريطاني. ونحن اليوم نذكر عهد الحرب العالمية الريطانية بعقود من السنين . كذلك كان شأن مترنيخ في فينا وتاليران في باريس وبسمارك في برلين

وقد انقضى حتى الآن ، من القرن العشرين ، ثلث حافل بأمهات الحوادث ، ومع ذلك نستطيع ان نتبين فيه ، اربعة ادوار من الزعامة ، خلف احدها الآخر ولكل دور رجال وزعماء يختلفون في الغالب ، عن رجال الدور الآخر وزعمائه . فالدور الاول يشتمل على ١٤ سنة سابقة لنشوب الحرب الكبرى . ثم تليها ست سنوات هي سنو الحرب وعقد معاهدات السلام . ثم ثماني سنوات كانت سنوات الرخاء الموهوم . وتلتها سنو الازمة التي ما زلنا نعانيها حتى الساعة

ان نشوب الحرب الكبرى ، يجعل ما يعرف عن زعماء الامم قبلها وكأنهُ خاص بعصر آخر فالحرب كانت حداً فاصلاً في كيان بعض الامم كألمانيا وروسيا والدولة العثمانية وامبراطورية النمسا والمجر . بل اننا نتذكر بثمان هلفنج الوزير الالماني صاحب القول بأن المعاهدة «قصاصة من الورق» وفيفياني بفصاحته الخلابة في باريس ، واسكوث وجراي بأساليبهما السياسية المداورة في انكلترا وكأننا نتذكر رجال عهد بائد . كانت الزعامة حينئذ خاصة بطبقة من الطبقات ، فلما وقعت الحرب اصبحت الزعامة فوضى لا ضابط لها ولا رابط . فنشأ خلال الحرب وبعيدها ، رجال امثال كرنسكي في روسيا ، ونورثكليف في بريطانيا ، ودانونزيو في ايطاليا ، وبيلا كون في المجر ، كأنهم نيازك ظهرت فجأة في الفضاء ثم توارت بعد حين قصير

وفي الدور الثاني طلع علينا رجال وكأنهم افرغوا في قوالب الابطال ، نذكر منهم ولسن وكليمنصو واورلندو وقد ذهبوا جميعاً الى خالقهم . اما لويد جورج فقد انقضت عليه نحو عشر سنوات وهو منزو ، يظنهُ بعضهم امل الاحرار البريطانيين الوحيد ، ويظنه البعض الآخر حجر الرحى في اعناقهم وقلَّ من يذكر ملنر — الاَّ قليلاً في مصر — وبونارلو في انكلترا ، وبوردن في كندا ، وهيوز في استراليا فكأنهم كانوا اشباحاً عبرت ولم تترك وراءها اثراً . ثم اننا اذا نظرنا الى القواد وزعماء الحرب ، رأينا انهم لم يتركوا وراءهم في الغالب الاَّ مذكرات يحاولون ان يسوغوا بها اعمالهم وينقدوا اعمال خصومهم . كان عهد وكانت كلمة من جوفر وفوش وملتكي الثاني ولودندورف وهيج وبرشنج تهزُّ الدنيا ، فأصبحنا اليوم واذا الحرب نفسها ، صناعة هؤلاء الزعماء عمل غير شرعي في العرف الدولي — النظري على الاقل ! وليس بين قواد الحرب ، من كان له اثر بعدها ، الاَّ بلسودسكي في بولونيا ، ومصطفى كمال في تركيا ، وهندنبرج في المانيا

وفي الدور الثالث ، اتجهت العناية الى الترميم والاصلاح . فحاولت بعض الامم ان تحتفظ بزعمائها ، فلم تتخلَّ بريطانيا عن لويد جورج بعد الحرب رأساً بل ظلَّ في الحكم حتى سنة ٢٢ واضطرت فرنسا الى بريان وبوانكاره ، وظلت اليابان تقدس العرش والفئة الحاكمة من حوله

ولكن الشعور العالمي — وكان في الغالب شعوراً بلطنيًّا ومن هنا قوته وعنفه — كان ينظر

وراء كمامة الغاز

[هذا المقال ملخص فصل للكاتب الانكليزي بفرلي سكاز في كتابه « المشهور » « Cry Havoc » وهو الكتاب الذي عالج فيه موضوع الدعاية للحرب والسلام وصناعة الاسلحة ومؤتمرات نزع السلاح بأسلوب يقرب دقائق هذه المباحث من اذهان العامة]

كان الوقت بعيد الظهيرة ، والجو قاتم مربدّ ، لما سرتُ في طريقي الى زيارة شركة « أنتي غاز لمتد » وهو اسم مستعار لشركة حقيقية — ومعنى الاسم شركة مقاومة الغاز

سرت على قدمي لقتل الوقت لان الميعاد لم يأزف ، ولان مقر الشركة على ضفة التاميز الاخرى ، وأنا أحب ان اجتاز جسور لندن على الاقدام. ولبثت قليلاً على جسر وستمنستر ، وحدقت في النهر ، فرأيت جريانه اليوم اسرع من جريانه العادي ، وكانت الطيور تحوم فوقه ، تشيل وتحط ، والزوارق البخارية تصفر وتنفخ وترسل دخانها في الفضاء . حتى هنا لست اجد سلاماً !

ثم تابعت سيري . . . وأخيراً وصلت الى نافذة شركة (انتي غاز لميتد) . فوقفت وحدقت . وانني لارتاب في هل فكر مئات الالوف من المارة بأن هذه النافذة تستحق التحديق فيها . لانها لا تسترعي النظر . . . بل لمن السهل ان تحسبها نافذة لمكتب قديم من مكاتب المحاماة . وكان زجاج الجانب الاسفل من النافذة غبشاً غير شفاف . والاشياء المعروضة فيه قليلة وتنبو عنها العين . هوذا اداة لاطفاء النار ، وجهاز للتنفس ، وشيء ثالث لم أتبينه . انك لا تجد في هذه النافذة ما يدلّ على ان في هذه الدار ، الوسائل الوحدة التي تستطيع لندن ان تستعملها لحمايتها ووقايتها من لعنة الغازات في الحرب المقبلة !

ماذا ... ماذا تقول ... الوسائل الوحدة للوقاية ..! ولكن اين الجيش ؟ اين سلاح الطيران ؟ انما اثبتنا لك ايها القارىء العزيز ، انهُ رغماً عن جيش حديث مستعد ، وسلاح طيران عزيز كفء ، لا تستطيع اية مدينة ان تدافع عن نفسها الدفاع الوافي في عصر الطيران ، واذن فهي معرضة ، لقنابل الغاز تنثر فوقها وتنشر غشاء من الغاز ، يخنق ويميت

سلمت بذلك ؟ ولكن ماذا تقول في كمامات الغاز ، الكمامات التي استنبطت لتقي من الغاز القتال ؟

ان هذه الشركة على ما اعلم ، هي الشركة الانكليزية الوحدة التي تصنع كمامات الغازات ، صنعاً واسع النطاق . اذن يصح قولي السابق ، رغم اعتراضك ايها القارىء الكريم ، بأن في هذه الدار الوسائل الوحدة التي تستطيع لندن ان تستعملها لحمايتها ووقايتها من لعنة الغازات في الحرب المقبلة

فلندخل هذه الدار آمنين لنرى ما يصنع فيها لوقايتنا

قرعت نافذة مكتب الاستعلامات ففتحه شاب بسام ، فأعربت له عن رغبتي فقال مرحباً — من هنا يا سيدي — فصعدنا سلماً ضيقة ، ضئيلة النور ، ودخل بي الى غرفة صغيرة ، تفتح نافذتها على صحن خلفي للدار ، فتحسُّ اذا نظرت اليهِ بان الدار مكتب محام قديم محافظ . ولكنني رأيت بعد قليل شيئاً بدَّد وهمي

ذلك اني رأيت في خزانة زجاجية لعباً ، وقد لبست جميعها كمامات الغاز ؟

فاعجبت بالفكرة . وقلت في نفسي ، ان افضل هدية لعيد الميلاد ، هي ان تشتري كل والدة لعبة لابسة كمامة غاز وتهديها الى ابنها ! وتصورت عندئذٍ الوفاً من اصابع الاطفال الغضة في بيوت انكلترا ، تتناول هذه الكمامات وتضعها على وجوه لعبها المحبوبة . وعند التحديق في الخزانة . عرفت ان هذه الاشخاص ليست لعباً على الاطلاق ، وانما هي ، امثلة صنعت خاصة ، للتمثيل على استعمال الكمامة ، فبعضها للحرب ، وبعضها للمناجم

عند ذلك فتح الباب وسير بي الى مكتب الرجل الذي عهد اليهِ في ان يطوف بي ارجاء المعمل فلندعهُ « المستر اكس » وانا في نقلي ما رأيتهُ في هذا المعمل لا احس بتأنيب الضمير الذي احسسته به عندما كتبت عن مصانع السلاح . ففي المرة الاولى كنت جاسوساً يريد ان يبيح للعالم اسرار هؤلاء الناس الذين يجنون الربح من الاتجار بوسائل الحرب ، ولكن هذه الشركة مقاومة للسلاح الذي يقصد بهِ الى تقتيل الناس وإزهاق ارواحهم . بيد ان بين مصانع السلاح وبين هذا المصنع المقاوم لفعل السلاح ، شبهاً اساسيًّا . ذلك ان معامل السلاح تبيع سلاحها لابناء وطنها ولاعداء وطنها على السواء — فشعار اصحاب مصانع السلاح « اقتلوا من تشاؤون ما زلتم تشترون سلاحكم منا » وشعار مصنع الكمامات هذا « خلصوا من تشاؤون ما زلتم تشترون كماماتكم منا »

واذ نحن مارون في دهليز قاتم رأيت كومة عالية من اقراص معدنية فقلت للمستر اكس ما هذا

قال — اجزاء كمامات واقية من الغاز ؟

قلت — ولكن هذه الكومة كبيرة جدًّا

قال — عددها اربعون ألفاً

قلت — أصحيح ما تقول ؟ انهُ يسرّني ، ان يبقى في انكلترا اربعون الفاً بعد الحرب الكبرى لانهم استعملوا هذه الكمامات

قال — في انكلترا ؟ ولكن هذه الكمامات صادرة الى تركيا !

ما اعجب الجشع الانساني ! لنفرض ان انكلترا اضطرت ان تحارب في الشرق الادنى ، فيحاول طياروها ، ان يدمروا مدينة تركية ، فيتقي اهل المدينة فعل الغاز الانكليزي بكمامات انكليزية ويحاولون ان يسقطوا ، الطيارات الانكليزية بمدافع انكليزية !

واذ أنا أفكر ، في هذا ، توقف المستر اكس ، فاذا نحن امام الكمامات جميعها لا امام اجـ

ﻣﻦ ﺍﺷﻨﻊ ﻣﺎ ﺗﻘﻊ ﻋﻠﻴﻪِ ﺍﻟﻌﻴﻦ ، ﻭﺍﺑﻌﺪﻫﺎ ﺷﻜﻼً ﻋﻦ ﺍﻟﻄﺒﻴﻌﺔ ﻭﺍﻟﺤﻴﺎﺓ ... ﻭﻛﺎﻧﺖ ﻫﺬﻩ ﺍﻟﻜﻤﺎﻣﺎﺕ
ﻣﺮﺗﺒﺔ ، ﺻﻔﺎً ﻓﻮﻕ ﺻﻒ . ﺛﻢ ﺍﻟﺘﻔﺖ ﺍﻟﻲَّ ﻭﻗﺎﻝ — ﻭﻫﺬﻩ ﺍﻟﻜﻤﺎﻣﺎﺕ ﺻﺎﺩﺭﺓ ﺍﻟﻰ ﺣﻜﻮﻣﺔ ﺍﺟﻨﺒﻴﺔ ﺍﺧﺮﻯ !
ﻗﻠﺖ ﻟﻠﻤﺴﺘﺮ ﺍﻛﺲ : ﻣﻦ ﺍﻟﻤﻤﻜﻦ ﺍﻥ ﺗﻐﻄَّﻰ ﻣﺪﻳﻨﺔ ﻟﻨﺪﻥ ﺫﺍﺕ ﻳﻮﻡ ﺑﻐﺸﺎﺀ ﻣﻦ ﺍﻟﻐﺎﺯ
ﻗﺎﻝ : ﺫﻟﻚ ﻣﻤﻜﻦ ... ﻋﻠﻰ ﺍﻻﻗﻞ
ﻗﻠﺖ : ﻭﻫﻞ ﻳﻤﻜﻦ ﺍﻥ ﻳﺠﻬﺰ ﻛﻞ ﺭﺟﻞ ﻭﻛﻞ ﺳﻴﺪﺓ ﻭﻛﻞ ﻃﻔﻞ ﺑﻜﻤﺎﻣﺔ ﻭﺍﻗﻴﺔ ﻣﻦ ﺍﻟﻐﺎﺯ ؟
ﻓﺘﻮﻗﻒ ﻗﻠﻴﻼً ... ﻭﻓﻲ ﺗﻮﻗﻔﻪِ ﺣﺴﺒﺖ ﺍﻧﻪُ ﻳﻔﻜﺮ ﻓﻴﻤﺎ ﻛﻨﺖ ﺍﻓﻜﺮ ﻓﻴﻪِ ﻣﻦ ﻧﺎﺣﻴﺘﻲ ، ﻻﻧﻚ ﺍﺫﺍ ﻭﺟﻬﺖ
ﺍﻟﺴﺆﺍﻝ ﻭﺍﻧﺖ ﺗﻌﻨﻲ ﻣﺎ ﺗﻘﻮﻝ ، ﻛﺎﻥ ﺍﻟﺠﻮﺍﺏ ﻋﻨﻪُ ﻓﻲ ﻃﻴﺎﺕ ﺍﻟﺴﺆﺍﻝ ﻧﻔﺴﻪ . ﺗﺼﻮﺭ ﺍﻻﻃﻔﺎﻝ
ﺍﻟﺮﺍﺿﻌﻴﻦ ﻭﺍﻟﻤﺮﺿﻰ ﻓﻲ ﺍﻟﻤﺴﺘﺸﻔﻴﺎﺕ ، ﻭﻋﻤﺎﻝ ﺍﻟﻨﻘﻞ — ﺗﺼﻮﺭ ﻣﺪﻳﻨﺔ ﻛﺒﻴﺮﺓ ﻳﺤﺼﻰ ﺳﻜﺎﻧﻬﺎ ﺑﺎﻟﻤﻼﻳﻴﻦ ،
ﻳﻠﺒﺲ ﺟﻤﻴﻊ ﺍﺑﻨﺎﺋﻬﺎ ﻫﺬﻩ ﺍﻟﻜﻤﺎﻣﺎﺕ ٢٤ ﺳﺎﻋﺔ ! ﻭﺍﻟﺮﺍﺟﺢ ﺍﻥ ﺍﻟﺮﺟﻞ ﻛﺎﻥ ﻳﻔﻜﺮ ﻓﻲ ﻫﺬﺍ ﻓﻘﺎﻝ :
— ﻧﺤﻦ ﻧﺴﺘﻄﻴﻊ ﺍﻥ ﻧﺼﻨﻊ ﺍﺭﺑﻌﻴﻦ ﻣﻠﻴﻮﻥ ﻛﻤﺎﻣﺔ ، ﻭﻧﺒﻴﻊ ﺍﻟﻜﻤﺎﻣﺔ ﺍﻟﻮﺍﺣﺪﺓ ﺑﺨﻤﺴﺔ ﻭﻋﺸﺮﻳﻦ ﻗﺮﺷﺎً
ﻗﻠﺖ : ﺃﺗﺴﺘﻄﻴﻌﻮﻥ ﺣﻘﻴﻘﺔ ﺍﻥ ﺗﺼﻨﻌﻮﺍ ﺍﺭﺑﻌﻴﻦ ﻣﻠﻴﻮﻧﺎً . ﻗﺎﻝ : ﻧﺴﺘﻄﻴﻊ ﺫﻟﻚ ﻭﻧﺠﻨﻲ ﻣﻨﻪُ ﺭﺑﺤﺎً
ﻗﻠﺖ : ﻭﻣﺎﺫﺍ ﺗﻔﻌﻞ ﺑﻌﺎﺋﻠﺘﻚ . ﻗﺎﻝ:ﺍﻭﻝ ﺷﻲﺀ ﺍﻓﻌﻠﻪ ، ﻫﻮ ﺍﻥ ﺍﺑﻨﻲ ﻏﺮﻓﺔ ﻓﻲ ﺩﺍﺭﻱ ﻻ ﻳﻨﻔﺬ ﺍﻟﻐﺎﺯ ﺍﻟﻴﻬﺎ
ﻗﻠﺖ : ﻭﻛﻴﻒ ﺗﺼﻨﻊ ﺫﻟﻚ ؟ ﻛﻴﻒ ﺗﺘﻨﻔﺲ ؟
ﻗﺎﻝ ﺍﻟﺮﺟﻞ : ﺍﺗﺮﻳﺪ ﺍﻥ ﺗﺮﻯ ﻛﻴﻒ ﺗﻤﺘﺤﻦ ﻛﻤﺎﻣﺎﺕ ﺍﻟﻐﺎﺯﺍﺕ ﺍﻟﺘﻲ ﻧﺼﻨﻌﻬﺎ ؟ ﻓﻘﻠﺖ : ﻳﻬﻤﻨﻲ ﺫﻟﻚ
ﻓﻨﺰﻟﻨﺎ ﺳﻼﻟﻢ ﺧﺸﺒﻴﺔ ﺿﻴﻘﺔ ، ﻭﻣﻀﻴﻨﺎ ﻓﻲ ﻣﻤﺮ ﻗﺎﺗﻢ ﻭﺍﺟﺘﺰﻧﺎ ﻏﺮﻓﺔ ﺭﻣﺎﺩﻳﺔ ، ﻭﺧﺮﺟﻨﺎ ﺍﻟﻰ ﺻﺤﻦ ﺧﻠﻔﻲ ﻋﻠﻰ
ﺟﺎﻧﺐ ﻣﻦ ﺍﻟﻘﺬﺍﺭﺓ . ﺷﻤﻤﺖ ﺭﺍﺋﺤﺔ ﻻﺫﻋﺔ ﺣﺮﻳﻔﺔ ﻣﺘﺼﺎﻋﺪﺓ ﻣﻦ ﺟﻮﺍﻧﺐ ﺍﻟﺼﺤﻦ . ﻭﻛﺎﻥ ﺃﻣﺎﻣﻨﺎ ، ﻏﺮﻓﺔ
ﺳﻮﺩﺍﺀ ، ﺗﺘﺴﻊ ﻻﺛﻨﻲ ﻋﺸﺮ ﺭﺟﻼً ، ﻭﻛﺎﻥ ﻟﻬﺎ ﺛﻼﺙ ﻧﻮﺍﻓﺬ ﻏﺎﻡ ﺯﺟﺎﺟﻬﺎ ، ﺑﻤﺎ ﺗﻘﻠﺺ ﻋﻠﻴﻪِ ﻣﻦ ﺭﻃﻮﺑﺔ
ﺍﻟﻬﻮﺍﺀ . ﻭﻛﺎﻥ ﻓﻲ ﺃﺭﺿﻬﺎ ﺛﻼﺛﺔ ﺛﻘﻮﺏ ﺳُﺪَّﺕ ﺑﺎﻟﻔﻠﻴﻦ . ﻭﺷﺎﻉ ﻓﻲ ﺟﻮﺍﻧﺒﻬﺎ ﺭﺍﺋﺤﺔ ﻛﺮﻳﻬﺔ ﻛﺄﻧﻬﺎ
ﻣﺘﺼﺎﻋﺪﺓ ﻣﻦ ﺟﺜﺔ ﻧﺘﻨﺔ

ﻭﺍﺫ ﺍﻧﺎ ﺍﺣﺪﻕ ﻓﻲ ﻫﺬﻩ ﺍﻟﻐﺮﻓﺔ ، ﺳﻤﻌﺖ ﺳﻌﺎﻻً ﻭﺭﺍﺋﻲ ، ﻓﺎﻟﺘﻔﺖ ﻓﺮﺃﻳﺖ ﺛﻼﺛﺔ ﺭﺟﺎﻝ ، ﻗﺪ ﺻﻔﻮﺍ
ﺻﻔﺎً ﻭﺍﺣﺪﺍً ﻟﻠﺘﻔﺘﻴﺶ . ﻛﺎﻥ ﺍﺛﻨﺎﻥ ﻣﻨﻬﻢ ﻛﻬﻠﻴﻦ ، ﻭﻗﺪ ﻟﺒﺴﺎ ﺣﺰﺍﻣﻴﻦ ﻋﺠﻴﺒﻲ ﺍﻟﺸﻜﻞ ﺃﻇﻨﻬﻤﺎ ﻛﻤﺎﻣﺘﻲ ﺍﻛﺴﺠﻴﻦ
ﻣﻦ ﺍﻟﻨﻮﻉ ﺍﻟﺬﻱ ﻳﺴﺘﻌﻤﻠﻪ ﺍﻟﻤﻬﻨﺪﺳﻮﻥ، ﻋﻨﺪ ﺣﻔﺮ ﺍﻻﻧﻔﺎﻕ . ﺃﻣﺎ ﺍﻟﺜﺎﻟﺚ ﻓﻜﺎﻥ ﻓﺘﻰ ﻓﻲ ﺍﻟﺘﺎﺳﻌﺔ ﻋﺸﺮﺓ ﻣﻦ
ﻋﻤﺮﻩ . ﻭﻛﺎﻥ ﻫﻮ ﺍﻟﺬﻱ ﺳﻌﻞ ﺍﻟﺴﻌﺎﻝ ﺍﻟﺬﻱ ﻧﺒﻬﻨﻲ ﺍﻟﻴﻬﻢ . ﻭﻛﺎﻥ ﻳﺤﻤﻞ ﻛﻤﺎﻣﺔ ﺍﻟﻐﺎﺯ ﺍﻟﺘﻲ ﺗﻮﺭﺩﻫﺎ ﻫﺬﻩ
ﺍﻟﺸﺮﻛﺔ ﺍﻟﻰ ﻭﺯﺍﺭﺓ ﺍﻟﺤﺮﺑﻴﺔ

ﺍﺳﺘﺮﻋﻰ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﻔﺘﻰ ﻧﻈﺮﻱ ، ﻻﻧﻨﻲ ﺭﺃﻳﺘﻪ ﻳﺮﺗﺠﻒ ﻣﻦ ﺭﺃﺳﻪ ﺍﻟﻰ ﺃﺧﻤﺼﻴﻪ . ﻭﻟﻤﺎﺫﺍ ﻳﺮﺗﺠﻒ ؟ ﻓﺎﻟﺠﻮ
ﻟﻴﺲ ﺑﺎﺭﺩﺍً ، ﺑﻞ ﻫﻮ ﻣﻌﺘﺪﻝ ﻛﻞ ﺍﻻﻋﺘﺪﺍﻝ . ﻣﺎ ﺣﻜﺎﻳﺘﻪ ؟ ﻭﻛﺄﻧﻪ ﻛﺎﻥ ﻋﻠﻰ ﻭﺷﻚ ﺃﻥ ﻳﻘﻮﻝ ﺷﻴﺌﺎً ، ﻭﻟﻜﻨﻪ
ﻟﻢ ﻳﺴﺘﻄﻊ ﺍﻥ ﻳﻘﻮﻝ ، ﻷﻥ ﺻﺎﺣﺒﻲ ﺍﻟﻤﺴﺘﺮ ﺍﻛﺲ ﺻﻔﻖ ﺑﻴﺪﻳﻪِ ﻭﺃﺻﺪﺭ ﺍﻷﻣﺮ ﺑﻠﺒﺲ ﺍﻟﻜﻤﺎﻣﺎﺕ
ﻓﻠﺒﺲ ﺍﻟﺮﺟﺎﻝ ﺍﻟﺜﻼﺛﺔ ﻛﻤﺎﻣﺎﺗﻬﻢ . ﺍﻥ ﻳﺪﻱ ﺍﻟﻔﺘﻰ ﻻ ﺗﺰﺍﻻﻥ ﺗﺮﺗﺠﻔﺎﻥ ، ﺣﺘﻰ ﻛﺎﺩ ﻳﻌﺠﺰ ﻋﻦ ﺭﺑﻂ
ﺳﻴﻮﺭ ﺍﻟﻜﻤﺎﻣﺔ ﻋﻠﻰ ﻗﺬﺍﻟﻪِ

وعند ذلك فتح باب وخرج رجل مرتدياً معطفاً أبيض ، ودخل الغرفة القائمة ، وادخل فيها دائرة كهربائية ، فقفزت بضع شرارات في الظلام بين قطبيها ، وخرج هو من الغرفة مهرولاً ، وبعد دقيقة ، رأينا غماماً من الغاز الاصفر ، قد بدأ يخرج من الباب ، بعد ما ملأ جو الغرفة

فقال المستر اكس ، هذا الغاز ليس من أشدّ الغازات سمًّا ، ولكن اذا استنشقت منهُ مقداراً كبيراً سقطت في الحال عاجزاً ، بيد ان تأثير الغاز الذي من هذا القبيل نفسيٌّ على الاكثر ، ويجب ان نعوّد الناس ان يستعملوا هذه الكمامات

وفكرت في التأثير النفسي ، فتذكرت الشاب المرتجف ، وكان قد دخل الغرفة التي يملأ جوها هذا الغاز الاصفر

ثم فتح الباب ، وخرج الرجال يتعثرون وأزالوا الكمامات عن وجوههم ، فاذا وجه الفتى ممتقع كأنهُ فاقد الحياة ، فتقدمت نحوه وقلت هل لي ان أرى كمامتك ؟

قال : أتريد ان تدخل الغرفة ؟

قلت : نعم ، لأرى ما هو هذا التأثير النفسي !

قال : طيب . ولكنني لم ار منهُ ما يشجع . قلت : ليس ثمة خطر ما من الدخول ؟ قال : لا . ليس ثمة أي خطر .. إنما كنت افكر في ثيابك ، فقد تتشبع بتلك الرائحة الكريهة

فقلت ان رائحة ملابسي لا تهمّ .. اخذت الكمامة من الشاب وكان عليها من الداخل قطرات عرق تصببت من جبينهِ . فوضعتها على وجهي وربطت قيودها على وسطي وقذالي وعندئذٍ احسست اني بعيد عن العالم . يفصل بيني وبينهُ حجاب صفيق ... حتى التنفس كان عسراً ، كأنك تستنشق هواء من عالم آخر

دخلت الغرفة ، واذا العالم في نظري كالكابوس يتملكك ، في الليل يثقل تنفسك ، ولا تدري كيف الخلاص منهُ . ولم يكن ذلك الاحساس ناشئاً عن الخوف ، لان الدخول الى هذه الغرفة ، والكمامة على وجهك لا يعرّضك لأي خطر ، وإنما كان ذلك فعل التأثير النفسي ، الذي أشار اليه صاحبنا المستر اكس ، ورأيت أثره على وجه صاحبنا الفتى المرتجف الممتقع . ذلك انك تحس انك فقدت كل حيلة ، فكأنك حيوان تحيط به النيران ولا يدري اين المفر

***

والآن أغمض أيها القارىء عينيك وتصور سيدة جميلة تحبها ، وقد لبست احدى هذه الكمامات ، تصور ان والدتك او ابنتك او زوجك قد لبست إحداها ، فهي لا تستطيع ان تتكلم إذ تلبسها ، ولا تستطيع انت ان تخاطبها اذا لبس كلٌّ منكما كمامة ، بل لقد تنفر منها اذ تراها في هذا القناع المخيف

ثم قل بربك كيف تستطيع امة بأسرها ، ان تتقنع ، بهذه الكمامات وتمضي في حياتها تحت هذا التأثير النفسي ، منتظرة العدو يلقي عليها الغاز من الفضاء ؟ !

تأسيس القاهرة

بقلم الكابتن كرسويل استاذ الآثار الاسلامية بالجامعة المصرية

K. A. C. Creswell

ونقله الى العربية السيد محمد رجب بوزارة المعارف

منشأ الدولة الفاطمية — قيامها بالقيروان — الاسباب الفلكية لغزو مصر — جوهر قائد الخليفة الرابع المعز لدين الله الفاطمي يغزو مصر — سقوط الفسطاط — تأسيس القاهرة — اسوارها وأبوابها

﴿ منشأ الدولة الفاطمية ﴾ يرجع الفاطميون [١] نسبهم الى عبيد الله المهدي الذي يدَّعون انهُ حفيد الامام الثاني عشر الذي اختفى بسر من رأى . وهناك اقوال [٢] اخرى في نسبهم يقرر احدها انهُ كان ابناً لاحد الأئمة المختفين الذين خلفوا الامام السابع بعد موته في رياسة المذهب الشيعي ، على انهُ بالرغم من الدراسة المستفيضة والاستقصاء الذي قام بهِ دي جويه De Goeje لتحقيق هذه المسألة الهامة فان بكر Becker وريتماير Reitmeyer يتفقان في أن منشأ هذه الدولة لا يزال يحوطه الغموض والخفاء

ويرجع اعداء الفاطميين نسبهم الى ميمون القداح وكان طبيباً للعيون ثم اسس فرقة من غلاة الشيعة وتوفي سنة ٨٧٥ م فخلفهُ ابنه عبدالله في نشر تعاليمه ، وجعل البيعة والانخراط في سلك هذا المذهب على سبع درجات ، وادعى انهُ امام من اسرة محمد بن جعفر الصادق . واشتهر امره في الاهواز فاصبح حتماً عليهِ ان يفر الى مكان آخر فذهب الى البصرة ومنها الى سلميه حيث ولد له ابنه احمد وخلف احمد اباه بعد موته فارسل احد دعاته [٣] الى العراق فتقابل الداعي مع حمدان بن الاشعث

---

(١) سموا كذلك كما روى جامع التواريخ لانهم يعتمدون في سلطتهم الروحية والزمنية على شرف نسبهم وانهم من نسل فاطمة بنت الرسول انظر Browne

Literary History of Persia II, p 195

(٢) لمناقشة هذه المسألة انظر Quatremère

Mémoires Historiques sur la dynastie des Khalifes Fâtimides, Journal Asiatique 3e série t II P. 97 ff

(٣) كانت رتبة الداعي في نظام البيعة عند الشيعة هي الخامسة حيث كان الانخراط في سلك هذا المذهب على سبع درجات يتنقل فيها المؤمن حتى يصل الى هذه الدرجة . انظر مقالة Carra de Vaux عن كلمة داع بدائرة المعارف الاسلامية المجلد الاول ص ٨٩٥

الذي كان معروفاً باسم قرمط فقبل دعوته واسس دولة القرامطة الذين كان ظهورهم مقدمة لظهور الفاطميين . وكان لاحمد ولدان حسين ومحمد المعروف بابي الشلعلع . فخلف حسين اباه ، وبعد وفاته لم يخلفه ابنه سعيد ، بل اخوه ابو الشلعلع الذي ارسل اثنين من الدعاة الى المغرب . هما ابو عبد الله واخوه ابو العباس فاقاما بين البربر واستطاعا في فترة يسيرة ان يجمعا حولهما كثيراً من الاتباع والمريدين من رجال البربر المساحين وان يحرزا انتصارات باهرة على زيادة الله ، آخر امراء الاغالبة الذي طرد من ملكه في سنة ٩٠٩ م . وكان للحسين ولد يدعى سعيد رباه عمه ابو الشلعلع واشهر امره في سلميه (على بعد ١٥ ميلاً شرقي حماه) بعد وفاة عمه ولكنهُ اضطر بعد ذلك الى الفرار الى مراكش عن طريق مصر . وكاد يقبض عليهِ بها ولكنهُ بالرغم من نجاته في مصر ، فقد وقع في قبضة رجال الحكومة في سجلمسه ولم تنقذه من ايديهم الاَّ قوات ابي عبدالله المظفرة. ولقد لقيه ابو عبدالله بكل خضوع معلناً طاعته وانهُ المهدي المنتظر وفي ربيع الثاني سنة ٢٩٧ هـ (يناير سنة ٩١٠) خطب باسمهِ في مسجد القيروان ولقب بأمير المؤمنين عبيدالله المهدي

الاَّ ان اباعبدالله سرعان ما وجد ان الخليفة قد اهمل شأنه فداخله الحقد ، وبدأ يثير الشكوك في صحة امامة المهدي مدعياً انهُ لا بد لهُ ان يأتي بالمعجزات ليبرهن على صدق دعواه. ولكن المهدي ادرك الخطر الذي كان يحف بهِ فقضى عليهِ قبل ان يستفحل امره بان دسَّ على ابي عبد الله من قتله وبذلك خلا له الجو فحكم خمسة وعشرين عاماً امتدت فيها سلطته من فاس الى حدود مصر التي ارسل لغزوها ثلاث حملات في سنوات ٣٠١ هـ (٩١٣ م) و٣٠٢ هـ (٩١٤ م) و٣٠٦ هـ (٩١٨ م) . و ذي القعدة ٣٠٣ هـ (٧ مايو ٩١٦) اسس المهدية وتوفي بها في ربيع الاول سنة ٣٢٢ وكان يقيم رقاده على بعد اربعة اميال من القيروان وقد توفي بها . فخلفهُ ابنهُ ابو القاسم ، ولقب بالقائم ، وارسل جيشاً الى مصر ففتح الجيش الاسكندرية الاَّ انهُ اضطرَّ الى الارتداد امام قوات اخي الاخشيد وهزم هزيمة منكرة اثناء ارتداده

وتوفي ابو القاسم في ١٣ شوال ٣٣٤ هـ (١٨ مايو ٩٤٦ م) بعد ان حكم اثنتي عشرة سنة فتولى بعده المنصور الذي اسس المنصورية في ٣٣٧ هـ (٩٤٨—٩٤٩م) وهي الضاحية الملكية الرابعة التي بنيت بجوار القيروان

واستمرَّ في الحكم حتى وافتهُ المنية في شوال ٣٤١ هـ فخلفهُ ابنه المعز وهو في الرابعة والعشرين من عمره . وكان المعز على جانب كبير من العلم والتهذيب والنشاط . وقد استطاع بمؤازرة وزيره وكبير قواده ، جوهر الصقلي ، ان يعيد النظام والامن الى جميع انحاء مملكته وكان ذلك تمهيداً لفتح مصر وكانت الامنية الكبرى التي كان يصبو المعز لتحقيقها والتي من اجلها شرع يجمع الاموال حتى تجمع لديه منها اربعة وعشرون مليون دينار كما قضى سنتين في حفر الآبار واقامة المنازل في الطريق الى الاسكندرية لينزل فيها الجند في اثناء مسيرهم اليها

﴿ الاسباب الفلكية لغزو مصر ﴾ يرى دي‌جويه أن الذي دفع المعز الى التفكير في غزو مصر التقاء المشتري بزحل في برج الحمل في سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) وليدعم رأيه هذا أتى بكثير من الأدلة لايضـاح ما كان لعلم التنجيم من الشأن الكبير في الحيـاة اليومية في الشرق في العصور

١٠ اسوار القاهرة وابوابها
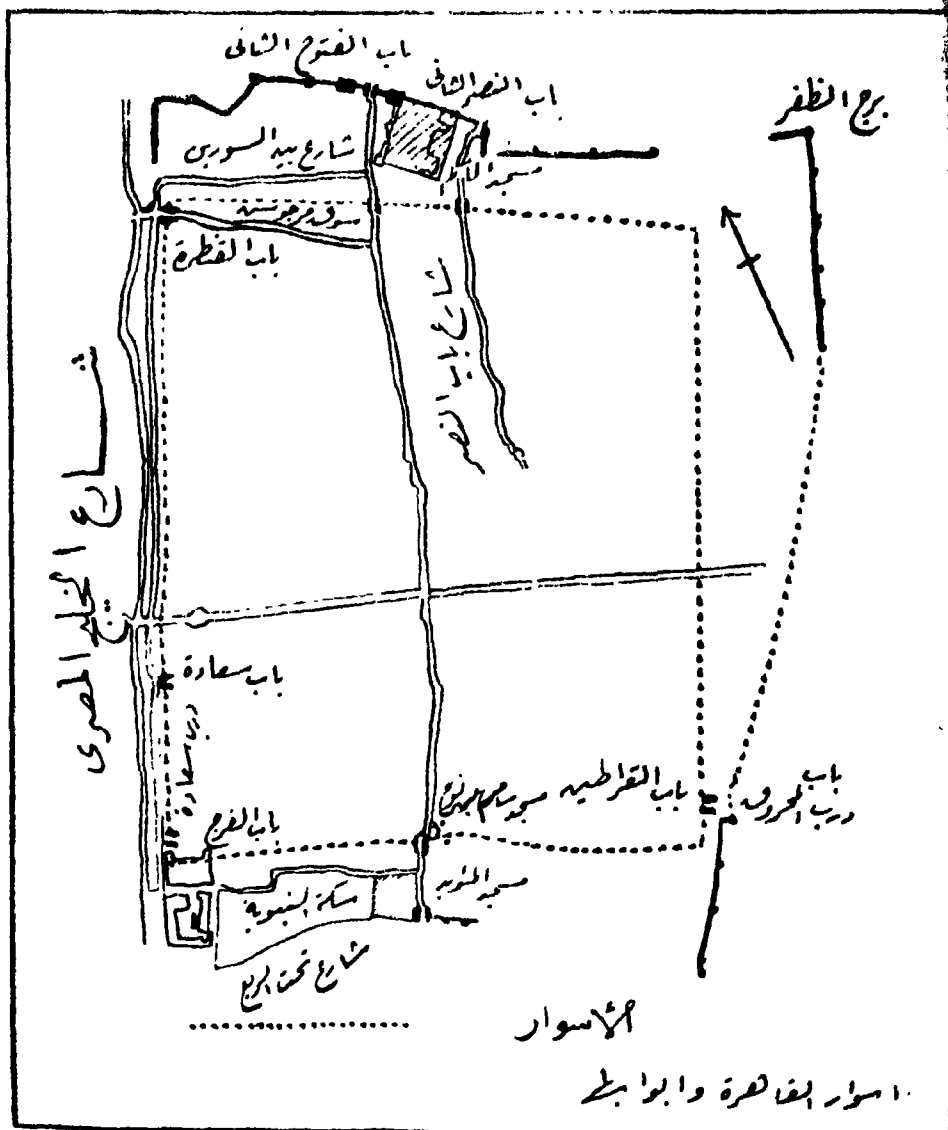
[نشر هذا البحث اولا في جريدة الاهرام الغراء وقد نقلناه عنها باذن من رئيس تحريرها]

الوسطى ، وخاصة بين الفاطميين وذكر كتب عبيدالله المهدي في التنجيم والعلوم الخفية (١) التي سرقت بالقرب من طاحونة حين كان فارًّا في افريقية والتي استردها القائم في اثناء حملته على مصر التي باءت

(١) العلوم الخفية — هي الكيمياء والتنجيم والسحر

هي الاخرى بالفشل ويقال ان هذه الكتب كانت تحتوي على النبوءة التي كانت ذائعة في ذلك الوقت وهي ان حكم العرب لبلاد المغرب سينتهي أمده بانتهاء القرن الثالث الهجري

ويقرر دي جويه ان هـذه النبوءة بلا شك ذات صلة بالتقـاء زحل بالمشتري في برج الحمل سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م) وهي السنة التي شهدت فعلاً سقوط الأغالبة وظهور أمر الفاطميين وبدء حكمهم في القيروان . ومن المعروف ان الفاطميين كانوا ينتظرون ان يبدأ عهد جديد هو عهد الدين الحق ، وان يكون ذلك مقترناً بتغيرات فلكية تحدث ٣١٦ هـ (٩٢٨ م)

ويرى دي جويه أيضاً ان قيام الدولة الفاطمية في ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م) قد جعل المعزّ لتضامه في التنجيم يختار سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) لاعداد حملته على مصر لاسباب فلكية أيضاً اذ يلتقي في هذا العام زحل بالمشتري في برج الحمل . وهذا يذكرنا بما فعله هولاكو خان اذ كان في أوج مجده ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ومع ذلك لم يجرؤ على غزو بغداد الا بعد أن أكد له النجاح والنصر منجمه الشهير الطوسي

*

﴿ غزو مصر ﴾ ونتيجة للاضطراب الداخلي والمجاعة التي حدثت بسبب انخفاض النيل والطاعون الذي أعقب ذلك ، أصبحت مصر عرضة للغزاة الفاتحين . وكان المعزّ يعلم تمام العلم حالة البلاد حيث أطلعه عليها يعقوب بن كلس اليهودي الذي هاجر منها وكان في اول أمره مقرّباً من كافور الاخشيدي فأصدر المعزّ أوامره بحشد الجيوش . فتجمع له مائة الف رجل ، أمّر عليهم جوهر القائد ، وجهزّ بالمعدات الكافية وارسل معهم المؤونة والعدد وآلات القتال وكل ما يحتاج اليه هذا الجيش الجرار على ظهور الدواب وسار الجيش من القيروان في ١٤ ربيع الاول سنة ٣٥٨ (٥ فبراير سنة ٩٦٩ م) فوصل الى الجيزة في ١٧ شعبان ٣٥٨ هـ (٦ يوليو ٩٦٩ م) وعبر النهر وسحق الجيوش التي أعدت لقتاله على الشاطىء الشرقي للنيل . فسلمت المدينة وسار الجيش الفاطمي المظفر في مدينة الفسطاط حاملاً لواء النصر، وعسكر في السهل الرملي الواقع الى الشمال[1] وكان يحدّ هذا السهل من الشرق جبل المقطم ومن الغرب الخليج[2] وكان الخليج عبارة عن قناة تخرج من النيل شمالي الفسطاط وتمرّ بمدينة هليوبوليس القديمة وتتصل في النهاية بالبحر الاحمر عند السويس. وكان هذا السهل خالياً من البناء الا بضعة مبان تتعلق بحدائق كافور وديراً مسيحيًا يسمى دير العظام وكان يشغل مكان مسجد الأقمر وحصناً صغيراً يسمى قصر الشوك . ولا يزال اسم هذا القصر باقياً للآن يطلق على أحد احياء العاصمة

* * *

﴿ تأسيس القاهرة ﴾ وفي مساء ذلك اليوم اختط جوهر موقع القصر الذي قرر ان يستقبل

---

(١) هذه البقعة الآن مغطاة بالمنازل او باكوام من التراب ولا يرى بها الرمل حتى تصل الى العباسية . ومع ذلك فأن عمليات الحفر والكشف في منطقة برج الظفر (وهو يقع في الزاوية الشمالية الشرقية لسور صلاح الدين) قد اظهرت ان هناك نوعاً من الرمل الاصفر الناعم على عمق سبعة امتار تحت مستوى السطح الحالي للارض وعليها ترتكز اسس بناء برج الظفر (٢) يسير ترام الخليج الآن من مسجد السيدة زينب الى الظاهر في نفس المكان الذي كان يخترقه الخليج . وقد ردم هذا الجزء في اواخر القرن التاسع عشر ويسمى هذا الشارع الآن شارع الخليج المصري

المعز . وحينما أتى أعيان الفسطاط في الصباح التالي لتهنئته وجدوا ان أسس البناء الجديد كانت حفرت . وبنى جوهر سوراً خارجياً من اللبن على شكل مربع طول كل ضلع من اضلاعة ١٢٠٠ ...ة . وذكر المقريزي [1] انهُ كان لا يزال يوجد الى عصره قسم كبير من هـذا السور كان يقع ...ف سور صـلاح الدين بنحو ٥٠ ذراعاً بين باب البرقية ودرب بطوط ثم هدم في سنة ٨٠٣ هـ ١٤٠... م) . وقد أبدى المقريزي دهشته من حجم الطوب المستعمل في هذا البناء وذكر ان طول ...وبة ذراع [2] وعرضها ⅔ ذراع . وان هذا السور كان سمكه كافياً لان يمر فوقهُ فارسان جنباً الى جنب ومن الغريب ان ياقوت ذكر ما يشبه ذلك في وصفه سمـك جدران قصر المهدية وهي العاصمة ...ولى للفاطميين . والسبب في جعل الاسوار والحصون سميكة بهـذا الشكل هو تمكين الرجال ...ين كلفوا الدفاع عنها من التجمع السريع عند أية نقطة معرضة لأن يتسورها الاعداء او يهاجموها ...ية طريقة اخرى . وقد كان المتبع منذ عهد الرومان ان ينشيء المحاصرون أبراجاً من الخشب ...تحركة تزيد في ارتفاعها عن الاسوار المراد مهاجمتها

وكانت هذه الابراج اذا أتي بها قرب الاسوار استطاع المحاصرون أن يهددوا أعالي هذه الاسوار ...لاستحكامات وامكنهم باستخدام الكباري المتحركة انزال بعض رجال الجيش المحاصر للاشتراك ...ي الهجوم والاستيلاء على الحصن فاذا لم تكن هـذه الاستحكامات سميكة سمكاً كافياً لم يستطع ...حاصرون ان يقاوموا صفًّا واحداً من الرجال يهاجم الحصن هجمة موفقة . وكان الغرض من بناء ...ـذا السور هو ان يحيط بقصري الخليفة ودواوين الحكومة ومساكن الحامية . وكانت هناك ...باني اخرى كثيرة كبيت المـال ودار سك النقود والمكتبة وضريح الخليفة ودار الاسلحة ...الاصطبلات . . . . . . الخ . واوضح ابن دقاق الغرض الذي رمى اليه جوهر . فقال انهُ بنى ...نصور لمولاه حتى يكون هو واعوانه وجيوشه بمعزل عن عامة الشعب . كما كانت (فيما بعد) عادة ...لملوك من ابناء عبد المؤمن فقد فعلوا كذلك في مراكش وتلمسان وأماكن اخرى

وقد سميت هذه المدينة في اول الامر المنصورية تيمناً باسم مدينة المنصورية التي أنشأها خارج ...قيروان المنصور بالله والد المعز . وقد أثار هذا التوافق بين الاسمـين دهشة العلامة كاي Kay

(١) جاء في المقريزي جزء ٢ صحيفة ٢٠٥ طبع مطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٤ هـ ما يأتي :—
« السور الاول كان من لبن وضعه جوهر القائد على مناخه الذي نزل به هو وعساكره حيث القاهرة الآن ...داره على القصر والجامع ... وقد ادركت من هذا السور اللبن قطعاً وآخر ما رأيت منه قطعة كبيرة كانت فيما بين ...ب البرقية ودرب بطوط هدمها شخص من الناس في سنة ٨٠٣ هـ فشاهدت من كبر لبنها ما يتعجب منه في زمننا ...ي ان اللبنة تكون قدر ذراع في ثلثي ذراع . وعرض جدار السور عدة اذرع يسع ان يمر به فارسان . وكان ...بعداً عن السور الحجر الموجود الآن وبينهما نحو خمسين ذراعاً وما احسب انه بقي الآن من هذا السور اللبن شيء »

(٢) يرى فان برشم Van Berchem ان الذراع الذي يذكره المقريزي في خططه هو الذراع البلدي وهو ...حدة المقاييس المصرية .وطوله ٥٧٫٨ سنتمتر . وبناء على ذلك يكون حجم اللبن المستعمل ٥٨ سم × ٣٨٫٥ سم ...ة الواحدة ونحن نؤيد فان برشم في ذلك لان المقريزي يقرر ان طول الضلع الجنوبي لجامع عمرو يبلغ ١٩٠ ذراعاً ...و هذا الحساب نجد هذا الضلع يساوي ١٠٩٫٨٢ متراً . ولما كان طوله الحقيقي من الداخل يبلغ ١٠٩٫٢٠ متراً ...ول تقدير طول الذراع البلدي بـ ٥٧٫٨ سم تقديراً صحيحاً

الذي لحظ ان انشاء مدينة منعزلة ومحصنة بهذا الشكل كان خاضعاً للسنة التي استنّها البلاط الفاطمي من قبل وان المنصورية ولو انها لم تكن نواة لمدينة جديدة ولا حلت محل مدينة القيروان القديمة فان العاصمة القديمة كانت بلا شك النموذج الذي انشئت على مثاله مدينة القاهرة

ومن الجلي كما لحظ ذلك ريتماير أن جوهر لا بدَّ كانت لديه أوامر من الخليفة بأن ينشيء مدينة تكون علاقتها بالفسطاط كعلاقة المنصورية بالقيروان . ويلاحظ لهـذه المناسبة ما ذكره البكري من ان بابين من أبواب المنصورية كان يطلق على احدهما باب زويلة والثاني باب الفتوح وقد اطلق هـذان الاسمان على بابين من ابواب سور مدينة القاهرة التي تذكرنا في كثير من مظاهرها بتنظيم المدينة الصينية والمدينة التترية والمدينة المحرمة في بكين التي أسسها قبلاي خان بعد ذلك بثلاثة قرون . ويرى كاي انهُ لايوجد ما يدل على انجوهراً او سيده كان في نيته ان يؤسس مدينة جديدة بالمعنى العادي المعروف لهذه الكلمة او كان يقدر ما حدث بعد ذلك بمعنى انهُ ما كان يخطر ببال احدهما انسكان تلك المدينة الثلاثية المكونةمن الفسطاط والعسكر والقطائع سيجاورون بالتدريج بيت الخليفة وانهُ بعد انقضى صلاح الدين الايوبي على هذه الاسرة سنة ٥٦٧ هـ (سنة ١١٧١م) سيبلغون السور ويبنون المساجد والمباني الخاصة على انقاض قصورها التي سارع اليها الخراب . والى ذلك الوقت لم يكن يسمح لأي فرد باجتياز اسوار مدينة القاهرة الاَّ اذا كان من جند الحامية او من كبار موظفي الدولة . اما عن اختيار موقعها فيقول المقريزي انجوهراً اراد ان تكون حصناً قائماً بين القرامطة وبين مدينة مصر لحمايتها من هجماتهم[1] . وفي عهد دولة كالدولة الفاطمية التي قامت على الدعاوى الدينية والروحانيات والتي يؤمن خلفاؤها بالعلوم الخفية فان عملاً هامًّا مثل انشاء مدينة لا يمكن ان يتم الاَّ بمساعدة المنجمين . ولذلك اصدر جوهر اوامره بجمعهم وطلب اليهم ان يختاروا طالعاً سعيداً لتأسيس المدينة حتى لا يتعرض الفاطميون لان يسلبها منهم متغلب

فحفرت الخنادق لبناء اسس الاسوار والجدران وثبتت فيها قوائم ربطت بحبال علقت عليها اجراس حتى اذا حانت الساعة المحددة ارسل المنجمون الاشارة الخاصةبالبدء في العمل . وامر العمال ان يقفوا على تمام الاهبة لالقاء الاحجار والمونة الموضوعة في متناول ايديهم في الخنادق المحفورة عندما تصدر لهم الاشارة بذلك . ولـكن قبل ان تحين الساعة المقررة وقع غراب على الحبـال الممدودة فدقت الاجراس ، فظن العمال ان المنجمين قد اعطوا الاشارة وبدءوا في العمل

وكان في هذه اللحظة كوكب المريخ في الاوج وكانوا يسمون هذا الـكوكب قاهر الفلك فاعتبروا هذا شؤماً ويظهر من رواية المقريزي المضطربة ان المدينة الجديدة اطلق عليها اولاً اسم

---

(١) (قدم القائد جوهر بعساكر مولاه الامام المعز لدين الله معد فبنى القاهرة حصنا ومعقلا بين يدي المدينة وصارت القاهرة دار خلافة ينزلها الخليفة بحرمه وخواصه الى ان انقرضت الدولة الفاطمية الخ) مقريزي جزء ٢ ص١٥٧ (... وسكنها الملوك ... الى يومنا هذا فصارت القاهرة مدينة سكنى بعد ما كانت حصناً يعتقل به ودار خلافة يلجأ اليها) مقريزي جزء ٢ ص ١٥٧

ان « العصر الجديد يقتضي رجالاً جدداً » فنشأ في كل بلاد زعماء ، ما كان احد يحلم قبيل ذلك يتاح لهم يوماً أن يصلوا الى مقدمة الصفوف ... من سمع بهاردنغ وكولدج في اميركا قبل سنة ١٩ وكيف تغلب ستالين بلدوين ، على المركيز كرزون السياسي والمؤلف ، وأذكى من تولى منصب ب الملك في الهند ، على ما يقولون ؟ كذلك منحت روسيا السلطة المطلقة لرجلين ، كانا مجهولين في دوائر الثورة ، هما لنين وتروتسكي ، وتقلد رآسة الجمهورية في بولونيا موسيقي عالمي الشهرة بادروسكي ، وفي تشكوسلوفاكيا استاذ جامعة هوماساريك ، وفي المانيا سروجي هو إيبرت ، عهد في مصير ايطاليا الى موسوليني وهو ابن حداد . كذلك اكتشفت الهند غاندي ، وارتفع ستاذ في مصر عن عظمة زغلول ، ولمع في سهول الجزيرة وفوق صحاريها نجم ابن سعود ، وخرج ضا خان من صفوف الجيش الى عرش الاكاسرة في ايران ، وتمخضت الامة الالمانية الكليمة النفس - لشدّ ما بلتها به معاهدة فرساي — عن هتلر والحركة الاشتراكية الوطنية

ولقد احتفظ بعض هؤلاء بمكانتهم ولكن آية السياسة العالمية اليوم هي التقلّب . فما تخلصت سبانيا من قبضة بريمو ده ريفيرا ، حتى طردت الفونس وأنشأت جمهورية . ثم ان رومانيا استدعت ملكها المتنازل عن العرش — كارول — واقامته شبه دكتاتور

والغالب ان تتجه الامم الى الافعال دون الاقوال الآن . فما اخرج تروتسكي من روسيا حتى حوّل ستالين الحكم الروسي الى بيوروقراطية (طبقة حاكمة معينة) والمانيا بزعامة هتلر تقتفي خطوات ايطاليا الفاشستية ولكن على منوالها الخاصّ ، وبريطانيا أشركت زعيمها الاشتراكي مع المحافظين لانشاء حكومة فعّالة ، وانتخب الرئيس روزفلت لكي يخرج بأميركا من الوهدة التي سقطت فيها ، وقد عهد اليه الكنغرس بسلطان واسع النطاق لم يعهد بمثله لرئيس اميركي آخر من قبل في زمن السلم

والتحول من دور الحكم الطويل الى دور الحكم القصير ، كان له اثر في احكام الزعماء أنفسهم . فبسمارك اذ كان يفاوض ، لم يجُل في خاطره شبهة ما في انه معرّض للسقوط ، وانه قد يطرد من منصبه بأكثرية يسيرة او كبيرة . لذلك كان يوجه كل عنايته الى الخطة السياسية التي يتبعها . فكان يتكلم في مجامع الدول كمن له سلطان . ما أقل الزعماء في هذا العصر الذين يستطيعون ان يفعلوا هذا ! فما رجع ولسن من اوربا ، حتى رفضت أمته توقيع معاهدة فرساي والانتظام في جمعية الامم ، وكذلك في البلدان الاخرى . كانت الوزارات تؤلف وتحل في مدى نهار وليلة . فاضطر الزعماء وهم يفاوضون ان يحسبوا حساباً للمنازعات السياسية كل في بلاده فأفضى هذا الى العقم والتردد في السياسة الدولية

ثم اذا نظرنا الى المشكلات التي يعالجها الزعماء رأيناها معقدة كل التعقيد . فتعيين الحدود ، يرتبط بالتاريخ الجغرافي والسلالة . وله كذلك صلة بالاقتصاد والتبادل والحواجز الجمركية . والشؤون الاقتصادية لا يمكن فصلها عن مسائل التسليح والحرب . والتسليح يتصل كل الصلة ، بأحوال

المنصورية[1] وهو الاسم الذي كان يطلق على المدينة التي اسسها الخليفة الفاطمي الثالث المنصور بالله خارج مدينة القيروان . ويقول المقريزي ان المدينة الجديدة لم تعرف باسم القاهرة الاّ بعد اربع سنوات حين حضر المعز الى مصر ورأى من قراءته الخاصة للطالع في هذه التسمية فألاً حسناً اذ ان اسمها مشتق من القهر والنصر ويقول ايضاً انهم بنوا السور من الطوب وسموا المدينة المنصورية حتى قدم المعز بعد ذلك بأربع سنوات (٧ رمضان سنة ٣٦٢ هـ ١١ يونيه ٩٧٣م) فغير اسمها وجعله القاهرة. الاّ ان المقريزي بعد ذلك بسبعة اسطر يروي قصة المنجمين بطريقة تجعلنا نظن ان اسم القاهرة اطلق على هذه المدينة منذ بدء تأسيسها [٢] . ويرجع الفضل للعلامة رافيس Ravaisse في جلاء هذه النقطة التي لم يفطن اليها «لين بول» Lane Poole في كتابه تاريخ مصر History of Egypt p. 1.. وقد اخذ بيكر برأي رافيس في المقال الذي انشأه بدائرة المعارف الاسلامية عن القاهرة

وقد سلم جميع الكتاب الذين عالجوا موضوع انشاء القاهرة بقصة المنجمين والغراب ولم يشكوا في صحتها . ويظهر انهُ غاب عن ملاحظتهم ان هناك قصة شديدة الشبه بهذه ذكرها المسعودي المتوفى (٩٤٣ م) في روايته الخرافية عن انشاء الاسكندر مدينة الاسكندرية

فقد روى ان العمال وقفوا بأمر الاسكندر في الخطوط التي حددت لانشاء المدينة وان الاوتاد دقت في الارض على مسافات في هذه الخطوط وربط بها خيط ثبت آخره بعمود من الرخام امام خيمة الملك .وعلقت بهذا الخيط اجراس وانتظر العمال اعطاء الاشارة اليهم وحين سمع العمال الاشارة باشروا جميعاً العمل في وقت واحد في اقامة اسس المدينة وكان الاسكندر يؤمل بهذه الوسيلة ان يكونوا واثقاً من انشاء المدينة في ساعة يسودها حسن الطالع ولكن مع الاسف حين حان اليوم والساعة المحددة شعر بثقل في رأسه ونام فوقع غراب على الحبل فدقت الاجراس وبدأ العمال في العمل . فلما استيقظ الاسكندر وعرف ما حدث قال لقد اردت شيئاً واراد الله آخر. ومن ذلك يظهر ان القصة التي رواها المقريزي كانت شائعة ومعروفة قبل انشاء القاهرة بستة وعشرين عاماً. وذلك يحول دون قبولنا رواية المقريزي الاّ بكثير من التحفظ. واني ارى ان ما سبق يجعلنا على حق حين نعتبرها خرافة من الخرافات

[تنشر تتمة هذا البحث النفيس في مقتطف دسمبر القادم]

---

(١)—(...وقصد جوهر الى مناخه الذي رسمه له مولاه الامام المعز لدين الله ابي تميم معد واستقرت به الدار واختط القصر واصبح المصريون يهنئونه فوجدوه قد حفر الاساس في الليل فأدار السور اللبن وسماها المنصورية . الى ان قدم المعز لدين الله من بلاد المغرب الى مصر ونزل بها فسماها القاهرة) مقريزي جزء ٢ ص ٢٠٤

(٢)—(...ويقال في سبب تسميتها ان القائد جوهراً لما اراد بناءها احضر المنجمين وعرفهما انه يريد عمارة بلد ظاهر مصر ليقيم بها الجند وامرهم باختيار طالع سعيد لوضع الاساس بحيث لا يخرج البلد عن نسلهم ابداً فاختاروا طالعاً لوضع الاساس وطالعاً لحفر السور وجعلوا بدائر السور قوائم خشب بين كل قائمين حبل فيه اجراس وقالوا للعمال . اذا تحركت الاجراس فارموا ما بايديكم من الطين والحجارة . فوقفوا ينتظرون الوقت الصالح لذلك فاتفق ان غراباً وقع على حبل من تلك الحبال التي فيها الاجراس فتحركت كلها فظن العمال ان المنجمين قد حركوها فألقوا ما بايديهم من الطين والحجارة وبنوا فصاح المنجمون القاهر في الطالع فمضى ذلك وفاتهم ما قصدوه ويقال ان المريخ كان في الطالع عند ابتداء وضع الاساس وهو قاهر الفلك فسموها القاهرة واقتضى نظرهم انها لا تزال تحت القهر) مقريزي جزء ٢ ص ٢٠٤

لباب النسبية مبسّطاً

تعريفها وقسماها — مقامها في العلوم الطبيعة

لحنا خباز

زيد في قطار سريع ، يقطع تسعين كيلو متراً في الساعة . رمى كرة الى الجو فصعدت الى علو ٦٤ قدماً ، ثم عادت راجعة الى اسفل . فأين تقع ؟ أوراءه ؟ ام امامهُ ؟ ام فوقه ؟

انها تقع فوقه ، لانها اكتسبت من سرعة القطار استمراراً ، لا تنزعه منها قوة الدفع السمتي من يد زيد . ولكن كيف رآها زيد ومن معه في القطار ؟ وكيف رآها عمرو ومن معه في الطريق ؟

رآها زيد ورفاقه قد صعدت وهبطت في خط سمتي . أما عمرو وصحبهُ فرأوها قد سارت في قوس دائرة كما ترى في شكل ١

ش ١

فأي الفريقين هو المصيب ؟ ازيد ام عمرو ؟ تقول النسبية ان كليهما مصيب . هذه الحالة تمثل لنا نظرتين . الاولى نظرة العلماني تبدو من زيد . والثانية نظرة النسبية تبدو من عمرو . هي صورة بسيطة تُرينا موقفاً من مواقف النسبية ، التي تحسب الخط المستقيم محدباً . وبحق تفعل ذلك . فالنسبية خطوة الى الامام في تفسير ظاهرات الكون . بها حوّل اينشتين قواعد غليليو ونيوتن ، كما حوّل كوبرنيقوس قواعد بطلميوس . وكما حوّل دلتون ولافوازييه قواعد الكيمياء القديمة . وكما جدّد ليل في علم الجيولوجيا . وداروين في البيولوجيا
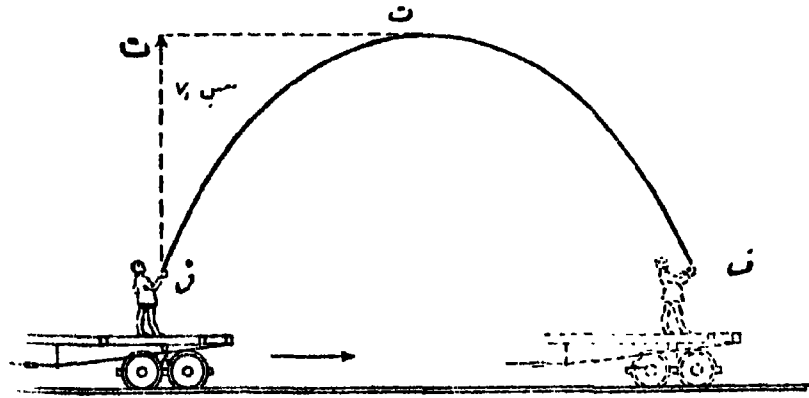
وجاءت نظرية اينشتين متممة مسمي ميكانعين ومودلي الراجع الى اثبات حركة الارض في الاثير

طة سير النور . وبالرغم من تكراره مراراً بين سنة ١٨٨٢ — سنة ١٩٠٥ — ١٩٢٥ لم يمكن ر اي اثر لحركة الارض في الأثير . فهل الأرض ساكنة ؟ او ان الأثير لا وجود له ؟ لا هذا ذاك . فما هو اذاً تعليل الأمر ؟ لماذا لم يمكن اثبات حركة الارض بهذا الامتحان ؟

ذهب العلماء في تعليله مذاهب شتى . منها ان الأثير الملامس سطح الكرة يشترك معها في كتها في شكل تيار . فلا يمكن ادراك حركتها فيه . ومنها ان المادة تتقلص في اتجاه حركتها . فتزجرالد الارلندي . وقد ابان لورنتز الهولاندي مقدار التقلص بالحسابات الرياضية وهو

$\frac{١}{٢٠٠٠٠٠٠٠٠}$ من قطر الارض

اما اينشتين فيقول ان التقلص ظاهري لا واقع . وخلاصة نظريته ان لا حركة مطلقة في كون . ولا سكون مطلق كذلك

فالمادة بأجمعها من اكبر كتلة كابط الجوزاء ، الى الفوطون وهو جزء واحد من عشرة آلاف ء من الكهرب ، اقول ان جميع هذه الاجسام متحركة حركة نسبية احدها الى الآخر

وقد قسم اينشتين النسبية الى قسمين : — ١ً النسبية الخاصة . وموضوعها الحركة القياسية الدورانية . وقد اعلن هذه النظرية سنة ١٩٠٥ :— ٢ً النسبية العامة وهي تبحث في جميع ركات قياسية ومتفاوتة ودورانية . وقد اعلن هذه سنة ١٩١٥

النسبية الخاصة

اوضحها اينشتين في كتاب «نظرية النسبية الخاصة والعامة»[١] ويمكن تلخيص كلامه في ما يأتي : زيد في قطار يسير سيراً قياسيًّا بالنسبة الى عمرو في المحطة . وهنالك غراب طائر في الجو فوق طار . فطيران الغراب حادثة طبيعية ، شهدها اثنان ، احدهما ساكن ، والآخر متحرك بالنسبة ه في خط مستقيم غير دوراني . قال اينشتين : نواميس الظاهرة الطبيعية هي هي سواء قيست ليل (هيكل اسناد) م او مَ المتحرك حركة « نسبية » الى م قياسية :

وقد اوضح ذلك هري شمدت في كتابه النسبية والكون ٦٦ — ٨٥ Relativity & The Universe

وهذه صورة قاعدة النسبية الخاصة فيها : جميع الظاهرت ، ليس الميكانيكية فقط ، بل ايضاً كهربائية والمغنطيسية والبصرية ، تحدث في نمط واحد سواء اعتبرت بدليلات ساكنة ، او دليلات متحركة حركة نسبية الى الساكنة حركة قياسية غيردورانية :

فمن ذلك : ان سرعة النور في الفضاء ثابتة السرعة لكل مراقب ، ومستقلة عن حركة مصدرها ناظرها : اي لا فرق بين ان يكون مبعث النور متحركاً او ناظره او كلاهما . ولذلك لا يمكن اثبات ركة الارض في الاثير بواسطة سير النور ، او بغيره من الظاهرات الكهربائية والمغنطيسية والميكانيكية

---

(١) Relativity, The Specific & General Theory فصل خامس ص ١٢—١٥

وبعبارة اخرى ان العلم الطبيعي عاجز عن اثبات الحركة المطلقة . جاء في كتاب النسبية وال
ص ٧٠ — ٨٥ ذكر نتائج النسبية الخاصة

١ً : لا يمكن تأكيد التعاصر (التوافت) في حادثتين . فقد يراهما مراقب في وسط من الا
انهما قد حدثتا معاً في وقت واحد . ولكن مراقباً آخر في وسط متحرك يراهما متواليتين

٢ً : الفترة الزمانية بين حادثتين معلومتين . قد يرد في طولها حكمان متباينان يعني ان
نسبي لا مطلق

٣ً : الفترة المكانية بين حادثتين معلومتين يحكم على طولها احكام مختلفة باختلاف هيا كل الا
Co-ordinates : او الدليلات . يعني ان المسافة نسبية

٤ً : الحجم نسبي لا مطلق . وذلك يتعارض ومبدأ نيوتن القائل بثبوت المادة

٥ً : الشكل نسبي . فالدائرة في عين زيد مع هيكل اسناد واحد ، قد تكون اهليلجاً و
عمرو مع هيكل اسناد آخر . والمربع في نظر هذا قد يكون مستطيلاً قائم الزوايا في عين ذاك

نسبية الزمان[1] : اذا كان هنالك ساعتان من معمل واحد ومن تركيب واحد ومزايا واح
كل شيء ولكن احداهما في جيب كاتب على كرسيه ، والاخرى في جيب طيار يقطع ١٠٠
متر في الساعة. فان الاولى تسبق الثانية سرعة وكلما زادت سرعة الوسط بطؤت حركة الساعة ،
المعدة ونبض القلب — وعلى ذلك قد يولد اثنان في ساعة واحدة ويموتان في ساعة واحدة
ذلك يكون احدهما قد عاش سبعين سنة والآخر قد عاش سنة واحدة لان الاول عاش في ار
والآخر في جرم سريع الحركة جدًّا بالنسبة الى حركة ارضنا والمفروض ان سرعته ١٦١٠٠٠ ميل في الثانية . فسنة هنالك تعدل سبعين سنة في ارضنا

القطار متحرك
متر على القطار
مكانه على الارض ثابت
متر على الارض
كما يراه انسان على الارض
متر على القطار
القطار ساكن
متر على الارض
الارض متحركة
متر على الارض

(ش ٢)

نسبية الحجم : انظر (ش ٢) فان المتر الواحد يظهر لك في حال اسراعه نصف متر

النسبية العامة

وموضوعها الحركة من حيث هي قياسية او دورانية او لولبية او غير ذلك

---

(١) انظر ٣٨ من كتاب ادنتن The Nature of the Physical World

ط الكلام فيها الاستاذ اينشتين في كتابهِ المذكور آنفاً ص ٥٩ — ١٠٥ وتمهيداً لها اوجه
رىء الى : « الابعاد الاربعة »

فضاء نيوتن هو فضاء اقليدسيّ ، ثلاثي الابعاد ، طول وعرض وعمق. على هذا جرى العلماء
م اقليدس الى ١٩٠٥ لما ابرز منكوفسكي رأيهُ في عالمنا . يقول اينشتين ان المادة ساكنة في
ليدسي ، لا تؤلف عالماً . لان ليس عالمنا عالم جمود واستقرار ، بل هو عالم حادثة ، فلا تكفي
د الثلاثة لتعيين الحادثة ، بل تلزم اضافة بعد رابع اليها هو الزمان

الجراف تسبلين وهو طائر من فريدركسهافن الى نيويورك بطريق روسيا فسيبيريا فاليابان
يفيك ، لا يمكن تعيين موقعه دون ذكر الزمان ، فلا يفيد قولنا ان الجراف تسبلين هو في
كذا وعرض كذا وارتفاع كذا ، ما لم نقل « في وقت كذا » . لانهُ في كل ثانية يشغل حيزاً
ف عما قبله

ال منكوفسكي ان الزمان وحده ، او المكان وحده ، او المادة وحدها ، وهم وخيال ، ما لم
الثلاثة معاً . (كتاب النسبية والكون ص ٩٨)

ويقول اينشتين : عالمنا امتداد زماني مكاني . وفضاء اقليدس ليس عالماً لانهُ ثلاثي الابعاد .
في عرف منكوفسكي : مشهد الظاهرة : ولا تكون الظاهرة دون زمان ، كما انها لا تكون دون
. وكلام اينشتين هذا يوافق رأي « كنت » الفيلسوف الالماني العظيم ، الذي يرى ان المكان
ان ملابستان لا يمكن فهم شيء في عالم المادة من دونهما فعالمنا زماني مكاني رباعي الابعاد
: ع : س : ز) وهي احرف ترمز الى الطول والعرض والسمك والزمان على الترتيب

بدأ اينشتين الكلام في النسبة العامة في الفصل الثامن عشر من كتابه . قال : لقد كان مبدأ
بية الخاصة محور ابحاثنا السالفة . وفحواه ان « كل حركة هي نسبية » وسواء اتخذنا المحطة او القطار
رك حركة نسبية موقفاً لنا ، فالنواميس العامة هي هي بحكم الاختبار ، المبني على هيكل اسناد
ي ، ساكناً او متحركاً حركة قياسية . ولا يشمل الاجسام المتحركة حركات منوعة . كما نعني
بية العامة . وفي هذه نواميس الظاهرات الطبيعية هي هي سواء قيست بدليل اسناد م او مَ
رك نسبيًّا « أيّة حركة اينما كان »

وبعبارة اخرى : جميع الاجسام ساكنة الدليلات (هيا كل الاسناد Co-ordinates) او متحركتها
، نوع من الحركة » هي صالحة لوصف الظاهرات الطبيعية (اي لتأليف النواميس الطبيعية
ة مهما يكن نوع حركتها) وتلا ذلك كلامه في الفصل ١٩ في منطقة الجذب gravitational field
يصدم نيوتن صدمة عنيفة . بأن الجاذبية والاستمرار سيَّان . قال : افلتنا حجراً من يدنا فسقط
لارض . ولماذا ؟ الجواب العادي عن هذه المسألة هو : ان الارض جذبته : ولكن الطبيعيات
يثة تصوغ الجواب في صورة اخرى . لان درس الظاهرات الكهرطيسية درساً دقيقاً اثبت لنا

استحالة الفعل عن بعد دون واسطة توصل أثر الفاعل الى المفعول به . فاذا جذب الحديد مغنطيساً دون اتصاله به فلا نقول اذ ذاك بالفعل عن بعد . بل نرى مع فارادي ان المغنطيس ينشيء حوله شيئاً طبيعيًّا ندعوه المنطقة المغنطيسية : magnetic field : فيجذب الحديد ضمن حدود هذه المنطقة . على هذا النحو نحسب تأثيرات الجاذبية . فان الكرة الارضية تنشيء حولها منطقة جذب . وضمن حدود تلك المنطقة تفعل في الحجر ، الذي رأيناه يهبط الى سطح الارض . ونعلم بالاختبار ان ذلك الجذب ينقص كلما بعدت المادة عن الارض (بدليل خفة الوزن كلما علونا)

على ان فعل الجاذبية في منطقتها يخالف فعل الكهربائية في منطقتها ، ويخالف كذلك فعل المغنطيسية في منطقتها ، وذلك في انهُ يحدث حركة متسارعة — كما في الاجسام الساقطة . ولا يتوقف ذلك على حجم المادة الساقطة ولا على نوعها . فجميع الاجسام تسقط بسرعة واحدة على سطح الارض . كتلة الحديد كقصاصة الورق حيث لا هواء يؤثر في هبوط الورقة مثلاً

فالجاذبية والاستمرار سيان . وقد مثل على ذلك في الفصل العشرين بمثل الصندوق الهائل . قال ما خلاصته : —

لنفرض ان الفضاء خالٍ من الاجرام . فلا شموس ، ولا سيارات ، ولا اقمار ، ولا ولا . . . ليس هنالك الاّ صندوق هائل في عرض الفضاء ، في سقفه حلقة كبيرة معلقة بحبل ، لا يراها الذين هم في الصندوق . حيث لا اجرام هنالك فليس ثمة جذب يهبط بالمواد الى اسفل نحو المركز . فتبقى الاشياء في الصندوق حيث وضعناها في منتصفه او فوق ذلك . ولا تهبط الى ارضه ولا تميل الى احدى الجهات الاربع ضمن الصندوق

ولكن في ذات يوم جذبت قوة عالية الصندوق بواسطة الحبل المربوط بالحلقة . فارتفع الصندوق مقسوراً . اما الاشياء التي ضمنه فظلت حيث هي . فلما ارتفع الصندوق صدمت ارضه تلك الاشياء . فنقول انها قد هبطت ، لاننا لم نشعر بحركة ارتفاع الصندوق ، بل شعرنا بهبوط الاشياء على ارضه وقد نعلل تلك الظاهرة بتعليل مألوف عندنا وهو : ان قوة خافية تحت الصندوق جذبت الاشياء التي فيهِ الى اسفل

وسواء كان الصندوق قد جذب الى فوق بالحبل ، او ان الاشياء قد جذبت الى اسفل بقوة خافية ، على الحالين ان الاشياء لاذت بأرض الصندوق . ولا مزية لاحد التفسيرين على الآخر فالاستمرار والجاذبية سيان : (طبيعيات عامة : ص ٦٨٥)

***

على هذا النحو يمكن تجريد مبدأ النسبية فيشمل كل الحركات في الكون . وعليه فالمنطقة الجاذبية ظاهرة لا غير . يلي ذلك تبيان اينشتين عجز النسبية الميكانيكية والنسبية الخاصة

يتلخص ناموس الميكانيكا الكلاسيكية بهذا النص — تستمر الذرات المادية المتباعدة سائرة في خطوط مستقيمة، او تبقى ساكنة : وقد ابنا ان ذلك يصح في وسط سا كن، او سائر سيراً قياسيًّا. اما اختلفت الاقيسة باختلاف الاوساط تخلف هذا الحكم . فاذا راقبنا تلك الذرات من وسط سريع الحركة تشعر انهُ سا كن ، ظهرت لنا تلك الذرات متحركة لا سا كنة

وقد ذكر هنا مثال الحلل فيها ماء موضوعة على مصابيح الطبخ وهي ا كفاء في كل شيء . الاّ ان الماء جعل يتبخر ويغلي في بعض الحلل دون البعض الآخر. ولدى التفحص وجدنا تحت الحلل الساخنة المياه ، شيئاً صاعداً من المصابيح ازرق اللون ، في صورة شعاع . فحسبناه علة غليان الماء . ولكن لم يسبق لنا مثل ذلك الاختبـار . لذلك ارتأى ا . ماش انهُ يجب ان تبنى الميكانيـكا على اسس جديدة . تنطبق على قواعد النسبية العامة

مستندات اينشتين في تأييد النسبية العامة ثلاثة :

الاول : انحراف اشعة النور لدى مرورها بجسم في عرض الفضاء وقد ابان بالمعادلات الرياضية ان ذلك الانحراف يجب ان يكون ١،٧٠ً وقد اثبت ذلك رصد كسوف الشمس سنـة ١٩١٩ . (راجع الكون المتمدد ص ١) . الثاني: تعليل عقدة عطارد (الكون المتمدد ص ٢٥). افلاك السيارات حول الشمس اهليليجيات وتكون السيارات في اقرب موقع من الشمس في نقطة خاصة في فلكها لا تتجاوزها ، والشمس في محترقها الاقرب الى السيار . وهذا الحـكم نافذ في كل السيارات الاّ عطارد. فان تلك النقطة تنحرف نحو ٤٣ً في كل قرن. هذه هي عقدة عطارد . وقد حار العلماء في امرها

فلما وضع اينشتين قواعد النسبية العامة ابان بالادلة الراهنة لزوم ذلك الانحراف لوجود شيء في الفضاء يوجبه . الاّ ان مقداره في غير عطارد زهيد جدًّا لا يشعر به . فعلل اينشتين بالنسبية ما كان يحسب عند العلماء من الشواذ

الثالث : حيود الفسحات المظلمة في خطوط فرنهوفر نحو الاحمر . وهذا من ادق مباحث النسبية واعمقها . وهو يتناول الظاهرة البصرية والظاهرة المغنطيسية معاً

***

يصحب التيارَ الكهربائي حتماً فعلٌ مغنطيسيٌّ فلو كان جسم مشحون كهربائية سا كناً فليس لذلك حقل مغنطيسي . ولـكن لو راقب ذلك الجسم مراقب في جرم متحرك حركة سريعة جدًّا . وهو يشعر ان موطنه سا كن وان الارض الحاملة الجسم المكهرب هي المتحركة تلك الحركة السريعة لما شهد الحقل المغنطيسي وشهد معه حيود فسحات فرنهوفر المظلمة نحو الطيف الاحمر . هذه المستندات الثلاثة اي انحراف الاشعة وتعليل عقدة عطارد وحيود الفسحات المظلمة في خطوط فرنهوفر نحو الاحمر ، جاءت مؤيدة لنظرية اينشتين . والذي اعلمه ان جمهرة العلماء الطبيعيين في كل مكان قد قبلوها كقضية راهنة

حمق دعاة التعقيم

نشرنا في مقتطف اكتوبر الماضي مقالا جمعنا فيه أهم [illegible] في تأييد فكرة « اصلاح النسل بالتعقيم » ووصف العملية [illegible] وآثارها والقوانين التي سنت لهذا الغرض في مختلف بلدان العالم [illegible] تطبيقها في ولاية كاليفورنيا الاميركية . وفي المقال التالي [illegible] التعقيم بقلم الاستاذ طيوس كوكس استاذ ادب النفس في جامعة فوردهام الا[illegible]

ليس لعاقل ان يعترض على الغرض الذي ترمي اليه «حركة اصلاح النسل» Eugenics وهو صحة الذرّيات المقبلة وهناءتها . ولكن محاولة تحقيق هذا الغرض بوسائل لا تستند الى أساس علمي او أدبي — واذن فهي لا تستند الى أساس شرعي — اي بالتعقيم ، تلقى مقاومة عنيفة من كل من يتدبر الموضوع ويتأمل فيه. قال الاستاذ جننغز[1] : لقد اصبح علم الحياة من الموضوعات التي يعنى بها الجمهور ، ولكن حماسة البيولوجي يضعفها ريبتهُ في صحة الاقوال والآراء التي تذاع باسم البيولوجيا . فالحالة تفسح المجال لمن لا ينقد آراءه ولا يمحصها ، ولا يساوره ريب ما في ان علما قد حلَّ مشكلات الانسانية »

فدعاة التعقيم يسعون الى ازالة الذين لا يصلحون للتناسل ، وتخفيف الاعباء التي يلقونها على كواهل المجتمع بتكاثرهم وعدم صلاحهم للنهوض بما يطالبهُ المجتمع منهم . والخطأ الذي يقع فيه [illegible] اليوجنيين انهم يقيسون سلامة السلالة بالمقام الاجتماعي او المقدرة الاقتصادية او درجة التعليم ناسين ان المقام الاجتماعي ليس فضيلة ، وان المقدرة الاقتصادية قد تنطوي على الاجرام ، وان التعليم النظامي قد يفضي الى انشاء صلات ليست في الطبقة العليا من النقاء النفسي او النفع العام . فكأن هؤلاء اليوجنيين يخلطون بين التعليم والذكاء . بين النظافة والمعيشة الصالحة . بين الجهل والاجرام ويؤيدني في قولي هذا ، المستر ريمون پرل Pearl مدير البحث البيولوجي في جامعة جنز هبكنز يقول في رسالة لهُ ، ان ليس الغرض منها الحكم على طبقات بأسرها من الناس بعدم صلاحها للتناسل لاسباب اجتماعية او اقتصادية ، ولا ان يبيّن تضميناً ان طبقة واحدة من الناس — أي متخرجي الكليات والجامعات — هي الطبقة التي يرغب فيها وفي تناسلها من الناحية اليوجنية

ولكن لا ريب ، في ان هناك أفراداً ، في الطبقات العليا والطبقات السفلى والطبقات المتوسطة من المجتمع ، مصابون بضعف جسماني او عقلي . ويمكن تقسيم هؤلاء الى ستة فُرَق (الاول) المصابين بأمراض معدية كالمسلولين والمصابين بالزهري او بالجذام . (الثاني) فريق المنحطين

(١) استاذ علم الحياة في جامعة جنز هبكنز في كتابه (الطبيعة البشرية واساسها البيولوجي)

سهّار الصاديين ومدمني المخدرات (الثالث) فريق المذنبين أمثال المتشردين والمجرمين (الرابع) فريق
متوكلين مثل الصم والبكم والكمه (الخامس) فريق المصابين بأمراض عقلية (السادس) فريق المصابين
نمعف عقلي مثل البُله وضعاف العقول (morons)

فما هي الوسيلة العلمية لازالة هؤلاء المصابين من حيث هم آباء وأمهات يخلفون ذريات مصابة
لة من العلل المذكورة ؟

علينا اولاً ان نتبين هل هذه العلة وراثية او مكتسبة . والمسلم بهِ عند جمهرة علماء الحياة ، ان
صفات المكتسبة لا تورَّث . ولكن الناس الذين ينخرطون في سلك الفرق الاربعة الاولى هم
س مصابون في الغالب بعلل مكتسبة . والطائفة الكبرى من هذه العلل تمكن معالجتها ،
ا بوسائل الطب ، او باقامة أصحابها في منشآت خاصة بهم . أما فيما يتعلق بالاجرام فيرى الاستاذ
أنبورت مدير قسم التناسل في معهد كارنيجي بوشنطن العاصمة ، « ان القصاص العاجل المؤلم
, خير علاج للمجرم »

فلا يبقى لدينا الاَّ فريقان هما الفريق الخامس وهو فريق المصابين بأمراض عقلية والفريق
سادس وهو فريق المصابين بضعف عقلي

أما فيما يختص بالفريق الاول فيرى الاستاذ ميرسُن Myerson — وهو من الثقات في الموضوع —
, قليلاً من الامراض العقلية الكبرى يورَّث ، وعند التخصيص يقول ان مرضين فقط من هذه
امراض تتوارثهُ أسر معينة وهما السرسام[1] والجنون التهيجي الانقباضي والثاني أعمهما . بيد ان
ذا لا يمنع حدوث اصابات منعزلة بأحد هذين المرضين ، اي لا صلة لها البتة بما تتوارثه أسرة من
أسرة المصابة ، بل ان الاسر التي تتوارث احد هذين المرضين قليلة الذكر في تقارير الاطباء
لمعاهد الطبية . . . فكأن المرض العقلي ، كالمرض الجسدي ، اما ان يبيد السلالة التي تصاب بهِ ،
تشفى منهُ شفاء تامًّا[2]

ويرى لندمن Landman ان اسباب الامراض العقلية لا تزال لغزاً او سرًّا مكنوناً[3] . بل ان
ل پوپينو — وهو من دعاة التعقيم — يصرّح بأن تناسل المصابين بالامراض العقلية قليل ، وان معدل
واجهم اقلّ من متوسط الزواج العام . وعلاوة على ذلك يحتاج المصابون بالأمراض العقلية الى
فظهم في المستشفيات الخاصة بهم لينالوا العناية اللازمة ، وفي هذه الحالة لا فائدة تجنى من تعقيمهم
لا معنى لهُ على الاطلاق

اما افراد الفريق السادس ، اي المصابون بضعف العقل ، فهم الذين يسترعون عناية اليوجنيين

---

(١) كان يعرف باسم dementia praecox وصار الآن يعرف باسم schizophrenia (دائرة المعارف
بريطانية ج ١٢ ص ٣٨٦ سطر ١٤ (٢) كتاب سيكولوجية الاضطراب العقلي لميرسن ص ١١٦ — ١١٧
(٣) كتاب « تعقيم الانسان » تأليف لندمن صفحة ١٤٦

بوجهٍ خاص ، واليهم يتّجه التشريع الخاص بالتعقيم . ولكن ما نعلمهُ عن انتقال الضعف العقلي بالوراثة ، ليس اكثر مما نعلمهُ عن انتقال الامراض العقلية بالوراثة . فالاستاذ ميرسن يرى « ان جانباً كبيراً من الضعف العقلي مردّهُ الى البيئة . ان جانباً منهُ وراثي ولكن اصلهُ مجهول ، وقد يكون مثالاً على انحطاط الذكاءِ كما ان العبقرية مثال على تدرجهِ ارتقاءً » . ويقول ميرسن في جانب آخر من كتابهِ : « لقد كُتبت كتب كثيرة عن ضعف العقل ، ادّعى فيها مؤلفوها ان ضعاف العقول هم المجرمون في البلاد والفاسقون ، وان كثرة تناسلهم تجعل كثرة السكان في المستقبل منهم اذا لم يعالجوا بطريقة او اخرى من الطرق المقترحة .... ولكن خبرتي الطويلة بالامراض الجسدية والعقلية، اثبتت لي ان الامر التي يضربون بها المثل على ضعف العقل ليست في الحقيقة ضعيفة العقل . حتى اذا سلمنا بانها ضعيفة العقل ، فانها ليست نموذجاً على ضعاف العقول . وقد بيّنت في غير هذا المكان الخلط الذي يقع فيهِ بعض الكتّاب بحسبانهم قلة الثقافة من قبيل ضعف العقل »

اما موضوع تناسل ضعاف العقول وكثرة ولدهم فانرجع فيهِ الى تقرير لجنة التعقيم التي عينتها الحكومة البريطانية «وقد نشر في السنة الماضية» فقد جاءَ فيهِ : ان ما يدعى عن خصب المصابين بضعف العقول هو في رأينا من قبيل الاساطير . ناجم من ان بعض الشواذ عن القاعدة ، تذاع انباؤها في الصحف لاتصالها بحوادث غريبة تنظر فيها المحاكم. وقد درس لندمن ٦٠٥ حادثة من المصابين بضعف العقل في كاليفورنيا فوجد ان ٣٤ في المائة من الرجال و٢٨ في المائة من النساء كانوا في مستشفيات خاصة بالامراض العقلية فتعقيم هؤلاءِ لا معنى له لانهم لن يخلفوا نسلاً الاَّ اذا كان للتعقيم فائدة في معالجة اصابتهم . فالخوف من ان ضعاف العقول ، يقذفون بعدد من النسل يزيد زيادة نسبية على مواليد الطبقات الاخرى ، لا يستند الى دليل ، ولا يثبت عند توجيه نور العلم الكشاف اليهِ

***

ولكن لنفرض اننا نعلم عن امراض العقل ، وضعف العقل اكثر مما نعرف ، ولنضرب صفحاً عن قول لندمن « .... ان التعقيم الانساني كبرنامج اجتماعي يحتاج الى العلم اكثر من حاجتهِ الى التخيّل » . ولنمرَّ مرَّ الكرام بكلام هوجز حيث يقول : « يجب ان يعترف بان اكثر ما كتب في اليوجنية في طفولة هذا العلم ، متصف بالتعميم المعجول . والمبالغة في غير احتراس» [1]

دعنا من كل هذا ، ولنفرض اننا نعرف على وجه التحقيق اي الصفات الانسانية مكتسب وايها وراثي . فلكي نزيل بعض الصفات الوراثية غير المرغوب فيها ، بالتعقيم ، يجب ان نعرف الاسلوب الذي تنتقل بهِ هذه الصفات بالوراثة

فبعض علماء الحياة يسلمون بنظرية عوامل الوراثة gene theory في تفسير توارث الصفات الا...

(١) س . ج . هوجز « عقدة اليوجنية » ص ١٣٤٠

النفس والعقل، اتصاله بالمصلحة والتاريخ . كل هذه مشكلات ليست بالمشكلات السهلة . انها تلخ في قولنا « ترميم الحضارة واعادة بنائها بناء جديداً » . فالذكاء والالمعية والشجاعة ليست الصفة الوحيدة التي يجب ان يتصف بها الزعماء ، وبعض زعماء العالم الآن متصف بها في سعيه وراء تحقيق هذه الاغراض العليا ، بل يجب ان تواتيهم احوال العصر المضطربة لكي يصيبوا شيئاً من النجاح . ونحن اذا صبرنا قليلاً فقد نرى او قد يرى ابناؤنا ان مساعيهم قد اسفرت عن شيء مما يبغون

مشكلة الساعة

المانيا ونزع السلاح

ان خروج المانيا المفاجيء من مؤتمر نزع السلاح في ١٤ اكتوبر (١٩٣٣) وجَّه الافكار الى الاخطار العظيمة التي تنطوي عليها الحالة الاوربية الآن . ففرنسا تظلُّ مسالمة راضية اذا هي استطاعت ان تحافظ على موقفها الراهن من ناحيتيهِ الجغرافية والسياسية . ولكن المانيا متبرمة وتبرّمها يغذي فيها نزعة الكفاح في سبيل ما تراه حقًّا لها . وهذه النزعة مكبوحة الآن لان المانيا تدرك عجزها عن تحقيق اغراضها بالقوة . فالحالة اليوم تقتضي اتفاقاً على خفض السلاح ، اكثر مما كانت تقتضيهِ في اي دور سابق من ادوار مؤتمر نزع السلاح وخروج المانيا من المؤتمر اقنع ولاة الامر بان الاتفاق على المسائل الفنية وحدها لا يكفي بل يجب ان يشمل العوامل الاساسية التي تبعث على القلق السائد لبرّ اوربا

لما انفضَّ مؤتمر نزع السلاح في يوليو ١٩٣٣ ادرك المطلعون على سير الامور فيهِ انهُ لا يستطيع المضيَّ في عملهِ الاَّ اذا وصل الى نتائج عملية قبل فوات الاوان . وكان قد انقضى عليهِ سنة ونصف سنةٍ ، تخللتهما فترات من الراحة ، ما زالت تطول كلما قامت العقبات السياسية في وجههِ ، حتى أصبحت تحصى بالشهور . وها هوذا المؤتمر لم يجتمع بعد انفضاضهِ في الصيف الماضي

يقول بعضهم انَّ في الامكان المحافظة على السلم الاوربي بابقاء المفاوضات دائرة بين الدول في جنيف . وقد يكون في هذا القول نصيب من الصحة . والواقع انهُ ما زالت ، المسائل التي يدور عليها البحث مسائل فنية مجردة ، فالمضي في المفاوضة مستطاع ، لا يخشى معهُ اي اصطدام خطير في الخطط الاساسية . ولكن لما تحوَّلت المناقشة الى مسائل معينة ، مثل عدد المدافع والطيارات والدبابات التي يسمح بهِ لاية دولة من الدول واطرزة هذه الاسلحة ، بلغ المتفاوضون مأزقاً ، لم يروا حتى الساعة سبيلاً الى الخروج منهُ . خذ مثلاً على ذلك الطيارات الحربية . فقد قضى الخبراء بضعة اسابيع يتناقشون في افضل السبل لتعيين درجات الطيارات . أيكون ذلك بقوة محركاتها ، او

نظرية عوامل الوراثة ، درست درساً عملياً في غير الانسان ، وطبقت عليهِ بالقياس فقط تطبيقاً غير
م . والاستاذ جننغز ينبـه على هذا في كتابه[1]

يقول اصحاب نظرية العوامل الوراثية انهُ اذا اجتمعا عاملان وراثيان لصفة خاصة ، احدهما من
ب والآخر من الام ، وكانا سليمين ، او كان احدهما سلباً ومتفوقاً Dominant ، فالشخص الذي
تمعان فيهِ يكون سليماً . وكثير من الناس من يحمل في مادته التناسلية ، عاملاً معيناً ، معيباً .
لكن العيب لايبدو عليهِ ، لان العامل الذي يقابلهُ او يزاوجه متفوّق وسليم . ولا يبدو العيب
المولود الاّ اذا اجتمع عامل معيب من الوالد بالعامل المعيب الذي يقابله من الوالدة . فالذين يحملون
اجسامهم العاملين الخاصين بصفةٍ ما وكان احدهما معيباً يدعون « الحوامل » على مثال من يحمل
كروب التيفود، ولا يصاب بها . والمظنون ان في الولايات المتحدة نحو عشرة ملايين من هؤلاء
اس السّلام الاجسام، الذين يحملون في طياتها عوامل وراثية معيبة خاصة بضعف العقل . وليس
وسيلة علمية على الاطلاق لمعرفة هؤلاء الناس وتعقيمهم خوفاً من ان تجتمع عواملهم الوراثية —
بعضها — بما يقابلها في ازواجهم فيلدون ضعاف العقول

ويقول جننغز ايضاً في الصفحة ٢٤٢ من كتابه : « اذا حسبنا ان نسبة ضعاف العقول في
مة كنسبة واحد الى الف ، فاننا نحتاج الى ٥٨ جيلاً او من الفين الى ثلاثة آلاف سنة ، لكي
علها ١ في ١٠٠٠٠ اذا نحن اعتمدنا في ذلك على منع تناسل ضعاف العقول » . وسبب ذلك ان
عف العقل يظلُّ يتوارث عن طريق الذين يحملون احد عوامله الوراثية ، وهؤلاء لا نستطيع
ينهم لكي نمنعهم من التناسل بالتعقيم . ويختم جننغز قوله بأن التقدم في انقاذ البشر من ضعف
عقل يحتاج الى امرين، الاول طريقة تتبين بها الذين يحملون عوامل ضعف العقل من سِلام الاجسام
الثاني تبين اي الصفات الانسانية المتوارثة تنشأ عن زوج واحد فقط من العوامل الوراثية. والصعوبة
هذا ان احوال المعيشة السيئة ، قد تحدث اثراً كأثر العوامل الوراثية المعيبة . فقد يصبح الناس
ائين او مجرمين او مسلولين لعيب في عواملهم الوراثية او لعيب في احوال معيشتهم او لعيب في الاثنين
ولكن اذا فرضنا اننا بلغنا كل هذا ، فان مشكلة القائلين بالتعقيم لا تحلُّ . لأن سؤالاً
يراً يواجههم، وهو كيف نشأت هذه العوامل المعيبة اولاً . وهل اجسام البشر ماضية في توليد
مل وراثية معيبة ؟ فعلم الحياة قد اثبت ان اشعة اكس ، وبعض الاشعة تولد في النبات تحولات
عوامل الوراثة . وليس جميع هذا التحوّل مما يجلب الخير . بل بعضهُ مما يضرُّ . افلا يجوز ان
اجسام البشر ماضية في توليد عوامل معيبة ، بفعل طائفة من الاسباب والبواعث المعقدة
ندركها ؟ ليس عند علماء الحياة جواب عن هذا السؤال . واذا كانت اجسام البشر ماضية في
هذه العوامل، فتعقيم المصابين بها، والحاملين لها ، لا يجدي

---

[1] الطبيعة البشرية واساسها البيولوجي

التعريف بالكندي

اسمه واسرته — ولادته ونشأته — سيرته ووفاته

لمحمد متولي

١

الكندي هو ابو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصبّاح بن عمران بن اسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس وإلى قيس هذا يتوافق ابن النديم والقفطي وابن ابي اصيبعه [١] في ايراد نسب الكندي واليهِ ايضاً يمكن أن نطمئن الى روايات هؤلاء لانها ثابتة تاريخيًّا كما سترى

وابن النديم والقفطي وابن ابي اصيبعة يقولون عن قيس انهُ ابن معدي كرب بن معاوية بن جبلة ابن عدي ولكن صاعداً يخالفهم فيقول ان معاوية ابن خالد بن علي [٢]

وصاعد والقفطي وابن أبي أصيبعة يقولون عدي بن ربيعة بن معاوية الاكبر فيذهب ابن النديم الى زيادة جيلين بين ربيعة ومعاوية الاكبر هما زيد بن المسيسه

ثم يقول صاعد وابن أبي اصيبعة ان معاوية الأكبر ابن الحارث الاصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر

ويقولون ان الحارث الاكبر بن معاوية بن ثور بينما يذكر النويري [٣] ان كندة وهو ثور قد اعقب من فخذين هما ابناه معاوية وأشرس والعقب من معاوية هذا من ابنيه مُرتع وزيد [٤] يذكر هذا النويري ولكننا لا نجدهم يقولون بزيد حفيداً لثور ولا يقولون بمرتع

ويروى ان ثور بن مرتع بن كندة بن عُفير بن عديّ بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ولكن ابن النديم ... هذه الاجيال العديدة المذكورة بين معاوية الاكبر وزيد ابي أدد وابن خلدون [٥] يروي عن

(١) راجع نسب الكندي في ترجمته في الفهرست ص ٢٥٥ وطبقات الامم ص ٥١ وأخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٤٠ وعيون الانباء في طبقات الاطباء ج ١ ص ٢٠٦ (٢) هناك شبه قوي بين رسم « جبلة بن عدي » ورسم « خالد بن علي » ولعل خطأ ناشر كتاب طبقات الامم أو خطأ ناسخه هو أصل هذا الاختلاف (٣) نهاية الارب في فنون الادب ج ٢ ص ٣١٨ (٤) صاعد والقفطي يذكرانه « مرتع » بالقاف بينما من ... « مرتع » بالتاء ولاحظ ان القفط ... (٥) كتاب ...

[عب]يدفيهمل اجيالاً عديدة ايضاً ثم يحدثنا ان يشجب بن عبيدالله بن زيد بن كهلان فيزيد عبيدالله هذا كذلك النويري وابن سعيد الحميري[1] يرويان ان مرتعاً ابن معاوية بن كنده فيزيدان معاوية واذا كان ثور هو اول من لقب بكندة وهو ما يكادون يتفقون في روايته[2] فكيف يقولون مرتعاً ابن كندة مع انه اب لثور

ولوْ ذهبنا نتقصى نسب فيلسوفنا عند رواة آخرين لما وجدنا عندهم ما ينقع غلة وأحسب فيما [ر]سمت من الروايات المتباينة وفيما رأيت من الفوضى الشائعة ما يحملنا في حل من الشك في نسب [ال]كندي قبل جده قيس وعلى الاخص ونحن نعلم ان كتب الانساب لا تعتمد على اسانيد تاريخية [و]انها كتبت في عصور متأخرة

***

على انهُ مهما يكن هذا النسب موضوعاً للروايات المختلفة ومهما يكن الشك فيهِ والحرص في [ا]لأخذ به واجبين فنحن نستطيع ان نخرج بقول بيّن من كل الروايات ذلك هو ان الكندي قد تنقل [من] اصلاب كندة القبيلة العربية الخالصة

واصل كندة في بلاد اليمن ولكن بطوناً منها نزحت في مناسبات الى امصار اخرى حيث انشأت [ف]روع للقبيلة العريقة فيحدثوننا ان الكندي المصري ابا عمر محمداً بن يوسف بن يعقوب التجيبي [الم]ؤرخ ينتسب الى كندة[3] وان كثيراً من المحدثين الكوفيين والبصريين ينتسبون الى كندة [اي]ضاً[4] ويحدثوننا كذلك ان بطوناً اخرى قد استقرت في الشام[5] والاندلس[6] ولكن يعنينا [الآ]ن ان نعرف شيئاً عن اسرة الكندي — كيف كانت وكيف نزحت عن مخاليفها في اليمن ، ثم [ك]يف استقرت وكيف كان حالها بين ربوع العراق ؟

فاذا صدقت الروايات كانت الارستقراطية قوية واضحة في يعقوب الكندي وكان هو عريقاً في [نس]به أصيلاً — ذكر الالوسي البغدادي عن ابن الكلبي[7] ان كسرى سأل النعمان بن المنذر « هل [في] العرب قبيلة تشرف على قبيلة » ؟ فقال النعمان « نعم » قال « فبأي شيء » ؟ قال « من كانت له ثلاثة [آباء] متوالية رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال رابع — فالبيت من قبيلته فيهِ وتنسب اليهِ » وتقصوا هذا [فلم] يجدوه في غير آل حذيفة بن بدر وآل ذي الجدين وآل الاشعث بن قيس الكندي

---

(١) منتخبات في أخبار اليمن ص ٩٤ — ولعل ابن سعيد الحميري هذا غير ابن سعيد الذي يروي عنه ابن خلدون [ف]هناك خلافاً بين الروايتين (٢) العبر لابن خلدون ج ٢ ص ٢٧٦ ومنتخبات في أخبار اليمن لابن سعيد ص ٩٤ والمختصر في تاريخ البشر لابي الفدا ج ١ ص١٠٣ ونهاية الارب للنويري ج ٢ ص٣١٨ وصبح الاعشى [للقلقشن]دي ج ١ ص ٣٢٨ (٣) كتاب الولاة والقضاة لابي عمر محمد بن يوسف الكندي ص ٦ (من مقدمته [...]ة بقلم « روفن جست ») (٤) راجع طبقات ابن سعد ج ٢ وجزء ٦ وجزء ٧ (٥) راجع طبقات [...] ٣ وجزء ٦ وجزء ٧ (٦) العبر لابن خلدون ج٢ ص ٢٧٦ (٧) بلوغ الارب في معرفة احوال [...] ص ٢٨١

والأشعث بن قيس كان ملكاً على جميع كندة وكان ابوهُ من قبل ملكاً عليها ايضاً وكان معدي كرب بن معاوية جد قيس ملكاً على بني الحارث الاصغر في حضرموت وكذلك كان معاوية ابو معدي كرب ملكاً في حضرموت ثم معاوية بن الحارث الاكبر والحارث الاكبر هذا وابوه ثور كل هؤلاء وهم اجداد قيس كانوا ملوكاً على معد في المشقر واليمامة والبحرين[١]

وسطع نور الاسلام فتهافتت عليهِ القلوب ووفد الناس جماعات على النبي يطلبون عنده الحق والهدى وكان ممن توجه اليهِ وفد كندة يقدمه الاشعث بن قيس وحظي ابناء كندة بلقاء النبي في السنة الهجرية العاشرة واسلموا جميعاً وتزوج الاشعث من أم فروة اخت ابي بكر واخرها الى ان يعود ثم رجع واصحابه الى دياره متزودين بدينهم الجديد

ولما مات النبي ارتدَّ ناس عن الاسلام وكان الاشعث من المرتدين تخلصاً من فريضة الزكاة فسيَّر ابو بكر الجنود اليهِ وغلبهُ على امره فجيء بهِ الى المدينة موثوق الكتاف وسأل ابو بكر هل يقتله فقال « يا ابا بكر احتسب فيَّ واقلني واقبل اسلامي وردَّ عليَّ زوجتي » وهذا ما كان فقد قبل ابو بكر اسلامه واطلقه وردَّ عليهِ زوجته[٢]

وبعد ذلك اصبح الأشعث جنديًّا في صفوف المسلمين فقاتل الروم على نهر اليرموك وقاتل الفرس في القادسية وكان عاملاً لعثمان على ارمينيا واذربيجان[٣] ثم كان تابعاً لعليّ واشترك في موقعة صفين ويقال ان الحسن بن علي تزوج من احدى بناته ولقد سكن الكوفة ومات هناك[٤] وخلف من أم فروة ولداً اسمهُ محمد ونجد محمداً بن الاشعث هذا رئيساً للشرطة في الكوفة يعمل مع واليها عبيد الله الذي انتصر ليزيد الاموي على الحسين بن علي مما يدل على انهُ قد خرج على ولاء ابيه لبيت علي ثم نجده ثائراً في وجه المختار في الكوفة ففارًّا الى البصرة وبعد هذا نجده قتيلاً في موقعة حروراء بالقرب من الكوفة سنة ٦٢هـ[٥] وكان لمحمد بن الاشعث ولد اسمه عبد الرحمن بعثه الحجاج لقتال الثائرين في سجستان فسار اليهم على رأس جيش من الكوفيين والبصريين ولكنهُ صالح الثائرين فعزلهُ الحجاج فاتفق مع رؤساء جيشه وخرجوا عليهِ فجرد الحجاج جيشاً قاتله به فانتصر عبد الرحمن ونزل البصرة فبايعه اهلها سنة ٨١ هـ

ولكن الحجاج استعان بالامداد ورجع الى حرب ابن الاشعث ودام القتال بينهما حتى تغلب الحجاج سنة ٨٣ هـ ففر عبد الرحمن الى سجستان حيث مات فقيل مات بالسل وقيل منتحراً[٦]

ونحن وان كنا لا نعرف الصلة — على التحقيق — بين عبد الرحمن بن الاشعث وبين يعقوب

---

(١) صاعد والقفطي وابن أبي اصيبعة (٢) العبر لابن خلدون ج ٢ ص ٥٦ (٣) الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ٧٠ ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ص ٢٩٤ (٤) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٣

(٥) Abhandlungen fur die Kunde des Morgenlandes, Bd. I No. 2 (Al-Kindi, von G. Flugel, 3. 4.)

(٦) مختصر تاريخ البصرة لعلي ظريف الاعظمي ص ٥١ والعبر لابن خلدون ج ٣ ص ٥٢ وج ٤ ص ١٣٨

[ال]كندي الا ان الغالب ان عبد الرحمن اخو اسماعيل بن محمد الاشعث الجد الثالث لفيلسوفنا واذا [ق]ولنا ان نعرف شيئاً عن الجد الثالث او عن ابنه عمران فانهُ يخيل اليَّ بعد بحثي اننا لم نظفر بشيء [ول]كن لا يسعنا الا ان نسلم بوجودها لانهما يكملان سلسلة الاجيال فيوصلاننا الى الصبّاح الجد [الا]ول للكندي ونحن لا نعلم ايضاً من امر الصباح اكثر من انهُ كان ولي الولايات لبني هاشم[١].

اما اسحاق ابو يعقوب الكندي فقد ولّي الكوفة للمهدي والرشيد وكانت ولايته منذ سنة [١]١٥٠ هـ ولا ندري هل بقي على الكوفة طيلة عهدي هذين الخليفتين ام انهُ كان يتركها في آن ثم يعود [ال]يها في آن آخر لان هذا موضوع خلاف في الروايات التي لدينا وبعض هذه الروايات غامضة[٢] على اي حال فاكبر الظن ان ولايته كانت ولاية استكفاء[٣] لان الطبري يحدثنا انهُ ولّى النعمان بن [ج]عفر الكندي شرطة الكوفة وولى بعده اخاه يزيد بن جعفر وهذا يدل على ان اسحاق كان موضع [ثق]ة المهدي والرشيد او محل عنايتهما

— ٢ —

والآن وقد مررنا بهذه الاجيال السحيقة الطويلة حتى اشرفنا على يعقوب الكندي فلنحاول [ان] نعرف عنهُ شيئاً واذا كنا لا نجد ما يغني في اخباره القليلة المنثورة المشوّهة المتكررة فانهُ يمكن [ان] نستخلص له صورة لها حظ مرضي من جمال الحقيقة

ولقد يكون حسناً ان نتعرف بالكندي في ادوار حياته فنسأل ما مولده وما ميلاده

اما مولده فنقرأ مرة انهُ الكوفة[٤] ونقرأ اخرى انهُ البصرة[٥] ويقول «كارا ده فو» هو الكوفة [او] البصرة[٦] ولست ادري كيف استطاع الرواة — وكلهم محدثون — ان يعينوا مكان ولادة [ال]كندي ولا ادري كيف استباحوا ان يذكروه مطمئنين مع انا لا نجد القدماء يحدّثوننا بشيء عنهُ

يخيّل اليَّ ان « فنديك » قال ان الكندي ولد في البصرة لان ابن ابي اصيبعة والقفطي رويا — عن ابن جلجل — انهُ كان شريف الاصل بصريًّا . ويخيل اليّ ان الزركلي[٧] لم يقل انهُ نشأ في [ال]بصرة الا لهذا السبب ايضاً. ولا اعرف كيف قدر « بور » وغيره ان الكوفة كانت مولده ولكن [في] رواية ابن ابي اصيبعة والقفطي — عن ابن جلجل — شيئاً آخر يستحق التأمل قالا « وكان [و]الده ولّي الولايات لبني هاشم ونزل البصرة وضيعته هناك وانتقل الى بغداد وهنالك تأدب وكان [عا]لماً بالطب والفلسفة » . فهذه الرواية مهما تكن مبهمة فان لها منطقها الذي يدل على ان الكندي

---

(١) ترجمة الكندي في طبقات الاطباء ج ١ ص ٢٠٦ (٢) العبر لابن خلدون ج٣ ص ٢٠٧ و٢١٣ [ت]اريخ الطبري ج ١ في اخبار سنتي ١٥٩و١٦٠و١٦١ في ذكر ولاة الامصار ايام هارون الرشيد (٣) ولاية [ا]ستكفاء هي التي يفوض الخليفة الامر فيها للوالي فيعين عماله كما يشاء ويكون له النظر في شؤونها (عن جرجي زيدان)

(٤) T. J. De Boer, The History of Philosophy in Islam p. 51 & The Encyc. Britannic[a] vol. 31 p. 3[..] (٥) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لفنديك ص ١٨٢

(٦) Les Penseurs de L'Islam, Vol. 4, p. 3. (٧) قاموس الاعلام ج٣ ص١١٦٧

« نزل البصرة » والمرء لايمكن ان يكون نزيلاً في مولده ومتى بطل انه ولد في البصرة فقد صح انهُ ولد في الكوفة . ويزيدنا ثقة بهذا الرأي ان أبا الكندي كان عاملاً في الكوفة ما يقرب من عشرين عاماً وهو بلا شك لم يُـوَلَّ عملاً قبل ان يبلغ الرجولة فيحتمل كثيراً ان يكون قد رزق بالكندي هناك

وأما ميلاده فقد يزيد على مولده غموضاً فلا نعثر عليه عند أحـد ولا نعثر حتى على تقديره ونحن بدورنا لا نستطيع ان نقول عنهُ الاّ انهُ كان بين سنتي ١٥٩ هـ و ١٩٣ هـ وهي الفترة التي قدرنا ان اسحاق أباه كان فيها عاملاً ووالياً على الكوفة وانه كان حول سنة ١٧٠ هـ اذا صحّ ان فيلسوف العرب كان من المعمرين كما سترى

***

وبعد ذلك كيف نشأ الكندي ؟

هناك مسألة كنت أحب ألاّ أتعرض لها على الرغم من ان اكثر من واحد ذكرها فلو أنك قرأت بعد الذي قدمته ان الكندي كان يهوديًّا أو نصرانيًّا ألا يشدهك هذا الكلام ؟

زعم ڤنديك[1] ان الكندي كان نصرانيًّا وقال ظهير الدين البيهقي[2] ونقل عنه الشهزوري[3] أنهُ كان يهوديًّا او نصرانيًّا ثم أسلم وتشكك « سلڤستر ده ساسي »[4] في كون دينه الاسلام وكثيرون غير هؤلاء شكوا — أيضاً — في انهُ كان مسلماً او ادّعوا انهُ لم يكن كذلك

وفي زعم ڤنديك ان تناظراً جرى بين الكندي وعبـد الله بن اسماعيل الهاشمي الامير المسلم فكتب عبد الله رسالة الى الكندي يدعوه بها الى الاسلام فردَّ عليهِ هـذا يدافع عن المسيحية والواقع ان عبد الله قد ناظر كنديًّا آخر هو عبـد المسيح بن اسحاق النصراني الذي كان في بلاط المأمون حول سنة ٢٠٤ هـ[5]

ورواية البيهقي التي نقلها الشهزوري ليس فيها مايستحق العناية بل هي خبر أرسله صاحبه ارسالاً

ولكن ده ساسي يقول اولاً انهُ ليس بين مؤلفات الكندي العديدة واحد يتصل بالاسلام ويقول ثانياً ان الكندي كان يعرف الاغريقية او السريانية وانهُ كان مترجماً معروفاً بينما كان اكثر المترجمين اذ ذاك من المسيحيين ثم يشير ثالثاً الى مخطوط في المكتبة الامبراطورية ويقول ان في هذا المخطوط دفاعاً عن المسيحية وانه مكتوب باللغة العربية ولكن بخطٍ سرياني واسم مؤلفه يعقوب الكندي

ويظهر ان ده ساسي يعتمد على عقله اكثر من اعتماده على علمه فللكندي رسالة « في ملك العرب وكميته » تدل قضاياها على دراسة صاحبها للقرآن ويدل كلامها على ان مؤلفها مسلم لانهُ يلتزم آداب المسلمين كلما تحدثوا عن مقام نبيهم الرفيع

(١) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص ١٨٢ (٢) تاريخ الحكماء مخطوط بدار الكتب المصرية) ص ١٨
(٣) نزهة الارواح وروضة الافراح (مخطوط بمكتبة الجامعة المصرية) ص ١٨٣
(٤) Relation de l'Egypte (Notes) p. 487 et 488
(٥) The Encycl. of Islam vol. II. p. 1021 ومعجم المطبوعات ليوسف سركيس ص ١٥٧١

وله رسالة « في اثبات النبوة » واخرى « في علة النوم والرؤيا » ولم يعالج هذين الموضوعين في ذلك الوقت غير المسلمين فيما اعلم . على انهُ ان لم يكن بين مؤلفاته ما يتصل بالاسلام مباشرة فليس فيها ايضاً ما يتصل بغيره من الاديان او بمعنى أدق ما يدل على انهُ لم يكن مسلماً واذا كانت كثرة المترجمين في عهد الكندي مسيحية فما الذي يمنع ان يكون هو من القلة المسلمة وفي النهاية يرد ده ساسي على اعتراضه الثالث فيقرر انهُ ربما كان صاحب مخطوط المكتبة الامبراطورية كنديًّا آخر لان في مقدمته ان مؤلفه من حاشية المأمون وانهُ مسيحي من كندة ولأن عنوان المخطوط هو «كتاب الكندي اليعقوبي» . وفي فهرست الكتاب السريانيين لعبد يسوع كاتب اسمه الكندي له مؤلف ديني وهذا الكندي عاش حول ٢٨٠ هـ ولا يحتمل ان يكون يعقوب الكندي قد عاش الى ذلك الوقت

ونحن لا يسعنا بعد الذي علمناه عن أسرة الكندي وبعد ان أظهرنا ان أصل الشبهة في أمر دينه كانت لمشابهة اسمه لاسم عبد المسيح بن اسحاق الكندي نحن لا يسعنا بعد هذا الاَّ ان نترك ثنديك وشأنه هو وأصحابه لنتعرف أين تعلم الكندي ؟ ومن هم أساتذته ؟ وما هي علومهم التي أخذها عنهم ؟

فاذا اخذنا بأنهُ نشأ في البصرة وانتقل الى بغداد فانهُ يكون قد تعلم فيهما ونحن لا نعرف شيئاً عن نشأته او تعليمه ولكننا نقدر انهما لم يختلفا عن نشأة ابناء المسلمين في ذلك الزمان الذين كانوا يدرسون القرآن ويطلبون العلوم الدينية في صحون الدور وفي حلقات الجوامع فبعد ان حصل قسطاً من هذه الدراسة العادية قصد الى بغداد حيث كانت الحركة العلمية أبهر منها في البصرة عند ما اتسع نطاق الترجمة واشتد المعتزلة في أيام المأمون والمعتصم . ولقد ساهم الكندي في هذه الحركات الفكرية فترجم ولخَّص وشرح وألَّف رسائل في الفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والموسيقى وغيرها

ويمكن ان نقسم أساتذة الكندي الى طائفتين فالطائفة الاولى تتكوَّن من اولئك الشيوخ الذين لقنوه القراءة والكتابة ودرس عليهم القرآن وعلوم الدين والكلام ونحن لا نجد سبيلاً الى معرفة أحد من هذه الطائفة اللهمَّ الاَّ ان نرجح اتصاله بعلماء العراق الذين عاصروه ونذكرهم واحداً واحداً . والطائفة الثانية تتكوَّن من اصحاب الكتب التي عرفها العرب حينئذٍ بعد ان ترجمت او لخصت عن اليونانية والسريانية والفارسية والهندية واللاتينية واصحاب هذه الكتب هم أساتذته الحقيقيون الذين كوَّنوه وتميزت شخصيته بطابعهم اكثر من غيرهم واذن فلا بأس من ان نقول ان الكندي تلميذ أرسطو وافلاطون وفيثاغورس وافلوطينوس وبطلميوس ومن اليهم بل نحن نقول هذا مهما يكن قد أساء فهم قراءتهم او قراءة ترجماتهم ومؤلفاته التي وصلنا خبرها ومؤلفاته التي بين أيدينا تدل جميعها على هذا في صراحة ووضوح

أما العلوم التي درسها فيلسوف العرب فقد أصبح لغواً ان نذكرها بعد الذي علمناه من أمر أساتذته وبعد ما ندريه من أنحاء البحث التي سعد هؤلاء بعماناتها انما نذكر انهُ بلغ غايتهُ من الدرس في ظلال بيت الحكمة

— ٣ —

وفيما نجده من أخبار الكندي نجد انهُ كان حلو الحديث . فالجاحظ[1] يذكر ان سكان بيته كانوا يغفرون له مضايقاته لطيبته « وحسن حديثه » والبيهقي يذكر ايضاً انهُ قال « من لم يتبسط بحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك »

ونجد كذلك في أخباره انهُ كان ينزع نزعة الحكماء فيقول « ان النظر في كتب الحكمة اعتياد النفوس الناطقة » ويقول ان افلاطون قد شبّه الشهوة بالخنزير والقوة الغضبية بالكلب والقوة العقلية بالملك « فمن غلبت عليهِ الشهوة فهو خنزير ومن غلب عليه الغضب فهو كلب ومن غلب عليه العقل فهو ملك . . . » واذا كان ملكاً كان قريب النسبة الى الله تعالى . والحكمة والخير والقدرة والعدل والكرم والاحسان من صفات الله « والانسان لا يكون ذا فضل الاَّ بأن تكون هذه الفضائل له وحلّى فيه وحاصلة لديه وغالبة عليه »[2]

وأحسبه كان يعتد بعقله ويحرص عليه فيقول « لو أفسد احد أحسن اعضائه كان مذموماً وأشرف الاعضاء الدماغ ومنه الحس والحركة وسائر الافعال الشريفة ومستعملو السكر يدخلون الفساد على أدمغتهم ومتى توالى السكر على بدن مرض دماغه واشتد ضعفه وبعد عن القوة الممدّة للافعال الارادية والنفسانية[3] » وأبو معشر يذكر ان استاذه الكندي لم يشرب الخمر الاَّ أياماً ليداوي بها علة في ركبته ثم يذكر انهُ تركها واصطنع شراب العسل[4]

وبينما نحن ننعم بهذه السيرة الحميدة يطالعنا القفطي[5] بأنهُ كان للكندي جار من التجار وكانت الصلة بينهما متوترة ومرض ابن التاجر فطوّف البلدان يستركب الاطباء لولده فلم ينفعوه واخيراً قال له أحدهم « انت في جوار فيلسوف زمانه وأعلم الناس بعلاج هذه العلة فلو قصدته لوجدت عنده ما تحب » فاضطر التاجر ان يستشفع الى الكندي بصاحب له «فثقل عليه في الحضور فأجاب». بهذا يطالعنا القفطي فيفسد انسجام تلك المعاني الجميلة في نفوسنا ويدعنا نفكر شاخصين... ولكن سرعان ما نستعيد رِفاءنا بقول ابن ابي أصيبعة[6] ان الكندي قال « وليتق الله تعالى المتطبب ولا يخاطر فليس عن الانفس عوض. وكما يجب ان يقال انهُ كان سبب عافية العليل وبرئه . كذلك فليحذر ان يقال انهُ كان سبب تلفه وموته »

---

(١) كتاب البخلاء ص ٨٤ (٢) نزهة الارواح للشهزوري (٣) نزهة الارواح للشهزوري
(٤) و (٥) راجع ترجمة الكندي في تاريخ الحكماء للقفطي ص٢٤٦ (٦) راجع ترجمة الكندي في طبقات الاطباء ج ١ ص٢٠٦

ان نصدق حكاية القفطي بعد الذي رواه ابن ابي أصيبعة ! ؟ ان الكندي ليفهم
القرن التاسع على وجه لا يتسامى اليه طبيب القرن العشرين فلا يمكن الا ان ننكر
ن استثقاله في عيادة ابن جاره

ظ يحدثنا بأن الكندي كان « لا يزال يقول للساكن وربما قال للجار ان في الدار
حـمى ربما أسقطت من ريح القدر الطيبة فاذا طبختم فردوا شهوتها ولو بغرفة
ن يردها اليسير » ويقول انهُ كان في شرط الكندي على السكان « ان يكون له
الشاة ونشوار العلوفة والا يخرجوا عظماً ولا يخرجوا كساحة وان يكون له
الرمان ...» ويذهب الجاحظ يقص علينا اخباراً اخرى كثيرة عن بخل الكندي
، الاخبار لا أجد فيها الا نوعاً من الأدب الانشائي الرائع فهذه الصورة العجيبة
نة من حقائق الحياة بل أخالها صورة رمزية صنعها الجاحظ الاديب واذا كنت
ة الكندي » كلها فأنت لا شك قد رأيت فيها صنعة القصاص ظاهرة

لحديث الجاحظ قيمة ما ، بعد ان وصف ابن النديم [1] الكندي بالبخل وبعد
صيبعة [2] — عن ابن بختويه — ان الكندي قال في وصية لابنه « . . . وقول
ول نعم يزيل النعم وسماع الغناء برسام حادّ لان الانسان يسمع فيطرب وينفق
غتم فيعتل فيموت والدينار محموم فان صرفته مات والدرهم محبوس فان أخرجته
نخذ شيأهم وأحفظ شيأك ... » اقول قد تكون بعد هذا قيمة لحديث الجاحظ
ص على المال والرجل القوي الخلق قد يحرص على المال ليصون به كرامته في هذه
ع البخل المزري الذي يصفه فلا يمكن ان يصدق على الكندي الناشىء في حجر
وفي ظل أسرته البارزة في السياسة الاسلامية منذ صدر الاسلام والذي يروى
م الكتب ولا يرتزق بالترجمة [3] والذي اتصل بالمأمون ثم بالمعتصم فاختاره هـذا
ـ احمد

***

ف متى انطفأ سراج الكندي فنحدد نصيب مدينة السلام من فضله لان الروايات
، اضطراباً عنها في ميلاده فبينما يذكر ده ساسي ان « سيرحنل » يحدد وفاة الكندي
« أوليرى » [4] يقول بأنها كانت حول سنة ٢٦٠ هـ و « كارا ده فو » يرجح أنها

ة الكندي في فهرست ابن النديم ص ٢٥٥ (٢) راجع ترجمة الكندي في طبقات الاطباء
) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ص ٢١٢
(٤) De Lacy O'Leary, Arabic Thought and its Place in History, The a

حول هذه السنة ونجد « بوير » يستنتج من احدى رسائل الكندي الفلكية أنهُ عاش حتى سنة ٢٥٧ هـ ثم نجد « ماسينيون » يقول انهُ توفي حول سنة ٢٤٦ هـ [١]

أما سيرجنل فليست لروايته قيمة عندنا لانها لا تستند الى مصدر معين نستطيع ان نقدره ولا نعثر في روايتي اوليري وكارا ده ڤو على القياس الذي مهد لها فيهما من تقدير واستنتاج فلا يسعنا الاَّ ان نتركهما

وأما « بوير » فيشير الى رسالة في الفلك للكندي ويذكر انهُ بنى عليها نتيجته واذا كان لم يعين هـذه الرسالة فنحن نستطيع ان نقرر انها « في ملك العرب وكميته » اعتماداً على وصف « بوير » لها واعتماداً على علمنا بما بقي للكندي من الرسائل الفلكية . وفي هذه الرسالة ما يدلُّ على ان الكندي كان يعيش حين فتنـة الخليفـة المستعين اي سنة ٢٥١ هـ بخـلاف ما فهمه بوير وهذا لان موضوع الرسالة هو الاستدلال على الحوادث باقترانات الكواكب فلما كان دور سنة ٢٤٢ هـ عين فيه الكندي فتنة المستعين ووصف حوادث اخرى لم يعينها ثم استمرَّ يذكر ادوار الاقترانات التالية ويصف حوادثها دون انيعين شيئاً منها على غير عادته في الادوار التي سبقت دور سنة ٢٤٢ هـ مما يدلُّ على انهُ كتب رسالته بعد ان شاهد فتنة المستعين ويدل على ان هذه الفتنة هي آخر الحوادث الجسام التي وقعت في إبان حياته وبهذا ينهار قول ماسينيون بأن الكندي توفي حول سنة ٢٤٦ هـ ويزيده انهياراً ما نقرأه في ابن النـديم عن كتاب في مذاهب اهـل الهند نسخه الكندي بيده سنة ٢٤٩ هـ [٢]

ولكن كون الكندي قد عاش حتى سنة ٢٥١ هـ لا يحدد وفاته بل يتركنا للتقدير والترجيح فاذا كان حقّـاً ان نفطويه النّحوي المتوفى سنة٣٢٣ هـ تلميذه فهو من المعمرين ورسالته في اعتذاره في موته دون كماله سني الطبيعة التي هي مائة وعشرون سنة التي يذكرها ابن ابي اصيبعة هذه الرسالة تكون صحيحة الدلالة على تعميره غير ان هذا بعيد لانهُ يمكن ان يكون كتب رسالته معتذراً وهو يموت في اية سن ولو كان قد عاش الى ما قبيل السنة المائة والعشرين من عمره لكان قد عاصر الفارابي مما لم يكن منهُ شيء

واذن فليس لنا ان نقول الاَّ ان الكندي مات بعد سنة ٢٥١ هـ ولو نذكر اننا رجَّحنا ان ميلاده كان حول سنة ١٧٠ هـ ونذكر انهُ كان يترجم للمأمون ويؤدب احمد بن المعتصم بين سنة ١٩٨ هـ و٢٢٧ هـ مما يثبت انهُ كان عالماً ناضجاً في هذه الفترة ولو نأخذ بأنهُ كان من المعمرين اقول لو نأخذ بهذا ونذكر ذلك ثم نتجاوز في التقدير فلن نستطيع ان نقول الاَّ انهُ كان يعيش سنة ٢٥١ هـ ومات بعدها بقليل

---

(1) Louis Massignon, Receuil de Textes Inédits concernant l'histoire de la Mystique en pays d'Islam, p. 175.

(٢) فهرست ابن النديم ص ٣٤٥

ا ، او بمناصفة بعضها ، او بجميع هؤلاء معاً ؟ وبدت في الحال طلائع الخلاف بين الآراء
بلة ، ولكن الباحثين اجتنبوا الخوض في الشؤون السياسية ، لجنى المؤتمر من مباحثاتهم
ى فنية مفيدة . واذا كان الخبراء قد توصلوا الى شيء من الاتفاق على تعيين درجات الطيارات
حثون الذي فوّض اليهم تعيين عدد الطيارات لكل دولة من الدول لم يوفقوا مثل هذا التوفيق
وكذلك نرى ان الناحية الفنية من الموضوع نالت نصيباً وافياً من البحث . ولكن الحكومات
.ها الحزم في تعيين الخطط الاساسية التي تبغي ان تختطها

***

ولما اجتمع المؤتمر الاقتصادي العالمي في لندن (يونيو ١٩٣٣) تنفس الناس الصعداء قليلاً ،
الافكار انصرفت عن العقبات التي اصطدم بها مؤتمر نزع السلاح ، الى البحث في شؤون العالم
تصادية . فلما اخفق مؤتمر لندن ادرك الناس ، ان الوصول الى اتفاق على نزع السلاح او خفضه ،
ح ابعد منالاً مما كان . فقضى المستر هندرسن رئيس مؤتمر نزع السلاح عطلة الصيف متجولاً بين
صم الدول الاوربية ، يسبر غور اصحاب الرأي فيها ، من دون ان يتوصل الى قاعدة ، يصحّ ان
ل اساساً للاتفاق . وكان يوم ١٦ اكتوبر المعيّن ، لعودة المؤتمر الى الاجتماع ، قد اصبح
الابواب ، وبرنامج الموضوعات التي يتناولها المؤتمر لم يرتب بعد

في هذا الجو الملبّد ، بدأت المفاوضات تدور في اواخر سبتمبر واوائل اكتوبر (سنة ١٩٣٣)
لحالة ما ذكرنا . دارت مباحثات في باريس وجنيف اشترك فيها الفرنسيون والبريطانيون والاميركيون
لم انضم اليهم الايطاليون والالمان ، واسفرت عن ان يعهد الى « لجنة تسيير المؤتمر » في وضع
امج للعمل على اساس مشروع مكدونلد ، فكان همّ هذه اللجنة ، قبل كل شيء ، ان تحاول
.يب الشقة بين موقفي فرنسا والمانيا

وقد اشارت حكومة فرنسا ، بانها رغماً عن تطوّر الحال في المانيا تطوّراً يبعث على القلق ،
متعدّة لان تخفض سلاحها . ذلك ان المسيو دالادييه رئيس وزراء فرنسا حينئذٍ ، ادرك الخطر
ي يسفر عنهُ حبوط مؤتمر نزع السلاح ، فحاول ان يسهل لوزير خارجية بريطانيا ، مهمته ، بكل
يملكهُ من الوسائل . وكأنهُ فهم حينئذٍ ، ان اقامة « ضمان السلامة » على الاساس الذي تطلبهُ فرنسا ،
هو انشاء جيش دولي ومعاهدات التعاون المتبادل متعذّر ، فوافق على ان ينصّ اتفاق نزع السلاح على
بين لجان مهمتها ان تزور البلدان المختلفة وتشرف على مدى صنع الاسلحة فيها — وهذا يعرف الآن
بدإِ الرقابة الدولية — لانهُ اذا كانت فرنسا تستطيع ان تطمئن الى ان المانيا لا تتسلح وراء ستار ،
قد تجد الحكومة الفرنسية المسوّغ الذي يمكنها من نقص سلاحها نقصاً تدريجياً في خلال مدة
معيّنة . اما ان يطلب منها ان تنقص سلاحها فوراً فذلك متعذّر . بل هي تشترط ان لا تبدأ تنقص
سلاحها ، الاّ بعد انشاء لجان الرقابة والتثبت من حسن قيامها بعملها وتحويل الجيوش الاوربية ،

قِدَم القطن بوادي النيل

للدكتور حسن كمال

معلوم ان القطن هو اهم المحاصيل الزراعية في القطر المصري، والفضل في انتشار زراعته بالشكل الحالي يرجع الى والي مصر المغفور له محمد علي باشا مؤسس الاسرة المالكية، اما مسألة قدمه في وادي النيل فلا تزال عقدة العقد: وقد نشرت مجلة العاديات المصرية اخيراً (مجلد ٢ ص ٥) مقالاً للمرحوم الاستاذ جريفث والمستر ج. م. كروفوت لخصا فيه الحقائق المتعلقة بتاريخ القطن القديم بوادي النيل وشفعا ذلك بنتائج المباحث الحديثة في المنسوجات القديمة التي كشفت في ذلك الوادي. ولما كان هذا الموضوع العلمي الخطير مما يهم مصر رأيت ان الخصهُ فيما يلي: —

اخبرنا هيردوتوس ان ملابس قدماء المصريين كانت تصنع من الكتان الابيض. وهي حقيقة واضحة في رسوم هؤلاء القوم. اما الأغطية (كالشيلان والبطانيات) فكانت تصنع من الصوف الابيض. واعتاد القوم عدم ادخال الانسجة الصوفية في المعابد او استعمالها في الدفن. واول من ذكر اسم القطن مستعملاً بين كهنة مصر القديمة هو بلنيوس (جزء ١٨) حيث ذكرهُ باسم gossipion ثم قال: ان هذا النبات وقتئذ (القرن الاول ب. م.) كان يزرع في الصعيد بالقرب من بلاد العرب. اما هيردوتوس (ج ٣ — ٤٧) (في القرن الخامس ق. م.) فقد ذكر ان الملك أمازيس الذي توفي عام ٥٢٥ ق. م. اهدى لباسين مصنوعين من الكتان والقطن الى (ساموس) و (ليندوس). وبالرغم من هذا كله فان الأثريين لم يتمكنوا قط من العثور على أقمشة قطنية فرعونية حتى العصور الاخيرة. ويقول البعض ان اللغة القبطية لا تحوي الفاظاً ثابتة لهذا النبات ولا لمصنوعاته. وفي السنين الاخيرة اكتشف الاستاذ ريزنر في جهة مروة بالسودان بعض منسوجات (يرجع تاريخها الى العهد المروي ويقابله العهد الروماني بمصر) فحصها بعض الخبراء وقرروا أنها مصنوعة من القطن. وهذا الاكتشاف شجّع الاستاذ جريفث ان يبحث في المادة المصنوعة منها بعض المنسوجات التي عثر عليها في جهة كارانوج (بالقرب من أبريم) وحفظت طائفة كبيرة منها بجامعة بنسلفانيا بفلادلفيا. ولما عُيّن المستر جان الذي كان امين المتحف بالقاهرة مديراً لمتحف بنسلفانيا المذكور ارسل بعض القطع من هذه المنسوجات القديمة (التي عثر فيها سابقاً على خيوط القطن) الى معهد القطن المسمى باسم شيرلي Shirley بالقرب من مانشستر حيث قام بفحصها الدكتور ترنر Turner وكان قد سبق لهُ فحص المنسوجات الهندية القديمة. وفي ٥ ابريل عام ١٩٣٣ اثبت هذا المعهد ان هذه المنسوجات مصنوعة من القطن البري كالمعروف باسم Gossipium arboreum Soudanensis. ثم ارسل المعهد المذكور بعد ذلك خطاباً بتاريخ ٩ مايو سنة ١٩٣٣ الى المستر جان قال له فيه ان النماذج المذكورة فحصت جميعها بالمكروسكوب وقيست اقطار خيوطها

والسير (جورج وط) صاحب الفضل في تقسيم شجيرات القطن الى عدة انواع (راجع مباحثهُ في سنة ١٩٠٧ و١٩٢٦ و١٩٢٧) وفي اظهار الفروق العديدة والدقيقة بين كل نوع وآخر مما يشهد لهُ بالصبر

والعلم والكفاءة. ولا يغيب عن البال ان تجارة البحر الاحمر كانت راقية في العهد الروماني وان القطن لا يبعد ان يكون قد وصل وادي النيل من الهند عن هذا الطريق. لكن المباحث والمكتشفات الحديثة تشير بما يقرب من التأكيد الى وجود نوع من القطن سوداني الموطن كان يستعمل للنسيج في مصر والنوبة

وهناك دليلان آخران على وجود القطن ومكانته في النوبة في الازمنة الغابرة. الاول خاص بالغارة التي شنها اهالي اكسوم على مروة وابادوا فيها سلطة الاخيرة فقد جاء فيها ان الجيش المنتصر اتلف تماثيل معبودات مروة ومخازنهم القمحية والقطنية والتي بها في النهر. واكسوم في الحبشة. والقطن هناك لا يزال يطلق عليهِ اسم (دود) وهذا اللفظ بعينه هو الوارد في القصة التاريخية القديمة السالفة الذكر التي يرجع تاريخها الى سنة ٣٥٠ ب.م. اما الدليل التاريخي الثاني فخاص بغارة شمس الدولة أخي صلاح الدين الايوبي على قلعة ابريم عام ١١٧٣ ب. م. في عهد حكومة الغزّ والترك. وقد اسر كثيرين من النوبيين وقتئذٍ ووجد هناك مقداراً من القطن اخذه معهُ الى قوص (ابو صالح)

وهنا يحق لنا ان نسأل عن السبب في وجود القطن المذكور بتلك الحصون. هل كان هناك بقصد غزله ونسجه او لاستعماله في اعمال الوقاية او انهُ كان ضمن المواد التي استولى عليها جنود تلك الحصون اثناء اغارتهم على بلاد النوبة المجاورة ؟ وفي عام ١٩١١ ظنَّ المستر (كروفوت) ان من اسباب ثروة مملكة مروة تجارتها في القطن وفي عام ١٩٢٢ — ٢٣ قام الاستاذ ريزنر بحفائر في الجبانة الغربية لمروة وهناك وجد في القبور المتأخرة من العهد المروي (٣٠٠ ق.م — ٣٠٠ ب.م) شيئاً عظيم القدر عند الباحثين والمدققين في تقدم السودان الحديث ألا وهو كثرة استعمال القطن وقتئذ في منسوجات الاهالي» (راجع تقرير الدكتور ريزنر) . وقد قامت المسز (كروفوت) بمباحث دقيقة في نسيج هذه المنسوجات وذلك لخبرتها الكبيرة بمصنوعات تلك الجهات. فقالت ما ترجمتهُ «زرت انا وزوجي حفائر تلك السنة بالسودان ورأينا المنسوجات المذكورة فوجدناها سوداء اللون منفحمة وهشّة للغاية. فتبادر للذهن فحصها بالميكرسكوب وارسلت لذلك نموذجاً الى مدينة الخرطوم. وهناك قام بفحصها المستر (مامي) في مزرعة المباحث الواقعة في شمباط ووجدها مصنوعة من القطن. واستنتج من مباحثه ان القطن المذكور هو من النوع الذي ينمو في البلاد الحارة ذات الطقس الجاف مما يشير الى زراعته في السودان — لكن هذا لا يمنع امكان زراعته في مثل هذه البقاع في الهند والقطن المستعمل في السودان هو من النوع البري او تحت البري الذي يشبه في خواصه القطن الاسيوي اكثر من القطن الاميركي. وعلى ذلك فالقطن الذي نسجت منه المنسوجات المروية المذكورة يكون قد زرع اما في النوبة او استورد من الهند. والمنسوجات المذكورة بعضها املس والبعض الآخر بوبر (كالفوط والبشاكير) وهذه الاخيرة محلاة اطرافها «بالشراريب» كما هي العادة الآن. ويلي ذلك وصف مطول لكيفية نسيج هذه المنسوجات وتعداد خيوطها في السنتمتر المربع وطريقة جعل الوبر فيها، مما يهم اصحاب الغزل والنسج. والرأي الراجح للآن ان القطن المذكور انما زرع ونسج في السودان (مروة) وانهُ لم يستحضر من الهند

معجزات الاغذية الكيمائية

أحدث المباحث في انواع الفيتامين

بتصرف عن مجلة العلم العام : ترجمها عوض جندي

أتمَّ حديثاً عالم نيويوركي بحثاً دام عشرين سنة في أصناف الفيتامين حتى ظفر ببغيته ، فشوهد رافعاً بيمناه كتلة من بلورات بيض هي احد اصناف الفيتامين الصناعي المبلورة . ونعني بهذا العالم المستر (روبرت ر . ويليمز Robert R. Williams) قطب دائرة المباحث الكيمائية في شركة بل التليفونية . وبالبلورات الكيمائية التي فاز بها ، فيتاميناً غذائيًّا متجمداً ، ذا خصائص مدهشة . وقد جربت هذه البلورات في جامعة كولومبيا ، فأذيب جزءٌ منها في الماء ثم شربت منهُ الجرذان البيض التي تمرح في حظائرها . فنمت نموًّا حثيثاً . ويرى المستنبط ان هذا الفيتامين اذا ما مزج بغذاء الاطفال المقرقين ، اصبحوا عمالقة طوال النجاد ! !

بل قد ثبت ان الفيتامين المكتشف المشار اليهِ غذاءٌ مقوٍّ للاعصاب ، ناجع في علاج التهاباتها وآلامها شافٍ لداء (البري بري) الذي يدهم الاعصاب والقلب في الذين يغتذون بالارز المقشور . بدأ المستنبط بحثه من عشرين سنة ، كما تقدم القول ، في كوخ من الخيزران في احدى جزائر الفيليبين حيث شاهد طفلاً مشرفاً على الموت بداء البري بري فأنقذهُ من الهلاك بقطرات قليلة من خلاصة الارز . ومن ثمَّ لم يألُ جهداً في السنوات العشرين الماضية في استخلاص ذلك الفيتامين المحيي ، من قشور الارز ، ثم تجميده وصنع مقادير منهُ للعلاج . فجرَّب تجارب شتى في اثناء بحثهِ وجاب نصف الكرة الارضية باحثاً عن ضالتهِ

أضاف الطين الاصوانلي Fuller's earth[1] الى خلاصة استخلصها من قشور الارز . واطلق على الفيتامين الذي استخلصه بهذه الوسيلة فيتامين B ردف (١) Sub . ذلك ان جزيئات الفيتامين تلتصق بدقائق الطين الاصوانلي (كما يلتصق الذباب بالورق الازج المستعمل لصيده) وتبقى لاصقة بهِ في المحلول . حتى كان استخلاصها منها أصعب معضلة عرضت له . فتوسل الى تنقيتها بشتات الوسائل . فأخفق حتى عثر على ضرب من الكينا فصبَّه على المزيج ، فما عتمت ان امتزجت بالسائل حتى طردت جزيئات الفيتامين من حبات الطين الاصوانلي وحلَّت محلها ، فانطلقت وطفت على المحلول . وبعد ذلك سهل عليهِ تكثيفها وبلورتها

ويلزم لاستخلاص أوقية واحدة من الفيتامين المكثف ، استعمال مقدار كبير جدًّا من قشور الارز

(١) مادة خزفية يتطوع بها الى ترشيح الزيوت

يتفاوت من خمسة اطنان الى عشرة اطنان منها . ومن ست سنوات تمكن كيماويان هولنديان من استفراد الفيتامين B ردف (١) بيد ان وسائلهما لم تستخلص اكثر من نُدَف قليلة من تلك المادة الثمينة . اما طريقة ويليمز فيسهل بها صنع مقادير كبيرة منهُ قد يكون لها شأن جليل في نتج اطعمة طريفة في المستقبل

ان مطامح جمهور من البحّاث موجهة الى صنع اطعمة جديدة واغذية محسنة أنقى واكثر تغذية من المأكولات المألوفة . وذلك الفريق بمثابة جيش علمي لا يدّخر وسعاً ، في استحداث الاغذية اللازمة للناس . وقد تمكن من صنع علب لحفظ الاغذية واختراع وسائل لزمها أصلح من الوسائل القديمة ، واستنبط مقاييس بديعة تدل على مبلغ حداثتها وما تحويه من العناصر المغذية . بل اغرب من ذلك مسحوق يذرُ على ماء ساخن فيصبح حساءً . وندف بنّ تتسنى اذابتها في الماء البارد او السخن مثل الشاي . ولقد عرفنا معارف جمّة في الغذاء من ذلك اليوم الذي صاغ فيه الدكتور (كزيمير فنك) الكيماوي البولنـدي في سنة ١٩١٢ لفظ فيتامينات Vitamins للدلالة على العنـاصر الغريبة الخفية التي في الاغذية . فأصبحنا نسأل : كيف ان فيتامين (A) الذي في الخضراوات ومنتجات الالبان وزيوت السمك يقاوم عدوى الامراض . ولماذا فيتامين (B) الذي يستخرج من الفواكه والخميرة والشِرق[1] ينبه شهوة الطعام ويقوي الاعصاب . ولِمَ فيتامين (C) الجزيل في البرتقال والطماطم يمنع مرض الاسكربوط . وكيف يمنع الفيتامين (D) المستخرج من اللبن والزبد وزيت كبد السمك البكلاه كساح الاطفال (ضعف أو لين العظام الناشيء من سوء التغذية) وكيف ان فيتامين (E) الذي في القند[2] والخس وأجنة الحنطة ، يحول دون العقم . ولماذا فيتامين (G) المضاد لمرض البلاجرا (البرص الايطالي) ومصدره الخميرة ومح البيض يقي حياة الوف من سكان الاقاليم الجنوبية بالولايات المتحدة . فيجيب العلماء عن تلك الاسئلة قائلين إن الوصول الى سرّ الفيتامين في صون الحياة ، مشكلة من مشكلات العلم . لانهُ ما من انسان ذاق او رأى او سمع او لمس او شمّ اي صنف من اصناف الفيتامين . وكل ما بلغهُ العلم منها الوقوف على تأثيرات الاغذية المختلفة في الجرذان البيض وغيرها من الحيوانات التي تستخدم للاختبارات في المعامل العلمية . غير اننا اصبحنا نستطيع تفسير ذلك اللغز العلميّ اي العمل الحيوي الذي يؤديه الفيتامين في الجسم وذلك بناءً على ما اذاعهُ معمل المباحث العلمية في احدى الجامعات الاميركية . فقد دلت التجارب التي جربت هناك على وجود علاقة وثيقة بين الفيتامينات والغدد الصم

ومن عهد قريب تمكن الدكتور (اوتار ريغ) العلامة النرويجي ، من تكثيف فيتامين (C) تكثيفاً اشد نجحاً من ذي قبل لمكافحة داء الاسكربوط بأن بخّر عصير البرتقال الفج في انبيق خال

(١) الشرق — اللحم الهبر — الاحمر — والشرق من اللحم الاحمر الذي لا دسم له Lean-meat (٢) القند — عسل قصب السكر — العسل الاسود

من الهواء خلوًّا جزئيًّا ثم عالجهُ بمواد كيمائيــة ، فنتج زيت ضارب للصفرة ، تتخلله بلورات شبيهة بالابر شكلاً . فكانت تلك البلورات هي ضالتهُ المنشودة اي الفيتامين الغذائي العلاجي

ولكن الدكتور ريغ نفسه لم يتيسر له تعليل تلك النتيجة . بل كل ما افصح عنهُ انهُ قد خطا خطوة كبيرة اذ عبَّد السبيل لجعل فيتامين (٤) سهل المنال

ولما رحل بعث الاميرال بيرد الى الجنوب ليقيم حقبة طويلة في منطقة القطب الجنوبي ،كان مزوداً بعدة صناديق من عصير البرتقال المكثف حتى اذا طرأ طارىء على رجاله ، عوَّل الرئيس على تلك المادة ليدرأ بها عنهم عادية الاسكربوط

وحبس حديثاً الدكتور (روجر ويليم ترومسدايل) في حجرة صغيرة في معمله العلمي بلوس انجيليس (كليفورنيا) طائفة من الجرذان البيض فكانت دائماً تحاول جهد استطاعتها قرض الشبكة السلكية المحيطة بحظيرتها لــكي تفرَّ منها . لانها كانت تشتهي شيئاً ينقصها في اغذيتها الدسمة .وكانت تجاورها حظائر تضم حيوانات جميلة شباعى . وماكانت الجرذان الأُولى محتاجة الى شيءٍ سوى فيتامين (D) وهو العنصر الخفي الذي كان قبلاً يحضَّرُ غالباً من زيت كبد السمك البكلاه .فأثبت الدكتور (ترومسدايل) ان تلك العصارة المكثفة المائلة الى الصفرة التي تفتج من العَرَم[1] والتونة ، وهي زيت شمسي فعَّال ايضاً في الصحة ، هي نفسها المادة التي يفتقر اليها الصغار والكبار والجرذان عند تألم عظامهم وحين يفقدون الشهوة للطعام الجيد . وقد أسفرت تجاربه عن اختراع جهاز خاص وضع في مصنع كبير من مصانع الاطرية[2] في كليفورنيا يقطر قطرات من الزيت الفيتاميني على الدقيق حين يمر تحته في خلال تحويله الى إطرية

ويستخرج من كل مائة جالون من زيت السمك اوقية واحدة فقط من خلاصة ترومسدايل . ولهذا السبب فهي قوية جدًّا ، لا يستطيع امرؤٌ تناولها محضاً . فاذا مزجت باربعة عشر جالوناً من زيت السمسم (المعروف في القطر المصري باسم السيرج) او بزيت الحنطة، ظلت اغزر فيتاميناً ٦٠ ضعفاً من زيت كبد سمك البكلاه الجيد

وكان لحم التونة الاسمر قبلاً يجعل غذاءً للدواجن ولا يحفظ في العلب الاَّ لحمها الابيض .فغدا زيت لحم التونة الاسمر وزيت العَرَم ، اللذان كانا يستعملان غالباً كعنصر لاذابة الطلاء (البوية) ، مصدراً من المصادر الصحية . واذاعت وزارة الزراعة في الولايات المتحدة ايضاً نبأً استنباط آخر خاص بفيتامين (D) وهو انهُ بقدر ما يتعرض الدجاج البيوض لضياء الشمس ، يزداد مقدار فيتامين (D) في مح بيضهِ . وثبت انهُ اذا تعرضت بيضة او طائفة من البيض لضوء مصباح من مصابيح الاشعة التي فوق البنفسجي ، ربع ساعة زاد مقدار الفيتامين فيها كزيادته عند ما يخلط غذاء الدجاجة زيت

(١) العرم — قال ابن البيطار العرم هو السمك المعروف عند اهل المغرب بالسردين
(٢) الاطرية — المكرونة

كبد السمك بنسبة ./٠ . ثم ان الحرارة والهواء يتلفان الفيتامين . ويؤيد ذلك حادث مدهش وقع قريباً في احد المصانع الاميركية . وهو ان عصير الطماطم ، الذي كان ذلك المصنع يعصره ويعبئهُ في علب الصفيح ، كان اقل فيتاميناً منهُ في علب المصانع المنافسة لهُ مع ان جميعها كانت تستعمل نوعاً واحداً من الطماطم . وكانت الطماطم عند جنيها مشتملة على انواع الفيتامين ،غيرانها فقدت منها جزءًا عند نقلها من المزرعة الى مصنع التعبئة فلم يعرف اين وقع ذلك . فحل المشكلة احد علماء الكيمياء الصناعية اذ تحقق ان الآلة التي تخفق الطماطم تدفع الهواء في العصير فتشبع الفيتامينات الحساسة بالاكسجين فتتلف . فأحدث العالم تغييراً يسيراً في الآلة ازال به ذلك العيب

وثبت من التجارب التي جربت في احدى الجامعات الاميركية ان فيتامين B فضلاً عما له من الخصائص التي تتحكم في الاعصاب وقابلية الطعام، فهو ذو تأثير خفيّ غريب في ذكاء المرء . فالجرذان التي يشمل طعامها ذلك الفيتامين ، تستطيع تخليص نفسها من الورطات التي تقع فيها ، على حين ان الجرذان التي تحرم منها ، تكابد متاعب تعدل ضعفي التي تقاسيها الاولى . ولم يُتح للعلماء الجزم حتى الآن في هل ذلك الفيتامين يؤثر في المادة السنجابية التي في مخ البشر او لا يؤثر البتة

ولما كانت الحيوانات التي تستخدم للمباحث في المعامل الكيمائية مختلفة الاجرام ، وكانت الوسائل التي يتوسل بها الى اتمام تلك المباحث ، متباينة في تحديد مقادير الفيتامينات التي في الاغذية فقد عقد في لندن في شهر يوليه الماضي مؤتمر دولي لتوحيد الوحدات التي تقاس بها الفيتامينات وقوتها وتعميمها في جميع انحاء العالم

وما البحث في الفيتامينات الا فرع واحد من فروع اعمال كتائب مباحث الطعام . اما اعمالها الاخرى الجليلة فاختراع اغذية جديدة وابتداع تحسينات في الاطعمة العتيقة . مثال ذلك اللبن الذي لا يخثر وهو مفيد جداً في تغذية الاطفال.والطريقة التي استنبطت حديثاً تقوم بترشيح الحليب بالزيوليت ، وهو من طائفة السليكات التي تستعمل في صناعة الزجاج وبذلك يزول الكلسيوم الذي هو منشأ تجبن الحليب ويزداد مقدار الفيتامينات فيه

وقد اخترع الكيمائيون وسيلة جديدة لتحضير الطعام بالضغط تمكن الاطفال والمرضى من هضم حساء الخضراوات الثخينة purée[1] القوام اذ تحطم الخلايا النشوية التي في الحساء فتجعلها أسهل هضماً من المعتاد.ثم ندف القهوة التي يمكن غليها كأوراق الشاي او ترشيحها للتثليج بالماء البارد. وقد نجحت تجاربها في المعامل العلمية . وينتظر ظهورها في الاسواق الاميركية . ذلك لانهُ شوهد ان البن حين تحميصه وطحنه بالطرق المألوفة تطير منه غازات تذهب بكثير من رائحته العطرية . فاذا حول البن عند طحنه الى نُدف ملفوفة على هيئة ورق الشاي المبروم ، استطاع العلماء عصر ٩٠ ./٠

(١) شوربة من الخضراوات واللحم وغيرها تسلق حتى تصير عجينة ثم تصفى بالمصفاة

من الغازات دون ضياع شذا البن . وندف القهوة المحفوظة في علب الصفيح التي تملأ بغاز الحامض الكربونيك لدفع الهواء تظل سنتين حافظة لنكهتها كاملة . وقد اتبع معظم مصانع الاغذية الاميركية طريقة تجريد علب الصفيح من الاوكسيجين عند تعبئتها بما يحفظ فيها . واخترعوا لذلك اداة سموها (كشاف الاوكسيجين) توضع في العلب . وهي عبارة عن قصاصة ورق معالجة بمواد كيمائية ، يتغير لونها عند ما يتطرق اليها اقل هواء في باطن العلبة . وبهذه الذريعة يتسنى لمستهلك العلبة التحقق من نضارة الطعام المدخر في العلبة التي يشتريها

ومن سنوات قلائل كانت تنهال على مصانع الاغذية (المدخرة في العلب) الشكاوى من كل حدب وصوب من عملائها متضررين من مسحوق الذرة الذي كان يفسد في العلب فيخرجونهُ منها مبقعاً بقعاً سوداً . فأسفر البحث عن كون دقائق الكبريت المخلوطة بالدقيق تتحد بحديد العلب بعيد اختراقها الطبقة القصديرية المغشاة بها فينجم عنها كبريتور الحديد . فاتبع ارباب المصانع طريقة دهن بواطن العلب بمادة الميناء ، فقضوا على تلك الآفة . اما الآن فتستعمل العلب المدهونة بواطنها بالاليومنيوم . واحدث الاساليب لحفظ الطعام، علب من الورق المقوى المشبع بالكبريت ، فالكبريت يقوي العلب ويمنع تولد الفطر في بواطنها عند ما تدخر فيها الثمار والخضراوات

وقد حُلّ من عهد قريب في المعامل العلمية لغز من الالغاز الخاصة بالاطعمة المحضرة المغشاة بالسكر . فالمعروف ان التثليج السريع الكثير الاستعمال الآن في اميركا يحفظ طعم الفواكه المغشاة بالسكر وشكلها اكثر من التثليج البطيء . وسبب ذلك انهُ اتضح من التجارب ان التثليج البطيء يكوّن بلورات ثلجية كبيرة تقوّض بناء خلية الفاكهة فينشأ من ذلك ضياع طعمها ولونها عند ما يذوب الثلج . اما التثليج العاجل فانه ينتج بلورات صغيرة تترك الخلايا وشأنها

وقد كان اختراع المثلجات الطوافة التي تثلج الاشياء حتى درجة ٥٠ تحت الصفر بمقياس فرنهيت ، مسهلاً لارباب البساتين نقل تلك المثلجات السيارة الى بساتينهم وحقولهم لتعبئة الاثمار (في العلب) في أوج لذتها — وتستعمل هذه الوسيلة الآن لتعبئة السمك واللحم

ولما كان من الصعب تحديد الزمن الذي ينضج فيه القطاني [1] ويصلح للتعبئة فقد عرضت تلك المسألة على بساط البحث فجربت بعض تجارب في معمل علمي ترتب عليها وضع قاعدة لتحديده فيعرّض القطاني لحمّام سخن محتوٍ على ٨٠ ./. من الكحول . فيذيب الحمّام ما فيها من السكر . ونسبة السكر المذاب الى مقادير النشاء والبروتين والالياف تدل دلالة صحيحة على صلاحية القطاني للتعبئة . اما السمك فان درجة غضاضته تحقق بمقياس مقدار الحامض الضروري لصونهِ من الفساد . فاذا اضيف اليهِ حامض زيادة على ما فيهِ ، استدل على مبلغ انحطاط البروتين فيه . وكلما زادت غضاضة السمك ، اشتد امتصاصه للحامض بسهولة

(١) القطاني الحبوب التي تطبخ كالعدس والحمص والفول واللوبيا والبسلة ومفردها قطنية وقطنية (بكسر القاف وضمها فيهما)

اما الفطر المغذي والبكتيريا ، وما يمتُّ اليها من الاحياء الدقيقة الكيمائية التي تهدد طعم الاغذية والوانها وفوائدها الصحية ، فانها اعظم ما تتجه اليهِ مجهودات الباحثين . فتراهم يستخلصون البرهان ويقتفون آثار الرموز كالعيون والارصاد العلمية التي تتبع آثار المجرمين حتى تمسك بتلابيبهم

ويؤيد قولنا ما يأتي : — حدث في كليفورنيا ان العفن الازرق اخذ يظهر على البرتقال الوارد من أحد مصانع التعبئة في جنوب ذلك الاقليم مع ان صاحب المصنع كان يتخذ جميع الاحتياطات الواجبة لصون برتقالهُ من العدوى . فلما يئس من الوقوف على كنه العدوى ، استعان بكيماوي صناعي ليحلّ لهُ لغز العفن . فما لبث ذلك الخبير ان اهتدى الى موضع الداء واذا بهِ اعتياد العمال المنوط بهم تعبئة البرتقال بلَّ اصابعهم في برتقالة مشققة معلقة بعمود في المصنع ليتمكنوا بذلك من استفراد الورق الرقيق المستعمل للف البرتقال فانتقلت العدوى من تلك البرتقالة المؤوفة الى الوف من البرتقال السليم . وسرعان ما اقلع العمال عن تلك العادة حتى زالت العدوى

وشرُّ العدوى التي يخشاها خبراء الطعام ويناهضونها ، ما وسمت قوائم ، ينشأ من البكتيريا التي تولد التسمُّم المنباري[1] . وفي الجهات الموحشة بالولايات المتحدة حدثت من عهد قريب ثلاث اصابات بهذه الآفة، أدَّت الى حتم مراعاة النظافة التامة في المصانع التي تصنع المآكل اوتعبئها . واغلب الامراض التي من هذا القبيل تنشأ من الاطعمة المنزلية السيئة التعبئة،لان ارباب المصانع لا يقصرون في اتخاذ الوسائل الواقية من تلوث الاغذية في مصانعهم . ولذلك يجب على ربات البيوت طبخ جميع الخضراوات التي تُكبَّس في البيوت قبل ذوقها او اكلها بنصف ساعة على الاقل . ثم اعداد الخضراوات التي من هذا النوع للتعبئة في مواقد طبخ ذات ضغط بخاري لكي يمنعنَ البكتيريا من الوصول اليها

وقد دلَّ انفجار بعض المسكّرات والحلوى الذي حدث قريباً ، على مشكلة مدهشة استرعت انظار الباحثين المخصصين للاطعمة . اذ استدلوا على ان الخميرة التي في الحلوى المغطاة بالشكولاتة كانت تولد ضغطاً داخليًّا في الطبقة الخارجية يخمر المواد كما يخمر العجين سواء بسواء فاذا حفظت الفاكهة المغشاة بالسكر في مكان منخفض الحرارة في المصنع زالت الآفة

وأما الفواكه غير المسكرة ، والدقيق الخالي من النشاء فهي مستحضرات متناقضة تتوخى بها المصانع توفية مطالب الناس الذين يحتاجون الى اطعمة خالية من السكر او النشاء

واغرب مما ذكرناه ، مقترح اقترحه احد اطباء نيويورك ما برح يختبر اختبارات يقصد بها استبدال الاغذية الجامدة بغازات مغذية ! ! معتقداً انهُ سوف يحل زمن يتغذى فيه الملأ بغذاء على شكل بخار يغنيهم عن المضغ ! !

---

(١) تسمم منباري — البوتيلنيك — حمض يقال بوجوده في المنبار Botulism, botulismus المتعفن وهو سبب تسمم نوعي — (معجم شرف)

سير الزمان
المانيا بعد غليوم
من جمهورية فيمار الى الريخ الثالث
بارنو وبوانكاره
نفسية شعب اليابان
وموقفهُ من الولايات المتحدة الاميركية
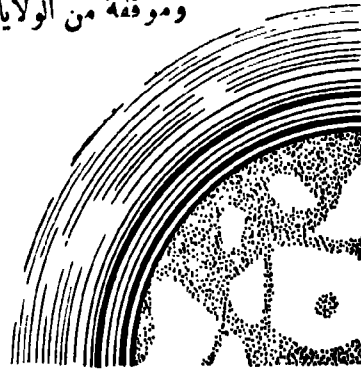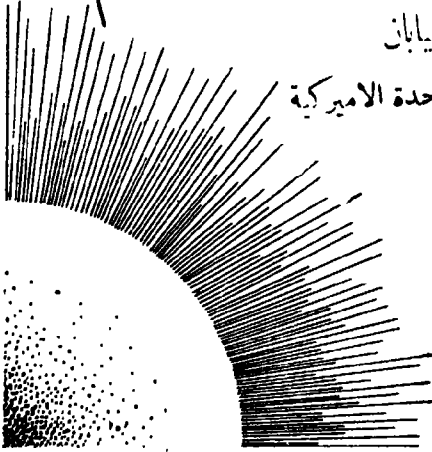
الى جيوش رديف Militia وهذا يعني ان جيش الريخسفهر الالماني — عدده ١٠٠٠٠٠ جندي المدرَّب تدريباً عسكريًّا يجعل كل جندي فيه بمثابة ضابط ، يجب ان يحوَّل الى جيش مؤلف من ٢٠٠٠٠٠ جندي رديف تكون مدة خدمته العسكرية قصيرة . وكذلك اتفق على انهُ يحق لالمانيا في خلال مدة الاتفاق ، ان تبني عدداً — يعيَّن فيما بعد — من اطرزة الاسلحة المختلفة التي لا تتفق الدول على الغائها قبل انتهاء مدة الاتفاق . وذهب الفرنسيون الى انهُ لا يحق للالمان ان يشرعوا في صنع هذه الاسلحة ، الاَّ بعد فترة تجربة طولها اربع سنوات ، تقوم في خلالها لجان المراقبة بعملها ، وتحوَّل الجيوش على الاساس المتقدم ذكرهُ

***

طلبت المانيا في بدء المفاوضات ان يعترف لها بحقها في ان تملك حالاً نماذج من اصناف الاسلحة التي لا تتفق الدول على الغائها ، ومن هذه الاسلحة ما كان محظوراً على المانيا بمقتضى معاهدة فرساي كالطيارات الحربية . فكان هذا الطلب عقبة خطيرة ، ولكن تخطيها بالمفاوضة لم يكن مستحيلاً لان الدول المتفاوضة كانت قد سلَّمت بالاعتراف لالمانيا بمبدإ المساواة في اصناف الاسلحة المختلفة في خلال مدة «معاهدة السلاح» وعلى كل حال لا بدَّ ان يستغرق صنع هذه الاسلحة فترة من الزمن اذا كانت المانيا لم تتسلَّح سرًّا كما كان يقال

كان المندوبون البريطانيون والايطاليون معنيّين في اوائل اكتوبر بالبحث عن قاعدة تقرِّب بين المانيا وفرنسا . فدفعوا الى الوفد الالماني بملخص بيانٍ كانوا يحاولون استيفاء تفصيلاته ، ووجهوا الى الوفد الالماني ، بعض اسئلة شفهية ، فعاد البارون فون نويراث الى برلين ليرى رأي حكومته في الامر ، وبعد بضعة ايام ارسل الالمان مذكرة مفصلة الى روما ولندن بسط فيها موقف المانيا . وهذه المذكرة لم تنشر ، ولكن جريدة « الايكو ده باري » نشرت ملخصاً للمذكرة ليس ثمة ما يدعو الى الشك في دقتهِ . واهمُّ ما فيه ان الحكومة الالمانية ، ترفض ان تسلم بفترة التجربة وانها مستعدة لتحويل الريخسفهر الى جيش قصير الخدمة . ثم ان المذكرة تشير الى ان المشروع البريطاني يذكر ثلاثة اصناف من الاسلحة هي الاسلحة التي تمنع او تلغى في المستقبل . والاسلحة التي تقيَّد بقيود . والاسلحة التي لا تقيد بقيود ما . اما المانيا فتسلم بالغاء اي صنف من الاسلحة اذا كان الالغاء عامًّا شاملاً . بل هي تتنازل عن طلب التسلح باسلحة تملكها الدول الاخرى الآن اذا تعهدت تلك الدول بتدميرها في خلال فترة لا تتعدَّى مدى المعاهدة ، وتشترط ان تمنَع هذه الاسلحة في المستقبل . اما الصنف الثاني من الاسلحة ، وهو الصنف الذي ينتظر تقييده من حيث النوع والمقدار فطلبت المانيا في مذكرتها ان تعرف في اول فرصة المقترحات الخاصة بهذا التقييد ، ثم قالت انهُ يحق لها ان تملك الاسلحة التي تملكها الدول الاخرى ، وهي مستعدة ان تخضع للقيود التي يتفق عليها . اما الاسلحة التي لا تقيد بقيد ما ، فالمانيا ترى انهُ ما زالت الامم الاخرى غير خاضعة لقيود ما في هذا

المانيا بعد غليوم

من الجمهورية الى الوطنية الاشتراكية

اجتمع ممثلو الحلفاء في فرساي واذ كانوا مكبّين على وضع المعاهدة التي تسحق المانيا وتصمها بوصمة الاجرام بتحميلها تبعة الحرب الكبرى وتجريدها من المستعمرات والسلاح ، كان الشعب الالماني ، او بالحري ممثلوهُ يشتغلون بوضع الاساس الذي تقوم عليهِ المانيا الجديدة . فالجمعية التأسيسية الالمانية ، اجتمعت في ڤيمار في ٦ فبراير سنة ١٩١٩ ، وڤيمار بلدة اقترنت باسم الشاعر الالماني العظيم غوته وامجاد الادب الالماني ، كما اقترنت بلدة ستراتفورد اون افون باسم شكسبير وامجاد الادب الانكليزي ومعرّة النعمان باسم شاعرنا الفيلسوف ابي العلاء . فلما اجتمعت الجمعية التأسيسية لقيت سبيلها حافلاً بالعقبات . كانت الحركة الشيوعية قد صدَّت ولكن شأفتها لم تستأصل . وكان زعماء السبارتاكيين لا يزالون يطالبون بتحويل المانيا الى دولة شيوعية . اما ولايات الجنوب في المانيا ، فكانت تثيرها الغيرة من بروسيا ، ولذلك كانت قد وطّنت العزم على ان تحول في الدستور الجديد ، بين بروسيا ومقام السيادة والتفوق في بناء الرايخ الثاني . اما حزب الحكومة القائمة فكان بزعامة الهر ايبرت ، وكان مقاوماً للشيوعية — اي للسبارتاكيين — راغباً في تعزيز مكانة بروسيا . ولولا نشر مواد معاهدة فرساي القاصمة للظهر ، لافضى الاختلاف في الرأي بين اعضاء الجمعية التأسيسية الى مأزق لا يعرف كيف الخروج منهُ ، ولكن لما نشرت معاهدة فرساي ، التفَّت جميع الاحزاب على اختلاف نزعاتها حول الرئيس ايبرت ومنحتهُ تأييدها وثقتها

تمَّ مشروع الدستور الالماني الجديد ، بعد اربعة اشهر من اجتماع الجمعية التأسيسية اي في يوليو سنة ١٩١٩ وصدر في ١١ اغسطس من السنة نفسها فنصَّ على ان المانيا الجديدة يجب ان تكون جمهورية دمقراطية ، لا مكانة خاصة فيها للارستقراطية العسكرية التي بناها بسمارك وعزَّزها غليوم الثاني . ولكن الجمهورية ظلّت على أساس اتحادي (فدرالي) اي انها ظلّت مؤلفة من الولايات المستقلة التي تألفت منها الامبراطورية . وانشئ للجمهورية برلمان دعي باسم البرلمان القديم اي الريخستاج على ان ينتخب اعضاؤه من الرجال والنساء بلا تمييز بين الفريقين ، على اساس من التمثيل النسبي . فبدلاً من ان ينتخب الناخبون مرشحين معيّنين لتمثيل دوائرهم الانتخابية الخاصة ، قسمت المانيا من الوجهة الانتخابية الى خمس عشرة دائرة ، ثم يعرض على الناخبين قوائم كاملة تحتوي على مرشحي كل حزب من الاحزاب ، في كلٍّ من هذه الدوائر فيقترع الناخب للحزب — اي للقائمة — لا للمرشح

خاص . وكل حزب لهُ حقٌ في ممثل واحد في الريخستاج لقاءَ كل ٦٠ الف صوت ينالها في الانتخاب. وبعد الانتخاب يستدعي رئيس الجمهورية زعيم الحزب الذي فاز باكثرية المقاعد النيابية ويعيّنهُ مستشاراً — اي رئيس وزارة — وهذا بدورهِ يختار اعضاءَ وزارته . وهذا التمثيل النسبي اصلح لتمثيل الاقليات من نظام الانتخاب البريطاني . خذ مثلاً مائة دائرة انتخابية في انكلترا . وافرض ان مرشح المحافظين تغلّب في كلّ منها على مرشح العمّال بأكثرية يسيرة ، فعندئذ يكون ممثلو تلك الدوائر من المحافظين . ولكن الاقلية الكبيرة التي اقترعت للمرشحين العمال لا تمثل على الاطلاق . وهذا لا يقع في الانتخاب الالماني بحسب دستور ڤيمار . وانشىء في الجمهورية مجلس آخر الى جنب الريخستاج ، يدعى الريخستات ، لتمثيل الولايات التي يتألف منها الريخ ، فهو من قبيل مجلس الشيوخ الاميركي ، وغرضه شبيه بغرض مجلس اللوردات البريطاني ، اي ان يحول دون اي تعجل يبديهِ مجلس النواب في التشريع ، ولكن رأيهُ استشاريٌّ فقط

اما رئيس الريخ ، فنص المشروع على انتخابهِ لمدة سبع سنوات، وعلى ان يكون رئيساً لا سلطة له في الاحوال العادية ، فاذا عرضت للريخ حال طارئة كفتنة او ثورة حقّ له ان يصبح بمثابة دكتاتور لانهُ منح حق الحكم بمراسيم ، ولكن للبرلمان عند اجتماعه ان ينقضها

اما الوزارة فيجب ان تستقيل عند ما يعرب الريخستاج عن عدم الثقة بها

وفيما عدا ذلك كان دستور ڤيمار مبنيًّا على مثل الثورة الفرنسية ، اي انهُ نصّ على المساواة وحرية العبادة والرأي والصحافة والاجتماع

ولما تمَّ وضع الدستور ، جاءَ في مجموعهِ نتيجة مساومة وتوفيق بين آراء الاحزاب المختلفة ، فلا المتطرفون من اليمين رضوا عنهُ ولا المتطرفون من اليسار . فحاول الشيوعيين احداث ثورة في الرور سنة ١٩٢٠ وفي تورنجيا في مارس ١٩٢١ ولكن الحكومة خضدت شوكتهم ، بعد قتال شديد

وكان فريق من متطرفي اليمين، بزعامة رجل يدعى كاپ Kapp والجنرال فون لوتفتز، قد حاول في مارس سنة ١٩٢٠ ان يقلب الحكومة في برلين ، فسار الزعيمان على رأس جيش من المتطوعين وفازا باحتلال برلين ، وفرَّ الرئيس ايبرت وكذلك الوزارة التي يرأسها بَوَر Baner ، ولكن الحكومة دعت نقابات العمال الى اعلان اضراب عام على كاپ وصحبهِ . فما لبثت الحكومة التي انشأوها في برلين ، حتى تقوّضت اركانها وعاد الرئيس والوزراء الى العاصمة واعنة الحكم في ايديهم . وحاول هتلر في نوفبر سنة ١٩٢٣ ان يقلب الحكومة في باڤاريا ويتسلّم هو وصحبهُ زمام السلطة في الجنوب وبعد ان يوطّد قدمهُ فيها يسير الى برلين فيحدث في المانيا انقلاباً عامًّا ولكنهُ اخفق في محاولتهِ هذه

نفذت مواد معاهدة فرساي تنفيذاً دقيقاً ، فنسف الاسطول الالماني في سكاپافلو ، وسلمت مقاطعة اوپن ملميدي للبلجيك بعد استفتاء مطبوخ ، ونزعت مقاطعة سيليزيا العليا الغنية بالمعادن والمناجم ، مع ان الاكثرية في الاستفتاء السيليزي كانت في جانب المانيا، وفصلت پروسيا الشرقية عن

سار الريخ ، بالمجاز البولوني الذي منح لبولونيا ليكون منفذاً لها الى بحر بلطيق عند مدينة دانتزغ التي اقيمت فيها حكومة دولية تحت اشراف جمعية الامم . على ان المعاهدة لم تنفذ تنفيذاً حرفيًّا في ناحية واحدة من نواحيها . ذلك ان المعاهدة قررت محاكمة القيصر غليوم الثاني ولكن غليوم كان قد فرَّ الى هولندا ، ولم يتمكن الحلفاء من اقناع حكومة هولندا بتسليمهِ

وفي خلال ذلك كانت اللجنة التي عينت لتقدير مال التعويض المطلوب من المانيا تقوم بمباحثها فكان تقديرها الاول باعثاً على الدهشة . ذلك انها قررت ان يكون مجموع المال الذي تدفعه المانيا على سبيل التعويض ستة آلاف مليون جنيه ، وان عليها ان تدفع منهُ الف مليون في سنة ١٩٢٠ فلقي هذا التقدير اعتراضاً عنيفاً في المانيا التي افقرتها الحرب والثورة ثم نزع منها اسطولها التجاري واغنى مقاطعاتها الصناعية . وقرر احد الكتَّاب انهُ اذا دفعت المانيا هذا المبلغ بأوراق نقدية ، كل قطعة منها مارك واحد ، كفى هذا الورق لتغشية جسر يمتد من الارض الى القمر . ولكن روح الانتقام كانت لا تزال تملأ صدور الحلفاء . وتوالت المؤتمرات بيد أن مال التعويض المفروض على المانيا لم ينقص في احدها عن مائتي الف مليون مارك ذهب ، فكأن الحرب كانت لا تزال متسعرة النار بين المانيا وحلفائها

اعترضت المانيا واحتجّت وقال زعماؤها ان المانيا مستعدة ان توفّي ما عليها ولكن يجب ان تمنح فسحة من الوقت لتفعل ذلك. وكان لويد جورج اول سياسي من ساسة الحلفاء الذين أدركوا انهُ لا بدَّ من منح المانيا فسحة من الوقت، والاَّ اصابها الخراب الاقتصادي، وعند ذلك ينقطع حبل التجارة بين بريطانيا وبينها . ولكن بوانكاره ، خالفهُ في الرأي وقال ان لا ندحة لالمانيا عن ان تدفع المبلغ كاملاً . ولا بدَّ من ان تدفعهُ في الحال او في مدى سنوات قلائل . ذلك ان تجارة فرنسا في المانيا كانت يسيرة لا يؤبه لها . بل ان فرنسا كانت تتوقع من المانيا ان تجهز المال اللازم لتعمير الولايات الفرنسية التي داستها سنابك الالمان وخرَّبتها مدافعهم. وفي سنة ١٩٢٢ بلغ الخلاف في الرأي بين بريطانيا وفرنسا مداه . وكانت المانيا قد توقفت عن دفع الاقساط المفروضة عليها — فأصدر بوانكاره أمره الى الجنود الفرنسية باحتلال مقاطعة الرور

واحتلال مقاطعة الرور، بين الافعال التي اتتها أية حكومة متمدنة في تاريخ السنوات التي تلت الحرب الكبرى، يحسب من اشدها استبداداً . فقد ظلَّ جيش فرنسيٌّ مؤلف من عشرة آلاف جندي محتلاً اغنى المقاطعات الالمانية الصناعية من يناير سنة ١٩٢٣ الى يوليو ١٩٢٤ ، وكان في الجيش الفرنسي جنود سود علاوة على الجنود الفرنسيين. وكانت ثكنات المقاطعة لا تتسع لجميع هذه الجنود . ففرض الضباط الفرنسيون على الاسر الالمانية في تلك المقاطعة ان يفتحوا ابواب بيوتهم للجنود السود. وكان هذا الاحتلال أشبه شيءٍ باستمرار الحرب . فقد قتل في خلال تلك المدة ستٌّ وسبعون من الالمان وعشرون من الحلفاء . وأُبعد المعارضون من الالمان عن بلادهم . وطرد نحو ١٤٧ الفاً لا آثام

اقترفوها او ادُّعيت عليهم . وظلَّ نحو عشرة ملايين من السكان عاطلين عن العمل، فاضطرَّت المانيا في خلال ذلك ان تستورد فحمها من بريطانيا بأسعار شركات الاحتكار

ولم يطل المطال حتى ظهر فساد هذه الخطة . كان هبوط المارك قبل احتلال الرور ينذر بالخطر ولكن تدهوره بعد الاحتلال تحوَّل الى كارثة . فهبط سعر المارك من الف مارك للجنيه الى مليون الى الف مليون . وقد يكون من المتعذَّر وصف الفوضى التي احدثتها هذه الكارثة في حياة الالمان. فالارامل والشيوخ الذين كانوا يعيشون على دخل مبالغ من المال وفَّروها او ورثوها ، اصبحوا وقد تبدَّد رأس المال الذي يعتمدون عليهِ . والموظفون الذين يتناولون مرتبات ، من الحكومة او البيوت المالية والتجارية ، اصبحت مرتباتهم لا تكفي لشراء فنجان من القهوة واللبن ، اما العمال فكانوا يهرعون الى إنفاق اجورهم عند تسلمهم اياها ، لانهم اذا صبروا الى الصباح ، فقد تفقد كل قيمتها . ان ويلات الحرب والثورة كانت أقل من ويلات الالمان في فترة التضخم هذه . ذلك ان المعيشة في المانيا سنة ١٩٢٣ هبطت الى مستوى لم يعهد في اي بلاد اوربية اخرى

***

وفي اكتوبر ادركت الحكومة الالمانية ان البلاد لن تستطيع الصبر على هذه الحال . فبعثت بمذكرة الى رئيس لجنة التعويضات تعلن فيها استعدادها للرجوع عن موقف المقاومة السلبية الذي وقفتهُ الامة والحكومة بعد احتلال الرور ، وتطلب تعيين لجنة من الحلفاء لفحص مالية المانيا ، والاشتراك في تنظيمها وتثبيت المارك ، توطئة لتوفية مال التعويض. وكان المستشار الجديد رجلاً يدعى جوستاف شترزمن فأعرب بأفعالهِ عن رغبتهِ في الفوز بمعاونة الحلفاء وصداقتهم . وكذلك فاز في نوفمبر سنة ١٩٢٣ بتثبيت المارك . وصرَّح ان «الرنتمارك» هو وحدة العملة الالمانية الثابتة، وان الحكومة مستعدة ان تبتاع الماركات بمتوسط الف مليون مارك مقابل رنتمارك واحد. فكانت نتيجة هذا ان كل المال الذي وفرتهُ الطبقات الوسطى والعالية زال معظمهُ بزوال المارك. واصبحت جماعة «البورجوازي» من العمال . ولكن هذه التضحية افادت في تغيير موقف الحلفاء نحو المانيا . ذلك ان شترزمن اقنعهم بأن المانيا مستعدة لتحقيق العهود التي قطعتها والقيام بالتعهدات المالية التي فرضت عليها

فكان ذلك فاتحة عهد جديد في المانيا . كانت الفترة بين ١٩١٩ و ١٩٢٣ في المانيا ، فترة مقاومة من ناحية الالمان ، وإصرار من ناحية الحلفاء . واما الفترة التي تلتها (اي ١٩٢٤ — ١٩٣٠) فكانت فترة نهوض المانيا بمعاونة الاموال الانكليزية والاميركية

ففي سنة ١٩٢٤ وضعت لجنة دولية يرأسها الجنرال دوز الاميركي (وتعرف باسمهِ) مشروعاً جديداً للتعويضات الالمانية ، فرض فيهِ على المانيا ان تدفع للحلفاء مقداراً نسبيًّا من دخلها القومي، جانب منهُ يدفع نقداً بالذهب والجانب الآخر عيناً بالبضائع . ولكي تتمكن من هذا وجب ان ترمِّم صناعتها وتعمِّرها بأموال تقرض لها في اسواق العالم المالية

وكذلك كان مشروع دوز فاتحة عصر انتعاش صناعي عظيم في المانيا . ورأى الالمان شعاعة أمل ، تبرق عند الافق البعيد فانصبّوا على عمل التعمير والانشاء ، بروح لم تعرف في امة مهزومة ، الاّ في فرنسا بعد هزيمتها في الحرب البروسية الفرنسية (١٨٧٠ — ١٨٧١) وفي روسيا عند عنايتها باتمام مشروع السنوات الخمس . فما جاءت سنة ١٩٢٦ حتى كان انتاجها الصناعي لا يقل كثيراً عن انتاجها قبيل الحرب ، ذلك انهُ لم ينقص عنهُ الاّ ٥ في المائة فقط

ولكن الثمن الذي دفعتهُ كان ثمناً فادحاً من الكدّ والنصب والاكتفاء باليسير من الطعام والراحة . فالطلاّب كان عليهم ان يتموا دروسهم الجامعية في الفترات التي تتخلل الاعمال اليدوية التي فرضت عليهم . والنساء كان عليهنّ ان يعنينَ بتربية اطفالهنّ في ساعات فراغهنّ من العمل في المصانع . وحتم على الشيوخ ان يتخلوا عن راحة الشيخوخة التي اشتروها عزيزة ، ليبدأوا العمل من جديد كأنهم شبّان

***

بيد ان الشبيبة التي نشأت بعد الحرب كانت توجه الى نفسها هذا السؤال : وما الفائدة من كل هـذا الجهد والنصب والتقتير ؟ ولماذا يجب على المانيا ان تذلّ وتستعبد اجيالاً من ابنائها لتوفي غرامة حربٍ ، لا شأن للشبيبة في تبعتها ؟ ولماذا يجب ان يضيّعوا جهودهم في تعويضات فرضها عليهم قاهرو آبائهم ؟

وكذلك بذرت بذرة التبرم بمعاهدة فرساي في صدور الشبيبة الالمانية . فلما انتظمت المانيا في جمعية الامم سنة ١٩٢٥ لم يكن انتظامها ذا أثر فعّال في النفوس ، لان الحلفاء ما قبلوا ذلك واقرّوه الاّ بعد تردُّد طويل . ولانّ المادة ١٣١ من معاهدة فرساي كانت لا تزال قائمة ومؤادها ان تبعة الحرب واقعة على كاهل المانيا وحدها

هذا التبرُّم في الروح الالمانية اتجه اتجاهين مختلفين . اما الاول فالاتجاهُ الشيوعي . فقد كان كارل ماركس نبيُّ الشيوعيين المانيًّا من اصل يهوديّ . ومبادىء ماركس كانت بمثابة انجيلٍ للشبان من عمّال المانيا . بل ان الحكومة الجمهورية في برلين ، كانت في قبضة طائفة من اليهود او من يلف لفّهم . وبافاريا الكاثوليكية نفسها ، ظلّت في قبضة الشيوعيين ، مدة وجيزة في سنة ١٩١٩ ، الى ان قضى عليهم نوسكه . فتحوُّل المانيا الى الشيوعية لم يكن حينئذٍ امراً مستحيلاً

***

ولكن الشيوعية تعني نزعة دولية بأوسع معانيها ، ومحالفة مع روسيا السوفيتية . والالمان وطنيون لا دوليين في المقام الاول وروسيا خصمهم التاريخي . لذلك اتجهت روح التبرم في نواحٍ من المانيا ، اتجاهاً آخر ، وافرغت في جمعية اخرى ، مبادؤها قومية صحيحة ، مقاومة لليهود وللروس في آنٍ واحد ، ومبنية على تمجيد السلالة الجرمانية وابطالها . هذه الجمعية او هذا الحزب هو صاحب الحركة الموسومة باسم « الحركة الوطنية الاشتراكية » التي زعيمها الهر ادولف هتلر

بارتو وبوانكاره

[رزئت فرنسا في خلال اسبوع واحد (٩ — ١٥ اكتوبر) بفقد رجلين من اكبر رجالها الذي تولوا دفة سياستها في اواخر القرن التاسع عشر وما انقضى من القرن العشرين ، ونقشوا اسماءهم في صفحات تاريخها بمداد من نور ، ورفعوا ذكرها في الخافقين بما جمعوا في شخصياتهم من الوطنية الصادقة والفصاحة الخلابة والالمعية الادبية والبراعة البرلمانية ونقاء الصفحة والجرأة في النضال السياسي . اما الاول فهو لويس بارتو ، لقي حتفه في فاجعة مرسيليا يوم ٩ اكتوبر ١٩٣٤، وأما الثاني فهنري بوانكاره توفي ظهر الاثنين في ١٥ اكتوبر]

لويس بارتو

لعلَّ اوربا لم تشهد في العهد الأخير نشاطاً في وزير خارجية كنشاط المسيو بارتو . فمن ساعة تقلده لمنصب وزير خارجية فرنسا في فبراير الماضي الى ساعة مصرعه في مرسيليا مساء الثلثاء ٩ اكتوبر ١٩٣٤ كان أشبه شيء بالحركة الدائمة . ها هوذا في جنيف ، في مؤتمر نزع السلاح ، يناضل عن خطة فرنسا على منبر المؤتمر وفي الاجتماعات الخاصة او في حجر اللجان ، آناً يهاجم وآناً يدافع ، وفي كلامه حدة ولين ، وبلاغة في الحالين . فلما عاد الى باريس استقبل فيها استقبال الأبطال . حتى بريان في اوج عزه كوزير لخارجية فرنسا ، لم يفز من الفرنسيين باستقبال أعظم من الاستقبال الذي فاز بهِ بارتو . ثم ها هوذا يعود الى جنيف للنظر في مسألة استفتاء السار ، فيعقد في اللجنة الخاصة بذلك برآسة البارون الوازي ، اتفاقاً على ميعاد الاستفتاء والضمانات الخاصة بهِ . فاذا فرغ من اجتماعات اللجنة اختلى بلتفينوف قوميسير خارجية روسيا ، يتباحث معهُ في انتظام روسيا في جمعية الأمم ، او بتوفيق رشدي بك وزير خارجية تركيا يحثه على توثيق الروابط التي تربط فرنسا بتركيا ، او بممثلي دول اوربا الوسطى يحاول ان يحل وإياهم المشكلات الخاصة بوادي الدانوب . بل ها هوذا يزور في خلال الثمانية الاشهر التي انقضت عليه في الكاي دورساي عواصم ست دول هي بروكسل وفرسوفيا وبراغ وبوخارست وبلغراد ولندن . وينشيء مشروع ميثاق اوربا الشرقية . ويكتب المذكرات الضافية عن نزع السلاح واستفتاء السار. ويدير بمهارة عظيمة مسألة انضمام روسيا الى جمعية الامم رغم اعتراض طائفة من الدول عليها . وكان عند مصرعه في مرسيليا يستقبل الملك اسكندر اليوغوسلافي ، لتكون مباحثاته معه تمهيداً لزيارته لروما واجتماعه بالسنيور موسوليني في الشهر القادم

فعل كل ذلك وهو في الثانية والسبعين من العمر ؟

كان بارتو عضواً في الأكاديمية الفرنسية . احرز هذا الشرف العظيم بصفة كونه كاتباً المعيًّا

المسيو بارتو والملك اسكندر اليوغوسلافي قبيل مصرعهما

لا لأنهُ من كبار رجال السياسة . وفي مقدمة مؤلفاته سيرة ميرابو خطيب الثورة الفرنسية العظيم . وله كتاب آخر في لامارتين الشاعر والخطيب والسياسي والمؤرخ . وكتب اخرى في بودلير وفرلين الشاعرين ، وراشل الممثلة وغرام رتشرد فغنر الموسيقي ،ورسائل الغرام التي كتبها فكتور هوغو . بل كان علاوة على ذلك من كبار نقدة الفن ومن كبار الثقات في الطبعات الاولى النادرة التي صدرت من بعض الآثار الادبية المشهورة حتى لقد قيل عنه انهُ يوم اقترب الالمان من باريس ، وبدأت مدافعها تمطر قنابلها عليها ، وأخذ الباريسيون يجمعون اعلاقهم ليخفوها في حرز حريز ، تأبط بارتو بعض الكتب النفيسة النادرة وخرج يبحث على مكان امين يودعها فيهِ

او انظر اليهِ في مجلس النواب . فقد أُثر عنه قوله ان « المنبر مذبح (بالمعنى الديني) الكلمة » واذ ينهض بارتو من مكانه في المجلس ، ويمشي الى المنبر ، تحس في خطواته المتزنة الهادئة ، انهُ يشعر بالتبعة العظيمة الملقاة على عاتق كل من ينوي ان يفوه بكلمة هناك . مضى عليه اربعون سنة وهو يلقي من ذلك المنبر كلمات لها شأن كبير في تقرير مسائل خطيرة . ان الكلمات على اطراف اصابعه ، لانه فصيح ، واللغة تنقاد اليه ،ولكنك تدرك من مشيته الى المنبر وكلماته الاولى التي ينطق بها نوعاً من الرهبة ، لا تستطيع ان تفسرها الاَّ بقوله « يجب على الانسان ان يرهب المنبر لكي ينهض الى مستواه الرفيع» . فاذا زال أثر التردد من كلماته الاولى انطلق في خطابتهِ انطلاق السيل في انسجام وقوة . فهو معروف بين صحبهِ بانهُ من « سحرة » الكلام . صوته فخم رنان . وفي عبارته ايقاع شعري كانهُ استمدَّه من طول ملازمته لكبار شعراء فرنسا

وكان الى ذلك محدِّثاً بارعاً ، ذلق اللسان ، قوي الحجة ، واسع الرواية ، كثير النوادر يأسف لانقضاء العصر الذي كانت فيهِ صالونات السيدات تجمع اصحاب المواهب العقلية فيها فتصطدم العقول بالعقول ويقدح شرر الذكاء . انهُ يأسف لان الرجال اليوم يبيعون افكارهم للجمهور بكذا من السنتيمات لقاء كل كلمة بدلاً من ان يهبوها علناً لمن كان له اذنان للسمع فيسمع

ومع انهُ كان من اولئك الذين يعطونك في الحديث اكثر مما يأخذون منك كان يحسن الاصغاء وهذا من اهم صفات الكريم المثقف من الرجال

***

تقلب في المناصب السياسية فتقلد منصب الوزارة نحو عشر مرات بين الاشغال العامة والمعارف والحربية والحقانية والخارجية بل دعي في شهر مارس سنة ١٩١٣ الى انشاء وزارة فانشأها وصليل السيوف يدوي في الجو الاوربي وكان على فرنسا حينئذٍ ان تفصل في مسألة حيوية لها ، ذلك ان شبح الحرب في اوربا كان قد بدأ يخيم على دوائرها السياسية ويجثم فوق صدور رجالها ، فنادى المنادي في فرنسا ان تأهبوا للنضال القادم فوضع مشروع يقضي بزيادة الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي الى ثلاث سنوات وقدم لمجلس النواب فلقي معارضة شديدة من احزاب اليسار . ولكن بارتو تمكن

من اقرار القانون بلباقتهِ المشهورة فنقم عليهِ صحبهُ من الاحزاب الراديكالية كيف يخون مبادئهم وهلل له غيرهم قائلين انهُ منقذ الوطن وان الوطن في اعتباره يسمو على الاحزاب . ولكن خصومه تربصوا لهُ حتى بدت في حكومته ثغرة فنفذوا منها الى اسقاطه تخلفهُ في رئاسة الوزارة المسيو دومرغ رئيس الوزارة الحالي الذي انتظم بارتو في وزارتهِ وزيراً للخارجية

فلما نشبت الحرب الكبرى تذكر الناس القانون الذي سنّهُ بارتو وحمدوا لهُ بعد نظره لان نشوب الحرب الكبرى لقي فرنسا بفضل هذا القانون متأهبة لخوض معمعة النضال

واشترك بعد الحرب الكبرى في وزارات مختلفة بل تقلد عدا المناصب الوزارية مناصب سياسية في المقام الاول في حياة فرنسا العامة منها منصب رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب ورئيس لجنة التعويضات التي عينها مؤتمر السلام للنظر في مال التعويض الالماني ومثّل فرنسا مع المسيو بريان في مؤتمر جنوى الاقتصادي واشترك في وزارة بوانكاره التي انقذت الفرنك من التدهور

ان الكاتب ليأسف اشد الأسف عند ما يرى حياة كحياة بارتو الطويلة الحافلة بجلائل الآثار في السياسة والادب تنقضي برصاصة يطلقها مفتون من الفدائيين الذين يستحلون دماء الناس اذ لا ريب ان مصرع بارتو جاءَ في غير اوانه فانه رغماً عن كونه بلغ الثانية والسبعين من العمر كان لا يزال عنصراً فعالاً في سياسة اوربا بل كان ينتظر لها على يديه حل بعض المشكلات التي تقض مضجعها وتقاق خواطر رجالها

ريمون بوانكاره

كان الجيل الحاضر مظهراً للكفاءات العالمية بسبب الحرب العظمى وما تلاها من المشكلات فرأينا اقطاب الدول يحلقون في فضاء الشهرة فنهم من استطاع الاحتفاظ بمقامهِ ومنهم من هوى ومنهم من نسي امره فلا يكاد يذكرهُ الناس. فغليوم وهندنبرج واسكويث ولويدجورج وكلمنصو وبوانكاره وودرو ولسن وجوفر وبيتي وهايج وفوش وفيجان واللنبي ومصطفى كمال ولنين وموسوليني وبهلوي شاه وغاندي وفيصل وغير هؤلاءِ برزوا الى الميدان العالمي وكانوا قبلة انظار البشر ثم اخذوا يتوارون عن العيون وقد مات معظمهم وقلّ الذين صبرت شهرتهم على فعل الزمان

وقد امتاز ريمون بوانكاره بصفات وسجايا مكنتهُ من النهوض بعبء رآسة الجمهورية بما يقتضيه هذا النهوض من عناية بالحياد بين الاحزاب وعدم التعدي على سلطة الوزارات وهذا مع الاحتفاظ بهيبة المنصب وكرامة الرآسة فلما القيت اليهِ مقاليد الوزارة بعد الحرب ظهر بمظهر آخر وتذرع بحزم نادر النظير حتى انتشل بلاده من وهدة الخراب النقدي والبوار المالي ووقف من المانيا موقفاً كفيلاً بصون سلامة فرنسا وعدم استهدافها في المستقبل القريب لمثل الخطر الذي واجهتهُ في سنة ١٩١٤

وقد اختلف الناس في الحكم على سياسته الالمانية هذه فرأى بعضهم فيها افراطاً في التشديد

من الاسلحة ، فالمانيا يجب ان تكون كذلك مطلقة من اي قيد . فاذا اريد في المستقبل نقص الاسلحة المقيدة بقيود ، فالمانيا مستعدة لنقصها على اساس من المساواة مع الدول الاخرى

***

هذا الموقف الذي وقفتهُ المانيا لم يحز قبولاً من حكومتي فرنسا وانكلترا لاصرار المانيا فيهِ زيادة سلاحها. ولهذا السبب عينه لم يحز قبولاً عند حكومة الولايات المتحدة الاميركية. ولكن باب المفاوضة لم يقفل ، فمضى المندوبون في بحثهم ومحاولتهم اعداد البرنامج لعرضهِ على جلسة المؤتمر العامة في ١٦ اكتوبر ، رغم سفر المندوب الالماني من جنيف بدعوة من حكومتهِ للتفاوض معهُ . وبذل كل سعي ، للوصول الى قاعدة سلمية ، لا يسلّم بها بطلب المانيا ان تزيد سلاحها ، ولكنها تمهّد السبيل لتحقيق مبدأ المساواة الذي تصرّ عليهِ المانيا، مع ابقاء الباب مفتوحاً لمفاوضات تالية ، ينظر فيها في بعض النقاط الاخرى التي في البيان الالماني . هذا هو البرنامج الذي عرضهُ السرجون سيمون على « لجنة تسيير المؤتمر » يوم ١٤ اكتوبر . ولما كان المستر نورمن دايفس معارضاً من البدء ، في تسلّح المانيا (كان رأيهُ ان ينقص سلاح الدول الاخرى رويداً رويداً حتى تتحقق المساواة) وافق على البيان الذي قدّمهُ السرجون سيمون ، وكذلك وافق عليه پول بونكور — وزير خارجية فرنسا — ورئيس الوفد الايطالي

في الساعة التي كان السرجون سيمون يلقي بيانه هذا على « لجنة تسيير المؤتمر » في جنيف كانت المانيا ، تستعدّ لاذاعة بيانها بخروجها من مؤتمر نزع السلاح وهجرها لجمعية الامم . والواقع ان الصحف العالمية التي صدرت يوم السبت في ١٤ اكتوبر ، نشرت في اعمدة متحاذية ، نبأ بيان السر جون سيمون ، ونبأ خروج المانيا من المؤتمر والجمعية

***

يتعذّر على من تتبع سير الحوادث ان يصدق ان بيان السرجون سيمون كان الباعث على خروج المانيا من المؤتمر فانهُ لم تمضِ الا دقائق معدودات على وصول نبأ الاجتماع الذي القى فيه السر جون سيمون بيانه الى برلين ، حتى اذاعت حكومة الريخ قرار انسحابها من المؤتمر . واذن يضطرّ الباحث ان يذهب الى ان المانيا ، كانت قد اقرّت الخطة التي جرت عليها ، قبل ذلك ، لانها رأت في المباحثات والمحادثات التمهيدية ، ان الدول لن تسلم بموقفها او بمطالبها جميعاً . والواقع ان البرقية الرسمية التي بعثت بها الحكومة الالمانية الى المؤتمر تعلنهُ بانسحابها ، مبنية على نظرة عامة لعمل المؤتمر ، وعجزهِ عن تحقيق غرضه . وان الدول المسلحة ترفض ان تنزع سلاحها ، وان مطالبة المانيا بالمساواة لن يسلّم بها

وليس لنا الا ان نتخيل ما وقع في المانيا قبل اتخاذها هذا القرار . ذلك ان تغييراً كان قد طرأ على موقف المانيا ، في بضعة الاسابيع السابقة لانسحابها من المؤتمر ، فتبدلت رغبتها في المفاوضة ومحاولتها ان تلتمس المعاذير التي تسوّغ لها الانسحاب منهُ . فما الباعث على ذلك ؟ لما ارسل الرئيس

لا بد أن يعقبهُ من النفور والامتعاض والاستياء ما يوغر الصدور ويبعث على تحين الفرص لاقتناص ما يسنح منها . وذهب آخرون الى ان بوانكاره كان مخلصاً في عقيدتهِ وانهُ بعد ما اكتوى قومه بنار الحرب صار ادرى من غيره بما يلزم للوقاية وحكم بان هذه الوقاية لا تستوفى الاَّ بتعزيز قوة فرنسا العسكرية والمضي في كبح جماح المانيا . وانقسم ساسة الانكليز في هذا الامر فكانوا فريقين

اما الفرنسيون فمعظمهم أيد بوانكاره ولاسيما بعد ما تجلَّت لهم مواهبهُ هذه في رآسة الوزارة. فقد عرفوه رئيساً للجمهورية تقضي عليهِ فروض منصبه بان يلتزم سبلاً معينة ينص عليها دستور البلاد وتقاليد الحكم فيها فلما انطلقت يده في الوزارة بدا وهو في سن الشيخوخة بما دلَّ على ما كمن في نفسهِ من قوة وحزم . وسواء أكان رعون بوانكاره مصيباً في سياستهِ الخارجية او مخطئاً فان فرنسا لا تنساه ولا تنسى ما بذل في خدمتها وما جنت شجاعته واقدامه وجرأته وشدة تمسكه بمبادئه ونظرياته ولو اتصف ساسة الدول بمثل جرأتهِ لاجتنب العالم كثيراً من مشكلاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية فان شر ما ابتلي بهِ اقطاب الدول في هذه الايام جنوح عن الصراحة واعراض عن صدق البيان اقتناصاً لاصوات الناخبين او مجاراة لتيارات الاحزاب

***

ولد في ٢٠ اغسطس سنة ١٨٦٠ وكان والده عالماً جليلاً ومتيورلوجيًّا شهيراً وتلقى علومه في جامعة باريس ودرس المحاماة وعين محرراً قضائيًّا لجريدة فولتير ثم استخدم في وزارة الزراعة وبعد سنة انتخب نائباً عن دائرة الموز واشتهر في مجلس النواب بسعة معارفه في الشؤون الاقتصادية وعين عضواً في لجان الميزانية فوزيراً للمعارف والفنون الجميلة في وزارة ديبوي الاولى في سنة ١٨٩٣ فوزيراً للمالية في وزارة ديبوي الثانية والثالثة سنة ١٨٩٤ الى سنة ١٨٩٥ وجدد تعيينه وزيراً للمعارف في وزارة ريبو ولكنه خرج من الوزارة في الوزارة الرديكالية التالية غير ان مشروع ضريبة الارث الذي اقترحته هذه الوزارة بني على اقتراحات سابقة لهُ . وانتخب وكيلاً لرآسة مجلس النواب في خريف سنة ١٨٩٥ وجدد انتخابه في السنتين التاليتين رغماً عن معارضة الرديكاليين الشديدة . ثم عين في سنة ١٩٠٦ وزيراً للمالية في وزارة ساريان ولكنه تخلى عن منصبه هذا الى المسيو كايو في السنة نفسها لما الف المسيو كليمنصو وزارته الاولى . وانصرف في خلال السنوات الخمس التالية الى ممارسة صناعة المحاماة علاوة على كونهِ عضواً فعالاً في مجلس الشيوخ. وفي سنة ١٩٠٩ انتخب عضواً في الاكاديمية الفرنسية . وفي اول سنة ١٩١٢ سقطت وزارة كايو وعهد اليه في تأليف الوزارة فتولى الرآسة ووزارة الخارجية وكانت وزارته ائتلافاً وطنيًّا وكان همه الاول اتباع سياسة خارجية مقررة. اما في الشؤون الداخلية فكان اصعب ما اعترضه مسألة الاصلاح الانتخابي . واما السياسة الخارجية فكانت الشغل الشاغل لبوانكاره في تلك الايام ففيها حدث حادث اغادير فكان هذا الحادث وسياسة

كايو السابقة مع المانيا من اهم الاسباب التي اقلقت خواطر الفرنسيين فبذل جهده لوضع سياسة خارجية مستقرة ومتصلة الحلقات. ومع انه حافظ على علاقات المجاملة مع المانيا انصرف جُلّ همهِ الى اثبات ان فرنسا لا تنفك عن الولاء والاخلاص لحلفائها وخصومها . وتمكن من عقد معاهدة مع المانيا في ٣ نوفمبر سنة ١٩١١ رسخت فرنسا بواسطتها قدمها في المغرب الاقصى

***

وحدث بعد ذلك حادثٌ كاد يوقع النفور بين فرنسا وايطاليا . فان ايطاليا كانت مشتبكة في سنة ١٩١٢ في الحرب مع تركيا فقبضت بعض البوارج الايطالية على باخرتين فرنسيتين كانتا في طريقهما الى تونس ولكن المسيو بوانكاره حال برزانته وحزمهِ دون وقوع هذا المحظور واعاد العلاقات بين البلادين الشقيقتين الى صفائهـا السابق . ومما يؤثر لهُ انهُ حاول جهده منع وقوع حرب البلقان الاولى وامتداد نارها الى اوربا ولكن موقف التهديد الذي وقفته المانيا والنمسا بعد ذلك دعاه لان يطلب من البرلمان زيادة الاسطول الفرنسي ثم عزز بمهارته وبعد نظرهِ الاتفاق مع بريطانيا العظمى فكانت نتيجة ذلك انه بات في وسع فرنسا ان تحشد اسطولها كله في البحر المتوسط

وانتخب في ١٧ يناير سنة ١٩١٤ رئيساً للجمهورية خلفاً للمسيو فاليير وكان اول ما سعى له توثيق علاقات فرنسا بحلفائها فانتقده خصومه في فرنسا والخارج على هـذه السياسة ولكنهُ لم يبال بنقدهم بل واصل مساعيه من هذا القبيل ونجح فيها نجاحاً باهراً فقد كان يرى ان خير وسيلة لاتقاء الحرب ان تقف الدول المهددة صفًّا واحداً في وجه الدول التي تهدد سلم اوربا

وفي يوليو سنة ١٩١٤ زار بطرسبرج ووثق عرى المحالفة مع روسيا وبينما هو عائد منها الى فرنسا فوجىء في طريقه بخبر البلاغ النهائي الذي أرسلته النمسا الى سربيا فعجل بالعودة الى باريس وحين وصوله اليها ارسل كتاباً الى الملك جورج الخامس طلب فيه ان تذيع بريطانيا العظمى بياناً صريحاً بأن الاتفاق الودي سيبرهن على متانته في ساحة الحرب اذا اقتضى الامر ذلك. وحجته في مثل هذا البيان هو انهُ يكبح سياسة برلين وفينا ويرد ساستها الى الصواب

وخدم بلاده في اثناء الحرب بكل غيرة وحمية حتى انهُ تناسى احقاده السابقة وما زال يسعى حتى عهد الى المسيو كلمنصو خصمه في رآسة الوزارة وكانت ثقته تامة بالفوز النهائي ولم يخامره شك ما في جميع مراحل الحرب وتقلباتها . ولكن الخلاف عاد فدبَّ بينه وبين المسيو كليمنصو في اثناء عقد معاهدة السلم وتجددت خصومتهما القديمة حتى اصبحت اشبه بالعداوة

وانتهت رآسة المسيو بوانكاره للجمهورية في سنة ١٩٢٠ اي بعد سبع سنوات خدم فيها فرنسا اصدق خدمة وبعد اعتزاله للرآسة انتخب عضواً في مجلس الشيوخ عن مقاطعة الموز

وفي يناير سنة ١٩٢٢ سقطت وزارة بريان فألف صاحب الترجمة وزارته الاولى بعد الحرب وتقلد

ريمون بوانكاره
Raymond Poincaré

مقتطف نوفمبر امام ص ٣٤٥

رآسة الوزارة ووزارة الخارجية وكان من اهم ما سعى الى تحقيقهِ في هذه المرة اكراه ألمانيا على الوفاء بعهودها من جهة التعويض وانقضت السنة الاولى من وزارته من غير ان يوفق الى الاتفاق مع بريطانيا العظمى في هذا الصدد لتباين آراء رجال الحكومتين . وعقد مؤتمر الحلفاء في لندن في اغسطس ودسمبر سنة ١٩٢٢ ومن غير ان يصل الى نتيجة ما وعقد مؤتمر آخر في باريس في ٢ و ٥ يناير ولكن المسيو بوانكاره رفض الاقتراحات التي عرضها المسيو بونار لو

وفي خلال ذلك قررت لجنة التعويض ما عدا المندوب البريطاني ان المانيا قصرت في القيام بالتزاماتها فيما يتعلق بتسليم الفحم والكوك فاتفق المسيو بوانكاره مع البلجيك على احتلال الرور وكان الغرض الاول من هذا الاحتلال ان يكون وسيلة للمراقبة ولكن لما اشتدت مقاومة الالمان السلمية اقتضى الحال ان يضع الفرنسيون والبلجيكيون يدهم على سكة الحديد ويشغلوها وجعلت مناجم الفحم والحديد ايضاً تحت اشراف فرنسي وبريطاني . وانتهت المقاومة السلمية في الخريف وانتظر بوانكاره ان يعرض الالمان اقتراحاتهم في مسألة التعويض فلم يفعلوا وحينئذ عمل بما اقترحته اميركا وهو ان يعهد الى جماعة من الخبراء في تدبير حل لمشكلة التعويض فأفضى بحثهم الى وضع مشروع داوز غير ان بوانكاره عقد العزم على ان لا يجلو عن الرور الا بعد ان يرتاح الى حسن سير هذا المشروع في مراحل تنفيذه الاولى على الاقل

وواجهتهُ في الاشهر الثلاثة الاولى من سنة ١٩٢٤ ازمة مالية نشأت من اختلال الميزانية وسير سعر القطع ولقي صعاباً جمة في حمل البرلمان على الموافقة على فرض ضرائب جديدة فتمكن بهذه الوسيلة وبما ابداه من الحزم واصالة الرأي من اصلاح الحالة وتفريج الازمة ولكن المعارضة اشتدت عليهِ بعد ذلك من جانب الراديكاليين والاشتراكيين وجرت الانتخابات العمومية في مايو ١٩٢٤ ففاز هذان الحزبان بعد ائتلافهما بالاكثرية ولما اعلنت نتيجة الانتخاب قال بوانكاره انهُ يستقيل في اليوم الذي يجتمع فيهِ المجلس الجديد وقد استقال فعلاً في اول يونيو من تلك السنة

وعاد الى مجلس الشيوخ ولم يشترك بعد ذلك في المناقشات السياسية الا غراراً ولكن البلاد وقعت في صيف سنة ١٩٢٦ في ازمة مالية اقامت الشعب الفرنسي واقعدتهُ وعجزت الوزارات التي تعاقبت عن درء خطر هذه الازمة فزادت الحالة ارتباكاً وتعقداً والتفتت الامة الفرنسية حولها علها تجد من ينقذها من هذه الورطة فلم ترَ سوى بوانكاره وبعد سقوط وزارة بريان وكايو التي عاشت اسابيع معدودة وسقوط وزارة هريو التي لم تعمر سوى بضع ساعات دعا رئيس الجمهورية المسيو بوانكاره لتأليف الوزارة فألفها في يوليو من تلك السنة من الجمهوريين والراديكاليين والاشتراكيين وكان اهم اغراضها تثبيت المالية الفرنسية وتوطيد دعائمها بالسير على خطة وطنية موحدة فاطمأن الرأي العام الى هذه الخطة وخفّ ما استحوذ عليهِ من الذعر كثيراً . وفي اغسطس دعت الوزارة الجمعية العمومية الوطنية للانعقاد في فرساي للموافقة على مواد بانشاء مال استهلاك يعمل من تلقاء

نفسه وتخصص له الايرادات من رسوم الارث واحتكار الدخان وغيرها من الايرادات وادماج تلك المواد في صلب الدستور حتى لا تكون عرضة للتغيرات السياسية وتضارب آراء الاحزاب

وفي أقل من ثلاثة أشهر وفق الى رفع سعر الفرنك من ٢٦٤ فرنكاً للجنيه الاسترليني الذهب الى ١٢٤ وقد تمكن من تقرير السعر الاخير في دسمبر سنة ١٩٢٦ وظلّ هذا السعر ثابتاً لم يتغير

وقضى بوانكاره سنة ونصف سنة وهو يواصل المساعي ويبذل الجهود حتى أعاد الموازنة الدقيقة الى الميزانية الفرنسية فتيسر للحكومة المحافظة على سعر الفرنك في حد الرقم الآنف الذكر (١٢٤ فرنكاً للجنيه) ان لم يكن رسميًّا فواقعيًّا

وجرت الانتخابات العمومية في ابريل سنة ١٩٢٨ فكانت اكثرية النواب راضية عن سياسته وفي يونيو من تلك السنة وافق المجلس الجديد ومجلس الشيوخ على قانون بتثبيت الفرنك رسميًّا بسعر ١٢٤ فرنكاً للجنيه الاسترليني فانتهت بذلك ازمة الفرنك وكان نجاح بوانكاره في انهائها أبهر عمل سجل في التاريخ عن سياسة النقد

غير ان الائتلاف بين الجمهوريين من جهة والراديكاليين والاشتراكيين من جهة اخرى لم يعمر طويلاً فانسحب الحزبان الاخيران بمساعي كايو من الصفوف المؤيدة للوزارة وانضما الى صفوف المعارضة لها فخذلت في ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٨ ولكن بوانكاره عاد فألف وزارة جديدة في ١٢ منه ولكنها لم تعمر طويلاً . وفي سنة ١٩٣٢ وافق البرلمان الفرنسي على قانون « تقدير الوطن » وهو يقضي بمنح كل رئيس جمهورية سابق يرى مجلس النواب انهُ يستحق تقدير الوطن معاشاً سنويًّا قدره مائتا الف فرنك وقرر في الوقت عينه ان من الرؤساء السابقين الذين يستحقون هذا التقدير المسيو بوانكاره

واعتزل المسيو بوانكاره السياسة ولكنه لم يكن يقعد عما يراه مجحفاً بمصلحة فرنسا بل كان يفاوض رئيس الجمهورية ورجال الوزارة في مثل هذه الامور ويرشدهم الى مواطن الخطأ او الضعف ولاسيما في السياسة الخارجية . وأصيب في السنوات الاخيرة بمرض اقعده عن العمل الا عن التأليف

وللمسيو بوانكاره غير مقالاته الكثيرة في الموضوعات القانونية والسياسية والادبية مؤلفات أخرى اشهرها كتابه « في خدمة فرنسا — مذكرات تسع سنوات » وهو يقع في عشرة مجلدات تضمنت وصف سير الحوادث التي كان له نصيب فيها بين سنة ١٩١١ وسنة ١٩٢٠

***

ومما يؤثر عن اسرة بوانكاره انها انجبت نخبة من رجال العلم والفضل كان في مقدمتهم المرحوم جول هنري بوانكاره ابن عم صاحب الترجمة فقد كان من اكبر علماء الرياضيات الذين عرفوا في جميع العصور ومعدوداً في منزلة نيوتن في بحوثهِ الرياضية والطبيعية

نفسية شعب اليابان

[ترقب اميركا شؤون الشرق الاقصى بشيء كثير من العناية والقلق ثم هي لا تني عن تأكيد موقفها هناك وهو انها لا تعترف بمعاهدة او حالة راهنة تمت بوسائل مناقضة لروح عهدة كلوج بريان — عهدة باريس التي تحرم الحرب — وقد شرعت من عهد قريب في تجديد اسطولها ، حتى يصبح في المكانة التي تسمح لها به المعاهدات البحرية . فاليابان ازاء ذلك قلقة ، متحدية ، متحيرة ، فما هو موقف الشعب الياباني نحو اميركا ماذا يظنون فيها من الظنون وما يخشونه منها]

جة ❁ ان ياباني اليوم يعيش عيشة مزدوجة ، فقدمٌ في الحياة اليابانية القديمة
ياة الآباء والاجداد المنحصرة ضمن نطاق ضيق من المطامح والمصالح ، وقدم
رن العشرين ، حياة السياحة ، والانباء البرقية ، والصناعة الآلية ، والتجارة
اد الرأسمالي الذي ينزع الى البسطة والتوسع

في متناول يدك لوزارة يابانية ، تتبين فيها صحة ما نقول . انك ترى فيها طائفة
الامبراطورية في ملابس على احدث الازياء الرسمية الشائعة في اوربا واميركا ،
ى في ملابس اجدادهم الاقدمين . فالجنرال اراكي وزير الحربية اليابانية سابقاً
كري او زعيم الروح العسكرية فيها ، يرتدي اللباس العسكري المصنوع من قماش
كتبه ، فاذا فاجأه احد الصحافيين او المصورين ، في داره ، رأوا ان اللباس
، وحلت محله الملابس الواسعة المتدلية ، الزاهية الالوان ، التي تراها في الصور

رجال الدولة وزعماء الامبراطورية من هذا القبيل يصح كذلك ، على شؤون
رة والتافهة . ففي الدار اليابانية اليوم جناح من الغرف الاجنبية — قد يكون
ة او بضع غرف — يحتوي على موائد وكراسي وطنافس ، كما تراها في نيويورك
بقية البيت يابانية محضة فأرض الغرف مغطاة بحصر ذهبية اللون ، لا تحدث
يها ثم هي خالية من الاثاث ، الا من موقد وطبق وبضع وسائد

المال والتجارة والعمل . فانهُ يقضي نهاره في مكتبه على كرسي دوّار ، بين الآلات
ت ، والفتيات المختزلات ، وقد يتناول طعام الغداء في نادٍ فخم ، ويستريح قليلاً
خطبة لاسلكية في موضوع يهمه ، ولكن اذا انقضى عمل النهار عاد الى داره
خشبي فيه الماء الساخن ، والبخار يعقد فوقه غيوماً كالحمام التركي ، ثم هو يرتدي
لفضفاضة ، ويأكل طعاماً يابانياً وهو جالس على الارض الى مائدة لا تعلو اكثر من
طحها . اما بناته اللواتي قضين النهار في مدارسهن او اعمالهن مرتديات الملابس الرسمية

فيحطن به مساء في «كيمونانهن» الفضفاضة الزاهية، يهزجن ويضحكن وهن يفحن شذا الشباب

فالياباني عند ما يعود من مكتبهِ الى دارهِ ، كأنهُ ارجع عقرب الساعة التاريخية ، مائة سنة الى الوراء ، ارتد من الحضارة المادية التي اخذ بها — ولكنه لا يجد فيها راحته — الى حضارة لم يبقَ منها الاَّ بعض هذه الآثار التي يتمتع بها . ولكنه مع ذلك يتمتع بكل ما يستطيع ان يتمتع بهِ ، فالصحيفة التي قرأ فيها صباحاً اسعار بورصات العالم، يقرأ فيها مساء قصة من عهد الفروسية اليابانية القديمة ، فاذا خرج بأفراد الاسرة الى دور السينما ، وجد أمامه في ناحية أفلام هوليوود أو أفلام اليابان الجديدة التي تقتفي أثر هوليوود ، وفي ناحية أخرى الروايات القديمة حيث لاتدخل البواعث الجنسية على حياة قائمة في صميمها على الاخلاص والامانة . ان الروايات التي من هذا القبيل في اليابان تفوق الروايات الاخرى جميعاً مرتين على الاقل

﴿ الجذب والدفع ﴾ هذه الثنائية او هذا الازدواج في حياة الياباني، حيث يمتزج تياران مختلفان كل الاختلاف، يتمشى في مختلف نواحي الحياة اليابانية ، وتستطيع ان تتبينه ، في موقف اليابان نحو اميركا . قال الكاتب — هيو بياس ونظنه يابانيًّا تعلم في اميركا ويكاتب الصحف الكبرى وعليهِ نعتمد — انهُ كان ماشياً في طوكيو في ليلة من ليالي الخريف ، فسمع اصوات شبان وشابات يتكلمون الانكليزية بغنة اميركية فالتفت دهشاً فألقى بنظره على المطعم المنير ، حيث الصوت الذي استرعاه ، فوجد نحو ستين او سبعين من الشبان والشابات ، جلوساً في غرفة ، وقد أزيل من وسطها كل أثاث توطئة للرقص وكانوا جميعهم يابانيين

كان هذا الجمع ، من اليابانيين المولودين في اميركا او الذين تلقوا علومهم هناك ، ثم عادوا الى وطنهم ، فلما حدثهم الكاتب ، قالوا له ان الآراء الشائعة في الاوساط اليابانية عن الحياة الاميركية مستمدة من مشاهدة الافلام الاميركية ، وهذه لا تمثل الحياة الاميركية الصحيحة ، او هي تمثلها تمثيلاً مشوَّهاً كل التشويه . والطريقة الوحدة لتصحيح هذه الآراء ، هو تدبير سهرة بريئة على الطريقة الاميركية لكي يفهم اليانيون ما يقصد «باللهو» Good Time في اميركا ، فالذين يريدون ان يفهموا اميركا على صحتها ، ليشرفوا سهرتنا

والغريب الذي يبعث على الدهشة ، انهُ في المدة التي كان هؤلاء الشبان يسعون هذا السعي الصالح ، كان في اليابان توجّس شديد من اميركا ، بل ان السياح الاميركيين كانوا يرون عقبات كبيرة في سياحتهم في اليابان ، لان اليابانيين كانوا يظنون كل سائح اميركي جاسوساً يحمل في طيات أثوابهِ الوسائل التي تستبيح أسرار اليابان الحربية . ويقال ان جماعة من السياح ، كانوا يطوفون منطقة جبلية ، فكان البوليس يعترضهم ثم يفرج عنهم ، فطلبوا اخيراً من ادارة البوليس ، ان يرافقهم أحد رجال البوليس ، من منطقة الى المنطقة التي تليها فيسلمهم للشرطي التالي ويقول له انهُ لا غبار عليهم فلا يعترض سبيلهم بعد ذلك

أمر غريب في القرن العشرين ! كان السياح يطلبون عون البوليس ضد قطاع الطرق في البلدان التي فقد فيها الامن . اما في اليابان ، في تلك الفترة ، فاضطرّت هذه الطائفة من السياح الاميركيين ان تطلب معونة البوليس ، للحماية من البوليس ! !

وأغرب من ذلك القصة التالية : ذلك ان لاحد بنوك نيويورك مكاتب في اليابان . وهذا البنك طلب الى فرعه في اوساكا ان يجمع له بضع صور فتوغرافية لاهم مباني اوساكا كي يستعملها في مجموعة تبين سعة نطاق الاعمال المالية التي يقوم بها البنك . فاستدعى المدير مصوراً يابانياً وطلب منه ان يصور له بناية المحافظة والبورصة وغرفة التجارة وغيرها ، فرأى أحد رجال البوليس المصور وظنّ ان هذه الصور سوف يستعملها سلاح الجو الاميركي ، اذ يهاجم اليابان ويحاول ان يلقي القنابل على اوساكا فقبض عليهِ وحقق معهُ . ولما كان المصور في حدود القانون ، أُخلي سبيله ، ولكن القصة تسربت الى الصحف فهوّل بها ، وهي بنفسها تبين لك ناحية من نفسية اليابان في موقفها نحو اميركا

***

ان التوجس من التجسس امر طبيعي في بلاد كاليابان . فموظفو الحكومة يراقبون للتثبت من أنهم يقومون بأعباء مناصبهم ، والرعية تراقب للتثبت من ان افرادها لا يأتمرون بالحكومة . فاذا جاء اجنبي للسكن في اليابان ، زاره رجل من رجال البوليس فيدون اسمه وجنسه وعمره ومسقط رأسه ورعيته واسماء والديه ووالدي زوجته وفي كل شهر يعود رجل البوليس ولو أقام الاجنبي عشرين سنة في اليابان لكي يتأكد من صحة المعلومات التي دونها ، ولكنهُ في زياراته التالية لا يقلق الاجنبي بأسئلته بل يكتفي بسؤال الخادم

أما الذين تطول اقامتهم ، فيتعودون مجيء رجال الشرطة لسؤالهم عن اسمائهم واعمارهم ورعويتهم ومن أين قدموا والى أين هم ذاهبون ، فيردون عليهم بمثل الادب الذي توجه بهِ الأسئلة اليهم ، ويمضون في طريقهم

واما الذين يكونون حديثي العهد بالاقامة في اليابان ، فيحنقهم مثل هذا التصرُّف ، واذا كانوا اميركيين اعتبروه اهانة موجَّهة الى كرامة دولتهم . فاذا أساء احد الموظفين الصغار ، لجهل بلغة الاميركيين ، جهلَ الاميركيين بلغة اليابان ، جعلت الحبة قبة ، وذهب الاميركي الذي يعتبر نفسه قد أهين ، لا يحمل لليابانيين الأ الحفيظة والأ الضغينة

وقد يكون توجس اليابانيين من التجسس ، واشتدادهم في الاقتصاص من الذي ثبتت عليهم التهمة ، او في معاملتهم المشبوهين حتى تثبت براءتهم باعثاً على جفاء الصلات بين اليابان واميركا . في مثل هذه الحال يخطر لبعض الموظفين او الزعماء ، ان اميركا تبغي التجسس على اليابان وهو لايدري ان المرسل او السائح العادي المتجول المتفرج يندر ان يتمكَّن من جمع الحقائق الحربية في خلال تجوله

ولكن الظاهر ، انهُ اذا أصيبت أمة بداء « التوجس من التجسس » فقدت بو-
السليم ، وحكمها الصائب

اما الاميركيون في اليابان فيصابون بداء يختلف عن داء « التوجس من التج
يصاب بهِ اليابانيون . فخوف اليابانيين من تجسس الاميركيين عليهم دائم ، ولك
يفطنون اليه في بعض الاحيان فجأة كأنهم كشفوا شيئاً جديداً خطيراً ، فيروحون يرو
عما أصابهم وأصاب أصدقاءَهم منهُ ، ويتخذون من ذلك دليلاً على ان اليابانيين يمقتون
فاذا صدقوا ما يقولون ، فليس أسهل عليهم من ان يعتقدوا ان الحكومة اليابانية م
كله ، وانها هي التي تدفع رجال البوليس ليعترضوا سبيل السياح الاميركيين . فيحاو
الرأي العام على موقف اليابان وسياسة اليابان وعلاقة الحكومة الاميركية باليابان

﴿ لمحة تاريخية ﴾ ظلت علاقات اليابان بأميركا خلال ثلاثين سنة ، بعد ما دخل
بيري الاميركي في اواسط القرن التاسع عشر ، متصلة بأميركا صلة يفوح منها عطر الص
ان تلك السنوات تركت في نفوس شبان ذلك العصر — وقد اصبحوا كهولاً وشيوخاً الا
عميقاً بأن اميركا دولة تسعى الى الغايات والمثل العليا . لذلك كان الاخلاص قوي الصا
والاميركيين . وهذه الصورة الراسخة في أذهان الكهول والشيوخ عامل فعال في ت
اذ تتعقد بينهما ؛ في عصر خرجت فيهِ اليابان من طور الشباب والتتلمذ لأميركا و
قوية لها مطامع الدول القوية ومصالحها

وقد كتب الرئيس فرنكلن روزفلت ، من بضع سنوات مقالاً أثبت فيه ان تغير
نحو اميركا يرجع الى حين احتلت اميركا جزائر الفلبيين . عندئذ بدأت الدوائر الحربي
اميركا تتحدث في موضوع الدفاع عن هذه الجزائر ، والوسائل لذلك الدفاع ، حالة
رأت أمة غربية تقتحم جيرتها الجنوبية ، استعملت هذا الاقتحام في الدعاية لزيادة أ

على ان الغرض من استعداد اليابان الحربي والبحري حينئذٍ لم يكن اميركا ، بل
نشبت الحرب بينهما في مطلع هذا القرن كان موقف الرئيس تيودور روزفلت ، مو
اليابان حينئذٍ

فلما وقعت الحكومة الصينية ، معاهدة سنة ١٩١٥[1] التي اجابت بها مطالب الي
اعلنت حكومة الرئيس ولسن ، انها لا تعترف بأي تغيير ، تحدثه المعاهدة يضر ؛
فلما حاول الرئيس ولسن ، في مؤتمر الصلح ، ان يخرج اليابان من شانتنغ (وهي منـ
كانت ملك المانيا قبل الحرب ، وانتزعتها منها اليابان خلال الحرب ، ولها شأن تجاري

(١) معاهدة عقدت بين اليابان والصين بعد انذار نهائي من جانب الاولى ، سلمت الصين بمط
٢١ مطلبا من شأنها تثبيت قدم اليابان على البر الصيني

روزفلت رسالته المشهورة الى المؤتمر الاقتصادي العالمي في ٣ يوليو ١٩٣٣ ، وصدم بها المؤتمر قال بعضهم ان هذه الرسالة تنبئ بتحولٍ او انقلاب في سياسة الرئيس . والراجح انها لم تنبئ بذلك على الاطلاق . ذلك ان الرئيس ، عبر في رسالتهِ عن النتائج الدولية ، للخطط القومية التي يسير عليها في بلادهِ . وما فعله الرئيس ، هو ما فعلتهُ المانيا في اكتوبر ، على ما نظن ، لو هما من قبيل واحد

كان الحزب الاشتراكي الوطني ، وحكومة هتلر ، قد بنوا نداءهم الى الشعب الالماني ، على وعدهم ببذل كل ما يبذل لانقاذ الشعب الالماني من اعباء معاهدة فرساي ، واستعادة مكانة المانيا بين الامم ، فتصير هي وغيرها سواءً بسواءٍ . وليس بعيداً عن المعقول ، ان هتلر رأى ، ان عقد اتفاق لنزع السلاح ، لا بدَّ ان يعني بقاء المانيا ، في حالتها الراهنة السياسية والجغرافية مدة ذلك الاتفاق ولو سلّم لالمانيا ببعض التبديل في جيشها وسلاحها . وعقد اتفاق من هذا القبيل يسلب المانيا السلاح الذي تكافح بهِ في سبيل احداث التغيير الذي تطلبه — وهو سلاح التهديد بالتسلح . وقد رأت المانيا انهُ ليس من الحكمة ، التخلي عن هذا السلاح القوي الذي بيدها ، لقاء نقص يسير في سلاح الدول الاخرى وزيادة يسيرة في سلاحها . فاذا سلمنا بصحة هذا الرأي فالراجح ان ما قاله السر جون سيمون في جنيف يوم ١٤ اكتوبر لا قدَّم ولا أخَّر في موقف المانيا وقرارها

***

ان خروج المانيا من مؤتمر نزع السلاح وجمعية الامم يشير الى نقمتها على معاهدة فرساي ، ويعني رفضها ان تفاوض في جنيف مندوبي خمسين امة ، في مسائل ترى انها تهمها وتهم جاراتها بوجه خاص ، وهي مسائل لا يمكن حلّها الا بالمفاوضة في دائرة خاصة من الدول التي يعنيها هذا الامر

ومن العبث ان نحاول توزيع اللوم على هذه النتيجة التي وصلت اليها مفاوضات نزع السلاح . فلو ان البيان الذي اعدّهُ السر جون سيمون بعد مفاوضات طويلة ، والقاه في جنيف في ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٣ اعدَّ قبل ذلك ، وقدم الى الحكومة الالمانية التي يرأسها الدكتور بروينغ ، لكانت المانيا قبلتهُ وحسبتهُ نصراً لها . ولو ان مؤتمر نزع السلاح وصل قبل سنتين الى النتائج التي وصل اليها في اكتوبر سنة ١٩٣٣ لكان تاريخ السنتين الاخيرتين في السياسة الاوربية غير ما هو . ولكن الذي وقع وقع ، ورجال السياسة ، في الغالب ، بطيئون متمهلون ، لا يماشون التحول السريع في سير الزمان

فاذا وقع المحذور ، دهش لهُ حتى اكثر الناس اتصالاً بسير الامور . ان معاهدة فرساي زرعت بزور الخصام والمرارة في اوربا المتوسطة . ثم جاء التضخيم الماليّ في المانيا ، فقضى على الطبقة المتوسطة من الشعب ، التي تؤيد في الغالب النهج المعتدل . ولكن الثورة في المانيا جمعت زخمها اذ كانت فرنسا ، لا تزال مترددة في الخطة التي تنهجها ، فلما اشتدت الازمة العالمية ، استفحل الميل الى

الاميركيون ان ما يفعله ولسن ، انما هو حب بالانسانية وبمساعدة الصين على تحرير نفسها ولكنهُ كان في الواقع خدمة لمصالح التجارة الاميركية في الشرق الاقصى. اما اليابانيون فحسبوا ذلك تعدياً وتدخلاً في منطقة من الشؤون ترجح فيها مصالحهم على مصالح اميركا . فلما عقد مؤتمر وشنطن البحري ، وفاد المستر هيوز — وزير خارجية اميركا حينئذ — الى الموضوع واقنع اليابانيين بأخلاء شانتنغ والغاء معاهدتها مع انكلترا لقاء معاهدتين عقدتا بين الدول ذات الشأن على الاحتفاظ بوحدة الصين وسياسة الباب المفتوح ، ثبت لاميركا حق التدخل في شؤون الشرق الاقصى

***

اما في العهد الحديث فقد راقب اليابانيون ، باهتمام وحذر ، تدخل المستر ستمسن (وزير خارجية اميركا في عهد هوفر) في موضوع الخلاف على منشوريا . فالمستر ستمسن ، كان يدافع عن حرمة المعاهدات المعقودة ، والسلام العام . ولكن اليابانيين ، لشدة انشغالهم بمكافحة المظالم التي يشكون منها ، لم يروا ان اثبات حقوقهم ، في بلاد تجاورهم ولكنها عرضة للفوضى المستمرة ، من طبيعتهِ ان يقلق السلام العالمي . انهم لم يدركوا ، ان الاميركيين لا تهمهم منشوريا ، بقدر ما يهمهم تنظيم السلام العام في الشرق الاقصى حتى تبقى سبل التجارة ميسّرة فيهِ . فخطة وزارة الخارجية الاميركية ، كانت من قبيل التدخل في شؤون الشرق الاقصى ، الذي ايده المستر هيوز ، بمعاهدات ١٩٢٢ اذ أقنع اليابان بالخروج من شانتنغ وإلغاء معاهدتها مع انكلترا وهذا ما يرفضهُ الياباني الآن

ان جماعة الشبان والشابات اليابانيين الذين كانوا يحاولون أن ينشئوا برفضهم حلقة بين اميركا واليابان ، والحوادث التي قبض فيها على اميركيين بتهمة التجسس ، يمثلان قوتي الجذب والدفع بين اميركا واليابان ، فحيث تتوافر المعرفة الشخصية تعقد اواصر الصداقة والثقة والعطف . اما حيث تقتصر العلاقة على الاعمال الرسمية وخطب رجال السياسة في المواقف العامة ، وجهل صغار الموظفين وتسرع الصحف تجد التوجس والحذر والريب

﴿ الحرب والاشاعات ﴾ في ظل هذا التوتر في الصلات الاميركية اليابانية ، بدأ الهمس بحرب تقع في المحيط الهادىء . ثم ارتفع الهمس اذ اقدمت اميركا على زيادة اسطولها حتى يصبح حيث تسمح لها به المعاهدات البحرية المعقودة . هنا يتمهد الميدان لاصحاب « العلم اليقين » من مروجي الاشاعات . قال المستر هيوبياس انهُ قبيل كتابة مقالهِ ، جاءهُ اميركي سأله هل صحيح ما يقال في هنولولو (عاصمة جزائر هواي وهي جزائر تابعة لاميركا في وسط المحيط الهادي) من ان اليابان تستعد لغزو هذه الجزائر . وان هذه الغزوة سوف تكون المرحلة الاولى في حرب اليابان مع اميركا . وقال كذلك انهُ قيل له ان اميركا محتفظة بأسطولها على قدم الاستعداد للنزال في المحيط الهادي استعداداً للطوارىء وان ٢٧ الفاً من الجيش سوف يضمون قريباً الى حامية الجزائر

وما يقال في الناحية الاميركية يقال في الناحية اليابانية ، فقد زار احد الاميركيين اليابان حديثاً وتعرّف الى اعلى طبقاتها الاجتماعية ، فلاحظ ان كل حديث مع كل ياباني كان يدور حول السؤال الآتي : « هل تقصد اميركا ان تحارب »

ان اليابانيين يسألون، لماذا تريد اميركا أن تتدخل في شأن منشوريا ، وهي التي فصلت في مشكلتي كوبا وبناما بالقوة المسلحة . فاذا اجيبوا بان حل المشكلتين الكوبية والبنامية بالقوة تمّ قبل عهدة كلوج ، وان حل مشكلة منشوريا بالقوة تمّ بعدها ، قلب الياباني شفته ولم يزد . ولسان حاله يقول : « لماذا لا تتركوننا وشأننا . اننا لا نتدخل في شؤونكم في اميركا . فلماذا تريدون أن تتدخلوا في شؤوننا في منشوريا »

﴿ حيرة الياباني ﴾ لذلك ترى الياباني متحيراً ، لان الامة التي كان لها اكبر وأوسع نفوذ ثقافي في ترقية بلاده ، هي البلاد التي تتصدى له وتقف في وجهه إذ يحاول ان يوسع ملكه الضيق . ان البلاد التي يعجب بها كل الاعجاب ، ويحسب وسائلها واساليبها آخر وأرقى ما أبدعهُ الانسان ، هي البلاد، التي يخشاها اكثر من جميع البلدان . ويزيد هذه الحيرة أثراً في النفس ان الامة التي تقف في سبيله ، هي اغنى امة على وجه الارض ، غنىً فعليًّا ، وغنىً كامناً ، وان بلاده ، هي بالنسبة الى كثرة سكانها ، وجفاء ارضها ، أفقر الامم

لذلك يجب ان تذكر المصاعب التي تواجهها اليابان، إذ تعدّد اخطاؤها

ولكن اذا كانت اليابان قد اتخذت خطة خطيرة ولم تحسب حساباً لاحد — اي مغامرتها في منشوريا — فيجب ان نذكر ، ان اليابان كانت قد بلغت في حراجة موقفها الاقتصادي حد اليأس. ان حالة الصين— بلاد سكانها نحو ٤٠٠ مليون نسمة—المضطربة تثير المخاوف . ماذا تفعل اميركا ، لو كانت الصين مكان كندا ؟ او لو كانت كندا كالصين ، قلقة مضطربة ، فيها بذور الفوضى والثورة والانقلاب ، كالمارد لا تعرف ما تكون الخطوة التالية التي تتخذها

***

لا ريب ان في خطة اليابان خطراً على السلام في الشرق الاقصى ، ولكن اليابانيين يحيّرهم ، ان المصاعب التي يواجهونها، لم تدرس بعطف ، وان الاعمال الجليلة التي اتموها، لم تقدر التقدير الجدير بها . انهم يرون انفسهم بلاداً، تحترم الملك الخاص ، والامن العام ، وتنفيذ القانون ، وتحمي الحرية الفردية ، وتؤيد التعليم العام ، ودستورها مبني على اصول برلمانية ، أي انها تحترم المبادىء الاساسية التي تحترمها اميركا . ثم هي ترى نفسها العنصر الوحيد المستقر في قارة ضربت فيها الفوضى — فيدهشها ويؤسفها ان لا تحسبها أميركا الاّ « الولد الشقي » الذي يجب ان ينهر او ان يؤدب

حديقة المقتطف

جنة العاملين

لطاغور : نقلها محمود محمد شاكر

القارىء يناجي شاعره

من قبرة شلي

نقلها نظماً علي محمود طه

ندامة بعد الموت

نشيد الى الشرق

قصيدة فرنسية للآنسة مي : نقلها جورج نيقولاوس

نقلها محمود محمد شاكر

١ – جنة العاملين

لرابندرانات طاغور

كان صاحبنا لا يدين ابداً بثمرات العمل ؛ فطفق ينغمس في بدواتٍ من جنونهِ اذ لم يرَ عملاً نافعاً يعمله ... واخذ نفسه بعمل الدُّمى الصغيرة في صور رجال ونساءٍ وقلاع ، واخرى من أواني الفخار مرصعة بأصداف البحر ، وكان حيناً يصوّر بألوانهِ ما شاء ، وبذلك اضاع ايامه فيما لا يجدي ولا ينفع . وقد أثار الناس حتى سخروا منهُ . فكان يعقد العزم وينذر على نفسه ان ينفضَ من رأسهِ هذه البدواتِ المخبولة ولكن هذه البدواتِ ما كانت لتدعهُ وما إن تزال متعلقة بهِ

ان بعض الصغار لا يقرأ من كتبه شيئاً ولكنهُ مع ذلك يجتاز الامتحان وكذلك كان أمر صاحبنا فانهُ أنفق عمره على الارض فيما لايجدي وحين فاضت روحهُ فتِّحت لهُ أبواب السموات . ولكن القدر يجري حتى في السموات ، فقد حدث ما حدث فان الروحَ الذي وكِّل بهِ اخطأ القصدَ وانزلهُ في « جنة العاملين »

وانك لتجد في هذه الجنة كلَّ ما تتوهمهُ الا الفراغ ، فهناك يقول الرجال «ربَّنا ما لنا من ساعةٍ نستريح اليها » وثَمَّ النساء يقلنَ « الوحَى الوحى . يا أحبابنا — فان الزمن يطير » والجميع يقولون « الزمن غالٍ ثمين » « ان أيدينا لا تخلص ساعةً من اعمالها ، وإنا لنستفيد من كل دقيقة بالعمل » ثم يتنفسون الصعداء ، وقد كانت هذه الكلمات نفسها تشعرهم اللذّة والسعادة

ولكن هـذا الواغل — الذي صرف كل حياتهِ على الأرض خليًّا لا عمل لهُ — كان شذوذاً في اسلوب الحياة في « جنة العاملين » فتقاذفته الطرق هائماً مذهوباً بعقله يصطدم بالرجال الدائبين على عجل ، وكان حيناً يلقي ببدنهِ على نبات الارض فيسلقهُ الزارعون بألسنة حداد اذ كان أبداً لَقىً في طريق غيره

وثَمَّ كانت تمرُّ فتاة يجري بها الدؤوب ويستفزُّها النشاط— لتملأ ابريقها من مندفع سيل (وقور صامت) — سيل صامت وان السيل في «جنة العاملين» ليأبى ان تضيع اسباب نشاطه في التصويت والطرب

وكانت خطوات الفتاة على الطريق أشبه شيء بالحركة السريعة من بنانٍ ماهر بارع على اوتار قيثار ، وكان شعرها مرسلاً في غير عناية وترى خصلات منه يفيِّئها النسيم على جبينها وكأنها تشرف على سحر نظرات عينيها

وكان هذا الفارغ الخليُّ واقفاً على النبع لا حراك بهِ . وكما ترى الملكة من خلال

النافذة سائلاً منبوذاً فتأخذها الرحمة فكذلك رأت الفتاة الالهية هذا الخلي فأخذتها الرحمة . فسألتهُ : « ها . أما لك عملٌ بين يديك تعمله ! »

فأرسلها صاحبنا زفرة « عملٌ .... ! ما اجد من ساعة افرغ فيها للعمل »

فحارت الفتاة في معنى ما يقول ثم قالت « لئن احببت لأُهيئنَّ لك عملاً تعمله »

قال « يا ابنة السيل الصامت . هل لك ان ترمي اليَّ بابريق من اباريقك ؟ »

« ابريق ... ! اتودُّ ان تستقي من مجرى السيل »

« لا ..... بل أودُّ ان اصوّر على ابريق بعض التهاويل »

فبرمت به الفتاة وقالت . « ما اجدُ لي ساعة اضيعها مع مثلك ، لأَدَعنَّك » وتركته وسارت لطيتها . ولكن — كيف يعلو انسان عامل بالغلبة على من لا عمل له؟!

وجرى الزمن وهما يلتقيان في كل يوم وفي كل يوم يقول لها « يا ابنة السيل الصامت ارمي اليَّ بابريق من اباريقك لأُصور عليه بعض التهاويل » واخيراً لان له قلب الفتاة ، ورمت اليه بابريق

وبدأ صاحبنا يصوّر ، واخذ يمدُّ خطاً بعد خط ويضع لوناً الى لون فلما فرغ رفعت الفتاة بابريقها ومدت اليه عينين ملؤهما الحيرة والعجب وقوست الدهشة حاجبيها

ثم سألتهُ : « اي معنى ترمي اليه هذه الخطوط الكثيرة وهذه الالوان العديدة ثم ما الغرض منها ؟ » ثم حملت اباريقها وولّت ، وفي دارها — وقد بعدت عن العيون المتجسسة — رفعت ابريقها الى الضوء وادارته يمنة ويسرة تنظر الى الصورة من كل ناحية . وحين ارخى الليل سدوله قامت من مضجعها ، واشعلت نبراسها وحدجتهُ بالنظرات في صمت وحيرة . ولاوّل مرة في حياتها ترى ما لا معنى له ولا غرض منهُ

وفي اليوم التالي نهضت الفتاة الى عملها والعجل الذي كان يمدُّ خطواتها قد بدأ ينقص اذ ثارت في ذهنها الافكار التي لا غرض لها ولا معنى فيها

فلما بلغت موضع مسيل وجدت هذا الفارغ الخليَّ هناك فسألتهُ مغيظة محنقة « ويلك ايها الرجل ... بل ماذا ... ماذا تبتغي مني » ؟

« ما ابتغي شيئاً الاَّ عملاً اظفر به من يديك » « واي عمل تريد » !

« ذريني انسج لك عَصَباً ملوناً تعصبين بهِ شعرك ، ان بلغت بهذا رضاك »

« ولماذا ... ! ! » « لا لشيء »

وصنع لها العَصَبَ يزْهَرُ بألوانه ... وهنا اخذت الفتاة الدائبة في جنة العاملين تنفق اوقاتها كل يوم في وضع هذا العَصَبِ على شعرها ، وفرّت الساعات وراءها الساعات ضائعة مضيّعة ، وبقي عمل على عمل لم يتمّ . وبقيت الاعمال في جنة العاملين ناقصة

من ذلك الوقت ، واصاب الفتور كثيراً ممن كان قبل لا يمسّهُ نصبٌ ولا لغوب واضاعوا الساعات الغالية فيما لا ينفع كالتصوير وصنع التماثيل

فلق شيوخ الجنة ودعوا الناس اليهم وأجمعوا الرأي على ان هذا حدثٌ عجيبٌ لم يسبق له مثيل في تاريخ هذه الجنة . وبينا هم كذلك اذ اقبل الروح الذي وكّل بصاحبنا وانحنى للشيوخ اجلالاً وأقر بما فعل . «اني اتيتكم خطأً برجل تقع عليه وحده تبعات هذا الحدث»

فنودي به فدخل ورأى الشيوخ بزته العجيبة ، وآلات تصويره ، ولفائف صوره التي في يده ، فقرّ في أنفسهم ان ليس مثل هذا من رجال جنة العاملين فقال له الرئيس متجافياً مُغَلّظاً : «ليس هذا مكانك ايها الرجل ، فعليك ان ترحلَ عنا لساعتك »

فأرسلها صاحبنا زفرةً وجمع أَداته وآلته وهَمَّ وبينا هو على نوَى الرحيل اذ جاءت « ابنة السيل الصامت » من اقصى الجنة تسعى

« تَلَبَّثْ قليلاً ، فأنا أيضاً راحلة معك». فأخذ العجب كل مأخذٍ من الشيوخ فما جرَى يوماً ما في جنة العاملين حدث كهذا لا غرض له ولا معنى فيه

---

٢ — القارئ يناجي شاعره

لرتشرد لا غالين

ويحكَ ، ايها الشاعر ، اما ينتفض بك الحسُّ اذ تجدني اضم الى قلبي اقاريدك ، وان انت الاّ رِمّة وتراب ، وحين آوي بها مع الليل الى وسادي اقبلها قبل ان يعقد الكرى اجفاني ثم اصبّحها بقبلة على وجه الفجر الندي حين يستشرق من وراء الليل

ويحكَ ، أما اني لادع الشمس تفيض على صفحاتها من ضوئها الطهور ، واهبها لنسمات الفجر ترتاح بين اوراقها كما ترتاح بين اوراق الورد

واني لأحمل ديوانك بين يدي فأدسُّ وجهي في صفحاته كما دفنته بالأمس في فؤاد زهرة ندية .... كلاَّ بل فيما هو اعزُّ منها ومن فؤادها مكاناً وأشهى

تعلّمْ ايها الشاعر ، ان الوفاً من الورى يحبونك كحبي اياك

وان الحبيبات ليبلغ بك حبهنّ الى مكان هو فتنة المتمني

اسعيد انت ايها الشاعر ؟ وان من امانيَّ حيناً بعد حين ان احيي في مثل ما تحيي فيه من الصبة والاحدوثة ، ومن افراح قلبي ان اتغنى بمثل اغانيك ثم اسلم الروح

فيّني ، ايها الشاعر ، اما تمنحني مجدك هذا وعليَّ ان اردَّ على بواليك ميمة شبابي؟ باذلاً له حياتي وأيامي في ضوء الشمس لاظفر بواحدة من مثل اقاريدك الجميلة

الى طائر صداح

من « قبرة » الشاعر العبقري شلي

[نقل الشاعر علي محمود طه المهندس هذه القصيدة الخالدة مراعياً في النقل دقة التعبير عن معاني الاصل الانكليزي ومحافظاً على مقتضيات البيان الشعري العربي وجامعاً ما امكن بين الاثنين]

من أنتَ ؟! يا من يجوب الليل منفرداً ... ولم تقعْ لي عليهِ بعدُ عينانِ ؟
أيُّ الخليقة قل لي انت تشبهُ ؟؟ ... وايها منك في اوصافهِ داني ؟
وهذه السحب أصباغاً مشكلة ... في رائع من فريد اللون فتان
لا ينزل الغيثُ منها مثلما نزلتْ ... شتى اغانيك في سحريِّ ألحانِ

كشاعر في سماء الفكر مختبيء ... دلَّ الوجودَ عليهِ لحنهُ العالي
ألحانِ اغنية امسى يرتلها ... كمرسل من نشيد الخلد سيال
أسلَنَ بالعالم السالي خوالجهُ ... حتى استحال شجوناً قلبهُ السالي
بمثلَ من ألمٍ فيهِ ومن أمل ... ما لم يكن منهُ في يوم على بال

كأنَّ حوريةً في ظلِّ شاهقةٍ ... من البروجِ تقضي العيش في خلسِ
لم يُغمض النومُ عينيها ولا خمدَتْ ... نيرانُ قلب لها في خمة الغلسِ
باتتْ تلطف آلاماً تساورها ... في عزلةٍ — بنشيدٍ ساحرِ الجرسِ
تطوفُ الحانُ موسيقاهُ مخدعها ... كأنهُ الحبُّ في ايقاعهِ السَّلسِ

كأنَّ بين الرُّبا التفتْ خمائلُها ... فراشةٌ من سبيكِ التبر جلواء
يا حسنَ أجنحةٍ منها مذهبةٍ ... قد رقشتها من الاسحارِ انداء
تُري السماء صفاءً فهي ان خطرت ... فللسماءِ بهذا اللونِ اغراء
تجلو الازاهرَ والاعشابَ طلعتها ... اذا بدتْ ولها فيهن اخفاء

كزهرةِ الحقلِ في غيناء سرحتها ... لم يملأ النورُ منْ أجفانها حدقا
حتى اذا لفحتها الريحُ هاجرةً ... زكتْ وأربتْ على املودها ورقا
وأرّجَ الحقلَ من أنفاسها عبقٌ ... يشوقُ كلَّ جناحٍ نحوها خفقا
تهفو اليها من النسماتِ أجنحةٌ ... من كلِّ منطلقٍ من عطرِها سرقا

ووقع لحنك في الاسحار أرخم من وقع الندى فوق أعشاب البساتين
قد نقّط العشب المنضور سلسلهُ وجاد بالطلّ أفواف الرياحين
يا من على صوته في الافق منسجماً تصحو الازاهر في أفنانها الغين
كلّ البدائع مهما افتنّ مبدعها لم تعدُ لحنك في صوغ وتلحين

قل لي أمن ملكوت الروح منطلق؟! ام طائر انت في الآفاق هيمانُ؟!
اي الخواطر من حسنٍ ومن بهج يشيعها منك في الارواح وجدانُ؟!
لم تشرئبّ قلوبٌ من اضالعها لغير صوتك او تنصب آذانُ
حديث حب وخمر بات يسكبهُ من جانب الله انغام والحانُ!!

من أينَ تلك الاغاني أنت ترسلها؟! من أي مطردِ الينبوع منسجم؟!
من أي ثائرة الامواج زاخرة؟! وأي تلك المروج العذبة النسم؟!
من أي ضاحيةِ الآفاق صاحية؟! أي السهولة والاغوار والقمم؟!
وأي حبّ أليفٍ منك أو وطن!! وأي جهل لما نلقاهُ من ألمٍ؟!

وفي منامك والآفاقُ ساهمةٌ وفي انتباهك والظلماء إصغاء
لا بدّ من نبإٍ للموت تعرفهُ وفي ضميرك منهُ اليوم اشياء
لأنت اعمق رأياً في حقائقه مما نراهُ ونحن اليوم احياء
او لا؟ فكيف انسجام اللحن مضطرداً يجريه من رائق البلور لألاء؟!

انا نفكرُ في ماضٍ بلا اثرٍ ومقبل من حياةٍ كلها غيبُ
ومستحيلٍ نرجّي برقَ ديمتهِ وكلّ ما نرجيه منهُ مختلبُ
وكم لنا ضحكاتٌ غيرُ صادقة ما لم يشب صفوها التبريح والوصبُ
وإنّ أشهى الأغاني في مسامعنا ماسالَ وهو حزين اللحن مكتئبُ؟!

هبنا على رغم هذا ليس يجمعنا بالحقد أو كبرياء النفس أوهاقُ
فلا القلوب لدى البأساء جازعةٌ ولا بهنّ اذا روّعنَ إشفاقُ
واننا قد درجنا في خليقتنا بلا دموع تذرّبهن آماقُ
فكيف كنا إذاً نلقاكَ في صلةٍ؟! او يغمر الروح لحنٌ منك رقراقُ؟!

يا أعذبَ الطير موسيقى وأروعها من كلِّ رائق أنغام وألحانِ
ويا أعزَّ لنا من كلِّ ما جمعت نفائسُ الكتب من ذوي تبيانِ
ياما أحقَّ اقتداراً منكَ قدرتهُ بشاعر لبقِ التصوير فنانِ
أنت المبرَّأ في حبٍّ وعاطفةٍ يا من تعاليتَ عن أرضٍ وانسانِ

***

أما تُعلمني مما يفيضُ بهِ غناؤكَ العذبُ تطراباً وتحنانا ؟
ذاكَ الجنونُ الذي يهدي توافقهُ إليَّ من صدَحات الخلدِ ألحانا !
ألستَ تلهمني وحياً يفيض بهِ في فأملأُ قلبَ الكون إيمانا ؟
أشدو فيلقي إليَّ الكونُ مسمعهُ يصغي إليَّ كما أُصغي لك الآنا ؟؟

ندامة بعد الموت

لبودلير : عن الترجمة الانكليزية

عند ما ترقد يا طيف جمالي القاتم ، تحت تمثال من الرخام الاسود ، في كهف مخدعك الرطب ، وتحت قبو مغارة ذلك المأوى ، وعند ما يعصر الحجر الكبير بثقله المروّع جوانب صدرك ، هنالك في خفة حالمة بهجة سيقف ذلك القلب عن ضرباته ورغائبه ، وهذه الاقدام المتقحّمة المغامرة عن عدوها

وهنا — هذا القبر — (يشير الشاعر الى قلبه) الذي ساهمني هواجسي وأنا مستغرق في شرودي الازلي ، طيله تلك الليالي ، حيث لا نوم لك بعد الآن ، سيهمس قائلاً . . . . .

« لمن وقع هذا الخطى ! ؟ »

« من أنت أيتها الاقدام الفاجرة ! ؟ أنت التي لم تعرفي ما هي دموع الموتى ! ! »

وكوخزات تأنيب الضمير ستمضي الديدان في التهام جسدك . . . . ***

[...] في مرافق الحياة السياسية والاقتصادية ، في المانيا وغيرها من الامم

كانت المانيا قد انتظرت اربع عشرة سنة ، لتحقيق العهد الذي قطع في معاهدة فرساي ، وهو [ا]ن نزع سلاح المانيا ليس الاّ توطئةً لنزع سلاح الدول الظافرة . ومن العبث ان نبحث الآن ، في [ا]ن هذا العهد كان عهداً ادبيًّا او عهداً قانونيًّا يجب تنفيذه . حتى اذا سلمنا بان العهد كان ادبيًّا [لا] غير ، فليس ثمة ريب في ان احترامهُ كان واجباً . ومما يرتاب فيهِ ان خفض السلاح الذي تمّ بعد [ا]لحرب الكبرى حقّق هذا العهد . نعم ان الدول البحرية الكبرى قد خفضت اساطيلها ، وان فرنسا [ح]وّلت مدة الخدمة في جيشها من ثلاث سنوات الى سنة واحدة ، وذلك من تلقاءِ نفسها . ومع ذلك فلا سبيل الى انكار ان جارات المانيا ، متفوقة عليها تفوقاً كبيراً في قواها الحربية . وقد قيل للشعب الالماني ، ان هذا التفوق ترك المانيا ، في حالة لا تستطيع معها الدفاع عن نفسها . فكان لهذا القول اقوى الأثر ، في احداث ثورة النفس الالمانية التي افضت الى سلسلة الحوادث التي بسطناها . والالمان الآن اذ يشيرون الى عدم مساواتهم بالدول الاخرى ، يعنون في الغالب ، تخلفهم عن تلك الامم في قوتهم الحربية

***

ضع نفسك ايها القارىء مكان الالماني او مكان الفرنسي ، تجد انك تستطيع ان تقيم الحجة لموقف الاثنين . فالفرنسي يرى ان نزعهُ لسلاحهِ ، وحالة المانيا النفسية ما هي الآن ، مخاطرة كبيرة . اما الالماني ، فلن يستقرّ ما زال يحسّ انهُ لا يملك القوة اللازمة للدفاع عن نفسهِ ، اذا هوجم . والموقفان سليمان من الناحية المنطقية ، مع ان كلتا فرنسا والمانيا ، تعترف بان المسائل المعلقة بين البلادين ، اذا استثنينا مسائل نزع السلاح ، لاتبعث على القلق ، اذا نظر الى العلاقة بينهما ، مجردة عن اشتباك المصالح الاوربية الاخرى . ولكن هذه النظرة المجرّدة غير مستطاعة ، لان لالمانيا حدوداً غير الحدود بينها وبين فرنسا ، وفرنسا وايطاليا تريان ان لهما عند هذه الحدود مصالح حيوية

استطاعت اوربا ان تحتفظ بمواد معاهدة فرساي حتى الآن ، لان الدول الظافرة التي املت هذه المعاهدة ، متفوقة تفوقاً حربيًّا كبيراً على الدول المغلوبة . والاحتفاظ بها يظلّ ممكناً اذا ظلت الدول الظافرة متفوقة من الناحية الحربية . فكل اتفاق على نزع السلاح ، يقضي على هذا التفوق ، يكون في نظر فرنسا ، خطوة نحو الغاء معاهدة فرساي ، واذن يكون اتفاقاً لا تقبله فرنسا وحلفاؤها — ولعلّ ايطاليا وانكلترا لا تقبلانهِ كذلك . وكل اتفاق على نزع السلاح ، يترك للمانيا في مقام ثانوي من ناحية التسلّح لا يقبلهُ الالمان . فاذا شاءت اوربا ان تحلّ مشكلاتها القائمة الآن فهي تحتاج الى مؤتمر سلام جديد تكون فيهِ مسألة نزع السلاح احد الموضوعات التي يعالجها . واذا كانت المانيا مقتنعة بان حلّ المشكلات السياسية والجغرافية القائمة بينها وبين جاراتها يجب ان يكون بالمفاوضة السلمية ، لا بالقوة ، وكانت الدول الظافرة مستعدة ان تلاقيها عند منتصف الطريق ،

نشيد الى الشرق

[نقله جورج نيقولاوس]

[الآنسة « مي » اشهر من ان تعرف . فكتاباتها منتشرة في كل صقع. واسمها ملء الافواه والاسماع . ولكن لا نظن ان كثيراً من قراء العربية يعرفون ان هذه النابغة شاعرة فرنسية وكاتبة بلغة ابناء السين لا يشق لها غبار . ولذلك ارتأينا ان ننقل لها هذه القطعة وهي من الشعر المنثور ليجتلي القراء محاسن كتابتها الفرنسية ، كما اجتلوا محاسن كتابتها العربية]

ايها الشرق !

يا شرقي الفسيح الجموح الليّن العريكة !

ياشرق العظمة واللطف والشهامة والحماسة والشهوة العاصفة في شدة كسموم الصحراء!

انى تصوراني تتمثلك كأنك ضمن إطار . وها هو فكري تتبيّن له نقائصك ...دائدك ، واحتياجاتك وتضاربُ نزعاتك . انت فقير بنظمك وترتيبك ومنهاجك ، ...اعزل قد جردك قضاء الزمن . غير ان معائبك كان فعلها في تجريدك اكثر من ... قضاء الدهر وقدره . ان العلومَ تَنقصُك ، ومواردك العديدة المبعثرة متملصة ...ك . وانت مُقسَّمٌ لا مجموع لك

اعرف هذا كلّه . ولكن ثقتي بمستقبلك راسخةٌ لاتتزعزع ، مثل ثقتي التامة بالحياة

فما هي اذن هذه القوة التي تربطني بك ؟ لماذا يحبَّب اليّ من كلامك تلك النبرات ...جية المتناسقة ، التي تبعث في القلوب الحنينَ الى الوطن ، وتلك اللهجات الحلقية ...ريعة ، وتلك الصيحات الداوية بخيلاء الجنس ، التي تنشر إتقادَ مناطقك الحارة ؟

ما هي تلك المجانسات المديدة الفالتة غير الممسوكة ، التي تربطني بشعوبك ...ا كة في بلدانك الكبيرة ، وفي ظلِّ طلولك المجيدة وآثارك الخالدة ، كما ...طني بأعرابك الرُّحَّل الذين يتفيأون الخيامَ في صحاريك القاحلة المجدبة ، وبالقبائل ...منتشرة على ضفاف انهارك او المتجمعة حول ينابيعك ، وبالقوافل التي تحدُّ أنجادك ...غوارك وبجميع تلك الفصائل المنتشرة في جبالك ووديانك ؟

بأيّ سرٍ غريب أفضت اليّ هذه اللغة العربية في غابر الازمان ، حتى اني ...ما اسمع لهجة من لهجاتها اشعر وكأني وجدت تفسيراً لما لا يفسرُ في نفسي ؟

لماذا كلما وقعتْ عيني على فردٍ من افرادك استشعر عرفاناً للجميل يختلج في داخلي ،

وتحناناً لا يستشعره المرء الا في لقاء قد قطع منهُ الرجاء بعد فراقٍ طويل الأمَدَ ؟

كلُّ غريزةٍ فيك ملحّة بعيدة الأغوار، تتملّكني وتسخّرني لك ، أيها الشرق ، أنا الذرّة الطفيفة بين مليارات المليارات من ذرّاتك ! ورغماً عن صِغَري ، لقد أودعتَ فيَّ صحاريك ومروجك ، وقُنَنك البعيدة المنال ، وأغوارَ اوديتكَ ، وسيئاتك وحسناتك ، وزعازع مُناخك المَهُول ، ونشيدَ مزاميرك النائح ، ولياليك المخملية العميقة ، ووطيسَ شمسك المحرق ، وقلوبَ بنيك المقدامة الشديدة الحمية ، وقواك الابتكارية المتلازمة التي لا ينضبُ لها معين !

أترى هذه السماء ، التي هي سماؤك ، تنبسطُ في لونها السَمَنْجُوني الزاهي الموَشَّى بالذهب والفضة والأرْجُوان ، وقد تمازجت هذه الالوان وتداخل بعضُها ببعض ؟

انها السماء التي أوْحتْ باعظم الرسالات الى الانسانية ، وأظلّتْ تفتّح الحياة وسيول الوحيَ والنبؤات . لانك عُيّنتَ ، ايها الشرق ، لتكون الوطن الاول للعبقريات الأولى وللأبطال والملهمين !

لقد كنتَ في حاجةٍ الى الراحة ثلاثة قرون اكتسبتها بعد كل تلك القرون المليئة كدّاً ومجداً ، وكان مشروعاً ان مدّ مدنياتك المحسن العظيم يرتدّ لزمن ما بجزرٍ محتوم ، تحت ضغط سنة التعاقب الظالمة التي لا تهادن ولا ترحم

ولكن ها تلك السنّة نفسها، التي تتحكم بمد البحر وجزره الجديدين وتضبطهما، تقرع ساعة اليقظة والسير الى الامام . فنهوضاً اذن ، رغم قيودك ورزاياك ، وانكسار عزمك وخمود همتك !

نهوضاً !

حولك يناضلُ الاقوياء ويفوزون ممجدين نفوسهم في تأليهِ الغَلَبة ! فهلاّ سمعتهم مع ذلك يئنّون في الظلام : « الى متى ننتظر الفجر الذي سيسطع ؟ »

مساكين انتم ايها الاشداء والاقوياء الضعفاء ! ايها العلماء العظام ، الذين يجهلون الابجدية !

أيمكن أن يتلألأ الفجر دون ان يَغْمر النورُ المشرقَ ؟

أنت برج الضياء ، ايها الشرق ! انت مُوزّع اشعة الحياة !

فنهوضاً اذن ، والى العمل لتثقّف نفسك ! وعندئذٍ يبزغُ في أُفُقِك مشعلُ الاضواء واللهب !

مملكة المرأة

القوة والجمال : الاحتفاظ بهما

حياة الحب والزواج : اسئلة وأجوبتها

مقام المرأة اليابانية في ميدان الاعمال

قصص الحياة : موت يحيي حياً

طور الطفولة المبكرة

الاحداث وحكم لافونتين
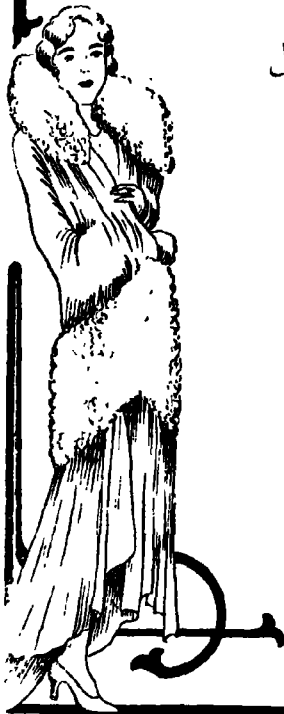
القوة والجمال

والاحتفاظ بهما

ـ لا بدّ منه

لاع الانسان ان يحتفظ بما اودعتهُ الطبيعة من الجمال (1) الى ما بعد الزمان الذي تزول
ـ فيهِ ويأخذ ذلك الجمال في الانحلال، فذلك مما لا يضيع فيهِ جهد الباحث ولا يذهب
. ولا يؤخذ من هذا القول انهُ يمكن حفظ بضاضة الجلد ونعومتهِ ولونهِ ولون الشعر
كهولة اذ تلك المزايا من مزايا الشباب ولا بدّ ان تفارق الاجسام بمفارقتهِ. فكلُّ ما يبذل
هذا السبيل لا يأتي بطائل . نعم ان عناية الانسان بجسمهِ واقتصاده في قواه واعتداله
ـن جلده ولكن لا بدّ ان يحول لونهُ متى حان الاوان . وليس ذلك بالامر المستنكر
هو من قبيل وضع الشيء في محله فان ما يليق بالشاب لا يليق بالكهل والحكمة تقضي
بجعل منظره ملائماً لسنهِ

كن تأخير الطوارىء والتغيرات التي تطرأ على شكل الجسم وموازنتهِ وحركاته في المشي
نهوض وتناسب اعضائهِ وغيرها مما ينشأ عن اهمال التدابير الملائمة . فان التاريخ حافلٌ
دركوا الحقائق المتقدمة فعرفوا وهم متقدمون في السن باعتدال قامتهم وخفة حركاتهم
اسب اعضائهم . وما من احد الاَّ ويعرف رجالاً ونساءً بلغوا من الكبر عتيًّا وصار
ـالاحفاد ومع ذلك بقي لهم الشيء الكثير من محاسنهم الاولى

م الناس الى عهد قريب اذا بلغ احدهم او احداهنَّ سنّ الخامسة والثلاثين او الاربعين
بس الباهية الزاهية خلعها وارتدى الملابس البسيطة القاتمة بدلاً منها كأنهُ يحدُّ
لك لانهُ اذا انحصرت واجبات الزوجين في دائرة منزلهما واصبح معظم همهما تربية
فكيرهما في المحافظة على الامور التي تكفل إدامة الشباب ومحاسنهِ لهما . ولكن الحالة
فصار الناس فريقين فريق الشباب وفريق الشيوخ . اما الكهول فدرجوا ضمن
ـ حتى صاروا يعدون منهُ . وبناءً على ذلك انصرفت العناية الى إدامة الشباب والمحافظة
ـا استطاع الناس الى ذلك سبيلاً

---

(1) لجمال الذي يريده كاتب هذه المقالة هو نفس ما ورد في تعريف بعضهم للجمال تمييزاً له عن الحسن
لحسن يلاحظ لون الوجه والجمال يلاحظ صورة أعضائه . بل ان هذا الكاتب يذهب الى أبعد من
له جمال اعضاء الجسم كله لا الوجه وحده

ولا ينكر على الزوج رغبتهُ في ان يرى زوجتهُ متمتعة زماناً طويلاً بالصفات والمزايا التي شوقتهُ الى اختيارها زوجة له . وحسن الوجه وجمال القدّ هما الصفتان اللتان عليهما مدار الزواج ولكنهما تختلفان باختلاف الاذواق . ومن المشاهد ان الزوج كثيراً ما ينتقي زوجتهُ لا لحسن حازتهُ ولا لجمال انفردت بهِ بل لتمازج بين الروحين وتلاؤم بين الطبعين ولكن الملاحة [1] هي المرجع الاخير في كلّ حال

جمال القد

والناس مختلفون في ماهية المليح والقبيح باختلاف اقاليمهم وعاداتهم وازيائهم . ولكننا اذ صرفنا النظر عن الفرق الشديد بين اذواق المتوحشين كاهالي اواسط افريقية ووادي الامازون والمتمدنين كاهالي نيويورك وباريس رأينا انهم متفقون على قواعد معلومة يجرون عليها الاَّ في احوال نادرة . ولو جئنا نبحث في الوجه وملامحهِ وتقاطيعهِ لضاق بنا المجال ولكننا نحصر كلامنا في القد وشكلهِ وحركاتهِ لان جمال القد هو الجمال الذي في طوقنا المحافظة عليهِ اكثر من غيره فنقول ان اعتدال القامة وسهولة حركة الجسم هما اساس جمالهِ ولا بدّ لذلك من ان يكون الظهر عمودياً والبطن غير بارز ولا مترهل كما في السمان او الذين عضلاتهم مرتخية والكتفان غير مرتفعين والاضلاع على زوايا قائمة مع العمود الفقري والرأس قائماً على عنق مستقيمة مستديرة منحنية الى الامام قليلاً واذ مد خطٌّ عمودي من مؤخر الرأس وقع وسط الكتفين . فاذا اجتمعت هذه الصفات في انسان امكن تدقيق خصره من غير ان يلحق الجسم ضرر

واذا كان الحوض مستوياً والفقرات التي فيهِ مستقيمة كان عمل الجدار البطني صحيحاً فدعم الاعضاء المرتخية التي ضمنهُ وبقي الخصر دقيقاً . ولا يكون الخصر الدقيق جميلاً الاَّ اذا كان بروز الوركين مما يليهِ قليلاً . ولكن اذا كان بروزها كثيراً ظهر الخصر مثل خصر النحلة وارتخت انسجة البطن والخاصرتين والظهر وضعفت اعضاء الهضم والاعضاء الرئيسية الاخرى وفقد القدُّ جماله باكراً . ويجب ان يكون الصدر عريضاً ممتلئاً والترقوتان غير ظاهرتين والاَّ كان ظهورهما دليلاً على ارتخاء عضلات الصدر والكتفين والظهر وعلى ان قمتي الرئتين لم تتسعا الاتساع الكافي . ويجب ان تتدلى الذراعان بسهولة من الكتفين وتقع الكفان امام الوركين واقلُّ عسم (يبوسة) في الذراعين او الكتفين او الكوعين يذهب برشاقة القد . ويجب ان يكون الجذع عند المشي مستوياً والصدر بارزاً قليلاً فتتحرك الركبتان بسهولة ويقلُّ الضغط عن العقبين . واذا كان الماشي يضرب الارض بعقبيهِ فقد الجسم رشاقته . ويجب ان يكون خطران الذراعين عند المشي مائلاً الى الامام نحو خطٍّ عمودي يمرُّ

[1] يراد بالملاحة الحسن والجمال معاً

، وسط الجسم . وميلهما في خطرانهما الى وراء الظهر عيب قبيح يجب اجتنابهُ بارجاع الرأس الى وراء بحيث يقع طرفا الاذنين فوق رأسي الكتفين

الاقتصاد في القوى

ومن أهم الامور للمحافظة على الجمال اعتياد الاقتصاد في جميع القوى الطبيعية واجتناب الاسراف يها وقت الانهماك في مشاغل الحياة . وقد يعترض على ذلك بأنهُ يكاد يستحيل على المرء ان يترك عماله واشغاله ويتفرغ للاهتمام بنفسه والمحافظة على قواه صوناً لها من الاسراف . وجواباً عن هذا لاعتراض نقول ان الاقتصاد في قوى الجسم لا يستلزم ترك الاعمال والاشغال كما يخيل للمعترض . ل يتوصل الى الاقتصاد المذكور ان يوجه المعلمون والوالدون عنايتهم الى الاولاد الذين يوكل أمر بيتهم اليهم ويمرنوهم على رباطة الجأش وسكون البال في مصائب الدهر وغير الزمان . والحق يقال ن السلامة من الاحزان والكوارث لا تسمو بالنفس الى المراتب العليا ولا ترقي العقل في الفضيلة ل تربي في المرء خلقاً تنقصه الاوصاف الجوهرية التي تدني النفس من الكمال وتكسب الوجه حسناً رائقاً . والصبر والثبات وغيرهما من الصفات التي تكوّن الأخلاق كل هذه لا تنمو في المرء هو ملازم الهدوء والسكينة في المعيشة . ثم ان الاشغال والاعمال ومصاعب الحياة لا تضرُّ الجسم لا النفس الاّ اذا أثرت فيهما تأثيراً يورثهما الضجر والقلق ويفضي بهما الى النكد او اليأس

واعظم عوامل الاقتصاد في القوى الحيوية المحافظة على القوة العصبية . وانفاق هذه القوة على وعين اما مباشرة واما بواسطة. فالاول ابسط واقلُّ ضرراً وامثاله ان تجهد عضلات ذراعك عند فع ثقل ما الى حد ان تنفق من القوة العصبية ضعف ما يقتضي رفع الثقل حقيقة . والثاني اعمُّ ن الاول وهو ان تجهد من عضلاتك اكثر مما يلزم لعمل عمل ما فتنفق القوة العصبية سدًى . ولا بدّ ان يتخلل الاعمال العضلية فترات ترتخي العضلات فيها بعد طول انقباضها فتسترد قوتها التي نفقتها والاّ كلّت عن العمل . مثال ذلك اذا شرع رجلان في عمل يقتضي تعباً واحداً وجرى احدهما لى مبدإ الاقتصاد في القوى ولم يراعه الآخر فان الاول يتمهُ وهو لا يشعر بتعب والثاني يتمهُ وهو متعبٌ معيٍّ . والانسان يدرّب جهازهُ العصبي من المهد الى اللحد نخيرٌ ان يكون عملهُ دقيقاً يراعى يهِ جانب الاقتصاد من ان يفرّط فيهِ . وشرٌّ من الافراط التفريط . وكلاهما يفضيان الى اطفاء سراج لحياة وتقويض اركان الجمال

مرونة نسج الجسم

واول ما يجب الانتباه اليه لاطالة زمن الحسن والجمال المحافظة على مرونة نُسُج الجسم وعليهِ يمكن ان تعرّف الشيخوخة بأنها طور تصلّب الانسجة . ومنع ذلك او الشفاء منهُ يقومان باستعمال

حركات الجسم الطبيعية استعمالاً قانونيًّا . فاذا كانت اعمال الانسان تجري على وتيرة واحدة بلا تغير او كانت محدودة اوغير ملائمة في نوعها وصفتها تصلّبت النُسُج قبل الاجل المعتاد. واذا كانت عضلات الجسم لم تتناسق ولم تنم النموّ الكافي ظهرت تلك التغيرات باكراً وكانت اكثر وضوحاً

وكثيراً ما يعدُّ الشيوخ طور الشيخوخة شرًّا يخاف او آخرةً تبكى وتندب ولكن الفلسفة تناقض ذلك . ثم اننا نعرف اناساً كثيرين بلغوا طور الشيخوخة ولا تزال وجوههم تفيض بشراً وقلوبهم تطفح رضىً وسروراً . فان الشيخوخة في الانسان تاج اكرام واحترام وبيدهِ ان يزين ذلك التاج او يشينهُ . اما المرأة التي تتقدم في السنِ فانها ان كانت من اللواتي ينظرنَ الى ظواهر الاشياء دون بواطنها عدّت الشيخوخة مثل بئر خُتم بابها فماد الانسان لا يرى ما فيها فمالت الى اهمال جسمها ولباسها . فلتقاوم هذا الميل لانهُ ذنب الى الله ومواهبه الحسان . فان كثيرات من النساء اللواتي بلغنَ الستين والثمانين بقينَ ملكات في المحافل التي كنَّ يترددنَ عليها

والحسان بين النساءِ قلال واقل منهنَّ اللواتي يستطعنَ المحافظة على ما قسم لهنَّ من الملاحة الى ما بعد الزمان الذي تذوي فيهِ نضارتهنَّ عادةً . ومن الحقائق الفسيولوجية المقررة ان الملاحة يمكن ان تزاد لصاحبها ولكن لا بدَّ من التذرُّع بالفطنة والحكمة لبلوغ ذلك . وقد يتفق ان الطبيعة تخص فرداً بكثير من مقوّمات الملاحة ولكنهُ يسيء التصرف فيها . وربَّ سائل يسأل هل تزاد الملاحة بالوسائط الصناعية وهل تمكن المحافظة عليها الى ما بعد سن الكهولة . والجواب نعم وتمكن زيادتها كثيراً حتى في الذين لم يكن لهم حظٌّ وافر منها أيام الصبا والمحافظة عليها حتى الموت . وذلك يتمُّ بالمواظبة والصبر واحتمال بعض الاتعاب البدنية والالمام بقوانين الصحة والطعام والراحة والنوم والاستحمام والاعتناء بالجلد والاسنان والشعر والظواهر الخارجية من ملبس وما أشبه . وقد يخيل لكلٍ منا انهُ يعرف الشيء الكافي عن هذه الامور ولكنهُ اذا رام البحث فيها مفصلاً رأى انهُ يجهل كثيراً منها

***

واول ما نوجه الخواطر اليهِ في هذا الشأن ان جمال القد يتوقف على حسن اتصال العظام بعضها ببعض ومرونة النُسُج . ولا بدَّ لحفظ موازنة الجسم من مرونة العضلات وسهولة حركة اربطتها وحركة الاوتار. وكلما تقدم الانسان في السن واخذت نتائج الامراض والملاذّ تظهر عليهِ اشتدَّ العناء على بعض الاعضاء الحيوية مثل الاوعية الدموية والاعصاب فاضطرب سير الدم ومجرى الاعصاب في الجسم حتى اذا جاوز سنَّ الكهولة كان بعض اعضائهِ الحيوية معطلاً وكثير من انسجتهِ فاقداً بضاضتهُ وغضاضتهُ . فلا تعود العين والاذن والدماغ مثلاً تتناول ما يكفيها من الغذاء فيكفُّ البصر او يكل وينبو السمع ويبلد الذهن

الرياضة البدنية

والرياضة البدنية خير الوسائط لاتقاء ذلك ولكن الناس مختلفون في نوع الرياضة التي يحتاجون اليها فما يصلح منها لزيد قد لا يصلح لبكر . فانك اذا قلت لرجل طاعن في السن شوّهت الايام والاسقام اعضاءهُ وحدّبت ظهرهُ ويبست مفاصلهُ ان ينتصب امامك ويرجع كتفيهِ الى الوراء ويرفع رأسهُ فانك انما تنادي غير سامع وتأمر غير طائع. ولا بدَّ لك قبل ذلك أن تبين عيوب بنيانهِ الخصوصية وتصلح النُسُج الضعيفة أو المنكمشة . والانكماش يصلح بالمطّ والدلك المتكررين . والمرونة تتأتى بتحريك أعضاء الجسم مثل الذراعين والكتفين والعنق والرجلين والظهر والحقوين وأعضاءِ البطن

ومما يجب ذكرهُ ان الرياضة لازمة غالباً لتطهير الدم وما يتبعهُ من تغيرات الخلايا ولابقاءِ اعضاء الجسم سائرة سيرها الطبيعي ولنومهِ نوماً هنيئاً . ومن الممكن ان تسير تغذية الجسم سيراً طبيعيًّا في بعض الناس مدة طويلة وفي احوال معلومة وهم لا يروّضون اجسامهم الاَّ قليلاً . ولكن اهمال الرياضة خطر عظيم . ومن الناس من يقول ان اجهاد القوى العقلية كافٍ لدفع اعضاءِ الجسم الى اتمام وظائفها مثل الرياضة البدنية وهذا صحيح . فأن بعضهم يكتفي بالحديث المسلّي والضحك وسماع الآلات الموسيقية وعليهِ فأن صحة هذا البعض تقوم بالاقتصار على الرياضة العقلية دون البدنية ولكن على شرط ان تكون احوال المعيشة صحية مطردة ووظائف الجسم منتظمة فلا تحمل فوق طوقها ولا يطرأ على الجسم خلل في تغذيتهِ يتطرق الفساد بهِ اليهِ

ولكن الرياضة المنتظمة مفيدة في الصغار والكبار لحفظ صحة العقل والجسد على أتمها . وكثيراً ما يعترض في سبيل الجسم عوارض توقع الخلل والاضطراب في نظام حركاتهِ وتحولها عن مجراها الطبيعي . واول تلك العوارض عيوب خلقية في بناءِ الجسم يكون بها بعض اعضائهِ اقوى من البعض الآخر فيُتعب القويُّ منها الضعيف عند العمل معاً . وثانيها اللباس فكلما اشتدَّ ضغط الملابس لعضو من اعضاء الجسم تغيَّر تركيبهُ وقلَّ نموُّهُ . وهناك مؤثرات اخرى تؤثر في شكلِ الجسم وحركتهِ مثل العادات والازياء واجهاد القوى او عدم اجهادها والصنائع والحرف خذ مثالاً للحرف التعدين فان المعدّن (اي العامل في المناجم لاستخراج المعادن من الارض) يضطرُّ ان يضطجع على الارض او ينحني الى الامام ساعات كثيرة وهو يعمل ويجهد قواه فيشوّه ذلك شكل جسمهِ كثيراً . غير ان الحركة المستمر يمنع الاعضاء ان تفقد مرونتها سريعاً كما في الحرف التي لا تدعو الى حركة كثيرة

الطعام والملاحة

اما الطعام فلما كان تأثيرهُ في الصحة عظيماً فان تأثيره في الملاحة اعظم . واول ما يجب الالتفات

اليهِ في هذا الصدد الاسنان فان على العناية بتنظيفها مدار الامر كلهِ غالباً . ومن الغريب ان امراض الاسنان بين المتمدنين كثيرة مع شدة عنايتهم باسنانهم وحرصهم على نظافتها. وكثير من هذه الامراض وخصوصاً امراض اللثة سببٌ لسوء الصحة حتى بين الطبقة العالية من الناس

واهمُّ شيءٍ في المحافظة على صحة اعضاء الهضم مقدار الطعام وكيفية تناولهِ لا نوعهُ وماهيتهُ وخير قاعدة لاختيار الطعام ان يأكل الانسان مما حضر برضى منقاداً بالقابلية الطبيعية . ولا بدَّ في اختيار نوع الطعام ومقدارهِ من مراعاة حالات الجسم المختلفة من تعب وانفعال ورياضة وقعود وما اشبه . ولا يجوز اذ يأكل الانسان لقمة واحدة تزيد عما تشتهيه نفسهُ الاَّ في احوال مرضية خصوصية بأمر الطبيب بها . وتجب ايضاً مراعاة السنّ فان قليلاً من الطعام يكفي الكهل والشيخ لأن الطعام يؤكل في هذا السن لحفظ الحياة لا لبناء الجسم ما لم يطرأ على الجسم مرض طويل معيٍ يقتضي اصلاح ما فسد وبنيان ما تقوَّض. واول شرط في الطعام نظافتهُ ثم بساطتهُ . اما التأنق في علاجهِ واستكثار الاقوات واستجادة المطابخ فمن الأمور العرضية الثانوية بل الوخيمة العاقبة لأن الاكثار من البهارات والتوابل ومطيبات الطعام يعطل قوة الهضم ويفسد حاسة الذوق

***

ولنا كلمة في المشد (الكورست) فأن كان الغرض من لبسهِ اظهار كسم الملابس حول الخصر جرياً على قواعد الزي الحديث فلا بأس بهِ ولكن ان كان الغرض منهُ دعم الانسجة البطنية فلا حاجة الاَّ اذا كان هناك عيب في بنائها . وان كان الغرض منهُ تحسين القد فالمرأة ذات البنية القوية والتركيب الحسن لا تحتاج الى وسائط صناعية لتحسين قدها والشاهد على ذلك ان البنت الجميلة القوام لا تلبس المشدَّ اذ ترى انها ليست في حاجة اليهِ . وعليهِ فان اللواتي يصررنَ على لبسهِ يعترفنَ ضمناً ان قدودهن مشوَّهة . وتشويه القدّ اما طبيعيٌ واما اكتسابيٌ فان كان الاول فليلبسنَ المشدَّ اذا كان لا بدَّ لهنَّ من اتباع الازياء الحديثة وان كان الثاني فهو ناشئ عن عدم الاعتناء بهيئة الجسم في الجلوس والنهوض والانتقال او عن القعود او النهم او عن هذه الثلاثة معاً . وهذا مما يمكن الشفاء منهُ بالعزم والثبات كما يمكن الشفاء من الامراض العادية

ثم ان النساء صنفان صنف له ظهور قصيرة وصنف لهُ ظهور طويلة فالمرأة ذات الظهر الطويل بل والخصر الطويل او التي بين صدرها وجذعها فسحة واسعة لا يضرُّ المشدُّ بها مثلما يضر بالمرأة ذات الظهر القصير لان معظم ضرره ناتج عن ضغطهِ لاجزاء الرئتين السفلى واعاقتها عن عملها وذات الظهر الطويل لا يضغط المشد رئتيها لارتفاعهما عنهُ . والمرأة التي ظهرها قصير وخصرها طويل لا بأس اذا لبست مشداً واطئاً ضيقاً . اما التي ظهرها قصير وخصرها قصير ايضاً وليّن فان المشد يضر برئتيها وكبدها وكليتيها ومعدتها بضغطه لها فتهبط نحو البطن وينشأ عن ذلك اسقام وامراض كثيرة في هذه الاعضاء وفي اعضاء الولادة أيضاً

فالوصول الى اتفاق على نزع السلاح لا يزال ممكناً .ولكن الاوان لم يئن بعد ، اذ تستطيع الدول الـ[illegible] تعنيها هذه الامور ، ان تواجه الحالة بحزم واخلاص . وقد لا تستطيع ان تواجهها كذلك الـ[illegible] وقد سبق السيف العذل . فاذا لم تُحلّ المشكلة قبل ان تتسلّح المانيا ، فاوربا سائرة لا ريب ، [illegible] الطريق المفضي الى حرب طاحنة ، الاّ اذا قرّرت جارات المانيا ، ان تحارب المانيا قبل تسلّحها وتبطش بها قبل ان تشتدّ وعندئذٍ تكون قد أجّلت الحلّ المعقول عشرين سنة الى ثلاثين

***

وقد كان لخروج المانيا من مؤتمر نزع السلاح ، أثر خطير ، في الخطة التي جرت عليها الحكومة الاميركية في نزع السلاح .كانت حكومة الولايات المتحدة ، حتى منتصف اكتوبر الماضي، قد تعاونت مع سائر الامم ، في البحث ، عن اساس فني technical للوصول الى قاعدة تصلح ان تكون اساساً لخفض السلاح وكذلك قدمت المسائل الفنية على المشكلات السياسية . فكان نزع السلاح ، غرضاً يطلب لذاته . وكان المستر نورمن دايفس قد سار شوطاً بعيداً في تحقيق خطة المستر روزفلت والمستر هوفر من قبله ، وهي الخفض المتبادل في الاسلحة والجيوش ، وبوجهٍ خاص الغاء المدافع الضخمة والدبابات الثقيلة الوزن وما من قبيلها مما يطلق عليهِ اسم « اسلحة الهجوم » . وارتبط ذلك التقدم بابتداع ، مبدإ الرقابة الدولية . لكي تحس الامم المخلصة في تنفيذ عهودها ان الدول الاخرى لاتتسلح سرّاً . فكان لكل ذلك أثر في احداث تعديل يسير في موقف فرنسا ، التي كانت لا ترضى من قبل ان تخفض سلاحها ، الاّ اذا ضمنت سلامتها ، بمحالفات دفاعية ، وهو ما لم ترض بهِ الولايات المتحدة ولا الامبراطورية البريطانية

وكان الامل كبيراً في الوصول الى اتفاق معقول على هذا الاساس ، ما زالت المانيا راضية ، بأن تحقق طلب المساواة تحقيقاً متدرجاً عن طريق خفض سلاح الدول المتسلحة رويداً رويداً . اما بعد انسحابها من المؤتمر لانها لا ترضى بفترة التجربة ، وتطالب بحيازتها في الحال نماذج من الاسلحة التي لا يتم الاتفاق على الغائها الغاء شاملاً (وهو مطلب منطقي معقول) —فقد تحول موضوع نزع السلاح ، وصار يتعين على جارات المانيا ان تنظر في النهج الذي تسير عليهِ ، لا من حيث علاقته ، باتفاق عالمي على خفض السلاح او نزعه ، بل من حيث علاقته ، بموضوع تسلح المانيا خاصةً . وهذا ما لا تستطيع حكومة الولايات المتحدة الاميركية ان تشترك في بحثهِ ، لان على الدول الاوربية ان تقرر اولاً ، هل تترك موضوع التسلح للمقادير، او تشهر على المانيا حرباً واقية، او تقترح على المانيا مقترحات جديدة غرضها الوصول الى اتفاق . فاذا كان الامر الثالث ، فعندئذ تستطيع حكومة الولايات المتحدة الاميركية أن تستأنف اشتراكها مع حكومات الامم الاخرى في البحث عن افعل السبل إلى وضع الاتفاق المنشود

[بتصرف قليل عن مجلة الشؤون الخارجية للمستر دوليس العضو الاميركي في اللجنة التمهيدية لمؤتمر نزع السلاح ١٩٢٦]

أسئلة وأجوبتها

[الاسئلة خاصة بحياة طائفة من الفتيات الانكليزيات ، تتعلق بنواح من حياة الحب والزواج ، ولكن الاجوبة تحتوي على احكام عامة ، وأقوال حكيمة في هذه الموضوعات ، لا تقتصر حكمتها على الفتاة الانكليزية]

س : احبُّ احد الشبان حبّاً عظيماً . ولكن والدتهُ تكرهني . وهو يطلب ان تعقد خطوبتنا . ولكنني احسُّ انهُ يجب عليَّ الاَّ اخدع امهُ . فماذا أفعل ؟

ج : اظن انهُ خيرٌ لك ان تكوني صريحةً معها. اذهبي اليها وحدثيها واستطلعيها ما تأخذهُ عليك

س : مضى عليَّ عشرون سنة . متزوجة من رجل احبُّه واحترمهُ . وقد كانت سنو زواجنا حافلة بالسعادة والرغد . ولكنهُ افتتن اخيراً بصبيّة ، في الخامسة والعشرين من عمرها . وقد بلغ من اندفاعها ، ان صرحت انها سوف تبذل ما تستطيع لتسلبني اياهُ . وهو يقول انهُ لا يزال يحبني . ولكنهُ عاجز عن مقاومتها . فأرجوكِ ان تشيري عليَّ بما افعل

ج : هذا النوع من الفتنة معروف في الكهول او في من تخطى الكهولة منهم . وما هي الاّ محاولة من ناحيتهم — تثير الاشفاق — لاسترداد شبح شبابهم . والراجح ان الفتنة لا تدوم . بل لعلّ الفتاة نفسها تكون السابقة الى التعب والانصراف عنها . وانما يشترط عليك ان تحتفظي برباطة جأشك ، امام زوجك وبسمة على ثغرك . والغالب انها ليست فتاة ذات خلق متين ، والاَّ لما تصرّفت هذا التصرف ، فدعيهِ يقابلها ماشاء ، وعندئذٍ لابدّ ان يكشف لهُ عن حقيقة امرها

س : مضى عليَّ ستة اشهر منذ عقدت خطبتي . ولكن خطيبي لم يذهب بي في خلالها مرة واحدة الى بيتهِ . ولا قدمني الى والديهِ . مع انهُ لا ينفكُ يزورنا ، وهذا اقلقني . لأن الالسنة بدأت تتقوّل

ج : ارى ان تسأليه ، لماذا لا يذهب بك الى بيتهِ ويقدمك الى والديه ثم سلمي بما يقول. فلعل باعثهُ على ذلك يتعلق بخلق والديه ، وعليك ان تثقي بهِ وتطمئني اليهِ في هذا كما تثقين بهِ وتطمئنين اليهِ في امور اخرى اذا كنت قد قبلت بهِ عن حبٍ ورويةٍ

س : ينتظر ان يعقد زواجنا بعد شهرين وبعد سنة ، يتوقع زوجي ان يذهب الى الصين ، ليعمل في احد فروع شركتهِ ثلاث سنوات ثم يعود الى منصب حسن في انكلترا ، وهو يريدني ان اذهب معهُ ولكننا لا نعلم ، هل من المستحسن ان يكون لنا ولد ، عقب الزواج او ننتظر حتى نعود من الصين . كلانا في الثالثة والعشرين من العمر

ج : الافضل ان تنتظرا . فأنتما لا تعلمان ما تكون عليهِ احوال الاقليم والمعيشة في البلدة الصينية التي تستقران فيها . وقد لا تلائم هذه الاحوال صحة الطفل . ولما كنتما في مقتبل الشباب ، فامامكما الوقت الكافي للبدء في انشاء اسرة بعد عودتكما

مقام المرأة اليابانية الحديثة

في ميدان الاعمال

اجتازت اليابان في ما انقضى من القرن العشرين من مراحل التقدم ، ما لا تضاهيها فيه شعوب اخرى في قرون . فاكتسحت البلاد من اقصائها الى اقصائها روح التقدم والنشاط فهب الجميع متناسين منازعاتهم الداخلية ، وتفرقوا في مختلف بقاع الارض يطلبون العلم والنور ثم عادوا الى بلادهم ، يشيعون في ارجائها النور الذي اقتبسوه مبددين الظلمات باعثين في مواطنيهم الحياة ، ونافضين عن البلاد ، رداء الفتور والجمود . فلما تم لهم ذلك راحوا يشيدون المصانع ، وينشئون المتاجر ويبنون دعائم عظمة بلادهم الاقتصادية حتى ذهلت البلاد التي تلقوا فيها اصول العلم ، للنصيب الذي احرزوه في ميدان الصناعة العظيم . وقد اشتركت المرأة اليابانية في كل ذلك فعاونت الرجل ونافسته فأذكت بمنافستها له عزيمته وأورت زناد تفكيره وارادته ، حتى صح القول بأن اليابان الحديثة قامت على اكتاف المرأة اليابانية النحيفة ، قيامها على اكتاف الرجل

فالمرأة اليابانية تتقلد عدداً كبيراً من اعمال الدولة ، ذلك ان كثيرات من اليابانيات يعملن امينات لسر رجال الدولة المسؤولين ، او كواتب على الآلات الكاتبة أو في بعض المناصب الكبيرة حيث لكل منصب تبعة عظيمة تلقى على عاتقي مديره

وقد غزت المرأة اليابانية المصالح التجارية المختلفة ، وكادت تستقل بها جميعها دون الرجال ، فاذا دخلت متجراً كبيراً من متاجر طوكيو ، واجهتك حقيقة غير ملحوظة في عواصم البلاد الاوربية نفسها، اذ ترى ان ٨٠ في المائة من الذين يشتغلون هناك، فتيات لا فتيان ، هذه تستقبلك على الباب وتحدثك عن طلباتك بشتى اللغات ، واخرى ترشدك الى المكان الذي فيه حاجتك ، وأخرى تبيعك السلع ورابعة تحاسبك على ما ابتعت وهن في كل ذلك يعاملنك معاملة رزينة لبقة بحيث يجعلنك تشعر باحترام المتجر من جهة ، وبرغبتك في الشراء منهُ من جهة اخرى

اما الرجال فلا يتولون في المتاجر الا المناصب الفنية القليلة ، او الاعمال التي تقتضي قوة بدنية ، كالبوابين والفراشين

والعاملات في المصانع على اختلاف انواعها يتقاضين اجوراً اقل من اجور الرجال فيفضلن عليهم حين تحتاج المصانع الى زيادة عمالها او الى سد نقص في صفوفهم وهن لقيطات ذكيات يجدن ادارة الآلات ويحذقن الاعمال الصناعية التي تقتضي قوة ملاحظة ومهارة يدوية وهذه حقيقة ملموسة تشهد بصحتها الصناعات اليابانية

ومنهن نساء يعملن مرشدات ، يرشدن [illegible] التجارية وغيره

[illegible] . وهذه الطائفة تنتقى من الفتيات الجميلات وهنّ يرتدينَ ملابس جميلة محتشمة على الطراز الاوربي ، ويتقنّ ادب السلوك ، واصول المعاملات ويجدنَ عدة لغات

ومما هو جدير بالذكر ان دور الملاهي في اليابان توظف النساء مرشدات للجمهور الى المقاعد على الضد مما هو معروف في مصر . اما في اوربا فجانب كبير من دور الملاهي يعتمد على الفتيات في القيام بهذا العمل . وهؤلاء المرشدات اليابانيات يرتدين سراويلات من قبيل سراويلات اللباس الاوربي ولكنها اوسع ، وجاكتات قصيرة عليها ازرار من النحاس اللامع ، ويضعن على رؤوسهن قبعات من نوع « البيريه » ويحتذينَ بأحذية من المطاط ، منعاً لاحداث الصوت عند السير بين المقاعد أو الاروقة ، وجميع ملابسهنّ مصنوعة من الحرير الفاخر الثمين

وشركات السيارات الكبيرة الخاصة بالركّاب (اوتوبيس) تستخدم عاملات يلبسنَ لباساً خاصًا لقرض تذاكر الركّاب ، فيقمنَ بهذه المهمة خير قيام ويشرنَ الى سائق السيارة بالتحرك او بالوقوف كلما دعت الحاجة الى ذلك . اما في مركبات الترام ففريق منهنّ يتولى بيع سلع دقيقة من مخزن صغير في مؤخر المركبة كما يبعنَ الجمهور الصحف والمجلات . وهذا الفريق يختار من الجميلات الحاذقات اللاتي يجد الجمهور نفسه معهنّ امام الامر الواقع ، تناولك الجريدة او المجلة او السلعة ، وتصحبها بابتسامة حلوة يصعب على الرجل صدها او تجاهلها ، ولذلك كانت مهنتهنّ رابحة دائماً

والفتيات الصغيرات في كوريا ، يعوّدن الصبر والجلد على مزاولة الاعمال من نعومة اظفارهنّ وأول ما تتعوده البنت ان تحمل جرار ماء الشرب من النهر الى المنازل مدة التمرين بمحاولة حمل الجرّة باتزان وانتظام

وقد انشئت شركات سينمائية في اليابان،وأقبلت اليابانيات اقبالاً عظيماً على الانتظام في المدارس المؤهلة للظهور على الستار الفضي ، لتتعلمنَ الاوضاع الفنية ودرس الملامح والحركات اللازمة . وقد نبغت منهنّ كثيرات ولولا مسألة اللغة لأصبحت الافلام اليابانية تكتسح الاسواق ، كما تكتسحها بضائعها الاخرى . ومن اليابانيات راقصات ماهرات ، وشركات السينما تسخو على اخراج مشاهد استعراضية تسترعي النظر وتفوز بالاعجاب . واليابان يمكنها ان تبز غيرها في هذا الميدان لرخص المنسوجات اليابانية اللازمة لمشاهدة الاستعراض

وفي طوكيو مدرسة جديدة لتعليم النساء الطيران تخرّج منها عدد كبير من الطيارات الماهرات، ولم تكتف المرأة اليابانيـة بغزوها جميع مرافق الحياة بل تحولت ايضاً الى منافسة الرجل في [illegible] الاكبر فكثيرات من اليابانيات متطوعات في الصليب الاحمر ، وفي مصانع الاسلحة [illegible] يطالبنَ اليوم بقانون يجبر المرأة على الخدمة العسكرية كالرجل

[illegible] عهمة المنتج في المصانع ، أما الرجل فيتولى مهمة [illegible]

[illegible] جمهور المستهلكين

موت يحيي الحب

[في حياة كل امرأة حادثة تفوق سائر حوادث حياتها خطراً ، وأثراً في نفسها ، فما هي هذه الحادثة في حياتك يا ليلى ؟ وفي حياتك يا نادية ؟ وفي حياتك انت يا سلمى ؟ الا تقصيها على قراء المجلة ، فيجدون فيها عبرة ، او تسلية ، او تفكهة على الاقل ؟ هذا وقد شرعت احدى المجلات النسائية الانكليزية تنشر في اعداد متتابعة منها ، قصص الحياة كما وقعت لصاحباتها ، بلا تنميق او تعديل خلا تغيير الاسم الصحيح او حذفه ، فرأينا ان نختار لقراء المقتطف منها ما تحلو قراءته ، او تجل فائدته . ففي بعضها فوائد تستطيع نساؤنا ان تقتبسها ، وفي بعضها مهاو تستطيع نساؤنا ان تجتنبها ، وفيها على الحالين نواح من حياة المرأة الغربية ، يحسن بهن الاطلاع عليها]

قضت المصادفات الغريبة ، بأن يؤتى بطفل رالف الى المستشفى الذي كنت اشتغل ممرضة فيه . ذلك ان سيارة اصطدمت بأخرى امام المستشفى ، فأصيب توني — ابن رالف — اصابة خطيرة ، فحمل الى المستشفى بين الموت والحياة . فوضع في غرفة صغيرة خاصة ، وعهد اليّ في العناية به ، فبقيت بضع ساعات وأنا لا اعرف من هو . ولكنني عرفت ذلك ، اذ خرجت من غرفته فواجهت والده رالف ، وعلى وجهه الشاحب ، امارات الالم والريبة في امكان انقاذ طفله

كنت قد رأيت رالف لآخر مرة ، قبل خمس سنوات ، لما واجهته في غرفة المحقق ، على أثر وفاة ابني «بوبي» بحادثة سيارة صدمته ، وكان رالف صاحب السيارة وسائقها . كانت تلك الليلة ماطرة ، فزلقت سيارة رالف عند انعطافها وصدمت ابني الذي كان واقفاً على الرصيف يتفرج على واجهة أحد المخازن فقتلته في الحال بين سمعي وبصري . وكان من المتعذر ان تلوم رالف خاصة في الاحوال التي وقعت فيها الحادثة . ولكنني كنت اعلم ان رالف يدمن المشروبات الروحية ، مما جعله في سوق السيارة متهوراً بعض التهور . اعلم ذلك لانهُ سار بي بعد الحادثة الى المستشفى فرأيت في عينيه بريقاً ، وفي يديه ارتجافاً ، وفي نفسه رائحة ، لا تخطئها

فكانت تلك الفاجعة نهاية صداقتي مع رالف او ما يصح ان يكون اكثر من صداقة . كان كلانا يحس بالوحدة الاليمة في حياته . فقد كان هو رجلاً طلقته زوجه ، ولا أحد لهُ في الدنيا الا ابنهُ «توني» . وكنت انا ارملة ولا احد لي في الدنيا الا ابني «بوبي» . فمال اليّ وملت اليه ، مع انهُ كان مشهوراً في حيه بأنهُ يدمن الخمر ويميل الى الصخب . ولكنني أحسست انهُ اصبح كذلك لشعوره الشديد بألم الوحدة وانهُ اذا تغيرت احوال معيشته ، واتيح لهُ من يحبهُ ويعنى به فلا بد ان يتغير

ولكن مقتل ابني على يده كان ختام صداقتنا . فبعد مقتله بنحو اسبوع من الزمان ، تركت الحي الذي كنت اقطنهُ ، ولم ارَ رالف بعد ذلك . وها هو ذا الآن ، وقد عهد اليّ بتمريض ابنه الذي اصيب في حادثة تشبه الحادثة التي اصيب بها ابني . فأشفقت عليه اذ رأيته ، يمزقه الالم ، لانه

الحادثة كانت قد هزت اعصابهُ فاصبح وهو على وشك ان يسقط إعياءً . فبذلت ما في وسعي لتهدئة اعصابهِ ، واكدت له ان لابنهِ املاً كبيراً في الشفاء

ولما سرت قليلاً مع رالف وانا احدثهُ برفقٍ وحنان ، عطفاً عليهِ ، مررنا بالممرضة « جين » فاحسستُ بأن عينيها تراقبانني . كانت هـذه الممرضة تمقتني ، وتصرح بذلك . كانت فتاة مديدة القامة ممتلئة الاعطاف تدفعها الشهوة ولا غرض لها في الحياة الا ان تتزوج . ولما كنت قد وطدت صلة الصداقة بيني وبين طبيب المستشفى ، ولما كان كثيرون من المرضى يدعونني الى التنزه معهم في اوقات فراغي ، بعد خروجهم من المستشفى ، كانت هذه الممرضة تلتهب غيرةً مني. فبذلت وسعي لتجاهل موقفها هذا ، بل وللاحتفاظ بظواهر الصداقة معها ولـكن على غير جدوى . فبعد ان مررنا امامها شعرت بداهةً انها تفكر فينا فتقول في نفسها ، لو انني عُـينت محلّها للعناية بذلك الطفل ، للقيت والده ، وعطفت عليهِ في مصابهِ بابنهِ ، ووثقت صلة الصداقة معهُ ، ولسنحت لي فرصة قد تفضي الى زواجنا

كان الكفاح مع الموت في سبيل حياة الطفل كفاحاً عنيفاً ، ولكننا جنينا ثمرة الكفاح ، لما اعلن الطبيب بعد انقضاءِ عشرة ايام على الحادث ان الطفل قد جاز منطقة الخطر . فاخبرت رالف بذلك . فقبض على كلتا يديّ ، وعيناه مغرورقتان بالدموع وقال : ليباركك الله يا ماري . انني لا استطيع ان اقول اكثر من هذا ، يا عزيزتي . فعلمت حينئذ اننا لا نزال حبيبين رغماً عن الفاجعة التي فقدت فيها ولدي وضربت بيننا حجاباً كثيفاً . فتركته وفي قلبي انشودة الفرح ، وفي عروقي حرارة الغبطة

في تلك الليلة مات توني متأثراً بسم احتوت عليهِ خطأً جرعة دواءٍ وصفهُ لهُ الطبيب

انني لأعجز عن وصف الاضطراب الذي تلا وفاته والالم الذي كاد يمزقني . كنت انا قد جرّعت توني الدواء ، الذي أرسل الى حجرتهِ من مستودع المستشفى الخاص. وكان قد كتب على الزجاجة اسم الدواء الصحيح ومقـدار الجرعة . فليس ثمة خطأ في هذا . فحاولنا في المستشفى ان نكتشف من اخرج زجاجة الدواء من المستودع . وهنا واجهت حقيقة هالتني . ذلك ان مستودع الأدوية كان في عهدة الممرضة «جين» وانها هي التي بعثت بزجاجة الدواء لتوني مع احد المستخدمين ولـكنها اقسمت امام المحكمة ، انني نزلت الى المستودع ، في غيابها وجهزت الدواء بنفسي

كان كلامها كذباً فاضحاً ، خطف نفَسي بجرأتهِ وهولهِ ، ولكنني ما كنت املك حيلة ادفع بها هذا الكذب الصراح . فعشت الايام التالية ، يؤرقني الم الفاجعة ، ويجثم فوق صدري شبح الموت

كانت الممرضة « جين » عند مقدمي الى المستشفى ، قد تظاهرت بصداقتي ، فعلمت مني قصة رالف ومقتل ابني «بوبي» . فلما دعيت للتحقيق في قضية وفاة « توني» ، لمّحت للمحقق بأن وفاة توني قد لا تكون عرضاً على الاطلاق . وانهُ من العجيب ان يكون رالف قاتل ابني ، وان يموت ابن رالف وهو في عهدتي في المستشفى . فلما سمع رالف كلماتها ، صاح بأن قولها « كذب » . . . . ولست

أدري ما حدث بعد ذلك ، لانهُ أغمي عليَّ ، ولما افقت من اغمائي ، وجدتني في احدى حجرات الحكمة ، ورالف قربي يهدئ من روعي ويحنو عليَّ . وهو يقول «يا حبيبتي ، لا تهتمي ، ولا تهلعي ، فلا بدَّ من ظهور الحقيقة » . عند ذلك ازاحت كل الحواجز بيننا فتعانقنا

ولكن حينما كان مهدداً ، بتهمة القتل العمد ، توجه اليَّ ، فما استطعت ان انام ولا ان اتناول شيئاً من الطعام المقدم اليَّ . وحاولت ان ارى الممرضة «جين» على حدة ، لاواجهها بما ادعته عليَّ كذباً ، ولكنها كانت ترفض مقابلتي ، لشدة خوفها . فلما اعيد فتح التحقيق في صباح تالٍ ، جاءتني ورقة منها ، تطلب اليَّ ان اوافيها على عجـل الى غرفتها . فهرولت اليها ، وعند ما بلغت بابها رأيت الطبيب خارجاً فقال «لقد حاولت ان تسم نفسها . ولكنها نجت . وهي تريد ان تراك »

فدخلت ووجدتها وقد جردت من تلك القساوة في نظرتها ، ملقاة على سريرها ، شاحبة تثير الاشفاق ، وفي عينيها كسفة الخجل

قالت : اتغفرين لي ؟ فانني ما كنت ادرك معنى ما اقول . انا الذي اخطأت في وضع اسم الدواء على زجاجة لا تحتوي عليهِ .... كنت اكرهك .... حاولت ان اموت ....

مسكينة تلك الفتاة . طوقت عنقي بذراعيها وجعلت تنتحب ، فأحسست انها في اشد الحاجة حينئذ الى العطف والحنان

اما انا فتزوجت رالف بعيد ذلك، ولما الآن ولد ننعم بحبه . ففيه نحسُّ ان روحَيْ ولدينا قد امتزجتا ــ ولدينا اللذين فقدناهما في فاجعتين مؤلمتين ، فكان فقدانهما سبيلنا الى السعادة في ثالث من لحمنا ودمنا نحن الاثنين

طور الطفولة المبكرة (۱)

وضرورة انشاء مربى (Nursery)

مما لا شك فيهِ ان الناموس الطبيعي للعالم لا يتغير برغم تشابه الاشياء وتباينها ، وتغير الحوادث ولكن الطفل لا يعرفها كذلك ، ذلك بانهُ لا يميزها حالاً ، حتى ولا يعرف نفسه من الاشياء المحيطة بهِ

كل شيء يظهر له في حالة همجية وخيال ضعيف ، ولكن وسط هذا الخلط وهذا الغموض ، هناك بعض ألفاظ وبعض اصوات كثيراً ما يعيدها الآباء دلالة على اشياء موجودة ، وتدريجياً ترتبط الاسماء بمسمياتها والالفاظ بمعانيها والحركات بما اريدت من اجله ، ثم تستقر ، هذه النتائج الاولية حتى تعرف الاشياء الدنيوية ، وتسهل هذه المعرفة فيما بعد ، وببطء يعرف الطفل ان ما

---

(۱) من يوم الميلاد الى السنة الثالثة وهو فصل للآنسة زينب الحكيم من كتاب الدكتور عشماوي الذي عنوانه « تربية الطفل »

...... عقله يختلف عن نفسه ، وانهُ منفرد عنها . هذا وبتقدم الطفل في السن يتزيد العمل الذي ... ويزيد قوة التحليل فيه مهما ظهرت بسيطة مطلقة

لما كان من ضمن اغراض حياة الطفل الهامة ، القيام بالاعمال الدنيوية التي توضح الجهاد الذاتي وبذلك تصقل نفسه ، ولما كانت جميع الاشياء الظاهرية التي تحيط بالطفل تضطره ان يحفظ طبيعتها ويميز روابطها بعضها ببعض فقد امده الخالق بحواس متعددة،وقوى عقلية مختلفة واستعداد فطري يمكنه من اظهار كوامن نفسه وتعرّفه الاشياء الخارجية

ولما كان نموّ الحواس مشفوعاً بنمو قوة ضبط الجسم والعضلات ، وقوة الضبط هذه بدورها تتوقف على حالة الطفل الصحية ، وعلى قيمة الاشياء التي تحيط بهِ — وجب تنميتها بعناية ، ووجب ان تكون الاشياء التي تحيط بالطفل جاذبة له وموقظة فيهِ ما كمن . والاّ طالما كانت هذه الاشياء قريبة وثابتة فانها لا تلفت الطفل اليها ولا تسترعي انتباهه مطلقاً ، ولكنها اذا كانت متحركة او لامعة فانها تدعو الصغير الى الانتباه والمسك ، ولو كانت بعيدة عنهُ تدعوه للتقرب منها وبذلك تربي عنده قوة استعمال اعضائه للجلوس والنوم ، وللمسك والحمل وللمشي والجري ، وتربي قوة استعمال قواه العقلية للتفكير والتدبير

من هذا يمكننا القول،ان حياة الصغير وجدت بعد المشاهدات الدقيقة ممتلئة بالحركات الجسمية والحسية والعضلية غير المقصودة للعين المجردة والمقصودة الى حدّ بعيد للعين المدققة ، فتحريك الطفل لليدين والرجلين والاصابع ، والشفاه واللسان ، والعينين والوجه ، انما تدلُّ على اشياء قصدت منها طالما ان الطفل يولد وعنده احساسات وميول وغرائز ، الاّ اذا ظهرت هذه الحركات في غير موضعها اثناء اللعب او اشتغال الطفل بشيء معين مثلاً فكل هذه الحركات واشباهها من الحركات الجسمية المبكرة لا تعبر عن شيء عقلي خاص اذ ان ذلك يكون فيما بعد ، لهذا يلزم ملاحظة الطفل بدقة حتى يمكن توجيه هذه الحركات الى ما قصد منها والاّ شب الطفل على طباع حركية في غير موضعها وبالضرورة تكون لا معنى لها ، وخصوصاً حركات الوجه — ومعنى ذلك الفصل بين الشعور وطرق التعبير الطبيعي التي ربما ادت الى الخداع في المستقبل والى التواء سبل التربية تباعاً

اما ما نشير به لمنع اشباه هذه العادات ، هو انهُ يلزم عدم ترك الاطفال مدة طويلة في اسرّتهم او حجرهم دون وضع شيء خارجي يشغل نشاطهم ، والاّ تسبب ارتخاء الجسم وبلادة العقل ومن ثم فساد الاخلاق المبكر ، خصوصاً اذا قلد الطفل حركات الخدم الجهلاء والآباء عصبي الحركات وما اكثر هذه البيئات حوله واخطرها عليهِ .وعلى الام او المربية ان تصرف وقتاً كبيراً مع طفلها للعناية ... ان تجعله الصور الوحيد امام ناظريها ، تحمله من انفعالات نفسها كل لون تتلون بهِ ، او تحرص ... بشكل يأتي بنتائج عكس ما رغبت فيهِ من حرصها وبالغ عنايتها ، فانها ان جعلته ... منها تنشئه طفلاً قلقاً يراع لجأة لاقل سبب وبذلك تضره بدل ان تنفعهُ

ولما كان يلزم كل طفل ان ينتفع بتجاربه الخاصة مبكراً وان يجد منفذاً صحيًّا لنشاطه الذاتي وجب وجود حجرة مربى Nursery في كل منزل اسرة تقصد ان تخرج رجالاً اصحاء للامة ، وهذه المربى ينبغي ان تحتوي على اكثر ما يمكن من انواع اللعب والوسائل التي تلائم الاطفال في مختلف اطوار نموهم بحيث يمكن اشغال حواسهم وعقولهم وتمرين اجسامهم في رفق وتدرج

فاذا انتقل الصغير من هذا الطور « طور الطفولة المبكر » الى طور الطفولة الثاني او « الصبوة » من ٣ — ٧ او ٨ فهناك مميزات توضح ذلك الانتقال ، فيسلم الطور الاول الى الثاني ، عند تغلب القدرة العقلية على القوة الحسية والجسمية والعضلية ، وعند ما تصبح احوال الحياة العقلية المختلفة في حالة قوية كائنة . فيبدأ الصبي تحصيل اللغة ، وبذلك يبتدىء التمييز ، واستنباط الفروق لهذا الادراك الحسي القاصد ، فيحفظ الصبي كيف يستعمل الحقائق العملية التي تحيط بهِ كوسائل لتحصيل الاغراض التي توعز بها اليهِ نفسيته الداخلية

من هذا نرى ان هذا الطور تبتدىء معهُ التربية الفعالة التي يجب الاَّ تكون مباشرة بحيث توقف نمو الطفل الطبيعي (أعني ان تكون التربية مباشرة دون ظهور) وعقل الطفل في هذا الوقت يتطلب ملاحظة وعناية اكثر مما يتطلب الجسم ، وينفرد لهذه التربية الام والاب والعائلة التي لا يزال الطفل معهم بحالة ارتباط طبيعي متواصل

لذلك كان الشطر الاول من طور الصبوة (او الطفولة المتأخرة) مهمًّا جدًّا لان الصبي اول ما يبتدىء ، يبتدىء بفهم طبيعة بيئتهِ التي هي الحياة الخارجية ، وسواء اظهرت له هذه الحياة في حالة نبيلة عالية او بالعكس او ظهرت له كمجرد وسيلة لنيل مطامع النفس او كشيء نزيه او العكس ، فان فهمهُ لها على اي صورة مهم دون ريب

ومن الواجب ان يكون كل ما يسمعه ويراه ويقلده ظاهراً صحيحاً منظماً بقدر ما يمكنه وان يتعوَّد تحمل المسئوليات طالما امكنه ابداء رغباته وتقدير العواقب ، خصوصاً وانهُ في هذا الطور يلاحظ على الطفل كثرة التكلم فيما يعنيه ، وهو يتابع ذلك اثناء اللعب وهذا دليل على انه لا يفرق بين نفسه وبين الكلام (اي انهُ هو المتكلم نفسه) ولا يميز بين الاسماء ومسمياتها ، فاللعب والكلام هما العنصران اللذان يعيش بينهما الصبي الآن ، ولذلك يظن ان كل شيء حوله متمتع بنفس عيشته — يظن ان دميته . ولعبه ، والحصى والازهار ، والحيوان افراداً وجماعات ، يمكنها السمع والحس والتكلم ، فيحكي لها الحكايات ويطالبها بالمثل ، ويخدمها ويطالبها بأن تخدمه . فمثلاً يغسل الطفل ثياب دميته ويحفظها ويلبسها غيرها ويطالبها بعمل ذلك له مستقبلاً عند ما تكبر .

وها هو ذا ابن شقيقتي « فريد » عمره ٧½ سنوات موجود بحجرته الخاصة قريباً من حجرتي اسمعه يداعب دبه الكبير ، ويقدم له الطعام واليك حديثهُ معهُ : — « كل يا فرفر الرز » — « ما تعزبنيش احسن اخليك تأكل لوحدك مش معانا على السفرة » — « ما عندناش اولاد وحشين ما بياكلوش

الرز » الى غير ذلك . بربك تصور (الدب المسمى فرفر) موضوعاً على مخدة ، ومستند الظهر الى الحائط ومطالباً جديّاً بالأكل بيده اليمنى ؛ والطفل « فريد » لا يتنازل عن تناوله الطعام ، ثم بعد وقت ليس بقصير اسمعه يشكر الدب لأنهُ اكل الارز (كما يتصور بخياله) ويغسل له يديه ، ويضعهُ في سريره لينام . وغير ذلك كثير جدًّا مما يدور بينهُ وبين مختلف لعبهِ

فالواجب على الوالدين والعائلة اذن ان يعتبروا لعب الطفل ولعبهُ وعلاقتهُ الطبيعية بوالديه وعلاقته بما يحيط بهِ ، من اهم الوسائل الفعالة في نموه وتكوين حياتهِ التي يجب جعلها ممتائة وغزيرة قدر الامكان وعليهم تنمية قواه الغريزية وتنبيهها كل عضو من اعضائهِ الجسمية وقواه العقلية بصحة، مراعاة تقوية شعوره الاجتماعي وتدريبهِ على معرفة الواجب

ولما كان اللعب هو احسن الطرق الموصلة لذلك ، لانهُ حياة الطفل الطبيعية من المبدأ ، وجب مراعاة انتظام اوقاته وترتيب وسائله وفق ما يطابق اطوار نموه ويناسبها . وان تراعى الاحوال الصحية فيتحرك الطفل بكل حرية واناقة ويعبر عن نفسه بطلاقة ولباقة ، وان يلعب بنظام كي ينمو بلا عائق جسمي او عقلي او خلقي ، وان توجه عناية كبيرة الى آداب اللعب وحدوده

فاذا عجزنا عن تكييف الطفل وارشاده بما يناسب مواقفه المختلفة، فلنترك القيادة له فيظهر كوامن نفسه ، وبهذا نستطيع ارشاده ومساعدته وتوجيهه الوجهة الصالحة وهـذا ما يجدر اتباعه من المبدأ

وهنا نجد ثانياً الحاجة ماسة الى انشاء مربى في بيوتنا لاطفالنا وافساح أماكن خاصة بهم في حدائقنا لا سيما وانهم قبل ان ينتظموا في المدرسة يقلدون أعمال من بالمنزل من شبان وكهول ، ومحال منعهم من ذلك وتلافي ما يتبعه من نتائج ، ما لم يكن في منازلنا المربى الذي يستطيعون فيهِ اشغال حواسهم وتشغيل قواهم جميعاً ، وليست مسألة انشاء مربى بالمنزل بالأمر المعضل ، ولا بالمشروع الذي يتطلب نفقات لا نقدر عليها كما نتوهم . فليس ضروريًّا ان نشتري كل شيء يجب ان يوجد فيهِ ، وانما يمكننا امداد الطفل بكثير من الاشياء المستغنى عنها في المنزل، كبكرات الخيط بعد استعمال ما عليها وعلب السجاير والكبريت وقصاصات الاقمشة وعلب المشتريات ، وجانب من القش وفروع الشجر وكثير من انواع الحشرات النافعة (كدود القز والنحل الـكرنيولي) والضفدع والنباتات الممكن انباتها بحجرة المربى ، ومقدار من الرمل والحصى ، ونماذج للفواكه الى غير ذلك مما يتوقف نجاح استعماله والانتفاع بهِ على حسن الترتيب وتنظيم اوقات استعماله وهذا الى جانب اللعب من دمى وقطارات وسيارات وسلال وعربات وطائرات الخ الخ . فاذا راعينا حالة الطفل الصحية وفق ما أوضح الدكتور شخاشيري في كتابه وسرنا عليها بنظام الى جانب ما ننشده من سبل تربية الطفل بيقظة ونظام على اساس علم النفس والتربية ساعدنا الطفل والبيت والمدرسة التي سيذهب اليها مساعدة كبيرة، وحققنا أمنية طالما تمنيناها ، وهي اخراج اطفال أصحاء مثقفين ، يسيرون في طريقهم ليكونوا رجال غد يعرفون الواجب عليهم نحو انفسهم وبلادهم فيسعدون امتهم ويعزون اوطانهم

امثال لافونتين بالعربية

شرع الاب الوقور نقولا ابو هنا المخلصي في نقل امثال الشاعر الفرنسي المشهور لافونتين ، نظماً ، الى العربية ، وعلق على النقل شروحاً وتفسيرات تاريخية ولغوية وميثولوجية ، حتى تتم فائدتها . وقد جاءتنا الكراسة الاولى من هذه المجموعة ، فاذا ما اشتملت عليه يدل على ان الاب المحترم قد اجاد النقل والتعليق . والى القارىء القصيدة الاولى وهي تنطوي على مثل «الصرّار (الجدجد) والنملة»

قد قضى الصرار صيفاً   وهو لاهٍ يتغنّى
فأتى فصل شتاءٍ   مزمهرٍّ فاستكنّا
ليس في مأواه شيءٌ   شاغل ضرساً وسنّا
فنحا جارته النملة   يشكو الجوع مضنى
قال : « يا جارة عطفاً   وارحمي قلب المعنّى
اقرضيني بعض زادٍ   وابسطي للجود يمنى
فتريني قبل آب   حينما اثري وأغنى
موفياً مالك أصلاً   ورباً كيلاً ووزنا
قسماً أوفي فأبقي   قسمي عندكِ رهنا »
انما النملة تأبى   قرضها للقوت ضنّا
فأجابت: «كيف قضّيت   مدى الصيف؟أفِدنا»
قال : «اني كنت اشدو   وأغني معلمئنا
انشد الذاهب والآتي ما قد   طاب لحنا
افلا يعجب هذا الـ   ـعمل المولاة حسنا؟ »
فأجابت: «نِعمَ هذا الـ   ـفن في الاعمال فنا !
إن تكن غنّيت قدماً   فارقص الآن مهنّا

وقد حذفنا التعليق والشرح لان هذا الباب لا يتسع لهما جميعاً . وعندنا ان اعتماد هذه الامثال في دروس الاحداث ، يفيد فائدتين اما الاولى فخلقية لان حكم لافونتين غنية عن التعريف ، واما الثانية فأدبية لغوية ، تؤخذ من حسن السبك في الترجمة ، وحسن الـ[illegible]